

(فهرسة الجزء الثانى من نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب)

(تمت)

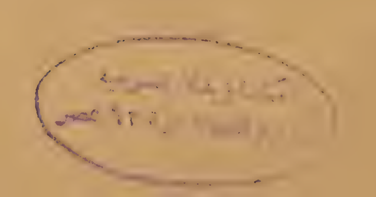
الجزء الثانى من كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب لفريد زمانه
ونادرة أوانه العلامة احمد المقرى المغربى
المالكى الاشعرى تغمده الله تعالى
برحمته وأسكنه فسيح
جنته آمين
آمين

محلاة هوامش أجزائه الاول والثانى والثالث بالتاريخ الفائق نغمات المثانى والمثالث
المسمى مروج الذهب ومعادن الجوهر للامام ابى الحسن على المسعودى احسن الله مثوبته
فى دار المستقر وافرد هامش جزئه الرابع بالكتاب البديع الرائع المسمى تحفة الاحباب
وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات وما يتبع ذلك للعلامة
السخاوى الهمام أمطره الله تعالى بهوامع الاكرام

(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الازهرية المصرية)

(سنة ١٣٠٢ هجرية)





*(ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق الامام النحوى اللغوى نور الدين أبو الحسن على ابن أحمد بن محمد بن حمدون الحميرى الاندلسى المالقى) قال شرف الدين الصابونى أنشدنا المذكور لنفسه سنة ٦٦٧

فؤاد بأيدى النائبات مصاب * وجفن لفيض الدمع فيه مصاب
تناءت ديار قد ألفت وجيرة * فهل لى الى عهد الوصال اياب
وفارقت أوطانى ولم أبلغ المنى * ودون مرادى أبحر وهضاب
مضى زمنى والشيب حل بمفرقى * وأبعد شئ أن يرد شباب
اذا مر عمر المرء ليس براجع * وان حل شيب لم يفده خضاب
فحل حمام الشيب فى فرق لمتى * وقد طار عنها للشباب غراب
وكم عظة لى فى الزمان وأهله * وبين فؤادى والقبول حجاب
فدع شهوات النفس عنك بمعزل * فعذب الليالى مقتضاه عذاب
وسل فؤادا عن رباب وزينب * فما القصد منها زينب ورباب
وأنوى متابا ثم أنقض نيتى * فربع صلاحى بالفساد خراب
أقر بتقصيرى وأطمع فى الرضا * وما القصد الا مرجع ومتاب

(واما أجناس الاكراد وأنواعهم) فقد تنازع الناس فى بدئهم فمنهم من رأى أنهم من ربيعة ابن نزار بن بكر بن وائل انفردوا فى قديم الزمان وانضافوا الى الجبال والاودية دعتهم الى ذلك الانفة وجاوروا ما هنالك من الامم الساكنة المدن والعمائر من الاعاجم والفرس فحالوا عن لسانهم وصارت لغتهم أعجمية وولد كل من الاكراد لغة لهم بالكردية ومن الناس من رأى انهم من مضر بن نزار وأنهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن وأنهم انفردوا فى قديم الزمان لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسان ومنهم من رأى انهم من ربيعة ومضر وقد اختصموا فى الجبال طلبا للمياه والمراعى فحالوا

ويعتبى

ويعتبني في العجز خل وصاحب * وهل نافع في الجامدات عتاب
أطهر أثوابي وقلبي مدنس * وأزعم صدقا والمقال كذاب
وفارقت من غرب البلاد مواطنا * فيسقي ربا غرب البلاد سحاب
فبالقلب من نار التشوق حرقة * وبالعين من فيض الدموع عباب
وما بلغ المملوك قصدا ولا مني * ولا حط عن وجه المراد نقاب
وأخشى سهام الموت تقفو أغفلة * وما سار بي نحو الرسول ركاب
وقلبي معمور بحب محمد * فمالي في غير الحجاز طلاب
يحن الى أوطانه كل مسلم * فقدس منها منزل وجناب
فأسعد أيامي اذا قيل هذه * منازل من وادي الحمى وقباب
فجسمي في مصر وروحي بطيبة * فللروح عن جسمي هناك مناب
على مثل هذا العجز والعمر منقض * تشق قلوب لا تشق ثياب
وأرجو ثوابا بامتداحي محمدا * وما كل من في الزمان يثاب
به أخمدت من قبل نيران فارس * وحقق من ظبي الفلاة خطاب
وكم قد سقى من كفه الجيش فارتووا * وكم قد شفى منه العيون رضاب
أجيب لما يختار في حضرة العلا * وما كل خلق حيث قال يجاب
فلم تلهه دنياه عن خوف ربه * ولا شغلته عن رضاه كعاب
محمد المختار أعلى الورى ندى * وأكرم مبعوث أتاه كتاب
أتحسب أن تحصى بعد صفاته * وهيهات ما يحصى علاه حساب
ثناء رسول الله خير ذخيرة * وقد ذل جبار وخيف عقاب
وقد نصب الميزان والله حاكم * وذلت لاحكام الاله رقاب
فكل ثناء واجب لصفاته * فما مدح مخلوق سواه صواب
اليك رسول الله أنهي مدائحي * وان رجائي راحة وثواب
اذا قيل من تعني بمدحك كله * فانت اذا خبرت عنه جواب
فليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والأنام غضاب
فانت أجل العالمين مكانة * وأكرم مدفون حواه تراب

وله يرثي العز بن عبد السلام

أمد الحياة كما علمت قصير * وعليك نقادبها وبصير
عجبا لمغتر بدار فنائه * وله الى دار البقاء مصير
فسليمها للنائبات معرض * وعزيزها بيد الردى مقهور
أيظن ان العمر ممدود له * والعمر فيه على الردى مقصور

وهي طويلة ولم يحضرني سوى ما ذكرته *(ومنهم عبد البر بن فرسان بن ابراهيم بن عبد الرحمن الغساني الوادي آشي أبو محمد) وله أخبار كثيرة في الحماسة وعلو الهمة ومن نظمه لما تعمم مخدومه ابن غانية بعمامة بيضاء ولبس غفارة حمراء على جبة خضراء

سليمان بن داود عليهما السلام حين سلب ملكه ووقع على امائه المنافقات الشيطان المعروف بالجسد وعصم الله منه المؤمنات أن يقع عليهن فعلق منه المنافقات فلما رد الله على سليمان ملكه ووضع تلك الاماء الحوامل من الشيطان قال اكردوهن الى الجبال والاودية فربتهم أمهاتهم وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدء نسب الاكراد (ومن الناس) من رأى ان الضحاك ذا الافواه المقدم ذكره في هذا الكتاب الذي تنازعت فيه الفرس والعرب من أي الفريقين هو انه خرج بكتفيه حيتان لا يهدآن الا بادمغة الناس فافنى خلقا كثيرا من فارس واجتمعت الى حربه جماعة كثيرة ووافاه أفريدون بهم وقد شالوا راية من الجلود تسميها الفرس درفش كابيان فاخذ أفريدون الضحاك وقيده في جبل نهاوند على ما ذكرنا وقد كان وزير الضحاك في كل يوم يذبح كبشا ورجلا ويخلط أدمغتهما ويطعم تينك الحيتين اللتين في كتفي الضحاك ويطرد من يخلص الى الجبل فتوحشوا وتناسلوا في تلك الجبال فهم بدء الاكراد وهؤلاء من نسلهم وتشعبوا أفخاذا وما ذكرنا من خبر

فديتك بالنفس التى قد ملكتها * بما أنت موليها من الكرم الغض
ترديت للحسن الحقيقى بهجة * فصار لها الكلى فى ذاك كالبعض
ولما تلالا نور غرتك التى * تقسم فى طول البلاد وفى عرض
تلفعتها خضراء أحسن ناظر * نبت عنك اجلالا وذاك من الفرض
وأسدلت حمراء الملابس فوقها * بمفرق تاج المجد والشرف المحض
فاصبحت بدرا طالعا فى غمامة * على شفق دان الى خضرة الارض

وقال رحمه الله تعالى

أجبنا ورمحى ناصرى وحسامى * وعجزا وعزمى قائدى وامامى
ولى منك بطاش اليدين غضنفر * يحارب عن أشباله و يحامى

وقال رحمه الله تعالى لما أسن يستاذن مخدومه فى الحج والزيارة

أمنن بتسريح على وفعله * سبب الزيارة للعظيم ويثرب
ولئن تقول كاشحان الهوى * درست معالمه وأنكر مذهبى
فقالى ماان مللت وانما * عمرى أبى حمل النجاد ومنكبى
وعجزت عن أن استثير كميتها * واشق بالصمصام صدر الموكب

وقال رحمه الله تعالى ولا خفاء ببراعته

فدى مخضلا ذاك الجناح المنمنما * وسقيا وان لم تشك يا ساجعا ظما
أعدهن ألحانا على سمع معرب * يطارح مرتاحا على القضب معجما
وطر غير مقصوص الجناح مرفها * مسوغ اشتات الحبوب منعما
مخلى وأفراخا بوكرك نوما * ألا ليت أفراخى معى كن نوما

وقال رحمه الله تعالى

كفى حزنا أن الرماح صقيلة * وأن الشبا رهن الصدى بدمائه
وان بياديق الجوانب فرزنت * ولم يعد رخ الدست بيت بنائه

وكان رحمه الله تعالى من جلة الادباء وفحول الشعراء وبرعة الكتاب كتب عن ابن غانية الامير أبى زكريا يحيى بن اسحق بن محمد بن على المسوفى الميرقى الثائر على منصور بن عبد المؤمن ثم على من بعده من ذريته الى أيام الرشيد منهم وكان منقطعا اليه وممن صحبه فى حركاته وكان آية فى بعد الهمة والذهاب بنفسه والغناء فى مواقف الحرب والجنسية علة الضم اذ ابن غانية كان غاية فى ذلك أيضا ووجهه الميرقى المذكور عشية يوم من أيام حروبه الى المازق وقد طال العراك وكاد الناس ينفصلون عن الحرب الى ان يباكروها من الغد فلما بلغ الصدر اشتد على الناس وذمر أرباب الحفيظة وأنهى اليهم العزم من أميرهم فى الحملة فانهزم عدوهم شر هزيمة ولم يعد أبو محمد الا فى آخر الليل بالاسلاب والغنيمة فقال له الامير وما حملك على ما صنعت فقال الذى عملت هو شانى واذا أردت من يصرف الناس عن الحرب ويذهب ريحهم فانظر غيرى وتشاجر له ولد صغير مع ترب له من أولاد أميره أبى زكريا فنال منه ولد الامير وقال وما قدر أبيك فلما بلغ ذلك اباه خرج مغضبا لحينه والتى ولد

الضحاك فالفرس لا ينكرونه ولا لأصحاب التواريخ القديمة ولا الحديثة (وللفرس) فى أخبار الضحاك مع ابليس أخبار عجيبة هى موجودة فى كتبهم وتزعم الفرس أن ظهور المقدم ذكره فى ملوك الفرس هو نوح النبى عليه السلام وتفسيره ادريس بالفارسية الفهلوية وهى الاولى الراية والمطرد والعلم (واما الترك وأجناسها) فقد قدمنا كثيرا من أخبارها وقد غلط قوم فزعموا أن الترك من ولد طوج بن أفريدون وهذا غلط ولى طوج على الترك وسلح على الروم وكيف توليه عليهم وهم ولده وما قلنا يدل على أن الترك من غير ولد طوج ابن أفريدون بل لطوج فى الترك عقب مشهور والمعظم فى أجناس الترك هم التبت وهم من حمير على حسب ماذكرنا أن بعض التبابعة رتبهم هنالك وما قلنا من الاكراد فالاشهر عند الناس والاصح من أنسابهم أنهم من ولد ربيعة بن نزار فاما نوع من الاكراد وهم الشاهجان ببلاد ما بين الكوفة والبصرة وهى أرض الدينور وهمذان فلا تناكر بينهم أنهم من ولد ربيعة بن نزار بن معد والعاخرذان وهم من الكيكان ببلاد اذربيجان والهلبانية والسراة وما

الامير المخاطب لولده فقال حفظك الله تعالى است أشك فى أنى خديم أبيك ولكنى أحب أن أعرفك بنفسى ومقدارى ومقدار أبيك اعلم أن أباك وجهنى رسولا الى دار الخلافة ببغداد بكتاب عن نفسه فلما بلغت بغداد أنزلت فى دار اكتريت لى بسبعة دراهم فى الشهر وأجرى على سبعة دراهم فى اليوم وطولع بكتابى وقيل من المبرقى الذى وجهه فقال بعض الحاضرين هو رجل مغربى ثائر على استاذه فأقمت شهرا ثم استدعيت فلما دخلت دار الخلافة وتكلمت مع من بها من الفضلاء وأرباب المعارف والآداب اعتذروا الى وقالوا للخليفة هذا رجل جهل مقداره فاعدت الى محل اكترى لى بسبعين درهما وأجرى على مثلها فى اليوم ثم استدعيت فودعت الخليفة واقتضيت ما تيسر من حوائجه وصدر لى شئ له حظ من صلته وانصرفت الى أبيك فالمعاملة الاولى كانت على قدر أبيك عند من يعرف الاقدار والثانية كانت على قدرى وترجمته رحمه الله تعالى واسعة * (ومنهم عبد المنعم بن عمر الغسانى الوادى آشى) المؤلف الرحالة المتجول ببلاد المشرق سائحا صاحب المؤلفات الكثيرة التى منها جامع أنماط السائل فى العروض والخطب والرسائل ومن نظمه

ألا انما الدنيا بحار تلاطمت * فما أكثر الغرقى على الجنبات
وأكثر من لاقيت يغرق الفه * وقل فتى ينجى من الغمرات

توفى سنة ٦٠٣ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد القرطبى الخزرجى) كان اماما فى التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة والعروض والطب وله تآليف حسان وشعر رائق فمنه قوله رحمه تعالى

وفى الوجنات ما فى الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التعجب عنه أنى * أرى البستان يحمله قضيب

وتوفى رحمه الله تعالى سنة ٦٠١ * (ومنهم أبو العباس القرطبى صاحب المفهم فى شرح مسلم وهو أحمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الانصارى المالكى الفقيه المحدث المدرس الشاهد بالاسكندرية) ولد بقرطبة سنة ٥٧٨ وسمع الكثير هنالك ثم انتقل الى المشرق واشتهر وطار صيته وأخذ الناس عنه وانتفعوا بكتبه وقدم مصر وحدث بها واختصر الصحيحين وكان بارعا فى الفقه والعربية عارفا بالحديث وممن أخذ عنه القرطبى صاحب التذكرة ومن تصانيفه رحمه الله تعالى المفهم فى شرح مسلم وهو من أجل الكتب ويكفيه شرفا اعتماد الامام النووى رحمه الله تعالى فى كثير من المواضع وفيه أشياء حسنة مفيدة ومنها اختصاره للصحيحين كما مر وله غير ذلك وتوفى رحمه الله تعالى بالاسكندرية رابع القعدة سنة ٦٥٦ وكان يعرف فى بلاده بابن المزين وله كتاب كشف الاقناع عن الوجد والسماع أجاد فيه وأحسن وكان يشتغل أولا بالمعقول وله اقتدار على توجيه المعانى بالاحتمال قال الشيخ شرف الدين الدمياطى أخذت عنه وأجازلى مصنفاته رحمه الله تعالى وحدث بالاسكندرية وغيرها وصنف غير ما ذكرناه وكان اماما عالما جامعا لمعرفة الحديث والفقه والعربية وغيرها * (ومنهم العارف الكبير الولى الصالح الشهير أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد ابن سيدبونة الخزاعى الاندلسى) أحد الاعلام المنقطعين المقربين أولى الهداية كان رضى الله

حوى بلاد الجبال من الساذنجان والكرية والباردلكان والبار ينجان

واليارسان والحالبة والجبانار فيه والحاوانيه والمسكان ومن حل بلاد الشام من الديابلة وغيرهم فالمشهور فيهم أنهم من مضر بن نزار ومنهم اليعقوبية والجورقان وهم نصارى وديارهم مما يلى الموصل وجبل الجودى (وفى الاكراد) من رأيهم رأى الخوارج والبراءة من عثمان وعلى رضى الله عنهما فهذه جملة من أخبار بوادى العالم وقد أعرضنا عن ذكر القول فيهم (والخلج) وهم أنواع من الترك نحو بلاد غرس ونصيبين وبست مما يلى بلاد سجستان وكذلك من بلاد كرمان من أرض القفص والملوح والحب (قال المسعودى) فأما أيام العرب ووقائعها وحروبها فقد ذكرناها فيما سلف من كتبنا وما كان بينها فى الجاهلية والاسلام كيوم الهباءة وحروب ذبيان واليمن وحرب داحس والغبراء وحرب بكر بن وائل وتغلب وهى حرب البسوس ويوم الكلاب ويوم حرار ومقتل جساس ابن زهير ويوم ذى قار ويوم شعب جبلة وما كان من بنى عامر وغيرهم وحرب الاوس والخزرج وما كان بين غسان وعك (وسنورد) بعد هذا الباب جملا من أخبار العرب الدائرة وغيرها

والقيافة والكهانة والنفوس والصدى والهام وغير ذلك من شيمها وبالله التوفيق
(ذكر ديانات العرب وآرائها فى الجاهلية وتفرقها فى البلاد وخبر أصحاب الفيل وعبد المطلب وغير ذلك مما لحق بهذا الباب)
كانت العرب فى جاهليتها فرقا منهم الموحد المقر بخالقه المصدق بالبعث والنشور موقنا بان الله يثيب المطيع ويعاقب العاصى وقد تقدم ذكرنا فى هذا الكتاب وغيره من كتبنا من دعا الى الله عز وجل ونبه أقوامه على آياته فى الفترة كقس بن ساعدة الايادى ورباب الشنى وبحيرا الراهب وكانا من عبد القيس (وكان من العرب) من أقر بالخالق وأثبت حدوث العالم بالبعث والاعادة وأنكر الرسل وعكف على عبادة الاصنام وهم الذين حكى الله عز وجل قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى الآية وهذا الصنف الذين حجوا الى الاصنام وقصدوها ونحروا البدن ونسكوا لها النسائك واحلوا لها وحرموا (ومنهم) من أقر بالخالق وكذب بالرسل والبعث

تعالى عنه ونفعنا به كثير الأتباع بعيد الصيت فذا شهيرا قال الحافظ بن الزبير هو أحد الاعلام المشاهير فضلا وصلاحا قرأ بالمنسية وتفقه وحفظ نصف المدونة وأقرأها وكان يؤثر التفسير والحديث والفقه على غيرها أخذ عن أبوى الحسن بن النعمة وابن هذيل وحج ولقى فى رحلته من الاندلس جلة أكبرهم الولى الكبير سيدى أبو مدين شعيب أفاض الله تعالى علينا من أنواره وانتفع به ورجع عنه بعجائب فشهر بالعبادة وتبرك الناس به فظهرت عليه بركته توفى رحمه الله تعالى فى شوّال سنة ٦٢٤ وعاش نيفا وثمانين سنة وله ترجمة فى الاحاطة ملخصها ما ذكرناه *(ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجى الانصارى الشاطبى الفقيه القاضى الصدر المتفنن المحصل المجيد) له علم محكم وعقد صحيح مبرم رحل الى المشرق وحج وكانت رحلته بعد تحصيله فزاد فضلا الى فضل ونبلا الى نبل وكان متثبتا فى فقهه لا يستحضر من النقل الكثير ولكنه يستحضر ما يحتاج اليه وكان له علم بالعربية وأصول الفقه ومشاركة فى أصول الدين له شرح على الجزولية وكان أبوه قاضيا وبيته بيت قضاء وعلم وسودد متوارث ومجده مكسوب ومنسوب ثم ولى قضاء بجاية فكان فى قضائه على سنن الفضلاء وطريق الاولياء العقلاء بالحق مع الصدق معارضا للولاة وكان يرى أن لا يقدم الشهود الا عند الحاجة وأما ان حصل من تحصل به الكفاية فلا يقدم غيره ويرى ان الكثرة مفسدة وقد طلب منه الملك أن يقدم رجلا من أهل بجاية فقال له مشافهة ان شئتم قدمتموه وأخرتموه وكان اذا جرى الامر فى مجرى الشهادة وما قاله القاضى بن العربى أبو بكر وغيره من أنها قبول قول الغير على الغير بغير دليل يرى ان هذا من الامر العظيم الذى لا يليق أن يمكن منه الا الآحاد الذين تبين فضلهم فى الوجود وكان يرى ان جنايات الشاهد انما هى فى صحيفة من يقدمه من باب قوله عليه الصلاة والسلام من سنّ سنة حسنة ومن سنّ سنة سيئة وقد سئل من أولياء الله فقال شهود القاضى لانهم لا يأتون كبيرة ولا يواظبون على صغيرة وان كانت الشهادة على هذه الصفة فلا شئ أجل منها وان كانت خطة لا صفة فلا شئ أخس منها ولما كانت واقعة ابن مزين بطنجة عرض عليه أهلها أن يتقدم وأن يبايعوه فقال والله لا أفسد دينى ولما توفى عجز القاضى الذى تولى بعده عن سلوك منحاه واقتفاء سننه الذى اقتفاه قال هذا كله بمعناه وبعضه بحروفه الغبرينى فى عنوان الدراية فى علماء بجاية *(ومنهم محمد ابن يحيى الاندلسى اللبسى) بلام فوحدة فسين قاضى القضاة أخذ عن الحافظ بن حجر ونوه به عند الاشراف حتى ولاه قضاء المالكية بحماه وسار سيرة السلف الصالح ثم حج على نائبها فى بعض الامور وسافر الى حلب مظهرا ارادة السماع على حافظها البرهان ووصفه ابن حجر فى بعض مجاميعه بقوله الشيخ الامام العالم العلامة فى الفنون قاضى الجماعة وقال انه انسان حسن امام فى علوم منها الفقه والنحو وأصول الدين يستحضر علوما كانها بين عينيه ووصفه أيضا بعلامة دهره وخلاصة عصره وعين زمانه وانسان أوانه جامع العلوم وفريد كل منثور ومنظوم قاضى القضاة لا زالت رايات الاسلام به منصورة وأعلام الايمان به منشورة ووجوه الاحكام الشرعية بحسن نظره محبورة ولد سنة ٨٠٦ وتوفى ببرسا من بلاد الروم أواخر شعبان ٨٨٤ قاله السخاوى فى الضوء اللامع *(ومنهم الوزير الشهير

ابو

أبو عبد الله بن الحكيم الرندي ذو الوزارتين) رحل الى مصر والحجاز والشام وأخذ الحديث عن جماعة وقد ترجمناه في باب مشيخة لسان الدين عند تعرضنا لذكر ابنه الشيخ أبي بكر بن الحكيم ولا باس أن نزيد هنا ماليس هنالك فنقول ان من مشايخه برندة الشيخ الاستاذ النحوي أبا الحسن علي بن يوسف العبدوي السماني أخذ عنه العربية وقرأ عليه القرآن بالروايات السبع وأخذ عن الخطيب بها أبي القاسم بن الايسر وأخذ رحمه الله تعالى عن جماعة من أعلام الاندلس وأخذ في رحلته عن الجلة الذين يضيق عن أمثالهم الحصر فمن شيوخه الحافظ أبو اليمن بن عساكر لقيه بالحرم الشريف وانتفع به وأكثر من الرواية عنه والشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني المعروف بابن هبة الله والشيخ الشرف أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطى ابن الامام الجزائري جزائر العرب نزيل بغداد والشيخ أبو الصفاء خليل بن أبي بكر المرادي الحنبلي لقيه بالقاهرة والشيخ رضى الدين أبو بكر القسمطيني والشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي امام الديار المصرية في الحديث وحافظها ومؤرخها والشهاب بن الخيمي قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التي أولها

يا مطلبا ليس لي في غيره أرب * اليك آل التقضي وانتهى الطلب

وفيها البيت المشهور الذي وقع النزاع فيه

يا بارقا بأعالي الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

والشيخ جمال الدين أبو صادق محمد بن يحيى القرشي ومن تخريجه الاربعون المروية بالاسانيد المصرية وسمع الحلبيات من ابن عماد الحراني والشيخ أبي الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة ومولده سنة ٥٩٨ وزينب بنت الامام أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي وتكنى أم الفضل وسمعت من أبيها ومن أشياخ ذي الوزارتين بن الحكيم المذكور الملك الاوحد يعقوب ابن الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب والشيخ عبد الرحمن بن سليمان بن طرخان وأخوه محمد بن سليمان في طائفة كبيرة من مشايخ مصر والشام والعراق وغيرها من البلاد يطول تعدادهم وأخذ ببجاية عن خطيبها أبي عبد الله بن رحيمة الكناني وبتونس عن قاضيها أبي العباس بن الغماز البلنسي وأخذ العربية عن قدوة النحاة أبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن أبي الربيع القرشي ومن شعر ذي الوزارتين بن الحكيم المذكور قوله

هل الى ردعشيات الوصال * سبب أم ذاك من ضرب المحال
حالة يسري بها الوهم الى * أنها تثبت برأ باعتلال
وليال ما بقي بعدها * غير أشواقي الى تلك الليال
اذ مجال الوصل فيها مسرحي * ونعيمي آخر فيها ووال
ولحالات التراضي جولة * مرحت بين قبول واقتبال
فبوادي الخيف خوفي مسعد * وبأكناف منى أسنى موال
لست أنسى الانس فيها أبدا * لا ولا بالعذل في ذاك أبال

ومال الى قول أهل الدهر وهؤلاء الذين حكى الله تعالى الحادهم وخبر عن كفرهم بقوله تعالى وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون (ومنهم) من مال الى اليهودية والنصرانية (ومنهم) المار على عنجهيته الراكب لهمجيته وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ويزعمون أنها بنات الله فكانوا يعبدونها لتشفع لهم الى الله وهم الذين أخبر الله عز وجل عنهم بقوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وقوله تعالى افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى (فمن كان) مقرا بالتوحيد مثبتا للوعيد تاركا للتقليد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكان حفر بئر زمزم وكانت مطوية وذلك في ملك كسرى قباذ فاستخرج منها غزالتي ذهب عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي وسبعة أسياف قلعية وسبعة أذرع سوابغ فضرب من الاسياف بابا للكعبة وجعل احدى الغزالتين صفائح وجعل الاخرى في الكعبة وكان عبد المطلب أول من أقام الرفادة والسقاية بمكة عذبا وجعل باب الكعبة ذهبا

وغزال قد بدا لى وجهه * فرأيت البدر فى حال الكمال
ما أمال التيه من أعطافه * لم يكن الا على خصل اعتدال
خص بالحسن فما أنت ترى * بعده للناس حظا فى الجمال
من تسلى عن هواه فأنا * بسواه عن هواه غير سال
فلئن أتعبنى حبى له * فلكم نلت به أنعم حال
اذ لا لى جيده من قبلى * ووشاحاه يمينى وشمال
خالف النوم لى السهد به * وترامى الشخص لاطيف الخيال
فتداوى بلماه ظمئى * مزجك الصهباء بالماء الزلال
أو اشادات بناء الملك الاوحد الاسمى الهمام المتعال
ملك ان قلت فيه ملكا * لم تكن الا محقا فى المقال
أيد الاسلام بالعدل فما * ان ترى رسما لاصحاب الضلال
ذو أياد شملت كل الورى * وفعال بالمآخير معال
همة هامت باحوال التقى * وصفات بالجلالات حوال
وقف النفس على اجهادها * بين صوم وصلاة ونوال

وهى طويلة ومنها

أيها المولى الذى نعماؤه * أعجزت عن شكرها كنه المقال
ها أنا انشدكم مهنئا * من بديع النظم بالسحر الحلال
فأنا العبد الذى حبكم * لم يزل والله فى قلبى و بال
أورقت روضة آمالى بكم * مذ تولاها الرباب المتوال
واقتنيت الجاه من خدمتكم * فهى ما أذخره من كنز مال

ومنها

ياأمير المسلمين هذه * خدمة تنبئ عن اصدق حال
هى بنت ساعة اوليلة * سهلت بالحب فى ذاك الجلال
ما عليها اذ أجادت مدحها * من بعيد الفهم يلغيها وقال
فهى فى تادية الشكر لكم * ابدا بين احتفاء واحتفال

وكتب رحمه الله تعالى يخاطب اهله من مدينة تونس

حى حى بالله ياريح نجد * وتحمل عظيم شوقى ووجدى
واذا ما بثثت حالى فبلغ * من سلامى لهم على قدر ودى
ما تناسيتهم وهل فى مغيبى * هم نسونى على تطاول بعدى
بى شوق اليهم ليس يعزى * لجميل ولا لسكان نجد
يانسيم الصبا اذا جئت قوما * ملئت ارضهم بشيح ورند
فتلطف عند المرور عليهم * وحقوقا لهم على فؤادى
قل لهم قد غدوت من وجدهم فى * حال شوق لكل رند وزند

وفى ذلك يقول عبد المطلب
أعطى بلا شح ولا مشاحح * سقيا على رغم العدو الكاشح
بعد كنوز الحلى والصفائح
حليا لبيت الله ذى المسارح

وكان قد نذر ان رزقه الله عز وجل عشرة أولاد ذكور أن يقرب أحدهم لله تعالى أحبهم اليه وهو عبد الله أبو النبى صلى الله عليه وسلم فضرب عليه بالقداح حتى اقتداه بمائة من الابل فى خبر طويل (وقد كان) أبرهة حين سار بالحبشة وأتى أنصاب الحرم فنزل بالموضع المعروف بحب المحصب فاتى بعبد المطلب ابن هاشم فاخبر انه سيد مكة فعظمه وهابه لاستدارة نور النبى صلى الله عليه وسلم فى جبينه فقال له سلنى يا عبد المطلب فابى أن يسأله الا ابلا له فامر بردها وقال الا تسالنى الرجوع فقال انا رب هذه الابل وللبيت رب سيمنعه منك وانصرف عبد المطلب الى مكة وهو يقول

يا أهل مكة قد وافاكم ملك * مع الفيول على أنيابها الزرد
هذا النجاشى قد سارت كتائبه * مع الليوث عليها البيض تتقد
يريد كعبتكم والله مانعه * كمنع تبع لما جاءها حرد

وأمر قريشا أن تلحق ببطون الاودية ورؤس الجبال من معرة الحبشة وقلد الابل النعال وان

وان استمر واحديثي فاني * باعتناء الاله بلغت قصدي
فلله الحمد اذ حباني بلطف * عنده قل كل شكر وحمد

وافتتح مخاطبته لاخيه الاكبر أبي اسحق ابراهيم بقصيدة أولها

ذكر اللوى شوقا الى أقماره * فقضى أسى أو كاد من تذكاره
وعلا زفير حريق نار ضلوعه * فرمى على وجناته بشراره
لو كنت تبصر خطه في خده * لقرأت سر الوجد من أسطاره
يا عاذليه أقصروا فلربما * أفضى عتابكم الى اضراره
ان لم تعينوه على برحائه * لا تنكروا بالله خلع عذاره
ما كان أكتمه لاسرار الهوى * لو ان جند الصبر من أنصاره
ما ذنبه والبين قطع قلبه * أسفا وأذكى النار في أعشاره
بخل اللوى بالساكنيه وطيفهم * وحديثه ونسيمه ومزاره
يا برق خذ دمعي وعرج باللوى * فاسفحه في باناته وعراره
واذا لقيت بها الذي باخائه * ألقى خطوب الدهر أو بجواره
فاقر السلام عليه قدر محبتي * فيه وترفيعي الى مقداره
والمم بسائر اخوتي وقرابتي * من لم أكن لجوارهم بالكاره
ما منهم الا الأخ أو سيد * أبدا أرى دأبي على اكباره
فابثث لذاك الحي أن أخاهم * في حفظ عهدهم على استبصاره

وقال رحمه الله تعالى في غرض كلفه سلطانه القول فيه

الا واصل مواصلة العقار * ودع عنك التخلق بالوقار
وقم واخلع عذارك في غزال * يحق لمثله خلع العذار
قضيب مائس من فوق دعص * تعمم بالدجى فوق النهار
ولاح بخده ألف ولام * فصار معرفا بين الدراري
رماني قاسم والسين صاد * باشفار تنوب عن الشفار
وقد قسمت محاسن وجنتيه * على ضدين من ماء ونار
فذاك الماء من دمعي عليه * وتلك النار من فرط استعاري
عجبت له أقام بربع قلبي * على ما شب فيه من الاوار
ألفت الحب حتى صار طبعا * فما أحتاج فيه الى ادكار
فمالي عن مذاهبه ذهاب * وهذا فيه أشعاري شعاري

وقال العلامة ابن رشيد في ملء العيبة لما قدمنا المدينة سنة ٦٨٤ كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم بن الحكيم وكان أرمد فلما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها نزلنا عن الاكوار وقوي الشوق لقرب المزار فنزل وبادر الى المشي على قدميه احتسابا لتلك الآثار واعظاما لمن حل تلك الديار فأحس بالشفاء فانشد لنفسه في وصف الحال قوله

ولما رأينا من ربوع حبيبنا * بيثرب أعلاما أثرن لنا الحبا

وخلاها في الحرم ووقف بباب الكعبة وهو يقول يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا
فامنعهم أن يخربوا قراكا
ويقول
يارب ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
فارسل الله عليهم الطير الابابيل اشباه اليعاسيب ترميهم بحجارة من سجيل وهو طين خلط بحجارة خرجت من البحر مع كل طير ثلاثة أحجار فاهلكهم الله عز وجل (وقد ذكرنا خبر أبي رغال فيما سلف من هذا الكتاب حين دلهم وهلاكه في الطريق وجعلت الحبشة يومئذ تسأل عن نفيل بن حبيب الخثعمي يدلها على الطريق ونفيل يسمع كلام الحبشة وسؤالها عنه وقد ريع لما عمهم من البلاء وانفرد عن جلتهم يؤمل الخلاص وقد تاهوا فانشأ يقول

ألا ردي حي لك يا ردينا * نعماكم مع الاصباح عينا
فانك لو رأيت ولن تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا * وحصب حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل * كأن علي للحبشان دينا

وقد ذكرنا ما كان منهم في هلاك عنيدهم فيما سلف من هذا الكتاب فلما

و بالترب منها اذ كحلنا جفوننا * شفينا فلا بأسا نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها * ومن بعدها عنا اديلت لنا قربا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة * لمن حل فيها أن نلم به ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاتها * ونلثم من حب لواطئه التربا
وان بقائي دونه لخسارة * ولو أن كفي تملأ الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه * يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلي لا تعدد كثرة * و بعدي عن المختار أعظمها ذنبا انتهى

وخط الوزير ابن الحكيم في غاية الحسن وقد رأيته مرارا وملكت بعض كتبه ونثره رحمه الله تعالى أعلى من شعره كما نبه عليه لسان الدين في الاحاطة ومن نثره في رسالة طويلة كتبها عن سلطانه ماصورته وقد تقرر عند الخاص والعام من أهل الاسلام واشتهر في آفاق الاقطار اشتهار الصباح في سواد الظلام أنا لم نزل نبذل جهدنا في أن تكون كلمة الله هي العليا ونسمح في ذلك بالنفوس والاموال رجاء ثواب الله لا لعرض الدنيا وانا ما قصرنا عن الاستنفار والاستنصار ولا أقصرنا عن الاعتضاد بكل من أملنا معاملته والاستظهار ولا اكتفينا بمطولات الرسائل و بنات الارسال حتى اقتحمنا بنفسنا لجج البحار فسمحنا بالطارف من أموالنا والتلاد وأعطينا رجاء نصرة الاسلام موفور الاموال والبلاد واشترينا بما أنعم الله به علينا ما فرض الله على كافة أهل الاسلام من الجهاد فلم يكن بين تلبية المدعو و زهده ولا بين قبوله ورده الا كما يحسو الطائر ماء الثماد و يابى الله أن يكل نصرة الاسلام بهذه الجزيرة الى سواه ولا يجعل فيها شيأ الا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته ونجواه ولما اسلم الاسلام بهذه الجزيرة الغريبة الى مناويه و بقي المسلمون يتوقعون حادثا ساءت ظنونهم لمباديه القينا الى الثقة بالله تعالى يد الاستسلام وشمرنا عن ساعد الجد في جهاد عبدة الاصنام واخذنا بمقتضى قوله تعالى وأنفقوا في سبيل الله أخذ الاعتزام فامدنا الله تعالى في ذلك بتوالي البشائر ونصرنا بالطاف أغنى فيها خلوص الضمائر عن قود العساكر ونقلنا على أيدي قوادنا ورجالنا من السبايا والغنائم ما غدا ذكره في الآفاق كالمثل السائر وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها و كيف يحصيها المحصي أو يحصرها الحاصر وحين أبدت لنا العناية الربانية وجوه الفتح سافرة المحيا وانتشقنا نسائم النصر الممنوح عبقة الريا استخرنا الله تعالى في الغزو بنفسنا ونعم المستخار وكتبنا بما قد علمتم الى ما قرب من أعمالنا بالحض على الجهاد والاستنفار وحين وافى من خف للجهاد من الاجناد والمطوعين وغدا والحكم رغبتهم في الثواب على طاعة الله مجتمعين خرجنا بهم ونصر الله تعالى أهدى دليل وعناية الله تعالى بهذه الفئة المفردة من المسلمين تقضي بتقريب البعيد من آمالنا وتكثير القليل ونحن نسأل الله تعالى أن يحملنا على جادة الرضا والقبول وأن يرشدنا الى طريق تفضي الى بلوغ الامنية والمأمول وهذه رسالة طويلة سقنا بعضها كالعنوان لسائرها ونال ابن الحكيم رحمه الله تعالى من الرياسة والتحكم في الدولة ما صار كالمثل السائر وخدمته العلماء الاكابر الاخيار كابن خميس وغيره وأفاض عليهم سجال خيره ثم ردت

الايام

صدهم الله عزوجل عن الكعبة أنشأ عبد المطلب يقول أيها الداعي لقد أسمعتني * ثم مابي عن نداكم من صمم

ان للبيت لربا مانعا
من يرده بأثام يصطلم
رامه تبع فيمن جندت
حمير والحي من آل قرم
فانثنى عنه وفي أوداجه
جارح أمسك منه بالكظم
قلت والاشرم يرمي حيلة
ان ذا الاشرم غر بالحرم
فجزاك الله فيما قد مضى
لم يزل ذاك على عهد ابرهم
نحن دمرنا ثمودا عنوة
ثم عادا قبلها ذات الارم
نعبد الله وفينا سنة
صلة القربى وايفاء الذمم
لم يزل لله فينا حجة
يدفع الله بها عنا النقم

(قال المسعودي) وقد استدل قوم ممن ذهب الى الغلو في بعض المذاهب والخروج عما أوجبته قضية العقل وضرورات الحواس بهذا الشعر وقول عبد المطلب فيما كان منهم في قديم الزمان وأيدوا ذلك الشعر بشعر العباس بن عبد المطلب في مدحه النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه منصرفه من تبوك فاسلم قال سمعت العباس بن عبد المطلب يقول يارسول الله اني أريد أن امتدحك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فانشأ يقول

الايام منه ماوهبت وانقضت أيامه كأن لم تكن وذهبت وقتل يوم خلع سلطانه ومثل به سنة ٧٥٨ رحمه الله تعالى وانتهب من امواله وكتبه وتحفه مالايعلم قدره الا الله تعالى أثابه الله تعالى بهذه الشهادة بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم *(ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق) الحافظ نجيب الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الامير القائد أبى على الحسن بن عبد العزيز بن هلال اللخمى الاندلسى ولد سنة ٥٧٧ تقريبا ورحل فسمع بمكة من زاهر بن رستم و ببغداد من أبى بكر أحمد بن سكينة وابن طبرزذ وطائفة وبواسط من أبى الفتح بن الميدانى وباصبهان من عين الشمس الثقفية وجماعة وبخراسان من المؤيد الطوسى وأبى روح وأصحاب الفراوى وهذه الطبقة وخطه مليح مغربى فى غاية الدقة وكان كثير الاسفار دينا متصوفا كبير القدر قال الضياء فى حقه رفيقنا وصديقنا توفى بالبصرة عاشر رمضان سنة ٦١٧ ودفن الى جانب قبر سهل التسترى رضى الله تعالى عنه ومارأينا من أهل المغرب مثله وقال ابن نقطة كان ثقة فاضلا صاحب حديث وسنة كريم الاخلاق وقال مفضل القرشى كان كثير المروءة غزير الانسانية وقال ابن الحاجب كان كيس الاخلاق محبوب الصورة لين الكلام كريم النفس حلو الشمائل محسنا الى أهل العلم بماله وجاهه وقيل انه أوصى بكتبه للشرف المرسى رحمه الله تعالى *(ومنهم محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد أبو بكر بن العربى الاشبيلى حفيد القاضى الحافظ الكبير أبى بكر بن العربى) قرأ النافع على قاسم بن محمد الزقاق صاحب شريح وحج فسمع من السلفى وغيره ثم رحل بعد نيف وعشرين سنة الى الشام والعراق وأخذ عن عبد الوهاب بن سكينة وطبقته ورجع فاخذوا عنه بقرطبة واشبيلية ثم سافر سنة ٦١٢ وتصوف وتعبد وتوفى بالاسكندرية سنة ٦١٧ قاله الذهبى فى تاريخه الكبير *(ومن المرتحلين من الاندلس يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز أبو زكريا القرطبى) سمع من العتبى وعبد الله بن خالد ونظرائهما من رجال الاندلس ورحل فسمع بمصر من المزنى والربيع بن سليمان المؤذن ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن ميمون وعبد الغنى ابن أبى عقيل وغيرهم وسمع بمكة من على بن عبد العزيز وكانت رحلته ورحلة سعيد ابن عثمان الاعناقى وسعيد بن حميد وابن ابى تمام واحدة وسمع الناس من يحيى المذكور مختصر المزنى ورسالة الشافعى وغير ذلك من علم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وكان يميل فى فقهه الى مذهب الشافعى وكان مشاورا مع عبيد الله بن يحيى واضرابه وحدث عنه من أهل الاندلس محمد بن قاسم بن بشير وابن عباده وغير واحد ولم يسمع منه ابنه محمد لصغره وتوفى سنة ٢٩٥ رحمه الله تعالى ورضى عنه *(ومنهم الشيخ الامام العالم العامل الزاهد الورع العلامة جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكرى الشريشى المالكى) كان من أكابر الصالحين المتورعين ومولده سنة ٦٠١ بشريش وتوفى برباط الملك الناصر بسفح قاسيون سنة ٦٨٥ فى ٢٤ رجب ودفن قبالة الرباط وله المصنفات المفيدة تولى مشيخة الصخرة بحرم القدس الشريف وقدم دمشق وتولى مشيخة الرباط الناصرى فلما توفى قاضى القضاة جمال الدين المالكى ولوه مشيخة المالكية بدمشق وعرضوا عليه القضاء فلم يقبل

من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق
أنت لما ولدت أشرقت الـ * أرض وأورى بنورك الافق
حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النـ * ـور وسبل الرشاد نخترق

قالوا وهذا الخبر قد ذكره أصحاب السير والاخبار والمغازى ونقلوا هذا المديح من قول العباس وما كان من سرور النبى صلى الله عليه وسلم بذلك واستبشاره به فجعلت هذه الطائفة من الغلاة ما ذكرنا من الشعرين شعر عبد المطلب وشعر العباس دلالة لهم على مواطن ادعوها وتغلغلوا الى شبه بعيدة استخرجوها فمنع منها ما تقدم من أوائل العقول وموجبات الفحص ذكر ذلك جماعة من مصنفى كتبهم ومن حذاق مبرزيهم من فرق المحمدية والعليانية وغيرهم من فرق الغلاة منهم اسحق بن محمد النخعى المعروف بالاحمر فى كتابه المعروف بكتاب الصراط وقد ذكر ذلك الفياض بن على

و بقى فى المشيخة الى أن توفى رحمه الله تعالى ونفعنا به و بامثاله آمين * (ومن الراحلين من الاندلس الفقيه الصالح أبو بكر بن محمد بن على بن ياسر الجيانى المحدث الشهير) ذكره ابن السمعانى وغيره سافر الكثير وورد العراق وطاف فى بلاد خراسان وسكن بلخ وأكثر من الحديث وحصل الاصول ونسخ بخطه مالا يدخل تحت حصر قال ابن السمعانى وله أنس ومعرفة بالحديث لقيته بسمرقند وكان قدمها سنة ٥٤٩ مع جماعة من أهل الحجاز لدين له عليهم وسمعت منه جزأ خرجه من حديث يزيد بن هرون مما وقع له عاليا وجزأ صغيرا من حديث أبى بكر بن أبى الدنيا واحاديث أبى بكر الشافعى فى احد عشر جزأ المعروف بالغيلانيات بروايته عن أبى الحصين عن ابن غيلان وكان مولده بجيان سنة ٤٩٣ أو فى التى بعدها الشك منه ثم لقيته بنسف فى أواخر سنة خمسين ولم أسمع منه شيأ ثم قدم علينا بخارى فى أوائل سنة احدى وخمسين وسمعت من لفظه جميع كتاب الزهد لهناد بن السرى الكوفى بروايته عن أبى القاسم سهل بن ابراهيم المسجدى عن الحاكم أبى عبد الرحمن محمد بن أحمد الشاذياخى عن الحاكم أبى الفضل محمد بن الحسين الحدادى عن حماد بن أحمد السلمى عن مصنفه وأخبرنا الجيانى بسمرقند أنبانا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الكاتب ببغداد أنبانا ابو طالب محمد بن محمد بن سلمة انبانا يزيد بن هرون أنبانا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ناداهم مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا لم تروه قالوا وماهو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم شيأ أحب اليهم من النظر اليه ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقال ابن السمعانى أيضا وأخبرنا الجيانى المذكور بسمرقند أنبانا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد ببغداد انبانا أبو طالب بن غيلان أنبانا ابو بكر الشافعى أنبانا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا القرشى أنبا محمد بن حسان أنبانا مبارك بن سعيد قال أردت سفرا فقال لى الاعمش سل ربك أن يرزقك صحابة صالحين فان مجاهدا حدثنى قال خرجت من واسط فسألت ربى أن يرزقنى صحابة ولم أشترط فى دعائى فاستويت أناوهم فى السفينة فاذا هم أصحاب طنابير وقال ابن السمعانى أيضا اخبرنا ابو بكر الجيانى المغربى بسمرقند سمعت الامام أباطالب ابراهيم بن هبة الله ببلخ يقول قرأت على أبى يعلى محمد بن أحمد العبدى بالبصرة قال قرأت على شيخنا أبى الحسين بن يحيى فى كتاب العين باسناده الى الخليل بن أحمد أنه أنشد قول الشاعر

ان فى بيتنا ثلاث حبالى * فوددنا أن قد وضعن جميعا
زوجتى ثم هرتى ثم شاتى * فاذا ما وضعن كن ربيعا
زوجتى للخبيص والهر للفا * ر وشاتى اذا اشتهين مجيعا

قال أبو يعلى قال شيخنا ابن يحيى وذكر عن الخليل بن أحمد فى العين أن المجيع أكل التمر باللبن انتهى * (ومنهم أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن حزم الاندلسى المرى) ذكره الحميدى فى تاريخه وأثنى عليه وقال كان من اهل العلم والادب

والذكاء

وذكره المعروف بالهنكى فى نقضه هذا الكتاب المترجم بالصراط وهؤلاء

فى نقضه لكتاب الصراط محمدية نقضوا هذا الكتاب وهو على مذهب العليانية وقد أتينا على ذكر هؤلاء من المحمدية والنميرية وسائر فرق الغلاة وأصحاب التفويض والوسائط واستقصينا النقض عليهم وعلى سائر من ذهب الى القول بتناسخ الارواح فى أنواع أشكال الحيوان ممن ادعى الاسلام وغيرهم ممن سلف من اليونانيين والهند والثنوية والمجوس واليهود والنصارى وذكر قول أحمد بن حائط وابن يالوس وجعفر القاضى الى من نجم فى وقتنا ممن تقدم وتاخر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ممن أحدث تفريعا على ماسلف من أصولهم وأبدى شبها أيدها ما تقدم من مذاهبهم مثل الحسين بن منصور المعروف بالحلاج وأصحاب أبى يعقوب المرايلى ثم أصحاب السوق ومن تاخر عنهم وفارقهم فى أصولهم مثل أبى جعفر محمد بن على اللقانى المعروف بابن أبى القراقر وغيرهم من أمم وذكرنا الفرق بينهم وبين غيرهم من أصحاب الدور فى هذا الوقت ممن يراعى وقت الظهر وأصحاب حجج الليل والنهار اذ كان هؤلاء قد أثبتوا القول

والذكاء والهمة العالية كتب بالاندلس فاكثر ورحل الى المشرق فاحتفل في العلم والرواية والجمع وذكره الحافظ الخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادي وقال هو من بيت جلالة وعلم ورياسة وأخرج عنه في غير موضع من مصنفاته وقدم بغداد ودمشق وحدّث فيهما ثم عاد الى المغرب فتوفي ببلده المرية سنة ٤٥٤ وحدّث عن أبي القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهري ويعرف بابن الافليلي الاندلسي النحوي وغيره وكان صدوقا ثقة رحمه الله تعالى *(ومنهم العالم الحسيب أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني) ذكره ابن بسام في الذخيرة والحجاري في المسهب ولما تولى المعتضد بن عباد والد المعتمد خاف منه فاستأذنه في الحج سنة ٤٤٤ ورحل الى مصر والى مكة وسمع في طريقه كتاب صحيح البخاري وعنه أخذه اهل الاندلس ورجع فسكن اشبيلية وخدم المعتضد فقتله ومن خاف من شيء سلط عليه وكان قتله يوم الجمعة لليلة خلت من ربيع الاول سنة ٤٦٠ رحمه الله تعالى ومن شعره يحرضه على الجهاد قوله

أعباد جل الرزء والقوم هجع * على حالة من مثلها يتوقع
فلق كتابي من فراغك ساعة * وان طال فالموصوف للطول موضع
اذا لم أبث الداء رب شكاية * أضعت وأهل للملام المضيع

ووصله بنثر وهو وما أخطا السبيل من أتى البيوت من ابوابها ولا أرجأ الدليل من ناط الامور باربابها ولرب امل بين أثناء المحاذر مدبج ومحبوب في طي المكاره مدرج فانتهز فرصتها فقد بان من غيرك العجز وطبق مفاصلها فكان قد أمكنك الحز ولا غرو أن يستمطر الغمام في الجدب ويستصحب الجسام في الحرب وله

صرح الشر فلا يستقل * ان نهلتم جاءكم بعد عل
بدء صعق الارض رش وطل * ورياح ثم غيم أبل
خفضوا فالداء رزء اجل * واغمدوا سيفا عليكم يسل

وبسبب قتل بني عباد لابي حفص الهوزني المذكور تسبب ابنه ابو القاسم في فساد دولة المعتمد بن عباد وحرض عليه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب المغرب حتى ازال ملكه ونثر سلكه وسبب هلكه كما ذكرناه في غير هذا الموضع من هذا الكتاب غير مرة فليراجعه من اراده في محاله وبيت بني الهوزني المذكور بالاندلس بيت كبير مشهور ومنهم عدة علماء وكبراء رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم ابو زكريا يحيى بن قاسم بن هلال القرطبي الفقيه المالكي) احد الائمة الزهاد كان يصوم حتى يعجز توفي سنة ٢٧٢ وقيل سنة ٢٧٨ ورحل الى المشرق وسمع من عبد الله بن نافع صاحب مالك بن انس ومن سحنون بن سعيد وغيرهما وكان فاضلا فقيها عابدا عالما بالمسائل وروى عنه احمد بن خالد وكان يفضله ويصفه بالفضل والعلم وهو صاحب الشجرة قال عباس بن اصبغ كانت في داره شجرة تسجد لسجوده اذا سجد قاله ابن الفرضي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به *(ومنهم ابو بكر يحيى بن مجاهد بن عوانة الفزاري الالبيري الزاهد) سكن قرطبة قال ابن الفرضي كان منقطع القرين في العبادة بعيد الاسم في الزهد حج وعني بعلم القرآن

بالتناسخ وأن الارواح تنتقل في شيء من الاجسام الحيوانية وأحالوا على القديم عزوجل أن يجوز عليه شيء مما تقدم في كتابنا آنفا (وقد) تغلغل بنا الكلام في ذكر عبد المطلب (تنازع) الناس في عبد المطلب فمنهم من رأى انه كان مؤمنا موحدا وانه لم يشرك بالله عزوجل ولا أحد من آباء النبي صلى الله عليه وسلم وأنه تنقل في الاصلاب الطاهرة وانه أخبر انه ولد من نكاح لا من سفاح ومنهم من رأى ان عبد المطلب كان مشركا وغيره من آباء النبي صلى الله عليه وسلم الا من صح ايمانه وهذا موضع فيه تنازع بين الامامية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم من الفرق في النص والاختيار وليس كتابنا هذا موسوما للحجاج فنذكر حجاج كل فريق منهم (وقد أتينا) على قول كل فريق منهم وما انتدبه قوله في كتابنا المقالات في أصول الديانات وفي كتاب الاستبصار ووصف أقاويل الناس في الامامة وفي كتاب الصفوة أيضا (وكان) عبد المطلب يوصي ولده بصلة الارحام واطعام الطعام ويرغبهم فعل من يراعى في المتعقب معادا وبعثا ونشورا وجعل السقاية والرفادة الى ابنه عبد مناف وهو أبو طالب واوصاه بالنبي

والقراآت والتفسير وسمع بمصر من الاسيوطي وابن الورد وابن شعبان وغيرهم وكان له حظ من الفقه والرواية الا أن العبادة غلبت عليه وكان العمل أملك به ولا أعلمه حدث توفي رحمه الله تعالى سنة ست وستين وثلثمائة ودفن في مقبرة الربض وصلى عليه القاضي محمد ابن اسحق بن السليم ثم صلى عليه حيان بن مرة ثانية رحمه الله تعالى وأفاض علينا من أنوار عنايته آمين * (ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن ابراهيم الصدفي الاشبيلي الاديب البارع) له نظم حسن وموشحات رائقة قرأ على الاستاذ الشلوبين وغيره ومدح الملوك ورحل من الاندلس فقدم ديار مصر ومدح بها بعض من كان يوصف بالكرم فوصله بنزر يسير فكر راجعا الى المغرب فتوفي ببرقة رحمه الله تعالى وكان من النجباء في النحو وغيره ومن نظمه من قصيدة

مابي موارد أمر بل مصادره * اللحظ أوله والعهد آخره
أرسلت طرفي مرتادا فطل دمي * روض من الحسن مطلول أزاهره
رعيت في خصبه لحظي فاعقبني * جدبا بجسمي ماروّيه هامره
ولي وان لم أكن بالذكر أشهره * فالوصف فيه لفقد المثل شاهره

وهي طويلة وأثنى عليه أثير الدين أبو حيان وأورد جملة من محاسن كلامه وبدائع نظامه رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو يحيى زكريا بن خطاب الكلبي التطيلي) رحل سنة ٢٩٣ فسمع بمكة كتاب النسب للزبير بن بكار من الجرجاني الذي حدث به عن علي بن عبد العزيز ابن الجمحي عن الزبير وروى موطأ مالك بن أنس رواية أبي مصعب أحمد بن عبد الملك الزهري عن ابراهيم بن سعيد الحذاء وسمع بها من ابراهيم بن عيسى الشيباني والقزاز في آخرين وقدم الاندلس وكان الناس يرحلون اليه الى تطيلة للسماع منه واستقدمه المستنصر الحكم وهو ولي عهد فسمع منه أكثر رواياته وسمع منه جماعة من أهل قرطبة وكان ثقة مأمونا ولي قضاء بلده تطيلة احدى مدائن الاندلس بعد عمر بن يوسف ابن الامام * (ومنهم سعد الخير بن محمد بن سعد أبو الحسن الانصاري البلنسي المحدث) رحل الى أن دخل الصين ولذا كان يكتب البلنسي الصيني وركب البحار وقاسى المشاق وتفقه ببغداد على أبي حامد الغزالي وسمع بها أبا عبد الله النعال وطرادا وغيرهما وباصبهان أبا سعد المطرز وسكنها وتزوج بها وولدت له فاطمة بها ثم سكن بغداد وروى عنه ابن عساكر وابن السمعاني وأبو موسى المديني وأبو اليمن الكندي وأبو الفرج بن الجوزي وابنته فاطمة بنت سعد الخير في آخرين وتادب على أبي زكريا التبريزي وتوفي في المحرم سنة ٥٤١ رحمه الله تعالى ببغداد وصلى عليه الغزنوي والشيخ الواعظ بجامع القصر وكان وصيه وحضر جنازته قاضي القضاة الزينبي والاعيان ودفن الى جانب عبد الله ابن الامام احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهم أجمعين بوصية منه * (ومنهم أبو عثمان سعيد بن نصر بن عمر بن خلفون الاستجي) سمع بقرطبة من قاسم بن اصبغ وابن أبي دليم وغيرهما ورحل فسمع بمكة من ابن الاعرابي وببغداد من أبي علي الصفار وجماعة وبهامات * (ومنهم أبو عثمان سعيد الاعناقي ويقال العناقي القرطبي) كان ورعا زاهدا عالما بالحديث بصيرا

صلى الله عليه وسلم وقد تنوزع في اسم أبي طالب فمنهم من رأى أن اسمه ما وصفناه ومنهم من رأى ان كنيته اسمه وان علي بن ابي طالب رضي الله عنه كتب في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر باملاء النبي صلى الله عليه وسلم وكتب علي بن ابي طالب باسقاط الالف وقد ذكر عبد المطلب في شعر له وصية الى ابي طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال

اوصيت من كنيته بطالب
بابن الذي قد غاب ليس آيب

وقد كان أكابر العرب ممن بقي ودثر يقر بالصانع ويستدل على الخالق (وقد كان) في ملك النمروذ بن كوش بن حام بن نوح هيجان الريح التي نسفت صرح النمروذ ببابل من ارض العراق فبات الناس ولسانهم سرياني وأصبحوا قد تفرقت لغاتهم على اثنين وسبعين لسانا فسمي الموضع من ذلك الوقت بابل فصار من ذلك في ولد سام بن نوح تسعة عشر لسانا وفي ولد يافث بن نوح سبعة وثلاثون لسانا على حسب ما ذكرنا في صدر هذا الكتاب وكان من تكلم بالعربية يعرب وجرهم وعاد وعبيل وجديس وثمود وعملاق وطسم ووبار وعبد بن ضخم فسار يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ

بعلله سمع من محمد بن وضاح وصحبه ومن يحيى بن ابراهيم بن مزين ومحمد بن عبد السلام الخشني وغيرهم ورحل فلقي جماعة من أصحاب الحديث منهم نصر بن مرزوق كتب عنه مسند أسد بن موسى وغير ذلك من كتبه ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والحرث بن مسكين في آخرين وحدث عنه أحمد بن خالد وابن أيمن ومحمد بن قاسم وابن أبي زيد في عدد كثير ومولده سنة ٢٣٣ وتوفي سنة ٣٠٥ بصفر والاعناقي نسبة الى موضع يقال له أعناق وعناق * (ومنهم أبو المطرف عبد الرحمن بن خلف التجيبي الاقليشي) روى عن أبي عثمان سعيد بن سالم المجريطي وأبي ميمونة دارس بن اسمعيل فقيه فاس ورحل حاجا سنة ٣٤٩ فسمع بمكة من أبي بكر الآجري وأبي حفص الجمحي وبمصر من أبي اسحق ابن شعبان وروى عنه كتاب الزاهي جميعه وقد قرئ عليه جميعه وحمل عنه ومولده سنة ٣١٢ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الاصبغ عبد العزيز بن علي المعروف بابن الطحان الاشبيلي المقرى) ولد باشبيلية سنة ٤٩٨ ورحل فدخل مصر والشام وحلبا وتوفي بحلب بعد سنة ٥٥٩ وله كتاب نظام الاداء في الوقف والابتداء ومقدمة في مخارج الحروف ومقدمة في أصول القراآت وكتاب الدعاء وكان من القراء المجودين الموصوفين بالاتقان ومعرفة وجوه القراآت وسمع الحديث على شريح بن محمد بن أحمد بن شريح الرعيني خطيب اشبيلية وأبي بكر يحيى بن سعادة القرطبي وله شعر حسن منه قوله

دع الدنيا لعاشقها * سيصبح من رشائقها
وعاد النفس مصطبرا * ونكب عن خلائقها
هلاك المرء أن يضحى * مجدا في علائقها
وذو التقوى يذللها * فيسلم من بوائقها

وأخذ القراآت ببلده عن أبي العباس بن عيشون وشريح بن محمد وروى عنهما وعن أبي عبد الله بن عبد الرزاق الكلبي وروى مصنف النسائي عن أبي مروان بن مسرة وتصدى للاقراء ثم انتقل الى فاس وحج ودخل العراق وقرأ بواسط القراآت وأقرأها أيضا ودخل الشام واشتهر ذكره وجل قدره وروى عنه أبو محمد عبد الحق الاشبيلي الحافظ وعلي بن يونس قال بعضهم سمعت غير واحد يقول ليس بالمغرب أعلم بالقراآت من ابن الطحان قرأ عليه الاثير أبو الحسن محمد بن أبي العلاء وأبو طالب بن عبد السميع وغيرهما رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو الاصبغ عبد العزيز بن خلف المعافري) قدم مصر سنة ٥٠٢ وولد سنة ٤٤٨ وحدث بالموطأ عن سليمان بن أبي القاسم أنبأنا أبو عمر بن عبد البر أنبأنا سعيد بن نصر عن قاسم بن أصبغ عن محمد بن وضاح عن يحيى بن يحيى عن مالك بن أنس امام دار الهجرة رضي الله تعالى عنه * (ومنهم أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة السعدي الشاطبي) قدم مصر ودمشق طالب علم وسمع أبا الحسن بن أبي الحديد وأبا منصور العكبري وغيرهما وصنف غريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام على حروف المعجم وسمعه عليه أبو محمد الاكفاني وتوفي بارض حوران من أعمال دمشق في رمضان سنة ٤٦٥ رحمه الله تعالى ورضي عنه (ومنهم الحكيم الطبيب أبو الفضل محمد بن عبد المنعم الغساني الجلياني) وهو عبد المنعم بن

ابن أرفخشذ بن سام بن نوح بمن تبعه من ولده وغيرهم وهو يقول انا ابن قحطان الهمام الافضل * الاين المعرب ذي المهل

ياقوم سيروا في الرعيل الاول
انا الندى باللسان المسهل
الابين المنطق غير المشكل
حضوت والامة في تبلبل
ياقوم سيروا في الرعيل الاول
نحو يمين الشمس في تمهل

فحل باليمن على ماوصفنا آنفا من هذا الكتاب (وسار بعده عاد بن عوص) ابن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

أني انا عاد الطويل البادي
وسام جدي ابن نوح الهادي
فقد رأيتم يعرب الزيادي
وسوقه الطارف والتلادي

فحل بالاحقاف وأداني الرمل بين عمان وحضرموت واليمن وتفرق هؤلاء في الارض فانتشر منهم ناس كثير منهم جيرون بن سعد ابن عاد حل بدمشق فمصر مصرها وجمع عمد الرخام والمرمر اليها وشيد بنيانها وتسمى ارم ذات العماد وقد روي عن كعب الاحبار في ارم ذات العماد غير هذا وهذا الموضع بدمشق في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة سوق من أسواقها عند باب المسجد الجامع يعرف بجيرون وجيرون هو بنيان عظيم كان قصر هذا الملك عليه أبواب من نحاس عجيبة بعضها

عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضر بن مالك بن حسان ولد بقرية جليانة من أعمال غرناطة سابع المحرم سنة ٥٣١ وقدم الى القاهرة وسار الى دمشق فسكنها مدة ثم سافر الى بغداد فدخلها سنة ٦٠١ ونزل بالمدرسة النظامية وكتب الناس عنه كثيرا من نظمه وكان أديبا فاضلا له شعر مليح المعاني أكثر في الحكم والالهيات وآداب النفوس والرياضات وكان طبيبا حاذقا وله رياضات ومعرفة بعلم الباطن وله كلام مليح على طريق القوم وكان مليح السمت حسن الاخلاق لطيفا حاضر الجواب ومات بدمشق سنة ٦٠٢ وكان يقال له حكيم الزمان وأراد القاضي الفاضل ان يغض منه فقال له بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كم بين جليانة وغرناطة فقال مثل ما بين بيسان وبيت المقدس ومن شعره قوله

خبرت بني عصري على البسط والقبض * وكاشفتهم كشف الطبائع بالنبض
فانتج فيهم قياسي تخيلا * عن الكل اذهم آفة الوقت والعرض
ألازم كسر البيت خلوا وان يكن * خروج ففردا ملصق الطرف بالارض
أرى الشخص من بعد فاغضي تغافلا * كشدوه بال في مهمته يمضي
ويحسبني في غفلة وفراستي * على العور من لحي بما قد نوى تقضي
أجانبهم سلما ليسلم جانبي * وليس لحقد في النفوس ولا بغض
تخليت عن قومي ولو كان ممكني * تخليت عن بعضي ليسلم لي بعضي

وقال

قالوا نراك عن الا كابر تعرض * وسواك زوّارلهم متعرض
قلت الزيارة للزمان اضاعة * واذا مضى زمن فما يتعوض
ان كان لي يوما اليهم حاجة * فبقدر ماضمن القضاء تقيض

وقال

حاول مفازك قبل أن يتحوّلا * فالحال آخرها كحالك أوّلا
ان المنى من المنية لفظه * لتدل في أصل البناء على البلا

وسماه بعضهم عبد المنعم وذكره العماد في الخريدة وقال هو صاحب البديع البعيد والتوشيح والترشيح والترصيع والتصريع والتجنيس والتطبيق والتوفيق والتلفيق والتقريب والتقرير والتعريف والتعريب وهو مقيم بدمشق وقد أتى العسكر المنصور الناصري سنة ٥٨٦ بظاهر ثغر عكا وكتب الى السلطان صلاح الدين وقد جرح فرسه

أيا ملكا أفنى العداة حسامه * ومنتجعا أقنى العفاة ابتسامه
لقاؤك يوما في الزمان سعادة * فكيف بثاو في جمالك جمامه
وعبدك شاك دينه وهو شاكر * نداك الذي يغني الغمام غمامه
ولي فرس أصماه سهم فرده * أثافي ربع بالثلاث قيامه
تعمر فيه بالجراحة ساحة * وعطل منه سرجه ولجامه
أتينا الماء عوّدتنا من مكارم * يلوذ بها الراجي فيشفي غرامه
فرجاك غوث لا يغب نصيره * ونعماك غيث لا يغب انسجامه

ولد

على ما كانت عليه والبعض ابن عوص) ثمود بن عابر ابن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

أنا الفتى الذي دعي ثمودا * ياقوم سيروا ودعوا التردیدا
لعلنا أن ندرك الوفودا * فنلحق البادي لنا الصديدا
انا أبينا اليعرب الحميدا * وعادما عاد الفتى الجليدا

فنزل هؤلاء الحجر الى فرع وقد تقدم ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب وخبر نبيهم صالح عليه السلام وانهم نحو وادي القرى بين الشام والحجاز (وسار بعد ثمود) جديس ابن عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

انا جديس والمسير المسلكا * فدتك نفسي يا ثمود المهلكا
دعوتني فقد قصدت نحوكا * اذ سارت العيس وأبدت شخصكا

وقد قلنا فيما سلف انهم هؤلاء الذين نزلوا اليمامة (وسار بعد جديس) علاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح ومن تبعه وهو يقول

لما رأيت الناس ذا تبلبل * وسار منا ذو اللسان الاول
وحدثتنا في اللحاق الاول * فسرت حتى بالسوام للمهمل

وله رحمه الله تعالى غير هذا وترجمته واسعة *(ومنهم الاستاذ أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد ابن عبد الوهاب بن عبد القدوس القرطبي مؤلف المفتاح فى القرآآت ومقرى أهل قرطبة) رحل وقرأ القراآت على أبى على الاهوازى وبحران على أبى القاسم الزيدى وبمصر على أبى العباس بن نفيس وبمكة على أبى العباس الكازرينى وسمع بدمشق من أبى الحسن بن السمسار وكان عجبا فى تحرير القراآت ومعرفة فنونها وكانت الرحلة اليه فى وقته ولد سنة ٤٠٣ ومات فى ذى القعدة سنة ٤٦١ قرأ عليه أبو القاسم خلف بن النحاس وجماعة رحمه الله تعالى *(ومنهم عبيد الله وقيل عبد الله بغير تصغير ابن المظفر بن عبد الله بن محمد أبو الحكم الباهلى الاندلسى) ولد بالمرية سنة ٤٨٦ وحج سنة ٥١٦ وحج أيضا سنة ٥١٨ ودخل دمشق وقرأ بصيد بمصر وبالاسكندرية ثم مضى الى العراق وأقام ببغداد يعلم الصبيان وخدم السلطان محمود بن ملك شاه سنة ٥٢١ وأنشأ له فى معسكره مارستانا ينقل على أربعين جملا فكان طبيبه ثم عاد الى دمشق ومات بها سنة ٥٤٩ ودفن بباب الفراديس وكان ذا معرفة بالادب والطب والهندسة وله ديوان شعر سماه نهج الوضاعة لاولى الخلاعة ذكر فيه جملة شعراء كانوا بمدينة دمشق كطالب الصورى ونصر الهيتى وغيرهما كعرقلة وفيه نزهات أدبية ومفاكهات غريبة ممزوج جدها بسخفها وهزلها بظرفها ورثى فيه أنواعا من الدواب وأنواعا من الاثاث وخلقا من المغنين والاطراف وشرح هذا الديوان ابنه الحكيم الفاضل أبو المجد محمد بن أبى الحكم الملقب بافضل الدولة وكان كثير الهزل والمداعبة دائم اللهو والمطايبة وكان اذا أتاه الغلام ومابه شئ فيجس نبضه ثم يقول له تصلح لك الهريسة وكان أعور فقال فيه عرقلة

لنا طبيب شاعر أعور * أراحنا من طبه الله
ماعاد فى صبحة يوم فتى * الاوفى باقيه رثاه

وله يرثيه

ياعين سحى بدمع ساكب ودم * على الحكيم الذى يكنى أبا الحكم
قد كان لارحم الرحمن شيبته * ولاسقى قبره من صيب الديم
شيخا يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج فى الحرم

ومن كنايات أبى الحكم المستحسنة قوله

ألم ترنى أكابد فيك وجدى * وأحمل منك مالا استطاع
اذا ما أنجم الجوزاء استقلت * ومال الدلو وارتفع الذراع

ومن شعره قوله

محاسن العالم قد جمعت * فى حسنه المستكمل البارع
وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم فى الجامع

*(ومنهم أبو الربيع سليمان بن ابراهيم بن صافى الغرناطى القيسانى) وقيسانة من عمل غرناطة الفقيه المالكى ولد سنة ٥٦٤ وقدم القاهرة وناب فى الحسبة وله شعر حسن توفى بالقاهرة سنة ٦٣٤ رحمه الله تعالى *(ومنهم طالوت بن عبد الجبار المعافرى الاندلسى) دخل

بعض فراعنة مصر وقد ذكرنا قول من الحق من العماليق وغيرهم ممن ذكرنا بقطور بن اسحق ابن ابراهيم الخليل وزعم أنهم من ولد العيص على حسب ماذكرنا فيما تقدم وقد كانت العماليق ملوكا كثيرة سلفت فى مواضع من الشام وغيره وقد أتينا على أخبارهم وذكر ممالكهم وحروبهم فى كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب قصة يوشع ابن نون مع ملك العماليق وأنهم انضافوا الى ملك الروم على مشارق الشام والغرب والجزيرة من ثغور الروم فيما بينهم وبين فارس (فمن ملك الروم) من العماليق أذينة بن الصميدع الذى ذكره الاعشى فى قوله

أزال أذينة عن ملكه
وأخرج عن ملكه ذا يزن

وقد كان ملك بعد العماليق حسان بن أذينة ابن ظرب ويقال هو الذى يعرف بامه ثم ملك عمرو ابن ظرب ويقال هو الذى كان يعرف بامه وقد كان بينه وبين جذيمة الابرش الازدى بن مالك حروب

 كثيرة فقتله جذيمة على ماذكرنا وماكان من قتل الزباء لجذيمة وقول الشاعر كأن عمرو بن ظرب لم يعش ملكا

مصر وحج ولقي امامنا مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه وعاد الى قرطبة وكان ممن خرج على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن من أهل ربض شقندة يريد خلعه واقامة أخيه المنذر وزحفوا الى قصره بقرطبة فخار بهم وقتلهم وفرّ من بقي منهم فاستتر الفقيه طالوت عاما عند يهودي ثم ترامى على صديقه أبي البسام الكاتب ليأخذ له أمانا من الحكم فوشى به الى الحكم وأحضره اليه فعنفه ووبخه فقال له كيف يحل لي أن أخرج اليك وقد سمعت مالك بن أنس يقول سلطان جائر مدة خير من فتنة ساعة فقال الله تعالى لقد سمعت هذا من مالك فقال طالوت اللهم اني قد سمعته فقال انصرف الى منزلك وأنت آمن ثم سأله أين استتر فقال عند يهودي مدة عام ثم اني قصدت هذا الوزير فغدر بي فغضب الحكم على أبي البسام وعزله عن وزارته وكتب عهدا أن لا يخدمه أبدا فرؤي أبو البسام بعد ذلك في فاقة وذل فقيل استجيبت فيه دعوة الفقيه طالوت رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد ضياء الدين ونظامه ابن خروف الاديب القيسي القرطبي القيذافي الشاعر) قدم الى مصر ثم سار الى حلب ومات بها مترديا في جب حنطة سنة ٦٠٣ وقيل في التي بعدها وقيل سنة خمس وستمائة وله شرح كتاب سيبويه وحمله الى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار وله شرح جمل الزجاجي وكتب في الفرائض ورد على أبي زيد السهيلي وغير ذلك ومدح الافضل ابن السلطان صلاح الدين ومدح الظاهر بن الناصر أيضا وشعره جيد فمنه قوله في كاس

أنا جسم للعميا * والحميا الى روح
بين أهل الظرف أغدو * كل يوم وأروح

وقال في صبي حبس

أقاضي المسلمين حكمت حكما * غدا وجه الزمان به عبوسا
حبست على الدراهم ذا جمال * ولم تحبسه اذ سلب النفوسا

وقال

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله * في ضفتيه من الاشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع * تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا * وانما هي أرزاق وأرباح

والقيذافي بقاف ثم ياء آخر الحروف بعدها ذال معجمة ثم ألف وفاء وله رسالة كتب بها الى بهاء الدين بن شداد بحلب يطلب منه فروة وهي

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * ء من جدواك جلد أبي
وفضلك عالم أني * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفي حلب صفا حلبي

ذو الحسب الباهر والنسب الزاهر يسحب ذيول سيرا السيراء ويحب النحاة من أجل الفراء ويمن على الخروف النبيه بجلد أبيه فاني الصباغ قريب عهد بالدباغ ماضل طالب قرظه ولا ضاع بل ذاع ثناء صانعه وضاع اذا ظهر اهابه بمخافة البرد يهابه

(ثم سار طسم) بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بعد عملاق بن لاوذ بولده ومن تبعه وهو يقول

اني أنا طسم وجدي سام
سام بن نوح وهو الامام
لما رأيت الاخ والاعلاما
قلت لنفسي الحقي السواما
أخاك عملاقا وذا الاقدام
يافث لا كان ولي حام

فنزل هؤلاء البحرين وقد كان جميع من ذكرنا بيدوا وانتشروا في الارض على حسب ما ذكرنا من مساكنهم وكثرت جديس فملكت عليها الاسود بن عفار وكثرت طسم فملكت عليها عمليق بن جديس وقد ذكرنا عبيد بن شريد الجرهمي حين وفد على معاوية وأخبره أن طسم ابن لاوذ بن سام بن نوح هم العرب العاربة وقد كان منزلهم جميعا باليمامة واسمها اذ ذاك جو وكان لطسم ملك يقال له عملوق وكان ظلوما غشوما لا ينهاه شيء عن هواه مع اضراره واقدامه على جديس وتعديه عليهم وقهره اياهم فلبثوا في ذلك دهرا وهم أهل مظالم قد غمطوا النعمة وانتهكوا الحرمة وبلادهم أفضل البلاد وأكثرها خيرا فيها صنوف الشجر والاعناب وهي حدائق ملتفة

أثبت خمائل الصوف يهزأ بكل هوجاء عصوف ما في اللباس له ضريب اذا نزل الجليد والضريب ولا في الثياب له نظير اذا عرى من ورقه الغصن النضير والمولى يبعثه فرجي النوع أرجي الضوع يكون تارة لحافا وتارة بردا وهو في الحالين يحيي حرا ويميت بردا لا كطيلسان ابن حرب ولا كجلد عمرو الممزق بالضرب ان عزاه السواد الى حام فحام أو نماه البياض الى سام فسام كانه من جلد جمل الحرباء الذى يرعى القمر والنجم لا من جلد السخلة الجرباء التى ترعى الشجر والنجم لازال مهديه سعيدا ينجز للاخيار وعدا وللاشرار وعيدا بالمنة والطول والقوة والحول *(ومنهم مالك بن مالك) من أهل جيان رحل حاجا فادى الفريضة وسكن حلبا ولقى عبد الكريم بن عمران وأنشده قوله

يارب خذ بيدى مما دفعت له * فلست منه على ورد ولا صدر
الامر ما أنت رائيه وعالمه * وقد عتبت ولا عتب على القدر
من يكشف السوء الا أنت بارئنا * ومن يزيل بصفو حالة الكدر

*(ومنهم أبو على بن خميس وهو منصور بن خميس بن محمد بن ابراهيم اللخمى) من أهل المرية سمع من أبى عبد الله البونى وابن صالح وأخذ عنهما القرا آت وروى أيضا عن الحافظ القاضى أبى بكر بن العربى وأبوى القاسم بن رضا وابن ورد وأبى محمد الرشاطى وأبى الحجاج القضاعى وأبى محمد عبد الحق بن عطية وأبى عمر والخضر بن عبد الرحمن وأبى القاسم عبد الحق بن محمد الخزرجى وغيرهم ورحل حاجا فنزل الاسكندرية وسمع منه أبو عبد الله بن عطية الدانى سنة ٥٩٦ وحدث عنه بالاجازة أبو العباس العزفى وغيره (ومنهم منصور بن لب ابن عيسى الانصارى) من أهل المرية يكنى أبا على أخذ القرا آت ببلده عن ابن خميس المذكور قبله ورحل بعده فنزل الاسكندرية وأجازه أبو الطاهر السلفى فى صغره وقد أخذ عنه فيما ذكر بعضهم ومولده سنة ٥٧١ رحمه الله تعالى *(ومنهم مفرّج بن حماد بن الحسين بن مفرج المعافرى) من أهل قرطبة وهو جد ابن مفرج صاحب كتاب الاحتفال بعلم الرجال صحب المذكور محمد بن وضاح فى رحلته الثانية وشاركه فى كثير من رجاله وصدر عن المشرق معه فاجتهد فى العبادة وانتبذ عن الناس ثم كر راجعا الى مكة عند موت ابن وضاح فنزلها واستوطنها الى ان مات فقبره هنالك وقال فى حقه أبو عمر عفيف انه كان من الصالحين رحل فحج وجاور بمكة نحو عشرين سنة الى أن مات بها رحمه الله تعالى (ومنهم محب بن الحسين) من اهل الثغر الشرقى كانت له رحلة حج فيها وسمع بالقيروان من ابى عبد الله بن سفيان الكنانى الهادى فى القرا آت من تاليفه وكان رجلا صالحا حدث عنه ابو عبد الله محمد بن عبد الملك التجيبى من شيوخ ابى مروان بن الصيقل *(ومنهم مساعد بن أحمد بن مساعد الاصبحى) من اهل اوريولة يكنى اباعبد الرحمن ويعرف بابن زعوقة روى عن ابن ابى تليد وابن جحدر والحافظين أبى على الصدفى وأبى بكر بن العربى وكتب اليه ابو بكر بن غالب بن عطية ورحل حاجا فى سنة اربع وتسعين واربعمائة فادى الفريضة سنة خمس بعدها ولقى بمكة اباعبد الله الطبرى فسمع منه صحيح مسلم مشتركا فى السماع مع ابى محمد بن جعفر الفقيه ولقى ابا محمد بن العرجاء وابابكر بن الوليد الطرطوشى واصحاب الامام ابى حامد الغزالى وابا

وقصور مصطفة فلم يزل على ذلك حتى أتته امرأة من جديس يقال لها هزيلة بنت مازن وزوج لها قد فارقها يقال له ماشق فاراد قبض ولده منها فابت عليه فارتفعا الى الملك عملوق ليحكم بينهما فقالت المرأة أيها الملك هذا الذى حملته تسعا ووضعته دفعا وأرضعته شفعا ولم أنل منه نفعا حتى اذا تمت أوصاله واستوفى خصاله أراد أن ياخذه قسرا ويسلبنيه قهرا ويتركنى منه صفرا قال زوجها قد أخذت المهر كاملا ولم أنل منه نائلا الا ولدا خاملا فافعل ما أنت فاعلا فامر الملك أن يؤخذ الولد منها ويجعل فى غلمانه فقالت هزيلة فى ذلك

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا * فابرم حكما فى هزيلة ظالما
لعمرى لقد حكمت لا متورعا * ولا فهما عند الحكومة عالما
ندمت فلم أقدر على متزحزح * وأصبح زوجى حائر الرأى نادما

فبلغ الملك قول هزيلة فغضب وأمر أن لا تتزوج امرأة من جديس فتزف الى زوجها حتى تحمل اليه فيفترعها قبل زوجها فلقوا من ذلك ذلا طويلا ولم تزل تلك حالتهم حتى تزوجت عفيرة وقيل الشموس بنت عمار الطسمى أخت الاسود بن عفار فلما كانت ليلة هديها الى زوجها انطلق

عبد الله المازرى وجماعة سواهم ساوى بلقائهم مشيختهم وانصرف الى بلده فسمع منه الناس وأخذوا عنه لعلو روايته وكان من أهل المعرفة والصلاح والورع وممن حدث عنه من الجلة أبو القاسم بن بشكوال وأبو الحجاج الثغرى الغرناطى وأبو محمد عبد المنعم بن الفرس وغيرهم وأغفله ابن بشكوال فلم يذكره فى الصلة مع كونه روى عنه وقال تلميذه أبو الحجاج الثغرى الغرناطى أخبرنى أبو سليمان بن حوط الله وغيره عنه قال أخبرنى الحاج ابو عبد الرحمن بن مساعد رضى الله تعالى عنه انه لقى بالمشرق امرأة تعرف بصباح عند باب الصفا وكان يقرأ عليها بعض التفاسير فجاء بيت شعر شاهد فسألت هل له صاحب فسألوا الشيخ أبا محمد بن العرجاء فقال الشيخ لا أذكر له صاحبا فانشدت

طلعت شمس من أحبك ليلا * واستضاءت فمالها من مغيب
ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب دون غروب

ولد فى صفر سنة ٤٦٨ وتوفى باوريولة سنة ٥٤٠ قاله ابن شعبان * (ومنهم أبو حبيب نصر بن القاسم) قال ابن الابار أظنه من اهل غرناطة له رحلة حج فيها وسمع من ابى الطاهر السلفى وحدث عنه عن ابن فتح بمسند الجوهرى انتهى * (ومنهم النعمان بن النعمان المعافرى) من اهل ميورقة منسوب الى جده رحل حاجا فادى الفريضة وجاور بمكة ثم قفل الى بلده واعتزل الناس وكان يشار اليه باجابة الدعوة وتوفى سنة ٦١٦ رحمه الله تعالى ونفعنا به * (ومنهم نعم الخلف بن عبد الله بن ابى ثور الحضرمى) من اهل طرطوشة اوناحيتها رحل الى المشرق وادى الفريضة ولقى بمكة ابا عبد الله الاصبهانى فسمع منه سنة ٤٢٢ حدث عنه ابنه القاسم بن نعم الخلف بيسير (ومنهم ثابت بالنون ابن المفرج بن يوسف الخثعمى) اصله من بلنسية وسكن مصر يكنى ابا الزهر قال السلفى قدم مصر بعد خروجى منها وتفقه على مذهب الشافعى وتادب وقال الشعر الفائق وكتب الى بشئ من شعره ومات فى رجب سنة ٥٤٠ بمصر * (ومنهم ضمام بن عبد الله الاندلسى) رحل الى المشرق ودخل بغداد وهو ممن يروى عن عبد السلام بن مسلم الاندلسى وممن روى عن ضمام أبو الفرج أحمد بن القاسم الخشاب البغدادى من شيوخ الدارقطنى قال ابن الابار هكذا وقع فى نسخة عتيقة من تاليف الدارقطنى فى الرواة عن مالك فى باب مسلمة منه ضمام بالضاد المعجمة وهكذا ثبت فى رواية ابى زكريا بن مالك بن عائذ عن الدارقطنى وقال فيه غيره همام بن عبد الله بالهاء وتشديد الميم وفى حرف الهاء أثبته أبو الوليد بن الفرضى من تاريخه والاول عندى أصح والله تعالى اعلم انتهى * (ومنهم ضرغام بن عروة بن حجاج بن أبى فريعة) واسمه زيد مولى عبد الرحمن ابن معاوية والداخل معه الى الاندلس من أهل لبلة له رحلة الى المشرق وكان فقيها ذكره الرازى * (ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبى عامر المعافرى) من أهل قرطبة وأصله من الجزيرة الخضراء وهو والد المنصور بن أبى عامر ويكنى أبا حفص سمع الحديث وكتبه عن محمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ومحمد بن فطيس وغيرهم ورحل الى المشرق فادى الفريضة وكان من اهل الخير والدين والصلاح والزهد والقعود عن السلطان اثنى عليه الراوية أبو محمد الباجى وقال كان لى خير صديق أنتفع به وينتفع بى

بها الى عملوق الملك ليطاها على عادته ومعه القينات يغنين ويقلن فى غنائهن ابدأ بعملوق وقومى فاركبى
وبادرى الصبح بامر معجب
فالبكر بعدكم من مذهب
فلما دخلت عفيرة على عملوق وافترعها وخلى سبيلها خرجت عفيرة على قومها فى دمائها شاقة جيبها عن قبلها ودبرها وهى تقول
لا أحد أذل من جديس
أهكذا يفعل بالعروس
وقالت أيضا تحرض جديس على طسم وأبت أن تمضى الى زوجها من كلمة
أيصلح ما يؤتى الى فتياتكم
وأنتم رجال فيكم عدد الرمل
أيصلح تمشى فى الدماء فتياتكم
صبيحة زفت فى النساء الى البعل
فان أنتم لا تغضبوا بعد هذه
فكونوا نساء لا تفروا من الكحل
ودونكم طيب العروس فانما
خلقتم لأثواب العروس وللغسل
فبعدا وسحقا للذى ليس دافعا
ويختال يمشى بيننا مشية الفحل
فلو أننا كنا الرجال وكنتم
نساء لكنا لا نقر على الذل
فموتوا كراما واصبروا العدوكم * بحرب تلظى فى القرام من الجزل

واقابل

وأقابل معه كتبه وكتبي ومات منصرفه من حجه ودفن بمدينة طرابلس المغرب وقيل بموضع يقال له رقادة وكان رجلا عالما صالحا وقال بعضهم انه توفى فى آخر خلافة عبد الرحمن الناصر *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن حمود الزبيدى الاشبيلى ابن عم أبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى اللغوى) كان من مشاهير أصحاب ابى على البغدادى ورحل الى المشرق فلم يعد الى الاندلس ولازم السيرافى ببغداد الى أن توفى فلازم بعده صاحبه أبا على الفارسى ببغداد والعراق وحيثما جال واتبعه الى فارس وحكى ابو الفتوح الجرجانى ان أبا على البغدادى غلس لصلاة الصبح فى المسجد فقام اليه أبو محمد الزبيدى من مدود كان لدابته خارج الدار قد بات فيه او ادلج اليه ليكون اول وارد عليه فارتاع منه وقال ويحك من تكون قال انا عبد الله الاندلسى فقال له الى كم تتبعنى والله انه ليس على وجه الارض انحى منك وكان من كبار النحاة واهل المعرفة التامة والشعر وجمع شرحا لكتاب سيبويه ويقال انه توفى ببغداد سنة ٣٧٣ *(ومنهم عبد الله بن رشيق القرطبى) رحل من الاندلس فاوطن القيروان واختص بابى عمران الفاسى وتفقه به وكان اديبا شاعرا عفيفا خيرا وفى شيخه ابى عمران اكثر شعره ورحل حاجا فادى الفريضة وتوفى فى انصرافه بمصر سنة ٤١٩ وانشد لى له ابن رشيق فى الانموذج قوله رحمه الله تعالى

خير اعمالك الرضا * بالمقادير والقضا
بينما المرء ناضر * قيل قد مات وانقضى

وقوله

ساقطع حبلى من حبالك جاهدا * واهجر هجر الايجرانا عرضا
وقد يعرض الانسان عمن يوده * ويلقى ببشر من يسرله البغضا

قال فى الانموذج وأراد الحج فناله وجع فمات بمصر بعد اشتهاره فيها بالعلم والجلالة وقد بلغ عمره نحو الاربعين سنة رحمه الله تعالى وهو مخالف لما قدمناه من أنه أدى الفريضة وقد ذكر ابن الابار العبارتين والله تعالى أعلم *(ومنهم ابو بكر اليابرى ويكنى ايضا ابا محمد وهو عبد الله ابن طلحة بن محمد بن عبد الله) اصله من يابرة ونزل هو اشبيلية وروى عن ابى الوليد الباجى وعن جماعة بغرب الاندلس منهم ابو بكر بن ايوب وابو الحزم بن عليم وابو عبد الله بن مزاحم البطليوسيون وغيرهم وكان ذا معرفة بالنحو والاصول والفقه وحفظ التفسير والقيام عليه وعلق به مدة باشبيلية وغيرها وهو كان الغالب عليه مع القصص فيسرد منه جملا على العامة وكان متكلما وله رد على ابى محمد بن حزم وكان احد الائمة بجامع العديس ورحل الى المشرق فروى عن ابى بكر محمد بن زيدون بن على كتابه المؤلف فى الحديث المعروف بالزيدونى والف كتابا فى شرح صدر رسالة ابن ابى زيد وبين ما فيها من العقائد وله مجموعة فى الاصول والفقه منها كتاب سماه المدخل الى كتاب آخر سماه سيف الاسلام على مذهب مالك الامام الفه للامير على بن تميم بن المعز الصنهاجى صاحب المهدية وذكر فى فصل الحج منه انه رحل الى المهدية سنة ٥١٥ واستوطن مصر مدة ثم رحل الى مكة وبها توفى رحمه الله تعالى روى عنه ابو المظفر الشيبانى وابو محمد العثمانى وابو الحجاج يوسف بن محمد القيروانى

ولا تجرعوا العرب ياقوم انما * تقوم باقوام كرام على رجل فيهلك فيها كل نكس موكل * ٢١ ويسلم فيها ذو النجابة والفضل

وفى ذلك يقول أخوها
جاءت تمشى طسم فى خميس
كالريح فى هشهشة اليبيس
ياطسم مالقيت من جديس
حقا لك الويل فهيسى هيسى
قال فلما سمعت جديس بذلك وغيره من قولها اجتمعت عصبا لذلك فقال لهم الاسود بن عفار وكان فيهم سيدا مطاعا ياجديس أطيعونى فيما آمركم به وادعوكم اليه ففى ذلك عز الدهر وذهاب الذل قالوا وما ذلك قال قد علمتم أن هؤلاء يعنى طسما ليسوا باعز منكم ولكن ملك صاحبكم عليكم وعليهم هو الذى يذعننا اليه بالطاعة ولولا ذلك ما كان له علينا من فضل ولو امتنعنا منه لكان لنا النصف فقالوا قد قبلنا قولك ولكن القوم أقراننا وأكثر عددا وعددا منا فنخاف ان ظفروا بنا أن لا يقيلونا فقال والله ياجديس لتطيعونى فيما آمركم به وادعوكم اليه أو لاتكئن على سيفى فاقتل به نفسى قالوا فانا نطيعك فيما قد عزمت عليه قال فانى صانع للملوك وقومه من طسم طعاما وداعيهم اليه فاذا جاؤا اليه منفصلين من الخيل والبغال نهضنا اليهم باسيافنا فانفردت أنا بالملك وانفرد كل رجل منكم برجل منهم قالوا فافعل ما بدالك واجتمع

وابو عمرو عثمان بن فرج العبدوى وابو محمد بن صدقة المنكبى وأبو عبد الله بن يعيش البلنسى وغيرهم وكان سماع ابى الحجاج منه موطأ مالك سنة ٥١٦ رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد بن مرزوق اليحصبى الاندلسى) رحل حاجا فسمع منه بالاسكندرية ابو الطاهر السلفى كتاب طبقات الامم لابى القاسم صاعد بن أحمد الطليطلى وحدّث به عنه عن ابن برال عن صاعد *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الصرىحى المرسى) ويعرف بابن مطعنة روى عن أبى بكر بن الفرضى النحوى وتادب به ورحل الى المشرق ولقى أبا محمد العثمانى وغيره وحج وقعد لتعليم الآداب وممن أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن عبد السلام وأبو عبد الله المكناسى وغيرهما وأنشد رحمه الله تعالى قال أنشدنى أبو محمد عبد الله بن البياسى بالاسكندرية لنفسه

يمدّ الدهر من أجلى وعمرى * كما أنى أمدّ من المداد
لنا خطان مختلفان جدا * كاختلاف الموالى والمعادى
فاكتب بالسواد على بياض * ويكتب بالبياض على السواد

وهذا نظير قول الآخر

ولى خط وللايام خط * وبينهما مخالفة المداد
فأكتبه سوادا فى بياض * وتكتبه بياضا فى سواد

وبعضهم ينسب الابيات الثلاثة السابقة للسلفى الحافظ فالله تعالى اعلم *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن عيسى الشلبى سمع من الصدفى وغيره وكان من أهل الحفظ للحديث ورجاله والعلم بالاصول والفروع ومسائل الخلاف وعلم العربية والهيئة مع الخير والدين والزهد وامتحن بالامراء فى قضاء بلده بعد أن تقلده نحو تسعة أعوام لاقامته الحق واظهاره العدل حتى أدى ذلك الى اعتقاله بقصر اشبيلية ثم سرح فرحل حاجا الى المشرق ودخل المهدية فلقى بها المازرى وأقام فى صحبته نحو ثلاث سنين ثم انتقل الى مصر وحج سنة ٥٢٧ وأقام بمكة مجاورا وحج ثانية سنة ٥٢٨ ولقى بمكة أبا بكر عتيق بن عبد الرحمن الاور يولى فى هذه السنة فحمل عنه ودخل العراق وخراسان وأقام بها اعواما وطار ذكره فى هذه البلاد وعظم شأنه فى العلم والدين وكان من بيت شرف وجاه فى بلده عريض مع سعة الحال والمال وتوفى بهراة سنة ٥٥١ وقيل ان وفاته سنة ٥٤٨ وذكره العماد فى الخريدة والسمعانى فى الذيل وانشد له

تلونت الايام لى بصروفها * فكنت على لون من الصبر واحد
فان أقبلت ادبرت عنها وان نأت * فاهون بمفقود لأكرم فاقد

وولد سنة ٤٨٤ بشلب رحمه الله تعالى *(ومنهم ابو محمد عبد الله بن موسى الازدى المرسى) ويعرف بابن برطلة سمع من صهره القاضى الشهيد ابى على الصدفى ورحل حاجا سنة ٥١٠ فأدى الفريضة وسمع من الطرطوشى والانماطى والسلفى وغيرهم وانصرف الى مرسية بلده وكان حسن السمت خاشعا مخبتا خيرا متواضعا نبيها نزيها سالم الباطن وحكى عن شيخه ابى عبد الله الرازى عن ابيه أنه اخبره أن قاضى البراس وكان رجلا صالحا خرج ذات ليلة الى النيل فتوضأ واسبغ وضوءه ثم قام فقرن قدميه وصلى ما شاء الله تعالى ان يصلى فسمع قائلا

وأيهم عليه فقالت عفيرة لأخيها الاسود لا تفعل هذا فان الغدر فيه ذلة وعار ولكن كابدوا القوم فى ديارهم تظفروا أو تموتوا كراما قال لا ولكن نمكر بهم فيكون ذلك أمكن لنا من نواصيهم وأبلغ فى الانتقام منهم فقالت عفيرة فى ذلك أشعارا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا ثم ان الاسود صنع طعاما كثيرا وأمر قومه فاخترطوا سيوفهم ودفنوها فى الرمل حيث أعدوا الطعام ثم قال لهم اذا أتاكم القوم يرفلون فى حليهم فخذوا أسيافكم ثم تقدموا عليهم قبل أن يأخذوا مجالسهم وابدؤا بالرؤساء فانكم اذا قتلتموهم لم تبالوا بالسفلة ولم يكن بعد ذلك منهم حال تكرهونها قالوا نفعل ما قلت ثم دعا الاسود بعملوق الطسمى ومن معه من رؤساء طسم باليمامة فاسرعوا اجابة دعوة الاسود فلما توافوا الى المدعاة وثب جديس فاستثاروا سيوفهم من الرمل وشدوا على عملوق وأصحابه فقتلوهم حتى أفنوهم عن آخرهم ومضوا الى ديارهم فانتهبوها وقال الاسود بن عفار فى ذلك أشعارا يرثى بها طسما ويذكر نعيمها وفعل عملوق بأخته يطول عن ذكرها الكتاب وقد تقدمت فيما سلف من كتبنا قال وهرب رجل من طسم وكان اسمه رباح بن مرة الطسمى يقول

يقول

لولا اناس لهـم سرد يصومونا * وآخرون لهم ورد يقومونا
لزلزلت ارضكم من تحتكم سحرا * لانكم قوم سوء لا تبالونا

قال فتجوزت فى صلاتى وادرت طرفى فما رأيت شخصا ولا سمعت حسا فعلمت ان ذلك زاجر من الله تعالى وقال ابن برطلة رحمه الله تعالى انشدنى ابو عامر قال دخلت بعض مراسى الثغر فوجدت فى حجر منقوش هذه الابيات

نزلت ولى امل عودة * ولكننى لست ادرى متى
ودافعنى قدر لم اطق * دفاع المكروه اذا اتى
ومن امره فى يدى غيره * سيغلب ان لان أو ان عتا
فيا نازلا بعدنا ههنا * نحييك ان كنت نعم الفتى

فسألت عن منشدها فقيل لى هو ابو بكر بن ابى درهم الوشقى وكان قد حج واراد العودة فقال هذه الابيات ورواها بعضهم رحلت مكان نزلت وهو أصوب وأبدل قوله يا نازلا بيا ساكنا والخطب سهل فيه وبعض يقول ان الابيات وجدت بجامع مصر والله تعالى اعلم (ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد بن خلف بن سعادة الدانى الاصبحى) لازم ابن سعد الخير واحتذى اول امره مثال خطه فتار به وسمع منه ثم رحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية من ابى الطاهر ابن عوف والسلفى وغير واحد قال التجيبى كان معنا بالاسكندرية بالعادلية منها وبقراءته سمعنا صحيح البخارى على السلفى سنة ٥٦٣ قال وانشدنا الشيخ الاستاذ ابى الحسن على ابن ابراهيم بن سعد الخير البلنسى

يا لاحظا تمثال نعل نبيه * قبل مثال النعل لا متكبرا
والثم له فلطالما عكفت به * قدم النبى مروحا ومبكرا
أولا ترى ان المحب مقبل * طللا وان لم يلف فيه مخبرا

وقد سبق ابن سعادة أبو عبد الله وهو غير هذا والله تعالى أعلم * (ومنهم ابو محمد عبد الله بن يوسف القضاعى المرى) سمع من أبى جعفر بن غزلون صاحب الباجى وغير واحد ورحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية من السلفى والرازى وتجوّل هنالك وأخذ عنه أبو الحسن بن المفضل المقدسى وغير واحد وقال ابن المفضل أنشدنى المذكور قال أنشدنى أبو محمد بن صاره

وكوكب ابصر العفريت مسترقا * للسمع فانقض يدنى خلفه لهبه
كفارس حل اعصار عمامته * فجرها كلها من خلفه عذبه

(ومنهم شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن مهاجر الوادى آشى الحنفى) سكن طرابلس الشام ثم انتقل الى حلب وأقام بها وصار من العدول المبرزين فى العدالة بحلب يعرف النحو والعروض ويشتغل فيهما وله انتماء الى قاضى القضاة الناصر بن العديم قال الصفدى رأيته بحلب أيام مقامى بها سنة ٧٢٣ فرأيته حسن التودد وأنشدنى لنفسه من لفظه

مالاح فى درع يصول بسيفه * والوجه منه يضىء تحت المغفر

عليها طينا رطبا وجاء معه وأخرج معه كلبة فلما ورد على حسان كسر يد كلبته وفرغ الطين عن الجريدة فخرجت خضراء ودخل الى حسان واستعاذ به وأخبره بالذى صنعت جديس بقومه فقال له الملك لله أبوك فمن ابن مبداك قال أبيت اللعن من أرض قريبة وقوم انتهك منهم مالم ينتهك من أحد أنا رباح بن مرة الطسمى دعتنا جديس الى مدعاتهم فاجبناهم منفصلين فى الحلل وقد أعدوا لنا السلاح عند جفانهم فاذقنا طعاما حتى صرنا حطاما بلا طالب دم ولا ترة سلفت فدونك أبيت اللعن قوما قطعوا ارحامنا وسفكوا دماءنا قال الملك حسان امعك خرجت هذه الجريدة وهذه الكلبة قال نعم فقال الملك ان كنت صادقا لقد خرجت من أرض قريبة ووعده بالنصرة ثم نادى فى حمير بالمسير واعلمهم بما فعل بطسم قالوا امن فعل هذا أبيت اللعن قال عبيدهم قالوا ما لنا فى هذا من ارب هم اخواننا فلا نعين بعضنا على بعض وهم عبيدك

ايها الملك فدعهم فقال حسان ماهذا بحسن ارأيتم لو كان هذا فيكم اكان حسننا الملك منكم أن يهدر دماءكم وما علينا

الا حسبت البحر مدبجدول * والشمس تحت سحائب من عنبر

قال الصفدى جمع هذا المقطوع بين قول ابن عباد

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سحاب من العنبر

و بين قول ابى بكر الرصافى

لو كنت شاهده وقد غشى الوغى * يختال فى درع الحديد المسبل
لرأيت منه والقضيب بكفه * بحرا يريق دم الكماة بجدول

وقال يمدح الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكانى وقد توجه الى حلب قاضى القضاة

أين ترنم فوق الايك طائره * وطائر عمت الدنيا بشائره
وسودد أصبح الاقبال ممتثلا * فى أمره ماأخوه العز آمره

ومنها

من مخبر عنى الشهباء أن كما * ل الدين قد شيدت فيه مقاصره
وان تقليده الزاهى وخلعته التى * تطرز عقبيها مآثره
بالنفس أفديك من تقليد مجتهد * سواه يوجد فى الدنيا مناظره
أنشدت حين ادار البشر كاس طلى * حكت أوائله صفوا أواخره
وقد بدت فى بياض الطرس أسطره * سود التبدى ما أهدت محابره
ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره
وخلعة قلت اذ لاحت لتزر بنا * بالروض تطفو وعلى نهر أزاهره
وقد رآها عدو كان يضمر لى * من قبل سوأ فخانته ضمائره
ورام صبرا فاعيته مطالبه * وغيض الدمع فانهلت بوادره
بعودة الدولة الغراء ثالثة * امنت منك ونام الليل ساهره

وقال أيضا

تسعر فى الوغى نيران حرب * بايديهم مهندة ذكور
ومن عجب لظى قد سعرتها * جداول قد أقلتها بدور

وقال ملغزا فى قالب لبن

ما آكل فى فين * يغوط من مخرجين
مغرى بقبض و بسط * وماله من يدين
ويقطع الارض سعيا * من غير ما قدمين

وخمس لامية العجم مدحا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصفدى ولما كنت فى حلب كتب الى أبياتا انتهى * (ومنهم أبو جعفر أحمد بن صابر القيسى) قال ابو حيان كان المذكور رفيقا للاستاذ أبى جعفر بن الزبير شيخنا وكان كاتبا مترسلا شاعرا حسن الخط على مذهب أهل الظاهر وكان كاتبا للامير أبى سعيد فرج ابن السلطان الغالب بالله بن الاحمر ملك الاندلس وسبب خروجه من الاندلس انه كان يرفع يديه فى الصلاة على ما صح فى الحديث

فى الحكم الا اننا ننصف بعضنا من بعض فقام فرسانهم فقالوا أبيت اللعن الامر أمرك فرنا بما أحببت فأمرهم بالمسير فساروا وسار بهم رباح بن مرة حتى اذا صاروا من اليمامة على ثلاث قال رباح بن مرة للملك حسان ابيت اللعن ان لى أختا متزوجة فى جديس ليس فى الارض ابصر منها انها تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال وأنا أخاف ان تنذر القوم بك فتأمر كل واحد من أصحابك أن يقتلع شجرة من الارض فيجعلها أمامه ثم يسير فأمر حسان بذلك ففعلوا ثم ساروا وكان اسم أخت رباح يمامة فاشرفت من منظرها فقالت ياجديس لقد سارت اليكم الشجر قالوا لها ماذاك قالت أشجار تسير وراءها شئ وانى لارى رجلا من وراء شجرة ينهش كتفا أو يخصف نعلا فكذبوها وكان ذلك كما ذكرت فغفلوا عن أخذ اهبة الحرب ففى ذلك تقول اليمامة لجديس تحذرهم

انى أرى شجرا من خلفها بشر
فكيف تجتمع الاشجار والبشر
ثوروا بأجمعكم فى وجه أولهم
فان ذلك منكم فاعلموا ظفر

واقبل الملك حسان بحمير حتى اذا كان من جو على مسيرة ليلة عبى جيوشه

فبلغ

فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله فتوعده بقطع يديه فضجر من ذلك وقال ان اقليما تمات فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتوعد بقطع اليد من يقيمها لجدير ان يرحل منه فخرج وقدم ديار مصر وسمع بها الحديث وكان فاضلا نبيلا ومن شعره

أتنكر أن يبيض راسى لحادث * من الدهر لا يقوى له الجبل الراسى
وكان شعارا فى الهوى قد لبسته * فدى رأسى أمى وقلبى عباسى

قلت لو قال شيعى لكان الغاية وأنشد له بعضهم

فلا تعجبا ممن عوى خلف ذى علا * لكل على فى الانام معاويه

قلت لا يخفى ما فيه من عدم سلوك الادب مع الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين ويرحم الله بعض الاندلسيين حيث قال فى رجز كبير

ومن يكن يقدح فى معاويه * فذاك كلب من كلاب عاويه

وأنشد ابو حيان للمذكور

أرى الدهر سادبه الارذلو * ن كالسيل يطفو عليه الغثا
ومات الكرام وفات المديح * فلم يبق للقول الا الرثا

وأنشد له أيضا

لولا ثلاث هن والله من * أكبر آمالى فى الدنيا
حج لبيت الله ارجو به * ان يقبل النية والسعيا
والعلم تحصيلا ونشرا اذا * رويت أوسعت الورى ريا
وأهل ود أسال الله أن * يمتع بالبقيا الى اللقيا
ما كنت أخشى الموت أنى أتى * بل لم أكن ألتذ بالمحيا

وقال أبو حيان فى هذه المادة

أما انه لولا ثلاث أحبها * تمنيت أنى لا أعد من الاحيا
فمنها رجائى أن أفوز بتوبة * تكفر لى ذنبا وتنجح لى سعيا
ومنهن صونى النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشى الى بابه مشيا
ومنهن أخذى بالحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرايا
أتترك نصا للرسول وتقتدى * بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا انتهى

(ومنهم الاستاذ أبو القاسم ابن الامام القاضى أبى الوليد الباجى) سكن سرقسطة وغيرها وروى عن أبيه معظم علمه وخلفه بعد وفاته فى حلقته وغلب عليه علم الاصول والنظر وله تآليف تدل على حذقه منها العقيدة فى المذاهب السديدة ورسالة الاستعداد للخلاص من المعاد وكان غاية فى الورع توفى بجدة بعد منصرفه من الحج سنة ٤٩٣ رحمه الله تعالى * (ومنهم الامام الفاضل الاديب ابو اسحق ابراهيم بن محمد الساحلى الغرناطى) قال العز بن جماعة قدم علينا من المغرب سنة ٧٢٤ ثم رجع الى المغرب فى هذه السنة وبلغنا انه توفى بمراكش سنة نيف وار بعين وسبعمائة وانشد والدى قصيدة من نظمه امتدحه بها وانا أسمع ومن خطه نقلت وهى

ثم صبحها فاستباح أهلها من جديس قتلا فافنى نساءهم وصبيانهم وهرب الاسود بن عفار ملكها حتى نزل بدار طيء فاجاروه من الملك وغيره من غير ان يعرفوه فيذكر ان نسله اليوم فى طيء مذكور فلما فرغ حسان من جديس دعا باليمامة بنت مرة وكانت امرأة زرقاء فامر فنزعت عيناها فاذا فى داخلها عروق سود فسالها عن ذلك فقالت حجر أسود يقال له الاثمد كنت اكتحل به فنشب الى بصرى وكانت أول من اكتحل به فاتخذوه بعد ذلك كحلا وأمر الملك باليمامة فصلبت على باب جو وقال سموا جوا باليمامة فسميت بها الى اليوم (قال المسعودى) ثم سار بعد طسم بن لاوذ وبار بن أميم ابن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه من قومه فنزل بارض وبار بالارض المعروفة برمل عالج فاصابهم نقمة من الله فهلكوا لما كان من بغيهم فى الارض وقد قدمنا فصلا من ذلك فيما سلف من هذا الكتاب على ما زعم الاخباريون من العرب وخروجهم بذلك عن حد العقول والعناد من الامر المفهوم بزعمهم أن الله عز وجل حين أهلك هذه الامة العظيمة المعروفة بوبار كما أهلك طسما وجديسا وداسما وكانت ديار داسم بارض السماوة فاهلكوا

قفا موردا عينا جرت بعد دكم دما * أناضى أسفار طوين على ظما
غدون أهلات تثاقل أنجما * ووردن حنيات تفوق أسهما
يجشمها الحادى الامرين حسرا * و يوطئها الحادى الاخيرين هيما
على منسميها للشقائق منبت * وفى فويها للشقاشق مرتما

الى أن قال

وتعسا لآمال جهام سحابها * ترجى ركاما ما استهل ولا همى
تجاذبها نفس تجيش نفيسة * ومن لم يجد الا صعيدا تيمما
فهل ذمم يرعاه ليل طويته * طوانى سرابين جنبيه منهما
أقبل منه للبروق مباسما * وأرشف من بهماء ظلماته لمى
الى أن تجلى من كنانة بدرها * فعرس ركبى فى حماه وخيما
ثمال اليتامى حيث ليس مظال * وكهف الايامى أيما عز محمى

ومنها

فيا كفه أأنت أم غيث ديمة * أسالت عبابا فى ثرى الجود عيلما
ويا سعيه يهنيك أجرنى به * على معطفى علياه بردا مسهما
قضى بنى أوطار نفس كريمة * وروى صداها حين حل بزمزما
وناداه داعى الحق حى على الهدى * فأسرج طوعا فى رضاه وألجما
فلله ما أهدى وارشد واهتدى * ولله ما أعطى وأوفى وأنعما

ومنها

أمت بآداب وعلم كليهما * اقامالديك الدعافر ضاو الزما

وهى طويلة * (ومن الراحلين من الاندلس الوليد بن هشام) من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل فيما حكى بعض المؤرخين خرج من الاندلس على طريقة الفقر والتجرد ووصل برقة بركوة لا يملك سواها فعرف بابى ركوة واظهر الزهد والعبادة واشتغل بتعليم الصبيان وتلقينهم القرآن وتغيير المنكر حتى خدع البربر بقوله وفعله وزعم ان مسلمة بن عبد الملك بشر بخلافته بما كان عنده من علم الحدثان وكان يقال عن مسلمة انه أخذ علم الحدثان عن خالد بن يزيد بن معاوية واخرج لهم ارجوزة أسندها الى مسلمة ومنها فى وصفه

وابن هشام قائم فى برقه * به ينال عبد شمس حقه
يكون فى بربرها قيامه * وقرة العرب لها اكرامه

واتفق أن قرة انحرفوا عن الحاكم فبا الواليه وحصروا معه مدينة برقة حتى فتحوها وخطبوا له فيها بالخلافة وكان قيامه فى رجب سنة ٣٩٧ فهزم عسكر باديس الصنهاجى صاحب افريقية وعسكر الحاكم بمصر واحيا أمره وخاطبه بطانة الحاكم لكثرة خوفهم من سفك الحاكم الدماء ورغبوه فى الوصول الى اوسيم وهو مكان بالجيزة قبالة القاهرة فلما وصل اليها قام بمحاربته الفضل بن صالح القيام المشهور الى ان هزم أبا ركوة ثم جاء به الى القاهرة فامر الحاكم أن يطاف به على جمل ثم قتل صبرا ١٣ رجب سنة ٣٩٩ ولما حصل فى يد الحاكم كتب اليه

وطسم كانت ديارهم بالجولان والجيدور من أرض بواو بلاد حوران

بالريح السوداء الحارة والتبدت وذلك بين دمشق وطبرية من أرض الشام وعملاق وعاد وثمود وأن الجن كانت تسكن فى ديار وبار وحمتها من كل من أرادها وقصد اليها من الانس وأنها كانت أخصب بلاد الله عزوجل وأكثرها شجرا وأطيبها ثمرا وعنبا ونخلا وموزا وان دنا احد من الناس الى تلك البلاد غالطا أو متعمدا حثت الجن فى وجهه التراب وسفت عليه سوافى الرمل وأثارت عليه الزوابع فان أراد الرجوع خبلوه وتيهوه وربما قتلوه وهذا الموضع عند كثير من ذوى الحجا باطل فاذا قيل لهم دلونا على جهته وقفونا على حده زعموا أنها من أرادها أغمى على قلبه كانهم كبنى اسرائيل الذين كانوا مع موسى فى التيه فصدهم الله تعالى عن الخروج ولم يجعل لهم سبيلا الى أن تم فيهم مراده وانتهى فيهم حكمه وقد قال فى ذلك شاعرهم يخبر بمثل ما وصفنا من قولهم فى هذه الارض المجهولة

دعا جعلا لا يهتدى لمقيله * من اللؤم حتى يهتدى لوبار
وداع دعا والليل مرخ سدوله * رجاء القرى يا مسلم بن جبار

وأقوالهم فى مثل هذا كثيرة والعرب ممن سلف

فررت ولم يغن الفرار ومن يكن * مع الله لم يعجزه في الارض هارب
ووالله ما كان الفرار لحاجة * سوى فزعي الموت الذى انا شارب
وقد قادني جرمي اليك برمّتي * كما اجتر ميثاقي رحى الحرب سالب
وأجمع كل الناس انك قاتلي * فيارب ظن ربه فيه كاذب
وماهو الا الانتقام وينتهى * وأخذك منه واجبا وهو واجب

ولابي ركوة المذكور أشعار كثيرة منها قوله

بالسيف يقرب كل أمر ينزح * فاطلب به ان كنت ممن يفلح

وله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه ان يساعده الدهر

وقوله

ان لم أجلها في ديار العدا * تملأ وعر الارض والسهلا
فلا سمعت الحمد من قاصد * يوما ولا قلت له أهلا

وله غير ذلك مما يطول وخبره مشهور * (ومنهم أبو زكريا الطليطلي يحيى بن سليمان) قدم الى الاسكندرية ثم رحل الى الشام واستوطن حلب وله ديوان شعر أكثر فيه من المديح والهجاء قال بعض من طالعه ما رأيته مدح أحدا الا وهجاه وله مصنفات في الادب ومن نظمه قوله

أرض سقت غيطانها أعطانها * وزهت على كثبانها قضبانها

ومنها

فتكت بالباب الكماة فسيفها * من طرفها وسنانها وسنانها
لم يبق شخص بالبسيطة سالما * الاسبى انسانه انسانها

ومنها

وتصاحبت وتجاوبت أطيارها * وتداولت وتناولت ألحانها
وتنسمت وتبسمت أيامها * وتهللت وتكللت أزمانها
بعديرها ومنيرها وغديرها * ومعيرها حسنا جلاء عيانها

(ومنهم أبو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد القرطبي المعروف بالمغيلي) سمع من محمد بن عبد الملك ابن أيمن وقاسم بن اصبغ وغيرهما ورحل فسمع من أبي سعيد بن الاعرابي وكان بصيرا بالعربية والشعر ومؤلفا جيد النظر حسن الاستنباط حدث وتوفي فجأة في شهر ربيع الاول سنة ٣٦٢ قاله ابن الفرضي * (ومنهم الامام المحدث أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن سلمة الانصاري الغرناطي) قدم المشرق وتوفي بمصر سنة ٧٠٣ عن نحو خمسين سنة بالبيمارستان المنصوري قال قاضي القضاة عبد العزيز بن جماعة الكناني في كتابه نزهة الالباب أنشدنا المذكور لنفسه بالقاهرة بعد قدومه من مكة والمدينة وقد رام أن يعود اليهما فلم يتيسر له

لئن بعدت عني ديار الذى أهوى * فقلبي على طول التباعد لا يقوى

وخالف في الجاهلية والاسلام يخبرون عن هذه الارض كاخبارهم عن وادى الروم والصمان والدهناء والرمل الذى بدارين وغيرها من الارضين التى نزلوا فيها يجتمعون عليها طلبا للماء والكلا وزعموا أنه ليس بهذه الارض اليوم أحد الا الجن والابل الوحشية وهى عندهم من الابل التى قد ضربت فيها فحول الجن فالوحشية من نسل ابل الجن والعبدية والعسجدية والعمانية قد ضربت فيها الوحشية وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى

كأني على وحشية أو نعامة * لها نسب في الطير وهو ظليم

والاشعار في ذلك كثيرة (وفي بسطنا) لجوامع أخبار العرب فيما نقلته عن أسلافها مما أمكن كونه وخرج عن حد الوجوب والجواز خروج عن حد الايجاز والاختصار وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا (وسار بعد وبار ابن أميم) عبد ضخم بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه فنزلوا الطائف فهلك هؤلاء ببعض غوائل الدهر فدثروا وذكرتهم الشعراء وفيهم يقول الازدى

وعبد ضخم اذا نسبتهم * ابيض اهل الحى بالنسب
ابتدعوا منطقا يجمعهم * فبين الخط قهة العرب

فحدث رعاك الله عن عرب رامة * فانى لهم عبد على السر والنجوى
فان مت شوقا فى الهوى وصبابة * فيا بشرى ان مت فى حب من أهوى
فيا أيها العذال كفوا ملامكم * فاعندكم بعض الذى بى من الشكوى
ويا جيرة الحى الذى ولهى بهم * أما ترحموا صبا يحن الى حزوى
ويا أهل ذياك الحمى وحياتكم * يمين وفى صادق القول والدعوى
ملكتم قيادى فارحموا وترفقوا * فأنتم مرادى لا سعاد ولا علوى
فمالى سواكم سادتى لا عدمتكم * فجودوا بوصل أنتم الغاية القصوى انتهى

*(ومنهم الفاضل الاديب أبو عبد الله محمد بن على بن يحيى بن على الغرناطى قال ابن جماعة فى الكتاب المسمى قريبا أنشدنى المذكور لنفسه على قبر سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه

يا سيد الشهداء بعد محمد * ورضيع ذى المجد المرفع أحمد
يا ابن الاعزة من خلاصة هاشم * سرج المعالى والكرام المجد
يا أيها البطل الشجاع المحتمى * دين الاله بيأسه المستأسد
يا نبعة الشرف الاصيل المعتلى * يا ذروة الحسب الاثيل الاتلد
يا نجدة الملهوف فى قحم الوغى * عند التهاب جحيمها المتوقد
يا غيث ذى الامل البعيد مرامه * يا غوث موتور الزمان الانكد
يا من لعظم مصابه خص الاسى * قلب الرسول وعم كل موحد
يا حمزة الخير المؤمل نفعه * يوم الهياج وعند فقد المنجد
وافاك يا أسد الاله وسيفه * وفد المؤمن جاءك بعهد
جئناك يا عم الرسول وصنوه * قصد الزيارة فاحتفل بالقصد
واسأل الهك فى اغتفار ذنوبنا * شيم المزور رقيامه بالعود
لذنا بجانبك الكريم توسلا * وكذا العبيد ملاذهم بالسيد
فاشفع لضيفك فالكريم مشفع * عند الكريم ومن يشفع يقصد
يا ابن الكرام المكرمين نزيلهم * أهل المكارم والعلا والسودد
نزل الضيوف جناب ساحتك التى * منها يؤمل كل عطف مسعد
فاجعل أيا يعلى قرانا عطفة * وارغب لربك فى هدانا واقصد
فعسى يمن على الجميع بتوبة * يهدى بها نهج الطريق الارشد
فقد اعتمدنا منك خير وسيلة * نرجو بها حسن التجاوز فى غد
لم لا نؤم وأنت عم محمد * ولدينه قد صلت صولة أيد
وصحبته ونصرته وعضدته * وذببت عنه باللسان وباليد
وبذلت نفسك فى رضاه بصولة * فقتلت فى ذات الاله الاوحد
فجزاك عنا الله خير جزائه * وسقا ثراك حيا الغمام المرعد
وعلى رسول الله منه سلامه * وعليك متصل الرضا المتجدد

ولد ببعض أعمال غرناطة قبل التسعين وستمائة وتوفى بالمدينة الشريفة طابة على ساكنها

(وذكر) أن هؤلاء أول من كتب بالعربية ووضع حروف المعجم وهى حروف اب ت ث وهى التسعة والعشرون حرفا وقد قيل غير ذلك على حسب تنازع بدء الكتابة (وسار) بعد عبد ضخم بن ارم جرهم ابن قحطان بولده ومن تبعه وطافوا البلاد حتى اتوا مكة فنزلوها وفى ذلك يقول مضاض بن عمرو الجرهمى

هذا سبيل كسبيل يعرب * البادئ القول المبين المعرب
يا قوم سيروا عن فعال الاجنب * جرهم جدى وقحطان ابى

(وسار اميم بن لاوذ بن ارم) بعد جرهم بن قحطان فحل بارض فارس فالفرس على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى باب تنازع الناس فى أنساب فارس من ولد كيومرث بن اميم بن لاوذ ابن ارم بن سام بن نوح وفى ذلك يقول بعض من تقدم من أهل الحكمة من شعراء فارس فى الاسلام

ابونا اميم الخير من قبل فارس * وفارس ارباب الملوك بهم فخرى
وما عد قوم من حديث وحادث * من المجد الا ذكرنا افضل الذكر

وقد ذكر جماعة من اهل السير والاخبار ان جميع من ذكرنا من هذه القبائل كانوا اهل خيم وبدو

افصل

افضل الصلاة والسلام سنة ٧١٥ ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى انتهى * (ومنهم الشيخ نور الدين أبو الحسن المايرقي) من أقارب بعض ملوك المغرب وكان من الفضلاء العلماء الادباء وله مشاركة جيدة في العلوم ونظم حسن ومنه قوله

القضب راقصة والطير صادحة * والنشر مرتفع والماء منحدر
وقد تجلت من اللذات أوجهها * لكنها بظلال الدوح تستتر
فكل واد به موسى يفجره * وكل روض على حافاته الخضر

وقوله

وذي هيف راق العيون انثناؤه * بقد كريان من البان مورق
كتبت اليه هل تجود بزورة * فوقع لا خوف الرقيب المصدق
فأيقنت من لا بالعناق تفاؤلا * كما اعتنقت لا ثم لم تتفرق

وهذا أحسن من قول ذي القرنين بن حمدان

انى لأحسد لا في أحرف الصحف * اذا رأيت اعتناق اللام والالف
وما أظنهما طال اعتناقهما * الا لما لقيا من لوعة الاسف

وأحسن من هذا قول القيسراني

أستشعر اليأس من لا ثم يطمعني * اشارة في اعتناق اللام والالف

وكانت وفاة أبي الحسن المذكور في ربيع الاول سنة ٦٥٥ ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى والابيات التي أولها القضب راقصة الى آخره نسبها له اليونيني وغير واحد والصواب انها ليست له وانما هي لنور الدين بن سعيد صاحب المغرب وقد تقدم ذكره ولعل السهو سرى من تشارك الاسم واللقب والقطر ومثل هذا كثيرا ما يقع والله تعالى أعلم *(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق) ابن عتبة الاشبيلي وكان فارق اشبيلية حين تولاها ابن هود واضطرمت بفتنته الاندلس نارا ولما قدم مصر هاربا من تلك الاهوال تغيرت عليه البلاد وتبدلت به الاحوال فلما سئل عن حاله بعد بعده عن أرضه وترحاله بادر وأنشد

أصبحت في مصر مستضاما * أرقص في دولة القرود
واضيعة العمر في أخير * مع النصارى أو اليهود
بالجد رزق الانام فيهم * لا بذوات ولا جدود
لا تبصر الدهر من يراعى * معنى قصيد ولا قصود
أود من لؤمهم رجوعا * للغرب في دولة ابن هود

وتذكرت بقوله ارقص في دولة القرود ما وقع لابي القاسم بن القطان وهو مما يستطرف ويستظرف وذلك انه لما ولى الوزارة الزينبي دخل عليه أبو القاسم المذكور والمجلس حافل بالرؤساء والاعيان فوقف بين يديه ودعا له وأظهر الفرح والسرور ورقص فقال الوزير لبعض من يفضي اليه بسره قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه الى قول الشاعر

*وأرقص للقرد في دولته *(ومن المرتحلين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على الهواري) من أهل المرية ويعرف بشمس الدين بن جابر الضرير وله ترجمة في الاحاطة ذكرناها مع زيادة

مجتمعين في مساكنهم من الارض وان اميما اول من ابتنى البنيان ورفع الحيطان وقطع الاشجار وسقف السقوف واتخذ السطوح وان ولد حام بن نوح حلوا ببلاد الجنوب وان ولد كوش بن كنعان خاصة هم النوبة على حسب ما قدمنا آنفا في باب السودان من هذا الكتاب وان نخذا من ولد كنعان بن حام ساروا نحو بلاد افريقية وطنجة من ارض المغرب فنزلوها وزعم هذا القائل ان البربر من ولد كنعان بن حام (وقد تنازع الناس) في بدء انساب البربر فمنهم من راى انهم من غسان وغيرهم من اليمن وانهم تفرقوا حول تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مأرب عند ما كان من سيل العرم ومنهم من راى انهم من قيس عيلان ومنهم من رأى غير ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا (ونزل) كنعان بن حام والاغلب من ولد كنعان بلاد الشام فهم الكنعانيون وبهم تعرف تلك الديار فقيل بلاد كنعان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أخبار مصر بن حام ومصر والانباط (وسار) يوقر بن لوط بن حام بولده ومن تبعه الى أرض الهند والسند وبالسند امم لهم اجسام طوال وهم من بلاد المنصورة من ارض السند فعلى هذا القول ان الهند والسند من ولد

عليها عند تعرضنا لاولاد لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى و رحل الى المشرق ودخل مصر والشام واستوطن حلبا وهو صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان وسكن حلبا وله أمداح نبوية كثيرة وتآليف منها شرح ألفية ابن مالك وغير ذلك وله ديوان شعر وأمداح نبوية فى غاية الاجادة ومن نظمه رحمه الله تعالى مورّيا باسماء الكتب

عرائس مدحى كم أبين لغيره * فلما رأته قلن هذا من الاكفا
نوادر آدابى ذخيرة ماجد * شمائل كم فيهن من نكت تلفى
مطالعها هن المشارق للعلا * قلائد قد راقت جواهرها رصفا
رسالة مدحى فيك واضحة ولى * مسالك تهذيب لتنبيه من أغفى
فيا منتهى سؤلى ومحصول غايتى * لأنت امرؤ من حاصل المجد مستصفى

وقد اشتملت هذه الابيات الخمسة على التورية بعشرين كتابا وهى العرائس للثعالبى والنوادر للقالى وغيره والذخيرة لابن بسام وغيره والشمائل للترمذى والنكت لعبد الحق الصقلى وغيره والمطالع لابن قرقول وغيره والمشارق للقاضى عياض وغيره والقلائد لابن خاقان وغيره ورصف المبانى فى حروف المعانى للاستاذ ابن عبد النور وهو كتاب لم يصنف فى فنه مثله والرسالة لابن أبى زيد وغيره والواضحة لابن حبيب والمسالك للبكرى وغيره والجواهر لابن شاس وغيره والتهذيب فى اختصار المدونة وغيره والتنبيه لابى اسحق وغيره ومنتهى السؤل لابن الحاجب والمحصول للامام الرازى والغاية للنووى وغيره والحاصل مختصر المحصول والمستصفى للغزالى وما أحسن قول الحكيم موفق الدين

لله أيامنا والشمل منتظم * نظما به خاطر التفريق ماشعرا
والهف نفسى على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

وهذه ثلاث كتب مشهورة المختار والمجموع والمختصر وأحسن منه قول الآخر

عن حالتى يا نور عينى لا تسل * ترك الجواب جواب تلك المسئله
حالى اذا حدثت لا لمعا ولا * جملا لايضاحى بها من تكمله
عندى جوى يذر الفصيح مبلدا * فاترك مفصله ودونك مجمله
القلب ليس من الصحاح فيرتجى * اصلاحه والعين سحب منقله

وقد أوردنا فى ترجمة أبى عبد الله بن جزى الكاتب الاندلسى جملة مستكثرة فى التورية باسماء الكتب فلتراجع ثمة *(رجع) الى الشمس بن جابر فنقول ومن نظمه رحمه الله تعالى تضمينه للابيات المشهورة

لم يبق فى اصطبار
مذ خلفونى وساروا
وللحبيب أشاروا
جار الكرام فجاروا
لله ذاك الاوار
بانوا فما الدار دار

يا

والمغرب على حسب ما ذكرنا من الامم وتفرقها فى الشرق وغيره مما يلى جبل الفتح والباب والابواب (و بعث عاد) فى الارض وملكها الجلجان بن الوهم فكانوا يعبدون ثلاثة أصنام وهى صمود وصدا والهباء فبعث الله اليهم هودا على حسب ما قدمنا فكذبوه وهو هود بن عبد الله بن رباح بن خالد ابن الخلود بن عياذ بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وقد قدمنا أن قوم عاد كانوا عشرة قبائل وقد تقدم ذكر أسمائهم فدعا عليهم هود فمنعوا المطر ثلاث سنين وأجدبت الارض فلم يدر عليهم ضرع (وقد كان) من ذكرنا من الامم لا يجحدون الصانع جل وعز ويعلمون أن نوحا عليه السلام كان نبيا وأنه وفى لقومه بما وعدهم من العذاب الا أن القوم دخلت عليهم شبه بعد ذلك لتركهم البحث واستعمال النظر ومالت نفوسهم الى الدعة وما تدعو اليه الطبائع من الملاذ والتقليد وكان فى نفوسهم هيبة الصانع والقرب اليه بالتماثيل وعبادتها لظنهم أنها مقربة لهم اليه وكانوا مع ذلك يعظمون موضع الكعبة وكان موضعها على ما ذكرنا ربوة حمراء فوفدت

يابدراهلاك جاروا * وعلموك التجرى
كانوامن الود أهلى
ماعاملونى بعدل
أصموافؤادى بنبل
يابين بينت ثكلى
ياروح قلبى قل لى
أهم دعوك لقتلى
وحرموالك وصلى * وحللوالك هجرى
حسبى وماذاعناد
هم المنى والمراد
وان عن الحق حادوا
أوجاملونى وجادوا
يامن به الكل سادوا
والكل عندى سداد
فليفعلواماأرادوا * فانهم أهل بدر

وتذكرت بهذا قول أبى البركات أيمن بن محمد السعدى رحمه الله تعالى

للعاشقين انكسار * وذلة وافتقار
وللملاح افتخار * وعزة واقتدار
وأهل بدرى أثاروا * وودعونى وساروا
يابدر الخ
كنت والوجد يملى * جدّالهوى بعد هزل
وحازذهنى وعقلى * مابين بدوى وأهلى
يابدرفاحكم بعدل * اذااتوك بعذل
وحرموا الخ
لولاهواك المراد * ما كنت ممن يصاد
ولاشجانى البعاد * يابدراهلاك جادوا
غالطت جاروا وزادوا * لكنهم بك سادوا
فليفعلوا الخ
انتهى

(رجع) الى ابن جابر فنقول توفى رحمه الله تعالى فى البيرة فى جمادى الآخرة سنة ٧٨٠ ومن نظمه قوله

ياأهل طيبة فى مغناكم قمر * يهدى الى كل محمود من الطرق
كالغيث فى كرم والليث فى حرم * والبدر فى أفق والزهر فى خلق
وقوله

الشرب واللهو حتى جاءتهم الجرادتان قينتا معاوية بن بكر تشرحان لهم ماوردوا من أجله وهو

ألاياقيل ويحك قم فهينم
لعل الله يمطرنا غماما
فيسقى أرض عاد ان عادا
قد امسوا لايبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو
به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وان الوحش تاتى أرض عاد
فلاتخشى لراميهم سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم
نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم
ولالقيوا التحية والسلاما

ثم ان معاوية بن بكر دعا احدى الجرادتين فغنت

ألاياقيل من عوص
ومن عاد بن سام
وعاد كالشماريخ
من الطول الكرام
سقى الله بنى عاد
معاصوب الغمام

فاستيقظ القوم من غفلتهم وبادروا الى الاستسقاء لقومهم وفى مجىء السحاب واختيارهم لما اختاروه منها ماقد اتضح وفيهم يقول مرثد بن سعد من كلمة عصت عاد رسولهم فامسوا عطاشا لاتبلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود * يقابله صداء والهباء

ألاقبح الاله حلوم عاد * فان قلوبهم قفر هواء

أما معانى المعانى فهى قد جمعت ۞ فى ذاته فبدت نارا على علم
كالبدر فى شيم والبحر فى ديم ۞ والزهر فى نعم والدهر فى نقم

وقال

ولما وقفنا كى نودع من نأى ۞ ولم يبق الا أن تحث الركائب
بكينا وحق للمحب اذا بكى ۞ عشية سارت عن حماه الحبائب

وقال

ضحكت فقلت كأن جيدك قد غدا ۞ يهدى لثغرك من جواهر عقده
وكأن ورد الخد منك بمائه ۞ قد شاب عذب لمالك حالة ورده

وقال

منعتنا قرى الجمال وقالت ۞ ليس فى غير زادنا من مجال
فأقمنا على الرحال وقلنا ۞ مالنا حاجة بحط الرحال

وقال

عذب قلبى رشأ ناعم ۞ أسهر طرفى طرفه الناعس
يحرس باللحظ جنى خده ۞ ياليته لو غفل الحارس

وقال

وافيت ربعهم وقد بعد المدى ۞ ونأى الفريق من الديار وسارا
ما كدت أعرف بعد طول تأمل ۞ دارا بها طاف السرور ودارا

وله

ولست أرى الرجال سوى اناس ۞ همومهم موافاة الرجال
أطالوا فى الندى اهلاك مال ۞ فعاشوا فى الانام ذوى كمال

وقال

أيها المتهمون نفسى فداكم ۞ أنجدونى على الوصول لنجد
وقفوا بى على منازل ليلى ۞ فوجودى هناك يذهب وجدى

وما كتبه على كتاب نسيم الصبا لابن حبيب وصورته لما وقفت على الفصول الموسومة بنسيم الصبا المرسومة فى صفحات الحسن فاذا أبصرها اللبيب صبا انتعش بها الخاطر انتعاش النبت بالغمام وهملت سحائب بيانها فأثمرت حدائق الكلام وأخرجت أرض القرائح ما فيها من النبات وسمعت الآذان ضمنة الاذهان بهذه الابيات

هذى فصول الربيع فى الزمن ۞ كم حسن أسندت الى حسن
رقت وراقت فمن شمائلها ۞ بمثل صرف الشمول تتحفنى
كم ملح قد حوت وكم لمح ۞ يعجبنى لفظها ويحزننى
كم فيه من نفث ومن نكت ۞ أشهدنى حسنها فادهشنى
جمع عند مناله النظير فلا ۞ يصرف عن خاطر ولا أذن
يا حبر أهل العلا وبحرهم ۞ أى بديع الكلام لم ترنى

فبصرنا النبى سبيل رشد ۞
وأن اله هود هو الهى
على الله التوكل والرجاء
وانى لاحق بالامس هودا
واخوته اذا حق المساء
فارسل الله عز وجل على عاد الريح العقيم من وادلهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا عارض ممطرنا وتباشروا بذلك فلما سمع هود ذلك من قولهم قال بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم الآية فاتتهم الريح يوم الاربعاء فلم تات الاربعاء الثانية ومنهم حى فمن أجل ذلك كره الناس يوم الاربعاء (وقد بينا) فيما يرد من هذا الكتاب كيفية ذلك وكيف وقوعه فى أيام الشهر فى باب الشهور فلما شاهد هود النبى صلى الله عليه وسلم ما قاله قومه انفرد هو ومن معه من المؤمنين وفى ذلك يقول الهيل بن الخليل
لو ان عادا سمعت من هود
واتبعت طريقة الرشيد
وقد أتى بالوعد والوعيد
عادا وبالتقريب والتبعيد
ما أصبحت عاثرة الجدود
خبوا على الآناف والخدود
ساقطة الاجساد بالوصيد
ماذا جنى الوفد من الوفود
احدوثة فى الابد الابيد
(وقال مهد بن سعد فى شعر له)

بدرك فى مطلع الفضائل لا * يكون مثـــل له ولم يكن
هـذى الفصول التى أتيت بها * قد أفحمت كل ناطق لسن
كم فن معـنى بها يذكرنى * شجوى لشدو الحمام فى فنن
فن نسيب مع النســيم جرى * لطفا فازرى بالجوهـر الثمن
وحسـن سجـع كالزهـر فى أفق * والزهر فى ناعم من الغصن
له معان أعيت مداركها * كل معان بنيلهن عنى
لازال راق لمبـــدراقها * ذا سنن حاز أحسـن السنن

فصول هى للحسن أصول وشمول لها على كل القلوب شمول ليس لقدامة على التقدم اليها حصول ولا لسحبان لان يسحب ذيلها وصـول ولا انتهـى قس الايادى الى هـذه الايادى ولا ظفر بديـع الزمان بهذه البدائع الحسان لقـد قصر فيها حبيب عن ابنه وحار بين لطافة فضـله وفضـل ذهنه نزهت فى طرف خمائلها ونبهت بلطف شمائلها تالله انها لسحر حلال وخلال ما مثلها اخـلال كلام كله كمال ومجال لا يرى فيه الاجمال اراقم بردها وناظم عقدها فى كل فصـل جاء بكمال فصـل وفى كل معنى عمر بالبراعة مغنى أعرب فاغرب وأوجز فاعجز وأطال فاطاب وأجاد حين أجاب فما أنفس فرائده وأنفع فوائده وأفصح مقاله وأفسح مجاله وأطوع للنظم طباعه وأطول فى النثر باعه أزاهر نبتت فى كتاب وجواهر تكونت من ألفاظ عـذاب ومواهب لا تدرك بيـد اكتساب فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب فصول أحـلى فى الافواه من الشـهد وأشهـى الى النواظر من النوم بعد السهد سبك أدبها فى قالب النكت الحسان وذهب بها مذهب عبـد الحميد ومحاسن حسان فما أحقها أن تسمى فصول الربيع وأصول البديع لازال حسنها يملا الاوراق بما راق ويزين الآفاق بما فاق ولا برحت حدائق براعته نزهة للاحداق وحقائق بلاغته فى جيد الاجادة بمنزلة الاطواق بمن الله تعالى وكرمه انتهى

* وحيث جرى ذكر نسيم الصبا فلا باس أن نذكر تقاريظ العلماء له فمن ذلك قول القاضى شرف الدين بن ريان وقفت على هـذا الكتاب الذى أبدع فيه مؤلفه ونظم فيه الجواهر النفيسة مصنفه وأينعت حدائق أدبه فدنا ثمرها لمن يقطفه وعرفت مقدار ما فيه من الانشاء وأين من يعرفه فوجدته الطف من اسمه وأحسـن من الدرر فى نظمه وأطيب من الورد عنـد شمه هبت على رياض فصوله نسيم صـباها ففاقت الازهار فى رباها وتشوفت قلوب الادباء الى انتشاق شذاها وطيب رياها وفاضت عليه انوار البدر فاغنى سناها عن الشمس وضحاها وتحلت نحور البلغاء من كلامه بالدر اليتيم ومن معانيه بالعـقد النظيم وترنحت أفنان فنون الفصاحة لما هب عليها ذلك النسيم كل فصل له فى الفضل أسلوب على بابه وطريق انفرد به منشـئه محاسن لا توجـد الا فى كتابه صدر هـذا الكتاب عن علم سابق وفكر ثاقب وذهن رائق ونفس صادق وروية ملات تصانيفها المغارب والمشارق وقريحـة اذا ذقت جناها وشمت سناها تذكرت ما بين العذيب وبارق فالله تعالى يبقى مصـنفه قبلة لاهل الادب ويديمه ويبلغه من سـعادة الدنيا والآخرة ما يرومه بمنه وكرمه

الجلجان وقد تقدم ذكره فى هـذا الباب ملك عاد وثمود وغيرهـم وقيل ان أول من ملك عادا من الملوك عاد بن عوص ثلثمائة سنة ثم ملك ابن عاد بن عوص قال ولما دثرت هذه الامم من العرب والقبائل خلت منهم الديار فسكنها غيرهـم من الناس فنزل قوم من بنى حنيفة اليمامة واستوطنوها وقـد كان نزلوا بـلاد الجحفة بين مكة والمدينة وقطنوها فقـال شاعرهـم يرثى من كان فى تلك الديار

ان طسما وجرهما وجديسا
والعماليق فى السـنين الخوالى
عمروا البيت حقبة ثم ولوا
واستمرت بهـم صروف الليالى
وأدال الزمان منهـم وأضحى
غيرهم ساكنا بتلك الخوالى
ورماهـم ريب الزمان فامسوا
دورهم بلقع لمر الشمال

(وقد كان) نزل بلاد الجحفة بين مكة والمدينة عبيد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح هو وولده فهلكوا بالسيل فسمى ذلك الموضع بالجحفة لاجحافها عليهـم (وكان) يثرب بن قامـة بن مهليل بن ارم بن عبيد نزل بالمدينـة هو وولده ومن تبعـه فسميت به يثرب

انتهى * وقرظ عليه بعضهم بقوله وقف المملوك سليمان بن داود المصرى على فصول الحكم من هذه الفصول ووجد من نسيم الصبا أمارات القبول ونزه طرفه فى رياض هذا الكتاب وخاطب فكره العقيم فى وصفه فعجز عن رد الجواب

ماذا أقول وكل وصف دونه * أين الحضيض من السماك الاعزل

يا لها كلمات نقصت قدر الافاضل وفضحت فصحاء الاوائل وسحبت ذيل الفصاحة على سحبان وائل وزادت فى البلاغة على فريد وغيرت حال القدماء فما عبد الرحيم الفاضل وما عبد الحميد وذلت لها تشبيهات ابن المعتز طوعا وملكت زمام البيان فما تركت للبديع منه نوعا

قطف الرجال القول حين نباته * وقطفت أنت القول لما نورا

وخطاب أعجز الخطباء وصفه وجواب ألجأ البلغاء رصفه وغرائب تعرفت بعد بعيدها وشوارد تألفت بعد بعيدها وجنان بلاغة لم يطمث أبكارها انس قبلك ولا جان ولم يقطف أزهارها عين ناظر ولا يد جان معان تطرب السمع لها حكم وأحكام والفاظ هى الارواح لا ارواح أجسام فلما ألقى فهمه عروة المتماسك وضاقت عليه فى وصفه المسالك وعجز عن وصف بلوغ بلاغته عطف على حسن كتابته فرأى خطا يسبى الطرف ويستغرق الظرف نسج قلمه الكريم من وشى البلاغة ديباجا واتخذ من محاسن الحسان طريقا ومنهاجا فالفى ألفات كاعتدال القدود ونونات كاهلة السعود وسينات كالطرر ونقطا كالدرر جعل للاقلام حجة قاطعة على السيوف وحلى الاسماع بحلية زائدة على الشنوف فعظف ساعة يطنب فى دعائه وشكره وآونة يميل من طربه بالفاظه وسكره فلله در ألفاظك ودرر فضلك وأحسن بوابلك الهاطل بالبيان وطلك

لسانك غواص ولفظك جوهر * وصدرك بحر بالفضائل زاخر

والله المسؤل أن يرفع قدر مقالك ومقام قدرك ويوضح منهاج الادب بنور بدرك بمنه وكرمه انه على كل شئ قدير * وكتب قاضى القضاة تاج الدين السبكى رحمه الله تعالى فى تقريظ الكتاب المذكور ما نصه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم حدقت نحو الحدائق وفوقت سهمى تلقاء الغرض الشائق وطرقت الى ما يفضى اذا الجد أسهل الطرائق فما علل صداى كنسيم الصبا ولا كمثله سهما صائبا صبابه من لا صبا ولا نظرت نظيره حديقة تنبت فضة وذهبا

وتجئ من ملح الكلام * بطارف أو تالده
كالنجم نوابغ نحو آ * فاق المطالع صاعده
لو رامها قس لما * ألفى أباه ساعده
أبدى نتائج عيه * فى ذى المعانى الشارده

فعين الله تعالى عليها كلمات عليها منه رقيب ومحاسن تسلى عندها بالحسن حبيب وفوائد حسان يذكرنا بها حسان البعيد حسن القريب كتبه عبد الوهاب بن السبكى انتهى * وكتب ناصر الدين صاحب دواوين الانشاء ما صورته وقفت على هذا الكتاب الذى

فهلك هؤلاء أيضا ببعض ٤٣ غوائل الدهر وآفاته فقال شاعرهم عين جودى على عبيد برجع * بأماق فيضانها بانسجام
عمر وابن باوليس بها سفر ولا صار خولا ذو سنام
غرسوا الينا بحرى معين ثم حفوا السبيل بالارحام (وقد أخبر) الله جلت قدرته عنهم فقال كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فأهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية (وقد تنازع) أهل الشرائع فى قوم شعيب ابن نوفل بن رعبيل بن مر ابن عنقاء بن مدين بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وكان لسانه العربية فمنهم من رأى انهم من العرب الدائرة والامم البائدة وبعض من ذكرنا من الاجيال الخالية ومنهم من رأى انهم من ولد المحض بن جندل بن يعصب ابن مدين بن ابراهيم وان شعيبا أخوهم فى النسب وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا فى ممالك متصلة فمنهم المسمى بابى جاد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وهم على ما ذكرنا بنو المحض ابن جندل وأحرف الجمل هى أسماء هؤلاء الملوك وهى التسعة والعشرون حرفا التى عليها حساب الجمل وقد قيل فى هذه
الاحرف غير ما ذكرنا من الوجوه على حسب ما قدمنا فى هذا الكتاب وليس كتابنا هذا موضعا لما

اشبه

أشبه الدر في انتظامه والثغر في ابتسامه وقطر الندى في انسجامه وزهر الروض في البكر اذا غنت على غصونه مطربات حمامه فوجدت بين اسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبع مؤلفه السليم واتصالا قريبا كاتصال الصديق الحميم فتحققت أن مؤلفه أبقاه الله تعالى وحرسه أبدع في تاليفه وأصاب في تمييزه بهذا الاسم وتعريفه فهو في اللطافة كالماء في اروائه وكالهواء المعتدل في ملاءمة الارواح بجوهر صفائه وكالسلك اذا انتقى جوهره وأجيد في انتقائه قد اينعت ثمرات فضائله فاصبحت دانية القطوف وتجلت عرائس بلاغته فظهر بدورها بلا كسوف وانجابت ظلمات الهموم بسماع موصول مقاطعه التي هي في الحقيقة لآذان الجوزاء شنوف فأكرم به من كتاب ما الروض باهى من وشيه ولا الريحان باعطر من شميمه ولا المدامة بارق من هبوب نسيمه ولا الدر بأسنى زهرا بل زهوا من رسومه اذا تدبره الاديب أغنته تلك الافانين عن نغمات القوانين واذا تامله الاريب نزه طرفه في رياض البساتين قد سوّر على كل نوع من البديع باب لا يدخله الا من خص من البلاغة بالالباب والله تعالى يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب ويمتع بفضائله التي شهدها أهل العلم وذوو الالباب بمنه وكرمه وكتبه محمد بن يعقوب الشافعي * وكتب الصفدي شارح لامية العجم عفا عنه وقفت على هذا المصنف الموسوم بنسيم الصبا والتاليف الذي لو مر بالمجنون لما ألف ليلاه ولا مال اليها ولا صبا والانشاء الذي ان شاء قائله جعل الكلام غيره في هبات الهواء هبا والنثر الذي أغار قائله على سبائك الذهب الابريز وسبا والكلام الذي نباعنه الجاحظ جاحدا وماله ذكر ولا نبا فسبحت جواهر حروفه لمن أوجده في هذا العصر وعلمت ان الفاظه ترمي قلوب حساده بشرر كالقصر وتحققت ان قعقعة طروسه اصوات اعلامه التي تخفق له بالنصر وتيقنت ان سطوره غصون لا تصل اليها كف جناية بجني ولا هصر

وقلت لاهل النظم والنثر قابلوا * ترائبها مصقولة كالسجنجل
وميلوا باعطاف التعجب انها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

ولما املت بعد ما تمنت وعزلت بعد ما هزلت جردت من نفسي شخصا اخاطبه واجاريه في اوصاف محاسنها التي انا هيه منها وانا هبه فقال لي هذا الفن الفذ والنثر الذي قهر اقران هذه الصناعة وبذ والادب الذي سد الطرق على اوابده فافاته شئ ولا شذ وهذا الانشاء الذي ماله عديل في هذا العديد ولا ضريب وهذا الكلام الذي فاق في الآفاق فالحبيب بن اوس حسن حسن بن حبيب فعين الله تعالى على هذه الكلم الساحرة والفوائد التي ايقظت جفن الادب بعدما كان بالساهرة ومتع الله تعالى الزمان واهله بهذا النوع الغض والنقد النض والبز البض والبديع الذي رم ما تشعث من ربع هذا الفن ورض واقتض المعاني ابكاره وافتض وارسل جارح بلاغته على الجوارح فصادها وانفض وانقض وأنبط ماء الفصاحة لما تحدر وارفض واستمال القلب الفظ لما فك ختم ذهوله وفض انه على كل شئ قدير وبالاجابة جدير بمنه وكرمه وكتبه خليل الصفدي انتهى *(ومنهم الاديب ابو جعفر الالبيري) رفيق ابن جابر السابق الذكر وهو

سيد القوم أتاه الـ ــمحتف نارا تحت ظله كوّنت نارا وأضحت * دار قومي مضمحله

يليها من الحجاز وكان هوّز وحطي ملكين ببلاد وج وهي أرض الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد وكلمن وسعفص وقرشت ملوكا بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كلمن على ملك جميع من سمينا مشاعا متصلا على ما ذكرنا وأن عذاب يوم الظلة كان في ملك كلمن منهم وأن شعيبا دعاهم فكذبوه ووعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح عليهم باب من السماء من نار ونجا شعيب بمن آمن معه الى الموضع المعروف بالايكة وهي غيضة نحو مدين فلما أحس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وأيقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن آمن معه وقد أظلتهم سحابة بيضاء طيبة النسيم والهواء لا يجدون فيهم ألم العذاب فاخرجوا شعيبا ومن امن معه من موضعهم وأزالوهم عن أماكنهم وتوهموا أن ذلك ينجيهم مما نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا فاتت عليهم فرثت حارثة بنت كلمن أباها فقالت وكانت بالحجاز

كلمن هدم ركني هلكه وسط المحله

البصير وابن جابر الاعمى وله نظم بديع منه قوله

ابدت لى الصدغ على خدها * فاطلع الليل لنا صبحه
خدها مع قدها قائل * هذا شقيق عارض رمحه

وقوله وقد دخل حمص

حمص لمن اضحى بها جنة * يدنو لديها الآمل القاصى
حل بها العاصى ألا فاعجبوا * من جنة حل بها العاصى

وقوله

ان بين الحبيب عندى موت * وبه قد حييت منذ زمان
ليت شعرى متى تشاهده العين وتقضى من اللقاء الامانى

قال وفيه استخدام لان البين يطلق على البعد والقرب انتهى ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

ومورد الوجنات دب عذاره * فكأنه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره متعجلا * قد رام يخفى الورد منه بآس
ناديته قف لى أودع ورده * ما فى وقوفك ساعة من باس

وهذا المعنى قد تبارى فيه الشعراء وتسابقوا فى مضماره فمنهم من جلى وبرز وحاز خصل السبق واحرز ومنهم من كان مصليا ومنهم من غدا الجيد الاحسان محليا ومنهم من عاد توصل الغاية موليا *(رجع) ومن تاليفه رحمه الله تعالى شرحه لبديعية رفيقه ابن جابر المذكور وقال فى خطبته ولما كانت القصيدة المنظومة فى علم البديع المسماة بالحلة السيرا فى مدح خير الورى التى أنشأها صاحبنا العلامة شمس الدين أبو عبد الله بن جابر الاندلسى نادرة فى فنها فريدة فى حسنها تجنى ثمر البلاغة من غصنها وتنهل سواكب الاجادة من مزنها لم ينسج على منوالها ولا سمحت قريحة بمثالها رأيت أن أضع لها شرحا يجلو عرائس معانيها لمعانيها ويبدى غرائب ما فيها لموافيها لا أمل الناظر فيه بالتطويل ولا أعوقه بكثرة الاختصار عن مدارك التحصيل فخير الامور أوسطها والغرض ما يقرب المقاصد ويضبطها فاعرب من ألفاظها كل خفى واسكت من لغاتها عن كل جلى والله اسأل أن يبلغنا ما قصدناه ويوردنا أحسن الموارد فيما أردناه انتهى وسمى الشرح المذكور طراز الحلة وشفاء الغلة ومما أورده رحمه الله تعالى فى ذلك الشرح من نظم نفسه قوله

طيبة ما اطيبها منزلا * سقى ثراها المطر الصيب
طابت بمن حل بأرجائها * فالترب منها عنبر طيب
يا طيب عيشى عند ذكرى لها * والعيش فى ذاك الحمى أطيب

وقال رحمه الله تعالى فى هذا الشرح بعد كلام ما نصه واذا أردت ان تنظر الى تفاوت درجات الكلام فى هذا المقام فانظر الى اسحق الموصلى كيف جاء الى قصر مشيد ومحل سرور جديد فخاطبه بما يخاطب به الطلول البالية والمنازل الدارسة الخالية فقال

وهم ملكوا أرض الحجاز وأوجها
كمثل شعاع الشمس فى صورة البدر
ملوك بنى حطى وسعفص ذى الندى
وهوز أرباب الثنية والحجر
هم قطنوا البيت الحرام ورتبوا
خطورا وساموا فى المكارم والفخر

(ولهؤلاء الملوك) أخبار عجيبة من حروب وسير وكيفية تغلبهم على هذه الممالك وتملكهم عليها وابادتهم من كان فيها وعليها من الامم قد أتينا على ذكرها فيما تقدم من كتبنا فى هذا المعنى مما كتابنا هذا منبه عليها وباعث على درسها (وأما بنو حضورا) وكانت أمة عظيمة ذات بطش وشدة فغلبت على كثير من الارض والممالك وقد تنازع الناس فيهم فنهم من ألحقهم بمن ذكرنا من العرب البائدة ممن سمينا ومنهم من رأى انهم من ولد يافث بن نوح وقيل فى أنسابهم غير ما ذكرنا من الوجوه وقد كان بعث الله عز وجل اليهم شعيب ابن ذى مهدم بن حضور ابن عدى نبيا ناهيا عما كانوا عليه وهذا غير شعيب بن نوفل بن رعيبل بن مر بن عنقاء بن مدين بن ابراهيم

يا دار غيرك البلى ومحاك * فأحزن فى موضع السرور وأجرى كلامه على عكس الامور
وانظر الى قول القطامى

انا محيوك فاسلم أيها الطلل * وان بليت وان طالت بك الطيل

فانظر كيف جاء الى طلل بال ورسم خال فاحسن حين حياه ودعا له بالسلامة كالمبتهج برؤية محياه فلم يذكر دروس الطلل وبلاه حتى آنس السامع باوفى التحية وأزكى السلامة والذى فتح هذا الباب وأطنب فيه غاية الاطناب صاحب اللواء ومقدم الشعراء حيث قال

الا عم صباحا ايها الطلل البالى * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
وهل يعمن الا سعيد مخلد * قليل هموم ما يبيت بأوجال

قيل وهذا البيت الاخير يحسن ان يكون من أوصاف الجنة لان السعادة والخلود وقلة الهموم والاوجال لا توجد الا فى الجنة انتهى وقال رحمه الله تعالى عند رحيله من غرناطة واعلام نجد تلوح وحمائمه تشدو على الايك وتنوح

ولما وقفنا للوداع وقد بدت * قباب بنجد قد علت ذلك الوادى
نظرت فالفيت السبيكة فضة * لحسن بياض الزهر فى ذلك النادى
فلما كستها الشمس عاد لجينها * لها ذهبا فاعجب لاكسيرها البادى

والسبيكة موضع خارج غرناطة وقال رحمه الله تعالى

هذه عشرة تقضت وعندى * من أليم البعاد شوق شديد
واذا ما رأيت اطفاء شوقى * بالتلاقى فذا الرأى سديد

وقال رحمه الله تعالى وقد أهدى طاقية

خذها اليك هدية * ممن يعز على أناسك
اخترتها لك عندما * أضحت هدية كل ناسك
أرسلتها طاقية * لتنوب فى تقبيل راسك

وله من رسالة وافى كتابك فوجدناه ازهى من الازهار وابهى من حسن الحباب على الانهار يشرق اشراق نجوم السماء ويسمو الى الاسماع سمو حباب الماء وقال رحمه الله تعالى فى العروض على مذهب الخليل

خل الانام ولا تخالط منهم * أحدا ولو أصفى اليك ضمائره
ان الموفق من يكون كانه * متقارب فهو الوحيد بدائره

وقال على مذهب الاخفش

ان الخلاص من الانام لراحة * لكنه ما نال ذلك سالك
أضحى بدائرة له متقارب * يرجو الخلاص فعاقه متدارك

وله

دائرة الحب قد تناهت * فما لها فى الهوى مزيد
فبحر شوقى بها طويل * وبحر دمعى بها مديد

الخليل صاحب مدين المتزوج اليه موسى بن عمران المقدم ذكره وبينهما مئون من السنين وقد كان بين موسى بن عمران وبين المسيح ألف سنة ولما بعث الى حضورا واشتد كفرهم جدد بهم شعيب بن ذى مهدم فى دعائهم وخوفهم وتوعدهم فقتلوه من بعد ظهور معجزات كانت له ودلائل اظهرها الله على يديه تدل على صدقه وثبوت حجته على قومه فلم يضيع الله دمه ولم يكذب وعيده فاوحى الله تعالى الى نبى كان فى عصره وهو برخيا بن احنيا بن زربابيل بن شالتيال وكان من سبط يهوذا بن اسرائيل ابن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام أن ياتى بختنصر وكان بالشام وقيل غيره من الملوك فيأمره أن يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم فلما اتى برخيا ذلك الملك قال له الملك صدقت لى سبع ليال اومر فى نومى بما ذكرت وانادى بجيشك الى وابشر ويقال لى ما امرتنى به وانا انتصر للنبى المقتول المظلوم الفريد فسار اليهم فى جنوده وغشى ديارهم فى عساكره وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا الحربه من حيث عما الصوت جميعهم وهو يقول

سيغلب قوم غالبوا الله جهرة * وان كايدوه كان اقوى واكيدا

وان وجدى بها بسيط * فليفعل الحسن ما يريد

وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا ومنهم الشيخ شهاب الدين بن صارو البعلى قال ابو جعفر المترجم به انشدنا شهاب الدين المذكور لنفسه بحماة

وبى عروضى سريع الجفا * يغار غصن البان من عطفه
الورد من وجنته وافر * لكنه يمنع من قطفه

قال وانشدنا ايضا لنفسه

وبى عروضى سريع الجفا * وجدى به مثل جفاه طويل
قلت له قطعت قلبي أسى * فقال لى التقطيع دأب الخليل

انتهى

وأنشد رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر الضرير السابق الترجمة فى ذلك

ان صدعنى فانى لا اعاتبه * فما التنافر فى الغزلان تنقيص
شوقى مديد وحبي كامل أبدا * لاجل ذلك قلبي فيه موقوص

وأنشدنا فى ذلك أيضا

عالم بالعروض يخبن قلبي * فى مديد الهوى بلحظ سريع
عنده وافر من الردف يبدو * وخفيف من خصره المقطوع

وله

سبب خفيف خصرها وورا‌ءه * من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان فى تركيبها * الا لان الحسن فيها وافر

وله

صدوده لى مديد * وأمر حبي طويل
وفيه أسباب حسن * وتلك عندى الاصول
لخصره لى خفيف * و ردفه لى ثقيل

وقد ذكر أبو جعفر رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر السابق الذكر مقطوعات كثيرة منها قوله

يا أيها الحادى اسقنى كاس السرى * نحو الحبيب ومهجتى للساقى
حى العراق على النوى واحمل الى * أهل الحجاز رسائل العشاق
يا حسن ألحان الحداة اذا جرت * نغماتها بمسامع المشتاق

وأورد له أيضا

يا حسن ليلتنا التى قد زارنى * فيها فانجز ما مضى من وعده
قومت شمس جماله فوجدتها * فى عقرب الصدغ الذى فى خده

*(رجع) الى أبى جعفر رحمه الله تعالى ومن فوائده انه لما ذكر فذلكة الحساب فقال هى التى يضعها أهل الحساب آخر جملهم المتقدمة فيقولون فذلك كذا وكذا انتهى ولما أنشد رحمه الله تعالى قول بعضهم

غزال قد غزا قلبي * بالحاظ وأحداق

فانفضت جنودهم وتفرقت جموعهم وولت كتائبهم وأخذهم السيف فحصدوا أجمعين (وقد ذكر) أن فى قصة هلاكهم قال الله عز وجل من قائل فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون وقد تنوزع فى ديارهم والموضع الذى كانوا فيه فمن الناس من رأى أنهم كانوا بارض السماوة وأنها كانت عمائر متصلة ذات جنان ومياه متدفقة وذلك بين العراق والشام الى حد الحجاز وهى الآن ديار خراب برارى وقفار ومنهم من رأى أن ديارهم كانت من بلاد سورية وهذه المدن فى هذا الوقت مضافة الى أعمال حلب من بلاد قنسرين من أرض الشام (قال المسعودى) وقد أتينا على جمل من أخبار العرب الماضية والباقية وقد كان قبل ظهور الاسلام للباقى منهم مذاهب وآراء فى النفوس وتغول الغيلان من الهواتف والجن سنورد جملا منها منفردة على حسب ما يقتضيه شرط الاختصار فى هذا الكتاب على حسب ما نمى الينا من أخبارهم واتصل بنا من آثارهم وذكره الناس من آرائهم عن الفانى والباقى ان شاء الله تعالى

له الثلثان من قلبى * وثلثا ثلثه الباقى
وثلثا ثلث مايبقى * وباقى الثلث للساقى
وتبقى اسهم ست * تقسم بين عشاق

قال مانصه هذا الشاعر قسم قلبه الى ٨١ سهما فجعل لمحبوبه منها الثلثين ٥٤ وبقى الثلث ٢٧ فزاده ثلثيه ١٨ فصار له ٧٢ يبقى ثلث الثلث وهو ٩ زاده منها ثلثى ثلثها وهو اثنان وبقى من الثلث واحد اعطاه للساقى فبقى من التسعة ستة قسمها بين العشاق فاجتمع لمحبوبه ٧٤ وللساقى سهم واحد وللعشاق ستة والجملة ٨١ انتهى

وأنشد رحمه الله تعالى فى علم الحساب لرفيقه ابن جابر السابق الذكر

قسم الناب فى الغرام بلحظ * يضرب القلب حين يرسل سهمه
هذه فى هواه ياقوم حالى * ضاع قلبى مابين ضرب وقسمه

وأنشد له فى الهندسة

محيط باشكال الملاحة وجهه * كأن به اقليدسا يتحدّث
فعارضه خط استواء وخاله * به نقطة والشكل شكل مثلث

وأنشد له فى خط الرمل

فوق خديه للعذار طريق * قد بدا تحته بياض وحمره
قيل ماذا فقلت أشكال حسن * تقتضى أن ابيع قلبى بنظره

وانشد له فى علم الخط

قد حقق الحسن نور حاجبه * وخط فى الصدغ واو ريحان
ومدّ من حسن قده الفا * أوقف عينى وقوف حيران

وانشد له ايضا

ألف ابن مقلة فى الكتاب كقده * والنون مثل الصدغ فى التحسين
والعين مثل العين لكن هذه * شكلت بحسن وقاحة ومجون
وعلى الجبين لشعره سين بدت * حار ابن مقلة عند تلك السين
قل للذى قد خط تحت الصدغ من * خيلانه نقطا لجلب فنون
باللازجان وبالهامن فتنة * فى وضع ذاك النقط تحت النون

وأورد له فى ذكر الاقلام السبعة وغيرها

تعليق ردفك بالخصر الخفيف له * ثلث الجمال وقد وفته أجفان
خد عليه رقاع الروض قد جعلت * وفى حواشيه للصدغين ريحان
خط الشباب بطومار العذار به * سطرا فضاحه للناس فتان
محقق نسخ صبرى عن هواه ومن * توقيع مدمعى المنثور برهان
ياحسن ماقلم الاشعار خط على * ذاك الجبين فلا يسلوه انسان
اقسمت بالمصحف الشامى وأحرفه * مامر بالبال يوما عنك سلوان
ولاغبار على حبى فعندك لى * حساب شوق له فى القلب ديوان

تنازع الناس فى كيفيتها فمنهم من زعم أن النفوس فى الدم لاغير وأن الروح الهواء الذى فى باطن جسم المرىء منه نفسه ولذلك سموا المرأة نفساء لما يخرج منها من الدم ومن أجل ذلك تنازع فقهاء الامصار فيما له نفس سائلة اذا سقط فى الماء هل ينجسه أم لا قال تابط شرا خاله الشنفرى الاكبر وكان من قصته أنه قال لجته عضبا فسالت نفسه سكبا وقالوا ان الميت لا ينبعث منه الدم ولا يوجد فيه ولكن فى حال الحياة والنماء مع الحرارة والرطوبة لان كل حى فيه حرارة ورطوبة فاذا مات بقى اليبس والبرد ونفت الحرارة قال ابن براق عن كلمة

وكم لاقيت ذا حب شديد * تسيل به النفوس على الصدور

اذا الحرب العوان به استهامت * وحال فذاك يوم قطرير

(وطائفة منهم) تزعم أن النفس طائر ينبسط فى جسم الانسان فاذا مات أو قتل لم يزل مطيفا به متصوّرا اليه فى صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشا وفى ذلك يقول بعض الشعراء وذكر أصحاب الفيل

سلط الطير والمنون عليهم * فلهم فى صدى المقابر هام

لان هذا الطائر يسمونه الهام والواحدة هامة وجاء

وانشد له

ياصاحب المال المتمتع * لقوله ماعند كم ينفد
فاعمل به خيرا فوالله ما * يبقى ولا أنت به مخلد

وله

ان شئت أن تجد العدو وقد غدا * لك صاحبا يولى الجميل ويحسن
فاعمل كما قال الخبير بخلقه * في قوله ادفع بالتي هي احسن

وله

اذا شئت رزقا بلا حسبة * فلذ بالتقى واتبع سبله
وتصديق ذلك في قوله * ومن يتق الله يجعل له

واورد له ايضا

عمل ان لم يوافق نية * فهو غرس لا يرى منه ثمر
انما الاعمال بالنيات قد * نصه عن سيد الخلق عمر

وقوله

الخير في اشياء عن خير الورى * وردت فأبدت كل نهج بين
دع ما يريبك واعملن بنية * وازهد ولا تغضب وخلقك حسن

وقوله

حياء المرء يزجره فيخشى * فخف من لا يكون له حياء
فقد قال الرسول بان مما * به نطق الكرام الانبياء
اذا ما انت لم تستحي فاصنع * كما تختار وافعل ما تشاء

وقوله

قال الرسول الحياء خير * فاصحب من الناس ذا حياء
وعن قليل الحياء فابعد * فخيره ليس ذا رجاء

وقوله

من سلم المسلمون كلهم * وآمنوا من لسانه ويده
فذلك المسلم الحقيقي بذا * جاء حديث لاشك في سنده

ولابن جابر مما كتب به الى الصلاح الصفدي

ان البراعة لفظ انت معناه * وكل شئ بديع انت مغناه
انشاد نظمك اشهى عند سامعه * من نظم غيرك لو اسحق غناه

وهي طويلة فاجابه الصفدي بقوله

يافاضلا كرمت فينا سجاياه * وخصنا باللآلى في هداياه
خصصتني بقريض شف جوهره * لما تألق منه نور معناه
من كل بيت مبانيه مشيدة * كم من خبايا معان في زواياه

وهي طويلة *(رجع) الى نظم ابي جعفر فمن ذلك قوله

الاسلام وهم على ذلك حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم لاهام ولاصفر ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيرا ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم وهي أبدا تتوحش وتصدح وتوجد أبدا في الديار المعطلة والنواويس وحيث مصارع الموتى ويزعمون أن الهامة لاتزال عند ولد الميت في محلته بفنائهم لتعلم ما يكون بعده فتخبره به حتى قال الصلت بن أمية لبنيه

هامتي تخبرني بما تستشعر * فتجنبوا الشنعاء والمكروها

(وفي ذلك يقول في الاسلام توبة في ليلى الاخيلية)

ولوان ليلى الاخيلية سلمت * علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

وهذا من قولهم يدل على ان الصدى ينزل الى قبورهم ويصعد ومن ذلك ماروى عن حاتم طيئ مما سنورد خبره في هذا الكتاب

اتيت لمحجك تبغي القرى * لدى حفرة صدحت هامها

وسنذكر هذا الشعر في اخبار الحجاج بن يوسف مع ليلى الاخيلية من هذا الكتاب وقد قيل ان هذه الابيات لغير توبة وهذا كثير في اشعارهم

تريك قذا على ردف تجاذبه * محوطة فى كثيب الرمل قد نبتت
ريا القرنفل فى ريح الصبا سحرا * يضوع منها اذا نحوى قد التفتت

عقد بهما ألفاظ قول امرئ القيس

اذا التفتت نحوى تضوع ريحها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

واورد له قوله

ولولا نجاء العيس حول ديارها * غداة منى لم يبق فى الركب محرم
ففوق ذرى المتنين بردمهلل * وتحت رداء الخز وجه معلم

عقد فى الاول قول ابن الخطيم

ديار التى كنا ونحن على منى * تحوط بنا لولا نجاء الركائب

وعقد فى الثانى قول ابن أخى ربيعة

أماطت رداء الخز عن حر وجهها * وأرخت على المتنين بردا مهللا

وأورد له قوله

ان ادعى لك مروان الجلال فقل * لا يجهل المرء بين الناس رتبته
ان الجلالة حقا للقول له * هذا الذى تعرف البطحاء وطأته

وقوله

من منصفى ياقوم من ظبية * تسرف فى هجرى وتأبى الوصال
وكلما أسأل عن عذرها * تقول لى ما كل عذر يقال

وقوله

هم حسدوا الرسول فلم يجيبوا * وكم حسدوا فصار لهم فرار
وهاجر عندما هجروا فاضحى * لخيمة أم معبد الغفار

وقوله

بحسبك أن تبيت على رجاء * ولو خطبتك للياس الخطوب
ومهما أكربتك صروف دهر * فقل ما قاله الرجل الاريب
عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

وقوله

خليلى هذا قبر أشرف مرسل * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
رويدكما نبكى الذنوب التى خلت * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
منازل كانت للتصابى فاقفرت * لما نسجتها من جنوب وشمأل

قال ثم جرى على هذا النمط واستخرج الدرر النفيسة من ذلك السفط وقال قبله انه أخذ أعجاز هذه القصيدة من أولها الى آخرها على التوالى وصنع أصدورا وصرفها الى مدح النبى صلى الله عليه وسلم فجاء فى ذلك بما لم يسبق اليه ولم يقف أحد فى تلك المعانى على ما وقف عليه انتهى وقوله

كم ليال خلت بكم كاللآلى * نظمتها لنا يد الازمان

من أهل الملل ممن سلف وخلف كلام كثير فى تنقل الارواح قد أتينا على مبسوطه ذلك فى كتابنا المترجم بسر الحياة وكتاب الدعاوى وبالله التوفيق

(ذكر أقاويل العرب فى الغيلان والتغول وما لحق بهذا الباب)

للعرب فى الغيلان وتغولها أخبار ظريفة العرب يزعمون أن الغول يتغول لهم فى الخلوات ويظهر لخواصهم فى أنواع من الصور فيخاطبونها وربما ضيفوها وقد أكثروا من ذلك فى أشعارهم فمنها قول تأبط شرا

وأدهم قد جبت جلبابه * كما اجتابت الكاعب الخيعلا
فاصبحت والغول لى جارة * فياجارتى أنت ما أهولا
وطالبتها بضعها فالتوت * بوجه تغول فاستغولا
فمن كان يسأل عن جارتى * فان لها باللوى منزلا

ويزعمون أن رجليها رجلا عنز وكانوا اذا اعترضتهم الغول فى الفيافى يرتجزون ويقولون

يارجل عنز انهقى نهيقا * لن نترك السبيل والطريقا

وذلك أنها كانت تتراءى لهم فى الليالى وأوقات النهار فيتوهمون أنها انسان فيتبعونه فتزيلهم عن الطريق التى هم عليها وتتيههم وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه فلم

أيها النازحون عن رأى عينى * وهم فى جوانحى وجنانى
ماألذ الوصال بعد التنائى * وأمر الفراق بعد التدانى
قد وكلنا لمرب كريم * غيروان عن عبده فى أوان
مارحلنا عن اختيار ولكن * رحلتنا تلونات الزمان

وقوله

تشتكى الصفر من يديه وترضى السمر عن راحتيه عند الحروب
أحمر السيف أخضر السيب حيث الارض غبراء من سواد الخطوب

وقوله مما التزم فى أوله الدال

دفاع لمكروه أمان لخائف * سحاب لمستجد ملاك لمستعدى
دروب على الحسنى عفو لمن جنى * مثيب لمن أثنى مجيب لذى قصد
دع الغيث ان أعطى دع الليث ان سطا * دع الروض اذ أهدى دع البدر اذ يهدى

وقوله

غزالى ماتوسد ظل بان * بهاجرة ولاعرف الظلالا
تبسم لؤلؤا واهتز غصنا * وأعرض شادنا وبدا هلالا

وقوله

رفع الخصر فوق منصوب ردف * وبجزم القلوب ذرعيه جرا
مال غصنا دنا رشا فاح مسكا * باه درا أرخى دجى لاح بدرا

وقوله حين زار قبر قس بن ساعدة بجبل سمعان

هذى منازل ذى العلا * قس بن ساعدة الايادى
كم عاش فى الدنيا وكم * اسدى الينامن أيادى
قد زانها بحلى البلا * غة مفصحا فى كل نادى
قد قر فى بطن الثرى * متفردا بين العباد

قال أبو جعفر زرنا قبره فرأينا موضعا ترتاح اليه النفس و يلوح عليه الانس وعند قبره عين ماء يقال انه ليس بجبل سمعان عين تجرى غيرها هنالك وأورد له قوله

كرام نخام من ذؤابة هاشم * يقولون للاضياف أهلا ومرحبا
فيفعل فى فقر المقلين جودهم * كفعل على يوم حارب مرحبا

(رجع) الى أبى جعفر رحمه الله تعالى فنقول انه كان بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم سنة ٧٥٥ ولما ذكر الروضة قال قيل ولاتكون الروضة الابما سقتها أزال جنبها[٣] ولا يقال فى موضع الشجر روضة انتهى وقال

لقوامه الالف التى * جاءت بحسن ماألف
عانقته فكأننى * لام معانقة الالف

وقال رحمه الله تعالى معتذرا عمن لم يسلم

لاتعتبن على ترك السلام فقد * جاءتك أحرفه كتبا بلا فلم

يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد فاذا أصبح بها على ما وصفنا شردت عنهم فى بطون الاودية ورؤس الجبال (وقد ذكر جماعة) من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه شاهد ذلك فى بعض أسفاره الى الشام وان الغول كانت تغول له وانه ضربها بسيفه وذلك قبل ظهور الاسلام وهذا مشهور عندهم فى أخبارهم (وقد حكى) عن بعض المتفلسفين أن الغول حيوان شاذ من جنس الحيوان لم تحكمه الطبيعة وانه لما خرج منفردا فى نفسه وهيئته توحش من مسكنه فطلب القفار وهو يناسب الانسان والحيوان البهيمى فى الشكل وقد ذهبت طوائف من الهند الى أن ذلك انما يظهر من فعل ماكان غائبا من الكواكب عند طلوعها مثل طلوع الكوكب المعروف بكلب الجبار وهى الشعرى العبور وأن ذلك يحدث داء فى الكلاب وسهيل فى الجمل والذئب فى الدب وحامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل وأشخاص تظهر فى الصحارى وغيرها من العالم فتسميه عوام الناس غولا وهى ثمانية وأربعون كوكبا وقد

[٣] قوله الابما سقتها الخ كذا فى نسخة المؤلف رحمه الله تعالى انتهى من هامش

فالسين من طرّتى واللام مع ألف * من عارضى وهذا الميم ميم فى

وقال رحمه الله تعالى

لا يقنطنك ذنب * قد كان منك عظيم
فالله قد قال قولا * وهو الجواد الكريم
نبئ عبادى أنى * أنا الغفور الرحيم

وقال

اذا ظلم المرء فاصبر له * فبالقرب يقطع منه الوتين
فقد قال ربك وهو القوى * وأملى لهم ان كيدى متين

ومن نثره لما ذكر قصيدة كعب بن زهير رضى الله تعالى عنه مانصه وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ والحكم الذى لم يوجد له ناسخ أنشدها كعب فى مسجد المصطفى بحضرته وحضرة أصحابه وتوسل بها فوصل الى العفو عن عقابه فسدّ صلى الله عليه وسلم خلته وخلع عليه حلته وكف عنه كف من أراده وأبلغه فى نفسه وأهله مراده وذلك بعد اهدار دمه وماسبق من هذر كله فمحت حسناتها تلك الذنوب وسترت محاسنها وجه تلك العيوب ولولاها لمنع المدح والغزل وقطع من أخذ الجوائز على الشعر الامل فهى حجة الشعراء فيما سلكوه وملاك أمرهم فيما ملكوه حدثنى بعض شيوخنا بالاسكندرية باسناده ان بعض العلماء كان لا يستفتح مجلسه الا بقصيدة كعب فقيل له فى ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله قصيدة كعب أنشدها بين يديك فقال نعم وأنا أحبها وأحب من يحبها قال فعاهدت الله ان لا أخلو من قراءتها كل يوم قلت ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت الى الآن ينسجون على منوالها ويقتدون باقوالها تبركا بمن أنشدت بين يديه ونسب مدحها اليه ولما صنع القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر قصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم على وزن بانت سعاد قال

لقد قال كعب فى النبى قصيدة * وقلنا عسى فى مدحه نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك

انتهى

وقال رحمه الله تعالى

لقد كر العذار بوجنتيه * كما كر الظلام على النهار
فغابت شمس وجنته وجاءت * على مهل عشيات العذار
فقلت لناظرى لما رآها * وقد خلط السواد بالاحمرار
تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

وقال

قالوا عشقت وقد أضر بك الهوى * فاجبتهم ياليتنى لم أعشق
قالوا سبقت الى محبة حسنه * فاجبتهم مافاز من لم يسبق

ولما أنشدنا رحمه الله تعالى قول ابن الخشاب فى المستضىء بالله

ورد الورى سلسال جودك فارتووا * ووقفت دون الورد وقفة حائم

فى النجوم وذكر كيفية صورة كل كوكب عند ظهوره فى أنواع مختلفة (وزعمت طائفة) من الناس أن الغول شئ يعرض للسفار ويتمثل فى ضروب من الصور ذكرا كان أو أنثى لا أن أكثر كلامهم على انه أنثى وقد قال أبو المطراب وحالفنى الوحوش على الوفاء

وتحت عهودهن وبالبعاد
وغولا قفرة ذكرا وأنثى
كأن عليهما قطع النجاد

وقال آخر وهو كعب بن زهير الصحابى

فما تدوم على حال تكون بها
كما تلوّن فى أثوابها الغول

وقد قدمنا ذكر ذلك فيما سلف من هذا الكتاب فى هذا المعنى وأن كل كوكب يظهر فى صورة مخالفة لما تقدمه من الصور يحدث فى هذا العالم نوعا من الافعال ينفرد بفعله عن غيره من الكواكب (وكانت العرب) قبل الاسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخيل واختلال السابلة قال أبو المطراب

لله در الغول أى رفيقة * لصاحب قفر خائف وهو معبر
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت * حوالى نيرانا تلوح وتزهر

ظمآن أطلب خفة من زحمة * والورد لا يزداد غير تزاحم

قال ما نصه فانظر حسن هذين البيتين كيف جريا كالماء في سلاسته ووقعا من القلوب كالشهد في حلاوته مع أن ناظمهما ما خرج عن وصف الماء كلامه ولا تعدى ذلك المعنى نظامه حتى قيل ان فيهما عشرة مواضع من مراعاة النظير فهما في الحسن ما لهما من نظير لكنه ما سلم مليح من عيب ولا خلا من وقوع ريب فمع هذه المحاسن الوافية ما سلما من عيب القافية انتهى ولنختم ترجمته بقوله عند شرح بيت رفيقه

خير الليالي ليالي الخير في اضم * والقوم قد بلغوا اقصى مرادهم

ما نصه يقول ان خير الليالي التي تنشرح لها الصدور ويحمد فيها الورود والصدور ليالي الخير في اضم حيث النزيل لم يضم والقوم قد وردوا موارد الكرم وبلغوا اقصى مرادهم في ذلك الحرم *(ومن الراحلين الولي الصالح ابو مروان عبد الملك بن ابراهيم بن بشر القيسي) وهو ابن اخت ابن صاحب الصلاة البجانسي نسبة الى بجانس قرية من قرى وادي آش وكان رحمه الله تعالى اواسط المائة السابعة وقد ذكره الفقيه ابو العباس احمد بن ابراهيم بن يحيي الازدي القشتالي في تاليفه الذي سماه تحفة المغرب ببلاد المغرب وقال فيه راضوا نفوسهم لانقياد للولي سرا وعلنا وزهدوا في الدنيا فلم يقولوا معنا ولا لنا وانتدبوا لقول الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صاحب التاليف المذكور سالت الشيخ أبا مروان يوما في مسيري معه من وادي آش الى بلده بجانس سنة تسع وأربعين وستمائة فقلت له أنت ياسيدي لم تكن قرأت ولا لازمت المشايخ قبل سفرك للشرق ولا سافرت مع عالم تقتدي ببركته في هذا الطريق فقال لي أقام الله تعالى من باطني شيئا قلت له كيف قال كنت اذا عرض لي أمر نظرت في خاطري فيخطر لي خاطران في ذلك أحدهما محمود والآخر مذموم فكنت اجتنب المذموم وارتكب المحمود فاذا وصلت الى اقرب بلد سالت عمن فيه من المشايخ والعلماء فاساله عن ذلك فكان يذكر لي المحمود محمودا والمذموم مذموما فاحمد الله تعالى ان وفقني ومع تتابع ذلك واتصاله دون مخالفة لم اعتمد على ما يقع بخاطري من الامور الشرعية الى الآن حتى اسال عنه من حضر من العلماء انتهى ومن كلام صاحب التاليف المذكور قوله في حق الصوفية نفعنا الله تعالى بهم جواطر بتق الحق فحماهم ونور بصائرهم فاصمهم عن الباطل واعماهم واهانوا في رضاه نفوسهم ورفضوا نعماهم فاعلى قدرهم عنده وعند الناس واسماهم انتهى وما احسن قوله في التاليف المذكور ياهذا من حافظ حوفظ عليه ومن طلب الخير بصدق وصل اليه ومن اخلص العبودية لربه قام الاحرار خدمة بين يديه انتهى *(ومنهم الطبيب الماهر الشهير ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن احمد بن البيطار المالقي) نزيل القاهرة وهو الذي عناه ابن سعيد في كتابه المغرب بقوله وقد جمع ابو محمد المالقي الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا في هذا الشان حشر فيه ما سمع به فقدر عليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقي وكتاب الزهراوي وكتاب الشريف الادريسي الصقلي وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية في مقصده انتهى وقد كرت كلام ابن سعيد هذا بجملته في غير هذا الموضع

وقد فرقوا بين السعلاة والغول قال عبيد

وساحرة مني ولو أن عينها * رأت ما رأت عيني من الهول جنت

أبيت بسعلاة وغول بقفرة * اذا الليل وارى الجن فيه أرنت

(وقد وصفها بعضهم فقال)

وحافر العنز في ساق مدملجة * وجفن عين خلاف الانس بالطول

(وللناس) كلام كثير في الغيلان والشياطين والمردة والجن والقرب والقدار وهو نوع من الانواع المشيطنة يعرف بهذا الاسم يظهر في اكناف اليمن والتهائم وأعالي صعيد مصر وانه ربما يلحق الانسان فينكحه فيتدود دبره فيموت وربما يتوارى للانسان فيذعره فاذا اصاب الانسان ذلك منه يقول له اهل تلك النواحي التي سمينا امنكوح هو أم مذعور فان قالوا امنكوح يئس منه وان كان مذعورا أسكن روعه وشجع مما ناله وذلك ان الانسان اذا عاين ذلك سقط مغشيا عليه ومنهم من يظهر له ذلك فلا يكترث به لشهامة قلبه وشجاعة نفسه وما ذكرنا مشهور في البلاد التي سمينا ويمكن جمع ما قلنا مما حكيناه مما ذكرنا من هذه البقاع التي يكون فيها ضروب من السوانح الفاسدة والخواطر الرديئة اوغير ذلك من الآفات فليراجع

فليراجع وكان ابن البيطار اوحد زمانه فى معرفة النباتات سافر الى بلاد الاغارقة واقصى بلاد الروم والمغرب واجتمع بجماعة كثيرة من الذين يعانون هذا الفن وعاين منابته وتحققها وعاد بعد أسفاره وخدم الكامل بن العادل وكان يعتمد عليه فى الادوية والحشائش وجعله فى الديار المصرية رئيسا على سائر العشابين وأصحاب البسطات ومن بعده خدم ولده الصالح وكان حظيا عنده الى أن توفى بشعبان سنة ٦٤٦ التى توفى بها ابن الحاجب وله من المصنفات كتاب الجامع فى الادوية المفردة وكتاب المغنى أيضا فى الادوية وكتاب الابانة والاعلام بما فى المنهاج من الخلل والاوهام وكتاب الافعال العجيبة والخواص الغريبة وشرح كتاب ديسقوريدوس قال الذهبى انتهت اليه معرفة تحقيق النبات وصفاته وأماكنه ومنافعه وتوفى بدمشق انتهى * (ومنهم الشيخ أبو الحسن على ابن محمد بن محمد بن على القرشى البسطى) الشهير بالقلصادى بفتحات كما قال السخاوى الصالح الرحلة المؤلف الفرضى آخر من له التآليف الكثيرة من أئمة الاندلس وأكثر تصانيفه فى الحساب والفرائض كشرحيه العجيبين على تلخيص ابن البناء والحوفى وكفاه فخرا أن الامام السنوسى صاحب العقائد أخذ عنه جملة من الفرائض والحساب وأجازه جميع مروياته وأصله من بسطة ثم انتقل الى غرناطة فاستوطنها وأخذ بها عن جماعة كابن فتوح والسرقسطى وغيرهما ثم ارتحل الى المشرق ومر بتلمسان فاخذ بها عن الامام عالم الدنيا ابن مرزوق والقاضى أبى الفضل قاسم العقبانى وأبى العباس بن زاغ وغيرهم ثم ارتحل فلقى بتونس تلامذة ابن عرفة كابن عقاب والقلشانى وحلولو وغيرهم ثم حج ولقى أعلاما وعاد فاستوطن غرناطة الى أن حل بوطنه ما حل فتحيل فى خلاصه من الشرك وارتحل ومر بتلمسان فنزل بها على الكفيف ابن مرزوق ابن شيخه ثم جدت به الرحلة الى أن وافته منيته بباجة افريقية منتصف ذى الحجة سنة ٨٩١ وكان كثير المواظبة على الدرس والكتابة والتآليف ومن تآليفه أشرف المسالك الى مذهب مالك وشرح مختصر خليل وشرح الرسالة وشرح التلقين وهداية الانام فى شرح مختصر قواعد الاسلام وهو شرح مفيد وشرح رجز القرطبى وتنبيه الانسان الى علم الميزان والمدخل الضرورى وشرح ايساغوجى فى المنطق وله شرح الانوار السنية لابن جزى وشرح رجز الشراز فى الفرائض الذى أوله

بحمد خير الوارثين أبتدى * وبالسراج النبوى أهتدى

وشرح حكم ابن عطاء الله ورجز أبى عمرو بن منظور فى أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وشرح البردة ورجز ابن برى ورجز شيخه أبى اسحق بن فتوح فى النجوم الذى أوله

سبحان رافع السماء سقفا * ناصبها دلالة لاتخفى

وشرح رجز ابن مقرعة وله النصيحة فى السياسة العامة والخاصة وهداية النظار فى تحفة الاحكام والاسرار وكشف الجلباب عن علم الحساب وكشف الاسرار عن علم الغبار والتبصرة وقانون الحساب فى قدر التلخيص وشرحه وشرحان على التلخيص كبير وصغير وشرح ابن الياسمين فى الجبر والمقابلة ومختصره وكليات الفرائض وشرحها وشرحان

والادواء المعترضة بجنس الحيوان من الناطقين والله اعلم بكيفية ذلك

ولم نذكر فى هذا الكتاب ماذكره اهل الشرائع وما ذكره اهل التواريخ والمصنفون لكتب البدو كوهب بن منبه وابن اسحق وغيرهما ان الله تعالى خلق الجان من نار السموم وخلق منه زوجته كما خلق حواء من آدم وان الجان غشيها فحملت منه وانها باضت احدى وثلاثين بيضة وان بيضة تفلقت من تلك البيض عن قطربة وهى ام القطارب وان القطربة على صورة الهرة وان الابالس من بيضة اخرى منهم الحرث ابو مرة وان مسكنهم الجزائر وان الغيلان من بيضة اخرى مسكنهم الخرابات والفلوات وان السعالى من بيضة اخرى سكنوا الحمامات والمزابل وان الهوام من بيضة أخرى سكنوا الهواء فى صورة الحيات ذوات اجنحة يطيرون هنالك وان من بيضة اخرى الجماميص لانا قد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا واتينا على ذكر انسابهم والمشهور من اسمائهم ومساكنهم من الارض والبحار وان كان ماذكره اهل الشرع مما وصفنا ممكنا غير ممتنع ولا واجب وان كان اهل النظر والبحث والمستعملون لقضية العقل والفحص

للتلمسانيـة كبير وصغير وشرح فرائض صالح بن شريف وابن الشاط وفرائض مختصر خليل والتلقين وابن الحاجب وله كتاب الغنية فى الفرائض وغنية النجاة وشرحاها الكبير والصغير وتقريب المواريث ومنتهى العقول البواحث وشرح مختصر العقبانى ولم يتم ومدخل الطالبين ومختصر مفيد فى النحو وشرح رجز ابن مالك والجرّومية وجمل الزجاجى وملحة الحريرى والخزرجية ومختصر فى العروض وغير ذلك وأخذ عصره عن الحافظ ابن حجر والزين طاهر النويرى وأبى القاسم النويرى والعلامة الجلال المحلى والتقى الشمنى وأبى الفتح المراغى وغيرهم حسبما ذكر ذلك فى رحلته الشهيرة وهى حاوية لشيوخه بالمغرب والمشرق وجملة من احوالهم رحمهم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو عبد الله الراعى وهو شمس الدين محمد بن اسمعيل الاندلسى الغرناطى) ولد بها سنة ٧٨٢ تقريبا ونشأ بها وأخذ الفقه والاصول والعربية عن جماعة منهم أبو جعفر أحمد بن ادريس بن سعيد الاندلسى وسمع على أبى بكر عبد الله بن محمد بن محمد المعافرى ابن الدب ويعرف بابن أبى عامر والخطيب أبى عبد الله محمد بن على بن الحفار ومحمد بن عبد الملك ابن على القيسى المنتورى صاحب الفهرسة الكبيرة الشهيرة ومما أخذ عنه الجرومية باخذه لها عن الخطيب أبى جعفر احمد بن محمد بن سالم الجذامى عن القاضى أبى عبد الله محمد ابن ابراهيم الحضرمى عن مؤلفها أبى عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجى عرف بابن آجروم وجميع خلاصة الباحثين فى حصر حال الوارثين للقاضى أبى بكر بن عبد الله بن يحيى ابن زكريا الانصارى باخذه لها عن مؤلفها واجازله ابو الحسن على بن عبد الله بن الحسن الجذامى والقاضى أبو الفضل قاسم بن سعيد العقبانى والعلامة أبو الفضل محمد بن ابراهيم ابن عبد الرحمن ابن الامام وعالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمسانى وغيرهم من المغاربة ومن أشياخه من أهل المشرق الكمال بن خير السكندرى والزين أبو بكر المراغى والزين محمد الطبرى وأبو اسحق ابراهيم بن العفيف النابلسى فى آخرين ودخل القاهرة سنة ٨٢٥ فحج واستوطنها وسمع بها من الشهاب المتبولى وابن الجزرى والحافظ ابن حجر وطائفة وأم بالمؤيدية وقتا وتصدى للاشتغال فانتفع به الناس طبقة بعد أخرى لاسيما فى العربية بل هى كانت فنه الذى اشتهر به وبجودة الارشاد لها وشرح كلا من الجرّومية والالفية والقواعد وغيرها مما حمله عنه الفضلاء وله نظم وسط قال السخاوى كتبت عنه منه الكثير ومما أسمعه منه ما أودعه فى مقدّمة كتاب صنفه فى نصرة مذهبه وأثبته دفعا لشئ نسب اليه فقال

عليك بتقوى الله ماشئت واتبع * أئمة دين الحق تهدى وتسعد
فمالكهم والشافعى وأحمد * ونعمانهم كل الى الخير يرشد
فتابع لمن أحببت منهم ولاتمل * لذى الجهل والتعصيب ان شئت تحمد
فكل سواء فى وجيبة الاقتدا * متابعهم جنات عدن يخلد
وحبهم دين يزين وبغضهم * خروج عن الاسلام والحق يبعد
فلعنة رب العرش والخلق كلهم * على من قلاهم والتعصب يقصد

وغيرهم اذ الواجب على كل ذى تصنيف ان يورد جميع ماقاله اهل الفرق فى معنى ماذكرناه واتينا ايضا على سائر ما خبرنا من الاشخاص التى هى مرئية من الجن والشياطين وما قالوه فى سلوك الجن فى كتابنا المترجم بكتاب المقالات فى اصول الديانات وبالله التوفيق

(ذكر قول العرب فى الهواتف والجان)

فاما الهواتف فقد كثرت فى العرب واتصلت بديارهم وكان أكثرها أيام مولد النبى صلى الله عليه وسلم وفى أوّلية مبعثه ومن حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى (قال المسعودى) وقد تنازع الناس فى الهواتف والجان فذكر فريق منهم وقال ان ماتذكره العرب وتنبئ به من ذلك انما يعرض لها من قبل التوحد فى القفار والتفرد فى الاودية والسلوك فى المهامه والمروراة الموحشة لان الانسان اذا صار فى مثل هذه الاماكن يوجد له تفكر ووجل وجبن واذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة والاوهام المؤذية والسوداوية الفاسدة فصورت له الاصوات ومثلت له الاشخاص واوهمته المحال

وكان

وكان حاد اللسان والخلق شديد النفرة من الشيخ يحيى العجيسى أضر بآخرة ومات بسكنه بالصالحية يوم الثلاثاء ٢٧ ذى الحجة سنة ٨٥٣ بعد أن أنشد قبيل موته بشهر فى حال صحته الشيخ جمال الدين بن الامانة من نظمه قوله

أفكر فى موتى وبعد فضيحتى * فيحزن قلبى من عظيم خطيئتى
وتبكى دماعينى وحق لها البكى * على سوء أفعالى وقلة حيلتى
وقد ذابت اكبادى عناء وحسرة * على بعد أوطانى وفقد أحبتى
فمالى الا الله ارجوه دائما * ولاسيما عند اقتراب منيتى
فنسأل ربى فى وفاتى مؤمنا * بجاه رسول الله خير البرية

قال السخاوى ومما كتبته عنه

ألفيته حول المعلم باكيا * ودموعه قد صاغها من كوثر
نثر الدموع على الخدود فخلتها * درا تناثر فى عقيق أحمر

وقوله

عليك بنعمة رب العلا * وراعى الملوك راعى الذمم
وذو العلم فارع له حقه * والاتقا رق وتلق الندم
فهذا مقالى فلتسمعوا * نصيحة حبر من اهل الحكم
اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى تزيل النعم

وقال

للغرب فضل شائع لايجهل * ولاهله شرف ودين يكمل
ظهرت به أعلام حق حققت * ماقاله خير الانام المرسل
من انهم حتى القيامة لن يزا * لوا ظاهرين على الهدى لن يخذلوا

وممن حدث عنه الراعى الحافظ ابن فهد والبرهان البقاعى ومن تآليفه شرح القواعد وكتاب انتصار الفقير السالك لمذهب الامام الكبير مالك فى كراريس أربعة حسن فى موضوعه وله النوازل النحوية فى عشرة كراريس أو أكثر وفيها فوائد حسنة وابحاث رائقة تكلم معه فى بعضها أبو عبد الله بن العباس التلمسانى وذكر بعضهم انه اختصر شرح شيخه ابن مرزوق على مختصر الشيخ خليل من باب القضاء الى آخر الكتاب انتهى وجرت له فى صغره حكاية دلت على نبله وهى انه دخل على الطلبة رجل وهم بجامع غرناطة فسالهم عمن كان وراء امام فحدث للامام عذر ذهب لاجله مثل الرعاف مثلا فصلوا بعض الصلاة لانفسهم ثم اقتدوا بامام منهم قدموه فيما بقى فهل تصح صلاتهم ام لا فلم يكن عند أحد من الحاضرين فيها علم فقال هو ان الصلاة باطلة لان النحاة يقولون الاتباع بعد القطع لايجوز وقد حكى ذلك فى شرحه للاجرومية الذى سماه بعنوان الافادة فى باب النعت اذ قال مانصه كنت جالسا بمسجد قسارية غرناطة أنتظر سيدنا وشيخنا أبا الحسن على بن سمعت رحمه الله تعالى مع جماعة من كبار طلبته وكنت اذذاك من أصغرهم سنا وأقلهم علما فدخل سائل سأل عن مسئلة فقهية نصها ان اماما صلى بجماعة جزأ من صلاة ثم غلب عليه

على غير نظام قوى او طريق مستقيم سليم لان المتفرد فى القفار والمتوحد فى المروراة مستشعر للمخاوف متوهم للتالف متوقع للحتوف لقوة الظنون الفاسدة على فكره وانغراسها فى نفسه فتوهم مايحكيه من هتف الهواتف به واعتراض الجان له وقد كانت العرب قبل ظهور الاسلام تقول ان من الجن من هو على صورة نصف الانسان وانه كان يظهر لها فى اسفارها فى حين خلواتها وتسميه شقا (وذكر) عن علقمة بن صفوان بن امية ابن محدث الكنانى جد مروان بن الحكم لامه انه خرج فى بعض الليالى يريد مالا له بمكة فانتهى الى الموضع المعروف بحط عريان فاذا هو بشق قد ظهر له فى اوصاف ذكرها فقال

علقم انى مقتول
وان لحمى ما كول
اضربهم بالمذلول
ضرب غلام مشمول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة

شق مالى ولك
اغمد عنى منصلك
تقتل من لا يقتلك

فضرب كل منهما صاحبه فخرا ميتين وهذا مشهور عندهم وان علقمة بن صفوان قتلته الجن (وذكروا) عن الجن

الحدث فخرج ولم يستخلف لهم فقام كل واحد من الجماعة وصلى وحده جزأ من الصلاة ثم بعد ذلك استخلفوا من أتم بهم الصلاة فهل تصح تلك الصلاة أم لا فلم يكن فيها عند الحاضرين جواب فقلت أنا أجاوب فيها بجواب نحوى فقال هات الجواب فقلت هذا اتباع بعد القطع وهو ممتنع عند النحويين فصلاة هؤلاء باطلة فاستظرفها منى من حضر لصغر سنى ثم طلبنا النص فيها فلم نلقه فى ذلك التاريخ ولو لقيناه لكان الجواب حسنا انتهى ومن ألغازه قوله

حاجيتكم نحاتنا المصريه * أولى الذكا والعلم والطعميه

ما كلمات أربع نحويه * جمعن فى حرفين للاحجيه

يعنى فعل الامر للواحد من وأى يئى اذا أضمر فاعله تقول فيه ايا ز يدعلى حرف واحد وهو الهمزة المقطوعة فاذا قلت قل او نقلت حركته على لغة النقل الى الساكن صار هكذا قل فذهب فعل الامر وفاعله فهى كلمات أربع فعلا أمر وفاعلاهما جمعن فى حرفين القاف واللام فافهم وأحسن من هذا قوله ملغزا فى ذلك أيضا

فى أى لفظ يانحاة الملة * حركة قامت مقام الجملة

وبالجملة فمحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى ورضى عنه ومن فوائده قوله حكى لى بعض علماء المالكية قال كنا نقرأ المدونة على الشيخ سراج الدين البلقينى الشافعى فوقعت مسئلة خلافية بين مالك والشافعى فقال الشيخ فى مسئلة مذهبنا كذا فى مسئلة لم يقل فيها الشافعى بما قال وانما نسبها البلقينى لنفسه ثم فطن وخاف أن ينتقد عليه المالكية ويقولون له أنت شافعى وهذا ليس مذهب الشافعى فقال فان قلتم يامالكية انما المالكية وانما أنتم شافعية قلنا كذلك أنتم قاسمية وقد اجتمعنا الكل فى مالك قال وهذا الكلام حلو حسن فى غاية الانصاف من الشيخ قال ولما قرئ عليه كتاب الشفاء مدحه وأثنى عليه الى الغاية وكان يحضره جماعة من المالكية فقال القاضى جمال الدين ابنه مالكم يامالكية لاتكونون مثل القاضى عياض فقال له أبوه الشيخ سراج الدين المذكور ومالك لاتقول للشافعية مالكم ياشافعية لاتكونون مثل القاضى عياض ومن فوائد الراعى فى باب العلم من شرحه على الالفية فى الكلب عشر خصال محمودة ينبغى أن تكون فى كل فقير لايزال جائعا وهو من دأب الصالحين ولايكون له موضع يعرف به وذلك من علامة المتوكلين ولاينام من الليل الا القليل وذلك من صفات المحبين واذامات لايكون له ميراث وذلك من أخلاق الزاهدين ولايهجر صاحبه وان جفاه وطرده وذلك من شيم المريدين ويرضى من الدنيا بادنى يسير وذلك من اشارة القانعين واذاغلب عن مكانه تركه وانصرف الى غيره وذلك من علامة المتواضعين واذاضرب وطرد ثم دعى أجاب وذلك من أخلاق الخاشعين واذاحضر شئ من الاكل وقف ينظر من بعد وذلك من أخلاق المساكين واذا رحل لم يرحل معه بشئ وذلك من علامة المتجردين انتهى بمعناه وقد نسبه للحسن البصرى رحمه الله تعالى ورضى عنه ومن تصانيفه رحمه الله تعالى كتاب الفتح المنير فى بعض مايحتاج اليه الفقير فى غاية الافادة ملكته ولم أره بهذه البلاد المشرقية وحفظت منه فوائد جمة * (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق بعد أخذ جميع بلاد الاندلس) أعادها الله تعالى

بيتين من الشعر قالتهما فى حرب بن امية حين قتلته الجن وهما

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

واستدلوا على ان هذا من قول الجن بان احدا من الناس لم يتأت له ان ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لايتتعتع فى انشادها الان الناس قد ينشدون العشرين بيتا والاكثر والاقل اشد من هذا الشعر واثقل منه ولا يتتعتعون فيه (وممن قتلته) الجن مرداس السلمى وهو ابو عباس ابن مرداس السلمى ومنهم القريض المغنى بعد أن ظهر غناؤه وقد كانت الجن نهته ان يغنى بابيات من الشعر فغناها فقتلته (وحدث) يحيى بن عتاب عن على بن حرب عن ابى عبيدة معمر بن المثنى عن منصور بن زيد الطائى قال رأيت قبر حاتم طيئ ببيعة وهو اعلى جبل له واد يقال له الحامل واذا قدر عظيمة من بقايا قدوره مكفأة ناحية من القبر من القدور التى كان يطعم فيها الناس وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة وعلى يساره اربع جوار من حجارة كلهن صاحبة شعر منشور محتجرات على قبره كالنائحات عليه لم ير مثل بياض اجسامهن وجمال وجوههن مثلهن الجن على قبره ولم يكن قبل ذلك

قاضى الجماعة بغرناطة أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن الازرق قال السخاوى انه لازم الاستاذ ابراهيم بن أحمد بن فتوح مفتى غرناطة فى النحو والاصلين والمنطق بحيث كان جل انتفاعه به وحضر مجالس أبى عبد الله محمد بن محمد السرقسطى العالم الزاهد مفتيها أيضا فى الفقه ومجالس الخطيب أبى الفرج عبد الله بن أحمد البقنى والشهاب قاضى الجماعة بغرناطة ابى العباس احمد بن ابى يحيى بن شرف التلمسانى انتهى وله رحمه الله تعالى تآليف منها بدائع السلك فى طبائع الملك كتاب حسن مفيد فى موضوعه لخص فيه كلام ابن خلدون فى مقدمة تاريخه وغيره مع زوائد كثيرة ومنها روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام مجلد ضخم فيه فوائد وحكايات لم يؤلف فى فنه مثله وقفت عليه بتلمسان وحفظت منه ما انشده لبعض اهل عصره مما يكتب فى سيف

ان عمت الافق من نقع الوغى سحب * فشم بها بارقا من لمع ايماضى
وان نوت حركات النصر أرض عدا * فليس للفتح الا فعلى الماضى

ومن انشائه فى التأليف المذكور ما صورته قلت ولقد كان شيخنا العلامة أبو اسحق ابراهيم ابن أحمد بن فتوح قدس الله تعالى روحه يفسح لصاحب البحث مجالا رحبا ويوسع المراجع له قبولا ورحبا بل يطالب بذلك ويقتضيه ويختار طريق التعليم به ويرتضيه توقيفا على ما خلص له تحقيقه ووضح له فى معيار الاختيار تدقيقه والا فقد كان ما يلقيه غاية ما يتحصل ويتمهد به مختار ما يحفظ ويتحصل انتهى وهو يدل على ملكته فى الانشاء ويحقق ما يحصله الا أن ذلك اذا طال حتى وقع الملل والضجر أو كاد فينبغى الامساك عن البحث لئلا يفضى الحال الى ما ينهى عنه قال ومخالفة التلميذ الشيخ فى بعض المسائل اذا كان لها وجه وعليها دليل قائم يقبله غير الشيخ من العلماء ليس من سوء أدب التلميذ مع الشيخ ولكن مع ملازمة التوقير الدائم والاجلال الملائم فقد خالف ابن عباس عمر وعليا وزيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهم وقد كان أخذ عنهم وخالف كثير من التابعين بعض الصحابة وانما أخذوا العلم عنهم وخالف مالك كثيرا من أشياخه وخالف الشافعى وابن القاسم وأشهب مالكا فى كثير من المسائل وكان مالك أكبر أساتيذ الشافعى وقال لا أحد أمن على من مالك وكاد كل من أخذ العلم أن يخالفه بعض تلامذته فى عدة مسائل ولم يزل ذلك دأب التلاميذ مع الاساتيذ الى زماننا هذا قال وشاهدنا ذلك فى أشياخنا مع أشياخهم رحمهم الله تعالى قال ولا ينبغى للشيخ أن يتبرم من هذه المخالفة اذا كانت على الوجه الذى وصفناه والله تعالى أعلم انتهى ولما أنشد ابن الازرق المذكور فى كتابه روضة الاعلام قول القائل فى مدح ابن عصفور

نقل النحو الينا الدؤلى * عن أمير المؤمنين البطل
بدأ النحو على وكذا * ختم النحو ابن عصفور على

قال بعده ما نصه على أن صاحبنا الكاتب الاديب الابرع أبا عبد الله محمد بن الازرق الوادى آشى رحمه الله تعالى قد قال فيما يدافع ابن عصفور عما اقتضاه هذا المدح له بتفضيل الاستاذ المحقق أبى الحسن بن الضائع عليه ولقد أبدع فى ذلك ما شاء لما تضمن من التورية

بضائعك ابن الضائع الندب قد أتت * بحظ من التحقيق والعلم موفور

والجوارى بالنهار كما وصفنا فاذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحة عليه ونحن فى منازلنا نسمع ذلك الى أن يطلع الفجر سكتن وهدأن وربما مر المار فيراهن فيفتتن بهن فيميل اليهن عجبا بهن فاذا دنا منهن وجدهن حجارة (وحدث) يحيى بن عتاب الجوهرى قال حدثنا على قال أنبأنى عبد الرحمن بن يحيى المنذرى عن أبى المنذر هشام الكلبى قال حدثنا أبو مسكين بن جعفر بن محرز بن الوليد عن أبيه وكان مولى لابى هريرة يحدث قال كان رجل يكنى أبا البخترى مر فى نفر من قومه بقبر حاتم طيئ فنزلوا قريبا منه فبات أبو البخترى يناديه يا أبا الجعد اقرنا فقال قومه له مهلا ما تكلم من رمة بالية قال ان طيئا تزعم أنه لم ينزل به أحد قط الا قراه وناموا فانتبه صائحا وا راحلتاه فقال له أصحابه ما بدا لك قال خرج حاتم من قبره بالسيف وأنا أنظر حتى عقر ناقتى قالوا له كذبت ثم نظروا الى ناقته بين نوقهم منجدلة لا تنبعث فقالوا له والله قراك فظلوا يأكلون من لحمها شواء وطبيخا حتى أصبحوا ثم أردفوه وانطلقوا سائرين فاذا راكب بعير يقود آخر قد لحقهم فقال أيكم أبو البخترى فقال أبو البخترى أنا ذلك قال أنا عدى بن حاتم وان حاتما جاءنى الليلة فى النوم

فطـرت عقـابا كاسرا أوماترى * مطارك قدأعيا جناح ابن عصفور

انتهـى وقدنقل عن ابن الازرق صاحب المعيار فى جامعه وأثنى عليه غيرواحد ومن أعظم تآليفه شرحه الحافل على مختصر خليل المسمى بشفاء الغليل فى شرح مختصر خليل وقد توارد معه الشيخ ابن غازى على هـذه التسمية وكان مولانا العم الامام شيخ الاسـلام سيدى سعيد بن أحمد المقرى رضى الله تعالى عنه قال لى حين سألته عن هذا التوارد لعل تسمية ابن الازرق شـفاء العليل بالعين قلت بعـد ذلك أن جماعة من تلامذته الاكابر كالوادى آشى وغيره كتبوه بخطوطهم بالغين فبـان انه من توارد الخواطر وأن كلا منهما لم يقف على تسمية الآخر والله تعالى أعلم وقد رأيت جملة من هذا الشرح بتلمسان وذلك نحو ثلاث مجلدات ولا أدرى هل أكمله أم لا لان تقـديره بحسب ما رأيت يكون عشرين مجلدا اذ المجلد الاول ما أتم مسائل الصلاة ورأيت الخطبة وحدها فى أكثر من كراسة أبان فيها عن علوم ولم أر فى شروح خليل مع كثرتها مثله ودخل تلمسان لما استولى العدو على بلاد الاندلس ثم ارتحل الى المشرق فدخل مصر واستنهض عزائم السلطان قايتباى لاسترجاع الاندلس فـكان كمن يطلب بيض الانوق أو الابيض العقوق ثم حج ورجع الى مصر فجـدد الكلام فى غرضـه فدافعوه عن مصر بقضاء القضاة فى بيت المقـدس فتولاه بنزاهة وصـيانة وطهارة ولم تطل مدته هنالك حتى توفى به بعد سنة خمس وتسعين وثمـانمائة حسبما ذكره صاحب الانس الجليل فى تاريخ القـدس والخليل فليراجع فانه طال عهـدى به ومن بارع نظـمه رحمه الله تعالى قوله فى المحبيات

ورب محبوبة تبـدّت * كانها الشمس فى حلاها
فاعجب لحال الانام من قد * أحبها منهـم قـلاها

ومنه قوله رحمه الله تعالى

عذرى فى هذا الدخان الذى * جاوردارى واضح فى البيان
قـد قلتم ان بهـا زخرفا * ولا لى الزخرف الا الدخان

وقوله

تأملت من حسن الربيـع نضارة * وقدغردت فوق الغصون البلابل
حكت فى غصون الدوح قسا فصاحة * لتعـلم أن النبت فى الروض باقل

وقوله

وقائلة صف للربيـع محاسـنا * فقلت وعنـدى للكلام بدار
همى بيطاح الارض صوب من الحيا * فللنبت فى وجـه الزمان عـذار

وقوله

تعجبت من يانع الوردفى * سنى وجنـة نبتهـا بارض
ولم لايرى وردهـا يانعـا * وقدسال من فوقها العارض

وقوله رحمه الله تعالى عندوفاة والدته

تقول لى ودموع العـين واكفة * ما أفظع البـين والترحال ياولدى

فقلت

ونحـن نزول وراء هـذا الجبل فذكر شتمك اياه وانه قرا أصحابك براحلتك وأنشد

أبا البخترى لأنت امرؤ
ظلوم العشيرة شتامها
أتيت بحبك تبغى القرى
لدى حفرة صدحت هامها
أتبغى لدى الرم عند المبيت
وحولك طى وانعامها
فانا سنشبع أضيافنا
ونأتى المطى فنعتامها

وقد أمرنى أن احملك على بعير مكان راحلتك فدونكه وقد ذكر هذا سالم بن زرارة الغطفانى فى مدحه عدى ابن حاتم حيث يقول

أبوك ابو سباقة الخير لم يزل
لدن شب حتى مات فى الخير راغبا
به تضرب الامثال فى الشعر ميتا
وكان له اذذاك حيا مصاحبا
قرى قبره الاضيـاف اذ نزلوا به
ولم يقـر قبر قبـله الدهـر راكبا

(وحـدث) أبو محمـد بن الحسن بن دويد عن أبى حاتم السجستانى عن أبى عبيدة معمر بن المثنى قال سمعت شيخا من العرب قد أناف على المائة يقول انه خرج وافدا عـلى بعض ملوك بنى أمية قال فسرت فى ليلة صحيا كيـة حالـكة كأن السماء قـد برقعت نجومها بطرائق السحاب وضلت الطريق فتوجهت واديا لا اعرفـه فاهمتنى نفسى بطرحهـا حـتى

فقلت أين السرى قالت لرحمة من * قد عز فى الملك لم يولد ولم يلد

قال تلميذه الحافظ ابن داود ومما ألفيته بخط قاضى الجماعة أبى عبد الله بن الازرق عن على رضى الله تعالى عنه من أراد أن يطول الله عمره ويظفر بعدوه ويصان من فتن الدنيا ويوسع عليه باب رزقه فليقل هذا التسبيح اذا أصبح ثلاثا واذا أمسى ثلاثا سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش والحمد لله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش ولا اله الا الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش والله أكبر ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم مثل ذلك وصلى الله على سيدنا محمد وآله مثل ذلك قال وبخطه أيضا لنيل الرزق ومايراد ياباسط ياجواد ياعلى فى عرشك بحق حقك على جميع خلقك ابسط لى رزقك وسخر لى خلقك وبخطه أيضا بسم الله الرحمن الرحيم الدافع المانع الحافظ الحى القيوم القوى القادر الولى الناصر الغالب الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم وبخطه أيضا يافتاح ياعليم يانور ياهادى ياحق يامبين افتح لى فتحا تنور به قلبى وتشرح به صدرى واهدنى الى طريق ترضاه وبين لى أمرى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا انتهى وقال رحمه الله تعالى موريا

من تكن صنعته الانشاء لا * ينكر الرزق لاقصى العمر
ولو استعلى على السبع الدرا * رى بما فى فيه من درر
فانا الكاتب لكن لو يبا * ع الى العتق لكنت المشترى

هكذا رأيت نسبتها اليه ولنختم ترجمته بل والباب جميعا بقوله رحمه الله تعالى عند نزول طاغية النصارى بمرج غرناطة أعادها الله تعالى للاسلام بجاه النبى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام

مشوق بخيمات الاحبة مولع * تذكره نجد وتغريه لعلع
مواضعكم يالائمين على الهوى * فلم يبق للسلوان فى القلب موضع
ومن لى بقلب تلتظى فيه زفرة * ومن لى بجفن تهمى منه أدمع
رويدك يارقب للطائف موضعا * وخل الذى من شره يتوقع
وصبرا فان الصبر خير غنيمة * ويافوز من قد كان للصبر يرجع
وبت واثقا باللطف من خير راحم * فألطافه من لمحة العين أسرع
وان جاء خطب فانتظر فرجاله * فسوف تراه فى غد عنك يرفع
وكن راجعا لله فى كل حالة * فليس لنا الا الى الله مرجع

(الباب السادس)

فى ذكر بعض الوافدين على الاندلس من أهل المشرق المهتدين فى قصدهم ايها بنور الهداية المضىء المشرق والاكابر الذين حلوا بحلولهم فيها الجيد منها والمفرق والمفخرين برؤية قطرها المونق على المشئم والمعرق

اعلم أن الداخلين للاندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الاعيان منهم فضلا عن غيرهم

الصباح فلم آمن عريف الجن فقلت أعوذ برب هذا الوادى من شره وأستجيره فى طريقى هذا وأسترشده فسمعت قائلا يقول من بطن الوادى

تيامن تجاهك تلق الكلا * تسير وتأمن فى المسلك

قال فتوجهت حيث اشار الى وقد أمنت بعض الامن فاذا انا باقباس نار تلمع أمامى فى خللها كالوجوه على قامات كالنخيل السحيقة فسرت وأصبحت باوصال ٣ وهو ماء لكلب يقارب برية دمشق وقد ذكر الله عز وجل ذلك من فعلهم فقال وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا

(ذكر ماذهب اليه العرب من القيافة والزجر والسانح والبارح وغير ذلك)

تنازع الناس فى القيافة وغيرها مما ذكر فذهبت طائفة الى تحقيق القيافة والاخذ بها لان الاشباه تنزع وغير جائز أن يكون ولد غير مشبه لابيه او احد من أهله من جهة من الجهات ومنهم من ذهب الى ان فى الولد مواضع تلحقها القيافة دون غيرها من الاعضاء مما لم يحلها الشبه ولا توافق بينها بحد مشترك والى آخرون ماوصفنا اذ كان الناس قد يتشابهون فى حد الانسانية وغير ذلك من الحدود ويفترقون فى غيرها من الصور وليس وجود الاغلب من الاشباه مما يوجب الحاق

ومنهم من اتخذها وطنا وصيرها سكنا الى أن وافته منيته ومنهم من عاد الى المشرق بعد أن قضيت بالاندلس أمنيته *(فمن الداخلين الى الاندلس المنيذر) الذى يقال انه صحابى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن الابار فى التكملة المنيذر الافريقى له صحبة وسكن أفريقية ودخل الاندلس فيما ذكره عبد الملك بن حبيب قاله أبو محمد الرشاطى ولم يذكره أحد غيره روى عنه عبد الرحمن الحبلى انتهى وأنكر غير واحد دخول أحد من الصحابة الاندلس وذكر بعض الحفاظ المنيذر المذكور وقال انه المنيذر اليمانى وذكر الحجارى انه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وانه دخل الاندلس مع موسى بن نصير غازيا وقال ابن بشكوال يقال فيه المنيذر لكونه من احداث الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقد حكى ذلك الرازى وذكره ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب فى الصحابة وسماه بالمنيذر الافريقى وقال ابن بشكوال ان ابن عبد البر روى عنه حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره أبو على بن السكن فى كتاب الصحابة وقال روى عنه حديث واحد وأرجو أن يكون صحيحا وذكره ابن قانع فى معجم الصحابة له وذكره البخارى فى تاريخه الكبير اذ قال أبو المنيذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حدث بافريقية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فانا الزعيم لآخذن بيده فأدخله الجنة كذا ذكره البخارى بالكنية وهذا الحديث هو الذى رووه عنه لا يعرف له غيره وذكره أبو جعفر أحمد بن رشد فى كتاب مسند الصحابة له فقال المنيذر اليمانى امام من مذحج أو غيرها وذكر الحديث سواء وقد أشرنا فيما سبق الى المنيذر هذا (ومن التابعين الداخلين الاندلس اميرها موسى بن نصير) وقد سبق من الكلام عليه ما فيه كفاية *(ومن التابعين الداخلين الاندلس حنش الصنعانى) وفى كتاب ابن بشكوال قال ابن وضاح حنش لقب له واسمه حسين بن عبد الله وكنيته أبو على ويقال أبو رشدين قال ابن بشكوال وهو من صنعاء الشام وذكره أبو سعيد بن يونس فى تاريخ أهل مصر وأفريقية والاندلس فقال انه كان مع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وغزا المغرب مع رفيقه رويفع بن ثابت وغزا الاندلس مع موسى بن نصير وكان فيمن ثار مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان فاتى به عبد الملك فى وثاق فعفا عنه وكان أول من ولى عشور أفريقية فى الاسلام وتوفى بافريقية سنة مائة وذكر ابن يونس عن حنش انه كان اذا فرغ من عشائه وحوائجه وأراد الصلاة من الليل أوقد المصباح وقرب المصحف واناء فيه ماء فاذا وجد النعاس استنشق الماء واذا تعايا فى آية نظر فى المصحف واذا جاءه سائل يستطعم لم يزل يصيح باهله أطعموا السائل حتى يطعم قال ابن حبيب دخل الاندلس من التابعين حنش بن عبد الله الصنعانى وهو الذى أشرف على قرطبة من الفج المسمى بفج المائدة وأذن وذلك فى غير وقت الاذان فقال له أصحابه فى ذلك فقال ان هذه الدعوة لا تنقطع من هذه البقعة الا أن تقوم الساعة هكذا ذكره غير واحد وقد كشف الغيب خلاف ذلك فلعل الرواية موضوعة أو مؤولة والله تعالى أعلم وذكره ابن عساكر فى تاريخه وطول ترجمته وقال ان صنعاء المنسوب اليها قرية من قرى الشام وليست صنعاء اليمن وقد قيل انه لم يرو عن حنش الشاميون وانما روى

عنه

الشبه بشبهه ودون أن يخالف من حيث أوجبت قضية الاختلاف بالتباين وهذه المعانى من خواص ما للعرب وما انفردت به دون سائر الامم فى الاغلب منها وان كانت الكهانة قد وجدت فى غيرها فان القيافة والزجر والتفاؤل والتطير ليس لغيرها فى الاغلب من الامور وليس هو موجودا فى سائر العرب وانما هو للخاص منها الفطن والمتدرب النظير وان وجد ذلك فى بعض الامم كوجود ذلك فى الافرنجة وما جانسها من هنالك من الامم فيمكن أن يكون ذلك موروثا عن العرب ومأخوذا منها فى سالف الدهر لان العرب قد تنقلت فى البلاد وتغيرت لغاتها فنسب ذلك الى الجنس الذى قطنت بينهم العرب ويمكن أن تكون الافرنجة ومن وجد فيها ذلك من الامم أخذت بعد ظهور الاسلام عمن جاورهم من أمم العرب عمن سكن بلاد الاندلس من الارض الكبيرة وان كان ذلك قبل ظهور الاسلام فهو ما ذكرنا آنفا ويمكن ان يكون الله عز وجل خص بذلك أمما غير العرب كما خص العرب به اذ كان ذلك داخلا فى الامكان خارجا من باب المهتنع فيكون الزجر والفال شاملا لبعض العرب وغيرها من خواص الامم كوجود النمط

عنه المصريون وحدث حنش عن عبد الله بن عباس انه قال له ان استطعت أن تلقى الله تعالى وسيفك حليته حديد فافعل وكان عبد الملك بن مروان حين غزا المغرب مع معاوية بن حديج نزل عليه بافريقية سنة خمسين فحفظ له ذلك فعفا عنه حين أتى به فى وثاق حين ثار مع ابن الزبير وسئل أبو زرعة عن حنش فقال ثقة ولم يذكر ابن عساكر أن حنشا لقب له وان اسمه حسين بل اقتصر على اسمه حنش ولعله الصواب لا ماقاله ابن وضاح والله تعالى أعلم وفى تاريخ ابن الفرضى أبى الوليد أن حنشا كان بسرقسطة وانه الذى أسس جامعها وبها مات وقبره بها معروف عند باب اليهود بغربى المدينة وفى تاريخ ابن بشكوال انه أخذ أيضا قبلة جامع البيرة وعدل وزن قبلة جامع قرطبة الذى هو فخر الاندلس *(ومن التابعين الداخلين للاندلس أبو عبد الله على بن رباح اللخمى) ذكر ابن يونس فى تاريخ مصر انه ولد سنة خمس عشرة عام اليرموك وكان أعور ذهبت عينه يوم ذات السوارى فى البحر مع عبد الله بن سعيد سنة أربع وثلاثين وكان يفد لليمانية من أهل مصر على عبد الملك بن مروان وكانت له من عبد العزيز بن مروان منزلة وهو الذى زف أم البنين بنت عبد العزيز الى الوليد بن عبد الملك ثم عتب عليه عبد العزيز فاغزاه أفريقية فلم يزل بافريقية الى أن توفى بها ويقال كانت وفاته سنة أربع عشرة ومائة قال ابن بشكوال أهل مصر يقولون على بن رباح بفتح العين وأما أهل العراق فعلى بضم العين وقد سبق هذا الكلام عن ابن معين فى الباب الثانى وقال ابنه موسى بن على من قال لى موسى بن على بالتصغير لم أجعله فى حل (ومن التابعين الداخلين أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافرى الحبلى) قال ابن بشكوال انه يروى عن أبى أيوب الانصارى وعبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم وغيرهم وروى عنه جماعة وذكر البخارى فى تاريخه الكبير انه يعد فى المصريين وذكر ابن يونس فى تاريخ المغرب انه توفى بافريقية سنة مائة وكان رجلا صالحا فاضلا رحمه الله تعالى ويذكر أهل قرطبة انه توفى بقرطبة وانه دفن بقبليها وقبره مشهور يتبرك به والله تعالى أعلم بحقيقة الامر فى ذلك (ومن الداخلين من التابعين حيان بن ابى جبلة) ذكر ابن بشكوال انه مولى قريش ويكنى ابا النضر وذكره ابو العرب محمد بن تميم فى تاريخ افريقية وقال حدثنى فرات بن محمد أن عمر بن عبد العزيز ارسل عشرة من التابعين يفقهون اهل أفريقية منهم حيان بن ابى جبلة روى عن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم ويقال توفى بافريقية سنة اثنتين وعشرين ومائة وقيل سنة خمس وعشرين ومائة وذكر ابن الفرضى انه غزا مع موسى بن نصير حين افتتح الاندلس حتى انتهى الى حصن من حصونها يقال له قرقشونة فتوفى به قال وقال لنا ابو محمد الثغرى بين قرقشونة وبرشلونة مسافة خمسة وعشرين ميلا وفيها الكنيسة المعظمة عندهم المسماة شنت مرية ذكر أن فيها سبع سوارى فضة خالصة لم ير الراؤن مثلها لا يحزم الانسان بذراعيه واحدة منها مع طول مفرط هكذا نقله ابن سعيد عمن ذكر والله تعالى أعلم *(ومن الداخلين من التابعين فيما ذكر المغيرة بن أبى بردة نشيط بن كنانة العذرى) روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وروى عنه مالك فى موطئه وذكره البخارى فى تاريخه الكبير وفى

من أهل البحث والتنقير الى ان القيافة اسم مشتق من القفو وهو معنى استدلالى واصل ذلك ان الاشكال انفصلت فى صورة أنسابها باشياء تخص الانواع بالتشكيل وخواص وجدت لما به ضربت الفواصل اضرابها فى وحيدات الاشخاص وكان التناسل على وساعه وقدر من الغير لما توجبه الطبيعة من اتفاق كل شئ فى حوزته وصرفه الى وجهه كما خصت الطبيعة كل نوع من الجنس بفصل ابانته من أغياره وفرقت بينه وبين اشكاله فلذلك أيضا خصت اوحاد الاشخاص المنفصلة فى الهيئة وتغير الغير من اغياره ولذلك لا تكاد فنون الصور تتراءى فى المرائى لغير من أغياره وكذلك لا تكاد وان ضمها النوع وشملها المادة فالفاثف يقارب بين الهيآت فيحكم للاقرب صورة لان تشبيه النسل أقرب من تشبيه النوع وكذلك تشبيه الشخص الى النوع أقرب منه الى الجنس لان النوع والشخص قد ضمهما حد ان مشترك كان وانما ضمه ضرب من ضروب البحث والجنس حد واحد فهو أصل القيافة عند الطائفة وهو ضرب من ضروب البحث والحاق النظير فى

كتاب الحافظ ابن بشكوال انه دخل الاندلس مع موسى بن نصير فكان موسى بن نصير يخرجه على العساكر *(ومن التابعين حيوة بن رجاء التميمي) ذكر ابن حبيب انه دخل الاندلس مع موسى بن نصير وأصحابه وانه من جملة التابعين رضي الله تعالى عنهم قاله ابن بشكوال في مجموعه المترجم بالتنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من التابعين قال ابن الابار وقد سمعته من أبي الخطاب بن واجب وسمعه هو منه انتهى وقال ابن الابار في موضع آخر ما صورته رجاء بن حيوة مذكور في الذين دخلوا الاندلس من التابعين وفي ذلك عندي نظر وما أراه يصح والله تعالى أعلم انتهى فانظر هذا فانه سماه رجاء بن حيوة وذلك السابق حيوة بن رجاء فالله سبحانه أعلم بحقيقة الامر في ذلك *(ومنهم عياض بن عقبة الفهري) من خيار التابعين ذكره ابن حبيب في الاربعة الذين حضروا اغنائم الاندلس ولم يغلوا *(ومنهم عبد الله بن شماسة الفهري) ذكر ابن بشكوال انه مضري وأن البخاري ذكره في تاريخه (ومنهم عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري) جده عبد الرحمن أحد العشرة رضي الله تعالى عنهم وهو ممن ذكره ابن بشكوال في الاربعة من التابعين الذين لم يغلوا *(ومنهم منصور بن خزامة فيما يذكر) قال ابن بشكوال قرأت في كتاب روايات الشيخ أبي عبد الله ابن عائذ الراوية رحمه الله تعالى قال وممن دخل الاندلس من المعمرين ما وجدت بخط المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر رضي الله تعالى عنه في بعض كتبه المختزنة انه قال طرأ علينا رجل أسود من ناحية السودان في سنة تسع وعشرين وثلثمائة فذكر انه منصور بن خزامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزعم انه أدرك أيام عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وانه كان مراهقا وكان مع عائشة رضي الله تعالى عنها يوم الجمل وانه شهد صفين وأن خزامة أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عن الاندلس في سنة ثلاثين وثلثمائة الى المغرب انتهى قلت هذا كله لا أصل له ورحم الله تعالى حافظ الاسلام ابن حجر حيث كتب على هذا الكلام ما صورته هذا هذيان لا أصل له ولا يغتر به وكذلك ترجمة أشج العرب اتفق الحفاظ على كذبه انتهى قلت وما هو الا من نمط عكراش والله تعالى يحفظنا من سماع الاباطيل بمنه ومن هذه الاكاذيب ما يذكرون عن أبي الحسن علي بن عثمان بن خطاب وانه يعرف بأبي الدنيا وانه كان معمرا مشهورا بصحبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وانه رأى جماعة من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم ووصفهم بصفاتهم وانه رأى عائشة رضي الله تعالى عنها فيما زعم وقدم قرطبة على المستنصر الحكم بن الناصر وهو ولي عهد وساله أبو بكر ابن القوطية عن مغازي علي وكتبها عنه وقد ذكره ابن بشكوال وغيره في كتبهم وتواريخهم فقد ذكر الثقات العارفون بالفن انه كذاب دجال مائن جاهل فاياك والاغترار بمثل ذلك مما يوجد في كتب كثير من المؤرخين بالمشرق والاندلس ولا يلتفت الى قول تميم بن محمد التميمي انه كان اذ لقيه ابن ثلثمائة سنة وخمس سنين قال تميم واتصلت بنا وفاته ببلده في نحو سنة عشرين وثلثمائة وبالجملة فلا أصل له وانما ذكرناه للتنبيه عليه وقد عرفت عدد ما ذكرناه التابعين الداخلين الاندلس على أن التحقيق انهم لم يبلغوا ذلك العدد وانما هم نحو خمسة أو أربعة كما ألمعنا به في غير هذا الموضع والله تعالى أعلم (ومن الداخلين الى الاندلس مغيث

الاغلب بنظيره من حيث تساويهما من حيث ذكرنا في قضية العقل وهو القياس بعينه وليس هذا الاستدلال من كلام أحد من فقهاء القائسين ولا غيرهم من المسلمين وانما هذا انتزعناه من كلام طائفة من الفلاسفة المتقدمين فيجب أن يكون نظر القائف على قول هذه الطائفة الى القدم لانها نهاية الشكل وغاية الهيئة والولد لو خالف صورة أبيه في كنه أفعاله وباينه في سائر شكله في الاغلب لوافقه في القدم لان النسل لا بد له من تخصيص قوته بشيء يميزه من غيره يشبهه من سواه ولذلك وجدوا الطول في ازدشنواءة وكذلك صار الجفاة الاجسام والغلظ في الروم وأصحاب الجمال في الاكثر من أهل الشام وأوباش مصر واللؤم في الخزر وأهل حران من بلاد ديار بكر والشح بفارس واللؤم على الطعام باصفهان وصار تفرطح الرجلين وفطس الانوف في السودان والطرب في الزنج خاصة وهذا الذي وصفنا عند هذه الطائفة من أسرار الطبيعة وخواص تأثير الاشخاص العلوية والاجسام السماوية وقد تقصيناه هذا الشأن على كماله في كتبنا في الاسرار الطبيعية العلوية والغرائب النفسية في كتبنا في الصور السبعة في أنواع السياسات المدنية على من

زعم أن العالم متغير جوهره الى الظلمة وأن النور فيه غريب مختار وان

فاتح قرطبة) وقد تقدم بعض الكلام عليه وذكر ابن حيان والحجاري انه رومي زاد الحجاري وليس برومي على الحقيقة وتصحيح نسبه انه مغيث بن الحرث بن الحويرث بن جبلة بن الايهم الغساني سبي من الروم بالمشرق وهو صغير فادبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد وأنجب في الولادة وصار منه بنو مغيث الذين نجبوا في قرطبة وسادوا وعظم بيتهم وتفرعت دوحتهم وكان منهم عبد الرحمن بن مغيث حاجب عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس وغيره ونشأ مغيث بدمشق ودخل الاندلس مع طارق فاتحها وجاز على ما في طريقهما من البلاد الى الشام وقدمه طارق لفتح قرطبة ففتحها ووقع بينه وبين طارق ثم وقع بينه وبين موسى ابن نصير سيد طارق فرحل معهما الى دمشق ثم عاد ظافرا عليهما الى الاندلس وانسل بقرطبة البيت المذكور وفي المسهب انه فتح قرطبة في شوال سنة ٩٢ ثم فتح الكنيسة التي تحصن بها ملك قرطبة بعد حصار ثلاثة أشهر في محرم سنة ٩٣ ولم يذكر له مولدا ولا وفاة وذكر الحجاري انه تادب بدمشق مع بني عبد الملك فافصح بالعربية وصار يقول من الشعر والنثر ما يجوز كتبه وتدرب على الركوب وأخذ نفسه بالاقدام في مضايق الحروب حتى تخرج في ذلك تخرجا أهله للتقدم على الجيش الذي فتح قرطبة وكان مشهورا بحسن الرأي والكيد وقد قدمنا كيفية فتحه قرطبة وأسره ملكها الذي لم يؤسر من ملوك الاندلس غيره لان منهم من عقد على نفسه أمانا ومنهم من فر الى جليقية وذكر الحجاري انه لما حصل بيده ملك قرطبة وحريمه رأى فيهن جارية كانها بينهن بدر بين نجوم وهي تكثر التعرض له بجمالها فوكل بها من عرض عليها العذاب ان لم تقر بما عزمت عليه في شان مغيث وانه قد فطن من كثرة تعرضها له بحسنها لما أضمرته من المكر في شانه فاقرت انها أكثرت التعرض لتقع بقلبه اذ حسنها فتان وقد أعدت له خرقة مسمومة لتمسح بها ذكره عند وقاعها فحمد الله تعالى على ما ألهمه اليه من مكرها وقال لو كانت نفس هذه الجارية في صدر أبيها ما أخذت قرطبة من ليلة وذكر أن سليمان بن عبد الملك لما أصغى الى طارق في شان سيده موسى بن نصير فعذبه واستصفى أمواله أراد أن يصرف سلطان الاندلس الى طارق وكان مغيث قد تغير عليه فاستشار سليمان مغيثا في توليه طارق وقال له كيف أمره بالاندلس فقال لو أمر أهلها بالصلاة الى أي قبلة شاء لاتبعوه ولم يروا أنهم كفروا ففعلت هذه المكيدة في نفس سليمان وبدا له في ولايته ولقيه بعد ذلك طارق فقال له ليتك وصفت أهل الاندلس بعصياني ولم تضمر في الطاعة ما أضمرت فقال مغيث ليتك تركت لي العلج فتركت لك الاندلس وكان طارق قد أراد أن ياخذ منه ملك قرطبة الذي حصل في يده فلم يمكنه منه فاغرى به سيده موسى ابن نصير وقال له يرجع الى دمشق وفي يده عظيم من عظماء الاندلس وليس في أيدينا مثله فاي فضل يكون لنا عليه فطلبه منه فامتنع من تسليمه قال ابن حيان فهجم موسى على العلج وانتزعه من مغيث فقيل له ان سرت به معك حيا ادعاه مغيث والعلج لا ينكر ولكن اضرب عنقه ففعل فاضغنها عليه مغيث وبالغ في اذايته عند سليمان وذكر الحجاري في المسهب ان لمغيث من الشعر ما يجوز كتبه فمن ذلك شعر خاطب به موسى بن نصير ومولاه طارقا ويكفي منه هنا قوله

ستة أنفس كانوا نورا بلا أجساد شيث بن آدم وزرادشت والمسيح ويونس واثنان لا يمكن ذكرهما وان النور والظلمة قديمان وانهما لا يريان الا غير ممتزجين وان الاشياء لا تعمل الا في جوهرهما ثم امتزجا من تلقاء انفسهما من غير داخل عليهما ولا مكره أكرههما وهذا الخلف من الكلام والفاسد من المقال وأعجب من هذا القول قول زرادشت نبي المجوس ان القديم تعالى ذكره طالت وحدته فطالت فكرته فلما أن طالت فكرته واشتدت وحشته تولد الهم منه وهو الشيطان من تلك الوحشة التي ولدتها تلك الفكرة ونتجتها الوحدة وان الله عز وجل لو كان قادرا على افناء الهم منه لما ضرب له أجلا ولا أجل له أمرا يغوي عباده ويفسد بلاده وهذا هو المحال بعينه والتناقض بنفسه وعجب آخر من الآراء من قول بولص ان المسيح عليه السلام هو الذي أرسله وأن المسيح انسان واله لانه اله صار انسانا وانسان صار الها وقد اتينا على جمل من متناقضات أهل الآراء في اثناء ما تقدم من كتبنا وانما تشعب بنا الكلام الى هذا النوع وتغلغل بنا القول الى هذا المعنى لانه من جنس ما كنا فيه لكن عند ذكرنا لما أودعناه كتاب الاسترجاع والابانة عن غرض فيه فلنرجع الآن الى ما كنا فيه من هذا الكتاب (وحدث) المنقري عن العتبي

أعنتكم ولكن ما وفيتم * فسوف أعيث في غرب وشرق

وعنوان طبقته في النثر أن موسى بن نصير قال له وقد عارضه بكلام في محفل من الناس كف لسانك فقال لساني كالمفصل ما أكفه الا حيث يقتل وأضافه ابن حيان والحجاري الى ولاء الوليد بن عبد الملك وهو الذي وجهه الى الاندلس غازيا ففتح قرطبة ثم عاد الى المشرق فأعاده الوليد رسولا عنه الى موسى بن نصير يستحثه على القدوم عليه فوفد معه فوجدوا الوليد قد مات فخدم بعده سليمان بن عبد الملك *(ومن الداخلين أبو أيوب بن حبيب اللخمي) ذكر ابن حيان انه ابن أخت موسى بن نصير وأن أهل أشبيلية قدموه على سلطان الاندلس بعد قتل عبد العزيز بن موسى واتفقوا في أيامه على تحويل السلطان من اشبيلية الى قرطبة فدخل اليها بهم وكان قيامه بأمرهم ستة أشهر وقيل ان الذي نقل السلطنة من اشبيلية الى قرطبة الحر بن عبد الرحمن الثقفي قال الرازي قدم الحر واليا على الاندلس في ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومعه أربعمائة رجل من وجوه أفريقية فهم أول طوالع الاندلس المعدودين وقال ابن بشكوال كانت مدة الحر سنتين وثمانية أشهر وكانت ولايته بعد قيام أبي أيوب بن حبيب اللخمي (ومن الداخلين السمح بن مالك الخولاني) ولي الاندلس بعد الحر بن عبد الرحمن السابق قال ابن حيان ولاه عمر بن عبد العزيز وأوصاه أن يخمس من أرض الاندلس ما كان عنوة ويكتب اليه بصفتها وأنهارها وبحارها قال وكان من رأيه أن ينقل المسلمين عنها لانقطاعهم وبعدهم عن أهل كلمتهم قالوا وليت الله تعالى أبقاه حتى يفعل فان مصيرهم مع الكفار الى بوار الا أن يستنقذهم الله تعالى برحمته وذكر ابن حيان أن قدوم السمح كان في رمضان سنة مائة وانه الذي بنى قنطرة قرطبة بعدما استأذن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وكانت دار سلطانه قرطبة قال ابن بشكوال استشهد بأرض الافرنجة يوم التروية سنة اثنتين ومائة قال ابن حيان كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وذكر انه قتل في الوقعة المشهورة عند أهل الاندلس بوقعة البلاط وكانت جنود الافرنجة قد تكاثرت عليه فأحاطت بالمسلمين فلم ينج من المسلمين أحد قال ابن حيان فيقال ان الاذان يسمع بذلك الموضع الى الآن * وقدم أهل الاندلس على أنفسهم بعده عبد الرحمن ابن عبد الله الغافقي وذكر ابن بشكوال انه من التابعين الذين دخلوا الاندلس وانه يروي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال وكانت ولايته للاندلس في حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب أفريقية واستشهد في قتال العدو بالاندلس سنة خمس عشرة انتهى وفيه مخالفة لما سبق انه ولي بعد السمح وأن السمح قتل سنة ١٠٢ وهذا يقول تولى سنة ١١٠ فأين ذا من ذاك والله تعالى أعلم ووصفه الحميدي بحسن السيرة والعدل في قسمة الغنائم وذكر الحجاري انه ولي الاندلس مرتين وربما يجاب بهذا عن الاشكال الذي قدمناه قريبا ويضعفه أن ابن حيان قال دخل الاندلس حين وليها الولاية الثانية من قبل ابن الحبحاب في صفر سنة ثلاث عشرة ومائة وغزا الافرنج فكانت له فيهم وقائع جمة الى أن استشهد وأصيب عسكره في شهر رمضان سنة ١١٤ في موضع يعرف ببلاط الشهداء قال ابن بشكوال وتعرف غزوته هذه بغزوة البلاط وقد تقدم

قال ووقف عبيد الراعي ذات يوم مع ركب من ثقيف على نفر وكانوا يريدون استقصاء رجل من تميم اذ سنحت ظباء سود منكرة ثم اعترضت الركب مقصرة في حضرها واقفة على شانها فانكر ذلك عبيد الراعي ولم ينتبه له أصحابه فقال عبيد

ألم تدر ما قال الظباء السوانح
أطفن أمام الركب والركب رائح
فكبر من لم يعرف الزجر منهم
وأيقن قلبي أنهن نوائح

ثم شارفوا مقصدهم فالفوا الرئيس قد نهشته افعى فاتت عليه قال ابو عبيدة معمر بن المثنى وهذا من غريب الزجر وذلك أن السانح مرجو عند العرب والبارح هو المخوف وأظن عبيدا انما زجر الظباء في حالة رجوعها ووصف الحال الاول في شعره كما أن من شرط الواصف أن يبدأ بهوادي الاسباب فيوضح عنها فهذا وجه زجر عبيد الراعي في شعره (ويقال) ان الكهانة لليمن والزجر لبني اسد والقيافة لبني مدلج واحياء مضر بن نزار بن معد لما كان من فعل بني نزار الاربعة في مسيرهم نحو الافعى الجرهمي ووصفهم الجمل الشارد على ما ذكرنا وذلك منهم قيافة فمن هنالك تفرقت القيافة من احياء مضر على حسب ما تغلغل في العروق ونزع واهل العروق

مثل هذا فى غزوة السمح فكانت ولايته سنة وثمانية أشهر وفى رواية سنتين وثمانية اشهر وقيل غير ذلك وكان سرير سلطانه حضرة قرطبة * وولى الاندلس بعده عنبسة بن سحيم الكلبى وذكر ابن حيان انه قدم على الاندلس واليا من قبل يزيد بن ابى مسلم كاتب الحجاج حين كان صاحب أفريقية وكان قدومه الاندلس فى صفر سنة ١٠٣ فتاخر بقدومه عبد الرحمن المتقدم الذكر قال ابن بشكوال فاستقامت به الاندلس وضبط أمرها وغزا بنفسه الى أرض الافرنجة وتوفى فى شعبان سنة ١٠٧ فكانت ولايته أربعة أعوام وأربعة أشهر وقيل ثمانية أشهر وذكر ابن حيان انه فى أيامه قام بجليقية علج خبيث يدعى بلاى فعاب على العلوج طول الفرار واذكى قرائحهم حتى سما بهم الى طلب الثار ودافع عن ارضه ومن وقته اخذ نصارى الاندلس فى مدافعة المسلمين عما بقى بايديهم من ارضهم والحماية عن حريمهم وقد كانوا لا يطمعون فى ذلك وقيل انه لم يبق بارض جليقية قرية فما فوقها لم تفتح الا الصخرة التى لاذ بها هذا العلج ومات أصحابه جوعا الى أن بقى فى مقدار ثلاثين رجلا ونحو عشر نسوة وما لهم عيش الا من عسل النحل فى جباح معهم فى خروق الصخرة وما زالوا ممتنعين بوعرها الى أن أعيا المسلمين أمرهم واحتقروهم وقالوا ثلاثون علجا ما عسى أن يجىء منهم فبلغ أمرهم بعد ذلك فى القوة والكثرة والاستيلاء ما لا خفاء به * وملك بعده أذفونش جد عظماء الملوك المشهورين بهذه السمة قال ابن سعيد فآل احتقار تلك الصخرة ومن احتوت عليه الى ان ملك عقب من كان فيها المدن العظيمة حتى ان حضرة قرطبة فى يدهم الآن جبرها الله تعالى وهى كانت سرير السلطنة لعنبسة اه * قال ابن حيان والحجارى انه لما استشهد عنبسة قدم اهل الاندلس عليهم عزرة بن عبد الله الفهرى ولم يعده ابن بشكوال فى سلاطين الاندلس قال ثم تتابعت ولاة الاندلس مرسلين من قبل صاحب أفريقية اولهم يحيى بن سلمة وذكر الحجارى ان عزرة كان من صلحائهم وفرسانهم وصار لعقبه نباهة وولده هشام بن عزرة هو الذى استولى على طليطلة قصبة الاندلس وفى عقبه بوادى آش من مملكة غرناطة نباهة وادب قال ابن سعيد وهم الى الآن ذوو بيت موصل ومجد مؤثل وكان سرير سلطنة عزرة قرطبة * وولى بعده يحيى بن سلمة الكلبى قال ابن بشكوال أنفذه الى الاندلس بشر بن صفوان الكلبى والى افريقية اذ استدعى منه اهلها واليا بعد مقتل أميرهم عنبسة فقدمها فى شوال سنة سبع ومائة واقام عليها سنة وستة اشهر لم يغز فيها بنفسه غزوة ونحوه لابن حيان وكان سريره قرطبة * وتولى بعده عثمان بن أبى نسعة الخثعمى وذكر ابن بشكوال انه قدم عليها واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى صاحب أفريقية فى شعبان سنة عشر ومائة ثم عزل سريعا بعد خمسة أشهر وكان سرير سلطانه بقرطبة وولى بعده حذيفة بن الاحوص القيسى قال ابن بشكوال وأتى اليها واليا من قبل عبيدة المذكور على اختلاف فيه وفى ابن أبى نسعة أيهما تولى قبل صاحبه وكان قدوم حذيفة فى ربيع الاول سنة عشر ومائة وعزل عنها سريعا أيضا وقيل ان ولايته استتمت سنة وكان بقرطبة * وولى بعده الاندلس الهيثم بن عدى الكلابى قال ابن بشكوال ولاه عبيدة المذكور فوافى الاندلس فى المحرم سنة احدى عشرة ومائة وقيل انه ولى

أكمن وأهل الجبال أقوف وبارض الحفاء وهى بلاد الرمل من بلاد مضر وأرض الشام فى تلك الاراضى يتناول الانسان من تمر نخلهم فيغيب عنهم السنين ولم يروه ولا شاهدوه فان رأوه بعد مدة علموا أنه الآخذ لتمرهم ولا يكادون يخطؤن وهذا من فعلهم مشهور ولا يكاد تخفى عليهم أقدام أى الناس هم (ورأيت) بهذه الارض اناسا قد ربتهم ولاة المنازل يطوفون فى هذا الرمل يعرفون بالقصاص يقصون آثار الناس وغيرهم فيخبرون ولاة المنازل أى الناس هم ممن طرق البلاد وهم لم يروهم بل رأوا آثار أقدامهم وهذا معنى لطيف وحس دقيق (وقد قفت) القافة بقريش حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار حتى أتت باب الغار على حجر صلد وصخر صم وجبال لا رمل عليها ولا طين ولا تراب يتبين عليه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما سفت عليه الرياح وما لحق القائف من الحيرة" وقوله الى ههنا انتهت الاقدام ومعه الجماعة من قريش لا يرون على الصلد ما يرى على الصوان وما شاهد

وأبصارهم سليمة والآفات عنهام تفعة والموانع زائلة ولولا أن هنالك لطيفة لا يتساوى

سنتين وأياما وقد قيل أربعة أشهر وكان بقرطبة * وولي بعده محمد بن عبد الله الأشجعي قال ابن بشكوال قدمه الناس عليهم وكان فاضلا فصلى بهم شهرين * قال ثم قدم عليهم واليا عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي تقدمت ترجمته وذكرت ولايته الاولى للاندلس وليها من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب أفريقية الى أن استشهد كما تقدم * وولي الاندلس بعده عبد الملك بن قطن الفهري وذكر الحجاري أن من نسله بني القاسم أصحاب البونت وبني الجد أعيان اشبيلية قال ابن بشكوال قدم الاندلس في شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائة فكانت مدة ولايته عامين وقيل أربع سنين ثم عزل عنها ذميما في شهر رمضان سنة ست عشرة ومائة قال وكان ظلوما في سيرته جائرا في حكومته وغزا أرض البشكنش فأوقع بهم وذكر ابن بشكوال انه لما عزل وولي عقبة بن الحجاج وثب ابن قطن عليه فخلعه لا أدري أقتله أم أخرجه وملك الاندلس بقية احدى وعشرين ومائة الى أن رحل بلج بن بشر بأهل الشام الى الاندلس فغلبه عليها وقتل عبد الملك بن قطن وصلب في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة بعد ولاية بلج بعشرة أشهر وصلب بصحراء ربض قرطبة بعدوة النهر حيال رأس القنطرة وصلبوا عن يمينه خنزيرا وعن يساره كلبا وأقام شلوه على جذعه الى أن سرقه مواليه بالليل وغيبوه فكان المكان بعد ذلك يعرف بمصلب ابن قطن فلما ولي ابن عمه يوسف بن عبد الرحمن الفهري استأذنه ابنه أمية بن عبد الملك وبنى فيه مسجدا نسب اليه فقيل مسجد أمية وانقطع عنه اسم المصلب وكان سن عبد الملك عند مقتله نحو التسعين وذكر ابن بشكوال أن عقبة بن الحجاج السلولي ولاه عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية الاندلس ودخلها سنة سبع عشرة ومائة وقيل في السنة التي قبلها فأقام بها سنين محمود السيرة مثابرا على الجهاد مفتتحا للبلاد حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر ردونة فأقام عقبة بالاندلس سنة احدى وعشرين ومائة وكان قد اتخذ بأقصى ثغر الاندلس الاعلى مدينة يقال لها أربونة كان ينزلها للجهاد وكان اذا أسر الاسير لم يقتله حتى يعرض عليه الاسلام ويبين له عيوب دينه فأسلم على يده ألفا رجل وكانت ولايته خمس سنين وشهرين قال الرازي فثار أهل الاندلس بعقبة فخلعوه في صفر سنة ثلاث وعشرين في خلافة هشام بن عبد الملك وولوا على انفسهم عبد الملك بن قطن وهي ولايته الثانية فكانت ولاية عقبة الاندلس ستة أعوام وأربعة أشهر وتوفي في صفر سنة ١٢٣ وسريره قرطبة (ومن الداخلين الى الاندلس بلج بن بشر بن عياض القشيري) قال ابن حيان لما انتهى الى الخليفة هشام بن عبد الملك ما كان من أمر خوارج البربر بالمغرب الاقصى والاندلس وخلعهم لطاعته وعيثهم في الارض شق عليه فعزل عبيد الله بن الحبحاب عن أفريقية وولى عليها كلثوم بن عياض القشيري ووجه معه جيشا كثيفا لقتالهم كان فيه مع ما انضاف اليه من جيوش البلاد التي صار عليها سبعون ألفا ومع ذلك فانه لما تلاقى مع ميسرة البربري المدعي للخلافة هزمه ميسرة وجرح كلثوم ولاذ بسبتة وكان بلج ابن أخيه معه فقامت قيامة هشام لما سمع بما جرى عليه فوجه لهم حنظلة بن صفوان فأوقع بالبربر وفتح الله تعالى على يديه ولما اشتد حصار بلج وعمه كلثوم ومن معهما من فل أهل الشام بسبتة وانقطعت عنهم الاقوات

الناس في علمها ولا يتقنون بالابصار احصاء ادراكها لما استأثر بذلك طائفة دون أخرى وأهل الجبال والقفار والدهاس أزجر وأعرف (وقد ذهب) قوم من أهل الشريعة من فقهاء الامصار وغيرهم ممن سلف الى الحكم بالقيافة استدلالا على شرف القيافة وعظم خطرها وكبر محلها وتحقيق فضلها لتعجب النبي صلى الله عليه وسلم منها وتصديقه مجززا المدلجي وقد أنكر جماعة من فقهاء الامصار ممن سلف وخلف الحكم بالقيافة والدليل على فساد الحكم بها الحاق النبي صلى الله عليه وسلم الولد بأبيه حين شك فيه لعدم التشابه فقال يا رسول الله ان امرأتي وضعت غلاما وانه لأسود فقال النبي صلى الله عليه وسلم مقربا الى فهمه وقصدا منه لفساد علته التي قصدها وشك فهل لك من ابل قال نعم قال فما ألوانها قال حمر قال فهل فيها أورق قال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم فمن أين ذلك قال لعل عرقا نزع وقوله صلى الله عليه وسلم في قصة شريك بن سحماء ان جاءت به على النعت المكروه فهو للذي رميت به فلما جاءت به على النعت المكروه وجد التشابه بينه وبين من رميت به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا حكم الله لكان لي ولها

وبلغوا من الجهد الى الغاية استغاثوا باخوانهم من عرب الاندلس فتثاقل عنهم صاحب الاندلس عبد الملك بن قطن لخوفه على سلطانه منهم فلما شاع خبر ضرهم عند رجال العرب أشفقوا عليهم فاغاثهم زياد بن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين ميرة أمسكا من أرماقهم فلما بلغ ذلك عبد الملك بن قطن ضربه سبعمائة سوط ثم اتهمه بعد ذلك بتغريب الجند عليه فسمل عينيه ثم ضرب عنقه وصلب عن يساره كلبا واتفق في هذا الوقت أن برابر الاندلس لما بلغهم ما كان من ظهور برابر العدوة على العرب انتقضوا على عرب الاندلس واقتدوا بما فعله اخوانهم ونصبوا عليهم اماما فكثر ايقاعهم بجيوش ابن قطن واستفحل أمرهم فخاف ابن قطن أن يأتي منهم ما لقي العرب ببر العدوة من اخوانهم وبلغه انهم قد عزموا على قصده فلم ير أجدى من الاستعداد بصعاليك عرب الشام أصحاب بلج الموتورين فكتب لبلج وقد مات عمه كلثوم في ذلك الوقت فأسرعوا الى اجابته وكانت أمنيتهم فاحسن اليهم وأسبغ النعم عليهم وشرط عليهم أن يأخذ منهم رهائن فاذا فرغوا له من البربر جهزهم الى افريقية وخرجوا له عن أندلسه فرضوا بذلك وعاهدوه عليه فقدم عليهم وعلى جنده ابنيه قطنا وأمية والبربر في جموع لا يحصيها غير رازقها فاقتتلوا قتالا صعب فيه المقام الى أن كانت الدائرة على البربر فقتلتهم العرب بأقطار الاندلس حتى ألحقوا فلهم بالثغور وخفوا عن العيون فكر الشاميون وقد امتلأت أيديهم من الغنائم فاشتدت شوكتهم وثابت هممهم وبطروا ونسوا العهود وطالبهم ابن قطن بالخروج عن الاندلس الى أفريقية فتعللوا عليه وذكروا صنيعه بهم أيام انحصارهم في سبتة وقتله الرجل الذي أغاثهم بالميرة فخلعوه وقدموا على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر وتبعه جند ابن قطن وحملوا عليه في قتل ابن قطن فأبى فثارت اليمانية وقالوا قد حميت لمضرك والله لا نطيعك فلما خاف تفرق الكلمة أمر بابن قطن فاخرج اليهم وهو شيخ كبير كفرخ نعامة قد حضر وقعة الحرة مع أهل اليمامة فجعلوا يسبونه ويقولون له أفلت من سيوفنا يوم الحرة ثم طالبتنا بتلك الترة فعرضتنا لاكل الكلاب والجلود وحبستنا بسبتة محبس الضنك حتى أمتنا جوعا فقتلوه وصلبوه كما تقدم وكان أمية وقطن ابناه عند ما خلع قد هربا وحشدا الطلب لثاره واجتمع عليهما العرب الاقدمون والبربر وصار معهم عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري كبير الجند وكان في أصحاب بلج فلما صنع بابن عمه عبد الملك ما صنع فارقه فانحاز فيمن يطلب ثاره وانضم اليهم عبد الرحمن ابن علقمة اللخمي صاحب أربونة وكان فارس الاندلس في وقته فأقبلوا نحو بلج في مائة ألف أو يزيدون وبلج قد استعد لهم في مقدار اثني عشر ألفا سوى عبيد له كثيرة واتباع من البلديين فاقتتلوا وصبر أهل الشام صبرا لم يصبر مثله أحد قط وقال عبد الرحمن بن علقمة اللخمي أروني بلجا فوالله لاقتلنه أو لأموتن دونه فأشاروا اليه نحوه فحمل باهل الثغر حملة انفرج لها الشاميون والراية في يده فضربه عبد الرحمن ضربتين مات منهما بعد ذلك بايام قلائل ثم ان البلديين انهزموا بعد ذلك هزيمة قبيحة واتبعهم الشاميون يقتلون ويأسرون فكان عسكرا منصورا مقتولا أميره وكان هلاك بلج في شوال سنة أربع وعشرين ومائة وكانت مدته أحد عشر شهرا وسريره قرطبة والعرب الشاميون الداخلون معه الى

شأن فالحق الولد مع عدم الشبه هنالك ولم يلحق بالشبه ههنا ولم يجعله حكما وقضى بوجود الفراش وثبوت النص على فساد الحكم بالتشابه (وهذا) قصدنا فيه هذا الكلام وانما ذكرنا هذا الفصل لذكر الحكم بضده من القيافة وهذا باب يطول فيه الخطب ويكثر في معانيه الشرح لغموضه ولطفه وقد ذكرنا وجه الكلام في ذلك وما ذهبت اليه كل فرقة من الناس ممن سلف وخلف في كتابنا المترجم بكتاب الرؤس السبعة في الاحاطة بسياسة العالم واسراره وهو كتاب مشهور مستوعب

(ذكر الكهانة وما قيل في ذلك وما اتصل بهذا الباب مما يراه الناس وحد النفس الناطقة)

تنازع الناس في الكهانة فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم الى التكهن وكانوا يدعون العلوم من الغيوب فادعى صنف منهم أن نفوسهم قد صفت فهي مطلعة على أسرار الطبيعة وعلى ما تريد أن يكون منها لان صور الاشياء عندهم في النفس الكلية وصنف منهم ادعى أن الارواح المنفردة وهي الجن تخبرهم بالاشياء قبل كونها وأن أرواحهم كانت قد صفت حتى صارت لتلك الارواح من الجن متفقة (وذهب) قوم من النصارى أن السيد المسيح انما

الاندلس يعرفون عند أهل الاندلس بالشاميين والذين كانوا في الاندلس قبل دخوله يشهرون بالبلديين * ولما هلك بلج قدم الشاميون عليهم بالاندلس ثعلبة بن سلامة العاملي وقد كان عندهم عهد الخليفة هشام بذلك فسار فيهم باحسن سيرة ثم ان أهل الاندلس الاقدمين من العرب والبربر هموا بعد الوقعة لطلب الثار فال أمره معهم الى أن حصروه بمدينة ماردة وهم لايشكون في الظفر الى ان حضر عيد تشاغلوا به فابصر ثعلبة منهم غرة وانتشارا واشرا بكثرة العدد والاستيلاء فخرج عليهم في صبيحة عيدهم وهم ذاهلون فهزمهم هزيمة قبيحة وأفشى فيهم القتل وأسر منهم ألف رجل وسبى ذريتهم وعيالهم وأقبل الى قرطبة من سبيهم بعشرة آلاف أو يزيدون حتى نزل بظاهر قرطبة يوم خميس وهو يريد أن يحمل الاسارى على السيف بعد صلاة الجمعة وأصبح الناس منتظرين لقتل الاسارى فاذا بهم قد طلع عليهم لواء فيه موكب فنظروا فاذا أبو الخطار قد أقبل واليا على الاندلس وهو أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي وذكر ابن حيان انه قدم واليا من قبل حنظلة بن صفوان صاحب افريقية والخليفة حينئذ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وذلك في رجب سنة خمس وعشرين ومائة بعد عشرة أشهر وليها ثعلبة بن سلامة قال وكان مع فروسيته شاعرا محسنا وكان في اول ولايته قد أظهر العدل فدانت له الاندلس الى أن مالت به العصبية اليمانية على المضرية فهاج الفتنة العمياء وكان سبب هذه الفتنة أن أبا الخطار بلغ به التعصب لليمانية أن اختصم عنده رجل من قومه مع خصم له من كنانة كان أبلج حجة من ابن عم أبي الخطار فمال أبو الخطار مع ابن عمه فاقبل الكناني الى الصميل بن حاتم الكلابي أحد سادات مضر فشكا له حيف أبي الخطار وكان ابيا للضيم حاميا للعشيرة فدخل على أبي الخطار وأمض عتابه فجبهه أبو الخطار وأغلظ له فرد الصميل عليه فامر به أبو الخطار فاقيم ودع قفاه حتى مالت عمامته فلما خرج قال له بعض من على الباب أبا جوشن ما بال عمامتك مائلة فقال ان كان لي قوم فسيقيمونها وأقبل الى داره فاجتمع اليه قومه حين بلغهم ذلك ممتعضين فباتوا عنده فلما أظلم الليل قال ما رأيكم فيما حدث علي فانه منوط بكم فقالوا أخبرنا بما تريد فان رأينا تبع رأيك فقال أريد والله اخراج هذا الاعرابي من هذا السلطان على ما خيلت وأنا خارج لذلك عن قرطبة فانه ما يمكنني ما أريد الا بالخروج فالى أين ترون أقصد فقالوا اذهب حيث شئت ولا تأت أبا عطاء القيسي فانه لا يواليك على أمر ينفعك وكان أبو عطاء هذا سيدا مطاعا يسكن باستجة وكان مشاحنا للصميل مساميا له في القدر فسكت عنده ذكره أبو بكر بن الطفيل العبدي وكان من اشرافهم الا انه كان حدث السن فقال له الصميل ألا تتكلم فقال أتكلم بواحدة ما عندي غيرها قال وما هي قال ان عدوت اتيان أبي عطاء وشئت أمرك به لم يتم أمرنا وهلكنا وان أنت قصدته لم ينظر في شيء مما سلف بينكما وحركته الحمية لك فاجابك الى ما تريد فقال له الصميل أصبت الرأي وخرج من ليلته وقام أبو عطاء في نصرته على ما قدره العبدي وعمد الى ثوابة بن يزيد الجذامي أحد أشراف اليمن وساداتهم وكان سا كنا بمورور وقد استفسد اليه أبو الخطار فاجابهما في القيام والتقدم على المضرية فاجتمعوا في شذونة وآل الامر الى أن هزموا أبا الخطار على وادي لكة وحصل اسيرا في أيديهم فارادوا

قتله

كان يعلم الغائبات من الامور ويخبر عن الاشياء قبل كونها لانها كانت فيه نفس عالمة بالغيب ولو كانت تلك النفس في غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب ولا أمة خلت الا كان فيها كهانة ولم يكن الاوائل من الفلاسفة اليونانية يدفعون الكهانات وشهر فيهم أن فيثاغورس كان يعلم علوما من الغيب وضروبا من الوحي لصفاء نفسه وتجردها من أدران هذا العالم والصابئة تذهب الى أن ازرياسيس وأوايس وأويس الثاني وهماهرمس وأغاثيمون كانوا يعلمون الغيب ولذلك كانوا أنبياء عند الصابئة ومنعوا أن تكون الجن أخبرت من ذكرنا بشيء من ضروب الغيب لكن صفت نفوسهم حتى اطلعوا على ما استتر عن غيرهم من جنسهم (وطائفة) ذهبت الى أن التكهن سبب نفساني لطيف يتولد من صفاء مزاج الطباع وقوة النفس ولطافة الحس (وذكر) كثير من الناس أن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه وأن الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على ألسنة الكهان فيؤدون الى الناس الاخبار بحسب ما يرد اليهم وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه فقال وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا

قتله ثم أرجؤه و أوثقوه و أقبلوا به الى قرطبة وذلك فى رجب سنة ١٢٧ بعد ولاية أبى الخطار بسنتين ولما سجن أبو الخطار فى قرطبة امتعض له عبد الرحمن بن حسان الكلبى فاقبل الى قرطبة ليلا فى ثلاثين فارسا معهم طائفة من الرجالة فهجموا على الحبس وأخرجوه منه ومضوا به الى غرب الاندلس فعاد فى طلب سلطانه ودب فى يمانيته حتى اجتمع له عسكر أقبل بهم الى قرطبة فخرج اليه ثوابة ومعه الصميل فقام رجل من المضرية ليلا فصاح باعلى صوته يامعشر اليمن مالكم تتعرضون الى الحرب وتردون المنايا عن أبى الخطار أليس قد قدرنا عليه لو أردنا قتله لفعلنا لكنا امتننا وعفونا وجعلنا الامير منكم أفلا تفكرون فى أمركم فلو أن الامير من غيركم عذرتم ولا والله لا نقول هذا رهبة منكم ولا تخوفا لحربكم ولكن تحرجا من الدماء ورغبة فى عاقبة العامة فتسامع الناس به وقالوا اصدق فتداعوا للرحيل ليلا فما أصبحوا الا على أميال قال الرازى وركب أبو الخطار البحر من ناحية تونس فى المحرم سنة ١٢٥ وفى كتاب أبى الوليد بن الفرضى كان أبو الخطار أعرابيا عصبيا أفرط فى التعصب لليمانيين وتحامل على مضر وأسخط قيسا فثار به زعيمهم الصميل فخلعه ونصب مكانه ثوابة وهاج بين الفريقين الحروب المشهورة وخلع أبو الخطار بعد أربع سنين وتسعة أشهر وذلك سنة ١٢٨ وآل أمره الى أن قتله الصميل وولى الاندلس ثوابة بن سلامة الجذامى قال ابن بشكوال لما اتفقوا عليه خاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب القيروان فكتب اليه بعهد الاندلس وذلك سلخ رجب سنة ١٢٧ فضبط البلد وقام بامره كله الصميل واجتمع عليه أهل الاندلس وأقام واليا سنة أو نحوها ثم هلك وفى كتاب ابن الفرضى انه ولى سنتين ثم ولى الاندلس يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى وجده عقبة بن نافع صاحب افريقية وبانى القيروان المجاب الدعوة صاحب الغزوات والآثار الحميدة ولهذا البيت فى السلطنة بافريقية والاندلس نباهة وذكر الرازى أن مولده بالقيروان ودخل أبوه الاندلس من افريقية مع حبيب بن أبى عبيدة الفهرى عند افتتاحهم ثم عاد الى افريقية وهرب عنه ابنه يوسف هذا من افريقية الى الاندلس مغاضبا له فهوى الاندلس واستوطنها فساد بها قال الرازى كان يوسف يوم ولى الاندلس ابن سبع وخمسين سنة وأقامه أهل الاندلس بعد أميرهم ثوابة وقد مكثوا بغير وال أربعة أشهر فاجتمعوا عليه باشارة الصميل من أجل انه قرشى رضى به الحيان فرفعوا الحرب ومالوا الى الطاعة فدانت له الاندلس تسع سنين وتسعة أشهر وقال ابن حيان قدمه أهل الاندلس فى ربيع الآخر سنة ١٢٩ واستبد بالاندلس دون ولاية أحد له غير من بالاندلس وحكى ابن حيان أنه أنشد قول حرقة بنت النعمان بن المنذر يوم خلعه بالامان من سلطانه ودخوله عسكر عبد الرحمن الداخل المروانى

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

قال ابن حيان لما سمع أبو الخطار بتقديمه حرك يمانيته فاجابوا دعوته فادى ذلك الى وقعة شقندة بين اليمانية والمضرية فيقال انه لم يك بالمشرق ولا بالمغرب حرب أصدق منها جلادا ولا أصبر رجالا طال صبر بعضهم على بعض الى أن فنى السلاح وتجاذبوا بالشعور وتلاطموا

شديد أو شهبا الى آخر القصة وقوله تعالى يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم الآية والشياطين والجن لاتعلم الغيب وانما ذلك لاستراقها السمع مما يسمع من الملائكة بظاهر قوله عزوجل فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين (وطائفة) ذهبت الى أن وجه سبب الكهانة من الوحى الفلكى وأن ذلك فى المولد عند ثبوت عطارد على شرفه وأما ماعداه من الكواكب المدبرات من النيرين والخمسة اذا كانت فى عقد متساوية وارباع متكافئة ومناظرة متوازية وجب لصاحب المولد التكهن والاخبار بالكائنات قبل حدوثها لاشراق هذه الاشراف الكوكبية (ومن هؤلاء) من أوجب كون ذلك فى القرانات الكبار (وذهب) كثير ممن تقدم وتأخر أن علة ذلك علل نفسانية وأن النفس اذا قويت وزادت قهرت الطبيعة وأبانت للانسان كل سر لطيف وخبرته بكل معنى شريف وغاصت بلطافتها فى انتخاب المعانى اللطيفة البديعة فاقتنصتها وأبرزتها عن الكمال وكشفت هذه الطائفة وجه اعتلالها فيما ذكرنا فانهم قالوا رأينا الانسان ينسب الى قسمين

بالايدى وكل بعضهم عن بعض وثابت للصميل غرة فى اليمانية فى بعض الايام فامر بتحريك أهل الصناعات باسواق قرطبة فخرجوا فى نحو أربعمائة رجل من أنجادهم بما حضرهم من السكاكين والعصى ليس فيهم حامل رمح ولا سيف الا قليلا فرماهم على اليمانية وهم على غفلة وما فيهم من يبسط يدا لقتال ولا ينهض لدفاع فانهزمت اليمانية ووضعت المضرية السيف فيهم فابادوا منهم خلقا واختفى أبو الخطار تحت سرير رحى فقبض عليه وجىء به الى الصميل فضرب عنقه وقد ذكرنا خبر انخلاع يوسف عن سلطانه فى ترجمة عبد الرحمن الداخل وهو آخر سلاطين الاندلس الذين ولوها من غير موارثة حتى جاءت الدولة المراونية وذكر ابن حيان أن القائم بدولة يوسف والمستولى عليها الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن الكلابى وجده شمر هو قاتل الحسين رضى الله تعالى عنه وكان شمر قد فر من المختار بولده من الكوفة الى الشام فلما خرج كلثوم بن عياض للمغرب كان الصميل فيمن خرج معه ودخل الاندلس فى طالعة بلج وكان شجاعا جوادا جسورا على قلب الدول فبلغ ما بلغ وآل أمره الى أن قتله عبد الرحمن الداخل المروانى فى سجن قرطبة مخنوقا وذكر ابن حيان انه كان ممن ثار على يوسف الفهرى عبد الرحمن بن علقمة اللخمى فارس الاندلس ووالى ثغر أربونة وكان ذا باس شديد ووجاهة عظيمة فبينما هو فى تدبير غزو يوسف اذا غتاله أصحابه وأقبلوا برأسه اليه ثم ثار عليه بعد ذلك بمدينة باجة عروة بن الوليد فى أهل الذمة وغيرهم فملك اشبيلية وكثر جمعه الى أن خرج له يوسف فقتله وثار عليه بالجزيرة الخضراء عامر العبدرى فخرج له وأنزله على أمان فى سكنى قرطبة ثم ضرب عنقه بعد ذلك وقيل ان أول من خرج على يوسف عمرو بن يزيد الازرق فى اشبيلية فظفر به فقتله وثار عليه فى كورة سرقسطة الحباب الزهرى الى أن ظفر به يوسف فقتله ثم جاءته الداهية العظمى بدخول عبد الرحمن ابن معاوية المروانى الى الاندلس وسعيه فى افساد سلطانه فتم له ما أراده والله تعالى أعلم

*(ومن الداخلين من المشرق الى الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية ابن أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل) وذلك انه لما أصاب دولتهم ما أصاب واستولى بنو العباس على ما كان بايديهم واستقر قدمهم فى الخلافة فر عبد الرحمن الى الاندلس فنال بها ملكا أورثه عقبه حقبة من الدهر قال ابن حيان فى المقتبس انه لما وقع الاختلال فى دولة بنى أمية والطلب عليهم فر عبد الرحمن ولم يزل فى فراره منقلا باهله وولده الى أن حل بقرية على الفرات ذات شجر وغياض يريد المغرب لما حصل فى خاطره من بشرى مسلمة فما حكى عنه انه قال انى لجالس يوما فى تلك القرية فى ظلمة بيت تواريت فيه لرمد كان بى وابنى سليمان بكر ولدى يلعب قدامى وهو يومئذ ابن أربع سنين أو نحوها اذ دخل الصبى من باب البيت فازعا باكيا فاهوى الى حجرى فجعلت أدفعه لما كان بى وياْبى الا التعلق وهو دهش يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع فخرجت لانظر فاذا بالروع قد نزل بالقرية ونظرت فاذا بالرايات السود عليها منحطة وأخ لى حدث السن كان معى يشتد هاربا ويقول لى النجاء يا أخى فهذه رايات المسودة فضربت بيدى على دنانير تناولتها ونجوت بنفسى والصبى أخى معى واعلمت أخواتى بتوجهى ومكان مقتصدى وأمرتهن أن يلحقنى

وهما النفس والجسد ووجدنا الجسد مواتا لا حركة له ولا حس الا بالنفس وكان الميت لا يعلم سببا ولا يؤديه فوجب أن يكون العلم للنفس والنفوس طبقات منها الصافى وهى النفس الحسية والنفس البراعية والنفس المجلية ومنها ما قوته فى الانسان أزيد منه فلما كانت النسبة النورية للانسان الى النفس كانت تهدى الانسان الى استخراج الغيب وعلم آلاته وكانت فطنته وظنونه أبعث وأعم فاذا كانت النفس فى غاية البروز ونهاية الخلوص وكانت تامة النور وكاملة الشعاع كان توجهها فى دراية الغائب بحسب ما عليه نفوس الكهنة وبهذا وجد الكهان على هذه السبيل من نقصان الاجسام وتشويه الخلق كما اتصل بنا عن شق وسطيح وسملقة وزوبعة وسديف بن هرماس وظريفة الكاهنة وعمران أخى عمرو مزيقيا وطارفة بنت جهينة وكاهنة باهلة واشباههم من الكهان (وأما العراف) وهو دون الكاهن فمثل الابلق الاسدى والاجلح الزهرى وعروة بن زيد الازدى ورباح بن كحلة عراف اليمامة الذى قال فيه عروة

جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجدان هما شفيانى وكهند صاحب المستنير وكان فى نهاية التقدم ومولاى

ومولاى بدر معهن وخرجت فكمنت فى موضع ناء عن القرية فما كان الا ساعة حتى أقبلت الخيل فاحاطت بالدار فلم تجد اثرا ومضيت ولحقنى بدر فاتيت رجلا من معارفى بشط الفرات فامرته أن يبتاع لى دواب وما يصلح لسفرى فدل على عبد سوء له العامل فما راعنا الا جلبة الخيل تحفزنا فاشتددنا فى الهرب فسبقناها الى الفرات فرمينا فيه بانفسنا والخيل تنادينا من الشط ارجعا لا باس عليكما فسبحت حاثا لنفسى وكنت أحسن السبح وسبح الغلام أخى فلما قطعنا نصف الفرات قصر أخى ودهش فالتفت اليه لاقوى من قلبه واذا هو قد اصغى اليهم وهم يخدعونه عن نفسه فناديته تقتل يا اخى الى الى فلم يسمعنى واذا هو قد اغتر بامانهم وخشى الغرق فاستعجل الانقلاب نحوهم وقطعت انا الفرات وبعضهم قد هم بالتجرد للسباحة فى اثرى فاستكفه اصحابه عن ذلك فتركونى ثم قدموا الصبى اخى الذى صار اليهم بالامان فضربوا عنقه ومضوا براسه وانا انظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاحتملت فيه ثكلا ملأنى مخافة ومضيت الى وجهى احسب أنى طائر وانا ساع على قدمى فلجات الى غيضة أشبة فتواريت فيها حتى انقطع الطلب ثم خرجت هاربا أؤم المغرب حتى وصلت الى افريقية قال ابن حيان وسار حتى اتى افريقية وقد الحقت به اخته شقيقته ام الاصبغ مولاه بدرا ومولاه سالما ومعهما دنانير للنفقة وقطعة من جوهر فنزل بافريقية وقد سبقه اليها جماعة من فل بنى أمية وكان عندوا اليها عبد الرحمن بن حبيب الفهرى يهودى حدثانى صحب مسلمة بن عبد الملك وكان يتكهن له ويخبره بتغلب القرشى المروانى الذى هو من ابناء ملوك القوم واسمه عبد الرحمن وهو ذو ضفيرتين يملك الاندلس ويورثها عقبه فاتخذ الفهرى عند ذلك ضفيرتين ارسلهما رجاء ان تناله الرواية فلما جىء بعبد الرحمن ونظر الى ضفيرتيه قال لليهودى ويحك هذا هو وانا قاتله فقال له اليهودى انك ان قتلته فما هو به وان غلبت على تركه انه لهو وثقل فل بنى امية على ابن حبيب صاحب افريقية فطرد كثيرا منهم مخافة وتجنى على ابنين للوليد بن يزيد كانا قد استجارا به فقتلهما واخذ مالا كان مع اسمعيل بن ابان بن عبد العزيز بن مروان وغلبه على اخته فتزوجها بكره وطلب عبد الرحمن فاستخفى انتهى وذكر ابن عبد الحكم ان عبد الرحمن الداخل اقام ببرقة مستخفيا خمس سنين وآل امره فى سفره الى ان استجار ببنى رستم ملوك تيهرت من المغرب الاوسط وتقلب فى قبائل البربر الى ان استقر على البحر عند قوم من زناتة واخذ فى تجهيز بدر مولاه الى العبور للاندلس لموالى بنى امية وشيعتهم بها وكانت الموالى المروانية المدونة بالاندلس فى ذلك الاوان ما بين الاربعمائة والخمسمائة ولهم جمرة وكانت رياستهم الى شخصين ابى عثمان عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وهما من موالى عثمان رضى الله تعالى عنه وكانا يتوليان لواء بنى امية يعتقبان حمله ورياسة جند الشام النازلين بكورة البيرة فعبر بدر مولى عبد الرحمن الى ابى عثمان بكتاب عبد الرحمن يذكره فيه ايادى سلفه من بنى امية وسببه بهم ويعرفه مكانه من السلطان وسعيه لنيله اذ كان الامر لجده هشام فهو حقيق بوراثته ويساله القيام بشانه وملاقاة من يثق به من الموالى الاموية وغيرهم ويتلطف فى ادخاله الى الاندلس ليبلى عذرا فى الظهور عليها ويعده باعلاء الدرجة ولطف المنزلة ويامره

فى العرافة (والكهانة) أصلها نفسى لا لطيفة باقية ومقارنة لاعجاز باهرة وهى تكون فى العرب على الاكثر وفى غيرهم على وجه الندرة لانه شئ يتولد على صفاء المزاج الطبيعى وقوة مادة نور النفس واذا أنت اعتبرت أوطانها رأيتها متعلقة بعفة النفس وقمع شرها بكثرة الوحدة وادمان التفرد وشدة الوحشة من الناس وقلة الانس بهم وذلك أن النفس اذا هى تفردت فكرت واذا هى فكرت بعدت واذا بعدت هطل عليها سحب العلم النفسى فنظرت باعين النورية ولحظت بالنور الثاقب ومضت على الشريعة المستوية فاخبرت عن الاشياء على ما هى به وعليه وربما قويت النفس فى الانسان فاشرفت على دراية الغائبات قبل ورودها وكان كبراء اليونانيين ينعتون هذه الطائفة بالروحانية ويقولون ان النفس اذا هى أدت وكانت أكبر جزء فى الانسان تهذبت الى استخراج البدائع والاخبار المستترات واستدلوا على ذلك أن الانسان اذا قوى فكره وزادت مواد نفسه وخاطره فكر فى الطارئ قبل وروده بعلم صورته وكيف وروده الى ما على تصوره وهكذا النفس أيضا اذا تهذبت كانت الرؤيا فى النوم صادقة وفى الزمان موجودة وقد تنازع الناس فى الرؤيا والسبب الموقع لها وماهيتها وكيفية وقوعها فقال

ان يستعين فى ذلك بمن يأمنه و يرجو قيامه معه و يأخذ فيه مع اليمانية ذوى الحنق على المضرية لما بين الحيين من التراث فمشى أبو عثمان لما دعاه اليه و بانت له فيه طماعية و كان عند ورود بدر قد تجهز الى ثغر سرقسطة لنصرة صاحبها الصميل بن حاتم وجه دولة يوسف بن عبد الرحمن صاحب الاندلس فقال لصهره عبد الله بن خالد المذكور لو كنا اذ كرنا الصميل خبر بدر وما جاء به لنختبر ما عنده فى موافقتنا و كانا على ثقة فى أنه لا يظهر على سرهما أحدا لمروءته وأنفته فقال له ان نحن فعلنا لم نأمن من أن تدركه الغيرة على سلطان يوسف لما هو عليه من شرف القدر وجلالة المنزلة فيتوقع سقوط رياسته فلا يساعدنا قال أبو عثمان فنمسح اذا على أمره ونذكر له انه قصد لارادة الايواء والامان وطلب أخماس جده هشام لدينا ليتعيش بها لا يريد غير ذلك فاتفقا على هذا فلما أودعا الصميل خلوا به فى ذلك وقد ظهر لهما منه حقد على صاحبه يوسف فى ابطائه عن امداده لما حاربه الحباب الزهرى بكورة سرقسطة فقال لهما أنا معكما فيما تحبان فاكتبا اليه أن يعبر فاذا حضر سألنا يوسف أن ينزله فى جواره وأن يحسن له ويزوجه بابنته فان فعل والا ضربنا صلعته باسيافنا وصرفنا الامر عنه اليه فشكراه وقبلا يده ثم ودعاه وأقام بطليطلة وقد ولاه يوسف عليها وعزله عن الثغر وانصرفا الى وطنهما بالبيرة وقد كانا القيا من كان معهما فى العسكر من وجوه الناس و ثقاتهم فطارحاهم أمر ابن معاوية ثم دسا فى الكور الى ثقاتهما بمثل ذلك فدب أمره فيهم دبيب النار فى الجمر وكانت سنة خلف بالاندلس بعد خروج من الجماعة التى دامت بالناس وفى رواية ان الصميل لان لهما فى أن يطلب الامر عبد الرحمن الداخل لنفسه ثم دبر ذلك لما انصرفا فتراجع فيه فردهما وقال انى روّيت فى الامر الذى أردته معكما فوجدت الفتى الذى دعوتمانى اليه من قوم لو بال أحدهم بهذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم فى بوله وهذا رجل نتحكم عليه ونميل على جوانبه ولا يسعنا بدل منه ووالله لو بلغتما بيوتكما ثم بدا لى فيما فارقتكما عليه لرأيت أن لا أقصر حتى ألقاكما فلا أغركما من نفسى فانى أعلمكما أن أول سيف يسل عليه سيفى فبارك الله لكما فى رأيكما فقالا له ما لنا رأى الا رأيك ولا مذهب لنا عنك ثم انصرفا عنه على أن يعينهما فى أمره ان طلب غير السلطان وانصرفا عنه الى البيرة عازمين على التصميم فى أمره و يئسا من مضر و بيعة ورجعا الى اليمانية وأخذا فى تهييج أحقاد اهل اليمن على مضر فوجداهم قوما قد وغرت صدورهم عليهم يتمنون شيأ يجدون به السبيل الى ادراك ثارهم واغتنما بعد يوسف صاحب الاندلس فى الثغر وغيبة الصميل فابتاعا مركبا ووجها فيه احد عشر رجلا منهم مع بدر الرسول وفيهم تمام بن علقمة وغيره وكان عبد الرحمن قد وجه خاتمه الى مواليه فكتبوا تحت ختمه الى من يرجونه فى طلب الامر فبثوا من ذلك فى الجهات ما دب به أمرهم ولما وجه أبو عثمان المركب المذكور مع شيعته ألفوه بشط مغيلة من بلاد البربر وهو يصلى وكان قد اشتد قلقه وانتظاره لبدر رسوله فبشره بدر بتمكن الامر وخرج اليه تمام مكثر التبشير فقال له عبد الرحمن ما اسمك قال تمام قال وما كنيتك قال أبو غالب فقال الله أكبر الآن تم أمرنا وغلبنا بحول الله تعالى وقوته وأدنى منزلة أبى غالب لما ملك ولم يزل حاجبه حتى مات عبد الرحمن وبادر عبد الرحمن بالدخول الى المركب فلما هم بذلك أقبل البربر ليعترضوا دونه ففرقت فيهم من

مال

فريق ان النوم هو اشتغال النفس عن الامور الظاهرة بملاقاة حوادث باطنة فيها وذلك على وجهين أحدهما معروف بالعين قائم الصفة يحدث النفس على معان تعبرها وتفرق بينها فتشتغل به عن استعمال الظاهر والباطن الذى ألهى الحواس عن الادراك الى الحساس أعنى الروح لاشتغال الروح عن استعمالها واذا وجب بطلانها سمى نورها عرضيا لانه ليس النوم الكلى الذى يعم الاطفال والعجائز والشيوخ الذين خرجوا من مواقع ومخالقة السحر وكذلك نوم الليل على ما وصفنا والوجه الآخر هو النوم الكلى الذى يعم الاطفال والعجائز والطبقات الحيوانية ذوات الفكر وغيرها وهى طبيعة توجبها الخلقة فى وقت ضرورة كما يوجب الجوع فى وقته ضرورة لان الجوع عند صناعة أهل الطب علة وهى الموجبة تحديد الكبد من الفراغ والاغذية ومنهم من رأى أن النفس تدرك صورة الاشياء على ضربين أحدهما حس والآخر فكر فالصورة المحسوسة لا تدركها الا فى هيئتها فاذا تخلص علمها عندنا كان ادراكها مفردا من طبعها فيكون فكر الانسان ما لم ينم مانعا للحس حتى اذا نام فعدمت النفس الحواس كلها كانت تلك الصورة التى أخذتها من أعيان الاشياء فيها قائمة

مال كان مع تمام صلات على أقدارهم حتى لم يبق أحد حتى أرضاه فلما صار عبد الرحمن بداخل المركب أقبل عات منهم لم يكن أخذ شيأ فتعلق بحبال الهودج بعقل المركب فحول رجل اسمه شاكر يده بالسيف فقطع يد البربرى وأعانتهم الريح على التوجه بمركبهم حتى حلوا بساحل البيرة فى جهة المنكب وذلك فى ربيع الآخر سنة ١٣٨ فاقبل اليه تقيباه أبو عثمان وصهره أبو خالد فنقلاه الى قرية طرش منزل أبى عثمان فجاءه يوسف بن بخت وانثالت عليه الاموية وجاءه جدران بن عمرو المذحجى من أهل مالقة فكان بعد ذلك قاضيه فى العساكر وجاءه أبو عبدة حسان بن مالك الكلبى من اشبيلية فاستوزره وانثال عليه الناس انثيالا فقوى أمره مع الساعات فضلا عن الايام وأمده الله تعالى بقوة عالية فكان دخوله قرطبة بعد ذلك بسبعة أشهر وكان خبر دخوله للاندلس قد صادف صاحبها يوسف الفهرى بالثغر وقد قبض على الحباب الزهرى الثائر بسرقسطة وعلى عامر العبدرى الثائر معه فبينما هو بوادى الرمل بمقربة من طليطلة وقد ضرب عنق عامر العبدرى وابن عامر برأى الصميل اذ جاءه قبل أن يدخل رواقه رسول يركض من عند ولده عبد الرحمن بن يوسف من قرطبة يعلمه بأمر عبد الرحمن ونزوله بساحل جند دمشق واجتماع الموالى المروانية اليه وتشوف الناس لامره فانتشر الخبر فى العسكر لوقته وشمت الناس بيوسف لقتله القرشيين عامرا وابنه وختره بعهدهما فسارع عدد كثير الى البدار لعبد الرحمن الداخل وتنادوا بشعارهم وقوضوا عن عسكره واتفق أن جادت السماء بوابل لا عهد بمثله لما شاءه الله تعالى من التضييق على يوسف فاصبح وليس فى عسكره سوى غلمانه وخاصته وقوم الصميل قيس وأتباعه فاقبل الى طليطلة وقال للصميل ما الرأى فقال بادره الساعة قبل أن يغلظ أمره فانى لست آمن عليك هؤلاء اليمانية لحنقهم علينا فقال له يوسف أتقول ذلك ومع من نسير اليه وأنت ترى الناس قد ذهبوا عنا وقد أنفضنا من المال وأنضينا الظهر ونهكتنا المجاعة فى سفرتنا هذه ولكن نسير الى قرطبة فنستانف الاستعداد له بعد أن ننظر فى أمره ويتبين لنا خبره فلعله دون ما كتب الينا فقال الصميل الرأى ما أشرت به عليك وليس غيره وسوف تتبين غلطك فيما تنكبه ومضوا الى قرطبة وسار عبد الرحمن الداخل الى اشبيلية وتلقاه رئيس عربها أبو الصباح بن يحيى اليحصبى واجتمع الرأى على ان يقصدوا به دار الامارة قرطبة فلما نزلوا بطشانة قالوا كيف نسير بامير لا لواء له ولا علم نهتدى اليه فجاؤا بقناة وعمامة ليعقدوها عليه فكرهوا أن يميلوا القناة لتعقد تطيرا فاقاموها بين زيتونتين متجاورتين فصعد رجل فرع أحداهما فعقد اللواء والقناة قائمة كما سياتى وحكى ان فرقدا العالم صاحب الحدثان مر بذلك الموضع فنظر الى الزيتونتين فقال سيعقد بين هاتين الزيتونتين لواء لامير لا يثور عليه لواء الا كسره فكان ذلك اللواء يسعد به هو وولده من بعده ولما اقبل الى قرطبة خرج له يوسف وكانت المجاعة توالت قبل ذلك ست سنين فاورثت اهل الاندلس ضعفا ولم يكن عيش عامة الناس بالعسكر ما عدا أهل الطاقة مذ خرجوا من اشبيلية الا الفول الاخضر الذى يجدونه فى طريقهم وكان الزمان زمان ربيع فسمى ذلك العام عام الخلف وكان نهر قرطبة حائلا فسار يوسف من قرطبة وأقبل ابن معاوية على بر اشبيلية والنهر بينهما فلما رأى يوسف تصميم

كانها محسوسة لان الحس بها فى أعيانها كان قبيل استيلائها بالفكر ضعيفا فلما ارتفع الحس قوى الفكر فصار يصور الاشياء كأنها محسوسة فخطر على بال النائم منها ما يخطر على باله اذا كان يقظان للشئ الذى قد كان أشبه وليس لذلك نظام وانما هو ما اتفق فلذلك يرى الانسان كأنه يطير وليس بطائر وانما صورة الطيران مفردة كما تعلمها اذا غابت ولكن فكرته فيها تقوى حتى كانها معاينة له فاما ما يراه من الاشياء التى تدل على ما يريد فانما ذلك لان النفس عالمة بالصور فاذا خلصت فى المنام من شوائب الاجسام أشرفت على ما بينا لها وهى عالمة أيضا فى حال اليقظة لا يمكنها معرفة ذلك فتتخيل خيالات تدل بها على تلك الاشياء التى تريد أن تكون حتى اذا تذكرت تلك الخيالات وتلك الاشياء فمن كانت نفسه صافية لم تكد رؤياه تكذب كثيرا ثم ما بين الكدرة والصافية وسائط على حسب مراتبها من الصفاء والكدر يكون صدق ما تخيلته وكذبه (وقال فريق آخر) اذا بطل استعمال النفس للحواس ظاهرا لم يبطل استعمالها فى نفسها ولم يبطل استعمال قواها فتنتقل فى الاماكن وتشاهد الاشخاص بالقوة الروحانية التى

عبد الرحمن الى قرطبة رجع مع النهر محاذيا له فتسايرا والنهر حاجز بينهما الى ان حل يوسف بصحراء الصارة غربي قرطبة وعبد الرحمن في مقابلته وتراسلا في الصلح وقدام يوسف بذبح الجزر وتقدم بعمل الاطعمة وابن معاوية اخذ في خلاف ذلك قد اعد للحرب عدتها واستكمل اهبتها وسهر الليل كله على نظام امره كما سنذكره ثم انهزم اهل قرطبة وظفر عبد الرحمن الداخل ونصر نصرا لا كفاء له وانهزم الصميل وفر الى شوذر من كورة جيان وفر يوسف الى جهة ماردة وذكر أن أبا الصباح رئيس اليمانية قال لهم عند هزيمة يوسف يا معشر يمن هل لكم الى فتحين في يوم قد فرغنا من يوسف وصميل فلنقتل هذا الفتى المقدام ابن معاوية فيصير الامر لنا نقدم رجلا منا ونخلع عنه المضرية فلم يجبه أحد لذلك وبلغ الخبر عبد الرحمن فاسرها في نفسه الى أن اغتاله بعد عام فقتله ولما انقضت الهزيمة أقام ابن معاوية بظاهر قرطبة ثلاثة أيام حتى أخرج عيال يوسف من القصر وعف وأحسن السيرة ولما حصل بدار الامارة وحل محل يوسف لم يستقر به قرار من افلات يوسف والصميل فخرج في اثر عدوه واستخلف على قرطبة القائم بامره أبا عثمان واستكتب كاتب يوسف أمية بن زياد واستنام اليه اذ كان من موالي بني أمية ونهض في طلب يوسف فوقع يوسف على خبره فخالفه الى قرطبة ودخل القصر وتحصن أبو عثمان خليفة عبد الرحمن بصومعة الجامع فاستنزله بالامان ولم يزل عنده الى أن عقد الصلح بينه وبين ابن معاوية وكان عقد الصلح المشتمل عليه وعلى وزيره الصميل في صفر سنة ١٣٩ وشارطه على ان يخلي بينه وبين امواله حيثما كانت وان يسكن بلاط الحر منزله بشرقي قرطبة على ان يختلف كل يوم الى ابن معاوية ويريه وجهه واعطاه رهينة على ذلك ابنه ابا الاسود محمد بن يوسف زيادة على ابنه عبد الرحمن الذي اسره ابن معاوية يوم الوقعة ورجع العسكران وقد اختلطا الى قرطبة وذكر ابن حيان أن يوسف بن عبد الرحمن نكث سنة ١٤١ فهرب من قرطبة وسعى بالفساد في الارض وقد كانت الحال اضطربت به في قرطبة ودس له قوم قاموا عليه في أملاكه زعموا انه غصبهم اياها فدفعهم الى الحكام فأعنتوه وحمل عنه في التألم بذلك كلام رفع الى ابن معاوية أصاب أعداء يوسف به السبيل الى السعاية به والتخويف منه فاشتد توحشه فخرج الى جهة ماردة واجتمع اليه عشرون ألفا من أهل الشتات فغلظ أمره وحدثته نفسه بلقاء ابن معاوية فخرج نحوه من ماردة وخرج ابن معاوية من قرطبة فبينما ابن معاوية في حصن المدور مستعدا اذ التقى بيوسف عبد الملك بن عمر بن مروان صاحب اشبيلية فكانت بينهما حرب شديدة انكشف عنها يوسف بعد بلاء عظيم منهزما واستحر القتل في أصحابه فهلك منهم خلق كثير وسار يوسف لناحية طليطلة فلقيه في قرية من قراها عبد الله بن عمر الانصاري فلما عرفه قال لمن معه هذا الفهري يفر قد ضاقت عليه الارض وقتله الراحة له والراحة منه فقتله واحتز رأسه وقدم به الى عبد الرحمن فلما قرب وأوذن عبد الرحمن به أمره أن يتوقف به دون جسر قرطبة وأمر بقتل ولده عبد الرحمن المحبوس عنده وضم الى رأسه رأسه ووضعا على قناتين مشهرين الى باب القصر وكان عبد الرحمن لما فر يوسف قد سجن وزيره الصميل لانه قال له أين توجه فقال لا اعلم فقال ما كان ليخرج حتى يعلمك ومع ذلك فان ولدك معه واكد عليه في ان يحضره فقال لو انه تحت قدمي هذه ما رفعتهما لك

الجسمانية الغليظة وذلك أن القوة الجسدانية لاتدرك الا بمشاركة

ليست بجسم لا بالقوة وملامسة الاشياء اما باتصال كاتصال اللون واما بانفصال الجسم من الاماكن والروح تدرك المتصل والمنفصل جميعا الا بمشاركة الجسد الذى يوجب الحاجة الى قرب المدرك (ومنهم) من رأى أن النوم هو اجتماع الدم وجريانه الى الكبد (ومنهم) من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدوّ الروح (ومنهم) من زعم أن ما يجده الانسان في نومه من الخواطر انما هو عمل الاغذية والاطعمة والطبائع (ومنهم) من رأى أن بعضا لرؤيا من الملك وبعضها من الشيطان واعتل هؤلاء بقوله تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا (ومنهم) من رأى أنها جزء من احدى وستين جزأ من النبوّة وتنازع هؤلاء في كيفية الجزء وماهيته (ومنهم) من ذهب الى أن الانسان الحساس هو غير هذا الجسم وانه يخرج عن البدن في حال النوم فيشاهد العالم ويرى الملكوت على حسب صفاته واعتل هؤلاء وغيرهم ممن ذهب الى نحو هذا المعنى بقوله عزوجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الى قوله الى أجل مسمى (وذهب)

عنه فاصنع ما شئت فحينئذ امر به للحبس ونحن معه ولدي يوسف ابا الاسود محمدا المعروف بعد بالاعمى وعبد الرحمن فتهيأ لهما الهرب من نقب فاما ابو الاسود فنجا سالما واضطرب في الارض يبغي الفساد الى أن هلك حتف انفه واما عبد الرحمن فاثقله اللحم فانبهر فرد الى الحبس حتى قتل كما تقدم وانف الصميل من الهرب فاقام بمكانه فلما قتل يوسف ادخل ابن معاوية على الصميل من خنقه فاصبح ميتا فادخل عليه مشيخة المضرية في السجن فوجدوه ميتا وبين يديه كاس ونقل كانه بغت على شرابه فقالوا والله انا لنعلم يا ابا جوشن انك ما شربتها ولكن سقيتها ومما ظهر من بطش الامير عبد الرحمن بن معاوية وصرامته فتكه باحد دعائم دولته رئيس اليمانية ابي الصباح بن يحيى وكان قد ولاه اشبيلية وفي نفسه منه ما وجب فتكه به ومن ذلك النوع حكايته مع العلاء بن مغيث اليحصبي اذ ثار بباجة وكان قد وصل من افريقية على ان يظهر الرايات السود بالاندلس فدخل في ناس قليلين فارسي بناحية باجة ودعا اهلها ومن حولهم فاستجاب له خلق كثير الى ان لقيه عبد الرحمن بجهة اشبيلية فهزمه وجيء به وباعلام اصحابه فقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه واعناقهم وامر فقرطت الصكاك في آذانهم باسمائهم واودعت جوالق محصنا ومعها اللواء الاسود وانفذ بالجوالق تاجرا من ثقاته وامره ان يضعه بمكة ايام الموسم ففعل ووافق ابا جعفر المنصور قد حج فوضعه على باب سرادقه فلما كشفه ونظر اليه سقط في يده واستدعى عبد الرحمن وقال عرضنا هذا البائس يعني العلاء للحتف ما في هذا الشيطان مطمع فالحمد لله الذي صير هذا البحر بيننا وبينه ولما أوقع عبد الرحمن باليمانية الذين خرجوا في طلب ثار رئيسهم أبي الصباح اليحصبي وأكثر القتل فيهم استوحش من العرب قاطبة وعلم انهم على دغل وحقد فانحرف عنهم الى اتخاذ المماليك فوضع يده في الابتياع فابتاع موالي الناس بكل ناحية واعتضد أيضا بالبرابر ووجه عنهم الى بر العدوة فاحسن لمن وفد عليه احسانا رغب من خلفه في المتابعة قال ابن حيان واستكثر منهم ومن العبيد فاتخذ أربعين ألف رجل صار بهم غالبا على أهل الاندلس من العرب فاستقامت مملكته وتوطدت وقال ابن حيان كان عبد الرحمن راجح الحلم فاسح العلم ثاقب الفهم كثير الحزم نافذ العزم بريا من العجز سريع النهضة متصل الحركة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ثم لا ينفرد في ابرامها برأيه شجاعا مقداما بعيد الغور شديد الحدة قليل الطمأنينة بليغا مفوها شاعرا محسنا سمحا سخيا طلق اللسان وكان يلبس البياض ويعتم به ويؤثره وكان قد أعطي هيبة من وليه وعدوه وكان يحضر الجنائز ويصلي عليها ويصلي بالناس اذا كان حاضرا الجمع والاعياد ويخطب على المنبر ويعود المرضى ويكثر مباشرة الناس والمشي بينهم الى أن حضر في يوم جنازة فتصدى له في منصرفه عنها رجل متظلم عامي وقاح ذو عارضة فقال له أصلح الله الامير ان قاضيك ظلمني وأنا أستجير بك من الظلم فقال له تنصف ان صدقت فمد الرجل يده الى عنانه وقال أيها الامير أسالك بالله لما برحت من مكانك حتى تأمر قاضيك بانصافي فانه معك فوجم الامير والتفت الى من حوله من حشمه فرآهم فلاودعا بالقاضي وأمر بانصافه فلما عاد الى قصره كلمه بعض رجاله ممن كان يكره خروجه وابتذاله فيما جرى فقال له ان هذا الخروج الكثير أبقى الله تعالى الامير

الجمهور من المتطببين في ذلك أن الاحلام بالاخلاط وترى بقدر مزاج كل واحد منها وقوته وذلك أن الذين تشتغل أجسادهم من المرة الصفراء يرون في منامهم النيران ونحو ذلك وما أشبهه والغالب على من كان مزاجه البلغم أن يرى بحورا وأنهارا وعيونا وأحواضا وغدرانا ومياها كثيرة وأمواجا ويرى كأنه يسبح أو يصيد سمكا ونحو ذلك وما قاربه والغالب على من كان مزاجه السوداء أن يرى في منامه أجداثا وقبورا وأمواتا مكفنين بسواد وبكاء ونوحا ورنينا وصراخا وأشياء مفزعة وأمورا مقطعة وفيلة وأسودا والغالب على من كان مزاجه الدم أن يرى خمرا ونبيذا ورياحين ولعبا ووصفا وعزفا وأنواع الملاهي والرقص والسكر والفرح والسرور والثياب المصبغات من الحمرة وغيرها وما لحق بهذا الباب مما وصفنا من أنواع السرور ولا خلاف بين المتطببين في أن الضحك واللعب وأنواع السرور من الدم وأن كل حزن وخوف وان اختلفت معانيه فان ذلك من المرة السوداء واحتجوا بضروب من الاحتجاجات فهذه جملتها وقد أوضحنا هذا في كتابنا الرؤيا والكمال وفي كتاب طب النفوس فلا وجه لاطنابنا في هذا الموضع من كتابنا هذا اذ كان هذا الكتاب كتاب خبر لا كتاب

لا يحمل بالسلطان العزيز وان عيون العامة تخلق بجلالته ولا تؤمن بوادرهم عليه فليس الناس كما عهدوا وافترك من يومئذ شهود الجنائز وحضور المحافل ووكل بذلك ولده هشاما * ومن نظم عبد الرحمن الداخل ما كتب به الى أخته بالشام

أيها الراكب الميمم أرضي * اقر مني بعض السلام لبعضي
ان جسمي كما تراه بأرض * وفؤادي ومالكيه بأرض
قدر البين بيننا فافترقنا * وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الدهر بالفراق علينا * فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وكتب الى بعض من وفد عليه من قومه لما ساله الزيادة في رزقه واستقل ما قابله به وذكره بحقه بهذه الابيات

شتان من قام ذا امتعاض * منتضي الشفرتين نصلا
فجاب قفرا وشق بحرا * مساميا لجة ومحلا
دبر ملكا وشاد عزا * ومنبرا للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى * ومصر المصر حين أجلى
ثم دعا اهله اليه * حيث انتأوا أن هلم أهلا
فجاء هذا طريد جوع * شديد روع يخاف قتلا
فنال امنا ونال شبعا * ونال مالا ونال أهلا
ألم يكن حق ذا على ذا * أعظم من منعم ومولى

وحكى ابن حيان أن عبد الرحمن لما أذعن له يوسف صاحب الاندلس واستقر ملكه استحضر الوفود الى قرطبة فانثالوا عليه ووالى القعود لهم في قصره عدة أيام في مجالس يكلم فيها رؤساءهم ووجوههم بكلام سرهم وطيب نفوسهم مع انه كساهم وأطعمهم ووصلهم فانصرفوا عنه محبورين مغتبطين يتدارسون كلامه ويتهافتون بشكره ويتهانئون بنعمة الله تعالى عليهم فيه وفي بعض مجالسهم هذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين يستجديه فقال له يا ابن الخلائف الراشدين والسادة الاكرمين اليك فررت وبك عذت من زمن ظلوم ودهر غشوم قلل المال وكثر العيال وشعث الحال فصير الى نداك المآل وأنت ولي الحمد والمجد والمرجو للرفد فقال له عبد الرحمن مسرعا قد سمعنا مقالتك وقضينا حاجتك وأمرنا بعونك على دهرك على كرهنا لسوء مقامك فلا تعودن ولا سواك لمثله من اراقة ماء وجهك بتصريح المسئلة والالحاف في الطلبة واذا ألم بك خطب أو حزبك أمر فارفعه الينا في رقعة لا تعدوك كيما نستر عليك خلتك ونكف شمات العدو عنك بعد رفعك لها الى مالكك ومالكنا عز وجهه باخلاص الدعاء وصدق النية وأمر له بجائزة حسنة وخرج الناس يتعجبون منه من حسن منطقه وبراعة أدبه وكف فيما بعد ذوي الحاجات عن مقابلته بها شفاها في مجلسه قال ابن حيان ووقع الى سليمان بن يقظان الاعرابي على كتاب منه سلك به سبيل الخداع أما بعد فدعني من معاريض المعاذير والتعسف عن جادة الطريق لتمدن يدا الى الطاعة والاعتصام بحبل

الجماعة

بحث ونظر وانما تغلغل بنا الكلام لما تشعب من مذاهبهم في اخبارنا عنهم ولم نعرض في هذا الكتاب لما ذهبت اليه الناس في تحديد النفس وما قاله أفلاطون في تحديده للنفس ان النفس جوهر ليس بمحرك للبدن وما حده صاحب المنطق أن حد النفس كمال الجسم الطبيعي وحدها من وجه آخر أنه حي بالقوة ولا للفرق بين النفس والروح لان الفرق بينهما أن الروح جسم والنفس لا جسم وأن الروح يحرو به البدن والنفس تبطل أفعالها في البدن ولا تبطل هي في ذاتها والنفس تحرك البدن وتنيله الحس وذكره أفلاطون في كتاب السياسة المدنية نهر البستان وما يلحق الانسان من صفات النفس الداخلة على النفس الناطقة وذكره أفلاطون في كتابه الى طيماوس وفي كتاب قارون وكيفية سقراط الحكيم ومائة كلام في ذلك في النفس والصورة (وقد تكلم الناس) في طبقات النفوس وصفاتها من أصحاب الالسن وغيرهم من الفلاسفة ثم تنازع أهل الاسلام في هيئة الانسان الحساس الدراك المأمور المنهي وما قالت المتصوفة وأصحاب المعارف والدعاوى في طبقات النفوس من النفس المطمئنة والنفس اللوامة والنفس الامارة بالسوء

الجماعة أولازوين بنانهاعن رصف المعصية نكالا بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد وذى المسهب ان عبد الرحمن كان من البلاغة بالمكان العالى الذى يرتد عنه أكثر بنى مروان حسيرا وقد جرى بينه وبين مولاه بدر ما لا يجب اهماله وذلك انه لما سعى بدر فى تكميل دولته من ابتدائها الى استقرارها صحبه عجب وامتنان كاد يردان به حياض المنية فاول ما بدأ به أن قال بعنا أنفسنا وخاطرنا بها فى شان من هانت عليه لما بلغ أقصى أمله وقال وقد أمره بالخروج الى غزاة انما تعبنا أولا لنستريح آخرا وما أرانا الا فى أشد مما كنا وأطال أمثال هذه الاقوال وأكثر الاستراحة فى جانبه فهجره وأعرض عنه فزاد كلامه وكتب له رقعة منها أما كان جزائى فى قطع البحر وجوب القفر والاقدام على تشتيت نظام ممالكه واقامة أخرى غير الهجر الذى أهاننى فى عيون أكفائى وأشمت بى أعدائى وأضعف أمرى ونهيى عند من يلوذ بى وبتر مطامع من كان يكرمنى ويحفدنى على الطمع والرجاء وأظن أعداءنا بنى العباس لو حصلت بايديهم ما بلغوا بى أكثر من هذا فانا لله وانا اليه راجعون فلما وقف عبد الرحمن على رقعته اشتد غيظه عليه فوقع عليها وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك وسوء خطابك ودناءة أدبك ولئيم معتقدك والعجب أنك متى ما أردت أن تبنى لنفسك عندنا متاتا أتيت بما يهدم كل متات مشيد مما تمن به مما قد أضجر الاسماع تكراره وقدحت فى النفوس اعادته مما استخرنا الله تعالى من أجله على امرنا باستئصال مالك وزدنا فى هجرك وابعادك وهضنا جناح ادلالك فلعل ذلك يقمع منك ويردعك حتى نبلغ منك ما نريد ان شاء الله تعالى فنحن اولى بتاديبك من كل أحد اذ شرك مكتوب فى مثالبنا وخيرك معدود فى مناقبنا فلما ورد هذا الجواب على بدر سقط فى يده وسلم للقضاء وعلم انه لا ينفع فيه قول ووجه عبد الرحمن من استاصل ماله والزمه داره وهتك حرمته وقص جناح جاهه وصيره اهون من قعيس على عمته ومع هذا فلم ينته بدر عن الاكثار من مخاطبة مولاه تارة يستلينه وتارة يذكره وتارة ينفث مصدور الخط قلمه ما يلقيه عليه بلسانه غير مفكر فيما يؤول اليه الى ان كتب له قد طال هجرى وتضاعف همى وفكرى واشدما على كونى سليبا من مالى فعسى ان تامر لى باطلاق مالى واتحد به فى معزل لا اشتغل بسلطان ولا ادخل فى شئ من اموره ما عشت فوقع له ان لك من الذنوب المترادفة ما لو سلب معها روحك لكان بعض ما استوجبته ولا سبيل الى رد مالك فان تركك بمعزل فى بلهنية الرفاهية وسعة ذات اليد والتخلى من شغل السلطان اشبه بالنعمة منه بالنقمة فايأس من ذلك فان الياس مريح فسكت لما وقف على هذه الاجابة مدة الى ان اتى عيد فاشتد به حزنه لما راى من حاجة من يلوذ به وهمهم بما يفرح به الناس فكتب اليه فى ذلك رقعة منها وقد اتى هذا العيد الذى خالفت فيه أكثر من اساء اليك وسعى فى خراب دولتك ممن عفوت عنه فتبنك النعمة فى ذرا الدوا واقتعد ذروة العز وانا على ضد من هذا اسليبا من النعمة مطرحا فى حضيض الهوان اياس مما يكون واقرع السن على ما كان فلما وقف على هذه الرقعة امر بنفيه عن قرطبة الى اقصى الثغور وكتب له على ظهر رقعته لتعلم انك لم تزل بمقتك حتى ثقلت على العين طلعتك ثم زدت الى ان ثقل على السمع كلامك ثم زدت الى ان ثقل على النفس جوارك وقد امرنا باقصائك الى اقصى الثغر

وغير ذلك مما ذهب اليه اليهود والمجوس والصابئة وغير ذلك مما قد أتينا على ايضاحه فى كتاب سر الحياة وغيره من كتبنا (وقد كان سطيح) الكاهن وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود ابن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن بن غسان يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب لا عظم فيه الا جمجمة الرأس وكانت اذا لمست باليدين عظمها وكان شق بن مصعب بن شكران ابن أترك بن قيس بن عنفر بن أنمار بن ربيعة بن نزار معه فى عصر واحد وكان فيهما جرة الكهانة وكذلك سملقة وزوبعة كانا فى عصر واحد والله أعلم

(ذكر جمل من أخبار الكهان وسيل العرم وتفرق الازد فى البلدان)

قال المسعودى قد ذكرنا جملا من الكهانة والقيافة والزجر والبارح والسانح فلنذكر الآن لمعا من أخبار الكهان وتفرق ولد سبا فى البلدان ولم يزل ولد قحطان فى أطيب عيش الى أن هلك سبا وكان القوم بعد مضى سبا تداولتهم الاعصار قرنا بعد قرن الى أن أرسل الله عليهم سيل العرم وذلك أن الرياسة انتهت فيهم الى عمرو بن عمرو مزيقيا وهو عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الازد بن الغوث بن كهلان بن سبا

فبالله الا ما اقصرت ولا يبلغ بك زائد المقت الى ان تضيق بي الدنيا وإياك تشكو لفلان وتتألم من فلان وما تقولوه عليك ومالك عدوّا أكبر من لسانك فاطاح بك غيره فاقطعه قبل ان يقطعك * ولما فتح الداخل سرقسطة وحصل في يده ثائرها الحسين الانصاري وشدخت رؤس وجوهها بالعمد وانتهى نصره فيها الى غاية أمله أقبل خواصه يهنئونه فجرى بينهم أحد من لا يؤبه به من الجند فهنأه بصوت عال فقال والله لولا ان هذا اليوم يوم اسبغ على فيه النعمة من هو فوقي فاوجب على ذلك ان انعم فيه على من هو دوني لاصلينك ما تعرضت له من سوء النكال من تكون حتى تقبل مهنئا رافعا صوتك غير متلجلج ولا متهيب لمكان الامارة ولا عارف بقيمتها حتى كانك تخاطب اباك أو اخاك وان جهلك ليحملك على العود لمثلها فلا تجد مثل هذا الشافع في مثلها من عقوبة فقال ولعل فتوحات الامير يقترن اتصالها باتصال جهلي وذنوبي فتشفع لي متى اتيت بمثل هذه الزلة لا اعدمنيه الله تعالى فتهلل وجه الامير وقال ليس هذا باعتذار جاهل ثم قال نبهونا على انفسكم اذا لم تجدوا من ينبهنا عليها ورفع مرتبته وزاد في عطائه * ولما أنحى اصحابه على اصحاب الفهري بالقتل يوم هزيمتهم على قرطبة قال لا تستأصلوا شأفة اعداء ترجون صداقتهم واستبقوهم لأشد عداوة منهم يشير الى استبقائهم ليستعان بهم على اعداء الدين ولما اشتد الكرب بين يديه يوم حربه مع الفهري ورأى شدة مقاساة اصحابه قال هذا اليوم هو أس ما يبنى عليه اما ذل الدهر واما عز الدهر فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون تربحوا بها بقية اعماركم فيما تشتهون * ولما خرج من البحر أول قدومه على الاندلس أتوه بخمر فقال اني محتاج لما يزيد في عقلي لا لما ينقصه فعرفوا بذلك قدره ثم اهديت اليه جارية جميلة فنظر اليها وقال ان هذه من القلب والعين بمكان وان أنا اشتغلت عنها بهمتي فيما أطلبه ظلمتها وان اشتغلت بها عما اطلبه ظلمت همتي ولا حاجة لي بها الآن وردها على صاحبها * ولما استقامت له الدولة بلغه عن بعض من أعانه انه قال لولا أنا ما توصل لهذا الملك ولكان منه ابعد من العيوق وأن أخر قال سعده أعانه لا عقله وتدبيره فحركه ذلك الى أن قال

لا يلف ممتن علينا قائل * لولاي ما ملك الانام الداخل
سعدي وحزمي والمهند والقنا * ومقادر بلغت وحال حائل
ان الملوك مع الزمان كواكب * نجم يطالعنا ونجم آفل
والحزم كل الحزم أن لا يغفلوا * أيروم تدبير البرية غافل
ويقول قوم سعده لا عقله * خير السعادة ما حماها العاقل
أبني أمية قد جبرنا صدعكم * بالغرب رغما والسعود قبائل
ما دام من نسلي امام قائم * فالملك فيكم ثابت متواصل

وحكى ابن حيان أن جماعة من القادمين عليه من قبل الشام حدثوه يوما في بعض مجالسهم عنده ما كان من الغمر بن يزيد بن عبد الملك أيام محنتهم وكلامه لعبد الله بن علي بن عبد الله ابن عباس الساطي بهم وقد حضروا رواقه وفيه وجوه المسودة من دعاة القوم وشيعتهم رادا على عبد الله فيما أراقه من دماء بني أمية وسلبهم والبراءة منهم فلم تردعه هيبته وعصف ريحه

وذلك ببلاد مأرب من أرض اليمن وهي بلاد سبا التي ذكرها الله في القرآن أنه أرسل على أهلها سيل العرم وهو السد وكان فرسخا في فرسخ بناه لقمان الاكبر العادي وهو لقمان بن عاد بن عاديا وقد ذكرنا خبره وخبر غيره ممن كان عمر منهم عمر النسور وهذا السد هو الذي كان يرد عنهم السيل فيما سلف من الدهر اذا حان أن يغشى أموالهم ففرقهم الله كل ممزق وباعد بين أسفارهم والناس في قصة هلاكهم يختلفون وفي سياقة أخبارهم يتباينون (وذكر) أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبا كانت من أخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها وأكثرها جنانا وغيضانا وأفسحها مروجا مع بنيان حسن وشجر مصفوف ومساكب للماء متكاثفة وانهار وأزهار متفرقة وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجد على هذه الحالة وفي العرض مثل ذلك وان الراكب والمار كان يسير في تلك الجبال من أولها الى أن ينتهي الى آخرها لا تواجهه الشمس ولا تعارضه لاستتار الارض بالعمارة الشجرية واستيلائها عليها واحاطتها بها وكان أهلها في أطيب عيش وأرفهه وأهنأ حال وأرغد قرى وفي نهاية الخصب وطيب واحتفال

واحتفال جمعه عن معارضته والرد عليه بتفضيله لاهل بيته والذب عنهم وانه جاء فى ذلك بكلام غاظ عبدالله وأغصه بريقه وعاجل الغمر بالحتف فقضى وخلف فى الناس ما خلف من تلك المعارضة فى ذلك المقام وكثر القوم فى تعظيم ذلك فكأن الامير عبد الرحمن احتقر ذلك الذى كان من الغمر فى جنب ما كان منه فى الذهاب بنفسه عن الاذعان لعدوهم والانف من طاعتهم والسعى فى اقتطاع قطعة من مملكة الاسلام عنه وقام عن مجلسه فصاغ هذه الابيات بديهة

شتان من قام ذا امتعاض * فرّما قال واضمحلا
ومن غدا مصلتا لعزم * مجردا للعداة نصلا
فجاب قفرا وشق بحرا * ولم يكن فى الانام كلا
فشاد ملكا وشاد عزا * ومنبرا للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى * ومصر المصر حين أجلى
ثم دعا أهله جميعا * حيث انتأوا أن هلم أهلا

وله غير ذلك من الشعر وسياتى بعضه مما يقارب هذه الطبقة * وأول ناصر لعبد الرحمن سائر معه فى الخمول والاستخفاء مولاه المتقدم الذكر سعى فى سلطانه شرقا وغربا برا وبحرا فلما كمل له الامر سلبه من كل نعمة وسجنه ثم أقصاه الى أقصى الثغر حتى مات وحاله أسوأ حال والله تعالى أعلم بالسرائر فلعل له عذرا ويلومه من يسمع مبدأه ومآله ورأس الجماعة الذين توجه اليهم بدو فى القيام بسلطانه أبو عثمان ولما توطدت دولة الداخل استغنى عنه وعن أمثاله فاراد أبو عثمان أن يشغل خاطره و ينظر فى شئ يحتاج به اليه فجعل ابن أخته يثور عليه فى حصن من حصون البيرة فوجه عبد الرحمن من قبض عليه وضرب عنقه ثم أخذ ابو عثمان مع ابن أخى الداخل وزين له القيام عليه فسعى لعبد الرحمن بابن أخيه قبل أن يتم أمره فضرب عنقه وأعناق الذين دبروا معه وقيل له ان أبا عثمان كان معه وهو الذى ضمن له تمام الامر فقال هو أبو سلمة هذه الدولة فلا يتحدث الناس عنه بما تحدثوا عن بنى العباس فى شان أبى سلمة لكن ساعتبه عتبا أشد من القتل وجعل يوعده ورجع له الى ما كان عليه فى الظاهر وكان صاحبه الثانى فى الموازرة والقيام بالدولة صهره عبدالله بن خالد وكان قد ضمن لابى الصباح رئيس اليمانية عن الداخل أشياء لم يف بها الداخل وقتل أبا الصباح فانعزل عبد الله وأقسم لا يشتغل بشغل سلطان حياته فمات منفردا عن السلطان وكان ثالثهما فى النصرة والاختصاص تمام بن علقمة وهو الذى عبر البحر اليه وبشره باستحكام أمره فقتل هشام بن عبد الرحمن ولد تمام المذكور وكذلك فعل بولد أبى عثمان المتقدم الذكر قال ابن حيان فذاقا من ثكل ولديهما على يدى أعز الناس عليهما ما أراهما أن أحدا لا يقدر أن ينظر فى تحسين عاقبته واذا تتبع الامر فى الذين يقومون فى قيام دولة كان مآلهم مع من يظهرونه هذا المآل وأصعب * وذكر ان أول حجاب الداخل تمام بن علقمة مولاه ذو العمر الطويل ثم يوسف بن بخت الفارسى مولى عبد الملك بن مروان وله بقرطبة عقب نابه ثم عبد الكريم ابن مهران من ولد الحرث بن أبى شمر الغسانى ثم عبد الرحمن بن مغيث بن الحرث بن

الهواء وصفاء الفضاء وتدفق الماء وقوة الشوكة واجتماع الكلمة ونهاية المملكة وكانت بلادهم فى الارض مثلا وكانوا على طريقة حسنة من اتباع شرف الاخلاق وطلاب الافضال على القاصد والسفر بحسب الامكان وما توجبه القدرة من الحال فكثروا على ذلك ما شاء الله من الاعصار لا يعاندهم ملك الا قصموه ولا يوافيهم جبار فى جيش الا كسروه فذلت لهم البلاد واذعن لطاعتهم العباد فصاروا تاج الارض وكانت المياه التى هى اكثر ما يرد الى ارض سبا تظهر من مخراق من الحجر الصلد والحديد من السد والجبال طول المخراق فيما وصفنا فرسخ وكان وراء السد والجبال أنهار عظام وكان فى هذا المخراق الآخذ من تلك الانهار ثلاثون نقبا مستديرة فى استدارة الذراع طولا وعرضا مدورة على أحسن هندسة وأكمل تقدير وكانت المياه تخرج من تلك الانقاب فى مجاريها حتى تاتى الجبال فترويها سقيا وتم شرب القوم وقد كانت ارض سبا قبل ما وصفنا من العمارة والخصب ركبها السيل من تلك المياه وكان ملك القوم فى ذلك الزمان يقرب الحكماء ويدنيهم ويؤثرهم ويحسن اليهم فجمعهم من اقطار الارض للالتجاء الى رأيهم والاخذ من

حويرث بن جبلة بن الايهم الغسانى وأبوه مغيث فاتح قرطبة الذى تقدمت ترجمته ثم منصور الخصى وكان أول خصى استحجبه بنو مروان بالاندلس ولم يزل حاجبه الى ان توفى الداخل * ولم يكن للداخل من ينطلق عليه سمة وزير لكنه عين أشياخا للمشاورة والموازرة أولهم أبو عثمان المتقدم الذكر وعبد الله بن خالد السابق الذكر وأبو عبدة صاحب اشبيلية وشهيد بن عيسى بن شهيد مولى معاوية بن مروان بن الحكم وكان من سبى البرابر وقيل انه رومى وبنو شهيد الفضلاء من نسله وعبد السلام بن بسيل الرومى مولى عبد الله بن معاوية ولولده نباهة عظيمة فى الوزارة وغيرها وثعلبة بن عبيد بن النظام الجذامى صاحب سرقسطة لعبد الرحمن وعاصم بن مسلم الثقفى من كبار شيعته وأول من خاض النهر وهو عريان يوم الوقعة بقرطبة ولعقبه فى الدولة نباهة * وأول من كتب له عند خلوص الامر له واحتلاله بقرطبة كبير نقبائه أبو عثمان وصاحبه عبد الله بن خالد المتقدما الذكر ثم لزم كتابته أمية بن يزيد مولى معاوية بن مروان وكان فى عديد من يشاوره أيضا ويفضل امره وآراءه وكان يكتب قبله ليوسف الفهرى وقيل انه ممن اتهم فى ممالاة اليزيدى فى افساد دولة عبد الرحمن فاتفق أن مات قبل قتل اليزيدى واطلاع عبد الرحمن على الامر * وذكر ابن زيدون ان الداخل ألفى على قضاء الجماعة بقرطبة يحيى بن يزيد اليحصبى فاقره حينا ثم ولى بعده أبا عمرو معاوية بن صالح الحمصى ثم عمر بن شراحيل ثم عبد الرحمن بن طريف وكان جدار بن عمرو يقضى فى العساكر * وكان الداخل يرتاح لما استقر سلطانه بالاندلس الى أن يفد عليه فل بيته بنى مروان حتى يشاهدوا ما أنعم الله تعالى عليه وتظهر يده عليهم فوفد عليه من بنى هشام بن عبد الملك أخوه الوليد بن معاوية وابن عمه عبد السلام بن يزيد بن هشام قال ابن حيان وفى سنة ١٦٣ قتل الداخل عبد السلام ابن يزيد بن هشام المعروف باليزيدى وقتل معه من الوافدين عليه عبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام المعروف باليزيدى وهو ابن اخى الداخل وكانا تحت تدبير يبرمانه فى طلب الامر فوشى بهما مولى لعبيد الله بن أبان وكان قد ساعدهما على ساهما به من الخلاف ابو عثمان كبير الدولة فلم ينله ما نالهما وذكر الحجارى ان الداخل كان يقول اعظم ما انعم الله تعالى به على بعد تمكنى من هذا الامر القدرة على ايواء من يصل الى من اقاربى والتوسع فى الاحسان اليهم وكبرى فى اعينهم وأسماعهم ونفوسهم بما منحنى الله تعالى من هذا السلطان الذى لا منة على فيه لاحد غيره وذكر ابن حزم انه كان فيمن وفد عليه ابن اخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية فسعى فى طلب الامر لنفسه فقتله سنة ١٦٧ وقتل معه من اصحابه هذيل ابن الصميل بن حاتم ونفى أخاه الوليد بن معاوية والد المغيرة المذكور الى العدوة بماله وولده وأهله وفى المسهب حدث بعض موالى عبد الرحمن الخاصين به انه دخل على الداخل اثر قتله ابن أخيه المغيرة المذكور وهو مطرق شديد الغم فرفع رأسه الى وقال ما عجبى الامن هؤلاء القوم سعينا فيما يضجعهم فى مهاد الامن والنعمة وخاطرنا فيه بحياتنا حتى اذا بلغنا منه الى مطلوبنا ويسر الله تعالى أسبابه أقبلوا علينا بالسيوف ولما آويناهم وشاركناهم فيما أفردنا الله تعالى به حتى أمنوا وردت عليهم أخلاف النعم هزوا أعطافهم وشمخوا بآنافهم

محض عقولهم فشاورهم فى دفع ذلك السيل وحصره وذلك انه كان ينحدر من اعالى الجبل هابطا على وأسه يهلك الزرع ويسوق من حملته البناء فاجمع القوم رأيهم على عمل مصارف الى برارى تقذف به الى البحر واخبروا الملك أن الماء اذا حفرت المصارف الهابطة طلبها وانحدر فيها ولم يتراكم حتى يعلو الجبال لان فى طباع الماء طلاب الخفض فحفر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف وتدافع الى تلك الجهة وانحدر السيل فى الموضع الذى كان فيه بدء جريان الماء من الجبل الى الجبل وجعلوا فيه المخراق على ما وصفنا آنفا ثم اجتذبوا من تلك المياه نهرا مرسلا مقدارا معلوما ينتهى فى جريانه الى المخراق ثم ينبعث الماء منه الى تلك الانقاب وهى الثلاثون مخراقا الصغار التى قدمنا ذكرها وكانت البلاد عامرة على ما وصفنا آنفا ثم ان تلك الامم بادت ومرت عليها السنون وضربها الدهر بضرباته وطحنها بكلكله وعمل الماء فى أصول ذلك المخراق وأضعفه مر السنين عليه وتدافع الماء حوله وقد قيل فى المثل اذا أثر تواتر الماء على الحجر الصلد فما ظنك بسيل يتدافع على حديد وحجر مصنوع فلما سكنت أبناء قحطان على ما وصفنا من هذه الديار وتغلبت على من كان فيها من القحطان لم تعلم الآفة من انحطام السد والمخراق

وسموا

وسموا الى العظمى فنازعونا فيما منحنا الله تعالى فخذلهم الله بكفرهم النعم اذ أطلعنا على عوراتهم فعاجلناهم قبل أن يعاجلونا وأدى ذلك الى أن ساء ظننا فى البرىء منهم وساء أيضا ظنه فينا وصار يتوقع من تغيرنا عليه مانتوقع نحن منه وان أشدّ ماعلى فى ذلك أخى والدهذا المخذول فكيف تطيب لى نفس بمجاورته بعدقتل ولده وقطع رحمه أم كيف يجتمع بصرى مع بصره أخرج له الساعة فأعتذر اليه وهذه خمسة آلاف دينار أدفعها اليه وأعزم عليه فى الخروج عنى من هذه الجزيرة الى حيث شاء من برالعدوة قال فلما وصلت الى أخيه فوجدته أشبه بالاموات منه بالاحياء فآنسته وعرفته ودفعت له المال وأبلغته الكلام فتأوه وقال ان المشؤم لايكون بليغا فى الشؤم حتى يكون على نفسه وعلى سواه وهذا الولد العاق الذى سعى فى حتفه قدسرى ماسعى فيه الى رجل طالب العافية وقنع بكسر بيت فى كنف من يحمل عنه معرة الزمان وكله ولاحول ولاقوة الا بالله لامرد لما حكم به وقضاه ثم ذكر انه أخذ فى الحركة الى برالعدوة قال ورجعت الى الامير فأعلمته بقوله فقال انه نطق بالحق ولكن لايخدعنى بهذا القول عما فى نفسه والله لوقدر أن يشرب من دمى ماعف عنه لحظة فالحمد لله الذى أظهرنا عليهم بما نوينا فيهم وأذلهم بما نووه فينا* واعلم انه دخل الاندلس أيام الداخل من بنى مروان وغيرهم من بنى أمية جماعة كثيرون سرد أسماءهم غير واحد من المؤرخين وذكر أعقابهم بالاندلس ومنهم جزى بن عبد العزيز أخو عمر بن العزيز وسيأتى قريبا* وقد ثار على عبد الرحمن الداخل من أعيان الغرب وغيرهم جماعة كثيرون ظفره الله تعالى بهم وقد سبق ذكر بعضهم ومنهم الدعى الفاطمى البربرى بشنت مرية فاعيا الداخل أمره وطال شره سنين متوالية الى أن فتك به بعض أصحابه فقتله ومنهم حيوة بن ملابس الحضرمى رئيس اشبيلية وعبد الغفار بن حميد اليحصبى رئيس لبلة وعمرو بن طالوت رئيس باجة اجتمعوا وتوجهوا نحو قرطبة يطلبون دم رئيس اليمانية أبى الصباح فقتلوا فى هزيمة عظيمة وقيل نجوا بالفرار فامنهم الداخل وفى سنة ١٥٧ ثار بسرقسطة الحسين بن يحيى بن سعيد بن عبادة الخزرجى وشايعه سليمان بن يقظان الاعرابى الكلبى رأس الفتن وآل أمرهما الى أن فتك الحسين بسليمان وقتل الداخل الحسين كما مر وفى سنة ١٦٣ ثار الدماحس بن عبد العزيز الكنانى بالجزيرة الخضراء فتوجه له عبد الرحمن الداخل ففر فى البحر الى المشرق قال ابن حيان كان مولد عبد الرحمن الداخل سنة ١١٣ وقيل فى التى قبلها بالعلياء من تدمر وقيل بدير حنا من دمشق وبها توفى أبوه معاوية فى حياة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك وكان قد رشحه للخلافة وبقبر معاوية المذكور استجار الكميت الشاعر حين أهدر هشام دمه وتوفى الداخل لست بقين من ربيع الآخر سنة ١٧١ وهو ابن سبع وخمسين سنة وأربعة أشهر وقيل اثنتان وستون سنة ودفن بالقصر من قرطبة وصلى عليه ابنه عبد الله وكان منصورا مؤيدا مظفرا على أعدائه وقد سرد ناس ذلك جملة حتى قال بعضهم ان الراية التى عقدت له بالاندلس حين دخلها لم تهزم قط وان الوهن ماظهر فى ملك بنى أمية الا بعد ذهاب تلك الراية قال أكثر هذا مؤرخ الاندلس الثبت الثقة أبو مروان بن حيان رحمه الله تعالى ولا بأس أن نورد زيادة على ماسلف وان تكرر بعض ذلك* فنقول قال بعض المؤرخين من أهل المغرب

والعمائر والبنيان حتى انقرض سكان تلك الارض وزالوا عن تلك المواطن فهذه جملة من أخبار سيل العرم وبلاد سبا ولا خلاف بين ذوى الدراية منهم أن العرم هو المسناة التى قد أحكموا عملها لتكون حاجزا بين ضياعهم وبين السيل ففجرته فارة ليكون ذلك اظهر فى الاعجوبة كما افار الله تعالى الطوفان من جوف تنور ليكون ذلك اثبت فى العبرة واوعد فى الحجة ولا يتناكر اخلاف قحطان من أهل تلك الديار الى هذا الوقت ماكان من العرم لاستفاضته فيهم وشهرته عندهم (وقد فخر) بعض أولاد قحطان فى مجلس السفاح بمناقب قحطان من حمير وكهلان على ولد نزار وخالد بن صفوان وغيره من نزار بن معد يسطون بابهة السفاح لان اخواله من قحطان فقال السفاح لخالد بن صفوان ألا تنطق وقد غمرتكم قحطان بشرفها وعلت عليكم بقديم مناقبها فقال خالد ماذا أقول لقوم ليس فيهم الا دابغ جلد أو ناسج برد أوسائس قرد

أو را كب عرد أغرقتهم فارة وملكتهم امرأة ودل عليهم هدهد ثم مرفى ذمهم

بعد كلام ابن حيان الذى قدمناذكره ما نصه كان الامام عبد الرحمن الداخل راجح العقل راسخ الحلم واسع العلم كثير الحزم نافذ العزم لم ترفع له قط راية على عدوّ الاهزمه ولا بلد الافتحه شجاعا مقداما شديد الحذر قليل الطمأنينة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامر الى غيره كثير الكرم عظيم السياسة يلبس البياض ويعتم به ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويصلى بالناس فى الجمع والاعياد ويخطب بنفسه جند الاجناد وعقد الرايات واتخذ الحجاب والكتاب وبلغت جنوده مائة ألف فارس وملخص دخوله الاندلس انه لما اشتدّ الطلب على فل بنى أمية بالمشرق من وارثى ملكهم بنى العباس خرج مستترا الى مصر فاشتد الطلب على مثله فاحتال حتى وصل برقة ثم لم يزل متوغلا فى سيره الى أن بلغ المغرب الاقصى ونزل بنفرة وهم أخواله فأقام عندهم أياما ثم ارتحل الى مغيلة بالساحل فارسل مولاه بدرا بكتابه الى مواليهم بالاندلس عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وتمام بن علقمة وغيرهم فاجابوه واشتروا مركبا وجهزوه بما يحتاج اليه وكان الذى اشتراه عبيد الله بن عثمان وأركب فيه بدرا وأعطاه خمسمائة دينار برسم النفقة وركب معه علقمة بن تمام بن علقمة وبينما هو يتوضأ لصلاة المغرب على الساحل اذ نظر الى المركب فى لجة البحر مقبلا حتى أرسى أمامه فخرج اليه بدر سابحا فبشره بما تم له بالاندلس وبما اجتمع عليه الامويون والموالى ثم خرج اليه تمام ومن معه فى المركب فقال له ما اسمك وما كنيتك فقال اسمى تمام وكنيتى أبو غالب فقال تم أمرنا وغلبنا عدوّنا ان شاء الله تعالى ثم ركبوا المركب معه فنزل بالمنكب وذلك غرة ربيع الاول سنة ١٣٨ فلما اتصل خبر جوازه بالاموية أتاه عبيد الله ابن عثمان وجماعة فتلقوه بالاعظام والاكرام وكان وقت العصر فصلى بهم العصر وركبوا معه الى قرية طرش من كور البيرة فنزل بها وأتاه بها جماعة من وجوه الموالى وبعض العرب فبايعوه وكان من أمره ما يذكر وقيل انه أقام بالبيرة حتى كمل من معه ستمائة فارس من موالى بنى أمية ووجوه العرب فخرج من البيرة الى كورة رية فدخلت فى جماعته ثم بايعته أهلها وأجنادها ثم ارتحل الى شذونة ثم الى مدور ثم سار الى اشبيلية وقال بعضهم لما أراد عبد الرحمن قصد قرطبة عند دخوله الاندلس من المشرق نزل بطشانة فاشاروا عليه أن يعقد له لواء فخاؤا بعمامة وقناة فكرهوا أن يميلوا القناة تطيرا فاقاموها بين شجرتين من الزيتون متجاورتين وصعد رجل على فرع احداهما فعقد اللواء والقناة قائمة وتبرك هو وولده بهذا اللواء فكان بعد أن بلى لا تحل منه العقدة التى عقدت أوّلا بل تعقد فوقها الالوية الجدد وهى مستكنة تحتها ولم يزل الامر على ذلك حتى انتهت الدولة الى عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وقيل الى ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل فاجتمع الوزراء على تجديد اللواء فلما رأوا تحت اللواء أسمالا خلقة ملفوفة معقدة جهلوها فاستر ذلوها وأمروا بحلها ونبذها وجددوا غيرها وكان جهور بن يوسف بن بخت شيخهم غائبا فحضر فى اليوم الثانى وطولع بالقصة فانكرها أشد انكار وساءه ما فعلوه وقال ان جهلتم شان تلك الاخلاق فكان ينبغى أن تتوقفوا عن نبذها حتى تسألوا المشايخ وتتفكروا فى أمرها وخبرهم خبرها فتطلبوا تلك الاخلاق فلم توجد ويقال كما قال ابن حيان

ما قدمنا آنفا (وقد ذكروا) فى أشعارهم العرم وما كان لسبا وأرض مارب وأن مارب سمة للملك الذى يتملك على هذه البلدة وأن هذا الاسم وقع على هذا البلد فاشتهر به وصار سمة له وقال الشاعر
من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما
وقد قيل ان مارب سمة لقصر هذا الملك فى صدر الزمن قال أبو الطمحان فى ذلك
ألم تروا ماربا ما كان حصنه وما حواليه من سور وبنيان
ظل العباد يبقى فوق ثلته ولم يهب ريب دهر حد خوان
حتى تناوله من بعد ما هجعوا ضربا اليه الى أسباب كتان
وقد ذكر الاعشى ما وصفنا حيث يقول فى كلمته
ففى ذلك للمؤتسى اسوة بمارب عفى عليها العرم
وحام بناها لهم حمير اذا جاء ماؤهم لم يرم
فاغنى الحروث وأغنى بها على ساعة ماؤهم قد قسم
فطار الفيول وفيالها بها فى فيافى سراب الظلم
وكانوا ابذلكم وحقبة * فمال بهم جارف منهزم فطاروا سراعا وما يقدمو * ن منه لشرب صبى فطم اه

انه لم يزل يعرف الوهن في ملك بني أمية بالاندلس من ذلك اليوم وقد كان الذي عقده أوّلا عبد الله بن خالد من موالي بني أمية وكان والده خالد عقد لواء مروان بن الحكم جد عبد الرحمن الاعلى لما اجتمع عليه بنو أمية وبنو كلب بعد انقراض دولة بني حرب على قتال الضحاك بن قيس الفهري يوم مرج راهط فانتصر على الضحاك وقتله ولما عرف الامير بقصة اللواء حزن أشد حزن وانفتقت عليه أثر ذلك الفتوق العظام وكانوا يرون أنها جرت بسبب اللواء لانه لم ينهزم قط جيش كان تحته على ما اقتضته حكمة الله التي لا تتوصل اليها الافكار وتولى حمل هذا اللواء لعبد الرحمن الداخل أبو سليمان داود الانصاري ولم يزل يحمله ولده من بعده الى أيام محمد بن عبد الرحمن ولما تلاقى عبد الرحمن الداخل مع أمير الاندلس يوسف الفهري بالقرب من قرطبة وتراسلا لخداعه يومين آخرهما يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائة أظهر عبد الرحمن قبول الصلح فبات الناس على ذلك ليلة العيد وكان قد أسر خلاف ما أظهر واستعد للحرب ولما أصبح يوم الاضحى لم ينشب أن غشيت الخيل ووكل عبد الرحمن بخالد بن زيد الكاتب رسول يوسف جماعة وأمرهم ان كانت الدائرة عليهم أن يضربوا عنقه والا فلا فكان خالد يقول ما كان شيء في ذلك الوقت أحب الي من غلبة عبد الرحمن الداخل عدوّ صاحبي وركب عبد الرحمن جوادا فقالت اليمانية الذين اعانوه هذا فتى حديث السنّ تحته جواد وما نأمن أول روعة يردعها ان يطير منهزما على جواده ويدعنا فاتى عبد الرحمن أحد مواليه فاخبره بمقالتهم فدعا أبا الصباح وكان له بغل أشهب يسميه الكوكب فقال له ان فرسي هذا قلق تحتي لا يمكنني من الرمي فقدم الي بغلك المحمود أركبه فقدمه فلما ركب اطمأن أصحابه وقال عبد الرحمن لاصحابه اي يوم هذا قالوا الخميس يوم عرفة فقال فالاضحى غدا يوم الجمعة والمتزاحفان اموي وفهري والجندان قيس ويمن قد تقابل الاشكال جدا وارجو انه اخو يوم مرج راهط فابشروا وجدوا فذكرهم يوم مرج راهط الذي كانت فيه الوقعة بين جده مروان بن الحكم وبين الضحاك بن قيس الفهري وكانت يوم جمعة ويوم اضحى فدارت الدائرة لمروان على الضحاك فقتل الضحاك وقتل معه سبعون الفا من قبائل قيس واحلافهم وقيل انه لم يحضر مرج راهط من قيس مع مروان غير ثلاثة نفر عبد الرحمن بن مسعدة الفزاري وابن هبيرة المحاربي وصالح الغنوي وكذا لم يحضر مع عبد الرحمن الداخل يوم المصارة غربي قرطبة من قيس غير ثلاثة جابر بن العلاء بن شهاب والحصين بن الدجن العقيليان وهلال بن الطفيل العبدي وكان الظفر لعبد الرحمن وانهزم يوسف وصبر الصميل بن حاتم بعده معذرا وعشيرته يحفونه فلما خاف انهزامهم عنه تحوّل على بغله الاشهب معارضة لعبد الرحمن الداخل فمر به أبو عطاء فقال له يا أبا جوشن احتسب نفسك فان للاشباه أشباها أموى باموى وفهري بفهري وكلبي بكلبي ويوم أضحى بيوم أضحى ويمني بقيسي والله اني لاحسب هذا اليوم بمثل مرج راهط سواء فقال له الصميل كبرت وكبر علمك الآن تجلي الغماء وبحرك منتفخ فانثنى أبو عطاء لوجهه منقلبا وانهزم الصميل وملك عبد الرحمن قرطبة ويوسف الفهري هو ابن عبد الرحمن بن حبيب ابن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري باني القيروان وأمير معاوية على افريقية والمغرب

(وقد ذكرنا) في كتابنا أخبار الزمان الملك الذي طال عمره وحسنت سيرته وأنه بني هذا السد الذي هو المسناة وأن عمره انتهى على عمر النسور عند ذكرنا لطول الاعمار ومما أكثرت العرب في صفة طول عمر النسر وضربت به الامثال وبلبد وبصحة بدن الغراب فمن ذلك ما ذكره الخارجي في شعره عند ذكره لطول عمر معاذ بن مسلم بن رجاء مولى القعقاع بن الحكيم من قوله فيه عند ذكره سنه وهرمه وهو

ان معاذ بن مسلم رجل
قد ضج من طول عمره الابد
قد شاب رأس الزمان واختضب الدهر وأثواب عمره جدد
يا نسر لقمان كم تعيش وكم
تلبس ثوب الحياة يا لبد
قد أصبحت دار حمير خربت
وأنت فيها كانك الوتد
تسال غربانها اذا حجلت
كيف يكون الصداع والرمد

(وقد قدمنا) فيما سلف في مواضع من هذا الكتاب ما قالات الاوائل في علة طول الاعمار وقصرها وعظم الاجسام في بدو الامر وتناقصها على مرور الاعصار ومضى الدهور وأن الله تبارك وتعالى لما بدأ الخلق كانت الطبيعة التي جعلها الله جبلة للاسلام في تمام الكثرة ونهاية القوة والكمال والطبيعة اذا كانت تامة القوة كانت الاعمار أطول

وهو مشهور وأما الصميل فهو ابن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن وقيل الصميل بن حاتم ابن عمرو بن جندع بن شمر بن ذي الجوشن كان جده شمر من اشراف الكوفة وهو أحد قتلة الحسين رضي الله تعالى عنه ودخل الصميل الاندلس حين دخل كلثوم بن عياض المغرب غازيا وسادبها وكان شاعرا كثير السكر أميا لا يكتب ومع ذلك فانتهت اليه في زمانه رياسة العرب بالاندلس وكان أميرها يوسف الفهري كالمغلوب معه وكانت ولاية الفهري الاندلس سنة تسع وعشرين ومائة فدانت له تسع سنين وتسعة أشهر وعنه كما انتقل سلطانها الى بني أمية واستفحل ملكهم بها الى بعد الاربعمائة ثم انتثر سلكهم وباد ملكهم كما وقع لغيرهم من الدول في القرون السالفة سنة الله التي قد خلت في عباده وكانت مدة الامراء قبل عبد الرحمن الداخل من يوم فتحت الاندلس الى هزيمة يوسف الفهري والصميل ستا وأربعين سنة وشهرين وخمسة أيام لان الفتح كان حسبما تقدم لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين وهزيمة يوسف يوم الاضحى لعشر خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة والله غالب على أمره * وحكي أن عبد الرحمن بن معاوية دخل يوما على جده هشام وعنده أخوه مسلمة بن عبد الملك وكان عبد الرحمن اذ ذاك صبيا فامر هشام أن ينحى عنه فقال له مسلمة دعه يا أمير المؤمنين وضمه اليه ثم قال يا أمير المؤمنين هذا صاحب بني أمية ووزرهم عند زوال ملكهم فاستوص به خيرا قال فلم أزل اعرف مزية من جدي من ذلك الوقت وكان الداخل يقاس بأبي جعفر المنصور في عزمه وشدته وضبط المملكة ووافقه في أن أم كل منهما بربرية وان كلا منهما قتل ابن اخيه اذ قتل المنصور ابن السفاح وقتل عبد الرحمن ابن اخيه المغيرة بن الوليد ابن معاوية * ومن شعر عبد الرحمن وقد رأى نخلة برصافته

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة * تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى * وطول اكتئابي عن بني وعن اهلي
نشأت بأرض انت فيها غريبة * فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي * يصح ويستمري السماكين بالوبل

وكان نقش خاتمه بالله يثق عبد الرحمن وبه يعتصم واشاع سنة ١٦٣ الرحيل الى الشام لانتزاعها من بني العباس وكتب جماعة من اهل بيته ومواليه وشيعته وعمل على أن يستخلف ابنه سليمان بالاندلس في طائفة ويذهب بعامة من اطاعه ثم اعرض عن ذلك بسبب امر الحسن الانصاري الذي انتزى عليه بسرقسطة فبطل ذلك العزم * ومن شعر عبد الرحمن ايضا قوله يتشوق الى معاهد الشام

ايها الراكب الميمم ارضي * اقر مني بعض السلام لبعضي
ان جسمي كما علمت بأرض * وفؤادي ومالكيه بأرض
قدر البين بيننا فافترقنا * وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا * فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وترجمة الداخل طويلة وقد ذكرنا منها ما فيه مقنع انتهى والله تعالى الموفق للصواب وفي بنائه جامع قرطبة يقول بعضهم

وابرز

الموت الطارئ يكون باعلال قوى الطبيعة فلما كانت القوة أتم كانت والاجسام أقوى لان طرق الاعمار أزيد وكان العالم في اولية شأنه تام العمر ثم لم يزل ينقص أولا أولا لانقصان المادة حتى يكون آخر مائية الطبيعة في تناهي النقص في الاجسام والاعمار (وقد أبى) ما ذكرنا من عظم أجسام الناطقين في صدور الزمان كثير من أهل النظر والبحث ممن تأخر وزعموا أن تأثيرهم في بنيانهم وما ظهر في الارض من أعمالهم يدل على صغر أجسامهم وأنها كانت كاجسامنا لما شاهدوه من مساكنهم وأبوابهم وممراتهم فيما أحدثوه من البنيان والهياكل والديار والمساكن في سائر الارض كديار ثمود ونحتها المساكن في الجبال وحفرها في الصخر الصلد بيوتا صغارا وأبوابا لطافا وكذلك أرض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض في الشرق والغرب وهذا ان أكثرنا القول فيه طال وان أطنبنا في صفته كثر فلنرجع الآن الى ما منه عدلنا ومن وصفه خرجنا من ذكر سبا ومارب وما كان من الملك في ذلك الوقت وهو عمرو بن عامر وكان لعمرو بن عامر المقدم ذكره في هذا الباب أخ كاهن عقيم يقال له عمران وكان

وأبرز في ذات الاله ووجهه * ثمانين الفا من لجين وعسجد
وانفقها في مسجد زانه التقى * وقرر به دين النبي محمد
ترى الذهب الوهاج بين سموكه * يلوح كلمع البارق المتوقد

*(ومن الوافدين على الاندلس أبو الاشعث الكلبي) دخل الاندلس وكان شيخا مسنا يروى عن امه عن عائشة رضى الله تعالى عنها الا انه كان منددا من اصحاب دعابة وكان مختصا بعبد الرحمن بن معاوية وله منه مكانة لطيفة يدل بها عليه ولما توفي حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وكانت له من عبد الرحمن خاصة لم تكن لاحد من اهل بيته جعل عبد الرحمن يبكي و يجتهد في الدعاء والاستغفار لحبيب وكان الى جنبه ابو الاشعث هذا قائما وكانت له دالة عليه ودعابة يحتملها منه فاقبل عند استعباره كالمخاطب للمتوفى علانية يقول يا ابا سليمان لقد نزلت بحفرة قلما يغنى عنك فيها بكاء الخليفة عبد الرحمن بعده فاعرض عنه عبد الرحمن وقد كاد التبسم يغلبه هكذا ذكره ابن حيان رحمه الله تعالى في المقتبس ونقله عنه الحافظ ابن الابار *(ومن الداخلين الى الاندلس جزى بن عبد العزيز اخو عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه) دخل الاندلس ومات في مدة الداخل وكان من اولياء الله تعالى مقتفيا سبيل اخيه عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى *(ومنهم بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي) و يكنى اباثمامة وجده صحابي وكان بكر هذا فقيها كبيرا من التابعين روى عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن عمرو بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة وسهل بن سعد الساعدي وسفيان بن وهب الخولاني وحبان بن سمع الصدائي وقيد اسمه الدارقطني رحمه الله تعالى حبان بكسر الحاء المهملة و بياء معجمة بواحدة ونقله الامير كذلك وهو ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر قال ابن يونس و يقال فيه حبان بالكسر وحبان بالفتح أصح انتهى وضبطه بعضهم بالياء المثناة تحت (رجع) وممن روى عنه بكر من الصحابة أبو ثور الفهمي وأبو عميرة المزني وروى عن جماعة من التابعين أيضا كسعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير وجماعة سواهم يكثر عددهم و يطول سردهم منهم ربيعة بن قيس الجلي وأبو عبد الرحمن الحبلي وزياد بن نعيم الحضرمي وسفيان بن هانئ الجيشاني وسعيد بن شمر السبائي وعبد الله بن المستورد بن شداد الفهري وعبد الرحمن بن أوس المزني وزيادة بن ثعلبة البلوي وشيبان بن أمية القتباني وعامر بن ذريح الحميري وعمير بن الفيض اللخمي وأبو حمزة الخولاني وعياض بن فروخ المعافري ومسلم بن مخشي المدلجي وهانئ بن معاوية الصدفي وغيرهم ممن اشتمل على ذكرهم التاريخان لابن عبد الحكم وابن يونس وممن روى عن بكر المذكور عبد الله بن لهيعة وعمرو بن الحرث وجعفر بن ربيعة وأبو زرعة بن عبد الحكم الافريقي وغيرهم قال ابن يونس توفي بافريقية في خلافة هشام بن عبد الملك وقيل بل غرق في مجاز الاندلس سنة ثمان وعشرين ومائة قال وجده ثمامة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وله بمصر حديث رواه عمرو بن الحرث وقال أبو بكر عبد الله بن محمد القير واني المالكي في تاريخه المسمى برياض النفوس وقد ذكر بكرا هذا انه كان أحد العشرة التابعين يعني الموجهين الى

بمارب) وعرف من سيل العرم ان عمرا ان الكاهن أخا عمرو رأى في كهانته ان قومه سوف يمزقون كل ممزق ويباعد بين أسفارهم فذكر ذلك لأخيه عمرو وهو الملك مزيقياء الذي كانت محنة القوم في ايام ملكه والله أعلم بكيفية ذلك وبينا طريفة الكاهنة ذات يوم نائمة اذ رأت فيما يرى النائم ان سحابة غشيت ارضها وارعدت وابرقت ثم صعقت فاحرقت ماوقعت عليه ووقعت الى الارض فلم تقع على شئ الا احرقته ففزعت طريفة لذلك وذعرت ذعرا شديدا وانتبهت وهي تقول ما رايت مثل اليوم قد اذهب عني النوم رايت غيما ابرق وارعد ثم اصعق فما وقع على شئ الا احرق فما بعد هذا الا الغرق فلما راوا ماداخلها من الرعب خفضوها وسكنوها من جاشها حتى سكنت ثم ان عمرو بن عامر دخل حديقة من حدائقه ومعه جاريتان له فبلغ ذلك طريفة فاسرعت نحوه وامرت وصيفا لها يقال له سنان ان يتبعها فلما برزت من باب بيتها عارضها ثلاث مناجد منتصبات على ارجلهن

افريقية من قبل عمر بن عبد العزيز فى خلافته ليفقهوا أهل أفريقية ويعلموهم امر دينهم قال وأغرب بحديث عن عقبة بن عامر لم يروه غيره فيما علمت حدث عبد الله بن لهيعة عنه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان رأس مائتين فلا تأمر بمعروف ولا تنه عن منكر وعليك بخاصة نفسك وحكى المالكى أيضا عن أبى سعيد بن يونس قال كان فقيها مفتيا سكن القيروان وكانت وفاته كما تقدم وذكره الحميدى فى الداخلين الى الاندلس ولم يذكره ابن الفرضى *(ومنهم رزيق بن حكيم أحد المعدودين فى الداخلين الى الاندلس) ذكره أبو الحسن بن النعمة عن أبى المطرف عبد الرحمن بن يوسف الرفاء القرطبى وحكى انه كتب ذلك من خطه وسماه مع جماعة منهم حبان بن أبى جبلة وعلى بن ابى رباح وأبو عبد الرحمن الحبلى وحنش بن عبد الله الصنعانى ومعاوية بن صالح وزيد بن الحباب العكلى وانتهى عددهم برزيق هذا سبعة ولم يذكره ابن الفرضى ولا غيره قاله الحافظ أبو عبد الله القضاعى *(ومنهم زيد بن قاصد السكسكى) قال ابن الابار وهو تابعى دخل الاندلس وحضر فتحها وأصله من مصر يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه وروى عنه عبد الرحمن بن زياد بن انعم الافريقى ذكره يعقوب بن سفيان وأورد له حديثا من كتاب الحميدى انتهى *(ومنهم زرعة بن روح الشامى) دخل الاندلس وحدث عنه ابنه مسلمة بن زرعة بحكاية عن القاضى مهاجر بن نوفل *(ومنهم محمد بن أوس بن ثابت الانصارى) قال ابن الابار تابعى دخل الاندلس يروى عن أبى هريرة قرأته بخط ابن حبيش وقال أبو سعيد بن يونس مؤرخ مصر انه يروى عنه الحرث بن يزيد ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان وكان غزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير ويروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وقال الحميدى انه كان من أهل الدين والفضل معروفا بالفقه ولى بحر افريقية سنة ثلاث وتسعين وغزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير فيما حكاه ابن يونس صاحب تاريخ مصر وكان على بحر تونس سنة ثنتين ومائة على ما حكاه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ولما قتل يزيد بن أبى مسلم والى افريقية اجتمع رأى اهلها عليه فولوه أمرهم وذلك فى خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان الى أن ولى بشر بن صفوان الكلبى افريقية وكان على مصر فخرج اليها واستخلف اخاه حنظلة انتهى (ومنهم عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الاموى) فر من الشام خوفا من المسودة فر بمصر ومضى الى الاندلس وقد غلب عليها الامير عبد الرحمن ابن معاوية الداخل فاكرمه ونوه به وولاه اشبيلية لانه كان قعدد بنى أمية ثم انه لما وجد الداخل يدعو لابى جعفر المنصور اشار عليه بقطع اسمه من الخطبة وذكره بسوء صنيع بنى العباس ببنى أمية فتوقف عبد الرحمن فى ذلك فما زال به عبد الملك حتى قطع الدعاء له وذلك انه قال له حين امتنع من ذلك ان لم تقطع الخطبة لهم قتلت نفسى فقطع حينئذ عبد الرحمن الخطبة بالمنصور بعد أن خطب باسمه عشرة اشهر ولما زحف اهل غرب الاندلس نحو قرطبة لحرب الامير عبد الرحمن انهض اليهم عبد الملك هذا فنهض فى معظم الجيش وقدم ابنه امية أمامه فى اكثر العساكر فناطلهم امية فوجد فيهم قوة فخاف الفضيحة معهم فانحاز منهزما الى ابيه فلما جاءه سقط فى يده وقال له ما حملك على ان استخففت بى وجرات الناس على

اعينهن وهى دواب يشبهن اليرابيع يسكن بارض اليمن فلما رأتهن طريفة واضعات ايديهن على وضعت يدها على عينها وقعدت وقالت لوصفها اذا ذهبت هذه المناجد عنا فاعلمنى فلما ذهبت اعلمها فانطلقت مسرعة فلما عارضها خليج الحديقة التى فيها عمرو وثبت من الماء سلحفاة فوقعت على الطريق على ظهرها وجعلت تريد الانقلاب فلا تستطيع فتستعين بذنبها وتحثو التراب على بطنها وجنبها وتقذف بالبول فلما راتها طريفة جلست الى الارض فلما عادت السلحفاة الى الماء مضت الى ان دخلت على عمرو الحديقة حين انتصف النهار فى ساعة شديد حرها فاذا الشجر تتكفأ من غير ريح فقعدت حتى دخلت على عمرو ومعه جاريتان على الفراش فلما رآها استحيا منها وأمر الجاريتين فنزلتا عن الفراش ثم قال لها هلمى ياطريفة الى الفراش فتكهنت وقالت والنور والظلماء والارض والسماء ان الشجر لهالك وسيعود الماء لما كان فى الدهر السالف قال عمرو من خبرك بهذا قالت أخبرنى المناجد بسنين شدائد يقطع فيها الوالد الواحد قال ماتقولين قالت أقول قول الندمان لهفا والعدو

والعدو وان كنت فررت من الموت فقد جئت اليه فامر بضرب عنقه و جمع اهل بيته وخاصته وقال لهم طردنا من الشرق الى أقصى هذا الصقع ونحسد على لقمة تبقى الرمق اكسروا جفون السيوف فالموت أولى أو الظفر ففعلوا وحملوا وتقدمهم فهزم اليمانية وأهل اشبيلية ولم تقم بعدها لليمانية قائمة وقتل بين الفريقين ثلاثون ألفا وجرح عبد الملك فأتاه عبد الرحمن وجرحه يجرى دما وسيفه يقطر دما وقد لصقت يده بقائم سيفه فقبل بين عينيه وجزاه خيرا وقال له يا ابن عم قد أنكحت ابنى وولى عهدى هشاما ابنتك فلانة وأعطيتها كذا وكذا واعطيتك كذا ولاولادك كذا وأقطعتك وإياهم كذا ووليتكم الوزارة * ومن شعره لما نظر نخلة منفردة باشبيلية فتذكر وطنه بالشام وقال

يانخل أنت فريدة مثلى * فى الارض نائية عن الاهل
تبكى وهل تبكى مكممة * عجماء لم تجبل على جبل
ولوانها عقلت اذا لبكت * ماء الفرات ومنبت النخل
لكنها حرمت وأخرجنى * بغضى بنى العباس عن أهلى

*(ومن الداخلين من المشرق الى الاندلس هاشم بن الحسين بن ابراهيم بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين) ونزل حين دخوله بلبلة وتعرف منازلهم فيها بمنازل الهاشمى وذكره أمير المؤمنين الحكم المستنصر فى كتابه انساب الطالبيين والعلويين القادمين الى المغرب *(ومن الداخلين الى الاندلس عبد الله ابن المغيرة الكنانى حليف بنى عبد الدار) سماه أبو محمد الاصيلى الفقيه فى الداخلين الاندلس من التابعين حكى ذلك عنه أبو القاسم بن بشكوال فى مجموعه المسمى بالتنبيه والتعيين قال ابن الابار وما أراه يتابع عليه وذكره أبو سعيد بن يونس من أهل افريقية انتهى وذكر انه روى عن سفيان بن وهب الخولانى (ومنهم عبد الله المعمر الذى طرأ على الاندلس فى آخر الزمان وكان يزعم انه لقى بعض التابعين) قال ابن الابار روى عنه أبو محمد أسد الجهنى ذكر ذلك القيسى وفيه عندى نظر انتهى (ومنهم أبو عمرو عبد الرحمن بن شماسة بن ذئب المهرى) روى عن أبى ذر وقيل عن أبى نضرة عن أبى ذر وعائشة وعمرو بن العاص وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وأبى نضرة الغفارى وعقبة بن عامر الجهنى وعوف بن مالك الاشجعى ومعاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد وأبى رهم ذكره ابن يونس فى تاريخ مصر وسماه ابن بشكوال فى الداخلين الاندلس من التابعين وروى ذلك عن الحميدى قاله ابن الابار وقال ابن يونس وآخر من حدث عنه بمصر حرملة بن عمران (ومن الداخلين الى الاندلس من المشرق عبد الله بن سعيد ابن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه) وقد ذكره ابن حيان فى مقتبسه وأخبر أن يوسف بن عبد الرحمن الفهرى كتب له أن يدافع عبد الرحمن المروانى الداخل للاندلس وكان المذكور اذ ذاك أميرا على اليمانية من جند دمشق وانما ركن اليه فى محاربة عبد الرحمن لما بين بنى عمار وبنى أمية من الثار بسبب قتل عمار بصفين وكان عمار رضى الله تعالى عنه من شيعة على كرم الله وجهه وهذا عبد الله بن سعيد هو جد بنى سعيد أصحاب القلعة الذين منهم عدة رؤساء وامراء وكتاب وشعراء ومنهم صاحب المغرب وغير واحد ممن عرفنا به فى هذا

فدرايت سلحفاة تجرف التراب جرفا وتقذف بالبول قذفا فدخلت الحديقة فاذا الشجيرة كفا قال عمرو متى ترين ذلك قالت هى داهية كبيرة ومصائب عظيمة لامور جسيمة قال وماهى قالت اجل ان لى الويل ومالك فيهامن نيل فلى ولك الويل مما يجىء به السيل فالقى عمرو نفسه على الفراش وقال ماهذا ياطريفة قالت هو جلل جليل وحزن طويل وخلف قليل والقليل خير من تركه قال عمرو وما علامة ذلك قال تذهب الى السد فاذا رايت جرذا يكثر فى السد الحفر ويقلب برجليه من الجبل الصخر فاعلم ان النقر عقر وانه قد وقع الامر قال وما هذا الامر الذى يقع قالت وعد الله نزل وباطل بطل ونكال بنا نزل فبغيره ياعمرو فليكن الثكل فانطلق عمرو الى السد يحرسه فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلا فرجع الى طريفة فاخبرها الخبر وهو يقول

ابصرت امرا عادلى منه الم
وهاج لى من هوله برح السقم
من جرذ كفحل خنزير اجم
او تيس صرم من افاوين الغنم
يسحب صخرا من جلاميد العرم * له مخاليب وانياب فطم
مافاته سحلا من الصخر قصم * كانما يرعى حصيرا من سلم

الكتاب ومن مشاهيرهم أبو بكر محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد صاحب أعمال غرناطة فى مدة الملثمين قال وهو القائل يفتخر

ان لم أكن للعلاء أهلا * بما تراه فمن يكون
فكل ما أبتغيه دونى * ولى على همتى ديون
ومن يرم ما يقل عنه * فذاك من فعله جنون
فرع بأفق السماء سام * وأصله راسخ مكين

وقوله

الله يعلم انى * أحب كسب المعالى
وانما اتوانى * عنها لسوء المآل
تحتاج للكد والبذ * ل واصطناع الرجال
دع كل من شاء يسمو * لها بكل احتيال
فحالهم فى انعكاس * بها وحالى حالى

وتراجمهم واسعة وقد بسطت فى المسهب والمغرب وغيرهما وقد قدمنا فى الباب قبل هذا من أخبار بنى سعيد هؤلاء ما يثلج الصدر فليراجع *(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق ابو زكريا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن اسحق بن عمرو بن مزاحم بن غياث التميمى البخارى الحافظ نزيل مصر) سمع ببخارى بلده من ابراهيم بن محمد بن يزداد وأخيه أحمد وكانا يرويان معا عن عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى وعن أبى الفضل السليمانى ببيكند وأبى عبد الله محمد بن أحمد المعروف بغنجار وأبى يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبى وأقرانه باليمن وأبى القاسم تمام بن محمد الرازى بدمشق وابن أبى كامل باطرابلس الشام وأبى محمد عبد الغنى ابن سعيد الحافظ بمصر وله رواية عن أبى نصر الكلاباذى وأبى عبد الله الحاكم وأبى بكر ابن فورك المتكلم وأبى العباس بن الحاج الاشبيلى وأبى القاسم على بن أحمد الخزاعى صاحب الهيثم بن كليب وأبى الفضل العباس بن محمد الحداد التنيسى وأبى الفتح محمد بن ابراهيم بن الجحدرى وأبى بكر محمد بن داود العسقلانى وهلال الحفار وصدقة بن محمد بن مروان الدمشقى ولقى بافريقية العابد ولى الله سيدى محرز بن خلف التميمى مولاهم وصحبه وقال لقد هبته يوم لقيته هيبة لم أجدها لاحد فى نفسى من الناس ودخل الاندلس وبلاد المغرب وكتب بها عن شيوخها ولم يزل يكتب الى ان مات حتى كتب عمن دونه وله رسالة الرحلة وأسبابها وقول لا اله الا الله وثوابها فسمع منه أبو عبد الله الرازى وذكره فى مشيخته قال الحافظ ابن الابار ومنها نقلت اسمه وتعرفت دخوله الاندلس وحدث عنه هو وجماعة منهم أبو مروان الطبنى وقال هو من الرحالين فى الآفاق أخبرنى انه يحدث عن مئتين من أهل الحديث وأبو عبد الله الحميدى وأبو بكر الطليطلى وأبو عبد الله بن منصور الحضرمى وأبو سعيد الرهاوى وأبو محمد جعفر بن محمد السراج وأبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقى وأبو الحسن بن مشرف الانماطى وأبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسى وأبو محمد شعيب بن سبعون الطرطوشى وأبو بكر بن نعمة العابر وأبو الحسن على بن الحسين الموصلى الفراف وأبو عثمان سعد

ابن

فقالت له ظريفة ان من علامة ما ذكرت لك ان تجلس فى مجلسك بين الجنتين ثم تأمر بزجاجة فتوضع بين يديك فانها ستمتلئ بين يديك من تراب البطحاء من سهلة الوادى ورمله وقد علمت ان الجنتان مظلة ما يدخلها شمس ولا ريح فأمر عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه فلم تمكث الا قليلا حتى امتلأت من تراب البطحاء فذهب عمرو الى ظريفة فأخبرها بذلك وقال متى ترين هلاك السد قالت فيما بينك وبين السبعين سنة قال ففى أيها يكون قالت لا يعلم ذلك الا الله تعالى ولو علمه أحد لعلمته ولا يأتى عليك ليلة فيما بينك وبين السبعين سنة الا ظننت هلاكه فى غدها او فى تلك الليلة ورأى عمرو فى النوم سيل العرم وقيل له ان آية ذلك ان ترى الحصباء قد ظهرت فى سعف النخل فذهب الى سرب النخل وسعفه فوجد الحصباء قد ظهرت فيها فعلم ان ذلك واقع بهم وان بلادهم ستخرب فكتم ذلك واخفاه وأجمع ان يبيع كل شئ له بارض سبا ويخرج منها هو وولده ثم خشى ان يستنكر ذلك فصنع طعاما وأمر بابل فنحرت وبغنم فذبحت وصنع طعاما واسعا ثم بعث الى أهل مأرب أن عمرا صنع يوم مجد وذكر فاحضروا

ابن عبد الله الحيدرى من شيوخ السلفى وأبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن الخضر السلمى وأبو اسحق الكلاعى من شيوخ أبى بحر الاسدى وأبو محمد بن عتاب كتب اليه بجميع مارواه ولم يعرف ذلك فى حياته وسماه أبو الوليد بن الدباغ فى الطبقة العاشرة من طبقات أئمة المحدثين من تاليفه مع أبى عمر بن عبد البر وابى محمد بن حزم وأبى بكر بن ثابت الخطيب وذكره أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه وقال سمع بما وراء النهر والعراق ومصر واليمن والقيروان ثم سكن مصر وقدم دمشق قديما وحدث بها وسمى جماعة كثيرة من الرواة عنه وحكى انه قال لى بخارى اربعة عشر ألف جزء حديث أريد ان امضى وأجئ بها قال وسئل عن مولده فقال فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة قال وتوفى بالحوراء سنة احدى وسبعين واربعمائة رحمه الله تعالى ورضى عنه انتهى قلت والذى اعتقده انه لم يدخل الاندلس من اهل المشرق احفظ منه للحديث وهو ثقة عدل ليس له مجازفة والحق ابلج *(ومن دخل الاندلس من المشرق عبد الجبار بن ابى سلمة الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف القرشى) الزهرى دخل الاندلس مع موسى بن نصير وكان على ميسرة معسكره ونزل باجة ثم بطليوس ومن نسله الزهريون الاشراف الذين كانوا اباشبيلية انتقلوا الى سكناها قديما هكذا فى خبر القاضى أبى الحسين الزهرى منهم عن أبى بكر بن خير وغيره قال ابن بشكوال فى مجموعه المسمى بالتنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من التابعين عبد الجبار بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف من التابعين وقع ذكره فى كتاب شيخنا أبى الحسن بن مغيث انتهى قال ابن الابار ولم يزد على هذا انتهى *(ومن الداخلين الى الاندلس من المشرق أبو محمد عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب) من أهل مصر وسكن بغداد ويعرف بالطندتائى قرية بمصر نسب اليها روى عن أبى محمد الشارمساحى وتفقه به وقدم الاندلس رسولا بزعمه من عند الخليفة العباسى فسكن مرسية ودرس بها وخرج منها سنة اثنتين واربعين وستمائة بعد أن تملكها النصارى صلحا وأسر بناحية صقلية قال ابن الابار ثم بلغنى انه تخلص ولحق ببلده رحمه الله تعالى *(ومنهم عبد الخالق بن ابراهيم الخطيب يكنى أبا القاسم) قال ابن الابار لا اعرف موضعه من بلاد المشرق وكان اديبا قوى العارضة مطبوع الشعر مديد النفس ومن شعره من قصيدة صنعها فى وقت رحلته الى الاندلس قوله

على الذل اوفاحلل عقال الركائب * وللضيم اوفاحلل صدور الكتائب
فاما حياة بعد ادراك منية * واما ممات تحت عز القواضب
فما العيش فى ظل الهوان بطيب * وما الموت فى سبل العلاء بعائب

*(ومنهم ابو محمد عبد اللطيف بن أبى الطاهر احمد بن محمد بن هبة الله الهاشمى الصدفى) من أهل بغداد يعرف بالنرسى دخل الاندلس وكان يزعم انه روى عن أبى الوقت السجزى وأبى الفرج الجوزى وغيرهما وله تاليف سماه بالدليل فى الطريق من أقاويل اهل التحقيق ذكره ابو عبد الله محمد بن سعيد الطراز وضعفه بعد ما سمع منه أخذ عنه وسمع منه هو وابو القاسم عبد الرحمن بن القاسم المغيلى وغيرهما وقال ورد علينا غرناطة قريبا من

عندى ونازعنى الحديث واردد على وافعل بى مثل ما أفعله بك وجاء أهل مأرب فلما جلسوا أطعم الناس وجلس عنده الذى أمر به فجعل ينازعه الحديث ويرد عليه فضرب عمرو وجهه وشتمه فصنع الصبى بعمرو مثل ما صنع فقام عمرو وصاح واذلاه يوم فخر عمرو ومجده يضرب وجهه صبى وحلف ليقتلنه فلم يزالوا بعمرو حتى تركه ففى ذلك قال حاجر الازدى

يارب لطمة غدر قد سخنت بها
بكف عمرو التى بالغدر قد عرفت

ثم قال والله لا أقيم ببلدة صنع هذا بى فيه ولا بيعن عقارى فيه وأموالى فقال الناس بعضهم لبعض اغتنموا غضبة عمرو واشتروا منه أمواله قبل أن يرضى فابتاع الناس منه جميع ماله بارض مأرب وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شان سيل العرم فخرج ناس من الازد وباعوا أموالهم فلما أكثروا البيع استنكر ذلك الناس فامسكوا بايديهم فلما اجتمعت الى عمرو بن عامر أمواله أخبر الناس بشان

 سيل العرم فقال أخوه عمران الكاهن قد رأيت انكم ستمزقون كل ممزق ويباعد بين أسفاركم وانى

سنة ثلاث عشرة وستمائة وتوفى عفا الله تعالى عنه باشبيلية قريبا من هذا التاريخ وقال فيه ابو القاسم بن فرقد عبد اللطيف بن عبد الله الهاشمى البغدادى النرسى منسوب الى قرية من قرى بغداد سمع صحيح البخارى من ابى الوقت السجزى وروى عن غيره وله تآليف قال ابن الابار فى التصوف منها تاليف فى اباحة السماع قرأت عليه اكثره وقرأت عليه عوالى النقيب بمدينة اشبيلية بحومة القصر المبارك عام خمسة عشر وستمائة *(ومنهم ابو بكر عمر بن عثمان بن محمد بن احمد الخراسانى الباخرزى المالينى يكنى ابابكر) سمع من ابى الخير احمد بن اسمعيل الطالقانى القزوينى وابى يعقوب يوسف بن عمر بن احمد الخالدى الزنجانى وقدم الاندلس وحدث بصحيفة الاشج وجعفر بن نسطور الرومى وسمع منه بغرناطة ومرسية وغيرهما من بلاد الاندلس حدث عنه ابو القاسم الملاحى وسمع منه بمالقة ابو جعفر بن عبد الجبار وابو على بن هاشم فى صفر سنة ٦٠٠ ومولده فى ربيع الاول سنة ٥٦٠ انتهى من تكملة ابن الابار قلت ولا يخفى على من له بصر بعلم الحديث أن الاشج وابن نسطور لا يلتفت اليهما ويرحم الله تعالى السلفى الحافظ اذ قال

حديث ابن نسطور وقيس ويغنم * وبعد أشج الغرب ثم خراش
ونسخة دينار ونسخة تربه * أبى هدبة القيسى شبه فراش

قال ابن عات كان الحافظ السلفى اذا فرغ من انشاد هذين البيتين ينفخ فى يديه اشارة الى أن هذه الاشياء كالريح انتهى *(ومن الوافدين على الاندلس من أهل المشرق على بن بندار ابن اسمعيل بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكى من أهل بغداد قدم الاندلس) تاجرا سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وكان قد أخذ عن أبى الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الفقيه الداودى وتلمذ له وسمع منه الموضح والمنجح من تآليفه فى الفقه وما تم له من أحكام القرآن هكذا نقله الحافظ ابن حزم عن أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله المعتنى بهذا الشان رحمه الله تعالى (ومنهم أبو العلاء عبيد بن محمد بن عبيد أبو العلاء النيسابورى) لقيه الحافظ أبو على الصدفى ببغداد وأخذ عنه اذ قدمها حاجا وهو يحدث عن أبى سعيد عبد الرحمن ابن أحمد البصروى قال أبو على وأراه دخل الاندلس ويغلب على ظنى انى لقيته بسرقسطة ذكر ذلك القاضى عياض فى المعجم من تآليفه والله تعالى أعلم *(ومنهم سهل بن على بن عثمان التاجر النيسابورى يكنى أبانصر) سمع جماعة من الخراسانيين وغيرهم منهم أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازى وأبو الفتح السمرقندى وأدرك الامام أبا المعالى الجوينى وحضر مجالسه ودرسه ولقى بعده أصحابه القشيرى والطوسى وغيرهما وكان شافعى المذهب ذكره عياض وقال حدثنى بحكايات وفوائد وأنشدنى لابى طاهر السلفى وأجازنى جميع رواياته وحدثنى ان وفاة أبى المعالى كانت بنيسابور سنة خمس أو اربع وسبعين وأربعمائة وقال أبو محمد العثمانى انشدنى ابو نصر سهل بن على النيسابورى الحقوانى قال أنشدنا ابو الفتح نصر ابن الحسن انشدنا ابو العباس العذرى قال انشدنا ابو محمد بن حزم الحافظ لنفسه

ولما رأيت الشيب حل مفارقى * نذيرا بترحال الشباب المفارق

رجعت

أصف لكم البلدان فاختاروا أيها شئتم ٨٢ فمن أعجبه منكم صفة بلد فليصر اليها ومن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد فليلحق بقصر عمان المشيد قال ومن كان منكم ذا هم بعيد وجمل غير شديد فليلحق بالشعب من كرود قال وهى أرض همدان فلحق به وادعة بن عفر فانتسبوا فيهم وقال الكاهن ومن كان منكم ذا حاجة ووطر ونظر وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر وكان الذين سكنوه خزاعة لانخزاعها فى ذلك الموضع عمن كان معها من الناس وهم بنو عمرو بن لحى فتخزعت هنالك الى هذه الغاية وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

ولما هبطنا بطن مر تخزعت * خزاعة منا فى ملوك كراكر

فى شعر له طويل ومالك وأسلم بنو قصى بن حارثة ابن عمرو بن مزيقياء وقال الكاهن ومن كان يريد الراسيات فى الرحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وهى المدينة وكان الذين سكنوها الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقياء قال الكاهن ومن كان يريد منكم الخمر والخمير والديباج والحرير والامر والتدبير فليلحق ببصرى وحفير وهى أرض الشام قال الكاهن ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والكنوز والارزاق

رجعت الى نفسى فقلت لها انظرى ❊ الى ما الى هذا ابتداء الحقائق
دعى دعوات اللهو قد فات وقتها ❊ كما قد أفات الليل نور المشارق
دعى منزل اللذات ينزل اهله ❊ وجدّى لما تدعى اليه وسابقى

قال عياض توفى سهل هذا غريقا فى البحر منصرفا الى بلده من المرية رحمه الله تعالى ❊ (ومنهم ابو المكارم هبة الله بن الحسين المصرى) كان من اهل العلم عارفا بالاصول حافظا للحديث متيقظا حسن الصورة والشارة دخل الاندلس وولى قضاء اشبيلية منها آخر شعبان سنة تسع وسبعين وخمسمائة قال ابن الابار وبه صرف ابو القاسم الخولانى واقام بها سنة وحضر غزوة شنترين وكان قدوم ابى المكارم هذا الاندلس خوفا من صلاح الدين يوسف بن ايوب فى قوم من شيعة العبيدى ملك مصر ووفد ايضا معه ابو الوفاء المصرى ثم استصحبه امير المؤمنين يعقوب المنصور معه فى غزوة قفصة الثانيه وولاه حينئذ قضاء تونس وكان قد ولى قضاء فاس وولى ايضا ابو الوفاء صاحبه القضاء وتوفى وهو متولى قضاء تونس سنة ست وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن عبد الله القيسى الدمشقى) أصله من دمشق وبها ولد ويعرف بالاصبهانى فى مجلس أبى طاهر السلفى لدخوله اياها واقامته بها أزيد من خمسة أعوام لقراءة الخلافيات ويكنى أبا زكريا وسمع بالمشرق أبا بكر بن ماشاده السكرى وأبى الرشيد بن خالد البيع وأبا الطاهر السلفى وغيرهم وقصد المغرب بعد أداء الفريضة فلقى بجاية أبا محمد عبد الحق الاشبيلى واجازه وحضه على الوعظ والتذكير فامتثل ذلك ودخل الاندلس وتجول ببلادها واستوطن غرناطة منها وكان فقيها على مذهب الشافعى عارفا بالاصول والتصوّف زاهدا ورعا كثير المعروف والصدقة يعظ الناس ويسمع الحديث ولم يكن بالضابط فيما قاله الحافظ ابن الابار قال وله كتاب الروضة الانيقة من تاليفه حدث عنه جماعة من الجلة منهم أبو جعفر بن عميرة الضبى وابنا حوط الله أبو محمد وابو سليمان وأبو القاسم الملاحى وابو العباس بن الجيار وأبو الربيع بن سالم وقال أنشدنى عند توديعى اياه بغرناطة قال سمعت بعض المذكورين ينشد

يا زائرا زار وما زارا ❊ كأنه مقتبس نارا
مر بباب الدار مستعجلا ❊ ما ضره لو دخل الدارا
نفسى فداءك من زائر ❊ ما زار حتى قيل قد سارا

وسمع منه أبو جعفر بن الدلال كتاب المعالم للخطابى فى شرح سنن أبى داود بقراءة جميعه عليه ومولده فى شوال سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وتوفى بغرناطة بعد أن سكنها يوم الاثنين سادس شوال سنة ثمان وستمائة قال ابن الابار وفى هذا اليوم بعينه كانت وفاة شيخنا أبى عبد الله بن نوح ببلنسية رحمهما الله تعالى ❊ (ومن الوافدين من المشرق الى الاندلس اسمعيل بن عبد الرحمن بن على القرشى) من ذرية عبد بن زمعة أخى سودة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها رحل من مصر الى الاندلس فى زمن السلطان الحاكم المستنصر بالله أعوام الستين وثلثمائة حين ملك بنو عبيد مصر وأظهروا فيها معتقدهم الخبيث فخل يومئذ من

فليحق بالعراق وكان الذين لحقوا بالعراق منهم مالك بن فهم الازدى وولده ومن كان بالحيرة من غسان على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب (قال هشام ابن الكلبى) وأما أبى فكان يقول انما نزل بالحيرة من غسان مع تبع بعده ذا زمان ثم خرج عمرو بن عامر مزيقياء فسكنوا همدان وتخلف مالك بن اليمان بن جهم ابن عدى بن عمرو بن مازن ابن الازد وكان بعدهم بمأرب مالكا الى أن كان من أمرهم ما كان فى الهلاك ثم ساروا حتى اذا كانوا بنجران تخلف أبو حارثة ابن عمرو بن عامر مزيقياء ورعيل بن كعب بن أبى حارثة فانتسبوا الى مذحج قال أبو المنذر ويقال ان أبا حارثة هو جد الحرث بن كعب بن أبى حذيفة الذى بنجران والله أعلم ثم سار عمرو بن عامر حتى اذا كان بادنى المسناة ومكة قام هنالك أناس من بنى نصر من الازد وأقام معهم عمران بن عامر الكاهن أخو عمرو بن عامر مزيقياء وعدى بن حارثة بن عمرو مزيقياء وسار عمرو بن عامر وبنو مازن حتى نزلوا بين بلاد الاشعر يين وعك على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لهما زبيد ورمع وهما مما يلى صدورهما بين صعيد يقال له صعيد الحسك وبين الجبال التى تدفع به فى زبيد

الحكم المستنصر محل الرحب والسعة ولما ثارت الدولة العامرية أوى الى اشبيلية واوطنها دارا واتخذها قرارا وبها لقيه ابو عمر بن عبد البر علامة الاندلس قدس عليه واقتبس مما لديه وقد ذكره فى تاريخ شيوخه ولم يزل عقبه بها الى ان نجم منهم ابو الحسين سالم بن محمد بن سالم وهو من رجال الذخيرة وله نثر كما تفتح الزهر وتدفق البحر ونظم كما اتسق الدر وسفرت عن محاسنها الانجم الغر فمن نظمه قوله

خليلى هل ليلى ونجد كعهدنا * فيا حبذا ليلى ويا حبذا نجد
عسى الدهر أن يقضى لنا بالتفاتة * فيارب عهد قد يجدده بعد

وله اثناء رسالة

قوس العلا وضعت فى كف باريها * وأسهم الخطب عادت نحو راميها
وانما الشمس لاحت فى مطالعها * بلى واجرى جياد الخيل مجريها

ونشا هذا النجم الثاقب والصيب الساكب وقد اخذ من العلوم فى غير ما فن وحقق فيه كل ما ظن وذكره فى المسهب وسمط الجمان وفضله اشهر رحمه الله تعالى *(ومنهم ابو على القالى صاحب الامالى والنوادر) وفد على الاندلس ايام الناصر امير المؤمنين عبد الرحمن فامر ابنه الحكم وكان يتصرف عن امر ابيه كالوزير لعاملهم ابن رماحس ان يجىء مع ابى على الى قرطبة ويتلقاه فى وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض اهل الكورة تكرمة لابى على ففعل وسار معه نحو قرطبة فى موكب نبيل فكانوا اثناء ذا كرون الادب فى طريقهم ويتناشدون الاشعار الى ان تجاوروا يوما وهم سائرون ادب عبد الملك بن مروان ومساءلته جلساءه عن افضل المناديل وانشاده بيت عبدة بن الطبيب

ثمت قمنا الى جرد مسومة * أعرافهن لأيدينا مناديل

وكان الذاكر للحكاية الشيخ أبا على فانشد الكلمة فى البيت اعرافها الايدينا مناديل فانكرها ابن رفاعة الالبيرى وكان من أهل الادب والمعرفة وفى خلقه حرج وزعارة فاستعاد أبا على البيت متثبتا مرتين فى كلتيهما أنشده اعرافها فلوى ابن رفاعة عنانه منصرفا وقال مع هذا يوفد على أمير المؤمنين وتتجشم الرحلة لتعظيمه وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس لا تغلط الصبيان فيه والله لا تبعته خطوة وانصرف عن الجماعة وندبه أميره ابن رماحس أن لا يفعل فلم يجد فيه حيلة وكتب الى الحكم يعرفه ويصف له ما جرى لابن رفاعة ويشكوه فاجابه على ظهر كتابه الحمد لله الذى جعل فى بادية من بوادينا من يخطئ وافد أهل العراق الينا وابن رفاعة اولى بالرضا عنه من السخط فدعه لشأنه واقدم بالرجل غير منتقص من تكرمته فسوف يعليه الاختبار ان شاء الله تعالى أو يحطه وبعض المؤرخين يزعم أن وفادة أبى على القالى انما كانت فى خلافة الحكم المستنصر بالاندلس لا فى خلافة أبيه الناصر والصواب ان وفادته فى أيام الناصر لما ذكره غير واحد من حضوره وعيه عن الخطبة يوم احتفال الناصر لرسول الافرنج كما ألمعنا به فى غير هذا الموضع وفى القالى يقول شاعر الاندلس الرمادى

من حاكم بينى وبين عذولى * الشجو شجوى والعويل عويلى

وومع فاقاموا على غسان وشربوا منه فسموا غسان وغلب على أسمائهم فلا يعرفون الا به قال شاعرهم
اما سالت فانا معشر نجب
الازد نسبتنا والماء غسان
والذين سموا غسان من
بنى مازن الاوس والخزرج
ابنا ثعلبة بن ثعلبة بن امرئ
القيس بن مازن الازدى
(وللقوم أخبار) فى تفرقهم
ومن دخل منهم فى معد بن
عدنان وما كان بينهم
من الحروب الى أن ظفرت
بهم بنو معد فاخرجتهم الى
أن لحقوا بالسراة والسراة
جبل الازد الذين يقال لهم
السراة ويقال له الحجاز
وانما سمى السراة من
هذا الجبل ظهره فيقال
لظهره السراة كما يقال لظهر
الدابة السراة فاقاموا به
وكانوا فى سهله وجبله وما
قاربه وهو جبل على تخوم
الشام وفرز بينه وبين
الحجاز مما يلى أعمال دمشق
والاردن وبلاد فلسطين
وتلا جبل حرا (وقد كان)
أهل مارب يعبدون
الشمس فبعث الله اليهم
رسلا يدعونهم الى الله
ويزجرونهم عما هم عليه
ويذكرونهم آلاء الله
ونعمته عليهم فجحدوا
قولهم وردوا كلامهم
وأنكروا أن لله عليهم
نعمة وقالوا لهم ان كنتم
رسلا فادعوا الله أن يسلبنا ما أنعم به علينا ويذهب عنا ما أعطانا وفى ذلك تقول امرأة منهم

فى أى جارحة أصون معذبى * سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت فى بصرى فثم مدامعى * أو قلت فى قلبى فثم غليلى
لكن جعلت له المسامع موضعا * وحجبتها عن عذل كل عذول

ولما سمع المتنبى البيت الثانى قال يصونه فى استه وكان الرمادى لما سمع قول المتنبى

كفى بجسمى نحولا أننى رجل * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

قال أظنه ضرطة والجزاء من جنس العمل وباسم أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله طرز الشيخ أبو على القالى كتاب الامالى وكان الحكم كريما مغنيا بالعلم وهو الذى وجه الى الحافظ أبى الفرج الاصبهانى ألف دينار على أن يوجه له نسخة من كتاب الاغانى وألف أبو محمد الفهرى كتابا فى نسب أبى على البغدادى ورواياته ودخوله الاندلس وحكى ابن الطيلسان عن ابن جابر انه قرأ هذين البيتين فى لوح رخام كان سقط من القبة المبنية على قبر أبى على البغدادى عند تهدمها وهما

صلوا لحد قبرى بالطريق وودعوا * فليس لمن وارى التراب حبيب
ولا تدفنونى بالعراء فربما * بكى ان رأى قبر الغريب غريب

واسم أبى على اسمعيل بن القاسم بن عيذون بن هرون بن عيسى بن محمد بن سليمان وجده سلمان مولى عبد الملك بن مروان وكان أبو على احفظ أهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين وأخذ الادب عن أبى بكر بن دريد الازدى وأبى بكر بن الانبارى وابن درستويه وغيرهم وأخذ عنه ابو بكر الزبيدى الاندلسى صاحب مختصر العين ولابى على التصانيف الحسان كالامالى والبارع وطاف البلاد وسافر الى بغداد سنة ٣٠٣ وأقام بالموصل لسماع الحديث من أبى يعلى الموصلى ودخل بغداد سنة ٣٠٣ وأقام بها الى سنة ٣٢٨ وكتب بها الحديث ثم خرج من بغداد قاصدا الاندلس وسمع من البغوى وغيره قال ابن خلكان ودخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة انتهى وهو مما يعين انه قدم فى زمن الناصر لا فى زمن ابنه الحكم كما تقدم وقد صرح بذلك الصفدى فى الوافى فقال ولما دخل المغرب قصد صاحب الاندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن فأكرمه وصنف له ولولده الحكم تصانيف وبث علومه هناك انتهى وقال ابن خلكان انه استوطن قرطبة الى أن توفى بها فى شهر ربيع الآخر وقيل جمادى الاولى سنة ٣٥٦ ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور ودفن بظاهر قرطبة ومولده بمنازكرد من ديار بكر سنة ٢٨٨ وقيل سنة ٢٨٠ وانما قيل له القالى لانه سافر الى بغداد مع أهل قالى قلا وهى من أعمال ديار بكر وهو من محاسن الدنيا رحمه الله تعالى وعيذون بفتح العين وسكون الياء المثناة التحتية وضم الذال المعجمة وقال ابن خلكان فى ترجمة ابن القوطية ان أبا على القالى لما دخل الاندلس اجتمع به وكان يبالغ فى تعظيمه قال له الحكم بن عبد الرحمن الناصر من أنبل من رأيته ببلدنا هذا فى اللغة فقال محمد بن القوطية وكان ابن القوطية مع هذه الفضائل من العباد النساك وكان جيد الشعر صحيح الالفاظ حسن المطالع والمقاطع الا أنه تركه ورفضه وقال الاديب أبو بكر بن هذيل انه توجه يوما الى ضيعة له بسفح جبل قرطبة وهى من بقاع

ان كان مايصح فى ضلاله * من ربكم فلينطلق بماله * اليه عنا والى عياله

فاجابتها امرأة مؤمنة فقالت

لولا الاله لم يكن عيالنا
ولم يسع عيالنا أموالنا
هو الذى يحيينا سؤالنا
و يكشف الغم اذا ماهالنا

فارسل الله عليهم سيل العرم فهدم سدهم وغشى الماء أرضهم فاهلك شجرهم وأباده وأزال أموالهم وأنعامهم فاتوا رسلهم فقالوا ادعوا الله أن يخلف علينا نعمتنا ويخصب بلادنا ويرد علينا ماشرد من أنعامنا ونعطيكم موثقا أن لانشرك بالله شيأ فسالت الرسل ربها فاجابهم الى ذلك وأعطاهم ماسألوا فاخصبت بلادهم واتسعت عمائرهم الى أرض فلسطين والشام قرى ومنازل واسواقا فاتتهم رسلهم فقالوا موعدكم أن تؤمنوا فابوا الا طغيانا وكفرا فمزقهم الله كل ممزق وباعد بين أسفارهم (قال المسعودى) واذ قد ذكرنا جملا من أخبار السد وبلاد مارب وعمرو بن عامر وغير ذلك مما تقدم ذكره فى هذا الباب فلنرجع الآن الى أخبار الكهان وكان أول ما تكهن به سطيح الغسانى انه كان نائما فى ليلة ساكية مظلمة مع حرمته فى لحاف والحى خلوف اذ زعق من بينهم ورن وتأوه وقال والضياء والشفق والظلام والغسق ليطرقنكم ما طرق قالوا اماطرق ياسطيح قال

الارض الطيبة المونقة فصادف ابابكر بن القوطية المذكور صادرا عنها وكانت له أيضا هنالك ضيعة قال فلما رآنى عرج على واستبشر بلقائى فقلت مداعباله

من أين اقبلت يا من لاشبيه له * ومن هو الشمس والدنيا له فلك

قال فتبسم وأجاب بسرعة

من منزل تعجب النساك خلوته * وفيه ستر على الفتاك ان فتكوا

فما تمالكت أن قبلت يده اذ كان شيخى ودعوت له انتهى وهو صاحب كتاب الافعال التى فتح فيه هذا الباب فتلاه ابن القطاع وله كتاب المقصور والممدود جمع فيه مالا يحد ولا يعد وأعجز من بعده به وفاق من تقدمه رحمه الله تعالى ورضى عنه وممن أخذ عن ابى على القالى بالاندلس ابو بكر محمد الزبيدى صاحب كتاب مختصر العين وغيره وكان الزبيدى كثيرا ما ينشد

الفقر فى أوطاننا غربة * والمال فى الغربة أوطان

والارض شئ كلها واحد * والناس اخوان وجيران

وترجمة الزبيدى واسعة وكان مؤدب المؤيد هشام ووصفه بانه كان فى صباه فى غاية الحذق والذكاء رحمه الله تعالى وكان القالى قد بحث على ابن درستويه كتاب سيبويه ودقق النظر وانتصر للبصريين وأملى شيأ من حفظه ككتاب النوادر والامالى والمقصور والممدود والابل والخيل والبارع فى اللغة نحو خمسة آلاف ورقة ولم يصنف مثله فى الاحاطة والجمع ولم يتم ورتب كتاب المقصور والممدود على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق مستقصى فى بابه لا يشذ منه شئ وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب مقاتل الفرسان وتفسير السبع الطوال وكان الزبيدى اماما فى الادب ولكنه عرف فضل القالى فمال اليه واختص به واستفاد منه وأقرله وكان الحكم المستنصر قبل ولايته الامر وبعدها ينشط ابا على ويعينه على التأليف بواسع العطاء ويشرح صدره بالافراط فى الاكرام وكانوا يسمونه البغدادى لوصوله اليهم من بغداد ويقال ان الناصر هو الذى استدعاه من بغداد لولائه فيهم وفيه يقول الرمادى متخلصا فى لاميته السابق بعضها

روض تعاهده السحاب كانه * متعاهد من عهد اسمعيل

قسه الى الأعراب تعلم أنه * أولى من الأعراب بالتفضيل

حازت قبائلهم لغات فرّقت * فيهم وحاز لغات كل قبيل

فالشرق خال بعده وكانما * نزل الخراب بربعه الماهول

فكأنه شمس بدت فى غربنا * وتغيبت عن شرقهم بأفول

ياسيدى هذا ثنائى لم أقل * زورا ولا عرّضت بالتنويل

من كان يأمل نائلا فانا امرؤ * لم ارج غير القرب فى تأميلى

وقد تقدمت ابيات القالى التى أجاب بها منذر بن سعيد فى الباب قبل هذا فليراجع ثمة والله تعالى اعلم *(ومن الوافدين الى الاندلس من المشرق ابو العلاء صاعد بن الحسين بن عيسى البغدادى اللغوى) واصله من الموصل قال ابن بسام ولما دخل صاعد قرطبة ايام المنصور

ابن

ذو حبسة فى الوجرة وحرة بعد حرة فى ليلة قرة فانصرفوا عن قوله واستهانوا بامره وتعاصفت مدود من أودية هنالك فجأتهم فى ليلة باردة قرة كماذكر فساقت الانعام والمواشى وكادت أن تذهب بعامتهم (ولسطيح الكاهن ولشق بن مصعب أخبار كثيرة) منها رؤيا تبع الحميرى فى ان جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بارض تهمة وكانت منها كل ذات جمجمة وما فسراه له فى ذلك وكذلك خبر سطيح وعبد المسيح فى رؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وخبر سملقة وزوبعة وما كان من أمرهما وخبر شان الظليم والسحرة وما كان بين علك وغسان من الحرب فى رقة اللبن وحلاوته وثخنه ونزل غسان أعلى الوادى وعلك فى أسفله وما كان فى ذلك من القيافة بينهم فى طلوع الشمس وغروبها على ابلهم وخبر السموأل بن حسان بن عادياء وما كان من أمره وأمر خازن الكاهن وما قاله حين طرقه ليلا وانقياده الى ذمته وما كان من العير الاقمر والظليم الاحمر والفرس الاشقر والجمل الاورق والشيخ الاسدى وغير ذلك مما ذكرناه فيما سلف من

ابن ابى عامر عزم المنصور على ان يقفى به آثار ابى على البغدادى الوافد على بنى امية فاوجد عنده مايرتضيه واعرض عنه اهل العلم وقدحوا فى علمه وعقله ودينه ولم يأخذوا عنه شيئا لقلة الثقة به وكان الف كتابا سماه كتاب الفصوص فدحضوه ورفضوه ونبذوه فى النهر ومن شعره قوله

وممهفهف ابهى من القمر * قهر الفؤاد بفاتن النظر
خالسته تفاح وجنته * فاخذتها منه على غرر
فاخافنى قوم فقلت لهم * لاقطع فى ثمر ولا كثر

والكثر الجمار وهذا اقتباس من الحديث وقال الحميدى سمعت ابا محمد بن حزم الحافظ يقول سمعت ابا العلاء صاعدا ينشد بين يدى المظفر عبد الملك بن ابى عامر من قصيدة يهنيه فيها بعيد الفطر سنة ٣٩٦

حسبت المنعمين على البرايا * فالفيت اسمه صدر الحساب
وماقدمته الاكانى * اقدم تاليا ام الكتاب

وذكر الحميدى ان عبدالله بن ما كان الشاعر تناول نرجسة فركبها فى وردة ثم قال لصاعد ولابى عامر بن شهيد صفاها فاخما ولم يتجه لهما القول فبينماهم على ذلك اذدخل الزهيرى صاحب ابى العلاء وتلميذه وكان شاعرا اديبا اميا لا يقرا فلما استقر به المجلس اخبر بما هم فيه فجعل يضحك ويقول

ماللاديبين قد أعيتهما * مليحة من ملح الجنه
نرجسة فى وردة ركبت * كمقلة تطرف فى وجنه انتهى

ومن غريب ماجرى لصاعد أن المنصور جلس يوما وعنده اعيان مملكته ودولته من اهل العلم كالزبيدى والعاصمى وابن العريف وغيرهم فقال لهم المنصور هذا الرجل الوافد علينا يزعم انه متقدم فى هذه العلوم واحب ان يمتحن فوجه اليه فلما امثل بين يديه والمجلس قد احتفل خجل فرفع المنصور محله واقبل عليه وساله عن ابى سعيد السيرافى فزعم انه لقيه وقرا عليه كتاب سيبويه فبادره العاصمى بالسؤال عن مسئلة من الكتاب فلم يحضره جوابها واعتذر بان النحو ليس جل بضاعته فقال له الزبيدى فما تحسن ايها الشيخ فقال حفظ الغريب قال فما وزن اولق فضحك صاعد وقال امثلى يسال عن هذا انما يسال عنه صبيان المكتب قال الزبيدى قد سالناك ولا نشك انك تجهله فتغير لونه وقال أفعل وزنه فقال الزبيدى صاحبكم ممخرق فقال له صاعد اخال الشيخ صناعته الابنية فقال له اجل فقال صاعد وبضاعتى اناحفظ الاشعار ورواية الاخبار وفك المعمى وعلم الموسيقى قال فناظره ابن العريف فظهر عليه صاعد وجعل لايجرى فى المجلس كلمة الا انشد عليها شعرا شاهدا واتى بحكاية تجانسها فاعجب المنصور ثم اراه كتاب النوادر لابى على القالى فقال ان اراد المنصور امليت على كتاب دولته كتابا ارفع منه واجل لااورد فيه خبرا مما اورده ابو على فاذن له المنصور فى ذلك وجلس بجامع مدينة الزاهرة على كتابه المترجم بالفصوص فلما اكمله تتبعه ادباء الوقت فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم وسالوا المنصور

(قال المسعودى) عدة الشهور عند العرب وسائر العجم اثنا عشر شهرا فلنذكر الآن سنى وشهور وأيام ما اشتهر أهله من جل الامم وهم العرب والفرس والروم والسريانيون والقبط اذ كان قول اليونانيين فى ذلك من حسابهم ومن تبعهم على ذلك من أهل الصين وكثير من الممالك والامم اذ كان فى ذلك خروج عما عليه الجمهور والمعهود بين الناس ونجعل المبتدأ بذكر سنى وشهور القبط لموافقتها السريانيين وموافقتها الشهور الروم ثم نعقب ذلك بذكر سنى العرب وشهورها وأيامها ولأية علة استحق عندها تسمية كل شهر منها وكل يوم وما قالته العرب فى تسمية الليالى وجل من ذكر أفعال الشمس والقمر وتاثيرهما فى هذا العالم فى الجماد والنبات والحيوان وغير ذلك مما يقف عليه المتامل عند قراءته ان شاء الله تعالى على ما يريد والله تعالى ولى التوفيق

(ذكر شهور القبط والسريانيين والخلاف فى أسمائها ما من التاريخ)

أول شهور القبط توت وهو ايلول وبابه وهو تشرين الاول وهاتور وهو تشرين الثانى وكيهك وهو كانون الاول

في تجليد كرار يس بياض تزال جدتها حتى توهم القدم وترجم عليه كتاب النكت تاليف ابي الغوث الصنعاني فترامى اليه صاعد حين رآه وجعل يقبله وقال اي والله قراته بالبلد الفلاني على الشيخ ابي فلان فاخذه المنصور من يده خوفا ان يفتحه وقال له ان كنت قد قراته كما تزعم فعلام يحتوي فقال وابيك لقد بعد عهدي به ولا احفظ الآن منه شيا ولكنه يحتوي على لغة منثورة لايشوبها شعر ولاخبر فقال له المنصور أبعد الله مثلك فما رأيت أكذب منك وأمر باخراجه وأن يقذف كتاب الفصوص في النهر فقال فيه بعض الشعراء

قد غاص في النهر كتاب الفصوص * وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه صاعد

عاد الى معدنه انما * توجد في قعر البحار الفصوص

قال ابن بسام وما أظن أحدا يجترئ على مثل هذا وانما صاعد اشترط أن لا ياتي الا بالغريب غير المشهور وأعانهم على نفسه بما كان يتنفق به من الكذب وحكى ابن خلكان أن المنصور أثابه على كتاب الفصوص بخمسة آلاف دينار ومن أعجب ماجرى له انه كان بين يدي المنصور فاحضرت اليه وردة في غير وقتها لم يستتم فتح ورقها فقال فيها صاعد مرتجلا

أتتك أبا عامر وردة * يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت باكمامها راسها

فسر بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده وجرى الى مناقضته وقال لابن أبي عامر هذان البيتان لغيره وقد أنشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر وهما عندي على ظهر كتاب بخطه فقال له المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة فوصف له ماجرى فقال هذه الابيات ودس فيها بيتي صاعد

غدوت الى قصر عباسة * وقد جدل النوم حراسها
فالفيتها وهي في خدرها * وقد صرع السكر أناسها
فقالت أسار على هجعة * فقلت بلى فرمت كاسها
ومدت يديها الى وردة * يحاكي لك الطيب أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت باكمامها راسها
وقالت خف الله لاتفضحن * في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على غفلة * وماخنت ناسي ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري ومداد أشقر ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين غدا أمتحنه فان فضحه الامتحان أخرجته من البلاد ولم يبق في موضع لي عليه سلطان فلما أصبح وجه اليه فاحضر وأحضر جميع الندماء فدخل بهم الى مجلس محفل قد أعد فيه طبقا عظيما فيه سقائف مصنوعة من جميع النوار ووضع على السقائف لعب من ياسمين في شكل الجواري وتحت السقائف بركة ماء قد ألقي

وطوبه وهو كانون الثاني وامشير وهو شباط وبرمهات وهو أذار وبرموده وهو نيسان وبشنس وهو أيار وبؤنه وهو حزيران وأبيب وهو تموز ومسري وهو آب وللقبط بعد هذا خمسة أيام لواحق تدعى العمائر تزيدها على ما سمينا من شهورها وهي ثلثمائة يوم وستون يوما فتصير السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وأول يوم من السنة عند القبط هو اليوم التاسع والعشرون من آب وعدة كل شهر منها ثلاثون يوما وكانت أيام السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما بعدد أيام سنة الفرس وكانت شهور القبط فيما مضى توافق أوائلها شهور الفرس وكان أول يوم أول آذرماه ثم كل شهر كذلك على هذا الوصف الى آخر سنة القبط آخر آذرماه وهذا الحساب بعينه موجود في كتب الزيجات في النجوم وأهل مصر وسائر القبط في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يستعملون في حسابهم في الشهور غير ما قدمنا وذلك انهم زادوا في أيام السنة ربع يوم على مذهب اليونانيين والروم فصارت شهورهم مخالفة لشهور الفرس وموافقة لشهور السريانيين والروم في عدد أيام السنة التي ملك فيها البختنصر وكان أولها يوم الاربعاء

اللآلى أى مثل الحصباء وفى البركة حية تسبح فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور ان هذا يوم اما أن تسعد فيه معنا واما أن تشقى بالضد عندنا لانه قد زعم قوم ان كل ماتاتى به دعوى وقد وقفت من ذلك على حقيقة وهذا طبق ماتوهمت أنه حضر بين يدى ملك قبلى شكله فصفه بجميع مافيه وعبر بعض عن هذه القصة بقوله أمر فعبى له طبق فيه أزهار ورياحين وياسمين وبركة ماء حصباؤها اللؤلؤ وكان فى البركة حية تسبح وأحضرها صاعد فلما شاهد ذلك قال له المنصور ان هؤلاء يذكرون ان كل ماتاتى به دعوى لاصحة لها وهذا طبق ماظننت انه عمل لملك مثله فان وصفته بجميع مافيه علمت صحة ماتذكره فقال صاعد بديهة

أباعامر هل غير جدواك واكف * وهل غير من عاداك فى الارض خائف
يسوق اليك الدهر كل غريبة * واعجب مايلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها هام الحيا * على حافتيها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بانواع الملاهى الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا * تظللها بالياسمين السقائف
وأعجب منها انهن نواظر * الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلى سابح فى عبابها * من الرقش مسموم الثعابين زاحف
ترى ماتراه العين فى جنباتها * من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة فى مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحيته من تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوّار تجذف بمجاذيف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور أحسنت الا انك أغفلت ذكر المركب والجارية فقال للوقت

وأعجب منها غادة فى سفينة * مكللة تصبو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء تتقى * بسكانها ماأنذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب * تصرف فى يمنى يديه المجاذف
ولم ترعينى فى البلاد حديقة * تنقلها فى الراحتين الوصائف
ولا غرو أن ساقت معاليك روضة * وشتها أزاهير الربا والزخارف
فأنت امرؤ لورمت نقل متالع * ورضوى ذرتها من سطاك نواسف
اذا قلت قولا أو بدهت بديهة * فكلنى له انى لمجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب ورتب له فى كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه بالندماء قال وكان شديد البديهة فى ادعاء الباطل قال له المنصور يوما ما الخنبشار فقال حشيشة يعقد بها اللبن ببادية الاعراب وفى ذلك يقول شاعرهم

لقد عقدت محبتها بقلبى * كما عقد الحليب الخنبشار

وقال له يوما وقد قدم اليه طبق فيه تمر ما التمركل فى كلام العرب فقال يقال تمركل الرجل تمركلا اذا التف فى كسائه وكان مع ذلك عالما قال وكان لابن أبى عامر فتى يسمى فاتنا أوحد لانظير له فى علم كلام العرب فناظر صاعدا هذا فقطعه وظهر عليه وبكته فاعجب المنصور منه

وأما تاريخ القبط فى كتاب زيج بطليموس فمن أول سنة ملك فليلفوس وكان أولها يوم الاحد والذى بين تاريخ البختنصر وتاريخ يزدجرد ألف وثلثمائة وتسع وتسعون سنة فارسية وثلاثة أشهر والذى بين تاريخ فليلفوس وتاريخ يزدجرد تسعمائة واثنتان وأربعون سنة من سنى الروم ومائتان وتسع وخمسون يوما وبين تاريخ يزدجرد وتاريخ الهجرة من الايام ألف وستمائة وأربعة وعشرون يوما فاول هذه التواريخ تاريخ البختنصر ثم تاريخ فليلفوس ثم تاريخ يزدجرد وتاريخ العرب من اول السنة التى هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وكان اولها يوم الخميس وتاريخ الفرس من أول السنة التى ملك فيها يزدجرد بن شهريار بن كسرى بن ابرويز وكان اولها يوم الثلاثاء وتاريخ الروم والسريانيين من اول السنة من ملك الاسكندر وكان اولها يوم الاثنين والله تعالى اعلم بحقيقة ذلك

(ذكر شهور السريانيين ووصف موافقتها الشهور العرب وعدة ايام السنة ومعرفة الانواء)

فاول ذلك ان ايام السنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وهى مختلفة فى العدد فنيسان ثلاثون يوما وايار احد وثلاثون

فتوفي فاتن هذا سنة ٤٠٢ وبيعت في تركته كتب مضبوطة جليلة صحيحة وكان منقادا لما نزل به من المثلة فلم يتخذ النساء كغيره وكان في ذلك الزمان بقرطبة جملة من الفتيان المخانيث ممن أخذ بأوفر نصيب من الادب قال ورأيت تأليفا لرجل منهم يعرف بحبيب ترجمه بكتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة وذكر فيه جملة من أشعارهم وأخبارهم ونوادرهم قال ابن بسام وغيره ومن عجائب ما جرى لصاعد أنه أهدى أيلا الى المنصور وكتب على يد موصله

يا حرز كل مخوف وأمان كل مشرد ومعز كل مذلل
يا سلك كل فضيلة ونظام كل جزيلة وثراء كل معيل

ومنها

ما ان رأت عيني وعلمك شاهد * جدوى علائك في معم مخول

ومنها

وأبي مؤنس غربتي وتحفظي * من صفر أيامي ومن مستعملي
عبد جذبت بضبعه ورفعت من * مقداره أهدى اليك بأيل
سميته غرسية وبعثته * في حبله ليصح فيه تفاؤلي
فلئن قبلت فتلك أنفس منة * أهدى بها ذو منحة وتطول
منحتك غادية السرور بعزة * وحللت أوجا بالسحاب المخضل

فقضي في سابق علم الله سبحانه وتعالى أن ملك الروم غرسية أسر في ذلك اليوم بعينه الذي بعث فيه بالأيل وسماه باسمه على التفاؤل انتهى وكان غرسية أمنع من النجم وسبب أخذه انه خرج يتصيد فلقيته خيل للمنصور من غير قصد فأسرته وجاءته به فكان هذا الاتفاق مما عظم به العجب ولنورد من أخبار صاعد فنقول حكي ان المنصور قال بسبب هذه القضية انه لم يتفق لصاعد هذا الفأل الغريب الا لحسن نيته وسريرته وصفاء باطنه فرفع قدره من ذلك اليوم فوق ما كان ورجحه على أعدائه وحق له ذلك وفي الزهرة الثامنة والعشرين من كتاب الأزهار المنثورة في الاخبار المأثورة حكي أن صاعدا قال جمعت خرق الاكياس والصرر التي قبضت فيها صلات المنصور محمد بن أبي عامر فقطعت لكافور الاسود غلامي منها قميصا كالمرقعة وبكرت به معي الى قصر المنصور فاحتلت في تنشيطه حتى طابت نفسه فقلت يا مولانا لعبدك حاجة فقال اذكرها قلت وصول غلامي كافور الى هنا فقال وعلى هذه الحال فقلت لا أقنع بسواه الا بحضوره بين يديك فقال أدخلوه فمثل قائما بين يديه في مرقعته وهو كالنخلة اشرافا فقال قد حضر وانه لبآذل الهيئة فما لك أضعته فقلت يا مولانا هنالك الفائدة اعلم يا مولاي انك وهبت لي اليوم ملء جلد كافور مالا فتهلل وقال لله درك من شاكر مستنبط لغوامض معاني الشكر وأمر لي بمال واسع وكسوة وكسا كافورا أحسن كسوة انتهى ولما دخل صاعد دانية وحضر مجلس الموفق مجاهد العامري أمير البلد كان في المجلس ديب يقال له بشار فقال للموفق دعني أعبث بصاعد فقال له لا تتعرض اليه فانه سريع الجواب فأبى الا مساءلته وكان بشار المذكور أعمى فقال لصاعد يا أبا العلاء

واثمان عشرة ليلة منه رجوع الشمس هابطة من السماء على ما أوجبه يوما وحزيران ثلاثون يوما حساب الهند وهو أطول يوم في السنة وأقصر ليلة وتموز احد وثلاثون يوما وآب احد وثلاثون يوما فاذا انسلخ ذهب الحر قال محمد بن عبد الملك الزيات

برد الماء وطال الليل والتذ الشراب
ومضى عنك حزيران وتموز وآب

وايلول ثلاثون يوما ولخمس منه عيد ذكريا ولعشر منه تطلع الصرفة فينصرف الحر ولثلاث عشرة منه عيد الصليب وهو اليوم الرابع عشر منه وفي هذا اليوم تفتح الترع بمصر على حسب ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ولتمام عشرين منه يستوي الليل والنهار وقال أبو نواس

مضى ايلول وارتفع الحرور
وأذكت نارها الشعرى العبور

وتشرين الاول أحد وثلاثون يوما وفيه يكون المهرجان وبين النيروز والمهرجان مائة وتسعة وستون يوما وعند الفرس في معنى المهرجان انه كان لهم ملك في قديم الزمان من ملوك الفرس قد عم ظلمه خواص الناس وعوامهم وكان يسمى مهر وكانت الشهور تسمى باسماء الملوك فقيل مهرماه ومعنى

ما الجرنفل في كلام العرب فعرف صاعد انه وضع هذه الكلمة وليس لها أصل في اللغة فقال بعد أن أطرق ساعة الجرنفل في اللغة الذي يفعل بنساء العميان ولا يتجاوزهن الى غيرهن وهو في ذلك كله يصرح ولا يكني فخجل بشار وانكسر وضحك من كان حاضرا فقال له الموفق قلت لك لا تفعل فلم تقبل انتهى والجرنفل بضم الجيم والراء وسكون النون وضم الفاء وبعدها لام ولصاعد أخبار ونوادر كثيرة غير ما تقدم وله مع المنصور بن أبي عامر رحمه الله تعالى من ذلك كثير وبعضه ذكرناه في هذا الكتاب ومن حكاياته انه خرج معه يوما الى رياض الزاهرة فمد المنصور يده الى شئ من الريحان المعروف بالترنجان فعبث به ورماه الى صاعد واشار اليه ان يقول فيه فارتجل (لم أدر قبل ترنجان عبثت به) الابيات الآتية وهذا المنصور بن ابي عامر قد تقدمت جملة من أخباره ومن أعجب ما وقع له ما رايته بخزانة فاس في كتاب الفه صاحبه في الازهار والانوار حكى فيه في ترجمة النيلوفر ان المنصور لما قدم عليه رسول ملك الروم الذي هو اعظم ملوكهم في ذلك الزمان ليطلع على احوال المسلمين وقوتهم فامر المنصور ان يغرس في بركة عظيمة ذات اميال نيلوفر ثم امر باربعة قناطير من الذهب واربعة قناطير من الفضة فسبكت قطعا صغارا على قدر ما تسع النيلوفرة ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذي في البركة وارسل الى الرومي فحضر عنده قبل الفجر في مجلسه السامي بالزاهرة بحيث يشرف على موضع البركة فلما قرب طلوع الشمس جاء الف من الصقالبة عليهم اقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة وبيد خمسمائة اطباق ذهب وبيد خمسمائة اطباق فضة فتعجب الرسول من حسن صورهم وجميل شارتهم فلم يدر ما المراد فحين اشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة وبادروا الاخذ الذهب والفضة من النيلوفر وكانوا يجعلون الذهب في اطباق الفضة والفضة في اطباق الذهب حتى التقطوا جميع ما فيها وجاؤا به فوضعوه بين يدي المنصور حتى صار كوما بين يديه فتعجب النصراني من ذلك واعظمه وطلب المهادنة من المسلمين وذهب مسرعا الى مرسله وقال له لا تعاد هؤلاء القوم فاني رايت الارض تخدمهم بكنوزها انتهى وهذه القضية من الغرائب وانها لحيلة عجيبة في اظهار عز الاسلام واهله وكان المنصور بن ابي عامر آية الله سبحانه في السعد ونصرة الاسلام قال ابن بسام نقلا عن ابن حيان انه لما انتهت خلافة بني مروان بالاندلس الى الحكم تاسع الائمة وكان مع فضله قد استهواه حب الولد حتى خالف الحزم في توريثه الملك بعده في سن الصبا دون مشيخة الاخوة وفتيان العشيرة ومن كان ينهض بالامر و يستقل بالملك قال ابن بسام وكان يقال لا يزال ملك بني أمية بالاندلس في اقبال ودوام ما توارثه الابناء عن الآباء فاذا انتقل الى الاخوة وتوارثوه فيما بينهم أدبر وانصرم ولعل الحكم لحظ ذلك فلما مات الحكم أخفى جؤذر وفائق موته ذلك وعزما على صرف البيعة الى أخيه المغيرة وكان فائق قد قال له ان هذا الايتم لنا الا بقتل جعفر المصحفي فقال له جؤذر ونستفتح أمرنا بسفك دم شيخ مولانا فقال له هو والله ما أقول لك ثم بعثا الى المصحفي ونعيا اليه الحكم وعرفاه رأيهما في المغيرة فقال لهما المصحفي وهل أنا الا تبع لكما وأنتما صاحبا القصر ومدبرا الامر فشرعا في تدبير ما عزما عليه وخرج المصحفي وجمع أجناده وقواده ونعى اليهم الحكم وعرفهم مقصود جؤذر

ماه هو الشهر وأن ذلك الملك طال أمره واشتدت وطاته فمات في النصف من هذا الشهر وهو مهرماه فسمى ذلك اليوم الذي مات فيه مهرجان وتفسيره نفس مهر ذهبت لان الفرس تقدم في لغتها ما تؤخر العرب في كلامها وهذه اللغة الفهلويه وهي الفارسية الاولى وأهل المروآت بالعراق وغيرها من مدن العجم يجعلون هذا اليوم أول يوم من الشتاء فتغير فيه الفرش والآلات وكثيرا من الملابس والخمس منه وهو تشرين الاول عيد كنيسة القمامة ببيت المقدس وفي هذا اليوم تجتمع النصارى من سائر الارض وتنزل عليهم نار من السماء فيسرج هناك الشمع ويجتمع فيه من المسلمين خلق عظيم للنظر الى العيد ويقتلع فيه ورق الزيتون ويكون للنصارى فيه أقاصيص ولهذه النار حيلة لطيفة وسر عظيم وقد ذكرنا وجه الحيلة في ذلك في كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب وتشرين الثاني ثلاثون يوما وكانون الاول أحد وثلاثون يوما ولسبع عشرة منه يكون النهار تسع ساعات وربعا وهو منتهى قصره والليل أربع عشرة ساعة ونصفا وربعا وهو منتهى طوله وليلة الخامس والعشرين منه ميلاد المسيح عليه السلام وكانون الثاني أحد وثلاثون يوما وأول يوم منه الغطاس فيكون

و فائق في المغيرة وقال ان بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا وان بدلنا استبدلنا قالوا الرأي رأيك فبادر المصحفي بانفاذ محمد بن أبي عامر مع طائفة من الجند الى دار المغيرة لقتله فوافاه ولا خبر عنده فنعى اليه الحكم أخاه فجزع وعرفه جلوس ابنه هشام في الخلافة فقال أنا سامع مطيع فكتب الى المصحفي بحاله وماهو عليه من الاستجابة فاجابه المصحفي بالقبض عليه والاوجه غيره ليقتله فقتله خنقا لما قتل المغيرة واستوثق الامر لهشام بن الحكم افتتح المصحفي أمره بالتواضع والسياسة واطراح الكبر ومساواة الوزراء في الفرش وكان ذلك من أوّل ما استحسن منه وتوفر على الاستئثار بالاعمال والاحتجان للاموال وعارضه محمد بن أبي عامر فتى ماجد أخذ معه بطرفي نقيض بالبخل جودا وبالاستبداد اثرة وتملك قلوب الرجال الى ان تحركت همته للمشاركة في التدبير بحق الوزارة وقوى على امره بنظره في الوكالة وخدمته للسيدة صبح ام هشام وكانت حاله عند جميع الخدم أفضل الاحوال بتصديه لمواقع الارادة ومبالغته في تأديه لطيف الخدمة فاخرجت له أم هشام الخليفة الى الحاجب جعفر المصحفي بأن لا ينفرد عنه برأي وكان غير متخيل منه سكونا الى ثقته فامتثل الامر وأطلعه على سره وبالغ في بره وبالغ محمد بن أبي عامر في مخادعته والنصح له فوصل المصحفي يده بيده واستراح الى كفايته وابن أبي عامر يمكر به ويضرب عليه ويغرى به الحرة ويناقضه في أكثر ما يعامل به الناس ويقضي حوائجهم ولم يزل على ماهذه سبيله الى أن انحل أمر المصحفي وهوى نجمه وتفرّد محمد بن أبي عامر بالامر ومنع أصحاب الحكم وأجلاهم وأهلكهم وشردهم وشتتهم وصادرهم وأقام من صنائعهم من استغنى به عنهم وصادر الصقالبة وأهلكهم وأبادهم في أسرع مدة قال ابن حيان وجاشت النصرانية بموت الحكم وخرجوا على أهل الثغور فوصلوا الى باب قرطبة ولم يجدوا عند جعفر المصحفي غناء ولا نصرة وكان مما أتى عليه أن أمر أهل قلعة رباح بقطع سد نهرهم لما تخيله من أن في ذلك النجاة من العدو ولم تقع حيلته لأكثر منه مع وفور الجيوش وجموم الاموال وكان ذلك من سقطات جعفر فانف محمد بن أبي عامر من هذه الدنية وأشار على جعفر بتجديد الجيش بالجهاد وخوفه سوء العاقبة في تركه وأجمع الوزراء على ذلك الامن شذ منهم واختار ابن أبي عامر الرجال وتجهز للغزاة واستصحب مائة ألف دينار ونفذ بالجيش ودخل على الثغر الجوفي ونازل حصن الحامة ودخل الربض وغنم وقفل فوصل الحضرة بالسبي بعد اثنين وخمسين يوما فعظم السرور به وخلصت قلوب الاجناد له واستهلكوا في طاعته لما رأوه من كرمه ومن أخبار كرمه ما حكاه محمد بن أفلح غلام الحكم قال دفعت الى مالا أطيقه من نفقة في عرس ابنة لي ولم يبق معي سوى لجام محلى ولما ضاقت بي الاسباب قصدته بدار الضرب حين كان صاحبها والدراهم بين يديه موضوعة مطبوعة فاعلمته ماجئت له فابتهج بما سمعه مني وأعطاني من تلك الدراهم وزن اللجام بحديده وسيوره فلا تسل عن فرحي وكنت غير مصدق بما جرى لعظمه وعملت العرس وفضلت لي فضلة كثيرة وأحبه قلبي حتى لوحملني على خلع طاعة مولاي الحكم لفعلت وكان ذلك في أيام الحكم قبل أن يقتعد ابن أبي عامر الذروة وقال غير واحد انه صنع يومئذ قصرا من فضة لصبح ام هشام وحمله على رؤس الرجال فجلب حبها بذلك وقامت بأمره عند سيدها الحكم وحدث الحكم خواصه بذلك

وقال

يوقدون في ليلته النيران ويظهرون الافراح لاسيما بمدينة انطاكية ومايكون فيه بالشام لاهله عيد في كنيسة القسيان بها من القداس عندهم وكذلك لسائر الشام وبيت المقدس ولمصر وأرض النصرانية كلها ومايظهر أهل دين النصرانية بانطاكية من الفرح والسرور وايقاد النيران والمآكل والمشارب وتساعدهم على ذلك عوام الناس وكثير من خواصهم وذلك أن مدينة انطاكية بها كرسي البطرك المعظم عندها في ديانتها وأن النصرانية تسمى انطاكية مدينة الله ويسمونها أيضا مدينة الملك وأم المدن لان بدو ظهور النصرانية كان فيها (والبطارقة عند النصرانية أربعة) أولهم صاحب مدينة رومية ثم الثاني وهو صاحب مدينة قسطنطينية وهي أقسس واسمها القديم بورنطيا ثم الثالث وهو صاحب الاسكندرية من أرض مصر ثم الرابع وهو صاحب انطاكية ورومية وانطاكية لبطرس فبدؤا برومية لانها لبيطرس ثم ختموا بانطاكية لانها له وتعظيما وقد أحدثوا كرسيا ببيت المقدس ولم يكن هذا مقدما وانما هو محدث وكان لايليا وهو بيت المقدس اسقف (وبانطاكية) أيضا كنيسة أخرى تدعى استوست

وقال ان هذا الفتى قد جلب عقول حرمنا بما يتحفهم به قالوا وكان الحكم لشدة نظره في علم الحدثان يتخيل في ابن أبي عامر انه المذكور في الحدثان ويقول لاصحابه أما تنظرون الى صفرة كفيه ويقول في بعض الاحيان لو كانت به شجة لقلت انه هو بلا شك فقضى الله أن تلك الشجة حصلت للمنصور يوم ضربه غالب بعد موت الحكم بمدة قال ابن حيان وكان بين المصحفي وغالب صاحب مدينة سالم وشيخ الموالي وفارس الاندلس عداوة عظيمة ومباينة شديدة ومقاطعة مستحكمة وأعجز المصحفي أمره وضعف عن مباراته وشكا ذلك الى الوزراء فاشاروا عليه بملاطفته واستصلاحه وشعر بذلك ابن أبي عامر فاقبل على خدمته وتجرد لاتمام ارادته ولم يزل على ذلك حتى خرج الامر بان ينهض غالب الى تقدمة جيش الثغر وخرج ابن أبي عامر الى غزوته الثانية واجتمع به وتعاقدا على الايقاع بالمصحفي وقفل ابن أبي عامر ظافرا غانما وبعد صيته فخرج أمر الخليفة هشام بصرف المصحفي عن المدينة وكانت في يده يومئذ وخلع على ابن أبي عامر ولا خبر عند المصحفي وملك ابن أبي عامر الباب بولايته للشرطة وأخذ عن المصحفي وجوه الحيلة وخلاه وليس بيده من الامر الا أقله وكان ذلك باعانة غالب له وضبط المدينة ضبطا أنسى به أهل الحضرة من سلف من الكفاة وتولى السياسة وانهمك ابن أبي عامر في صحبة غالب ففطن المصحفي لتدبير ابن أبي عامر عليه فكاتب غالبا يستصلحه وخطب أسماء بنته لابنه عثمان فأجابه غالب لذلك وكادت المصاهرة تتم له وبلغ ابن أبي عامر الامر فقامت قيامته وكاتب غالبا يخوفه الحيلة ويهيج حقوده وألقى عليه أهل الدار وكاتبوه فصرفوه عن ذلك ورجع غالب الى ابن أبي عامر فأنكحه البنت المذكورة وتم له العقد في محرم سنة سبع وستين وثلثمائة فأدخل السلطان تلك الابنة الى قصره وجهزها الى محمد بن أبي عامر من قبله فظهر أمره وعز جانبه وكثر جاله وصار جعفر المصحفي بالنسبة اليه كلاشئ واستقدم السلطان غالبا وقلده الحجابة شركة مع جعفر المصحفي ودخل ابن أبي عامر على ابنته ليلة النيروز وكانت أعظم ليلة عرس في الاندلس وايقن المصحفي بالنكبة وكف عن اعتراض ابن أبي عامر في شئ من التدبير وابن أبي عامر يسايره ولا يظاهره وانفض عنه الناس وأقبلوا على ابن أبي عامر الى أن صار المصحفي يغدو الى قصر قرطبة ويروح وهو وحده وليس بيده من الحجابة سوى اسمها وعوقب المصحفي باعانته على ولاية هشام وقتل المغيرة ثم سخط السلطان على المصحفي وأولاده وأهله وأسبابه وأصحابه وطولبوا بالاموال وأخذوا برفع الحساب لما تصرفوا فيه وتوصل ابن أبي عامر بذلك الى اجتثاث أصولهم وفروعهم وكان هشام ابن أخي المصحفي قد توصل الى أن سرق من رؤس النصارى التي كانت تحمل بين يدي ابن أبي عامر في الغزاة الثالثة ليقدم بها على الحضرة وغاظه ذلك منه فبادره بالقتل في المطبق قبل عمه جعفر المصحفي فلما استقصى ابن ابي عامر مال جعفر حتى باع داره بالرصافة وكانت من اعظم قصور قرطبة واستمرت النكبة عليه سنتين مرة يحتبس ومرة يترك ومرة يقر بالحضرة ومرة ينفر عنها ولا براح له من المطالبة بالمال ولم يزل على هذا الحكم حتى استصفى ولم يبق فيه محتمل واعتقل في المطبق بالزهراء الى ان هلك واخرج الى اهله ميتا وذكر انه سمه في ماء شربه قال محمد بن اسمعيل سرت مع محمد بن مسلمة الى الزهراء لنسلم جسد

وبها عيد عظيم للنصرانية وكذلك كنيسة مزوره وهي كنيسة مزوره وبنيانها من احدى عجائب العالم في التشييد والرفعة وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان اقتلع من هذه الكنيسة عمدا عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق وبقي الاكثر من هذه الكنيسة الى هذا الوقت (وقد كان لملك) من ملوك الرومية بانطاكية خبر عجيب في كنيسة استوست وكانت خارج السور من انطاكية وهي في أيدي اليهود فعوضت اليهود دار الملك بانطاكية بدلا من كنيسة استوست وهذه الدار التي كانت دار الملك بانطاكية تعرف بدار اليهود ولليهود حيلة احتالوها حين خرجت الكنيسة من أيديهم حتى قتلوا من النصرانية خلقا عظيما من نشر خشب فيها وغير ذلك وقدمنا أخبار بطرس وبولص وما كان من أمرهما بمدينة رومية وغيرهما من تلاميذ المسيح وتفرقهم في البلاد وذكرنا قصة الملك الذي بنى مدينة انطاكية وهو المعروف بافطنحس وتفسير ذلك محوط الحوائط وكان اسم انطاكية بالرومية على اسمه افطنحس فلما ورد المسلمون وافتتحوها حذفت الاحرف الا الالف والنون والطاء وفي تاريخ النصارى الملكية وغيرها من أهل دين النصرانية يكون لمولد المسيح الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين

وثلاثين وثلثمائة تسعمائة سنة وأربعون سنة ٩٤ وتكون سنو الاسكندر ألفا ومائتين وخمسا وثمانين ويكون من الاسكندر

جعفر بن عثمان الى أهله بأمر المنصور وسرنا الى منزله فكان مغطى بخلق كساء لبعض البوّابين ألقاه على سريره وغسل على فردة باب اختلع من ناحية الدار وأخرج وما حضر أحد جنازته سوى امام مسجده المستدعى للصلاة عليه ومن حضر من ولده فعجبت من الزمان انتهى وما احسن عبارة المطمح عن هذه القضية اذ قال قال محمد بن اسمعيل كاتب المنصور سرت بأمره لتسليم جسد جعفر الى اهله وولده والحضور على انزاله فى ملحده فنظرته ولا اثر فيه وليس عليه شئ يواريه غير كساء خلق لبعض البوّابين فدعا له محمد بن مسلمة بغاسل فغسله والله على فردة باب اقتلع من جانب الدار وأنا أعتبر من تصرف الاقدار وخرجنا بنعشه الى قبره وما معنا سوى امام مسجده المستدعى للصلاة عليه وما تجاسر أحد منا النظر اليه وان لى فى شأنه لخبرا ما سمع بمثله طالب وعظ ولا وقع فى سمع ولا تصوّر فى لحظ وقفت له فى طريقه من قصره أيام نهيه وأمره أروم أن أناوله قصة كانت به مختصة فوالله ما تمكنت من الدنو منه بحيلة لكثافة موكبه وكثرة من حف به وأخذ الناس السكك عليه وأفواه الطرق داعين ومارين بين يديه وساعين حتى ناولت قصتى بعض كتابه الذين نصبهم جناحى موكبه لأخذ القصص فانصرفت وفى نفسى ما فيها من الشرق بحاله والغصص فلم تطل المدة حتى غضب عليه المنصور واعتقله ونقله معه فى الغزوات واحتمله واتفق أن نزلت بجليقية الى جانب خبائه فى ليلة نهى فيها المنصور عن وقود النيران ليخفى على العدو أثره ولا ينكشف اليه خبره فرأيت والله عثمان ولده يسقيه دقيقا قد خلطه بماء يقيم به أوده ويمسك بسببه رمقه بضعف حال وعدم زاد وهو يقول

تعاطيت صرف الحادثات فلم أزل * أراها توفى عندموعدها الحرا

فلله أيام مضت بسبيلها * فانى لا انسى لها ابدا ذكرا

تجافت بها عنا الحوادث برهة * وابدت لنا منها الطلاقة والبشرا

ليالى ما يدرى الزمان مكانها * ولا نظرت منها حوادثه شزرا

وما هذه الايام الا سحائب * على كل ارض تمطر الخير والشرا انتهى

واما غالب الناصرى فانه حضر مع ابن ابى عامر فى بعض الغزوات وصعدا الى بعض القلاع لينظرا الى أمرها فجرت محاورة بين ابن ابى عامر وغالب فسبه غالب وقال له يا كلب انت الذى افسدت الدولة وخربت القلاع وتحكمت فى الدولة وسل سيفه فضربه وكان بعض الناس حبس يده فلم تتم الضربة وشجه فألقى ابن ابى عامر نفسه من راس القلعة خوفا من ان يجهز عليه فقضى الله تعالى انه وجد شيأ فى الهواء منعه من الهلاك فاحتمله اصحابه وعالجوه حتى برئ ولحق غالب بالنصارى فجيش بهم وقابله ابن ابى عامر بمن معه من جيوش الاسلام فحكمت الاقدار بهلاك غالب وتم لابن ابى عامر مجده وتخلصت دولته من الشوائب قالوا ولما وقعت وحشة بين ابن ابى عامر والمؤيد وكان سببها تضريب الحساد فيما بينهما وعلم انه مادهى الامن جانب حاشية القصر فرقهم ومزقهم ولم يدع فيه منهم الامن وثق به أو عجز عنه ثم ذكر له ان الحرم قد انبسطت ايديهنّ فى الاموال المختزنة بالقصر وما كانت السيدة صبح اخت رائق تفعله من اخراج الاموال عند ما حدث من تغيرها على ابن ابى عامر وانها اخرجت فى بعض

الى المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون هذا ما وجد فى تاريخ الملكية فى كنيسة القسيان بمدينة انطاكية وسنذكر بعد فى هذا الكتاب جملا من التاريخ فى باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى فلنرجع الآن الى وصف حساب الشهور شباط ثمانية وعشرون يوما وربع ثلاث سنين متوالية والرابعة كبيسة فيكون تسعا وعشرين يوما وتكون السنة ثلثمائة وستة وستين يوما ولسبعة منه تسقط الجمرة الاولى وهى الجبهة ولاربع عشرة منه تسقط الجمرة الثانية وهى الصرفة وينصرف البرد وثلاثة أيام من آخره أيام العجوز واذار أحد وثلاثون يوما ولاربعة من أوله تتم أيام العجوز والعرب تسمى هذه السبعة الايام صنا وصنبرا ووبرا وآمرا ومؤتمرا ومعللا ومطفئ الجمر قال بعض العرب فى أسماء أيام العجوز

كسع الشتاء بسبعة غبر
صن وصنبر وبالوبر
فاذا انقضت أيام شتوتنا
أيام صادوة عن القر
كسع الشتاء موليا هربا
وأتتك واقدة من الحر

ولخمس عشرة من اذار يستوى الليل والنهار وتحل الشمس الحمل وهذا اليوم تحويل سنة العالم قال أبو فراس الايام

الايام مائة كوز مختومة على أعناق الخدم الصقالبة فيها الذهب والفضة وموّهت ذلك كله بالمرى والشهد وغيره والاصباغ المتخذة بقصر الخلافة وكتبت على رؤس الكيزان أسماء ذلك ومرت على صاحب المدينة فما شك انه ليس فيها الا ماهو عليها وكان مبلغ ماحملت فيها من الذهب ثمانين ألف دينار فاحضر ابن أبي عامر جماعة وأعلمهم أن الخليفة مشغول عن حفظ الاموال بانهماكه فى العبادة وان فى اضاعتها آفة على المسلمين وأشار بنقلها الى حيث يؤمن عليها فيه فحمل منها خمسة آلاف ألف دينار عن قيمة ورق وسبعمائة الف دينار وكانت صبح قد دافعت عما بالقصر من الاموال ولم تمكن من اخراجها فاجتمع ابن ابى عامر بالخليفة هشام واعترف له بالفضل والغناء فى حفظ قواعد الدولة فخرست ألسنة العدا والحسدة وعلم المنصور مافى نفوس الناس لظهور هشام ورؤيتهم له اذ كان منهم من لم يره قط فابرزه للناس وركب الركبة المشهورة واجتمع لذلك من الخلق مالا يحصى وكانت عليه الطويلة والقضيب فى يده زى الخلافة والمنصور يسايره ثم خرج المنصور لآخر غزواته وقد مرض المرض الذى مات فيه وواصل شن الغارات وقويت عليه العلة فاتخذ له سرير خشب ووطئ عليه ما يقعد عليه وجعلت عليه ستارة وكان يحمل على أعناق الرجال والعساكر تحف به وكان هجر الاطباء فى تلك العلة لاختلافهم فيها وأيقن بالموت وكان يقول ان زمانى يشتمل على عشرين ألف مرتزق ما أصبح فيهم أسوأ حالة منى ولعله يعنى من حضر معه تلك الغزاة والا فعساكر الاندلس ذلك الزمان أكثر من ذلك العدد واشتغل ذهنه بامر قرطبة وهو فى مدينة سالم فلما أيقن بالوفاة أوصى ابنه عبد الملك وجماعته وخلا بولده وكان يكرر وصاياه وكلما أراد أن ينصرف رده وعبد الملك يبكى وهو ينكر عليه بكاءه ويقول وهذا من أول العجز وأمره أن يستخلف أخاه عبد الرحمن على العسكر وخرج عبد الملك الى قرطبة ومعه القاضى ابو ذكوان فدخلها أول شوّال وسكن الارجاف بموت والده وعرف الخليفة كيف تركه ووجد المنصور خفة فاحضر جماعة بين يديه وهو كالخيال لا يبين الكلام وأكثر كلامه بالاشارة كالمسلم المودع وخرجوا من عنده فكان آخر العهد به ومات لثلاث بقين من شهر رمضان وأوصى أن يدفن حيث يقبض فدفن فى قصره بمدينة سالم اضطرب العسكر وتلوّم ولده أياما وفارقه بعض العسكر الى هشام وقفل هو الى قرطبة فيمن بقى معه ولبس فتيان المنصور المسوح والاكسية بعد الوشى والحبر والخز وقام ولده عبد الملك المظفر بالامر وأجراه هشام الخليفة على عادة أبيه وخلع عليه وكتب له لسجل بولاية الحجابة وكان الفتيان قد اضطربوا فقوم المائل وأصلح الفاسد وجرت الامور على السداد وانشرحت الصدور بما شرع فيه من عمارة البلاد فكان أسعد مولود ولد فى الاندلس ولنمسك عنان القلم فى أمر ابن أبى عامر فقد قدمنا فى محله جملة من أحواله وماذكرناه هنا وان كان محله ماسبق وبعضه قد تكرر معه فهو لا يخلو من فوائد زوائد والله تعالى ولى التوفيق (رجع) الى أخبار صاعد اللغوى البغدادى حكى انه دخل على المنصور يوم عيد وعليه ثياب جدد وخف جديد فمشى على حافة البركة لازدحام الحاضرين فى الصف فزلق فسقط فى الماء فضحك المنصور وأمر باخراجه وقد كاد البرد أن يأتى عليه فخلع عليه وأدنى

واكتست الارض من زخارفها * وشى ثياب تخالها حللا
فاشرب على جدة الزمان فقد * أصبح وجه الزمان معتدلا

وليس بحلول الشمس الحمل تستوفى الخمر سنة وانما أراد بحلولها قربها من الحول والقوّة (قال المسعودى) وأما شهور الروم فهى موافقة لشهور السريانيين فى العدد وذلك أن أول شهور الروم يواريوس وهو كانون الثانى وقد قدمنا أن فى أول يوم منه يكون الغطاس وشباط فبراريوس وآذار مارتيوس ونيسان ابريليس وايار مايوس وحزيران يونيوس وتموز يوليوس وآب أغسطوس وايلول سطمبر وتشرين الاول أقطوبر وتشرين الثانى نوفمبر وكانون الاول دسمبر

(ذكر شهور الفرس)

كلها ثلاثون يوما فاولها فرودرى وأول يوم منه النيروز وبينه وبين المهرجان مائة وأربعة وسبعون يوما والثانى أردبهشت ماه وخردادماه وتيرماه نيروز عيد المهاجرين ومردادماه وشهريورماه ويوم الرابع والعشرين منه المهرجان ومهرماه وابان ماه وآذرماه عيد الانصار وهذه خمسة أيام الفردوجان ودى ماه وأول

مجاسه وقال له هل حضرك شئ فقال

شيأ ن كانافى الزمان عجيبة * ضرط ابن وهب ثم وقعة صاعد

فاستبرد ما أتى به أبو مروان الكاتب الجزيرى فقال هلا قلت

سرورى بغرتك المشرقه * وديمة راحتك المغدقه
ثنانى نشوان حتى غرقت * فى لجة البركة المطبقه
لئن ظل عبدك فيها الغريق * فجودك من قبلها أغرقه

فقال له المنصور لله درك يا أبا مر وان قسناك بأهل بغداد ففضلتهم فيمن نقيسك بعد انتهى وقال فى الذخيرة فى ترجمة صاعد وفد على المنصور نجما من المشرق غرّب ولسانا عن العرب اعرب واراد المنصور أن يقفى به آثار ابى على القالى فالفى سيفه كهاما وسحابه جهاما من رجل يتكلم بملء فيه ولا يوثق بكل مايذره ولا مايأتيه انتهى باختصار واصل صاعد من ديار الموصل وقال ارتجالا وقد عبث المنصور بترنجان

لم ادر قبل ترنجان عبثت به * أن الزمرد اغصان واوراق
من طيبه سرق الاترج نكهته * ياقوم حتى من الاشجار سراق
كانما الحاجب المنصور علمه * فعل الجميل فطابت منه اخلاق

وقدمه الجارى بقوله

كأن ابريقنا والراح فى فمه * طير تناول ياقوتا بمنقار

وقبله

وقهوة من فم الابريق صافية * كالدمع مفجوعة بالالف مغيار

وقال فى بدائع البدائه دخل صاعد اللغوى على بعض اصحابه فى مجلس شراب فملأ الساقى قدحا من ابريق فبقيت على فم الابريق نقطة من الراح قد تكونت ولم تقطر فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك فقال وقهوة من فم الابريق سا كبة البيتين ثم قال بعدهما وانما هدم صاعد قول الشريف ابى البركات على بن الحسين اللغوى

كأن ريح الروض لما أتت * فتت علينا مسك عطار
كأنما أبريقنا طائر * يحمل ياقوتا بمنقار انتهى

ومن نظم صاعد

قلت له والرقيب يحجله * مودعا للفراق أين أنا
فدكفا الى ترائبه * وقال سر وادعا فانت هنا

وقال صاعد لما أمر المنصور بن أبى عامر بمعارضة قصيدة لابى نواس

انى لاستحيي علا * ك من ارتجال القول فيه
من ليس يدرك بالرويـ * ـة كيف يدرك بالبديه

وقال حاشد البغدادى فى صاعد اللغوى وكان صاعد ينشدهما ويبكى ويقول ماهجيت بشئ أشد على منهما

اقبل هديت ابا العلاء نصيحتى * بقبولها وبواجب الشكر

يوم منه يخرج الكوسج فيه را كبا بغاله بالعراق وأرض فارس ولا يعرف ماوصفنا الا بالعراق وأرض العجم وأرض الشام والجزيرة ومصر واليمن لايعرفون ذلك ويطعم مدة من الايام الجوز والثوم واللحم السمين وماعدى ذلك من الاطعمة الحارة والاشربة المسخنة الدافعة للبرد فيظهر طاردا للبرد فيصب عليه الماء البارد فلا يجد لذلك شيأ من ألمه ويصيح بالفارسية كرما كرما وهذا وقت عيد الاعاجم يطربون فيه ويظهرون السرور وكذلك فى أوقات كثيرة من فصول السنة وادورون والاردحش ودرماه ودسمهر وردمنا وآذروبهمن ماه واسفندار مدرون الاسوف واسفندار موزماه فذلك ثلثمائة وخمسة وستون يوما والله اعلم

(ذكر ايام الفرس)*

وهى هرمزو بهمان وأدربهشت وشهرين واسفندارموز خرداد ومرداد ودينا ودين وادواران وحرد له ونبر ونبرس ودى ومهر وانرويس وافرون وبهران وفيه يقول الشاعر

يا كرينالذة المدام
فى يوم سبت ويوم رام
شبريطى فيه أن ترانى * وقت الضحى فاتر الكلام
وبادورو نبرين واردواسان واسار وحامار لا

لاتهجون أسن منك فربما * تهجو أباك وانت لاتدرى

نعوذ بالله من لسان الشعراء وانواع البلاء بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن نظم صاعد قوله

بعثت اليك من خيرى روض * مخرمة كاوراق العقيق
توكل بالغروب عن التصابى * وتصطاد الخليع من الطريق

وروى صاعد عن القاضى ابى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى وابى على الحسن بن احمد الفارسى وأبى بكر بن مالك القطيعى وأبى سليمان الخطابى وغيرهم قال الحميدى خرج من الاندلس فى الفتنة فمات بها قريبا سنة عشر وأربعمائة وقال ابن حزم توفى بصقلية سنة سبع عشرة وأربعمائة وقال ابن بشكوال فى حقه انه يتهم بالكذب وقلة الصدق فيما يورده عفا الله تعالى عنه وقدم الاندلس من مصر أيام المؤيد وتحكم المنصور ابن أبى عامر فى حدود سنة ٣٨٠ فاكرمه المنصور وزاد فى الاحسان اليه والافضال عليه وكان عالما باللغة والآداب والاخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة فكه المجالسة وقال بعضهم دخل صاعد على المنصور وعنده كتاب ورد عليه من عامل له فى بعض الجهات اسمه برمان بن يزيد يذكر فيه القلب والتزبيل وهما عندهم اسم الارض قبل زراعتها فقال له يا أبا العلاء قال لبيك يامولانا فقال هل رأيت أو وصل اليك من الكتب القوالبة والزوالبة لبرمان بن يزيد قال اى والله ببغداد فى نسخة لابى بكر بن دريد بخطه كراع النمل فى جوانبها فقال له أما تستحى يا أبا العلاء من هذا الكذب هذا كتاب عاملى ببلد كذا واسمه كذا يذكر فيه كذا فجعل يحلف له انه ما كذب ولكنه أمر وافق ومات عن سن عالية رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسى) ولد سنة ٥٧٣ وقد ذكر فى رحلته عجائب شاهدها بالمغرب ومشايخ لقيهم فمنهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الانصارى قال سمعت عليه سنة سبع وتسعين وخمسمائة الحديث وشيأ من تصانيف المغاربة وروى لنا عن الحافظ أبى اسحق ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم بن قرقول وولى ابن حوط الله المذكور قضاء غرناطة وأدرك ابن بشكوال وابن حبيش وابن حميد المرسى النحوى وأبا زيد السهيلى صاحب الروض وغيرهم ومن الشيوخ الذين لقيهم السرخسى المذكور بالمغرب الفقيه ابن أبى تميم قال وانشدنى

اسمع أخى نصيحتى * والنصح من محض الديانه
لاتقربن الى الشها * دة والوساطة والامانه
تسلم من ان تعزى لزو * ر أوفضول أوخيانه

وذكر انه أدرك الشيخ الولى العارف بالله سيدى أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجى السبتى صاحب الحالات والكرامات الظاهرة والطريقة الغريبة والاحوال العجيبة قال ادركته بمراكش سنة أربع وتسعين وخمسمائة وقد ناهز الثمانين ومهما حصل عنده مال فرقه فى الحال وتركته فى سنة ثمان وتسعين حيا يرزق انتهى وولى الله السبتى قد

هو كاه مسروكاه كاساه وكانت العرب تسمى الايام الخمسة الهرير والهبير وقالب الفهر وحافل الضرع ومدحرج البعر (وكانت الفرس) تكبس فى كل مائة وعشرين شهرا لربع اليوم الفاضل فى الشهور الرومية وتسميه المارك فاذا كانت سنة كبيسة أخروا ذلك الى مائة وعشرين سنة لان أيامهم كانت سعودا ونحوسا فكرهوا أن يكبسوا فى كل أربع سنين يوما فتنتقل بذلك أيام السعود الى أيام النحوس ولا يكون النيروز أول يوم من الشهر والله تعالى أعلم

(ذكر سنى العرب وشهورها وتسمية أيامها ولياليها)

أشهر الاهلة أولها المحرم وأيامها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما تنقص عن السريانى أحد عشر يوما وربع يوم فتفرق فى كل ثلاثة وثلاثين سنة فتنسلخ تلك السنة العربية ولا يكون فيها نيروز وقد كانت العرب فى الجاهلية تكبس فى كل ثلاث سنين شهرا وتسميه النسىء وقد ذم الله تبارك وتعالى

فعلهم بقوله انما النسىء زيادة فى الكفر وسمت العرب الشهور فبدأت بالمحرم لانه أول السنة

فيها ومن تخلف عنها هلك جوعا وقال نابغة ذبيان
انى نهيت بنى ذبيان عن أفق
وعن تربعهم فى كل أصفار
وقيل انما سمى الصفر لان المدن كانت تخلو فيه من أهلها بخروجهم الى الحرب وهو ماخوذ من قولهم أصفرت الدار منهم اذا خلت وربيع وربيع لارتباع الناس والدواب فيهما فان قيل قد توجد الدواب ترتبع فى غير هذا الوقت قيل قد يمكن أن يكون هذا الاسم لزمهما فى ذلك الوقت فاستمر تعريفهما بذلك مع انتقال الزمان واختلافه وجمادى وجمادى لجمود الماء فيهما فى الزمان الذى سميت به هذه الشهور لانهم لم يعلموا أن الحر والبرد يدوران فتنتقل أوقات ذلك ورجب لخوفهم اياه يقال رجبت الشئ اذا خفته وانشد
* فلا تهبها ولا ترجبها *
وشعبان لتشعبهم الى مياههم وطلب الغارات ورمضان لشدة حر الرمضاء فيه ذلك الوقت والوجه الآخر أنه اسم من أسماء الله تعالى ذكره ولا يجوز أن يقال رمضان وانما قال شهر رمضان وشوال لان الابل كانت تشول فيه ذلك الوقت باذنابها

ذكرت فى غير هذا الموضع بعض أحواله فلتراجع فى الباب الثامن من ترجمة لسان الدين بن الخطيب ومحله مقصود لقضاء الحاجات وقد زرته مرارا عديدة سنة ١٠١٠ وقال لسان الدين فى نفاضة الجراب كتبت عن السلطان الغنى بالله محمد بن يوسف بن نصر ونحن بفاس يخاطب الضريح المقصود والمنهل المورود والمرعى المنتجع والخوان الذى يكفى الغرثى ويمرّض المرضى ويقوت الزمنى ويتعداهم الى أهل الجدة زعموا والغنى قبر ولى الله سيدى أبى العباس السبتى نفعنا الله به وجبر حالنا وأعاد علينا النعم ودفع عنا النقم

ياولى الاله أنت جواد * وقصدنا الى حماك المنيع
راعنا الدهر بالخطوب فجئنا * نرتجى من علاك حسن الصنيع
فقدنا الك الا كف نرجى * عودة العز تحت شمل جميع
قد جعلنا وسيلة تربك الزا * كى وزلفى الى العليم السميع
كم غريب أسرى اليك فوافى * برضا عاجل وخير سريع

ياولى الله الذى جعل جاهه سببا لقضاء الحاجات ورفع الازمات وتصريفه باقيا بعد الممات وصدق نقول الحكايات ظهور الآيات نفعنى الله بنيتى فى بركة تربك وأظهر على أثر توسلى بك الى الله ربك مزق شملى وفرق بينى وبين أهلى وتعدى علىّ وصرفت وجوه المكايد الى حتى أخرجت من وطنى وبلدى ومالى وولدى ومحل جهادى وحقى الذى صار لى طوعا عن آبائى واجدادى عن بيعة لم يحل عقدتها الدين ولا ثبوت جرحة تشين وانا قد قرعت باب الله سبحانه بتأميلك فالتمس لى قبوله بقبولك وردنى الى وطنى على أفضل حال وأظهر على كرامتك التى تشد اليها ظهور الرحال فقد جعلت وسيلتى اليك رسول الحق الى جميع الخلق والسلام عليك ايها الولى الكريم الذى يأمن به الخائف وينتصف الغريم ورحمة الله انتهى *(رجع) والسرخسى المذكور قال فى حقه بعض الائمة انه الشيخ الامام شيخ الشيوخ تاج الدين ابو محمد عبد الله بن عمر بن على بن محمد بن حمويه له رحلة مغربية انتهى وهو من بيت كبير وقال البدرى فى حقه ما صورته تاج الدين شيخ الشيوخ بدمشق احد الفضلاء المؤرخين المصنفين له كتاب فى ثمان مجلدات ذكر فيه اصول الاشياء وله السياسة الملوكية صنفها للملك الكامل محمد وغير ذلك وسمع الحديث وحفظ القرآن وكان قد بلغ الثمانين وقيل لم يبلغها وقد سافر الى بلاد المغرب سنة ثلاث وتسعين واتصل بمراكش عند ملكها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فاقام هنالك الى سنة ستمائة وقدم مصر وولى مشيخة الشيوخ بعد اخيه صدر الدين ابن حمويه انتهى وقال غيره انه كان فاضلا متواضعا نزها حسن الاعتقاد قال ابو المظفر كان يحضر مجالسى وانشدنى يوما

لم الق مستكبرا الا تحوّل لى * عند اللقاء له الكبر الذى فيه
ولا حلا لى من الدنيا ولذتها * الا مقابلتى للتيه بالتيه

وقال السرخسى المذكور فى رحلته انى وان كنت خراسانى الطينة لكنى شامى المدينة وان كانت العمومة من المشرق فان الخؤولة من المغرب فحدث باعث يدعو الى الحركات

والاسفار

والاسفار ومشاهدة الغرائب فى النواحى والاقطار وذلك فى حال ريعان الشباب الذى تعضده عزائم النفوس بنشاطها والجوارح بخفة حركاتها وانبساطها فخرجت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة الى زيارة البيت المقدس وتجديد العهد بيركاته واغتنام الاجر فى حلول بقاعه ومزاراته ثم سرت منه الى الديار المصرية وهى آهلة بكل ما تجمل به البلاد وتزدهى وينتهى وصف الواصف لشؤنها ولا تنتهى ثم دخلت الغرب من الاسكندرية فى البحر ودخلت مدينة مراكش أيام السيد الامام أمير المؤمنين أبى يوسف يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن بن على فاتصلت بخدمته والذى علمت من حاله انه كان يجيد حفظ القرآن ويحفظ متون الاحاديث ويتقنها ويتكلم فى الفقه كلاما بليغا وكان فقهاء الوقت يرجعون اليه فى الفتاوى وله فتاوى مجموعة حسبما أدى اليه اجتهاده وكان الفقهاء ينسبونه الى مذهب الظاهر وقد شرحت أحوال سيرته وما جرى فى ايام دولته فى كتاب التاريخ المسمى عطف الذيل وقد صنف كتابا جمع فيه متون احاديث صحاح تتعلق بها العبادات سماه الترغيب وتهدده ملك الافرنج الفنش فى كتابه فمزقه وقال لرسوله ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ان شاء الله تعالى ثم قال للكاتب اكتب على هذه القطعة يعنى من كتابه الذى مزقه الجواب ما ترى لا ما تسمع

فلا كتب الا المشرفية والقنا ✽ ولا رسل الا الخميس العرمرم

ومن شعره ابيات كتب بها الى الغرب وهى

يا ايها الراكب المزجى مطيته ✽ على عذافرة تشقى بها الاكم
بلغ سليمى على بعد الديار بها ✽ بينى وبينكم الرحمن والرحم
يا قومنا لا تشبوا الحرب ان خمدت ✽ واستمسكوا بعرى الايمان واعتصموا
كم جرب الحرب من قد كان قبلكم ✽ من القرون فبادت دونها الامم
حاشى الاعارب أن ترضى بمنقصة ✽ ياليت شعر اهل ترآهم علموا
يقودهم ارمنى لا خلاق له ✽ كأنه بينهم من جهلهم علم

يعنى بالارمنى قرقوش مملوك بنى ايوب الذى كان ذهب الى بلاد الغرب الادنى واوقد النار الحربية من طرابلس الى تونس مع ابن غانية اللتونى وحديثه مشهور وتمام الابيات

الله يعلم أنى ما دعوتكم ✽ دعاء ذى قوة يوما فينتقم
ولا لحاجة لامر يستعان به ✽ من الامور وهذا الخلق قد علموا
لكن لا أجزى رسول الله عن نسب ✽ ينمى اليه وترعى تلكم الذمم
فان اتيتم فحبل الوصل متصل ✽ وان ابيتم فعند السيف نحتكم

ثم قال السرخسى وبلغنى ان قوما من الغرباء قصدوه ومعهم حيوانات معلمة منها اسد وغراب اما الاسد فيقصده من دون اهل المجلس ويربض بين يديه وربما اوما بالسجود ومد ذراعيه واما الغراب فكان يقول النصر والتمكين لسيدنا امير المؤمنين وفى ذلك يقول بعض الشعراء

انس الشبل ابتهاجا بالاسد ✽ ورأى شبه ابيه فقصد

الحرب والغارات وذو الحجة لان الحج فيه (والاشهر الحرم) المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة (وأشهر الحج) شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة والايام المعلومات العشر والايام المعدودات ايام التشريق والتعجيل باتفاق غير جائز الا فى اليوم الثالث من يوم النحر يدل ذلك على أن أولها ثانى يوم النحر ولو كان يوم النحر من المعدودات كان يوم التعجيل فى ثلاثة أيام وهذا خلاف القرآن لان أخبار الله تعالى أن التعجيل فى يومين من المعدودات واذا كانت المعدودات ما وصفنا صح أن المعلومات منها والذبح فى يوم النحر ذبح فى المعلومات لكونه منها ولا تمانع بين العرب أن يقول القائل آتيك فى الشهر والاتيان انما كان فى بعضه وجئتك فى اليوم والمجيء فى بعض أوقاته ولا يصام يوم النحر ولا يوم الفطر ولا ايام منى لفرض ولا لتطوع لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولم يخص فرضا من تطوع بالنهى فالواجب الامتناع على ما وصفنا (وقد ذكر عن عقبة بن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام ثلاثة ايام التشريق وفى جميع ما ذكرنا من المعلومات والمعدودات والصيام فى

أنطق الخالق مخلوقاته * شهدوا والكل بالحق شهد
أنك الخيرة من صفوته * بعدما طال على الناس الامد

فاعطاهم وكساهم واحسن حباهم وبلغني ان قوما اتوه بفيل من بلاد السودان هدية فامر لهم بصلة ولم يقبله منهم وقال نحن لانريد ان نكون اصحاب الفيل وقال لي يوما كيف ترى هذه البلاد واين هي من بلادك الشامية فقلت يا سيدنا بلادكم حسنة أنيقة مجملة مكملة وفيها عيب واحد فقال ماهو فقلت انها تنسى الاوطان فتبسم وظهر لي اعجابه بالجواب وأمر لي من غد بزيادة رتبة واحسان وحدثني بعض عماله انه فرق على الجند والامراء والفقراء في عيد سنة أربع وتسعين ثلاثة وسبعين ألف شاة من ضأن ومعز ودرج الى رحمة الله تعالى سنة خمس وتسعين وخمسمائة وكان قد استخلف ولده محمدا وقرر الامر له انتهى قلت بهذا وأمثاله تعلم فساد مازعمه غير واحد أن يعقوب المنصور هذا تخلى عن الملك وفر زهدا فيه الى المشرق وانه دفن بالبقاع لان هذه مقالة عامية لا يثبتها علماء المغرب وسبب هذه المقالة تولع العامة به فكذبوا في موته وقالوا انه ترك الملك وحكوا ماشاع الى الآن وذاع مما ليس له أصل ويرحم الله تعالى الامام العلامة القاضي الشريف الغرناطي شارح الخزرجية اذ قال في شرح مقصورة حازم عند ذكره وقعة الارك مامعناه ان بعض الناس يزعمون أن المنصور ترك الملك وذهب الى المشرق وهذا كلام لايصح ولا أصل له انتهى وقال في المغرب كان أبوه يوسف قد استوزره في حياته وخرج بين يديه وعرس وهزم الفرنج الهزيمة الفظيعة وتولع بالعلم حتى نفى التقليد وحرق كتب المذاهب وقتل على السكر انتهى وحكى لسان الدين الوزير ابن الخطيب في شرح كتابه رقم الحلل في نظم الدول أن المنصور طلب من بعض أعيان دولته رجلين لتاديب ولده يكون احدهما برا في عمله والآخر بحرا في علمه فجاءه بشخصين زعم انهما على وفق مقترح المنصور فلما اختبرهما لم يجدهما كما وصف فكتب الى الآتي بهما ظهر الفساد في البر والبحر انتهى وناهيك بهذا دلالة على قوة فطنته ومعرفته رحمه الله تعالى (رجع) الى أخبار السرخسي وقال في رحلته لما ذكر السيد أبا الربيع سليمان بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي وكان في تلك المدة يلي مدينة سجلماسة وأعمالها اجتمعت به حين قدم الى مراكش بعد وفاة المنصور يعقوب لمبايعة ولده محمد فرأيته شيخا بهي المنظر حسن المخبر فصيح العبارة باللغتين العربية والبربرية ومن كلامه في جواب رسالة الى ملك السودان لغانة ينكر عليه تعويق التجار قوله نحن نتجاور بالاحسان وان تخالفنا في الاديان ونتفق على السيرة المرضية ونتآلف على الرفق بالرعية ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة والجور لاتعانيه الا النفوس الشريرة الجاهلة وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده وتردد الجلابة الى البلد مفيد لسكانها ومعين على التمكن من استيطانها ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية لكنا لانستصوب فعله ولا ينبغي لنا أن ننهى عن خلق ونأتي مثله والسلام ووقع الى عامل له كثرت الشكاوى منه قد كثرت فيك الاقوال واغضائي عنك رجاء أن تتيقظ فتنصلح الحال وفي مبادرتي

الى

ايام التشريق خلاف بين الناس وايام التشريق ١٠٠ أولها ثاني النحر وآخرها اليوم الثالث عشر من ذي الحجة (قال المسعودي) وقد اختلف الناس في علة أيام التشريق وهي ايام منى ولياليها فقالت طائفة انما سميت ايام التشريق لانهم كانوا يذبحون الذبائح ويشرقون اللحم في الشمس وقال آخرون انما سميت ايام التشريق لان اهل مكة وغيرهم يتشرقون منصرفين الى اوطانهم وفيه قول آخر وهو انها انما سميت ايام التشريق لانهم كانوا يخرجون من منى وغيرها كالمزدلفة الى مصليات لهم في فضاء من الارض فيسمونها المشارق واحدها مشراق يسبحون ويدعون فسميت بذلك ايام التشريق وفيه قول آخر وهو ان طائفة زعمت أنه ماخوذ من ذبح البهائم وهو التشريق وقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الضحية بالمشرقة يعني المشقوقة الاذنين بالطول فهي ايام التشريق وللناس في التشريق من اهل الآراء والنحل كلام كثير لايحتمله كتابنا هذا وانما ذكرنا ماأوردناه لتعلق الكلام بنا اليه واتصاله بما قدمناه وان كان كلاما يلحق بالفقه (والايام النحسات) كل اربعاء يوافق اربعا من الشهر مثل اربع خلون واربع وعشرين واربع بقين (واما أسماء الايام) فاولها

الى ظهور الانكار عليك نسبه الى شر الاختيار وعدم الاختبار فاحذر فانك على شفا جرف هار ومن شعره المشهور قصيدة يمدح بها ابن عمه المنصور يعقوب

هبت بنصركم الرياح الاربع * وجرت بسعد كم النجوم الطلع
واستبشر الفلك الاثير تيقنا * أن الامور الى مرادك ترجع
وأمدك الرحمن بالفتح الذى * ملأ البسيطة نوره المتشعشع
لم لا وأنت بذلت فى مرضاته * نفسا تفديها الخلائق أجمع
ومضيت فى نصر الاله مصمما * بعزيمة كالسيف بل هى أقطع
لله جيشك والصوارم تنتضى * والخيل تجرى والاسنة تلمع
من كل من تقوى الاله سلاحه * ما ان له غير التوكل مفزع
لا يسلمون الى النوازل جارهم * يوما اذا أضحى الجوار يضيع

ومنها يصف انهزام العدو

ان ظن أن فراره منج له * فبجهله قد ظن ما لا ينفع
أين المفر ولا فرار لهارب * والارض تنشر فى يديك وتجمع
أخليفة الله الرضا هنيته * فتح بعيد ساواه ويشفع
فلقد كسوت الدين عزا شامخا * ولبست منه أنت ما لا يخلع
هيهات سر الله أودع فيكم * والله يعطى من يشاء ويمنع
لكم الهدى لا يدعيه سواكم * ومن ادعاه يقول ما لا يسمع
ان قيل من خير الخلائق كلها * فاليك يا يعقوب تومى الاصبع
ان كنت تتلو السابقين فانما * أنت المقدم والخلائق تبع
خذها أمير المؤمنين مديحة * من قلب صدق لم يشنه تصنع
واسلم أمير المؤمنين لامة * أنت الملاذ لها وانت المفزع
فالمدح منى فى علاك طبيعة * والمدح من غيرى اليك تطبع
وعليك يا علم الهداة تحية * يفنى الزمان وعرفها يتضوع

قال لى الفقيه أبو عبد الله محمد القسطلانى دخلت الى السيد ابى الربيع بقصر سجلماسة وبين يديه أنطاع عليها رؤس الخوارج الذين قطعوا الطريق على السفار بين سجلماسة وغانة وهو ينكت الارض بقضيب من الآبنوس ويقول

ولا غرو أن كانت رؤس عداته * جوابا اذا كان السيوف رسائله

ومات بعد الستمائة رحمه الله تعالى انتهى وقال لما هجره أمير المؤمنين يعقوب المنصور ووافق ذلك أن وفد على حضرة الخلافة مراكش جمع من العرب والغز من بلاد المشرق ونزلوا بتمرتاسقت ظاهر مراكش واستأذنوا فى وقت الدخول فكتب الى المنصور

يا كعبة الجود التى حجت لها * عرب الشآم وغزها والديلم
طوبى لمن أمسى يطوف بها غدا * ويحل بالبيت الحرام ويحرم
ومن العجائب أن يفوز بنظرة * من بالشآم ومن بمكة يحرم

وقد قدمنا فى صدر هذا الكتاب ما فى الايام من بدء الخلق والاثنين وسمى لانه ثان والثلاثاء وسمى لانه ثالث والاربعاء لانه رابع والخميس لانه خامس والجمعة لان الخلق اجتمعوا فيه والسبت لان الخلق انقطع فيه ولم يخلق وهو مأخوذ من قولهم نعل سبتية اذا كانت مقطوعة الشعر ويقال سبت شعره اذا قطعه وكانت العرب تسميها فى الجاهلية الاحد أول والاثنين أهون والثلاثاء جبار والاربعاء دبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة والسبت شبار قال شاعرهم

أؤمل أن أعيش وأن يومى * بأول أو بأهون أو جبار
أو المردى دبار فان أفته * فمؤنس أو عروبة او شبار

وكانوا يسمون الشهور المحرم ناتق وصفر ثقيل ثم طليق ناجر سماح أمنح أحلك كسع زاهر برط حرف نعس وهو ذو الحجة (وقد اختلفت العرب) فى أسماء الازمنة فزعمت طائفة منها أن أولها الوسمى وهو الخريف ثم الشتاء ثم الصيف ثم القيظ ومنهم من يعد الاول من فصول السنة الربيع وهو الاشهر والاعم والعرب تقول خرفنا فى بلد كذا وشتونا فى بلد كذا وتربعنا فى بلد كذا وصيفنا فى بلد كذا

فعفا عنه وأحسن اليه وأمره بالدخول بهم والتقدم عليهم وقال فى المغرب فى حق السيد أبى الربيع المذكور ما لخصه لم يكن فى بنى عبد المؤمن مثله فى هذا الشان الذى نحن بصدده وكان تقدم على مملكتى سجلماسة وبجاية وكان كاتبا شاعرا أديبا ماهرا وشعره مدون وله ألغاز وهو القائل فى جارية اسمها الوف

خليلى قولا أين قلبى ومن به * وكيف بقاء المرء من بعد قلبه
ولو شئتما اسم الذى قد هويته * لصحفتما أمرى لكم بعد قلبه

وله الابيات المشهورة التى منها

أقول لركب أدلجوا بسحيرة * قفوا ساعة حتى أزور ركابها
وأملا عينى من محاسن وجهها * وأشكو اليها ان أطالت عتابها
فان هى جادت بالوصال وأنعمت * والا فحسبى أن رأيت قبابها

وقال يخاطب ابن عمه يعقوب المنصور

فلأملأن الخافقين بذكركم * مادمت حيا ناظما ومرسلا
ولأبذلن نصحى لكم جهدى وذا * جهد المقل وما عسى أن أفعلا
ولأخلصن لك الدعاء وما أنا * أهل له ولعله ان يقبلا

وله مختصر كتاب الاغانى انتهى *(رجع) وذكر السرخسى أيضا فى رحلته السيد أبا الحسن على بن عمر ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن وقال فى حقه انه كان من أهل الادب والطرب ولى بجاية مدة ثم عزل عنها لاهماله واغفاله وانهماكه فى ملاذه أنشدنى محمد بن سعيد المهدى كاتبه قال كتب الامير أبو الحسن الى أمير المؤمنين يعقوب يمدحه ويستزيده ويطلب منه ما يقضى به ديونه

وجوه الامانى بكم مسفره * وضاحكة لى مستبشره
ولى أمل فيكم صادق * قريب عسى الله أن يسره
على ديون وتصحيفها * وعندكم الجود والمغفره

يعنى ذنوب وحدثنى الشيخ أبو الحسن بن فشتال الكاتب وقد أنشدته

أوحشتنى ولو اطلعت على الذى * لك فى ضميرى لم تكن لى موحشا

فقال أنشدته هذا البيت فى مجلس السيد أبى الحسن فقال لى ولمن حضر هل تعرفون لهذا البيت ثانيا فما فينا من عرفه فانشدنا

أترى رشيت على اطراح مودتى * ولقد عهدتك ليس تقبلك الرشا

أوحشتنى البيت انتهى وقال فى المغرب فى حق السيد المذكور ما لخصه كان هذا السيد أبو الحسن قد ولى مملكة تلمسان وبجاية وله حكايات فى الجود برمكية ونفس عالية زكية كتب اليه السيد أبو الربيع يوم جمعة

اليوم يوم الجمعه * يوم سرور ودعه
وشملنا مفترق * فهل ترى ان نجمعه

فاجابه بقوله

وتارة فى غيره من فصول السنة (وشهور الروم) مرسومة على ما يوافق فصول السنة التى تقطع فيها الشمس بروج الفلك عن آخرها ومقادير أيام كل شهر منها ولياليه فى الطول والقصر وظهور ما يظهر فيه من النجوم الثابتة للابصار واستتار ما يستتر منها على ممر الدهور والسنين وهى اثنا عشر شهرا على حسب ما ذكرنا أن أولها تشرين الى ايلول فلكل فصل من السنة أربعة شهور معلومة من هذه الاثنى عشر شهرا غير حائلة ولا منتقلة انتقال الشهور العربية ولكل برج منها شهر فايلول وتشرين وتشرين لسلطان السوداء وكانون وكانون وشباط لسلطان البلغم واذار ونيسان وايار لسلطان الدم وحزيران وتموز وآب لسلطان الصفراء فايلول لبرج السنبلة وتشرين الاول لبرج الميزان وتشرين الآخر لبرج العقرب وكانون الاول برجه القوس وكانون الآخر برجه الجدى وشباط برجه الدلو واذار برجه الحوت ونيسان برجه الحمل وايار برجه الثور وحزيران برجه الجوزاء وتموز برجه السرطان وآب برجه الاسد (قال المسعودى) وسنذكر

اليوم يوم الجمعه * ورب ناقد رقعه
والشرب فيه بدعه * فهل ترى أن ندعه

قال ولفظة السيد فى المغرب بذلك العصر لا تطلق الا على بنى عبد المؤمن بن على انتهى *(رجع) قال السرخسى وقد ذكر فى الرحلة المذكورة السيد أبا محمد عبد الله صاحب فاس وله من أبيات فى الفخر وقد انتحلها غيره

ألست ابن من تخشى الليالى انتقامهم * وترجوند اهم غاديات السحائب
يخطون بالخطى فى حومة الوغى * سطور المنايا فى نحور المقانب
كتابا باطراف العوالى ونقسه * دم القلب مشكولا بنضح الترائب
وما كنت ادرى قبلهم أن معشرا * أقاموا كتابا من نفوس الكتائب

وأنشدنى المقدم الامير أبو زيد بن بكيت قال أنشدنى بعض السادة من بنى عبد المؤمن

فديت من أصبحت فى أسره * وليس لى من حكمه فادى
ان حل يوما واديا كان لى * جنة عدن ذلك الوادى

ثم ذكر رحمه الله تعالى جملة من علماء الاندلس والمغرب لقيهم فى هذه الرحلة ومن نظم السرخسى المذكور قوله رحمه الله تعالى

ياساهر المقلة لا عن كرى * غفلت عن هجعى وأوصابى
لولم يكن وجهك لى قبلة * ما أصبح الحاجب محرابى

وكان متفننا فى العلوم وهو عم الامراء الوزراء الرؤساء فخر الدين واخوته ومن مصنفاته المسالك والممالك وعطف الذيل فى التاريخ وله أمالى وتخاريج وقدمه المنصور صاحب المغرب على جماعة وتوفى رحمه الله تعالى بدمشق ودفن فى مقابر الصوفية عند المنيبع وكان عالى الهمة شريف النفس قليل الطمع لا يلتفت الى أحد رغبة فى دنياه لا من أهله ولا من غيرهم وذكره صاحب المرآة وغيره وترجمته واسعة رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس ظفر البغدادى) سكن قرطبة وكان من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط وحسن الخط كعباس بن عمر الصقلى ويوسف البلوطى وطبقتهما واستخدمه الحكم المستنصر بالله فى الوراقة لما علم من شدة اعتناء الحكم بجمع الكتب واقتنائها وقد أشار ابن حيان فى كتاب المقتبس الى ظفر هذا رحمه الله تعالى *(ومنهم الرازى وهو محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكنانى الرازى) والد أبى بكر محمد صاحب التاريخ غلب عليه اسم بلده وكان يفد من المشرق على ملوك بنى مروان تاجرا وكان مع ذلك متفننا فى العلوم وهلك منصرفه من الوفادة على الأمير المنذر بن محمد بالبيرة فى شهر ربيع الآخر سنة ٢٧٣ ذكره ابن حيان فى المقتبس *(ومنهم الوزير أبو الفضل محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحرث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الاسود بن سفيان التميمى الدارمى البغدادى) سمع من أبى طاهر محمد ابن عبد الرحمن المخلص وغيره وخرج من بغداد رسولا عن أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسى رضى الله تعالى عنه الى صاحب أفريقية المعز بن باديس واجتمع مع أبى العلاء المعرى بالمعرة وأنشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب فقبل عينيه وقال له لله أنت من ناظم

وغير ذلك مما لحق بهذا الباب ان شاء الله تعالى والله ولى التوفيق

(ذكر قول العرب فى ليالى الشهور القمرية وغيرها)

كانت العرب تخبر عن القمر فى كل ليلة على حسب ما هو به من الضياء وغيره على طريق المسئلة والجواب فتقول قيل للقمر ما أنت ابن ليلة قال رضاع سخيلة حل أهلها برميلة قيل فما أنت لليلتين قال حديث أمشيق ذو أفل ونيق قيل فما أنت لثلاث قال حديث فتيات يجتمعن من شتات وقيل قليل الثبات قيل فما أنت لاربع قال غنمة ربع غير جائع ولا مرضع قيل ما أنت لخمس قال حديث وانس قيل فما أنت لست قال سروبت قيل فما أنت لسبع قال نصف فى السبع وقيل حلية للضبع قيل فما أنت لثمان قال قمر اصحان وقيل رغيف اقتسمه اخوان قيل فما أنت لتسع قال يلتقط الجزع قيل فما أنت لعشر قال محب الفجر قيل فما أنت لاحدى عشرة قال

أرى مساء وأرى بكرة قيل فما أنت لاثنى عشرة قال موفق للسير فى البدو والحضر قيل فما أنت لثلاث عشرة قال قمر باهر يعشى

وخرج من أثر بقية من أجل فتنة العرب وخيم عند المامون بن ذى النون بطليطلة وله فيه أمداح كثيرة ومن فرائد شعره قوله

يا ليل ألا انجليت عن قلق * طلت ولا صبر لى على الارق
جفت لحاظى التغميض فيك فما * تطبق أجفانها على الحدق
كأننى صورة ممثلة * ناظرها الدهر غير منطبق

وقال

بزرع ورد ناضر ناظرى * فى وجنة كالقمر الطالع
أمنع أن اقطف ازهاره * فى سنة المتبوع والتابع
فلم منعتم شفتى قطفها * والشرع أن الزرع للزارع

هكذا نسبها له غير واحد كابن سعيد وابن كتيلة وبعضهم ينسبها للقاضى عبد الوهاب قلت وقد اجاب عنها بعض المغاربة بقوله

سلمت أن الحكم ما قلتم * وهو الذى نص عن الشارع
فكيف تبغى شفة قطفه * وغيرها المدعو بالزارع

ورده شيخ شيوخنا الامام الحافظ ابو عبد الله التنسى ثم التلمسانى بقوله

فى ذا الذى قد قلتم بحث * اذ فيه ايهام على السامع
سلمتم الحكم له مطلقا * وغير ذا نص عن الشارع

يعنى انه يلزم على قول المجيب ان يباح له النظر مطلقا والشرع خلافه واجاب بعض الحنفية بقوله

لأن أهل الحب فى حكمنا * عبيدنا فى شرعنا الواسع
والعبد لا ملك له عندنا * فحقه للسيد المانع

وهو جواب حسن لا باس به ورأيت جوابا لبعض المغاربة على غير رويه وهو

قل لابى الفضل الوزير الذى * باهى به مغربنا الشرق
غرست ظلما وأردت الجنى * وما لعرق ظالم حق

قلت وهذا مما يعين أن الابيات لابى الفضل الدارمى المذكور فى الذخيرة لا للقاضى عبد الوهاب والله تعالى أعلم ومن شعر الوزير المذكور قوله

بين كريمين منزل واسع * والود حال تقرب الشاسع
والبيت ان ضاق عن ثمانية * متسع بالوداد للتاسع

وولد رحمه الله تعالى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وهو من بيت علم وادب قال الحميدى أخبرنى بذلك أبو عمر رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحرث وتوفى بطليطلة سنة أربع وخمسين وأربعمائة وقال ابن حيان توفى ليلة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شوّال سنة خمس وخمسين وأربعمائة فى كنف المامون يحيى بن ذى النون وذكر انه كان يتهم بالكذب فالله تعالى أعلم بحقيقة الامر وقال ابن ظافر فى كتابه بدائع البدائه ما نصه حضر أبو الفضل الدارمى البغدادى مجلس المعز بن باديس وبالمجلس ساق وسيم قد مسك عذاره

تم التمام ونفدت الايام قيل فما أنت لست عشرة قال ناقص الخلق فى الغرب والشرق قيل فما أنت لسبع عشرة قال يمكّن الفقير للفقير قيل فما أنت لثمان عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء قيل فما أنت لتسع عشرة قال بطىء الطلوع من الخشوع قيل فما أنت لعشرين قال أطلع بسحرة وأرى ببكرة قيل فما أنت لاحدى وعشرين قال لا أطيل السرى الاريثما أرى قيل فما أنت لاثنتين وعشرين قال منع خطب وليث حرب قيل فما أنت لثلاث وعشرين قال كالقبس أطلع فى الغلس قيل فما أنت لاربع وعشرين قال أطلع فى قسمة ولا أجلى ظلمة قيل فما أنت لخمس وعشرين قال أنا فى تلك الليالى لا قرولا هلال قيل فما أنت لست وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل فما أنت لسبع وعشرين قال دنا مادنا فليس فى من سنا قيل فما أنت لثمان وعشرين قال أطلع بكرا ولا أرى ظهرا

قيل فما أنت لتسع وعشرين قال أسبق شعاع الشمس ولا أطيل الجلس قيل فما أنت لثلاثين ورد

ليالى الشهر فتقول ثلاث غرر والثلاث التى تليها ثلاث سمر والثلاث التى تليها ثلاث زهر والثلاث التى تليها ثلاث درر والثلاث التى تليها ثلاث بهر وثلاث بيض وتقول فى النصف الثانى من الشهر فى الثلاث الاول درع وفى الثلاث التى تليها ظلم وفى الثلاث التى تليها ثلاث حنادس وفى الثلاث التى تليها ثلاث دوارى وفى الثلاث التى تليها ثلاث محاق وقيل فى وجه آخر من الروايات انه يقال لليالى الشهر ثلاث هلل وثلاث قمر وست نقل وثلاث درع وثلاث بهم وست حنادس وليلتان داريتان وليلة محاق (قال المسعودى) فاما ماذهب اليه العرب فى تسمية القمر فانها تسميه فى ليلة طلوعه هلالا ومالم يستدر فهو هلال ثم تسميه قمرا اذا ما استدار واذا ما بهر وأضاء فهو قمير قال شاعرهم

وقمير بدا ابن خمس وعشريـ ـن له قالت الفتاتان قوما

ثم يستوى لثلاث عشرة منه وهى ليلة السواء ثم ليلة البدر لاربع عشرة ويقال غلام بدر اذا امتلأ

ورد خديه وعجزت الراح أن تفعل فى الندامى فعل عينيه فامره المعز بوصفه فقال بديها

ومعذر نقش الجمال بمسكه * خدا له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن أن سيف جفونه * من نرجس جعل العذار بنفسجا

وقوله فى جارية تبخرت بالند

ومخطوطة المتنين مهضومة الحشى * منعمة الارداف تدمى من اللمس
اذا ما دخان الند من جيبها علا * على وجهها أبصرت غيما على شمس

وقوله

ولا غرزن مهجتى فى حبه * غرزا يطيل مع الخطوب خطابى
ولئن تعززان عندى ذلة * تستعطف الاعداء للاحباب

وقوله

دعتنى عيناك نحو الصبا * دعاء يكرر فى كل ساعه
ولولا وحقك عذر المشيب * لقلت لعينيك سمعا وطاعه

وقد تمثل بهذين البيتين لسان الدين بن الخطيب فى خطبة تأليفه المسمى بروضة التعريف بالحب الشريف وقال أبو الفضل الدارمى المذكور أيضا

سطا الفراق عليهم غفلة فغدوا * من جوره فرقا من شدة الفرق
فسرت شرقا وأشواقى مغربة * يا بعد ما نزحت عن طرقهم طرقى
لولا تدارك دمعى يوم كاظمة * لأحرق الركب ما أبديت من حرق
يا سارق القلب جهرا غير مكترث * أمنت فى الحب أن تعدى على السرق
ارمق بعين الرضا تنعش بعاطفة * قبل المنية ما أبقيت من رمقى
لم يبق منى سوى لفظ يبوح بها * ألقى فيا عجبا للحظ كيف بقى
صلنى اذا شئت أوفاهجر علانية * فكل ذلك محمول على الحدق

وقال

تذكر نجدا والحمى فبكى وجدا * وقال سقى الله الحمى وسقى نجدا
وخفة انفاس الخزامى عشية * فهاجت الى الوجد القديم به وجدا
فأظهر سلوانا وأضمر لوعة * اذا طفئت نيرانها وقدت وقدا
ولو أنه أعطى الصبابة حكمها * لابدى الذى أخفى وأخفى الذى أبدى

وقال أيضا

قلت لما التقى على الخدين من ورد خمارا
أسبل الصدغ على خدك من مسك عذارا
أم أعان الليل حتى * قهر الليل النهارا
قال ميدان جرى الحسـ ـن عليه فاستدارا
ركضت فيه عيون * فاثارته غبارا

وقال

شبابا قبل أن يحتلم ويقال عين حذرة قرة اذا كانت حديدة كعين الفرس والليالى البيض ليلة ثلاث

طلعت عليه الشمس والسواد حين يستتر فيكون قد خاف الشمس ويقال قد بحر القمر اذا استدار بخط رقيق من غير أن يغلظ ويقال أفتق اذا أصابته فرجة من السحاب فخرج وأفتق علينا فابصرنا الطريق وكل سواد من الليل حندس والليالي الزهر الليالي البيض والله الموفق للصواب

(ذكر القول في تأثير النيرين في هذا العالم وجمل مما قيل في ذلك وغير ذلك مما لحق بهذا الباب)

ذهب الحكماء جميعا من اليونانيين وغيرهم الى أن أفعال القمر في الجواهر التي قلنا عظيمة الا أنها أقصر من أفعال الشمس وهي الثانية بعدها وذلك أن الشهور ما يكون على حسب حركته يجري أمرها وأفعالها ترى أعظم وأبين في حيوان البحر خاصة وهي تنمي النبات وغيره وتعظم البحار وتسمن الحيوان وتلزم النساء الطمث أزمانا محدودة (قال المسعودي) رحمه الله وقد تنازع الناس في كيفية تصوّر الجنين في الرحم فذهب قوم من أهل القدم الى أن في المني قوّة تصوّر الجنين اما منه واما من دم الطمث وذهب قوم الى أن في الرحم قالبا يتصوّر فيه

وكاتب أهديت نفسي له * فهي من السوء فدى نفسه
فلست أدري بعدما حل بي * بمسكه أتلف أم نقسه
سلط خديه على مهجتي * فاستأصلتها وهي من غرسه

وقال

وشادن أسرف في صده * وزاد في التيه على عبده
الحسن قد بث على خده * بنفسجا يزهو على ورده
رأيته يكتب في طرسه * خطا يباري الدر من عقده
فخلت ما قد خطه كفه * للحسن قد خط على خده

وقال

اني عشقت صغيرا * قد دب فيه الجمال
وكاد يغشي حديث الـ * فضول منه الدلال
لوم في طرق الهجـ * ـر لا اهتراه ضلال
يريك بدرا منيرا * في الحسن وهو هلال

وقال

ظبي اذا حرك أصداغه * لم يلتفت خلق الى العطر
غني بشعري منشد اليثني * اللفظ الذي أودعه شعري
فكلما كرر انشاده * قبلته فيه ولم يدر

وقال

أينفع قولي انني لا أحبه * ودمعي عما عليه وجدي يكتب
اذا قلت للواشين لست بعاشق * يقول لهم فيض المدامع يكذب

وقال

وهبني قد أنكرت حبك جملة * وآليت أني لا أروم محطها
فمن أين لي في الحب جرح شهادة * سقامي أملاها ودمعي خطها

وقال

انا أخشى ان دام ذا الهجر أن ينـ * ـشط من حبه عقال وثاق
فارج الفؤاد مما عراه * وارد الهوى على العشاق

وقال

كلانا لعمري ذائبان من الهوى * فنارك من جمر وناري من هجر
فانت على ما قد تقاسين من أذى * فصدري في ناري وناري في صدري

وقال

ومن عجب العشق أن القتيل * يحن ويصبو الى القاتل

وقال

ألم أجعل مثار النقع بحرا * على أن الجياد له سفين

وقال

وقال

أصبحت أحباب تيسا الامدرله * والتيس من ظن أن التيس محلوب

وأما الحكيم أبو محمد المصري وهو القائل

رعى الله دهرا قد نعمنا بطيبه * لياليه من شمس الكؤس أصائل
ونرجسنا دو على التبر جامد * وخمرتنا تبرعلى الدر سائل

فقد ترجمه في الذخيرة فليراجع فان الذخيرة غريبة في البلاد المشرقية وقد كان عندي بالمغرب من هذا النوع ما أستعين به لخلقته هنالك والله تعالى يلم الشمل وقد ذكر فيها انه مغربي سافر الى مصر فقيل له المصري لذلك فليعلم والله تعالى أعلم * (ومن الوافدين على الاندلس أشهب بن العضد الخراساني) قال ابن سعيد أنشدنا لما وفد على ابن هود في اشبيلية قصيدة ابن النبيه (طاب الصبوح لنا فهاكوهات) وادعاها وفيها

في روضة غنا تخال طيورها * وغصونها همزا على ألفات

ولم أجد هذا البيت في قصيدة ابن النبيه انتهى * (ومن الوافدين على الاندلس من المشرق أبو الحسن البغدادي الفكيك) وهو مذكور في الذخيرة وكان حلو الجواب مليح النندر يضحك من حضر ولا يضحك هو اذا ندر وكان قصيرا دميما قال ورأيته يوما وقد لبس ثوبا أحمر على بياض وفي رأسه طرطور أخضر عمم عليه عمة لازوردية وهو بين يدي المعتمد بن عباد ينشد شعرا قال فيه

وأنت سليمان في ملكه * وبين يديك أنا الهدهد

وانشد له في المعتمد

أبا القاسم الملك المعظم قدره * سواك من الاملاك ليس يعظم
لقد أصبحت حمص بعدلك جنة * وقد أبعدت عن ساكنيها جهنم
ولي في محياك الربيع وانني * أزخرف أعلام الثناء وأرقم
وأنفقت ما أعطيتني ثقة بما * أؤمل فالدينار عندي درهم
وقلبي الى بغداد يصبو وانني * لنشر صباها دائما أتنسم

وقال

ورو على ربع العقيق دموعه * عقيقا ففيها توأم وفريد
شهدت وما تغني شهادة عاشق * بان قتيل الغانيات شهيد

ومنها

اذا قابلوه قبلوا ترب أرضه * وهم لعلاه ركع وسجود
وقد هزمنه الله للملك صارما * تقام بحدي شفرتيه حدود

وقال

لائية حال حال عن سنة الكرى * ولم أصغ يوما في هواه الى العذل

ومنها

كأن بقاء الطل فوق جفونها * دموع التصابي حرن في الاعين النجل

الجنين وقد ذكر جالينوس في كتابه عن بقراط أن مقام المني مقام

الفاعل والمفعول في تصور الجنين

وقال صاحب المنطق أن ذلك بمنزلة الفاعل وان الجنين يتصور في دم الطمث من المني قال والمني يعطي الدم مثل الحركة ثم يستحيل ريحا فيخرج من الرحم وزعم جالينوس أن الجنين يكون في المني وقد يحدث اليه الدم الذي هو الروح من العروق والشريانات فيكون من المني ومن ذلك الدم الذي يجذبه ومن الريح الذي يصير اليه من الشريانات قال وكون الجنين بمنزلة كون النبات والطبيعة تصوره من المني والدم وتفعل الطبيعة في الجنين ما تفعله في النبات لان بزر النبات يحتاج الى أرض لينال منها ما يغتذي به فالجنين والرحم والنبات يرسل عروقه من الاصول ليجذب بها من الارض غذاءه وللجنين في المشيمة شريانات والعروق نظير لذلك وهي أصول الجنين وبزر النبات منه سوق ومن السوق أغصان كبار ثم من هذه الاغصان أغصان أخرى تتفرع أولا حتى تنتهي الى الاقاصي ونظير ذلك يوجد في الجنين فتجد العرق في بدئه ثلاثة من كل واحد من الاغصان الاصول وهي الشريان الاعظم والعرق الاجوف والنخاع ثم تجد كل واحد من هذه يتشعب منه شعب

ومنها

تملكت رقى بالعوارف منعما * وأغنيتنى بالجود عن كل ذى فضل
وأنسيتنى أرض العراق ودجلة * وربى حتى ما احن الى اهلى

وقال فى المقتدر بن هود

لعزك ذات ملوك البشر * وعفرت تيجانهم فى العفر
وأصبحت أخطرهم بالقنا * وأركبهم لجواد الخطر
سهرت وناموا على المأثرات * فمالهم فى المعالى أثر
وجليت فى حيث ضل الملوك * فكل بذيل العلا قد عثر

ومنها

وأنتم ملوك اذا شاجروا * اظلتهم من قفاهم شجر

وقال فيه من قصيدة

غنى حسامك فى ارجاء قرطبة * صوتا أباد العدا والليل معتكر
حيث الدماء مدام والقنا زهر * والقوم صرعى بكاس الحتف قد سكروا

وكان مشهورا بالهجاء وله فى نقيب بغداد وكانت فى عنقه غدة

بلع الامانة فهى فى حلقومه * لاترتقى صعدا ولا تتنزل

وقال فى ناصر الدولة بن حمدان

ولئن غلطت بأن مدحتك طالبا * جدواك مع علمى بانك باخل
فالدولة الغراء قد غلطت بان * سمتك ناصرها وأنت الخاذل
ان تم أمرك مع يدلك أصبحت * شلاء فالامثال شئ باطل

ومما ينسب اليه وقيل لغيره

ووعدتنى وعدا حسبتك صادقا * فظلت من طمعى أجئ وأذهب
فاذا جعلت أنا وأنت بمجلس * قالوا مسيلمة وهذا أشعب

*(ومنهم ابراهيم بن سليمان الشامى) دخل الاندلس من المشرق فى أخريات أيام الحكم شاديا بالشعر وهو من موالى بنى أمية ولم ينفق على الحكم وتحرك فى أيام ولده الامير عبد الرحمن فنفق عليه ووصله ثم فى أيام الامير محمد بن عبد الرحمن وكان أدرك بالمشرق كبار المحدثين كابى نواس وأبى العتاهية ومن شعره ما كتب به الى الامير عبد الرحمن

يامن تعالى عن أمية فى الذرا * قدما فاصبح عالى الاركان
ان الغمام غياثه فى وقته * والغيث من كفيك كل أوان
فالغيث قد عم البلاد وأهلها * وظمئت بينهم فبل لسانى

وله فى الامير عبد الرحمن بن الحكم

ومن عبد شمس بالمغارب عصبة * فاسعدها الرحمن حيث أحلها
دحا تحتها مهدا من العز آمنا * ومد جناحا فوقها فاظلها

*(ومنهم ابو بكر بن الازرق وهو محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن حامد بن موسى بن

الجنين يكون من الرجل والمرأة ودم الطمث (وحكى جالينوس) عن أبيه بليس أن أجزاء الولد منقسمة فى منى الذكر والانثى وان شهوة الجماع تسبق هذه الاجزاء الى أن لاينام وهذا موجود فى كتبهم فيما ذكروه من مذاهبهم فى كيفية تركيب العالم واتصال النفس بعالمها وغير ذلك (وقد ذهب قوم) من أهل القدم الى أن ذلك هو أجزاء تخرج من أعضاء الانسان اللطيفة من جنس سائر أعضاء الانسان فتنصب فى الرحم فيتغذى منه وينمو فيكون من ذلك الجنين (ومنهم) من رأى أن هذه الاجزاء الواردة من سائر أعضاء الذكر تقاربها موادمن الرحم ومن ماء المرأة عند اجتماعها فيكون الجنين من ذلك فن ذلك صار الولد يشبه أباه فى الاغلب من سائر الاعضاء وتشكيله واهل بيت ابيه ولهذا وقع الشبه بين البنين والآباء فى الاغلب من تشابه الاعضاء ومن ههنا أدركت القافة الحاق النسب عند الشبه والشك فى النسب وذلك على قول من راى الحاق النسب بالقيافة من القافة وقد تقدم الكلام فى هذا المعنى فيما سلف من هذا الكتاب فى باب القيافة (وللناس)

العباس بن محمد بن يزيد وهو الحصى ابن محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان) من اهل مصر خرج من مصر سنة ثلاث وار بعين وثلثمائة وصار الى القيروان وامتحن بهامع الشيعة وأقام محبوسا بالمهدية ثم اطلق ووصل الاندلس سنة تسع وار بعين فاحسن اليه المستنصر بالله الحكم وكان أديبا حكيما اسمع من خاله أبي بكر أحمد بن مسعود الزهري وولد سنة تسع عشرة وثلثمائة بمصر وتوفي بقرطبة في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى

*(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق رئيس المغنين أبو الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب مولى أمير المؤمنين المهدي العباسي) قال في المقتبس زرياب لقب غلب عليه ببلاده من أجل سواد لونه مع فصاحة لسانه وحلاوة شمائله شبه بطائر أسود غرد عندهم وكان شاعرا مطبوعا وكان ابنه أحمد قد غلب عليه الشعر أيضا وكان من خبره في الوصول الى الاندلس انه كان تلميذ الاسحق الموصلي ببغداد فتلقف من أغانيه استراقا وهدي من فهم الصناعة وصدق العقل مع طيب الصوت وصورة الطبع الى مافاق به اسحق واسحق لايشعر بمافتح عليه الى أن جرى للرشيد مع اسحق خبره المشهور في الاقتراح عليه بمغن غريب مجيد للصنعة لم يشتهر مكانه اليه فذكر له تلميذه هذا وقال انه مولى لكم وسمعت له نزعات حسنة ونغمات رائقة ملتاطة بالنفس اذا أنا وقفته على ما استغرب منها وهو من اختراعي واستنباط فكري وأحدس أن يكون له شان فقال الرشيد هذا طلبتي فأحضرنيه لعل حاجتي عنده فاحضره فلما كلمه الرشيد أعرب عن نفسه باحسن منطق وأوجز خطاب وسأله عن معرفته بالغناء فقال نعم أحسن منه مايحسنه الناس وأكثر ما أحسنه لايحسنونه ممالايحسن الاعندك ولايدخر الالك فان أذنت غنيتك مالم تسمعه أذن قبلك فامر باحضار عود استاذه اسحق فلما أدني اليه وقف عن تناوله وقال لي عود نحته بيدي وأرهفته باحكامي لاأرتضي غيره وهو بالباب فليأذن لي أمير المؤمنين في استدعائه فامر بادخاله اليه فلما تامله الرشيد وكان شبيها بالعود الذي دفعه قال له مامنعك أن تستعمل عود أستاذك فقال ان كان مولاي يرغب في غناء أستاذي غنيته بعوده وان كان يرغب في غنائي فلابدلي من عودي فقال له ما أراهما الاواحدا فقال صدقت يامولاي ولايؤدي النظر غير ذلك ولكن عودي وان كان في قدر جسم عوده ومن جنس خشبه فهو يقع من وزنه في الثلث أو نحوه وأوتاري من حرير يغزل بماء سخن يكسبها اناثة ورخاوة وبمها ومثلثها اتخذتهما من مصران شبل أسد فلها في الترنم والصفاء والجهارة والحدة أضعاف مالغيرها من مصران سائر الحيوان ولهما من قوة الصبر على تاثير وقع المضارب المتعاورة بها ماليس لغيرها فاستبرع الرشيد وصفه وأمره بالغناء فجس ثم اندفع فغناه

يا أيها الملك الميمون طائره * هرون راح اليك الناس وابتكروا

فاتم النوبة وطار الرشيد طربا وقال لاسحق والله لولا أني أعلم من صدقك لي على كتمانه اياك لماعنده وتصديقه لك من أنك لم تسمعه قبل لانزلت بك العقوبة لتركك اعلامي بشانه فخذه اليك واعتن بشانه حتى أفرغ له فان لي فيه نظرا فسقط في يد اسحق وهاج به من داء الحسد ماغلب على صبره فخلا بزرياب وقال ياعلي ان الحسد أقدم الادواء وادوؤها والدنيا

الى المضغة الى استكمال شكله كلام كثير منهم من أصحاب الانبيق وغيرهم ممن تقدم وتأخر أعرضنا عن ذكر ذلك اذ كان فيه خروج عما اليه قصدنا في هذا الباب (قال المسعودي) رحمه الله والذي يقضي على سائر ماتقدم وصفه وينقطع علم العقول عنده هو ما أخبر به البارئ عز وجل في كتابه بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لااله الاهو العزيز الحكيم ولم يخبر عن كيفية ذلك وما سبب مواده بل استاثر بتلك الدلالة وظهور حكمته ثم أخبر عن المبدا الذي خلقهم منه فقال ياأيها الناس اناخلقناكم من ذكر وأنثى وقال عز وجل ياأيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فاناخلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام مانشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر الآية (قال المسعودي) وللناس فيما سلف من الاوائل وخلف من الشرعيين كلام كثير في كيفية أفعال النيرين وتاثيرهما في هذا العالم وما قالوه في ذلك وماخصوا به كل

فتانة والشركة في الصناعة عداوة ولا حيلة في حسمها وقد مكرت بي فيما انطويت عليه من اجادتك وعلو طبقتك وقصدت منفعتك فاذا أنا قد أتيت نفسي من مأمنها باد نائك وعن قليل تسقط منزلتي وترتقي أنت فوقي وهذا ما لا أصاحبك عليه ولو أنك ولدي ولولا رعي لذمة تربيتك لما قدمت شيأ على ان أذهب نفسك يكون في ذلك ما كان فتخير في ثنتين لا بد لك منهما اما أن تذهب عني في الارض العريضة لا أسمع لك خبرا بعد أن تعطيني على ذلك الأيمان الموثقة وأنهضك لذلك بما أردت من مال وغيره واما أن تقيم على كرهي ورغمي مستهدفا الي فخذ الآن حذرك مني فلست والله أبقي عليك ولا أدع اغتيالك باذلا في ذلك بدني ومالي فاقض قضاءك فخرج زرياب لوقته وعلم قدرته على ما قال واختار الفرار قدامه فاعانه اسحق على ذلك سريعا وراش جناحه فرحل عنه ومضى يبغي مغرب الشمس واستراح قلب اسحق منه وتذكره الرشيد بعد فراغه من شغل كان منغمسا فيه فامر اسحق بحضوره فقال ومن لي به يا أمير المؤمنين ذاك غلام مجنون يزعم ان الجنّ تكلمه وتطارحه ما يزهى به من غنائه فما يرى في الدنيا من يعدله وما هو الا أن ابطأت عليه جائزة أمير المؤمنين وترك استعادته فقدّر التقصير به والتهوين بصناعته فرحل مغاضبا ذاهبا على وجهه مستخفيا عني وقد صنع الله تعالى في ذلك لامير المؤمنين فانه كان به لمم يغشاه ويفرط خبطه فيفزع من رآه فسكن الرشيد الى قول اسحق وقال على ما كان به فقد فاتنا منه سرور كثير ومضى زرياب الى المغرب فنسي بالمشرق خبره اذ لم يكن اسمه شهر هنالك شهرته بالصقع الذي قطنه ونزعت اليه نفسه وسمت به همته فام أمير الاندلس الحكم المباين لمواليه وخاطبه وذكر له نزاعه اليه واختياره اياه ويعلمه بمكانه من الصناعة التي ينتحلها ويساله الاذن في الوصول اليه فسر الحكم بكتابه وأظهر له من الرغبة فيه والتطلع اليه واجمال الموعد ما عناه فسار زرياب نحوه بعياله وولده وركب بحر الزقاق الى الجزيرة الخضراء فلم يزل بها حتى توالت عليه الاخبار بوفاة الحكم فهم بالرجوع الى العدوة فكان معه منصور اليهودي المغني رسول الحكم اليه فثناه عن ذلك ورغبه في قصد القائم مقام الحكم وهو عبد الرحمن ولده وكتب اليه بخبر زرياب فجاءه كتاب عبد الرحمن يذكر تطلعه اليه والسرور بقدومه عليه وكتب الى عماله على البلاد أن يحسنوا اليه ويوصلوه الى قرطبة وأمر خصيا من أكابر خصيانه أن يتلقاه ببغال ذكور واناث وآلات حسنة فدخل هو وأهله البلد ليلا صيانة للحرم وأنزله في دار من أحسن الدور وحمل اليها جميع ما تحتاج اليه وخلع عليه وبعد ثلاثة أيام استدعاه وكتب له في كل شهر بمائتي دينار راتبا وأن يجري على بنيه الذين قدموا معه وكانوا اربعة عبد الرحمن وجعفر وعبيد الله ويحيى عشرون دينارا لكل واحد منهم كل شهر وأن يجري على زرياب من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار منها لكل عيد ألف دينار ولكل مهرجان ونوروز خمسمائة دينار وأن يقطع له من الطعام العام ثلثمائة مدى ثلثاها شعير وثلثها قمح وأقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ومن الضياع ما يقوم بأربعين ألف دينار فلما قضى له سؤله وانجزه موعوده وعلم أن قد أرضاه وملك نفسه استدعاه فبدأ بمجالسته على النبيذ وسماع غنائه فما هو الا أن سمعه فاستهوله واطرح كل غناء سواه وأحبه حبا شديدا وقدمه

واحد منهما وأفردوه وما ذهبوا اليه من فعل الثاني منهما وهو القمر وما يظهر من تأثيره في الجزر والمد في بحر الصين والحبش واليمن على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب وكذلك فعله في المعادن وأدمغة الحيوان والبيض وسائر الحيوان والنبات وما يظهر من الزيادات فيه عند امتلائه والنقص عند نقصانه وما يكون من بحرانات المرضى في اليوم السابع من العلة والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين لان للقمر أربعة أشكال هي أثبت صورة فيه شكل التقصيف وشكل التمام وشكل التنصيف عند التمام وشكل المحاق ولكل شكل من هذه سبعة أيام لانه في سبع ليال ينتصف وفي الرابعة عشرة يتم وفي الحادية والعشرين ينتصف وفي الثامنة والعشرين يمحق فكذلك البحرانات وعند هذه الطائفة يصح في السابع والرابع عشر والحادي والعشرين ويصح أيضا في تنصيفات هذه اذ كانت هذه الاشكال أثبت أشكال الشئ المنقسم وقد خالف هؤلاء خلق ممن ذهب الى غير هذا القول وأن ذلك من قبل الاخلاط وغير ذلك والطبائع الاربعة وغيرها مما قد أتينا على

على جميع المغنين وكان لما خلا به أكرمه غاية الاكرام وأدنى منزلته وبسط أمله وذاكره فى أحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء فحرك منه بحرا زخر عليه مده فأعجب الامير به وراقه ما أورده وحضر وقت الطعام فشرفه بالاكل معه هو وأكابر ولده ثم أمر كاتبه بان يعقد له صكا بما ذكرناه آنفا ولما ملك قلبه واستولى عليه حبه فتح له بابا خاصا يستدعيه منه متى أراده وذكر أن زريابا ادعى أن الجن كانت تعلمه كل ليلة ما بين نوبة الى صوت واحد فكان يهب من نومه سريعا فيدعو بجاريتيه غزلان وهنيدة فيأخذان عودهما ويأخذ هو عوده فيطارحهما ليلته ثم يكتب الشعر ثم يعود جذلا الى مضجعه وكذلك يحكى عن ابراهيم الموصلى فى لحنه البديع المعروف بالماخورى ان الجن طارحته اياه والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك وزاد زرياب بالاندلس فى أوتار عوده وترا خامسا اختراعا منه اذ لم يزل العود ذا أربعة أوتار على الصنعة القديمة التى قوبلت بها الطبائع الاربع فزاد عليها وترا خامسا أحمر متوسطا فاكتسب به عوده ألطف معنى وأكمل فائدة وذلك أن الزير صبغ أصفر اللون وجعل فى العود بمنزلة الصفراء من الجسد وصبغ الوتر الثانى بعده أحمر وهو من العود مكان الدم من الجسد وهو فى الغلظ ضعف الزير ولذلك سمى مثنى وصبغ الوتر الرابع أسود وجعل من العود مكان السوداء من الجسد وسمى البم وهو أعلى أوتار العود وهو ضعف المثلث الذى عطل من الصبغ وترك أبيض اللون وهو من العود بمنزلة البلغم من الجسد وجعل ضعف المثنى فى الغلظ فلذلك سمى المثلث فهذه الاربعة من الاوتار مقابلة للطبائع الاربع تقضى طبائعها بالاعتدال فالبم حار يابس يقابل المثنى وهو حار رطب وعليه تسويته والزير حار يابس يقابل المثلث وهو حار رطب قوبل كل طبع بضده حتى اعتدل واستوى كاستواء الجسم باخلاطه الا انه عدل من النفس والنفس مقرونة بالدم فاضاف زرياب من أجل ذلك الى الوتر الاوسط الدموى هذا الوتر الخامس الاحمر الذى اخترعه بالاندلس ووضعه تحت المثلث وفوق المثنى فكمل فى عوده قوى الطبائع الاربع وقام الخامس المزيد مقام النفس فى الجسد وهو الذى اخترع بالاندلس مضراب العود من قوادم النسر معتاضا به من مرهف الخشب فابرع فى ذلك للطف قشر الريشة ونقائه وخفته على الاصابع وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته اياه وكان زرياب عالما بالنجوم وقسمة الاقاليم السبعة واختلاف طبائعها وأهويتها وتشعب بحارها وتصنيف بلادها وسكانها مع ما سنح له من فك كتاب الموسيقى مع حفظه لعشرة آلاف مقطوعة من الاغانى بالحانها وهذا العدد من الالحان غاية ما ذكره بطليموس واضع هذه العلوم ومؤلفها وكان زرياب قد جمع الى خصاله هذه الاشتراك فى كثير من ضروب الظروف وفنون الادب ولطف المعاشرة وحوى من آداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية ما لم يجده أحد من أهل صناعته حتى اتخذه ملوك أهل الاندلس وخواصهم قدوة فيما سنه لهم من آدابه واستحسنه من أطعمته فصار الى آخر أيام أهل الاندلس منسوبا اليه معلوما به فمن ذلك انه دخل الى الاندلس وجميع من فيها من رجل او امرأة يرسل جمته مفروقا وسط الجبين عاما للصدغين والحاجبين فلما عاين ذوو التحصيل تحذيفه هو وولده ونساؤه لشعورهم وتقصيرها دون جباههم وتسويتها

ذلك فى كيفية تأثير الشمس والقمر (وأما الدلائل) وأن السماء تدل على مثال الكرة وتدويرها بجميع ما فيهما من الكواكب كدوورة الكرة وأن الارض بجميع أجزائها من البر والبحر على مثال الكرة وأن كرة الارض مثبتة فى وسط السماء كالكرة وقدرها عند قدر السماء قدر النقطة فى الدائرة صغرا ووصف الربع المسكون من الارض وما يعرض فيها من دور الفلك واختلاف الليل والنهار ووصف المواضع التى تطلع الشمس فيها شهورا لا تغرب وتغرب شهورا لا تطلع فقد أتينا على وصف جميع ذلك وما اتضح عليه وما انتصب من البراهين وما قاله الناس فى ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب أخبار الزمان وما أوضحنا فيه من هيئة الافلاك والكواكب وأن الارض مع ما وصفنا فى تدويرها موضوعة فى جوف الفلك كالمحة فى البيضة والنسيم جاذب أيضا لما فى أبدان الخلق من الخفة والارض جاذبة لما فى أبدانهم من الثقل اذ كانت الارض بمنزلة حجر المغناطيس الذى يجذب بطبعه الحديد وأن الارض مقسومة نصفين وبينهما خط الاستواء وهو من المشرق

مع حوائجهم وتدويرها الى آذانهم واسدالها الى أصداغهم حسبما عليه اليوم الخدم الخصية والجواري هوت اليه أفئدتهم واستحسنوه ومما سنه لهم استعمال المرتك المتخذ من المرداسنج لطرد ريح الصنان من مغابنهم ولا شئ يقوم مقامه وكانت ملوك الاندلس تستعمل قبله ذرور الورد وزهر الريحان وما شاكل ذلك من ذوات القبض والبرد فكانوا لا تسلم ثيابهم من وضر فدلهم على تصعيدها بالملح وتبييض لونها فلما جربوه أحمدوه جدا وهو أول من اجتنى بقلة الهليون المسماة بلسانهم الاسفراج ولم يكن أهل الاندلس يعرفونها قبله ومما اخترعه من الطبيخ اللون المسمى عندهم بالنقايا وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلى بالسنبوسق والكباب ويليه عندهم لون التقلية المنسوبة الى زرياب ومما أخذه عنه الناس بالاندلس تفضيله آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضة وايثاره فرش انطاع الاديم اللينة الناعمة على ملاحف الكتان واختياره سفر الاديم لتقديم الطعام فيها على الموائد الخشبية اذ الوضر يزول عن الاديم بأقل مسحة ولبسه كل صنف من الثياب في زمانه الذي يليق به فانه رأى ان يكون ابتداء الناس للباس البياض وخلعهم للملون من يوم مهرجان اهل البلد المسمى عندهم بالعنصرة الكائن في ست بقين من شهر يونيه الشمسي من شهورهم الرومية فيلبسونه الى اول شهر اكتوبر الشمسي منها ثلاثة اشهر متوالية ويلبسون بقية السنة الثياب الملونة ورأى ان يلبسوا في الفصل الذي بين الحر والبرد المسمى عندهم الربيع من صبغهم جباب الخز والملحم والمحرر والدراريع التي لا بطائن لها لقربها من لطف ثياب البياض الظهائر التي ينتقلون اليها لخفتها وشبهها بالمحاشي ثياب العامة وكذا رأى ان يلبسوا في آخر الصيف وعند اول الخريف المحاشي المروية والثياب الصمتة وما شاكلها من خفائف الثياب الملونة ذوات الحشو والبطائن الكثيفة وذلك عند قرص البرد في الغدوات الى أن يقوى البرد فيتنقلوا الى أثخن منها من الملونات ويستظهرون من تحتها اذا احتاجوا الى صنوف الفراء واستمر بالاندلس ان كل من افتتح الغناء فيبدأ بالنشيد اول شدوه بأي نقر كان ويأتي اثره بالبسيط ويختم بالمحركات والاهزاج تبعا لمراسم زرياب وكان اذا تناول الالقاء على تلميذ يعلمه امره بالقعود على الوساد المدور المعروف بالمسورة وان يشد صوته جدا اذا كان قوي الصوت فان كان لينه امره ان يشد على بطنه عمامة فان ذلك مما يقوي الصوت ولا يجد متسعا في الجوف عند الخروج على الفم فان كان الص الاضراس لا يقدر على ان يفتح فاه او كانت عادته زم اسنانه عند النطق راضه بان يدخل في فيه قطعة خشب عرضها ثلاث اصابع يبيتها في فمه ليالي حتى ينفرج فكاه وكان اذا اراد ان يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع امره ان يصيح باقوى صوته ياحجام او يصيح آه و يمد بها صوته فان سمع صوته بهما صافيا نديا قويا مؤديا لا يعتريه غنة ولا حبسة ولا ضيق نفس عرف أن سوف ينجب واشار بتعليمه وان وجده خلاف ذلك ابعده وكان له من ذكور الولد ثمانية عبد الرحمن وعبيد الله ويحيى وجعفر ومحمد وقاسم واحمد وحسن ومن الاناث ثنتان علية وحمدونة وكلهم غني ومارس الصناعة واختلفت بهم الصبقة فكان اعلاهم عبيد الله ويتلوه عبد الرحمن لكنه ابتلي من فرط

الارض أكبر من الفلك وعرض الارض من القطب الجنوبي الذي

الى المغرب كما أن منطقة تدور حوله بنات نعش وأن استدارة الارض من خط الاستواء ست وثلاثون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع اثنان وأربعون أصبعا والاصبع ست حبات وتسعان مصفوفة بعضها الى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ (وقد قدمنا) فيما سلف من هذا الكتاب في باب ذكر الارض والبحار ومبادي الانهار مقدار الميل والذراع الأسود وانا نذكر في كل موضع من هذا الكتاب ماسنح لنا ونجده في كتب الناس فننقل ذلك عنهم على ما وجدناه في كتبهم الا أنا لا نقطع على صحته اذ كان ما يذهب اليه في مقدار الميل من الاذرع والذراع من الاصابع هو ما بيناه آنفا في باب ذكر الارض والبحار وبين الاستواء وكل واحد من القطبين تسعون درجة واستدارتها عرضا مثل ذلك وزعم هؤلاء أن العمارة في الارض بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة وان الباقي قد غمره البحر الكبير وان الخالق على الشمال من الارض والربع الجنوبي خراب لشدة الحر فيه والنصف الباقي من الارض

التيه

التيه وشدة الزهو وكثرة العجب بغنائه والذهاب بنفسه بما لم يكن له شبه فيه وقلما يسلم مجلس حضوره من كدر يحدثه ولا يزال يجترئ على الملوك ويستخف بالعظماء ولقد حمله سخفه على ان حضر يوما مجلس بعض الاكابر الاعاظم في انس قد طاب به سروره وكان صاحب قنص تغلب عليه لذته فاستدعى بازيا كان كلفا به كثير التذكر له فجعل يمسح اعطافه ويعدل قوادمه ويرتاح لنشاطه فسأله عبد الرحمن أن يهبه له فاستحيا من رده واعطاه اياه مع ضنه به فدفعه عبد الرحمن الى غلامه ليعجل به الى منزله وأسر اليه فيه بسر لم يطلع عليه ففضى لشأنه ولم يلبث ان جاءه بطيفورية مغطاة مكرمة بطابع مختوم عليها من فضة فاذا به لون مصوص قد اتخذ من البازي بعد ذبحه على ما حده لاهله وذهب الى الانتقال النيه في شرابه وقال لصاحب المجلس شاركني في نقلي هذا فانه شريف بديع الصنعة فلما رآه الرجل أنكر صفته وعاب لحمه وسأله عنه فقال هو البازي الذي كنت تعظم قدره ولا تصبر عنه قد صيرته الى ما ترى فغضب صاحب المنزل حتى ربا في أثوابه وفارقه حلمه وقال له قد كان والله أيها الكلب السفيه على ما قدرته وما اقتديت فيه الا بكبار الناس المؤثرين لمثله وما اسعفتك به الا معظما من قدرك ما صغرت من قدري وأظهرت من هوان السفه عليك باستحلالك لسباع الطير المنهي عنها ولا أدع والله الآن تاديبك اذ أهملك أبوك معلم الناس المروءة ودعا له بالسوط وأمر بنزع قلنسوته وساط هامته مائة سوط فاستحسن جميع الناس فعله به وابدوا الشماتة به وكان محمد منهم مؤنثا وكان قاسمهم أحذقهم غناء مع تجويده وتزوج الوزير هشام بن عبد العزيز بحمدونة وذكر عبادة الشاعر أن أول من دخل الاندلس من المغنين علون وزرقون دخلا في أيام الحكم بن هشام فنفقا عليه وكانا محسنين لكن غناؤهما ذهب لغلبة غناء زرياب عليه وقال عبد الرحمن بن الشمر منجم الامير عبد الرحمن ونديمه في زرياب

يا علي بن نافع يا علي * أنت أنت المهذب اللوذعي
أنت في الاصل حين يسئل عنه * هاشمي وفي الهوى عبشمي

قال ابن سعيد وأنشد لزرياب والدي في مجمعه

علقتها ريحانة * هيفاء عاطرة نضيره
بين السمينة والهزيلة والطويلة والقصيره
لله أيام لنا * سلفت على دير المطيره
لاعيب فيها للتيمم غير أن كانت يسيره
انتهى

وكان لزرياب جارية اسمها منفعة أدبها وعلمها أحسن أغانيه حتى شبت وكانت رائعة الجمال وتصرفت بين يدي الامير عبد الرحمن بن الحكم تغنيه مرة وتسقيه أخرى فلما فطنت لاعجابه بها أبدت له دلائل الرغبة فابى الا التستر فغنته بهذه الابيات وهي لها في ظن بعض الحفاظ

يا من يغطي هواه * من ذا يغطي النهارا
قد كنت أملك قلبي * حتى علقت فطارا

لاساكن فيه وكل ربع من الشمال والجنوب سبعة أقاليم قد ذكرناها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الارض والاقاليم السبعة وأن عدد المدن عند صاحب كتاب الجغرافيا أربعة آلاف مدينة ومائتا مدينة فاما قبلة المشرق والمغرب والتيمن والجنوبي فقد ذكرنا جملا من ذلك في كتابنا أخبار الزمان (وقد حرر ذلك) في كتابه أبو حنيفة الدينوري وقد سلب ذلك ابن قتيبة ونقله الى كتبه نقلا وجعله عن نفسه وقد فعل ذلك في كثير من كتب أبي حنيفة الدينوري هذا وكان أبو حنيفة هذا ذا محل من العلم كبير وبطليموس في كتاب المجسطي وغيره ممن تقدم ثم لمن طرأ بعد ظهور الاسلام مثل الكندي وابن المنجم وأحمد ابن الطيب وماشاء الله وأبي معشر والخوارزمي ومحمد بن كثير الفرغاني فيما ذكره في كتابه في الاصول الثلاثين وثابت ابن قرة والسديدي ومحمد ابن جابر البتاني وغير هؤلاء ممن قد عني بعلوم الهيئة علوم كثيرة في هذا المعنى وانما ننقل من ذلك الى هذا الكتاب لمعاطاتنا للاختصار والايجاز

(ذكر أرباع العالم والطبائع وما خص به كل جزء منه من الشرق والغرب والتيمن والجنوبي والاهوية

يا ويلتا أتراه * لي كان أو مستعارا
يا بأبي قرشي * خلعت فيه العذارا

فلما انكشف لزرياب أمرها أهداها اليه فحظيت عنده وكانت حمدونة بنت زرياب متقدمة في أهل بيتها محسنة لصناعتها متقدمة على اختها علية وهي زوجة الوزير هشام بن عبد العزيز كانم وطال عمر علية بعد أختها حمدونة ولم يبق من أهل بيتها غيرها فافتقر الناس اليها وحملوا عنها وكانت مصابيح جارية الكاتب أبي حفص عمر بن قلهيل أخذت عن زرياب الغناء وكانت غاية في الاحسان والنبل وطيب الصوت وفيها يقول ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد وكتب به الى مولاها

يا من يضن بصوت الطائر الغرد * ما كنت أحسب هذا الضن من أحد
لو ان أسماع أهل الارض قاطبة * أصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد

من أبيات فخرج حافيا لما وقف على ذلك وأدخله الى مجلسه وتمتع من سماعها رحم الله تعالى الجميع وقال علوية كنت مع المأمون لما قدم الشام فدخلنا دمشق وجعلنا نطوف فيها على أماكن بني أمية فدخلنا قصرا مفروشا بالرخام الاخضر وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج منها فيسقي بستانا وفي القصر من الاطيار ما يغني صوته عن العود والمزمار فاستحسن المأمون ما رأى وعزم على الصبوح فدعا بالطعام فأكلنا وشربنا ثم قال لي غنّ بأطيب صوت وأطربه فلم يمر على خاطري غير هذا الصوت

لو كان حولي بنو أمية لم * ينطق رجال أراهم نطقوا

فنظر الي مغضبا وقال عليك لعنة الله وعلى بني أمية فعلمت أني قد أخطأت فجعلت أعتذر من هفوتي وقلت يا أمير المؤمنين اتلومني أن أذكر موالي بني أمية وهذا زرياب مولاك عندهم بالاندلس يركب في أكثر من مائة مملوك وفي ملكه ثلثمائة ألف دينار دون الضياع واني عندكم أموت جوعا وفي الحكاية طول واختلاف ومحل الحاجة منها ما يتعلق بزرياب رحم الله تعالى الجميع وذكرها الرقيق في كتاب معاقرة الشراب على غير هذا الوجه ونصه وركب المأمون يوما من دمشق يريد جبل الثلج فمر ببركة عظيمة من برك بني أمية وعلى جانبها أربع سروات وكان الماء يدخل سيحا فاستحسن المأمون الموضع ودعا بالطعام والشراب وذكر بني أمية فوضع منهم وتنقصهم فأخذ علوية العود واندفع يغني

أرى اسرتي في كل يوم وليلة * يروح بهم داعي المنون ويغتدي
أولئك قوم بعد عز وثروة * تفانوا فالا أذرف العين أكمد

فضرب المأمون بكأسه الارض وقال لعلوية يا ابن الفاعلة لم يكن لك وقت تذكر مواليك فيه الا هذا الوقت فقال مولاكم زرياب عند موالي بالاندلس يركب في مائة غلام وانا عندكم بهذه الحالة فغضب عليه نحو شهر ثم رضي عنه انتهى ونحوه لابن الرقيق في كتابه قطب السرور وقال في آخر الحكاية وانا عندكم أموت من الجوع ثم قال وزرياب ولي المهدي ووصل الى بني أمية بالاندلس فعلت حاله حتى كان كما قال علوية انتهى ولما غنى زرياب بقوله

وغير ذلك من سلطان الكواكب وما لحق بهذا الباب) * فاما الطبائع الاربعة فالنار حارة يابسة والطبيعة الثانية باردة رطبة وهي الماء والطبيعة الثالثة الهواء وهو حار رطب والطبيعة الرابعة الارض وهي باردة يابسة فاثنتان تذهبان الصعداء وهما النار والهواء واثنتان ترسخان سفلا وهما الارض والماء والعالم أربعة أجزاء فالمشرق الربع الاول وجميع ما فيه حار رطب الهواء والدم وهذا الربع ريحه الجنوب وله من الساعات الاولى والثانية والثالثة وله من قوى البدن قوة الطبيعة الهاضمة ومن المذاقات حظه الحلاوة وله من الكواكب القمر والزهرة وله من البروج الحمل والثور والجوزاء وللحكماء في هذا خطب طويل في وصف هذه الارباع هذه جمل منها ما مضى وما يأتي والمغرب هو الربع الثاني وجميع ما فيه بارد رطب الماء واللبن في الشتاء ورياحه الدبور وله من الساعات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة وله من المذاقات المالح وما شابه ذلك وله من القوى القوة الدافعة وله من الكواكب المشتري وعطارد ومن البروج الجدي والدلو والحوت والجزء الثالث التيمن وجميع ما فيه حار يابس النار والمرة الصفراء في الصيف وريحه الصبا

ولو

ولولم يشـقنى الظاعنون لشاقنى ✻ حمام تداعت فى الديار وقوع
تداعين فاستبكين من كان ذاهوى ✻ نوائح ماتجرى لهن دموع

ذيلها عباس بن فرناس يمدح بعض الرؤساء بديهة فقال

شددت بمحمود يدا حين خانها ✻ زمان لأسباب الرجاء قطوع
بنى لمساعى الجود والمجد قبلة ✻ اليها جميع الاجودين ركوع

وكان محمود جوادا فقال له ياابا القاسم أعزما يحضرنى من مالى القبة يعنى قبة قامت عليه بخمسمائة دينار وهى لك بما فيها مع كسوتى هذه و نكون فى ضيافتك بقية يومنا ودعا بكسوة فلبسها ودفع اليه الكسوة ✻(ومن الوافدين من المشرق الامير شعبان بن كوحيا) من غز الموصل وفد على أمير المؤمنين يعقوب المنصور ملك الموحدين ورفع له أمدا حاجليلة وقدمه على امارة مدينة بسطة من الاندلس قال أبو عمران بن سعيد أنشدنى لنفسه

يقولون ان العدل فى الناس ظاهر ✻ ولم أرشيئا منـه سرا ولا جهرا
ولكن رأيت الناس غالب أمرهم ✻ اذا ماجنى زيد أقادوا به عمرا
والافما بال النطاسى كلما ✻ شكوت له يمنى يدى قصد اليسرى

✻(ومن الوافدين من المشرق على الاندلس أبو اليسر ابراهيم بن أحمد الشيبانى) من أهل بغداد وسكن القيروان ويعرف بالرياضى وكان له سماع ببغداد من جلة المحدثين والفقهاء والنحويين لقى الجاحظ والمبرد وثعلبا وابن قتيبة ولقى من الشعراء أباتمام والبحترى ودعبلا وابن الجهم ومن الكتاب سعيد بن حميد وسليمان بن وهب وأحمد بن أبى طاهر وغيرهم وهو الذى أدخل أفريقية رسائل المحدثين وأشعارهم وطرائف أخبارهم وكان عالما أديبا ومترسلا بليغا ضاربا فى كل علم وأدب سمع وكتب بيده أكثر كتبه مع براعة خطه وحسن وراقته وحكى انه كتب على كبره كتاب سيبويه كله بقلم واحد مازال يبريه حتى قصر فادخله فى قلم آخر وكتب به حتى فنى بتمام الكتاب وله تآليف منها لقط المرجان وهو أكبر من عيون الاخبار وكتاب سراج الهدى فى القرآن ومشكله واعرابه ومعانيه والمرصعة والمدبجة وجال فى البلاد شرقا وغربا من خراسان الى الاندلس وقد ذكر ذلك فى أشعار له وكان أديب الاخلاق نزيه النفس كتب لامير افريقية ابراهيم بن أحمد بن الاغلب ثم لابنه أبى العباس عبد الله وكان أيام زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك الاغالبة على بيت الحكمة وتوفى بالقيروان سنة ثمان وتسعين ومائتين فى أول ولاية عبيد الله الشيعى وهو ابن خمس وسبعين سنة ومن ألم بذكره المؤرخ الاديب أبو اسحق ابراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق وقال على بن سعيد فى حقه انه كان أديبا شاعرا مترسلا حسن التاليف وقدم الاندلس على الامام محمد بن عبد الرحمن وذكر له معه قصة ذكرها ابن الابار فى كتابه افادة الوفادة وحكى ان له مسندا فى الحديث وكتابا فى القرآن سماه سراج الهدى والرسالة الوحيدة والمؤنسة وقطب الادب وغير ذلك من الاوضاع قال وكتب لبنى الاغلب حتى انصرمت أيامهم ثم كتب لعبيد الله حتى مات ومن الرواة عنه أبو سعيد عثمان ابن سعيد الصيقل مولى زيادة الله بن الاغلب وأسند اليه الحافظ ابن الابار رواية شعر أبى

وله من الساعات الرابعة والخامسة والسادسة من النهار وله من قوى البدن القوة النفسانية والحيوانية وله من المذاقات المرارة وله من الكواكب المريخ والشمس ومن البروج السرطان والسنبلة والميزان والجزء الرابع هو الجنوبى وجميع مافيه بارد يابس مثل الارض وله من الساعات السابعة والثامنة والتاسعة وله من قوى البدن القوة الماسكة ومن المذاقات العفص وله من الكواكب زحل وله من البروج الميزان والعقرب والقوس والارض وما وصفناه فى الهيئة وتختلف فى التاثير على مقادير الخطوط فاذا بعد الخط كان التاثير بخلاف ماهو اذا قرب لموجبات متنافية متغايرة وأفضل المواضع فى السكنى ماتطرح الشمس ضوء شعاعها اليه والى الاقليم الرابع ينتهى عنده هذه الطائفة شعاعها فى صفوه وارتفاع كدره ولا فرق بين شعاع الشمس يهبط مساويا الى هذا الموضع وهو العراق (قال المسعودى) والمواضع التى لاتسكن عند هذه الطائفة عدمت السكنى لعلتين احداهما افراط الحر واحراق الشمس وكثرة تواتر شعاعها على تلك الارضين جعلتها يابسة واغاضت مياهها لكثرة التنشيف والعلة الاخرى بعد الشمس عن الاقليم وارتفاعها عن حوزاته

تمام بان قال قرأت شعر حبيب على أبي الربيع بن سالم وقرأت جملة منه على غيره وناولني جميعه وحدثني به عن أبي عبد الله بن زرقون عن الخولاني عن أبي القاسم حاتم بن محمد عن أبي غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي عن أبيه عن أبي تمام عن أبي سعيد المذكور يعني ابن الصيقل عن أبي اليسر عن حبيب وهو اسناد غريب انتهى *(ومنهم أبو اسحق ابراهيم ابن خلف بن منصور الغساني الدمشقي المعروف بالسنهوري) وسنهور من بلاد مصر روى عن أبي القاسم بن العساكر وأبي اليمن الكندي وأبي المعالي الفراوي وأبي الطاهر الخشوعي وغيرهم قال أبو العباس النباتي قدم علينا يعني اشبيلية سنة ثلاث وستمائة وسمى جماعة من شيوخه وحكى انه كان يروي موطأ أبي مصعب وصحيح مسلم بعلو وقال سليمان بن حوط الله أجازني وابني محمدا جميع ما رواه عن شيوخه الذين منهم أبو الفخر فناخسرو بن فيروز الشيرازي وذكر أن روايته بنزول لانه لم يرحل الا بعد وفاة الشيوخ المشاهير بهذا الشان وقال أبو الحسن بن القطان وسماه في شيوخه قدم علينا تونس سنة اثنتين وستمائة واستجزته لابني حسن فاجازه واياي قال وانصرف من تونس الى المغرب ثم الاندلس وقدم علينا بعد ذلك مراكش مفلتا من الاسر فظهر في حديثه عن نفسه تجازف واضطراب وكذب زهد فيه واثر ذلك انصرف الى المشرق راجعا وقد كان اذ أجازني كتب بخطه جملة من أسانيده وسمى كتبا منها الموطأ والصحيحان وغير ذلك قال وقد تبرأت من عهدة جميعه لما أثبت من حاله وحدثني أبو القاسم بن أبي كرامة صاحبنا بتونس أن السنهوري هذا لما انصرف الى مصر امتحن بملكها الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب لاجل معاداته أبا الخطاب بن الجميل فضرب بالسياط وطيف به على جمل مبالغة في اهانته انتهى وقال بعض المؤرخين في حقه ما نصه الشيخ المحدث الرحالة ابراهيم السنهوري صاحب الرحلة الى البلاد دخل الاندلس كما ذكره ابن النجار وغيره وهو الذي ذكر لمشايخ الاندلس وعلمائها أن الشيخ أبا الخطاب بن دحية يدعي انه قرأ على جماعة من شيوخ الاندلس القدماء فانكروا ذلك وأبطلوه وقالوا لم يلق هؤلاء ولا أدركهم وانما اشتغل بالطلب أخيرا وليس نسبه بصحيح فيما يقوله ودحية لم يعقب فكتب السنهوري محضرا وأخذ خطوطهم فيه بذلك وقدم به ديار مصر فعلم أبو الخطاب بن دحية بذلك فاشتكى الى السلطان منه وقال هذا يأخذ عرضي ويؤذيني فأمر السلطان بالقبض عليه فقبض وضرب وأشهر على حمار وأخرج من ديار مصر وأخذ ابن دحية المحضر وحرقه ولم يزل ابن دحية على قرب من السلطان الى حين وفاته وبنى له دار الحديث وهي الكاملية بين القصرين فلم يزل يحدث بها الى أن مات وقد ذكرنا في ترجمة ابن دحية من هذا الكتاب شيأ من أحواله وأن الناس فيه معتقد ومنتقد وهكذا جرت العادة خصوصا في حق الغريب المنتسب للعلم *وعند الله تجتمع الخصوم *ومن كان عليه لا له أبو المحاسن محمد بن نصر المعروف بابن عنين فانه قال فيه

دحية لم يعقب فلم تعتزي * اليه بالبهتان والافك
ما صح عند الناس شئ سوى * انك من كلب بلا شك

هكذا ذكره ابن النجار وأطال في الوقيعة في أبي الخطاب بن دحية وقال الذهبي قرأت

بخط

فاكتنف تلك الارضين البرد واستولى عليها القر والجهد فزاد افراط البرد في الجو حتى أزال حسن الاعتدال ورفع فضيلة النشف فلم تلبث الحرارة في الاجسام ولم تظهر الرطوبة في انماء الحيوان هنالك فصارت تلك البلاد قاعا صفصفا من الحيوان والنبات وهذه البلدان التي تراها مفرطة الحرارة والبرودة هي تناسب ما ذكرنا من هذه الديار البلاقع ولهذه الطائفة كلام كثير في فناء العالم وانقضائه وعوده جديدا وذكروا ان السلطان في هذا الوقت السنبلة والمشتري في التدبير وأن نهاية العالم في كثرة قطع الكوكب المدبر المسافة التامة بالقوى فاذا استكمل وبلغ المسافة التي ذكروها في الفلك فهنالك يقع النفاد ويكون الدثور بالعالم والكواكب اذا كملت ما بها من كرور وعاد التدبير الى الاول منها وعادت أشخاص كل عالم وصوره مع اجتماع المواد التي كانت له في حد حركة تأثير الكوكب الذي كان التدبير اليه هكذا عند هؤلاء كان يجري شأن العالم سرمدا (وزعموا) أن سلطان الحمل اثناعشر ألف سنة وسلطان العقرب خمسة آلاف سنة وسلطان الجدي ثلاثة آلاف سنة وسلطان الدلو ألفا سنة وعند ذلك هو انقضاء العالم ونقض ما فيه ورجوعه

بخط الضياء عندما ذكر ابن دحية انه قال لقيته باصبهان ولم أسمع منه شيأ وأخبرنى ابراهيم السنهورى باصبهان انه دخل المغرب وان مشايخه كتبوا له جرحه وتضعيفه وقد رأيت أنا منه غير شئ مما يدل على ذلك وبسببه بنى السلطان الملك الكامل دار الحديث بالقاهرة وجعله شيخها وقد سمع منه الامام أبو عمرو بن الصلاح الموطا سنة نيف وستمائة وأخبره به عن جماعة منهم أبو عبد الله بن زرقون وقال ابن واصل كان أبو الخطاب مع فرط معرفته بالحديث وحفظه الكثير منه متهما بالمجازفة فى النقل وبلغ ذلك الملك الكامل فامره أن يعلق شيأ على كتاب الشهاب فعلق كتابا تكلم فيه على أحاديثه وأسانيده فلما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد أيام قد ضاع منى ذلك الكتاب فعلق لى مثله ففعل فجاء فى الثانى مناقضة للاول فعلم الملك الكامل صحة ما قيل عنه ونزلت مرتبته عنده وعزله عن دار الحديث أخيرا وولى أخاه أبا عمرو عثمان وقال ابن نقطة كان أبو الخطاب موصوفا بالمعرفة والفضل ولم أره الا أنه كان يدعى أشياء لا حقيقة لها ذكر لى أبو القاسم بن عبد السلام وكان ثقة قال نزل عندنا ابن دحية فقال انى أحفظ صحيح مسلم والترمذى فاخذت خمسة أحاديث من الترمذى ومثلها من المسند ومثلها من الموضوعات فجعلتها فى جزء ثم عرضت عليه حديثا من الترمذى فقال ليس بصحيح وآخر فقال لا أعرفه ولم يعرف منها شيأ فافسد نفسه بذلك وقال سبط ابن الجوزى انه كان يتزيد فى كلامه ويثلب المسلمين ويقع فيهم فترك الناس الرواية عنه وكذبوه وقد كان الملك الكامل مقبلا عليه فلما انكشف له شانه أخذ منه دار الحديث وأهانه وقال العماد بن كثير قد تكلم الناس فيه بانواع من الكلام ونسبه بعضهم الى وضع حديث فى قصر صلاة المغرب وكنت أود أن أقف على اسناده ليعلم كيف رجاله وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن صلاة المغرب لا تقصر واتفق انه وصل فى جمادى الاولى سنة ٦١٦ الى غزة فخرج كل من فى غزة بالاسلحة والعصى والحجارة الى الموضع الذى هو فيه وضربوه ضربا شديدا بعد أن انهزم من كان معه انتهى وقدمنا فى ترجمته توثيق جماعة له فربك أعلم بحاله * (ومنهم عبد الله بن محمد بن آدم القارى الخراسانى) رحل من خراسان الى الاندلس يكنى أبا محمد ذكره أبو عمرو المقرى وقال سمعته يقرأ مرات كثيرة فكان من أحسن الناس صوتا ولم تكن له معرفة بالقراءة ولا دراية بالاداء انتهى * (ومنهم عبد الرحمن بن داود بن على الواعظ) من أهل مصر يعرف بالزبزارى يكنى أبا البركات وأبا القاسم ويلقب زكى الدين قدم على الاندلس وتجول فى بلادها واعظا ومذكرا وسمع منه الناس بقرطبة واشبيلية ومرسية وبلنسية سنة ٦٠٨ قال ابن الابار وسمعت وعظه اذ ذاك بالمسجد الجامع من بلنسية وادعى الرواية عن أبى الوقت السجزى والسلفى وأبى الفضل عبد الله بن أحمد الطوسى وأبى محمد بن المبارك بن الطباخ وأبى الفضل محمد بن يوسف الغزنوى وشهدة الكاتبة بنت الابرى زعم أنه قرأ عليها صحيح البخارى وجماعة بالمشرق والاندلس لم يلقهم ولم يسمع منهم وربما حدث بواسطة عن بعضهم وأكثرهم مجهولون وقفت على ذلك فى فهرست روايته فزهد أكثر السامعين منه واطرحوا الرواية عنه ومنهم أبو العباس النباتى وأبو عبد الله بن أبى البقاء وجمع أربعين حديثا مسلسلة سماها باللآلئ

الى كونه (وتكلم هؤلاء) فى الجن الذين كانوا فى الارض قبل خلق آدم واستخلافه فى الارض وأن المتولى لهم كوكب من الكواكب النارية (وتكلم كلا الفريقين) فى أوج الشمس عند انفصالها الى البروج الجنوبية وما يحدث فى العالم فى كون الشمال جنوبا والجنوب شمالا وتحول العامر غامرا والغامر عامرا على حسب ما ذكرنا فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف (وقد ذهب هؤلاء ممن تقدم من الاوائل أن التى وجد بها سائر الموجودات كالأول والثوانى والثوالث على قدر مراتبها فى العقل والنفس والصورة والهيولى وانها المبادى على حسب ما رتبناه وقدمناه فى كتاب الزلف فاعداما وصفنا فهى الاجسام وأجناسها ستة الجسم السماوى والحيوانى الناطق والحيوانى غير الناطق والنبات والاحجار الجرية وهى المعدنية والاستقصات الاربعة وهى النار والهواء والماء والارض (وتكلم هؤلاء) فيما يخص كل واحد مما ذكرنا مما لا يحتمله كتابنا هذا اذ كان فيه خروج عن الغرض المتمم فيه وقد أتينا على بسط ذلك فى كتاب الرؤس السبعة فى باب السياسة المدنية وعدد أجزائها وملتها الطبيعية وهل ملك تلك المدنية جزء من أجزائها أو من غيرها واليه نهاية أجزائها

المفصلة حدث فيها عن ابن بشكوال وابن غالب الشراط وغيرهما من الاندلسيين الذين لم يلقهم ولا أجازوا له أخذها * عنه ابن الطيلسان وغيره وكان مع هذا فقيها على مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه فصيحا مشاركا فى فنون من العلم سمح الله تعالى له انتهى * (ولا بأس أن نذكر جملة من النساء القادمات من المشرق على الاندلس ثم نعود أيضا الى ذكر أعلام الرجال فنقول) ٥ (من النساء الداخلات الاندلس من المشرق عابدة المدنية أم ولد حبيب ابن الوليد المروانى المعروف بدحون) وكانت جارية سوداء من رقيق المدينة حالكة اللون غير انها تروى عن مالك بن أنس امام دار الهجرة وغيره من علماء المدينة حتى قال بعض الحفاظ انها تروى عشرة آلاف حديث وقال ابن الابار انها تسند حديثا كثيرا وهى أم ولد بشر بن حبيب والذى وهبها لدحون فى رحلته الى الحج هو محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان فقدم بها الاندلس وقد أعجب بعلمها وفهمها واتخذها لفراشه رحم الله تعالى الجميع * (ومنهن فضل المدنية) وكانت حاذقة بالغناء كاملة الخصال وأصلها لاحدى بنات هرون الرشيد ونشأت وتعلمت ببغداد ودرجت من هنالك الى المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فازدادت ثم طبقتها فى الغناء واشتريت هنالك للامير عبد الرحمن صاحب الاندلس مع صاحبتها علم المدنية وصواحب غيرها اليهن تنسب دار المدنيات بالقصر وكان يؤثرهن لجودة غنائهن ونصاعة ظرفهن ورقة أدبهن وتضاف اليهن جارية قلم وهى ثالثة فضل وعلم فى الحظوة عند الامير المذكور وكانت أندلسية الاصل رومية من سبى البشكنس وحملت صبية الى المشرق فوقعت بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم وتعلمت هنالك الغناء فحذقته وكانت أديبة ذاكرة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للاخبار عالمة بضروب الآداب * (ومن النساء الداخلات الى الاندلس من المشرق قمر جارية ابراهيم بن حجاج اللخمى صاحب اشبيلية) وكانت من أهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصوغ الالحان وجلبت اليه من بغداد وجمعت أدبا وظرفا ورواية وحفظا مع فهم بارع وجمال رائع وكانت تقول الشعر بفضل أدبها ولها فى مولاها تمدحه

ما فى المغارب من كريم يرتجى * الا حليف الجود ابراهيم
انى حللت لديه منزل نعمة * كل المنازل ماعداه ذميم

وأنشد لها السالمى لما ذكرها عدة أشعار منها قولها تتشوق الى بغداد

آها على بغدادها وعراقها * وظبائها والسحر فى أحداقها
ومجالها عند الفرات باوجه * تبدو أهلتها على أطواقها
متبخترات فى النعيم كأنما * خلق الهوى العذرى من أخلاقها
نفسى الفداء لها فأى محاسن * فى الدهر تشرق من سنى اشراقها

* (ومنهن الجارية العجفاء) قال الارقى قال لى أبو السائب وكان من أهل الفضل والنسك هل لك فى أحسن الناس غناء فجئنا الى دار مسلم بن يحيى مولى بنى زهرة فاذن لنا فدخلنا بيتا عرضه اثنا عشر ذراعا فى مثلها وطوله فى السماء ستة عشر ذراعا وفى البيت غرفتان قد ذهب عنهما اللحمة وبقى السدى وقد حشيتا بالليف وكرسيان قد تفككا من قدمهما ثم اطلعت

على حسب ماذكرناه ذكره فرفوريوس فى كتابه فى وصف منازعة أفلاطون وارسطاطاليس فى ذلك فاما علة لون الشتاء بأرض الهند فى الحالة التى يكون الصيف بها عندنا والشتاء يكون الصيف عندهم قد ذكرنا علة ذلك ووجه البرهان عليه وأن فلك الشمس فى قربها وبعدها وكذلك علة تكون السودان فى بعض البقاع من الارض دون بعض وتعطر ألوان الصقالبة وشقرتهم وصهوبة شعورهم وما لحق الترك من استرخاء مفاصلهم وتعوج سيقانهم ولين عظامهم حتى ان أحدهم ليرمى بالنشاب من خلف كرميه من قدام فيصير وجهه قفاه وقفاه وجهه ومطاوعة فقارات الظهور لهم على ذلك وكون الحمرة فى وجوههم عند تكامل الحرارة فى الوجه على الاغلب من كونها وارتفاعها لغلبة البرد على اجسامهم فقد أتينا بحمد الله على ماذكرنا فيما سلف من كتبنا فى هذه المعانى المقدم ذكرها ولم نتعرض لذكر مالم يصح عندنا فى العالم وجوده حسا ولا خبرا قاطعا للعذر ولا دافعا للرأى ومزيلا للشك كأخبار العامة فى كون النسناس وأن وجوههم على نصف وجوه الناس وانهم ذوو ألباب وقولهم فى عنقاء مغرب وقد زعم كثير من الناس أن الحيوان الناطق ثلاثة

علينا الجفاء كلفا عليها وهو وى أصفر غسيل وكأن وركيها في خيط من وسخها فقلت لابى السائب بابى أنت ماهذه فقال اسكت فتناولت عودا فغنت

بيد الذي شغف الفؤاد بكم * تفريج ما ألقى من الهم
فاستبقني أن قد كلفت بكم * ثم افعلي ماشئت عن علم
قد كان صرم في الممات لنا * فعجلت قبل الموت بالصرم

قال فتحسنت في عيني وبدا ما أذهب الكلف عنها وزحف أبو السائب وزحفت معه ثم تغنت

برح الخفاء فأيما بك تكتم * ولسوف يظهر ما تسر فيعلم
مما تضمن من عزيز قلبه * ياقلب انك بالحسان لمغرم
ياليت أنك ياحسام بارضنا * تلقى المراسي طائعا وتخيم
فتذوق لذة عيشنا ونعيمه * ونكون اخوانا فماذا تنقم

فقال أبو السائب ان يقم هذا فاعضه الله تعالى بكذا وكذا من أبيه ولا يكنى فزحفت مع أبي السائب حتى فارقنا النمرقتين وربت الجفاء في عيني كما يربو السويق بماء مزنة ثم غنت

يا طول ليلي أعالج السقما * أدخل كل الاحبة الحرما
ما كنت أخشى فراقكم أبدا * فاليوم أمسى فراقكم عزما

فالقيت طيلساني وأخذت شاذكونة فوضعتها على رأسي وصحت كما يصاح على اللوبيا بالمدينة وقام أبو السائب فتناول ربعة في البيت فيها قوارير ودهن فوضعها على رأسه وصاح صاحب الجارية وكان الثغ قوانيني يعني قواريري فاصطكت القوارير وتكسرت وسال الدهن على رأس أبي السائب وصدره وقال للجفاء لقد هيجت لي داء قديما ثم وضع الربعة وكنا نختلف اليها حتى بعث عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس فابتيعت له الجفاء وحملت اليه * (ومن القادمين على الاندلس من المشرق الشيخ عبد القاهر ابن محمد بن عبد الرحمن الموصلي) قال أبو حيان قدم علينا رسولا من ملك مصر الى ملك الاندلس فسمعت منه بالمرية انتهى * (ومنهم أحمد بن الحسن بن الحرث بن عمرو بن جرير ابن ابراهيم بن مالك المعروف بالاشتر بن الحرث النخعي) يكنى أبا جعفر دخل الاندلس في أيام الامير محمد بن عبد الرحمن وأصله من الكوفة وكان يروي أحاديث عظيمة العدد ذكر ذلك الرازي وحكى أن الامير محمدا روى عنه منها وأنزله بربة * (ومنهم أحمد بن أبي عبد الرحمن واسمه يزيد بن أحمد بن عبد الرحمن القرشي الزهري من ولد عبد الرحمن بن عوف) من أهل مصر وفد على الناصر بقرطبة وكان دخوله اليها في محرم سنة ٣٤٣ فاكرم الناصر مثواه وكان فقيه أهل مصر ذكره ابن حيان * (ومنهم أبو الطاهر اسمعيل بن الاسكندراني) لقي ببلده أبا طاهر السلفي وسمع منه ودرس عليه كتاب الاصطلاح للسمعاني وقدم الاندلس ودخل مرسية تاجرا وكان فقيها على مذهب الشافعي وأنشد على السلفي قوله

أنا من أهل الحديث وهم خير فئه

أجناس ناس ونسناس ونسناس وهذا محال من القول لان النسناس انما وقع هذا الاسم على السفلة من الناس والرذال وقد قال الحسن ذهب الناس وبقي النسناس قال الشاعر

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا * خلفا في أراذل النسناس

أراد به ما وصفنا أي ذهب الناس وبقي من لا خير فيه (وقد ذهب) كثير من الناس الى ان الجن نوعان اعلاهم وأشدهم الجن وأضعفهم الحن وأنشد الراجز

* مختلف سحرهم جن وحن *

وهذا التفصيل بين الجنسين من الجن لم يرد به خبر ولا صح به أثر وانما ذلك من توهم الاعراب على ما بينا آنفا وقد غلب على كثير من العوام الأخبار عن معرفة النسناس وصحة وجوده في العالم كالاخبار عن وجود الصين وغيرها من الممالك النائية والامصار القاصية فبعضهم يخبر عن وجودهم في المشرق وبعضهم في المغرب فاهل المشرق يذكرون كونها بالمغرب وأهل المغرب يذكرون أنها بالمشرق وكذلك كل صقع من البلاد يسير سلطانه الى ان النسناس فيما بعد عنهم من البلاد ونأى عن الديار وقد رووا في ذلك خبرا مخرجه من طريق الآحاد ان ذلك في بلاد حضرموت من الشحر وهو ما ذكرناه عن عبد الله بن كثير بن عفير المصري

عشت تسعين وأر * جو أن أعيش لمائه

فعاش كما تمنى رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن اسمعيل بن بشر الانطاكي الامام أبو الحسن التميمي) نزيل الاندلس ومقريها ومسندها أخذ القراءة عرضا وسماعا عن ابراهيم بن عبد الرزاق ومحمد بن الاخرم وأحمد بن يعقوب التائب وأحمد بن محمد بن خشيش ومحمد بن جعفر بن بيان وصنف قراءة ورش قرأ عليه جماعة منهم أبو الفرج الهيثم الصباغ وابراهيم بن مبشر المقرى وطائفة آخرون من قراء الاندلس وسمع منه عبد الله بن أحمد بن معاذ الداراني قال أبو الوليد بن الفرضي أدخل الانطاكي الاندلس علما جما وكان بصيرا بالعربية والحساب وله حظ من الفقه قرأ الناس عليه وسمعت أنا منه وكان اماما في القرا آت لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته وكان مولده بانطاكية سنة ٢٩٩ ومات بقرطبة في ربيع الاول سنة ٣٧٧ رحمه الله تعالى *(ومنهم عمر بن مودود بن عمر الفارسي البخاري يكنى أبا البركات) ولد بسلماس ونشابها وكتب الحديث هنالك وتعلم العربية والفقه وهو من أبناء الملوك وانتقل الى المغرب فدخل الاندلس ونزل مالقة في حدود ثلاثين وستمائة ودخل اشبيلية وكانت له رواية بالمشرق قال ابن الابار أجاز لي ما رواه ولم يسم أحدا من شيوخه وبلغني انه سمع صحيح البخاري بالدامغان على أبي عبد الله محمد بن محمود وكانت اجازته لي سنة ٦٣١ وعاش بعد ذلك وتوفي بمراكش بعد الاربعين وستمائة وحدث بالاندلس وأخذ عنه الناس وكان من أهل التصوف والتحقق بعلم الكلام رحمه الله تعالى *(ومنهم الشريف الاجل الرحالة الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين) وكنت لا أتحقق من أي البلاد هو من المشرق ثم اني علمت انه من بغداد اذ وقفت على كتابين كتبهما في شان العناية به الاديب العلامة أبو المطرف احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي احدهما الى العلا عدسان والثاني للكاتب ابي الحسن العنسي وهو الذي يفهم منه انه من بغداد (ونص الاول)

يا ابن الوصي اذا حملت وصيتي * اوجبت حقا للحقوق يضاف
وتحيتي كل التحايا دونها * وكذاك دون رسولها الاشراف
أحسن بان تلقى ابن حسان بها * مهتزة لورودها الاعطاف
كالروض باكره الندى فلعرفها * يا ابن النبي على الندى مطاف
وعلاك أن ابا العلا ومكانه * يلفي به الاسعاد والاسعاف
وأحق من عرف الكرام بوصفهم * من جمعت منهم له اوصاف

هذه ياسيدي تحية تجب لها اجابة وحية وتصلح بها هشاشة واريحية اودعتها بطن هذه العجالة وبعثتها مع صدر من ابناء الرسالة ولله دره من راضع در النبوة متواضع مع شرف الابوة نازعته طرف الاشعار وأطراف الاخبار فوجدته بحرا احصاه الدر النفيس وروضا يجنى منه أطايب السمر الجليس وينعت بنجم الدين وهو كنعته نجم يضي سناه ويحل بيتا من الشرف ربه بناه وقد جاب الفضاء العريض ورأى القصور الحمر والبيض وورد الجون بعد ماشرب من ماء جيحون وزار مشاهد الحرمين ثم سار في أرض الحرمين

وفارق

عن أبيه يعقوب بن الحرث بن الخيم عن شيبة بن الحرث التميمي قال قدمت الشحر فنزلت على رأسها فتذاكرنا النسناس فقلت صيدوا لنا منها فلما أن رجعت اليه اذا بنسناس منها مع بعض أعوانه المهرة فقال لي النسناس أنا بالله وبك فقلت لهم خلوه فخلوه فلما حضر الغداء قال هل اصطدتم منها شيا قالوا نعم ولكن خلاه ضيفك قال استعدوا فانا خارجون في قنصه فلما خرجنا الى ذلك السرح خرج منها واحد يعدو وله وجه كوجه الانسان وشعرات في ذقنه ومثل الثدي في صدره ومثل رجلي انسان رجلاه وقد ألظ به كلبان وهو يقول

الويل لي مما به دهاني
دهر من الهموم والاحزان
قفا قليلا ايها الركبان
واستمعا قولي وصدقاني
انكما حين تحاربانى
الفيتماني حضرا عناني
لولا سباتي ما ملكتماني
حتى تموتا أو تفارقاني
لست بخوار ولا جبان
ولا بنكس رعش الجنان
لكن قضاء الملك الرحمن
يذل ذا القوة والسلطان

قال فالتقيا به كلبان فاخذاه ويزعمون أنهم ذبحوا منها نسناسا فقال آخر من شجرة كان يأكل السماق قال فقالوا نسناس آخر خذوه فاخذوه وذبحوه وقالوا لو سكت هذا لم يعلم بمكانه فقال نسناس من شجرة أخرى أنا صمت فأخذوه فذبحوه وقالوا لو سكت هذا لم يعلم بمكانه

وفارق افريقية لهذا الافق مختارا وعبر الى الاندلس فاطال بها اعتبارا وتشوق الى حضرة الانوار المفاضة والنعم السابغة الفضفاضة وجعل قصدها بحجة سفره طواف الافاضة وهمه أن يشاهد سناها العلوى ويبصر ما يحقر عنده المرئى والمروى وهى غاية يقول الآمل عليها اطلت حومى وجنة يتلو الداخل لها ياليت قومى وسيدى هو منها باب على الفتح بنى وجناب عنان الامل اليه ثنى وقصده من هذا الشريف أجل قاصد وأظلته سماء المجد بجمال المشترى وظرف عطارد ومتى نعتناه فالخبر ليس كالعيان ومتى شبهناه فالتمويه بالشبه عقوق العقيان ومن يفضح قريحته بان يقول لها صفيه لكن يعرف عن نفسه ما ليس فى وسع واصفيه ويقتضى من عزيمة بره ما لا سعة للترخص فيه ان شاء الله تعالى وهو يديم علاكم ويحرس مجدكم وسناكم بمنه والسلام الكريم الطيب العميم يخصكم به معظم مجدكم المعتد بذخيرة ودكم المحافظ على كريم عهدكم ابن عميرة ورحمة الله تعالى وبركاته فى الرابع والعشرين لربيع الآخر من سنة ٦٣٩ انتهى (ونص الثانى) هل لك يا سيدى أبا الحسن فيمن له كل شاهد حسن فى الشرف المنتقى له قدم أثبتها بالوصى والحسن أيها الاخ الذى ملكته قيادى وأسكنته فؤادى عهدى بك تعتام الآداب النقية وتشتاق اللطائف المشرقية وتنصف فترى أن فى سبلنا جفاء وفى مغربنا جفاء وأن المحاسن نبت أرض ما بها ولدنا وزرع واد ليس مما عهدنا وأنا فى هذا أشايعك وأتابعك وأناضل من ينازلك وينازعك وقد أتانا الله تعالى بحجة تقطع الحجج وتسكت المهج وهو الشريف الاجل السيد المبارك نجم الدين بن مهذب الدين نجل الذرية المختارة ونجم الدرية السيارة جرى مع زعزع ونسيم ورتع فى جميم وهشيم وشاهد عجائب كل اقليم وشرق الى مطلع ابن جلا وغرب حتى نزل بشاطئ سلا وقد توجه الآن الى حضرة الامامة الرشيدية أيدها الله تعالى لينتهى من أصابع العد الى العقدة ويحصل من مخض الحقيقة على الزبدة وقد علم انه ما كل الخطب كخطبة المنبر ولا جميع الايام مثل يوم الحج الاكبر وأدبه يا سيدى من نسبة أفقه بل على شكل حسبه وخلقه فاذا رأيته شهدت بان الشرق قد اتحفه أبرقه بغداذه بل رمانا بجملة أفلاذه والحظ فيما يجب من بره وتأنيسه انما هو فى الحقيقة لجليسه فيا غبطة من يسبق لجواره ويقبس من أنواره وأنت لا محالة تفهمه فهمى وتشيم من شيمه عارضا برى القلوب الهيم يهمى وتضرب فى الاخذ من فوائده وقلائده بسهم وددت أنه سهمى والسلام انتهى * (ومنهم تقى الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين أبى العباس أحمد بن الغرس الحنفى المصرى) قال الوادى آشى فيه انه من أعيان مصر قال وسألته هل يقع بين أهل مصر تنازع فى تفضيل بعض المذاهب على بعض فاجابنى بان هذا لا يقع عندهم بين أهل الرسوخ فى العلم وذوى المعرفة والفهم وانما يصدر هذا بين الناشئين قال وللحنفية الظهور عليهم حين يقولون لهم لنا عليكم اليد الطولى فى الخبز لكونه بمصر يطبخ فى الفرن بأرواث الدواب وكذلك تسخين الحمام فان المالكية وغيرهم بمصر يقلدون الحنفية فى ذلك قال وسألته حفظه الله تعالى هل للوباء بمصر وقت معلوم فقال لى جرت العادة عندهم بقدر الله تعالى وسره فى خليقته أن كل سنة

فقال نسناس من شجرة أخرى يا سنان احفظ الرأس قالوا نسناس خذوه فاخذوه وزعم من روى هذا الخبر أن المهرة تصطادها فى بلادها وتأكلها (قال المسعودى) ووجدت أهل الشحر من بلاد حضرموت وساحلها وهى تسعون مدينة على الشاطئ من أرض الاحقاف وهى أرض الرمل وغيرها مما اتصل بهذه الديار من أرض اليمن وغيرها من عمان وأرض المهرة يستظرفون أخبار النسناس اذا ما حدثوها ويتعجبون من وصفه ويتوهمون أنه ببعض بقاع الارض مما قد نأى عنهم وبعد كسماع غيرهم من أهل البلاد بذلك عنهم وهذا يدل على عدم كونه فى العالم وانما ذلك من هوس العامة واختلاطها كما وقع لهم أخبار عنقاء مغرب وهذا يدل على عدم كونه فى العالم ورووا فيه حديثا عزوه الى ابن عباس ونحن لم نخل وجود النسناس والعنقاء وغير ذلك مما اتصل بهذا النوع من الحيوان الغريب النادر فى العالم من طريق العقل فان ذلك غير ممتنع فى القدرة لكن أحلنا ذلك لان الخبر القاطع للعذر لم يرد بصحة وجود ذلك فى العالم وهذا باب هو داخل فى حيز الممكن الجائز خارج عن باب الممتنع والواجب ويحتمل هذه الانواع من الحيوان

أولها ثاء مثلثة يكون فيها الوباء والله تعالى أعلم وان هذا متعارف عندهم هكذا قال لي وعيب ما يقع من بعض النقادة بتونس وما يصدر عنهم بكثرة من القائهم الاسئلة العويصة في أصول الدين وغيرها على من يرد عليهم قصدا في تعجيزه وتعنيته ثم قال ان من المنقول عن الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى ان من حفظت عنه تسعة وتسعون خصلة تقتضي الكفر وواحدة تقتضي الايمان ان الواحدة المقتضية للايمان تغلب وتبقى حرمتها عليه انتهى وقد ذكرنا في الباب الاول من هذا القسم حكاية البصري المغني القادم من المشرق من البصرة على عبد الوهاب الحاجب بافريقية في دولة بني المعز بن باديس وسردنا دخوله عليه في مجالس أنسه وما اتفق في ذلك له معه وانه وصف له بلاد الاندلس وحسنها وطيبها فسافر وتحيل المغني الى هاومات بها حسبما لخصناه من كلام الكاتب ابن الرقيق الاديب المؤرخ في كتابه قطب السرور ولولا انه لم يسم المغني المذكور لجعلناه له ترجمة في هذا الباب اذ هو به أليق والامر في ذلك سهل والله تعالى الموفق للصواب *(ومنهم الولي الصالح العارف بالله سيدي يوسف الدمشقي رضي الله تعالى عنه) وهو كما قال ابن داود من كبار الاولياء شاذلي الطريقة قدم من المشرق الى الاندلس وكان يأتي مدينة وادي آش المرة بعد المرة لزيارة معارف له بها وكان من الذين أخفاهم الله لا يتعرف به الا من تعرف له أعاد الله تعالى علينا من بركاته قال العلامة ابن داود وحدثني مولاي والدي رضي الله تعالى عنه من لفظه بتلمسان امنها الله تعالى يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول الشريف سنة ٨٩٥ قال دخل على سنة شهر رمضان المعظم في زمان ولايتي الخطابة والامامة بالمراص من خارج وادي آش أعادها الله تعالى فقعدت أول ليلة منه منفردا بالمسجد الاعظم من الرباط المذكور بين العشاءين وفكرت في ذكر أتخذه في هذا الشهر المبارك يكون جامعا بين الدنيا والآخرة فاجمعت على مطالعة حلية النواودي ٢ لعلي اقف على ما أختاره لذلك فلما أصبحت دخلت الى المدينة ولم أكن اطلعت على فكرتي أحدا فلقيني الحاج الاستاذ أبو عبد الله بن خلف رحمه الله تعالى في الطريق فقال لي سيدي يوسف الدمشقي يسلم عليك ويقول لك الذكر الذي تعمر به هذا الشهر الفاضل اللهم ارزقني الزهد في الدنيا ونور قلبي بنور معرفتك قال والدي رضي الله تعالى عنه وكان هذا سبب تعرفي له ولقائي اياه وكنت قبل ذلك منكرا عليه لكثرة الدعاوي في هذا الطريق نفع الله تعالى به انتهى ولنجعل هذه الترجمة آخر هذا الباب تبركا بهذا الولي الصالح نفعنا الله تعالى ببركاته مع علمي بان الوافدين من المشرق على الاندلس كثيرون جدا الا أن عدم المادة التي أستعين بها في هذه البلاد تبين عذري ولو اجتمعت على كتبي المخلفة بالمغرب لاتيت في ذلك وغيره بما يشفي ويكفي * وفي الاشارة ما يغني عن الكلام *

(الباب السابع)

في نبذة مما من الله تعالى به على أهل الاندلس من توقد الاذهان وبذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عزوهان وحوزهم في ميدان البراعة من قصب البراعة خصل الرهان وجملة من اجوبتهم الدالة على لوذعيتهم وأوصافهم المؤذنة بألمعيتهم وغير ذلك

النادر ذكرها كالنسناس والعنقاء والعربد وما اتصل بهذا المعنى أن تكون أنواعا من الحيوان أخرجتها الطبيعة من القدرة الى الفعل ولم تحكمه ولم يتأت فيه الطبع كتأتيه في غيره من الحيوان فبقي شاذا فريدا متوحشا نادرا في العالم طالبا للبقاع النائية من البر مباينا لسائر أنواع الحيوان من الناطقين وغيرهم للضدية التي فيه لغيره مما قد أحكمته الطبيعة وعدم تشاكله به والمناسبة التي بينه وبين غيره من أجناس الحيوان وأنواعه على حسب ما قدمنا في باب الغيلان فيما سلف من هذا الكتاب وفي الاكثار من هذا خروج عن الغرض الذي اليه قصدنا في هذا الكتاب وقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من الاخبار عمن زعم ان المتوكل أمر حسين بن اسحق أو غيره من أهل عصره وممن عني بهذا الشان من الحكماء أن يأتي له ويحتال في حمل النسناس والعربد من أرض اليمامة وأن حسينا حمل له شيأ من ذلك وقد أتينا على شرح هذا الخبر فيمن ارسل الى اليمامة في حمل العربد الى بلاد الشحر وفي حمل النسناس في كتابنا أخبار الزمان والله تعالى أعلم بصحة هذا الخبر وليس لنا في ذلك الا النقل وأن نعزوه الى راويه وهو المقلد بعلم ذلك

من أحوالهم التى لها على فضلهم أوضح برهان

اعلم أن فضل أهل الاندلس ظاهر كما أن حسن بلادهم باهر ولذلك ذكر ابن غالب فى فرحة الانفس لما أثنى على الاندلس وأهلها أن بطليموس جعل لهم من أجل ولاية الزهرة لبلادهم حسن الهمة فى الملبس والمطعم والنظافة والطهارة والحب للهو والغناء وتوليد اللحون ومن اجل ولاية عطارد حسن التدبير والحرص على طلب العلم وحب الحكمة والفلسفة والعدل والانصاف * وذكر ابن غالب أيضا ما خصوا به من تدبير المشترى والمريخ * وانتقد عليه بعضهم بان أقاليم الاندلس الرابع والخامس والسادس فى ساحلها الشمالى والسابع فى جزائر الجوس وللاقاليم الرابع الشمس وللخامس الزهرة وللسادس عطارد وللسابع القمر والمشترى للاقليم الثانى والمريخ للثالث ولا مدخل لهما فى الاندلس انتهى * ثم قال صاحب الفرحة وأهل الاندلس عرب فى الانساب والعزة والانفة وعلو الهمم وفصاحة الالسن وطيب النفوس وإباء الضيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما فى أيديهم والنزاهة عن الخضوع واتيان الدنية هنديون فى افراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم بغداديون فى نظافتهم وظرفهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم وحدة أفكارهم ونفوذ خواطرهم يونانيون فى استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لاجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بانواع الخضر وصنوف الزهر فهم أحكم الناس لاسباب الفلاحة ومنهم ابن بصال صاحب كتاب الفلاحة الذى شهدت له التجربة بفضله وهم أصبر الناس على مطاولة التعب فى تجويد الاعمال ومقاساة النصب فى تحسين الصنائع أحذق الناس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والضرب وعدّ رحمه الله تعالى من فضائلهم اختراعهم للخطوط المخصوصة بهم قال وكان خطهم أوّلا مشرقيا انتهى قال ابن سعيد اما اصول الخط المشرقى وما تجد له فى القلب والعظ من القبول فمسلم له لكن خط الاندلس الذى رأيته فى مصاحف ابن غطوس الذى كان بشرق الاندلس وغيره من الخطوط المنسوبة عندهم له حسن فائق ورونق آخذ بالعقل وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد انتهى ونحو صدر كلام ابن غالب السابق مذكور فى رسالة لابن حزم وقال فيها ان اهل الاندلس صينيون فى اتقان الصنائع العملية واحكام المهن الصورية تركيون فى معاناة الحروب ومعالجات آلاتها والنظر فى مهماتها انتهى * وعد ابن غالب فى فضائلهم اختراعهم للموشحات التى استحسنها أهل المشرق وصاروا ينزعون منزعها وأما نظمهم ونثرهم فلا يخفى على من وقف عليهما علو طبقاتهم * ثم قال ابن غالب ولما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الاندلس بخروج أكثرهم عنها فى هذه الفتنة الاخيرة المبيرة تفرقوا ببلاد المغرب الاقصى من بر العدوة مع بلاد افريقية فاما اهل البادية فمالوا فى البوادى الى ما اعتادوه وداخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه وغرسوا الاشجار وأحدثوا الارحى الطاحنة بالماء وغير ذلك وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها فشرفت بلادهم وصلحت امورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات فهم أشبه الناس

(وأما ما ذكره) عن ابن عباس فهو خبر يتصل بخبر خالد بن سنان العبسى وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب خبر خالد بن سنان العبسى وانه ذكر انه كان فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وذكرنا خبره مع النار واطفائه لها (فلنذكر الآن خبر العنقاء) على حسب ما رووه فلا بد من اعادة خبر خالد لذكر العنقاء واتساع الخبرين ومخرج هذه الاخبار كلها عن ابن عفير حدث الحسن بن ابراهيم قال حدثنا محمد بن عبد الله المروزى قال حدثنا أسد بن سعيد بن كثير عن ابن عفير عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق طائرا فى الزمان الاوّل من أحسن الطير وجعل فيه من كل جنس قسطا وخلق وجهه على مثال وجوه الناس وكان فى أجنحته كل لون حسن من الريش وخلق له أربعة أجنحة من كل جانب منه وخلق له يدين فيهما مخالب وله منقار على صفة منقار العقاب غليظ الاصل وجعل له أنثى على مثاله وسماها بالعنقاء وأوحى الله تعالى الى موسى بن عمران انى خلقت طائرا عجيبا خلقته ذكرا وأنثى وجعلت رزقه

باليونانيين فيما ذكرت ولان اليونانيين سكنوا الاندلس فورثوا عنهم ذلك وأما أهل الحواضر فآلوا الى الحواضر واستوطنوها فاما أهل الادب فكان منهم الوزراء والكتاب والعمال وجباة الاموال والمستعملون فى أمور المملكة ولا يستعمل بلدى ما وجد أندلسى وأما أهل الصنائع فانهم فاقوا أهل البلاد وقطعوا معاشهم وأخملوا أعمالهم وصيروهم أتباعا لهم ومتصرفين بين أيديهم ومتى دخلوا فى شغل عملوه فى أقرب مدة وأفرغوا فيه من أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس اليهم ويصير الذكر لهم قال ولا يدفع هذا عنهم الا جاهل أو مبطل انتهى * وقال ابن سعيد لما ذكر جملة من محاسن الاندلسيين يعلم الله تعالى أنى ما أقصد الا انصاف المصنفين الذين لا يميل بهم التعصب ولا يجمع بهم الهوى ولكن الحق أحق ان يتبع فلعل مطلعا يقف على ما ذكره ابن غالب فيقول هذا الرجل تعصب لاهل بلده ثم يغمس التابع له والراضى بنقل قوله فى هذه الصيغة ويحمله على ذلك بعده عن الارضين

ولو أبصروا ليلى أقروا بحسنها * وقالوا بانى فى الثناء مقصر

ويكفى فى الانصاف أن أقول ان حضرة مراكش هى بغداد المغرب وهى أعظم ما فى بر العدوة وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها انما ظهرت فى مدة بنى عبد المؤمن وكانوا يجلبون لها صناع الاندلس من جزيرتهم وذلك مشهور معلوم الى الآن ومدينة تونس بافريقية قد انتقلت اليها السعادة التى كانت فى مراكش بسلطان افريقية الآن أبى زكريا يحيى ابن أبى محمد بن ابى حفص فصار فيها من المبانى والبساتين والكروم ما شابهت به بلاد الاندلس وعرفاء صناعه من الاندلس وتمائيله التى يبنى عليها وان كان أعرف خلق الله تعالى باختراع محاسن هذا الشأن فانما أكثرها من أوضاع الاندلسيين وله من خاطره تنبيهات وزيادة ظهر حسن موقعها ووجوه صنائع دولته لا تجدهم الا من الاندلس فصح قول ابن غالب انتهى * قال الحميدى أنشد بحضرة بعض ملوك الاندلس قطعة لبعض أهل المشرق وهى

وماذا عليهم لو أجابوا فسلموا * وقد علموا أنى المشوق المتيم
سروا ونجوم الليل زهر طوالع * على انهم بالليل للناس انجم
واخفوا على تلك المطايا مسيرهم * فنم عليهم فى الظلام التبسم

فأفرط بعض الحاضرين فى استحسانها وقال هذا ما لا يقدر اندلسى على مثله وبالحضرة ابو بكر يحيى بن هذيل فقال بديها

عرفت بعرف الريح أين تيمموا * وأين استقل الظاعنون وخيموا
خليلى ردانى الى جانب الحمى * فلست الى غير الحمى أتيمم
ابيت سمير الفرقدين كانما * وسادى قتاد أو ضجيعى أرقم
واحور وسنان الجفون كانه * قضيب من الريحان لدن منعم
نظرت الى اجفانه والى الهوى * فايقنت انى است منهن اسلم
كان ابراهيم اوّل نظرة * رأى فى الدرارى أنه سوف يسقم انتهى

ومن كلام ابن بسام صاحب الذخيرة فى جزيرة الاندلس اشراف عرب المشرق افتتحوها

فى وحش بيت المقدس وآنستك بهما ليكونا مما فضلت به بنى اسرائيل فلم يزالا يتناسلان حتى كثر نسلهما وأدخل الله موسى وبنى اسرائيل فى التيه فسكنوا فيه أربعين سنة حتى مات موسى وهرون فى التيه وجميع من كان مع موسى من بنى اسرائيل وكانوا ستمائة ألف وخلفهم نسلهم فى التيه ثم أخرجهم الله تعالى من التيه مع يوشع بن نون تلميذ موسى ووصيه فانتقل ذلك الطائر فوقع بنجد والحجاز فى بلاد قيس عيلان ولم يزل هنالك يأكل من الوحوش ويأكل الصبيان وغير ذلك من البهائم الى أن ظهر نبى من بنى عبس بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم يقال له خالد بن سنان فشكا اليه الناس ما كانت العنقاء تفعل بالصبيان فدعا الله عليهما فقطع نسلهما فبقيت صورتهما تحكى فى البسط وغير ذلك (وقد ذهب جماعة) من ذوى الدراية الى أن أقوال الناس فى أمثالهم عنقاء مغرب انما هو للامر العجيب النادر وقوعه وقولهم جاء فلان بعنقاء مغرب يريدون أنه جاء بأمر عجيب قال شاعرهم

وضجهم بالجيش عنقاء مغرب

والعنق السرعة قال ابن عباس وكان خالد بن سنان نبى بنى عبس بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حضرته الوفاة قال

وسادات اجناد الشام والعراق نزلوها فبقى النسل فيها بكل اقليم على عرق كريم فلا يكاد بلد منها يخلو من كاتب ماهر وشاعر قاهر وذكر ان ابا على البغدادى صاحب الامالى الوافد على الاندلس فى زمان بنى مروان قال لما وصلت القيروان وانا اعتبر من أمر به من اهل الامصار فاجدهم درجات فى العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم فى مواضعهم منها بالقرب والبعد كأن منازلهم من الطريق هى منازلهم من العلم محاصة ومقايسة قال ابو على وقلت ان نقص اهل الاندلس عن مقادير من رأيت فى افهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم فسأحتاج الى ترجمان فى هذه الاوطان قال ابن بسام فبلغنى انه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من اهل هذا الافق الاندلسى فى ذكائهم ويتغطى عنهم عند المباحثة والمناقشة ويقول لهم ان علمى علم رواية وليس علم دراية فخذوا عنى ما نقلت فلم آل لكم أن صححت هذا مع اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات والاخذ عن الثقات انتهى * ومن كلام الحجارى فى المسهب الاندلس عراق المغرب عزة انساب ورقة آداب واشتغالا بفنون العلوم وافتنانا فى المنثور والمنظوم لم تضق لهم فى ذلك ساحة ولا قصرت عنه راحة فما فيه بحر الاوفيه نجوم وبدور وشموس وهم اشعر الناس فيما كثره الله تعالى فى بلادهم وجعله نصب اعينهم من الاشجار والانهار والطيور والكؤس لا ينازعهم احد فى هذا الشان وابن خفاجة سابقهم فى هذا المضمار الحائز فيه قصب الرهان واما اذا هب نسيم ودار كاس فى كف ظبى رخيم ورجع بم وزير وصفق للماء خرير اورقت العشية وخلعت السحب ابرادها الفضية والذهبية او تبسم عن شعاع ثغر نهر او ترقرق بطل جفن زهر او خفق بارق او وصل طيف طارق او وعد حبيب فزار من الظلماء تحت جناح وبات مع من يهواه كالماء والراح الى أن ودع حين اقبل رائد الصباح اوازهرت دوحة السماء بزهر كواكبها او قوضت عند فيض نهر الصباح بيض مضاربها فاولئك هم السابقون السابقون الذين لا يجارون ولا يلحقون وليسوا بالمقصرين فى الوصف اذا تقعقعت السلاح وسالت خلجان الصوارم بين قضبان الرماح وبنت الحرب من العجاج سماء واطلعت شبه النجوم اسنة وأجرت شبه الشفق دماء وبالجملة فانهم فى جميع الاوصاف والتخيلات أئمة ومن وقف على اشعارهم فى هذا الشان فضلهم فيه على اصناف الامة وقد اعانتهم على الشعر انسابهم العربية وبقاعهم النضرة وهممهم الابية ولشطار الاندلس من النوادر والتنكيتات والتركيبات وانواع المضحكات ما تملأ الدواوين كثرته وتضحك الثكلى وتسلى المسلوب قصته مما لو سمعه الجاحظ لم يعظم عنده ما حكى ومار كب ولا استغرب أحد ما أورده ولا تعجب الا أن مؤلفى هذا الافق طمحت هممهم عن التصنيف فى هذا الشان فكاد يمر ضياعا فقمت محتسبا بالظرف فتداركته جامعا فيه ما أمسى شعاعا انتهى * وقد رأيت أن اذكر رسالة أبى محمد بن حزم الحافظ التى ذكر فيها بعض فضائل علماء الاندلس لاشتمالها على ما نحن بصدده وذلك انه كتب أبو على الحسن بن محمد بن أحمد ابن الربيب التميمى القيروانى الى أبى المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن حزم يذكر تقصير أهل الاندلس فى تخليد أخبار علمائهم ومآثر فضائلهم وسير ملوكهم ما صورته

لقومه اذا أنامت فادفنونى فى حقف من هذه الاحقاف وهى تلول عظام من الرمل واحرسوا قبرى أياما فاذا رأيتم حمارا أشهب أبتر يدور حول الحقف الذى فيه قبرى أياما فاجتمعوا ثم انبشوا قبرى وأخرجونى الى شفير القبر وأحضروا الى كاتبا ومعه ما يكتب فيه حتى أملى عليكم ما يكون وما يحدث الى يوم القيامة قال فرصدوا قبره واجتمعوا عليه لينبشوه كما أمرهم فحضر ولده وشهروا اسيوفهم وقالوا والله لاتركنا أحدا ينبشه أتريدون أن نعير بذلك غدا وتقول لنا العرب هؤلاء ولد المنبوش فانصرفوا عنه وتركوه قال ابن عباس ووردت ابنة له عجوز قد عمرت على النبى صلى الله عليه وسلم فتلقاها بالخير وأكرمها وأسلمت وقال لها مرحبا بابنة نبى ضيعه أهله قال شاعر بنى عبس

بنى خالد لو أنكم اذ حضرتم
نبشتم عن الميت المغيب فى القبر
لابقى عليكم آل عبس ذخيرة
من العلم لا تبلى على سالف الدهر

(وقد روى) عن ابن عفير أخبار كثيرة فى هذا المعنى واشباهه من فنون الاخبار من أخبار بنى اسرائيل وغيرها (منها) خبر خلق الخيل وهو ما حدث به الحسن بن ابراهيم الشعبى القاضى قالا حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله المروزى قال حدثنا أبو الحرث

كتبت ياسيدى وأجل عددى كتب الله تعالى لك السعادة وأدام لك العز والسيادة سائلا مسترشدا وباحثا مستخبرا وذلك انى ذكرت فى بلادكم اذ كانت قرارة كل فضل ومنهل كل خير ونبل ومصدر كل طرفة ومورد كل تحفة وغاية آمال الراغبين ونهاية أمانى الطالبين ان بارت تجارة فاليها تجلب وان كسدت بضاعة ففيها تنفق مع كثرة علمائها ووفور ادبائها وجلالة ملوكها ومحبتهم فى العلم وأهله يعظمون من عظمه علمه ويرفعون من رفعه أدبه وكذلك سيرتهم فى رجال الحرب يقدمون من قدمته شجاعته وعظمت فى الحروب نكايته فشجع الجبان واقدم الهيبان ونبه الخامل وعلم الجاهل ونطق العيى وشعر البكى واستنسر البغاث وتثعبن الحفاث فتنافس الناس فى العلوم وكثر الحذاق بجميع الفنون ثم هم مع ذلك فى غاية التقصير ونهاية التفريط من أجل ان علماء الامصار دونوا فضائل امصارهم وخلدوا فى الكتب مآثر بلادهم وأخبار الملوك والامراء والكتاب والوزراء والقضاة والعلماء فابقوا لهم ذكرا فى الغابرين يتجدد على مر الليالى والايام ولسان صدق فى الآخرين يتأكد مع تصرف الاعوام وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم كل امرئ منهم قائم فى ظله لا يبرح وراتب على كعبه لا يتزحزح يخاف ان صنف أن يعنف وان ألف أن يخالف ولا يؤالف أو تخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق لم يتعب أحد منهم نفسا فى جمع فضائل أهل بلده ولم يستعمل خاطره فى مفاخر ملوكه ولا بل قلما بمناقب كتابه ووزرائه ولا سود قرطاسا بمحاسن قضاته وعلمائه على انه لو أطلق ما عقل الاغفال من لسانه وبسط ما قبض الاهمال من بيانه لوجد للقول مساغا ولم تضق عليه المسالك ولم تحرج به المذاهب ولا اشتبهت عليه المصادر والموارد ولكن هم أحدهم ان يطلب شأو من تقدمه من العلماء ليحوز قصبات السبق ويفوز بقدح ابن مقبل ويأخذ بكظم دغفل ويصير شجا فى حلق أبى العميثل فاذا أدرك بغيته واخترمته منيته دفن معه أدبه وعلمه فمات ذكره وانقطع خبره ومن قدمنا ذكره من علماء الامصار احتالوا للبقاء ذكرهم احتيال الاكياس فالفوا دواوين بقى لهم بها ذكر مجدد طول الابد فان قلت انه كان مثل ذلك من علمائنا والفوا كتبا لكنها لم تصل الينا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق لانه ليس بيننا وبينكم غير روحة راكب او رحلة قارب لو نفث من بلدكم مصدور لاسمع من ببلدنا فى القبور فضلا عمن فى الدور والقصور وتلقوا قوله بالقبول كما تلقوا ديوان احمد بن عبد ربه الذى سماه بالعقد على انه يلحقه فيه بعض اللوم لاسيما اذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده ومناقب ملوكه يتيمة سلكه أكثر الحز وأخطأ المفصل وأطال الهز لسيف غير مصقل وقعد به ما قعد باصحابه من ترك ما يعنيهم واغفال ما يهمهم فارشد أخاك أرشدك الله واهده هداك الله ان كانت عندك فى ذلك الجلية وبيدك فصل القضية والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

* فكتب الوزير الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم عند وقوفه على هذه الرسالة ما نصه الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى أصحابه الاكرمين وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته الفاضلين الطيبين أمّا بعد يا أخى يا أبا بكر سلام عليك

أسد بن سعيد بن كثير بن عفير عن أبيه عن جده كثير عن أبيه عفير قال قال أخبرنى عكرمة مولى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما أراد أن يخلق الخيل أوحى الى الريح الجنوبى انى خالق منك خلقا فاجتمعت فأمر جبريل فأخذ منها ثم قال الله هذه قبضتى قال ثم خلق الله منها فرسا كميتا ثم قال الله خلقتك فرسا وجعلتك عربيا وفضلتك على سائر ما خلقته من البهائم لسعة الرزق والغنائم تقتاد على ظهرك والخير معقود بناصيتك ثم أرسله فصهل فقال باركت فيك بصهيلك أرعب المشركين وأملأ مسامعهم وأزلزل أقدامهم ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله آدم قال يا آدم أخبرنى أى الدابتين أحب اليك الفرس أو البراق قال وصورة البراق على صورة البغل لا ذكر ولا أنثى فقال يا رب اخترت أحسنهما وجها فاختار الفرس فقال الله يا آدم اخترت عزك وعز ولدك باقيا ما بقوا وخلدوا قال ابن عباس فذلك الوسم فيه وفى ولده الى يوم القيامة يعنى الغرة والتحجيل ولولا أن المصنف حاطب ليل يذكر كل نوع لما ذكرنا (قال المسعودى) رحمه الله وقد ذكر عيسى بن لهيعة المصرى فى كتابه المترجم بكتاب الحلائب والجلائب وذكره لكل

سلام أخ مشوق طالت بينه وبينك الاميال والفراسخ وكثرت الايام والليالى ثم لقيك فى حال سفر ونقلة ووادك فى خلال جولة ورحلة فلم يقض من محاورتك أربا ولا بلغ فى مجاورتك مطلبا وانى لما احتللت بك وجالت يدى فى مكنون كتبك ومضمون دواوينك لمحت عينى فى تضاعيفها درجا فاذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصاقبنا فى الدار أهل افريقية ثم ممن ضمته حاضرة قيروانهم الى رجل اندلسى لم يعينه باسمه ولا ذكره بنسبه يذكر له فيها ان علماء بلدنا بالاندلس وان كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم وفى الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف فان هممهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلادهم ومكارم ملوكهم ومحاسن فقهائهم ومناقب قضاتهم ومفاخر كتابهم وفضائل علمائهم ثم تعدى ذلك الى أن أخلى أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تأليف يحيى ذكرهم ويبقى علمهم بل قطع على أن كل واحد منهم قد مات فدفن علمه معه وحقق ظنه فى ذلك واستدل على صحته عند نفسه بان شيئا من هذه التآليف لو كان منا موجودا لكان اليهم منقولا وعندهم ظاهرا لقرب المزار وكثرة السفار وترددهم اليهم وتكررهم علينا ثم لما ضمنا المجلس الحافل باصناف الآداب والمشهد الآهل بانواع العلوم والقصر المعمور بانواع الفضائل والمنزل المحفوف بكل لطيفة وسيعة من دقيق المعانى وجليل المعالى قرارة المجد ومحل السودد ومحط رحال الخائفين وملقى عصا التسيار عند الرئيس الاجل الشريف قديمه وحسبه الرفيع حديثه ومكسبه الذى أجله عن كل خطة يشركه فيها من لا توازى قومته نومته ولا ينال حضره هويناه وأربى به عن كل مرتبة يلحقه فيها من لا يسمو الى المكارم سموه ولا يدنو من المعالى دنوه ولا يعلو فى حميد الخلال علوه بل اكتفى من مدحه باسمه المشهور واجتزى من الاطالة فى تقريظه بمنتماه المذكور فحسبى بذينك العلمين دليلا على سعيه المشكور وفضله المشهور أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم صاحب البونت أطال الله بقاءه وأدام اعتلاءه ولا أعطل الحامدين من تحليهم بحلاه ولا أخلى الايام من تزينها بعلاه فرأيته أعزه الله تعالى حريصا على أن يجاوب هذا المخاطب وراغبا فى أن يبين له ما لعله قد رآه فنسى أو بعد عنه فخفى فتناولت الجواب المذكور بعد أن بلغنى ان ذلك المخاطب قد مات رحمنا الله تعالى واياه فلم يكن لقصده بالجواب معنى وقد صارت المقابر له مغنى فلسنا بمسمعين من فى القبور فصرفت عنان الخطاب اليك اذ من قبلك صرت الى الكتاب المجاوب عنه ومن لدنك وصلت الى الرسالة المعارضة وفى وصول كتابى على هذه الهيئة حيثما وصل كفاية لمن غاب عنه من اخبار تآليف اهل بلدنا مثل ما غاب عن هذا الباحث الاول ولله الامر من قبل ومن بعد وان كنت فى اخبارى اياك بما ارسمه فى كتابى هذا كمهدى الى البركان نار الحباحب وبانى رضوى فى مهيع القصد اللاحب فانك وان كنت المقصود والمواجه فانما المراد من أهل تلك الناحية من نأى عنه علم ما استجلبه السائل الماضى وما توفيقى الا بالله سبحانه فاما مآثر بلدنا فقد ألف فى ذلك أحمد بن محمد الرازى التاريخى كتبا جمة منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الاندلس ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها الستة وخواص كل بلد منها وما فيه مما ليس فى غيره وهو كتاب مريح

حسنة أجريت فيها الخيل فى الجاهلية والاسلام ان سليمان بن داود زود أناسا من الازد فرسا يصيدون عليه فسمى زاد الراكب وكذلك ذكر ابن دريد فى كتاب الخيل وغيره (وللناس فى الخيل) أخبار عظيمة كثيرة قد أتينا على ذكرها فى السالف من كتبنا (وقد ذهبت) طائفة الى أن الاخبار التى تقطع العذر وتوجب العلم والعمل هى أخبار الاستفاضة ما رواه الكافة عن الكافة وأن ما عدا ذلك فغير واجب قبوله (وذهب الجمهور) من فقهاء الامصار الى قبول خبر الاستفاضة وهو خبر التواتر وأنه يوجب العلم والعمل وأوجبوا العمل بخبر الواحد وزعموا أنه موجب العمل دون العلم باوصاف ذكروها (ومن الناس) من ذهب الى غير هذه الوجوه فى فنون الاخبار من الضرورة وغيرها وما ذكرنا من حديث النسناس والعنقاء وخلق الخيل فغير داخل فى أخبار التواتر الموجبة للعمل واللاحقة بما أوجب العمل دون العلم ولا بالاخبار المضطرة اسامعها الى قبولها عند ورودها واعتقاد صحتها عن مخبرها وهذا النوع من الاخبار قد قدمنا فى خبر الجائز الممكن الذى ليس بواجب أنه لاحق بالاسرائيليات من الاخبار والاعجاز عن عجائب البحار ولولا ما قدمنا آنفا

مليح وأنا أقول لو لم يكن لاندلسنا الا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر به ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الاسرة في الحديث الذي رويناه من طريق أبي حمزة أنس بن مالك أن خالته أم حرام بنت ملحان زوج أبي الوليد عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين حدثته عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أخبرها بذلك لكفى شرفا بذلك يسر عاجله و يغبط آجله فان قال قائل لعله صلوات الله تعالى عليه اغا عنى بذلك الحديث أهل صقلية واقريطش وما الدليل على ما ادعيته من انه صلى الله عليه وسلم عنى الاندلس حتما ومثل هذا من التأويل لا يتساهل فيه ذوورع دون برهان واضح وبيان لائح لا يحتمل التوجيه ولا يقبل التجريح فالجواب وبالله التوفيق انه صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب وأمر بالبيان لما أوحي اليه وقد أخبر في ذلك الحديث المتصل سنده بالعدول عن العدول بطائفتين من أمته يركبون ثبج البحر غزاة واحدة بعد واحدة فسألته أم حرام أن يدعو ربه تعالى أن يجعلها منهم فأخبرها صلى الله عليه وسلم وخبره الحق بانها من الاولين وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وهو اخباره بالشئ قبل كونه وصح البرهان على رسالته بذلك وكانت من الغزاة الى قبرس وخرت عن بغلتها هنالك فتوفيت رحمها الله تعالى وهي أول غزاة ركب فيها المسلمون البحر فثبت يقينا ان الغزاة الى قبرس هم الاولون الذين بشر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت ام حرام منهم كما أخبر صلوات الله تعالى وسلامه عليه ولا سبيل ان يظن به وقد اوتي ما أوتي من البلاغة والبيان أنه يذكر طائفتين قد سمى احداهما اولى الا والتالية لها ثانية فهذا من باب الاضافة وتركيب العدد وهذا مقتضى طبيعة صناعة المنطق اذ لا تكون الاولى اولى الا الثانية ولا الثانية ثانية الا الاولى فلا سبيل الى ذكر ثالث الا بعد ثان ضرورة وهو صلى الله عليه وسلم انما ذكر طائفتين و بشر بفئتين وسمى احداهما الاولين فاقتضى ذلك بالقضاء الصدق آخرين والآخر من الاول هو الثاني الذي أخبر صلى الله عليه وسلم انه خير القرون بعد قرنه واولى القرون بكل فضل بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه خير من كل قرن بعده ثم ركب البحر بعد ذلك ايام سليمان بن عبد الملك الى القسطنطينية وكان الامير بها في تلك السفن هبيرة الفزاري واما صقلية فانها افتحت صدر ايام الاغالبة سنة ٢١٢ ايام قاد اليها السفن غازيا أسد بن الفرات الغازي صاحب أبي يوسف رحمه الله تعالى وبهامات وأما اقريطش فانها افتحت بعد الثلاث والمائتين افتتحها أبو حفص عمر بن شعيب المعروف بابن الغليظ من أهل قرية بطروج من عمل فحص البلوط المجاور لقرطبة من بلاد الاندلس وكان من فل الربضيين وتداولها بنوه بعده الى ان كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذي غنمها في أيام أرمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة ٣٥٠ وكان أكثر المفتتحين لها اهل الاندلس وأما في قسم الاقاليم فان قرطبة مسقط رؤسنا ومعلق تمائمنا مع سر من رأى في اقليم واحد فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه اقليمنا وان كانت الانوار لا تأتينا الا مغربة عن مطالعها على الجزء المعمور وذلك عند المحسنين للاحكام التي تدل عليها الكواكب ناقص من قوى دلائلها فلها من ذلك على كل حال حظ يفوق حظ أكثر البلاد بارتفاع أحد النيرين بها

من اشتراطنا على أنفسنا الاختصار والايجاز لذكرنا ما اتصل بهذا المعنى من الاخبار مما رواه أصحاب الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم حملة السنن ونقلة الآثار مما لا ينكرونه ويعرفونه ولا يدفعونه مع حديث القرد الذي كان في السفينة في عهد بني اسرائيل مع رجل كان يبيع الخمر لاهل السفينة ويشوب الخمر بالماء وأنه جمع من ذلك دراهم كثيرة وان القرد قبض على الكيس الذي كانت فيه الدراهم وصعد على الدورو هو صارى المركب ويدعى بالعراق الدقل فحل الكيس ولم يزل يرمي درهما الى الماء ودرهما الى السفينة حتى قسم ذلك نصفين ومثل ما روى الشعبي عن فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك قد رواه عن فاطمة بنت قيس عدة من الصحابة وهو خبر تميم الداري ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عنه أنه أخبره أنه ركب البحر في جماعة من بني عمه في سفينة فاضل بهم البحر وألقاهم الى جزيرة فنظروا الى دابة عظيمة قد نشرت شعرها فقالوا لها أيتها الدابة ما أنت فقالت أنا الجساسة التي أخرج آخر الزمان وذكروا عنها كلاما غير هذا وأنها قالت عليكم بصاحب القصر فمضروا فاذاهم بقصر من حاله ووصفه كذا واذاهم برجل

تسعين درجة وذلك من أدلة التمكن فى العلوم والنفاذ فيها عند من ذكرنا وقد صدق ذلك الخبر وأبانته التجربة فكان أهلها من التمكن فى علوم القرا آت والروايات وحفظ كثير من الفقه والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم بمكان رحب الفناء واسع العطن متنائى الاقطار فسيح المجال والذى نعاه علينا الكاتب المذكور لو كان كما ذكر لكان فيه شركاء لاكثر أمهات الحواضر وجلائل البلاد ومتسعات الاعمال فهذه القيروان بلد المخاطب لنا ما أذكر أنى رأيت فى أخبارها تأليفا غير المعرب عن أخبار المغرب وحاشى تآليف محمد بن يوسف الوراق فانه ألف للمستنصر رحمه الله تعالى فى مسالك افريقية وممالكها ديوانا ضخما وفى أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم كتبا جمة وكذلك ألف أيضا فى اخبار تيهرت ووهران وتونس وسجلماسة ونكور والبصرة وغيرها تآليف حسانا ومحمد هذا أندلسى الاصل والفرع آباؤه من وادى الحجارة ومدفنه بقرطبة وهجرته اليها وان كانت نشأته بالقيروان ولابد من اقامة الدليل على ما أشرت اليه هنا اذ مرادنا ان نأتى منه بالمطلوب فيما يستأنف ان شاء الله تعالى وذلك ان جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين والباقين دون محاشاة احد بل قد تيقنا اجماعهم على ذلك متفقون على ان ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التى استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها الى ان مات فان ذكروا الكوفيين من الصحابة رضى الله تعالى عنهم صدّروا بعلى وابن مسعود وحذيفة رضى الله تعالى عنهم وانما سكن على الكوفة خمسة اعوام واشهرا وقد بقى ٥٨ عاما واشهرا بمكة والمدينة شرفهما الله تعالى وكذلك ايضا اكثر عمار من ذكرنا وان ذكروا البصريين بدؤا بعمران ابن حصين وانس بن مالك وهشام بن عامر وابى بكرة وهؤلاء مواليدهم وعامة زمن اكثرهم واكثر مقامهم بالحجاز وتهامة والطائف وجمهرة اعمارهم خلت هنالك وان ذكروا الشاميين نوّهوا بعبادة بن الصامت وابى الدرداء وابى عبيدة بن الجرّاح ومعاذ ومعاوية والامر فى هؤلاء كالامر فيمن قبلهم وكذلك فى المصريين بعمرو بن العاص وخارجة بن حذافة العدوى وفى المكيين عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير والحكم فى هؤلاء كالحكم فيمن قصصنا فيمن هاجر الينا من سائر البلاد فنحن أحق به وهو منا بحكم جميع أولى الامر منا الذين اجماعهم فرض اتباعه وخلافه محرم اقترافه ومن هاجر منا الى غيرنا فلا حظ لنا فيه والمكان الذى اختاره أسعد به فكما لا ندع اسمعيل بن القاسم فكذلك لا ننازع فى محمد بن هانئ سوانا والعدل أولى ما حرص عليه والنصف أفضل ما دعى اليه وبعد التحصيل الذى ليس هذا موضعه وعلى ما ذكرنا من الانصاف تراضى الكل وهذه بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة والمحلة التى سبق أهلها الى حمل ألوية المعارف والتدقيق فى تصريف العلوم ورقة الاخلاق والنباهة والذكاء وحدّة الافكار ونفاذ الخواطر وهذه البصرة وهى عين المعمور فى كل ما ذكرنا وما أعلم فى أخبار بغداد تأليفا غير كتاب أحمد بن أبى طاهر وأما سائر التواريخ التى ألفها أهلها فلم يخصوا بلدتهم بها دون سائر البلاد ولا أعلم فى أخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبة وكتاب لرجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب الى أبى سفيان فى خطط البصرة وقطائعها وكتابين لرجلين من أهلها يسمى أحدهما عبد القاهر كريزى النسب وصفاها

بالحديد والقيود مسلسل الى عمود من حديد وصفة وجهه كذا وأنه خاطبهم وساءلهم وأنه الدجال وأنه أخبرهم بجمل الملاحم وأنه لا يدخل مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما ذكر فى هذا الحديث وغيره مما ورد من الاخبار فى معناه وهذا باب كبير يتسع وصفه ويعظم شرحه (ثم رجع بنا القول) الى ما كنا فيه آنفا من ذكر أرباع العالم والطبائع وما اتصل بهذا المعنى وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الكلام فى الطبائع وغيرها مما ينبه على عظم هذا الكتاب ومبسوطه وقد زعم جماعة ممن تقدم وتأخر من الاطباء ومصنفى الكتب فى الطبيعيات وغيرها أن للطعام ثلاث انهضامات أما الاول فهى المعدة تهضم الطعام فتأخذ قوته فيصير مثل ماء الكشك ثم تدفعه الى الكبد فى العروق الى جميع الجسد كاندفاع الماء من النهر الى السواقى والمشارب فتهضمه باعضاء الجسد البالية فتصيره الى شبهها اللحم لحما والشحم شحما وكذلك العروق والعصب وما سوى ذلك وأن أقدارها اذا استوت استوت أقدار القوى واذا استوت القوى استوى الجسد واعتدل ويصح باذن الله تعالى وأن الزمان أربعة فصول الصيف والخريف والشتاء والربيع فبالصيف تقوى

وذكرا أسواقها ومحالها وشوارعها ولا أعلم فى أخبار الكوفة غير كتاب عمر بن شبة وأما الجبال وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والسند والرى وارمينية واذربيجان وتلك الممالك الكثيرة الضخمة فلا أعلم فى شئ منها تاليفا قصد به أخبار ملوك تلك النواحى وعلمائها وشعرائها وأطبائها ولقد تاقت النفوس الى أن يتصل بها تاليف فى أخبار فقهاء بغداد وما علمناه علم على انهم العلية الرؤساء والاكابر العظماء ولو كان فى شئ من ذلك تاليف لكان الحكم فى الاغلب أن يبلغنا كما بلغ سائر تآليفهم وكما بلغنا كتاب حمزة بن الحسن الاصبهانى فى أخبار أصبهان وكتاب الموصلى وغيره فى أخبار مصر وكما بلغنا سائر تآليفهم فى أنحاء العلوم وقد بلغنا تاليف القاضى أبى العباس محمد بن عبدون القيروانى فى الشروط واعتراضه على الشافعى رحمه الله تعالى وكذلك بلغنا رد القاضى احمد بن طالب التميمى على أبى حنيفة وتشنيعه على الشافعى وكتب ابن عبدوس ومحمد بن سحنون وغير ذلك من خوامل تآليفهم دون مشهورها وأما جهتنا فالحكم فى ذلك ما جرى به المثل السائر أزهد الناس فى عالم اهله وقرأت فى الانجيل ان عيسى عليه السلام قال لا يفقد النبى حرمته الا فى بلده وقد تيقنا ذلك بما لقى النبى صلى الله عليه وسلم من قريش وهم أوفر الناس احلاما واصحهم عقولا واشدهم تثبتا مع ما خصوا به من سكناهم افضل البقاع وتغذيتهم باكرم المياه حتى خص الله تعالى الاوس والخزرج بالفضيلة التى ابانهم بها عن جميع الناس والله يؤتى فضله من يشاء ولا سيما اندلسنا فانها خصت من حسد اهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم واستقلالهم كثير ما ياتى به واستهجانهم حسناته وتتبعهم سقطاته وعثراته واكثر ذلك مدة حياته باضعاف ما فى سائر البلاد ان اجاد قالوا سارق مغير ومنتحل مدع وان توسط قالوا غث بارد وضعيف ساقط وان باكر الحيازة لقصب السبق قالوا متى كان هذا ومتى تعلم وفى اى زمان قرأ ولامه الهبل وبعد ذلك ان ولجت به الاقدار احد طريقين اما شفوفا بائنا يعليه على نظرائه او سلوكا فى غير السبيل التى عهدوها فهنالك حمى الوطيس على البائس وصار غرضا للاقوال وهدفا للمطالب ونصبا للتسبب اليه ونهبا للالسنة وعرضة للتطرق الى عرضه وربما نحل ما لم يقل وطوق ما لم يتقلد والحق به ما لم يفه به ولا اعتقده قلبه وبالحرا وهو السابق المبرز ان لم يتعلق من السلطان بحظ أن لا يسلم من المتالف وينجو من المخالف فان تعرض لتاليف غمز ولمز وتعرض وهمز واشتط عليه وعظم يسير خطبه واستشنع هين سقطه وذهبت محاسنه وسترت فضائله وهتف ونودى بما أغفل فتنكسر لذلك همته وتكل نفسه وتبرد حميته وهذا عندنا نصيب من ابتدأ يحوك شعرا أو يعمل رسالة فانه لا يفلت من هذه الحبائل ولا يتخلص من هذه النصب الا الناهض الفائت والمطفف المستولى على الامد وعلى ذلك فقد جمع ما ظنه الظان غير مجموع وألفت عندنا تآليف فى غاية الحسن لنا خطر السبق فى بعضها فمنها كتاب الهداية لعيسى بن دينار وهى أرفع كتب جمعت فى معناها على مذهب مالك وابن القاسم وأجمعها للمعانى الفقهية على المذهب فمنها كتاب الصلاة وكتاب البيوع وكتاب الجدار فى الاقضية وكتاب النكاح والطلاق ومن الكتب المالكية التى ألفت بالاندلس كتاب القصى مالك بن على

المرة الصفراء و يكثر اهتياجها والخريف يقوى السوداء والشتاء يقوى البلغم والربيع يقوى الدم ثم ينقسم عمر الانسان أربعة أقسام الصبا وفيه تقوى الصفراء والفتوة وفيه يقوى الدم والكهولة وفيه تقوى السوداء والشيخوخة وفيه يقوى البلغم وأن البلدان أيضا تنقسم على أربعة أقسام ٣ المشرق وطبيعته الحرارة والرطوبة وفيه يقوى الدم والجنوب وطبيعته البرد والرطوبة وفيه تقوى المرة الصفراء وأن بنية الاصول من الجسد ربما كانت مستوية معتدلة الاخلاط وربما كان أحد الاخلاط أغلب فى البنية فتظهر قوته باعلامه حتى يكون مقوما لذلك الخلط اذا هاج (وقد قال أبقراط) ينبغى أن يكون كل شئ فى هذا العالم مقدرا على سبعة أجزاء فالنجوم سبعة والاقاليم سبعة وأسنان الناس سبعة أولها طفل ثم صبى الى أربع عشرة سنة ثم غلام الى احدى وعشرين سنة ثم شاب ما دام يشب ويقبل الزيادة الى خمس وثلاثين سنة ثم كهل الى الاربعين ثم شيخ الى سبع وأربعين سنة ثم هرم الى آخر العمر وجميع تغير أحوال الحيوان من الناطقين وغيرهم فن الهواء يكون ذلك وقد قال الحكيم أبقراط ان تغير حالات الهواء هو وهو

وهو رجل قرشي من بني فهر لقي أصحاب مالك وأصحاب أصحابه وهو كتاب حسن فيه غرائب ومستحسنات من الرسائل المولدات ومنها كتاب أبي أسحق ابراهيم بن مزين في تفسير الموطا والكتب المستقصية لمعاني الموطا وتوصيل مقطوعاته من تآليف ابن مزين أيضا وكتابه في رجال الموطا وما لمالك عن كل واحد منهم من الآثار في موطئه وفي تفسير القرآن كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد فهو الكتاب الذي أقطع قطعا لا أستثني فيه انه لم يؤلف في الاسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره ومنها في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبه على أسماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم فروى فيه عن ألف وثلثمائة صاحب ونيف ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الاحكام فهو مصنف ومسند وما أعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله في الحديث وجودة شيوخه فانه روى عن مائتي رجل و ٨٤ رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم أعلام مشاهير ومنها مصنفه في فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم الذي أربى فيه على مصنف أبي بكر بن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق بن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرها وانتظم علما عظيما لم يقع في شئ من هذه فصارت تآليف هذا الامام الفاضل قواعد الاسلام لا نظير لها وكان متخيرا لا يقلد أحدا وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه ومنها في أحكام القرآن كتاب ابن أمية الحجاري وكان شافعي المذهب بصيرا بالكلام على اختياره وكتاب القاضي أبي الحكم منذر بن سعيد وكان داودي المذهب قويا على الانتصار له وكلاهما في أحكام القرآن غاية ولمنذر مصنفات منها كتاب الابانة عن حقائق أصول الديانة ومنها في الحديث مصنف أبي محمد قاسم بن اصبغ بن يوسف بن ناصح ومصنف محمد بن عبد الملك بن ايمن وهما مصنفان رفيعان احتويا من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس في كثير من المصنفات ولقاسم بن اصبغ هذا تآليف حسان جدا منها احكام القرآن على ابواب كتاب اسمعيل وكلامه ومنها كتاب المجتبى على ابواب كتاب ابن الجارود المنتقى وهو خير منه وانقى حديثا وأعلى سندا وأكثر فائدة ومنها كتاب في فضائل قريش وكنانة وكتابه في الناسخ والمنسوخ وكتاب غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطا ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبي عمر يوسف بن عبد البر وهو الآن بعد في الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة وهو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلا فكيف أحسن منه ومنها كتاب الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور ولصاحبنا أبي عمر بن عبد البر المذكور كتب لا مثل لها منها كتابه المسمى بالكافي في الفقه على مذهب مالك وأصحابه خمسة عشر كتابا اقتصر فيه على ما بالمفتي الحاجة اليه وبوّبه وقربه فصار مغنيا عن التصنيفات الطوال في معناه ومنها كتابه في الصحابة ليس لاحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا في ذلك ومنها كتاب الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء والحجة لكل واحد منهما ومنها كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس مما يجري في المذاكرات من غرر الابيات ونوادر الحكايات ومنها كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته ومنها كتاب شيخنا القاضي أبي الوليد عبد الله بن محمد بن

الذى يغير حالات الناس مرة الى الغضب ومرة الى السكون الى الهم والسرور وغير ذلك واذا استوت حالات الهواء استوت حالات الناس وأخلاقهم وقال ان قوى النفس تابعة لمزاجات الابدان ومزاجات الابدان تابعة لتصرف الهواء اذا برد مرة وسخن أخرى خرج الزرع نضيجا ومرة غير نضيج ومرة قليلا ومرة كثيرا ومرة حارا ومرة باردا فتتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم واذا اعتدل الهواء واستوى خرج الزرع معتدلا فاعتدل بذلك الصور والمزاجات (فاما علة) تشابه صور الترك فانه لما استوى هواء بلادهم في البرد استوت صورهم وتشابهوا وكذلك أهل مصر لما استوت أهواؤهم تشابهت صورهم ولما كان الغالب على هواء الترك البرد وعجزت الحرارة عن تنشيف رطوبات أبدانهم كثرت شحومهم ولانت أبدانهم وتشبهوا بالنساء في كثير من أخلاقهم فضعفت شهوة الجماع فيهم وقل ولدهم لبرد مزاجهم والرطوبة الغالبة عليهم وقد يكون ضعف الشهوة أيضا لكثرة ركوب الخيل وكذلك نساؤهم لما سمنت أبدانهن ورطبت ضعفت أرحامهن عن جذب الزرع اليها (وأما حمرة ألوانهم) فللبرد كما ذكرنا لان البياض اذا ألحت عليه البرودة صار الى الحمرة وبيان ذلك أن

يوسف بن الفرضى فى المختلف والمؤتلف فى أسماء الرجال ولم يبلغ عبد الغنى الحافظ البصرى فى ذلك الا كتابين وبلغ أبو الوليد رحمه الله تعالى نحو الثلاثين لا أعلم مثله فى فنه البتة ومنها تاريخ أحمد بن سعيد ماوضع فى الرجال أحد مثله الا ما بلغنا من تاريخ محمد بن موسى العقيلى البغدادى ولم أره وأحمد بن سعيد هو المتقدم فى التاليف القائم فى ذلك ومنها كتب محمد بن يحيى بن مفرج القاضى وهى كثيرة منها أسفار سبعة جمع فيها فقه الحسن البصرى وكتب كثيرة جمع فيها فقه الزهرى ومما يتعلق بذلك شرح الحديث لعامر بن خلف السرقسطى فاشاه أبو عبيد الا بتقدم العصر فقط ومنها فى الفقه الواضحة والمالكيون لا تمانع بينهم فى فضلها واستحسانهم اياها ومنها المستخرجة من الاسمعة وهى المعروفة بالعتبية ولها عند أهل افريقية القدر العالى والطيران الحثيث والكتاب الذى جمعه أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن هشام الاشبيلى المعروف بابن المكوى والقرشى أبو مروان المعيطى فى جمع أقاويل مالك كلها على نحو الكتاب الباهر الذى جمع فيه القاضى أبو بكر محمد بن أحمد بن الحداد البصرى أقاويل الشافعى كلها ومنها كتاب المنتخب الذى ألفه القاضى محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة وما رأيت لمالكى قط كتابا أنبل منه فى جمع روايات المذهب وشرح مستغلقها وتفريع وجوهها وتاليف قاسم بن محمد المعروف بصاحب الوثائق وكلها حسن فى معناه وكان شافعى المذهب نظارا جاريا فى ميدان البغداديين ومنها فى اللغة الكتاب البارع الذى ألفه اسمعيل بن القاسم يحتوى على لغة وكتابه فى المقصور والممدود والمهموز لم يؤلف مثله فى بابه وكتاب الافعال لمحمد بن عامر العزى المعروف بابن القوطية بزيادات ابن طريف مولى العبيديين فلم يوضع فى فنه مثله وكتاب جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التيانى فى اللغة لم يؤلف مثله اختصارا واوا كثارا وثقة نقل وهو أظن فى الحياة بعد وههنا قصة لا ينبغى أن تخلو رسالتنا عنها وهى ان أبا الوليد عبد الله ابن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضى حدثنى أن أبا الجيش مجاهدا صاحب الجزائر ودانية وجه الى أبى غالب أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكن بها ألف دينار اندلسية على ان يزيد فى ترجمة الكتاب المذكور مما ألفه تمام بن غالب لابى الجيش مجاهد فرد الدنانير وابى من ذلك ولم يفتح فى هذا بابا البتة وقال والله لو بذل لى الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب لانى لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها ومنها كتاب أحمد بن ابان بن سيد فى اللغة المعروف بكتاب العالم نحو مائة سفر على الاجناس فى غاية الايعاب بدأ بالفلك وختم بالذرة وكتاب النوادر لابى على اسمعيل بن القاسم وهو مبار لكتاب الكامل لابى العباس المبرد ولعمرى لئن كان كتاب أبى العباس أكثر نحوا وخبرا فان كتاب أبى على لاكثر لغة وشعرا وكتاب الفصوص لصاعد بن الحسن الربعى وهو جار فى مضمار الكتابين المذكورين ومن الانحاء تفسير الحوفى لكتاب الكسائى حسن فى معناه وكتاب ابن سيده فى ذلك المنبوز بالعالم والمتعلم وشرح له لكتاب الاخفش ومما ألف فى الشعر كتاب عبادة بن ماء السماء فى أخبار شعراء الاندلس كتاب حسن وكتاب الحدائق لابى عمر

أطراف الاصابع والشفة والانف اذا أصابها برد شديد احمرت (وذكر الحكيم أبقراط) أن فى بعض البلدان من الجنوب بلدة كثيرة الامطار كثيرة النبات والعشب وأن أشجارها ذاهبة فى الهواء ومياهها عذبة ودوابها عظيمة وهى مخصبة لان تلك البلاد بلاد لم يلحقها حر الشمس ولم يلحقها يبس البرد فاجسام أهلها عظيمة وصورهم جميلة وأخلاقهم كريمة فهم فى صورهم وقاماتهم واعتدال طبائعهم يشبهون باعتدال زمان الربيع غير أنهم أصحاب دعة لا يحتملون الشدائد والكد وقال أبقراط فى معنى ما وصفنا واليه قصدنا من بيان الاهوية وتاثيرها فى الحيوان والنبات ان الروح المطبوعة فيها هى التى تجذب الهواء الينا وان الرياح تقلب الحيوان من حال الى حال ومن حر الى برد ومن يبس الى رطوبة ومن سرور الى حزن وكما تغيرها فى البيوت من بدن أو عسل أو فضة أو شراب أو سمن فتسخنها مرة وتبردها أخرى وعلة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها واذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شئ فمن تقدم وعرف أحوال الازمنة وتغيرها والدلائل التى فيها عرف السبب الاعظم من أسباب العالم وتقدم فى صحة الابدان (وقال أيضا) ان الجنوب اذا هبت اذابت الهواء وبردته وسخنت البحار

احمد

أحمد بن فرج عارض به كتاب الزهرة لابى محمد بن داود رحمه الله تعالى الا ان أبابكر انما أدخل مائة باب فى كل باب مائة بيت وأبو عمر أورد مائتى باب فى كل باب مائة بيت ليس منها باب تكرر اسمه لابى بكر ولم يورد فيه لغير أندلسى شيأ وأحسن الاختيار ما شاء وأجاد فبلغ الغاية وأتى الكتاب فردا فى معناه ومنها كتاب التشبيهات من أشعار أهل الاندلس جمعه أبو الحسن على بن محمد بن أبى الحسن الكاتب وهو حى بعد ومما يتعلق بذلك شرح أبى القاسم ابراهيم بن محمد الافليلى لشعر المتنبى وهو حسن جدا ومن الاخبار تواريخ أحمد بن محمد بن موسى الرازى فى أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم وذلك كثير جدا وكتاب له فى صفة قرطبة وخططها ومنازل الاعيان بها على نحو ما بدأ به ابن أبى طاهر فى أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبى جعفر المنصور بها وتواريخ متفرقة رايت منها أخبار عمر بن حفصون القائم برية ووقائعه وسيره وحروبه وتاريخ آخر فى أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقى القائم بالجوف وفى أخبار بنى قيس والتجيبيين وبنى الطويل والثغر وقد رايت من ذلك كتبا مصنفة فى غاية الحسن وكتاب بجزأين فى اجزاء كثيرة فى اخبار ريه وحصونها وحروبها وفقهائها وشعرائها تاليف اسحق بن سلمة ابن اسحق الليثى وكتاب محمد بن الحرث الخشنى فى اخبار القضاة بقرطبة وسائر بلاد الاندلس وكتاب فى اخبار الفقهاء بها وكتاب لاحمد بن محمد بن موسى فى انساب مشاهير اهل الاندلس فى خمسة اسفار ضخمة من احسن كتاب فى الانساب واوسعها وكتاب قاسم ابن اصبغ فى الانساب فى غاية الحسن والايعاب والايجاز وكتابه فى فضائل بنى امية وكان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر امره وانتشر ذكره ومنها كتب مؤلفة فى اصحاب المعاقل والاجناد الستة بالاندلس ومنها كتب كثيرة جمعت فيها اخبار شعراء الاندلس للمستنصر رحمه الله تعالى رايت منها اخبار شعراء البيرة فى نحو عشرة اجزاء ومنها كتاب الطوالع فى انساب اهل الاندلس ومنها كتاب التاريخ الكبير فى اخبار اهل الاندلس تاليف ابى مروان بن حيان نحو عشرة اسفار من اجل كتاب الف فى هذا المعنى وهو فى الحياة بعد لم يتجاوز الاكتهال وكتاب المآثر العامرية لحسين بن عاصم فى سير ابن ابى عامر واخباره وكتاب الافشين محمد بن عاصم النحوى فى طبقات الكتاب بالاندلس وكتاب سكن بن سعيد فى ذلك وكتاب احمد بن فرج فى المنتزين والقائمين بالاندلس واخبارهم وكتاب اخبار اطباء الاندلس لسليمان بن جلجل واما الطب فكتب الوزير يحيى بن اسحق وهى كتب حسان رفيعة وكتب محمد بن الحسن المذحجى استاذنا رحمه الله تعالى وهو المعروف بابن الكتانى وهى كتب رفيعة حسان وكتب التصريف لابى القاسم خلف بن عباس الزهراوى وقد ادركناه وشاهدناه ولئن قلنا انه لم يؤلف فى الطب اجمع منه ولا احسن للقول والعمل فى الطبائع لنصدقن وكتب ابن الهيثم فى الخواص والسموم والعقاقير من اجل الكتب وانفعها واما الفلسفة فانى رايت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطى المعروف بالحمار دالة على تمكنه من هذه الصناعة واما رسائل استاذنا ابى عبد الله محمد بن الحسن المذحجى فى ذلك فمشهورة متداولة وتامة

والانهار وكل شئ فيه رطوبة وتغير لون كل ذى رطب وحالاته وهى ترخى الابدان والعصب وتورث الكسل وتحدث ثقلا فى السماع وغشاوة فى البصر لانها تحلل المرة وتنزل الرطوبة الى أصل العصب الذى يكون فيه الحس وأما الشمال فانها تطيب الابدان وتصح الادمغة وتحسن اللون وتصفى الحواس وتقوى الشهية والحركة غير أنها تحرك السعال ووجع الصدر (وقد) زعم بعض من تاخر فى الاسلام من الحكماء أن الجنوب اذا هبت بارض العراق تغير الورد وتناثر الورق وسخن الماء واسترخت الابدان وتكدر الهواء قال وذلك شبه ما قال أبقراط ان الصيف أوبأ من الشتاء لانه يسخن الابدان فيرخيها ويضعف قواها وان أهل العراق يكون الرجل منهم نائما فى فراشه يسخن بهبوبها وانه اذا هبت الشمال برد الخاتم فى أصبعه واتسع لانضمام البدن بها واذا هبت الجنوب سخن الخاتم وضاق واسترخى البدن وحدث فيه الكسل وهذا يجده سائر من بالعراق ممن له حس اذا صرف همته الى تامل ذلك وكذلك يجده من تامل ما وصفنا فى سائر الامصار فى بقاع الارض والبلدان واذا كان ذلك بالعراق فهو أظهر لعموم الاعتدال (ثم قال الحكيم) أبقراط فى معنى ما ذكرنا ان الرياح العامة أربعة احداها تهب من جهة

الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة واما العدد والهندسة فلم يقسم لنا فى هذا العلم نفاذ ولا تحققنا به فلسنا نثق بانفسنا فى تمييز المحسن من المقصر فى المؤلفين فيه من اهل بلدنا الا أنى سمعت من اثق بعقله ودينه من اهل العلم ممن اتفق على رسوخه فيه يقول انه لم يؤلف فى الازياج مثل زيج مسلمة وزيج ابن السمح وهما من اهل بلدنا وكذلك كتاب لاحمد بن نصر فما تقدم الى مثله فى معناه واعا اذ كرنا التآليف المستحقة للذكر والتى تدخل تحت الاقسام السبعة التى لا يؤلف عاقل عالم الا فى احدها وهى اما شئ يخترعه لم يسبق اليه اوشئ ناقص يتمه اوشئ مستغلق يشرحه اوشئ طويل يختصره دون ان يخل بشئ من معانيه اوشئ متفرق يجمعه اوشئ مختلط يرتبه اوشئ اخطأ فيه صاحبه يصلحه واما التآليف المقصرة عن مراتب غيرها فلم نلتفت الى ذكرها وهى عندنا من تاليف اهل بلدنا اكثر من ان نحيط بعلمها واما علم الكلام فان بلادنا وان كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ولا اختلفت فيها النحل فقل لذلك تصرفهم فى هذا الباب فهى على كل حال غير عرية عنه وقد كان فيهم قوم يذهبون الى الاعتزال نظار على اصوله ولهم فيه تآليف منهم خليل بن اسحق ويحيى بن السمينة والحاجب موسى بن حدير واخوه الوزير صاحب المظالم احمد وكان داعية الى الاعتزال لا يستتر بذلك ولنا على مذهبنا الذى تخيرناه من مذاهب اصحاب الحديث كتاب فى هذا المعنى هو وان كان صغير الجرم قليل عدد الورق يزيد على المائتين زيادة يسيرة فعظيم الفائدة لانا اسقطنا فيه المشاغب كلها واضربنا عن التطويل جملة واقتصرنا على البراهين المنتخبة من المقدمات الصحاح الراجعة الى شهادة الحس وبديهة العقل بالصحة ولنا فيما تحققنا به تآليف جمة منها ما قد تم ومنها ما شارف التمام ومنها ما قد مضى منه صدر ويعين الله تعالى على باقيه لم نقصد به قصد مباهاة فنذكرها ولا اردنا السمعة فنسميها والمراد بها ربنا جل وجهه وهو ولى العون فيها والملى بالمجازاة عليها وما كان لله تعالى فسيبدو وحسبنا الله ونعم الوكيل وبلدنا هذا على بعده من ينبوع العلم ونأيه من محلة العلماء فقد ذكرنا من تآليف اهله ما ان طلب مثلها بفارس والاهواز وديار مضر وديار ربيعة واليمن والشام اعوز وجود ذلك على قرب المسافة فى هذه البلاد من العراق التى هى دار هجرة الفهم وذويه ومراد المعارف وار بابها ونحن اذا ذكرنا ابا الاجرب جعونة بن الصمة الكلابى فى الشعر لم نباه به الا جريرا والفرزدق لكونه فى عصرهما ولو أنصف لاستشهد بشعره فهو جار على مذهب الاوائل لا على طريقة المحدثين واذا سمينا بقى بن مخلد لم نسابق به الا محمد بن اسمعيل البخارى ومسلم بن الحجاج النيسابورى وسليمان بن الاشعث السجستانى وأحمد بن شعيب النسائى واذا ذكرنا قاسم بن محمد لم نباه به الا القفال ومحمد بن عقيل الفريابى وهو شريكهما فى صحبة المزنى بن ابراهيم والتتلمذ له واذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال ومنذر بن سعيد لم نجار بهما الا أبا الحسن بن المفلس والخلال والديباجى ورويم بن أحمد وقد شاركهم عبد الله فى ابى سليمان وصحبته واذا أشرنا الى محمد بن عمرو بن لبابه وعمه محمد بن عيسى وفضل بن سلمة لم نناطح بهم الا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومحمد بن سحنون ومحمد بن عبدوس واذا صرحنا بذكر محمد بن يحيى الرياحى وأبى عبد الله محمد بن عاصم لم نقصرا عن

المشرق وهى القبول والثانية تهب من المغرب وهى الدبور والثالثة من التيمن وهى الجنوب والرابعة من التيسر وهى الشمال (قال المسعودى) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الاخبار عن الطبائع والاهوية والبلدان وأنواع الارض من العامر والغامر وغير ذلك مما تقدم ذكره وانتظم تصنيفه واتصل بحمد الله ايراده فرأينا ان نختم هذا الباب بجوامع من مساحات الممالك وما بينها من البعد والقرب على حسب ما حكاه الفزارى صاحب كتاب الزيج والقصيدة فى هيئة النجوم والفلك زعم الفزارى أن عمل أمير المؤمنين من فرغانة وأقصى خراسان الى طنجة بالمغرب ثلاثة آلاف وسبعمائة فرسخ والعرض من باب الابواب الى جدة ستمائة فرسخ ومن الباب الى بغداد ثلثمائه فرسخ ومن مكة الى جدة اثنان وثلاثون ميلا (عمل الصين) من المشرق أحد وثلاثون ألف فرسخ فى أحد عشر ألف فرسخ (عمل الهند) فى المشرق أحد عشر ألف فرسخ فى سبعة آلاف فرسخ (عمل التبت) خمسمائة فرسخ فى مائتين وثلاثين فرسخا (عمل ماين شاه) أربعمائة فرسخ فى ستين فرسخا (عمل البلغار) بالترك ألف فرسخ فى خمسمائة فرسخ (عمل الترك) بخاقان سبعمائة فرسخ فى خمسمائة فرسخ (عمل برجان) الف

اكابر

أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا أحمد بن محمد بن دراج القسطلى لما تأخر عن شأو بشار وحبيب والمتنبى فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب وأحمد بن عبد الملك بن مروان وأغلب بن شعيب ومحمد بن شخيص وأحمد بن فرج وعبد الملك ابن سعيد المرادى وكل هؤلاء فحل يهاب جانبه وحصان ممسوح الغرة ولنا من البلغاء أحمد ابن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا وهو حى بعد لم يبلغ سن الاكتهال وله من التصرف فى وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لسانى عمرو وسهل ومحمد ابن عبد الله بن مسرة فى طريقته التى سلك فيها وان كنا لا نرضى مذهبه فى جماعة يكثر تعدادهم وقد انتهى ما اقتضاه خطاب الكاتب رحمه الله تعالى من البيان ولم نتزيد فيما رغب فيه الا ما دعت الضرورة الى ذكره لتعلقه بجوابه والحمد لله الموفق لعلمه والهادى الى الشريعة المزلفة منه والموصلة وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم انتهت الرسالة * وكتب الحافظ ابن حجر على هامش قوله فيها واغا سكن على الكوفة خمسة أعوام وأشهرا ما نصه صوابه أربعة أعوام انتهى * وقال ابن سعيد بعد ذكره هذه الرسالة ما صورته رأيت أن أذيل ما ذكره الوزير الحافظ أبو محمد بن حزم من مفاخر أهل الاندلس بما حضرنى والله تعالى ولى الاعانة * أما القرآن فمن أجل ما صنف فى تفسيره كتاب الهداية الى بلوغ النهاية فى نحو عشرة أسفار صنفه الامام العالم الزاهد أبو محمد مكى بن أبى طالب القرطبى وله كتاب تفسير اعراب القرآن وعد ابن غالب فى كتاب فرحة الانفس تآليف مكى المذكور فبلغ بها ٧٧ تأليفا وكانت وفاته سنة ٤٣٧ ولابى محمد بن عطية الغرناطى فى تفسير القرآن الكتاب الكبير الذى اشتهر وطار فى الغرب والشرق وصاحبه من فضلاء المائة السادسة وأما القرا آت فلمكى المذكور فيها كتاب التبصرة وكتاب التيسير لابى عمرو الدانى مشهور فى أيدى الناس وأما الحديث فكان بعصرنا فى المائة السابعة الامام ابو الحسن على بن القطان القرطبى الساكن بحضرة مراكش وله فى تفسير غريبه وفى رجاله مصنفات واليه كانت النهاية والاشارة فى عصرنا وسمعت انه كان اشتغل بجمع أمهات كتب الحديث المشهورة وحذف المكرر وكتاب رزين بن عمار الاندلسى فى جمع ما يتضمنه كتاب مسلم والبخارى والموطا والسنن والنسائى والترمذى كتاب جليل مشهور فى أيدى الناس بالمشرق والمغرب وكتاب الاحكام لابى محمد عبد الحق الاشبيلى مشهور متداول القراء وهى أحكام كبرى وأحكام صغرى قيل ووسطى وكتاب الجمع بين الصحيحين للحميدى مشهور وأما الفقه فالكتاب المعتمد عليه الآن الذى ينطلق عليه اسم الكتاب عند المالكية حتى بالاسكندرية فكتاب التهذيب للبراذعى السرقسطى وكتاب النهاية لأبى الوليد بن رشد كتاب جليل معظم معتمد عليه عند المالكية وكذلك كتاب المنتقى للباجى وأما أصول الدين وأصول الفقه فللامام أبى بكر ابن العربى الاشبيلى من ذلك ما منه كتاب العواصم والقواصم المشهور بايدى الناس وله تصانيف غير هذا ولابى الوليد بن رشد فى أصول الفقه ما منه مختصر المستصفى وأما التواريخ فكتاب ابن حيان الكبير المعروف بالمتين فى نحو ستين مجلدة واغا ذكر ابن حزم

وخمسمائة فرسخ فى ثلثمائة فرسخ (عمل الصقالبة) ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ فى أربعمائة فرسخ وعشرين فرسخا (عمل الروم) ثلاثة آلاف فرسخ فى سبعمائة فرسخ (عمل الاندلس) لعبد الرحمن ابن معاوية ثلثمائة فرسخ ٣ (عمل ادريس) الفاطمى ألف ومائتا فرسخ فى مائة وعشرين فرسخا (عمل فاس) لابى المنتصر اربعمائة فرسخ فى ثمانين فرسخا (عمل سجلماسة) الفان وخمسمائة فرسخ فى ستمائة فرسخ (عمل غانة) بلاد الذهب الف فرسخ فى ثمانين فرسخا (عمل ذمار) مائتا فرسخ فى ثمانين فرسخا (عمل بجلة) مائة فرسخ وعشرون فرسخا فى ستين فرسخا (عمل واح) ستون فرسخا فى أربعين فرسخا (عمل البجه) مائتا فرسخ فى ثمانين فرسخا (عمل النجاشى) ألف وخمسمائة فرسخ فى أربعمائة فرسخ بالمغرب (عمل الزنج) بالمشرق وبلاد صعدة ألف وستمائة فرسخ فى مائتين وخمسين فرسخا فذلك الطول اثنان وسبعون ألفا وأربعمائة وثمانون فرسخا والعرض خمسة وعشرون ألفا ومائتان وخمسون فرسخا وأما الكلام فى وصف أصول الطب وهل ذلك ماخوذ من طريق الرياضة والقياس أو من غيره ووصف تنازع الناس فى ذلك فلم نتعرض لايراده فى هذا

كتاب المقتبس وهو في عشر مجلدات والمتين يذكر فيه أخبار عصره و يمعن فيها مما شاهده ومنه ينقل صاحب الذخيرة وقد ذيل عليه أبو الحجاج البياسي أحد معاصرينا وهو الآن بافريقية في حضرتها تونس عند سلطانها تحت احسانه الغمر و كتاب المظفر بن الافطس ملك بطليوس المعروف بالمظفري نحو كتاب المتين في الكبر وفيه تاريخ على السنين وفنون آداب كثيرة وتاريخ ابن صاحب الصلاة في الدولة اللمتونية وذكر ابن غالب ان ابن الصيرفي الغرناطي له كتاب في أخبار دولة لمتونة وأن أبا الحسن السالمي له كتاب في أخبار الفتنة الثانية بالاندلس بدأ من سنة ٥٢٩ ورتبه على السنين و بلغ به سنة ٥٤٧ وأبو القاسم خلف بن بشكوال له كتاب في تاريخ أصحاب الاندلس من فتحها الى زمانه وأضاف الى ذلك من أخبار قرطبة وغيرها ما جاء في خاطره وله كتاب الصلة في تاريخ العلماء وللحميدي قبله جذوة المقتبس وقد ذيل كتاب الصلة في عصرنا هذا أبو عبد الله بن الابار البلنسي صاحب كتاب سلطان افريقية وذكر ابن غالب أن الفقيه أبا جعفر بن عبد الحق الخزرجي القرطبي له كتاب كبير بدأ فيه من بدء الخليقة الى أن انتهى في أخبار الاندلس الى دولة عبد المؤمن قال وفارقته سنة ٥٦٥ وأبو محمد بن حزم صاحب الرسالة المتقدمة الذكر له كتب جمة في التواريخ مثل كتاب نقط العروس في تواريخ الخلفاء وقد صنف أبو الوليد بن زيدون كتاب التبيين في خلفاء بني أمية بالاندلس على منزع كتاب التعيين في خلفاء المشرق للمسعودي وللقاضي ابي القاسم صاعد بن أحمد الطليطلي كتاب التعريف بأخبار علماء الامم من العرب والعجم و كتاب جامع أخبار الامم وأبو عمر بن عبد البر له كتاب القصد والامم في معرفة أخبار العرب والعجم وعريب بن سعيد القرطبي له كتاب اختصار تاريخ الطبري قد سعد باغتباط الناس به وأضاف اليه تاريخ افريقية والاندلس ولاحمد ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الفياض كتاب العبر وكتاب أبي بكر الحسن بن محمد الزبيدي في أخبار النحويين واللغويين بالمشرق والاندلس وكتاب القاضي أبي الوليد بن الفرضي في أخبار العلماء والشعراء وما يتعلق بذلك وليحيى بن حكم الغزال تاريخ الفه كله منظوما كما صنع أيضا بعده أبو طالب المتنبي من جزيرة شقر في التاريخ الذي أورد منه صاحب الذخيرة ما أورد و كتاب الذخيرة لابن بسام في جزيرة الاندلس ليس هذا امكان الاطناب في تفضيلها وهي كالذيل على حدائق ابن فرج وفي عصرها صنف الفتح كتاب القلائد وهو مملوء بلاغة والمحاكمة بين الكتابين ذكرت بمكان آخر ولصاحب القلائد كتاب المطمح وهو ثلاث نسخ كبرى ووسطى وصغرى يذكر فيها من الذين ذكرهم في القلائد ومن غيرهم الذين كانوا قبل عصرهم و كتاب سمط الجمان وسقط المرجان لابي عمرو بن الامام بعد الكتابين المذكورين ذكر من أخل بتوفيته حقه من الفضلاء واستدرك من أدركه بعصره في بقية المائة السادسة وذيل عليه وان كان ذيلا قصيرا أبو بحر صفوان بن ادريس المرسي بكتاب زاد المسافر ذكر فيه جماعة ممن أدرك المائة السابعة وكتاب أبي محمد عبد الله بن ابراهيم الحجاري المسمى بالمسهب في فضائل المغرب صنفه بعد الذخيرة والقلائد من أول ما عمرت الاندلس الى عصره وخرج فيه عن مقصد الكتابين الى ذكر البلاد وخواصها

من هذا الكتاب في أخبار الواثق على ايضاح جرى بحضرته وقد حضر مجلسه حنين بن اسحق وابن ماسويه وغيرهم من الفلاسفة والمتطببين فاغنى ذلك عن ايراده في هذا الباب ولولا أن الكتاب يرد على اغراض من الناس لما هم عليه من اختلاف الطبائع والتباين في المراد لما ذكرنا ما يورد فيه من أنواع العلوم وفنون الاخبار وقد يلحق الانسان الملل بقراءته ما لا تهوى نفسه فينتقل منه الى غيره فقصدنا فيه من سائر ما يحتاج الناس من ذوي المعرفة الى علمه ولما تغلغل بنا الكلام في نظمه وتشعبه واتصاله بغيره من المعاني مما لم يتقدم ذكره وقد انبأنا على مبسوط سائر ما ذكرناه على الاتساع والايضاح في كتابنا اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط والله تعالى اعلم

(ذكر البيوت المعظمة والهياكل المشرفة وبيوت النيران والاصنام وذكر الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم)

كان كثير من اهل الهند والصين وغيرهم من الطوائف

مما يختص بعلم الجغرافيا وخلطه بالتاريخ وتفنن الادب على ما هو مذكور فى غير هذا المكان ولم يصنف فى الاندلس مثل كتابه ولذلك فضله المصنف له عبد الملك بن سعيد وذيل عليه ثم ذيل على ذلك ابناه أحمد ومحمد ثم موسى بن محمد ثم على بن موسى كاتب هذه النسخة ومكمل كتاب فلك الادب المحيط بحلى لسان العرب المحتوى على كتابى المشرق فى حلى المشرق والمغرب فى حلى المغرب فيكفى الاندلس فى هذا الشان تصنيف هذا الكتاب بين ستة أشخاص فى ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥ وقد احتوى على جميع ما يذاكر به ويحاضر بحلاه من فنون الادب المختارة على جهد الطاقة فى شرق وغرب على النوع الذى هو مذكور فى غير هذا الموضع ومن أغفلت التنبيه على عصره وغير ذلك من المصنفين المتقدمى الذكر فيطلب الملتمس منهم فى مكانه المنسوب اليه كابن بسام فى شنترين والفتح فى اشبيلية وابن الامام فى استجة والحجارى فى وادى الحجارة *وأما ما جاء منثورا من فنون الادب فكتاب سراج الادب لابى عبد الله بن أبى الخصال الشقورى رئيس كتاب الاندلس صنفه على منزع كتاب النوادر لابى على وزهر الآداب للحصرى وكتاب واجب الادب لوالدى موسى بن محمد بن سعيد واسمه يغنى عن المراد به وكتاب اللآلئ لابى عبيد البكرى على كتاب الامالى لابى على البغدادى مفيد فى الادب وكذلك كتاب الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب لابى محمد بن السيد البطليوسى وأما شرح سقط الزند له فهو الغاية ويكفى ذكره عند أرباب هذا الشان وثناؤهم عليه وشروح أبى الحجاج الاعلم لشعر المتنبى والحماسة وغير ذلك مشهورة *وأما كتب النحو فلاهل الاندلس من الشروح على الجمل ما يطول ذكره فمنها شرح ابن خروف ومنها شرح الرندى ومنها شرح شيخنا أبى الحسن بن عصفور الاشبيلى واليه انتهت علوم النحو وعليه الاحالة الآن من المشرق والمغرب وقد أتيت له من افريقية بكتاب المقرب فى النحو فتلقى باليمين من كل جهة وطار بجناح الاغتباط ولشيخنا أبى على الشلوبين كتاب التوطئة على الجزولية وهو مشهور ولابن السيد وابن الطراوة والسهيلى من التقييدات فى النحو ما هو مشهور عند أصحاب هذا الشان معتمد عليه ولابى الحسن بن خروف شرح مشهور على كتاب سيبويه *وأما كتب علم الجغرافيا فيكفى فى ذلك كتاب المسالك والممالك لابى عبيد البكرى الاونبى وكتاب معجم ما استعجم من البقاع والاماكن وفى كتاب المسهب للحجارى فى هذا الشان وتذييلنا عليه فى هذا الكتاب الجامع ما جمع زبد الاولين والآخرين* وأما كتب علم الموسيقى فكتاب أبى بكر بن باجة الغرناطى فى ذلك فيه كفاية وهو فى المغرب بمنزلة أبى نصر الفارابى بالمشرق واليه تنسب الالحان المطربة بالاندلس التى عليها الاعتماد وليحيى الخدج المرسى كتاب الاغانى الاندلسية على منزع الاغانى لابى الفرج وهو ممن أدرك المائة السابعة *وأما كتب الطب فالمشهور بأيدى الناس الآن فى المغرب وقد سار أيضا فى المشرق لنبله كتاب التيسير لعبد الملك بن أبى العلاء بن زهر وله كتاب الاغذية أيضا مشهور مغتبط به فى المغرب والمشرق ولابى العباس بن الرومية الاشبيلى من علماء عصرنا بهذا الشان كتاب فى الادوية المفردة وقد جمع أبو محمد المالقى الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا فى هذا

يعتقدون أن الله عزوجل جسم وان الملائكة أجسام لها أقدار وأن الله تعالى وملائكته احتجبوا بالسماء فدعاهم ذلك الى أن اتخذوا تماثيل وأصناما على صورة البارى عزوجل وبعضها على صورة الملائكة مختلفة القدود والاشكال ومنها على صورة الانسان وعلى خلافها من الصور يعبدونها وقربوا لها القرابين ونذروا لها النذور لشبهها عندهم بالبارى تعالى وقربها منه فاقاموا على ذلك برهة من الزمان وجملة من الاعصار حتى نبههم بعض حكمائهم على أن الافلاك والكواكب أقرب الاجسام المرئية الى الله تعالى وأنها حية ناطقة وأن الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله وأن كل ما يحدث فى هذا العالم فانما هو على قدر ما تجرى به الكواكب على أمر الله فعظموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم فمكثوا على ذلك دهرا فلما رأوا الكواكب تخفى بالنهار وفى بعض أوقات الليل لما يعرض فى الجو من السواتر امرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم ان يجعلوا لها اصناما وتماثيل على على صورها واشكالها فعملوا لها اصناما وتماثيل بعدد الكواكب الكبار المشهورة وكل صنف منهم يعظم كوكبا منها ويقرب لها نوعا من القربان خلاف ما للآخر على أنهم اذا

الشان حشر عليه ما سمع به نقدر عليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقي و كتاب الزهراوي و كتاب الشريف الادريسي الصقلي وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية في مقصده * وأما كتب الفلسفة فامامها في عصرنا أبو الوليد بن رشد القرطبي وله فيها تصانيف جحدها لما رأى انحراف منصور بني عبد المؤمن عن هذا العلم وسجنه بسببها وكذلك ابن حبيب الذي قتله المأمون بن المنصور المذكور على هذا العلم باشبيلية وهو علم ممقوت بالاندلس لا يستطيع صاحبه اظهاره فلذلك تخفى تصانيفه * وأما كتب التنجيم فلابن زيد الاسقف القرطبي فيه تصانيف وكان مختصا بالمستنصر بن الناصر المرواني وله ألف كتاب تفضيل الازمان ومصالح الابدان وفيه من ذكر منازل القمر وما يتعلق بذلك ما يستحسن مقصده وتقريبه وكان مطرف الاشبيلي في عصرنا قد اشتغل بالتصنيف في هذا الشان الا أن أهل بلده كانوا ينسبونه الى الزندقة بسبب اعتكافه على هذا الشان فكان لا يظهر شيأ مما يصنف ثم قال ابن سعيد أخبرني والدي قال كنت يوما في مجلس صاحب سبتة أبي يحيى بن أبي زكريا صهر ناصر بني عبد المؤمن فجرى بين أبي الوليد الشقندي وبين أبي يحيى بن المعلم الطنجي نزاع في التفضيل بين البرين فقال الشقندي لولا الاندلس لم يذكر بر العدوة ولا سارت عنه فضيلة ولولا التوقير للمجلس لقلت ما تعلم فقال الامير أبو يحيى أتريد أن تقول كون أهل برنا عربا وأهل بركم بربر فقال حاش لله فقال الامير والله ما أردت غير هذا فظهر في وجهه انه أراد ذلك فقال ابن المعلم أتقول هذا وما الملك والفضل الامن بر العدوة فقال الامير الرأي عندي أن يعمل كل واحد منكما رسالة في تفضيل بره فالكلام هنا يطول ويمر ضياعا وأرجوا اذا اخليتما له فكركما يصدر عنكما ما يحسن تخليده ففعلا ذلك فكانت رسالة الشقندي الحمد لله الذي جعل لمن يفخر بالاندلس أن يتكلم ملء فيه ويطنب ماشاء فلا يجد من يعترض عليه ولا من يثنيه اذ لا يقال للنهار يا مظلم ولا لوجه النعيم يا قبيح

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

أحمده على أن جعلني ممن أنشأته وحباني بان كنت ممن أظهرته فامتد في الفخر باعي وأعانني على الفضائل كرم طباعي وأصلي على سيدنا محمد نبيه الكريم وعلى آله وصحبه الاكرمين وأسلم تسليما أما بعد فانه حركني ساكنا وملأ مني فارغا فخرجت عن سجيتي في الاغضاء مكرها الى الحمية والاباء منازع في فضل الاندلس أراد أن يخرق الاجماع ويأتي بما لم تقبله النواظر والاسماع اذ من رأى ومن سمع لا يجوز عنده ذلك ولا يضله من تاه في تلك المسالك رام ان يفضل بر العدوة على بر الاندلس فرام ان يفضل على اليمين اليسار ويقول الليل اضوأ من النهار فيا عجبا كيف قابل العوالي بالزجاج وصادم الصفاة بالزجاج فيا من نفخ في غير ضرم ورام صيد البزاة بالرخم كيف تتكثر بما جعله الله قليلا وتتعزز بما حكم الله ان يكون ذليلا ما هذه المباهتة التي لا تجوز كيف تبدى أمام الفتاة العجوز سل العيون الى وجه من تميل واستخبر الاسماع الى حديث من تصغي

لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم

اقن حياءك ايها المغرد بالتحبب المتزين بالخلق المتحبب الى الغواني بالمشيب الخضيب

عظموا اما صوّروا من الاصنام تحركت لهم الاجسام العلوية من السبعة بكل ما يريدون وبنوا لكل صنم بيتا وهيكلا مفردا وسموا تلك الهياكل باسماء تلك الكواكب (وقد ذهب قوم) الى أن البيت الحرام على مرور الدهور معظم في سائر الاعصار لانه بيت زحل وأن زحل تولاه ولان زحل من شانه البقاء والثبوت فما كان له فغير زائل ولا داثر وعن التعظيم غير خامل وذكروا أمورا أعرضنا عن ذكرها لشناعة وصفها ولما طال عليهم العهد عبدوا الاصنام على أنها تقربهم الى الله وألغوا عبادة الكواكب فلم يزالوا على ذلك حتى ظهر بوداسف بارض الهند وكان هنديا خرج من أرض الهند الى السند ثم سار الى بلاد سجستان وبلاد زابلستان وهي بلاد فيروز بن كبك ثم دخل السند الى كرمان فتنبأ وزعم أنه رسول الله وأنه واسطة بين الله وبين خلقه وأتى أرض فارس وذلك في اوائل ملك طهمورث ملك فارس وقيل ذلك في جم سند وهو أول من أظهر مذاهب الصابئة على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وقد كان بوداسف أمر الناس بالزهد في هذا العالم والاشتغال بما علا من العوالم اذ كان من هنالك بدو النفوس واليها يقع

أين

اين عزب عقلك وكيف نكص على عقبه فهمك ولبك ابلغت العصبية من قلبك أن تطمس على نورى بصرك ولبك اما قولك الملوك منا فقد كان الملوك منا ايضا وما نحن الا كما قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

ان كان الآن كرسى جميع بلاد المغرب عندكم بخلافة بنى عبد المؤمن ادامها الله تعالى فقد كان عندنا بخلافة القرشيين الذين يقول فيهم مشرقيهم

وانى من قوم كرام اعزة * لأقدامهم صيغت رؤس المنابر
خلائف فى الاسلام فى الشرك قادة * بهم واليهم فخر كل مفاخر

و يقول مغربيهم

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال اودارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وقد نشأ فى مدتهم من الفضلاء والشعراء ما اشتهر فى الآفاق وصار اثبت فى صحائف الايام فى اعناق الحمام من الاطواق

وسار مسير الشمس فى كل بلدة * وهب هبوب الريح فى البر والبحر

ولم تزل ملوكهم فى الاتساق كما قيل

ان الخلافة فيكم لم تزل نسقا * كالعقد منظومة فيه فرائده

الى ان حكم الله بنثر سلكهم وذهاب ملكهم فذهبوا وذهبت اخبارهم ودرسوا ودرست آثارهم

جمال ذى الارض كانوا فى الحياة وهم * بعد الممات جمال الكتب والسير

فكم مكرمة انالوها وكم عثرة أقالوها

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

وكان من حسنات ملكهم المنصور بن أبى عامر وما أدراك الذى بلغ فى بلاد النصارى غازيا الى البحر الاخضر ولم يترك أسيرا فى بلادهم من المسلمين ولم يبرح فى جيش الهرقل وعزمة الاسكندر ولما قضى نحبه كتب على قبره

آثاره تنبيك عن أوصافه * حتى كانك بالعيان تراه
تالله لا يأتى الزمان بمثله * أبدا ولا يحمى الثغور سواه

وقد قيل فيه من الامداح وألف له من الكتب ما سمعت وعلمت حتى قصد من بغداد وعم خيره وشره أقاصى البلاد ولما ثار بعد انتثار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا فى البلاد كان فى تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد اذ نفقوا سوق العلوم وتباروا فى المثوبة على المنثور والمنظوم فما كان أعظم مباهاتهم الا قول العالم الفلانى عند الملك الفلانى والشاعر الفلانى مختص بالملك الفلانى وليس منهم الا من بذل وسعه فى المكارم ونبهت الامداح من مآثره ماليس طول الدهر بنائم وقد سمعت ما كان من الفتيان العامرية مجاهد ومنذر وخيران وسمعت عن الملوك العربية بنو عباد و بنو

الضدر من هذا العالم (وجد يوداسف) عند الناس عبادة الاصنام والسجود لها الشبه ذكرها وقرب الى عقولهم عبادتها بضروب من الحيل والخدع وذكر ذوو الخبرة بشان هذا العالم وأخبار ملوكهم انه اول من عظم النار ودعا الناس الى تعظيمها وقال انها تشبه ضوء الشمس والكواكب لان النور عنده افضل من الظلمة وجعل للنور مراتب (ثم تنازع هؤلاء) بعده فعظم كل فريق منهم ما يرون تعظيمه من الاسماء تقربا الى الله بذلك ثم تنازعوا برهة من الزمان (ونشا عمرو بن لحى) فسار بقومه الى مكة واستولى على امر البيت ثم سار الى مدينة البلقاء من عمل دمشق من ارض الشام فراى قوما يعبدون الاصنام فسالهم عنها فقالوا هذه ارباب نتخذها نستنصر بها فننصر ونستسقى بها فنسقى وكل من سألها يعطى فطلب منهم صنما يدعونه هبل فسار به الى مكة ونصبه على الكعبة ومعه اساف ونائلة ودعا الناس الى تعظيمها وعبادتها ففعلوا ذلك الى ان اظهر الله الاسلام و بعث محمدا عليه السلام فطهر البلاد وانقذ العباد (وقد قال هؤلاء) ان البيت الحرام من البيوت السبعة المعظمة المتخذة على أسماء الكواكب من النيرين والخمسة (و بيت ثان) معظم

صمادح و بنو الافطس و بنو ذي النون و بنو هود كل منهم قد خلد فيه من الامداح ما لو مدح به الليل لصار أضوأ من الصباح ولم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادي النواسم بين الرياض وتفتك في أموالهم فتكة البراض حتى ان أحد شعرائهم بلغ به ما رآه من منافستهم في أمداحه أن حلف أن لا يمدح أحدا منهم بقصيدة الا بمائة دينار وان المعتضد بن عباد على ما اشتهر من سطوته وافراط هيبته كلفه أن يمدحه بقصيدة فأبى حتى يعطيه ما شرطه في قسمه ومن أعظم ما يحكى من المكارم التي لم نسمع لها أختا ان أبا غالب اللغوي ألف كتابا فبذل له مجاهد العامري ملك دانية ألف دينار ومركوبا وكسا على أن يجعل الكتاب باسمه فلم يقبل ذلك أبو غالب وقال كتاب ألفته لينتفع به الناس وأخلد فيه همتي أجعل في صدره اسم غيري وأصرف الفخر له لا أفعل ذلك فلما بلغ هذا مجاهدا استحسن انفته وهمته وأضعف له العطاء وقال هو في حل من أن يذكرني فيه لا نصده عن غرضه وان كان كل ملوك الاندلس المعروفين بملوك الطوائف قد تنازعوا في ملاءة الحضر فاني أخص منهم بني عباد كما قال الله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان فان الايام لم تزل بهم كأعياد وكان لهم من الحنو على الادب ما لم يقم به بنو حمدان في حلب وكانوا هم و بنوهم ووزراؤهم صدورا في بلاغتي النظم والنثر مشاركين في فنون العلم وآثارهم مذكورة وأخبارهم مشهورة وقد خلدوا من المكارم التامة ما هو متردد في ألسن الخاصة والعامة و بالله الا سميت لي بمن تفخرون قبل هذه الدعوة المهدية أبسقوت الحاجب أم بصالح البرغواطي أم بيوسف بن تاشفين الذي لولا توسط ابن عباد لشعراء الاندلس في مدحه ما أجرواله ذكرا ولا رفعوا لملكه قدرا و بعد ما ذكروه بوساطة المعتمد بن عباد فان المعتمد قال له وقد انشدوه أيعلم أمير المسلمين ما قالوه قال لا أعلم ولكنهم يطلبون الخبز ولما انصرف عن المعتمد الى حضرة ملكه كتب له المعتمد رسالة فيها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

فلما قرئ عليه هذان البيتان قال للقارئ يطلب منا جواري سودا و بيضا قال لا يا مولانا ما أراد الا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهارا لان ليالي السرور بيض فعاد نهاره ببعده ليلا لان ليالي الحزن ليالي سود فقال والله جيدا كتب له في جوابه ان دموعنا تجري عليه ورؤسنا توجعنا من بعده فليت العباس بن الاحنف قد عاش حتى يتعلم من هذا الفاضل رقة الشوق

ولا تنكرن مهما رأيت مقدما * على حمر بغلا فثم تناسب

فاسكتوا فلولا هذه الدولة لما كان لكم على الناس صولة

وان الورد يقطف من قتاد * وان النار تقبس من رماد

وانك ان تعرضت للمناضلة بالعلماء فاخبرني هل لكم في الفقه مثل عبد الملك بن حبيب الذي يعمل باقواله الى الآن ومثل ابي الوليد الباجي ومثل أبي بكر بن العربي ومثل أبي الوليد بن رشد الاكبر ومثل أبي الوليد بن رشد الاصغر وهو ابن الاكبر نجوم الاسلام ومصابيح شريعة

على رأس جبل باصبهان يقال له مارس وكانت فيه اصنام الى ان اخرجها منه يستاسف الملك لما تمجس وجعله بيت ناره وذلك على ثلاثة فراسخ من اصبهان وهذا البيت معظم عند المجوس الى هذه الغاية (والبيت الثالث) يدعى سندوساب ببلاد الهند وله قرابين تقرب وفيه احجار المغناطيس الجاذبة والرافعة والمنفردة من اوصاف لا يسعنا الاخبار عنها فمن اراد أن يبحث عن ذكرها فليبحث فانه بيت مشهور ببلاد الهند (والبيت الرابع) هو البوبهار الذي بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر وكان من يلي سدانته تعظمه الملوك في ذلك الصقع وتنقاد الى امره وترجع الى حكمه وتحمل اليه الاموال وكانت عليه وقوف وكان الموكل بسدانته يدعى البرموك وهو سمة عامة لكل سدنته ومن أجل ذلك سميت البرامك لان خالد ابن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت وكان بنيان هذا البيت من أعلى البنيان تشييدا وكان تنصب على أعلاه الرماح عليها شقاق الحرير الاخضر طول الشقة مائة ذراع فما دونها قد نصب لذلك رماح وخشب تدفع قوة الريح عما عليها من الحرير فيقال والله أعلم ان الريح خطفت يوما من بعض تلك الشقاق

محمد عليه السلام وهل لكم في الحفظ مثل أبي محمد بن حزم الذي زهد في الوزارة والمال ومال الى رتبة العلوم آهاوفوق كل رتبة وقال وقد احترقت كتبه

دعوني من احراق رق وكاغد * وقولوابعلم كي يرى الناس من يدرى
فان تحرقوا القرطاس لاتحرقوا الذى * تضمنه القرطاس اذهوفي صدرى

ومثل أبي عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب والتمهيد ومثل أبي بكر بن الجد حافظ الاندلس في هذه الدولة وهل لكم في حفاظ اللغة كابن سيده صاحب كتاب المحكم وكتاب السمار العالم الذى ان أعمى الله بصره فاأعمى بصيرته وهل لكم في النحومثل أبي محمد بن السيد وتصانيفه ومثل ابن الطراوة ومثل أبي على الشلو بين الذى بين اظهرنا الآن وقد سار في المغارب والمشارق ذكره وهل لكم في علم اللحون والفلسفة كابن باجة وهل لكم في علم النجوم والهندسة والفلسفة ملك كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة فانه كان في ذلك آية وهل لكم في الطب مثل ابن طفيل صاحب رسالة حى بن يقظان المقدم في علم الفلسفة ومثل بنى زهر أبي العلاء ثم ابنه عبد الملك ثم ابنه أبي بكر ثلاثة على نسق وهل لكم في علم التاريخ كابن حيان صاحب المتين والمقتبس وهل عندكم في رؤساء علم الادب مثل أبي عمر بن عبد ربه صاحب العقد وهل لكم في الاعتناء بتخليد مآثر فضلاء اقليمه والاجتهاد في حشد محاسنهم مثل ابن بسام صاحب الذخيرة وهب أنه كان يكون لكم مثله فماتصنع الكيسة في البيت الفارغ وهل لكم في بلاغة النثر كالفتح بن عبيد الله الذى ان مدح رفع وان ذم وضع وقد ظهر له من ذلك في كتاب القلائد ماهو أعدل شاهد ومثل ابن أبي الخصال في ترسله ومثل أبي الحسن سهل بن مالك الذى بين أظهرنا الآن في خطبه وهل لكم في الشعر ملك مثل المعتمد بن عباد في قوله

وليل بسد النهر أنساقطعته * بذات سوار مثل منعطف النهر
نضت بردهاعن غصن بان منعم * فياحسن ماانشق الكمام عن الزهر

وقوله في أبيه

سميدع يهب الآلاف مبتدئا * وبعد ذلك يلفى وهو يعتذر
له يد كل جبار يقبلها * لولاندا اهالقلنا انهاالحجر

ومثل ابنه الراضي في قوله

مروابنا اصلا من غيرميعاد * فاوقدوانارقلبي أي ايقاد
لاغروأن زادفي وجدى مرورهم * فرؤية الماء تذكى غلة الصادى

وهل لكم ملك ألف في فنون الادب كتابا في نحومائة مجلدة مثل المظفر بن الافطس ملك بطليوس ولم تشغله الحروب ولا المملكة عن همة الادب وهل لكم من الوزراء مثل ابن عمار في قصيدته التى سارت اشرد من مثل واحب الى الاسماع من لقاء حبيب وصل التى منها

اثمرت رمحك من رؤس ملوكهم * لمارايت الغصن يعشق مثمرا
وصبغت درعك من دماء كماتهم * لمارايت الحسن يلبس أحمرا

وهذا يدل على زيادته في الجوّ وتشييد بنيانه وكانت مسافة البحر المحيط بهذا البنيان أميالا منذ كرها اذ كان أمر ذلك مشهورا من وصف علو السور وعرضه (قال المسعودى) وقد ذكر بعض أهل الرواية والتنقير أنه قرأ على البوبهار ببلخ كتابا بالفارسية ترجمته قال بوداسف أبواب الملوك تحتاج الى ثلاث خصال عقل وصبر ومال واذاتحته بالعربية كذب بوداسف الواجب على الحراذا كان معه واحدة من هذه الخصال أن لايلزم باب السلطان (والبيت الخامس) بيت غمدان الذى بمدينة صنعاء من بلاد اليمن وكان الضحاك بناه على اسم الزهرة وخربه عثمان بن عفان رضى الله عنه فهو في وقتنا هذا خراب قد هدم فصار تلا عظيما وقد كان الوزير على بن موسى الجراح حين نفى الى اليمن وصار الى صنعاء بنى فيه سقاية وحفر فيه بئرا (ورأيت غمدان) ردما وتلا عظيما قد انهدم بنيانه وصار جبل تراب كانه لم يكن وقد كان أسعد بن يعفر صاحب قلعة كحلان المنازل بها وصاحب مخاليف اليمن في هذا الوقت وهو المعظم في اليمن أراد أن يبنى غمدان فاشار عليه يحيى بن الحسين الحسنى أن لايتعرض

ومثل ابن زيدون فى قصيدته التى لم يقل مع طولها فى التشبيب ارق منها وهى التى يقول فيها

كأننا لم نبت والوصل ثالثنا * والسعد قد غض من أجفان واشينا
سران فى خاطر الظلماء يكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

وهل لكم من الشعراء مثل ابن وهبون فى بديهته بين يدى المعتمد بن عباد واصابته الغرض حين استحسن المعتمد قول المتنبى

اذا ظفرت منك العيون بنظرة * أثاب بها معيى المطى ورازمه

فارتجل

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما * يجيد العطايا واللها تفتح اللها
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى * بانك تروى شعره لتألها

وهل لكم مثل شاعر الاندلس ابن دراج الذى قال فيه الثعالبى هو بالصقع الاندلسى كالمتنبى بصقع الشام الذى ان مدح الملوك قال مثل قوله

ألم تعلمى ان الثواء هو التوا * وأن بيوت العاجزين قبور
وأن خطيرات المهالك ضمن * لراكبها أن الجزاء خطير
تخوفنى طول السفار وانه * بتقبيل كف العامرى جدير
مجير الهدى والدين من كل ملحد * وليس عليه للضلال مجير
تلاقت عليه من تميم ويعرب * شموس تلاقت فى العلا وبدور
هم يستقلون الحياة لراغب * ويستصغرون الخطب وهو كبير
ولما توافوا للسلام ورفعت * عن الشمس فى أفق الشروق ستور
وقد قام من زرق الاسنة دونها * صفوف ومن بيض السيوف سطور
رأوا طاعة الرحمن كيف اعتزازها * وآيات صنع الله كيف تنير
وكيف استوى بالبر والبحر مجلس * وقام بعبء الراسيات سرير
فجاؤا عجالى والقلوب خوافق * وولوا بطاء والنواظر صور
يقولون والاجلال يخرس ألسنا * وحازت عيون ملأها وصدور
لقد حاط أعلام الهدى بك حائط * وقدر فيك المكرمات قدير

وأنا أقسم بما حازته هذه الابيات من غرائب الآيات لو سمع هذا المدح سيد بنى حمدان لسلا به عن مدح شاعره الذى ساد كل شاعر ورأى أن هذه الطريقة أولى بمدح الملوك من كل ما تفنن فيه كل ناظم وناثر وان ذكر الغربة عن الاوطان ومكابدة نوائب الزمان قال

قالت وقد مزج الفراق مدامعا * بمدامع وترائبا بترائب
أنفرق حتى بمنزل غربة * كم نحن للايام نهبة ناهب
ولئن جنيت عليك ترحة راحل * فانا الزعيم لها بفرحة آيب
هل أبصرت عيناك بدرا طالعا * فى الافق الا من هلال غارب

وان شبه قال

بناؤه على يدى غلام يخرج من أرض سبا وأرض مارب يؤثر فى صقع هذا العالم لشئ من ذلك اذ كان تأثيراعظيما وقد ذكر هذا البيت جد أمية بن أبى الصلت أخو أمية واسمه ربيعة فى مدحه لسيف بن ذى يزن وقيل بل الممدوح بهذا الشعر معديكرب بن سيف حيث يقول

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا * برأس غمدان دارا منك محلالا

وكان أبو أمية جاهليا وهو القائل فى أصحاب الفيل

ان آيات ربنا بينات * مايمارى بهن الا الكفور
غلب الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كانه معقور
حوله من شباب كندة فتيا * ن ملاويث فى الحروب صقور
واضعا خلفه الجرار كما قط * ر صخر من جانب محدور

وقيل ان ملوك اليمن كانوا اذا قعدوا فى هذا البنيان بالليل واشتعلت الشموع رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام كثيرة (والبيت السادس) كارشان شاه بناه كارش الملك بناء عجيبا على الاسم المدبر الاعظم من الاجسام السماوية وهو الشمس بمدينة فرغانة من مدائن خراسان وخربه المعتصم بالله ولهدمه هذا البيت خبر ظريف قد اتينا على ذكره فى كتاب اخبار الزمان (والبيت السابع) بأعالى بلاد المعاقل

لمعاقل من سوسن قد شيدت * أيدي الربيع بناءها فوق القضب
شرفاتها من فضـة وحماتها * حول الامير لهم سيوف من ذهب

وهل من شعرائكم من تعرض لذكر العفة فاستنبط ما يسحر به السحر ويطيب به الزهر وهو أبو عمرو بن فرج في قوله

وطائعة الوصال عففت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل سافرة فباتت * دياجي الليل سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعي
فملكت النهى جماب شوقي * لأجري في العفاف على طباعي
وبت بها مبيت السقب يظما * فيمنعه العكام من الرضاع
كذاك الروض ما فيه لمثلي * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعي

وهل بلغ أحد من مشبهي شعرائكم أن يقول مثل قول أبي جعفر اللماي

عارض أقبل في جنح الدجا * يتهادى كتهادي ذي الوجا
بددت ريح الصبا لؤلؤه * فانبرى يوقد عنها سرجا

ومثل قول أبي حفص بن برد

وكأن الليل حين لوى * ذاهبا والصبح قد لاحا
كلة سوداء احرقها * عامد أسرج مصباحا

وهل منكم من وصف ما تحدثه الخمرة من الحمرة على الوجنة بمثل قول الشريف الطليق

أصبحت شمسا وفوه مغربا * ويد الساقي المحيي مشرقا
واذا ما غربت في فمه * تركت في الخد منه شفقا

بمثل هذا الشعر فليطلق اللسان ويفخر على كل انسان وهل منكم من عمد الى قول امرئ القيس

سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

فاختلسه اختلاس النسيم لنفحة الازهار وسلبه بلطف استلاب الشمس لرضاب طل الاسحار فلطفه تلطيفا يمتزج بالارواح ويغني في الارتياح عن شرب الراح وهو ابن شهيد في قوله

ولما تملأ من سكره * ونام ونامت عيون الحرس
دنوت اليه على قربه * دنو رفيق درى ما التمس
أدب اليه دبيب الكرى * وأسمو اليه سمو النفس
أقبل منه بياض الطلى * وأرشف منه سواد اللعس
فبت به ليلتي ناعما * الى أن تبسم ثغر الغلس

وقد تناول هذا المعنى ابن أبي ربيعة على عظم قدره وتقدمه فعارض الصهيل بالنهاق وقابل العذب بالزعاق فقال وليته سكت

الصين بناه ولد عابور بن بعويل بن يافث بن نوح وافرده للعلة الاولى اذ كان منشأ هذا الملك وعمده وباعث الامور اليه وقيل انما بناه بعض ملوك الترك في قديم الزمان وجعل له سبعة أبيات في كل بيت منها سبع كوى يقابل كل كوة صورة منصوبة على صورة من الخمسة والنيرين من انواع الجواهر المضافة الى تأثير تلك الكواكب من ياقوت او زمرذ على اختلاف الوان الجواهر ولهم في هذا الهيكل سر يسرونه في بلاد الصين بما قد زخرف لهم فيه القول وزينه لهم الشيطان ولهم في هذا الهيكل علوم في اتصال الاجسام السماوية وأفعالها بعالم الكون الذي تحدثه وما يحدث فيه من الحركات والافعال عند تحرك الاجسام السماوية في هذا العالم وهو على حسب الذي نسج فيه بنصب من حركات الطبائع بتلك الخشب والخيوط الابريسم تحدث ضروب من الحركات فاذا اتصلت أفعاله وتواترت حركاته من النسج للثوب الديباج تمت الصورة فيه فيضرب من الحركات يظهر جناح طائر وبآخر رأسه وبآخر خروجه فلا يزال كذلك حتى تتم الصورة على حسب مراد الصانع بجعلوا هذا المثال واتصال الابريسم بآلة النسج وما يحدثه الصانع في ذلك من الافعال مثالا لما

ونقصت عنى العين أقبلت مشية الحباب وركنى خيفة القوم أزود

وأنا أقسم لو زار جل محبوبة له لكان ألطف فى الزيارة من هذا الازور الركن المنقص للعيون لكنه ان أساء هنا فقد أحسن فى قوله

قالت لقد أعييتنا حجة * فأت اذا ماهجع الساهر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لا ناه ولا زاجر

ولله در محمد بن سفر أحد شعرائنا المتأخرين عصرا المتقدمين قدرا حيث نقل السعى الى محبوبته فقال وليته لم يزل يقول مثل هذا فمثله ينبغى أن يتكلم ومثله يليق أن يدوّن

وواعدتها والشمس تجنح للنوى * بزورتها شمسا وبدر الدجى يسرى
فجاءت كما يمشى سنى الصبح فى الدجى * وطورا كما مر النسيم على النهر
فعطرت الآفاق حولى فاشعرت * بمقدمها والعرف يشعر بالزهر
فتابعت بالتقبيل آثار سعيها * كما يتقصى قارئ أحرف السطر
فبت بها والليل قد نام والهوى * تنبه بين الغصن والحقف والبدر
أعانقها طورا وألثم تارة * الى أن دعتنا للنوى راية الفجر
ففضت عقود الاعتناق بيننا * فيا ليلة القدر اتركى ساعة النفر

وهل منكم من قيد بالاحسان فأطلق لسانه الشكر فقال وهو ابن اللبانة

بنفسى وأهلى جيرة ما استعنتهم * على الدهر الا وانثنيت معانا
أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى * فلم أستطع من أرضهم طيرانا

ومن يقول وقد قطع عنه ممدوحه ما كان يعتاده منه من الاحسان فقابل ذلك بقطع مدحه له فبلغه أنه عتبه على ذلك وهو ابن وضاح

هل كنت الا طائرا بثنائكم * فى دوح مجدكم اقوم واقعد
ان تسلبونى ريشكم وتقاصوا * عنى ظلالكم فكيف اغرد

وهل منكم شاعر رأى الناس قد ضجوا من سماع تشبيه الثغر بالاقاح وتشبيه الزهر بالنجوم وتشبيه الخدود بالشقائق فتلطف لذلك فى ان ياتى به فى منزع يصير خلقه فى الاسماع جديدا وكليله فى الافكار حديدا فأغرب احسن اغراب واعرب عن فهمه بحسن تخيله انبل اعراب وهو ابن الزقاق

واغيد طاف بالكؤس ضحا * وحثها والصباح قد وضحا
والروض اهدى لنا شقائقه * وآسه العنبرى قد نفحا
قلنا وابن الاقاح قال لنا * اودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقى المدام يجحدها * قال فلما تبسم افتضحا

وقال

ادراها على الروض المندى * وحكم الصبح فى الظلماء ماضى
وكاس الراح تنظر عن حباب * ينوب لنا عن الحدق المراض
وما غربت نجوم الافق لكن * نقلن من السماء الى الرياض

وقال

و كذلك سائر ما يحدث فى العالم ويسكن ويتحرك ويوجد ويعدم ويتصل وينفصل ويجتمع ويفترق ويزيد وينقص من جماد ونبات أو حيوان ناطق أو غير ناطق فانما يحدث عن حركات الكواكب على حسب ما وصفنا من نسج الديباج وغيره من الصنائع واهل صناعة النجوم لا ينكرون ان يقولوا اعطته الزهرة كذا واعطاه المريخ كذا كالشقرة وصهوبة الشعر وأعطاه عطارد دقة الصنعة وأعطاه المشترى الحياء والعلم والدين وأعطته الشمس كذا وأعطاه القمر كذا وهذا باب يكثر القول فيه ويتسع وصف مذاهب الناس فيه وما قالوه فى بابه

(ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين)

البيوت المضاف بناؤها الى من سلف من اليونانيين ثلاثة بيوت فبيت منها كان بانطاكية من ارض الشام على جبل بها داخل المدينة والسور محيط بها وقد جعل المسلمون فى موضعه مرقبا لينذرهم من قد رتب فيه من الرجال بالروم اذا وردوا من البر والبحر وكانوا يعظمونه ويقربون فيه القرابين فخرب عند مجىء الاسلام وقد قيل ان قسطنطين الاكبر بن هيلانه

وقال

ورياض من الشقائق اضحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها * زهرات تروق لون الراح
قلت ماذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

فانظر كيف زاحم بهذا الاختيال المخترعين وكيف سابق بهذا اللفظ المبتدعين وهل منكم من برع في اوصاف الرياض والمياه ومايتعلق بذلك فانتهى الى غاية السباق وفضح كل من طمع بعده في اللحاق وهو ابو اسحق بن خفاجة القائل

وعشي انس اضجعتني نشوة * فيها يمهد مضجعي ويدمث
خلعت علي بها الاراكة ظلها * والغصن يصغي والحمام يحدث
والشمس تجنح للغروب مريضة * والرعد يرقي والغمامة تنفث

والقائل

لله نهر سال في بطحاء * أشهى ورودا من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كانه * والزهر يكنفه مجر سماء
قد رق حتى ظن قرصا مفرغا * من فضة في بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كانها * هدب تحف بمقلة زرقاء
ولطالما عاطيت فيه مدامة * صفراء تخضب أيدي الندماء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء

والقائل

حث المدامة والنسيم عليل * والظل خفاق الرواق ظليل
والروض مهتز المعاطف نعمة * نشوان تعطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انجلى * عنه فذهب صفحتيه أصيل

والقائل

أذن الغمام بديمة وعقار * فامزج لجينا منهما بنضار
واربع على حكم الربيع باجرع * هزج الندامى مفصح الاطيار
متقسم الالحاظ بين محاسن * من ردف رابية وخصر قرار
نثرت بحجر الروض فيه يد الصبا * درر الندى ودراهم الانوار
وهفت بتغريد هنالك أيكة * خفاقة بهبوب ريح عرار
هزت له أعطافها ولربما * خلعت عليه ملاءة النوار

والقائل

سقيا لها من بطاح خز * ودوح نهر بها مطل
اذ لاترى غير وجه شمس * أطل فيه عذار ظل

والقائل

نهر كما سال اللمى سلسال * وصبا بليل ذيلها مكسال

والتماثيل من الذهب والفضة وأنواع الجواهر وقد قيل ان هذا البيت هو بيت بمدينة انطاكية على يسرة الجامع الى اليوم وكان هيكلا عظيما والصابئة تزعم أن الذى بناه سقلانيوس وهو في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعرف بسوق الجزارين وقد كان ثابت بن قرة بن كرايا الصابئ الحراني حين وافى المعتضد في سنة تسع وثمانين ومائتين في طلب وصيف الخادم ابن ثابت أتى هذا الهيكل وعظمه وأخبر من شانه ماوصفنا (والبيت الثاني) من بيوت اليونانيين هو بعض تلك الاهرام التي ببلاد مصر وهو يرى من الفسطاط على أميال منها (والبيت الثالث) هو بيت المقدس على مازعم القوم والشريعة انما تخبر أن داود عليه السلام بناه وأتمه سليمان بعد وفاة أبيه والمجوس تزعم أن الذي بناه الضحاك وأنه سيكون له في المستقبل من الزمان خطب طويل ويقعد فيه ملك عظيم وذلك عند ظهور موسى على بقرة من صفتها كذا ومعه من الناس كذا من العدد وأقاصيص تدعيها المجوس في هذا المعنى واختلاط طويل ننزه كتابنا عن ذكره والله تعالى ولي التوفيق

بيت ببلاد المغرب بمدينة قرطاجنة وهى تونس وراء بلاد القيروان وهى من أرض الافرنجة وبنى على اسم الزهرة بأنواع من الرخام والبيت الثانى بافرنجة وهو بيت عظيم عندهم والبيت الثالث عندهم بمقدونية وقد أتينا على أخباره وأخبار غيره فيما سلف من كتبنا والله تعالى أعلم

(ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة)

كانت فى ديار الصقالبة بيوت تعظمها منها بيت كان لهم فى هذا الجبل الذى ذكرت الفلاسفة أنه أحد جبال العالم العالية وهذا البيت له خبر فى كيفية بنائه وترتيب أحجاره واختلاف ألوانه والخاريق المصنوعة وما أودع فيه من الجواهر والآثار المرسومة فيه الدالة على الكائنات المستقبلة وما تدل به تلك الجواهر من الاحداث قبل كونها وظهور أصوات من أعاليه بهم وما كان يلحقهم من سماع ذلك (وبيت) اتخذه ملوكهم على الجبل الاسود يحيط به مياه عجيبة ذوات ألوان وطعوم مختلفة عامة المنافع وكان لهم فيه صنم عظيم على صورة رجل قد انحنى على نفسه وهو شيخ بيده عصا يحرك بها

ومهب نفحة روضة مطلولة * فى جانبيها للنسيم مجال
غازلتها والاقحوانة مبسم * والآس صدغ والبنفسج خال

والقائل

وساق كحيل اللحظ فى شأو حسنه * جماح وبالصبر الجميل حران
ترى لاصطبار الراح بالنار خديه لم يثر * لها من سوادى عارضيه دخان
سقاها وقد لاح الهلال عشية * كما اعوج فى درع الكمى سنان
عقارا نماها الكرم فهى كريمة * ولم تزن بابن المزن فهى حصان
وقد جال من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والسنان عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت بأسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

والقائل فى وصف فرس ولم يخرج عن طريقته

واشقر تضرم منه الوغى * بشعلة من شعل الباس
من جلنار ناضر لونه * واذنه من ورق الآس
تطلع للغرة فى شقرة * حبابة تضحك فى كاس

وهل منكم من يقول منادما لنديمه وقد باكر روضا بمحبوب وكاس فالفاه قد غطى محاسنه ضباب فخاف ان يكسل نديمه عن الوصول اذا رأى ذلك وهو ابو الحسن بن بسام

الا بادر فما ثان سوى ما * عهدت الكاس والبدر التمام
ولا تكسل برؤيته ضبابا * تغص به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم الى أن * توافيه فينحط اللثام

وهل منكم من تغزل فى غلام حائك بمثل قول الرصافى

قالوا وقد اكثروا فى حبه عذلى * لولم تهم بمذال القدر مبتذل
فقلت لو كان امرى فى الصبابة لى * لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لى
علقته حببى الثغر عاطره * حلو اللمى ساحر الاجفان والمقل
غزيل لم تزل فى الغزل جائلة * بنانه جولان الفكر فى الغزل
جذلان تلعب بالحواك انمله * على السدى لعب الايام بالاجل
ضما بكفيه أو فحصا بأخمصه * تخبط الظبى فى أشراك مختبل

ومثل قوله فى تغلب مسكة الظلام على خلوق الاصيل

وعشى رائق منظره * قد قطعناه على صرف الشمول
وكأن الشمس فى اثنائه * الصقت بالارض خدا للنزول
والصبا ترفع أذيال الربا * ومحيا الجو كالنهر الصقيل
حبذا منزلنا مغتبقا * حيث لا يطرق الا غير الهديل
طائر شاد وغصن منثن * والدجى تشرب صهباء الاصيل

وهل منكم من يقول فى موشح فيما يجره هذا المعنى

وردا الاصيل تطوى به كف الظلام

وهو أبو القاسم بن الفرس وهل منكم من وصف غلاما جميل الصورة راقصا بمثل قول ابن خروف

ومنزع الحركات يلعب بالنهى * لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأودا كالغصن وسط رياضه * متلاعبا كالظبي عند كناسه
بالعقل يلعب مدبرا أو مقبلا * كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقدمين منه راسه * كالسيف ضم ذبابه لرياسه

وهل منكم من وصف خالا بأحسن من قول القشار

ألوامى على كلفي بحي * منى من حبه أرجو سراحا
وبين الخد والشفتين خال * كزنجي أتى روضا صباحا
تحير فى جناه فليس يدرى * أيجنى الورد أم يجنى الاقاحا

وهل منكم الذى اهتدى الى معنى فى لثم وردة الخدور شف رضاب الثغر لم يهتد اليه أحد غيره وهو أبو الحسن بن سلام المالقي فى قوله

لما ظفرت بليلة من وصله * والصب غير الوصل لا يشفيه
أنضجت وردة خده بتنفسى * وطفقت أرشف ماءها من فيه

وهل منكم من هجا من غير النطق باقذاع فبلغ ما لم يبلغه المقذع وهو المخزومى فى قوله

يود عيسى نزول عيسى * عساه من دائه يريح
وموضع الداء منه عضو * لا يرتضى مسه المسيح

ولما أقذع أتى أيضا بابدع فقال

يا فارس الخيل ولا فارس * الا على متن جواد الخصى
زدت على موسى وآياته * تفجر الماء وتخفى العصا

وهل منكم من مدح بمعنى فبلغ به النهاية من المدح ثم نقله الى الهجاء فبلغ به النهاية من الذم وهو البكى فى قوله مادحا

قوم لهم شرف العلا فى حمير * واذا انتموا لمتونة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا

وفى قوله هاجيا

ان المرابط باخل بنواله * لكنه بعياله يتكرم
الوجه منه مخلق لقبيح ما * يأتيه فهو من اجله يتلثم

وهل منكم من هجا أشتر العين بمثل قول أبى العباس بن جنون الاشبيلي

يا طلعة أبدت قبائح جمة * فالكل منها ان نظرت قبيح
أبعينك الشتراء عين ثرة * منها ترقرق دمعها المسفوح
شترت فقلنا زورق فى لجة * مالت باحدى دفتيه الريح
وكأنما انسانها ملاحها * قد خاف من غرق فظل يصيح

صور الغداف وغيرها وصور عجيبة لانواع من الاحابيش والزنج (وبيت آخر) على جبل لهم يحيط به خليج من البحر قد بنى باحجار المرجان الاحمر وأحجار الزمرذ الاخضر فى وسطه قبة عظيمة تحتها صنم عظيم أعضاؤه من جواهر أربعة زمرذ أخضر وياقوت أحمر وعقيق أصفر وبلور أبيض ورأسه من الذهب الاحمر وبازائه صنم آخر على صورة جارية وكان يقرب له قرابين ودخن وكان ينسب هذا البيت الى حكيم كان لهم فى قديم الزمان وقد أتينا على خبره وما كان من أمره بارض الصقالبة وما أحدث فيهم من الذبول والحيل والمخاريق المصطنعة التى اجتذب بها قلوبهم وملك نفوسهم واسترق بها عقولهم مع شراسة أخلاق الصقالبة واختلاف طبائعهم فيما سلف من كتبنا والله تعالى ولى التوفيق

(ذكر بيوت معظمة وهيا كل شريفة للصابئة وغيرها مما لحق بهذا الباب)

للصابئة من الحرانيين هيا كل على اسم الجواهر العقلية والكواكب (فمن ذلك) هيكل العلة الاولى وهيكل العقل وما أدرى أشاروا الى العقل

وهل منكم من حضر مع عدوّ لجاحد لما فعله معه من الخير وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر فقال له الحسود المذكور ان كنت شاعرا فقل في هذه فقال ارتجالا وهو ابن مجير

ساشكو الى الندمان أمر زجاجة * تردت بثوب حالك اللون أسحم
نصب بها شمس المدامة بيننا * فتغرب في جنح من الليل مظلم
وتجحد أنوار الحميا بلونها * كقلب حسود جاحد يد منعم

وهل منكم من قال لفاضل جمع بينه وبين فاضل وهو أبو جعفر الذهبي

ايها الفاضل الذي قد هداني * نحو من قد حمدته باختيار
شكر الله ما أتيت و جازا * ك ولا زلت نجم هدى لسارى
أى برق أفاد أى غمام * وصباح أدى الضوء نهار
واذا ما غدا النسيم دليلى * لم يحلنى الا على الازهار

وهل منكم أعمى قال في ذهاب بصره وسواد شعره وهو الطليطلي

أما اشتفت منى الايام فى وطنى * حتى تضايق فيما عن من وطرى
ولا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكر على ما طل فى الشعر

و هل منكم الذى طار فى مشارق الارض ومغاربها وهو ابو القاسم محمد بن هانئ الالبيرى

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وقد سمعت قائيته فى النجوم ولولا طولها لانشدتها هنا فانها أحسن ما قيل فى معناها

وهل منكم من قال فى الزهد مثل قول أبى وهب العباسى القرطبى

انا فى حالتى التى قد ترانى * ان تأملت أحسن الناس حالا
منزلى حيث شئت من مستقر الارض أسقى من المياه زلالا
ليس لى كسوة أخاف عليها * من مغير ولا ترى لى مالا
أجعل الساعد اليمين وسادى * ثم أثنى اذا انقلبت الشمالا
ليس لى والد ولا مولود * لا ولا حزت مذ عقلت عيالا
قد تلذذت حقبة بامور * فتأملتها فكانت خيالا

ومثل قول أبى محمد عبد الله بن العسال الطليطلى

انظر الدنيا فان أبصرتها شيئا يدوم
فاغتدمنها فى أمان * ان يساعدك النعيم
واذا أبصرتها منك على كره تهيم
فاسل عنها واطرحها * وارتحل حيث تقيم

وهل نشأ عندكم من النساء مثل ولادة المروانية التى تقول مداعبة للوزير ابن زيدون وكان له غلام اسمه على

مالابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولا ذنب لى
ينظرنى شزرا اذا جئته * كانما جئت لاخصى على

صاحب المنطق فى كتابه فى المقالة الثالثة من كتاب النفس العقل الاوّل الفعال الاول أم الثانى وقد ذكر والعقل الثانى وذكر ذلك معيطوس فى كتابه فى شرح كتاب النفس الذى عمله صاحب المنطق وقد ذكر العقل الاول والثانى الاسكندر والافرديوس فى مقالة أفردها فى ذلك قد ترجمها اسحق بن حنين (ومن هيا كل الصابئة) هيكل السنبلة وهيكل الصورة وهيكل النفس وهذه مدوّرات الشكل وهيكل زحل مسدس وهيكل المشترى مثلث وهيكل المريخ مستطيل وهيكل الشمس مربع وهيكل عطارد مثلث الشكل فى جوف مربع مستطيل وهيكل الزهرة مثلث فى جوف مربع وهيكل القمر مثمن الشكل (وقد حكى رجل) من ملكية النصارى من أهل حران يعرف بالحرث بن سنبسطاط للصابئة الحرانيين أشياء ذكرها من قرابين يقربونها من الحيوان ودخن للكواكب يبخرون بها وغير ذلك مما امتنعنا عن ذكره مخافة التطويل (والذى بقى) من هياكلهم المعظمة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بيت لهم بمدينة حران فى باب الرقة يعرف بصلينا وهو هيكل آزر أبى ابراهيم الخليل عليه السلام

ومثل

ومثل زينب بنت زياد المؤدب الوادي آشية التي تقول

ولما أبى الواشون الا فراقنا * ومالهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة * وقل حماتي عند ذاك وانصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي * ومن نفسي بالسيف والماء والنار

وأنا أختم هذه القطع المتخيرة بقول أبي بكر بن بقي ليكون الختام مسكا

عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه * وذؤابتاه حمائل في عاتقي
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيئا وكان معانقي
باعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على وساد خافق

وبقول القاضي أبي حفص بن عمر القرطبي

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
سما طرفي اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
وأذكر قدها فانوح وجدا * على الاغصان تنتدب الحمام
وأعقب بينها في الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وبقوله أيضا

لها ردف تعلق في لطيف * وذاك الردف لي ولها ظلوم
يعذبني اذا فكرت فيه * ويتعبها اذا رامت تقوم

وقد أطلت عنان النظم على اني اكتفيت عن الاستدلال على النهار بالصباح فبالله الا ما أخبرتني من شاعركم الذي تقابلون به شاعرا ممن ذكرت لا أعرف لكم أشهر ذكرا وأضخم شعرا من أبي العباس الجراوي وأولى لكم ان تجحدوا فخره وتنسوا ذكره فقد كفاكم ما جرى من الفضيحة عليكم في قوله من قصيدة يمدح بها خليفة

اذا كان املاك الزمان اراقما * فانك فيهم دائم الدهر ثعبان

فيا قبح ما وقع ثعبان وما اضعف ما جاء دائم الدهر ولقد أنشدت احد ظرفاء الاندلس هذا البيت فقال لا ينكر هذا على مثل الجراوي فسبحان من جعل روحه ونسبه وشعره تتناسب في الثقالة وان اردت الافتخار بالفرسان والتفاضل بالشجعان فمن كان قبلنا منهم في مدة المنصور بن ابي عامر ومدة ملوك الطوائف اخبارهم مشهورة وآثارهم مذكورة وكفاك من ابطال عصرنا ما سمعت عن الامير ابي عبد الله بن مردنيش وانه كان يدفع في مواكب النصارى ويشقها يمينا ويسارا منشدا

اكر على الكتيبة لا ابالي * أحتفي كان فيها ام سواها

حتى انه دفع يوما في موكب من النصارى فصرع وقتل وظهر منه ما أعجبت به نفسه فقال لشيخ من خواصه عالم بامور الحرب مشهود بها كيف رأيت فقال له لو رآك السلطان زاد فيما لك في بيت المال واعلى مرتبتك امن يكون راس جيش يقدم هذا الاقدام ويتعرض

عندهم وللقوم في آزر وابنه ابراهيم كلام كثير ليس في كتابنا هذا ولابن عبدون الحراني القاضي وكان ذا فهم ومعرفة وتوفي بعد الثلثمائة قصيدة طويلة يذكر فيها مذاهب الحرانيين المعروفين بالصابئة ذكر فيها هذا البيت وما تحته من السراديب الاربعة المتخذة لانواع صور الاصنام التي جعلت مثالا للاجسام السماوية وما ارتفع من ذلك من الاشخاص العلوية وأسرار هذه الاصنام وكيفية ايرادهم لاطفالهم الى هذه السراديب وعرضهم لهم على هذه الاصنام وما يحدث ذلك في ألوان صبيانهم من الاستحالة الى الصفرة وغيرها لما يسمعون ظهور أنواع الاصوات وفنون اللغات في تلك الاصوات من الاصنام والاشخاص بحيل قد اتخذت ومنافخ قد عملت تقف السدنة من وراء جدر فتتكلم بانواع من الكلام فتجري الاصوات في تلك المنافخ والمخاريق والمنافذ الى تلك الصور المجوفة والاصنام المشخصة فيظهر منها نطق على حسب ما قد عمل في قديم الزمان فيصطادون بها العقول وتسترق بها الرقاب ويقام بها الملك والممالك

وعما ذكر في هذه القصيدة قوله ان نفيس العجائب * بيت لهم في سرادب تعبد فيه الكواكب * باصنامهم خلف غائب

بهلاك نفسه الى هلا كهم فقال له دعنى فانى لا أموت مرتين واذا مت انا فلا عاش من بعدى والقائد ابو عبد الله بن قادوس الذى اشتهر من شجاعته ومواقعه فى النصارى وحسن بلائه ماصير النصارى من رعبه والاقرار بفضله فى هذا الشان أن يقول احدهم لفرسه اذا سقاه فلم يقبل على الماء مالك ارايت ابن قادوس فى الماء وهذه مرتبة عظيمة * والفضل ما شهدت به الاعداء * ولقد اخبرنى من اثق به انه خرج من عسكر فى كتيبة مجردة برسم الغارة على بلاد النصارى فوقع فى جمع كبير منهم فجهد جهده فى الخلاص منهم والرجوع الى العسكر فجعل يقاتل مع اصحابه فى حالة الفرار الى ان كبا باحد جنده فرسه وفر عنه فناداه مستغيثا فقال اصبر ثم نظر الى فارس من النصارى قد طرف فقال اجرالى هذا النصرانى فخذ فرسه وركض نحوه فاسقطه وقال لصاحبه اركب فركب ونجامعه سالما وامثال هذا كثير وانما جئت بحصاة من ثبير واما كرم النفس وشمائل الرياسة فانا احكى لك حكاية تتعجب منها وهى مما جرى فى عصرنا وذلك ان ابابكر بن زهر نشات بينه وبين الحافظ ابى بكر بن الجد عداوة مفرطة للاشتراك فى العلم والرياسة وكثرة المال والبلدية فاجرى ابن زهر يوما ذكره فى جماعة من اصحابه وقال لقد آذانا هذا الرجل أشد اذية ولم يقصر فى القول عند امير المؤمنين وعند خواص الناس وعوامهم فقال له احد عوامهم انى اذكرلك عليه عقدا فيه مخاصمة فى موضع مما يعز عليه من مواضعه ومتى خاصمته فى ذلك بلغت منه فى النكاية اشد مبلغ فخرج ابن زهر واظهر الغضب الشديد والانكار لذلك وقال لو كيله امثلى يجازى على العداوة بما يجازى به السفل والاوباش وانى اجعل ابن الجد فى حل من موضع الخصام وامر بان يحمل له العقد ثم قال وانى والله ما اروم بذلك اصالحه فان عداوته شديدة من حسد وانا أسال الله تعالى ان يديمها لانها مقترنة بدوام نعم الله على * وان تعرضت الى ذكر البلاد وتفسير محاسنها او ماخصها الله تعالى به مما حرمه على غيرها فاسمع ما يميت الحسود كمدا * أما اشبيلية فمن محاسنها اعتدال الهواء وحسن المبانى وتزيين الخارج والداخل وتمكن التمصر حتى ان العامة تقول لو طلب لبن الطير فى اشبيلية وجد ونهرها الاعظم الذى يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر

شق النسيم عليه جيب قميصه * فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها * هزأ فضم من الحياء ازاره

وزيادته على الانهار كون ضفتيه مطرزتين بالمنازه والبساتين والكروم والانسام متصل ذلك اتصالا لا يوجد على غيره واخبرنى شخص من الاكياس دخل مصر وقد سالته عن نيلها انه لا تتصل بشطيه البساتين والمنازه اتصالها بنهر اشبيلية وكذلك اخبرنى شخص آخر دخل بغداد وقد سعد هذا الوادى بكونه لا يخلو من مسرة وان جميع ادوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر لا ناه عن ذلك ولا منتقد مالم يؤد السكر الى شر وعربدة وقد رام من وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك فلم يستطيعوا ازالته واهله اخف الناس ارواحا واطبعهم نوادر واحملهم لمزاح باقبح ما يكون من السب قد مرنوا على ذلك فصار لهم ديدنا حتى صار عندهم من لا يبتذل فيه ولا يتلاعن ممقوتا ثقيلا وقد سمعت عن شرف اشبيلية الذى ذكره احد الوشاحين

وهذه الطائفة المعروفة بالحرانيين والصابئة فلاسفة الا أنهم من حشوية الفلاسفة وعوامهم مضافون لخواص حكمائهم اضافة سبب لا اضافة حكمة لانهم يونانية وليس كل اليونانيين فلاسفة انما الفلاسفة حكماؤهم (ورأيت) على باب مجمع الصابئة بمدينة حران مكتوبا بالسريانية قولا لافلاطون فسره مالك بن عقنون منهم وهو من عرف ذاته تأله وقد قال أفلاطون الانسان نبات سماوى والدليل على هذا أنه شبيه شجرة منكوسة أصلها الى السماء وفروعها فى الارض ولافلاطون كلام كثير فى هل النفس فى البدن أو البدن فى النفس كالشمس أهى فى الدار أو الدار فى الشمس وهذا قول تغلغل بنا الكلام فيه كالكلام فى تنقل الارواح فى انواع الصور (وقد تنازع) أهل هذه الآراء ممن قصد هذه المقالة فى النقلة على وجهين وطائفة من الفلاسفة القدماء اليونانيين والهند ممن لم يثبت كلامنزلا ولا نبيا مرسلا منهم افلاطون ومن عمم طريقهم فانه حكى عنهم أنهم زعموا أن النفس جوهر ليست بجسم وانها حية عالمة مميزة لاجل ذاتها وجوهرها وانها هى المدبرة للاجسام المركبة من طبائع الارض المتضادة وغرضها فى ذلك أن تقيمها

في

في موشحة مدح بها المعتضد بن عباد اشبيلنا عروسا وبعلها عباد وتاجها الشرف ومسلكها الواد اى شرف قد حاز ماشاء من الشرف اذ عم أقطار الارض خيره وسفر ما يعصر من زيتونه من الزيت حتى بلغ الاسكندرية وتزيد قراه على غيرها من القرى بانتخاب مبانيها وتهمم سكانها فيها داخلا وخارجا اذ هى من تبييضهم لها نجوم فى سماء الزيتون وقيل لاحد من رأى مصر والشام ايهما رأيت أحسن هذان أم اشبيلية فقال بعد تفضيل اشبيلية وشرفها غابة بلا أسد ونهرها نيل بلا تمساح وقد سمعت عن جبال الرحمة بخارجها وكثرة ما فيها من التين القوطى والشعرى وهذان الصنفان أجمع المتجولون فى أقطار الارض أن ليس فى غير اشبيلية مثل لهما وقد سمعت ما فى هذا البلد من أصناف ادوات الطرب كالخيال والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والفنار والزلامى والشقرة والنورة وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه والبوق وان كان جميع هذا موجودا فى غيرها من بلاد الاندلس فانه فيها أكثر وأوجد وليس فى بر العدوة من هذا شئ الا ما جلب اليه من الاندلس وحسبهم الدف واقوال واليرا وأبو قرون ودبدبة السودان وحماقى البرابر وأما جواريها ومراكبها برا وبحرا ومطابخها وفواكهها الخضراء واليابسة فاصناف اخذت من التفضيل باوفر نصيب واما مبانيها فقد سمعت عن اتقانها واهتمام اصحابها بها وكون اكثر ديارها لا تخلو من الماء الجارى والاشجار المتكاثفة كالنارنج والليم والليمون والزنبوع وغير ذلك واما علماؤها فى كل صنف رفيع او وضيع جدا او هزلا فاكثر من أن يعدوا واشهر من ان يذكروا واما ما فيها من الشعراء والوشاحين والزجالين فلو قسموا على بر العدوة ضاق بهم والكل ينالون خير رؤسائها ورفدهم وما من جميع ما ذكرت فى هذه البلدة الشريفة الا وقصدى به العبارة عن فضائل جميع الاندلس فانها تخلو بلادها من ذلك ولكن جعلت اشبيلية بل الله جعلها ام قراها ومركز فخرها وعلاها اذ هى اكبر مدنها واعظم امصارها

*واما قرطبة فكرسى المملكة فى القديم ومركز العلم ومنار التقى ومحل التعظيم والتقديم بها استقرت ملوك الفتح وعظماؤه ثم الملوك المروانية وبها كان يحيى بن يحيى راوية مالك وعبد الملك بن حبيب وقد سمعت من تعظيم أهلها للشريعة ومنافستهم فى السودد بعلمها وملوكها كانوا يتواضعون لعلمائها ويرفعون أقدارهم ويصدرون عن آرائهم وانهم كانوا لا يقدمون وزيرا ولا مشاورا ما لم يكن عالما حتى ان الحكم المستنصر لما كره له العلماء شرب الخمر هم بقطع شجرة العنب من الاندلس فقيل له فانها تعصر فى سواها فامسك عن ذلك وانهم كانوا لا يقدمون أحدا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره وتعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال فى غالب الحال خوفا من أن يميل به الفقر الى الطمع فيما فى أيدى الناس فيبيع به حقوق الدين ولقد أخبرت أن الحكم الربضى أراد تقديم شخص من الفقهاء يختص به للشهادة فاخذ فى ذلك مع يحيى بن يحيى وعبد الملك وغيرهما من اعلام العلماء فقالوا له هو أهل ولكنه شديد الفقر ومن يكون فى هذه الحالة لا نؤمنه على حقوق المسلمين لا سيما وأنت تريد انقطاعه وظهوره فى الدخول فى المواريث والوصايا وأشباه ذلك فسكت ولم يرد منازعتهم وبقى مهموما من كونهم لم يقبلوا قوله فنظر اليه ولده عبد الرحمن الذى ولى الملك بعده وعلى

من الحركة المضطربة الى المنتظمة (وزعموا) أنها تلذ وتألم وتموت وموتها عندهم انتقالها من جسد الى جسد بتدبير وبطلان ذلك الشخص الذى فسد ووصف بالموت لان شخصها يفسد ولأن جوهرها ينتقل (وزعموا) أنها عالمة بذاتها وجوهرها وفيها قبول علم المحسوسات من جهة الحس ولافلاطون وغيره فى هذه المعانى كلام يطول ذكره ويعجز عن وصفه واظهاره لاعتياصه وغموضه وكذلك صاحب المنطق وفيثاغورس وغيرهما من الفلاسفة عن تقدم وتاخر لان الطالب لعلم هذه الاشياء والاحاطة بفهمها وبلوغ غايتها لا يدرك ذلك لما نصبوا من الكتب ورتبوا من التصنيف للعلوم المؤدية الى معرفة الالفاظ الخمس وهى الجنس والفصل والنوع والخاصة والعرض ثم معرفة المقولات وهى عشرة الجوهر والكمية والكيفية والاضافة وهى النسبة وهذه أربع بسائط والست الاخر مركبات وهى الزمان والمكان والجدة وهى الملك والوضع والفاعل والمنفعل ثم بعد ذلك مما يترقى فيه الطالب الى ان ينتهى الى علم ما بعد الطبيعة من معرفة الاول والثانى (ثم

وجهه اثر ذلك فقال ما بالك يا مولاى فقال ألا ترى لهؤلاء الذين نقدمهم وننوه عند الناس بمكانهم حتى اذا كلفناهم ما ليس عليهم فيه شطط بل لا يعيبهم ولا هو مما يرزؤهم صدونا عنه وغلقوا أبواب الشفاعة وذكر له ما كان منهم فقال يا مولاى أنت أولى الناس بالانصاف ان هؤلاء ما قدمتهم أنت ولا نوهت بهم وانما قدمهم ونوه بهم علمهم أو كنت تاخذ قوما جهالا فتضعهم فى مواضعهم قال لا قال فأنصفهم فيما تعبوا فيه من العلم لينالوا به لذة الدنيا وراحة الآخرة قال صدقت ثم قال واما كونهم لم يقبلوا هذا الرجل لشدة فقره فالعلة فى ذلك تنحسم بما يبقى لك فى الصالحات ذكرا قال وما هو قال تعطيه من مالك قدر ما يلحق به من الغنى ما يؤهله لتلك المنزلة ويزيل عنك خجل ردهم لك وتكون هذه مكرمة ما سبقك اليها أحد فتهلل وجه الحكم وقال الى الى انها والله شنشنة عبشمية وان الذى قال فينا الصادق

وأبناء أملاك خضارم سادة * صغيرهم عند الانام كبير

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب وساله عن قدر ما يؤهله لتلك المرتبة من الغنى فذكر له عددا فامر له به فى الحين ونبه قدره بان أعطاه من اصطبله مركوبا وكانت هذه اكرومة لا خفاء بعظمها *يفنى الزمان وما بذته مخلد* ثم انه اذا كان له من الغنى ما يكفيه عن اموال الناس ومن الدين ما يصده عن محارم الله تعالى ومن العلم ما لا يجهل به التصرف فى الشريعة أباحوا له الفتوى والشهادة وجعلوا لواء الامة لذلك بين الناس القلانس والرداء وأهل قرطبة أشد الناس محافظة على العمل باصح الاقوال المالكية حتى انهم كانوا لا يولون حاكما الا بشرط أن لا يعدل فى الحكم عن مذهب ابن القاسم وقال ابن سارة لما دخل قرطبة الحمد لله قد وافيت قرطبة دار العلوم وكرسى السلاطين وهى كانت مجمع جيوش الاسلام ومنها نصر الله على عبدة الصليب يقال ان المنصور بن أبى عامر حين تم له ملك البرين وتوفرت الجيوش والاموال عرض بظاهر قرطبة خيله ورجله وقد جمع من أقطار البلاد ما ينهض به الى قتال العدو وتدويخ بلاده فنيف الفرسان على مائتى ألف والرجالة على ستمائة ألف وبها حتى الآن من صناديد المسلمين وقوادهم من لا يفتر عن محاربة ولا يمل من مضاربة من أسماؤهم باقاصى بلاد النصارى مشهورة وآثارهم فيها مأثورة وقلوبهم على البعد بخوفهم معمورة ويحكى أن العمارة فى مبانى قرطبة والزاهرة والزهراء اتصلت الى أن كان يمشى فيها بضوء السرج المتصلة عشرة أميال وأما جامعها الاعظم فقد سمعت أن ثرياته من نواقيس النصارى وأن الزيادة التى زاد فى بنائه ابن أبى عامر من تراب نقله النصارى على رؤسهم مما هدم من كنائس بلادهم وقد سمعت أيضا عن قنطرتها العظمى وكثرة أرحى واديها يقال انها تنيف على خمسة آلاف حجر عن كنبانيتها وما فضل الله تعالى به تربها من بركة ما ينبت فيه من القمح وطيبه وفيها جبال الورد الذى بلغ الربع منه مرات الى ربع درهم وصار أصحابه يرون الفضل لمن قطف بيده ما يحتاجون منه ونهرها ان صغر عندها عن عظمه عند اشبيلية فان لتقارب بريه هنالك وتقدع غدره ومروجه معنى آخر وحلاوة أخرى وزيادة انس وكثرة أمان من الغرق وفى جوانبه من البساتين والمروج ما زاده نضارة وبهجة * وأما جيان فانها بلاد الاندلس قلعة اذ هى أكثرها زرعا وأصرمها أبطالا وأعظمها امنعة وكم

رجع) بنا الاخبار عن مذاهب الصابئة من الحرانيين وذكر من أخبر عن مذاهبهم وكشف عن أحوالهم (فمن ذلك) كتاب رأيته لابى بكر محمد بن زكريا الرازى والفيلسوف صاحب كتاب المنصورى فى الطب وغيره ذكر فيه مذاهب الصابئة الحرانيين منهم دون من خالفهم من الصابئة وهم الكنياريون وذكر أشياء يطول ذكرها ويقبح عند كثير من الناس وصفها أعرضنا عن حكايتها اذ كان فى ذلك خروج عن حد الغرض فى كتابنا الى وصف الآراء والديانات وقد خاطب مالك بن عقنون وغيره منهم بشئ مما ذكرنا وغيره مما عنه كتبنا فهم من اعترف ببعضه وأنكر بعضا من ذكر القرابين وغيره مثل فعلهم بالثور الاسود فانه يضرب وجهه بالملح اذا سدت عيناه ثم يذبح ويدعى كل عضو من أعضائه وما يظهر منه من الحركات والاختلاج على ما يدل ذلك من أحوال السنة وغير ذلك من أسرارهم وهياكلهم وأحوال قرابينهم (قال المسعودى) وقد ذكر جماعة ممن له تامل بشان أمور هذا العالم والبحث عن الاخبار بان باقاصى بلاد الصين هيكلا مدوّرا له سبعة ابواب فى داخله قبة مسبعة عظيمة الشان عالية السمك فى أعالى القبة شبه الجوهر

رامتها عساكر النصارى عند فترات الفتن فرأوها أبعد من العيوق وأعز منالا من بيض الانوق ولا خلت من علماء ولا من شعراء ويقال لها جيان الحرير لكثرة اعتناء باديتها وحاضرتها بدود الحرير ومما يعد في مفاخرها ما بجهة بياسة احدى بلاد أعمالها من الزعفران الذي يسفر براً وبحراً وما في أبدة من الكروم التي كاد العنب لا يباع فيها ولا يشترى لكثرة وما كان بأبدة من أصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة فانهن أحذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدك واخراج القرى والمرابط والمتوجه * وأما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس لها القصبة المنيعة ذات الاسوار الشامخة والمباني الرفيعة وقد اختصت بكون النهر يتوزع على ديارها وأسواقها وحماماتها وأرحائها الداخلة والخارجة وبساتينها وزانها الله تعالى بان جعلها مرتبة على بسيطها الممتد الذي تفرغت فيه سبائك الانهار بين زبرجد الاشجار ولنسيم نجدها وبهجة منظر حورها في القلوب والابصار استلطاف يروق الطباع ويحدث فيها ما شاءه الاحسان من الاختراع والابتداع ولم تخل من أشراف أماثل وعلماء أكابر وشعراء أفاضل ولو لم يكن لها الا ما خصها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها من الشواعر مثل نزهون القلاعية وزينب بنت زياد وقد تقدم شعرهما وحفصة بنت الحاج وناهيك في الظرف والادب وهل ترى أظرف منها في جوابها للحسيب الوزير الناظم الناثر أبي جعفر ابن القائد الاجل أبي مروان بن سعيد وذلك انهما باتا بحور مؤمل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال أبو جعفر

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم * عشية وارانا بحور مؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريجة * اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قمري على الدوح وانثنى * قضيب من الريحان من فوق جدول
ترى الروض مسرورا بما قد بدا له * عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتبت اليها بعد الافتراق لتجاوبه على عادتها في ذلك فكتبت له ما لا يخفى فيه قيمتها

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا * ولكنه أبدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا * ولا صدح القمري الا بما وجد
فلا تحسن الظن الذي أنت أهله * فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق أبدى نجومه * لامر سوى كيما تكون لنا رصد

وأما مالقة فانها قد جمعت بين منظر البحر والبر بالكروم المتصلة التي لا تكاد ترى فيها فرجة لموضع غامر والبروج التي شابهت نجوم السماء كثرة عدد وبهجة ضياء وتخلل الوادي الزائر لها في فصلي الشتاء والربيع في سرر بطحائها وتوشيحه لخصور أرجائها ومما اختصت به من بين سائر البلاد التين الربي المنسوب اليها لان اسمها في القديم رية ولقد أخبرت انه يباع في بغداد على جهة الاستطراف وأما ما يسفر منه المسلمون والنصارى في المراكب البحرية فأكثر من أن يعبر عنه بما يحصره ولقد اجتزت بها مرة وأخذت على طريق الساحل من سهيل الى أن بلغت الى بليش قدر ثلاثة أيام متعجبا فيما حوته هذه

يزيد على رأس العجل تضيء منه جميع أقطار ذلك الهيكل وأن جماعة من الملوك حاولوا أخذ تلك الجوهرة فلم يدن أحدهم على مقدار عشرة أذرع شيئا وان حاول أحدهم أخذ هذه الجوهرة بشيء من الآلات الطوال كالرماح وغيرها وانتهت الى هذا المقدار من الذرع انعكست وعطلت وان رميت بشيء كان كذلك فليس شيء من الحيل يؤدي الى تناولها ولا بسبب وان تعرض لشيء من هدم هذا الهيكل مات من يروم ذلك من أهل الخبرة لقوة دافعة منفردة قد عملت في أنواع الاحجار المغناطيسية وفي هذا الهيكل بئر مسبعة الرأس متى أكب الانسان على رأس البئر أكبابا متمكنا تهور في البئر فصار في أسفلها على أم رأسه وعلى رأس هذه البئر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم أراه بقلم السند هنده هذه بئر تؤدي الى مخزن الكتب وتاريخ الدنيا وعلوم السماء وما كان فيما مضى من الدهر وما يكون فيما يأتي منه وتؤدي هذه البئر أيضا الى خزائن رغائب هذا العالم لا يصل الى الوصول اليها الا من وازت قدرته قدرتنا واتصل علمه بعلمنا وساوت حكمته حكمتنا فمن قدر على الوصول الى هذا المخزن فليعلم أنه قد وازانا ومن عجز عن الوصول الى ماوصفنا

المسافة من شجر التين وان بعضه ليجتنى جميعها الطفل الصغير من لزوقها بالارض وقد حوت ما يتعب الجماعة كثرة وتين بلش هو الذى قيل فيه لبربرى كيف رأيته قال لا تسألنى عنه وصب فى حلقى بالقفة وهو لعمر الله معذور لانه نعمة حرمت بلاده منها وقد خصت بطيب الشراب الحلال والحرام حتى سار المثل بالشراب المالقى وقيل لاحد الخلفاء وقد أشرف على الموت اسال ربك المغفرة فرفع يديه وقال يارب أسالك من جميع ما فى الجنة خمر مالقة وزبيب اشبيلية وفيها تنسج الحلل الموشية التى تتجاوز اثمانها الآلاف ذات الصور العجيبة المنتخبة برسم الخلفاء فمن دونهم وساحلها محط تجارة لمراكب المسلمين والنصارى *وأما المرية فانها البلد المشهور الذكر العظيم القدر الذى خص أهله باعتدال المزاج ورونق الديباج ورقة البشرة وحسن الوجوه والاخلاق وكرم المعاشرة والصحبة وساحلها أنظف السواحل وأشرحها وأملحها منظرا وفيها الحصا الملون العجيب الذى يجعله رؤساء مراكش فى البرار يد والرخام الصقيل المملوكى وواديها المعروف بوادى بجانة من أفرج الاودية ضفتاه بالرياض كالعذارين حول الثغر فحق أن ينشد فيها

أرض وطئت الدر رضراضها * والترب مسكا والرياض جنانا

وفيها كان ابن ميمون القائد الذى قهر النصارى فى البحر وقطع سفرهم فيه وضرب على بلاد الرمانية فقتل وسبى وملأ صدور أهلها رعبا حتى كان منه كما قال أشجع

فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

وبها كان محط مراكب النصارى ومجتمع ديوانهم ومنها كانت تسفر لسائر البلاد بضائعهم ومنها كانوا يوسقون جميع البضائع التى تصلح لهم وقصد بضبط ذلك بها حصر ما يجتمع فى أعشارهم ولم يوجد لهذا الشان مثلها لكونها متوسطة ومتسعة قائمة بالوارد والصادر وهى أيضا مصنع للحلل الموشية النفيسة وأما مرسية فانها حاضرة شرق الاندلس ولاهلها من الصرامة والاباء ما هو معروف مشهور وواديها قسيم وادى اشبيلية كلاهما ينبع من شقورة وعليه من البساتين المتهدلة الاغصان والنواعير المطربة الالحان والاطيار المغردة والازهار المتنضدة ما قد سمعت وهى من أكثر البلاد فواكه وريحانا وأهلها أكثر الناس راحات وفرجا لكون خارجها معينا على ذلك بحسن منظره وهى بلدة تجهز منها العروس التى تنتخب شورتها لا تفتقر فى شئ من ذلك الى سواها وهى للمرية ومالقة فى صنعة الوشى ثالثة وقد اختصت بالبسط التفتلية التى تسفر لبلاد المشرق وبالحصر التى تغلف بها الحيطان المبهجة للبصر الى غير ذلك مما يطول ذكره ولم تخل من علماء وشعراء وأبطال *وأما بلنسية فانها لكثرة بساتينها تعرف بمطيب الاندلس ورصافتها من أحسن متفرجات الارض وفيها البحيرة المشهورة الكثيرة الضوء والرونق ويقال انه لمواجهة الشمس لتلك البحيرة يكثر ضوء بلنسية اذ هى موصوفة بذلك ومما خصت به النسيج البلنسى الذى يسفر لاقطار المغرب ولم تخل من علماء ولا شعراء ولا فرسان يكابدون مضايقة الاعداء ويتجرعون فيها النعماء ممزوجة بالضراء وأهلها أصلح الناس مذهبا وأمتنهم دينا وأحسنهم صحبة وأرفقهم بالغريب *وأما جزيرة ميورقة فمن أخصب بلاد الله تعالى أرجاء وأكثرها زرعا ورزقا

فليعلم أنا اشد منه باسا وأقوى حكمة وأكثر علما وأبعث دراية وأتم عناية والارض التى عليها هذا الهيكل والقبة وفيها البئر أرض حجرية صلبة عالية من الارض كالجبل الشامخ لا ترام قلعته ولا يتاتى نقب ماهو تحته فاذا أدرك البصر ذلك الهيكل والقبة والبئر وقع للرائى عند رؤيته ذلك جزع وحزن واجتذاب للقلب اليه وحريق على بنيته وتاسف على افساد شئ منه أو هدمه والله أعلم بذلك

(ذكر الاخبار عن بيوت النيران وغيرها)

فاما بيوت النيران ومن رسمها من ملوك الفرس الأولى والثانية فاول ما يحكى ذلك عنه افريدون الملك وذلك انه وجد نارا يعظمها أهلها وهم معتكفون على عبادتها فسالهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم فى عبادتها فاخبروه أنها واسطة بين الله وبين خلقه وانها من جنس الآلهة النورية واشياء ذكروها اعرضنا عن ذكرها لاعتياصها وذلك انهم جعلوا للنور مراتب وفرقوا بين طبع النار والنور وان الحيوان يجتذب فيحرق نفسه كالفراش الطائر فالطف يطرح نفسه فى السراج فيحرقها وغير ذلك مما يقع فى صيد الليالى من الغزلان والطير والوحوش وظهور الحيتان من الماء اذا قربت من السراج

وماشية

وماشية وهي على انقطاعها من البلاد مستغنية عنها بصل فاضل خيرها الى غيرها اذ فيها من الحضارة والتمكن والتمصر وعظم البادية ما يغنيها وفيها من الفوائد ما فيها ولها فضلاء وأبطال اقتصروا على حمايتها من الاعداء المحدقة بها

من كل من جعل الحسام خليله * لا يبتغي أبدا سواه معينا

هذا ان الله تعالى فضلك بالانصاف وشرف كرمك بالاعتراف ما حضرني الآن في فضل جزيرة الاندلس ولم أذكر من بلادها الا ما كل بلد منها مملكة مستقلة يليها ملوك بني عبد المؤمن على انفراد وغيرها في حكم التبع * وأما علماؤها وشعراؤها فاني لم أعرض منهم الا لمن هو في الشهرة كالاصباح وفي مسير الذكر كمسير الرياح وأنا أحكي لك حكاية جرت لي في مجلس الرئيس الفقيه أبي بكر بن زهر وذلك اني كنت يوما بين يديه فدخل علينا رجل عجمي من فضلاء خراسان وكان ابن زهر يكرمه فقلت له ما تقول في علماء الاندلس وكتابهم وشعرائهم فقال كبرت فلم أفهم مقصده واستبردت ما أتى به وفهم عني أبو بكر بن زهر أني نظرته نظر المستبرد المنكر فقال لي أقرأت شعر المتنبي قلت نعم وحفظت جميعه قال فعلى نفسك اذن فلتنكر وخاطرك بقلة الفهم فلتتهم فذكرني بقول المتنبي

كبرت حول ديارهم لما بدت * منها الشموس وليس فيها المشرق

فاعتذرت للخراساني وقلت له قد والله كبرت في عيني بقدر ما صغرت نفسي عندي حين لم أفهم نبل مقصدك فالحمد لله الذي أطلع من المغرب هذه الشموس وجعلها بين جميع أهله بمنزلة الرؤس وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المختار من صفوة العرب وعلى آله وصحبه صلاة متصلة الى غابر الحقب كملت رسالة الشقندي وهو أبو الوليد اسمعيل بن محمد وشقندة المنسوب اليها قرية مطلة على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب قال ابن سعيد وهو ممن كان بينه وبين والدي صحبة أكيدة ومجالسات انس عديدة ومزاورات تصل ومحاورات لا تكاد تنفصل وانتفعت بمجالسته وله رسالة في تفضيل الاندلس يعارض بها أبا يحيى في تفضيل بر العدوة أورد فيها من المحاسن ما يشهد له بلطافة المنزع وعذوبة المشرع وكان جامعا للفنون من العلوم الحديثة والقديمة وعني بمجلس المنصور فكانت له فيه مشاهد غير ذميمة وولي قضاء بياسة وقضاء لورقة ولم يزل محفوظ الجانب محمود المذاهب سمعته ينشد والدي قصيدة في المنصور وقد نهض للقاء العدو منها

اذا نهضت فان السيف منتهض * ترمي السعود بها ما والعدا غرض
لك البسيطة تطويها وتنشرها * فليس في كل ما تنويه معترض

قال وسمعته يقول له أنشدت الوزير أبا سعيد بن جامع قصيدة أولها

استوقف الركب قد لاحت لك الدار * واسأل ربعا تناءت عنه أقمار
لا خفف الله عني بعد بينهم * فانني سرت والاحباب ما ساروا

ومنها

ألا رعى الله ظبيا في قبابهم * منه لهم في ظلام الليل انوار

وله

في الزوارق كما يصطاد ببلاد البصرة السمك في الليل يظهر من الماء طافيا حتى يقع في جوف المركب والسرج قد جعلت حواليه وان بالنور صلاح هذا العالم وشرف النار على الظلمة ومضادتها لها ومرتبة الماء وزيادته على النار باطفائه ومضادته لها وانه أصل لكل شئ ومبدأ الكل شئ ومبدأ الكل تمام فلما أخبر أفريدون بما ذكرنا أمر بحمل جزء منها الى خراسان فاتخذ لها بيتا بطوس وبني آخر من بيوت النار بسجستان كراكركان اتخذه بهمن بن اسفنديار باذ ابن يستاسف وبيت آخر ببلاد السيروان والري وكان فيه أصنام فاخرجها أنوشروان وقيل ان أنوشروان صادف هذا البيت وفيه نار معظمة فنقلها الى الموضع المعروف بالبركة وبيت آخر للنار يقال له كوسجه بناه كيخره الملك وقد كان بقومس بيت للنار معظم لا يدرى من بناه يقال له جريس ويقال ان الاسكندر لما غلب عليها تركها ولم يطفئها ويقال انه كان في ذلك الموضع فيما مضى مدينة عظيمة عجيبة البناء فيها بيت كبير عجيب الهيئة فيه أصنام فاخربت تلك المدينة بما فيها من البيوت ثم بني بعد ذلك بيت وجعلت فيه تلك النار وبيت آخر بناه فارس بن كاوش الجبار وذلك زمان ابشه بشرق

علَّلاني بذكر من همت فيه * وعداني عنه بما أرتجيه
واذا ما طربتما لارتياحي * فاجعلا ذكره مدامة فيه
ليت شعري وكم أطيل الاماني * أي يوم في خلوة ألتقيه
واذا ما ظفرت يوما بشكوى * قال لي أين كل ما تدعيه
لا دموع ولا سقام فماذا * شاهد عنك بالذي تدعيه
قلت دعني أمت بدائي فاني * لو براني الغرام لا أبديه

وقال في عوّاده لما مرض

اني مرضت مرضة * اسقطت منها في يدي
فكان في الاخوان من * لم أره في العوّد
فقلت في كلهم * قول امرئ مقتصد
أيْرُ الذي قد عادني * في است الذي لم يعد

مات باشبيلية سنة ٦٢٩ انتهى * وقال ابن سعيد أنشدني والدي للحافظ أبي الطاهر السلفي قال وكفى به شاهدا وبقوله مفتخرا

بلاد أذربيجان في الشرق عندنا * كاندلس بالغرب في العلم والادب
فما ان تكاد الدهر تلقى مميزا * من اهليهما الا وقد جد في الطلب

وحكى غير واحد كابن الابار ان عباس بن ناصح الشاعر لما توجه من قرطبة الى بغداد ولقى أبا نواس قال له أنشدني لابي الاجرب قال فانشدته ثم قال أنشدني لبكر الكناني فانشدته وهذان شاعران من شعراء الأندلس واعلم اننا ان تتبعنا كلام الاندلسيين وحكاياتهم الدالة على سبقهم طال بنا الكتاب ولم نستوف المراد فرأينا أن نذكر بعضا من ذلك بحسب ما اقتضاه الحال وأبداه ليكون عنوانا دالا على ما عداه * يكفي من الحلي ما قد حف بالعنق * ولنبدأ ما نسوقه من أخبار الاندلسيين وأشعارهم وحكاياتهم في الجد والهزل والتولية والعزل بقول الفقيه الزاهد أبي عمران موسى بن عمران المارتلي وكان سكن اشبيلية

لا تبك ثوبك ان أبليت جدته * وابك الذي أبلت الايام من بدنك
ولا تكونن مختالا بجدته * فربما كان هذا الثوب من كفنك
ولا تعفه اذا أبصرته دنسا * فانما اكتسب الاوساخ من درنك

وقال أبو عمرو اليحصبي اللوشي

شرد النوم عن جفونك وانظر * حكمة توقظ النفوس النياما
فحرام على امرئ لم يشاهد * حكمة الله أن يذوق المناما

وقال أيضا

ليس للمرء اختيار في الذي * يتمنى من حراك وسكون
انما الامر لرب واحد * ان يشأ قال له كن فيكون

وقال أبو وهب القرطبي

تنام وقد أعدلك السهاد * وتوقن بالرحيل وليس زاد

وتصبح

الصين مما يلي البركة وبيت نار بمدينة أرجان من أرض فارس اتخذه في آخره بهراسف وهذه البيوت العشرة كانت قبل ظهور زرادشت بن استيجان نبي المجوس ثم اتخذ زرادشت ابن استيجان بعد ذلك بيوت النيران وكان مما اتخذ بيت بمدينة نيسابور من بلاد خراسان وبيت آخر بمدينة نسا والبيضاء من أرض فارس وقد كان يستاسف الملك يطلب نارا معظمها جرز فوجدت بمدينة خوارزم فنقلها بعد ذلك يستاسف الى مدينة دارابجرد من ارض فارس وكورها بهذا البيت وهذه النار تسمى في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة اذر وحوّا وتفسير ذلك نار النهر وذلك أن آذر أحد أسماء النار بالفارسية الاولى والمجوس تعظم هذه النار ما لا تعظم غيرها من النيران والبيوت (وذكرت) الفرس ان كيخسره لما خرج غازيا الى الترك سار الى خوارزم فمر على تلك الديار فلما وجدها عظمها وسجد لها ويقال ان أنوشروان هو الذي نقلها الى الكاريان فلما ظهر الاسلام تخوفت المجوس أن تطفئها المسلمون فتركوا بعضها بالكاريان ونقلوا بعضها الى نسا والبيضاء من كورة فارس لتبقى احداهما ان طفئت الاخرى (وللفرس) بيت نار باصطخر فارس تعظمه المجوس كان في قديم الزمان فأخرجته حماني بنت بهمن

وتصبح مثل ماتمشى مضيعا * كانك لست تدرى ماالمراد
أتطمع أن تفوز غدا هنيا * ولم يك منك فى الدنيا اجتهاد
اذا فرطت فى تقديم زرع * فكيف يكون من عدم حصاد

وقيل ان الابيات السابقة التى أولها أتانى حالتى الى آخره وجدت فى تركته بخطه فى شقف و بعضهم ينسبها لغيره واسم أبى وهب المذكور عبد الرحمن وذكره ابن بشكوال فى الصلة وأثنى عليه بالزهد والانقطاع وكان فى أول أمره قد حسب عامة الناس انه مختل العقل فجعلوا يؤذونه و يرمونه بالحجارة و يصيحون عليه يامجنون ياأحمق فيقول

ياعاذلى أنت به جاهل * دعنى به لست بمغبون
أماترانى أبدا والها * فيه كمسحور ومفتون
أحسن ماأسمع فى حبه * وصفى بمختل ومجنون

وقال الخطيب أبو محمد بن برطلة

بأربعة أرجو نجاتى وانها * لاكرم مذخور لدى واعظم
شهادة اخلاصى وحبى محمدا * وحسن ظنونى ثم أنى مسلم

وقال ابن حبيش

قالوا تصبر عن الدنيا الدنية او * كن عبدها واصطبر للذل واحتمل
لابد من احد الصبرين قلت نعم * الصبر عنها بعون الله اوفق لى

وقال ابن الشيخ

اطلب لنفسك فوزها واصبر لها * نظر الشفيق وخف عليها واتق
من ليس يرحم نفسه و يصدها * عما يهلكها فليس بمشفق

وقال ابو محمد القرطبى

لعمرك ما الدنيا وسرعة سيرها * لسكانها الا طريق مجاز
حقيقتها أن المقام بغيرها * ولكنهم قد أولعوا بمجاز

وقال الشميسى

لله فى الدنيا وفى اهلها * معميات قد فككناها
من بشر نحن فى طبعنا * نحب فيها المال والجاها
دعنى من الناس ومن قولهم * فانما الناس اخلاها
لم تقبل الدنيا على ناسك * الا وبالرحب تلقاها
وانما يعرض عن وصلها * من صرفت عنه محياها

وقال ابو القاسم بن بقى

الا انما الدنيا كراح عتيقة * اراد مديروها بها جلب الانس
فلما اداروها أثارت حقودهم * فعاد الذى راموا من الانس بالعكس

وقال ابو محمد عبد الله بن العسال الطليطلى

انظر الدنيا فان ابصرتها شيأ يدوم

ابن اسفنديار وجعلته بيت نار ثم نقلت عنه النار فخرب والناس فى وقتنا هذا يذكرون أنه مسجد سليمان ابن داود وبه يعرف وقد دخلته وهو على فرسخ من مدينة اصطخر فرأيت بنيانا عجيبا وهيكلا عظيما واساطين صخر عجيبة على أعلاها صور من الصخر ظريفة ومن الحلى وغيره كالحيوان عظيمة القدر والاشكال محيط بذلك جبل عظيم وسور منيع من الحجر وفيه صور لاشخاص قد تشكلت وأبقيت صورها فزعم من جاور هذا الموضع أنها صور الانبياء وهو فى سفح الجبل والريح غير خارجة عن ذلك الهيكل فى ليل ولا نهار لها هبوب ودوى يذكر من هنالك أن سليمان بن داود عليهما السلام حبس الريح فى ذلك الموضع وأنه كان يتغدى ببعلبك من ارض الشام ويتعشى فى هذا المسجد وينزل بمدينة تدمر وقلعتها المتخذة فيها ومدينة تدمر فى البرية بين العراق ودمشق وحمص من أرض الشام يكون منها من الشام نحو خمسة أميال أوستة وهى بنيان عجيب من الحجر وكذلك الملعب الذى فيها وفيها خلق من الناس من العرب من قحطان وفى مدينة سابور من أرض فارس بيت للنار معظم عندهم اتخذه دارا بن دارا (وفى مدينة جور) من ارض فارس وهو البلد الذى يحمل منه ماء الورد

فاغدمنها فى امان * ان يساعدك النعيم
واذا ابصرتها منـــك على كره تقيم
فاسل عنها واطرحها * وارتحل حيث تقيم

وقال ابن هشام القرطبى

وابى المدامة لا اريد بشربها * صلف الرقيع ولا انهماك اللاهى
لم يبق من عهد الشباب وطيبه * شئ كعهدى لم يحل الاهى
ان كنت أشربها لغير وفائها * فتركتها للناس لا لله

وقال ابو محمد بن السيد البطليوسى مما نسبه اليه فى المغرب

اخو العلم حى خالد بعد موته * واوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يظن من الاحياء وهو عديم

وقال أبو الفضل بن شرف

لعمرك ماحصلت على خطير * من الدنيا ولا أدركت شيا
وها أنا خارج منها سليبا * أقلب نادما كلتا يديا
وأبكى ثم أعلم أن مبكا * ى لا يجدى فأمسح مقلتيا
ولم أجزع لهول الموت لكن * بكيت لقلة الباكى عليا
وان الدهر لم يعلم مكانى * ولا عرفت بنوه ما الديا
زمان سوف أنشر فيه نشرا * اذا أنا بالحمام طويت طيا
أسر بأننى ساعيش ميتا * به ويسوءنى أن مت حيا

وقال الزاهد العارف بالله سيدى أبو العباس بن العريف نفعنا الله تعالى به

سلوا عن الشوق من أهوى فانهم * أدنى الى النفس من وهمى ومن نفسى
فمن رسولى الى قلبى ليسالهم * عن مشكل من سؤال الصب ملتبس
حلوا فؤادى فما يندى ولو وطئوا * صخرا لجاد بماء منه منبجس
وفى الحشا نزلوا والوهم يخرجهم * فكيف قروا على أذكى من القبس
لأنهضن الى حشرى بحبهم * لا بارك الله فيمن خانهم ونسى

قلت وقد زرت قبره المعظم بمراكش سنة عشر وألف وهو ممن يتبرك به فى تلك الديار ويستسقى به الغيث وهو من أهل المرية وأحضره السلطان الى مراكش فمات بها وله كرامات شهيرة ومقامات كبيرة نفعنا الله تعالى به *واعلم ان أهل الاندلس كانوا فى القديم على مذهب الاوزاعى وأهل الشام منذ اول الفتح ففى دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وهو ثالث الولاة بالاندلس من الامويين انتقلت الفتوى الى رأى مالك بن أنس وأهل المدينة فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة والاندلس جميعا بل والمغرب وذلك برأى الحكم واختياره واختلفوا فى السبب المقتضى لذلك فذهب الجمهور الى أن سببه رحلة علماء الاندلس الى المدينة فلما رجعوا الى الاندلس وصفوا فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره فاعظموه كما قدمنا ذلك وقيل ان الامام مالكا سأل بعض الاندلسيين عن سيرة ملك الاندلس فوصف

الجورى واليه يضاف بيت النار بناه اردشير بن بابك قد رأيته وهو على ساعة منها على عين هناك عجيبة وله عيد وهو احد متنزهات فارس وفى وسط مدينة جور بنيان كانت تعظمه الفرس يقال له البرمال اخربه المسلمون وبين جور ومدينة كوار عشرة فراسخ وبها يعمل ماء الورد الكوارى واليها يضاف وهذا الماء الورد المعمول بجور وكوار أطيب ماء ورد يعمل فى العالم لصحة البرية وصفاء الهواء وألوان سكان هذه البلاد حمرة فى بياض ليست لغيرهم من الامصار ومن كوار الى مدينة شيراز وهى قصبة فارس عشرة فراسخ (وبجور وكوار وشيراز وغيرها) من كور فارس أخبار ولها فيها من البنيان اقاصيص يطول ذكرها قد دونتها الفرس وكذلك ما كان بارض فارس من الموضع المعروف بماء النار وقد بنى عليه هيكل وكان كورش الملك حين ولد المسيح عليه السلام بعث ثلاثة انفس دفع الى احدهم صرة من لبان والى آخر صرة من مر والى آخر صرة من تبر وسيرهم يهتدون بنجم وصفه لهم فساروا حتى انتهوا الى السيد المسيح وامه بارض الشام والنصارى تغلو فى قصة هؤلاء النفر وهذا الخبر موجود فى الانجيل وان هذا الملك كورش نظر الى نجم قد طلع بمولد

له سيرته فاعجبت مالكا لكون سيرة بنى العباس فى ذلك الوقت لم تكن بمرضية وكابد لما صنع أبو جعفر المنصور بالعلوية بالمدينة من الحبس والاهانة وغيرهما ماهو مشهور فى كتب التاريخ فقال الامام مالك رضى الله تعالى عنه لذلك المخبر نسأل الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم أو كلاما هذا معناه فنميت المسئلة الى ملك الاندلس مع ماعلم من جلالة مالك ودينه فحمل الناس على مذهبه وترك مذهب الاوزاعى والله تعالى أعلم * وحكى أن القاضى الزاهد أبا اسحق ابراهيم بن عبد الله بن أبى يغمور لما ندبه أهل الامر لولاية القضاء بمدينة فاس استعفى فلم يقبل منه وخرج الى تلك الناحية وخرج الناس لوداعه فانشد

عليكم سلام الله انى راحل * وعيناى من خوف التفرق تدمع
فان نحن عشنا فهو يجمع بيننا * وان نحن متنا فالقيامة تجمع

وأنشد أصحابه رحمه الله تعالى ولا أدرى هل هى له أو لغيره

كنا نعظم بالآمال قدركم * حتى انقضت فتساوى عندنا الناس
لم تفضلونا بشئ غير واحدة * هى الرجاء فسوّى بيننا الياس

وأنشد أيضا

بلوتهم مذ كنت طفلا فلم اجد * كما أشتهى منهم صديقا وصاحبا
فصوّبت رأيى فى فرارى منهم * وشمرت أذيالى وأمعنت هاربا

وأنشد لغيره فى الكتمان

أخفى الغرام فلا جوارحه * شعرت بذاك ولا مفاصله
كالسيف يحجبه الحسام ولم * يعلم بما حملت حمائله

وأنشد

قد كنت أمرض فى الشبيبة دائما * والموت ليس يمر لى فى البال
والآن شبت وصحتى موجودة * وأرى كأن الموت فى أذيالى

ولما أنشده تاج الدين بن حمويه السرخسى الوافد على المغرب من المشرق قول بعضهم

فلا تحقرن عدوّا رماك * وان كان فى ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

قال حسن جيد ولكن اسمع ماقال شاعرنا القسطلى وأنشد

أثرنى لكشف الخطب والخطب مشكل * وكلنى لليث الغاب وهو هصور
فقد تخفض الاسماء وهى سواكن * ويعمل فى الفعل الصريح ضمير
وتنبو الردينيات والطول وافر * ويبعد وقع السهم وهو قصير

وكان الوزير الكريم أبو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافرى أحد وزراء الاندلس كثير الصنائع جزل المواهب عظيم المكارم على سنن عظماء الملوك واخلاق السادة لم ير بعده مثله فى رجال الاندلس ذاكرا للفقه والحديث بارعا فى الآداب شاعرا مجيدا وكاتبا بليغا كثير الخدم والاهل ومن آثاره الجسام بجوفى الجامع الاعظم من غرناطة وزاد فى سقف الجامع من صحنه

وقد أتينا فى كتابنا اخبار الزمان على شرح هذا الخبر وماقالت فيه المجوس والنصارى وخبر الرغفان التى دفعتها اليهم مريم وماكان من الرسل وجعل الخبز تحت الصخرة وغوصها فى الارض وذلك بفارس وكيف حضر عليها الماء وأنها وجدت وقد صارت شعلتى نار على وجه الارض تتقدان وغير ذلك مما قيل فى هذا الخبر (وقد كان أردشير) بنى بيتا آخر يقال له باربو فى اليوم الثانى من غلبة فارس وبيت نار على خليج القسطنطينية فى عساكره فلم يزل هذا البيت هنالك الى خلافة المهدى فخرب وله خبر عجيب وقد كان سابور الجنود اشترط على الروم بناء هذا البيت وعمارته عند حصاره القسطنطينية وكان مسيره فى جيوش فارس وغيرها من الترك وملوك الامم فسمى سابور الجنود لكثرة من تبعه من الجنود (وقد كان سابور) لما سار الى بلاد الحيرة عدل عن طريقه فنزل الحصن المعروف بالحضر وقد كان هذا الحصن للساطرون بن اسطرون ملك السريانيين فى رستاق يقال له أباحر من بلاد الموصل (وقد ذكرته الشعراء) لعظم ملكه وكثرة جيوشه وحسن بنائه بهذا الحصن المعروف

وعوّض أرجل قسيه أعمدة الرخام وجلب الرؤس والموائد من قرطبة وفرش صحنه بكذان الصخر ووجهه أميره على بن يوسف بن تاشفين الى طرطوشة برسم بنائها فلما حاءها سال قاضيها فكتب له جملة من أهلها ممن ضعفت حاله وقل تصرفه من ذوى البيوتات فاستعملهم امناء ووسع أرزاقهم حتى كمل له ما أراد من عمله ومن عجز أن يستعمله وصله من ماله فصدر عنها وقد أنعش خلقا رضى الله تعالى عنه ورحمه ومن شعره فى مجلس أطربه سماعه وبسطه احتشاد الانس فيه واجتماعه فقال

لا تلمنى بان طربت لشجو * يبعث الانس فالكريم طروب
ليس شق الجيوب حقا علينا * انما الحق أن تشق القلوب

وخطف غلام من غلمانه نوّارة ومد بها يده الى أبى نصر الفتح بن عبيد الله فقال أبو نصر

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه * وفى كفه من رائق النور كوكب
يروح لتعذيب النفوس ويغتدى * ويطلع فى أفق الجمال ويغرب

فقال أبو محمد بن مالك

ويحسد منه الغصن أى مهفهف * يجىء على مثل الكثيب ويذهب

وقد سبق هذا وكتب الى الفتح من غير تروّ ياسيدى جرت الايام بفراقك وكان الله جارك فى انطلاقك فغيرك روّع بالظعن وأوقد للوداع جاحم الشجن فانك من أبناء هذا الزمن خليفة الخضر لا يستقر على وطن كانك والله يختار لك ما تاتيه وما تدعه موكل بفضاء الارض تذرعه فحسب من نوى بعشرتك الاستمتاع ان يعدك من العوارى السريعة الارتجاع فلا ياسف على قلة الثوى وينشد * وفارقت حتى لا أبالى من أهوى * ومات رحمه الله تعالى بغرناطة سنة ٥١٨ وحضر جنازته الخاصة والعامة وهو من محاسن الاندلس رحمه الله تعالى * ومن نوادر الاتفاق أن جارية مشت بين يدى المعتمد وعليها قيص لا تكاد تفرق بينه وبين جسمها وذوائبها تخفى آثار مشيها فسكب عليها ماء ورد كان بين يديه وقال

علقت جائلة الوشاح غريرة * تختال بين أسنة وبواتر

وقال لبعض الخدم سر الى أبى الوليد البطليوسى المشهور بالنحلى وخذه باجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه فاجاب النحلى لاول وقوع الرقعة بين يديه

راقت محاسنها ورق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
وتمايلت كالغصن فى دعص النقا * والتف فى ورق الشباب الناضر
يندى بماء الورد مسبل شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وعز جمالها * زهو المؤيد بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره * وعنا له صرف الزمان الجائر
واذا المحت جبينه ويمينه * أبصرت بدرا فوق بحر زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له أحسنت أو معنا كنت فقال له ياقاتل المحل ما تلوت وأوحى ربك الى النحل * وأصبح المعتمد يوما غلا فدخل الحمام وأمر أن يدخل النحلى معه فجاء وقعد فى مسلخ الحمام حتى يستاذن عليه فخرج المعتمد يجبى فى الحمام وهو خال وقد بقيت فى

بالحضر فمن ذكره منهم
وأرى الموت قد تدلى من الحضـ
ـر على رب أهله الساطرون
ولقد كان آمنا للدواهى
ذا ثراء وجوهر مكنون
وقد قيل ان النعمان بن المنذر من ولد الساطرون ابن اسطرون والساطرون واسطرون هذه ألقاب وهم ملوك ملكوا على السريانيين ثم تملكت تلك الديار بعد من ذكرنا ممن أفناهم الدهر الضيزن بن جبهلة وجبهلة أمه وهو الضيزن بن نبت بن معاوية ابن العبيد بن حرام بن سعد ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان كثير الجنود مهادنا للروم متحيزا اليهم يعبر رجاله على العراق والسواد وكان فى نفس سابور عليهم ذلك فلما نزل على حصنه تحصن الضيزن فى الحصن فاقام سابور عليه شهر الايجد سبيلا الى فتحه ولا يتاتى له حيلة فى دخوله فنظرت النظيرة بنت الضيزن يوما وقد أشرفت من الحصن الى سابور فهويته وأعجبها جماله وكان من أجمل الناس وأمدهم قامة فأرسلت اليه ان أنت ضمنت لى ان تتزوجنى وتفضلنى على نسائك دللتك على فتح هذا الحصن فضمن لها ذلك فارسلت اليه ائت البربار وهو نهر فى أعلاه

رأسه

رأسه بقية من السكر وجعل كلما سمع دوى ذلك الصوت يقول الجوز اللوز القسطل ومر على هذا ساعة الى أن تذكر النحلى فصادفه فلما دخل قال له من أى وقت أنت هنا قال من أول ما رتب مولانا الفواكه فى النصبة فغشى عليه من الضحك وأمر له باحسان والنصبة مائدة يصبون فيها هذه الاصناف * ولما استحسن المعتمد قول المتنبى

اذا ظفرت منك العيون بنظرة * الى آخره قال ابن وهبون بديهة وقالوا أجاد ابن الحسين الخ وقد تقدم ذكرهما فأمر له بمائتى دينار * ولما قال ابن وهبون المذكور

غاض الوفاء فما تلقاه فى رجل * ولا يمر لمخلوق على بال
قد صار عندهم عنقاء مغربة * أو مثل ما حدثوا عن ألف مثقال

فقال له المعتمد عنقاء مغربة وألف مثقال يا عبد الجليل عندك سواء فقال نعم قال قد أمرنا لك بألف دينار وبألف دينار أخرى تنفقها اهـ * وذكر القرطبى صاحب التذكرة فى كتابه قمع الحرص بالزهد والقناعة ما صورته روينا أن الامام أبا عمر بن عبد البر رضى الله تعالى عنه بلغه وهو بشاطبة أن أقواما عابوه بأكل طعام السلطان وقبول جوائزه فقال

قل لمن ينكر أكلى * لطعام الامراء
أنت من جهلك هذا * فى محل السفهاء

لان الاقتداء بالصالحين من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى من المسلمين من السلف الماضين هو ملاك الدين فقد كان زيد بن ثابت وكان من الراسخين فى العلم يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مع ورعه وفضله يقبل هدايا صهره المختار بن أبى عبيد ويأكل طعامه ويقبل جوائزه وقال عبد الله بن مسعود وكان قد ملئ علما لرجل سأله فقال ان لى جارا يعمل بالربا ولا يجتنب فى مكسبه الحرام يدعونى الى طعامه أفأجيبه قال نعم لك المهنأ وعليه المأثم ما لم تعلم الشئ بعينه حراما وقال عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه حين سئل عن جوائز السلاطين لحم ظبى ذكى وكان الشعبى وهو من كبار التابعين وعلمائهم يؤدب بنى عبد الملك بن مروان ويقبل جوائزه ويأكل طعامه وكان ابراهيم النخعى وسائر علماء الكوفة والحسن البصرى مع زهده وورعه وسائر علماء البصرة أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة حاشى سعيد بن المسيب يقبلون جوائز السلطان وكان ابن شهاب يقبلها ويتقلب فى جوائزهم وكانت أكثر كسبه وكذلك أبو الزناد وكان مالك وأبو يوسف والشافعى وغيرهم من فقهاء الحجاز والعراق يقبلون جوائز السلاطين والامراء وكان سفيان الثورى مع ورعه وفضله يقول جوائز السلطان أحب الى من صلة الاخوان لان الاخوان يمنون والسلطان لا يمن ومثل هذا عن العلماء والفضلاء كثير وقد جمع الناس فيه أبوابا ولاحمد بن خالد فقيه الاندلس وعالمها فى ذلك كتاب حمله على وضعه وجمعه طعن أهل بلده عليه فى قبوله جوائز عبد الرحمن الناصر اذ نقله الى المدينة بقرطبة وأسكنه دارا من دور الجامع قربه وأجرى عليه الرزق من الطعام والادام والناض وله ولمثله فى بيت المال حظ والمسؤل عن التغليظ فيه هو السلطان كما قال عبد الله بن مسعود لك المهنأ وعليه المأثم ما لم تعلم الشئ بعينه حراما ومعنى قول ابن مسعود هذا قد أجمع العلماء عليه فمن علم

فانثر فيه تبنا ثم أتبعه النظر أين يدخل فادخل الرجال منه فان ذلك المكان يفضى الى الحصن ففعل ذلك سابور فلم يشعر أهل الحصن الا وأصحاب سابور معهم فى الحصن وقد عمدت النظيرة فسقت أباها حتى أسكرته طمعا فى تزويج سابور اياها وأمر سابور بهدم الحصن بعد أن قتل الضيزن ومن معه وعرس سابور بالنظيرة بنت الضيزن فباتت مسهدة فقال لها سابور ما لك لا تنامين قالت ان جنبى يتجافى عن فراشك قال ولم فوالله ما نامت الملوك على ألين منه وأوطا وان حشوه لزغب النعام فلما أصبح سابور نظر فاذا ورقة آس بين عكنها فتناولها فكاد بطنها أن يدمى فقال لها ويحك بما كان أبوك يغذيك فقالت بالزبد والمخ والقمع والشهد وصفو الخمر فقال لها سابور انى أجدر أن لا أستبقيك بعد اهلاك أبويك وقومك وكانت حالتك عندهم الحالة التى تصفين فأمر بها فربطت بغدائرها الى فرسين جموحين ثم خلا سبيلهما فقطعاها ففى هذا المقتول ومن كان معه يقول جدى بن الدلهمى العبسى

ألم يحزنك والانباء تنمى * بما لاقت سراة بنى العبيد
ومصرع ضيزن وبنى أبيه * وأحلاف الكتائب من يزيد
أتاهم بالفيول مجللات * وبالابطال سابور الجنود

الشئ بعينه حراما ماخوذا من غير حله كالجريرة وغيرها وشبهها من الطعام او الدابة وما كان مثل ذلك كله من الاشياء المتعينة غصبا أو سرقة أو ماخوذة بظلم بين لاشبهة فيه فهذا الذى لم يختلف أحد فى تحريمه وسقوط عدالة آكله واخذه وتملكه وما اعلم من علماء التابعين احدا تورع عن جوائز السلطان الا سعيد بن المسيب بالمدينة ومحمد بن سيرين بالبصرة وهما قد ذهبا مثلا فى التورع وسلك سبيلهما فى ذلك احمد بن حنبل واهل الزهد والورع والتقشف رحمة الله تعالى عليهم اجمعين والزهد فى الدنيا من افضل الفضائل ولا يحل لمن وفقه الله تعالى وزهد فيها ان يحرم ما اباح الله تعالى منها والعجب من أهل زماننا يعيبون الشبهات وهم يستحلون المحرمات ومثالهم عندى كالذين سالوا عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن المحرم يقتل القراد والحلمة فقال للسائلين له من انتم فقالوا من اهل الكوفة فقال تسالونى عن هذا وأنتم قتلتم الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما وروى ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموّله وروى هذا الحديث أيضا عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموله وروى أبو سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم معناه وفى حديث أحدهما انما هو رزق رزقكه الله تعالى وفى لفظ بعض الرواة ولا ترد على الله رزقه وهذا كله مبنى على ما أجمعوا عليه وهو الحق فمن عرف الشئ المحرم بعينه فانه لا يحل له المسئلة من كلام ابن عبد البر انتهى * وحضر ابن مجير مع عدو له جاحد لمعروفه وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر فقال له الحسود ان كنت شاعرا فقل فى هذه فقال ارتجالا ساشكو الى الندمان الى آخر الحكاية وقد تقدمت فى رسالة الشقندى رحمه الله تعالى وابن مجير هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجير الفهرى كان فى وقته شاعر المغرب ويشهد له بقوة عارضته وسلامة طبعه قصائده التى صارت مثالا وبعدت على قربها امثالا وشعره كثير يشتمل على أكثر من تسعة آلاف وأربعمائة بيت واتصل بالامير أبى عبد الله بن سعد بن مردنيش وله فيه أمداح وأنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنيه بفتح

ان خير الفتوح ما جاء عفوا * مثل ما يخطب الخطيب ارتجالا

وكان أبو العباس الجراوى حاضرا فقطع عليه لحسادة وجدها وقال يا سيدنا اهتدم بيت وضاح خير شراب ما كان عفوا * كانه خطبة ارتجالا فبدر المنصور وهو حينئذ وزير أبيه وسنه قريب العشرين وقال ان كان اهتدمه فقد استحقه لنقله اياه من معنى خسيس الى معنى شريف فسر ابوه بجوابه وعجب الحاضرون * ومر المنصور أيام امرته باوقية من أرض شلب فوقف على قبر الحافظ أبى محمد بن حزم وقال عجبا لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم ثم قال كل العلماء عيال على ابن حزم ثم رفع رأسه وقال كما أن الشعراء عيال عليك يا أبا بكر يخاطب ابن مجير * ومن شعر ابن مجير يصف خيل المنصور من قصيدة فى مدحه

له حلبة الخيل العتاق كانها * نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا
عرائس أغنتها الحجول عن الحلى * فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا
فمن يقق كالطرس تحسب أنه * وان جردوه فى ملاءته النقا
وابلق اعطى الليل نصف اهابه * وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا

فهدم من بروج الحصن صخرا * ١٦٢ كان بناؤه زبر الحديد وفى قتل سابور للنظيرة بنت الضيزن وما كان منهما من الغدر بأبيها وقومها وارشاد سابور الى دخول الحصن يقول عدى ابن زيد العبادى

والحصن صب عليه داهية * من قصره قد أبدّسا كنها
أتته اذلم يوف والدها * بها اذ أضاع راقبها
وأسلمت أهلها لليلتها * تظن أن الرئيس خاطبها
وكان حظ العروس اذ حشر الصبح * ما تحدين سباسبها

والشعر فى هذه القصة كثير (وبارض العراق) بيت للنار فى مدينة السلام بنته بوران بنت كسرى أبرويز الملكة فى الموضع المعروف باسديا وبيوت النيران كثيرة مما بنته المجوس بالعراق وأرض فارس وكرمان وسجستان وخراسان وطبرستان والجبال وأذربيجان والران وفى الهند والسند والصين أعرضنا عن ذكرها وانما ذكرنا ما اشتهر منها (والهياكل) المعظمة عند اليونانيين وغيرهم كثيرة مثل بيت بعل وهو الصنم الذى ذكره الله عز وجل بقوله أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين وهو بمدينة بعلبك من أعمال دمشق من كور سنير وقد كانت اليونانية اختارت لهذا الهيكل قطعة من الارض

وورد

وورد تغشى جلده شفق الدجى * فاذحازه دلى له الذيل والعرفا
واشقر مج الراح صرفا اديمه * واصفر لم يمسح بها جلده صرفا
واشهب فضى الاديم مدنر * عليه خطوط غير مفهمة حرفا
كما خطخط الراهى بمهرق كاتب * فجر عليه ذيله وهو ما جفا
تهب على الاعداء منها عواصف * ستنسف ارض المشركين بها نسفا
ترى كل طرف كالغزال فتمترى * اظبيا ترى تحت العجاجة ام طرفا
وقد كان فى البيداء يألف سربه * فربته مهرا وهى تحسبه خشفا
تناوله لفظ الجواد لانه * على ما اردت الجرى اعطاكه ضعفا

ولما اتخذ المنصور مقصورة الجامع بمراكش بدار ملكها وكانت مدبرة على انتصابها اذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه واختفائها اذا انفصلوا عنها انشد فى ذلك الشعراء فقال ابن مجير من قصيدة اولها

اعلمتنى القى عصا التسيار * فى بلدة ليست بدار قرار

الى ان قال

طورا تكون بمن حوته محيطة * فكانها سور من الاسوار
وتكون حينا عنهم مخبوءة * فكانها سر من الاسرار
وكانها علمت مقادير الورى * فتصرفت لهم على مقدار
فاذا احست بالامام يزورها * فى قومه قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده * كتكون الهالات للاقمار

ومن روى عنه ابو على الشلوبين وطبقته وتوفى بمراكش سنة ٥٨٨ وعمره ٥٣ سنة رحمه الله تعالى * وقد حكى الشريف الغرناطى شارح المقصورة هذه الحكاية باتم مما ذكرناه فقال عن الكاتب ابن عياش كاتب المنصور والموحدى قال كانت لابى بكر بن مجير وفادة على المنصور فى كل سنة فصادف فى احدى وفاداته فراغه من احداث المقصورة التى كان احدثها بجامعه المتصل بقصره فى حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه وتخفض لدخوله وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا اشعارا انشدوه اياها فى ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجزيته الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى لوصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجير فانشد قصيدته التى أولها أعلمتنى ألقى عصا التسيار واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها طورا تكون الخ فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها انتهى وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن وبقيت آثارها حسبما شاهدته سنة عشر وألف والله تعالى وارث الارض ومن عليها * ومن نظم ابن مجير أيضا ما كتب به الى السلطان ملك المغرب رحمه الله تعالى وقد ولد له ولد أعنى لابن مجير

ولد العبد الذى انعامكم * طينة أنشئ منها جسده
وهو دون اسم لعلمى أنه * لا يسمى العبد الا سيده

من حسبان وجبل تسير فاحدثته موضعا للاصنام وهما بيتان عظيمان أحدهما أقدم من الآخر فيهما من النقوش العجيبة المحفورة فى الحجر الذى لا يتأتى حفر مثله فى الخشب مع علو سمكهما وعظم أحجارهما وطول أساطينهما ووسع فتحهما وعجيب بنيانهما وقد أتينا على خبر هذه الهياكل وما كان من خبر القتل على رأس ابنة الملك وما نال أهل هذه المدينة من سفك الدماء (وهيكل عظيم البنيان) فى مدينة دمشق وهو المعروف بجيرون وقد ذكرنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب وأن بانيه جيرون بن أسعد العادى ونقل اليه عمد الرخام وأنه ارم ذات العماد المذكورة فى القرآن لا ماذكر عن كعب الاحبار أنه دخل على معاوية بن أبى سفيان وساله عن خبرها وذكر عجيب بنيانها من الذهب والفضة والمسك والزعفران وانه يدخلها رجل من العرب يتيه له جملان فيخرج فى طلبهما فيقع اليها وذكر حلية الرجل ثم التفت فى مجلس معاوية فقال هذا هو الرجل وكان الاعرابى قد دخلها يطلب ما ند من ابله فاجاز معاوية كعبا وتبين صدق مقالته وايضاح برهانه فان كان هذا الخبر عن كعب حقا فى هذه المدينة فهو حسن وهو خبر يدخله الفساد من

وقوله

ملك تروبك منـه شيمة * انست الظمآن رزق النطف
جمعت من كل مجد فخلت * لفظة قد جمعت من أحرف
يعجب السامع من وصفى لها * ووراء العجز مالم اصف
لو أعار السهم مافى رايه * من سداد وهدى لم يصف
حامه الراجح ميزان الهدى * يزن الاشياء وزن المنصف

وقال ابن خفاجة

صح الهوى منك ولكننى * اعجب من بين لنا يقدر
كأننا فى فلك دائر * فانت تخفى وانا اظهر

وهما الغاية فى معناهما كما قاله ابن ظافر رحمه الله تعالى * وقال الاعمى التطيلى

اذا اشتفت منى الايام فى وطنى * حتى تضايق فيما عز من وطرى
فلا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكر على ما طل فى الشعر

وقال القاضى أبو حفص بن عمر القرطبى

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
سما طرفى اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
وأذكر قدها فانوح وجدا * على الاغصان تنتدب الحمام
فأعقب بينها فى الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وقال الحاجب عبد الكريم بن مغيث

طارت بنا الخيل ومن فوقها * شهب بزاة لحمام الحمام
كانما الايدى قسى لها * والطير اهداف وهن السهام

وقال أخوه أحمد

اشرب على البستان من كف من * يسقيك من فيه وأحداقه
وانظر الى الايكة فى برده * ولاحظ البدر باطواقه
وقد بدا السرو على نهره * كخائض شمر عن ساقه

وقال ابو العباس أحمد بن أبى عبد الله بن أمية البلنسى

اذا كان ودى وهو أنفس قربة * يجازى ببغض فالقطيعة أحزم
ومن أضيع الاشياء ودصرفته * الى غير من تحظى لديه وتكرم

ومن حكايات اهل الاندلس فى خلع العذار والطرب والظرف وغير ذلك كسرعة الارتجال ماحكاه صاحب بدائع البدائه قال أخبرنى من أثق به بما هذا معناه قال خرج الوزير ابو بكر بن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير ابن خلدون من اشبيلية الى منظرة لبنى عباد بموضع يقال له الفنت تحف بها مروج مشرقة الانوار متنسمة الانجاد والاغوار متبسمة عن ثغور النوار فى زمان ربيع سقت الارض السحب فيه بوسميها ووليها

جهات من النقل وغيره يصح عند كثير من الاخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدراية باخبار الماضين وسنن الغابرين من العرب وغيرهم من المتقدمين وما كان فيها من الكوائن والحوادث وتشعب الانساب وكتاب عبيد بن شرية متداول فى أيدى الناس مشهور (وقد ذكر كثير) من الناس ممن له معرفة باخبارهم أن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك بروايتها وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة لها وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية وسبيل تاليفها مما ذكرنا مثل كتاب افسان وتفسير ذلك من الفارسية ويقال له افسانه والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته ودايتها شيرزاد وسازاد ومثل كتاب وزره وشماس وما فيه من أخبار ملوك الهند والوزراء ومثل كتاب السندباد وغيرها من الكتب فى هذا المعنى (وقد كان) وهو من صنعة القصاص (وقد تنازع الناس) فى هذه المدينة وأين هى ولم

مسجد دمشق قبل ظهور النصرانية هيكلا عظيما فيه التماثيل والاصنام على رأس منابره تماثيل

وواليها وجلتها فى زاهر ملبسها وباهر حليها وأرداف الربا قد تأزرت بالازر الخضر من نباتها وأجياد الجداول قد نظم النوار قلائده حول لباتها ومجامر الزهر تعطر أردية النسائم عند هباتها وهنالك من البهار ما يزرى على مداهن النضار ومن النرجس الريان ما يهزأ بنواعس الاجفان وقد نووا الانفراد للهو والطرب والتنزه فى روضى النبات والادب وبعثوا صاحبا لهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم ونظام مسرتهم ليأتيهم بنبيذ يذهبون الهم بذهبه فى لجين زجاجه ويرمونه منه بما يقضى بتحريكه للهرب عن القلوب وازعاجه وجلسوا الانتظاره وترقب عوده على آثاره فلما بصروا به مقبلا من أول الفج بادروا الى لقائه وسارعوا الى نحوه وتلقائه واتفق أن فارسا من الجند ركض فرسه فصدمه ووطئ عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه وكسر قعال النبيذ الذى كان معه وفرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه ومضى على غلوائه راكضا حتى خفى عن العين خائفا من متعلق به يحين بتعلقه الحين وحين وصل الوزراء اليه تأسفوا عليه وأفاضوا فى ذكر الزمان وعدوانه والخطب والوائه ودخوله بطوام المضرات على تمام المسرات وتكديره لاوقات المنعمات بالآفات المؤلمات فقال ابن زيدون

أنلهو والحتوف بنا مطيفه * ونأمن والمنون لنا مخيفه

فقال ابن خلدون

وفى يوم وما أدراك يوم * مضى قعالنا ومضى خليفه

فقال ابن عمار

هما فخار تاراح وروح * تكسر تا فاشقاف وجيفه

وذكر ابن بسام ما معناه أن أبا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب أبى عامر بن المظفر ابن المنصور بن أبى عامر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة عجيبة صغيرة الخلق ولم تزل تسهر فى خدمتهم الى أن هم جند الليل بالانهزام وأخذ فى تقويض خيام الظلام وكانت تسمى أسماء فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلتها على صغر سنها فسأله المظفر وصفها فصنع ارتجالا

أفدى أسماء من نديم * ملازم للكؤس راتب
قد عجبوا فى السهاد منها * وهى لعمرى من العجائب
قالوا تجافى الرقاد عنها * فقلت لا ترقد الكواكب

وحكى ابن بسام ما معناه أن ابن شهيد المذكور كان يوما مع جماعة من الادباء عند القاضى ابن ذكوان فجئ ببا كورة باقلا فقال ابن ذكوان لا ينفرد بها الا من وصفها فقال ابن شهيد أنا لها وارتجل

ان لآليك أحدثت صلفا * فاتخذت من زمرذ صدفا
يسكن ضراتها النحوروذى * تسكن للحسن روضة أنفا
هامت بلطف الجبال فاتخذت * من سندس فى جنانها لحفا
شبهتها بالثغور من لطف * حسبك هذا من رمز من لطفا

منصوبة وقد كان بنى على المشترى وطالع سعد ثم ظهرت النصرانية فجعلته كنيسة وظهر الاسلام وأحكم بناءه الوليد بن عبد الملك والصوامع لم تغير وهى منائر الاذان الى هذا الوقت (وقد كان) بدمشق أيضا بناء عجيب يقال له البريض وهو مبنى الى هذا الوقت فى وسطها وكان يجرى فيه الخمر فى قديم الزمان وقد ذكرته الشعراء فى مدحها لملوك غسان من مارب وغيرهم (وهيكل) بانطاكية يعرف بالديماس على يمين مسجدها الجامع مبنى بالآجر العادى والحجر عظيم البنيان وفى كل سنة يدخل القمر عند طلوعه من باب من ابوابه من أعاليه فى بعض الاهلة الصيفية وقد ذكر ان هذا الديماس من بناء الفرس حين ملكت انطاكية وأنه بيت نار لها (قال المسعودى) وقد ذكر ابو معشر المنجم فى كتابه المترجم بكتاب الالوف الهياكل والبنيان العظيم الذى يحدث بناؤه فى العالم فى كل ألف عام وكذلك ذكره ابن المازيار تلميذ أبى معشر فى كتابه المنتخب من كتاب الالوف وقد ذكر غيرهما ممن تقدم عصرهما وممن تأخر عنهما كثيرا من البنيان والعجائب فى الارض وقد أعرضنا عن ذكرها وذكر السد الاعظم وهو سد ياجوج وماجوج وتنازع الناس فى كيفية بنائه

جاز ابن ذكوان فى مكارمه * حدود كعب ومابه وصفا
قد دم درالرياض منتخبا * منه لافراس مدحه علفا
أكل ظريف وطعم ذى أدب * والنول يهواه كل من ظرفا
رخص فيه شيخنا قدر * فكان حسبى من المنى وكفا

وقال ابن بسام ان جماعة من أصحاب ابن شهيد المذكور قالوا له يا أبى عامر انك لآت بالعجائب وجاذب بذوائب الغرائب ولكنك شديد الاعجاب بما يأتى منك هاز لعطفك عند النادر يتاح لك ونحن نريد منك أن تصف لنا مجلسنا هذا وكان الذى طلبوه منه زبدة التعنيت لان المعنى اذا كان جلفا ثقيلا على النفس قبيح الصورة عند الحس كلت الفكرة عنه وان كانت ماضية وأساءت القريحة فى وصفه وان كانت محسنة وكان فى المجلس باب مخلوع معترض على الارض ولبد أحمر مبسوط قد صففت خفافهم عند حاشيته فقال مسرعا

وفتية كالنجوم حسنا * كلهم شاعر نبيل
متقد الجانبين ماض * كانه الصارم الصقيل
راموا انصرافى عن المعالى * والجد من دونها فليل
فالشد فى أمرها فسيح * كل كثير له قليل
فى مجلس زانه التصابى * وطاردت وصفه العقول
كانما بابه أسير * قد عرضت دونه نصول
يراد منه المقال قسرا * وهو على ذاك لا يقول
ينظر من لبده لدينا * بحر دم تحتنا يسيل
كأن أخفافنا عليه * مراكب مالها دليل
ضلت فلم تدر أين تجرى * فهل على شطه نقيل

فعجب القوم من أمره ثم خرج من عندهم فمر على بعض معارفه من الطرائفيين وبين يديه زنبيل ملآن خرشفا فجعل يده فى لجام بغلته وقال له لا أتركك أو تصف الخرشف فقد وصفه صاعد فلم يقل شيئا فقال له ابن شهيد ويحك أعلى مثل هذه الحال قال نعم فارتجل

هل أبصرت عيناك يا خليلى * قنافذا تباع فى زنبيل
من خرشف معتمد جليل * ذى ابر تنفذ جلد الفيل
كانها أنياب بنت الغول * لونخست فى است امرئ ثقيل
لقفزته نحو أرض النيل * ليس يرى طى حشا منديل
نقل السخيف المائن الجهول * وأكل قوم نازحى العقول
أقسمت لا أطعمها أكيلى * ولا طعمتها على شمول انتهى

وقال فى بدائع البداءه دخل الوزير أبو العلاء زهر ابن الوزير أبى مروان عبد الملك بن زهر على الامير عبد الملك بن رزين فى مجلس أنس وبين يديه ساق يسقى خمرين من كاسه ولحظه ويبدى درين من حبابه ولفظه وقد بداخط عذاره فى صحيفة خده وكمل حسنه باجتماع الضد منه مع ضده فكانه بسحر لحظه أبدى ليلا فى شمس وجعل يومه فى الحسن أحسن من

المرسومة وما بصعيد مصر من البرابى المصنوعة و بغير أرض الصعيد من أرض مصر واخبار مدينة العقاب وماذكر الناس فيها وكونها فى وهاد مصر وأنها فى جهة الواحات مما يلى المغرب والحبشة وخبر العمود الذى ينزل منه الماء فى فصل من السنة بارض عاد وأخبار النمل الذى على قدر الذباب والكلاب وقصة ارض الذهب التى حذاء سجلماسة من ارض المغرب ومن هنالك من وراء النهر العظيم ومبايعتهم من غير مشاهدتهم ولا مخاطبتهم وتركهم المتاع وغدوّ الناس الى امتعتهم فيجدون اعمدة الذهب وقد تركب الى جنب كل متاع من تلك الامتعة فان شاء مالك المتاع اختار الذهب وترك المتاع وان شاء اخذ متاعه وترك الذهب وان أحب الزيادة ترك الذهب والمتاع وهذا مشهور بارض المغرب بسجلماسة ومنها حمل التجار الامتعة الى ساحل هذا النهر وهو نهر عظيم واسع الماء وكذلك باقاصى خراسان مما يلى الترك من أقاصى ديارهم أمة تبايع على هذا الوصف من غير مخاطبة ولا مشاهدة وهم هنالك على نهر عظيم أيضا وخبر البئر المعطلة والقصر

من أمس فسأله ابن رزين أن يصنع فيه فقال بديها

تضاعف وجدى أن تبدى عذاره * وتم خسران القلب منى اصطباره
وقد كان ظنى أن سيمحق ليله * بدائع حسن هام فيها نهاره
فاظهر ضد ضده فيه اذ وشت * بعنبره فى صفحة الخد ناره

واستزاده فقال

محيت آية النهار فاضحى * بدر تم وكان شمس نهار
كان يعشى العيون نورا الى أن * شغل الله خده بالعذار

وصنع أيضا

عذار ألم فابدى لنا * بدائع كنا لها فى عمى
ولو لم يجن النهار الظلا * م لم يستبن كوكب فى السما

وصنع أيضا

تمت محاسن وجهه وتكاملت * لما استدار به عذار مونق
وكذلك البدر المنير جماله * فى أن يكنفه سماء أزرق انتهى

وحكى الحميدى وغيره أن عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة بقرطبة كان أديبا شاعرا سريع البديهة كثير النوادر وهو من جلساء الامير محمد بن عبد الرحمن الاموى ملك الاندلس وحكوا انه دخل عليه فى يوم ذى غيم وبين يديه غلام حسن المحاسن جميل الزى كريم الاخلاق فقال الامير يا ابن عاصم ما يصلح فى يومنا هذا فقال عقار ينفد الدنان ويؤنس الغزلان وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤنة التحفظ وأرخى له عنان التبسط يديرها هذا الاغيد المليح فاستضحك الامير ثم أمر بآلات الغناء وآلات الصهباء فلما دارت الكاس واستمطر الامير نوادره أشار الى الغلام ان يلح فى سقيه ويؤكد عليه فلما أكثر رفع راسه اليه وقال على البديهة

يا حسن الوجه لا تكن صلفا * ما لحسان الوجوه والصلف
تحسن أن تحسن القبيح ولا * ترثى لصب متيم دنف

فاستبدع الامير بديهته وامر له ببدرة ويقال انه خيره بينها وبين الوصيف فاختارها نفيا للظنة عنه انتهى قلت اذ كرتنى هذه الحكاية ما حكاه على بن ظافر عن نفسه اذ قال كنت عند المولى الملك الاشرف بن العادل بن ايوب سنة ٦٠٣ بالرها وقد وردت اليه فى رسالة فجعلنى بين سمعه وبصره وانزلنى فى بعض دوره بالقلعة بحيث يقرب عليه حضورى فى وقت طلبتى او ارادة الحديث معى فلم اشعر فى بعض الليالى وانا نائم فى فراشى الا به وهو قائم على راسى والسكر قد غلب عليه والشمع تزهر حواليه وقد حف بمماليكه به وكانهم الاقمار الزواهر فى ملابس كالرياض ذات الازاهر فقمت مروّعا فامسكنى وبادر بالجلوس الى جانبى بحيث منعنى عن القيام عن الوساد وابدى من الجميل ما ابدلنى بالنفاق بعد الكساد ثم قال غلبنى الشوق اليك ولم ارد ازعاجك والتثقيل عليك ثم استدعى من كان فى مجلسه من خواص القوالين فحضروا واخذوا من الغناء فيما يملأ المسامع التذاذا ويجعل القلوب من الوجد

المشيد وذلك ببلاد الشحر من بلاد الاحقاف بين اليمن وحضرموت والبئر وما فيها من الحرف واتصالها بالقرى والفضاء من اعلاها واسفلها وما قاله الناس فى تاويل هذه الآية فيها وهل المراد بالقصر والبئر هذا القصر والبناء أو غيره واخبار مخاليف اليمن وهى القلاع والحصون كقلعة نحل وغيرها وأخبار مدينة رومية وكيفية بنائها وما حوته من عجيب الهياكل والكنائس والعمود الذى عليه السودانية من النحاس وما يحمل اليها من الزيتون فى أيامه بالشام وغيره ويحمل ذلك الزيتون المعروف بالسودانية طير فى مخالبه ومناقره فيطرحه على السودانية النحاس فيكثر زيتون رومية وزيتها من ذلك على حسب ما ذكرنا فى أخبار الطلسمات عن ماليعاس وغيره فى كتابنا أخبار الزمان ثم أخبار البيوت السبعة التى ببلاد الاندلس وخبر مدينة الصفر وقبة الرصاص التى بمفاوز الاندلس وما كان من خبر الملوك السالفة فيها وتعذر الوصول اليها ثم ما كان من أمر صاحب عبد الملك ابن مروان فى نزوله عليها وما تهافت فيه المسلمون عند الطلوع على سورها واخبارهم عن أنفسهم أنهم وصلوا الى نعيم الدنيا والآخرة وخبر المدينة التى أسوارها من الصفر على ساحل البحر الحبشى فى أطراف مفاوز الهند وما

حذاذا وكان له فى ذلك الوقت مملوكان هما فيراسماء ملكه وواسطتا درسلكه وقطبا فلك طربه ووجده وركنا بيت سروره ولهوه وكانا يتناوبان فى خدمته فحضر أحدهما فى تلك الليلة وغاب الآخر وكان كثيرا ما يداعبنى فى أمرهما ويستجلب منى القول فيهما والكلام فى التفضيل بينهما فقلت للوقت

يا مالكا لم يحك سيرته * ماض ولا آت من البشر
اجمع لنا تفديك أنفسنا * فى الليل بين الشمس والقمر

فطرب وأمر فى الحال باحضار الغائب منهما فحضر والنوم قد زاد أجفانه تفتيرا ومعاطفه تكسيرا فقلت بين يديه بديهة فى وصف المجلس

سقى الرحمن عصرا قد مضى لى * بأكناف الرها صوب الغمام
وليلا بات الانوار فيه * تعاون فى مدافعة الظلام
فنور من شموع أو ندامى * ونور من سقاة أو مدام
يطوف بأنجم الكاسات فيه * سقاة مثل أقمار التمام
تريك به الكؤس جود ماء * فتحسب راحها ذوب الضرام
يميل به غصونا من قدود * غناء مثل أصوات الحمام
فكم من موصلى فيه يشدو * فينسى النفس عادية الحمام
وكم من زلزل للضرب فيه * وكم للزمر فيه من زنام
لدى موسى بن أيوب المرجى * اذا ما ضن غيث بانسجام
ومن كمظفر الدين المليك الاجل الاشرف الندب الهمام
فشمس تقاس الى نجوم * تحاكى قدره بين الكرام
فدام مخلدا فى الملك يبقى * اذا ما ضن دهر بالدوام

فلما أنشدتها قام فوضع فرجية من خاص ملابسه كانت عليه على كتفى ووضع شربوشه بيده على رأس مملوك صغير كان لى انتهى ولابن ظافر هذا بدائع منها ما حكاه عن نفسه اذ قال ومن أعجب ما دهيت به ورميت الا أن الله بفضله نصر وأعطى الظفر وأعان خاطرى الكليل حتى مضى مضاء السيف الصقيل أنى كنت فى خدمة مولانا السلطان الملك العادل بالاسكندرية سنة احدى وستمائة مع من ضمته حاشية العسكر المنصور من الكتاب والحواشى والخدام ودخلت سنة اثنتين وستمائة ونحن بالثغر مقيمون فى الخدمة مرتضعون لافاويق النعمة فحضرت فى جملة من حضر الهناء من الفقهاء بالثغر والعلماء والمشايخ والكبراء وجماعة الديوان والامراء واتفق أن كان اليوم من أيام الجلوس لامضاء الاحكام والعرض لطوائف الاجناد فلم يبق أحد من أهل البلد ولا من أهل المعسكر الا حضر مهنيا ومثل شاكرا وداعيا فحين غص المجلس بأهله وشرق بجمع السلطان وحفله وخرج مولانا السلطان الى مجلسه واستقر فى دسته أخرج من بركة قبائه كتابا ناوله للصاحب الاجل صفى الدين أبى محمد عبد الله بن على وزير دولته وكبير جملته وهو مفضوض الختام مفكوك الفدام ففتحه فاذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظم كتبها اليه يتشوقه

ويتسعطفه

كان من ملوك الهند وعدم وصولهم اليها وما يجرى من وادى الرمل نحوها وما ببلاد الهند من الهياكل المتخذة للاصنام التى على صورة البدر المتقدم ظهورها فى قديم الزمان بأرض الهند وخبر الهيكل المعظم الذى ببلاد الهند المعروف ببلاد الرى وهذا عند الهند يقصد من البلدان الشاسعة وله بلد قد وقف عليه وحوله ألف مقصورة فيها جوار لم تنظر لتعظيم هذا الصنم من الهند وخبر الهيكل الذى فيه الصنم ببلاد المولتان على نهر مهران من أرض السند وخبر سندار كسرى ببلاد مرماسين من أعمال الدينور من ماه الكوفة وكثير من أخبار العالم وخواص بقاعه وأبنيته وجباله وتدافع ما فيه من الخلائق وغيره مما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وكذلك ما خص به كل بلد من اللباس والاخلاق دون غيرهم وما انفردوا به من أنواع الاغذية والمآكل والمشارب والشم وعجائب كل بلد وذكرنا أخبار البحار وما قيل فى اتصال بعضها ببعض وتغلغل مياهها وما يحدث فى كل بحر منها من الآفات وما فيه من الجوهر دون غيره من البحار ككون المرجان ببحر المغرب وعدمه فى غيره ووجود اللؤلؤ فى البحر الحبشى دون غيره

ويستعطفه لزيارته ويرققه ويستحثه على عود ركابه الى بلاد الشام للمشاغرة بها وقمع عدوها ويعرض بذكر مصر وشدة حرها ووقد جمرها وذلك بعد أن كان وصل الى خدمته بالثغر ثم رجع اليها والابيات

أروى رماحك من نحور عداكا * وانهب بخيلك من أطاع سواكا
واركب خيولا كالثعالى شزبا * واضرب بسيفك من يشق عصاكا
واجلب من الابطال كل سميدع * يفرى بعزمك كل من يشناكا
واسترعف السمر الطوال ورؤها * واسق المنية سيفك السفاكا
وسر الغداة الى العداة مبادرا * بالضرب فى هام العدو دراكا
وانكح رماحك للثغور فانها * مشتاقة أن تبتنى بعلاكا
فالعز فى نصب الخيام على العدا * تردى الطغاة وتدفع الملاكا
والنصر مقرون بهمتك التى * قد أصبحت فوق السماك سماكا
فاذا عزمت وجدت من هو طائع * واذا نهضت وجدت من يخشاكا
والنصر فى الاعداء يوم كريهة * أحلى من الكاس الذى روّاكا
والعجز أن تضحى بمصر راهنا * وتحل فى تلك العراص عراكا
فارحم حشاشتك الكريمة من لظى * مصر لكى تحظى الغداة بذاكا
فلقد غدا قلبى عليك بحرقة * شغفا ولاح البلاد هناكا
وانهض الى راجى لقاك مسارعا * فمناه من كل الامور لقاكا
وابرد فؤاد المستهام بنظرة * وأعد عليه العيش من رؤياكا
واشف الغداة عليل صب هائم * أضحى مناه من الحياة مناكا
فسعادتى بالعادل الملك الذى * ملك الملوك وقارن الافلاكا
فبقيت لى يا مالكى فى غبطة * وجعلت من كل الامور فداكا

فلما تلا الصاحب على الحاضرين محكم آياتها وجلى منها العروس التى حازت من المحاسن أبعد غاياتها أخذ الناس فى الاستحسان لغريب نظامها وتناسق التئامها والثناء على الخاطر الذى نظم بديع أبياتها وأطلع من مشرق فكره آياتها فقال السلطان نريد من يجيبه عنا بأبيات على قافيتها فالتفت مسرعا الى وأناه عن يمينه وقال يا مولانا مملوكك فلان هو فارس هذا الميدان والمعتاد للتغلص فى مضايق هذا الشان ثم قطع وصلا من درج كان بين يديه وألقاه الى وعمد الى دواته فادارها بين يدى فقال له السلطان أهكذا على مثل هذا الحال وفى مثل هذا الوقت فقال نعم أنا جربته فوجدته متقد الخاطر حاضر الذهن سريع اجابة الفكر فقال السلطان وعلى كل حال قم الى هنا لتنكشف عنك أبصار الناظرين وتنقطع عنك ضوضاء الحاضرين وأشار الى مكان عن يمين البيت الخشب الذى هو بالجلوس فيه منفرد فقمت وقد فقدت رجلى انخذالا وذهنى اختلالا لهيبة المجلس فى صدرى وكثرة من حضره من المترقبين لى المنتظرين حلول فاترة الشماتة بى فما هو الا أن جلست حتى ثاب الى خاطرى وانثال الكلام على سرائرى فكنت أتوهم

له ذلك لارتفاع القلزم وانخفاض بحر الروم وان الله عزوجل قد جعل ذلك حاجزا على حسب ما أخبر فى كتابه والموضع الذى حفره بحر القلزم يعرف بذنب التمساح على ميل من مدينة القلزم عليه قنطرة عظيمة يجتاز عليها من يريد الحج من مصر واجرى خليجا من هذا البحر الى موضع يعرف بالهامة صنعه محمد ابن على الخرانى من أرض مصر فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فلم يتأت له اتصال ما بين بحر الروم وبحر القلزم (وحفر خليج) آخر مما يلى بلاد تنيس ودمياط وبحيرتهما ويعرف هذا الخليج بالزنير والحسة واستمر الماء فى هذا الخليج من بحر القلزم الذى فى نحو من هذه القرى ومن بحر القلزم فى خليج ذنب التمساح فيتتابع أرباب المراكب وتقرب حمل ما فى كل بحر الى آخر ثم ارتدم ذلك على تطاول الدهور وملأته السوافى من الرمل وغيره (وقد رام الرشيد) أن يوصل بين هذين البحرين مما يلى النيل من أعالى مصبه من نحو بلاد الحبشة وأقاصى صعيد مصر فلم يتأت له قسمة ماء النيل فرام ذلك مما يلى بلاد الفرما نحو بلاد تنيس على أن يكون مصب بحر

أن فكرى كالبازى الصيود لا يرى كلمة الا أنشب فيها منسره ولا معنى الا شك فيه ظفره فقلت فى أسرع وقت

وصلت من الملك المعظم تحفة * ملأت بفاخر درها الاسلاكا
أبيات شعر كالنجوم جلالة * فلذا حكت أوراقها الافلاكا
عجبا وقد جاءت كمثل الروض اذ * لم تذوها بالحر نار ذكاكا
جلت الهموم عن الفؤاد كمثل ما * تجلو بغرة وجهك الاحلاكا
كقميص يوسف اذ شفت يعقوب رياه شفتنى مثله رياكا
قد أعجزت شعراء هذا العصر كلهم فلم لا تعجز الاملاكا
ما كان هذا الفضل يمكن مثله * أن يحتويه من الانام سواكا
لم لا أغيب عن الشآم وهل له * من حاجة عندى وأنت هناكا
أم كيف أخشى والبلاد جميعها * محمية فى جاه طمن قناكا
يكفى الاعادى حر باسك فيهم * أضعاف ما يكفى الولى نداكا
ما زرت مصر لغير ضبط ثغورها * فلذا صبرت فديت عن رؤياكا
أم البلاد لا عليها قدرها * لا سيما مذ شرفت بخطاكا
طابت وحق لها ولم لا وهى قد * حوت المعلى فى القداح أخاكا
أنا كالسحاب أزور أرضا ساقيا * حينا وأمنح غيرها سقياكا
مكثى جهاد للعدو لاننى * أغزوه بالرأى السديد دراكا
لولا الرباط وغيره لقصدت بالسير الحثيث اليك نيل رضاكا
ولئن أتيت الى الشآم فانما * يحتثنى شوقى الى لقياكا
انى لامنحك المحبة جاهدا * وهواى فيما تشتهيه هواكا
فافخر فقد أصبحت بى وبباسك السامى وكل ممالك تخشاكا
لا زلت تقهر من يعادى ملكنا * أبدا ومن عاداك كان فداكا
وأعيش أبصر ابنك الباقى أبا * وتعيش تخدم فى السعود أباكا

ثم عدت الى مكانى وقد بيضتها وحليت بزهرها ساحة القرطاس وروضتها فلما رآنى السلطان قد عدت قال لى هل عملت شيئا ظننا منه أن العمل فى تلك اللمحة القريبة معجز متعذر وبلوغ الغرض فيها غير متصور فقلت قد أجبت فقال أنشدنا فصمت الناس وحدقت الابصار وأصاخت الاسماع وظن الناس بى الظنون وترقبوا منى ما يكون فما هو الا أن توالى الانشاد لابياتها حتى صفقت الايدى اعجابا وتغامزت الاعين استغرابا وحين انتهيت الى ذكر مولانا الملك الكامل بانه المعلى فى البنين اذا ضربت قداحهم وسردت أمداحهم اغرورقت عيناه دمعا لذكره وأبان صمته مخفى المحبة حتى أعلن بسره وحين انتهيت الى آخرها فاض دمعه ولم يمكنه دفعه فمد يده مستدعيا للورقة فناولتها الى يد الصاحب فناولها له وعند حصولها فى يده قام من غير اشعار لاحد بادارمن ارادة القيام فى خلده ستر الما ظهر عليه من الرقة على الموالى الاولاد وكتما لما عليه من الوجد بهم والمحبة

أن مراكبهم تنتهى من بحر القلزم الى بحر الحجاز فتطرح سراياها مما يلى جدة فيخطف الناس من المسجد الحرام ومكة والمدينة على ما ذكرنا فامتنع من ذلك (وقد حكى) عن عمرو بن العاص حين كان بمصر أنه رام ذلك فمنعه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وذلك لما وصفنا من فعل الروم وسراياهم وذلك فى حال ما افتتحها عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وآثار الحفر بين هذين البحرين فيما ذكرنا من المواضع والخلجان على حسب ما شرعت فيه الملوك السالفة طلبا لعمارة الارض وخصب البلاد وعيش الناس بالاقوات وان يحمل الى كل بلد ما فيه من الاقوات وغيرها من ضروب المنافع وضروب المرافق والله تعالى أعلم

(ذكر جامع التاريخ من بدء العالم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لحق بهذا الباب)

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا جملا من تباين الناس فى بدء العالم ممن أثبت حدوثه ونفاه وما جرت الآراء بهم فيه الى جهات شتى وقد أخبرنا أنهم طوائف وفرق من اليونانيين ومن وافقهم على القول

والمحبة لهم وانفض المجلس وانما حمل الصاحب على هذا الفعل الذي غمر ربي وخاطري بالتعريض له أشياء كان يقترحها على فانفذها من بين يديه ويخف الامر منها على لدالتي عليه منها أنني كنت في خدمته سنة ٥٩٩ بدمشق فورد عليه كتاب من الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين صاحب حماة وقد بعث صحبته نسخة من ديوان شعره فتشاغل بشيء يدجواب كتابه فلما كتب بعضه التفت الي وقال اصنع أبياتا أكتبها اليه في صدر الجواب وأذكر فيها شعره فقلت له على مثل هذه الحال فقال نعم فقلت بقدر ما انجز بقية النسخة

أيا ملكا قد أوسع الناس نائلا * وأغرقهم بذلا وعمهم عدلا
قد ينهب للناس فضلا يزينهم * فقد حزت دون الناس كلهم الفضلا
ودونك فامنحهم من العلم والحجا * كما منحتهم كفك الجود والبذلا
اذا حزت أوفى الفضل عفوا فما الذي * تركت لمن كان القريض له شغلا
وماذا عسى من ظل بالشعر قاصدا * لبابك أن يأتي به جل أو قلا
فلا زلت في عز يدوم ورفعة * تحوز ثناء يملأ الوعر والسهلا انتهى

ووقع لابن ظافر أيضا من هذا النمط انه دخل في أصحاب له يعودون صاحبا لهم وبين يديه بركة قد راق ماؤها وصحت سماؤها وقد رص تحت دساتيرها نارنج فتن قلوب الحضار وملأ بالمحاسن عيون النظار فكانما رفعت صوالج فضة على كرات من النضار فاشار الحاضرون الى وصفها فقال بديها

أبدعت يا ابن هلال في فسقية * جاءت محاسنها بما لم يعهد
عجبا لأمواه الدساتير التي * فاضت على نارنجها المتوقد
فكأنهن صوالج من فضة * رفعت لضرب كرات خالص عسجد انتهى

ومن بديع الارتجال ما حكاه المذكور عن ابن قلاقس الاسكندري رحمه الله تعالى اذ قال دخل الاعز أبو الفتوح بن قلاقس على بلال بن مدافع بن بلال الفزاري فعرض عليه سيفا قد نظم الفرند في صفحته جوهره وأذكى الدهر ناره وجد نهره والبسه من سلخ الافاعي ردا وجسمه ردى لا يمنع من برقه بدرجن ولا ثريا مغفر ولا يسلم من حده من ثبت ولا ينجو لطوله من فر فهو يبكي للنفاق ويضحك ويرعد للغيظ ويفتك وأمره بصفة شانه فقال على لسانه

أروق كما أروع فان تصفني * فاني رائق الصفحات رائع
تدافع بي خطوب الدهر حتى * نقلت الى بلال عن مدافع

وقال أيضا فيه

رب يوم له من النقع سحب * ما لها غير سائل الدم ودق
قد جلته يمنى بلال بحدي * فكأني في راحة الشمس برق

وقال أيضا فيه

أنا في الكريهة كالشهاب الساطع * من صفحة تبدو وحد قاطع

بالقدم من الفلكيين والطبيعيين وما أوردته الفلكية من قولهما ان الحركة الصانعة للاشخاص الحالة فيها الارواح متى قطعت المسافة التي بين العقدة التي ابتدأت منها حتى تنتهي اليها راجعة ثم تنفصل عنها عادت كل ما بدأت أولا كهيئته وأشخاصه وصوره وضروب اشكاله اذ كانت العلة والسبب اللذين بوجودهما توجد الاشياء ووجود الوجود بدء فوجب ظهور الاشياء متى عادت الى المبدا الذي كان عند الصدر ثم ما نعقب هذا القول من قول الطبيعيين ان علة كون الاشياء الجسمانية والنفسانية من قبل حركات الطبائع واختلاطها لان الطبيعة عندهم تحركت في بدوها واختلطت فاظهرت الحيوان والنبات وسائر الموجودات في العالم وجعلت لها أصلا في التناسل فحركت عن تبقية الاشخاص وعرت الى النسل وأن الطبائع تنتقل من مركب الى بسيط ومن بسيط الى مركب حتى أورى المركب كنه ما فيه وعادت الاشياء الى البسيط وابتدأ التكون على طريقه لان الذي أوجبه أولا قد وجد فحقه أن يوجد منه بوجود المعنى الذي أوجده فظهر ذلك الظهور كالنبات في الربيع وتحرك قوته تحت الثرى وذلك أن الشمس

فكانما استعمليت تلك وهذه * من وصف كف بلال بن مدافع

وقال أيضا فيه

انظر لطرد المياه بصفحتى * ولنار حدى كم بها من صالى
قد عاد شدّى فى المضايق شيمتى * كبلال بن مدافع بن بلال

وساله صاحب له وصف مشط عاج قد أشبه الثريا شكلا ولونا وشق ليلا من الشعر جونا فقال

ومتيم بالآبنوس وجسمه * عاج ومن أدهانه شرفاته
كمت دياجى الشعر منه بدرها * فوشت به للعين عيوقاته

وقال فيه

وأبيض ليل الآبنوس اذا سرى * تمزق عن صبح من العاج باهر
وان غاص فى بحر الشعور رأيته * تبشرنا أطرافه بالجواهر

وقال فيه

ومشرق يشبه ضوء الضحى * حسنا ويسرى فى الدجى الفاحم
وكلما قلب فى لمة * أضحكها عن ثغره الباسم

وجلس بمصر فى دار الانماط يوما مع جماعة فمرت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك وهى شمس تحت سحاب النقاب وغصن فى أوراق الشباب فحدقوا اليها تحديق الرقيب الى الحبيب والمريض الى الطبيب فجعلت تتلفت تلفت الظبى المذعور أفرقه القانص فهرب وتتثنى تثنى الغصن الممطور عانقه النسيم فاضطرب فسالوه العمل فى وصفها فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول العطار الازدى القيروانى

أعرضن لما أن عرضن فان يكن * حذرا فاين تلفت الغزلان

ثم صنع

لها ناظر فى ذرا ناضر * كمار كب السن فوق القناة
لوت حين وات لنا جيدها * فاى حياة بدت من وفاة
كما ذعر الظبى من قانص * ففر وكرر فى الالتفات

ثم صنع أيضا

ولطيفة الالفاظ لكن قلبها * لم أشك منه لوعة الاعتا
كملت محاسنها فود البدر أن * يحظى ببعض صفاتها أو ينعتا
قد قلت لما أعرضت وتعرضت * يا مؤيسا يا مطمعا قل لى متى
قالت انا الظبى الغرير روانما * ولى وأوجس نبوة فتلفتا

قال على بن ظافر وحضر يوما عند بنى خليف بظاهر الاسكندرية فى قصر رسا بناؤه وسما وكاد يمزق بمزاحمته أثواب السما قد ارتدى جلابيب السحائب ولاث عمائم الغمائم وابتسمت ثنايا شرفاته واتسمت بالحسن حنايا غرفاته وأشرف على سائر نواحى الدنيا وأقطارها وحبته الرياض بما ائتمنتها عليه السحب من ودائع أمطارها والرمل بفنائه قد نثر تبره فى

تبلغ فى الربيع الى رأس الحمل بادئة فى شرفها آخذة فى مرها وهى العلة الكبرى فى الاحياء وماحدث من الثمر والزهور فى الشجر بادئا كان ظاهرا بالمثال الاول الذى قد باد فى الشتاء و يبسه وبرده لان علة الكون الحرارة والرطوبة وعلة الفساد البرد واليبس فاذا انتقلت الاشياء من الحرارة والرطوبة الى البرد واليبوسة فارقت الكون المتمم ودخلت الفساد فاذا انتهى بها الفساد الى غايته وأوصلها الى نهايته عاقبها الكون بوصول الشمس الى رأس الحمل فبدأ بها بعادته فى انشائها وأبرزها من خساسة الفساد الى نفاسة الكون ولو كانت الحواس تضبط شان الاجسام وتحيط بانتقالها من حال الى حال لشاهدت مرها فى دائرة الزمان مبتدئة فى رتبها راجعة اليها مشكلة فى محيط الدائرة باشكال توافق بعضها والشكول مختلفة باختلاف العلل متفرقة فى المرور كاختلاف الاسباب وفى هذا القول من هذه الطائفة ما صرح بالقول وأبان عنه وقضية الفحص توجب ان الاشياء الموجودة غير خالية من أحد منزلين اما أن يكون بدأ وانتهاء واما أن يكون بد الانتهاء فواجب أن تكون أجزاؤها وابعاضها غير متناهية وواجب أن يكون الزمان غير عادلها

دبرجد

زبرجد كرومه والجو قد بعث بذخائر الطيب لطيمة نسيمه والنخل قد أظهرت جواهرها ونشرت غدائرها والطل ينثر لؤلؤه في مسارب النسيم ومساحبه والبحر يرعد غيظا من عبث الرياح به فسأله بعض الحضور أن يصف ذلك الموضع الذي تمت محاسنه وغبط به ساكنه فجاشت لذلك لجج بحره وألقت اليه جواهره الترصيع لبة ذلك القصر ونحره فقال

قصر بعدرجة النسيم تحدثت * فيه الرياض بسرها المستور
خفض الخورنق والسدير سموه * وثنى قصور الروم ذات قصور
لاث الغمام عمامة مسكية * وأقام في أرض من الكافور
غنى الربيع به محاسن وصفه * فافتر عن نور يروق ونور
فالدوح يسحب حلة من سندس * تزهو بلؤلؤ طلها المنثور
والنخل كالغيد الحسان تقرطت * بسبائك المنظوم والمشذور
والرمل في جيد النسيم كأنما * أبدى غصون سوالف المذعور
والبحر يرعد متنه فكأنه * درع تشن بعطفي مقرور
وكأننا والقصر يجمع شملنا * في الأفق بين كواكب وبدور
وكذاك دهر بني خليف لم يزل * يثني المعاطف في حبير حبور

ثم قال ابن ظافر وأخبرني الفقيه أبو الحسن علي بن الطوسي المعروف بابن السيوري الاسكندري النحوي بما هذا معناه قال كنت مع الاعز بن قلاقس في جماعة فر بنا أبو الفضائل بن فتوح المعروف بالمصري وهو راجع من المكتب ومعه دواته وهو في تلك الايام قرة العين نظرا وجمالا وراحة القلب قربا ووصالا كل عين الى وجهه محدقة ولمشهد خديه بخلوق الخجل مخلقة فاقترحنا عليه أن يتغزل فيه فصنع بديها

علقته متعلقا * بالخط معتكفا عليه
حمل الدواة ولا دوا * ء لعاشق يرجى لديه
فدماء حبات القلو * ب تلوح صبغا في يديه
لم أدر ما أشكو اليـ * ـه أهجره أم مقلتيه
والحب يخرسني على * أني ألكع سيبويه
مالي اذا أبصرته * شغل سوى نظري اليه
انتهى

وقد آن وقت الرجعة الى كلام الاندلسيين الذي حلا وأبعدنا عنه عامر النجعة فنقول ذكر الفتح في قلائد العقيان كما قال ابن ظافر ما معناه أخبرني الوزير أبو عامر بن بشتغير أنه حضر مجلس القائد أبي عيسى بن لبون في يوم سفرت فيه أوجه المسرات ونامت عنه أعين المضرات وأظهرت سقاته غصونا تحمل بدورا وتطوف من المدام بنار مازجت من الماء نورا وشموس الكاسات تطلع في أكفها كالورد في السوسان وتغرب بين أقاحي نجوم الثغور فتذبل نرجس الاجفان وعنده الوزير أبو الحسن بن الحاج اللورقي وهو يومئذ قد بذل الجهد في التحلي بالزهد فأمر القائد بعض السقاة أن يعرض عليه ذهب كاسه ويحييه بزبرجد آسه

ولا حاصر لجميعها وقد وجدنا التناهي والابداء في أجزائها وأبعاضها على الدوام وأنا في كل يوم جديد نعاين خلقا جديدا وصورا في العالم لم تكن وصورا بادئة قد كانت متماثلة وفي هذا ما يدل على حصر الاشياء وأوقعها في غاية انتهاء صدرها أو أوجب ان للاشياء بدأ وانتهاء وبطل قسم المتوهم أن الاشياء بلا نهاية وأن ليس لها ابتداء ولا غاية وذلك باطل ومحال فاسد ولو وجب أن تكون الاشياء الموجودة بلا بدء ولا نهاية لوجب أن لا يزول شيء من مركزه ولا يتحول عن رتبته ولبطلت الاستحالة وبطلت المتضادة وهذا مستحيل ولوجب أن تكون الاشياء على غير نهاية ولما كان لقولنا اليوم وأمس وغدا معنى لان هذه الازمان بعد ماهو بالنهاية ويوجد في حوزاتها ايجاد مالم يكن ودخلها في حوزتها ماهو كائن وفيما ذكرنا ما أوضح عن تنقل شان المعاني ودل على حدوث الاجسام وهذه الدلالة ماخوذة من الحس ومستظهرة للعقول والبحث واذ قد وضح أن الاشياء محدثة لكونها بعد أن لم تكن فلا بد من محدث هو بخلافها لا شكل له ولا مثل لان العقل لا يقيم شيئا مثلا حتى يعلم له قدرا أو وزنا يعادله بمثله وشكله وتعالى وجل وعز من لا تعبر عن ذاته اللغات وتعجز العقول أن

ويغازله بطرفه و يميل عليه بعطفه ففعل ذلك عجلا فانشد أبو الحسن مرتجلا

ومهفهف مزج الفتور بشدة * وأقام بين تبـــدل وتمنع
يثنيه من فعل المدامة والصبا * سكران سكر طبيعة وتطبع
أوما الى بكاسه فكففتها * ورنا فشفعها بلحظ مطمع
والله لولا أن يقال هوى الهوى * منه بفضل عزيمة وتورع
لاخذت فى تلك السبيل بماخذى * فيما مضى ونزعت فيها منزعى انتهى

وحكى الحميدى أن عبد الملك بن ادريس الجزيرى كان ليلة بين يدى الحاجب بن أبى عامر والقمر يبدو تارة و يخفيه السحاب تارة فقال بديها

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذاك لانه لما تبـــدى * وأبصر وجهك استحيا فغابا
مقال لو نمى عنى اليه * لراجعنى بتصديقى جوابا انتهى

وكان صاعد اللغوى صاحب كتاب الفصوص وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب كثيرا مايمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن أبى عامر و يصفها و يقرظها فكتب الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير أبى عامر أحمد بن شهيد صاحب الغرائب وقد تقدم بعض كلامه قريبا الى المنصور فى يوم برد وكان أخص وزرائه به بهذه الابيات

أماترى برد يومنا هـــذا * صيرنا للكمون أفذاذا
قد فطرت صحة الكبود به * حتى لكادت تعود أفلاذا
فادع بنا للشمول مصطليا * نغذ سيرا اليك اغذاذا
وادع المسمى بها وصاحبه * تدع نبيلا وتدع أستاذا
ولا تبالى أبا العلاء زها * بخمر قطربل وكلواذا
مادام من أرملاط مشربنا * دع ديرعمى وديرنا باذا

وكان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالحرم فامر باحضار من جرى رسمه من الوزراء والندماء وأحضر ابن شهيد فى محفة لنقرس كان يعتاده وأخذوا فى شانهم فرلهم يوم لم يشهدوا مثله ووقت لم يعهدوا نظيره وطما الطرب وسما بهم حتى تهايج القوم ورقصوا وجعلوا يرقصون بالنوبة حتى انتهى الدور الى ابن شهيد فاقامه الوزير أبو عبد الله بن عباس فجعل يرقص وهو متوكئ عليه ويرتجل ويومئ الى المنصور وقد غلب عليه السكر

هاك شيخا قاده عذر لكا * قام فى رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها مستثبتا * فانثنى يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفردا * نقرس أخنى عليه فاتكا
من وزير فيهم رقاصة * قام للسكر يناغى ملكا
انا لو كنت كما تعرفنى * قمت اجلالا على رأسى لكا
قهقه الابريق منى ضاحكا * ورأى رعشة رجلى فبكى

قال ابن ظافر وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الاخير واسطتها وكان حاضرهم ذلك اليوم رجل

بغدادى

نحصره بالصفات وندركه بالاشارات أويكون ذا غايات ونهايات (قال المسعودى) فلنرجع الآن الى الكلام فى حصر تاريخ العالم لما ذكرنا قول من قال بقدمه ودل على أزليته وقد تقدم ذكرنا لقول الهند فى ذلك فيما سلف من هذا الكتاب وأما اليهود فانهم زعموا أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة واخذوا فى ذلك ماخذا سريعا وذهبت النصارى الى أن عمر العالم ماذهبت اليه اليهود وأما الصابئة من الحرانيين والكتابيين فقد ذكرنا قولهم فى ذلك فى جملة قول اليونانيين وأما المجوس فانهم ذهبوا فى ذلك الى حد معلوم من نفاد قوة الهرميد وكيده وهو الشيطان ومنهم من ذهب فى ذلك الى نحو ماذهب اليه أصحاب الانيس والجلاس وان العالم سيعود بدأ متخلصا من الشرور والآفات وزعمت المجوس ان من وقت زرادشت بن سيمان نبيهم الى الاسكندر مائتين وثمانين سنة وملك الاسكندر ست سنين ومن ملك الاسكندر الى ملك أردشير خمسمائة سنة وأربع وستون سنة فذلك من هبوط آدم الى هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة سنة وست وعشرون سنة منها من هبوط آدم عليه السلام الى الطوفان ألفان ومائتان وست وخمسون سنة ومن

بغدادي يعرف بالفكيك حسن النادرة سريعها وكان ابن شهيد استحضره الى المنصور فاستطبعه فلما رأى ابن شهيد يرقص قائما مع ألم المرض الذى كان يمنعه من الحركة قال لله درك ياوزير ترقص بالقائمة وتصلى بالقاعدة فضحك المنصور وأمر لابن شهيد بمال جزيل ولسائر الجماعة وللبغدادى * وقال ابن بسام حدث أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحفى قال دخلت يوما على أبى عامر بن شهيد وقد ابتدأت به علته التى مات بها فانس بى و جرى الحديث الى ان شكوت له تجنى بعض أصحابى على ونفاره عنى فقال لى سأسعى فى اصلاح ذات البين فخرجت عنه واتفق لقائى لذلك المتجنى على مع بعض أصحابى وأعزهم على فلما رآنى ذلك الصديق موليا عنه أنكر عليه وسأله عن السبب الموجب فاخبره و زادانى مشيهما حتى لحقانى وعزم على فى مكالمة صاحبى وتعاتبنا عتابا أرق من الهوى وأشهى من الماء على الظما حتى جئنا دار أبى عامر فلما رآنا جميعا ضحك وقال من كان الذى تولى اصلاح ما كنا سررنا بفساده قلنا قد كان ما كان فاطرق قليلا ثم أنشد

من لا اسمى ولا أبوح به * أصلح بينى و بين من أهوى
أرسلت من كابد الهوى فدرى * كيف يداوى مواقع البلوى
ولى حقوق فى الحب ثابتة * لكن الفى بعدها دعوى

وقد ذكرنا فى هذا الكتاب من غرائب أبى عامر بن شهيد فى مواضع متفرقة الغرائب وقدمنا فى الباب الرابع حكايته مع المرأة الداخلة فى رمضان لجامع قرطبة وحكيناها هنالك بلفظ المطمح فلتراجع وعبر ابن ظافر عن معناها بقوله ان أبا عامر كان مع جماعة من أصحابه بجامع قرطبة فى ليلة السابع والعشرين من رمضان فمرت امرأة به من بنات أجلاء قرطبة قد كملت حسنا وظرفا ومعها طفل يتبعها كالظبية تستتبع خشفا وقد حفت بها الجوارى كالبدر حف بالدرارى فحين رأت تلك الجماعة المعروفة بالخلاعة وقد رمقوا ذلك الظبى بعيون اسود رأت فريسة ارتاعت وتخوفت أن تخطف منها تلك الدرة النفيسة فاستدنت اليها خشفها وألزمته عطفها فارتجل ابن شهيد قائلا * وناظرة تحت طى القناع الخ * ومرت فى الباب الرابع هذه الابيات * وقال الرئيس أبو الحسن عبد الرحمن بن راشد الراشدى لما نعيت أبا عامر بن شهيد الى أبى عبد الله الخياط الشاعر وكان قد عرف ما بينهما من المنافسة فبكى وأنشدنى لنفسه بديهة

لمانعى الناعى أبا عامر * أيقنت أنى لست بالصابر
أودى فتى الظرف وترب الندى * وسيد الاول والآخر

وقال ابن بسام اصطبح المعتصم بن صمادح يوما مع ندمائه فابرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة فى أنواع اللعب المطرب من الدك وحضر أيضا هنالك لاعب مصرى ساحر فكان لعبه حسنا فارتجل أبو عبد الله بن الحداد

كذا فلتلح قمرا زاهرا * وتجنى الهوى ناظرا ناضرا
وسيبك سيب ندى مغدق * أقام لنا هاميا هامرا
وان ليومك ذا رونقا * منيرا كنور الضحى باهرا

الطوفان الى مولد ابراهيم الخليل عليه السلام ألف وتسع وسبعون سنة ومن

مولد ابراهيم الى ظهور موسى بعد ثمانين سنة خلت من عمر موسى بن عمران وهو وقت خروجه ببنى اسرائيل من مصر الى التيه خمسمائة وخمس وستون سنة ومن خروجهم الى سنة أربع من ملك سليمان بن داود عليه السلام وذلك وقت ابتدائه فى بناء بيت المقدس ستمائة وست وثلاثون سنة ومن بناء بيت المقدس الى ملك الاسكندر سبعمائة وسبع عشرة سنة ومن ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة ومن مولد المسيح الى مولد النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة واحدى وعشرون سنة وبين ان رفع الله المسيح وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة الى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وست وأربعون سنة و بين مبعث المسيح وهجرة النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة وأربع وتسعون سنة (وكانت وفاة نبينا) صلى الله عليه وسلم فى سنة تسعمائة وخمس وثلاثين سنة من سنى ذى القرنين ومن داود الى محمد صلى الله عليه وسلم الف سنة وسبعمائة سنة وسنتان وستة أشهر وعشرة أيام ومن ابراهيم الى محمد صلى الله عليه وسلم ألفا سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وستة أشهر وعشرة ايام ومن نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة

صباح اصطباح باسفاره * لحظنا محيا العلا اسافرا
وأطلعت فيه نجوم الكؤس * فمازال كوكبها زاهرا
وأسمعتنا لاحنافاتنا * واحضرتنا لاعباساحرا
يرفرف فوق رؤس القيان * فتنظر مايذهل الناظرا
ويخطفها ذيل سرباله * فتنظر طالعها غائرا
فظاهرها ينثنى باطنا * وباطنها ينثنى ظاهرا
وثناه ثان لالعابه * دقائق تثنى الجاحائرا
وفى سورة الراح من سحره * خواطر دلهت الخاطرا
اذا ورد اللحظ أثناءها * فالوهم عن وردها صادرا
ومن حسن دهرك ابداعه * فالفلك عارضها ماطرا
وسعدك يجتاب المغربات * فيجعل غائبها حاضرا

قال وحضر الاديب أحمد بن الشقاق عند القائد بن در يد بجان هو وابو زيد بن مقانا الاشبونى فاحضر لهما عنبا أسود مغطى بورق أخضر فارتجل ابن الشقاق

عنب تطلع من حشى ورق لنا * صبغت غلائل جلده بالاثمد
فكانه من بينهن كواكب * كسفت فلاحت فى سماء زبرجد

قال وحضر ابن مرزقان ليلة عند ذى النون بن خلدون وبحضرته وصيفة تحمل شمعة فاستحسنها ابن مرزقان فقال بديها

ياشمعة تحملها أخرى * كأنها شمس علت بدرا
امتحنت احدا كامهجتى * بمثل ماتمتحن الاخرى

قال ودخل الاديب غانم يوما على باديس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان فى المجلس فقال بديها

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وأخذه من قول الخليل ماتضايق سم الخياط بمتحابين ولا اتسعت الدنيا لمتباغضين وكان الخليل على غرفة صغيرة والمجلس متضايق فدخل عليه بعض أصحابه فرحب به وأجلسه معه على النمرقة فقال له الرجل انها لاتسعنا فقال ماذكر * وقال ابن بسام أيضا أمر الحاجب المنذر بن يحيى التجيبى صاحب سرقسطة بعرض بعض الجند فى بعض الايام ورئيسهم مملوك له رومى يقال له خيار فى نهاية الجمال فجعل ينفخ فى القرن ليجتمع أصحابه على عادة لهم فى ذلك فقال ابن هند الدانى فيه ارتجالا

أعن بابل أجفان عينيك تنفث * ومن قوم موسى أنت للعهد تنكث
أفى الحق أن تحكى سرافيل نافخا * وامكث فى رمس الصدود وألبث
عساك نبى الحسن تاتى بآية * فتنفخ فى ميت الصدود فيبعث

قال وكان بقرطبة غلام وسيم فرعليه ابن فرج الجيانى ومعه صاحب له فقال صاحبه انه

النبى صلى الله عليه وسلم ارنعة آلاف سنة واحدى عشرة سنة وستة اشهر وعشرة ايام فجملة التاريخ من هبوط آدم الى الارض الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقى بالله ونزوله الرقة من ديار مضر خمسة آلاف سنة ومائة وست وخمسون سنة (وقد ذكرنا) جملا من التاريخ فيما سلف من هذا الكتاب فلم نعد منه ماتقدم (وللمجوس) فى التواريخ أقاصيص يطول ذكرها وعود الملك اليهم والى غيرهم من الطوائف السالفة فى بدو العالم وفنائه ومن قال منهم ببقائه وان لابدء له ولانهاية ومن ذهب منهم الى ان له انتهاء ولابدء له قد اتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن الاعادة فى هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على انفسنا الاختصار والايجاز والتنبيه على ماسلف لنا من الكتب (وقد ذهب) جماعة من اهل البحث والنظر من أهل الاسلام ان الدلالة قد قامت على حدوث العالم وكونه بعد أن لم يكن وأن المحدث له الخالق البارى

لصبيح لولا صفرة فيه فقال ابن فرج ارتجالا

قالوا به صفرة عابت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه تطلب في أوتار من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

قال وكان يوما مع لمة من أهل الادب في مجلس أنس فاحتاج رب المنزل الى دينار فوجه الى السوق فدخل به عليهم غلام من الصيارف في نهاية الجمال فرمى بالدينار اليهم من فيه تماجنا فقال ابن فرج

أبصرت دينارا بكف مهفهف * يزهى به من كثرة الاعجاب
أومابه من فيه ثم رمى به * فكأنه بدر رمى بشهاب

قال وخرج الاديب أبو الحسن بن حصن الاشبيلي الى وادي قرطبة في نزهة فتذكر اشبيلية فقال بديها

ذكرتك يا حمص ذكرى هوى * أمات الحسود وتعنيته
كأنك والشمس عند الغروب * عروس من الحسن منحوته
غدا النهر عقدك والطودتا * جك الشمس أعلاه ياقوته انتهى

وعبر بعضهم وهو صاحب بدائع البدائه عن بعض حكايات صاحب القلائد بما يقارب بها في المعنى فقال ان المستعين بن هود ملك سرقسطة والثغور ركب نهر سرقسطة يوما لتفقد بعض معاقله المنتظمة بجيد ساحله وهو نهر رق ماؤه وراق وأزرى على نيل مصر ودجلة العراق قد اكتنفته البساتين من جانبيه وألقت ظلالها عليه فما تكاد عين الشمس ان تنظر اليه هذا على اتساع عرضه وبعد سطح مائه من أرضه وقد توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهالة وأحاطت به احاطة الطفاوة بالغزالة وقد أعدوا من مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء وأخاف حتى حوت السماء وأهلة الهالات طالعة من الموج في سحاب وقانصة من بنات الماء كل طائرة كالشهاب فلا ترى الا صيودا كصيد الصوارم وقدودا للهاذم ومعاصم الابكار النواعم فقال الوزير أبو الفضل بن حسداي والطرب استهواه وبديع ذلك المرأى قد استرق هواه

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء أعتبنا * فيه بعتبى فأبدى صفح معتذر
نسير في زورق حف السرور به * من جانبيه بمنظوم ومنتثر
مد الشراع به قد اعلى ملك * بذ الاوائل في أيامه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى * علياء مؤتمن في هدى مقتدر
تحوي السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار في نهر
تثار من قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللندامى به عب ومرتشف * كالريق يعذب في ورد وفي صدر
والشرب في ودمولى خلقه زهر * يذكو وبهجته أبهى من القمر انتهى

ثم قال ما معناه وقوله نينان غير معروف فان نونا لم يجئ جمعها على نينان وقد كان سيبويه

اذكان الصادق في وعده ووعيده لامبدل لكلماته وان أول العالم من لدن آدم وقد غاب عنا حصر السنين واحصاؤها وتنازع الناس في بدء التاريخ والكتاب لم يخبر بحصر اوقاته ولا بين عن كيفيته ولا اعداد سنيه فيما مضى وليس علم ذلك مما تهجم عليه الآراء ولا تحصره قضيات العقول وموجبات الفحص وضرورات الحواس عند مذاكرتها المحسوساتها فكيف توجب أن يوقت عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة والله عز وجل يقول وقد ذكر الاجيال ومن ضمه الهلاك وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا والله تعالى ذكره يقول في الشئ الكثير الشئ الحقير وأعلمنا في كتابه خلق آدم وما كان من أمره وأمر الانبياء بعده وأخبر عن شان بدء الخلق ولم يخبرنا بمقدار ذلك فنقف عليه كوقوفنا عند ما أخبرنا به ولا سيما مع علمنا أن البدء بيننا وبينه متفاوت وأن الارض كثرت بها المدن والملوك والعجائب فلا نحصر مالم يحصر الله عز وجل ولا يقبل من اليهود ما أوردته لنطق القرآن أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتمون الحق وهم يعلمون ونفيهم النبوات وجحدهم ما أتوا به من الآيات

لحن بشار بن برد فى قوله فى صفة السفينة

تلاعب نينان البحور بها * ورأيت نفوس القوم من جريها تجرى

فغيره بشار بتيار البحور وقد قال أبو الطيب يصف خيلا

فهن مع السيدان فى البر عسل * وهن مع النينان فى البحر عوّم   انتهى

والمستعين بن هود هو أحمد بن المؤتمن على أمر الله يوسف بن المقتدر بالله أحمد بن المستضىء بالله سليمان بن هود الجذامى رحمهم الله تعالى الجميع* وعبر المذكور عن قضية ابن وهبون فى هلال شوّال بما نصه خرج ابن وهبون يوما لنظر هلال شوّال وأبو بكر بن القبطرنة الوزير يسايره وهو يومئذ غلام يخجل البدر ويذوى الغصن النضر وصفحته لم يسطرها العذار بانقاسه ووردة خده لم يسترها الشعر بآسه فارتجل عبد الجليل

يا هلال استتر بوجهك عنى * ان مولاك قابض بشمالى

هبك تحكى سناه خدّا بخدّ * قم فجئنى لخده بمثال   انتهى

وقد ذكرنا هذه الحكاية فى غير هذا الموضع بلفظ الفتح فى القلائد ولكنا أعدناها هنا لتعبير صاحب البدائع عنها كما الطرر يقتضيه* وذكر ابن بسام ان الوزير أبا عبد الله بن أبى الخصال وقف بباب بعض القضاة واستأذن عليه فحجب عنه فكتب اليه بديها

جئناك للحاجة المطول صاحبها * وأنت تنعم والاخوان فى بوس

وقد وقفنا طويلا عند بابكم * ثم انصرفنا على رأى ابن عبدوس

أشار به الى قول الوزير أبى عامر بن عبدوس

لنا قاض له خلق * أقل ذميمه النزق

اذا جئناه يحجبنا * فنلعنه ونفترق

وهو تمليح مليح سامح الله تعالى الجميع* وقال أبو جعفر الكاتب القرطبى الربضى

وابى المدامة ما أريد بشربها * صلف الرقيع ولا انهماك اللاهى

لم يبق من عصر الشباب وطيبه * شئ كعهدى لم يحل الاهى

ان كنت أشربها لغير وفائها * فتركتها للناس لا لله

وبعضهم ينسبها لابى القاسم عامر بن هشام والصواب كما قال ابن الابار الاوّل* وقال أبو جعفر المذكور فى فوّارة رخام كلفه وصفها والى قرطبة

ما شغل الطرف مثل فائرة * تمج صرف الحياة من فيها

اشرب بها والحباب فى جذل * يظهره حسنها ويخفيها

تكاد من رقة تنمنها * تخطها العين اذ توافيها

كأنها درة منعمة * زهراء قد ذاب نصفها فيها

ومن شعره أيضا

ضحك المشيب براسه * فبكى باعين كاسه

رجل تخوّنه الزما * ن ببؤسه وبياسه

يجرى على غلوائه * طلق الجموح بناسه

البراهين الباهرات والدلائل والعلامات والله عزوجل يخبر بما أهلك من الامم لما كان من فعلهم وكفرهم بربهم قال الله عزوجل الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله فهل ترى لهم من باقية ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم كذب النسابون وأمر أن ينسب الى معد ونهى أن يتجاوز بالنسب الى مافوق ذلك لعلمه بما مضى من الاعصار الخالية والامم الفانية ولولا أن النفوس الى الطارف أحن وبالنوادر أشغف والى قصار الاحاديث أميل وبها أكلف لذكرنا من أخبار المتقدمين وسير الملوك الغابرين مالم نذكره فى هذا الكتاب ولكن ذكرنا فيه ماقرب تناوله تلويحا بالقول دون الايضاح والشرح اذ كان معوّلنا فى جميع ذلك على ماسلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا واذا علم الله عزوجل موقع النية ووجه القصد أعان على السلامة من كل مخوف (وقد ذكرنا) فى هذا الكتاب من كل فن من العلوم وكل باب من الآداب على حسب الطاقة أخذا

أخذا بأوفر حظه * لرجائه من يأسه

وقال أحد بنى القبطرنة الوزراء

ذكرت سليمى ونار الوغى * بقلبى كساعة فارقتها
وأبصرت قد القناة بها * وقد ملن نحوى فعانقتها

وهذا معنى بديع ما أراه سبق به وقال أبو الحسن بن الغليظ المالقى قلت يوما للاديب أبى عبدالله بن السراج المالقى ونحن على خرير ماء أجز * شربنا على ماء كأن خريره * فقال مبادرا * بكاء محب بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا كئيبا بالفه * فانى مشغوف به وكئيب

وكتب أبو بكر البلنسى الى الاديب أبى بحر صفوان بن ادريس هذين البيتين يستجيزه القسيم الاخير منهما

خليلى أبا بحر وما قرقف اللمى * بأعذب من قولى خليلى أبا بحر
أجز غير مامور قسيما نظمته * تامل على مجرى المياه حلى الزهر

فاجازه

تامل على مجرى المياه حلى الزهر * كعهدك بالخضراء والانجم الزهر
وقد ضحكت للياسمين مباسم * سرورا بآداب الوزير أبى بكر
وأصغت من الآس النضير مسامع * لتسمع ما يتلوه من سور الشعر

وقال ابن خفاجة

وما الانس الا فى مجاج زجاجة * ولا العيش الا فى صرير سرير
وانى وان جئت المشيب لمولع * بطرة ظل فوق وجه غدير

وقال ابن خفاجة أيضا

وأسود يسبح فى لجة * لا تكتم الحصباء غدرانها
كانها فى شكلها مقلة * وذلك الاسود انسانها

وكتب الوزير الشهير أبو الوليد بن زيدون الى الوزير أبى عبدالله بن عبد العزيز اثر صدوره عن بلنسية

راحت فصح بها السقيم * ريح معطرة النسيم
مقبولة هبت قبو * لا فهى تعبق فى الشميم
أفضيض مسك أم بلنسية لرياها غميم
بلد حبيب أفقه * لفتى يحل به كريم
ايه أبا عبد الاله نداء مغلوب الغريم
ان عيل صبرى من فرا * قك فالعذاب به أليم
او أتبعتك حنينها * نفسى فانت لها قسيم
ذكرى لعهدك كالعرا * وسرى فبرح بالسليم
مهما ذممت فما زما * نى فى زمانك بالذميم

ومبلغ الاجتهاد والاختصار والايجاز لمعا سيعرفها من تامل و ينبه بها من رآها (واذ قد ذكرنا) جوامع ما يحتاج اليه المبتدى والمنتهى من علوم العالم وأخباره فلنذكر الآن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولده ومبعثه وهجرته ووفاته وأيام الخلفاء والملوك عصرا فعصرا الى وقتنا هذا ولم نعرض فى كتابنا هذا الكثير من الاخبار بل لوحنا بالقول بها تخوفا من الاطالة ووقوع الملل اذ ليس ينبغى للعاقل أن يحمل البنية على ماليس فى طاقتها ويسوم النفس ماليس فى حيلتها وانما الالفاظ على قدر المعانى وقليلها القليلها وهذا باب كبير وبعضه ينوب عن بعض والجزء منه يوهمك الكل والله تعالى ولى التوفيق

(ذكر مولد النبى صلى الله عليه وسلم ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب)

وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا بدء التاريخ فى أخبار العالم وأخبار الانبياء والملوك وعجائب البر والبحر وجوامع التاريخ للفرس والروم والقبط وشهور الروم والقبط وما كان من مولد النبى صلى الله عليه وسلم الى مبعثه ومن آمن به قبل رسالته وقد قدمنا فى هذا الكتاب من كان بينه وبين المسيح من أهل الفترة فلنذكر الآن مولده

قبل بعثته (وهو محمد) بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ابن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن ناحور بن يعور بن يعرب بن يشجب بن ثابت ابن اسمعيل بن ابراهيم خليل الرحمن بن تارخ بن آزر بن ماخور بن ساروغ ابن ارعواء بن فالغ بن عابر ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلح بن خنوخ بن برد بن مهلاييل بن معسوف بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام هذا ما فى نسخة ابن هشام فى كتاب جمهرة النسب والنسخ مختلفة الاسماء فى النسب من نزار وفى نسخة ان نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن نام بن يشجب بن يعرب بن الهميسع بن صانوع ابن يافث بن فيدر بن اسمعيل بن ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ارعواء ابن اسروح بن فالخ بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن نوح بن متوشلخ بن خنوخ بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم (وفى رواية ابن الاعرابى) عن هشام بن محمد الكلبى

زمن كمألوف الرضا * عيشوق ذكراه النظيم
أيام أعقد ناظرى * فى ذلك المرأى الوسيم
وأرى الفتوة غضة * فى ثوب أواه حليم
الله يعلم ان حبك من فؤادى فى الصميم
ولئن تحمل عنك لى * جسم فعن قلب مقيم
قل لى باى خلال سرك فيك أقبل أو أهيم
أبجدك العمم الذى * نسق الحديث مع القديم
أم طرفك الغض الجنى * أم عرضك الصافى الاديم
أم برك العذب الجما * م وبشرك الغض الجميم
ان أشمست تلك الطلا * قة فالندى منها مغيم
أم بالبدائع كاللآ * لى من نثير أو نظيم
ابلاغة ان عد أهلوها فانت بها زعيم
فقر تسوغ بها المدا * م اذا يكررها النديم
ان الذى قسم الحظو * ظ حباك بالخلق العظيم
لا أستزيد الله نعمى فيك لا بل أستديم
فلقد أقر العين أنك غرة الزمن البهيم
حسبى الثناء بحسن برك ما بدا برق وشيم
ثم الدعاء بان تهنأ طول عيشك فى نعيم
ثم السلام تبلغنه فغيب مهديه سليم

ولما ورد اشبيلية نزل بدار الوزير الكاتب ذى الوزارتين أبى عامر بن سلمة وهو يبنى مجلسا فصنع أبياتا كتبت فيه

عمر من يعمر ذا المجلسا * أطول عمر يبهج الانفسا
و بعد ذا عوض من داره * عدنا ومن ديباجه السندسا
ولقى النور بها والرضا * ووقى الاسواء والابؤسا
ودام عبادا لعضد الهدى * يحرس حتى يفنى الاحرسا
معتضدا بالله احسانه * جم اذا ما الدهر يوما أسا
الملك الغمر الندى المقتنى * من كل حمد علقة الانفسا
ان رام يوما وصف عليائه * مفوه مقتدرا أخرسا
لازال بدرا طالعا نيرا * يكشف عن آمالنا الحندسا

وقال فيه أيضا

أدرها فقد حسن المجلس * وقد آن أن تترع الا كؤس
ولا تنس أن أوان الربيع * اذا لم تجد فقده الانفس
فان خلال أبى عامر * بها يحقر الورد والنرجس

وكتب

و كتب الى الوزير أبى المعالى المهلب بن عامر يستدعيه

طابت لنا ليلتنا الخاليه * فلتتبعها هذه الثانيه
أبا المعالى نحن فى راحة * فانقل الينا القدم العاليه
لانها عاطلة ان تغب * عنا فزرنا كى ترى حاليه
أنت الذى لو نشترى ساعة * منه بدهر لم تكن غاليه

و كتب اليه ذو الوزارتين أبو عامر المذكور معاتبا

تباعدنا على قرب الجوار * كأنا صدنا شط المزار
تطلع لى هلال الهجر بدرا * وصار هلال وصلك فى سرار
وشاع شنيع قطعك لى بوصلى * فهلا كان ذلك فى استتار
أيجمل أن ترى عنى صبورا * فاصبح مولعا دون اصطبار
و كنت أزيد سمعك من عتابى * ولكن عاقنى فرط الخمار
فراع مودتى واحفظ جوارى * فان الله أوصى بالجوار
و زرنى منعما من غير أمر * وآنس موحشا من عقر دارى

فكتب اليه ابن زيدون

هواى وان تناءت عنك دارى * كمثل هواى فى حال الجوار
مقيم لا تغيره عواد * تباعد بين احيانى المزار
رأيتك قلت ان الهجر بدر * متى خلت البدور من السرار
ورابك أننى جلد صبور * وكم صبر يكون عن اضطرار
ولم أهجر لعتب غير أنى * أضرت بى معاقرة العقار
وان الخمر ليس لها انحجار * يبرح بى فكيف مع الخمار
وهل انسى لديك نعيم عيش * كوشى الخد طرز بالعذار
وساعات يجول اللهو فيها * مجال الظل فى حدق النهار
وان يك فرعنك اليوم جسمى * فديت فما القلبى من فرار
و كنت على البعاد أجل شئ * لدى فكيف اذا أصبحت جارى

و كان أبو العطاف اذورد اشبيلية رسولا قد سأله ان يريه شيأ من شعره فمطله به حتى كتب اليه شعرا يستبطئه فاجابه ابن زيدون فى العروض والقافية

أهدتنى من نفائس الدرر * ما أبرزته غوائص الفكر
من لفظة قارنت نظائرها * قران سقم الجفون للحور

وهى أكثر مما ذكر * و كتب رحمه الله تعالى أعنى ذا الوزارتين ابن زيدون الى ولادة

أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا
الا وقد حان صبح البين صبحنا * حين فقام بنا للحين ناعينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم * حزنا مع الدهر لا يبلى و يبلينا
ان الزمان الذى مازال يضحكنا * انسا بقربهم قد عاد يبكينا

ابن ناحور بن ساروخ بن ارعوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ بن بردبن مهلاييل ابن معسوف بن شيث بن آدم عليه السلام (وفى التوراة) أن آدم عليه السلام عاش تسع مائة سنة و ثلاثين سنة فيجب والله أعلم أن آدم عليه السلام كان عند مولد لمك وهو أبو نوح النبى عليه السلام ابن ثمانمائة سنة وأربع وستين سنة وشيث ابن سبعمائة وأربع و أربعين سنة فيجب على هذا الوصف من الحساب أن مولد نوح عليه السلام كان بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة (وقد نهى) النبى صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من نهيه ان يتجاوز عن معد فقد ثبت أن نتوقف فى النسب على ما ذكرنا فالواجب الوقف عند أمره عليه السلام ونهيه (قال المسعودى) وقد وجدت نسب بن عدنان فى السفر الذى أثبته تاروخ بن باريا كاتب أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن معدا بن عدنان بن أدبن الهميسع بن

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بان نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بانفسنا * وانبت ما كان موصولا بايدينا
بالامس كنا ومايخشى تفرقنا * واليوم نحن ومايرجى تلاقينا
ياليت شعرى ولم نعتب أعاديكم * هل نال حظا من العتبى اعادينا
لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم * رأيا ولم نتقلد غيره دينا
كنا نرى الياس تسلينا عوارضه * وقد يئسنا فما للياس يغرينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت ماقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضى علينا الاسى لولا تاسينا
حالت لفقدكم ايامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
اذ جانب العيش طلق من تالفنا * ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا فنون الوصل دانية * قطوفها فجنينا منه ماشينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما * كنتم لارواحنا الا رياحينا
لاتحسبوا نايكم عنا يغيرنا * ان طال ماغير النأى المحبينا
والله ماطلبت أهواؤنا بدلا * منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
ياسارى البرق غاد القصر فاسق به * من كان صرف الهوى والود يسقينا
واسال هنالك هل عنى تذكرنى * الفا تذكره أمسى يعنينا
ويانسيم الصبا بلغ تحيتنا * من لو على البعد حيى كان يحيينا
من لايرى الدهر يقضينا مساعفة * فيه وان لم يكن عنا يقاضينا
وبيت ملك كأن الله أنشاه * مسكا وقد أنشا الله الورى طينا
اوصاغه ورقا محضا وتوجه * من ناصع التبر ابداعا وتحسينا
اذا تاوّد أدته رفاهية * تدمى العقول وأدمته البرى لينا
كانت له الشمس ضئرا فى تكلله * بل ماتجلى لها الا احايينا
كانما اثبتت فى صحن وجنته * زهر الكواكب تعويذا وتزيينا
ماضران لم نكن أكفاءه شرفا * وفى المودة كاف من تكافينا
يا روضة طالما أجنت لواحظنا * وردا جناه الصبا غضا ونسرينا
ويا حياة تملأنا بزهرتها * منى ضروبا ولذات أفانينا
ويا نعيما خطرنا من نضارته * فى وشى نعمى سحبنا ذيله حينا
لسنا نسميك اجلالا وتكرمة * وقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا
اذا انفردت وماشوركت فى صفة * فحسبنا الوصف ايضاحا وتبيينا
ياجنة الخلد أبدلنا بسلسلها * والكوثر العذب زقوما وغسلينا
كاننا لم نبت والوصل ثالثنا * والسعد قد غض من أجفان واشينا
سران فى خاطر الظلماء تكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
لاغرو فى أن ذكرنا الحزن حين نهت * عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا

ابن عيسى بن افياد بن ايهامز ابن معصر بن ماحب بن رواح ابن سماى بن مر بن عوص بن عوام بن فيدز بن اسمعيل ابن ابراهيم الخليل عليه السلام وقد كان لارمياء مع معد بن عدنان أخبار يطول ذكرها وما كان من أمرهما بالشام وقد اتينا على ذكر ذلك فيما سلف من كتبنا وانما ذكرنا هذا النسب من هذا الوجه ليعلم تنازع الناس فى ذلك (وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تجاوز معد لعلمه من تباعد الانساب وكثرة الآراء فى طول هذه المدة والاعصار (وكنيته) صلى الله عليه وسلم أبو القاسم وفى ذلك يقول الشاعر

لله من قد برا صفوة
وصفوة الخلق بنو هاشم
وصفوة الصفوة من هاشم
محمد النور أبو القاسم

وهو محمد وأحمد والماحى الذى يمحو الله به الذنوب والعاقب والحاشر الذى يحشر الناس على عقبه صلى الله عليه وسلم (وكان مولده) عليه السلام عام الفيل وبين عام الفيل وعام الفجار عشرون سنة والفجار حرب كانت بين قيس عيلان وبين كنانة استحلوا فيها القتال فى الاشهر الحرم فسميت الفجار وكنانة بن خزيمة بن مدركة هو

اناقرأنا الاسى يوم النوى سورا * مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا
أما هواك فلم نعدل بمشربه * شربا وان كان يروينا فيظمينا
لم نجف أفق جمال انت كوكبه * سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختيارا تجنبناك عن كثب * لكن عدتنا على كره عوادينا
نأسى عليك اذا حثت مشعشعة * فينا الشمول وغنانا مغنينا
لا أكؤس الراح تبدى من شمائلنا * سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا
دومى على العهد مادمنا محافظة * فالحر من دان انصافا كما دينا
فما استعضنا خليلا عنك يحبسنا * ولا استفدنا حبيبا منك يغنينا
ولو صبا نحونا من أفق مطلعه * بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا
أبكى وفاء وان لم تبذلى صلة * فالطيف يقنعنا والذكر يكفينا
وفى الجواب امتناع قد شغفت به * بيض الايادى التى مازلت تولينا
عليك منى سلام الله مابقيت * صبابة بك تخفيها وتخفينا

وانما ذكرت هذه القصيدة مع طولها لبراعتها ولان كثيرا من الناس لايذكر جملتها ويظن أن مافى القلائد وغيرها منها هو جميعها وليس كذلك فهى وان اشتهرت بالمشرق والمغرب لم يذكر جملتها الا القليل وقد كنت وقفت بالمغرب على تسديس لها لبعض علماء المغرب ولم يحضرنى منه الا ان الاقوله فى المطلع

ما للعيون بسهم الغنج تصمينا * وعن قطاف جنى الاعطاف تحمينا
تالف كان يحيينا و يضنينا * تفرق عاث فى شمل المحبينا
أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا

وما أحسن قوله فى هذا التسديس

ما للاحبة دانوا بالنوى ورأوا * تعويض عهد اللقا بالبعد حين ناوا
رعاهم الله كانوا للعهود رعوا * فغيرتهم وشاة بالفساد سعوا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بان نغص فقال الدهر آمينا

وقد ذكرنا فى الباب الرابع موشحة ابن الوكيل التى وطأ فيها النونية ابن زيدون هذه فلتراجع (رجع) وقال ذو الوزارتين ابن زيدون يتغزل

وضح الصبح المبين * وجلا الشك اليقين
ورأى الاعداء ماغرتهم منك الظنون
أملوا ماليس يمنى * ورجوا مالا يكون
وتمنوا أن يخون العبد مولى لا يخون
فاذا الغيب سليم * واذا العهد مصون
قل لمن دان بهجرى * وهو انى اذ يدين
أرخص الحب فؤادى * لك والعلق ثمين
ياهلالا لا تراه * نفوس لا عيون

وكانت أمهم ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهى خندف فغلب على من ذكرنا الالقاب ونسب ولد الياس الى أمهم خندف وفى ذلك يقول قصى بن كلاب بن مرة
انى أرى الحرب لحيى وأبى عند تناديهم بآل وهب
معترم الصولة عالى النسب أمى خندف والياس أبى
(وقريش) خمسة وعشرون بطنا وهم بنو هاشم بن عبد مناف بنو الحرث بن عبد المطلب بنو اسد بن عبد العزى بنو عبد الدار بن قصى وهم حجبة الكعبة بنو زهرة بن كلاب بنو تيم بن مرة بنو مخزوم بنو يقظة بنو مرة بنو عدى بن كعب بنو سهم بنو جمح والى هنا تنتهى قريش البطاح على حسب ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب بنو مالك بن حنبل بنو معيط بن عامر بنو لؤى بنو أسامة بن لؤى بنو الادوم وهم تيم بن غالب بنو محارب بن فهر بنو الحرث بن عبد الله بن كنانة بنو عائذة وهم خزيمة بن لؤى بنو نباتة وهم سعيد بن لؤى ومن بنى مالك الى آخر القبائل من قريش الظواهر على حسب ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند

عجبا للقلب يقسو * منك والعطف يلين
ما الذى ضرك لو سر * بمر آك الحزين
وتلطفت بصب * حينه فيك يحين
فوجوه اللطف شتى * والمعاذير فنون

وقال أيضا

اليك من الانام غدا ارتياحى * وأنت من الزمان مدى اقتراحى
وما اعترضت هموم النفس الا * ومن ذكراك ريحانى وراحى
فديتك ان صبرى عنك صبرى * لدى عطشى عن الماء القراح
ولى أمل لو الواشون كفوا * لاطلع غرسه ثمر النجاح
وأعجب كيف يغلبنى عدو * رضاك عليه من أمضى سلاحى
ولما أن جلتك لى اختلاسا * أكف الدهر للعين المتاح
رأيت الشمس تطلع فى نقاب * وغصن البان يرفل فى وشاح
فلو اسطيع طرت اليك شوقا * وكيف يطير مقصوص الجناح
على حالى وصال واجتناب * وفى يومى دنو وانتزاح
وحسبى أن تطالعك الامانى * بافقك فى مساء أو صباح
فؤادى من أسى بك غير خال * وقلبى من هوى لك غير صاح
وأن تهدى السلام الى شوقا * ولو فى بعض أنفاس الرياح

وقال

كم ذا أريد ولا أراد * لله ما لقى الفؤاد
أصفى الوداد الى الذى * لم يصف لى منه الوداد
كيف السلو عن الذى * مثواه من قلبى السواد
يقضى على دلاله * فى كل حين أو يكاد
ملك القلوب بحسنه * فلها اذا أمر انقياد
ياهاجرى كم أستفيد الصبر عنك فلا أفاد
أفلا رثيت لمن يبيت وحشو مقلته السهاد
ان أجن ذنبا فى الهوى * خطا فقد يكبو الجواد
كان الرضا وأعيذه * أن يعقب الكون الفساد

وقال

متى أنبيك مابى * ياراحتى وعذابى
متى ينوب لسانى * فى شرحه عن كتابى
الله يعلم أنى * أصبحت فيك كمابى
فما يلذ منامى * ولا يسوغ شرابى
ياننية المتعرى * وحجة المتصابى

شوال وكان حلف الفضول بعد منصرفهم من الفجار فقال بعضهم
نحن كنا الملوك من آل نجد * وحماة الذمار عند الدمار
ومنعنا الحجون من كل حى * ومنعنا الفجار يوم الفجار
وفى ذلك قال خداش بن زهير العامرى
فلا توعدينى بالفجار فانه * أحل ببطحاء الحجون المخازيا
(وقد كان) الحلف فى ذى القعدة بسبب رجل من زبيد من اليمن وكان باع سلعة له من العاص بن وائل السهمى فمطله بالثمن حتى يئس فعلا جبل أبى قبيس وقريش فى مجالسها حول الكعبة فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعا صوته مناديا يقول
ياللرجال لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائى الحى والنفر
ان الحرام لمن تمت حرامته * ولا حرام لثوبى لابس الغدر
فمشت قريش بعضها الى بعض وكان أول من سعى فى ذلك الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف واجتمعت قبائل قريش فى دار الندوة وكانت للحل والعقد

* وكان ممن اجتمع بها من قريش بنو هاشم بن عبد مناف و بنو المطلب بن عبد مناف وزهرة بن كلاب

الشمس انت توارت * عن ناظري بالحجاب
ما النور شف سناه * على رقيق السحاب
الا كوجهك لما * أضاء تحت النقاب

وقال

هل لداعيك مجيب * أم لشاكيك طبيب
يا قمرا يا حين ينأى * حاضرا حين يغيب
كيف يسلوك محب * زانه منك حبيب
انما أنت نسيم * تتلقاه القلوب
قد علمنا علم ظن * هو لا شك مصيب
أن سر الحسن مما * أضمرت تلك القلوب

وقال

أنى تضيع عهدك * أم كيف تخلف وعدك
وقد أتتك الاماني * رضا فلم تتعدك
يا ليت شعري وعندي * ما ليس في الحب عندك
هل طال ليلك بعدي * بطول ليلي بعدك
سلني حياتي أهبها * فلست أملك ردك
الدهر عبدي لما * أصبحت في الحب عبدك

وقال رحمه الله تعالى وقد أمره السلطان أن يعارض قطعا كان يغنى بها واستحسن الحانها

يقصر قربك ليلي الطويلا * و يشفي وصالك قلبي العليلا
وان عصفت منك ريح الصدود * تقدنسيم الحياة البليلا
كما أنني ان اطلت العثار * ولم يبد عذري وجها جميلا
وجدت ابا القاسم الظافر المؤيد بالله مولى مقيلا
لأقلامه فعل اسيافه * يظل الصرير يباري الصليلا

وقال يهنيه بالقدوم من السفر

ايها الظافر أبشر بالظفر * واجتل التاييد في ابهى الصور
وتفيأ ظل سعد يجتني * فيه من غرس المنى أحلى الثمر
ورد النجح فكم مستوحش * شائق منك الى انس الصدر
كان من قربك في عيش ند * عاطر الآصال وضاح البكر
فثوى دونك مثوى قلق * يشتكي من ليله مطل السحر
قل لساقينا يجد اكؤسه * ولشادينا يطل قطع الوتر

ومنها

لي فيه المثل السائر في * جالب التمر الى ارض هجر
ثم قد وفق عبد عظمت * نعمة المولى عليه فشكر

فساروا الى دار عبد الله ابن جدعان فتحالفوا هنالك ففي ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب

حلفت لتعقدن حلفا عليهم * وان كنا جميعا أهل دار
نسميه الفصول اذا عقدنا * يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت أنا * أباة الضيم نهجر كل عار

وقد قدمنا في كتابنا الاوسط أخبار الاحلاف والفجارات الاربعة فجار الرجل وفجار زيد بن معشر وفجار ألف ودو فجار المرأة والفجار الرابع هو فجار البراض ومن الفجار الرابع وحضور النبي صلى الله عليه وسلم ومشاهدته الفجار الرابع الى أن خرج الى الشام في تجارة خديجة ونظر نسطور الراهب اليه وهو في صومعته والنبي صلى الله عليه وسلم مع ميسرة وقد أظلته غمامة فقال هذا نبي وهذا آخر الانبياء أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام والى أن تزوج خديجة بنت خويلد شهران وأربعة وعشرون يوما والى أن شهد بنيان الكعبة وحضر منازعة قريش في وضع الحجر الاسود عشر سنين

 وقد كان السيل هدم الكعبة فبرق منها لما انهدمت غزال من الذهب وحلى وجواهر فنقضها

الازلام ويقابلها صورة اسمعيل ابنه على فرس يخبر الناس مقبضا والغاروب قائم على وفد الناس يقسم فيهم وبعد هذه الصورة صور كثيرة من أولادهم الى قصى بن كلاب وغيرهم فى نحو من ستين صورة مع كل واحد من تلك الصور آلة صاحبها وكيفية عبادته وما اشتهر من فعله (ولما بنت قريش) الكعبة ورفعت سمكها وتاتى لها ما أرادت فى بنيانها من الخشب الذى ابتاعوه من السفينة التى رمى بها البحر الى ساحلهم التى بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر الى الحبشة لتبنى هنالك له كنيسة وانتهوا الى موضع الحجر وتنازعوا على ما ذكرنا أيهم يضعه فاتفقوا على أن يرضوا باول من يطلع عليهم من باب بنى شيبة فكان أول من ظهر لابصارهم النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك الباب وكانوا يعرفونه بالامين لوقاره وهديه وصدق لهجته واجتنابه القاذورات والادناس فحكموه فيما تنازعوا فيه وانقادوا الى قضائه فبسط ما كان عليه من رداء وقيل كساء وأخذ عليه السلام الحجر فوضعه فى وسطه ثم قال لاربعة رجال من قريش بالله

لا عد احظك اقبال يرى * قاضيا ابناؤه كل وطر
واصطبح كاس الرضا من ملك * سرت فى ارضائه ازكى السير
حين صممت الى اعدائه * فانتحتهم منك صماء الغير
فاض غمر للندى من فوقهم * كان يروى شر بهم منه الغمر
سبق الناس فصلى سابق * اذ راى آثاره مثل الزهر

وقال رحمه الله تعالى وهى طويلة

لم يكن هجر حبيبى عن قلا * لا ولا ذاك التجنى مللا
سره دعوى ادعائى ثم لم * يدر ما غاية صبرى فابتلى
انا راض بالذى يرضى به * لى من لو قال مت ما قلت لا
مثل فى كل حسن مثل ما * صار حالى فى هواه مثلا
يا فتيت المسك يا شمس الضحى * يا قضيب البان يا ظبى الفلا
ان يكن لى امل غير الرضا * منك لا بلغت ذاك الاملا

وقال رحمه الله تعالى

أذكرتنى سالف العيش الذى طابا * يا ليت غائب ذاك الوقت قد آبا
اذ نحن فى روضة للوصل انعمها * من السرور غمام فوقها صابا
انى لاعجب من شوق يطالبنى * فكلما قيل فيه قد قضى نابا
كم نظرة لك عندى قد علمت بها * يوم الزيارة أن القلب قد ذابا
قلب يطيل معاصاتى لطاعتكم * فان اكلفه يوما سلوة يابى

وقال رحمه الله تعالى

عاودت ذكر الهوى من بعد نسيانى * واستحدث القلب بعد العشق سلوانى
من حب جارية يبدو بها صنم * من اللجين عليها تاج عقيان
غريرة لم تفارقها تمائمها * تسبى القلوب بساجى الطرف وسنان
لا تستجدن من عشقى لها بدلا * يحيى سوالف ايامى وازمانى
حتى يكون لمن احببت خاتمة * نسخت فى حبها كفرا بايمان

وقال رحمه الله تعالى

انت معنى الهوى وسر الدموع * وسبيل الهوى وقصد الولوع
انت والشمس ضرتان ولكن * لك عند الغروب فضل الطلوع
ليس يا مؤنسى نكلفك العتب دلالا من الرضا الممنوع
انما انت والحسود معنى * كوكب يستقيم بعد الرجوع

وقال رحمه الله تعالى

يا ليل طل لا أشتهى * الا العهدى قصرك
لو بات عندى قمرى * ما بت أرعى قمرك
يا ليل خبراتنى * ألتذ عندى خبرك

بالله قل لى هل وفى * فقال لا بل غدرك

وقال رحمه الله تعالى

ائن فاتنى منك حظ النظر * لا كتفين بسماع الخبر
وان عرضت غفلة للرقيب * فحسبي تسليمة تختصر
أحاذر أن يتجنى الوشاة * وقد يستدام الهوى بالحذر
فاصبر مستيقنا أنه * سيحظى بنيل المنى من صبر

وقال أيضا رحمه الله تعالى

أيها البدر الذى يملأ عينى من تامل
حمل القلب تباريح التجنى فتحمل
ثم لا تياس فكم قد * نيل أمر لم يؤمل

وقال أيضا رحمه الله تعالى

أجدو من أهواه فى الحب عابث * وأوفى له بالعهد اذ هونا كث
حبيب نأى عنى مع القرب والاسى * مقيم له فى مضمر القلب ما كث
جفانى بالطاف العدا وأزاله * عن الوصل رأى فى القطيعة حادث
تغيرت عن عهدى وما زلت واثقا * بعهدك لكن غيرتك الحوادث
وما كنت اذ ملكتك القلب عالما * بانى عن حتفى بكفى باحث
ستبلى الليالى والوداد بحاله * مقيم وغض وهو للارض وارث
فلو أننى أقسمت انك قاتلى * وأنى مقتول لما قيل حانث

وقال رحمه الله تعالى

يا غزال الأصارنى * موثقا فى يد المحن
اننى مذهجرتنى * لم أذق لذة الوسن
ليت حظى اشارة * منك أو لحظة بعن
شافعى يا معذبى * فى الهوى وجهك الحسن
كنت خلوا من الهوى * وأنا اليوم مرتهن
كان سرى مكتما * وهو الآن قد علن
ليس لى عنك مذهب * فكما شئت لى فكن

وقال رحمه الله تعالى

أيوحش لى الزمان وأنت أنسى * ويظلم لى النهار وأنت شمسى
وأغرس فى محبتك الامانى * وأجنى الموت من ثمرات غرسى
لقد جازيت غدرا عن وفائى * وبعت مودتى ظلما ببخس
ولو أن الزمان أطاع حكمى * فديتك من مكارهه بنفسى

ومحاسن ابن زيدون كثيرة وقد ذكرنا منها فى غير هذا المحل جملة وسألت جارية من جوارى الاندلس ذا الوزارتين أبا الوليد بن زيدون أن يزيد على بيت أنشدته اياه وهو

أسد بن عبد العزى بن قصى وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم وقيس بن عدى السهمى ليأخذ كل واحد منهم بجنب من جنبات هذا الرداء فشالوه حتى ارتفع من الارض وأدناه من موضعه فاخذ عليه السلام الحجر ووضعه فى مكانه وقريش كلها حضور وكان ذلك أول ما ظهر من فعله وفضائله وأحكامه فقال قائل لمن حضر من قريش متعجبا من فعلهم وانقيادهم الى أصغرهم سنا واعجبا لقوم أهل شرف ورياسة وشيوخ وكهول عمدوا الى أصغرهم سنا وأقلهم مالا فجعلوه عليهم رئيسا وحاكما أما واللات والعزى ليفوقنهم سبقا وليقسمن بينهم حظوظا وحدودا وليكونن له بعد هذا اليوم شان ونبأ عظيم (وقد تنوزع) فى هذا القائل فن الناس من رأى أنه ابليس ظهر فى ذلك اليوم فى جمعهم فى صورة رجل من قريش كان قد مات وزعموا أن اللات والعزى أحيتاه لذلك المشهد ومنهم من رأى أنه بعض رجالهم وحكمائهم ومن كانت له فطنة فلما

استتمت قريش بناء الكعبة كستها أردية الزعماء وهى الوصائل وأعادوا الصور التى كانت مصورة فى الكعبة

يامعطشى من وصال كنت وارده * هل منك لى غلة ان صحت واعطشى

قال وكانت الجارية المذكورة تتعشق فتى قرشيا والوزير يعلم ذلك وهى لا تعلم انه يعلم فقال

كسوتنى من ثياب السقم أسبغها * ظلما وصيرت من لحف الضنى فرشى
أنى بصرف الهوى عن مقلة كحلت * بالسحر منك وخد بالجمال وشى
لما بدا الصدغ مسودا بأحمره * أرى التشاكل بين الروم والحبش
أوفى الى الخد ثم انصاع منعطفا * كالعقربان انثنى من خوف محترش
لوشئت زرت وسلك الليل منتظم * والافق يختال فى ثوب من الغبش
جفا اذا التذت الاجفان طيب كرى * جفنى المنام وصاح الليل ياقرشى
هذا وان تلفت نفسى فلا عجب * قد كان قتلى فى تلك الجفون حشى

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس صورة رجون وعزون وحسون فأولع بهم الحافظ الشهير أبو محمد بن السيد البطليوسى صاحب شرح أدب الكاتب وغيره وقال فيهم

أخفيت سقمى حتى كاد يخفينى * وهمت فى حب عزون فعزونى
ثم ارحمونى برجون وان ظمئت * نفسى الى ريق حسون فحسونى

قال ثم خاف على نفسه فخرج عن قرطبة وهو القائل

نفسى الفداء لجؤذر حلو اللمى * مستحسن بصدوده أفنانى
فى فيه سمط جوهر يروى الظما * لو علنى ببروده أحيانى

وهذان البيتان تخرج منهما عدة مقطعات كما لا يخفى * وقال أبو بكر محمد بن أحمد الانصارى الاشبيلى المعروف بالابيض فى تهنئة بمولود قال ابن دحية وهذا أبدع ما قيل فى هذا المعنى

أصاخت الخيل آذانا لصرخته * واهتز كل هزبر عندما عطسا
تعشق الدرع مذ شدت لفائفه * وأبغض المهد لما أبصر الفرسا
تعلم الركض أيام المخاض به * فما امتطى الخيل الا وهو قد فرسا

وقال الوزير الكاتب أبو عامر السالمى فى غلام يرش الماء على خديه فيزداد حمرتهما

لقد نعمت بحمام تطلع فى * أرجائه قمر والحسن يكمله
أبصرته كلما راقت محاسنه * ونعمة الجسم والارداف تخجله
يرش بالماء خديه فقلت له * صف لى لما أحمر الياقوت تصقله
فقال طرفى سفاك بصارمه * دماء قوم على خدى فأغسله

وقال أيضا

أوقد النار بقلبى * ثم هبت ريح صده
فشرار النار طارت * فانطفت فى ماء خده

وهو تخييل عجيب * وقال ابن الخياط المكفوف الاندلسى فى المعنى المشهور

لم يخل من نوب الزمان أديب * كلا فشأن النائبات عجيب

وأبقوا شكل ذلك وأحكامه وكان أبو طالب حاضرا فلما سمع هذا الكلام من هذا القائل فى النبى صلى الله عليه وسلم وما يكون من أمره فى المستقبل أنشأ يقول

ان لنا أوله وآخره
فى الحكم العدل الذى لا ينكره
وقد جهدنا جهدنا ليغمره
وقد عهدنا أوله وآخره
فان يكن حقا ففينا اكثره

(وكان) من بناء الكعبة الى أن بعثه الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين (ومن مولده) الى يوم مبعثه أربعون سنة ويوم (والذى صح) من مولده عليه السلام أنه كان بعد قدوم أصحاب الفيل بمكة بخمسين يوما وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثمانمائة واثنتين وثمانين من عهد ذى القرنين وكان قدوم ابرهة مكة لسبع عشرة خلت من المحرم لست عشرة ومائتين من تاريخ العرب الذى أوله حجة العدة ولسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان (وكان مولده عليه السلام) لثمان خلون من ربيع الاول من هذه السنة بمكة فى دار ابن يوسف ثم بعد ذلك بنتها الخيزران ام الهادى والرشيد مسجدا وكان أبوه عبد الله غائبا بارض الشام فانصرف مريضا فمات بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل وقد

وغضارة

وغضارة الايام تابى أن يرى * فيها لابناء الذكاء نصيب
وكذاك من صحب الليالى طالبا * جدا وفهما فاته المطلوب

وكان ابن الرقاق الاندلسى الشاعر المشهور وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب مرات كثيرة يسهر فى الليل و يشتغل بالادب وكان أبوه فقيرا حداذا فلامه وقال له نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه فاتفق أن برع فى الادب والعلم ونظم الشعر فقال فى أبى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أولها

ياشمس خدر مالها مغرب * أرامة خدك أم يثرب
ذهبت فاستعبر طرفى دما * مفضض الدمع به مذهب

ومنها

ناشدتك الله نسيم الصبا * أنى استقرت بعد ناز ينب
لم نسر الا بشذا عرفها * أولا فماذا النفس الطيب
ايه وان عذبنى حبها * فمن عذاب النفس مايعذب

فاطلق له ثلثمائة دينار فجاء بها الى أبيه وهو جالس فى حانوته مكب على صنعته فوضعها فى حجره وقال خذها فاشتر بها زيتا وقال رحمه الله تعالى فى غلام رام يرمى حجرا فشدخ وجهه

واحوى رمى عن قسى الحور * سهاما يفوقهن النظر
يقولون وجنته قسمت * ورسم محاسنه قد دثر
وماشق وجنته عابثا * ولكنها آية للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى * بها كيف كان انشقاق القمر

وقال أيضا

بابى وغير أبى أغن مهفهف * مهضوم ماخلف الوشاح خميصه
لبس السواد ومزقته جفونه * فاتى كيوسف حين قد قميصه

وقال أيضا

سقتنى بيمناها وفيها فلم أزل * يجاذبنى من ذا ومن هذه سكر
ترشفت فاها اذ ترشفت كاسها * فلا والهوى لم أدر أيهما الخمر

وقال

رق النسيم وراق الروض بالزهر * فنبه الكاس والابريق بالوتر
ما العيش الا اصطباح الراح أو شنب * يغنى من الراح من سلسال ذى أشر
قل للكواعب غضى للكرى مقلا * فاعين الزهر أولى منك بالسهر
وللصباح ألا فانشر رداء سنى * هذا الدجى قد طوته راحة السحر
وقام بالقهوة الصهباء ذو هيف * يكاد معطفه ينقد بالنظر
يطفو عليها اذا ماشجها درر * تخالها اختلست من ثغره الخصر
والكاس من كفه بالراح محدقة * كهالة أحدقت فى الافق بالقمر

السنة الثانية من مولده (وأمه آمنة) بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب (وفى السنة الاولى) من مولده رفع الى حليمة بنت عبد الله ابن الحرث ترضعه (وفى السنة الثانية) من كونه فى بنى سعد كان أبوه يقول

الحمد لله الذى أعطانى
هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد فى المهد على الغلمان
أعيذه بالبيت ذى الاركان

(وفى رواية أن عبد المطلب قال)

لاهم رب الراكب المسافر
احمد قلب بخير طائر
نحى عن طريقه الفواجر
وحيه برصد الطواهر
واحبس كل حلف فاجر
فى درج الريح والاعاصر

(وفى السنة الثالثة) من مولده شق الملكان بطنه واستخرجا قلبه فشقاه وأخرجا منه علقة سوداء ثم غسلا بطنه وقلبه بالثلج وقال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنه ثم قال مازال يزيد حتى بلغ الالف فقال والله لو وزنته بامته لوزنها (وفى السنة الرابعة) ردته الى أمه مرضعته حليمة وقيل فى مستهل السادسة وبين ذلك وبين عام الفيل خمس سنين وشهران وعشرة أيام (وفى السنة السابعة) من مولده خرجت به أمه الى

وقال

تضوّعن أنفاسا وأشرقن أوجها * فهن منيرات الصباح بواسم
لئن كن زهرا فالجوانح أبرج * وان كن زهرا فالقلوب كمائم

وهو من بديع التقسيم * وقال السميسر

تحفظ من ثيابك ثم صنها * والا سوف تلبسها حدادا
وميز فى زمانك كل حبر * وناظر أهله تسد العبادا
وظن بسائر الاجناس خيرا * وأما جنس آدم فالبعادا
أرادونى بجمعهم فردوا * على الاعقاب قد نكصوا فرادى
وعادوا بعد ذا اخوان صدق * كبعض عقارب رجعت جرادا

وقال ابن رزين وهو من رجال الذخيرة

لأسرحن نواظرى * فى ذلك الروض النضير
ولآكلنك بالمنى * ولاشربنك بالضمير

وقال سلطان بلنسية عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز

ولا غرو بعدى أن يسوّد معشر * فيضحى لهم يوم وليس لهم أمس
كذاك نجوم الجو تبدو زواهرا * اذا ما توارت فى مغاربها الشمس

وتحاكم الى أبى أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى المعروف بالمتلمس غلامان جيلان لاحدهما وفرة شقراء وللآخر سوداء أيهما أحسن والمتلمس المذكور هو صاحب كتاب الاحكام فيما لا يستغنى عنه الحكام فقال

وشادنين ألمابى على مقة * تنازعا الحسن فى غايات مستبق
كأن لمة ذا من نرجس خلقت * على بهار وذا مسك على ورق
وحكما الصب فى التفضيل بينهما * ولم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام يبدى اليه الريم حجته * مبينا بلسان منه منطلق
فقال وجهى بدر يستضاء به * ولون شعرى مصبوغ من الغسق
وكحل عينى سحر للنهى وكذا * والسحر أحسن ما يعزى الى الحدق
فقال صاحبه أحسنت وصفك لكن فاستمع لمقال فى متفق
أنا على أفقى شمس النهار ولم * تغرب وشقرة شعرى حمرة الشفق
وفضل ما عيب فى عينى من زرق * أن الاسنة قد تعزى الى الزرق
قضيت لمة الشقراء حيث حكت * لونى كذا حبها يقضى على رمقى
فقام ذو اللمة السوداء يرشقنى * سهام أجفانه من شدة الحنق
وقال جرت فقلت الجور منك على * قلبى ولى شاهد من دمعى الغدق
فقلت عفوك اذ أصبحت متهما * فقال دونك هذا الحبل فاختنق

وقال أبو محمد عبد الله بن غالب

ومهفهف خنث الجفون كانما * من أرجل النمل استفاد عذارا

أخواله تزورهم فتوفيت بالابواء وقدمت به أم أيمن الى مكة بعد خمسة من موت أمه (وفى السنة الثامنة) من مولده توفى جده عبد المطلب وضمه عمه أبو طالب اليه وكان فى حجره وخرج معه عمه الى الشام وله ثلاث عشرة سنة ثم خرج فى تجارة لخديجة بنت خويلد الى الشام مع غلامها ميسرة وهو ابن خمس وعشرين سنة (قال المسعودى) وقد أتينا على مبسوط هذا الباب فى كتابنا أخبار الزمان

(ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم وما جاء فى ذلك الى هجرته)

ثم بعث الله رسوله وأكرمه بما اختصه به من نبوته بعد بنيان الكعبة بخمس على ما قدمنا آنفا وهو ابن أربعين سنة كاملة فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة وأخفى أمره ثلاث سنين ونكح خديجة بنت خويلد ونزل عليه بمكة من القرآن اثنتان وثمانون سورة ونزل تمام بعضها بالمدينة واول ما نزل عليه من القرآن اقرأ باسم ربك الذى خلق واتاه جبريل صلى الله عليه وسلم فى ليلة السبت ثم فى ليلة الاحد وخاطبه بالرسالة فى يوم الاثنين وذلك بحرا وهو اول موضع نزل فيه القرآن وخاطبه باول السورة الى قوله علم الانسان مالم يعلم ونزل تمامها بعد ذلك وخوطب بفرض الصلوات ركعتين ركعتين ثم امر

فتخاله ليلا اذا استقبلته * وتخال ما يجرى عليه نهارا

وقال أبو القاسم خلف بن فرج السميسر المتقدم

الناس مثل حباب * والدهر لجة ماء
فعالم فى طفو * وعالم فى انطفاء

وقال أحمد بن بردا الاندلسى فى النرجس وهو البهار عند الاندلسيين ويسمى العنبر

تنبه فقد شق البهار مغلسا * كمائمه عن نوره الخضل الندى
مداهن تبر فى أنامل فضة * على أذرع مخروطة من زبرجد

وقال الوزير عبد المجيد بن عبدون فى دار أنزله بها المتوكل بن الافطس وسقفها قديم فهطل عليه المطر منه

أيا ساميا من جانبيه الى العلا * سمو حباب الماء حالا الى حال
لعبدك دار حل فيها كأنها * ديار لسلمى عافيات بذى الخال
يقول لها لما رأى من دثورها * ألا عم صباحا أيها الطلل البالى
فقالت ولم تعيا برد جوابه * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
فر صاحب الانزال فيها بفاصل * فان الفتى يهذى وليس بفعال

قيل وهو أبو عذرة تضمين لامية امرئ القيس وقد أولع الناس بعده بتضمينها * وقال أبو الفضل بن حسداى وكان يهوديا فأسلم ويقال انه من ولد موسى على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء الصلاة والسلام

نور بخدك للاحداق لذات * عليه من عنبر الاصداغ لامات
نيران هجرك للعشاق نار لظى * لكن وصالك ان واصلت جنات
كأنما الراح والراحات تحملها * بدور تم وأيدى الشرب هالات
حشاشة ما تركنا الماء يقتلها * الا لتحيا بها منا حشاشات
قد كان من قبلها فى كأسها ثقل * فخف اذ ملئت منها الزجاجات

وقد تبارى المشارقة والمغاربة من المتقدمين والمتأخرين فى هذا الوزن والقافية ولولا خوف السآمة لذكرت من ذلك الجملة الشافية الكافية * ومن سرعة جواب أهل الاندلس أن ابن عبد ربه كان صديقا لابى محمد يحيى القلفاط الشاعر ففسد ما بينهما بسبب ان ابن عبد ربه مر به يوما وكان فى مشيه اضطراب فقال أبا عمر ما علمت انك أعرج الا اليوم لما رأيت مشيك فقال له ابن عبد ربه كذبتك عرسك أبا محمد فعز على القلفاط كلامه وقال له أتتعرض للحرم والله لأرينك كيف الهجاء ثم صنع فيه قصيدة أولها

يا عرس أحمد انى مزمع سفرا * فودعينى سرا من أبى عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك وكان القلفاط يلقب بطلاس لانه كان أطلس اللحية ويسمى صاحب العقد حبل الثوم فاتفق اجتماعهما يوما عند بعض الوزراء فقال الوزير للقلفاط كيف حالك اليوم مع أبى عمر فقال مرتجلا

حال طلاس لى عن رائه * وكنت فى قعدد ابنائه

باءتمامها بعد ذلك وأقرت ركعتين فى السفر وزيد فى صلاة الحضر (وكان مبعثه) صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين سنة من ملك كسرى أبرويز وذلك على رأس مائتى سنة من يوم التحالف بالربذة وذلك لستة آلاف ومائة وثلاث عشرة سنة من هبوط آدم عليه السلام وقد ذكر مثل هذا عن بعض حكماء العرب فى صدر الاسلام ممن قرأ الكتب السالفة على حسب ما استخرج من عاد الكبير وفى ذلك يقول الشاعر

فى رأس ألف من السنين * الى ثلاث حصلت يقين
والمائة المعدودة التمام * الى ألوف سدست نظام
أرسله الله لنا رسولا * وكان فينا هادى السبيلا

(وقد تنوزع) فى على بن أبى طالب كرم الله وجهه واسلامه فذهب كثير من الناس الى أنه لم يشرك بالله شيأ فيستأنف الاسلام بل كان تابعا للنبى صلى الله عليه وسلم فى جميع أفعاله مقتديا به وبلغ وهو على ذلك وأن الله عصمه وسدده ووفقه لتبعيته لنبيه عليه السلام لانهما كانا غير مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات بل مختارين قادرين فاختارا طاعة الرب وموافقة أمره واجتناب منهياته ومنهم من رأى أنه اول من آمن وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله جل وعز وأنذر عشيرتك الاقربين وكان بدؤه بعلى اذ كان

فبدر ابن عبد ربه وقال

ان كنت في قعدد أبنائه * فقد سقى أملك من مائه

فانقطع القلفاط خجلا وعاش ابن عبد ربه ٨٢ سنة رحمه الله تعالى *(ومن الحكايات) في مروءة أهل الاندلس ما ذكره صاحب الملتمس في ترجمة الكاتب الاديب الشهير أبي الحسين بن جبير صاحب الرحلة وقد قدمنا ترجمته في الباب الخامس من هذا الكتاب وذكرنا هنالك انه كان من أهل المروآت عاشقا في قضاء الحوائج والسعي في حقوق الاخوان وأنشدنا هنالك قوله * يحسب الناس باني متعب * الى آخره وقد ذكر ذلك كله صاحب الملتمس ثم قال أعني صاحب الملتمس ومن أغرب ما يحكى أني كنت أحرص الناس على أن أصاهر قاضي غرناطة أبا محمد عبد المنعم بن الغرس فجعلته يعني ابن جبير الواسطة حتى تيسر ذلك فلم يوفق الله بيني وبين الزوجة فجئته وشكوت له ذلك فقال أنا ما كان القصد لي في اجتماعكما ولكن سعيت جهدي في غرضك وها أنا أسعى أيضا في افتراقكما اذ هو من غرضك وخرج في الحين ففصل القضية ولم أر في وجهه أولا ولا آخرا عنوانا لامتنان ولا تصعيب ثم انه طرق بابي ففتحت له ودخل وفي يده مخفظة فيها مائة دينار مؤمنية ثم قال يا ابن أخي اعلم أني كنت السبب في هذه القضية ولم أشك انك خسرت فيها ما يقارب هذا القدر الذي وجدته الآن عند عمك فبالله الا ما سررتني بقبوله فقلت له أنا ما أستحيي منك في هذا الامر والله ان أخذت هذا المال لا تلفنه فيما أتلفت فيه مال والدي من أمور الشباب ولا يحل لك أن تمكنني منه بعد أن شرحت لك أمري فتبسم وقال لقد احتلت في الخروج عن المنة بحيلة وانصرف بماله انتهى ثم قال صاحب الملتمس وتذاكرنا يوما معه حالة الزاهد أبي عمران المارتلي فقال صحبته مدة فما رأيت مثله وأنشدني شعرين ما نسيتهما ولا أنساهما ما استطعت فالاول قوله

الى كم أقول فلا أفعل * وكم ذا أحوم ولا أنزل
وأزجر عيني فلا ترعوي * وأنصح نفسي فلا تقبل
وكم ذا تعلل لي ويحها * بعل وسوف وكم تمطل
وكم ذا أؤمل طول البقا * وأغفل والموت لا يغفل
وفي كل يوم ينادي بنا * منادي الرحيل ألا فارحلوا
أمن بعد سبعين أرجو البقا * وسبع أتت بعدها تعجل
كأني بي وشيكا الى مصرعي * يساق بنعشي ولا أمهل
فياليت شعري بعد السؤال * وطول المقام لما أنقل

والثاني قوله

اسمع أخي نصيحتي * والنصح من محض الديانه
لا تقربن الى الشها * دة والوساطة والامانه
تسلم من ان تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

قال فقلت له أراك لم تعمل بوصيته في الوساطة فقال ما ساعدتني رقة وجهي على ذلك انتهى

(رجع) الى نظم الاندلسيين وقال ابن أبي الصلت أمية بن عبد العزيز

أقرب الناس اليه وأبعدهم له ومنهم من رأى غير ما وصفناه وهذا موضع قد تنازع الناس فيه من الشيعة وقد احتج كل فريق لقوله ومنهم من قال بالنص في الامامة والاختيار وأرض كل فريق وكيفية اسلامه ومقدار سنيه قد أتينا على الكلام في ذلك على الشرح والايضاح في كتابنا المترجم بكتاب الصفوة في الامامة وفي كتاب الاستنصار وفي كتاب الزاهي وغيره من كتبنا في هذا المعنى *ثم أسلم أبو بكر رضي الله عنه ودعا قومه الى الاسلام فاسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة وعبيد الله فجاءهم النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا فهؤلاء النفر سبقوا الناس بالايمان وقد قال بعض من تقدم من الشعراء في صدر الاسلام يذكرهم

فيا سائلي عن خيار العباد * صادفت ذا العلم والخبره
خيار العباد جميعا قريش * وخير قريش ذوو الهجره
وخير ذوي الهجرة السابقون * ثمانية وحدهم نصره
علي وعثمان ثم الزبير * وطلحة واثنان من زهره
وشيخان قد جاورا أحمدا * وجاور قبراهما قبره
فمن كان بعدهما فاخرا * فلا تذكروا عندهم فخره

(وقد اختلف) في أوّل من أسلم فمنهم من رأى افضل

أفضل ما استصحب النبيل فلا * تعدل به فى المقام والسفر
جرم اذا ما التمست قيمته * جل عن التبر وهو من صفر
مختصر وهو اذ تفتشه * عن ملح العلم غير مختصر
ذو مقلة تستبين ما رمقت * عن صائب اللحظ صادق النظر
تحمله وهو حامل فلكا * لولم يدر بالبنان لم يدر
مسكنه الارض وهو ينبئنا * عن كل ما فى السماء من خبر
أبدعه رب فكرة بعدت * فى اللطف عن أن تقاس بالفكر
فاستوجب الشكر والثناء به * من كل ذى فطنة من البشر
فهو لذى اللب شاهد عجب * على اختلاف العقول والصور

قلت وهى من أحسن ما سمعت فى الاصطرلاب وأمر رحمه الله تعالى أن يكتب على قبره

سكنتك يا دار الفناء مصدقا * بأنى الى دار البقاء أصير
وأعظم ما فى الامر أنى صائر * الى عادل فى الحكم ليس يجور
فياليت شعرى كيف ألقاه عندها * وزادى قليل والذنوب كثير
فان أك مجزيا بذنبى فاننى * بشر عقاب المذنبين جدير
وان يك عفو من غنى ومفضل * فثم نعيم دائم وسرور

وقال ابن خفاجة وهو مما أورده له صاحب الذخيرة

لقد زار من أهوى على غير موعد * فعاينت بدر التم ذاك التلاقيا
وعاتبته والعتب يحلو حديثه * وقد بلغت روحى لديه التراقيا
فلما اجتمعنا قلت من فرحى به * من الشعر بيتا والدموع سواقيا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ومن مجون الاندلسيين هذه القصيدة المنسوبة لسيدى أبى عبد الله بن الازرق وهى

عم باتصال الزمن * ولا تبالى بجن
وهو يواسى بالرضا * من سمج أو حسن
أو من عجوز تحتظى * والظهر منها منحنى
أو من مليح مسعد * موافق فى الزمن
مهما تبدى خده * يبدو لك الورد الجنى
والغصن فى أثوابه * اذا تمشى ينثنى
لا أم لى لا أم لى * ان لم أبر دشجنى
واخلعن فى الجو * نوالتصابى رسنى
وأجعل الصبر على * هجر الملاح ديدنى
ياعاذلى فى مذهبى * ارداك شرب اللبن
أعطيت فى البطن سنا * ناان تخالف سننى
أى فتى خالفنى * يوما وما يلقنى

عمرو بن عنبسة ومنهم من ذهب الى أن أول من أسلم من النساء خديجة ومن الرجال على ومنهم من رأى أن أول من أسلم زيد بن حارثة حب النبى صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم على كرم الله وجهه وقد ذكرنا ما أجبنا من القول فى ذلك فيما قدمنا ذكره فى هذا المعنى والله تعالى ولى التوفيق

(ذكر هجرته وجوامع مما كان فى أيامه صلى الله عليه وسلم الى وقت وفاته)

أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وفرض عليه الجهاد وذلك فى سنة احدى من الهجرة وهى السنة التى نزل فيها الأذان وكانت سنة أربع عشرة من المبعث وكان ابن عباس يقول بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت سنة احدى من الهجرة وهى سنة اثنتين وثلاثين من ملك كسرى ابرويز وسنة تسع من ملك هرقل ملك النصرانية وسنة تسعمائة وثلاث وثلاثين من ملك الاسكندر

 المقدونى (قال المسعودى) وقد ذكرنا فى الكتاب الاوسط كيفية فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى

فانــنى انما صح * وانــنى وانــنى
فلا تكن لى لاحيا * وفى الامور استفتنى
فلم أزل أعرب عن * نصحى لمن لم يلحنى
وان تسفه نظرى * ومذهبى وتنهنى
فالصفع تستوجبه * نعم و نتف الذقن
والزبل فى وجهك يعـلو باتصال الزمن
و بعد هذا أشتفى * منك و يرتاح بدنى
وأضرب الكف أما * م ذلك الوجه الدنى
طقطق طق طقطق طق * أصخ بسمع الاذن
قعقع قع قعقع قع * الضحك يغلبنى ٣
قد كان أولى بك عن * هذى المخازى تنثنى
النفى تستوجبه * لواسط أو عدن
عرضت بالنفس كذا * الى ارتكاب المحن
أفدى صديقا كان لى * بنفسه يسعدنى
فتارة أنصحه * وتارة ينصحنى
وتارة ألعنه * وتارة يلعننى
وربما أصفعه * وربما يصفعنى
أستغفر الله فهـذا القول لا يعجبنى
ياليت هذا كله * فيما مضى لم يكن
أضحكت والله بذا الحديث من يسمعنى
دهر تولى وانقضى * عنى كطيف الوسن
ياليتنى لم اره * وليته لم يرنى
دنست فيه جانبى * وملبسى بالدرن
وبعت فيه عيشتى * لكن ببخس الثمن
كاننى ولست أد * رى الآن ما كاننى
والله ما التشبيه عنـد شاعر بهين
لكنه أنطقنى * بالقول ضيق العطن
واحسرتى وا أسفى * زلت وضاعت فطنى
لو أنصف الدهر لما * أخرجنى من وطنى
وليس لى من جنة * وليس لى من مسكن
أسرح الطرف وما * لى دمنة فى الدمن
وليس لى من فرس * وليس لى من سكن
ياليت شعرى وعسى * ياليت أن تنفعنى

خروجه من مكة ودخوله الغار واستئجار على له الابل ونومه على فراشه لخروج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر وعبد الله بن أريقط الديلى دليل بهم على الطريق ولم يكن مسلما وكان مقام على بن أبى طالب بعده بمكة ثلاثة أيام الى أن أدى ما أمر بادائه ثم لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم وكان دخوله عليه السلام الى المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول فأقام بها عشر سنين كوامل وكان نزوله عليه السلام فى حال موافاته المدينة بقباء على سعد بن خيثمة وكان مقامه بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وسار يوم الجمعة ارتفاع النهار وأتته الانصار حيا حيا يسأله كل فريق النزول عليه ويتعلقون بزمام راحلته وهى تجذبه فيقول عليه السلام خلوا عنها فانها مامورة حتى أدركته الصلاة فى بنى سالم فصلى بهم يوم الجمعة وكانت تلك أول جمعة صليت فى الاسلام وهذا موضع تنازع الفقهاء فى العدد الذى بهم تتم صلاة الجمعة فذهب الشافعى فى آخرين معه الى أن الجمعة لا تجب اقامتها حتى يكون عدد المصلين أربعين فصاعدا وأقل من ذلك لا يجزى وخالفه غيره من

هل

الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم وكان فى بطن الوادى المعروف بوادى رانوناء الى هذه الغاية ثم استوى على ناقته فسارت لا تعرج على شئ ولا يردها راد حتى أتت الى موضع مسجده عليه السلام والموضع يومئذ لغلامين يتيمين من بنى النجار فبركت ثم سارت فمضت غير بعيد ثم عادت الى مبركها فبركت واطمأنت والنبى صلى الله عليه وسلم يراعى مكارم البارى منه وتوفيقه له فنزل عنها وسار الى منزل أبى أيوب الانصارى وهو خالد بن كليب بن ثعلبة بن عوف ابن سحيم بن مالك بن النجار فاقام فى منزله شهرا حتى ابتنى المسجد من بعد ابتياعه الموضع واحدقت به الانصار واشتد سرورهم به وأظهروا التاسف على مافاتهم من نصرته وفى ذلك يقول صرمة بن أنس احد بنى عدى بن النجار من قصيدة

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة * يذكر لا يلقى صديقا مواتيا

ويعرض فى أهل المواسم نفسه * فلم ير من يوفى ولم ير داعيا

فلما أتانا أظهر الله دينه * وأصبح مسرورا بطيبة راضيا

وأصبح لا يخشى من الناس واحدا * بعيدا ولا يخشى من الناس دانيا

هل امتطى يوما الى الشرق ظهور السفن
وأجتلى ماشئته * فى المنزل المؤتمن
حينئذ أخلع فى * هذى القوافى رسنى
وتحسن الفكرة بالـ * ـقدوش والسمنسنى
واللحم مع شحم كذا * طوابق الكبش الثنى
والبيض فى المقلاة بالزيت اللذيذ الدهن
وجلدة الفروج مشـ * ـوياكثير السمن
من منقذى أفديه من * ذا الجوع والتمسكن
وعلة قد استوى * فيها الفقير والغنى
هل للثر يدعودة * الى قد شوقنى
تغوص فيه أغلى * غوص الاكول المحسن
ولى الى الاسفنج شو * ق دائم يطربنى
وللارز الفضل اذ * تطبخه باللبن
وللشواء والرقا * ق من هيام أذنى
واسكت عن الجبن فان نتنه يذهلنى
ظاهرها كالورد أو * باطنها كالسوسن
أى امرئ أبصرها * يوما ولم يفتتن
تهيم فيها فكر الا * ستاذ والمؤذن
لو كان عندى معدن * لبعت فيها معدنى
لكننى عزمت أن * أبيع كم البدن
والكم قد أكسبه * بعد ولا يكسبنى
لا تنسبوا الى سفها * فالجوع قد أرشدنى
وهات ذكر الكسكسو * فهو شريف وسنى
لا سيما ان كان مصـ * ـنوعا بفعل حسن
أرفع منه كورا * بهن تدرى أذنى
وان ذكرت غيرذا * أطعمة فى الوطن
فابد أمن المثوما * ت بالجبن الممكن
من فوقها الفروج قد * انتهى فى السمن
وثن بالعصيدة التى بها تطربنى
لا سيما ان صنعت * على يدى عمر كن
كذلك البلياط بالزيت الذى يقنعنى
تطبخه حتى يرى * يحمر فى التلون
والزبزب فى الصحا * فحسب أهل البطن

فاسمع قضايا ناصح * يأتى بنصح بين
من اقتنى التقى منى فهو نعم المقتنى
وان فى شاشية الفقير انسا للغنى
تبعدنى عن وصلها * عن وصلها تبعدنى
تؤنسنى عن اللقا * عن اللقا تؤنسنى
فأضلعى ان ذكرت * تهفو كمثل الغصن
كم رمت تقريبا لها * لكنه لم يهن
وصدنى عن ذاك قلة الوفا بالثمن
ايه خليلى هذه * مطامع لكننى
أعجب من ريقك اذ * يسيل فوق الذقن
هل نلت منها شبعا * فذكرها أشبعنى
وان تكن جوعان يا * صاح فكل بالاذن
فليس عند شاعر * غير كلام الالسن
يصور الاشياء وهى أبدا لم تكن
فقوله يريك ما * ليس يرى بالممكن
فاسمع وسامح واقتنع * واطو حشاك واسكن
ولننصرف فقصدنا * أطراف هذا الموطن انتهى

وقال ابن خفاجة رحمه الله تعالى

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم * فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة * فى أخذ مال مساجد وكنائس

وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا * وقال فيما أظن الفقيه الكاتب المحدث الاديب الشهير أبو عبد الله محمد بن الابار القضاعى وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب فى مواضع

لقد غضت حتى على السمط نخوة * فلم تتقلد غير مبسمها سمطا
وأنكرت الشيب الملم بلمتى * ومن عرف الايام لم ينكر الوخطا

وقال ابن سعيد فى القدح المعلى فى حقه كاتب مشهور وشاعر مذكور كتب عن ولاة بلنسية وورد رسولا حين أخذ النصارى بخنق تلك الجهات وأنشد قصيدته السينية

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا

وعارضه جمع من الشعراء ما بين مخطئ ومحروم وأغرى الناس بحفظها اغراء بنى تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم الا أن أخلاقه لم تعنه على الوفاء بأسباب الخدمة فقلصت عنه تلك النعمة وأخرعن تلك العناية وارتحل الى بجاية وهو الآن بها عاطل من الرتب خال من حلى الادب مشتغل بالتصنيف فى فنونه متنفل بواجبه ومسنونه ولى معه مجالسات آنق من الشباب وأبهج من الروض عند نزول السحاب ومما أنشدنيه من شعره

نعادى الذى عادى من الناس كلهم جميعا وان كان الحبيب المصافيا

فافترض شهر رمضان وحولت القبلة الى الكعبة بعد قدومه بثمانية عشر شهرا وقد قيل انه أنزل عليه بالمدينة من القرآن اثنتان وثلاثون سورة ثم قبضه الله يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول سنة عشر فى الساعة التى دخل فيها المدينة فى منزل عائشة رضى الله عنها وكانت علته اثنى عشر يوما وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم بنفسه ستا وعشرين غزوة ومنهم من رأى أنها سبع وعشرون الاولون جعلوا منصرف النبى صلى الله عليه وسلم من خيبر الى وادى القرى غزوة واحدة والذين جعلوها سبعا وعشرين جعلوا غزوة خيبر مفردة ووادى القرى منصرفه اليها غزوة أخرى غير خيبر فوقع التنازع فى أعداد الغزوات من هذا الوجه وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم حين فتح الله خيبر انصرف منها الى وادى القرى من غير أن يأتى المدينة وكان أول غزواته صلى الله عليه وسلم من المدينة بنفسه الى ودان وهى المعروفة بغزوة الابواء ثم غزوة بواط الى ناحية

يا حبذا بحديقة دولاب * سكنت الى حركاته الالباب
غنى ولم يطرب وسقى وهو لم * يشرب ومنه العود والاكواب
لو يدعى لطف الهواء أو الهوى * ما كنت فى تصديقه أرتاب
وكأنه مما اشتد امستهزئ * وكأنما بكى نداب
وكأنه بنشاره ومداره * فلك كواكبه لها أذناب انتهى

وقال أبو المعالى القيجاطى

فقلت يا ربعهم أين من * أحببته فيك وأين النديم
فقال عهد قد غدا شمله * كمثل ما ينثر در نظيم

وقال أبو عمرو بن الحكم القبطلى وقبطلة من أعمال وادى اشبيلية

كم أقطع الدهر بالمطال * ساءت وحق الاله حالى
رحلت أبغى بكم نجاحا * فلم تفيدوا سوى ارتحالى
وعدتم ألف ألف وعد * لكننى عدت بالمحال

وقال أبو عمران القلعى

طلعت على والاحوال سود * كما طلع الصباح على الظلام
فقل لى كيف لا أوليك شعرى * واخلاص التحية والسلام

وقال أبو اسحق ابراهيم بن أيوب المرسى

أنا سكران ولكن * من هوى ذاك الفلانى
كلما رمت سلوّا * لم يزل بين عيانى

وقال

حبيبى ما الصب بك من مراد * سوى أن لا تدوم على البعاد
وان كان ابتعادك بعد هذا * مقيما فالسلام على فؤادى

قال ابن سعيد وكان المذكور اذا غنى هذه الاشعار اللطيفة على الاوتار لم يبق لسامعه عند الهموم من ثار مع أخلاق كريمة وآداب كانسكاب الديمة انتهى * وقال ابن سعيد فى أبى بكر محمد بن عمار البرجى كاتب ابن هود القائل لمن يشهد حربا تحت رايات ابن هود الخ

يا ابن عمار لقد أحييت لى ذاك السميا
فى حلى نظم ونثر * علقا فى مسمعيا
ولقد حزت مكانا * من ذرى الملك عليا
مثل ما قد حاز لكن * عش بنعماك هنيا

وقال أبو بكر عبد الله بن عبد العزيز الاشبيلى المعروف بابن صاحب الرد

يا أبدع الخلق بلا مرية * وجهك فيه فتنة الناظرين
لا سيما اذ نلتقى خطرة * فيغلب الورد على الياسمين
طوبى لمن قد زرته خاليا * فتع النفس ولو بعد حين
من ذلك الثغر الذى ورده * ما زال فيه لذة الشاربين

بدر الثانية التى قتل فيها صناديد قريش وأشرافها وأسر من اسر من زعمائهم ثم غزوة بنى سليم حتى بلغ الموضع المعروف بالكدر ماء لبنى سليم ثم غزوة السويق طلبا لابى سفيان ابن حرب فبلغ فيها الموضع المعروف بقرقرة الكدر ثم غزوة غطفان الى نجد وتعرف هذه الغزوة بغزوة ذى أمر ثم غزوة بحران وهو موضع بالحجاز من فوق الفرع ثم غزوة احد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بنى النضير ثم غزوة ذات الرقاع من نجد ثم غزوة بدر الاخيرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة المريسيع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بنى قريظة ثم غزوة بنى لحيان بن هذيل بن مدركة ثم غزوة ذى قرد ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصده المشركون ثم غزوة خيبر ثم اعتمر عليه السلام عمرة القضاء ثم غزوة مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل منها فى تسع غزوات بدر واحد والخندق وقريظة وخيبر والفتح وحنين والطائف وتبوك هذا قول محمد بن اسحق فاما ما ذهب اليه الواقدى فانه وافق ابن اسحق فى قتال النبى صلى الله عليه

وماحوى ذالك الازار الذى * لم يعد عنه أمل الزائرين

وهذه الابيات يقولها فى غلام كان من أدباء اشبيلية قد فتنوا به وكان مروره على داره وحكى عنه انه أعطاه فى زيارة خمسين دينارا ومرت أيام ثم صادفه عند داره فقال له أتريد أن أزورك ثانية فقال لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وهذا الجواب على ما فيه من قلة الادب وهتك حجاب الشريعة من أشد الاجوبة اصابة للغرض والله تعالى يسمح له فقد قال ابن سعيد فى حقه ان بيته باشبيلية من أجل البيوت ولم يزل له مع تقلب الزمان ظهور وخفوت وكان أديبا شاعرا ذوّاقا لاطراف العلوم انتهى ومن المشهورين بالمجون والخلاعة بالاندلس مع البلاغة والبراعة أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير الكاتب وهو من بيت مشهور من جزيرة شقر من عمل بلنسية وكتب عن ولاة من بنى عبد المؤمن ثم استكتبه السلطان ابن هود حين تغلب على الاندلس وربما استوزره فى بعض الاحيان وقال ابن سعيد وهو ممن كان والدى يكثر مجالسته ولم أستفد منه الا ما كنت أحفظه فى مجالسته وكان شديد التهوّر كثير الطيش ذاهبا بنفسه كل مذهب سمعته مرة وهو فى محفل يقول تقيمون القيامة لحبيب والبحترى والمتنبى وفى عصركم من يهتدى الى ما لم يهتدوا اليه فأهوى له شخص له قحة واقدام فقال يا أبا جعفر فأرنا برهان ذلك ما أظنك تعنى الا نفسك فقال نعم ولم لا وأنا الذى أقول ما لم يتنبه اليه متقدم ولا يهتدى لمثله متأخر

يا هل ترى أظرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها * مرقصة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الارض الا بكؤوس الشقيق

فلم ينصفوه فى الاستحسان وردوه فى الغيظ الى أضيق مكان فقلت له يا سيدى هذا هو السحر الحلال فبالله الا ما زدتنى من هذا النمط فقال

أدرها فالسماء بدت عروسا * مضمخة الملابس بالغوالى
وخدّ الروض أحمره أصيل * وجفن النهر كحل بالظلال
وجيد الغصن يشرق من لآل * تضىء بهن أكناف الليالى

فقلت زد وعد فعاد والارتياح قد ملأ عطفه والتيه قد رفع أنفه فقال

لله نهر عندما زرته * عاين طرفى منه سحرا حلال
اذ أصبح الطل به ليلة * وجال فيه الغصن شبه الخيال

فقلت زد فانشد

ولما ماج بحر الليل بينى * وبينكم وقد جددت ذكرا
أراد لقاءكم انسان عينى * فمدّ له المنام عليه جسرا

فقلت ايه فقال

ولما أن رأى انسان عينى * بصحن الخد منه غريق ماء
أقام له العذار عليه جسرا * كما مد الظلام على الضياء

فقلت أعد فاعاد وقال حسبك لئلا تكثر عليك المعانى فلا تقوم بحق قيمتها وأنشد

وسلم فى هذه التسع الغزوات وزاد أن النبى صلى الله عليه وسلم قاتل فى غزوة وادى القرى وذلك ان غلامه المعروف بدعم رمى بسهم فقتل وقاتل فى يوم الغابة فقتل من المشركين ستة نفر وقتل يومئذ محرز بن نضلة ففى قول الواقدى انه قاتل فى احدى عشرة غزوة وفى قول ابن اسحق فى تسع فقتاله فى التسع باتفاق منهما وزاد الواقدى على ما ذكر وقد قيل ان اول غزوة غزاها عليه السلام ذات العشيرة (وقد تنازع) من سلف من اهل السير والاخبار فى عدة سراياه وبعوثه فقال قوم ان عدة سراياه وبعوثه بين ان قدم المدينة وبين أن قبضه الله خمس وثلاثون بعثا وسرية وذكر محمد بن جرير الطبرى فى كتابه فى التاريخ قال حدثنى الحرث قال حدثنا ابن أسعد قال قال محمد بن عمر الواقدى كانت سرايا النبى صلى الله عليه وسلم ثمانيا واربعين سرية وقيل ان سراياه عليه السلام وبعوثه كانت ستة وستين (وقبض صلى الله عليه وسلم) وهو ابن ثلاث وستين سنة على حسب ما تقدم فى صدر هذا الكتاب من قول ابن عباس ولم يخلف من الولد الا فاطمة عليها السلام وتوفيت بعده بأربعين يوما وقيل سبعين يوما وقيل غير ذلك (وكان تزويج على) بن أبى طالب

هات المدام اذا رأيت شبيهها * فى الافق بافرد ابغير شبيه
فالصبح قد ذبح الظلام بنصله * فغدت تخاصمه الحمائم فيه   انتهى

ثم قال وكان قد تهتك فى غلام لابن هود ولكثرة انهزام ابن هود بما انهزم مع العلج وفيه يقول

ألفت الحرب حتى علمتنى * مقارعة الحوادث والخطوب
ولم أك عالما وابيك حربا * بغير لواحظ الرشا الربيب
فها انا بين تلك وبين هذى * مصاب من عدو او حبيب

ولما هرب العلج الى سبتة احسن اليه القائم بها ابو العباس الينتى فلم يقنع بذلك الاحسان وكان يأتى بما يوغر صدره فقال يوما فى مجلسه رميت مرة بقوس فبلغ السهم الى كذا فقال ابن طلحة لشخص بجانبه لو كان قوس قزح ما بلغ الى كذا فشعر بقوله فاسرها فى نفسه ثم بلغه انه هجاه بقوله

سمعنا بالموفق فارتحلنا * وشافعنا له حسب وعلم
ورمت يدا اقبلها واخرى * اعيش بفضلها ابدا واسمو
فانشدنا لسان الحال فيه * يدشــــلا وأمر لايتم

فزاد فى حنقه وبقى مترصدا له الغوائل فحفظت عنه ابيات وهو فى حالة استهتار فى شهر رمضان وهى

يقول اخو الفضول وقد رآنا * على الايمان يغلبنا المجون
أتنتهكون شهر الصوم هلا * حماه منكم عقل ودين
فقلت اصحب سوانا نحن قوم * زنادقة مذاهبنا فنون
ندين بكل دين غير دين الرعاع فما به أبدا ندين
نحى على الصبوح الزهر ندعو * وابليس يقول لنا أمين
فيا شهر الصيام اليك عنا * اليك ففيك أكفر ما نكون

فارسل اليه من هجم عليه وهو على هذه الحال وأظهر انه يرضى العامة بقتله فقتله وذلك سنة ٦٣١ انتهى وحاكى الكفر ليس بكافر والله سبحانه وتعالى للزلات غير الكفر غافر وقال محمد بن أحمد الاشبيلى بن البناء

كانك من جنس الكواكب كنت لم * يفتك طلوعا حالها وتواريا
تجليت من شرق تروق تلألؤا * فلما انتحيت الغرب أصبحت هاويا

ولما أمر المستنصر الموحدى بضرب ابن غالب الدانى ألف سوط وصلبه وضرب باشبيلية خمسمائة فمات وضرب بقية الالف حتى تناثر لحمه ثم صلب قال ابنه أبو الربيع يرثيه

جــلا لمثلك أن يبكى لما قدرا * وأن يقول أسى ياليته قبرا
فاضت دموعك أن قاموا باعظمه * وقد تطاير عنه اللحم وانتثرا

ومنها

ضاقت به الارض مما كان حملها * من الايادى فلت شلوه ضجرا

لفاطمة عليها السلام بعد سنة مضت من الهجرة وقيل أقل من ذلك

(وكانت) أول امرأة تزوج بها النبى صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصى وكانت وفاتها فى شوال بعد مبعثه بثلاث سنين (وأسرى به) وهو ابن احدى وخمسين سنة وثمانية أشهر وعشرين يوما (وكانت) وفاة عمه أبى طالب واسمه عبد مناف بعد وفاة خديجة بثلاثة أيام وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وقد قيل أن اباطالب اسم له (وتزوج) بعد وفاة خديجة بسودة بنت زمعة بن قيس ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل (وتزوج) بعائشة رضى الله عنها بعد الهجرة بسبعة أشهر وتسعة ايام وقد أتينا على ذكر سائر أزواجه فى الكتاب الاوسط فأغنى عن اعادته (روى جعفر) بن محمد عن أبيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم انه قال ان الله عز وجل أدب محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن تأديبه فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما كان كذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فلما قبل من الله فوض اليه فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكان يضمن

يدخل باربع وقبض عليه السلام عن تسع (قال المسعودى) وقد تنوزع فى مقدار عمره عليه السلام وقد قدمنا ما روى فى ذلك عن ابن عباس وهو ما ذكره حماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابن عباس وقد روى عن أبى هريرة مثل قول ابن عباس وذكر عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث واربعين سنة وأقام بمكة عشرا وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وكذلك ذكر عن عائشة قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد روى عن ابن عباس من وجه آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين سنة وكذلك ذكر ابن هشام قال حدثنا على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وذكر قتادة عن الحسن عن دحيل يعنى ابن حنظلة أن النبى صلى الله عليه وسلم توفى وهو ابن خمس وستين وقد قيل انه قبض وهو ابن ستين وذكر ذلك عن ابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وذكر حماد قال أخبرنا عمرو بن دينار عن عروة بن الزبير قال

وعز جسمك أن يحظى به كفن * فما تسربل الا الشمس والقمرا

وقال ابو العلاء عبد الحق المرسى رحمه الله تعالى

يا أبا عمران دعنى والذى * لم يمل بى خاطرى الا اليه
مانديمى غير من يخدمنى * لا الذى يجلسنى بين يديه
يرفع الكلفة عنى ويرى * انها واجبة منى عليه

وقال ابن غالب الكاتب بمالقة

لا تخش قولا قد عقدت الالسنا * وابعث خيالك قد سحرت الاعينا
واعطف على فان روحى زاهق * وانظر الى بنظرة ان أمكنا
لا يخدعنك أن ترانى لابسا * ثوبى فقد اصبحت فيه مكفنا
مازال سحرك يستميل خواطرى * بارق من ماء الصفاء والينا
حتى غدوت بحر حب زاخر * فرمت بى الامواج فى شط الضنا

وقال

ما للنسيم لدى الاصيل عليلا * أتراه يشكو زفرة وغليلا
جر الذيول على ديار أحبتى * فأتى يجر من السقام ذيولا

وقال أبو عبد الله بن عساكر الغسانى قاضى مالقة

أهواك يا بدر وأهوى الذى * يعذلنى فيك وأهوى الرقيب
والجار والدار ومن حلها * وكل من م بها من قريب
ما ان تنصرت ولكننى * أقول بالتثليث قولا غريب
يطابق الالحان والكاس اذ * تبسم عجبا والغزال الربيب

وكان أبو أمية بن غفير قاضى اشبيلية مع براعته وتقدمه فى العلوم الشرعية أقوى الناس بالعلوم الادبية المرعية وقد اشتهر بسرعة الخاطر فى الارتجال وعدم المناظر له فى ذلك المجال قال ابن سعيد رأيته كثيرا ما يصنع القصائد والمقطعات وهو يتحدث أو يفصل بين الغرماء فى أكثر الاوقات ومن شعره

ديارهم صاح نصب عينى * وليس لى وصلة اليها
الا سلامى لدى ابتعاد * من بعد سكانها عليها

وقوله رحمه الله تعالى

ووجه تغرق الابصار فيه * ولكن يترك الارواح هيما
أتانى ثم حيانى حبيب * به وأباحنى الخد الرقيما
فقر لنا مجون فى فنون * سلكت به الصراط المستقيما

قلت أما مجرد الارتجال فام عن الكثير صادر وأما كونه مع التحدث أو فصل الخصومات فهو نادر وقد حلينا منها فى هذا الكتاب فى القسم الاول موارد ومصادر ويجبنى من الواقع لاهل المشرق من ذلك قضية على بن ظافر اذ قال بت ليلة والشهاب يعقوب بن أخت نجم الدين فى منزل اعترفت له مشيدات القصور بالانخفاض والقصور وشهدت له

ساميات البروج بالاعتلاء والعروج قد ابيضت حيطانه وطاب استيطانه وابتهج به سكانه وقطانه والبدر قد محا خضاب الظلماء وحكى محياه فى زرقة قناع السماء وكسا الجدران ثيابا من فضة ونثر كافوره على مسك الثرى بعد أن سحقه ورضه والروض قد ابتسم محياه ووشت بأسرار محاسنه رباه والنسيم قد عانق قامات الاغصان فيلها وغص بها مباسم نورها اذقبلها وعندنا مغن قد وقع على تفضيله الاجماع وتغايرت على محاسنه الابصار والاسماع ان بدا فالشمس طالعة وان شدا فالورق ساجعة تغازله مقلة سراج قد قصر على وجهه تحديقه وقابله فقلنا البدر قابل عيوقه وهو يغار عليه من النسيم كلما خفق وهب ويستجيش عليه بتلويح بارقه الموشى بالذهب ويديم حرقته وسهده ويبذل فى الطافه طاقته وجهده فتارة يضمه بخلوته وتارة يحليه بعقيقه وآونة يكسوه أثواب شقيقه فلم يزل كذلك حتى نعس طرف المصباح واستيقظ نائم الصباح فصنعت بديها فى المجلس وكتبت بها الى الاعز بن المؤيد رحمه الله تعالى أصف تلك الليلة التى ارتفعت على أيام الاعياد كارتفاع الرؤس على الاجياد بل فضلت ليلات الدهر كفضل البدر على النجوم الزهر

غبت عنى يا ابن المؤيد فى وقـت شهى يلهى المحب المشوقا
ليلة ظل بدرها يلبس الجد * ران ثوبا مفضضا مرموقا
وغدا الطل فيه ينثر كافو * را فيعلو مسك التراب السحيقا
وتبدى النسيم يعتنق الاغـصان لما سرى عنا قارفيقا
بت فيها منادما الصديق * ظل بين الانام خلا صدوقا
هو مثل الهلال وجها صبيحا * ومثال النسيم ذهنا رقيقا
وغزال كالبدر وجها وغصن البان قدا والخمرة الصرف ريقا
مظهر للعيون ردفا مهيلا * وحشا ناحلا وقدا رشيقا
ان تغنى سمعت داود أولا * ح تأملت يوسف الصديقا
واذا قابل السراج رأينا * منه بدرا يقابل العيوقا
وأظن الصباح هام به را * ه فابدى قلبا حريقا خفوقا
هو نجم ما لاح فى الجدر كافو * ر بياض الا كساه خلوقا
ما بدا نرجس الكواكب الا * قام فى قومه يرينا الشقيقا
واذا ما بدت جواهرها فى الجو أبدى فى الارض منهم عقيقا
فغدونا تحت الدجى نتعاطى * من رقيق الآداب خمرا رقيقا
وجعلنا ريحاننا طيب ذكرا * ك خلناه عنبرا مفتوقا
ذاك وقت لولا مغيبك عنه * كان بالمدح والثناء خليقا

قال فاجاب عنها من الوزن دون الروى

قد أتتنى من الجمال قصيد * يالها من قصيدة غراء
جمعت رقة الهواء وطيب المسك فى سبكها وصفو الماء

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ومات وهو ابن ستين وذكر شيبان عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة قال حدثتنى عائشة رضى الله عنها وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وقبض وهو ابن ستين صلى الله عليه وسلم (وانما حكينا) هذا الخلاف ليعلم من نظر فى كتابنا هذا أنا لم نغفل شيأ مما قالوه ولا تركنا شيأ مما ذكروه الا ذكرنا منه ما يتأتى لنا ذكره وأشرنا اليه ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز والذى وجدنا عليه آل محمد عليه الصلاة والسلام أنه ابن ثلاث وستين سنة ولما غسل عليه السلام كفن فى ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وثوب حبرة أدرج فيها ادراجا ونزل فى قبره على بن أبى طالب والفضل وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر فى مقدار الثياب للكفن غير ما ذكرنا والله أعلم بكيفية ذلك ولنرجع الآن الى ذكر لمع من اموره وأخبار كانت من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم

(ذكر أمور وأحوال من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب

فار تنا طباعه وشذاه * والذى حازذهنه من ذكاء
سيدى هل جمعت فيها اللآلى * ياأخا المجد أم نجوم السماء
ألجمتنى حسنا وحق أياديـ * ـك التى لاتعد بالاحصاء
فتركت الجواب والله عجزا * فابسط العذر فيه يامولائى
هل يسامى الثرى الثريا وأنى * يدعى النجم فرط نور ذكاء انتهى

(رجع) الى أهل الاندلس * وقال ابن السمان

اياك أن تكثر الاخوان مغتنما * فى كل يوم الى أن يكثر العدد
فى واحد منهم تصفى الوداد له * من التكاليف مايفنى به الجلد

وله

تحن ركابى نحو أرض ومالها * ومالى من ذاك الحنين سوى الهم
وكم راغب فى موضع لاينا له * وأمسيت منه مثل يونس فى اليم
بهذا قضى الرحمن فى كل ساخط * يموت على كره ويحيا على رغم

ولما قام الباجى باشبيلية وخلع طاعة ابن هود وأبدل شعاره الاسود العباسى فى البنود قال أبو محمد عبد الحق الزهرى القرطبى فى ذلك

كأنما الراية السوداء قد نصبت * لهم غرابا بين الاهل والولد
مات الهوى تحتها من فرط روعته * فاظهر الدهر منها لبسة الكمد

وأنشدهما القاسم الباجى فى جملة قصيدة * وقال الوزير أبو الوليد اسمعيل بن حجاج الاعلم الاشبيلى

أمسى الفراش يطوف حول كؤسنا * اذخالها تحت الدجى قنديلا
مازال يخفق حولها بجناحه * حتى رمته على الفراش قتيلا

وله

لاموا على حب الصبا والكاس * لما بدا وضح المشيب براسى
والغصن أحوج مايكون لسقيه * أيام يبدو بالازاهر كاسى

وله وقد رأى على نهر قرطبة ثلاثين نفسا مصلوبين من قطاع الطريق

ثلاثون قد صففوا كلهم * وقد فتحوا أذرعا للوداع
وماودعوا غير أرواحهم * فكان وداعا لغير اجتماع

وله فى فتى وسيم عض كلب وجنته

وأغيد وضاح المباسم باسم * اذا قامر الارواح ناظره قمر
تعمد كلب عض وجنته التى * هى الورد نابا عاو أبقى بها اثر
فقلت لشهب الافق كيف صماتكم * وقد أثر العواء فى صفحة القمر

وقال الفقيه أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسى المؤرخ الاديب المصنف الشهير وكان حافظا لنكت الاندلسيين حديثا وقديما ذاكرا الفكاهاتهم التى صيرته للملوك خليلا ونديما فى صبى من أعيان الجزيرة الخضراء تهافت فى حبه جماعة من الادباء والشعراء وكان من

القوم

من ذكر مولده عليه السلام ومبعثه ووفاته جوامع يكتفى بها العالم المستبصر ويتنبه بها الطالب المسترشد وذكرنا جملا من الكوائن والاحداث فى تضاعيف ذلك وأفردنا هذا الباب لذكر ترتيب جمل من السنين من مولده الى وفاته وجمل أحداث وكوائن كانت فى أيامه ليقرب تناول ذلك على مريده ويسهل مأخذه على الطالب له وان كنا قد أتينا على لمع من مبسوط هذا الباب فيما تقدمه من الابواب ان شاء الله تعالى (فى أول) سنة من مولده دفع الى حليمة بنت عبد الله ابن الحرث بن شجنة بن جابر بن رزام بن نصر بن معد بن عدنان (وفى السنة الخامسة) من مولده ردته حليمة الى أمه على حسب ماذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب (وفى السنة السادسة) أخرجته أمه الى أخواله زائرة فتوفيت بالابواء بين مكة والمدينة وعى ذلك الى أم أيمن فخرجت اليه وقدمت به الى مكة وكانت مولاة له قد ورثها عن أمه (وفى السنة التاسعة) خرج مع عمه أبى طالب الى الشأم وقيل انه خرج مع عمه أبى طالب الى الشأم وله ثلاث عشرة سنة وقد كان أبو طالب أخا عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم لابيه وأمه فلذلك كفل بأمر النبى صلى الله عليه وسلم

القوم الذين هاموا بالمذكور وقاموا فيه المقام المشهور أديب يقال له الفار فسلط على البياسي حتى سافر من الجزيرة وكان يلقب بالقط

عذرت أبا الحجاج من رب شيبة * غدا لابسا فى الحب ثوبا من القار
وألجأه الفار المشارك للنوى * ولم ار قطا قبله فر من فار

وله

قد سلونا عن الذى تدريه * وجفوناه اذ جفا بالتيه
وتركناه صاغر الاناس * خدعوه بالزور والتمويه
لمصل يسوقه لمصل * وسفيه يقوده لسفيه

وله وقد كتب الى بعض اصحابه يذكره بالايام السوالف

أباحسن لعمرك ان ذكرى * لايام النعيم من الصواب
امثلى ليس يذكر عهد حمص * وقد جمعت بنا خيل التصابى
ونحن نجر اثواب الامانى * مطرزة هنالك بالشباب
وعهد بالجزيرة ليس ينسى * وان أغفلته عند الخطاب
هو الأحلى لدى وان حمانى * عن العسل اجتماع للذباب

وسار الى المحبوب وكان كثير الاجتماع به فى جنة لوالده على وادى العسل فقال

جنة وادى العسل * كم لى بها من امل
لولم يكن ذبابها * يمنع ذوق العسل

قال ابن سعيد ولما التقينا بتونس بعد ايابى من المشرق وقد وخط ظلام الشعر على وجهه المشرق قلت لابى الحجاج مشيرا الى محبوبه وقد غطى هواه عنده على عيوبه

خل ابا الحجاج هذا الذى * قد كنت فيه دائم الوجد
وانظر الى لحيته واعتبر * ممساحى الشعر على الخد

والله سبحانه يسمع لجميع فى هذا الهزل الشنيع ويصفح عنا فى ذكره انه مجيب سميع

*وقال صاحب البدائع ركب الاستاذ أبو محمد بن صارة مع اصحاب له فى نهر اشبيلية فى عشية سال أصيلها على لجين الماء عقيانا وطارت زواريقها فى سماء النهر عقبانا وابدى نسيمها من الامواج والدارات سرراواعكانا فى زورق يجول جولان الطرف ويسود اسوداد الطرف فقال بديها

تامل حالنا والجوطلق * محياه وقد طفل المساء
وقد جالت بنا عذراء حبلى * تجاذب مرطها ريح رخاء
بنهر كالسجنجل كوثرى * تعبس وجهها فيه السماء

واتفق أن وقف أبو اسحق بن خفاجة على القطعة واستظرفها واستلطفها فقال يعارضها على وزنها ورويها وطريقتها

ألا يا حبذا ضحك الحميا * بحانتها وقد عبس المساء
وأدهم من جياد الماء مهر * تنازع جله ريح رخاء

وكان لعبد المطلب ستة عشر ولدا عشرة ذكور وهم من سمينا وستة اناث وهم عاتكة وصفية وأميمة والبيضاء وبرة وأروى ولم يسلم منهن الا صفية أم الزبير بن العوام وقد تنوزع فى أروى فمنهم من قال انها أسلمت وفى خروجه عليه السلام مع عمه فى هذه السنة نظر اليه بحيرا الراهب وأوصاهم بمراعاته من اليهود فانهم أعداؤه لعلمهم بما يكون من نبوته على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الخبر بحيرا الراهب وما كان من اخباره بنبوة النبى صلى الله عليه وسلم وذلك فى باب أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد عليهما السلام وقد قدمنا انه عليه السلام شهد يوم حرب الفجار وذلك فى سنة احدى وعشرين وانها حرب كانت بين قريش وقيس عيلان فيما سلف من هذا الكتاب وغيره وأنها انما سميت بهذا الاسم الذى هو الفجار لانها كانت فى الاشهر الحرم وكانت لقيس على قريش وأن النبى صلى الله عليه وسلم لما شهدها صارت لقريش على قيس وكان على قريش يومئذ عبد الله بن جدعان التيمى وكان نخاسا للجاهلية بياعا للجوارى وكانت هذه احدى

اذا بدت الكواكب فيه غرقى * رأيت الارض تحسدها السماء انتهى

وقال الاديب ابن خفاجة فى ديوانه صاحبت فى صدرى من المغرب سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة أبا محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد وكان أبو جعفر بن رشيق يومئذ قد تمنع ببعض حصون مرسية وشرع فى النفاق فقطع السبيل وأخاف الطريق ولما حاذينا قلعته وقد احتدمت جمرة الهجير وملّ الركب رسيمه وذميله واخذ كل منا برتاد مقيله اتفقنا على أن لا نطعم طعاما ولا نذوق مناما حتى نقول فى صورة تلك الحال وذلك الترحال ما حضر وشاء الله أن أجبل ابن وهبون واعتذر وأخذت عفو خاطرى فقلت أتربص به وأعرض بعظم لحيته

ألا قل للمريض القلب مهلا * فان السيف قد ضمن الشفاء
ولم أر كالنفاق شكاة غدر * ولا كدم الوريد له دواء
وقد دحى النجيع هناك أرضا * وقد شمل العجاج به سماء
وديس به انحطاطا بطن واد * مذاعشب شعر لحيته ضراء

وقال ابن خفاجة أيضا حضرت يوما مع أصحاب لى ومعهم صبى متهم فى نفسه واتفق انهم تحاوروا فى تفضيل الرمان على العنب فانبرى ذلك الصبى فافرط فى تفضيل العنب فقلت بديها أعبث به

صلنى لك الخير برمانة * لم تنتقل عن كرم العهد
لا عنبا أمتص عنقوده * ثديا كأنى بعد فى المهد
وهل يرى بينهما نسبة * من عدل الخصية بالنهد

فخجل خجلا شديدا وانصرف قال وخرجت يوما بشاطبة الى باب السمارين ابتغاء الفرجة على خرير ذلك الماء بتلك الساقية وذلك سنة ٤٨٠ واذا بالفقيه أبى عمران بن ابى تليد رحمه الله تعالى قد سبقنى الى ذلك فالفيته جالسا على دكان كانت هناك مبنية لهذا الشان فسلمت عليه وجلست اليه مستأنسا به فجرى أثناء ما تناشدناه ذكر قول ابن رشيق

يا من يمـر ولا تمر به القلوب من الفرق
بعمامة من خده * أو خده منها استرق
فكأنه وكأنها * قمر تعمم بالشفق
فاذا بدا واذا انثنى * واذا شدا واذا نطق
شغل الخواطر والجوا * نح والمسامع والحدق

فقلت وقد أعجب بها جدا وأثنى عليها كثيرا أحسن ما فى القطعة سياقه الاعداد والافانت تراه قد استرسل فلم يقابل بين ألفاظ البيت الاخير والبيت الذى قبله فينزل بازاء كل واحدة منهما يلائمها وهل ينزل بازاء قوله واذا نطق قوله شغل الحدق وكأنه نازعنى القول فى هذا غاية الجهد فقلت بديها

ومهفهف طاوى الحشا * خنث المعاطف والنظر
ملأ العيون بصورة * تليت محاسنها سور

فاذا

وهى يومئذ بنت أربعين وقيل فى سنها غير هذا (وفى سنة ست وثلاثين) بنت قريش الكعبة وتراضت به فوضع الحجر على حسب ما قدمنا (وفى سنة احدى وأربعين) بعثه الله نبيا ورسولا الى كافة الناس وذلك لعشر خلون من ربيع الاول على حسب تنازع الناس فى تاريخ مبعثه عليه السلام (وفى سنة ست وأربعين كان حصار قريش للنبى صلى الله عليه وسلم وبنى هاشم وبنى عبد المطلب فى الشعب (وفى سنة خمسين) كان خروجه عليه السلام ومن تبعه الى الطائف (وفى هذه السنة) كانت وفاة خديجة زوجه على حسب ما ذكرنا على غير هذا التفصيل (وفى سنة احدى وخمسين) كان الاسراء به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس على حسب ما نطق به التنزيل (وفى سنة) اربع وخمسين كانت هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة (وفيها) بنى صلى الله عليه وسلم مسجده (وفيها) دخل بعائشة بنت ابى بكر رضى الله عنهما وهى ابنة تسع تزوّجها بعد الهجرة بسبعة اشهر وقيل عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهى بنت ثمان

فاذا رنا واذا مشى * واذا شدا واذا سفر
فضح الغزالة والغما * مة والحمامة والقمر

فحن بها استحسانا انتهى قال ابن ظافر والقطعة القافية ليست لابن رشيق بل هى لابى الحسين على بن بشر الكاتب أحد شعراء اليتيمة * وكان بين ابن السميسر الشاعر وبين بعض رؤساء المرية واقع لمدح مدحه فلم يجزه عليه فصنع ذلك الرجل دعوة للمعتصم بن صمادح صاحب المرية واحتفل فيها بما يحتفل مثله فى دعوة سلطان مثل المعتصم فصبر ابن السميسر الى أن ركب السلطان متوجها الى الدعوة فوقف له فى الطريق فلما حاذاه رفع صوته بقوله

ياأيها الملك الميمون طائره * ومن لذى مأتم فى وجهه عرس
لاتفرسن طعاما عند غيركم * ان الاسود على الما كول تفترس

فقال المعتصم صدق والله ورجع من الطريق وفسد على الرجل ما كان عمله * ونظير هذه الحكاية أن عباد بن الحريش كان قد مدح رجلا من كبار أصبهان أرباب الضيع والاملاك والتبع الكثير فمطله بالجائزة ثم أجازه بما لم يرضه فرده عليه وبعد ذلك بحين عمل الرجل دعوة غرم عليها الوف دنانير كثيرة لابى دلف القاسم بن عيسى العجلى على أن يجىء اليه من الكرج ووصل أبو دلف فلما وقعت عين عباد عليه وهو يساير بعض خواصه أومأ الى ذلك السائر وأنشد باعلى صوته

قل له يافديته * قول عباد ذاسمج
جئت فى ألف فارس * لغداء من الكرج
ماعلى النفس بعد ذا * فى الدناآت من حرج

فقال أبو دلف وكان أخوف الناس من شاعر صدق والله أجىء من الكرج الى أصبهان حتى أتغدى بها والله ما بعد هذا فى دناءة النفس من شئ ثم رجع من طريقه وفسد على الرجل كل ماغرمه وعرف من أين أتى وتخوف أن يعود عباد عليه بشر منها فسير اليه جائزة سنية مع جماعة من أصحابه فاجتمعوا به وسالوه فيه وفى قبول الجائزة لم يقبل الجائزة ثم أنشد بديها وهبت ياقوم لكم عرضه

فقالوا جزاك الله تعالى خيرا فقال كرامة للشعر لا للفتى
لانه أبخل من ذرة * على الذى تجمعه فى الشتا انتهى

وذكر أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسى مامعناه انه عزم بمصر هو ورفقة له على الاصطباح فقصدوا بركة الحبش فى وقت ولاية الغبش وحلوا منها روضا بسم زهره ونسم عطره فاداروا كؤسا تطلع من المدام شموسا وعاينوها نجوما تكون لشياطين الهموم رجوما فطرب حتى أظهر الطرب نشاطه وأبرز ابتهاجه وانبساطه فقال

لله يومى ببركة الحبش * والجو بين الضياء والغبش
النيل تحت الرياح مضطرب * كصارم فى يمين مرتعش
ونحن فى روضة مفوّفة * دبج بالنور عطفها ووشى
قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نورها على فرش

ابن زيد كيفية الاذان فى منامه (وفيها) كان تزوج على بن أبى طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ماذكر نامن التنازع فى التاريخ (وفى سنة اثنتين) من الهجرة افترض على المؤمنين صوم شهر رمضان (وفى هذه السنة) أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالتوجه الى الكعبة (وفيها) توفيت ابنته رقية (وفى آخر هذه السنة) وهى سنة اثنتين من الهجرة كان دخول على ابن أبى طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفيها) كانت وقعة بدر وذلك فى يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان (وفى سنة ثلاث) كان تزويجه بزينب بنت خزيمة وكانت وفاتها بعد شهرين (وفى هذه السنة) كان تزويجه بحفصة بنت عمر بن الخطاب (وفيها) كان تزويج عثمان ابن عفان بأم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفيها) كان مولد الحسن بن على بن أبى طالب على مافى ذلك من التنازع فى التاريخ (وفيها) كانت

غزوة أحد (وفى هذه السنة) استشهد حمزة بن عبد المطلب (وفى سنة أربع) كانت غزوته المعروفة بذات الرقاع وفى هذه

فعاطنى الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش
وأسقنى بالكبار مترعة * فهن أروى لشدة العطش
فاثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعى الصبا فلم يطش

وهذا أبو الصلت أمية من كبراء أدباء الاندلس العلماء الحكماء وقد ترجمناه فى الباب الخامس فى المرتحلين من الاندلس الى المشرق * وقال رحمه الله تعالى كنت مع الحسن بن على بن تميم بن المعز بن باديس بالمهدية فى الميدان وقد وقف يرمى بالنشاب فصنعت فيه بديها

يا ملكا مذ خلقت كفه * لم تدر الا الجود والباسا
ان النجوم الزهر مع بعدها * قد حسدت فى قربك الناسا
وودت الاملاك لو أنها * تحولت تحتك أفراسا
كما تمنى البدر لو أنه * عاد لنشابك برجاسا انتهى

وصنع الوزير أبو جعفر أحمد الوقشى وزير الرئيس أبى اسحق بن همشك صهر الامير أبى عبد الله محمد بن مردنيش فى غلام أسود فى يده قضيب نور بديها

وزنجى أتى بقضيب نور * وقد زفت لنا بنت الكروم
فقال فتى من الفتيان صفها * فقلت الليل أقبل بالنجوم

ولما أفرط أبو يحيى البكى فى هجاء أهل فاس تعسفوا عليه وساعدهم واليهم مظفر الخصى من قبل أمير المسلمين على بن يوسف والقائد عبد الله بن خيار الجيانى وكان يتولى أمورا سلطانية بها فقدموا رجلا ادعى عليه بدين وشهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناتى ورجل آخر يكنى بابى الحسين من مشايخ البلد فاثبت الحق عليه وأمر به الى السجن فرفع اليه وسيق سوقا عنيفا فلما وصل الى بابه طلب ورقة من كاتبه وكتب فيها وأنفذها الى مظفر مع العون الذى أوصله الى السجن فكان ما كتب

ارشوا الزناتى الفقيه ببيضة * يشهد بان مظفرا ذو بيضتين
واهدوا اليه دجاجة يحلف لكم * ما ناك عبد الله عرس أبى الحسين

وقال أبو الحسن على بن عتيق بن مؤمن القرطبى الانصارى عمل والدى محملا لكتب من قضبان تشبه سلما فدخل عليه أبو محمد عبد الله بن مفيد فرآه فقال ارتجالا

أيها السيد الذكى الجنان * لا تقسنى بسلم البنيان
فضل شكلى على السلالم أنى * محمل للعلوم والقرآن
حزت من حلية المحبين ضعفى * واصفرارى ورقة الابدان
فادع للصانع المجيد بفوز * ثم وال الدعاء للاخوان

ثم عمل أيضا

أيها السيد الكريم المساعى * التفت صنعتى وحسن ابتداعى
أنا للنسخ محمل خف حملى * أنا فى الشكل سلم الاطلاع

وقال أحمد بن رضى المالقى

الغزاة صلى صلاة الخوف بالناس على حسب ما ذكر فى كيفية ذلك من التنازع (وفيها) كان تزويجه بام سلمة بنت أمية (وفيها) كانت غزوته الى اليهود من بنى النضير وامتنعوا منه بحصونهم فقطعوا نخلهم وشجرهم واضرموا النار عليهم فلما رأى ذلك صالحهم (وفيها) كانت غزوته الى بنى المصطلق (وفيها) وهى سنة أربع كان مولد الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد قيل ان مولد فاطمة رضى الله تعالى عنها قبل الهجرة بثمان سنين (وفى سنة خمس) كانت غزوة الخندق وما كان من حفر الخندق (وفيها) غزا اليهود من بنى قريظة وكان من أمرهم ما قد شهر (وفيها) كان تزويجه بزينب بنت جحش (وفيها) كان تقول أهل الافك على عائشة رضى الله تعالى عنها (وفى سنة ست) كان استسقاؤه عليه السلام لما لحق الناس من الضر والجدب (وفيها) اعتمر عمرته المعروفة بعمرة الحديبية وواعد المشركين (وفيها) أخذ فدك (وفيها) تزوج أم حبيبة بنت أبى سفيان ووجه بالرسل الى كسرى وقيصر وكان فيها أداؤه لكتابة جويرية بنت الحرث وتزويجه بها (وفى سنة سبع) غزا خيبر فافتتحها واصطفى

ليس

ليس المدامة مما أستريح له * ولا مجاوبة الاوتار والنغم
وانما الذتى كتب اطالعها * وخادمى ابدا فى نصرتى قلمى

وقال ابو القاسم البلوى الاشبيلى

لمن اشكو مصابى فى البرايا * ولا القى سوى رجل مصابى
امور لو تدبرها حكيم * لعاش مدى الزمان اخا اكتئاب
اما فى الدهر من افشى اليه * باسرارى فيؤنس بالجواب
يئست من الانام فما جليس * يعز على نهاى سوى كتابى

وقال ابو زكريا يحيى بن صفوان بن ادريس صاحب كتاب العجالة وزاد المسافر وغيرهما

ليت شعرى كيف انتم * وانا الصب المعنى
كل شئ لم تكونوا * فيه لفظ دون معنى

وله فى نصرانى وسيم لقيه يوم عيد

توحد فى الحسن من لم يزل * يثلث والقلب فى صده
يشف لك الماء من كفه * ويقتدح النار من خده

وهذان البيتان نسبهما له بعض معاشريه وابوه صفوان سابق الميدان* وقال ابن بسام سار ابن عمار فى بعض اسفاره غلامان من بنى جهور احدهما اشقر العذار والآخر اخضره فجعل يميل بحديثه لمخضر العذار ثم قال ارتجالا

تعلقته جهورى النجار * حلى الحلى جوهرى الثنايا
من النفر البيض اسد الزمان * رقاق الحواشى كرام السجايا
ولا غرو ان تغرب الشارقات * وتبقى محاسنها بالعشايا
ولا وصل الاجمان الحديث * تساقطه من ظهور المطايا
شنئت المثلث للزعفران * وملت الى خضرة فى التفايا انتهى

ومعناه ان ابن عمار ابغض المثلث لدخول الزعفران فيه لشبهه بعذار الاشقر منهما واحب خضرة التفايا وهو لون طعام يعمل بالكزبرة لشبهها بعذار الاخضر منهما* وقال ابو العرب ابن معيشة الكنانى السبتى اخبرنى شيخ من اهل اشبيلية كان قد ادرك دولة آل عباد وكان عليه من اثر كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق وينطق بان قوله الحق قال كنت فى صباى حسن الصورة بديع الخلقة لا تلمحنى عين احد الا ملكت قلبه وخلبت خلبه وسلبت لبه واطلت كربه فبينما انا واقف على باب دارنا اذا بالوزير ابى بكر بن عمار قد اقبل فى موكب زجل على فرس كالصخرة الصماء قدت من قنة الجبل فحين حاذانى ورآنى اشرأب الى ينظرنى وبهت يتاملنى ثم دفع مخصرة كانت بيده فى صدرى وانشد

كف هذا النهد عنى * فبقلبى منه جرح
هو فى صدرك نهد * وهو فى صدرى رمح

وعبر فى البدائع على طريقة القلائد ما صورته ذكر الفتح بن خاقان ما هذا معناه اخبرنى ذو الوزارتين ابو المطرف بن عبد العزيز انه حضر عند المؤتمن بن هود فى يوم اجرى الجو فيه

صفية بنت حيي بن اخطب لنفسه (وفيها) تزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية خالة عبدالله بن عباس فى سفره حين اعتمر فى عمرة القضاء على ما ذكرنا من التنازع فى نكاحه لها أفى حال حله نكحها أم فى حال احرامه وما قال الفقهاء فى ذلك وتنازع الناس فى نكاح المحرم (وفيها) كان قدوم حاطب بن ابى بلتعة من مصر من عند المقوقس ملكها ومعه مارية القبطية أم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من هدايا المقوقس اليه (وفيها) كان قدوم جعفر بن ابى طالب من أرض الحبشة وركوبهم البحر (وفى سنة ثمان) استشهد جعفر بن ابى طالب وزيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة بارض موتة من ارض البلقاء من أرض الشأم واعمال دمشق فى وقعتهم مع الروم (وفيها) كانت وفاة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك من التاريخ (وفى سنة ثمان) كان افتتاح النبى صلى الله عليه وسلم مكة وقد تنازع الناس فى فتحها اصلحا كان أم غيره (وفيها) كسرت الاصنام وهدمت العزى ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء (وفيها) غزا غزوة حنين

اشقر برقه ورمى بنبل ودقه وحملت الرياح فيه اوقار السحاب على اعناقها وتمايلت قامات الاغصان فى الحلل الخضر من اوراقها والازهار قد تفتحت عيونها والكمائم قد ظهر مكنونها والاشجار قد انصقلت بالقطر ونشرت ما يفوق الوان البزو بثت ما يملؤ العطر والراح قد اشرقت نجومها فى بروج الراح وحاكت شمسها شمس الافق فتلفعت بغيوم الاقداح ومديرها قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من اهابه واخجل خدها حسنا فتكلل بعرق حبابه اذا بفتى رومى من اصبح فتيان المؤتمن قد اقبل متدرعا كالبدر اجتاب سحابا والخمر اكتست حبابا والطاوس انقلب حبابا فهو ملاك حسنا الا انه جسد وغزال لينا الا انه فى هيئة الاسد وقد جاء يريد استشارة المؤتمن فى الخروج الى موضع كان عوّل فيه عليه وأمره أن يتوجه اليه فخير وصل الى حضرته لمحه ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه وانبثت سراياه فى ضواحى قلبه فاشار اليه وقربه واستبدع ذلك اللباس واستغربه وجد فى أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وأن يجلى عنه كما يجلى الخبث عن الخلاص وأن يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه ويكون هو الساقى على عادته القديمة ورسمه فامره المؤتمن بقبول أمره وامتثاله واحتذاء أمثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورمت شياطين النفوس من كمت المدام بشهبها ارتجل ابن عمار

وهو يتيه يسقى المدام كانه * قمر يدور بكوكب فى مجلس
متناوح الحركات يندى عطفه * كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسقى بكاس فى أنامل سوسن * و يدير أخرى من محاجر نرجس
ياحامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار أملس
جهم وان حسر القناع فانما * كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى و يلعب فى دلال عذاره * كالمهر يلعب فى اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا بليث الغاب ظبى المكنس
عنا بكاسك قد كفتنا مقلة * حوراء قائمة بسكر المجلس

وصنع فيه أيضا

وأحور من ظباء الروم عاط * بسالفتيه من دمعى فريد
قسا قلبا وشن عليه درعا * فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا ونأى رضاه * وقد يبكى من الطرب الجليد
وان فتى تملكه برق * وأحزحسنه لفتى سعيد

انتهى

وقال فى البدائع مؤلفه ما نصه خرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية يوما الى بعض منتزهاته فحل بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج وتنفست عن مسكها الاريج وماست معاطف أغصانها وتكللت بلؤلؤ الطل أجياد قضبانها فتشوّف الى الوزير أبى طالب بن غانم أحد كبراء دولته وسيوف صولته فكتب اليه بديها بورقة كرنب بعود من شجرة

أقبل أبا طالب الينا * واسقط سقوط الندى علينا

للمؤلفة قلوبهم وفيهم ابو سفيان صخر بن حرب وابنه معاوية (وفيها) كان مولد ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية (وفى سنة تسع) حـ أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس وقرأ على ابن أبى طالب عليهم سورة براءة وأمر ان لا يحج مشرك وأنه لا يطوف بالبيت عريان (وفيها) كانت وفاة أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفى سنة عشر) حج رسول الله عليه الصلاة والسلام حجة الوداع وقال ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض (وفيها) كانت وفاة ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وله سنة وعشرة اشهر وثمانية ايام وقيل غير ذلك (وفيها) كان بعثه عليه السلام بعلى الى اليمن واحرم كاحرام النبى صلى الله عليه وسلم على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب قبل هذا الباب من ذكر وفاته ومقدار عمره وما قاله الناس فى ذلك وفى وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من تنازع الناس فى مقدار عمرها ومدة بقائها بعد ابيها ومن الذى صلى عليها

وجلس المعتصم بن صمادح المذكور يوما وبين يديه ساقية قد أخذت ببردها حر الاوار والتوى ماؤها فيها التواء فضة السوار فقال ارتجالا

انظر الى الماء كيف انحط فى صببه * كانه أرقم قد جد فى هربه

وقال السميسر

بعود شرب دمى قهوة * وغنينى بضرو ب الاغانى
كأن عروقى أوتارهن * وجسمى الرباب وهن القنانى

وقيل

بعوض وبرغوث وبق لزمننى * حسبن دمى خمرا فلذلها الخمر
فيرقص برغوث لزمر بعوضة * وبقهم سكت ليستمع الزمر

ومنه

بق وبرغوث أتوا * نحوى وقد شدوا عذابى
وأتى البعوض بزمره * ياقوم أخرج من ثيابى

وأحسن منه قول ابن شرف القيروانى

لك مجلس كملت بشارة لهونا * فيه ولكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب فظل يزمر حوله * فيه البعوض ويرقص البرغوث

والسابق الى هذا المعنى أبو أحمد بن أيوب من شعراء اليتيمة اذ قال

لا أعذل الليل فى تطاوله * لو كان يدرى مانحن فيه نقص
لى والبراغيث والبعوض اذا * أجننا حندس الظلام قصص
اذا تغنى بعوضه طربا * أطرب برغوثه الغنا فرقص

ونحو هذا قول الحصرى فيما نسبه اليه ابن دحية

ضاقت بلنسية بى * وذادعنى غموضى
رقص البراغيث فيها * على غناء البعوض

(رجع) الى أهل الاندلس فنقول كان ابن سعد الخير البلنسى الشاعر كثير الذهول مفرط النسيان ظاهر التغفل على جودة نظمه ورطوبة طبعه وكان كثيرا ما يسلك سكة الاسكافيين الذين يعملون الخفاف على بغلة له فاتخذت البغلة النفور من أطراف الادم وفضلات الجلود الملقاة فى السكة عادة لها واتفق أن عبر فى السكة راجلا ومعه جماعة من أصحابه فلما رأى الجلود الملقاة قفز ووثب راجعا على عقبيه فقال له أصحابه ما هذا أيها الاستاذ فقال البغلة نفرت فعجبوا من تغفله كيف ظن مع ما يقاسيه من ألم المشى ونصب التعب انه راكب وأن حركته الاختيارية منه حركة الداية الضرورية له فكان تغفله ربما أوقعه فى تهمة عند من لم يعرفه فاقترح عليه بعض الامراء أن يصنع بيتين أوّل أحدهما كتاب وآخره ذئب وأول الآخر جوارح وآخره أنابيب فصنع بديها

كتائب تجمع لاح فى حومة الوغى * وقارنه نسر هنالك أوذيب
جوارح أهليه حروف وربما * تولته من نقط الطعان أنابيب

العباس بن عبد المطلب ام بعلها على ولما قبضت جزع عليها جزعا شديدا واشتد بكاؤه وظهر أنينه وحنينه وقال فى ذلك

لكل اجتماع من خليلين فرقة
وكل الذى دون الممات قليل
وان افتقادى فاطما بعد أحمد
دليل على أن لا يدوم خليل

(وكان أولاده) صلى الله عليه وسلم من خديجة خلا ابراهيم ولدا له صلى الله عليه وسلم القاسم وبه يكنى وكان أكبر بنيه سنا ورقية وأم كلثوم وكانتا تحت عتبة وعتيبة ابنى ابى لهب فطلقاهما لخبر يطول ذكره فتزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة وزينب وكانت تحت أبى العاص بن الربيع وفرق الاسلام بينهما ثم أسلم فردها عليه بالنكاح الاول وهذا موضع خلاف بين أهل العلم فى كيفية رده عليه السلام لزينب على أبى العاص وولدت من أبى العاص أمامة وتزوجها على بعد موت فاطمة عليهما السلام وولد له عليه الصلاة والسلام بعد ما بعث عبد الله وهو الطيب والطاهر الثلاثة الاسماء له لانه ولد فى الاسلام وفاطمة وابراهيم وقد أتينا فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط على ما كان من سنة مولده عليه السلام الى مبعثه

وقال الحميدى ذكر لى أبو بكر المروانى انه شاهد محبوبا الشاعر النحوى قال بديهة فى صفة ناعورة

وذات حنين ماتغيض جفونها * من اللجج الخضر الصوافى على شط
وتبكى فتحيى من دموع جفونها * رياضا تبدت بالازاهر فى بسط
فمن أحمر قان وأصفر فاقع * وأزهر مبيض واكن مشمط
كأن ظروف الماء من فوق متنها * لآلى جمان قد نظمن على قرط

وقال أبو الخطاب بن دحية دخلت على الوزير الفقيه الاجل أبى بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور السلمى فوقع الكلام فى علوم لم تكن من جنس فنونه فقال بديها

أيها العالم ادركنى سماحا * فلمثلى يحق منك السماح
ان تخالنى اذا نطقت عييا * فبنانى اذا كتبت وقاح
أحرز الشأو فى نظام ونثر * ثم أثنى وفى العنان جماح
فيهز لكما تأوّد غصن * وبجدّ كما تهز الصفاح

وقال دخلت عليه منزله بشاطبة فى اليوم الذى توفى فيه وهو يجود بنفسه فانشد بديها

أيها الواقف اعتبارا بقبرى * استمع فيه قول عظمى الرميم
أودعونى بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها باديمى
ودعونى بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

وقال ابن طوفان دعا أبى أبا الوليد النحلى فلما قضوا وطرهم من الطعام سقيتهم وجعلت أترع الكاسات فلما مشت فى النحلى سورة الحميا ارتجل

لابن طوفان أياد * قل فيها مشبهوه ملأ الكاسات حتى * قيل فى البيت أبوه

ونظيره قول المتقبل من شعراء الذخيرة فى الشاعر ابن الفراء

فاذا ماقال شعرا * نفقت سوق أبيه

وذكر فى بدائع البدائه أن جماعة من الشعراء فى أيام الافضل خرجوا متنزهين الى الاهرام ليروا عجائب مبانيها ويتاملوا ماسطره الدهر من العبر فيها فاقترح بعض من كان معهم العمل فيها فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسى

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا * على مارات عيناك من هرمى مصر
أنافا بأعنان السماء فاشرفا * على الجوّ اشراف السماك أو النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا * كانهما نهدان قاما على صدر

وصنع أبو منصور ظافر الحداد

تامل هيئة الهرمين وانظر * وبينهما أبو الهول العجيب
كعماريتين على رحيل * بمحبوبين بينهما رقيب
وفيض البحر عندهما دموع * وصوت الريح بينهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب * تخلف فهو محزون كئيب

انتهى

وقال ابن بسام كان للمتوكل بن الافطس فرس أدهم أغر محجل على كفله ست نقط بيض فنذب المتوكل

ومن مبعثه الى هجرته وثلثمائة وما كان من ذلك من المغازى والسرايات والبعوث والطرائق والاحداث وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا منبهين بذلك على ماسلف من كتبنا ومذكرين لما تقدم من تصنيفنا وبالله التوفيق

(ذكر مابدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام مما لم يحفظ قبله عن احد من الانام)

قال ابو الحسن على بن الحسين بن على بن عبد الله المسعودى بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ومبشرا للناس أجمعين وقربه الله بالآيات والبراهين النيرات وأتى بالقرآن المعجز فتحدى به قومه وهم الغاية فى الفصاحة والنهاية فى البلاغة وأولوا العلم باللغة والمعرفة بانواع الكلام من الرسائل والخطب والسجع والمقفى والمنثور والمنظوم والاشعار فى المكارم وفى الحب والزجر والتحضيض والاغراء والوعد والوعيد والمدح والتهجين فقرع به أسماعهم وأعجم به أذهانهم وقبح به أفعالهم وذم به آراءهم وسفه به أحلامهم وأزال به ديانتهم وأبطل سننهم ثم أخبر عن عجزهم مع تظاهرهم أن لا ياتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض

المتوكل الشعراء لصفته فصنع النحلى أبو الوليد فيه بديها

ركب البدر جوادا سابحا * تقف الريح لادنى مهله
لبس اللـيل قميصا سابغا * والثريا نقط فى كفله
وغدير الصبح قد خيض به * فبدا تحجيله من بلله
كل مطلوب وان طالت به * رجله من أجله فى أجله

ثم انتدب الشعراء بعد ذلك للعمل فيه فصنع ابن اللبانة

لله طرف جال يا ابن محمـد * فجنبت به حو باؤه التأميلا
لما رأى أن الظلام أديمه * أهدى لاربعه الهدى تحجيلا
وكانما فى الردف منه مباسم * تبغى هناك لرجـله تقبيلا

وقال فيه أبو عبد الله بن عبد البر الشنتريني من قطعة

وكانما عمر على صهواته * قمر تسير به الرياح الاربع

و يعنى بعمر المتوكل المذكور لان اسمه عمر *وقال أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخزرجى قاضى اشبيلية

لله اخوان تناءت دارهـم * حفظوا الوداد على النوى أوخانوا
يهدى لنا طيب الثناء ودادهم * كالند يهدى الطيب وهو دخان

وحكى أن أبو ب بن سليمان السهيلى المروانى حضر يوما عند ابن باجة الشاعر وأبو الحسن ابن جودى هناك فتكلم المروانى بكلام ظهر فيه نبل وأدب فتشوّف أبو الحسن بن جودى لمعرفته وكان اذ ذاك فتى السن فقال له من أنت أكرمك الله تعالى فقال هلا سالت غيرى عنى فيكون ذلك أحسن لك أدبا ولى توقيرا فقال ابن جودى قد سالت من المعرف عنك فلم يعرفك فقال يا هذا لما مر علينا زمان يعرفنا من يجهل ولا يحتاج من يرانا فيه الى أن يسال وأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد

انا ابن الالى قد عوض الدهر عزهم * بذل وقلوا واستجبوا التنكرا
ملوك عـلى مر الزمان بمشرق * وغرب دهاهم دهرهم وتغيرا
فلا تذكرنهم بالسؤال مصابهم * فان حياة الرزء أن يتذكرا

ففطن ابن جودى انه من بنى مروان فقام وقبل رأسه واعتذر اليه ثم انصرف المروانى فقال ابن باجة لابن جودى أساء أدبك بعد ما عهدت منك كيف تعمد الى رجل فى مجلسى تحدنى قد قربته وأكرمته وخصصته بالاصغاء الى كلامه فتقدم عليه بالسؤال عن نفسه فاحذر أن تكون لك عادة فانها من أسوا الادب فقال ابن جودى لم نزل من الشيخ على ما قاله أبو تمام * نأخذ من ماله ومن أدبه * وحكى أن بكارا المروانى لما ترك وطنه وخرج فى الجهاد وقتل قال صاحب السقط انه اجتمع به فى اشبونة فقال قصدت منزله بها ونقرت الباب فنادى من هذا فقلت رجل ممن يتوسل لرؤيالك بقرابة فقال لا قرابة الا بالتقى فان كنت من أهله فادخل والافتنح عنى فقلت أرجو فى الاجتماع بك والاقتباس منك أن أكون من أهل التقى فقال ادخل فدخلت عليه فاذا به فى مصلاه وسبحة أمامه وهو يعدجبو بها

أقاويل المختلفين والاخبار عن كلام المتنازعين اذ كان كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر (ثبت) عنه عليه السلام بالعلم الموروث ونقل الينا الباقى عن الماضى من بعد قيام الادلة على صدقه وما أورد من المعجزات والدلائل والعلامات التى أظهر الله على يديه ليؤدى رسالات ربه الى خلقه أنه قال أوتيت جوامع الكلم وقال اختصر لى الكلام مخبرا عما أوتيه من الحكمة والنطق اليسير والكلام القصير البعيد المعانى الكثيرة الوجوه المتفرقة مع ما فيه من الحكمة وعمام المصلحة (وكان كلامه) صلى الله عليه وسلم أحسن المقال وأوجزه لقلة ألفاظه وكثرة معانيه (فمن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم عند عرضه لنفسه على القبائل بمكة وأبو بكر وقومه على بكر بن وائل وتقدم أبى بكر اليهم وما جرى بينه و بين دغفل من الكلام فى النسب البلاء موكل بالمنطق وهذا مما سبق اليه من الكلام ولم يضف الى غيره من الانام ثم اخباره عن الحرب وقوله الحرب خدعة فعلم بهذا اللفظ اليسير والكلام الوجيز أن آخر مكايد الحرب القتال بالسيف اذ كان بدؤها خدعة كما

يعرفه كل ذي رأي صحيح وذي رياسة وسياسة (ثم قال) العائد في هبته

قال عليه السلام وهذا كالعائد في قيئه زاجرا بهذا القول للواهب أن لا يسترجع شيأ وهبه اذ كان القيء لا يرجع فيه من قاءه (وللناس) في هذا المعنى كلام كثير وخطب طويل وانما الغرض فيما نذكر ايراد كلامه صلى الله عليه وسلم ووصف قوله الذي لم يتقدمه به أحد من الناس وقوله أحثوا في وجوه المداحين التراب المراد من ذلك اذا كذب المادح ولم يرد عليه السلام اذا شكر الانسان غيره بما أولاه أو وصفه بما هو فيه أو قال ماله أن يقول أن يحثى في وجهه التراب ولو كان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم اذن ما مدح أحد أحدا اذا كان هذا النهي عموما للصادق والكاذب وأن يحثى في وجه الجميع التراب وهذا خلاف ما جاء به التنزيل حيث يقول عز وجل مخبرا عن نبيه يوسف وقوله للملك اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فقدم مدح نفسه ووصف حاله وجميع ما نذكر في هذا مستفيض في السير والاخبار متقارب عند العلماء متداول بين الحكماء يتمثل به كثير من الناس و يستعمل العوام كثيرا منه في ألفاظها وتورده في أمثالها وخطاباتها والا كثر منهم لا يعلم أن

ويسبح فيها فقال لي ارفق علي أتمم وظيفتي من هذا التسبيح وأقض حقك فقعدت الى أن فرغ فلما قضى شغله عطف علي وقال ما القرابة التي بيني و بينك فانتسبت له فعرف أبي وترحم عليه وقال لي لقد كان نعم الرجل وكان لديه أدب ومعرفة فهل لديك أنت مما كان لديه شئ فقلت له انه كان يأخذني بالقراءة وتعلم الادب وقد تعلقت من ذلك بما أتميز به فقال لي هل تنظم شيأ قلت نعم وقد ألجأني الدهر الى أن أرتزق به فقال يا ولدي انه بئسما يرتزق به ونعم ما يتحلى به اذا كان على غير هذا الوجه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولكن تحل الميتة عند الضرورة فانشدني أصلحك الله تعالى مما على ذكرك من شعرك قال فطلبت بخاطري شيئا أقابله به مما يوافق حاله فما وقع لي الا فيما لا يوافقه من مجون ووصف خمر وما أشبه ذلك فاطرقت قليلا فقال لعلك تنظم فقلت لا ولكن أفكر فيما أقابلك به فقولي أكثره فيما جاني عليه الصبا والسخف وهو غير لائق بمجلسك فقال يا بني ولا هذا كله انا لا نبلغ من تقوى الله الى حد نخرج به عن السلف الصالح واذا صح عندنا أن عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومفسر كتاب الله تعالى ينشد مثل قول القائل ﴿ان يصدق الطير ننك لميسا﴾ فنحن حتى نابى أن نسمع مثل هذا والله لا نشذ عن السلف الصالح أنشدني ما وقع لك غير متكلف فلم يعد بي خاطري الى غير قولي من شعر أمجن فيه

أبطأت عني واني ✻ لفي اشتياق شديد
وفي يدي لك شئ ✻ قد قام مثل العمود
لو ذقته مرة لم ✻ تعد لهذا الصدود

فتبسم الشيخ وقال أما كان في نظمك أطهر من هذا فقلت له ما وفقت لغيره فقال لا باس عليك فانشدني غيره ففكرت الى أن أنشدته قولي

ولما وقفت على ربعهم ✻ تجرعت وجدي بالاجرع
وأرسل دمعي شرار الدموع ✻ لنار تاجج في الاضالع
فقام عذولي لما رأى ✻ بكائي وقفا على الادمع
فقلت له هذه سنة ✻ لمن حفظ العهد في الاربع

قال فرأيت الشيخ قد اختلط وجعل يجيء و يذهب ثم أفاق وقال أعد بحق آبائك الكرام فأعدت فعاد لما كان فيه وجعل يردد فقلت له لو علمت أن هذا يحركك ما أنشدتك اياه فقال وهل حرك مني الاخير او عظة يا بني ان هذه القلوب المخلاة لله كالورق التي جفت وهي مستعدة لهبوب الرياح فان هب عليها أقل ريح لعب بها كيف شاء وصادف منها طوعه فأعجبني منزعه و تأنست به ولم أر عنده ما يعتاد من هؤلاء المتدينين من الانجماع والانكماش بل ما زال يبسطني ويحدثني باخبار فيها هزل و يذكر لي من تاريخ بني أمية وملوكها ما أرتاح له ولا أعلم أكثره فلما كثر تأنسي به أهويت الى يده كي أقبلها فضمها بسرعة وقال ما شأنك فقلت راغبا لك في أن تنشدني شيأ من نظمك فقال اما نظمي في زمان الصبا فكان له وقت ذهب و يجب للنظم أن يذهب معه وأما نظمي في هذا الوقت فهو فيما أنا بسبيله وهو ينقل

عليك فقلت له ان أنصف سيدى الشيخ نفعنا الله تعالى به أنشدنى من نظم صباه ومن نظم شيخوخته فيأخذ كلا بحظه فضحك وقال ما أعصيك وأنت ضيف ولك حرمة أدب ووسيلة قصد ثم أنشدنى وقد بدا عليه الخشوع وخنقته العبرة

ثق بالذى سواك من * عدم فانك من عدم
وانظر لنفسك قبل قر * ع السن من فرط الندم
واحذر وقيت من الورى * واصحبهم أعمى أصم
قد كنت فى تيه الى * أن لاح لى أهدى علم
فاقتدت نحو ضيائه * حتى خرجت من الظلم
لكن قناديل الهوى * فى نور رشدى كالحمم

قال فوالله لقد أدركنى فوق ما أدركه وغلب على خاطرى بما سمعت من هذه الابيات وفعلت بى من الموعظة غاية لم أجد منها الخلاص الا بعد حين فقال لى الشيخ ان هذه يقظة يرجى معها خيرك والله مرشدك ومنقذك ثم قال لى يابنى هذا ما نحن بسبيله الآن فاسمع فيما مضى والله ولى المغفرة وانا نرجو منه غفران الفعل فكيف القول وأنشد

أطل عذار على خده * فظنوا سلوى عن مذهبى
وقالوا غراب لوشك النوى * فقلت اكتسى البدر بالغيهب
وناديت قلبى أين المسير * وبدر الدجى حل بالعقرب
فقال ولو رمت عن حبه * رحيلا عصيت ولم أذهب

قال فسمعت منه ما يقصر عنه صدور الشعراء وشهدت له بالتقدم وقلت له لم أر أحسن من نظمك فى جد ولا هزل ثم قلت له أأرويه عنك فقال نعم ما أرى به باسا بعد اطلاع من يعلم السرائر على ما فى الضمائر فاقدر هذه الفكاهة فى اغضاء من يغفر الكبائر ويغضى عن العظائم قال فقلت له فان أسبغت على النعمة بزيادة شئ من هذا الفن فعلت ما تملأ به قلبى آخر الدهر فقال يابنى لاملأ قلبك غير حب الله تعالى ثم قال ولا أجمع عليك رد قول ومنع وأنشد

ايها الشادن الذى * حسنه فى الورى غريب
لحظ ذاك الجمال يطفئ ما بى من اللهيب
وعليه أحوم دهرى ولكننى أخيب
كلما رمت زورة * قيض الله لى رقيب

قال فازج قلبى من الرقة واللطافة لهذا الشعر ما أعجز عن التعبير عنه فقلت له زدنى زادك الله تعالى خيرا فانشدنى

ما كان قلبى يدرى قدر حبكم * حتى بعدتم فلم يقدر على الجلد
وكنت أحسب أنى لا أضيق به * ذرعا فحان حتى فت فى عضدى
ثم استمرت على كره مريرته * فكاد يفرق بين الروح والجسد
عساكم أن تلافوا بالتلاقى * فليس لى مهجة تقوى على الكمد

وقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف رأس الحكمة معرفة الله ياخيل الله اركبى وبشرى بالجنة الآن حمى الوطيس لا ينتطح فيها عنزان لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يجنى على المرء الا يده ليس الخبر كالمعاينة الشديد من غلب نفسه بورك لامتى فى بكورها ساقى القوم آخرهم شربا المجالس بالامانات لو بغى جبل على جبل لدك الباغى منهما ابدا من تعول مات حتف أنفه يريد بذلك الفجأة وأنه مات من غير علة ولا تزال أمتى بخير مالم تر الامانة مغنما والزكاة مغرما قيدوا العلم بالكتابة خير المال عين ساهرة لعين نائمة المسلم مرآة المسلم رحم الله من قال خيرا فغنم اوسكت عن شر فسلم المرء كثير باخيه اليد العليا خير من اليد السفلى ترك الشر صدقة فضل العلم خير من فضل العبادة الغنى غنى النفس الاعمال بالنيات أى داء أدوأ من البخل الحياء خير كله الخيل معقود بنواصيها

ثم قال حسبك وان كلفتنى زيادة فالله حسبك فقلت له قد وكلتنى الى كريم غفور رحيم فبالله الا ما زدتنى وأكببت لاقبل رجليه فضمهما وأنشد

لله من قال لما * شكوت فيه نحولى
أما السبيل لوصل * فماله من وصول
فقلت حسبى التماح * بحسن وجه جميل
وجه تلوح عليه * علامة للقبول
فقال دعنى فهذا * تعرض للفضول
فقلت عاتب وخاطب * بالامن أهل العقول

فملا سمعى عجائب وبسط أنسى وكتبت كل ما أنشدنى ثم قلت له لولا خوفى من التثقيل عليك لم أزل أستدعى منك الانشاد حتى لا تجد ما تنشد فقال ان عدت ان شاء الله تعالى الى هنا تذكرت وأنشدتك فما عندى مما أضيفك غير ما سمعته وما تراه ثم قام وجاء من بيت آخر فى داره بصحفة فيها حسا من دقيق وكسور باردة فجعل يفت فيها ثم أشار الى أن اشرب فشربت ثم شرب الى أن أتينا على آخرها ثم قال لى هذا غداء عملك نهاره وانه لنعمة من الله تعالى أستديم بشكرها اتصالها قال فقلت له يا عم ومن أين عيشك فقال يا بنى عيشى بتلك الشبكة أصطاد بها فى سواحل البحر ما أقتات به ولى زوجة وبنت يعود من غزلهما مع ذلك ما نجد به معونة وهذا مع العافية والاستغناء عن الناس خير كثير جعلنا الله تعالى ممن يلقاه على حالة يرضاها وختم لنا بخاتمة لا يخاف معها فضيحة قال فتركته وقت وفى نيتى أن أعود الى زيارته ونويت أن يكون ذلك بعد أيام خوف التثقيل فعدت اليه بعد ثلاثة أيام فنقرت الباب فكلمتنى المرأة بلسان عليه أثر الحزن وقالت ان الشيخ خرج الى الغزو وذلك بعد انفصالك عنه بيوم ناله كالجنون فقلت له ما شأنك فقال انى أريد أن أموت شهيدا فى الغزو وهؤلاء جيران لى قد عزموا على الغزو وأنا ان شاء الله تعالى ماض معهم ثم احتال فى سيف ورمح وتوجه معهم وقال نفسى هى التى قتلتنى بهواها أفلا أقتص منها فاقتلها قال فقلت لها من خلف للنظر فى شأنكم فقالت ليس ذلك لك فالذى خلقنا اله لا نحتاج معه الى غيره فأدركنى من جوابها روعة وعلمت انها مثله زهدا وصلاحا فقلت انى قريبه ويجب على أن أنظر فى حالكم بعده فقالت يا هذا انك لست بذى محرم ولنا من العجائز من ينظر منا ويبيع غزلنا ولا يتفقد أحوالنا فجزاك الله تعالى عنا خيرا انصرف عنا مشكورا فقلت لها هذه دراهم خذوها استعينوا بها فقالت ما اعتدنا أن نأخذ شيأ من غير الله تعالى وما كان لنا أن نخل بالعادة فانصرفت نادما على ما فاتنى من الاستكثار من شعر الشيخ والتبرك بزيادة دعائه ثم عدت بعد ذلك لداره سائلا عنه فقالت لى المرأة انه قد قبله الله تعالى فعلمت أنه قد قتل فقلت لها أقتل فقرأت ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله الآية فانصرفت معتبرا من حاله رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا به وكانت للروانيين بالاندلس يد عليا فى الدين والدنيا *وقال محمد بن أيوب المروانى لما كلف قوما حاجة له سلطانية فنهضوا بها فكافأها رأس بنى مروان القائد سعيد بن المنذر فنهض بها

من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا المستشار مؤتمن من قتل دون ماله فهو شهيد لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث الدال على الخير كفاعله الندم توبة الولد للفراش وللعاهر الحجر كل معروف صدقة لا يشكر الله من لا يشكر الناس لا يؤذى الضالة الا ضال حبك الشئ يعمى ويصم السفر قطعة من العذاب (وقوله للانصار) انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع وقوله المسلمون عند شروطهم الا شرطا احل حراما أو حرم حلالا الرجل احق بصدر مجلسه وصدر دابته الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الظلم ظلمات يوم القيامة تمام التحية المصافحة جبلت القلوب على حب من أحسن اليها امنك من اعتبك ما نقص مال من صدقة التائب من الذنب كمن لا ذنب له الشاهد يرى ما لا يرى الغائب خذ حقك فى عفاف واف أو غير واف أعطوا الاجير أجرته قبل أن يجف عرقه أهل المعروف فى الدنيا أهل المعروف يوم القيامة الجنة تحت ظلال السيوف

النساء يلزمن الحجاب الكلمة الطيبة صدقة لاخير لك فى صحبة من لا يرى لك ما يرى لنفسه الدنيا سجن المؤمن

نهضت بما سالتك غيروان * وقد صعبت اسالكها الطريق
وليس يبين فضل المرء الا * اذا كلفته ما لا يطيق

وعتبه يوما سعيد بن المنذر فى كونه يتعرض لمدح خدام بنى مروان فقال له أعز الله تعالى القائد الوزير انكم جعلتمونى ذنبا وجعلونى رأسا والنفس تتوق الى من يكرمها وان كان دونها أكثر ممن يهينها وان كان فوقها وانى من هذا وهذا فى أمر لا يعلمه الا الله الذى بلانى به و ياويح الشجى من الخلى وأنا الذى أقول فيما يتخلل هذا المنزع

نسبت لقوم ليتنى نجل غيرهم * فلى نسب يعلو وحظى يسفل
أقطع عمرى بالتعلل والمنى * وكم يخدع المرء اللبيب التعلل
فمالى مكان أرتضيه لهمة * ولا مال منه أستعف وأفضل
ولكننى أقضى الحياة تجملا * وهل يهلك الانسان الا التجمل

فقال له سعيد قد دنا لومك فعطفت اللائمة علينا ونحن أحق بها وسننظر ان شاء الله تعالى فيما يرفع اللوم عن الجانبين ثم تكلم مع الناصر فى شانه فاجرى له رزقا أغناه عن التكفف فكانت هذه من حسنات سعيد وأياديه * وقال المطرف بن عمر المروانى يمدح المظفر بن المنصور بن ابى عامر

ان المظفر لا يزال مظفرا * حكما من الرحمن غير مبدل
وهو الاحق بكل ما قد حازه * من رفعة ورياسة وتفضل
تلقاه صدرا كلما قلبته * مثل السنان بجحفل وبجحفل

وحضر يوما مع شاعر الاندلس فى زمانه ابن دراج القسطلى فقال له القسطلى أنشدنى أبياتك التى تقول فيها * على قدر ما يصفو الخليل يكدر * فانشده

تخيرت من بين الانام مهذبا * ولم أدر أنى خائب حين أخبر
فمازجنى كالراح للماء واغتدى * على كل ما جشمته يتصبر
الى أن دهانى اذ أمنت غروره * سفاها وأدانى لما ليس يذكر
وكدر عيشى بعد صفو وانما * على قدر ما يصفو الخليل يكدر

فاهتز القسطلى وقال والله انك فى هذه الابيات لشاعر وأنا أنشدك فيما يقابلها البلال بن جرير

لو كنت اعلم ان آخر عهدهم * يوم الفراق فعلت ما لم أفعل

ولكن جعل نفسه فاعلا وعرضت نفسك لان يقال انك مفعول فقال ومن اين يلوح ذلك فقال القسطلى من قولك وادانى لما ليس يذكر فما يظن فى ذلك الا انه اداك الى موضع فعل بك فيه فاغتاظ الاموى وقال يا أبا عمرو ومن اين جرت العادة بان تمزح معى فى هذا الشان فقال له حلم بنى مروان يحملنا على ان نخرق العادة فى الحمل على مكارمهم فسكن غيظه * وكتب المروانى المذكور الى صاحب له يستعير منه دابة يخرج عليها للفرجة والخلاعة انهض الله تعالى سيدى باعباء المكارم ان هذا اليوم قد تبسم افقه بعد ما بكى ودقه وصقلت اصداء اوراقه وفتحت حدائق احداقه وقام نوره خطيبا على ساقه وفضضت

وجنة الكافر ما أملق تاجر صدق الدعاء سلاح المؤمن خير الامور أوسطها اذا أتاكم الزائر فاكرموه اشفعوا تحمدوا وتؤجروا الايمان الصبر والسماحة أفضلكم أفضلكم معرفة ماهلك امرؤ عن مشورة ماعال امرؤ اقتصد ماهلك امرؤ عرف قدره شر العمى عمى القلب الكذب مجانب للايمان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى من أتى فقد كفى قلة الحياء كفر المؤمنون هينون لينون شر الندامة يوم القيامة شر المعذرة عند الموت أقيلوا عثرات الكرام اطلبوا الخير عند صباح الوجوه الدنيا حلوة خضرة وان الله مستعملكم فيها فينظر كيف تعملون انتظار الفرج عبادة وكادت الفاقة ان تكون كفرا لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة فى كل عام ترذلون زرغبا تزدد حبا الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس أو قال جميع الناس (وقوله) لا يلقى الله احد الا نادما من عمل خيرا قال ياليتنى ازددت ومن عمل غير ذلك قال ياليتنى قصرت وهذا

مثل قوله اياكم والتسويف وطول الامل فانه كان سببا لهلاك الامم وقوله ليس منا من غشنا وهذا القول يحتمل معانى

غدرانه وتوّجت اغصانه وبرزت شمسه من حجابها بعدما تلفعت بسحابها وتنبه فى ارجاء الروض ارج النسيم وعرف فى وجهه نضرة النعيم وقد دعا كل هذا ناظر اخيك الى ان يجيله فى هذه المحاسن ويجدد نظره فى المنظر الذى هو غير مبتذل والماء الذى هو غير آسن والفحص اليوم احسن ما ملج وابدع ما حرن فيه وجمح فجد لى باعارة ما انهض عليه لمشاهدته ويرفع عنى خجل الابتذال بمشاكبة الانذال لازلت نهاضا بالآمال مسعفا بمراد كل خليل غير مقصر ولا آل * وكتب الامير هشام بن عبد الرحمن الى اخيه عبد الله المعروف بالبلنسى حين فر كتابا يقول فى بعض فصوله والعجب من فرارك دون أن ترى شيأ فخاطبه بجواب يقول فيه ولا تعجب من فرارى دون ان أرى شيأ الا انى خفت ان ارى مالا اقدر على الفرار بعده ولكن تعجب منى ان حصلت فى يدك بعدما افلت منك *وقال له وزيره احمد بن شعيب البلنسى أليس من العار أن يبلغ بك الخور من هذا الصبى ان تجعل بينك وبينه البحر وتترك بلاد ملكك وملك ابيك فقال ما اعرف ما تقول وكل ما وقى به اتلاف النفس ليس بعار بل هو محض العقل واوّل ما ينظر الاديب فى حفظ راسه فاذا نظر فى ذلك نظر فيما بعده *وقال عبد الله بن عبد العزيز الاموى ويعرف بالحجر

احعل لنا منك حظا ايها القمر * فانما حظنا من وجهك النظر
رآك ناس فقالوا ان ذا قمر * فقلت كفوا فعندى منهما الخبر
البدر ليس بغير النصف بهجته * حتى الصباح وهذا كله قمر

وقال ابو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثى ابا مروان بن سراج

وكم من حديث للنبى أبانه * والبسه من حسن منطقه وشيا
وكم مصعب للنحو قد راض صعبه * فعاد ذلولا بعدما كان قد اعيا

وحكى انه دخل بعض شعراء الاندلس على الفقيه سعيد بن اضحى وكان من اعيان غرناطة فدحه بقصيدة ثم بموشحة ثم بزجل فلم يعطه شيأ بل شكا اليه فقرا حتى انه بكى فاخذ الدواة والقرطاس وكتب ووضع بين يديه

شكا مثل الذى اشكوه من عدم * وساءه مثل ما قد ساءنى فبكى
ان المقل الذى أعطاك دمعته * نعم الجواد فتى اعطاك ما ملكا

وقال ابن خفاجة

نهر كما سال اللمى سلسال * وصبا بليل ذيلها مكسال
ومهب نفحة روضة مطلولة * فيها الافراس النسيم مجال
غازلته والاقحوانة مبسم * والآس صدغ والبنفسج خال

وقال

وساق كحيل الطرف فى شأو حسنه * جماح وبالصبر الجميل حران
ترى للصبا نارا بخديه لم يثر * لها من سوادى عارضيه دخان
سقاها وقد لاح الهلال عشية * كما اعوج فى درع الكمى سنان
عقارا نماها الكرم فهى كريمة * ولم تزن بابن المزن فهى حصان

اخبر عنه بما كان من فعله ويحتمل ان يكون على طريق الزجر والنهى عن الغش وقد قيل غير ذلك والله اعلم مثل ماروى عنه ابو مسعود البدرى قال لا يبقى على وجه الارض بعد مائة احد الامات فاستفاضت هذه الرواية عن ابى مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فجزع الا كثر فافضى ذلك الى على رضى الله عنه فقال صدق أبو مسعود فيما قال وذهب عنه المراد بذلك وانما اراد النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يبقى على وجه الارض احد بعد رأس مائة ممن رأى النبى صلى الله عليه وسلم الامات وقوله استعينوا على اموركم بالكتمان وعلى قضاء حوائجكم بالاسرار (قال المسعودى) وقد جمع كثير ممن تقدم ومن شاهدناه كثيرا من ألفاظ النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك ذكر أبو اسحق الزجاجى النحوى صاحب أبى العباس المبرد وأبو عبد الله نفطويه وجعفر ابن محمد بن حمدان الموصلى وغيرهؤلاء ممن تقدمهم وتاخر عنهم اوردنا من ذلك فى هذا الكتاب ما سهل ايراده وتأتى لنا ذكره على حسب الحاجة اليه واستحقاق الموضع له وان كنا قد اتينا على جميع ما يحتاج اليه فى هذه المعانى وقد

وقدحان من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والعنان عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت باسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

وقال فى وصف فرس أصفر ولم يخرج عن طريقته

وأشقر تضرم منه الوغى * بشعلة من شعل الباس
من جلنار ناضر لونه * وأذنه من ورق الآس
يطلع للغرة فى شقرة * حبابة تضحك فى الكاس

وقال أبو بكر محمد بن سهل البكى يهجو

أعد الوضوء اذا نطقت به * مستعجلا من قبل أن تنسى
واحفظ ثيابك ان مررت به * فالظل منه ينجس الشمسا

وقال ابن اللبانة

أبصرته قصرفى المشيه * لما بدت فى خده لحيه
قد كتب الشعر على خده * أو كالذى مر على قريه

وقال الوزير الكاتب أبو محمد عبد الغفور الاشبيلى فى الامير الكبير أبى بكر سير من أمراء المرابطين وكتب بها اليه فى غزاة غزاها

سر حيث سرت يحله النوار * وأراك فيه مرادك المقدار
واذا ارتحلت فشيعتك سلامة * وغمامة لاديمة مدرار
تنفى الهجير بظلها وتنيم بالرش القتام وكيف شئت تدار
وقضى الاله بان تعود مظفرا * وقضت بسيفك نحبها الكفار

هذا غير ماتمناه الجعفى حيث قال حيث ارتحلت وديمة وماتكاد تنفذ معها عزيمة واذا سفعت على ذى سفر فما أحراها بان تعوق عن الظفر ونعتها بمدرار فكان ذلك أبلغ فى الاضرار وماأحسن قول القائل

فسر ذاراية خفقت بنصر * وعد فى جحفل بهج الجمال
الى حمص فانت بها حلى * تغاير فيه ربات الحجال

وقال الحجارى فى المسهب كتبت الى القاضى أبى عبد الله محمد اللوشى أستدعى منه شعره لا كتبه فى كتابى فتوقف عن ذلك وانقبض عنى فكتبت اليه

يامانعا شعره عن سمع ذى أدب * نائى المحل بعيد الشخص مغترب
يسير عنك به فى كل مذهبه * كما يسير نسيم الريح بالعذب
انى وحقك أهل أن أفوز به * واسأل فديتك عن ذاتى وعن أدبى

فكان جوابه

ياطالبا شعر من لم يسم فى الادب * ماذا تريد بنظم غير منتخب
انى وحقك لم أبخل به صلفا * ومن يضن على جيد بمختلب
لكننى صنت هذرى عن روايته * فمثله قل عن سام الى الرتب

فيما اسلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا فاغنى ذلك عن اعادتها والله تعالى ولى التوفيق

(باب ذكر خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه)

قال المسعودى ثم بايع الناس أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى سقيفة بنى ساعدة بن كعب ابن الخزرج الانصارى فى يوم الاثنين الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة مستوفيا العمر النبى صلى الله عليه وسلم وهذا اتفاق فى سائر الروايات على ماذكرنا وكان مولد أبى بكر بعد الفيل بثلاث سنين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ودفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك قالت عائشة وقد قيل ان أبا بكر كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من أيامهم ومقادير ولايتهم وكذلك نفرد بعد مانورده فى هذا الكتاب بعد ذكرنا لايام بنى أمية وبنى العباس بابا نذكر فيه جميع التاريخ

الثانى من الهجرة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى خلافة أبى اسحق المتقى

خذه اليك كما أكرهت مضطربا * محللا ذمه مولاه مدى الحقب

قال ثم كتب لى مما أتحفنى به من نظمه محاسن أبهى من الاقمار وأرق من نسيم الاسحار وقال صالح بن شريف فى البحر وهو أحسن ما قيل فيه

البحر أعظم مما أنت تحسبه * من لم ير البحر يوما ما رأى العجبا

طام له حبب طاف على زرق * مثل السماء اذا ما ملئت شهبا

وقال أيضا

ما أحسن العقل وآثاره * لو لازم الانسان ايثاره

يصون بالعقل الفتى نفسه * كما يصون الحر أسراره

لاسيما ان كان فى غربة * يحتاج أن يعرف مقداره

وقال ابن برطلة

خطوب زمانى ناسبتنى غرابة * لذلك يرمينى بهن مصيب

غريب أصابته خطوب غريبة * وكل غريب للغريب نسيب

وهذا من أحسن التضمين الذى يزرى بالدر الثمين ودخل ابن بقى الحمام وفيه الاعمى التطيلى فقال له أجز

حمامنا كزمان القيظ محتدم * وفيه للبرد برد غير ذى ضرر

فقال الاعمى

ضدان ينعم جسم المرء بينهما * كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

ولا يخفى حسن ما قال الاعمى * وقد ذكر فى بدائع البداءه البيتين معا منسوبين الى ابن بقى ولنذكر كلامه برمته لما اشتمل عليه من الفوائد ونصه ذكر ابن بسام قال دخل الاديبان أبو جعفر بن هريرة التطيلى المعروف بالاعمى وأبو بكر بن بقى الحمام فتعاطيا العمل فيه فقال الاعمى

ياحسن حمامنا وبهجته * مرأى من السحر كله حسن

ماء ونار حما هما كنف * كالقلب فيه السرور والحزن

ثم أعجبه المعنى فقال

ليس على لهونا مزيد * ولا لحما منا ضريب

ماء وفيه لهيب نار * كالشمس فى ديمة تصوب

وأبيض تحته رخام * كالثلج حين ابتدا يذوب

وقال ابن بقى حمامنا فيه فصل القيظ البيتين فقال الاعمى وقد نظر فيه الى فتى صبيح

هل استمالك جسم ابن الامير وقد * سالت عليه من الحمام أنداء

كالغصن باشر حر النار من كثب * فظل يقطر من أعطافه الماء

قلت تذكرت هنا عند ذكر الحمام ما حكاه بدر الدين الحسن بن زفير الاربلى المتطبب اذ قال رأيت ببغداد فى دار الملك شرف الدين هرون ابن الوزير الصاحب شمس الدين محمد الجوينى حماما متقن الصنعة حسن البناء كثير الاضواء قد احتفت به الازهار والاشجار فادخلنى

مقادير السنين والشهور والايام ونبين تاريخ أصحاب السير والاخبار بين وغيرهم اذ كان التفاوت بين الفريقين ومعولنا فى ذلك على ما ذكره أصحاب الزيجات

(ذكر نسبه ولمع من اخباره وسيره)

كان اسم أبى بكر رضى الله عنه عبد الله بن عثمان وهو ابو قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب وفى مرة يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبه عتيق لبشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عتيق الله من النار فسمى يومئذ عتيقا وقيل انما سمى عتيقا لعتق امهاته واستخلف وأبوه فى الحياة وكان أزهد الناس وأكثرهم تواضعا فى أخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه وكان لبسه فى خلافته الشملة والعباءة وقدم اليه زعماء العرب واشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل وبرد الوشى المثقل بالذهب والتيجان والحبرة فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم (وكان ممن وفد عليه) من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير

اليه سائسه وذلك بشفاعة الصاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى المنشئ الاربلي وكان سائس هذا الحمام خادما حبشيا كبير السن والقدر فطاف بي عليه وأبصرت مياهه وشبابيكه وأنابيبه المتخذ بعضها من فضة مطلية بالذهب وغير مطلية وبعضها على هيئة طائر اذا خرج منها الماء صوّت باصوات طيبة ومنها أحواض رخام بديعة الصنعة والمياه تخرج من سائر الانابيب الى الاحواض ومن الاحواض الى بركة حسنة الاتقان ثم منها الى البستان ثم أراني نحو عشر خلوات كل خلوة منها صنعتها أحسن من صنعة اختها ثم انتهى بي الى خلوة عليها باب مقفل بقفل حديد ففتحه ودخل بي الى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الأبيض الساذج وفي صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب أربعة أنفس اذا كانوا قعودا وتسع اثنين اذا كانوا نياما ورأيت من العجائب في هذه الخلوة أن حيطانها الاربعة مصقولة صقالا لا فرق بينه وبين صقال المرآة يرى الانسان سائر بشرته في اى حائط شاء منها ورأيت ارضها مصورة بفصوص حمر وصفر وخضر ومذهبة وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضه اصفر وبعضه احمر فاما الاخضر فيقال انه حجارة تاتي من الروم واما المذهب فزجاج ملبس بالذهب وتلك الصور في غاية الحسن والجمال على هيئات مختلفة في اللون وغيره وهي ما بين فاعل ومفعول به اذا نظر المرء اليها تحركت شهوته وقال لي الخادم السائس هذا صنع على هذه الصفة لمخدومي حتى انه اذا نظر الى ما يفعل هؤلاء بعضهم مع بعض من المجامعة والتقبيل ووضع ايدي بعضهم على اعجاز بعض تتحرك شهوته سريعا فيبادر الى مجامعة من يحبه قال الحاكي وهذه الخلوة دون سائر الخلوات التي دخلت اليها مخصوصة بهذا الفعل اذا اراد الملك شرف الدين هرون الاجتماع في الحمام بمن يهواه من الجواري الحسان والصور الجميلة والنساء الفائقات الحسن لم يجتمع به الا في هذه الخلوة من اجل انه يرى كل محاسن الصور الجميلة مصورة في الحائط ومجسمة بين يديه ويرى كل منهما صاحبه على هذه الصفة ورأيت في صدر الخلوة حوض رخام مضلع وعليه انبوب مركب في صدره وأنبوب آخر برسم الماء البارد والانبوب الاول برسم الماء الفاتر وعن يمنة الحوض ويساره عمدان صغار منحوتة من البلور يوضع عليهما باخر الند والعود وابصرت منها خلوة شديدة الضياء مفرحة بديعة قد أنفق عليها اموال كثيرة وسالت الخادم عن تلك الحيطان المشرقة المضيئة من اى شئ صنعت فقال لي ما اعلم قال الحاكي فما رأيت في عمري ولا سمعت بمثل تلك الخلوة ولا باحسن من ذلك الحمام مع أني ما أحسن ان اصفهما كما رأيتهما فانه لم تتكرر رؤيتي لهما ولا اتفق لي الظفر بصناعتهما ومباشرتهما وفي الذي ذكرت كفاية انتهى واما اتصل أبو القاسم علي بن أفلح البغدادي الكاتب بامير المؤمنين المسترشد بالله العباسي ولقبه جمال الملك وأعطاه أربع ديار في درب الشاكرية اشترى دورا أخرى الى جانبها وهدم الكل وأنشأ داره الكبيرة وأعانه الخليفة في بنائها وأطلق له أموالا وآلات البناء وكان في جملة ما أطلق له مائتا ألف آجرة وأجريت الدار بالذهب وصنع فيها الحمام العجيب الذي فيه بيت مستراح فيه أنبوب ان فركه الانسان يمينا خرج ماء حار وان فركه شمالا خرج ماء باردا وكان على ايوان الدار مكتوبا

ومعه ألف عبد دون ما كان معه من عشيرته وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحلي فلما شاهد من أبي بكر ما وصفنا ألقى ما كان عليه وتزيا بزيه حتى انه رؤي يوما في سوق من اسواق المدينة على كتفيه جلد شاة ففزعت عشيرته وقالوا له فضحتنا بين المهاجرين والانصار قال فاردتم ان اكون ملكا جبارا في الجاهلية جبارا في الاسلام لا ها الله لا تكون طاعة الرب الا بالتواضع لله والزهد في هذه الدنيا وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر وتذللوا بعد التجبر (وبلغ) ابا بكر رضي الله عنه عن ابي سفيان صخر بن حرب امر فأحضره واقبل يصيح عليه وابو سفيان يتملقه ويتذلل له وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبي بكر فقال لقائده على من يصيح ابني فقال له على أبي سفيان فدنا من أبي بكر وقال له أعلى أبي سفيان ترفع صوتك يا عتيق لقد تعديت طورك وجزت مقدارك فتبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والانصار وقال له يا أبت ان الله قد رفع بالاسلام قوما وأذل به آخرين (ولم يتقلد) الخلافة وابوه باق غير أبي بكر (وام ابي بكر) سلمى وتكنى ام الخير بنت صخر بن عمر بن عامر بن كعب بن اسعد بن تيم بن مرة (وارتدت العرب) بعد استخلافه بعشرة ايام (وكان له) من الولد

ان عجب الرائين من ظاهري * فباطني لو علموا أعجب
شيدني من كفه مزنة * يهمل منها العارض الصيب
ودبجت روضة أخلاقه * فى رياضا نورها مذهب
صدر كساصدري من نوره * شمسا على الايام لاتغرب

وكتب على الطرز

ومن المروءة للفتى * ماعاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره
هاتيك وافية بما * وعدت وهذي ساخره

وكتب على النادي

وناد كائن جنان الخلود * أعارته من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزما * ن أن لاتسلم به موثقا
فأضحى يتيه على كل ما * بنى مغربا كان أومشرقا
تظل الوفود به عكفا * وتمسي الضيوف به طرقا
بقيت له ياجمال العلو * لؤ والفضل مهما أردت البقا
وسالمه فيك ريب الزمان * ووقيت فيه الذي يتقى

انتهى

وعلى ذكر الحمام فما أحكم قول ابن الوردي فيما أظن

وما أشبه الحمام بالموت لامرئ * تذكر لكن أين من يتذكر
يجرد عن أهل ومال وملبس * ويصحبه من كل ذلك مئزر

وقال الشهاب بن فضل الله

وحمامكم كعبة للوفود * تحج اليه حفاة عراه
يكرر صوت أنابيبه * كتاب الطهارة باب المياه

وقد تمثل بهذين البيتين البرهان القيراطي فى جواب كتاب استدعاه فيه بعض أهل عصره الى الحمام وافتتح الجواب بقوله

قد أجبنا وأنت أيضا فصحبت بصبحى سوالف وسلاف
وبساق يسبي العقول بساق * وقوام وفى العناق خلافى

ووصله بنثر تمثل فيه بالبيتين كما مر ولبعضهم

ان حمامنا الذي نحن فيه * أى ماء به وأية نار
قد نزلنا به على ابن معين * ورويناعنه صحيح البخاري

وألغز بعضهم فى الحمام بقوله

ومنزل أقوام اذاماتقابلوا * تشابه فيه وغده ورئيسه
ينفس كربى اذ ينفس كربه * ويعظم أنسي اذ يقل أنيسه
اذاما أعرت الجو طرفا تكاثرت * على من به أقماره وشموسه

(رجع) الى ما كنافيه من كلام أهل الاندلس فنقول وكان محمد بن خلف بن موسى البيري متكلما

الى خلافة أبى بكر ومات فى خلافته وخلف سبعة دنانير فاستكثرها أبوبكر ولاعقب لعبدالله وأما عبدالرحمن ابن أبى بكر فانه شهد مع المشركين ثم أسلم فحسن اسلامه ولعبدالرحمن أخبار وله عقب كثير بدو وحضر من ناحية الحجاز ممايلي الجادة من طريق العراق فى الموضع المعروف بالضفيسان والمسح ومحمد ابن أبى بكر أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ومنها عقب جعفر بن أبى طالب وخلف عليها حين استشهد عبدالله وعونا ومحمدا بنى جعفر فقتل عون ومحمد ابنا جعفر بالطف مع الحسين ابن على ولاعقب لهما وعقب عبدالله بن جعفر على واسمعيل واسحق ومعاوية وتزوجها بعده أبو بكر الصديق فخلف منها محمدا ثم تزوجها على بن أبى طالب فولدها أولادا درجوا ولاعقب له منها وأم أسماء العجوز الحرشية كان لها أربع بنات وهذه العجوز أكثر الناس أصهارا كانت ميمونة الهلالية تحت النبى صلى الله عليه وسلم وأم الفضل تحت العباس بن عبدالمطلب وسلمى تحت حمزة بن عبدالمطلب وخلف منها بنتا وأسماء تحت من ذكرنا وأم جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب فروة بنت القاسم

متكلما متحققا برأى الاشعرية وذا كر الكتب الاصول فى الاعتقاد مشاركا فى الادب مقدما فى الطب ومن نظمه يمدح امام الحرمين رحمه الله تعالى

حب حبر يكنى أبا المعالى * هو دينى ففيه لا تعذلونى
أنا والله مغرم بهواه * عللونى بذكره عللونى

وكتب أبو الوليد بن الجنان الشاطبى يستدعى بعض اخوانه الى مجلس أنس بما صورته نحن فى مجلس أغصانه الندامى وغمامه الصهبا فبالله الا ما كنت لروض مجلسنا نسيما ولزهر حديثنا شميما وللجسم روحا وللطيب ريحا وبيننا عذراء زجاجتها خدرها وحبابها ثغرها بل شقيقة حوتها كمامة أو شمس حجبتها غمامة اذا طاف بها معصم الساقى فوردة على غصنها أو شربها مقهقهة فحمامة على فننها طافت علينا طوفان القمر على منازل الحلول فانت وحياتك اكليلنا وقد آن حلولها فى الاكليل انتهى وقال أبو الوليد المذكور

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحى * بعدما سال يجفف

وتذكرت هنا بذكر الورد ما حكاه الشيخ ابو البركات هبة الله بن محمد النصيبى المعروف بالوكيل وكان شيخا ظريفا فيه آداب كثيرة اذ قال كنت فى زمن الربيع والورد فى دارى بنصيبين وقد احضر من بستانى من الورد والياسمين شئ كثير وعملت على سبيل الولع دائرة من الورد تقابلها دائرة من الياسمين فاتفق أن دخل على شاعران كانا بنصيبين احدهما يعرف بالمهذب والآخر يعرف بالحسن بن البرقعيدى فقلت لهما اعملا فى هاتين الدائرتين ففكرا ساعة ثم قال المهذب

ياحسنها دائرة * من ياسمين مشرق
والورد قد قابلها * فى حلة من شفق
كعاشق وحبه * تغامزا بالحدق
فاحمر ذا من خجل * واصفر ذا من فرق

قال فقلت للحسن هات فقال سبقنى المهذب الى ملحته فى هذا المعنى وهو قولى

ياحسنها دائرة * من ياسمين كالحلى
والورد قد قابلها * فى حلة من خجل
كعاشق وحبه * تغامزا بالمقل
فاحمر ذا من خجل * واصفر ذا من وجل

قال فعجبت من اتفاقهما فى سرعة الاتحاد والمبادرة الى حكاية الحال انتهى وما ألطف قول بعضهم

أرى الورد عند الصبح قد مد لى فا * يشير الى التقبيل فى حالة اللمس
وبعد زوال الشمس ألقاه وجنة * وقد أثرت فى وسطها قبلة الشمس

وقال ابن ظافر فى بدائع البدائه اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والاديب أبو العباس بن صارة الاندلسيان فى يوم جلا ذهب برقه واذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس

ابن محمد بن أبي بكر وكان محمد بن ابى بكر يدعى عابد قريش لنسكه وزهده وربّاه على بن ابى طالب وسنذكر خبره فيما يرد من هذا الكتاب ومقتله فى ايام معاوية بن ابى سفيان (ومات ابو قحافة) فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو ابن تسع وتسعين سنة وذلك فى سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهى السنة التى استخلف فيها عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وقد قيل انه مات فى سنة اربع عشرة (ولما بويع) ابو بكر فى يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج على فقال أفسدت علينا امورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقا فقال ابو بكر بلى ولكن خشيت الفتنة وكان للمهاجرين والانصار يوم السقيفة خطب طويل ومحادثة فى الامامة وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع فصار الى الشأم فقتل هناك فى سنة خمس عشرة وليس كتابنا هذا موضعا لخبر مقتله ولم يبايعه احد من بنى هاشم حتى ماتت فاطمة رضى الله تعالى عنها ولما ارتدت العرب الا اهل المسجدين ومن بينهما واناسا من العرب قدم عدى ابن حاتم باهل الصدقة الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه ففى ذلك يقول الحرث ابن مالك الطائى وفينا وفاء لم ير الناس مثله * وسربلنا مجدا عدى بن حاتم وكان ابو بكر رضى الله عنه قد سمته اليهود

السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فقال ابن القبطرنة

هذى البسيطة كاعب أبرادها * حلل الربيع وحليها النوّار

فقال ابن صارة

وكأن هذا الجوّ فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

ثم قال ابن صارة أيضا

واذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

فقال ابن القبطرنة

من أجل ذلة ذا وعزة هذه * يبكى الغمام وتضحك الازهار

وتذكرت هنا ما حكاه ابن ظافر فى الكتاب المذكور انه اجتمع مع القاضى الاعز يوما فقال له ابن ظافر أجز طار نسيم الروض من وكر الزهر فقال الاعز وجاء مبلول الجناح بالمطر انتهى ويعجبنى قول ابن قرناص

أظن نسيم الروض والزهر قد روى * حديثا ففاحت من شذاه المسالك

وقال دنا فصل الربيع فكله * ثغور لما قال النسيم ضواحك

(رجع) الى الاندلسيين وما أرق قول ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح

زرتها والغمام يجلد منها * زهرات تفوق لون الراح

قلت ما ذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال أبو اسحق بن خفاجة

تعلقته نشوان من خمر ريقه * له رشفها دونى ولى دونه السكر

ترقرق ماء مقلتاى ووجهه * ويذكى على قلبى ووجنته الجمر

أرق نسيبى فيه رقة حسنه * فلم أدر أى قبلها منهما السحر

وطبنا معا شعرا وثغرا كانما * له منطقى ثغر ولى ثغره شعر

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز

وقائلة ما بال مثلك خاملا * أأنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز

فقلت لها ذنبى الى القوم أننى * لما لم يحوزوه من المجد حائز

وما فاتنى شئ سوى الحظ وحده * وأما المعالى فهى عندى غرائز

وقال

جد بقلبى وعبث * ثم مضى وما اكترث

واحربا من شادن * فى عقد الصبر نفث

يقتل من شاء بعينيه ومن شاء بعث

وقال الفاضل البليغ يحيى بن هذيل أحد أعيان شعراء الاندلس

نام طفل النبت فى حجر النعامى * لاهتزاز الطل فى مهد الخزامى

وسقى الوسمى أغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الندامى

كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما

عشر يوما ولما احتضر قال ما انا الا على ثلاث فعلتها وددت انى تركتها وثلاث تركتها وددت أنى فعلتها وثلاث وددت انى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فاما الثلاث التى فعلتها وددت أنى تركتها فوددت انى لم أكن فتشت بيت فاطمة وذكر فى ذلك كلاما كثيرا ووددت انى لم أكن حرقت الفجاءة وأطلقته نجيحا أو قتلته صريحا ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة قد رميت الامر فى عنق أحد الرجلين فكان أميرا وكنت وزيرا والثلاث التى تركتها وددت أنى فعلتها وددت أنى يوم أتيت بالاشعث بن قيس أسيرا ضربت عنقه فانه قد خيل لى أنه لا يرى شرا الا أعانه ووددت أنى كنت قد قذفت المشرق بعمر ابن الخطاب فكنت قد بسطت يمينى وشمالى فى سبيل الله ووددت أنى يوم جهزت جيش الردة ورجعت أقمت مكانى فان سلم المسلمون سلموا وان كان غير ذلك كنت صدرا للقاء أو مددا وكان أبو بكر قد بلغ مع الجيش مرحلة من المدينة وهو الموضع المعروف بذى القصة والثلاث التى وددت أنى سألت رسول الله صلى الله ... تحسب

تحسب البدر محيا غ-ل * قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤوس قد غدت * مسكة الليل عليهن ختاما

وتذكرت هنا قول الآخر وأظنه مشرقيا

بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الري يا دار أماما
وتمشت فيك أرواح الصبا * يتأرجن بانفاس الخزامى
قد قضى حفظ الهوى أن تصبحي * للمحبين مناخا ومقاما
وبجرعاء الحمى قلبي فعج * بالحمى واقرأ على قلبي السلاما
وترحل فتحدث عجبا * أن قلبا سار عن جسم أقاما
قل لجيران الغضى آها على * طيب عيش بالغضى لو كان داما
حملوا ريح الصبا من نشركم * قبل أن تحمل شيحا وثماما
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى * ان أذنتم لجفوني أن تناما

وخرج بعض علماء الاندلس من قرطبة الى طليطلة فاجتاز بحر برين عكاشة الشجاع المشهور الذي ذكرنا في هذا الباب ما يدل على شجاعته وقوته وأيده بقلعة رباح فنزل بخارجها في بعض جنباتها وكتب اليه

يا فريدا دون ثان * وهلالا في العيان
عدم الراح فصارت * مثل دهن البيلسان

فبعث اليه بها وكتب معها

جاء من شعرك روض * جاده صوب اللسان
فبعثناها سلافا * كسجاياك الحسان

وقال الوزير أبو عامر بن شهيد يتغزل

أصباح شيم أم برق بدا * أم سنى المحبوب أوري ازندا
هب من مرقده منكسرا * مسبلا للكم مرخي الردا
يمسح النعسة من عيني رشا * صائد في كل يوم أسدا
أوردته لطفا آياته * صفوة للعيش أرعته ددا
فهو من دل عراه زبدة * من مريج لم تخالط زبدا
قلت هب لي يا حبيبي قبلة * تشف من عمك تبريح الصدى
فانثنى يهتز من منكبه * مائلا لطفا وأعطاني اليدا
كلما كلمني قبلته * فهو اما قال قولا رددا
كاد أن يرجع من لثمي له * وارتشاف الثغر منه أزردا
واذا استنجزت يوما وعده * أمطل الوعد وقال أصبر غدا
شربت أعطافه ماء الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
فاذا بت به في روضة * أغيد يغزو بنانا أغيدا
قام في الليل بجيد أتلع * ينفض اللمة من دمع الندى

سالته هل للانصار في هذا نصيب فنعطيهم اياه وخلف من البنات اسماء ذات النطاقين وهي أم عبد الله بن الزبير وعمرت مائة سنة حتى عميت وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم (وقد تنوزع في بيعة علي) بن ابي طالب اياه فنهم من قال بايعه بعد موت فاطمة بعشرة ايام وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيف وسبعين يوما وقيل بثلاثة اشهر وقيل ستة وقيل غير ذلك ولما انفذ ابو بكر الامر الى الشام كان فيما وصى به يزيد بن ابي سفيان وهو مشيع له فقال له اذا قدمت على أهل عملك فعدهم الخير وما بعده واذا وعدت فانجز ولا تكثرن عليهم الكلام فان بعضه ينسي بعضا وأصلح نفسك تصلح الناس لك واذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم فانه اول خيرك اليهم وأقلل جلسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون عما عندك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن انت الذي تلي كلامهم ولا تجعل سرك مع علانيتك فيخرج عملك واذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك واذا بلغك عن العدو عورة فاكتمها حتى تعاينها

واستوف عسكرك وأدن حرسك وأكثر مفاجأتهم في ليلك ونهارك واصدق اللقاء اذا لقيت ولا تجبن فيجبن

ومكان عازب عن جيرة * أصدقاء وهم عين العدا
ذي نبات طيب أعراقه * كعذار الشعر في خد بدا
تحسب الهضبة منه جبلا * وحدور الماء منه أبردا

وقال يرثي القاضي ابن ذكوان نجيب ذلك الاوان وقد افتن في الآداب وسن فيها سنة ابن داب وما فارق ربع الشباب شرخه ولا استعبد في الكهولة عفاره ولا مرخه وكان لأبي عامر هذا قسيم نفسه ونسيم أنسه

ظننا الذي نادى محقا بموته * لعظم الذي أنحى من الرزء كاذبا
وخلنا الصباح الطلق ليلا وانتنا * هبطنا خداريا من الحزن كاربا
ثكلنا الدنا لما استقل وانما * فقدناك يا خير البرية ناعبا
وما ذهبت اذ حل في القبر نفسه * ولكنما الاسلام أدبر ذاهبا
ولما أبى الا التحمل رائما * منحناه أعناق الكرام ركائبا
يسير به النعش الاعز وحوله * أباعد كانوا للمصاب أقاربا
عليه حفيف للملائك أقبلت * تصافح شيخا ذاكر الله تائبا
تخال لفيف الناس حول ضريحه * خليطا تخلى في الشريعة هاربا
اذا ما امتروا سحب الدموع تفرعت * فروع البكا عن بارق الحزن لاهبا
فمن ذا الفصل القول يسطع نوره * اذا نحن ناوينا الالد المناوبا
ومن ذا ربيع المسلمين يقوتهم * اذا الناس شاموها بروقا كواذبا
فيا لهف قلبي آه ذابت حشاشتي * مضى شيخنا الدفاع عنا النوائبا
ومات الذي غاب السرور لموته * فليس وان طال السرى منه آيبا
وكان عظيما يطرق الجمع عنده * ويعنو له رب الكتيبة هائبا
وذا مقول عضب الغرارين صارم * يروح به عن حومة الدين ضاربا
أباحاتم صبرا الاديم فانني * رأيت جميل الصبر أحلى عواقبا
وما زلت فينا ترهب الدهر سطوة * وصعبا به نعيي الخطوب المصاعبا
ساستعتب الايام فيك لعلها * لصحة ذاك الجسم تطلب طالبا
لئن أفلت شمس المكارم عنكم * لقد أسأرت بدر الها وكواكبا

قال في المطمح ودبت الى أبي عامر بن شهيد أيام العلويين عقارب برئت بها منه أباعد وأقارب واجهه بها صرف قطوب وانبرت اليه منها خطوب نبا لها جفنه عن المضجع وبقي بها الليالي يأرق ولا يهجع الى أن أعلقت في الاعتقال آماله وعقلته في عقال أذهب ماله فأقام مرتهنا واتقى وهنا وقال

قريب بمحتل الهوان مجيد * يجود ويشكو حزنه فيجيد
صبره عند الامام فماله * عد ولابناء الكرام حسود
وما ضره الا مزاح ورقة * ثنته سفيه الذكر وهو رشيد
جنى ما جنى في قبة الملك غيره * وطوق منه بالعظيمة جيد

من سوالك (وقد اعرضنا) عن ذكر كثير من الاخبار في هذا الكتاب طلبا للاختصار والايجاز (منها) خبر العنسي الكذاب المعروف بلهيعة وما كان من خبره باليمن وصنعاء وتنبيه ومقتله وما كان من فيروز وغيره من الابناء في امرهم وخبر طليحة وتنبيه وخبر سجاح بنت الحرث بن سويد وقيل بنت غطفان وتكنى ام صادرة وهي التي يقول فيها قيس بن عاصم

اضحت نبيتنا انثى نطيف بها
واصبحت انبياء الناس ذكرانا

(وفيها يقول الشاعر)

اضل الله سعي بني تميم
كما ضلت بخطبتها سجاح

وقد كانت مع ادعائها النبوة مكذبة بنبوة مسيلمة الكذاب ثم آمنت بنبوته وكانت قبل ادعائها النبوة متكهنة تزعم ان سبيلها سبيل سطيح والمأمون الحارثي وعمرو بن يحيي وغيرهم من الكهان وصارت الى مسيلمة فنكحها وما كان من خبر مسيلمة كذاب اليمامة وحربه لخالد بن الوليد وقتل وحشي له مع رجل من الانصار وذلك في سنة احدى عشرة وما كان من امره مع الانصار في يوم سقيفة بني ساعدة والمهاجرين

وما

وما فى الا الشعر أثبته الهوى * فسار به فى العالمين مريد
أفوه بما لم آته متعرضا * لحسن المعانى تارة فازيد
فان طال ذكرى بالمجون فانها * عظائم لم يصبر لهن جليد
وهل كنت فى العشاق أول عاقل * هوت بحجاه أعين وخدود
فراق وشجو واشتياق وذلة * وجبار حفاظ على عتيد
فمن يبلغ الفتيان أنى بعدهم * مقيم بدار الظالمين وحيد
مقيم بدار ساكنوها من الاذى * قيام على جمر الحمام قعود
ويسمع للحيات فى جنباتها * بسيط كترجيع الصبا ونشيد
ولست بذى قيدين وانما * على اللحظ من سخط الامام قيود
وقلت لصداح الحمام وقد بكى * على القصر الفا والدموع تجود
ألا أيها الباكى على من تحبه * كلانا معنى بالخلاء فريد
وهل أنت دان من محب نأى به * عن الالف سلطان عليه شديد
فصفق من ريش الجناحين واقفا * على القرب حتى ما عليه مزيد
ومازال يبكينى وأبكيه جاهدا * وللشوق من دون الضلوع وقود
الى أن بكى الجذلان من طول شجونا * وأجهش باب جانباه حديد
أطاعت أمير المؤمنين كتائب * تصرف فى الاموال كيف تريد
فللشمس عنها بالنهار تأخر * وللبدر عنها بالظلام صدود
الا انما الايام تلعب بالفتى * نحوس تهادى تارة وسعود
وما كنت ذا أيد فاذعن ذا قوى * من الدهر مبدى صرفه ومعيد
وراضت صعابى سطوة علوية * لها بارق نحو الندى ورعود
تقول التى من بيتها كف مركبى * أقربك دان أم مداك بعيد
فقلت لها أمرى الى من سمت به * الى المجد آباء له وجدود

ثم قال ولزمته آخر عمره علة دامت به سنين ولم تفارقه حتى تركته يدجنين وأحسب أن الله أراد بها تمحيصه واطلاقه من ذنب كان قنيصه فطهره تطهيرا وجعل ذلك على الغفول ظهيرا فانها اقعدته حتى حمل فى المحفة وعاودته حتى غدت لرونقه مشتفة وعلى ذلك فلم يعطل لسانه ولم يمطل احسانه ولم يزل يستريح الى القول ويزيح ما كان يجده من الغول وآخر شعر قاله قوله

ولما رأيت العيش لوى برأسه * وأيقنت أن الموت لاشك لاحقى
تمنيت أنى ساكن فى عباءة * باعلى مهب الريح فى رأس شاهق
أرد سقيط الطل فى فضل عيشتى * وحيدا وأحسو الماء ثنى المعالق
خليلى من رام المنية مرة * فقد رمتها خمسين قولة صادق
كانى وقد حان ارتحالى لم أفز * قديما من الدنيا بلمحة بارق
فمن مبلغ عنى ابن حزم وكان لى * يدا فى ملماتى وعند مضايقى

وقول المنذر بن الحباب أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أما والله ان شئتم لنعيدنها جذعة وقصة سعد بن عبادة وما كان من بشر بن سعد وتخلى الاوس عن معاضدة سعد خوفا أن يفوز بها الخزرج وأخبار من قعد عن البيعة ومن بايع وماقالت بنو هاشم وما كان من قصة فدك وماقاله أصحاب النص والاخبار فى الامامة وماقالوه فى امامة المفضول وغيره وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حين عدلت الى قبر أبيها عليه السلام من قبر صفية بنت عبد المطلب

قد كان بعدك أنباء وهنبثة * لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

الى آخر الشعر الى غير ذلك مما تركنا ذكره من الاخبار فى هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن ذكره ههنا والله أعلم

(ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه)

وبويع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما أن دخلت سنة ثلاث وعشرين خرج حاجا فاقام الحج فى تلك السنة ثم أقبل حتى دخل المدينة فقتله فيروز أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين فكانت ولايته

عليك سلام الله اني مفارق * وحسبك زادا من حبيب مفارق
فلا تنس تأبيني اذا ما ذكرتني * وتذكار أيامي وفضل خلائقي
وحرك له بالله مهما ذكرتني * اذا غيبوني كل سهم غرانق
عسى هامتي في القبر تسمع بعضه * بترجيع شاد او بتطريب طارق
فلي في ادكاري بعد موتي راحة * فلا تمنعوها لي علالة زاهق
واني لأرجو الله فيما تقدمت * ذنوبي به مما درى من حقائق

وكان أبو عمرو ان عبد الملك بن حصن مستوليا على وزارة ابن عبدة ولسانه ينشد

وشيدت مجدي بين أهلي ولم أقل * ألا ليت قومي يعلمون صنيعي

وهجا ابن ذي النون بقوله

تلقبت بالمأمون ظلما وانني * لآمن كلبا حيث لست مؤمنه
حرام عليه أن يجود ببشره * وأما الندى فاندب هنالك مدفنه
سطور المخازي دون أبواب قصره * بحجابه للقاصدين معنونه

فلما تمكن منه المأمون سجنه فكتب الى ابن هود من أبيات

أبا راكب الوجناء بلغ تحية * أمير جذام من أسير مقيد
ولما دهتني الحادثات ولم أجد * لها وزرا أقبلت نحوك أعتدى
ومثلك من يعدى على كل حادث * رمى بسهام للردى لم ترصد
فعلك أن تخلو بفكرك ساعة * لتنقذني من طول هم مجدد
وها أنا في بطن الثرى وهو حامل * فيسر على رقبي الشفاعة مولدي
حنانيك ألفا بعد ألف فانني * جعلتك بعد الله أعظم مقصدي
وأنت الذي يدري اذا رام حاجة * تنزل بها الآراء من حيث يهتدي

فرق له ابن هود وتحيل حتى خلصه بشفاعته فلما قدم عليه أنشده

حياتي موهوبة من علاكا * وكيف أرى عادلا عن ذراكا
ولو لم يكن لك من نعمة * علي وأصبحت أبغي سواكا
لناديت في الارض هل مسعف * مجيب فلم يصغ الا نداكا

فطرب ابن هود وخلع عليه ثوب وزارته وجعله من أعلام سلطنته وامارته وقال المنصور ابن أبي عامر للشاعر المشهور أبي عمر يوسف الرمادي كيف ترى حالك معي فقال فوق قدري ودون قدرك فاطرق المنصور كالغضبان فانسل الرمادي وخرج وقد ندم على ما بدر منه وجعل يقول أخطأت لا والله ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحق ما كان ضرني لو قلت له اني بلغت السماء وتمنطقت بالجوزاء وأنشد

متى يأت هذا الموت لا يلف حاجة * لنفسي الا قد قضيت قضاها

لا حول ولا قوة الا بالله ولما خرج كان في المجلس من يحسده على مكانه من المنصور فوجد فرصة فقال وصل الله لمولانا الظفر والسعد ان هذا الصنف صنف زور وهذيان لا يشكرون نعمة ولا يرعون الا ولا ذمة كلاب من غلب وأصحاب من أخصب وأعداء من اجدب

عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال وقتل في صلاة الصبح وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان قبورهم مسطرة ابو بكر الى جنب النبي صلى الله عليه وسلم وعمر الى جنب أبي بكر وحج في خلافته تسع حجج وبعد أن قتل صلى بالناس عبد الرحمن بن عوف وجعلها شورى الى ستة وهم علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن ابن عوف وصلى عليه صهيب الرومي وكانت الشورى بعد ثلاثة أيام

(ونذكر نسبه ولمعا من أخباره وسيره)

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط ابن رياح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب وفي كعب يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانت سوداء وانما سمي الفاروق لانه فرق بين الحق والباطل وكنيته أبو حفص وهو أول من سمي بامير المؤمنين سماه عدي ابن حاتم وقيل غيره والله أعلم وكان أول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة وأول من دعاه بهذا الاسم على المنبر أبو موسى الاشعري فلما قرئ ذلك على عمر قال اني لعبد الله واني لأمير المؤمنين الحمد لله رب العالمين وكان متواضعا خشن

وحسبك منهم ان الله جل جلاله يقول فيهم والشعراء يتبعهم الغاوون الى مالا يفعلون والابتعاد منهم أولى من الاقتراب وقد قيل فيهم ماظنك بقوم الصدق يستحسن الامنهم فرفع المنصور رأسه وكان محامى أهل الادب والشعر وقد اسود وجهه وظهر فيه الغضب المفرط ثم قال مابال أقوام يشيرون فى شئ لم يستشاروا فيه ويسيئون الادب بالحكم فيمالا يدرون ارضى ام يسخط وأنت أيها المنبعث للشر دون ان يبعث قد علمنا غرضك فى اهل الادب والشعر عامة وحسدك لهم لان الناس كما قال القائل

من رأى الناس له فضلا عليهم حسدوه

وعرفنا غرضك فى هذا الرجل خاصة ولسنا ان شاء الله تعالى نبلغ احدا غرضه فى احد ولو بلغنا كم بلغنا فى جانبكم وانك ضربت فى حديد بارد واخطات وجه الصواب فزدت بذلك احتقارا وصغارا وانى ماطرقت من كلام الرمادى انكارا عليه بل رأيت كلاما يجل عن الاقدار الجليلة وتعجبت من تهديه له بسرعة واستنباطه له على قلة من الاحسان الغامر مالا يستنبطه غيره بالكثير والله لوحكمته فى بيوت الاموال لرأيت انها لاترجح ما تكلم به قلبه ذرة وايا كم ان يعود احد منكم الى الكلام فى شخص قبل ان يؤخذ معه فيه ولا تحكم واعلمنا فى اوليائنا ولو ابصر تم منا التغير عليهم فاننا لا نتغير عليهم بغضا لهم وانحرافا عنهم بل تاديبا وانكارا فاناان نريد ابعاده لم نظهر له التغير بل ننبذه مرة واحدة فان التغير انما يكون لمن يراد استبقاؤه ولو كنت مائل السمع لكل احد منكم فى صاحبه لتفرقتم ايدى سبا وجونبت انا مجانبة الاجرب وانى قد اطلعتكم على مافى ضميرى فلا تعدلوا عن مرضاتى فتعثبوا واسخطى بما جنيتموه على انفسكم ثم امر أن يرد الرمادى وقال له أعد على كلامك فارتاع فقال الامر على خلاف ماقدرت الثواب أولى بكلامك من العقاب فسكن لتانيسه واعاد ما تكلم به فقال المنصور بلغنا ان النعمان بن المنذر حشا فم النابغة بالدر لكلام استملحه منه وقد امرنا لك بما لا يقصر عن ذلك ماهو انوه واحسن عائدة وكتب له بمال وخلع وموضع يتعيش منه ثم ردر أسه الى المتكلم فى شان الرمادى وقد كاد يغوص فى الارض لوجد لشدة ماحل به مما رأى وسمع وقال والعجب من قوم يقولون الابتعاد من الشعراء أولى من الاقتراب نعم ذلك لمن ليس له مفاخر يريد تخليدها ولا أياد يرغب فى نشرها فاين الذين قيل فيهم

على مكثريهم رزق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

وأين الذى قيل فيه

انما الدنيا أبو دلف * بين مبداه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

أما كان فى الجاهلية والاسلام أكرم ممن قيل فيه هذا القول بلى ولكن صحبة الشعراء والاحسان اليهم أحيت غابر ذكرهم وخصتهم بمفاخر عصرهم وغيرهم لم تخلد الامداح ماثرهم فدثر ذكرهم ودرس فخرهم انتهى * ومن حكاياتهم فى العدل انه لما بنى المعتصم بن صمادح ملك المرية قصوره المعروفة بالصمادحية غصبوا أحد الصالحين فى جنة

يلبس الجبة الصوف المرقعة بالاديم ويشتمل بالعباءة ويحمل القربة على كتفه مع هيبة قد رزقها وكان أكثر ركابه الابل ورحله مشدودة بالليف وكذلك عماله مع مافتح الله عليه من البلاد وأوسعهم من الاموال (وكان من عماله) سعد ابن عامر بن خريم فشكاه أهل حمص اليه وسألوه عزله فقال عمر اللهم لاتفل فراستى فيهم ماذا تشكون منه قالوا لايخرج الينا حتى يرتفع النهار ولايجيب احدا بليل وله يوم فى الشهر لايخرج الينا وقال عمر على به فلما جمع بينهم و بينه فقال ماتنقمون منه قالوا لايخرج الينا حتى يرتفع النهار فقال ماتقول ياسعد قال ياأمير المؤمنين انه ليس لاهلى خادم فاعجن عجينى ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ وأخرج اليهم قال وماذا تنقمون منه قالوا لايجيب بليل قال قد كنت أكره أن أذكر هذا انى جعلت الليل كله لربى وجعلت النهار لهم قال وماذا تنقمون منه قالوا له يوم فى الشهر لايخرج الينا قال نعم ليس لى خادم فاغسل ثوبى ثم أجففه فامسى فقال عمر الحمد لله الذى لم يفل فراستى فيكم يا أهل حمص فاستوصوا به خيرا

وألحقوها بالصمادحية وزعم ذلك الصالح انها لايتام من أقارب فبينا المعتصم يوما يشرب على الساقية الداخلة الى الصمادحية اذ وقعت عينه على انبوب قصبة مشمع فأمر من يأتيه به فلما أزال عنه الشمع وجد فيه ورقة فيها اذا وقفت أيها الغاصب على هذه الورقة فاذكر قوله تعالى ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب لا اله الا الله أنت ملك قد وسع الله تعالى عليك ومكن لك في الارض ويحملك الحرص على ما ينبغي أن تضم الى جنتك الواسعة العظيمة قطعة أرض لأيتام حرمت بها حلالها وخبثت طيبها ولئن تحجبت عني بسلطانك واقتدرت علي بعظم شأنك فنجتمع غدا بين يدي من لا يحجب عن حق ولا تضيع عنده شكوى فلما استوعب قراءتها دمعت عيناه وأخذته خشية خيف عليه منها وكانت عادته رحمه الله تعالى وقال علي بالمشتغلين ببناء الصمادحية فاحضروا فاستفسرهم عما زعم الرجل فلم يسعهم الا صدقه واعتذروا بان نقصها من الصمادحية يعيبها في عين الناظر فاستشاط غضبا وقال والله ان عيبها في عين الخالق أقبح من عيبها في عين المخلوق ثم أمر بان تصرف اليه واحتمل تعويرها الصمادحيته ولقد مر بعض أعيان المرية وأخيارها مع جماعة على هذا المكان الذي أخرجت منه جنة الايتام فقال أحدهم والله لقد عورت هذه القطعة هذا المنظر العجيب فقال له اسكت فوالله ان هذه القطعة طراز هذا المنظر وفخره وكان المعتصم اذا نظر اليها قال اشعرتم أن هذا المكان المعوج في عيني أحسن من سائر ما استقام من الصمادحية ثم ان وزيره ابن أرقم لم يزل يلاطف الشيخ والايتام حتى باعوها عن رضا بما اشتهوا من الثمن وذلك بعد مدة طويلة فاستقام بها بناء الصمادحية وحصل للمعتصم حسن السمعة في الناس والجزاء عند الله تعالى ولما مات المعتصم بن صمادح ركب البحر ابنه وولي عهده الواثق عز الدولة أبو محمد عبد الله وفارق الملك كما وصاه المعتصم والده وفي ذلك يقول

لك الحمد بعد الملك أصبحت خاملا * بارض اغتراب لا أمر ولا أحلي
وقد أصدأت فيها الجذاذة أغلي * كما نسيت ركض الجياد بها رجلي
فلا مسمعي يصغي لنغمة شاعر * وكفي لا تمتد يوما الى بذل

قال ابن اللبانة الشاعر ما علمت حقيقة جور الدهر حتى اجتمعت ببجاية مع عز الدولة بن المعتصم بن صمادح فاني رأيت منه خير من يجتمع به كأنه لم يخلقه الله تعالى الا للملك والرياسة واحياء الفضائل ونظرت الى همته تنم من تحت خموله كما ينم فرند السيف وكرمه من تحت الصدا مع حفظه لفنون الادب والتواريخ وحسن استماعه واسماعه ورقة طباعه ولطافة ذهنه ولقد ذكرته لاحد من صحبته من الادباء في ذلك المكان ووصفته بهذه الصفات فتشوق الى الاجتماع به ورغب الي في أن استأذنه في ذلك فلما أعلمت عز الدولة قال يا أبا بكر أنت تعلم أنا اليوم في خمول وضيق لا يتسع لنا معهما ولا يجمل بنا الاجتماع مع أحد لا سيما مع ذي ادب ونباهة يلقانا بعين الرحمة ويزورنا بمنة التفضل في زيارتنا ونكابد من ألفاظ توجعه وألحاظ تفجعه ما يجدد لنا هما قد بلي ويحيي كمدا قد فني ومالنا قدرة على ان نجود عليه بما يرضى به عن همتنا فدعنا كأننا في قبر نتدرع لسهام الدهر بدرع الصبر

قال ثم بعث اليه عمر بالف دينار وقال استعن بها فقالت له امرأته قد أغنانا الله عن خدمتك فقال لها ألا ندفعها الى من يأتينا أحوج ما كنا اليه قالت بلى فصرها صررا ثم دفعها الى من يثق به وقال انطلق بهذه الى فلان وبهذه الى يتيم بني فلان ومسكين آل فلان حتى بقي منها شيء يسير فدفعه الى امرأته وقال انفقي هذه ثم عاد الى خدمته فقالت له امرأته ألا تبعث بذلك المال فتشتري لنا منه خادما فقال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه

(ومن عماله على المدائن) سلمان الفارسي وكان يلبس الصوف ويركب الحمار ببرذعته بغير اكاف ويأكل خبز الشعير وكان ناسكا زاهدا فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن أبي وقاص يا أبا عبد الله قال نعم قال اذكر الله عند همك اذا هممت وعند لسانك اذا حكمت وعند يدك اذا قسمت فجعل سلمان يبكي فقال له يا أبا عبد الله ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في الآخرة عقبة لا يقطعها الا المخفون وأرى هذه الاساودة حولي فنظروا فلم يجدوا في البيت الا اداوة وركوة ومطهرة (وكان عامله) على الشام أبا عبيدة بن الجراح وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجافي فعذل على ذلك وقيل له

واما

وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم وامتزجت امتزاج الماء بالخمر فكأنا لم نكشف حالنا لسوانا ولا اظهرنا ما بنا لغيرنا فلا تحمل غيرك بحملك قال ابن اللبانة فلا والله سمعى بلاغة لا تصدر الا عن سداد ونفس أبية متمكنة من أعنة البيان وانصرفت متمثلا

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الاصورة اللحم والدم
وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أونقصه فى التكلم

وكتب اليه ابن اللبانة

ياذا الذى هز أمداحى بحليته * وعزه أن يهز المجد والكرما
واديك لازرع فيه اليوم تبذله * فخذ عليه لايام المنى سلما

فتحيل فى قليل بروجهه اليه وكتب اليه

المجد يخجل من يفديك من زمن * ثناك عن واجب البر الذى علما
فدونك النزر من مصف مودته * حتى يوفيك أيام المنى السلما

ومن شعر عز الدولة المذكور

افدى أبا عمرو وان كان عاتبا * فلا خير فى ود يكون بلا عتب
وما كان ذاك الود الا كبارق * أضاء لعينى ثم أظلم فى قلبى

وقال الشقندى فى الطرف ان عز الدولة أشعر من أبيه وأما أخوه رفيع الدولة الحاجب أبو زكريا يحيى بن المعتصم فله أيضا نظم رائق ومنه ما كتب به الى يحيى بن مطروح يستدعيه لانس

يا أخى بل سيدى بل سندى * فى مهمات الزمان الانكد
لح بأفق غاب عنه بدره * فى اختفاء من عيون الحسد
وتجل لحبيبى حاضر * وفى يشتاق كاسى فى يدى

فأجابه ابن مطروح وهو من أهل باغة بقوله

أنا عبد من أقل الاعبد * قبلتى وجه بأفق الاسعد
كلما اظمأنى ردفا * منهلى الابذاك المورد
ها أنا بالباب أبغى اذنكم * والظما قد مد للكاس يدى

وكان قد سلط عليه انسان مختل اذا رآه يقول هذا ألف لاشئ عليه يعنى ان ملكه ذهب عنه وبقى فارغا منه فشكا رفيع الدولة ذلك الى بعض أصحابه فقال انا أكفيك مؤنته واجتمع مع الاحمق واشترى له حلواء وقال له اذا رأيت رفيع الدولة بن المعتصم فسلم عليه وقبل يده ولا تقل هذا الف لاشئ عليه فقال نعم واشترط الوفاء بذلك الى أن لقيه فجرى نحوه وقبل يده وقال هذا هو باء بنقطة من أسفل فقامت قيامة رفيع الدولة وكان ذلك اشد عليه وكان به علة الحصا فظن أن الاحمق علم ذلك وقصده وصار كلما أحس به فى موضع تجنبه واستأذن يوما على أحد وجوه دولة المرابطين فقال أحد جلسائه تلك أمة قد خلت استحقارا له واستثقالا للاذن له فبلغ ذلك رفيع الدولة فكتب اليه

عليه فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذكر الواقدى) فى كتابه فى فتوح الامصار ان عمر قام فى المسجد فحمد الله وأثنى عليه ثم دعاهم الى الجهاد وحثهم عليه وقال انكم قد أصبحتم فى غير دار مقام بالحجاز وقد وعدكم النبى صلى الله عليه وسلم فتح بلاد كسرى وقيصر فسيروا الى ارض فارس فقام ابو عبيدة فقال يا أمير المؤمنين أنا أول من انتدب من الناس فلما انتدب ابو عبيدة انتدب الناس وقيل لعمر أمر على الناس رجلا من المهاجرين أو الانصار فقال لا أؤمر عليهم الا أول من انتدب فأمر أبا عبيدة وفى حديث آخر أنه قيل له أتؤمر رجلا من ثقيف على المهاجرين والانصار فقال كان أول من انتدب فوليته وقد أمرته أن لا يقطع أمرا دون سلمة بن أسلم بن حريس وسليط بن قيس وأعلمته أنهما من أهل بدر وخرج فلقى جمعا من العجم عليهم رجل يقال له جالينوس فانهزم وسار أبو عبيدة حتى عبر الفرات وعقد له بعض الدهاقين جسرا فلما خلف الفرات وراءه أمر بقطع الجسر فقال له سلمة بن أسلم أيها الرجل انه ليس لك علم بما نرى وأنت تخالفنا وسوف تهلك من معك من المسلمين

خلت أمتي لكن ذاتي لم تخل * وفي الفرع ما يغني اذا ذهب الاصل
وناضر كم لو قلتم قول ماجد * يكون له فيما يجيء به الفضل
وكل اناء بالذي فيه راشح * وهل يمنح الزنبور ما يمنح النحل
سأصرف وجهي عن جناب تحله * ولو لم تكن الا الآلي وجهلك السبل
فما موضع تحتله بمرفع * ولا يرتضي فيه مقال ولا فعل
وقد كنت ذا عذل لعلك ترعوي * ولكن بار باب العلا يحمل العذل

وأما أخوهما أبو جعفر بن المعتصم فله ترجمة في المسهب والمطرب والمغرب ومن شعره

كتبت وقلبي ذو اشتياق ووحشة * ولو أنه يسطيع مر يسلم
جعلت سواد العين فيه سواده * وأبيضه طرسا وأقبلت ألثم
فخيل لي أني أقبل موضعا * يصافحه ذاك البنان المسلم

وأما أختهم أم الكرم فذكرناها مع النساء فلتراجع * وقال أبو العلاء بن زهر

تمت محاسن وجهه وتكاملت * لما بدا وعليه صدغ مونق
وكذلك البدر المنير جماله * في أن تكنفه سماء أزرق

وقال أبو الفضل بن شرف

يا من حكى البيدق في شكله * أصبح يحكيك وتحكيه
أسفله أوسع أجزائه * ورأسه أصغر ما فيه

وقال ابن خفاجة

يا أيها الصب المعنى به * ها هو لا خل ولا خمر
سود ما ورد من خده * فصار فحما ذلك الجمر

وقال أبو عبد الله البياسي

صغر الرأس وطول العنق * شاهدا عدل بفرط الحمق

ولما سمعه أبو الحسن بن حريق قال

صغر الرأس وطول العنق * خلقة منكرة في الخلق
فاذا أبصرتهما من رجل * فاقض في الحين له بالحمق

وقال أبو الحسن بن الفضل يذكر مقاما قامه سهل بن مالك وابن عياش

لعمري لقد سر الخلافة قائما * بخطبته الغراء سهل بن مالك
وأما ابن عياش وقد كان مثله * فضلوا جميعا بين تلك المسالك
ومات وماتوا حسرة وحسادة * وغيظا فقلناها لك في الهوالك

وسهل بن مالك له ترجمة مطولة رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم في الوفاء وحسن الاعتذار والقيام بحق الاخاء أن الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم كان صديقا للوزير هاشم بن عبد العزيز ثابتا على مودته ولما قضى الله تعالى على هاشم بالاسر أجرى السلطان محمد بن عبد الرحمن الاموي ذكره في جماعة من خدامه والوليد حاضر فاستقصره ونسبه للطيش والعجلة والاستبداد برأيه فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير الوليد فقال أصلح الله تعالى الامير انه

بسوء سياستك ثم امر بجسر قد عقد أن يقطع فلا يجد المسلمون ملجأ من هذه الصحارى والبراري فلا تريد الا أن تهلكهم في هذه القطعة فقال أيها الرجل تقدم فقاتل فقد ترى ما ترى وقال سليط ان العرب لم تلق مثل جمع فارس قط ولا كان لهم بقتالهم فاجعل لهم ملجأ ومرجعا من هزيمة ان كانت فقال والله لا فعلت جبنت والله يا سليط فقال سليط والله ما جبنت وأنا أجرأ منك نفسا وقبيلا ولكن أشرت بالرأي فلما قطع أبو عبيدة الجسر والتحم الناس واشتد القتال نظرت العرب الى الفيلة عليها التجافيف فرأوا شيأ لم يروا مثله قط فانهزم الناس جميعا ثم مات بالفرات أكثر ممن قتل بالسيف وخالف أبو عبيدة سليطا وقد كان عمر أوصاه أن يستشيره ولا يخالفه وكان رأى سليط أن لا يعبر حتى يعبروا عليه ولا يقطع الجسر فخالفه وقال سليط في بعض قوله لولا اني أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ولكني أسمع وأطيع وان كنت قد أخطأت وأشركني عمر معك فقال له أبو عبيدة تقدم أيها الرجل فقال أفعل فتقدما فقتلا جميعا وقد كان أبو عبيدة في هذا اليوم ترجل وقد قتل من الفرس نحو ستة آلاف فدنا من الفيل ورمحه في يده فطعنه في عينه فقتل الفيل أبا عبيدة بيده وجال الناس وتراجعت رجال فارس فاخذ الناس

انه لم يكن على هاشم التخير في الامور ولا الخروج عن المقدور بل قد استعمل جهده واستفرغ نصحه وقضى حق الاقدام ولم يكن ملاك النصر بيده فخذله من وثق به ونكل عنه من كان معه فلم يزحزح قدمه عن موطن حفاظه حتى ملك مقبلا غير مدبر مبليا غير فشل فجوزي خيرا عن نفسه وسلطانه فانه لا طريق لللائم عليه وليس عليه ما جنته الحرب الغشوم وأيضا فانه ما قصد أن يجود بنفسه الا رضا للامير واجتنابا لسخطه فاذا كان ما اعتمد فيه ايضا جالب التقصير فذلك معدود في سوء الحظ فأعجب الامير كلامه وشكر له وفاءه وأقصر فيما بعد عن تفنيده آثم وسعى في تخليصه واتصل الخبر بهاشم فكتب اليه الصديق من صدقك في الشدة لا في الرخاء والاخ من ذب عنك في الغيب لا في المشهد والوفي من وفى لك اذا خانك زمان وقد تأتى من كلامك بين يدى سيدنا جعل الله تعالى نعمته سرمدا ما زادني عودتك اغتباطا وبصداقتك ارتباطا ولذلك ما كنت أشد يدى على وصلك وأخصك باخائي وأنا الآن بموضع لا أقدر فيه على جزاء غير الثناء وأنت اقدر مني على أن تزيد ما بدأت به بان تتم ما شرعت فيه حتى تتكمل لك المنة ويستوثق عقد الصداقة ان شاء الله تعالى وكتب اليه بشعر منه

أياذاكري بالغيب في محفل به * تصامت جمع عن جواب به نصري
أتتني والبيداء بيني وبينها * رقى كلمات خلصتني من الاسر
لئن قرب الله اللقاء فانني * سأجزيك مالا ينقضي غابر الدهر

فأجابه الوليد خلصك الله أيها البدر من سرارك وعجل بطلوعك في أكمل تمامك وابدارك وصلني شكرك على أن قلت بما علمت ولم أخرج عن النصح للسلطان بما زكنته من ذلك والله تعالى شاهد على أن ذلك في مجالس غير المجالس المنقول لسيدي ان خفيت عن المخلوق فما تخفى عن الخالق ما أردت بها الا أداء بعض ما اعتقده لك وكم سهرت وأنا نائم وقت في حقي وأنا قاعد والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم ذكر أبياتا لم تحضرني الآن * ومن حكاياتهم في علو الهمة في العلم والدنيا انه دخل أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة جامع غرناطة وبه نحوي حوله شباب يقرؤن فنظروا اليه وقالوا له مستهزئين به ما يحمل الفقيه وما يحسن من العلوم وما يقول فقال لهم احمل اثنى عشر الف دينار وها هي تحت ابطي وأخرج لهم اثنى عشرة ياقوتة كل واحدة منها بالف دينار وأما الذى أحسنه فاثنا عشر علما أدونها علم العربية الذى تبحثون فيه وأما الذى أقول فانتم كذا وجعل يسبهم هكذا نقلت هذه الحكاية من خط الشيخ أبي حيان النحوي رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم في الذكاء واستخراج العلوم واستنباطها أن أبا القاسم عباس بن فرناس حكيم الاندلس أول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول من فك بها كتاب العروض للخليل وأول من فك الموسيقى وصنع الآلة المعروفة بالمنقالة ليعرف الاوقات على غير رسم ومثال واحتال في تطيير جثمانه وكسا نفسه الريش ومد له جناحين وطار في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه فتأذى في مؤخره ولم يدر أن الطائر انما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنبا وفيه قال مؤمن بن سعيد الشاعر

السيف لما قتل أبو عبيدة وبادر رجل من بكر بن وائل والمثنى بن حارثة فحمى الناس حتى عقدوا الجسر فعبروا ومعهم المثنى بن حارثة وقد فقد من الناس أربعة آلاف غرقا وقتلا وكان على جيش فارس في هذا اليوم جادويه ومعه راية فارس التي كانت لافريدون حتى ثار الناس من الوهاد وهي المعروفة بدرفس كاسان وكانت من جلود النمور وطولها اثنا عشر ذراعا وفي عرض ثمانية أذرع على خشب طوال موصل وكانت فارس تتيمن بها وتظهرها في الامر الشديد وقد قدمنا الخبر عن هذه الراية في أخبار الفرس الاول فيما سلف من هذا الكتاب ولما قتل أبو عبيدة الثقفي بالجسر شق ذلك على عمر وعلى المسلمين فخطب عمر بالناس وحثهم على الجهاد فأمرهم بالتأهب لارض العراق وعسكر عمر وهو يريد الشخوص وقد استعمل على مقدمته طلحة بن عبيد الله وعلى ميمنته الزبير بن العوام وعلى ميسرته عبد الرحمن ابن عوف ودعا الناس فاستشارهم فاشاروا عليه بالمسير ثم قال لعلي ما ترى يا أبا الحسن اسير أم ابعث قال سر بنفسك فانه أهيب للعدو وأرهب له فخرج من عنده فدعا العباس في جلة مشيخة قريش وشاورهم فقالوا أقم وابعث غيرك ليكون للمسلمين ان انهزموا فئة وخرجوا فدخل اليه

من أبيات

يطم على العنقاء في طيرانها * اذا ما كسا جثمانه ريح قشعم

وصنع في بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود وفيه يقول مؤمن بن سعيد أيضا

سماء عباس الاديب أبي الـ * ـقاسم ناهيك حسن رائقها
أما ضراط استه فراعدها * فليت شعري ما لمع بارقها
لقد تمنيت حين دوّمها * فكري في البصق في است خالقها

وأنشد ابن فرناس الامير محمدا من أبيات

رأيت أمير المؤمنين محمدا * وفي وجهه بذر المحبة يثمر

فقال له مؤمن بن سعيد قبحا لما ارتكبته جعلت وجه الخليفة محرثا يثمر فيه البذر فخجل وسبه * وأول من اشتهر في الاندلس بعلم الاوائل والحساب والنجوم أبو عبيدة مسلم بن احمد المعروف بصاحب القبلة لانه كان يشرق في صلاته وكان عالما بحركات الكواكب وأحكامها وكان صاحب فقه وحديث دخل المشرق وسمع بمكة من علي بن عبد العزيز وبمصر من المزني وغيره * ومنهم يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة من أهل قرطبة وكان بصيرا بالحساب والنجوم واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والاخبار والجدل ودخل الى المشرق وقيل انه كان معتزلي المذهب * وأبو القاسم أصبغ بن السمح وكان بارعا في علم النجوم والهندسة وله تآليف منها كتاب المدخل الى الهندسة في تفسير اقليدس وكتاب كبير في الهندسة وكتابان في الاسطرلاب وزيج على مذاهب الهند المعروف بالسندهند * وأبو القاسم بن الصفار وكان عالما بالهندسة والعدد والنجوم وله زيج مختصر على مذاهب السندهند وله كتاب في عمل الاسطرلاب * ومنهم أبو الحسن الزهراوي كان عالما بالعدد وبالطب والهندسة وله كتاب شريف في المعاملات على طريق البرهان * ومنهم أبو الحكم عمر الكرماني من أهل قرطبة من الراسخين في علم العدد والهندسة ودخل المشرق واشتغل بحران وهو أول من دخل برسائل اخوان الصفا الى الاندلس * ومنهم أبو مسلم بن خلدون من أشراف اشبيلية وكان متصرفا في علوم الفلسفة والهندسة والنجوم والطب وتلميذه ابن برغوث وكان عالما بالعلوم الرياضية وتلميذه أبو الحسن مختار الرعيني وكان بصيرا بالهندسة والنجوم وعبد الله بن أحمد السرقسطي كان ناقدا في علم الهندسة والعدد والنجوم ومحمد بن الليث كان بارعا في العدد والهندسة وحركات الكواكب وأبو جي قرطبي بصير بالهندسة والنجوم وخرج عن الاندلس سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ولحق بمصر ودخل اليمن واتصل باميرها الصليحي القائم بدعوة المستنصر العبيدي فحظي عنده وبعثه رسولا الى بغداد الى القائم بامر الله وتوفي باليمن بعد انصرافه من بغداد وأبو الوقشي الطليطلي عارف بالهندسة والمنطق والزيوج ممن يطول تعدادهم وكان الحافظ أبو الوليد هشام الوقشي من أعلم الناس بالهندسة وآراء الحكماء والنحو واللغة ومعاني الاشعار والعروض وصناعة الكتابة والفقه والشروط والفرائض وغيرها وهو كما قال الشاعر

وكان

عبد الرحمن بن عوف فاستشاره فقال عبد الرحمن فديت بابي وأمي أقم وابعث فانه ان انهزم جيشك فليس ذلك كهزيمتك وانك ان تهزم أو تقتل يكفر المسلمون ولا يشهدوا أن لا اله الا الله أبدا قال أشر علي من أبعث قال قلت سعد بن أبي وقاص قال عمر أعلم أن سعدا رجل شجاع ولكني أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب قال عبد الرحمن هو على ما تصف من الشجاعة وقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد بدرا فاعهد اليه عهدا وشاورنا فيما أردت أن تحدث اليه فانه ان يخالف أمرك ثم خرج فدخل عثمان عليه فقال له يا أبا عبد الله أشر علي أسير أم اقيم فقال عثمان اقم يا امير المؤمنين وابعث بالجيوش فانه لا آمن ان اتى عليك آت أن ترجع العرب عن الاسلام ولكن ابعث الجيوش ودار كها بعضها على بعض وابعث رجلا له تجربة بالحرب ومضربها قال عمر ومن هو قال علي بن ابي طالب قال فالقه وكلمه وذاكره ذلك فهل تراه مسرعا اليه أولا فخرج عثمان فلقي عليا فذاكره ذلك فابى علي ذلك وكرهه فعاد عثمان فاخبره فقال له عمر ومن ترى قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال ليس بصاحب ذلك

وكان من العلوم بحيث يقضى * له فى كل فن بالجميع

ومن شعره قوله

قد بينت فيه الطبيعة أنها * بدقيق أعمال المهندس ماهره
عنيت بمبسمه فخطت فوقه * بالمسك خطا من محيط الدائره

وعزم على ركوب البحر الى الحجاز فهاله ذلك فقال

لا اركب البحر ولو أننى * ضربت فيه بالعصا فانفلق
ما ان رأت عينى أمواجه * فى فرق الا تناهى الفرق

وكان الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن شهيد مصنف الادوية المفردة آية الله تعالى فى الطب وغيره حتى انه عانى جمع ما فى كتابه من الادوية المفردة وعرف ترتيب قواها ودرجاتها وكان لا يرى التداوى بالادوية ما امكن بالاغذية او ما يقرب منها واذا اضطر الى الادوية فلا يرى التداوى بالمركبة ما وجد سبيلا الى المفردة واذا اضطر الى المركب لم يكثر التركيب بل يقتصر على اقل ما يمكنه وله غرائب مشهورة فى الابراء من الامراض الصعبة والعلل المخوفة بأيسر علاج واقربه * ومنهم ابن البيطار وهو عبد الله بن احمد المالقى الملقب بضياء الدين وله عدة مصنفات فى الحشائش لم يسبق اليها وتوفى بدمشق فى سنة ست واربعين وستمائة اكل عقارا قاتلا فمات من ساعته رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى الحفظ أن الاديب الاوحد حافظ اشبيلية بل الاندلس فى عصره ابا المتوكل الهيثم بن احمد بن ابى غالب كان اعجوبة دهره فى الرواية للاشعار والاخبار قال ابن سعيد اخبرنى من اثق به انه حضر معه ليلة عند احد رؤساء اشبيلية فجرى ذكر حفظه وكان ذلك فى اول الليل فقال لهم ان شئتم تختبرونى اجبتكم فقالوا له بسم الله انا نريد ان نحدث عن تحقيق فقال اختاروا اى قافية شئتم لا اخرج عنها حتى تعجبوا فاختاروا القاف فابتدأ من اول الليل الى ان طلع الفجر وهو ينشدون (أرق على ارق ومثلى يأرق) وسماره قد نام بعض وضجر بعض وهو ما فارق قافية القاف وقال ابو عمران بن سعيد دخلت عليه يوما بدار الاشراف باشبيلية وحوله أدباء ينظرون فى كتب منها ديوان ذى الرمة فمد الهيثم يده الى الديوان المذكور فمنعه منه أحد الادباء فقال يا ابا عمران أواجب أن يمنعه منى وما يحفظ منه بيتا وأنا أحفظه فأكذبته الجماعة فقال اسمعونى وأمسكوه فابتدأ من أوله حتى قارب نصفه فأقسمنا عليه أن يكف وشهدنا له بالحفظ وكان آية فى سرعة البديهة مشهورا بذلك قال أبو الحسن بن سعيد عهدى به فى اشبيلية يملى على أحد الطلبة شعرا وعلى ثان موشحة وعلى ثالث زجلا كل ذلك ارتجالا ولما أخذ الحصار بمخنق اشبيلية فى مدة الباجى خرج خروج القارظين ولا يدرى حيث ولا اين ومن شعره وقد نزل بداره عبيد السلطان وكتب به الى صاحب الانزال

كم من يد لك لا أقوم بشكرها * وبها أشير اليك ان خرست فى
وقد استشرتك فى الحديث فهل ترى * أن يدخل الغربان وكر الهيثم

وله

يجفى الفقير ويغشى الناس قاطبة * باب الغنى كذا حكم المقادير

قال عثمان وطلحة بن عبيد الله قال له عمر أين أنت من رجل شجاع ضروب بالسيف رام بالنبل ولكنى أخشى ان لا يكون له معرفة بتدبير الحرب قال ومن هو يا أمير المؤمنين قال سعد قال عثمان هو صاحب ذلك ولكنه رجل غائب فى عمل قال عمر أرى ان اوجهه واكتب اليه ان يسير من وجهه ذلك قال عثمان ان ومره فليشاور قوما من اهل التجربة والتبصر بالحرب ولا يقطع الامور حتى يشاورهم ففعل عمر ذلك وكتب الى سعد بالتوجه نحو العراق (وقد كان جرير) بن عبد الله البجلى قدم على عمر وقد اجتمعت اليه بجيلة فسرحهم نحو العراق وجعل لهم ربع ما ظهروا عليه من السواد وساهمهم مع المسلمين وخرج عمر فشيعهم ولحق جرير بناحية الابلة ثم صاعدا الى ناحية المدائن ونمى قدوم جرير الى مرزبان المدائن وكان فى عشرة آلاف من فارس من الاساورة وذلك بعد يوم الجسر ومقتل ابى عبيدة وسليط فقال بجيلة لجرير اعبر الدجلة الى المدائن فقال جرير ليس ذلك بالرأى وقد مضى لكم فى ذلك عبرة من قتل اخوانكم يوم الجسر ولكن أمهلوا القوم فان جمعهم كثير حتى يعبروا اليكم فان فعلوا فهو الظفر ان شاء الله تعالى فاقامت الفرس أياما بالمدائن ثم

واغما الناس أمثال الفراش فهم * بحيث تبدو مصابيح الدنانير

وله
عندى لفقدك أوجال أبيت بها * كانى واضع كفى على قبس
ولا ملامة ان لم أهـــدنيره * حتى تمد اليها كف مقتبس
قد كنت أودع سر الشوق فى طرس * لكننى خفت أن يعدو على الطرس

وأنشد له أبو سهل شيخ دار الحديث بالقاهرة فى املائه

قف بالكثيب لغيرك التأنيب * ان الكثيب هوى له محبوب
ياراحلين انا عليكم وقفة * ولكم علينا دمعنا المسكوب
تخلى الديار من المحبة والهوى * أبدا وتعمر أضلع وقلوب

وقال ارتجالا فى وصف فرس أصفر

أطرف فات طرفى أم شهاب * هفا كالبرق ضرمه التهاب
أعار الصبح صفحته نقابا * ففــر به وصح انا النقاب
فهما حث خال الصبح وافى * ليطلب ما استعار فما يصاب
اذا ما انقض كل النجم عنه * وضلت عن مسالكه السحاب
فيا عجبا له فضل الدرارى * فكيف أزال أربعه التراب
سل الارواح عن أدنى مداه * فعند الريح قد يلفى الجواب

وقال أبو عمر الطلمنكى دخلت مرسية فتشبث بى اهلها يسمعون على الغريب المصنف فقلت انظروا من يقرأ لكم وأمسكت أنا كتابى فأتونى برجل اعمى يعرف بابن سيده فقرأه على من أوّله الى آخره فعجبت من حفظه وكان أعمى وابن سيده المذكور هو ابو الحسن على بن احمد ابن سيده وهو صاحب كتاب المحكم ومن نظمه مما كتب به الى ابن الموفق

الاهل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن فى ذاك واليمنا
ضحيت فهل فى برد ظلك نومة * لذى كبد حرى وذى مقلة وسنا

وتوفى ابن سيده المذكور سنة ثمان وخمسين واربعمائة وعمره نحو الستين رحمه الله تعالى

*ومن حكاياتهم فى حب العلم ان المظفر بن الافطس صاحب بطليوس كان كما قال ابن الابار كثير الادب جم المعرفة محبا لاهل العلم جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة لم يكن فى ملوك الاندلس من يفوقه فى ادب ومعرفة قاله ابن حيان وقال ابن بسام كان المظفر اديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر ايضا اسمه بالكتاب المظفرى فى خمسين مجلدا يشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر وجميع ما يختص به علم الادب ابقاه للناس خالدا وتوفى المظفر سنة ستين واربعمائة وكان يحضر العلماء للمذاكرة فيفيد ويستفيد رحمه الله تعالى ومن التآليف الكبار لاهل الاندلس كتاب السماء والعالم الذى الفه احمد بن ابان صاحب شرطة قرطبة وهو مائة مجلد رايت بعضه بفاس وتوفى ابن ابان سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى ولاهل الاندلس دعابة وحلاوة فى محاوراتهم واجوبة بديهية مسكتة والظرف فيهم والادب كالغريزة حتى فى صبيانهم ويهودهم فضلا عن علمائهم واكابرهم *ولنذكر جملة

أخذوا فى العبور فلما عبر منهم النصف أو نحوه حمل عليهم جرير فيمن سرع معه من بجيلة فثبتوا ساعة فقتل المرزبان وأخذهم السيف وغرق اكثرهم فى دجلة واخذ المسلمون ما كان فى عسكرهم وسار جرير فاجتمع مع المثنى بن حارثة الشيبانى بالبجلة فاقبل اليهما مهران فى جيوشه فامتنع المسلمون من العبور اليهم فعبر مهران فقتله جرير بن عبد الله البجلى وحسان بن المنذر بن ضرار الضبي ضربه البجلى وطعنه الضبي وفاز جرير بمنطقته وسلبه وتنازع جرير وحسان فى ايهما القاتل لمهران وقد كان جرير ضربه بعد ان طعنه حسان ولحسان فى ذلك ابيات

الم ترنى خالست مهران نفسه
بأسمر فيه كالخلال طرير
فخرّ صريعا والنقانى برجله
وبادر فى رأس الهمام جرير
فقال قتيلى والحوادث جمة
وكاد جرير للسرور يطير
فقال أبا عمرو وقتلى قتلته
ومثلى قليل والرجال كثير
فارسل عينا ان رمحك ناله
وأكرم أن تحلف وأنت أمير

(وقد تنازع) أهل الاخبار والسير فى جرير والمثنى فمن الناس من ذهب الى أن جريرا كان المولى على الجيش ومنهم

من ذكر الجلة فنقول حكى عن عالم المرية القاضى ابى الحسن مختار الرعينى وكان فيه حلاوة ولوذعية ووقار وسكون انه استدعاه يوما زهير ملك المرية من مجلس حكمه فجاءه يمشى مشية قاض قليلا قليلا فاستعجله رسول زهير فلم يعجل فلما دخل عليه قال له يافقيه ماهذا البطء فتأخر الى باب المجلس وطلب عصاه وشمر ثيابه فقال له زهير ماهذا قال هذا يليق باستعجال الحاجب لى فوقع فى خاطرى انه عزلنى عن القضاء وولانى الشرطة فضحك زهير واستحلاه ولم يعد الى استعجاله وهذا القاضى هو القائل وقد دخل حماما فجلس بازائه عامى اساء الادب عليه

ألا لعن الحمام دارا فانه * سواء به ذوالعلم والجهل فى القدر

تضيع به الآداب حتى كانها * مصابيح لم تنفق على طلعة الفجر

وروى ان المقرى اباعبدالله محمد بن الفراء امام النحو واللغة فى زمانه وكانت فيه فطنة ولوذعية ابطأ وجهه يوما الى تلامذته فطال بهم الكلام فى المذاكرة فقال احدهم نصف بيت وكان فيهم وسيم من ابناء الاعيان وكان ابن الفراء كثير الميل اليه فلما خرج قال له يا استاذ عملت نصف بيت واريد ان تتممه فقال ماهو فقال *الا ابى شادن اوطف* فقال الاستاذ ابن الفراء بديها

اذا كان وردك لايقطف * وثغر ثناياك لايرشف

فأى اضطرار بنا ان نقول * الا ابى شادن اوطف

وهذا ابن الفراء هو القائل

قيل لى قد تبدلا * فاسل عنه كما سلا

لك سمع وناظر * وفؤاد فقلت لا

قيل غال وصاله * قلت لما غلا حلا

ايها العاذل الذى * بعذابى توكلا

عد صحيحا مسلما * لاتعير فتبتلى

وتذكرت بهذا ما انشده لسان الدين فى كتابه روضة التعريف بالحسب الشريف

قلت للساخر الذى * رفع الانف فاعتلى

انت لم تأمن الهوى * لاتعير فتبتلى

ومن بديع نظم ابن الفراء المذكور قوله

شكوت اليه بفرط الدنف * فأنكر من قصتى ماعرف

وقال الشهود على المدعى * واما انا فعلى الحلف

فجئنا الى الحاكم الألمعى * قاضى المجون وشيخ الطرف

وكان بصيرا بشرع الهوى * و يعلم من اين كل الكتف

فقلت له اقض ما بيننا * فقال الشهود على ماتصف

فقلت له شهدت ادمعى * فقال اذا شهدت تنتصف

ففاضت دموعى من حينها * كفيض السحاب اذا مايكف

فى جمع فارس الاعظم ويقال له بوران وقد كانت جمهرة الاساورة تقدمت وتقدم أمامهم رستم فتنحى المسلمون لما بلغهم مسيره فلحق جرير بكاظمة فنزلها وسار المثنى بقومه من بكر ابن وائل فنزل بسيراف وبها آثار كثيرة وهى من الكوفة على ثلاثة أميال من المنزل المعروف بواقصة وكان المثنى قد أصيب بجراحات كثيرة فى بدنه فى يوم الجسر وغيره فمات بسيراف رحمه الله تعالى (ولما ورد كتاب عمر) على سعد بن أبى وقاص فنزل زبالة على حسب ما أمره به عمر ثم أتى سيراف وأتاه الناس من الشام وغيرها ثم سار فنزل العذيب وهو على فم البر وطرف السواد مما يلى القادسية فالتقى جيش المسلمين وجيش الفرس وعليهم رستم والمسلمون يومئذ فى ثمانية وثمانين الفا وقيل ان من أسهم له ثلاثون الفا والمشركون فى ستين الفا امام جيوشهم الفيلة عليها الرجال وحرض الناس بعضهم بعضا وبرزوا أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج اليهم أقرانهم من صناديد قريش فاعتوروا الضرب والطعن وخرج غالب بن عبدالله الاسدى فى ذلك اليوم وهو يقول

خرك راسا الينا وقال * دعوا يا مها تيك هذا الصلف
كذا تقتلون مشاهيرنا * اذا مات هذا فأين الخلف
واوما الى الوردان يجتنى * واوما الى الريق ان يرتشف
فلما رآه حبيبى معى * ولم يختلف بيننا مختلف
ازال العناد فعانقته * كأنى لام وحبى الف
فظلت اعاتبه فى الجفا * فقال عفا الله عما سلف

وحكى عن الزهرى خطيب اشبيلية وكان اعرج انه خرج مع ولده الى وادى اشبيلية فصادف جماعة فى مركب وكان ذلك بقرب الاضحى فقال بعضهم له بكم هذا الخروف واشار الى ولده فقال له الزهرى ماهو للبيع فقال بكم هذا التيس واشار الى الشيخ الزهرى فرفع رجله العرجاء وقال هو معيب لا يجزئ فى الضحية فضحك كل من حضر وعجبوا من لطف خلقه * وركب مرة هذا النهر مع الباجى يوم خميس فلما أصبحوا صعد الزهرى يخطب يوم الجمعة والباجى حاضر قدامه فنظر اليه الباجى واوما الى محل الحدث واخرج لسانه فجعل الزهرى يلمس عصا الخطبة يشير بالعصا الى جوابه على ماقصد رحمه الله تعالى * ومر العالم ابو القاسم بن ورد صاحب التآليف فى علم القرآن والحديث بجنة لاحد الاعيان فيها ورد فوقف بالباب وكتب اليه

شاعر قد اتاك يبغى اباه * عندما اشتاق حسنه وشذاه
وهو بالباب مصغيا للجواب * يرتضى بالندا اذا ما تراه

فعندما وقف على البيتين علم انه ابن ورد فبادر من جنته اليه واقسم فى النزول عليه ونثر من الورد ما استطاع بين يديه * وحكى ان ابا الحسن سليمان بن الطراوة نحوى المرية حضر مع ندماء والى جانبه من اخذ بمجامع قلبه فلما بلغت النوبة اليه استعفى من الشرب وابدى القطوب فأخذ ابن الطراوة الجام من يده وشربها عنه ويابردها على كبده ثم قال بديها

يشربها الشيخ وأمثاله * وكل من تحمد أفعاله
والبكر ان لم يستطع صولة * تلقى على البازل أثقاله

ودخل عليه وهو مع ندمائه غلام والكاس فى يده فقال

ألا بابى وغير أبى غزال * اتى و براحه للشرب راح
فقال منادمى فى الحسن صفه * فقلت الشمس جاء بها الصباح

وقال فيمن جاء بالراح

ولما رأيت الصبح لاح بخده * دعوتهم رفقا تلح لكم الشمس
وأطلعها مثل الغزالة وهو كالغزال فتم الطيب واكتمل الانس

وقال وقد شرب ليلة فى القمر

شربنا بمصباح السماء مدامة * بشاطى غدير والازاهر تنفح
وظل جهول يرقب الصبح ضلة * ومن أكؤس لم يبرح الليل يصبح

وكان عبد الله بن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يشرب مع ندماء ظراف فى جنة

خرج اليه هرمز وكان من ملوك الباب والابواب وكان متوجا فاسره غالب أسرا فاتى سعدا وكرا راجعا الى المطاردة وحمى الوطيس وخرج عاصم بن عمر وهو يقول

قد علمت بيضاء صفراء اللبب
مثل اللجين يتغشاه الذهب
أنى امرؤ لا من يصيبه السبب
مثلى على مثلك يعديه الكتب

فبرز اليه عظيم من أساورتهم فخالاتم ان الفارس ولى واتبعه عاصم حتى لجأ الى صفوفهم وعمهم وغاص عاصم بينهم حتى ايس الناس منه ثم خرج فى مجنبات القلب وقدامه بغل عليه صناديق موكبية بآلة حسنة فأتى به سعد بن مالك وعلى البغل رجل عليه مقطعات ديباج وقلنسوة مذهبة واذا هو خباز الملك وفى الصناديق لطائف الملك من الاخبصة والعسل المعقود فلما نظر اليه سعد قال انطلقوا الى أهل موقفه وقولوا ان الامير قد نفلكم هذا فكلوه (وكانت وقعة القادسية) فى المحرم سنة أربع عشرة وما لسبعة عشر فيلا على كل فيل عشرون رجلا وعلى الفيلة

بهجة فجاءتهم ورقة من ثقيل يرغب في الاذن وكان له ابن مليح فكتب اليه مدغليس

سيدي هذا مكان * لا يرى فيه بحيه
غير تيس مصفعاني له بالصفع كديه
أوله ابن شافع فيه فيلقى بالتحيه
أيها القابل أقبل * سائقا تلك المطيه

وكان مدغليس هذا مشهورا بالانطباع والصنعة في الازجال خليفة ابن قزمان في زمانه وكان أهل الاندلس يقولون ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء ومدغليس بمنزلة أبي تمام بالنظر الى الانطباع والصناعة فابن قزمان ملتفت الى المعنى ومدغليس ملتفت للفظ وكان أديبا معربا لكلامه مثل ابن قزمان ولكنه لما رأى نفسه في الزجل أنجب اقتصر عليه ومن شعره قوله

ماضركم لو كتبتم * حرفا ولو باليسار
اذ أنتم نور عيني * وسطلي واختياري

وقال الخطيب الاديب النحوي أبو عبد الله بن الفراء المذكور قبل هذا بقريب الضرير في صبي كان يقرأ عليه النحو اسمه حسن وهو في غاية الجمال بعد أن سأله كيف تقول اذا تعجبت من حسنك فقال أقول ما أحسني

يا حسنا مالك لم تحسن * الى نفوس بالهوى متعبه
رقت بالورد وبالسوسن * صفحة خد بالسنى مذهبه
وقد أبى صدغك أن أجتني * منه وقد ألدغني عقربه
يا حسنه اذ قال ما أحسني * ويا لذاك اللفظ ما أعذبه
فوّق السهم ولم يخطني * واذ رآني ميتا أعجبه
وقال كم عاش وكم حبني * وحبه اياي قد عذبه
يرحمه الله على أنني * قتلي له لم أدر ما أوجبه

وقد كان ابن الفراء من فضلاء المائة السادسة ذكره ابن غالب في فرحة الانفس في فضلاء العصر من الاندلس وكان شاعرا مجيدا يعلم بالمرية القرآن والنحو واللغة وكانت فيه فطنة ولوذعية وذكاء والمعية خرق بها العوائد وحكى ان قاضي المرية قبل شهادته في سطل ميزه في حمام باللمس واختبره في ذلك بحكاية طويلة وذكره صفوان في زاد المسافر ووصفه بالخطيب وجده القاضي أبو عبد الله بن الفراء مشهور بالصلاح والفضل والزهد ومن العجائب انه ليس له ترجمة في المغرب ولما كتب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى أهل المرية يطلب منهم المعونة جاوبه بكتابه المشهور الذي يقول فيه ما صورته فاذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخري عن ذلك وان الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اقتضاها وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه في قبره ولا يشك في عدله فليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه في قبره ولا ممن لا يشك في عدله فان كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته في العدل

تحافيف الحديد والقرون مجللة بالديباج والحرير نحو بجيلة وحول الفيلة الرجال والخيول فبعث الى بني أسد لما نظر الى الموكب والفيول قد مالت الى بجيلة فامرهم بمعونتهم ومالت عشرون فيلا نحو القلب فخرج طليحة بن خويلد الاسدي مع فرسان بني أسد فقتل منهم خمسمائة رجل سوى من قتل من غيرهم فباشروا قتال الفيلة حتى أوقفوها واشتد الجلاد على بني أسد في هذا اليوم من سائر الناس وهذا اليوم يعرف بيوم أغواث فلما أصبح الناس في اليوم الثاني أشرف على الناس خيول المسلمين من الشأم والامداد سائرة قد غطت بأسنتها الشمس عليها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في خمسة آلاف فارس من بني ربيعة ومضر وألف من اليمن ومعه القعقاع بن عمرو وذلك بعد فتح دمشق بشهر وقد كان عمر رضي الله عنه كتب الى أبي عبيدة ابن الجراح بصرف أصحاب خالد بن الوليد الى العراق ولم يذكر في كتابه خالدا فشح أبو عبيدة بتخلية خالد عن يده وبعث برجاله وعليهم هاشم بن عتبة على ما ذكرنا وقد كان في نفس عمر على خالد أشياء من أيام أبي بكر رضي في قصة مالك بن نويرة وغير ذلك وكان خالد بن الوليد بن خالد بن عمر تقدم القعقاع في أوائل المدد فإنهم

الصف ونادى هل من مبارز فبرز اليه عظيم منهم فقال له القعقاع من أنت قال انا بهمن حادويه وهو المعروف بذى الحاجب فنادى القعقاع يا لثارات ابى عبيدة وسليط وأصحابهم يوم الجسر وقد كان ذوالحاجب مبارزا لهم على ماذكرنا من قتله اياهم فما الا فقتله القعقاع ويقال ان القعقاع حمل فى ذلك اليوم ثلاثا وثلاثين حملة كل حملة يقتل فيها وكان آخر من قتل عظيما من عظمائهم يقال له بزرجهر ففيه يقول القعقاع

جبو بة حباشة بالنفس
هدارة مثل شعاع الشمس
فى أغواث من قبيل الفرس
أنخس بالقوم أشد نخس
* حتى يفيض معرى ونفسى *

وبارز فى ذلك اليوم الاعور بن قطنة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه فقال أخو الاعور فى ذلك

لم أر يوما كان أحلى وأمر
من يوم اغواث دواوين الشعر
من غير ضحك كان أسوا وأشر

واعتل سعد فتخلف فى حصن العذيب وجلس فى أعلاه يشرف على الناس وقد تواقف الفريقان جميعا وامسى الناس يتسمون فلما سمع ذلك سعد قال لمن لو

فالله تعالى سائلهم عن تقلدهم فيك وما اقتضاها عمر رضى الله تعالى عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف أن ليس عنده درهم واحد فى بيت مال المسلمين ينفقه عليهم فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة من أهل العلم وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ولا فى بيت مال المسلمين وحينئذ تستوجب ذلك والسلام انتهى وأما ابن الفراء الاخفش بن ميمون الذى ذكره الحجارى فى المسهب فليس هو من هؤلاء بل هو من حصن الغيداق من أعمال قلعة بنى سعيد وأدب فى قرطبة ثم عاد الى حضرة غرناطة واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودى وهو القائل

صابح محياه تلق النجح فى الامل * وانظر بناديه حسن الشمس فى الحمل
ما ان يلاقى خليل فيه من خلل * وكلما حال صرف الدهر لم يحل

وكان يهاجى المنفتل شاعر البيرة ومن هجاء المنفتل له قوله

لابن ميمون قريض * زمهرير البرد فيه
فاذا ما قال شعرا * نفقت سوق أبيه

ولما وفد على المرية مدح رفيع الدولة بن المعتصم بشعر فقال له بعض من أراد ضره ياسيدى لا تقرب هذا اللعين فانه قال فى اليهودى

ولكن عندى للوفاء شريعة * تركت بها الاسلام يبكى على الكفر

فقال رفيع الدولة هذا والله هو الحر الذى ينبغى أن يصطنع فلولا وفاؤه ما بكى كافرا بعد موته وقد وجدنا فى أصحابنا من لا يرعى مسلما فى حياته فقال فيه المنفتل

ان كنت أخفش عين * فان قلبك أعمى
فكيف تنثر نثرا * وكيف تنظم نظما

ومن شعر الاخفش المذكور قوله

اذا زرتكم غبا فلم ألق بالبر * وان غبت لم أطلب ولم أجر فى الذكر
فانى اذن أولى الورى بفراقكم * ولا سيما بعد التجلد والصبر

ولما وفد على المنصور بن أبى عامر الشاعر المشهور أبو عبد الله محمد بن مسعود الغسانى البجانى اتهم برهق فى دينه فسجنه فى المطبق مع الطليق القرشى والطليق غلام وسيم وكان ابن مسعود به كلفا يومئذ وفيه يقول

غدوت فى السجن خدنا لابن يعقوب * وكنت أحسب هذا فى التكاذيب
رامت عداتى تعذيبى وما شعرت * ان الذى فعلوه ضد تعذيبى
راموا ابعادى عن الدنيا وزخرفها * فكان ذلك ادنائى وتقريبى
لم يعلموا أن سجنى لا أبا لهم * قد كان غاية مأمولى ومرغوبى

وسجن ابن مسعود والطليق قبله ووقع بينه وبين الطليق وعاد المدح هجاء فقال فيه

ولى جليس قربه منى * بعد الامانى كذبا عنى
قد قذيت من لحظه مقلتى * وقرحت من لفظه أذنى
هوّن لى فى السجن من قربه * أشد فى السجن من السجن

لو أن خلقا كان ضدّا له * زاد على يوسف فى الحسن
اذا ارتمى فكرى فى وجهه * سلط ابطيه على ذهنى
كانما يجلس من ذا وذا * بين كنيفين من النتن

وقال يخاطب المنصور من السجن

دعوت لما عيل صبرى فهل * يسمع دعواى المليك الحليم
مولاى مولاى ألا عطفة * تذهب عنى بالعذاب الاليم
ان كنت أضمرت الذى زخرفوا * عنى فدعنى للقدير الرحيم
فعنده نزاعة للشوى * وعنده الفردوس ذات النعيم

وركب بعض أهل المرية فى وادى اشبيلية فى على طاقة من طاقات شنتبوس وهو يغنى ٣خلنى من وادومن قوارب ومن تراها فى شنتبوس غرس الحبق الذى فى دارى أحب عندى من الفردوس فأخرجت رأسها جارية وقالت له من أى بلد أنت يا من غنى فقال من المرية فقالت وما أعجبك فى بلدك حتى تفضله على وادى اشبيلية وهو بوجه مالح وقفا أحرش وهذا من أحسن تعييب وذلك انها أتته بالنقيض من اشبيلية فان وجهها النهر العذب وقفاها بجبال الرحمة أشجار التين والعنب لا تقع العين الا على خضرة فى أيام الفرج وأين اشبيلية من المرية وفى المرية يقول السميسر شاعرها

بئس دار المرية اليوم دارا * ليس فيها لساكن ما يحب
بلدة لا تمار الاريح * ربما قد تهب أولا تهب

يشير الى أن مرافقها مجلوبة وأن الميرة تأتيها فى البحر من بر العدوة وفيها يقول أيضا

قالوا المرية فيها * نظافة قلت ايه
كانها طست تبر * ويبصق الدم فيه

وحكى مؤرخ الاندلس أبو العباس البياسى انه دخل عليه فى مجلس انس شيخ ضخم الجثة مستثقل فقال البياسى

اسقنى الكاس صاحيه * ودع الشيخ ناحيه

فقال الكاتب أبو جعفر أحمد بن رضى

ان تكن ساقيا له * ليس ترويه ساقيه

وحكى ان العالى ادريس الحمودى لما عاد الى مالكه بمالقة وبخ قاضيها الفقيه أبا على بن حسون وقال له كيف بايعت عدوّى من بعدى وصحبته فقال وكيف تركت أنت ملكك لعدوّك فقال ضرورة القدرة حملتنى على ذلك فقال وأنا أيضا حصلت فى يد من لا يسعنى الا طاعته ومن نظم القاضى المذكور

رفعت من دهرى الى جائر * ويبتغى العدل باحكامى
أضحت به أملاكه مثل أشـكال خيال طوع أيامى
هذا لما أبرم ذا ناقض * كانهم فى حكم أحلام

وكان الفقيه العالم أبو محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة جرى كما قال الحجارى فى صباه طلق

على عدوّهم وان سكتوا فأيقظونى فان ذلك شر واشتد القتال فى الليل وكان أبو محجن الثقفى محبوسا فى أسفل القصر فسمع انتماء الناس فى آبائهم وعشائرهم ووقع الحديد وشدة البأس فتأسف على ما يفوته من تلك المواقف فحبا حتى صعد الى سعد يستشفعه ويستقيله ويسأله أن يخلى عنه ليخرج فرآه سعد ورده فانحدر راجعا فنظر الى سلمى بنت حفصة زوجة المثنى بن حارثة الشيبانى وقد كان سعد تزوجها بعده فقال يا بنت حفصة هل لك فى خير فقالت وماذاك قال تخلين عنى وتعيرنى البلقاء ولله على ان سلمنى الله أن أرجع اليك حتى أضع رجلى فى القيد فقالت وما أنا وذلك فرجع يرسف فى قيده وهو يقول

كفى حزنا ان ترتدى الخيل بالقنا * وأترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عنانى الحديد فأغلقت * مصارع من دونى وصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وثروة * فقد تركونى واحدا لا أخاليا

٣قوله خلنى الخ هكذا بالاصل ولينظر وقوله من الفردوس فى نسخة من الغروس هكذا بهامش الاصل

الجموح يعاقب بين غبوق وصبوح الى أن دعاه النذير فاهتدى منه بسراج منير وأحلته تلك الرجعة فيما شاء من الرفعة وقال بعض معاشريه كنت أماشيه زمن الشباب فكامام رناء على امرأة يدعو حسنها وشكلها الى أن تحير فيه الالباب أمال اليها طرفه ولم ينثن عنها صرفه ثم سايرته بعدما رجع عن ذلك واقتصر فرأيته يغض البصر ويخلى الطريق معرضا الى ناحية متى زاحمته امرأة ولو حكت الشمس صاحية فقلت له فى ذلك فقال

ذاك وقت قضيت فيه غرامى * من شبابى فى سترة الاظلام
ثم لما بدا الصباح لعينى * من مشيبى ودعته بسلام

ومن شعره فى صباه

لاتر تجوا رجعتى باللوم عن غرض * ولتتركونى وصيدى فرصة الخلس
طلبتم ردقلبى عن صبابته * ومن يرد عنان الجامح الشرس

ولما أقصر باطله وعريت أفراس الصبا ورواحله قال

ولما بدا شيبى عففت عن الهوى * كما يهتدى حالف السرى بنجوم
وفارقت أشياع الصبابة والطلا * وملت الى أعلى علا وعلوم

ولما ألب بنوحسون على القاضى الوحيدى المذكور صادر عنه العالم الاصولى أبو عبد الله بن الفخار وطلع فى حقه الى حضرة الامامة مراكش وقام فى مجلس أمير المسلمين ابن تاشفين وهو قد غص بأربابه وقال انه لمقام كريم نبدأ فيه بحمد الله على الدنو منه ونصلى على خيرة أنبيائه محمد الهادى الى الصراط المستقيم وعلى آله وصحابته نجوم الليل البهيم أما بعد فانا نحمد الله الذى اصطفاك للمؤمنين أميرا وجعلك للدين الحنيفى نصيرا وظهيرا ونفزع اليك مما دهمنا فى حماك ونبث اليك ما لحقنا من الضيم ونحن تحت ظل علاك ويأبى الله ان يدهم من احتمى بأمير المسلمين ويصاب بضيم من ادرع بحصنه الحصين شكوى قمت بها بين يديك فى حق أمرك الذى عضده مؤيده لتسمع منها ما تختبره برأيك وتنقده وان قاضيك ابن الوحيدى الذى قدمته فى مالقة للاحكام ورضيت بعدله فمن بها من الخاصة والعوام لم يزل يدل على حسن اختيارك بحسن سيرته ويرضى الله تعالى ويرضى الناس بظاهره وسريرته ما علمنا عليه من سوء ولادرينا له موقف خزى ولم يزل جاريا على ما يرضى الله تعالى ويرضيك ويرضينا الى أن تعرضت بنوحسون الى الطعن فى أحكامه والهدم من أعلامه ولم يعلموا أن اهتضام المقدم راجع على المقدم بل جمعوا فى لجاجهم فعموا وصموا وفعلوا وامضوا ما به هموا والى السحب يرفع الكف من قد جف عنه مسيل عين ونهر فلا سمعه بلاغة أعقبت نصره ونصر صاحبه * ومن شعر ابن الفخار المذكور ويعرف بابن نصف الربض قوله

أستنكر شيب المفارق فى الصبا * وهل ينكر النور المفتح فى الغصن
اظن طلاب المجد شيب مفرقى * وان كنت فى احدى وعشرين من سنى

وقوله

اقل عتابك ان الكريم * يجازى على حبه بالقلى

فلله عهد لا أخيس بعهده . لئن فرجت أن لا أزور الجوانيا فقالت سلمى انى استخرت الله و رضيت بعهدك فأطلقته وقالت شأنك وما أردت فاقتاد بلقاء سعد وأخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق فركبها ثم دب عليها حتى اذا كان بحيال ميمنة المسلمين كبر ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين فأوقف ميسرتهم وقتل رجالا كثيرا من نسا كهم ونكس آخرين والفريقان يرمقونه بأبصارهم وقد تنوزع فى البلقاء فمنهم من قال انه ركبها عريا ومنهم من قال بل ركبها بسرج ثم غاص فى المسلمين فخرج فى ميسرتهم وحمل على ميمنة القلب فأوقفهم وجعل يلعب برمحه وسلاحه لا يبدو له فارس الا هتكه فأوقفهم وهابته الرجال ثم رجع فغاص فى قلب المسلمين ثم برز أمامهم ووقف بازاء قلب المشركين ففعل مثل أفعاله فى الميمنة والميسرة وأوقف القلب حتى لم يبرز منهم فارس الا اختطفه وحمل عن المسلمين الحرب فتعجب الناس منه وقالوا من هذا الفارس الذى لم نره فى يومنا فقال بعضهم هو ممن قدم علينا من اخواننا من الشأم من أصحاب هاشم ابن عتبة المرقال وقال بعضهم ان كان الخضر عليه السلام شهد الحرب وخل

وخل اجتنابك ان الزمان * يريك تكديره ما حلا
وواصل اخاك بعلاته * فقد يلبس الثوب بعد البلى
وقل كالذى قاله شاعر * نبيل وحقك ان تنبلا
اذا ما خليل اساء مرة * وقد كان فيما مضى مجملا
ذكرت المقدم من فعله * فلم يفسد الآخر الاولا

ولما وفد ابو الفضل بن شرف بن برجة فى زى تظهر عليه البداوة بالنسبة الى اهل حضرة المملكة العظمى انشده قصيدته القافية

مطل الليل بوعد الفلق * وتشكى النجم طول الارق
ضربت ريح الصبا مسك الدجى * فاستفاد الروض طيب العبق
والاح الفجر خدا خجلا * جال من رشح الندى فى عرق
جاور الليل الى انجمه * فتساقطن سقوط الورق
واستفاض الصبح فيه فيضة * أيقن النجم لها بالغرق
فانجلى ذاك السنى عن حلك * وانمحى ذاك الدجى عن شفق
بأبى بعد الكرى طيف سرى * طارقا عن سكن لم يطرق
زارنى والليل ناع سدفه * وهو مطلوب بباقى الرمق
ودموع الطل تمرجها الصبا * وجفون الروض غرقى الحدق
فتأتى فى ازار ثابت * وتثنى فى وشاح قلق
وتجلى وجهه عن شعره * فتجلى فلق عن غسق
نهب الصبح دجى ليلته * فحبا الخد ببعض الشفق
سلبت عيناه حدى سيفه * وتحلى خده بالرونق
وامتطى من طرفه ذا خبب * يلثم الغبراء ان لم يعنق
أشوس الطرف علته نخوة * يتهادى كالغزال الخرق
لو تعدى بين أسراب المها * نازعته فى الحشا والعنق
حسرت دهمته عن غرة * كشفت ظلماؤها عن يقق
لبست أعطافه ثوب الدجى * وتحلى خده باليقق
وانبرى تحسبه أجفل عن * لسعة أو جنة أو أولق
مدركا بالمهل ما لا ينتهى * لاحقا بالرفق ما لم يلحق
ذو رضا مستتر فى غضب * ذو وقار منطو فى خرق
وعلى خد كعضب أبيض * اذن مثل سنان أزرق
كلما نصبها مستمعا * بدت الشهب الى مسترق
حاذرت منه شباة خطية * لا يجيد الخط ما لم يمشق
كلما شامت عذارى خده * خفقت خفق فؤاد فرق
فى ذرا ظمآن فيه هيف * لم يدعه للقضيب المورق

لولا أن الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا انه ملاك وأبو محجن برز كالليث الضرغام قد هتك الفرسان كالعقاب يجول عليهم ومن حضر من فرسان المسلمين مثل عمرو ابن معديكرب وطليحة بن خويلد والقعقاع وهاشم ابن عتبة المرقال وسائر قبائل العرب وأبطالها ينظرون اليه وقد حارت فى أمره وجعل سعد يفكر و يقول وهو مشرف على الناس من فوق القصر والله لولا محبس أبى محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء فلما انتصف الليل تحاجز الناس وتراجعت الفرس على أعقابها وتراجع المسلمون الى مواضعهم على تعبيتهم ومصافهم وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج ولا يعلم به وورد البلقاء الى مربطها ووضع رجله فى القيد ورفع عقيرته وهو يقول

لقد علمت ثقيف غير فخر * بأنا نحن أكرمهم سيوفا
وأكرمهم دروعا سابغات * وأصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
وليلة قادس لم يشعروا بى * ولم أشعر بمهرجتى الزحوفا
فان أحبس فذلكم بلائى *
وانا وفدهم فى كل يوم * فان عتبوا فسل بهم عريفا

يلقانى بكف مصقع * يقتنى شأو عذار مفلق
ان يدر دورة طرف يلتمع * أو يجل جول لسان ينطق
عصفت ريح على انبوبه * وجرت أكعبه فى زئبق
كلما قلبه باعد عن * متن ملساء كمثل البرق
جمع السرد قوى أزرارها * فتآخذن بعهد موثق
أوجبت فى الحرب من وخز القنا * فتوارت حلقا فى حلق
كلما دارت بها أبصارها * صوّرت منها مثال الحدق
زل عنه متن مصقول القوى * يرتمى فى مائها بالحرق
لو نضا وهو عليه ثوبه * لتعرى عن شواظ محرق
اكهب من هبوات أخضر * من فرند أحمر من علق
وارتوت صفحاه حتى خلته * بحيا من لكفيك سقى
يابنى معن لقد ظلت بكم * شجر لولا كم لم تورق
لو سقى حسان احسانكم * ما بكى ندمانه فى جلق
أودنا الطائى من حيكم * ما حدا البرق لربع الابرق
أبدعوا فى الفضل حتى كلفوا * كاهل الايام ما لم يطق

فلما سمعها المعتصم لعبت بارتياحه وحسده بعض من حضر وكان من جملة من حسده ابن أخت غانم فقال له من أى البوادى أنت قال أنا من الشرف فى الدرجة العالية وان كانت البادية على بادية ولا أنكر خالى ولا أعرف بحالى فمات ابن اخت غانم خجلا وشمت به كل من حضر وابن شرف المذكور هو الحكيم الفيلسوف أبو الفضل جعفر ابن أديب افريقية أبى عبد الله محمد بن شرف الجذامى ولد ببرجة وقيل انه دخل الاندلس مع ابيه وهو ابن سبع سنين ومن نظمه قوله

رأى الحسن ما فى خده من بدائع * فاعجبه ما ضمنه وحرفا
وقال لقد ألفيت فيه نوادرا * فقلت له لا بل غريبا مصنفا

وقوله

قد وقف الشكر بى لديكم * فلست أقوى على الوفاده
ونلت أقصى المراد منكم * فصرت أخشى من الزياده

وقوله

اذا ما عدوك يوما سما * الى رتبة لم تطق نقضها
فقبل ولا تأنفن كفه * اذا أنت لم تستطع عضها

وقوله وقد تقدم به على كل شاعر

لم يبق للجور فى أيامهم أثر * غير الذى فى عيون الغيد من حور

وأوّل هذه القصيدة قوله

قامت تجر ذيول العصب والحبر * ضعيفة الخصر والميثاق والنظر

وكان قد قصر أمداحه على المعتصم وكان يفد عليه فى الاعياد وأوقات الفرج والفتوحات فوفد عليه مرة يشكو عاملا ناقشه فى قرية يحرث فيها وأنشده الرائية التى مطلعها الى أن بلغ

قوله

وان أترك أذيقهم الحتوفا

فقالت له سلمى يا أبا محجن فى أى شئ حبسك هذا الرجل تعنى سعدا قال والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى فأصف القهوة وتداخلنى أريحية فألتذ بمدحى اياها فلذلك حبسنى لانى قلت فيها

اذا مت فادفنى الى جنب كرمة * تروّى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فاننى * أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

وهى أبيات وقد كان بين سلمى وسعد كلام كثير أوجب اغضبه عليها لذكرها المثنى عند مختلف القنا فأقامت مغاضبة له عشية ازمار وليلة الهدار وليلة السواد حتى اذا أصبحت أتته فرضته وصالحته ثم أخبرته خبرها مع أبى محجن فدعا به فاطلقه وقال اذهب فما أنا مؤاخذك بشئ تقوله حتى تفعله قال لا جرم والله لا أجبت لسانى الى صفة قبيح أبدا وأصبح الناس فى اليوم الثالث وهم على مصافهم وهو يوم عماس وأصبحت الاعاجم على مواقفها وأصبح بين الفريقين كالدجلة العوراء والفرات فى عرض ما بين الصفين وقد قتل من

قوله لم يبق للعجوز البيت فقال له كم فى القرية التى تحرث فيها فقال فيها نحو خمسين بيتا فقال له أنا أسوّغك جميعها لهذا البيت الواحد ثم وقع له بها وعزل عنها نظر كل وال وله ابن فيلسوف شاعر مثله وهو أبو عبد الله محمد بن الفضل المذكور وهو القائل

وكريم أجارنى من زمان * لم يكن من خطوبه لى بدّ
منشد كلما أقول تناهى * ما لمن يبتغى المكارم حدّ

وابن أخت غانم هو العالم اللغوى أبو عبد الله محمد بن معمر من أعيان مالقة متفنن فى علوم شتى الا أن الغالب عليه علم اللغة وكان قد رحل من مالقة الى المرية فحل عند ملكها المعتصم بن صمادح بالمكانة العلية وهو القائل فى ابن شرف المذكور

قولوا الشاعر برجة هل جاء من * أرض العراق فحاز طبع البحترى
وافى بأشعار تضج بكفه * وتقول هل أعزى لمن لم يشعر
يا جعفر اردد القريض لأهله * واترك مباراة لتلك الابحر
لا تزعمن ما لم تكن أهلا له * هذا الرضاب لغير فيك الابخر

وذكره ابن اليسع فى مغربه وقال انه حدثه بداره فى مالقة وهو ابن مائة سنة وأخذ عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة وله تآليف منها شرح كتاب النبات لابى حنيفة الدينورى فى ستين مجلدا وغير ذلك * وغانم خاله الذى يعرف به هو الامام العالم غانم المخزومى نسب اليه لشهرة ذكره وعلوّ قدره ولما قرأ العالم الشهير أبو محمد بن عبدون فى أوّل شبابه على أبى الوليد بن ضابط النحوى المالقى جرى بين يديه ذكر الشعر وكان قد ضجر منه فقال

الشعر خطة خسف

فقال ابن عبدون معرضا به حين كان مستجديا بالشعر وكان اذ ذاك شيخا

لكل طالب عرف

للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظرف

وابن ضابط هو القائل فى المظفر بن الافطس

نظمنا لك الشعر البديع لاننا * علمنا بأن الشعر عندك ينفق
فان كنت منى بامتداح مظفرا * فانى فى قصدى اليك موفق

ودخل غانم المخزومى السابق ذكره وهو من رجال الذخيرة على الملك ابن حيوس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان فى المجلس فقال

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وهو القائل

وقد كنت أغدو نحو قطرك فارحا * فها أنا أغدو نحو قبرك ثاكلا
وقد كنت فى مدحيك سحبان وائل * فها أنا من فرط التأسف باقلا

وله أيضا

الصبر أولى بوقار الفتى * من ملك يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة * كان على أيامه بالخيار

فقال سعد أيها الناس من شاء غسل الشهيد الميت والرثيث ومن شاء فليدفنهم بدمائهم وأقبل المسلمون على قتلاهم فاحرزوهم وجعلوهم وراء ظهورهم وكان النساء والصبيان يدفنون الشهيد ويحملون الرثيث الى النساء ويعالجن فى كلومهم وكان بين موضع الوقعة مما يلى القادسية وبين حصن العذيب نخلة فاذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر الى تلك النخلة ولم يكن هنالك يومئذ نخلة غيرها واليوم بها نخل كثير قال لحامله قد قربت من السواد فأريحونى تحت ظل هذه النخلة فيرتاح تحتها ساعة فسمع رجل من الجرحى يقول

ألا فاسلمى يا نخلة بين فارس
وبين العذيب لا يجاورك النخل

وسمع آخر من بنى تيم الله وقد أريح تحتها وحشوته خارجة من جوفه وهو يقول

أيا نخلة الجرحى ويا نخلة العدا
سقتك الغوادى والغيوث الهواطل

واثخن الاعور بن قطنة فحمل من المعركة فسأل حامله أن يريحه تحتها حتى اذا بلغ اليها قال

وكتب أبو على الحسن بن الغليظ الى صاحبه ابى عبدالله بن السراج وقد قدم من سفر

يامن أقلب طرفى فى محاسـنه * فلا أرى مثـله فى الناس انسانا
لو كنت تعلم مالاقيت بعدك ما * شربت كاسا ولا استحسنت ريحانا

فورد عليه من حينه وقال أردت مجاوبتك فخفت أن أبطئ وصنعت الجواب فى الطريق

يامن اذا ماسـقتنى الراح راحتـه * أهـدت الى بها روحا وريحانا
من لم يكن فى صباح السبت يأخذها * فليس عندى بحكم الظرف انسانا
فـكن على حسن هذا اليوم مصطبحا * مذاكرا حسنا فيه واحسانا
وفى البساتين ان ضاق المحـل بنا * مندوحة لاعدمنا الدهر بستانا

ووفد أبو على الحسن بن كسرين المالقى المشهور على ملك اشبيلية السيد أبى اسحق ابراهيم ابن أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على فأنشده قصيدة طار مطلعها فى الاقطار كل مطار وهو

قسما بحمص انه لعظيم * فهـى المقام وأنت ابراهيم

ووصف الشاعر عطاء المالقى غادة جعلت على رأسها تاجا فقال

وذات تاج رصعوا دوره * فـزاد فى لألائها باللا ل
كانها شمس وقد توجت * بأنجم الجوزاء فوق الهلال
قد اشتكى الخلخال منها الى * سوارها فاشتبها فى المقال
وأجرياذ كر الوشاح الذى * لمايزل من خصرها فى مجال
فقال لم ارض بما نلتـه * وليتنى مثلكما لا ازال
اغص بالخصر وأعيابه * كغص ظمآن بماء زلال
وانما الدهر بغير الرضا * يقضى فكل غير راض بحال

وهو القائل

سل بحمامنا الذى * كل عن شكره فمى
كم ارانى بقربه * جنـة فى جهنم

وكان يحضر حلقة الامام السهيلى وضىء الوجه من تلامذته فانقطع لعارض فخرج السهيلى مارا فى الطريق الذى جرت عادته بالمشى فيه فوجد قناة تصلح فمنعته من المرور فرجع وسلك طريقا آخر فمر على دار تلميذه الوضىء فقال له بعض اصحابه مجازا بعبوره على منزله فقال نعم وانشد ارتجالا

جعلت طريقى على بابه * ومالى علـى بابه من طريق
وعاديت من اجله جيرتى * وآخيت من لم يكن لى صديق
فان كان قتـلى حلالا لكم * فسيروا بروحى سيرا رفيق

وابو القاسم السهيلى مشهور عرف به ابن خلكان وغيره ويكنى ايضا بأبى زيد وهو صاحب كتاب الروض الانف وغيره واجتاز على سهيل وقد نخر به العدو لما اغار عليه وقتلوا اهله واقار به وكان غائبا عنهم فاستأجر من اركبه دابة واتى به اليه فوقف بازائه وانشد

أيانخلة بين العذيب فقلعة * سقتك الغوادى الداجنات من النخل

واصبح الناس صبيحة يوم القادسية وهى صبيحة ليلة الهرير وهى تسمى ليلة القادسية من تلك الايام والناس حيارى ولم يغمضوا ليلتهم كلها وحرض رؤساء القبائل عشائرهم واشتد الجلاد الى أن جاء وقت الزوال فكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان فتأخر وسار حتى انتهى وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرة وهبت ريح عاصف فقطعت طيارة رستم عن سريره فهوت فى نهر العقيق والريح دبور فمال الغبار عليهم وانتهى القعقاع وأصحابه الى سرير رستم فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة الى بغال قد قدمت عليهم بمال يومئذ فهى واقفة فاستظل فى ظل بغل منها وحمله وضرب هلال بن علقمة الحمل الذى رستم فى ظله فقطع حباله ووقع على رستم أحد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فأزال من ظهره فقارة ومضى رستم الى نحو نهر العقيق فرمى بنفسه فيه واقتحم هلال عليه فتناوله برجله ثم خرج به الى الخندق وضربه بالسيف حتى قتله ثم جاء به يجره حتى رماه بين أرجل البغال وصعد السرير ونادى قتلت رستم ورب الكعبة الى الى

يادارأين البيض والآرام * أم اين جـيران على كرام
راب المحب من المنازل انه * حيافلم يرجع اليه سلام
لماأجابنى الصدى عنهم ولم * يلج المسامع للحبيب كلام
طارحت ورق حمامها مترنما * بمقال صب والدموع سجام
يادارمافعلت بك الايام * ضامتك والايام ليس تضام

وجرى بين السهيلى والرصافى الشاعر المشهور مااقتضى قول الرصافى

عفا الله عنى فانى امرؤ * اتيت السلامة من بابها
على أن عندى ان هاجنى * كنائن غصت بنشابها
ولو كنت ارمى بهامسلما * لكان السهيلى اولى بها

وتوفى السهيلى بمراكش سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وزرت قبره بها مرارا سنة عشر والف وسكن رحمه الله تعالى اشبيلية مدة ولازم القاضى ابابكر بن العربى وابن الطراوة وعنه اخذ لسان العرب وكان ضريرا ومن شعره ايضا لماقال كيف أمسيت مكان كيف اصبحت

لئن قلت صبحا كيف امسيت مخطئا * فما انافى ذاك الخطاملوم
طلعت وافنى مظلم لفراقكم * فخلتك بدراوالمساء هموم

*وحكى ان الوزير الكاتب اباالفضل بن حسداى الاسرائيلى السرقسطى وهومن رجال الذخيرة عشق جارية ذهبت بلبه وغلبت على قلبه فجن بهاجنونه وخلع عليها دينه وعلم بذلك صاحبها فزفها اليه وجعل زمامها فى يديه فتحامى عن موضعه من وصلها أنفة من أن يظن الناس أن اسلامه كان من أجلها فحسن ذكره وخفى على كثير من الناس أمره ومن شعره قوله

وأطربنا غيم يمازج شمسه * بستر طورابالسحاب ويكشف
ترى قزحافى الجو يفتح قوسه * مكباعلى قطن من الثلج يندف

وكان فى مجلس المقتدر بن هود ينظر فى مجلد فدخل الوزير الكاتب أبو الفضل بن الدباغ وأراد أن يندر به فقال له وكان ذلك بعد اسلامه يا أبا الفضل ما الذى تنظر فيه من الكتب لعله التوراة فقال نعم وجلدها من جلد بغه من تعلم فبات خجلا وضحك المقتدر وأراد الشاعر أبوالربيع سليمان السرقسطى حضورنديم له فكتب اليه

بالراح والريحان والياسمين * و بكرة الندمان قبل الاذين
وبهجة الروض بأندائه * مقلدا منه بعقد ثمين
الا أجب بقاندائى الى الـــكاس تبدت لذة الشاربين
هامت بها الاعين من قبل أن * يخبرها الذوق بحق اليقين
لاحت لدينا شقة امعلنا * فكن لها بالله صبحامبين

وكتب على بن خير التطيلى الى ابن عبد الصمد السرقسطى يستدعيه الى مجلس أنس انا أطال الله تعالى بقاء الكاتب سراج العلم وشهاب الفهم فى مجلس قد عبقت تفاحه وضحكت راحه وخفقت حولنا للطرب ألوية وسالت بيننا للهو أودية وحضرتنا مقلة

فمن غريق وقتيل وقد كان ثلاثون الفامنهم قرنوا انفسهم بعضهم الى بعض بالسلاسل والحبال وتحالفوا بالنور وبيوت النيران لايبرحون حتى يقتحموا أو يقتلوا فجثوا على الركب وقرع بين ايديهم فنابيل النشاب فقتل القوم جميعا (وقد تنوزع) فيمن قتل رستم فذهب الاكثر الى ان قاتله هلال بن علقمة بن تيم الرباب على ماقدمناومنهم من راى ان قاتله رجل من بنى اسد ولذلك يقول شاعرهم فى ذلك اليوم وهوعمروبن شاس الاسدى من ابيات

جلبنا الخيل فى اكناف هف الى كسرى يوافقها رعالا
تركن بهم على الاصنام سحرا
وبالحقوين أياماطوالا
قتلنارستماوبنيه قسرا
تثير الخيل فوقهم الهمالا
تركنامنهم حيث التقينا
قياما لايريدون ارتحالا

وأخذ ضرار بن الخطاب فى ذلك اليوم من فارس الراية العظمى المقدم ذكرها أنها من جلود النمور المعروفة بدرفس كاسان وكانت مرصعة بالياقوت واللؤلؤ وأنواع الجوهر فعوض منها بثلاثين الفا وكانت قيمتها ألفى ألف ومائتى ألف وقتل فى ذلك اليوم حول هذه الراية

تسأل منك انسانها وصحيفة فلان عنوانها فان رأيت أن تجعل الينا القصد لتحصل بك فى جنة الخلد صقلت نفوسا أصداها بعدك وأبرزت شمسا أدجاها فقدك فأجابه ابن عبد الصمد فضضت أيها الكاتب العليم والمصقع الحبر الصميم طابع كتابك فنحى منه جوهر منتخب لا يشوبه مختلب هو السحر الا انه حلال دل على ودحنيت ضلوعك عليه ووثيق عهد انتدب كريم سجيتك اليه فبالت فالق الحب وعالم القلب بالحب أن يصون لى حظى منك ويدرأ لى النوائب عنك ولم يمنعنى أن أصرف وجه الاجابة الى مرغوبك وامتطى جواد الانحدار الى محبوبك الاعارض ألم بى فقيد بقيده نشاطى وتركنى أتحامل على فراشى كالسليم واستمطر الاصباح من الليل البهيم وانا منتظر لادباره (ومن لطف اهل الاندلس ورقة طباعهم) ماحكاه ابو عمرو بن سالم المالقى قال كنت جالسا بمنزلى بمالقة فهاجت نفسى أن اخرج الى الجبانة وكان يوما شديد الحر فراودتها على القعود فلم تمكنى من القعود فمشيت حتى انتهيت الى مسجد يعرف برابطة الغبار وعنده الخطيب ابو محمد عبد الوهاب بن على المالقى فقال لى انى كنت ادعو الله تعالى ان يأتينى بك وقد فعل فالحمد لله فأخبرته بما كان منى ثم جلست عنده فقال انشدنى فأنشدته لبعض الاندلسيين

غصبوا الصباح فقسموه خدودا * واستوعبوا قضب الاراك قدودا
ورأوا حصا الياقوت دون نحورهم * فتقلدوا شهب النجوم عقودا
لم يكفهم حد الاسنة والظبا * حتى استعاروا أعينا وخدودا

فصاح الشيخ وأغمى عليه وتصبب عرقا ثم أفاق بعد ساعة وقال يابنى اعذرنى فشيئان يقهرانى ولا أملك نفسى عندهما النظر الى الوجه الحسن وسماع الشعر المطبوع انتهى وستأتى هذه الابيات فى هذا الباب بأتم من هذا وعلى كل حال فهى لاهل الاندلس لا لابن دريد كما ذكره بعضهم وسيأتى تسمية صاحبها الاندلسى كما فى كتاب المغرب لابن سعيد العنسى المشهور رحمه الله تعالى وقال بعض الادباء ليحيى الجزار وهو يبيع لحم ضأن لحم اناث الكباش مهزول فقال يحيى يقول للمشترين مه زولوا وقال التطيلى الاعمى فى وصف أسد رخام يرمى بالماء على بحيرة

أسد ولو أنى أنا * قشته الحساب لقلت صخره
وكأنه أسد السما * ء يمج من فيه المجره

وحضر جماعة من أعيان الادباء مثل الابيض وابن بقى وغيرهما من الوشاحين واتفقوا على أن يصنع كل واحد منهم موشحة فلما أنشد الاعمى موشحته التى مطلعها

ضاحك عن جمان * سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان * وحواه صدرى

خرق كل منهم موشحته وتحاكمت امرأة الى القاضى أبى محمد عبد الله الازدى الاصبحى وكانت ذات جمال ونادرة فحكم لزوجها عليها فقالت له من يضيع قلبه كل طرف فاتر جدير أن يحكم بهذا تشير الى قوله

أين قلبى أضاعه كل طرف * فاتر يصرع الحليم لديه

غير ماذكرنا من المقربين وغيرهم عشرة آلاف (وقد تنازع الناس) ممن سلف وخلف فى عام القادسية والعذيب فذهب كثير من الناس الى ان ذلك كان فى سنة خمس عشرة ومنهم من رأى انه كان فى سنة أربع عشرة والذى قطع عليه محمد بن اسحق انها كانت فى خمس عشرة وقال فى سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب بالقيام فى شهر رمضان لصلاة التراويح وذهب كثير من الناس منهم المدائنى وغيره أن عمر أنفذ عتبة بن غزوان فى سنة أربع عشرة الى البصرة فنزلها ومصرها وذهب كثير من الناس انها مصرت فى ربيع سنة ست عشرة وان عتبة بن غزوان انما خرج اليها من المدائن بعد فراغ سعد بن أبى وقاص من حرب جلولاء وتكريت وان عتبة قدم البصرة وهى يومئذ تدعى أرض الهند وفيها حجارة بيض فنزل موضع الحربية ومصر سعد بن ابى وقاص الكوفة فى سنة خمس عشرة ودلهم على موضعها نفيلة الغسانى وقال لسعد أدلك على أرض ارتفعت عن البر وانحدرت عن الفلاة فدله على موضع الكوفة الى اليوم (قال المسعودى) وكان عمر لا يترك أحدا من العجم يدخل المدينة فكتب اليه المغيرة بن شعبة ان عندى غلاما

كاملا

كلما ازداد ضعفه ازداد فتكا * أى صبر ترى يكون عليه

وحضر أبو اسحق بن خفاجة مجلسا عرسية مع أبى محمد جعفر بن عنق الفضة الفقيه السالمى وتذاكرا فاستطال ابن عنق الفضة ولعب بأطراف الكلام ولم يكن ابن خفاجة يعرفه فقال له ياهذا لم تترك لاحد حظا فى هذا المجلس فليت شعرى من تكون فقال أنا القائل

الهوى علمنى سهد الليال * ونظام الشعر فى هذى اللآل
كلما هبت شمال منهم * لعبت بى عن يمين وشمال
وأرقت فكرتى أرواحها * فأتت منهن بالسحر الحلال
كان كالملح اجاجا خاطرى * وسحاب الحب أبدته زلال

فاهتز ابن خفاجة وقال من يكون هذا قوله لا ينبغى أن يجهل ولك المعذرة فى جهلك فانك لم تعرفنا بنفسك فبالله من تكون فقال أنا فلان فعرفه وقضى حقه وحكى ابن غالب فى فرحة الانفس ان الوزيرابا عثمان بن شنتفير وابا عمر بن عبد شلب وفدا رسولين على المعتمد بن عباد عن اقبال الدولة بن مجاهد والمعتصم بن صمادح والمقتدر بن هود لاصلاح ما كان بين المعتمد وبين ابن ذى النون فسر المعتمد بهم وأكرمهم ودعاهم الى طعام صنعه لهم وكان لا يظهر شرب الراح منذ ولى الملك فلما رأوا انقباضه عن ذلك تحاموا الشراب فلما أمر بكتب أجوبتهم كتب له أبو عامر

بقيت حاجة لعبد رغيب * لم يدع غيرها له من نصيب
هى خيرية المساء حديثا * وأنا فى الصباح أخشى رقيبى
فاذا أمس كان عندى نهارا * لم تخفى عليه بعد الغروب
واذا الليل جن حدثت جلا * سى بما كان من حديث غريب
قيل ان الدجى لديك نهار * وكذاك الدجى نهار الاريب
فتمنيت ليلة لس فيها * لذكاك السنى من مغيب
حيث أعطيك فى الخلاء وتعطينى مداما كمثل ريق الحبيب
ثم أغدو كأننى كنت فى النو * م وأخفى المنام خوف هزيب

والهزيب الرقيب العتيد فى كلام أهل الاندلس فسر المعتمد وانبسط بانبساطه وضحك من مجونه وكتب اليه

يا مجابا دعا الى مستجيب * فسمعنا دعاءه من قريب
ان فعلت الذى دعوت اليه * كنت فيما رغبت عين رغيب

واستحضره فنادمه خاليا وكساه ووصله وانقلب مسرورا وظن المعتمد أن ذلك يخفى من فعله عن ابن شنتفير فاعلمه بالامر القائد ابن مرتين فكاد يتفطر حسدا وكتب الى المعتمد

أنا عبد لدولتيه كل بر * لم تدع من فنون برك فنا
غير رفع الحجاب فى شربك الرا * ح فماذا اجتناه أن يتجنى
وتمنى شراب سؤرك فى الكا * س فبالله أعطه ما تمنى

فسر بأبياته وأجابه

نقاشا نجارا حدادا فيه منافع لاهل المدينة فان رأيت ان تأذن لى فى الارسال به فعلت فأذن له وقد كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين وكان يدعى أبا لؤلؤة وكان مجوسيا من أهل نهاوند فلبث ماشاء الله ثم أتى عمر يشكو اليه ثقل خراجه فقال له عمر وما تحسن من الاعمال قال نقاش نجار حداد فقال له عمر ما خراجك بكثير فى كنه ما تحسن من الاعمال فمضى عنه وهو مدبر قال ثم مر بعمر يوما آخر وهو قاعد فقال له عمر ألم احدث عنك أنك تقول لو شئت ان اصنع رحا تطحن بالريح لفعلت فقال أبو لؤلؤة لاصنعن لك رحا يتحدث الناس بها ومضى ابو لؤلؤة فقال عمر اما العلج فقد توعدنى آنفا فلما ازمع بالذى اوعد به أخذ خنجرا فاشتمل عليه ثم قعد لعمر فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس وكان عمر يخرج فى السحر فيوقظ الناس فمر به فثار اليه فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت سرته وهى التى قتلته وطعن اثنى عشر رجلا من أهل المسجد فمات منهم ستة وبقى ستة ونحر نفسه بخنجره فمات فدخل عليه ابنه عبد الله ابن عمر وهو يجود بنفسه فقال له يا أمير المؤمنين استخلف على امة محمد فانه لو جاءك راعى ابلك أو غنمك وترك ابله او غنمه لا راعى بها لمته وقلت له

يا كريم المحل فى كل معنى * والكريم المحل ليس يعنى
هذه الخمر تشتغيك نخذها * أودعها أو كيفماشئت كنا

وكان يقرأ فى مجلس ملك السهلة ابى مروان بن رزين ذى الرياستين ديوان شعر محمد بن هانئ وكان القارئ فيه بله فلما وصل الى قوله * حرام حرام زمان الفقير * اتفق أن عرض للملك ما اشتغل به فقال للقارئ أين وقفت فقال فى حرام فقام الملك وقال هذا موضع لا أقف معك فيه ادخل أنت وحدك ثم دخل الى قصره وانقلب المجلس ضحكا وكان للملك المذكور وزير من أعاجيب الدهر وهو الكاتب أبو بكر بن سدراى وذكره الحجارى فى المسهب وقال ان له شعرا أرق من نسيم السحر وأندى من الطل على الزهر ومنه قوله

ماضركم لو بعثتم * ولو بأدنى تحيه
تهزنى من شذاها * اليكم الاريحيه
خذوا سلامى اليكم * مع الرياح النديه
فى كل سحرة يوم * تترى وكل عشيه
يارب طال اصطبارى * ماالوجد الا بليه
غيلان بالشرق أضحى * وحلت الغرب ميه

وقوله

سابق المجد فى شرق وغرب * فما ساد الفتى دون اغتراب
فان بلغت مأمولا فانى * جهدت ولم اقصر فى الطلاب
وان انا لم افز بمراد سعيى * فكم من حسرة تحت التراب

وقال ملك بلنسية مروان بن عبد العزيز لما ولى مكانه من لا يساويه

ولا غرو بعدى أن يسوّد معشر * فيضحى لهم يوم وليس لهم امس
كذاك نجوم الجوّ تبدو زواهرا * اذا ما توارت فى مغاربها الشمس

وقال ابن دحية دخلت عليه وهو يتوضأ فنظر الى لحيته وقد اشتعلت بالشيب اشتعالا فانشد لنفسه ارتجالا

ولما رايت الشيب أيقنت أنه * نذير لجسمى بانهدام بنائه
اذا ابيض مخضر النبات فانه * دليل على استحصاده وفنائه

واعتل ابن ذى الوزارتين ابى عامر بن الفرج وزير المأمون بن ذى النون وهو من رجال الذخيرة والقلائد فوصف له ان يتداوى بالخمر العتيق وبلغه ان عند بعض الغلمان منها شيأ فكتب اليه يستهديه

ابعث بها مثل ودك * ارق من ماء خدك
شقيقة النفس فانضح * بها جوى ابى وعبدك

وهو القائل معتذرا عن تخلفه عمن جاءه منذرا

ما تخلفت عنك الا لعذر * ودليلى فى ذاك خوفى عليكا
هبك أن الفرار من غير عذر * اتراه يكون الا اليكا

وله من رسالة هناء

فقد استخلف أبو بكر وان اتركهم فقد تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيئس منه عبد الله حين سمع ذلك منه (وكان اسلام عمر) قبل الهجرة باربع سنين وكان يخضب بالحناء والكتم وكان له من الولد عبد الله وحفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وعاصم وفاطمة وزيد من ام وعبد الرحمن وفاطمة وبنات اخو عبد الرحمن الاصغر وهو المحدود فى الشراب وهو المعروف بابى شحمة من ام (وذكر عبد الله بن عباس) ان عمر ارسل اليه فقال يا ابن عباس ان عامل حمص هلك وكان من أهل الخير واهل الخير قليل وقد رجوت أن تكون منهم وفى نفسى منك شئ لم أره منك واعيانى ذلك فما رأيك فى العمل قال لن اعمل حتى تخبرنى بالذى فى نفسك قال وما تريد الى ذلك قال اريده فان كان شيأ أخاف منه على نفسى خشيت منه عليها الذى خشيت وان كنت بريأ من مثله علمت انى لست من أهله فقبلت عملك هنالك فانى قلما رأيت اوظننت شيأ الا عاينته فقال يا ابن عباس انى خشيت ان ياتى على الذى هو آت وأنت فى عملك فتقول هلم الينا

اهنئ بالعيد من وجهه * هو العيد لولاح لى طالعا
وادعو الى الله سبحانه * بشمل يكون لنا جامعا

وكتب الى الوزير الحصرى يستدعيه ان يكون من ندمائه فكتب اليه الوزير الحصرى يستعفيه اليوم فلما اراده كتب اليه

هاقد ذهبت بكم وكلكم هوى * واحقكم بالشكر منى السابق
كالشمس انت وقد اظل طلوعها * فاطلع وبين يديك فجر صادق

وله فى رئيس مرسية ابى عبد الرحمن بن طاهر وكان ممتع المجالسة كثير النادرة

قد رايناك الذى قد سمعنا * فغدا الخبر عاضد الاخبار
قد وردنا لديك بحرا غزيرا * وارتقينا حيث النجوم الدرارى
ولكم مجلس لديك انصرفنا * عنه مثل الصبا عن الازهار

وشرب الاديب الفاضل ابو الحسن على بن حريق عشية مع من يهواه ورام الانفصال عنه لداره فمنعه سيل حال بينه وبين داره فبات عنده على غير اختياره فقال ابن حريق

ياليلة جادت الليالى * بها على رغم أنف دهرى
للسيل فيها على نعمى * يقصر عنها لسان شكرى
أبات فى منزلى حبيبى * وقام فى أهله بعذر
فبت لا حالة كحالى * ضجيع بدر صريع سكر
ياليلة القدر فى الليالى * لأنت خير من ألف شهر

ومن حسنات ابن حريق المذكور قوله

ياويح من بالمغرب الاقصى ثوى * خلف النوى وحبيبه بالمشرق
لولا الحذار على الورى لاقتما * بينى وبينك من زفير محرق
وسكبت دمعى ثم قلت اسكبه * من لم يذب من زفرة فليغرق
لكن خشيت عقاب ربى ان أنا * أحرقت أو أغرقت من لم أخلق

وله لم يبق عندى للصبابة * الا الاحاديث على الخمر
وله فقبلت اثرك فوق الثرى * وعانقت ذكرك فى مضجعى
وله ان ماء كان فى وجنتها * وردته السن حتى نشفا
وذوى العناب من أنملها * فاعادته الليالى حشفا

وأورد له أبو بحر فى زاد المسافر قوله

كلمته فاحمر من خجل * حتى اكتسى بالعسجد الورق
وسألته تقبيل راحته * فأبى وقال أخاف أحترق
حتى زفيرى عاق عن أملى * ان الشفاء بريقه شرق

وقوله فى السواقى

وكأنما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح مدة الطوفان
فاذا رأينا الماء يطفح نضنضت * من كل خرق حية بلسان

ولاهل اليكم دون غيركم انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل الناس وتركتكم قال والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك قال والله ما أدرى أضن بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم أم خشى ان تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العقاب ولابد من عتاب فقد قرعت لك قال فما رأيك قال قلت اراتى لا اعمل لك قال ولم قلت ان عملت لك وفى نفسك مافيها لم ابرح قذى فى عينك قال فأشر على قلت انى ارى ان تستعمل صحيحا منك صحيحا لك (وذكر) علقمة بن عبد الله المزنى عن معقل بن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان فى فارس واصبهان واذربيجان فقال له اصبهان الرأس وفارس واذربيجان الجناحان فان قطعت احد الجناحين نأى الرأس بالجناح الآخر وان قطعت الرأس وقع فابدأ بالرأس فدخل المسجد فاذا هو بالنعمان بن مقرن يصلى فقعد الى جنبه فلما قضى صلاته قال ما أرانى الا مستعملك قال أما جابيا فلا ولكن غازيا قال فانك غاز فوجهه وكتب الى أهل الكوفة أن يمدوه وبعث معه الزبير بن العوام وعمرو بن معديكرب وحذيفة وابن عمر والاشعث بن قيس فارسل النعمان المغيرة بن شعبة الى ملكهم

وقال الفيلسوف أبو جعفر بن الذهبي فمن جمع بينه و بين أحد الفضلاء

أيها الفاضل الذى قد هدانى * نحو من قد حمدته باختيار
شكر الله ما أتيت وجازا * ك ولازلت نجم هدى لسارى
أى برق أفاد أى غمام * وصباح أدى لضوء نهار
واذا ما النسيم كان دليلى * لم يحلنى الا على الازهار

وأنشد أبو عبد الله محمد بن عبادة الوشاح المعتصم بن صمادح شعرا يقول فيه

ولو لم أكن عبد الآل صمادح * وفى أرضهم أصلى وعيشى ومولدى
لما كان لى الا اليهم ترحل * وفى ظلهم أمسى وأضحى وأغتدى

فارتاح وقال يا ابن عبادة ما أنصفناك بل أنت الحر لا العبد فاشرح لنا فى أملك فقال أنا عبدكم كما قال ابن نباتة

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

فالتفت الى ابنه الواثق يحيى ولى عهده وقال اذا اصطنعت الرجال فمثل هذا فاصطنع ضمه اليك وافعل معه ما تقتضيه وصيتى به ونهى اليه كل وقت فأقام نديما لولى العهد المذكور وله فيهما الموشحات المشهورة كقوله

كم فى قدود البان تحت اللمم من أقرع واطى
بأغصل وبشان مثل العنم لم تنبرى للعاطى

ولما بلغ المعتصم أن خلف بن فرج السميسر هجاه احتال فى طلبه حتى حصل فى قبضته ثم قال له أنشدنى ما قلت فى فقال له وحق من حصلنى فى يدك ما قلت شرا فيك وانما قلت

رأيت آدم فى نومى فقلت له * أبا البرية ان الناس قد حكموا
أن البرابر نسل منك قال اذن * حواء طالقة ان كان ما زعموا

فأباح ابن بلقين صاحب غرناطة دمى فخرجت الى بلادك هاربا فوضع على من أشاع ما بلغك عنى لتقتلنى أنت فيدرك ثاره بك ويكون الاثم عليك فقال وما قلت فيه خاصة مضافا الى ما قلته فى عامة قومه فقال لما رأيته مشغوفا بتشييد قلعته التى يتحصن فيها بغرناطة قلت

يبنى على نفسه سفاها * كأنه دودة الحرير

فقال له المعتصم لقد أحسنت فى الاساءة اليه فاختر هل أحسن اليك وأخلى سبيلك أم أجيرك منه فارتجل

خيرنى المعتصم * وهو بقصدى أعلم
وهو أن يجمع لى * امناومنا أكرم

فقال خاطرك خاطر شيطان ولك الأمن والامان فأقام فى احسانه باوطانه حتى خلع عن ملكه وسلطانه ولما أنشده عمر بن الشهيد قصيدته التى يقول فيها

سبط البنان كأن كل غمامة * قد ركبت فى راحتيه أناملا
لا عيش الا حيث كنت وانما * تمضى ليالى العمر بعدك باطلا

التفت الى من حضر من الشعراء وقال هل فيكم من يحسن أن يجلب القلوب بمثل هذا فقال

فقال ما ترون فقالوا اقعد له فى بهجة الملك فقعد على سريره ووضع التاج على رأسه وأقعد أبناء الملوك سماطين عليهم الاقراط واسورة الذهب والديباج وأذن للمغيرة فاخذ بضبعيه رجلان ومعه سيفه ورمحه قال فجعل المغيرة يطعن برمحه فى بسطهم يخرقها لينظروا فيغضبهم بذلك حتى قام بين يديه وجعل يكلمه والترجمان يترجم بينهما فقال انكم معشر العرب أصابكم جهد فان شئتم مرناكم ورجعتم فتكلم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انا معشر العرب كنا أذلة يطؤنا الناس ولا نطؤهم ونأكل الكلاب والجيف ثم ان الله تعالى بعث منا نبيا فى شرف منا أوسطنا حسبا وأصدقنا حديثا بعث النبى صلى الله عليه وسلم ببعثه وأخبرنا باشياء وجدناها كما قال لنا وانه وعدنا فيما وعدنا به أنا سنملك ما ههنا ونغلب عليه وانى أرى ههنا هيئة وبزة ما من خلفى بتاركيها يصيبونها أو يموتوا فقالت لى نفسى لو جمعت جراميزى ووثبت فقعدت مع العلج

أبو جعفر الخزاز البطرني نعم ولكن للسعادة هبات وقد أنشدت مولانا قبل هذا أبياتا أقول فيها

وما زلت أجني منك والدهر ممحل * ولا ثمر يجنى ولا الزرع يحصد
ثمار أياد دانيات قطوفها * لأغصانها ظل على ممدد
يرى جاريا ماء المكارم تحتها * وأطيار شكري فوقهن تغرد

فارتاح المعتصم وقال أأنت أنشدتني هذا قال نعم قال والله كأنها ما مرت بسمعي الى الآن صدقت للسعد هبات ونحن نجيزك عليها بجائزتين الاولى لها والثانية لمطل واجبها وغمط احسانها انتهى * وقال بعض ذرية ملوك اشبيلية

نثر الورد بالخليج وقد درج أمواهه هبوب الرياح
مثل درع الكمي مزقها الطعن فسالت بها دماء الجراح

وقال ابن صارة في النارنج

كرات عقيق في غصون زبرجد * بكف نسيم الريح منها صوالج
نقبلها طورا وطورا نشمها * فهن خدود بيننا ونوافج

وقال أبو الحسن بن الزقاق ابن أخت ابن خفاجة

وماشق وجنته عابثا * ولكنها آية للبشر
جلاها لنا الله كيما ترى * بها كيف كان انشقاق القمر

وقال

ضربوا ببطن الواديين قبابهم * بين الصوارم والقنا المياد
والورق تهتف حولهم طربا بهم * فبكل محنية ترنم شادي
يا بانة الوادي كفى حزنا بنا * أن لا نطارح غير بانة وادي

وقال

نحن في مجلس به كمل الانس ولو زرتنا لزاد كمالا
طلعت فيه من كؤوس الحميا * ومن الزهر أنجم تتلالا
غير أن النجوم دون هلال * فلتكن منعما لهن الهلالا

وقال

وهويتها سمراء غنت وانثنت * فنظرت من ورقاء في أملودها
تشدو ووسواس الحلي يجيبها * مهما انثنت في وشيها وعقودها
أوليس من بدع الزمان حمامة * غنت فغنى طوقها في جيدها

وقال

لئن بكيت دما والعزم من شيمي * على الخليط فقد يبكي الحسام دما

وقال أبو تمام غالب بن رباح الحجام في دولاب طار منه لوح فوقف

وذات شدو ما لها حلم * كل فتى بالضمير حياها
وطار لوح بها فأوقفها * كلمحة العين حين أجراها

وكان المذكور ربي في قلعة رباح غربي طليطلة ولا يعلم له أب وتعلم الحجامة فأتقنها ثم تعلق بالادب حتى صار آية وهو القائل في ثريا الجامع

تحكي الثريا الثريا في تألقها * وقد عراها نسيم فهي تتقد
كأنها لذوي الايمان أفئدة * من التخشع جوف الليل ترتعد

فقلت لهم انا لا نفعل برسلكم هكذا وان كنت جزت واستخففت فلا تؤاخذوني فان الرسل لا يصنع بها هكذا فقال الملك ان شئتم قطعنا اليكم وان شئتم قطعتم الينا قلت بل نقطع اليكم فقطعنا اليهم قال فتسلسلوا كل خمسة وستة حتى لا تفروا فدنونا اليهم فصاففناهم فرشقونا حتى أسرعوا فينا فقال المغيرة للنعمان انه قد أسرع في الناس وقد جرحوا فلو حملت فقال النعمان انك لذو مناقب وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال وكان اذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر ثم قال اني هاز لوائي ثلاث مرات فأما اول هزة فليقض الرجل حاجته وليتوضأ وأما الثانية فلينظر الرجل الى شسعه وليلزم سلاحه فاذا هززت الثالثة فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد وان قتل النعمان واني داع الى الله بدعوة وأقسمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها وقال اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة في نصر وفتح عليهم فأمن القوم فهز لواءه ثلاثا ثم أدنى درعه وحمل ثم حمل الناس فكان أول صريع قال معقل فأتيت عليه فذكرت عزمة لا أقف عليها وعلمت علما لا أعرف مكانه ووضعنا القتال فيهم ووقع ذو الجناحين عن بغلة له شهباء فانشق

وقال زرت الحبيب ولاشئ أحاذره * فى ليلة قدلوت بالغمض أشفارا
فى ليلة خلت من حسن كواكبها * دراهما وحسبت البدر دينارا

وقال فى الثريا أيضا

انظر الى سرج فى الليل مشرقة * من الزجاج تراها وهى تلتهب
كأنها ألسن الحيات قد برزت * عند الهجير فما تنفك تضطرب

وقال ترى النسر والقتلى على عدد الحصا * وقد مزقت أحشاءها والترائبا
مضرجة مما أكلن كأنها * عجائز بالحنا خضبن ذوائبا

وقال وقد أبدع غاية الابداع وأتى بما يحير الالباب وان كان أبونواس فاتح هذا الباب

وكاس ترى كسرى بها فى قرارة * غريقا ولكن فى خليج من الخمر
وما صورته فارس عبثا به * ولكنهم جاؤا باخفى من السحر
أشاروا بما كانوا له فى حياته * فتومى اليه بالسجود وما تدرى

وما أحلى قوله

الاقحوان رمى عليك ظلامة * لما عنفت عليه بالمسواك
لا يحمل النور الانيق تمسه * كف بعود بشامة واراك
وجلاؤه المخلوق فيه قد كفى * من أن يراع عراره بسواك

وقوله صغار الناس أكثرهم فسادا * وليس لهم لصالحة نهوض
ألم تر فى سباع الطير سرا * تسالمنا ويأكلنا البعوض

وقد بلغ غاية الاحسان فى قوله

فما للملك ليس يرى مكانى * وقد كحلت لواحظه بنورى
كذا المسواك مطرحا مهانا * وقد أبقى جلاء فى الثغور

ومن حسناته قوله

لى صاحب لا كان من صاحب * فانه فى كبدى جرحه
يحكى اذا أبصر لى زلة * ذبابة تضرب فى قرحه

ولقيه أبو حاتم الجارى على فرس فى غاية الضعف والرذالة قد أهلكها الوجى وكانا فى جماعتين فقال له يا أبا تمام أنشدنى قولك

وتحتى ريح تسبق الريح ان جرت * وما خلت أن الريح ذات قوائم
لها فى المدى سبق الى كل غاية * كأن لها سبقا يفوق عزائمى
وهمة نفسى نزهتها عن الوجى * فيا عجبا حتى العلا فى البهائم

فلما أنشده اياها رد رأسه أبو حاتم الى الجماعتين وقال ناشدتكم الله أيجوز للحجام على فرس مثل هذه الرمكة الهزيلة العرجاء أن يقول مثل هذا فضحك جميع من حضر وأقبل أبو تمام من غيظه يسبه ومن شعر الحجام المذكور قوله

لا يفخر السيف والاقلام فى يده * قد صار قطع سيوف الهند للقصب
فان يكن أصلها لم يقو قوتها * فان فى الخمر معنى ليس فى العنب

بطنه وفتح الله على المسلمين فاتيت الى مكان النعمان فصادفته وبه رمق فاتيته باداوة فغسلت وجهه فقال من هذا قلت معقل بن يسار قال ما فعل الله بالناس قلت فتح الله عليهم قال الحمد لله كثيرا اكتبوا بذلك الى عمر وفاضت نفسه واجتمع الناس الى الاشعث ابن قيس وأرسلوا الى أم ولده هل عهد اليك النعمان عهدا أم عندك كتاب قالت سفط فيه كتاب فاخرجوه فاذا فيه ان قتل فلان ففلان وان قتل فلان ففلان فاقتتلوا وفتح الله على المسلمين فتحا عظيما (قال المسعودى) رحمه الله وهذه وقعة نهاوند وقد كان للاعاجم جمع كثير وقتل هنالك من المسلمين خلق كثير منهم النعمان بن مقرن وعمرو بن معديكرب وغيرهم وقبورهم الى هذا الوقت مبنية معروفة على نحو فرسخ من نهاوند فيما بينها وبين الدينور وقد أتينا على وصف هذه الوقعة فيما سلف من كتبنا (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيى قال لما قدم عمرو بن معديكرب من الكوفة على عمر ساله عن سعد بن أبى وقاص فقال فيه ما قال من الثناء ثم ساله عن السلاح فاخبره بما علم ثم ساله عن قومه فقال له أخبرنى عن قومك مذحج ودع طيأ قال سلنى عن أيهم شئت قال أخبرنى عن مسلة بن

وقال ثقلت على الاعداء الا انها * خفت على السباب والابهام
أخذت من الليل البهيم سواده * و بدت تمـق أوجـه الايام

وقال نظر الحسود فازدرى لى هيئة * والفضل منى لايزال مبينا
قبحت صفاتى من تغيروده * صدأ المراة يقبح التحسينا

وقال تصبروان أبدى العدو مذمة * فهمارمى ترجع اليه سهامه
كما يفعل النحل الملم بلسعه * يريد به ضراوفيه حمامه

وقال و بارد الشعر لم يؤلم به ولقد * أضر منه جميع الناس واعتزلا
كانه الصل لا تؤذيه ريقته * حتى اذا مجها فى غيره قتلا

وقال ابن الزقاق

دعاك خليل والاصيل كانه * عليل يقضى مدة الرمق الباقى
الى شط منساب كانك ماؤه * صفاء ضمير أوعذوبة أخلاق
ومهوى جناح للصبا يمسح الربا * خفى الخوافى والقوادم خفاق
على حين راح البرق فى الجو مغمدا * ظباه ودمع المزن من جفنه راق
وقدحان منى للرياض التفاتة * حبست بها كاسى قليلا عن الساقى
على سطح خيرى ذكرتك فانثنى * يميل بأعناق و يرنو بأحداق
فصل زهرات منه هذا كانها * وقد خضلت قطر امحاجر عشاق

ولما مدح الحسيب أبو القاسم بن سعدة الاوسى أمير المؤمنين عبد المؤمن بقوله

حنانيك مدعوا ولبيك داعيا * فكل بما ترضاه أصبح راضيا
طلعت على أرجائنا بعد فترة * وقد بلغت منا النفوس التراقيا
وقد كثرت منا سيوف لدى العلا * ومن سيفك المنصور نبغى التقاضيا
وغيرك نادينا زمانا فلم يجب * وعزمك لم يحتج علاه مناديا

كتب اسمه وزير عبد المؤمن فى جملة الشعراء فلما وقف على ذلك عبد المؤمن ضرب على اسمه وقال انما يكتب اسم هذا فى جملة الحساب لاتدنسوه بهذه النسبة فلسنا ممن يتغاضى على غمط حسبه ثم أجزل صلته وأمر له بضيعة يحرث له بها يعنى بذلك انه من ذرية ملوك لان جده كان ملك وادى الحجارة* وقال أبو بكر محمد بن أزرق

هل علم الطائر فى ايكه * بأن قلبى للعمى طائر
ذكرنى عهد الصبا شجوه * وكل صب للصبا ذاكر
سقى عهودا لهم بالحمى * دمع له ذكرهم ناثر

وقال أبو جعفر بن ازرق

أراك ملكت الخافقين مهابة * بها ماتلج الشهب بالخفقان
وتغضى العيون عن سناك كانها * تقابل منك الشمس فى اللمعان
وتصفر ألوان العداة كانما * رموا منك طول الدهر باليرقان

وقال أبو القاسم بن أزرق

خالد قال هم فرسان اعراضنا وشفاة امراضنا وهم أعتقنا وأنجبنا وأسرعنا طلبا وأقلناهربا وهم أهل الصباح والسماح والرماح قال عمرو فما أبقيت لسعد العشيرة قال هم أعظمنا خميسا واسخانا نفوسا وخيرنا رئيسا قال فما أبقيت لمراد قال هم أوسعنا دارا وخيرنا جارا وأبعدنا ثارا وهم الاتقياء البررة والساعون الفخرة قال فاخبرنى عن بنى زبيد قال أنا عليهم ضنين ولو سألت الناس عنهم لقالوا هم الرأس والناس الاذناب قال فأخبرنى عن طيئ قال خصوا بالجود وهم جمرة العرب قال فما تقول فى عبس قال جمر عظيم وزبن أثير قال أخبرنى عن حمير قال رعوا العفو وشربوا الصفو قال فاخبرنى عن كندة قال ساسوا العباد وتمكنوا من البلاد قال فاخبرنى عن همدان قال أبناء الليل وأهل النيل يمنعون الجار و يوفون الذمار قال فاخبرنى عن الازد قال هم أقدمنا ميلادا وأوسعنا بلادا قال فأخبرنى عن الحرث بن كعب قال هم الحسكة المسكة تلقى المنايا على أطراف رماحهم قال فاخبرنى عن لخم قال آخرنا ملكا وأولنا هلكا قال فاخبرنى عن جذام قال أولئك كالعجوز العيراء وهم أهل مقال وفعال قال فاخبرنى عن غسان قال أرباب فى الجاهلية نجوم فى الاسلام قال

ذاك الزمان الذى تقضى * ياليته عاد منه حين
بكل عمري الذى تبقى * وما أنا فى الشرا غبين

وقال راشد بن عريف الكاتب

جمع فى مجلس ندامى * تحسدنى فيهم النجوم
فقال لى منهم نديم * مالك اذ قت لا تقوم
فقلت ان قت كل حين * فان حظى بكم عظيم
وليس عندى اذن ندامى * بل عندى المقعد المقيم

وقال الحسيب أبو جعفر بن عائش

ولى أخ أورده سلسلا * لكنه يوردنى مالحا
ألقاه كى أبسطه ضاحكا * ويلتقينى أبدا كالحا
وليس ينفك عنائى به * مارمت من فاسده صالحا

قال الحجارى وكتب الى جدى ابراهيم فى يوم صحو بعد مطر

اذا رأيت الجو يصحو فلا * تصحو سقاك الله من سكر
تعال فانظر لدموع الندى * مافعلت فى مبسم الزهر
ولا تقل انك فى شاغل * فليس هذا آخر الدهر
تخلف مافات سوى ساعة * تقتض فيها لذة الخمر

فأجابه

لبيك لبيك ولو أننى * أسعى على الرأس الى مصر
فكيف والدار جوارى وما * عندى من شغل ولا عذر
ولو غدا الى ألف شغل بلا * عذر تركت الكل للعشر
وكلما أبصرنى ناظر * يبابكم عظم من قدرى
الا الذى يشر بها دائما * ماحضرت فى الصحو والقطر
وليس نقلى أبدا بعدها * الا الذى يعهد من شكرى

قال وفيه يقول جدى يمدحه

ولو كان ثان فى الندى لابن عائش * لما كان فى شرق وغرب أخو فقر
يهش الى الامداح كالغصن للصبا * ونشر محياه ينوب عن الزهر
فيا ربذ فى عمره ان عمره * حياة أناس قد كفوا كلفة الدهر

وقتله ابن مسعدة ملك وادى الحجارة الثائر بها ولما قدمه ليقتله قال ارفق على حتى أخاصم عن نفسى فقال على لسانك قتلناك فقال له لارفق الله عليك يوم تحتاج الى رفقه فقال بجبروتيته مارهبنا السيوف الحداد ونرهب دعاء الحساد * وقال أبو الحسن على بن شعيب

انزعى الوشى فهو يسترحسنا * لم تحزه برقهن الثياب
ودعينى عسى اقبل ثغرا * لذ فيه اللمى وطاب الرضاب
وعجيب أن تهجرينى ظالما * وشفيعى الى صباك الشباب

اذ يقول والذين تبوؤا الدار والايمان الآية قال فأخبرنى عن خزاعة قال أولئك مع كنانة لنا نسبهم وبهم نصرنا قال فأى العرب أبغض اليك أن تلقاه قال أما من قومى فوادعة من همدان وغطيف من مراد وبلحرث من مذحج وأما من معد فعدى من فزارة ومرة من ذبيان وكلاب من عامر وشيبان من بكر ابن وائل ثم لو جلت بفرسى على مياه معد ماخفت هيج أحد مالم يلقنى حراها وعبداها قال ومن حراها وعبداها قال أما حراها فعامر بن الطفيل وعيينة ابن الحرث بن شهاب التيمى وأما عبداها فعنترة وسليك ثم سأله عن الحرب فقال سألت عنها خبيرا هى والله ياأمير المؤمنين مرة المذاق اذا شمرت عن ساق من صبر فيها ظفر ومن ضعف فيها هلك قلت ولقد أحسن واصفها وأجاد

الحرب أول ماتكون فتية
تبدو بزينتها لكل جهول
حتى اذا حميت وشب ضرامها
عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت
مكروهة للشم والتقبيل

ثم سأله عن السلاح فأخبره حتى بلغ السيف قال هنا لك قارعتك أمك عن ثكلها فعلاه عمر بالدرة وقال بل

وقال اخوه ابو حامد الحسين حين كبابه فرسه فحصل فى اسر العدو

وكنت اعدّ طرفى للرزايا * يخلصنى اذا جعلت تحوم
فاصبح للعـداعونا لانى * اطلت عناءه فانا الظلوم
وكم دامت مسراتى عليه * وهل شئ على الدنيا يدوم

وقال ابو الحسن على بن رجاء صاحب دار السكة والاحباس بقرطبة

ياسائلى عن حالتى انى * لااشتكى حالى لمن يضعف
مع انى احذر من نقده * لاسيما ان كان لا ينصف

وانشد له الحميدى فى الجذوة

قل لمن نال عرض من لم ينله * حسبنا ذو الجلال والا كرام
لم يزدنى شيأ سوى حسنات * لاولا نفسه سوى آثام
كان ذا منعة فثقل ميزا * نى بهذا فصار من خدامى

وقال ابو محمد القاسم بن الفتح

ايام عمرك تذهب * وجميع سعيك يكتب
ثم الشهيد عليك منـك فأين اين المهرب

وقال ابو مروان عامر بن غصن

فديتك لاتخف منى سلوّا * اذا ما غير الشعر الصغارا
اهيم بدن خمر صار خلا * واهوى لحية كانت عذارا

وقال

قد الحف الغيم بانسكابه * والتحف الجو فى سحابه
وقام داعى السرور يدعو * حى على الدن وانتهابه
وتاه فيه النـديم مما * يزدحم الناس عند بابه

وكان أحد الاعلام فى الآداب والتاريخ والتأليف ونقم عليه المأمون بن ذى النون بسبب صحبته لرئيس بلده ابى عبيدة وبلغه انه يقع فيه فنكبه اشر نكبة وحبسه فكتب اليه من السجن

فديتك هل لى منك رحمى لعلنى * أفارق قبرا فى الحياة فانشر
وليس عقاب المذنبين بمنكر * ولكن دوام السخط والعتب منكر
ومن عجب قول العداة مثقل * ومثلى فى الحاحه الدهر يعذر

وألف للمأمون رسالة السجن والمسجون والحزن والمحزون ورسالة اخرى سماها بالعشر كلمات وقال

يافتية خيرة فدتهم * من حادثات الزمان نفسى
شربهم الخمر فى بكور * ونطقهم عندها بهمس
أماترون الشتاء يلقى * فى الارض بسطا من الدمقس
مقطب عابس ينادى * يوم سرور ويوم انس

وأخبر عنه الحميدى فى الجذوة انه شاعر أديب دخل المشرق وتأدب وحج ورجع وشعره كثير

أمك قارعتك والله انى لاهم أن أقطع اسانك فقال الحمى أصرعتنى اليوم وخرج من عنده وهو يقول

أتوعدنى كانك ذورعين
بانعم عيشة أو ذى نواس
فكم قد كان قبلك من مليك
عظيم ظاهر الجبروت قاسى
فأصبح أهله بادوا وأمسى
ينقل من أناس فى أناس
فلا يغررك مالك كل ملك
يصير مذلة بعد الشماس

قال فاعتذر عمر اليه وقال ماءفعلت ما فعلته الا لتعلم أن الاسلام أفضل وأعز من الجاهلية وفضله على الوفد وقد كان عمر آنس عمرا بعد ذلك وأقبل يساله ويذاكره الحروب وأخبارها فى الجاهلية فقال له عمر ياعمرو هل انصرفت عن فارس قط فى الجاهلية هيبة له قال نعم والله ما كنت أستحل الكذب فى الجاهلية فكيف أستحله فى الاسلام لاحدثنك حديثا لم أحدث به أحدا قبلك خرجت فى جريدة خيل لبنى زبيد أريد الغارة فاتينا قوما سراة فقال عمر كيف عرفت أنهم سراة قال رأيت مزاود وقدورا مكفأة وقباب أدم حمرا ونعما كثيرا وشاء قال عمرو فاهويت الى أعظمها قبة بعد ماحوينا السبى وكان متبددا من البيوت واذا امرأة بادية الجمال على فرش لها فلما نظرت الى والى الخيل استعبرت فقلت ما يبكيك قالت والله ما أبكى على نفسى ولكنى أبكى

حسد البنات عمى يسلمن الوادى فقلت لاصحابى لاتحدثوا شيأ حتى آتيكم ثم همزت فرسى حتى علوت كثيبا فاذا أنا بغلام أصهب الشعر أهدب أقنى أقب يخصف نعاله وسيفه بين يديه وفرسه عنده فلما نظر الى رمى النعل من يده ثم أحضر غير مكترث فأخذ سلاحه وأشرف على ثنية فلما نظر الى الخيل محيطة بيبته ركب ثم أقبل نحوى وهو يقول

أقول لما نحتنى فاها
والبسنى بكرة رداها
انى سأحوى اليوم من حواها
فليت شعرى اليوم من دهاها

فحملت عليه وأنا أقول

عروع لى طول الردى دهاها
بالخيل تتبعها على هواها
حتى اذا حل بها حواها

فاذا هو أزوغ من هر فزاغ عنى ثم حمل على فضربنى بسيفه ضربة جرحنى فلما أفقت من ضربتى حملت عليه فزاغ والله ثم حمل على ثم صرعنى ثم استاق مافى أيدينا ثم استويت على فرسى فلما رآنى أقبل وهو يقول

وله أبيات كتبها فى طريق الحج الى أحد القضاة

ياقاضيا عدلا كأن أمامه * ملك يريه واضح المنهاج
طافت بعبدك فى بلادك علة * قعدت به عن مقصد الحجاج
واعتل فى البحر الاجاج فكن له * بحرا من المعروف غير أجاج

وقال الزاهد الورع المحدث أبو محمد اسمعيل بن الديوانى

الا أيها العائب المعتدى * ومن لم يزل مؤذيا أزدد
مساعيك يكتبها الكاتبون * فبيض كتابك أو سود

وقال ابنه أبو بكر

خاصم عدوك باللسا * ن وان قدرت فبالسنان
ان العداوة ليس يصلحها الخضوع مدى الزمان

وقال ابراهيم البخارى جد صاحب المسهب

لئن كرهوا يوم الوداع فاننى * أهيم به وجدا من أجل عناقه
أصافح من أهواه غير مساتر * وسر التلاقى مودع فى فراقه

وقال

كن كما شئت اننى لا أحول * غير مصغ لما يقول العذول
لك والله فى الفؤاد محل * ماالية مدى الزمان وصول
ومرادى بأن تزور خفيا * ليت شعرى متى يكون السبيل

وقال

قد توالت فى حالتينا الظنون * فلنصدق ما كذبته العيون
ومرادى بأن تلوح بأفقى * بدر تم وذاك مالا يكون
أنا قد قلت مادعانى اليه * كثرة الياس والحديث شجون
واذا شئت أن تسفه رأيى * فعلى من الرقيب مصون
وبه ماتشاء من كل معنى * كل من لم يحب له مجنون
والى كم تضل ليل الامانى * ومن الياس لاح صبح مبين

وقال

سألته عن أبيه * فقال خالى فلان
فانظر عجائب ماقد * أتت به الازمان
دهر عجيب لديه * عن المعالى حران
فماله غير ذم * كما تدين تدان

وقال الكاتب العالم أبو محمد بن خيرة الاشبيلى صاحب كتاب الريحان والريعان يمدح السيد أبا حفص ملك اشبيلية ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن من قصيدة

كأنما الافق صرح والنجوم به * كواعب وظلام الليل حاجبه
وللهلال اعتراض فى مطالعه * كأنه أسود قد شاب حاجبه
وأقبل الصبح فاستحيت مشارقه * وأدبر الليل فاستخفت كواكبه
كالسيد الماجد الاعلى الهمام أبى * حفص لرحلته ضمت مضاربه

وأنشد له ابن الامام فى سمط الجمان

أنا عبيد الله محمود الشيم * وخير من يمشى بساق وقدم عدوه يفديه من كل السقم فحملت عليه وأنا أقول رعيا

رعيا لمنزله الخصيب وظله * وسقى الثرى النجدى سح ربابه
واها على ساداته لا أدعى * كلفا بزينب ولا برباب

ويعرف رحمه الله تعالى بابن المواعينى * وقال ابنه أبو جعفر أحمد

يا أخى هاتها وحجب سناها * عن مشيربها جنونا وسخفا
هذه الشمس ان بدت اضعيف العين زادت فى ذلك الضعف ضعفا
انما يشرب المدامة من ان * خشنت كفه جفاها وكفا

وكتب الوزير أبو الوليد اسمعيل بن حبيب الملقب بحبيب الى أبيه لما خلق الربيع من أخلاقك الغر وسرق زهره من شيمك الزهر حسن فى كل عين منظره وطاب فى كل سمع خبره وتاقت النفوس الى الراحة فيه ومالت الى الاشراف على بعض ما يحتويه من النور الذى بسط على الارض حللا لا ترى فى أثنائها اخللا سلوك نثرت على الثرى وقد ملئت مسكا وعنبرا ان تنسمتها فأرجه أو توسمتها فبهجه

فالارض فى برد من يانع الزهر * تزرى اذا قستها بالوشى والحبر
قد أحكمتها أكف المزن واكفة * وطرزتها بما تهمى من الدرر
تبرجت فسبت منا العيون هوى * وفتنة بعد طول الستر والخفر

فاوجد لى سبيلا الى اعمال بصرى فيها لاجلو بصيرتى بمحاسن نواحيها والفصل على أن يكمل أوانه وينصرم وقته وزمانه فلا تخلنى من بعض التشفى منه لاصدر نفسى متيقظة عنه فالنفوس تصدأ كما يصدأ الحديد ومن سعى فى جلائها فهو الرشيد السديد ومن شعره يصف وردا بعث به الى أبيه

يا من تأزر بالمكارم وارتدى * بالمجد والفضل الرفيع الفائق
انظر الى خد الربيع مركبا * فى وجه هذا المهرجان الرائق
ورد تقدم اذ تأخر واغتدى * فى الحسن والاحسان أول سابق
وافاك مشتملا بثوب حيائه * خجلا لأن حياك آخر لاحق

وله

أرى الباقلاء الباقل اللون لابسا * برود سماء من سمائها غذى
ترى نوره يلتاح فى ورقاته * كبلق جياد فى جلال زمرذ

وقال

اذا ما أدرت كؤس الهوى * ففى شربها لست بالمرقل
مدام تعتق للناظرين * وتلك تعتق بالارجل

وكان وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق وينثر النثر الرائق وأبو جعفر بن الابار هو الذى صقل مرآته وأقام قناته وأطلعه شهابا ثاقبا وسلك به الى فنون الآداب طريقا لاحبا وله كتاب سماه بالبديع فى فصل الربيع جمع فيه أشعار أهل الاندلس خاصة أعرب فيه عن أدب غزير وحظ من الادب موفور وتوفى وهو ابن اثنتين وعشرين سنة واستوزره داهية الفتنة ورحى المحنة قاضى اشبيلية عباد جد المعتمد ولم يزل يصغى الى مقاله ويرضى بفعاله وهو ما جاوز العشرين اذ ذاك وأكثر نظمه ونثره فى الازاهر وذلك يدل على رقة نفسه رحمه الله تعالى * وقال الوزير الكاتب أبو الحسن على بن حصن

أتركهما على ظهر وضم فزاغ والله عنى ثم حمل على فضربنى ضربة أخرى ثم صرخ صرخة ورأيت الموت والله يا أمير المؤمنين ليس دونه شئ وخفته خوفا لم أخف قط احدا مثله وقلت له من أنت ثكلتك أمك فوالله ما اجترأ على أحد قط الا عامر بن الطفيل لاعجابه بنفسه وعمرو بن كلثوم لسنه وتجربته فمن أنت قال بل من أنت خبرنى والا قتلتك قلت أنا عمرو ابن معديكرب قال وأنا ربيعة بن مكدم قلت اخترمنى احدى ثلاث خصال ان شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الاعجز منا وان شئت اصطرعنا وان شئت السلم وانت يا ابن أخى حدث قد جرحتنى جراحتين ولا يزال الان بى فوالله ما كف عنى حتى نزلت عن فرسى فاخذ بعنانه ثم أخذ بيدى فى يده وانصرفنا الى الحى وأنا أجر جلى حتى طلعت علينا الخيل فلما رأونى غمزوا خيولهم الى فناديتهم اليكم وأرادوا ربيعة فضى والله كانه ليث حتى شقهم ثم أقبل على فقال يا عمرو لعل أصحابك يريدون غير الذى تريد فصمت والله القوم ما فيهم أحد يفلق وأعظم وامار أوا منه فقلت يا ربيعة بن مكدم لا يريدون الا خيرا

وزير المعتضد بن عباد

علىّ أن أتذلل * له وأن يتدلل
خد كائن الثريا * عليه قرط مسلسل

وقال

طل على خده العذار * فافتضح الآس والبهار
وابيض ذا واسود هذا * فاجتمع الليل والنهار

وقال الوزير أبو الوليد بن طريف في المعتمد بعد خلعه

يا آل عباد الأعطفة * فالدهر من بعدكم مظلم
من الذي يرجى لنيل العلا * ومن اليه يفد المعدم
ما أنكر الدهر سوى أنه * بجود كم في فعله يزعم

وله

من حلقت لحية جارله * فليسكب الماء على لحيته

وقد أجرينا في هذا الكتاب ذكر جملة من أخبار المعتمد بن عباد ونظمه في أماكن متعددة فلتراجع ومن نظمه

ثلاثة منعتها عن زيارتنا * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما * تحوي معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلي تنزعه ماحيلة العرق

وقال

يوم يقول الرسول قد أذنت * فأت على غير رقبة ولج
أقبلت أهوى الى رحالهم * أهدى اليهار يحها الارج

قال ويستدل على الملوكية بالطيب في المواطن التي يكون الناس فيها غير مروفين كالحمام ومعارك الحرب ومواسم الحج (رجع) الى ما كنا فيه وقال أبو العباس أحمد الخزرجي القرطبي

وفي الوجنات ما في الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التعجب منه أني * أرى البستان يحمله قضيب

وقال الوزير أبو سليمان بن أبي أمية يخاطب رئيسا قد بلغه عن بعض أصحابه كلام فيه غض منه

هوّن عليك كلامه * واسمع له فيمن سمع
ماذا يسوءك ان هجا * ماذا يسرك ان مدح
أوما علمت بلى جهلت بأنه غل طفح
وخفى حقد كامن * دأبوا له حتى اتضح
هذا عتن الوقا * رفكيف لودار القدح
فاشكر عوارف ذي الجلا * ل بما وقى وبما منح

وقال أبو علي عمر بن أبي خالد يخاطب أبا الحسن علي بن الفضل

أبا حسن وما قدمت عهود * لنا بين المنارة والجزيره
أتذكر أنسنا والليل داج * بخمر في زجاجتها منيره

وفرسه ومضى ومضينا معه حتى نزل فقامت اليه صاحبته وهي ضاحكة تمسح وجهه ثم أمر بابل فنحرت فضربت علينا قباب فلما أمسينا جاءت الرعاء ومعهم أفراس لربيعة لم أر مثلها قط قال أما لو كان عندي بعضها ما ابثت في الدنيا الا قليلا لا نضحك وما ينطق أحد من أصحابي فاقمنا عنده يومين ثم انصرفنا (قال) وقد كان عمرو بن معديكرب بعد ذلك بزمان أغار على كنانة في صناديد قومه فأخذ غنائمهم وأخذ امرأة ربيعة ابن مكدم فبلغ ذلك ربيعة وكان غير بعيد فركب في الطلب على فرس عرى ومعه رمح بلا سنان حتى لحقه فلما نظر اليه قال يا عمرو خل عن الظعينة وما معك فلم يلتفت اليه ثم اعاد اليه فلم يلتفت اليه فقال يا عمرو أما تقف فوقف عمرو وقال لقد أنصف القارة من راماها قف لي يا ابن اخي فوقف له ربيعة فحمل عليه عمرو وهو يقول

أنا ابن ثوار ووقاف الزلق
لست بمأفون ولا في خرق
واسد القوم اذا احمر الحدق * اذا الرجال عضهم ناب الفرق * وجدتني بالسيف هتاك الخلق

حتى اذا ظن أنه قد خالطه السنان اذا هو لبب لفرسه وحز السنان على ظهر الفرس

اذا الملاح ضلل رنا اليها * فابصر فى مناحيه مسيره

وقال الكاتب عبد الله المهيريس وكان حلو النادرة لما شرب عند الوزير أبى العلاء بن جامع وقد نظر الى فاختة فأعجبه حسنها ولحنها

ألا خذها اليك أبا العلاء * على الامداح ترفل فى الثناء
وهبها قينة تجلى عروسا * خضيب الكف قانية الرداء
لأجعلها محل جليس انسى * واغنى بالهديل عن الغناء

وحكى انه ناوله ليمونة وأمره بالقول فيها فقال

أهدى الى بروضة ليمونة * وأشار بالتشبيه فعل السيد
فصمت حينا ثم قلت كجلجل * من فضة تعلوه صفرة عسجد

وقال الكاتب ابو بكر بن البناء يرثى احد بنى عبد المؤمن وقد عزل من بلنسية وولى اشبيلية فمات بها

كانك من جنس الكواكب لم تكن * تفارق طلوعا حالها وتواريا
تجليت عن شرق تروق تلألؤا * فلما انتحيت الغرب أصبحت هاويا

وكان محمد بن مروان بن زهر كما فى المغرب والمسهب والمطرب وقد قدمنا بعض أخباره منشأ الدولة العبادية أوّل من تثنى عليه الخناصر وتستحسنه البواصر فضاقت الدولة العبادية عن مكانه وأخرج عن بلده فاستصفيت أمواله فلحق بشرق الاندلس وأقام فيه بقية عمره ونشأ ابنه الوزير ابو مروان عبد الملك بن محمد فبلغ اشدّه حتى سدّ مسده ومال الى التفنن فى انواع التعاليم من الطب وغيره ورحل الى المشرق لاداء الفرض فملأ البلاد جلالة ونشأ ابنه أبو العلاء زهر بن عبد الملك فاخترع فضلا لم يكن فى الحساب وشرع نبلا قصرت عنه نتائج اولى الالباب ونشأ بشرق الاندلس والآفاق تتهادى عجائبه والشام والعراق تتدارس بدائعه وغرائبه ومال الى علم الابدان فلولا جلالة قدره لقلنا جاذب هار وت طرفا من سحره ولولا ان الغلو آفة المديح لما اكتفى فيه بالكناية عن التصريح ولم يزل مقيما بشرق الاندلس الى ان كان من غزاة امير المسلمين يوسف بن تاشفين ومن انضم اليه من ملوك الطوائف ما علم وشخص أبو العلاء معهم فلقيه المعتمد بن عباد واستماله واستهواه وكاد يغلب على هواه وتصرف عليه املاكه فحن الى وطنه حنين الكئيب الى عطنه والكريم الى سكنه ونزع الى مقر سلفه نزوع الكوكب الى بيت شرفه الا انه لم يستقر باشبيلية الا بعد خلع المعتمد وحل عند يوسف بن تاشفين محلا لم يحله الماء من العطشان ولا الروح من جسد الجبان ولما كتب اليه حسام الدولة بن رزين ملك السهلة بقوله

عاد اللئيم فأنت من اعدائه * ودع الحسود بغله وبدائه
لا كان الا من غدت أعداؤه * مشغولة أفواههم بجفائه
أأبا العلاء لئن حسدت لطالما * حسد الكريم بجوده ووفائه
فخر العلاء فكنت من آبائه * وزها السناء فكنت من أبنائه
كن كيف شئت مشاهدا أو غائبا * لا كان قلب لست فى سودائه

ثم وقف له عمرو فحمل عليه ربيعة وهو يقول

أنا الغلام بن الكنانى لابذخ
كم من هزبر قد رآنى فانشدخ

فقرع بالرمح رأسه ثم قال خذها اليك يا عمرو ولولا أنى اكره قتل مثلك لقتلتك فقال عمرو ولا ينصرف الا احدنا فوقف لى فحمل عليه حتى اذا ظن انه قد خالطه السنان اذا هو حزام لفرسه ثم حمل عليه ربيعة فقرع بالرمح راسه ايضا وقال خذها اليك يا عمرو ثانية وانما العفو مرتان وصاحت به امراته السنان لله درك فاخرج سنانا من مسبل ازاره كانه شعلة نار فركبه على رمحه فلما نظر اليه عمرو وذكر طعنته بلا سنان قال له عمرو خذ الغنيمة قال دعها وانج فقالت بنو زبيد اتترك غنيمتنا لهذا الغلام فقال لهم عمرو يا بنى زبيد والله لقد رأيت الموت الاحمر فى سنانه وسمعت صريره فى تركيبه فقالت بنو زبيد لا يتحدث العرب ان قوما من بنى زبيد فيهم عمرو بن معديكرب تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام قال عمرو انه لا طاقة لكم به وما رأيت مثله قط

فانصرف عنه واخذ ربيعة امرأته والغنيمة وعاد الى قومه (قال المسعودى) رحمه الله تعالى ولعمر بن الخطاب رضى الله تعالى

أجابه يا صارما حسم العدا بمضائه * وتعبد الاحرار حسن وفائه

ما أثر العضب الحسام بذاته * الا بأن سميت من أسمائه

وكافه الحسام المذكور القول فى غلام قائم على رأسه وقد عذر فقال

محيت آية النهار فأضحى * بدر تم وكان شمس نهار

كان يعشى العيون نارا الى أن * أشغل الله خده بالعذار

وقال عذار ألم فأبدى لنا * بدائع كنا لها فى عمى

ولو لم يجن النهار الظلا * م لم يستبن كوكب فى السما

وقال يا راشقى بسهام ما لها غرض * الا الفؤاد وما منه له عوض

وممرضى بجفون لحظها غنج * صحت وفى طبعها التمريض والمرض

أمنن ولو بخيال منك يؤنسنى * فقد يسد مسد الجوهر العرض

وهذا معنى فى غاية الحسن وكان بينه و بين الامام أبى بكر بن باجة بسبب المشاركة ما يكون بين النار والماء والارض والسماء ولما قال فيه ابن باجة

يا ملك الموت وابن زهر * جاوزتما الحد والنهايه

ترفقا بالورى قليلا * فى واحد منكما الكفايه

قال أبو العلاء لابد للزنديق أن يصلبا * شاء الذى يعضده أو أبى

قد مهد الجذع له نفسه * وسدد الرمح اليه الشبا

والذى يعضده مالك بن وهيب جليس أمير المسلمين وعالمه وأما حفيده أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر فهو وزير اشبيلية وعظيمها وطبيبها وكريمها ومن شعره

رمت كبدى أخت السماء فاقصدت * الا بأبى رام يصيب ولا يخطى

قريبة ما بين الخلاخيل ان مشت * بعيدة ما بين القلادة والقرط

نعمت بها حتى أتيحت لنا النوى * كذا شيم الايام تأخذ ما تعطى

وتوفى سنة خمس وتسعين وخمسمائة وأمر أن يكتب على قبره

تأمل بفضلك يا واقفا * ولاحظ مكانا رفعنا اليه

تراب الضريح على صفحتى * كأنى لم أمش يوما عليه

أداوى الانام حذار المنون * فها أنا قد صرت رهنا لديه

رحمه الله تعالى وعفا عنه وفى هذه الابيات اشارة الى طبه ومعالجته للناس رحمه الله تعالى وقد ذكرت بعض أخباره فى غير هذا الموضع وقال ابو الوليد بن حزم

مرآك مرآك لا شمس ولا قمر * وورد خديك لا ورد ولا زهر

فى ذمة الله قلب أنت ساكنه * ان بنت بان فلا عين ولا أثر

وقال لله أيام على وادى القرى * سلفت لنا والدهر ذو ألوان

اذ نجتنى فى ظله ثمر المنى * والطير ساجعة على الاغصان

والشمس تنظر من محاجر أرمد * والطل يركض فى النسيم الوانى

فلثمت فاه والتزمت عناقه * ويد الوصال على قفا الهجران

وقال

عنه اخبار كثيرة فى أسفاره فى الجاهلية الى الشام والعراق مع كثير من ملوك العرب والعجم وسير فى الاسلام واخبار وسياسات حسان وما كان فى ايامه من الكوائن والاحداث وفتوح مصر قد اتينا على مبسوطها فى كتابنا اخبار الزمان والكتاب الاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا مما لم نذكره فيما سلف من كتبنا وبالله التوفيق

(ذكر خلافة عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه)

بويع يوم الجمعة غرة محرم سنة ثلاث وعشرين وقيل غير ذلك مما سنورده بعد هذا الموضع الى اثنين وعشرين من ذى الحجة سنة اربع وثلاثين فجميع ما ولى اثنتا عشرة سنة الا ثمانية ايام وقتل وهو ابن اثنتين وستين سنة ودفن بالمدينة بموضع يعرف بحش كوكب وكانت خلافته رضى الله تعالى اثنتى عشرة سنة الا ثمانية ايام

(ونذكر نسبه ولمعا من اخباره وسيره)

هو عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى بابى عبد الله وامه اروى بنت بكر بن جابر بن حبيب ابن عبد شمس وكان له من الولد عبد الله الاكبر وعبد الله الاصغر امهما رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابان وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك

وقال ابن عبد ربه

يا قابض الكف لا زالت مقبضة * فما أناملها للناس أرزاق
وغب اذا شئت حتى لا ترى أبدا * فما فقدك فى الاحشاء اقلاق

وقال فى المدح

وما خلقت كفاك الا لاربع * عقائل لم تخلق لهن يدان
لتقبيل أفواه واعطاء نائل * وتقليب هندى وحبس عنان

وقال الكاتب أبو عبد الله بن مصادق الرندى الاصل

ولائمة اذ رأت عارضه * عاد من بعد الشباب أشيبا
قلت ما ضرك شيب فلقد * بقيت فيه فكاهات الصبا
هو كالعنبر غال نفعه * وشذاه أخضرا أواشهبا

وقال

ووردة وردت فى غير موقتها * والسحب قد هملت أجفانها هطلا
وانما الروض لما لم يفد ثمرا * بقوريكه انفقت فى خده خجلا

وله

لم أحتفل لقدوم العيد من زمن * قد كان يبهجنى اذ كنت فى وطنى
لم ألق أهلى ولا الفى ولا ولدى * فليت شعرى سرورى واقع بمن

وقال

يقول لى العاذل تب عن هوى * من ليس يدنيك الى مطلب
وكيف لى والدين دين الهوى * فلا أرى أرجع من مذهبى
أليس باب التوب قد سده * طلوع شمس امن المغرب

وله

امنع كرائمك الخروج ولا * تظهر لذلك وجه منبسط
لا تعتبر من من مسخطة * نيل الرضا فى ذلك السخط
أولسن مثل الدر فى شبه * والدر من صدف الى سفط

وقال المعتمد بن عباد

تم له الحسن بالعذار * واختلط الليل بالنهار
أخضر فى أبيض تبدى * فذاك آسى وذا بهارى
فقد حوى مجلسى تماما * ان يك من ريقه عقارى

وقال ابن فرج الجيانى رحمه الله تعالى

وطائعة الوصال صددت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت فى الليل سافرة فباتت * دياجى الليل سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعى
فملكت الهوى جمحات قلبى * لأجرى فى العفاف على طباعى
كذاك الروض ما فيه لمثلى * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعى

وقال

بأيهما أنا فى الحسن بادى * بشكر الضيف أم طيف الرقاد
سرى لى فازدرى أهلى ولكن * عففت فلم أنل منه مرادى

والدور منهم الزبير بن العوام بنى داره بالبصرة وهى المعروفة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

بجماله وحسنه وكان كثير التزوج كثير الطلاق وكان ابان ابرص احول قد حمل عنه اصحاب الحديث عدة من السنن وولى لبنى مروان مكة وغيرها وكان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون وقتل ابوه وهو مخلق الوجه سكران عليه مصبغات واسعة وبلغ عبد الله من السن ستا وسبعين عاما فنقره ديك على عينه فكان ذلك سبب موته وعبد الله مات صغيرا ولا عقب له (وكان عثمان) فى نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل فى القريب والبعيد فسلك عماله وكثير من اهل عصره طريقته وتأسوا فى فعله وبنى داره فى المدينة وشيدها بالحجر والكلس وجعل ابوابها من الساج والعرعر واقتنى اموالا وجنانا وعيونا بالمدينة (وذكر) عبد الله بن عتبة ان عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة الف دينار والف الف درهم وقيمة ضياعه بوادى القرى وحنين وغيرهما مائة الف دينار وخلف خيلا كثيرا وابلا (وفى ايام عثمان) اقتنى جماعة من اصحابه الضياع

وماني النوم من حرج ولكن * جريت مع العفاف على اعتيادي

وقال الرصافي

وعشي أنس للسرور وقد بدا * من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت فلم يملك نديمك ردها * فوددت يا موسى لو انك يوشع

وقال ابن عبد ربه

يراعة غرني منها وميض سنى * حتى مددت اليها الكف مقتبسا
فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كانما صيغ من لؤم ومن كذب * فكان ذاك له روحا وذا نفسا

وقال ابن صارة في فروة

أودت بذات يدي فرية أرنب * كفؤاد عروة في الضنى والرقة
يتجشم الفراء من ترقيعها * بعد المشقة في قريب الشقة
لو أن ما أنفقت في ترقيعها * يحصى لزاد على رمال الرقة
ان قلت بسم الله عند لباسها * قرأت على اذا السماء انشقت

وقال الغزالي

والمرء يعجب من صغيرة غيره * أي امرئ الا وفيه مقال
لسنا نرى من ليس فيه غميزة * أي الرجال القائل الفعال

وقال أبو حيان

لا ترجون دوام الخير من أحد * فالشر طبع وفيه الخير بالعرض
ولا تظن امرأ أسدى اليك يدا * من أجل ذاتك بل أسداه للغرض

وقال ابن شهيد

ولما فشا بالدمع ما بين وجدنا * الى كاشحينا ما القلوب كواتم
أمرنا بامساك الدموع جفوننا * ليشجى بما نطوي عذول ولائم
أبى دمعنا يجري مخافة شامت * فنظمه بين المحاجر ناظم
وراق الهوى منا عيون كريمة * تبسمن حتى ما تروق المباسم

وقال في الانتحال

وبلغت أقواما تجيش صدورهم * علي واني فيهم فارغ الصدر
أصاخوا الى قولي فاسمعت معجزا * وغاصوا على سري فاعجزهم أمري
فقال فريق ليس ذا الشعر شعره * وقال فريق أيمن الله ما ندري
فمن شاء فليخبر فاني حاضر * ولا شئ أجلى للشكوك من الخبر

وينظر الى مثل هذا قصة أبي بكر بن بقي حين استهدى من بعض اخوانه أقلاما فبعث اليه بثلاث من القصب وكتب معها

خذها اليك أبا بكر العلا قصبا * كانما صاغها الصواغ من ورقه
يزهى بها الطرس حسنا ما نثرت بها * مسك المداد على الكافور من ورقه

تنزلها التجار وارباب الاموال واصحاب الجهات من البحرين وغيرهم وابتنى ايضا دوره بالبصرة والكوفة والاسكندرية وما ذكر من دوره وضياعه فمعلوم غير مجهول الى هذه الغاية (وبلغ مال الزبير) بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف الزبير ألف فرس وألف عبد وألف امة وخططا بحيث ذكرنا من الامصار وكذلك طلحة ابن عبيد الله التيمي ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا الوقت المعروفة بالكناس بدار الطلحتين وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار وقيل أكثر من ذلك وبناحية سراة أكثر مما ذكرنا وشيد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجص والساج وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري ابتنى داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله اربعة وثمانين ألفا (وابتنى سعد) بن ابي وقاص داره بالعقيق فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل اعلاها شرفات (وقد ذكر) سعيد بن المسيب ان زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الاموال والضياع بقيمة مائة الف دينار (وابتنى المقداد) داره بالمدينة في الموضع المعروف بالجرف على اميال من المدينة

فاجابه

فأجابه أبو بكر

أرسلت نحوى ثلاثا من قنا شلب * منآ دة تطعن القرطاس فى ورقه
فاللفظ ينكرها والخط يعرفها * والرق يخدمها بالرق فى عنقه

فحسده عليه بعض من سمعه ونسبه الى الانتحال فقال ابو بكر يخاطب صاحبه الاوّل

وجاهل نسب الدعوى الى كلمى * لما رآه بمثل النبل فى حدقه
فقلت سن حنق لما تعرض لى * من ذا الذى اخرج اليربوع من نفقه
ماذم شعرى وايم الله لى قسم * الا امرؤ ليست الاشعار من طرقه
الشعر يشهد أنى من كواكبه * بل الصباح الذى يستن من أفقه

وقال ابن شهيد أيضا فى ضيف

وما انفك معشوق الثنايا غدده * بشر وترحيب وبسط بنان
الى أن تشهى البين من ذات نفسه * وحن الى الاهلين حنة حانى
فأتبعته ماسد خله حاله * وأتبعنى ذكرا بكل مكان

وقال

وبتنا نراعى الليل لم يطو برده * ولم يجل شيب الصبح فى فوده وخطا
تراه كملك الزنج من فرط كبره * اذا رام مشيا فى تبختره أبطا
مطلا على الآفاق والبدر تاجه * وقد جعل الجوزاء فى أذنه قرطا

وقال بعضهم فى لباس أهل الاندلس البياض فى الحزن مع ان أهل المشرق يلبسون فيه السواد

ألا يا أهل أندلس فطنتم * بلطفكم الى أمر عجيب
لبستم فى مآتمكم بياضا * فجئتم منه فى زى غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن * ولا حزن أشد من المشيب

وقال ابو جعفر بن خاتمة

هل جسوم من النوى ودعوها * باقيات لسوء ما اودعوها
يا حداة القلوب ما العدل هذا * أتبعوها اجسامها اودعوها

وقال القسطلى يصف هول البحر

اليك ركبنا الفلك تهوى كانها * وقد ذعرت من مغرب الشمس غربان
على لجج خضر اذا هبت الصبا * ترامى بها فيها ثبير وثهلان
مواثل ترعى فى ذراها مواثلا * كما عبدت فى الجاهلية اوثان
مقاتل موج البحر والهم والدجا * يموج بها فيها عيون وآذان
الاهل الى الدنيا معاد وهل لنا * سوى البحر قبر أو سوى الماء اكفان

وقال الرمادى يهنى ابن العطار الفقيه بمولود

يهنيك ما زادت الايام فى عددك * من فلذة برزت للسعد من كبدك
كانما الدهر دهر كان مكتئبا * من انفرادك حتى زاد فى عددك
لا اخلفتك الليالى تحت ظل ردى * حتى ترى ولدا قد شب من ولدك

وقال ابن صارة فى النار

وجعل اعلاها شرفات وجعلها مجصصة الظاهر والباطن (ومات يعلى) بن امية وخلف خمسمائة الف دينار وديونا على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته مائة الف دينار وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه فيمن تملك من الاموال فى ايامه ولم يكن مثل ذلك فى عصر عمر ابن الخطاب بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة (وحج عمر) فانفق فى ذهابه ومجيئه الى المدينة ستة عشر دينارا وقال لولده عبد الله لقد اسرفنا فى نفقتنا فى سفرنا هذا ولقد شكا الناس اميرهم سعد بن ابى وقاص وذلك فى سنة احدى وعشرين فبعث عمر محمد بن مسلمة الانصارى حليف بنى عبد الاشهل فخرق عليه باب قصر الكوفة وجمعهم فى مساجد الكوفة يسالهم عنه فحمده بعضهم وساءه بعض فعزله وبعث الى الكوفة عمار بن ياسر على الثغر وعثمان بن حنيف على الخراج وعبد الله بن مسعود على بيت المال وامره ان يعلم الناس القرآن ويفقههم فى الدين وفرض لهم فى كل يوم شاة فجعل شطرها وسواقطها لعمار ابن ياسر والشطر الآخر بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف فاين عمر ممن ذكرنا واين هو ممن وصفنا (وقدم) على عثمان عمه الحكم بن ابى العاص وعمه مروان وغيرهما من بنى امية ومروان هو طريد رسول

هات التى للايك اصل ولادها * ولها جبين الشمس فى الاشماس
يتقشع الياقوت فى لباتها * بوساوس تشفى من الوسواس
انس الوحيد وصبح عين المجتلى * ولباس من امسى بغير لباس
حمراء ترفل فى السواد كأنما * ضربت بعرق فى بنى العباس

وقال فيها أيضا

لابنة الزند فى الكوانين جمر * كالدرارى فى الليلة الظلماء
خبرونى عنها ولا تكذبونى * الديها صناعة الكيمياء
سبكت فحمها سبائك تبر * رصعته بالفضة البيضاء
كلما ولول النسيم عليها * رقصت فى غلالة حمراء
سفرت عن جبينها فأرتنا * حاجب الليل طالعا بالعشاء
لو ترانا من حولها قلت قوم * يتعاطون أكؤس الصهباء

وقال فيها الفقيه الاديب ابن اللبان

فحم ذكا فى حشاه جمر * فقلت مسك وجلنار
أو خد من قد هويت لما * أطل من فوقه العذار

وكان أبو المطرف الزهرى جالسا فى باب داره مع زائر له فخرجت عليهما من زقاق جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة فحين نظرتهما على حين غفلة منها نفرت خجلة فرأى الزائر ما أبهته فكلفه وصفها فقال مرتجلا

يا ظبية نفرت والقلب مسكنها * خوفا لختلى بل عمدا لتعذيبى
لا تختشى فابن عبد الحق أنحلنا * عدلا يؤلف بين الظبى والذيب

وقال ابن شهيد

أصباح لاح أم بدر بدا * أم سنى المحبوب أورى زندا
هب من نعسته منكسرا * مسبل للكم مرخ للردا
يمسح النعسة من عينى رشا * صائد فى كل يوم أسدا
قلت هب لى يا حبيبى قبلة * تشف من حبك تبريح الصدى
فانثنى يهتز من منكبه * قائلا لا ثم أعطانى اليدا
كلما كلمنى قبلته * فهو ما قال كلاما رددا
قال لى يلعب صد لى طائرا * فترانى الدهر أجرى بالكدى
واذا استنجزت يوما وعده * قال لى يمطل ذكرنى غدا
شربت أعضاؤه خمر الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
رشأ بل غادة ممكورة * عممت صبحا بليل أسودا
أخجلت من عضة فى نهدها * ثم عضت حر وجهى عمدا
فأنا المجروح من عضتها * لا شفانى الله منها أبدا

وقال محمد بن هانئ فى الشيب

الله صلى الله عليه وسلم الذى غربه عن المدينة ونفاه عن جواره وكان عماله جماعة منهم الوليد بن عقبة ابن ابى معيط على الكوفة وهو ممن اخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه من اهل النار وعبد الله بن ابى سرح على مصر ومعاوية بن ابى سفيان على الشام وعبد الله ابن عامر على البصرة وصرف عن الكوفة الوليد ابن عقبة وولاها سعيد بن العاص وكان السبب فى صرف الوليد وولاية سعيد على ماروى ان الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من اول الليل الى الصباح فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضلا فى غلائله فتقدم الى المحراب فى صلاة الصبح فصلى بهم اربعا وقال تريدون ان ازيدكم وقيل انه قال فى سجوده وقد اطال اشرب واسقنى فقال له بعض من كان خلفه فى الصف الاول ماتريد لازادك الله مزيد الخير والله لا اعجب الا ممن بعثك الينا واليا وعلينا اميرا وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفى (وخطب) الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد فدخل قصره يترنح ويتمثل بابيات لتأبط شرا

ولست بعيدا عن مدام وقينة
ولا بصفا صلد عن الخير معزل
ولكننى أروى من الخمر هامتى * وامشى الملا بالساحب المسلسل

بنتم فلولا أن أغبر لمتى * ألقاكم يوما على غضابا
لخضبت شيبا فى مفارق لمتى * ومحوت محو النقس عنه شبابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو أننى أجد البياض خضابا
واذا أردت على المشيب وفادة * فاجعل مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتدفعن الى الزمان غرابا

وكتب ابن عمار الى ابن رزين وقد عتب عليه ان اجتاز ببلده ولم يلقه

لم تثن عنك عنانى سلوة خطرت * ولا فؤادى ولا سمعى ولا بصرى
لكن عدتنى عنكم خجلة خطرت * كفانى العذر منها بيت معتذر
لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

وقال ابن الحداد

وانى لصب للتلاقى وانما * يصد ركابى عن معاهدك العصر
أذوب حياء من زيارة صاحب * اذا لم يساعدنى على بره الوفر

وقال ابن عبد ربه

يا من عليه حجاب من جلالته * وان بدا لك يوما غير محجوب
ما أنت وحدك مكسوا ثياب ضنى * بل كلنا بك من مضنى ومشحوب
ألقى عليك يدا للضر كاشفة * كشاف ضر نبى الله أيوب

وقال النحلى

ولاعبة الوشاح بغصن بان * لها أثر بتقطيع القلوب
اذا سوت طريق العود نقرا * وغنت فى محب أو حبيب
فيمناها تقدبها فؤادى * ويسراها تعذبها ذنوبى

وقال ابن شهيد

كلفت بالحب حتى لو دنا أجلى * لما وجدت لطعم الموت من ألم
وعاقنى كرمى عمن ولهت به * ويلى من الحب أو ويلى من الكرم

وكان صوفى بشريش حافظ للشعر فلا يعرض فى مجلسه معنى الا وهو ينشد عليه فاتفق أن عطس رجل بمجلسه فشمته الحاضرون فدعا لهم فرأى الصوفى انه ان شمته قطع انشاده بما ليس كله من النظم وان لم يشمته كان تقصيرا فى البر فرغب حين أصبح من الطلبة نظم هذا المعنى فقال الوزير الحسيب أبو عمرو بن أبى محمد

يا عاطسا يرحمك الله اذ * أعلنت بالحمد على عطستك
ادع لنا ربك يغفر لنا * وأخلص النية فى دعوتك
وقل له يا سيدى رغبتى * حضور هذا الجمع فى حضرتك
وأنت يا رب الندى والنوى * بارك رب الناس فى ليلتك
فان يكن منكم لنا عودة * فأنت محمود على عودتك

وهذا الوزير المذكور كان يصرف شعره فى أوصاف الغزلان ومخاطبات الاخوان وكتب

(وفى ذلك يقول الحطيئة) شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم * أأزيدكم ثملا وما يدرى
ليزيدهم أخرى ولو قبلوا * لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك فى الصلاة ولو * خلوا عنانك لم تزل تجرى

وأشاعوا بالكوفة فعله وظهر فسقه ومداومته شرب الخمر فهجم عليه جماعة من المسجد منهم أبو زينب ابن عوف الازدى وأبو جندب ابن زهير الازدى وغيرهما فوجدوه سكران مضطجعا على سريره لا يعقل فايقظوه من رقدته فلم يستيقظ ثم تقايأ عليهم ما شرب من الخمر فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم الى المدينة فأتوا عثمان ابن عفان فشهدوا عنده على الوليد انه شرب الخمر فقال عثمان وما يدريكما انه شرب خمرا فقالا هى الخمر التى كنا نشربها فى الجاهلية وأخرجا خاتمه فدفعاه اليه فرزأهما ودفع فى صدورهما وقال تنحيا عنى فخرجا وأتيا على ابن ابى طالب رضى الله عنه واخبراه بالقصة فأتى عثمان وهو يقول دفعت الشهود وابطلت الحدود فقال له عثمان فما ترى قال ارى ان تبعث الى صاحبك فان اقاما الشهادة عليه فى وجهه ولم يدل بحجة اقمت عليه الحد فلما حضر الوليد دعاهما عثمان فأقاما الشهادة

الى الشريشي شارح المقامات يستدعي منه كتاب العقد

ايا من غدا بالمكارم الحميد معارفه * ومن لفظه زهر أنيق لقاطفه

محبك أضحى عاطل الجيد فالتجد * بعقد على لباته وسوالفه

ووعك في بعض الاعياد فعاده من أعيان الطلبة جملة فلما هموا بالانصراف أنشدهم ارتجالا

لله در أفاضل أمجاد * شرف الندى بقصدهم والنادي

لما أشار وا بالسلام وأزمعوا * أنشدتهم وصدقت في الانشاد

في العيد عدتم وهو يوم عروبة * يا فرحتي بثلاثة الاعياد

قال الشريشي في شرح المقامات ولقد زرته في مرضه الذي توفي فيه رحمه الله تعالى أنا وثلاثة فتيان من الطلبة فسألني عنهم وعن آبائهم فلما أرادوا الانصراف ناول أحدهم محبرة وقال له اكتب وأملى عليه ارتجالا

ثلاثة فتيان يؤلف بينهم * ندى كريم لا أرى الله بينهم

تشابه خلق منهم وخليقة * فان قلت أين الحسن فانظره أين هم

وزينهم استاذهم اذ غدا لهم * معلم آيات فتمم دينهم

فان خفت من عين ففي الكل فلتقل * وقى الله رب الناس للكل عينهم

وقال الشريشي حدثنا شيخنا أبو الحسين بن زرقون عن أبيه أبي عبد الله قعد مع صهره أبي الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر المجاز وهو مضطرب الامواج فقال له ابو الحسن أجز

وملتطم الغوارب موجته * بوارح في مناكبها غيوم

فقال أبو عبد الله

تمنع لا يعوم به سفين * ولو جذبت به الزهر النجوم

وكان لابن عبدربه فتى يهواه فأعلمه انه يسافر غدا فلما أصبح عاقه المطر عن السفر فانجلى عن ابن عبدربه همه وكتب اليه

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر * هيهات يأبى عليك الله والقدر

مازلت أبكي حذار البين ملتهبا * حتى رثى لي فيك الريح والمطر

يابرده من حيا مزن على كبد * نيرانها بغليل الشوق تستعر

آليت أن لا أرى شمسا ولا قمرا * حتى أراك فأنت الشمس والقمر

وقال ابن عبدربه

صل من هويت وان أبدى معاتبة * فأطيب العيش وصل بين الفين

واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وقال أبو محمد غانم بن الوليد المالقي

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين

ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وكان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أخيه عليه من شنترين يوم الجمعة فأتاه يوم

السبت

عليه ولم يدل بحجة فالقى عثمان السوط الى على فقال على لابنه الحسن قم يابني فأقم عليه ما أوجب الله عليه فقال يكفيه بعض ما ترى فلما نظر الى امتناع الجماعة عن اقامة الحد عليه توقيا لغضب عثمان لقرابته منه اخذ على السوط ودنا منه فلما أقبل نحوه سبه الوليد وقال ياصاحب مكس فقال عقيل بن ابي طالب وكان ممن حضر انك لتتكلم يا ابن أبي معيط كانك لا تدري من انت وانت علج من اهل صفورية وهي قرية بين عكا واللجون من اعمال الاردن من بلاد طبرية كان ذكر أن اباه كان يهوديا منها فاقبل الوليد يزوغ من على فاجتذبه فضرب به الارض وعلاه بالسوط فقال عثمان ليس لك ان تفعل به هذا قال بلى وشر من هذا اذا فسق ومنع حق الله تعالى أن يؤخذ منه (وولي الكوفة) بعده سعيد ابن العاص فلما دخل سعيد الكوفة والياابى ان يصعد المنبر حتى يغسل وامر بغسله وقال ان الوليد كان نجسا رجسا فلما اتصلت ايام سعيد بالكوفة ظهرت منه امور منكرة واشتبه بالاموال وقال في بعض الايام وكتب به الى عثمان انما هذا السواد قطين لقريش فقال له الاشتر وهو مالك بن الحرث النخعي اتجعل ما افاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستانا لك ولقومك ثم خرج

السبت فلما القيه عانقه وأنشده.

تخيرت اليهود السبت عيدا * وقلنا فى العروبة يوم عيد
فلما أن طلعت السبت فينا * أطلت لسان مجمع اليهود

وقال أبو بكر بن بقى

أقمت فيكم على الاقتار والعدم * لو كنت حرا أبى النفس لم أقم
فلا حديقتكم يجنى لها ثمر * ولا سماؤكم تنهل بالديم
أنا امرؤ ان نبت بى أرض أندلس * جئت العراق فقامت بى على قدم
ما العيش بالعلم الا حيلة ضعفت * وحرفة وكلت بالعقد والبرم

وقال الابيض فى الفقهاء المرائين

أهل الرياء لبستم ناموسكم * كالذئب يذبح فى الظلام العاتم
فملكتم الدنيا بمذهب مالك * وقسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال بأشهب * وبأصبغ صبغت لكم فى العالم

وقال

قل للامام سنا الائمة مالك * نور العيون ونزهة الاسماع
لله درك من همام ماجد * قد كنت راعينا فنعم الراعى
فمضيت محمود النقيبة طاهرا * وتركتنا قنصا لشر سباع
أكلوا بك الدنيا وأنت بمعزل * طاوى الحشا متكفت الاضلاع
تشكوك دنيا لم تزل بك برة * ماذا رفعت بها من الاوضاع

وقال ابن صارة

يامن يعذبنى لما تملكنى * ماذا تريد بتعذيبى واضرارى
تروق حسنا وفيك الموت أجمعه * كالصقل فى السيف أو كالنور فى النار

وقال عبدون البلنسى

يامن محياه جنات مفتحة * وهجره لى ذنب غير مغفور
لقد تناقضت فى خلق وفى خلق * تناقض النار بالتدخين والنور

وقال الوزير ابن الحكيم

رسخت أصول علا كم تحت الثرى * ولكم على خط المجرة دار
ان المكارم صورة معلومة * أنتم لها الاسماع والابصار
تبدو شموس الدجن من أطواقكم * وتفيض من بين البنان بحار
ذلت لكم نسم الخلائق مثل ما * ذلت لشعرى فيكم الاشعار
فتى مدحت ولا مدحت سواكم * فديحكم فى مدحه اضمار

وقال القاضى أبو جعفر برطال

أستودع الرحمن من لوداعهم * قلبى وروحى آذنا بوداعى
بانوا وطرفى والفؤاد ومقولى * باك ومسلوب الفؤاد وداعى
فتقول يامولاى حفظهم ولا * تجعل تفرقنا فراق وداع

الاشتر واصحابه اياما لا يخرج لهم من عثمان فى سعيد شئ وامتدت أيامهم بالمدينة وقدم على عثمان امراؤه من الامصار منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح من مصر ومعاوية من الشام وعبد الله بن عامر من البصرة وسعيد بن العاص من الكوفة فاقاموا بالمدينة اياما لا يردهم الى امصارهم كراهة ان يرد سعيدا الى الكوفة وكره ان يعزله حتى كتب اليه من بامصارهم يشكون كثرة الخراج وتعطيل الثغور فجمعهم عثمان وقال ماترون فقال معاوية أما انا فراض بى جندى وقال عبد الله بن عامر بن كريز ليكفك امرؤ ما قبله اكفك ما قبلى وقال عبد الله بن سعد بن ابى سرح ليس بكثير عزل عامل للعامة وتولية غيره وقال سعيد بن العاص انك ان فعلت هذا كان اهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون وقد صاروا احلقا فى المسجد ليس لهم غير الاحاديث والخوض فجهزهم فى البعوث حتى يكون هم احدهم أن يموت على ظهر دابته قال فسمع

مقالته عمرو بن العاص فخرج الى المسجد فاذا طلحة والزبير جالسان فى ناحية منه فقالا له الينا فصار اليهما فقالا ماوراءك

وقال ابن خفاجة

وماهاجنى الا تألق بارق * لبست به بردالدجنة معلما

وهى طويلة وقال من أخرى

جمعت ذوائبه ونور جبينه * بين الدجنة والصباح المشرق

وقال ذوالوزارتين أبو الوليد بن الحضرمى البطليوسى فى غلام للمتوكل بن الافطس يرثيه

غالته أيدى المنايا * وكنّ فى مقلتيه
وكان يسقى الندامى * بطرفه ويديه
غصن ذوى وهلال * جارالكسوف عليه

وقال الفقيه العالم أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى عالمها فى المذهب المالكى وقد تحاكم اليه وسيمان أشقر وأكحل فيمن يفضل بينهما

وشادنين ألمابى على مقة * تنازعا الحسن فى غايات مستبق
كأن لمة ذا من نرجس خلقت * على بهار وذا مسك على ورق
وحكما الصب فى التفضيل بينهما * ولم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام يبدى هلال الدجن حجته * مبينا بلسان منه منطلق
فقال وجهى بدر يستضاء به * ولون شعرى مقطوع من الغسق
وكحل عينى سحر للنهى وكذا * لك الحسن أحسن مايعزى الى الحدق
وقال صاحبه أحسنت وصفك لكن فاستمع لمقال فى متفق
أنا على أفق شمس النهار ولم * تغرب وشقرة شعرى شقرة الشفق
وفضل ماعيب فى العينين من زرق * أن الاسنة قد تعزى الى الزرق
قضيت للمة الشقراء حيث حكت * نورا كذاجها يقضى على رمقى
فقام ذواللمة السوداء يرشقنى * سهام أجفانه من شدة الحنق
وقال جرت فقلت الجور منك على * قلبى ولى شاهد من دمعى الغدق
وقلت عفوك اذ أصبحت بينهما * فقال دونك هذا الحبل فاختنق

وكان فيه ظرف وأدب وعنوان طبقته هذه الابيات وقال

وغاب من الاكواس فيها ضراغم * من الراح ألباب الرجال فريسها
قرعت بهاسن الحلوم فأقطعت * وقد كاد يسطو بالفؤاد رسيسها

وله رحمه الله تعالى شرح البخارى وأكثر ابن حجر من النقل عنه فى فتح البارى وله كتاب الاحكام وغير ذلك وترجمته شهيرة * وقال الاديب النحوى المؤرخ أبو اسحق ابراهيم ابن الاعلم البطليوسى صاحب التآليف التى بلغت نحو خمسين

ياحمص لازلت دارا * لكل بؤس وساحه
مافيك موضع راحه * الا ومافيه راحه

وهو شيخ أبى الحسن بن سعيد صاحب المغرب وأنشده هذين البيتين لما ضجر من الاقامة باشبيلية أيام فتنة الباجى * وقال الاديب الطبيب أبو الاصبغ عبد العزيز البطليوسى

قال الشمر ماترك شيأ من المنبر الا أتى به وامر به وجاء الاشتر فقال له ان عاملكم الذى قمتم فيه خطباء قد ردعليكم وامر بتجهيزكم فى البعوث وبكذا وكذا فقال الاشتر والله قد كنا نشكو سوء سيرته وماقمنا به خطباء فكيف وقد قمنا وايم الله على ذلك لولا أنى انفذت النفقة وانضيت الظهر لسبقته الى الكوفة حتى امنعه دخولها فقال له فعندنا حاجتك التى تقويك فى سفرك قال فاسلفانى اذن مائة ألف درهم قال فاسلفه كل واحد منهما خمسين ألف درهم فقسمها بين اصحابه وخرج الى الكوفة فسبق سعيد وصعد المنبر وسيفه فى عنقه ماوضعه بعد ثم قال اما بعد فان عاملكم الذى أنكرتم تعديه وسوء سيرته قد رد عليكم وامر بتجهيزكم فى البعوث فبايعونى على أن لا يدخلها فبايعه عشرة آلاف من اهل الكوفة وخرج راكبا متخفيا يريد المدينة اومكة فلقى سعيد ابواقصة فاخبره بالخبر فانصرف الى المدينة وكتب الاشتر الى عثمان انا والله مامنعنا عاملك الا ليفسد عليك عملك ول من احببت فكتب اليهم انظروا من كان عاملكم ايام عمر بن الخطاب فولوه فنظروا فاذا هو أبو موسى الاشعرى فولوه (وفى سنة خمس وثلاثين) كثر الطعن على عثمان رضى الله عنه وظهر عليه النكير لاشياء ذكروها

الملقب بالقلندر

جرت منى الخمر مجرى دمى * فخل حياتى من سكرها
ومهما دجت ظلم للهموم * فمزقها بسنى بدرها

وخرج يوما وهو سكران فلقى قاضيا فى نهاية من قبح الصورة فقال سكران خذوه فلما أخذه الشرطة قال للقاضى بحق من ولاك على المسلمين بهذا الوجه القبيح عليك الا ما فضلت على وتركتنى فقال القاضى والله لقد ذكرتنى بفضل عظيم ودرأ عنه الحد * وقال ابن جاخ الصباغ البطليوسى وهو من أعاجيب الدنيا لا يقرأ ولا يكتب

ولما وقفنا غداة النوى * وقد أسقط البين ما فى يدى
رأيت الهوادج فيها البدور * عليها البراقع من عسجد
وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد خد ندى
تسالم من وطئت خده * وتلدغ قلب الشجى المكمد

وقال فى المتوكل وقد سقط عن فرس

لا عتب للطرف ان زلت قوائمه * ولا يدنسه من عائب دنس
حملت جودا و باسا فوقه ونهى * و كيف يحمل هذا كله الفرس

وقال الشاعر المشهور بالكميت البطليوسى

لا تلومونى فانى عالم * بالذى تأتيه نفسى وتدع
بالحميا والمحيا صبوتى * وسوى حبهما عندى بدع
فضل الجمعة يوم وأنا * كل أيامى بأفراحى جمع

وقال أبو عبد الله محمد بن البين البطليوسى وهو ممن يميل الى طريقة ابن هانئ

غصبوا الصباح فقسموه خدودا * واستنهبوا قضب الاراك قدودا
ورأوا حصا الياقوت دون محلهم * فاستبدلوا منه النجوم عقودا
واستودعوا حدق المها أجفانهم * فسبوا بهن ضراغما واسودا
لم يكفهم حمل الاسنة والظبا * حتى استعانوا أعينا ونهودا
وتضافروا بضفائر أبدوا لنا * ضوء النهار بليلها معقودا
صاغوا الثغور من الاقاحى بينها * ماء الحياة لو اغتدى موردا

وكان عند المتوكل مضحك يقال له الخطارة فشرب ليلة مع المتوكل وكان فى السقاة وسيم فوضع عينه عليه فلما كان وقت السحر دب اليه وكان بالقرب من المتوكل فاحس به فقال له ما هذا يا خطارة فقال له يا مولاى هذا وقت تفريغ الخطارة الماء فى الرياض فقال له لا تعد لئلا يكون ماء أحمر فرجع الى نومه ولم يعد فى ذلك كلمة بقية عمره معه ولا أنكر منه شيأ ولم يحدث بها الخطارة حتى قتل المتوكل رحمه الله تعالى والخطارة صنف من الدواليب الخفاف يستقى به أهل الاندلس من الاودية وهو كثير على وادى اشبيلية وأكثر ما يباكرون العمل فى السحر * وقال الوزير أبو زيد عبد الرحمن بن مولود

أرنى يوما من الدهر على وفق الامانى

من فعله (منها) ما كان بينه وبين عبد الله بن مسعود وانحراف هذيل عن عثمان من اجله (ومن ذلك) ما نال عمار بن ياسر من الفتن والضرب وانحراف بنى مخزوم عن عثمان من أجله (ومن ذلك) فعل الوليد بن عقبة فى مسجد الكوفة وذلك انه بلغه عن رجل من اليهود من ساكنى قرية من قرى الكوفة مما يلى جسر بابل يقال له زرارة يعمل انواعا من الشعبذة والسحر يعرف ببطروى فاحضره فأراه فى المسجد ضربا من التخاييل وهو أن اظهر له فى الليل فيلا عظيما على فرس فى صحن المسجد ثم صار اليهودى ناقة يمشى على حبل ثم اراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده وراسه ثم امر السيف عليه فقام الرجل وكان جماعة من اهل الكوفة حضورا منهم جندب بن كعب الازدى فجعل يستعيذ بالله من فعل الشيطان ومن عمل يبعد من الرحمن وعلم ان ذلك هو ضرب من التخييل والسحر فاخترط سيفه وضرب به اليهودى ضربة ادار راسه ناحية من بدنه وقال جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد قيل ان ذلك كان نهارا وان جندبا خرج الى السوق ودنا من بعض الصياقلة واخذ سيفا ودخل فضرب به عنق اليهودى وقال ان كنت صادقا فأحى نفسك

ثم دعني بعد هذا * كيفما شئت تراني

وقال أديب الاندلس وحافظها أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري اليابري وهو من رجال الذخيرة والقلائد وشهرته مغنية عن الزيادة يخاطب المتوكل وقد أنزله في دار وكفت عليه

أيا ساميا من جانبيه كليهما * سمو حباب الماء حالا على حال
لعبدك دار حل فيها كأنها * ديار لسلمى عافيات بذي خال
يقول لها لما رأى من دثورها * ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
فقالت وما عيت جوابا بردها * وهل يعمن من كان في العصر الخالي
فر صاحب الانزال فيها بعاجل * فان الفتى يهذي وليس بفعال

وقال في جمع حروف الزيادة حسبما ذكره عنه في المغرب

سألت حروف الزائدات عن اسمها * فقالت ولم تكذب أمان وتسهيل

قلت وعلى ذكر حروف الزيادة فقد أكثر الناس في انتقاء الكلمات الضابطة لها وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط ولنذكر الآن بعضها فنقول منها أهوى تلمسانا ونظمتها فقلت

قالت حروف زيادات لسائلها * هل هويت بلدة أهوى تلمسانا

وجمعها ابن مالك في بيت واحد بأربعة أمثلة من غير حشو وهو

هناء وتسليم تلا يوم انسه * نهاية مسئول أمان وتسهيل

ومنها هويت السمان وحكي أن أبا عثمان سئل عنها فانشد

هويت السمان فشيبنني * وقد كنت قدما هويت السمانا

فقيل له اجبنا فقال اجبتكم مرتين ويروى انه قال سألتمونيها فاعطيتكم ثلاثة اجوبة هكذا حكاه بعض المحققين وهو ارق مما حكاه غير واحد على غير هذا الوجه * ومنها اليوم تنساه الموت ينساه اسلمني وتاه هم يتساءلون النهاهي سموتم وسائله اسلمي تهاون تهاوني أسلم التمس هواني ماسألتيهون مؤنس التياه لم يأتنا سهو يااوس هل تمت نويت سؤالهم نويت مسائله سألتم هواني تاملها يونس اتاني وسهيل هوني مسألتها سألت مايهون وسلمان اتاه تسال من يهوى استملاني هو اسلمت وهناي هو استمالني سايل وانت هم ياهول استتم اتاه وسليمان قلت وليس هذا تكرارا مع السابق الذي هو وسليمان اتاه لان التقديم والتأخير يصيرهما شيئين * ومنها الوسمى هتان اوليتم سناه واليتم أنسه اسميت وناله انه توسما املتني سهوا اتوسل بهنا سألتهن يوما سألت يومها سألت مايوهن نهوى ماسألت يهون ماسألت وقد سبق سألت مايهون وعدهما شيئين من اجل التقديم والتأخير كما مر نظيره الانس يومه لتأسن ماوه سله موتى انا انسته اليوم سألتم هوينا آوى من تسأله وهين ماسألت وهني ماسألت مسألتي نواه * ومنها مسألتي هاون سهوان يتالم أيلتم سهوان اوبلتم ناسه مسألتي اهون اوميت تنساه سموتن اليها امليت سهوان وسألتم هينا يهون ماتسال اتلومن سهيا

فأنكر عليه الوليد ذلك وأراد ان يقيده به فمنعه الازد فحبسه وأراد قتله غيلة ونظر السجان الى قيامه ليله الى الصبح فقال له انج بنفسك فقال له جندب تقتل بي قال ليس ذلك بكثير في مرضاة الله والدفع عن ولي من اولياء الله فلما اصبح الوليد دعا به وقد استعد لقتله فلم يجده فسأل السجان فاخبره بهربه فضرب عنق السجان وصلبه بالكناس (ومن ذلك) ما فعل بابي ذر وهو انه حضر مجلسه ذات يوم فقال عثمان ارأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره فقال كعب لا يا امير المؤمنين فدفع ابو ذر في صدر كعب وقال له كذبت يا ابن اليهودي ثم تلا ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية فقال عثمان اترون بأسا ان نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من امورنا ونعطيكموه فقال كعب لا باس بذلك فرفع ابو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال يا ابن اليهودي ما اجرأك على القول في ديننا فقال له عثمان ما اكثر اذاك لي غيب وجهك عني فقد آذيتني فخرج ابو ذر الى الشام فكتب معاوية الى عثمان ان ابا ذر تجتمع اليه الجموع ولا آمن ان يفسدهم عليك فان كان لك في القوم حاجة فاحمله اليك فكتب اليه عثمان بحمله

اسلموا انتهى يتأمل سهوان يتأمل ناسوه يتأمل اسوه ايتأمل نسوه الهوى اتنسم وليت ماه آسن تولين اسهما اتلوا سهمين اول ساهمتني اسماؤه تنيل يتأملنه سوا اولم يتسناه آمن ويتساهل امسيتن لهوا توسميه لنساء هوماتسألين لايها انتوسم ايهما نتوسل اتاني لسموه سميتهن اولا اولاهن سميت سلمتني اهوا اسلمتني هوا اونستميلها استهلونا هنأت الموسى سليم انتهوا وانت سائلهم ساءلته يمو تهنألا يسمو اسألي مؤنته سألتي موهنا التمسي هونا استملي اهون التناه موسى لهواء يتسنم نهوى ماتسأل ماؤه لينأسن تنسمي لهواء تلومي ان سها المتي سهوا ستولينا امه يتمهلون اسا امهلتني سوا التناسي وهم اهويت سلمان هويت المأنس المانس تهوى هويت ام ناسل اوليس تم هنا استوهن املي استهون الى استملن وهيأ اتسلمونيها ايتسلمونها الايتسمونه اليس توهمنا الايتسموه فهذه مائة واربعة وثلاثون تركيبا منها ما هو متين ومنها ما هو غير متين وقد جمع ابن خروف فيها اثنين وعشرين تركيبا محكيا وغير محكي واحسنها بيت ابن عبدون السابق ويليه بيت ابن مالك وقال الطغمى جامعها الا اربع مرات

آلمتي سهوا تلومي ان سها * اوليس تم هنا الهوا يتسنم

هكذا بخطه يتسنم ولو قال يتنسم لكان انسب وقال ايضا

وليت ماسناه والتمسي هنا * ماتسألين هو الهنا يتوسم انتهى

قلت وقد جمعت في المغرب زيادة على ما تقدم وكنت قدرت رسالة فيها اسميها اتحاف اهل السيادة بضوابط حروف الزيادة * وقال ابو محمد عبد الله بن الليث يستدعي الوزير ابا الحسن اليابري في يوم غيم

رقم الربيع بروضنا ازهاره * فجرى على صفحاته انهاره
فعسى تشرفنا بهجة سيد * ألقى على ليل الخطوب نهاره
تتمتع الآداب من نفحاته * فيشم منها وردة وبهاره
ياسيدا بهر البرية سوددا * أبدى اليناسره وجهاره
يوم أظل الغيم وجه ضيائه * فعليك ياشمس العلا أظهاره

وقال أبو القاسم بن الابرش

أدركاس المدام فقد تغنى * بفرع الايك طائره الصدوح
وهب على الرياض نسيم صبح * يمر كما دنا سار طليح
ومال النهر يشكو من حصاه * جراحات كما أن الجريح

وقال

حلفت ويشهد دمعي بما * أقاسيه من هجرك الزائد
فان كنت تجحد ما أدعي * وحاشاك تعرف بالجاحد
فان النبي عليه السلام * قضى باليمين مع الشاهد

وقال أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني صاحب الذخيرة وشهرته تغني عن ذكره ونظمه دون نثره يخاطب أبا بكر بن عبد العزيز

أبا بكر المجتبى للأدب * رفيع العماد فريع الحسب

فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به حتى اتوا به المدينة قد تسلخت بواطن افخاذه وكاد ان يتلف فقيل له انك تموت من ذلك فقال هيهات لن اموت حتى انفى وذكر جوامع ما نزل به بعد ومن يتولى دفنه فأحسن اليه في داره اياما ثم دخل اليه فجاس على ركبتيه وتكلم باشياء وذكر الخبر في ولد ابي العاص اذا بلغوا ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومر في الخبر بطوله وتكلم بكلام كثير وكان في ذلك اليوم قد اتى عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهري من المال فنضت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم فقال عثمان اني لارجو لعبد الرحمن خيرا لانه كان يتصدق ويقري الضيف وترك ما ترون فقال كعب الاحبار صدقت يا أمير المؤمنين فشال ابو ذر العصا فضرب بها راس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الالم وقال يا ابن اليهودي تقول لرجل مات وترك هذا المال ان الله اعطاه خير الدنيا وخير الآخرة وتقطع على الله بذلك وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يسرني أن اموت وادع ما يزن قيراطا فقال له عثمان وارعني وجهك فقال اسير الى مكة قال لا والله قال فتمنعني من بيت ربي اعبده

أيلحن فيك الزمان الخؤن * و يعرب عنك لسان العرب
وان لم يكن أفقنا واحدا * فينظمنا شمل هذا الادب

وقدذكرناله فى غيرهذا المحل قوله

ألا بادر فلا ثان سوى ما * عهدت الكاس والبدر التمام

الابيات وتأخرت وفاته الى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وهو منسوب الى شنترين من الكور الغربية البحرية من أعمال بطليوس *وقال أبو عمر يوسف بن كوثر

مررت به يوما بغازل مثله * وهذا على ذا بالملاحة يمتن
فقلت اجمعا فى الوصل رأيكما فما * لمثلكما كان التغزل والمجن
عسى الصب يقضى الله بينكماله * بخير فقالا لى اشتهى العسل السمن

وقال أبو محمد بن سارة

أعندك أن البدر بات ضجيعى * فقضيت أوطارى بغير شفيع
جعلت ابنة العنقود بينى و بينه * فكانت لنا أماوكان رضيعى

وقال

أيامن حارت الافكار فيه * فلم تعلم له الاقدار كنها
بجيد النيل مناعقد أنس * أقام بغير واسطة فكنها

وقال أبو الحسن منذر الاشبونى

فديتك انى عن جنابك راحل * فهل لى يومامن لقائك زاد
وحسبك والايام خون غوادر * فراق كماشاء العداو بعاد

وقال خلف بن هرون القطينى

من أنبت الورد فى خديك يا قمر * ومن حمى قطفه اذ ليس مصطبر
الزهر فى الروض مقرون بأزمنة * وروض خدك موصول به الزهر

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس حسون وعزون ورحمون فأولع بهم الامام أبو محمد بن السيد النحوى وقال فيهم

أخفيت سقمى حتى كاد يخفينى * وهمت فى حب عزون فعزونى
ثم ارحمونى برحمون فان ظمئت * نفسى الى ريق حسون فحسونى

ثم خاف على نفسه فخرج من قرطبة هكذا رأيته بخط بعض المؤرخين انتهى والله أعلم
*وقال ابن خفاجة يداعب من بقل عذاره

أيها التائه مهلا * ساءنى أن تهت جهلا
هل ترى فيما ترى الاشـ * ـبابا قد تولى
وغراما قد تسرى * وفؤادا قد تسلى
أين دمع فيك يجرى * أين جنب يتقلى
أين نفس بك تهذى * وضلوع فيك تصلى
أى باك كان لولا * عارض وافى لولى
وتخلى عنك الا * أسفا لا يتخلى

وانظرى

فيه حتى أموت قال اى وأنه قال فالى الشام قال لا والله قال البصرة قال لا والله فاختر غير هذه البلدان قال لا والله ما اختار
غير ما ذكرت لك ولو تركتنى
فى دار هجرتى ما اردت شيأ من
البلدان فسيرنى حيث شئت
من البلاد قال فانى مسيرك
الى الربذة قال الله اكبر
صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد أخبرنى بكل
ما أنا لاق قال عثمان وما
قال لك قال أخبرنى بانى
أمنع عن مكة والمدينة
واموت بالربذة ويتولى
موارا تى نفر ممن يردون من
العراق نحو الحجاز وبعث
أبو ذر الى جمل له فحمل عليه
امرأته وقيل ابنته وامر
عثمان ان يتجافاه الناس
حتى يسير الى الربذة فلما
طلع عن المدينة ومروان
يسيره عنها اذ طلع عليه على
ابن ابى طالب رضى الله عنه
ومعه ابناه وعقيل اخوه
وعبد الله بن جعفر وعمار بن
ياسر فاعترض مروان فقال
ياعلى ان امير المؤمنين قد نهى
الناس ان يصحبوا اباذر فى
مسيره ويشيعوه فان كنت
لم تدر بذلك فقد اعلمتك
فحمل عليه على بن ابى
طالب بالسوط بين اذنى
راحلته وقال تنح نحاك الله
الى النار ومضى مع ابى ذر
فشيعه ثم ودعه وانصرف
فلما اراد على الانصراف
بكى ابو ذر وقال رحمكم الله
اهل البيت اذا رأيتك يا ابا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وانطوى الحسن فهلا * أجمل الحسن وهلا

أما بعد أيها النبيل النبيه فانه لا يجتمع العذار والتيه قد كان ذلك وغصن تلك الشبيبة رطب ومنهل ذلك المقبل عذب وأما والعذار قد بقل والزمان قد انتقل والصب قد صحا فعقل فقد ركدت رياح الاشواق ورقدت عيون العشاق فدع عنك من نظرة التجنى ومشية التثنى وغض من عنانك وخذ فى تراضى اخوانك وهش عند اللقاء هشة أريحية واقنع بالايماء رجع تحية فكأنى بفنائك مهجورا وبزائرك مأجورا والسلام * وقال الرصافى لما بعث اليه من يهواه سكينا

تفاءلت بالسكين لما بعثته * لقد صدقت منى القيافة والزجر
فكان من السكين سكناك فى الحشا * وكان من القطع القطيعة والهجر

وحضر الفقيه أبو بكر بن حبيش ليلة مع بعض الجلة وطفئ السراج فقال ارتجالا

أذك السراج يرينا غرة سفرت * فباتت الشمس تستحيي وتستتر
أوخله فكفانا وجه سيدنا * لا يطلب النجم من فى بيته قمر

وقصد أحد الادباء بمرسية أحد السادة من بنى عبد المؤمن فأمر له بصلة خرجت على يد ابن له صغير فقال المذكور ارتجالا

تبرك بنجل جاء باليمن والسعد * يبشر بالتأييد طائفة المهدى
تكلم روح الله فى المهد قبله * وهذا براء بدل اللام فى المهد

وخرج الاستاذ أبو الحسن بن جابر الدباج يوما مع طلبته للنزهة بخارج اشبيلية وأحضرت بحنات ما خبا نارها ولا هدأ أوارها فما حاد عنها ولا كف ولا صرف جرها عن اقتضابها البنان ولا الكف فقال

أحلى مواقعها الاذاقر بتها * وبخارها فوق الموائد سام
ان أحرقت لمسا فان أوارها * فى داخل الاحشاء برد سلام

وقال أبو بكر أحمد بن محمد الابيض الاشبيلى يتهكم برجل زعم انه ينال الخلافة

أمير المؤمنين نداء شيخ * أفادك من نصائحه اللطيفه
تحفظ أن يكون الجذع يوما * سريرا من أسرتك المنيفه
أفكر فيك مصلوبا فأبكى * وتضحكنى امانيك السخيفه

وقال صفوان

ونهار أنس لو سألنا دهرنا * فى أن يعود بمثله لم يقدر
خرق الزمان لنا به عاداته * فلو اقترحنا النجم لم يتعذر
فى فتية علمت ذكاء بحسنهم * فتلفعت من غيمها فى مئزر
والسرحة الغناء قد قبضت بها * كف النسيم على لواء اخضر
وكأن شكل الغيم منخل فضة * يلقى على الآفاق رطب الجوهر

واجتاز بعض الغلمان على أبى بكر بن يوسف فسلم عليه باصبعه فقال أبو بكر فى ذلك وأشار فى البيت الثالث الى أن والد الغلام كان خطيب البلد

فشكاكم وان الى عثمان ما فعل به على بن أبى طالب فقال عثمان يا معشر المسلمين من يعذرنى من على رد رسولى عما وجهته له وفعل كذا والله لنعطينه حقه فلما رجع على استقبله الناس فقالوا ان أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أباذر فقال على غضب الخيل على اللجم ثم جاء فلما كان بالعشى جاء الى عثمان فقال له ما حملك على ما صنعت بمروان واجترأت على ورددت رسولى وأمرى قال أما مروان فانه استقبلنى يردنى فرددته عن ردى وأما أمرك فلم ارده قال عثمان أولم يبلغك انى قد نهيت الناس عن أبى ذر وعن تشييعه فقال على أوكل ما أمرتنا به من شئ نرى طاعة الله والحق فى خلافه اتبعنا فيه أمرك بالله لا نفعل قال عثمان أقد مروان قال وما أقيده قال ضربت بين أذنى راحلته قال على أما راحلتى فهى تلك فان أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل وأما أنا فوالله لئن شتمنى لاشتمنك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول الاحقا قال عثمان ولم لا يشتمك اذا شتمته فوالله ما أنت عندى بافضل منه فغضب على بن أبى طالب وقال الى تقول هذا القول وبمروان تعدلنى فانا والله أفضل منك وأبى أفضل من أبيك وأمى أفضل من أمك وهذه نبلى قد نثلتها وهلم

مر الغـزال بنا وعانا فرا * كشبيهه في القفر ريع بصائده
لثم السلامي في السلام تسترا * ثم انثنى حذر الرقيب الراصده
هلا تكلف وقفة لمحبه * ولو انها قصرا كجلسة والده

وقال أبو الحسن بن الحاج

كفى حزنا أن المشارع جمة * وعندي اليها غلة وأوام
ومن نكد الايام أن يعدم الغنى * كريم وأن المكثرين لئام

وقال أبو القاسم القبتوري

واحسرتا لامور ليس يبلغها * مالي وهن منى نفسي وآمالي
أصبحت كالآل لاجدوى لدي وما * آليت جدا ولكن جدي الآلي

وقال أحمد بن أمية البلنسي

قال رئيسي حين فاوضته * ومادرى أن مقامي عسير
أقم فقلت الحال لاتقتضي * فقال سر قلت جناحي كسير

وقال ابن برطلة

لله ما ألقاه من همة * لاترتضي الا السها منزلا
ومن خمول كل مارمت أن * اسمو به بين الورى قال لا

وكتب ابن خروف لبعض الرؤساء

يامن حوى كل مجد * بجده وبجده
أتاك نجل خروف * فامنن عليه بجده

وكتب أيضا لبعضهم يستدعي فروة

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * ء من جدواك جلد أبي
وفضلك عالم أني * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفي حلب صفا حلبي

وبعد كتبي لما ذكر خشيت أن يكون لابن خروف المشرقي لا الاندلسي والله تعالى أعلم * وركب محبوب أبي بكر بن مالك كاتب ابن سعد بغلة رديف رجل يعرف بالدب فقال أبو بكر في ذلك

وبغلة مالها مثال * يركبها الدب والغزال
كأن هذا وذا عليها * سحابة خلفها هلال

وخرج محبوب لأبي الحسن بن حريق يوم النزهة وعرض سيل عاقه عن دخول البلد فبات ليلة عند أبي الحسن فقال في ذلك

ياليلة جادت الاماني * بها على رغم أنف دهري
تسيل فيها على نعمى * يقصر عنها لسان شكري
أبات في منزلي حبيبي * وقام في أهله بعذر

فأقبل بذلك فغضب عثمان واحمر وجهه فقام ودخل داره وانصرف علي فاجتمع اليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والانصار فلما كان من الغد واجتمع الناس الى عثمان شكا اليهم عليا وقال انه يعيبني ويظاهر من يعيبني يريد بذلك أبا ذر وعمار بن ياسر وغيرهما فدخل الناس بينهما وقال له علي والله ما أردت تشييع أبا ذر الا الله وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبي سفيان صخر ابن حرب في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو أمية فقال أبو سفيان أفيكم أحد من غيركم وقد كان عمي قالوا لا قال يابني أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم ولتصيرن الى صبيانكم وراثة فانتهره عثمان وساءه ماقال ونمي هذا القول الى المهاجرين والانصار وغير ذلك من الكلام فقام عمار في المسجد فقال يامعشر قريش أما اذا صرفتم هذا الامر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فما أنا بآمن أن ينزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله وقام المقداد فقال مارأيت مثل ما أوذي به أهل هذا البيت بعد نبيهم فقال له عبد الرحمن بن عوف وما أنت وذاك يامقداد بن عمرو فقال اني

وبت لاحالة كحالى * صريع سكر صحيح بدر
ياليلة القدر فى الليالى * لانت خير من الف شهر

وقال أبو الحسن بن الزقاق

عذيرى من هضيم الكشح أحوى * رخيم الدل قد لبس الشبابا
أعد الهجر هاجرة لقلبى * وصير وعده فيه سرابا

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطى

ثناء الفتى يبقى ويفنى ثراؤه * فلا تكتسب بالمال شيأ سوى الذكر
فقد أبلت الايام كعبا وحاتما * وذكرهما غض جديد الى الحشر

وقال الاديب أبو عبد الله الجذامى كان لشخص من أصحابنا قينة فبينما هو ذات يوم قد رام تقبيلها على اثر سواك أبصره بمبسمها اذ مر فوال ينادى على فول بيده قال فكلفنى أن أقول فى ذلك شيأ فقلت

ولم انس يوم الانس حين سمحت لى * واهديت لى من فيك فول سواك
ومر بنا الفوال للفول مادحا * وما قصده فى المدح فول سواك

وشرب يوما ابو عبد الله المذكور عند بعض الاجلة وذرعه القىء فار تجل فى العذر

لاتؤاخذ من اخل به * قهوة فى الكاس كالقبس
كيف يلحى فى المدام فتى * اخذته اخذ مفترس
دخلت فى الحلق مكرهة * ضاق عنها موضع النفس
خرجت من موضع دخلت * انفت من مخرج النجس

وجلس سلمة بن احمد الى جنب وسيم يكتب من محبرة فانصب الحبر منها على ثوب سلمة فخجل الغلام فقال سلمة

صب المداد وما تعمد صبه * فتورد الخد المليح الازهر
يامن يؤثر حبره فى ثوبنا * تأثير لحظك فى فؤادى اكبر

وكان لابى الحسن بن حزمون بمرسية محبوب يدعى اباعام وسافر ابو الحسن فبينما هو بخارج المرية اذ لقى فتى يشبه محبوبه وساله عن اسمه فاخبره بأنه يدعى اباعام فقال ابو الحسن فى ذلك

الى كم افر أمام الهوى * وليس لذا الحب من آخر
وكيف أفر أمام الهوى * وفى كل واد ابو عام

وحضر ابو بكر بن مالك كاتب ابن سعد مع محبوبه لارتقاب هلال شوال فاغمى على الناس ورآه محبوبه فقال ابو بكر فى ذلك

توارى هلال الافق عن اعين الورى * ولاح لمن اهواه منه محياه
فقلت لهم لم تفهموا كنه سره * ولكن خذوا عنى حقيقة معناه
بدا الافق كالمرآة راق صفاؤه * فابصر دون الناس فيه محياه

وكتب ابو بكر بن حبيش لمن يهواه بقوله

متى ما ترم شرح الحالى وتبيينا * فصحف على قلبى علومك تحيينا

أعجب من قريش وأنت تحوّلهم على الناس أهل هذا البيت قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده من أيديهم أما وايم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصارا لقاتلتهم كقتالى اياهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وجرى بينهم من الكلام خطب طويل قد أتينا على ذكره فى كتابنا أخبار الزمان فى اخبار الشورى والدار (ولما كان سنة) خمس وثلاثين سار مالك ابن الحرث النخعى من الكوفة فى مائتى رجل وحكيم بن جبلة العبدى فى مائة رجل من أهل البصرة ومن اهل مصر ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس الشلوى وقد ذكر الواقدى وغيره من أصحاب السير انه ممن بايع تحت الشجرة الى آخرين ممن كان بمصر مثل عمرو بن الحموح الخزاعى وسودان بن احمد التجيبى ومنهم محمد بن ابى بكر الصديق وقد كان تكلم بمصر وحرض الناس على عثمان لامر يطول ذكره كان السبب فيه مروان بن الحكم فنزلوا فى الموضع المعروف بخشب فلما علم عثمان بنزولهم بعث الى على بن ابى طالب فاحضره وساله ان يخرج اليهم ويضمن لهم عنه كل ما يريدون من العدل وحسن السيرة فسار

اراداني بحبك مولع * وكتب القاضي بن السليم الى الحكم المستنصر بالله
لو ان اعضاء جسمي ألسن نطقت * بشكر نعماك عندي قل شكري لك
او كان ملكني الرحمن من اجلي * شيأ وصلت به يا سيدي اجلك
ومن تكن في الورى آماله كثرت * فغاية املي في أن ترى أملك
وقال الوزير ابن ابي الخصال
وكيف أؤدي شكر من ان شكرته * على بر يوم زادني مثله غدا
فان رمت اقضي اليوم بعض الذي مضى * رايت له فضلا على مجددا
وقال الرصافي
قلدت جيد الشكر من تلك الحلى * ماشاءه المنثور والمنظوم
وأثرت قدامى كاني لاثم * وكأن كفي ذلك الملثوم
وقال
وبالك نعمة رمنا مداها * فاوصل اللسان ولا الضمير
عجزنا أن نقوم لها بشكر * على أن الشكور لها كثير
وقال ابن باجة
قوم اذا انتقبوا رأيت أهلة * واذا هم سفروا رأيت بدورا
لا يسألون عن النوال عفاتهم * شكرا ولا يحمون منه نقيرا
لو أنهم مسحوا على جدب الربا * باكفهم نبت الاقاح نضيرا
وقال ابن الابار يمدح اباز كريا سلطان افريقية
تحلت بعلياك الليالي العواطل * ودانت لسقياك السحاب الهواطل
ومازينة الايام الامناقب * يفرعها أصلان باس ونائل
اذا الطول والصول استقلا براحة * ترقت لها نحو النجوم أنامل
وقال ايضا في سعيد بن حكم رئيس منرقة
سيد أيد رئيس بئيس * في اسار يره صفات الصباح
قمر في افق المعالي تجلى * وتحلى بالسؤدد الوضاح
سلم البحر في السماحة منه * لجواد سموه بحر السماح
وقال ابو العباس احمد الاشبيلي
يا افضل الناس اجماعا ومعرفتي * تغني وما الحسن في ريب ولا ريب
ورثت عن سلف ماشئت من شرف * فقد بهرت بموروث ومكتسب
وقال ابن زهر الحفيد
يامن يذكرني بعهد احبتي * طاب الحديث بذكرهم ويطيب
اعد الحديث على من جنباته * ان الحديث عن الحبيب حبيب
ملأ الضلوع وفاض عن احنائها * قلب اذا ذكر الحبيب يذوب
مازال يخفق ضاربا بجناحه * ياليت شعري هل تطير قلوب
وقال في زهر الكتان

اذاهم بغلام على بعير وهو مقبل من المدينة فتاملوه فاذا هو ورش غلام عثمان فقرروه فاقروا واظهر كتابا الى ابن ابي سرح صاحب مصر اذا اقدم عليك الجيش فاقطع يد فلان واقتل فلانا وافعل بفلان كذا واحصى اكثر من في الجيش وأمر فيهم بما أمر وعلم القوم ان الكتاب بخط مروان فرجعوا الى المدينة واتفق رأيهم ورأى من قدم من العراق ونزلوا المسجد وتكلموا وذكروا ما نزل بهم من عمالهم ورجعوا الى عثمان فحصروه في داره ومنعوه الماء فاشرف على الناس وقال ألا احد يسقينا وقال بم تستحلون قتلي وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس بغير نفس ووالله ما فعلت ذلك في جاهلية او اسلام فبلغ عليا طلبه للماء فبعث اليه بثلاث قرب ماء فما وصل اليه ذلك حتى خرج جماعة من موالي بني هاشم وبني امية وارتفع الصوت وكثر الضجيج وأحدقوا بداره بالسلاح وطالبوه بمروان فابى ان يخلي عنه وفي الناس بنو زهرة لاجل عبد الله بن مسعود لانه كان من

اهـلا بزهر اللازورد دوم حبا * في روضة الـكتان تعطفه الصبا
لو كنت ذا جهـل لخلتك لجة * وكشفت عن ساق كما فعلت سبا

ولما قال الموشحة المشـهورة التي أولها *صادني ولم يدر ما صادا* قال ابو بكر بن الجد لوسـئل عما صـاد القال تيس بلحيـة حمراء ولما قال الموشحة التي اولهـا هات بنت العنب واشرب الى قوله وفدته بأبي ثم بي سمعها ابوه فقال يفديه بالعجوز السوّاء واما انا فلا* وهنالك ابو بكر بن زهر الاصغر وهو ابن عم هذا الاكبر ومن نظم الاصغر

والله ما ادري بما اتوســـل * اذ ليس لي ذات بها اتوصـــل
لـكن جعلت مودتي مع خدمتي * لعلاك احظى شافع يتقبـــل
ان كنت من ادوات زهر عاطـلا * فالزهر منهن السماك الاعزل

وهـذه الابيات خاطب بها المأمون بن المنصور صاحب المغرب *وقال الاديب ابو جعفر عمر ابن صاحب الصلاة

ومازالت الدنيا طريقا لهالك * تباين في احوالها وتخالف
ففي جانب منها تقوم مآتم * وفي جانب منها تقوم معازف
فمن كان فيها قاطنا فهو ظاعن * ومن كان فيها آمنا فهو خائف

وقال ابو بكر محمد بن صاحب الصلاة يخاطب اخيل لما انتقل الى العدوة

لاتنكـرن زمانا * رماك منه بسـهم
وانت غاية مجـــد * في كل عـلم وفهم
هـذي دموعي حتى * يراك طرفي تهمي
ياليت ما كنت اخشى * عليك عدوان هم
وانما الدهـر يبدي * مالايجوز بوهـم
مازال شـيهم مس * لـكل يقظان شهم

ولما وفد اهل الاندلس على عبـد المؤمن قام خطيبا ناثرا وناظما فاتى بالعجب وباهى به اهل الاندلس في ذلك الوقت وله في عبد المؤمن]

هم الالى وهبوا للحرب انفســهم * وانهبوا ما حوت ايديهم الصفدا
ما ان يغبون كحل الشمس من رهج * كانما عينها تشـكو لهم رمدا

وقال ابن السيد البطليوسي في ابي الحـكم عمرو بن مذحج بن حزم وقد غلب على لبه واخذ بمجامع قلبه

راى صاحبي عمرا فـكلف وصفه * وحملني من ذاك ماليس في الطوق
فقلت له عمرو كعمر وفقال لي *صدقت ولـكن ذاك شب عن الطوق

وفيه يقول ابن عبدون

ياعمرورد على الصدور قلوبها * من غير تقطيع ولاتحريق
وأدر علينا من خلالك اكؤسا * لم تأل تسكرنا بغـير رحيق

وفيه يقول احدهما

ابي ذر وتيم بن مرة مع محمد بن ابي بكر وغير هؤلاء ممن لايحمل ذكره كتابنا فلما بلغ عليا انهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح الى بابه لنصرته وأمرهم أن يمنعوه منهـم وبعث الزبير ابنه عبد الله وبعث طلحـة ابنـه محمـدا وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا فصدوهم عن الدار فرمى من وصفنا بالسهام واشتبك القـوم وجرح الحسن وشج قنبر وجرح محمد بن طلحة فخشي القوم أن يتعصب بنو هاشم وبنو أمية فتركوا القوم في القتال على الباب ومضى نفر منهم الى دار قوم من الانصار فتسوّروا عليها وكان ممن وصل اليه محمد ابن أبي بكر ورجلان آخران وعند عثمان زوجته وأهله ومواليه مشاغيل بالقتال فأخذ محمد بن أبي بكر بلحيته فقال يا محمد والله لو رآك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده وخرج عنه الى الدار ودخل رجلان فوجداه فقتلاه وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه فصعدت امرأته فصرخت وقالت قد قتل أمير المؤمنين فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بني أمية فوجدوه قد فاضت نفسه رضي الله عنه فبكوا فبلغ ذلك عليا وطلحة والزبير وسعدا وغيرهم من المهاجرين

قل لعمرو بن مذحج * جاء ما كنت ارتجى
شارب من زبرجد * ولمى من بنفسج

وكتب اليه ابن عبدون

سلام كما هبت من المزن نفحة * تنفس عند الفجر من وجهها الزهر

ومنها

أباحسن أبلغ سلام فى يدى * أبى حسن وارفق فكلتاهما بحر
ولا تنس يمناك التى هى والندى * رضيعا لبان لا اللجين ولا التبر

فأجابه من أبيات

تحير ذهنى فى مجارى صفاته * فلم أدر شعر مابه فهت أم سحر
أرى الدهر أعطاك التقدم فى ٣ * وان كان قدوا فى أخيرا بك الدهر
لئن حازت الدنيا لك الفضل آخرا * ففى أخريات الليل ينبلج الفجر

ولعمرو فى أبى العلاء بن زهر

قدمت علينا والزمان جديد * ومازلت تبدى فى الندى وتعيد
وحق العلا لولام اتبك العلا * لما اخضر فى أفق المكارم عود
فلوحوا بنى زهر فان وجوهكم * نجوم بأفلاك العلاء سعود

وقوله لابى الوليد ابن عمه

أنى لاعجب أن يدنو بنا وطن * ولا يقضى من العليا لنا وطر
لاغروان بعدت دار مصاقبة * بنا وجدّ بنا للحضرة السفر
فدعر العين لا يلقاه ناظرها * وقد توسع فى الدنيا به النظر

وقال ابن عمه أبو بكر محمد بن مذحج يخاطب ابن عمه أبا الوليد

ولما رأى حمص استخفت بقدره * على انها كانت به ليلة القدر
تحمل عنها والبلاد عريضة * كما سل من غمد الدجى صارم الفجر

وقال أبو الوليد المذكور

أتجزع من دمعى وأنت أسلته * ومن نار أحشائى وأنت لهيبها
وتزعم أن النفس غيرك علقت * وأنت ولامنّ عليك حبيبها
اذا طلعت شمس على بسلوة * أثار الهوى بين الضلوع غروبها

وله أيضا

لما استمالك معشر لم أرضهم * والقول فيك كما علمت كثير
داريت دونك مهجتى فتماسكت * من بعدما كادت اليك تطير
فاذهب فغير جوانحى لك منزل * واسمع فغيروفائك المشكور

وقال

يقول وقد لمته فى هوى * فلان وعرّضت شيأ قليلا
أتحسدنى قلت لاوالذى * أحلك فى الحب مرعى وبيلا
وكيف وقد حل ذاك الجناب * وقد سلك الناس ذاك السبيلا

وله مما يكتب على قوس

انى اذا رفعت سماء عجاجتى * والحرب تقعد بالردى وتقوم

٣ قوله ارى الدهر الخ هكذا بالاصل ووزنه ومعناه غير مستقيمين ولعل اصله التقدم فى الورى وان الخ اه

والانصار فاسترجع القوم ودخل على الدار وهو كالواله الحزين فقال لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ولطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير فقال له طلحة لا تضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن لو دفع مروان ما قتل وهرب مروان وغيره من بنى أمية وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا وقال على لزوجته نائلة بنت الفرافصة من قتله وأنت كنت معه فقالت دخل اليه رجلان وقصت خبر محمد بن أبى بكر فلم ينكر ما قالت وقال والله لقد دخلت عليه وأنا أريد قتله فلما خاطبنى بما قال خرجت ولا أعلم بتخلف الرجلين عنى والله ما كان لى فى قتله سبب ولقد قتل وأنا لا اعلم بقتله وكان مدة ماحوصر عثمان فى داره تسعا وأربعين يوما وقيل أكثر من ذلك (وقتل) فى ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذى الحجة وذكر أن احد الرجلين كنانة بن بشر التجيبى ضربه بعمود على جبهته والآخر منهما سودان ابن حمران المرادى ضربه بالسيف على حبل عاتقه فحله (وقد قيل) ان عمرو ابن الحمق طعنه بسهام تسع طعنات وكان فيمن مال

وعمرو الابطال في جنباتها * والموت من فوق النفوس يحوم
مرقت لهم منا الحتوف كانما * نحن الاهلة والسهام نجوم

وقال أبو الحسين بن قندلة في كلب صيد

نعت بمن لو رمت تعبير وصفه * لقل ولو أنني غرفت من البحر
باخطل وثاب طموح مؤدب * ثبوت يصيد النسر لو حل في النسر
كلون الشباب الغض في وجهه سنى * كأن ظلام اليس فيه سوى البدر
اذا سار والبازي أقول تعجبا * ألا ليت شعري يسبق الطير من يجري

ولا يلتفت الى قول أبي العباس بن سيد فيه

الموت لا يبقى على مهجة * لا أسدا يبقى ولا نعثله
ولا شريفا لبني هاشم * ولا وضيعا لبني قندله

وكان ابن سيد مسلطا على هذا البيت قال ابن سعيد وانما يهجى الكلب القمر قال أبو العباس النبار كان أبو الحسين يلقب بالوزغة فوصلت الى بابه يوما فحجب عني فكتبت على الباب

تحجب القندلي عني * فساء من فعله ضميري
ينفر من رؤيتي كأني * مضمخ الجيب بالعبير

قال ومن عادة الوزغة أن تكره رائحة الزعفران وتهرب منه * وقال أبو القاسم بن حسان

ألا ليتني ما كنت يوما معظما * ولا عرفوا شخصي ولا علموا قصري
أكاف في حال المشيب بمثل ما * تحملته والغصن في ورق نضر
فما عاش في الايام في حر عيشة * سوى رجل ناء عن النهي والامر

وقال أبو بكر بن مرتين

صحبت منك العلا والفضل والكرما * وشيمة في الندى لا ترتضي السأما
مودة في ثرى الانصاف راسخة * وسمكها فوق أعناق السماء سما

وقال أنصفتني فمحضتك الود الذي * يجزى بصفوته الخليل المنصف
لا تشكرن سوى خلالك انها * جلبت اليك من الثنا ما يعرف

وقال ياهلالا يتجلى * وقضيبا يتثنى
كل أنس لم تكنه * فهو لفظ دون معنى

وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن زرقون

ذكر العهد والديار غريب * فجرى دمعه ولج النحيب
ذكر العهد والنوى من حبيب * حبذا العهد والنوى والحبيب
اذ صفاء الوداد غير مشوب * بيننا وودنا مشبوب
واذ الدهر دهرنا واذ الدا * ر قريب واذ يقول الرقيب

ومنها أسأل الله عفوه فلئن سا * ء مقالي لقد تعف القلوب
قد ينال الفتى الصغائر ظرفا * لا سواها ولا الذنوب ذنوب
وأخو الشعر لا جناح عليه * وسواء صدوقه والكذوب

عليه عمير بن ضابئ البرجمي التميمي وخضخض بسيفه بطنه (ودفن) على ما وصفنا في الموضع المعروف بحش كوكب وهذا الموضع فيه مقابر بني أمية ويعرف أيضا بنخل وصلى عليه جبير ابن مطعم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة (ولما حوصر عثمان) كان أبو أيوب الانصاري رضي الله عنه يصلي بالناس ثم امتنع فصلى بهم سهل بن حنيف فلما كان يوم النحر صلى بهم علي وقيل ان عثمان قتل ومعه في الدار من بني أمية ثمانية عشر رجلا فيهم مروان بن الحكم (وفي مقتله) تقول زوجته نائلة بنت الفرافصة

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي * وقد غيبوا عنا فضول أبي عمرو

وقال حسان بن ثابت فيمن تخلف عنه وخذله من الانصار وغيرهم وأعان على قتله والله أعلم بما قاله من أبيات

خذلته الانصار اذ حضر المو * ت وكانت ولاية الانصار
من عذيري من الزبير ومن طلـ * ـحة اذ جاء أمر له مقدار
فتولى محمد بن أبي بكـ * ـر عيانا وخلفه عمار

في شعر له طويل يذكر فيه غير من ذكرنا وينسبهم الى التمالئ على قتله والرضا بما فعل به والله أعلم وكان

وقال يامعدن الفضل وطود الحجا * لازلت من بحر العلا تغترف
عبدك بالباب فقل منعما * يدخل أو يصبر أو ينصرف

وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن عمر الاشبيلى

وكل الى طبعه عائد * وان صده المنع عن قصده
كذا الماء من بعد اسخانه * يعود سريعا الى برده

وقال امام اللغة أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدى الاشبيلى

ما طلبت العلوم الالانى * لم أزل من فنونها فى رياض
ما سواها له بقلبى حظ * غير ما كان للعيون المراض

وقال أشعرن قلبك ياسا * ليس هذا الناس ناسا
ذهب الابريز منهم * فبقوا بعد نحاسا
سامرين يقولو * ن جميعا لامساسا

وكان كتاب العين للخليل مختل القواعد فامتعض له هذا الامام وصقل صداه كما يصقل الحسام وأبرزه فى أجل منزع حتى قيل هذا انما أبدع واخترع وله كتاب فى النحو يسمى الواضح وصيره الحكم المستنصر مؤدبا لولده هشام المؤيد وبالجملة فهو فى المغرب بمنزلة ابن دريد فى المشرق * وقال النحوى أبو بكر محمد بن طلحة الاشبيلى وشعره رقيق خارج عن شعر النحاة ومنه

الى أى يوم بعده يرفع الخمر * وللورق تغريد وقد خفق النهر
وقد صقلت كف الغزالة افقها * وفوق متون الروض أردية خضر
وكم قد بكت عين السماء بدمعها * عليها ولولا ذاك ما بسم الزهر

وقال بدا الهلال فلما * بدا انقصت وتما
كأن جسمى فعل * وسحر عينيه لما

وكان لا يملك نفسه فى النظر الى الصور الحسان وأتاه يوما أحد أصحابه بولد له فتان الصورة فعندما دخل مجلسه قصر عليه طرفه ولم يلتفت الى والده وجعل والده يوصيه عليه وهو لا يعلم ما يقوله ولم يلتفت الى والده وقد افتضح فى طاعة هواه فقال له الرجل يا أبا بكر حقق النظر فيه لعله مملوك ضاع لك وقد جبره الله تعالى عليك ولكن على من يتركه عندك لعنة الله هذا ما علمت بحضرى والله ان غاب معك عن بصرى لمحة لتفعلن به ما اشتهر عنك وأخذ ولده وانصرف به فانقلب المجلس ضحكا * وقال أبو جعفر أحمد بن الابار الاشبيلى وهو من رجال الذخيرة

زارنى خيفة الرقيب مريبا * يتشكى منه القضيب الكثيبا
رشأ راش لى سهام المنايا * من جفون يسبى بهن القلوبا
قال لى ماترى الرقيب مطلا * قلت دعه اتى الجناب الرحيبا
عاطه أكؤس المدام دراكا * وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها من خمر عينيك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا

يا ليت شعرى وليت الطير يخبرنى
ما كان شأن على وابن عفانا
لتسمعن وشيكا فى ديارهم
الله أكبر يا ثارات عثمانا
وكان عثمان رضى الله عنه كثيرا ما ينشد أبياتا قالها ويطيل ذكرها مالا يعرف لغيرها منه وهى
تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها
من الحرام ويبقى الاثم والعار
يلقى عواقب سوء من مغبتها
لا خير فى لذة من بعدها النار
وكان الوليد بن عقبة بن أبى معيط أخا عثمان لامه فسمع فى الليلة الثانية من مقتل عثمان يندبه وهو يقول
بنى هاشم ايه فما كان بيننا
وسيف ابن أروى عندكم وحرائبه
بنى هاشم ردوا اسلاح ابن أختكم
ولا تنهبوه ما تحل مناهبه
غدرتم به كى ما تكونوا مكانه
كما غدرت يوما بكسرى مرازبه
وهى أبيات فاجابه عن هذا الشعر وفيما رمى به بنى هاشم ونسب اليهم الفضل

قال لابد أن تدب عليـــه * قلت أبغى رشا وآخر ذيبا
قال فابد أبنا وثن عليــه * قلت عمرى لقد اتيت قريبا
فوثبنا على الغزال ركوبا * وسعينا على الرقيب دبيبا
فهل ابصرت أو سمعت بصب * نال مجـــو به وناك الرقيبا

وأنشد له ابن حزم

أومارأيت الدهر أقبل معتبا * متنصلا بالعذر مما أذنبا
بالامس اذبل في رياضك ايكة * واليوم أطلع في سمائك كوكبا

وقيل انه خاطب بهما ابن عباد ملك اشبيلية وقد ماتت له بنت وولد له ابن وبعضهم ينسبهما لغيره * ودخل الاديب أبو القاسم العطار الاشبيلي حماما باشبيلية فجلس الى جانبه وسيم خمرى العينين فافتتن بالنظر اليه والمحادثة الى أن قام وقعد في مكانه اسود فقال

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم * فها أنا أشقى بعدما كنت أنعم
وما كان الا الشمس حان غروبها * فاعقبها جنح من الليل مظلم

وقال الاديب المصنف أبو عمرو عثمان بن على بن عثمان بن الامام الاشبيلى صاحب سمط الجمان

عذيرى من الايام لادر درها * لقد حملتنى فوق ما كنت أرهب
وقد كنت جلدا ما يهنهنى النوى * ولا يستبينى الحادث المتغلب
يقاسى صروف الدهر منى مع الصبا * جذيل حكاك أو عذيق مرجب
وكنت اذا ما الخطب مد جناحه * على ترانى تحتـــــه أتقلب
فقد صرت خفاق الجناح يروعنى * غراب اذا أبصرته وهو ينعب
وأحسب من ألقى حبيبا مودعا * وان بلاد الله طرا محصب

وقد امتعض للآداب في صدر دولة بنى عبد المؤمن فجمع شمل الفضلاء الذين اشتملت عليهم المائة السابعة الى مبلغ سنه منها في ذلك الاوان واستولى بذلك على خصل الرهان وانفرد بهذه الفضيلة التى لم ينفرد بها الا فلان وفلان * وكان الاديب العالم الصالح أبو الحسن على بن جابر الدباج الاشبيلى اماما في فنون العربية ولكن شهر باقراء كتب الآداب كالكامل للمبرد ونوادر القالى وما أشبه ذلك وكان مع زهده فيه لوذعية ومن ظرفه أن أحد تلامذته قال لغلام جميل الصورة بالله أعطنى قبلة تمسك رمقى فشكاه الى الشيخ وقال له يا سيدى قال لى هذا كذا فقال له الشيخ واعطيته ما طلب فقال لا فقال له ماهذه الثقالة ما كفاك أن حرمته حتى تشتكى به ايضا وحسبك من جلالة قدره ان اهل اشبيلية رضوا به اماما في جامع العديس وله

لما تبدت وشمس الافق بادية * ابصرت شمسين من قرب ومن بعد
من عادة الشمس تعشى عين ناظرها * وهذه نورها يشفى من الرمد

وقال مالك بن وهب

أراميتى بالسحر من لحظاتها * نعيذك كيف الرمى من دون اسهم

سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختنا
فهم سلبوه سيفه وحرائبه
وكان ولى العهد بعد محمد
على وفى كل المواطن صاحبه
على ولى الله أظهر دينه
وأنت مع الاشقين فيما تحاربه
وأنت امرؤ من اهل صيفور مارح
فمالك فينا من حميم تعاتبه
وقد أنزل الرحمن أنك فاسق
فمالك فى الاسلام سهم تطالبه

(قال المسعودى) رحمه الله ولعثمان أخبار وسير وما ثر حسان قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وكذلك ما كان في ايامه من الكوائن والاحداث والفتوح والحروب مع الروم وغيرهم والله ولى التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى اوله ذكر خلافة امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله تعالى وجهه ورضى عنه

الا فاعلمى أن قد اصبت فوادلى * سهامك او فى فلست بعلم
فانسان عين الدهر أصمت فاحذرى * مطالبة بالقلب واليد والفم
اما هو فى غيل غدا غابه القنا * تحف به آساد كل ملثم
ولو أن لى ركماشديدا بنجدة * اويت له من باس تحظك فارحمى

وهو اشبيلى كان من اهل الفلسفة كما فى المسهب قال وهو فيلسوف المغرب ظاهر الزهد والورع استدعاه من اشبيلية امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين الى حضرة مراكش وصيره جليسه وانيسه وفيه يقول بعض اعدائه

دولة لابن تاشفين على * طهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دس اليها * من خبايا ماالك بن وهيب

وامر على مناظرة محمد بن تومرت الملقب بالمهدى الذى انشأ دولة بنى عبد المؤمن * وقال أبو الصلت امية بن عبد العزيز المذكور فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب يستدعى بعض اخوانه

بمعاليك وجدك * جد بلقياك لعبدك
حضر الكل ولكن * لم يطب شئ لفقدك

وقال

وراغب فى العلوم مجتهد * لكنه فى القبول جلمود
فهو كذى عنة به شبق * ومشتهى الاكل وهو ممعود

وقال

لئن عرضت نوى وعدت عواد * أدالت من دنوك بالبعاد
فما بعدت عن اللقيا جسوم * تدانت بالمحبة والوداد
ولكن قرب دارك كان اندى * على كبدى واحلى فى فؤادى

وله فى مجمرة

ومحرورة الاحشاء لم تدر ما الهوى * ولم تدر ما يلقى المحب من الوجد
اذا ما بدا برق المدام رأيتها * تثير غماما فى الندى من الند
ولم أر نارا كلما شب جرها * رأيت الندامى منه فى جنة الخلد

وقوله من قصيدة

وان هم نكصوا ابوما فلا عجب * قد يكهم السيف وهو الصارم الذكر
العود أحمد والايام ضامنة * عقبى النجاح ووعد الله منتظر

وقال

تقريب ذى الامر لاهل النهى * أفضل ما ساس به أمره
هذا به أولى وماضره * تقريب أهل اللهو فى الندره
عطارد فى جل أوقاته * أدنى الى الشمس من الزهره

وقوله

تفكر فى نقصان مالك دائما * وتغفل عن نقصان جسمك والعمر
ويثنيك خوف الفقر عن كل بغية * وخيفة حال الفقر شر من الفقر

وقوله

ياليلة لم تبن من القصر * كأنها قبلة على حذر
لم تك الا كلا ولا ومضت * تدفع فى صدرها يد السحر

اليوم الذى قتل فيه عثمان ابن عفان رضى الله عنه فكانت خلافته الى أن استشهد أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وقيل أربع سنين وتسعة أشهر الايوما وكانت الفرقة بينه و بين معاوية على ماذكرنا فى خلافته وكان مولده فى الكعبة وقيل ان خلافته كانت خمس سنين وثلاثة أشهر وسبع ليال واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة وعاش بعد الضربة الجمعة والسبت وتوفى ليلة الاحد وقد قيل فى مقدار عمره أقل مما ذكرنا وقد تنوزع فى موضع قبره فمنهم من قال انه دفن فى مسجد الكوفة ومنهم من قال انه حمل الى المدينة فدفن عند فاطمة ومنهم من قال حمل فى تابوت على جمل وان الجمل تاه ووقع الى وادى طيئ وقد قيل من الوجوه غير ماذكرنا وقد أتينا على ذلك فى كتابنا فى أخبار الزمان والكتاب الاوسط

(وذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره) هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف و يكنى أبا الحسن وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف ولم يكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا من خلافة المتقى من اسمه على وقال

وقال فيمن نظر اليه فأعرض عنه

قالوا ثنى عنك بعد البشر صفحته * فهل اصاخ الى الواشى فغيره
فقلت لا بل درى وجدى بعارضه * فرد صفحته عمدا لابصره

وقال
حكت الزمان تلونا * لمحبها العانى الاسير
فوصالها برد الاصيل وهجرها حر الهجير

وقال يستدعى

هو يوم كما تراه مطير * جلب القرفيه والزمهرير
وأرانا الغمام والبرد تو بين علينا كلاهما مجرور
ولدينا شمسان شمس من الرا * ح وشمس تسعى بها وتدور
فن الرأى ان تشب الكوانين باجزالها وترخى الستور
فاترك الاعتذار فيه فترك الشرب فى مثل يومنا تغرير

وقال
هو البحر غص فيه اذا كان ساكنا * على الدر واحذره اذا كان مزبدا

وقال
غبت عنا فغاب كل جمال * ونأى اذ نأيت كل سرور
ثم لما قدمت عاودنا الانس وقرت قلوبنا فى الصدور
فلوانا نجزى البشير بنعمى * لوهبنا حياتنا للبشير

وقال
كم ضيعت منك المنى حاصلا * كان من الاحزم أن يحفظا
فالفظ بها عنك فن حق ما * يخفى صواب الرأى أن يلفظا
فان تعللت باطماعها * فانما تحلب مستيقظا

وقال
يقولون لى صبرا وانى لصابر * على نائبات الدهر وهى فواجع
سأصبر حتى يقضى الله ما قضى * وان أنا لم أصبر فما أنا صانع

وقال
بابى خود شموع * أقبلت تحمل شمعه
فالتقى نوراهما واختلفا قدرا ورفعه
ومسير الشمس تستهدى بضوء النجم بدعه

وقال فى فرس أشهب

واشهب كالشهاب أضحى * يلوح فى مذهب الجلال
قال حسودى وقد رآه * يجب تحتى الى القتال
من ألجم الصبح بالثريا * واسرج البرق بالهلال

وقال
رمتنى صروف الدهر بين معاشر * اصحهم ودا عدو مقاتل
وما غربة الانسان فى غير داره * ولكنها فى قرب من لا يشاكل

وقال
أصبحت صبا دنفا مغرما * أشكو جوى الحب وأبكى دما
هذا وقد سلم اذ مر بى * فكيف لو مر وما سلما

وقال
وقفنا للنوى فهفت قلوب * أضر بها الجوى وهمت شؤون
يناجى بعضنا باللحظ بعضا * فتعرب عن ضمائرنا العيون

وفيها يقول ببلاد نجران من أبيات كثيرة أشاقتك هند أم نآك نوالها * كذاك النوى أسبابها وانتقالها

وقد قيل انه بويع البيعة العامة بعد قتل عثمان بار بعة أيام وقد ذكرنا البيعة الاولى فيما سلف من هذا الكتاب وتنازع الناس فى اسم أبى طالب أبيه وولد أبى طالب بن عبد المطلب أربعة ذكور وابنتان فطالب وعقيل وجعفر وعلى وفاختة وجمانة لاب وأم أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم و بين كل واحد من البنين عشر سنين بين جعفر وعلى عشر سنين و بين جعفر وعقيل عشر سنين و بين عقيل وطالب عشر سنين وأخرج مشركو قريش طالب بن أبى طالب يوم بدر الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرها ومضى ولم يعرف له خبر وحفظ من قوله هذا اليوم يارب اما خرجوا بطالب فى مقنب من تلكم المقانب فاجعلهم المغلوب غير الغالب والرجل المسلوب غير السالب وكان زوج فاختة بنت أبى طالب أبو وهب هبيرة ابن عمرو بن عابد بن عمرو ابن مخزوم وخلف عليها ابنا و بنتا وهاجرت ومات زوجها بنجران مشركا

فلا والله ما حفظت عهود * كما ضمنوا ولا قضيت ديون
ولو حكم الهوى يوما بعدل * لانصف من يفي ممن يخون
أمر بداركم وأغض طرفي * مخافة أن تظن بي الظنون

ولما رأى عبد الرحمن بن سبلاق الحضرمي الاشبيلي في النوم انه مر على قبر وقوم يشربون حوله وسط أزاهر فأمروه أن يرثي صاحب القبر وهو أبو نواس الحسن بن هانئ قال

جادك يا قبر انسكاب الغمام * وعاد بالروح عليك السلام
فيك أضحى الظرف مستودعا * واستترت عنا عيون الظلام

وقال أبو بكر محمد بن نصر الاشبيلي

وكانما تلك الرياض عرائس * ملبوسهن معصفر ومزعفر
او كالقيان لبسن موشى الحلى * فلهن في وشي اللباس تبختر

وقال أحمد بن محمد الاشبيلي

اماترى النرجس الغض الذكي بدا * كانه عاشق شابت ذوائبه
او المحب شكا لما أضر به * فرط السقام فعادته حبائبه

وقال

رب نيلوفر غدا مخجل الرا * ئي اليه نفاسة وغرابه
كمليك للزنج في قبة بيضاء يدنو الدجا فيغلق بابه

وقال أبو الاصبغ بن سيد

كانما النرجس في منظر الحسن الذى امثاله تبتغي
أنامل من فضة فوقه * كاس من التبر به أفرغا

وقال أبو اسحق ابراهيم بن خيرة الصباغ مما أنشده له أبو عامر بن سلمة في كتاب حديقة الارتياح

يوم كأن سحابه * لبست عمامي المصامت
حجبت به شمس الضحى * بمثال أجنحة الفواخت
فالغيث يبكي فقدها * والبرق يضحك مثل شامت
والرعد يخطب مفصحا * والجو كالمحزون ساكت
والروض يسقيه الحيا * والنور ينظر مثل باهت
فاشرب ولذ بجنة * واطرب فان العمر فائت

وله

رب ليل طال لا صبح له * ذي نجوم اقسمت ان لا تغور
قد هتكنا جنحه من فلق * من خمور ووجوه كالبدور
ان بدت تشبه في كاسها * نار ابراهيم في برد ونور
صرعتنا أن علونا ظهرها * في ميادين التصابي والسرور
وكانا حين قمنا معشر * نشروا بعد ممات من قبور

وقال أبو بكر بن حجاج

لما كتمت الحب لا عن قلى * ولم أجد الا البكا والعويل
ناديت والقلب به مغرم * يا حسبي الله ونعم الوكيل

وأرقني في رأس حصن ممرد ٢٨٤ * بنجران يسرى بعد نوم خيالها فان تك قد تابعت دين محمد * وقطعت الارحام منك حبالها

وهي طويلة وكانت تكنى أم هانئ وقد استعمل على حين أفضت الخلافة اليه ابنها جعدة بن هبيرة وجعدة هو القائل

وانى من مخزوم ان كنت سائلا * ومن هاشم أمي لخير قبيل
فمن ذا الذى ينأى على بخاله * وخالى على ذو الندى وعقيل

وجمانة بنت أبي طالب كان بعلها سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهي أول هاشمية ولدت بهاشمي كذلك ذكر الزبير بن بكار في كتابه في أنساب قريش وأخبارها وهاجرت وماتت بالمدينة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وكان مسير على الى البصرة في سنة ست وثلاثين وفيها كانت وقعة الجمل وذلك في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى منها وقتل فيها من أصحاب الجمل وأهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا وقتل من أصحاب على خمسة آلاف وقد تنازع الناس في مقدار ما قتل من الفريقين فمن مقلل ومكثر فالمقلل يقول قتل بينهم سبعة آلاف على حسب ميل الناس وأهوائهم الى كل فريق منهم وكانت وقعة واحدة في يوم واحد وقيل انه كان بين خلافة على الى وقعة الجمل وبين أول الهجرة خمس وثلاثون سنة

وقال

وقال يقولون ان السحر فى أرض بابل * وما السحر الا ما أرتك محاجره
وما الغصن الاما انثنى تحت برده * وما الدعص الاما طوته مآزره
وما الدر الاثغره وكلامه * وما الليل الاصدغه وغدائره

وهذه الابيات من قصيدة فى محمد بن القاسم بن حمود ملك الجزيرة الخضراء أعادها الله تعالى * وقال الرصافى أبو عبد الله الشاعر المشهور وهو ابن رومى الاندلس فى حريرى

وبنفسى من لا أسميه الا * بعض المامة وبعض اشاره
هو والظبى فى الجمال سواء * ما استعار الغزال منه استعاره
اغيد يمسك الحرير بفيه * مثل ما يمسك الغزال العراره

وهو القائل يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على

لوجئت نار الهدى من جانب الطور * قبست ما شئت من علم ومن نور

ولابى جعفر أحمد بن الجزار

ومازلت أجنى منك والدهر ممحل * ولا ثمر يجنى ولا زرع يحصد
ثمار اياد دانيات قطوفها * لاوراقها ظل على ممدد
يرى جاريا ماء المكارم تحتها * واطيار شكرى فوقهن تغرد

ولما نفى ابو جعفر بن البنى من ميورقة واقلع فى البحر ثلاثة اميال ونشأت ريح ردته لم يتجاسر احد من اخوانه على اتيانه فكتب اليهم

احبتنا الالى عتبوا علينا * وأقصونا وقد ازف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وانسا * فما بالعيش بعدكم انتفاع
اقول وقد صدرنا بعد يوم * اشوق بالسفينة ام نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وله غصبت الثريا فى البعاد مكانها * وأودعت فى عينى صادق نوئها
وفى كل حال لم تزالى بخيلة * فكيف اعرت الشمس حلة ضوئها

وله فى غلام يرمى الطيور

قالوا تصيب طيور الجو أسهمه * اذا رماها فقلنا عندها الخبر
تعلمت قوسها من قوس حاجبه * وأيد السهم من اجفانه الحور
يلوح فى بردة كالنقس حالكة * كما اضاء بجنح الليلة القمر
وربما راق فى خضراء مونقة * كما تفتح فى اوراقه الزهر

وقال الاديب الكاتب القاضى ابو المطرف بن عميرة المخزومى لما قص شعره لملك الاندلس ريان بن مردنيش مزين فى يوم رفع فيه ابو المطرف شعرا فخرجت صلة المزين ولم تخرج صلة أبى المطرف

أرى من جاء بالموسى مواسى * وراحة من أذاع المدح صفرا
فأنجح سعى ذا اذ قص شعرا * وأخفق سعى ذا اذ قص شعرا

واسم أبى المطرف احمد وهو من جزيرة شقر من كورة بلنسية وكان الكاتب الحسيب

وثلاثة عشر يوما وبين ذلك وأول الهجرة ست وثلاثون سنة وثلاثة عشر يوما وقتل بصفين سبعون ألفا من أهل الشام ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام وقتل بها من الصحابة ممن كان مع على خمسة وعشرون رجلا منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان المعروف بابن سمية وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وكانت عدة الوقائع بين أهل العراق والشام سبعون وقعة وفى سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الاشعرى بارض البلقاء من أرض دمشق وقيل بدومة الجندل وهى على عشرة أميال من دمشق وكان من أمرهما ما قد شهر وسنورد فى هذا الكتاب جوامع ما ذكرنا وان كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما سلف من كتبنا وفى هذه السنة حملت الخوارج وهم الشراة وكان ممن شهد صفين مع على من أصحاب بدر سبع وثمانون رجلا منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الانصار وشهد معه من الانصار ممن بايع تحت الشجرة وهى بيعة الرضوان من المهاجرين والانصار من أصحاب رسول الله

أبو جعفر أحمد بن طلحة يعشق علجا من علوج ابن هود ويماشيه في غزواته وفيه يقول

ما أحضر الغزو من صلاح * كلا ولا رغبة الجهاد
لكن لعلّيما يكون داع * لقربنا خيرة الجياد

وقد تقدمت حكايته فلتراجع وكان صنوبري الاندلس أبو اسحق بن خفاجة وهو من رجال الذخيرة والقلائد والمسهب والمطرب والمغرب وشهرته تغني عن الاطناب فيه مغرى بوصف الانهار والازهار وما يتعلق بهما وأهل الاندلس يسمونه الجنان ومن اكثر من شئ عرف به وتوفي سنة ثلاث او خمس وثلاثين وخمسمائة وولد سنة خمسين وأربعمائة ومن نظمه قوله

ربما استضحك الحباب حبيب * نفضت لونها عليه المدام
كلما قاصرا من خطاه * يتهادى كما تهادى الغمام
سلم الغصن والكثيب علينا * فعلى الغصن والكثيب السلام

وبات مع بعض الرؤساء فكاد ينطفئ السراج ثم تراجع نوره فقال

واغر ضاحك وجهه مصباحه * فأنار ذا قمرا وذلك فرقدا
ما ان خبا تلقاء نور جبينه * حتى ذكا بذكائه فتوقدا

وله

كتبت وقلبي في يديك أسير * يقيم كما شاء الهوى ويسير
وفي كل حين من هواك وادمعي * بكل مكان روضة وغدير

وله

كتابنا ولدينا البدر نَدمان * وعندنا كؤس للراح شهبان
والقضب مائسة والطير ساجعة * والارض كاسية والجو عريان

ولما سئل أبو بكر محمد بن احمد الانصاري المعروف بالابيض عن لغة فعجز عنها بمحضر من خجل منه اقسم ان يقيد رجليه بقيد حديد ولا ينزعه حتى يحفظ الغريب المصنف فاتفق ان دخلت عليه امه في تلك الحال فارتاعت فقال

ريعت عجوزى أن رأتني لابسا * حلق الحديد ومثل ذاك يروع
قالت جننت فقلت بل هي همة * هي عنصر العلياء والينبوع
سن الفرزدق سنة فتبعتها * انى لما سن الكرام تبوع

وكان شاعرا وشاحا وطاح دمه على يد الزبير أمير قرطبة لما هجاه بمثل قوله

عكف الزبير على الضلالة جاهدا * ووزيره المشهور كلب النار
مازال يأخذ سجدة في سجدة * بين الكؤس ونغمة الاوتار
فاذا اعتراه السهو سبح خلفه * صوت القيان ورنة المزمار

ولما بلغ الزبير عنه ذلك وغيره أمر باحضاره فقرعه وقال ما دعاك الى هذا فقال انى لم أر احق بالهجو منك ولو علمت ما أنت عليه من المخازي لهجوت نفسك انصافا ولم تكلها الى أحد فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته وأمر بقتله وأنشد له ابن غالب في فرحة الانفس قوله في حلقة حائط

وحلقة كشعاع الشمس صافية * لوقابلت كوكبا في الجو لالتهبا
تانق القين في احكام صنعتها * حتى أفاض على اطرافها الذهبا

كان خروجه مع أهل النهروان من الخوارج وقعد عن بيعته جماعة عثمانية لم يروا الا الخروج عن الامر منهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وبايع يزيد بعد ذلك والحجاج لعبد الملك بن مروان ومنهم قدامة بن مظعون ووهبان ابن صيفي وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة الثقفي وممن اعتزل من الانصار كعب بن مالك وحسان بن ثابت وكانا شاعرين وأبو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة حليف بني عبد الاشهل وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة ومسلمة ابن خالد في آخرين ممن لم نذكره من العثمانية من الانصار وغيرهم من بني أمية وسواهم وانتزع على أملاكا كانت لعثمان أقطعها جماعة من المسلمين وقسم ما في بيت المال على الناس ولم يفضل أحدا على أحد وبعث أم حبيبة بنت أبي سفيان الى أخيها معاوية بقميص عثمان مخضبا بدمائه مع النعمان ابن بشير الانصاري واتصلت بيعة على بالكوفة وغيرها من الامصار وكانت أهل الكوفة أسرع اجابة الى بيعته وأخذ له البيعة على أهلها أبو موسى الاشعري حتى تكاثر الناس عليه كأنما

كانها بيضة قد قد قونسها * وكل جنب لها بالطعن قد نقبا

وقال فيمن يحدث نفسه بالخلافة

أمير المؤمنين نداء شيخ * أفادك من اماليه اللطيفه
تحفظ أن يكون الجزع يوما * سريرا من أسرتك المنيفه
وأذكر منك مصلوبا فابكى * وتضحكنى أمانيك السخيفه

وهاجى ابن سارة فقال فيه ابن سارة

ومن العجائب أن يكون الابيض * بحماره بين السوابق يركض

وقال امام النحاة بالاندلس أبو على عمر الشلوبين فيمن اسمه قاسم

ومما شجا قلبى وفيض مدمعى * هوى قد قلبى اذ كلفت بقاسم
وكنت أظن الميم أصلا فلم تكن * وكانت كميم ألحقت بالزراقم

والزراقم الحيات مشتقة من الزرقة والميم زائدة يريد أن ميم قاسم كميمها فهو قاس وهو منسوب الى حصن شلوبينية على ساحل غرناطة وله من الشهرة والتآليف ما يغنى عن الاطناب فى وصفه وله التوطئة وشرح الجزولية وغيرهما وكان مغفلا ومع ذلك فهو آية الله تعالى فى العربية وكان فى لسانه لكنة ولما أراد مأمون بنى عبد المؤمن التوجه الى مرسية وقد ثار بها ابن هود وأنشده الشعراء وتكلم فى مجلسه الخطباء قام الشلوبين وقال دعاء منه تلمسك الله وتنرك يريد سلمك الله ونصرك لانه بلكنته يبدل السين والصاد ثاء فكان كما قال عاد المأمون وقد ثلم عسكره ونثر * ولما مرض الفقيه الزاهد أبو اسحق ابراهيم الالبيرى دخل عليه الوزير أبو خالد هاشم بن رجاء فرأى ضيق مسكنه فقال لو اتخذت غير هذا المسكن لكان أولى بك فقال وهو آخر شعر قاله

قالوا ألا تستجيد بيتا * تعجب من حسنه البيوت
فقلت ماذا الكم صوابا * عش كثير لمن يموت
لولا شتاء ولفح قيظ * وخوف لص وحفظ قوت
ونسوة يبتغين سترا * بنيت بنيان عنكبوت

وقال أبو بكر بن عبادة القزاز الموشح فى ابن بسام صاحب الذخيرة

يا منيفا على السماكين سام * حزت خصل السباق عن بسام
ان تحك مدحة فانت زهير * أو تشبب فعروة بن حزام
أو تباكر صيد المها فابن حجر * أو تبكى الديار فابن جذام
أو تذم الزمان وهو حقيق * فابو الطيب البعيد المرامى

ولما انتثر سلك نظام ملك لمتونة تفرق ملك الاندلس رؤساء البلاد وكان من جملتهم الامير أبو الحسن بن نزار لما له من الاصالة فى وادى آش فحسده أهل بلده وقصدوا تاخيره عن تلك المرتبة فخطبوا فى بلدهم لملك شرق الاندلس محمد بن مردنيش ووجه لهم عماله وأوصاهم أن يخرج هذا الاسد من غيله ويفرق بينه وبين تأميله ورفعوا له أشعارا كان يستريح بها على كاسه ويبثها بحضر من يركن اليه من جلاسه ومنها قوله وقد استشعر من نفسه

وكان عليها عاملا لعثمان وأتاه جماعة ممن تخلف عن بيعته من بنى أمية منهم سعيد بن العاص ومروان ابن الحكم والوليد بن عقبة ابن أبى معيط فجرى بينه وبينهم خطب طويل وقال له الوليد انا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك لكنا قوم وترنا الناس وخفنا على نفوسنا فعذرنا فيما نقول واضح أما أنا فقتلت أبى صبرا وضربتنى حدا وقال سعيد بن العاص كلاما كثيرا وقال له الوليد أما سعيد فقتلت أباه صبرا وأهنت مثواه وأما مروان فانك شتمت أباه وكبت ٣
عثمان فى صنعه اياه وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى أن حسان بن ثابت وكعب ابن مالك والنعمان بن بشير قبل نفوذه بالقميص أتوا عليا فى آخرين من العثمانية فقال كعب بن مالك يا أمير المؤمنين ليس مسيئا من أعتب وخير كف مما محاه عذر فى كلام كثير ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعا وقد كان عمرو ابن العاص انحرف عن عثمان لانحرافه وتوليه مصر غيره فنزل الشام فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة على كتب الى معاوية يهزه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان وكان فيما كتب به اليه ما كنت صانعا اذا قشرت من كل شئ تملكه فاصنع ما أنت صانع فبعث اليه معاوية فسار اليه فقال له معاوية بايعنى قال والله

انها أهل للتقديم مستحقة لطلب سلفه القديم

الآن أعرف قدر النفع والضرر * فكيف أصدر ما للملك من صدر
وكيف أطلع في افق العلا قمرا * ويستهل بكفي واكف الدرر
وكيف أملأ صدر الدهر من رعب * وأستقل بحمل الحادث النكر
وأستعد لما ترمى الخطوب به * وأستطيل على الايام بالفكر
لكنني ربما بادرت منتهزا * لفرصة مرقت كاللمح بالبصر
في أم رأسي ما يعيا الزمان به * شر حافل بعدها الايام عن خبري

فعندما وقف ابن مردنيش على هذا القول وجه الى وادي آش من حمله اليه وقيده وقدم به الى مرسية أسيرا بعدما كان مرتقبا أن يقدم أميرا فلما وقعت عين ابن مردنيش عليه قال له أمكن الله منك يا فاجر فقال أنت أعزك الله أولى بقول الخير من قول الشر ومن امكنه الله من القدرة على الفعل فما يليق به ان يستقدر بالقول فاستحيا منه وامر به للسجن فمكث فيه مدة وصدرت عنه اشعار في تشوقه الى بلاده منها قوله

لقد بلغ الشوق فوق الذي * حسبت فهل للتلاقي سبيل
فلو انني مت من شوقكم * غراما لما كان الا قليل
تعللني بالتداني المنى * وينشدني الدهر صبر جميل
فقل كثينة اذ أصبحت * بعيدا فلم يسل عنها جميل
أغض جفوني عن غيرها * وسمعي عن اللوم فيها عليل

ولم يزل على حاله من السجن الى ان تحيل في جارية محسنة للغناء حسنة الصوت وصنع موشحته التي اولها

نازع البدر اللياح * بنت الدنان
فلم يدع لك اقتراح * على الزمان

وفيها يقول

يا هل اقول للحسود * والعيس تحدى
بالانعمى على السراح * كانت اماني
آخر جها ذاك السماح * الى العيان

وجعل يلقيها على الجارية حتى حفظتها واحكمت الغناء بها واهداها الى ابن مردنيش بعد ما اوصاها انه متى دعاها الى الغناء وظفرت به في اطرب ساعة واسرها غنته بهذه الموشحة وتلطفت في شأن رغبتها في سراح قائلها فلعل الله تعالى يجعل في ذلك سببا واتفق ان ظفرت بما اوصاها به واحسنت غناء الموشحة فطرب ابن مردنيش لسماع مدحه واعجبه مقاصد قائلها فسألها لمن هي فقالت لمولاي عبدك ابن نزار فقال اعيدي على قوله بالانعمى على السراح فاعادته فداخلته عليه الرقة والاريحية بما اصابه فامر في الحين بحل قيده واستدعى به الى موضعه في ذلك الوقت فلما دخل خلع عليه وادناه وقال له يا ابا الحسن قد امر لك بالسراح على رغم الحسود فارجع الى بلدك مباحا لك ان تطلب الملك بها وبغيرها ان قدرت فانت اهل لان تملك جميع الاندلس لا وادي آش فقال له والله يا سيدي

لأعينك من ديني حتى أنال من دنياك قال سل قال مصر طعمة فاجابه الى ذلك وكتب له به كتابا وقال عمرو بن العاص في ذلك

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل
به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصرا فأربح صفقة
أخذت بها شيخا يضر وينفع

وأتى المغيرة بن شعبة عليا فقال له ان حق الطاعة النصيحة وان الرأي اليوم تحوز به ما في غد وان التضارع اليوم تضيع به ما في غد أقرر معاوية على عمله واقرر ابن عامر على عمله وأقرر العمال على أعمالهم حتى اذا أتتك طاعتهم وطاعة الجنود استبدلت أو تركت قال حتى أنظر فخرج من عنده وعاد اليه من الغد فقال اني أشرت عليك بالامس برأي وتعقبته وانما الرأي أن تعاجلهم بالنزع فتعرف السامع من غيره ويستقبل أمرك ثم خرج فتلقاه ابن عباس خارجا وهو داخل فلما انتهى الى علي قال رأيت المغيرة خارجا من عندك ففيم جاءك قال جاءني امس بكيت وكيت وجاءني اليوم بذيت وذيت فقال اما امس فقد نصحك واما اليوم فقد غشك قال فما الرأي قال كان الرأي ان تخرج حين قتل عثمان أو قبل ذلك فتأتي مكة فتدخل دارك فتغلق عليك بابك فان العرب كانت

بل

بل ألتزم طاعتك والاقرار بانك بعثتنى من قبر رمانى فيه الحساد والوشاة ثم شرب حتى عسكنت بينهما المطايبة فقال له يا ابن نزار الآن اريد أن اسألك عن شئ قال وما هو ياسيدى قال عما فى أم رأسك حين قلت

فى أم رأسى مايعيا الزمان به * شرحا فسل بعدها الايام عن خبرى

فقال له ياسيدى لا تسمع الى غرور نفس الفتنة على لسان نشوان لعبت بافكاره الامانى وغطت على عقله الآمال والله لقد بقيت فى دارى أروم الاجتماع بجارية مهينة قدر سنة فما قدرت على ذلك ومنعتنى منها زوجتى فكيف أطلب مادونه قطع الرؤس ونهب النفوس فضحك ابن مردنيش وجدد له الاحسان وجهزه الى بلده وأمر عماله أن يشاركوه فى التدبير ويستأذنوه فى الصغير والكبير فتأثل به مجده وعظم سعده ومن شعره قوله

انظر الى الروض سحيرا وقد * بث به الطل علينا العيون
يرقب منا يقظة لمنى * فقل لها هلا بداعى المجون
وحثها شمسا الى أن ترى * شمس الضحى تطرق تلك الجفون

وقوله

تنبه لمعشوق وكاس وقينة * وروض ونهر ليس يبرح خفاقا
فقد نبهت هذى الحدائق ورقها * وفتح فيها الصبح بالطل احداقا
ومهما تكن فى ضيقة فأدرلها * كؤس الطلى فالسكر يوسع ماضاقا

وقوله

عطف القضيب مع النسيم تميلا * والنهر موشى الخمائل والحلى
تركته أعطاف الغصون مظللا * ولناعن النهج القويم مضللا
أمسى يغازلنا بمقلة أشهل * والطرف أحسن ماتراه أشهلا

وقال بعضهم استدعانى أبو الحسن بن نزار بمجلس أنس بوادى آش فلما احتفل مجلسنا وطابت لذتنا قال والله ماتمام هذه المسرة الاحضور أبى جعفر بن سعيد وهو الآن بوادى آش فوافقناه على ذلك لما نعلم من طيب حالتنا معهما وانهما لا يأتيان الابما يأتى به اجتماع النسيم والروض بخلاف موضع وكتب له

ياخير من يدعى لكاس دائر * ووجوه أقمار وروض ناضر
انا حاضرنا فى الندى عصابة * معشوقة من ناظم أو ناثر
كل مخلى للذى يختاره * فى الامن من ناه له أو زاجر
ماان لهم شغل بفن واحد * بل كل مايجرى بوفق الخاطر
شدو ورقص واقتطاف فكاهة * وتعانق وتغامز بنواظر
وهم كما تدرى بأفق أنجم * لكن لناشوق لبدر زاهر

سيدى لازلت متقدما لكل مكرمة هل يحمل التخلف عن ناد قام فيه السرور على ساق وضحك فيه الانس على فيه وانسدل به ستر الصون وفاء عليه ظل النعيم وسفرت فيه وجوه الطرب وركضت خيل اللهو ثار قتام الند وهطلت سحاب ماء الورد وجليت الكؤس كالعرائس على كراسى العروس المثقلة بالعاج والآبنوس وكأن قطع النهار ممتزجة بقطع الظلام أو بنى حام قد خالطت بنى سام وعلى رؤس الاقداح تيجان نظمها امتزاج الماء بالراح

الجائية مضطرة فى اثرك لاتجد غيرك فاما اليوم فان بنى امية سيجشون الطلب بان يلزموك شعبة من هذا الامر ويشبهون فيك على الناس وقال المغيرة بنصحته فلم يقبل فغششته وذكر انه قال واما أنا فنصحته قبلها ولا أنصحه بعدها (قال المسعودى) و وجدت فى وجه آخر من الروايات ان ابن عباس قال قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال فجئت عليا ادخل عليه فقيل لى عنده المغيرة بن شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلم على وقال متى قدمت قلت الساعة ودخلت على على وسلمت عليه فقال أين لقيت الزبير وطلحة قلت بالنواصف قال ومن معهما قلت أبو سعيد بن الحرث ابن هشام بن قتيبة من قريش فقال على امانهم لم يكن لهم بد أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان والله يعلم أنهم قتلة عثمان فقلت أخبرنى عن شأن المغيرة ولم خلا بك قال جاءنى بعد مقتل عثمان بيومين فقال أخلنى ففعلت فقال ان النصح رخيص وأنت بقية الناس وأنا لك ناصح وأنا أشير عليك أن لاترد عمال عثمان عامك هذا فاكتب اليهم باثباتهم على أعمالهم فاذا بايعوا لك واطمان أمرك عزلت من أحببت واقررت من أحببت فقلت له والله لا أداهن فى دينى ولا أعطى الرياء فى أمرى قال

فطورا تستحيي فيبدو خجلها وطورا تمتزج فيظهر وجلها والعود ترجمان المسرة قد جعلته أمه فى حجرها كولد ترضعه بدرها وساقى الشرب كالغصن الرطيب أوراقه أردية الشرب وأزهاره الكؤس التى لا تزال تطلع وتغرب كالشموس ساق يفهم بالاشارة حلو الشمائل عذب العبارة ذو طرف سقيم وخد كأنه من خفره لطيم ولدينا من أصناف الفواكه والازاهر ما يحار فيه الناظر وهل تكمل لذة دون احضار خدود الورد وعيون النرجس وأصداغ الآس ونهود السفرجل وقدود قصب السكر ومباسم قلوب الجوز وسرر التفاح ورضاب ابنة العنب فقد اكتمل بهذه الاوصاف المختلسة من أوصاف الحبائب الطرب

فطر بجناح الشوق عند وصولها * اليك ولا تجعل سواك جوابها
فلا عين الا وهى ترنو بطرفها * اليك فيسر فى المطال حسابها
فقد أصبحت تعلو عليها غشاوة * لبعدك فاكشف عن سناها ضبابها

قال أبو جعفر فجعلت وصولى جواب ما نظم ونثر والفيت الحالة يقصر عن خبرها الخبر فانغمسنا فى النعيم انغماس عرف الزهر فى النسيم ومر لنا يوم غض الدهر عنه جفنه حتى حسبناه عنوانا لما وعد الله تعالى به فى الجنه* وشرب يوما مع أبى جعفر بن سعيد والكتندى الشاعر فى جنة بزاوية غرناطة وفيها صهريج ماء قد أحدق به شجر نارنج وليمون وغير ذلك من الاشجار وعليه انبوب ماء تتحرك به صورة جارية راقصة بسيوف وطيفور رخام يصنع فى انبوبة الماء ورة خباء فقالوا نقتسم هذه الاوصاف الثلاثة فقال أبو جعفر يصف الراقصة

وراقصة ليست تحرك دون أن * يحركها سيف من الماء مصلت
يدور بها كرها فتنضى صوارما * عليه فلا تعيا ولا هو يبهت
اذا هى دارت سرعة خلت أنها * الى كل وجه فى الرياض تلفت

وقال ابن نزار فى خباء الماء

رأيت خباء الماء ترسل ماءها * فنازعها هب الرياح رداءها
تطاوعه طورا وتعصيه تارة * كراقصة حلت وضمت قباءها
وقد قابلت خير الانام فلم تزل * لديه من العليا تبدى حياءها
اذا أرسلت جود أمام يمينه * أبى العدل الا ان يرد اباءها

وقد قيل ان هذه الابيات صنعها بحضر الامير أبى عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس وانه لما الجأته الضرورة أن يرتجل فى مثل ذلك شيأ وكانت هذه عنده معدة فزعم انه ارتجلها قال أبو عمر بن سعيد وهذا هو الصحيح فانه ما كانت عادته ان يخاطب عمى أبا جعفر بخير الانام فان كل واحد منهما كفؤ الآخر وقال الكتندى

وصهريج تخال به لجينا * يذاب وقد يذهبه الاصيل
كأن الروض يعشقه فخفه * على ارجائه ظل ظليل
وتمنحه أكف الشمس عشقا * دنانيرا فينه لها قبول
اذا رفع النسيم القضب عنها * فحينئذ يكون لها سبيل
وللنارنج تحت الماء لما * تبدى عكسها جمر بليل

حجة فى اثباته فقد كان عمر ولاه الشام كلها فقلت له لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبدا فخرج من عندى على ما اشار به ثم عاد فقال انى أشرت عليك بما أشرت به وابيت على فنظرت فى الامر واذا انت مضيت لا ينبغى ان تأخذ أمرك بخدعة ولا يكون فيه دلسة قال ابن عباس فقلت له أما اول ما أشار عليك فقد نصحك واما الآخر فقد غشك وانا اشير عليك ان تثبت معاوية فان بايع لك فعلى أن أقلعه من منزله قال لا والله لا أعطيه الا السيف ثم تمثل

فما ميتة ان متها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غالها

فقال يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة فقال على بلى قلت أما والله لئن أطعتني لاصدرن بهم بعد ورود ولا تركنهم ينظرون فى آثارهم الامر ولا يدرون ما كان وجهها من غير نقص لك ولا اثم عليك فقال يا ابن عباس لست من هنياتك وهنيات معاوية فى شئ يسير مالك عندى الطاعة والله ولى التوفيق

وللعيون فيه دون سبك * جلاجل زخرفت نصابا تجول
فيا روضا به صقلت جفونى * وأرهف متنه الزهر الكليل
تناثر فيك أسلاك الغوادى * وقبل صفح جدولك القبول
ولا برحت تجمع فيك شملا * من الاكياس والكاس الشمول
بدور تستنير بها نجوم * مع الاصباح ليس لها أفول
يهيم بهم نسيم الروض الفا * فمن وجد له جسم عليل

وروى ان الوزير أبا الاصبغ عبد العزيز بن الارقم وزير المعتصم بن صمادح رأى راية خضراء فيها ضيقة بيضاء فى يد علج من علوج المعتصم نشرها على رأسه فقال

نشرت عليك من النعيم جناحا * خضراء صيرت الصباح وشاحا
تحكى بخفق قلب من عاديته * مهما يصافح صفحها الارواحا
ضمنت لك النعمى برأى ظافر * فترقب الفأل المشير نجاحا

وكان هذا الوزير آية الله تعالى فى الوفاء وأرسله المعتصم الى المعتمد بن عباد فأعجبت المعتمد محاولته ووقع فى قلبه فأراد افساده على صاحبه وأخذ معه فى أن يقيم عنده فقال له ما رأيت من صاحبى ما أكره فأوثر عند غيره ما أحب ولو رأيت ما أكره لما كان من الوفاء تركى له فى حين فوض الى أمره ووثق بى وحملنى أعباء دولته فاستحسن ذلك ابن عباد وقال له فاكتم على فلما عاد الى صاحبه ساله عن جميع ما جرى له فقال له فى أثناء ذلك وجرى لى معه ما ان أعلمتك به خفت ان تحسب فيه كالامتنان والاستظهار وتظن أن خاطرى فسد به وان كتمتك لم أوف النصيحة حقها وخفت أن تطلع عليه من غيرى فيغطى ذلك من عينك وتحسب فيه كيدا فحمل عليه فى أن يعلمه فأعلمه بعد أن تلطف هذا التلطف وهو من رجال الذخيرة والمسهب وابنه الوزير أبو عامر من رجال القلائد ومن نظم أبى عامر

فتى الخيل يقتادها ذبلا * خفافا تبارى القنا الذابلا
ترى كل أجرد سامى التليل * وتحسبه غصنا مائلا

وللوزير الكاتب أبى محمد بن فرسان واسمه عبد البر وهو حسنة وادى آش يخاطب يحيى الميورقى

أنعم بشريح على فعله * سبب الزيارة للعظيم ويثرب
ولئن تقول كاشح ان الهوى * أرست معالمه وانك مذهبى
فمقالتى ما ان ملكت وانما * عمرى أبى حمل النجاد منكبى
وعجزت عن أن أستثير كمينها * وأشق بالصمصام صدر الموكب

وهذه الابيات كتب بها اليه وقد أسن ومل من الجهد معه يرغب فى سراحه الى الحجاز رحمه الله تعالى وتقبل نيته بمنه ويمنه وقال حاتم بن حاتم بن سعيد العنسى وكان صاحب سيف وقلم وعلم وعلم

يادانيا منى وما أنا زائر * لا أنت معذور ولا أنا عاذر
ماذا ضرك اذ ظلمت بظلمة * ان لا يطالع منك بدر زاهر

وقد كانا استأذنا عليا فى العمرة فقال لعلكما تريدان البصرة والشام فاقسما أنهما لا يقصدان غير مكة وقد كانت عائشة رضى الله عنها بمكة وقد كان عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة هرب عنها حين أخذ البيعة لعلى بها على الناس حارثة ابن قدامة السعدى ومصير عثمان بن حنيف الانصارى اليها على خراجها من قبل على رضى الله عنه وانصرف من اليمن عامل عثمان وأعطى عائشة وطلحة والزبير اربعمائة درهم وكراعا وسلاحا وبعث الى عائشة بالجمل المسمى عسكرا وكان شراؤه عليه باليمن مائتى دينار فارادوا الشام فصدهم ابن عامر وقال ان به معاوية ولا ينقاد اليكم ولا يطيعكم لكن هذه البصرة لى بها صنائع وعدد فجهزهم بالف ألف درهم ومائة من الابل وغير ذلك وسار القوم نحو البصرة فى ستمائة راكب فانتهوا فى الليل الى ماء لبنى كلاب يعرف بالحوأب عليه ناس من بنى كلاب فعوت كلابهم على الركب فقالت عائشة ما اسم هذا الموضع فقال لها السائق بجملها الحوأب فاسترجعت وذكرت ما قيل لها فى ذلك فقالت ردونى الى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لى فى المسير فقال ابن الزبير بالله ما هذا الحوأب ولقد غلط فيما اخبرك به وكان طلحة فى ساقة الناس فلحقها

وتوفى المنذ كور بغرناطة سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة وقال التطيلي الاعمى في اسد نحاس يقذف الماء

اســدولوأني انا * قشه الحساب لقلت صخره
فكأنه اسد السما * ءيمج من فيــه المجره

قال ابن ظافر صرنا في بعض العشايا الى البساتين المجاورة للنيل فراينا فيها بئرا عليها دولابان متحاذيان قد كادت افلاكهما تجوم القواديس ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الاماني بالمفاليس وهما يئنان انين الاشواق ويفيضان ماء اغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للاعين زبرجده والاصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره في اجياد الغصون والسواقي قد اذالت من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد اخضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه في ميادين الزهر راكضه ورضاب الغيث قد استقر من الطين في لمى وحيات المجاري حائرة تخاف من زمرد النبات أن يدركها العمى والبحر قد صقل النسيم درعه وزعفران العشي قد ألقى في ذيل الجو ردعه فأوسعنا ذلك المكان حسنا وقلوبنا استحواذا وملأ ابصارنا وأسماعنا مسرة والتذاذا وملنا الى الدولابين شاكين أزمراحين شجت قيان المطر بالحانها وشدت على عيدانها أم ذكر أنعما وطابا وكانا أغصانا رطابا فنفيا عنهما لذيذ الهجوع ورجعا النوح وافاضا الدموع طلبا للرجوع وجلسنا نتذاكر ما في تراكيب الدواليب من الاعاجيب ونتناشد ما وصفت به من الاشعار الغالية الاسعار فأفضى بنا الحديث الذي هو شجون الى ذكر قول الاعمى التطيلي في اسد نحاس يقذف الماء اسد ولواني الخ فقال القاضي ابو الحسن علي بن المؤيد رحمه الله تعالى يتولد من هذا في الدولاب معنى يأخذ بمجامع المسامع ويطرب الرائي والسامع فتأملت ما قاله بعين بصيرتي البصيرة واستمددت مادة غريزتي الغزيرة فظهر لي معنى ملأني اطرابا واوسعني اعجابا واطرق كل منا ينظم ما جاش به مد بحره وانبأه به شيطان فكره فلم يكن الا كنقرة العصفور الخائف من الناطور حتى كمل ما اردناه من غير ان يقف واحد منا على ما صنعه الآخر فكان الذي قال

حبذا ساعة العشية والدو * لاب يهدي الى النفوس المسره
ادهم لا يزال يعدو ولكن * ليس يعدو مكانه قدر ذره
ذو عيون من القواديس يبكي * كل عين من فائض الدمع ثره
فلك دائر يرينا نجوما * كل نجم يهدي لدينا المجره

وكان الذي قلت

ودولاب يئن أنين ثكلى * ولا فقدا شكاه ولا مضره
ترى الازهار في ضحك اذا ما * بكى بدموع عين منه ثره
حكى فلكا تدور به نجوم * تؤثر في سرائرنا المسره
يظل النجم يشرق بعد نجم * ويغرب بعد ما تجري المجره

فعجبنا من اتفاقنا وقضى العجب منه سائر رفاقنا انتهى (رجع) وكان لابي محمد عبد الله

فاقسم ان ذلك ليس بالجواب وشهد معهما خمسون رجلا ممن كان معهم فكان ذلك اول شهادة زور اقيمت في الاسلام فاتوا البصرة فخرج اليهم عثمان بن حنيف فمانعهم وجرى قتال قال ثم انهم اصطلحوا بعد ذلك على كف الحرب الى قدوم علي فلما كان في بعض الليالي بيتوا عثمان ابن حنيف فاسروه وضربوه ونتفوا لحيته ثم ان القوم استرجعوا وخافوا على مخلفيهم بالمدينة من اخيه سهل بن حنيف وغيره من الانصار فخلوا عنه وارادوا بيت المال فمانعهم الخزان والموكلون به وهم السالحون فقتل منهم سبعون رجلا غير من جرح وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبرا من بعد الاسر وهؤلاء اول من قتلوا ظلما في الاسلام وصبروا وقتلوا حكيم بن جبلة العبدي وكان من سادات عبد القيس وزهاد ربيعة ونساكها وتشاح طلحة والزبير في الصلاة بالناس ثم اتفقوا على ان يصلي بالناس عبد الله بن الزبير يوما ومحمد بن طلحة يوما في خطب طويل كان بين طلحة والزبير الى ان اتفقا على ما وصفنا وسار علي من المدينة بعد اربعة اشهر وقيل غير ذلك في تسعمائة راكب منهم أربعمائة من المهاجرين والانصار منهم سبعون بدريا وباقيهم من الصحابة

ابن

ابن شعبة الوادى آشى ابن شاعر فعرض عليه شعر انظمه فاعجبه فقال

شعرك كالبستان فى شكله * يجمع بين الآس والورد
فاصنع به ان كنت لى طائعا * ما يصنع الفارس بالبند

ولشاعر الاندلس أبى عبد الله بن الحداد الوادى آشى وهو من رجال الذخيرة

لزمت قناعتى وقعدت عنهم * فلست أرى الوزير ولا الاميرا
وكنت سمير أشعارى سفاها * فعدت بها الفلسفى سميرا

وله فى العروض تاليف مزج فيه بين الانحاء الموسيقية والآراء الخليلية وردفيه على السرقسطى المنبوز بالحمار وله فى المعتصم بن صمادح

لعلك بالوادى المقدس شاطئ * فللمنبر الهندى ما أنا واطئ
وانى فى ريالك واجد ريحهم * فغمر الاسى بين الجوانح ناشئ
ولى فى السرى من نارهم ومنارهم * هداة حداة والنجوم طوافئ
لذلك ما حنت ركابى وحممت * عرابى وأوحى سيرها المتباطئ
فهل هاجنى ما هاجها ولعلها * الى الوجد من نيران قلبى لواجئ
رويدا فذا وادى لبينى وانه * لورد لباناتى وانى لظامئ
موارد تهيامى ومسرح ناظرى * فللشوق غايات بها ومبادئ

واعترض عليه بعضهم بانه همز فى هذه القصيدة ما لا يهمز فقال

عجبت لغمازين علمى بجهلهم * وان قناتى لا تلين من الغمز
تجلت لهم آيات فهمى ومنطقى * مبينة الاعجاز ملزمة العجز
ولاحت لهم همزية أوحدية * وويل بها وويل لذى الهمز واللمز
رموها بنقص بينت فيه نقصهم * ومن لمس الافعى شكا ألم النكز
فان أنكرت أفهامهم بعض همزها * فقد عرفت أكبادهم صحة الهمز

وله وهو مما يتغنى به بالاندلس

فذر العقيق مجانبا لعقوقه * ودع العذيب عذيب ذات الخال
أفق محلى بالقواضب والقنا * للاغيد المعطار لا المعطال
حجبوك الامن توهم خاطرى * وحموك الامن تصور بالى
والقارظان جميل صبرى والكرى * فمتى أرجى منك طيف خيال

ومن بدائعه قوله

سامح أخاك اذا أتاك بزلة * فخلوص شئ قلما يتمكن
فى كل شئ آفة موجودة * ان السراج على سناه يدخن

وأنشد أحد الادباء هذين البيتين متمثلا فاعجبا المعتصم وسأل عن قائلهما فاخبر فتبسم وقال أتعرف الى من أشار بهذا المعنى قال ما أعرف الا انه مليح فقال المعتصم كنت فى الصبا وهو معى ألقب بسراج الدولة فقاتله الله ما أشعره فسلوه فلما باحثوه فى ذلك أقر بحسن حدس المعتصم واكتنفته سعايات وكان ممن يغلب لسانه على عقله ففر من المرية

الربذة بين الكوفة ومكة من طريق الجادة وفاته طلحة والزبير وقد كان على أرادهم فانصرف حين فاتوه الى العراق فى طلبهم ولحق بعلى من أهل المدينة جماعة من الانصار فيهم خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين وأتاه من طيئ ستمائة راكب وكاتب على من الربذة اباموسى الاشعرى ليستنفر الناس فثبطهم ابو موسى وقال انما هى فتنة فنمى ذلك الى على فولى على الكوفة قرظة ابن كعب الانصارى وكتب الى ابى موسى اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموما مدحورا فما هذا أول يومنا منك وان لك فيها لهنات وهنيات وسار على بمن معه حتى نزل بذى قار وبعث بابنه الحسن وعمار الى الكوفة يستنفر الناس فساراعنها ومعهما من اهل الكوفة نحو من سبعة آلاف وقيل ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا فانتهى الى البصرة وراسل القوم وناشدهم الله فأبوا الا قتاله وذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به ابو حنيفة الفضل بن الحباب الجمحى عن ابن عائشة عن معن بن عيسى عن المنذر بن الجارود قال لما قدم على رضى الله عنه البصرة دخل مما يلى الطف فأتى الزاوية

وحبس أخوه بها فقال

الدهر لا ينفك من حدثانه * والمرء منقاد لحكم زمانه
وعلمت أن السعد ليس بمنجح * ما لا يكون السعد من أعوانه
والجد دون الجد ليس بنافع * والرمح لا يمضي بغير سنانه

وبلغت الابيات المعتصم فقال شعره أعقل منه صدق فانه لا يتهيأ له صلاح عيش الا باخيه وهو منه بمنزلة السنان من الرمح ثم أمر باطلاقه ولحاقه به ولما قال في المعتصم

يا طالب المعروف دونك فاتركن * دار المرية وارفض ابن صمادح
رجل اذا أعطاك حبة خردل * ألقاك في قيد الاسير الطائح
لو قد مضى لك عمر نوح عنده * لا فرق بينك والبعيد النازح

اغتاظ عليه وأبعده ففر من بلده ومن المنسوب اليه في النساء

خن عهدها مثل ما خانتك منتصفا * وامنح هواها بنسيان وسلوان
فالغيد كالروض في خلق وفي خلق * ان مر جان أتى من بعده جاني

وله

حيثما كنت ظاعنا أو مقيما * دم رفيعا وعش منيعا سليما

وقال ابن دحية في المطرب ان من المجيدين في الجد والهزل ورقيق النظم والجزل صاحبنا الوزير أبا بلال وقال لي انه كان وبرد شبابه قشيب وغصن اعتداله رطيب بقميص النسك متقمص وبعلم الحديث متخصص فاجتاز يوما وبيده مجلد من صحيح مسلم بقصر بعض الملوك الاكابر ومن بعض مناظره ناظر ومجلسه بخواص ندمائه حال وصوت المثاني والمثالث عال فقال أطلعوا الينا هذا الفقيه فلعلنا نضحك منه فلما مثل بين يديه وحيا أمر الساقي بمناولته كاس الحميا فتقبض متأففا وأبدى تمعرا وتقشفا والسلطان يستغرب ضحكا بما هم عليه ويد الساقي ممدودة اليه واتفق أن انشقت من ذاتها الزجاجة فظهر من السلطان التطير من ذلك فأنشد الفقيه مرتجلا

ومجلس بالسرور مشتمل * لم يخل فيه الزجاج من أدب
سرى باعطافه ترنحه * فشق أثوابه من الطرب

فسر السلطان وسرى عنه واستحسن من الفقيه ما بدا منه وأمر له بجائزة سنية وخلعة رائقة وما أحسن قول ابن البراق

يا سرحة الحي يا مطول * شرح الذي بيننا يطول
ولي ديون عليك حلت * لو انه ينفع الحلول

وقوله

انظر الى الوادي اذا ما غردت * أطياره شق النسيم ثيابه
أتراه أطربه الهديل وزاده * طربا وحقك أن حللت جنابه

وله في غلام على فمه أثر المداد

يا عجبا للمداد أضحى * على فم ضمن الزلالا
كالقار أضحى على الحميا * والليل قد لامس الهلالا

وكتب أبو محمد عبد الله في معذرة الى بعض أصحابه من الاسر في طليطلة

لو

فخرجت انظر اليه فورد موكب نحو الف فارس يقدمهم فارس على فرس اشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفا معه راية واذا تيجان القوم الاغلب عليها البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح فقلت من هذا فقيل ابو ايوب الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الانصار وغيرهم ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية على فرس اشقر في نحو الف فارس فقلت من هذا فقيل هذا خزيمة بن ثابت الانصاري ذو الشهادتين ثم مر بنا فارس آخر على فرس كميت معتم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء وعليه قباء أبيض مصقول متقلد سيفا متنكب قوسا في نحو ألف فارس من الناس ومعه راية فقلت من هذا فقيل لي أبو قتادة ابن ربعي ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه ومن خلفه شديد الادمة عليه سكينة ووقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية بيضاء في ألف من الناس مختلفي التيجان حوله مشيخة وكهول وشباب كأن قد أوقفوا للحساب أثر السجود قد أثر في جباههم فقلت من هذا فقيل عمار بن ياسر في عدة من الصحابة من

لو كنت حيث تجيدنى * لأذاب قلبك ما أقول
يكفيك منى أننى * لا أستقل من الكبول
واذا أردت رسالة * لكم فما لى فى رسول
هــذا وكم بتنا وفى * أيماننا كاس الشمول
والعود يخفق والدخا * ن العنبرى به يجول
حال الزمان ولم أزل * مذ كنت اعهده يحول

ولابى الحسن على بن مهلهل الجليانى فى ابى بكر بن سعيد صاحب اعمال غرناطة فى دولة الملثمين

لولا النهود لما عراك تنهد * وعلى الخدود القلب منك يخدد
يا نافذا قلبى بسهم جفونه * مالى على سهم رميت به يد

وقال ابو بكر يحيى بن مطروح فى غلام كاتب اطل عذاره

يا حسنه كاتبا قد خط عارضه * فى خده كيا ما خط بالقلم
لام العذول عليه حين ابصره * فقلت دعنى فزين البرد بالعلم
وانظر الى عجب مما تلوم به * بدر له هالة قدت من الظلم
قولوا عن البحر ما شئتم ولا عجب * من عنبر الشحر او من دره يتسم

وله وقد عزل عن مالقة وال غير مرضى ونزل المطر على اثره وكان الناس فى جدب

ورب وال سرنا عزله * فبعضنا هناه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده * ولذ فى اجفاننا الغمض
لو لم يكن من نجس شخصه * ما طهرت من بعده الارض

وكان الكاتب ابو بكر محمد بن نصر الاوسى مختصا بوزير عبد المؤمن ابى جعفر بن عطية فقال فيه

ابا جعفر نلت الذى نال جعفر * ولا زلت بالعليا تسرو تحبر
عليك لنا فضل وبر وانعم * ونحن علينا كل مدح محبر

وحدث من حضر مجالس الوزير ابن عطية وقد احس من عبد المؤمن التغير الذى افضى الى قتله وقد افتتح ابن نصر مطلع هذه القصيدة فتغير وجه ابى جعفر لان جعفر بن يحيى كان آخر امره الصلب فكأن هذا عمم الدعاء والعجب انه قتل مثل جعفر بعد ذلك وهذا الشاعر هو القائل

وما انا عن ذاك الهوى متبدل * وذا الغدر بالاخوان غير كريم
بغيرك اجرى ذكر فضلك فى الندى * كما قد جرى بالروض هب نسيم
وان كان عندى للجديد لذاذة * فلست بناس حرمة لقديم

ولابى عبد الله محمد بن على اللوشى يخاطب صاحب المسهب

بى اليكم شوق شديد ولكن * ليس يبقى مع الجفاء اشتياق
ان يغير لم الفراق فودى * لو خبرتم يزيد فيه الفراق

وله

لو أن لى قلبا كقلبك * كنت اهجر هجركا

المهاجرين والانصار وابنائهم ثم مر بنا فارس على فرس اشقر عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء متنكب قوسا متقلد سيفا تخط رجلاه فى الارض فى الف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء قلت من هذا قيل هذا قيس بن سعد بن عبادة فى الانصار وابنائهم وغيرهم من قحطان ثم مر بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا أحسن منه عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه بلواء قلت من هذا قيل هو عبد الله بن العباس فى عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالاولين قلت من هذا قيل قثم بن العباس او سعيد بن العاص ثم اقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضا واشتبكت الرماح ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات فى اوله راية كبيرة يقدمهم رجل كأنما كسر وجبر (قال ابن عائشة وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره الى الارض اكثر من نظره الى فوق كذلك تخبر العرب فى وصفها اذا أخبرت عن الرجل انه كسر وجبر) كأنما على رؤسهم الطير وعن ميسرتهم شاب حسن الوجه قلت من هؤلاء قيل هذا على بن ابى طالب

يكفيك انك قد نسيت ولست أنسى ذكركا
ومن العجائب أنني * أفنى وأكتم سركا
كن كيفما تختاره * فالحب يبسط عذركا

وله
هل عندكم علم بما فعلت بنا * تلك الجفون الفاتكات بضعفها
نصحا لكم أن تأمنوها انها * سحر النهى ما تبصرون بطرفها

ولابنه أبي محمد عبد المولى وكان ماجنا لما نعى اليه وهو على الشراب أحد أصحابه مرتجلا
انما دنياك أكل * وشراب وتحاب * ثم من بعد صراخ * ووداع وتراب

وله
يا نديمي اشرب على أفق صقيل وحديقه
واسقني ثم اسقني * ثم اسقني خمرا وريقه
من غزال تطلع الشمس بخديه انيقه
لا تفوت ساعة من * كأس خمر وعشيقه
واجتنب ما سطرت جهال هذي الخليقه
رغبوا في باطل زو * ر بهذا في الحقيقه
ليس الا ما تراه * أنا أدرى بالطريقه

قال أبو عمران موسى بن سعيد قلت له ما هذا الاعتقاد الفاسد الذي لا ينبغي لاحد أن يصحبك به فقال هذا قول لا فعل وقد قال الله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون ثم قال ابن سعيد ولولا أن حاكي الكفر ليس بكافر ما ذكرتها وهذا منزع من قال من المجوس
خذ من الدنيا بحظ * قبل أن ترحل عنها
فهي دار لا ترى من * بعدها أحسن منها

وهذا كفر صراح وقائله قد تقمص كفرا اللهم غفرا وطلب منه بعض الارذال أن يكتب له شفاعة عند أحد العمال فكتب له رسالة فيها هذه الابيات
كتبته مولاي في طالع * ما طار فيه طائر اليمن
وفكرة جائلة والحشا * يلهب بالهم وبالحزن
كلفنيه ساقط أحرف * مشتهر بالطعن والقرن
أكذب خلق الله أرداهم * أخوفهم في الخوف والامن
يكفر ما يسدى اليه ولا * يعذر خلقا سيئ الظن
فان صنعت الخير ألفيته * شرا وأضحى الجد ذا غبن
وانتقد الناس عليك الذي * تسديه له في أي مأفن
فافعل به ما هو أهل له * وبسمعه تفسيرا ولا أكنى
أهنه واصفعه ولا تتركن البواب يكرمه لدى الاذن
واقطع بفيه القول واحرمه من * رد جواب أنسه يدنى
وكلما استنبط رأيا فسفهه ودعه مسخن الجفن

وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى وهذا الذي خلفه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم وهؤلاء المشايخ أهل بدر من المهاجرين والانصار فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية فصلى أربع ركعات وعفر خديه على التربة وقد خالط ذلك دموعه ثم رفع يديه يدعو اللهم رب السموات وما أظلت والارضين وما أقلت ورب العرش العظيم هذه البصرة أسألك من خيرها وأعوذ بك من شرها اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين اللهم هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبغوا علي ونكثوا بيعتي اللهم احقن دماء المسلمين وبعث اليهم من يناشدهم الله في الدماء وقال علام يقاتلونني فأبوا الا الحرب فبعث رجلا من أصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعو الى الله فرموه بسهم فقتلوه فحمل الى علي وقالت امه
يارب ان مسلما أتاهم
يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحاهم
وامه قائمة تراهم

وأمر علي رضي الله عنه أن يصافوهم ولا يبدؤهم بقتال ولا يرموهم بسهم ولا يضربوهم ولا يطعنوهم برمح حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي

فهو اذا أكرمته فاسد * وصالح بالهون واللعن
شفاعتي في مثله هذه * فلا سقاه هاطل المزن

ودفع اليه الكتاب مختوما فسر به وجه له الى العامل وسافر اليه أياما فلما دفعه اليه قرأه وضحك ودفعه الى من يشاركه في ذلك من أصحابه فوعده بخير وأخرجه الى شغل لم يرضه فلما عاد منه قال له أخرجتني لأرذل شغل وأخسه فما فائدة الشفاعة اذن فقال له أوتريد أن أفعل معك ما تقتضيه شفاعة صاحبك قال لا أقل من ذلك فأمر من يأتيه بالابيات فقرئت عليه فانصرف في أسوا حال فلما دخل عليه غرناطة وكان عبد المولى تزوج فيها امرأة اغتبط بها فتزيا هذا الرجل بزي أهل البادية وزوّر كتابا على لسان زوجة لعبد المولى في بلدة أخرى وقال في الكتاب وقد بلغني انك تزوجت غيري وأردت أن أكتب اليك في أن تطلقني فوصلني كتابك تعرفني فيه أن الزوجة الجديدة لم توافق اختيارك وأنك ناظر في طلاقها فردني ذلك عما عزمت عليه فانظر في تعجيل ما وعدت به من طلاقها فانك ان لم تفعل لم أبق معك أبدا فلما مر بدار عبد المولى رأى جارية زوجته فقال لها أنا رجل بدوي أتيت من عند فلانة زوجة أبي محمد عبد المولى فعندما سمعت ذلك أعلمت ستها وأخذت الكتاب فوقفت على ما فيه غير شاكة في صحته فلما دخل عبد المولى وجدها على خلاف ما فارقها عليه فسألها عن حالها فقالت أريد الطلاق فقال ما سبب هذا وأنا أرغب الناس فيك فألقت اليه الكتاب فلما وقف عليه حلف لها أن هذا ليس بصحيح وأن عدوا له اختلقه عليه فلم يفد ذلك عندها شيأ ولم يطب له بعد ذلك معها عيش فطلقها وعلم أن ذلك الرجل هو الذي فعل ذلك فقال له لا جزاك الله خيرا ولا أصلح لك حالا فقال وأنت كذلك فهذه بتلك والبادي أظلم فما كان ذنبي عندك حين كتبت في حقي ما كتبت فقال له مثلك لا يقول ما ذنبي أنت كلك ذنوب

ألست بألأم الثقلين طرا * وأثقلهم وأفحشهم لسانا
فمهما تبغ برا عند شخص * تزد منه بما تبغي هوانا

فانصرف عنه عالي اللسان بلعنته وكان أحد بني عبد المؤمن قد ألزمه أن ينسخ له كتابا بموضع منفرد فخضراه يوما جلد عميرة واتفق أن مر السيد يوما بذلك الموضع فنظر اليه في تلك الحال فقال له السيد ما تصنع فقال الدواة جفت ولم أجد ما أسقيها به الا ماء ظهري فضحك السيد وأمر له بجارية فقال

قل لعميرة طلقت بعد طول زواج
قد كان مائي ضياعا * يمر في غير حاج
حتى حباني بحسنا * ء قابل للنتاج
فكان ناقل خمر * من حنتم لزجاج
كانت تمر ضياعا * فأصبحت كالسراج

وقال حاتم بن سعيد

جنبوني عن المدامة الا * عند وقت الصباح أو في الأصيل
واشفعوها بكل وجه مليح * ودعوني من كل قال وقيل

من الميمنة بأخ له مقتول وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمي بسهم فقتل فقال علي اللهم اشهد واعذروا الى القوم ثم قام عمار بن ياسر بين الصفين فقال أيها الناس ما أنصفتم نبيكم حيث كشفتم عقائل تلك الخدور وأبرزتم عقيلته للسيوف وعائشة على جمل في هودج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر وجعلوا دونه اللبود قد غشي على ذلك بالدروع فدنا عمار من موضعها فنادى الى ماذا تدعيني قالت الى الطلب بدم عثمان فقال قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق ثم قال أيها الناس انكم لتعلمون أينا الممالئ في قتل عثمان ثم أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبل

فمنك البكاء ومنك العويل
ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام
وقاتله عندنا من أمر

وتواتر عليه الرمي واتصل فحرك فرسه وزال عن موضعه فقال ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم الا الحرب فقام علي رضي الله عنه فقال ايها الناس اذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا ولا تتبعوا موليا ولا تطلبوا مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل ولا تهتكوا سترا ولا تقربوا من أموالهم الا ما تجدونه في عسكرهم من

واذا ما اردتم طيب عيشي * فاجبوني عن كل وجه ثقيل

وقال مالك بن محمد بن سعيد

اتاني زائر فبسطت خدي * له و يقل بسط الخد عندي
فقلت له ايا مولاي ألفا * فقال وأنت ألفا عبد عبدي
وعانقني وقبلني ونادى * بلطف منه كيف رايت وعدي

وقال في استهداء مقص

الا قل نعم في مطلب قد حكاه لا * يفصل اذ نبغي الوصال مفصلا
نشق به صدر النهار وقد بدا * ظلاما بامثال النجوم مكللا

وقال

سارت كبدر وليل الخدر يسترها * ولو بدا وجهها جاءتك بالفلق
ودونها من صليل اللامعات حمى * فالبرق والرعد دون الشمس في الافق

واجتمع بغرناطة محمد بن غالب الرصافي الشاعر المشهور ومحمد بن عبد الرحمن الكتندى الشاعر وغيرهما من الفضلاء والرؤساء فأخذوا يوما في أن يخرجوا لنجد أو لحوز مؤمل وهما منتزهان من أشرف وأظرف منتزهات غرناطة ليتفرجوا ويصقلوا الخواطر بالتطلع في ظاهر البلد وكان الرصافي قد أظهر الزهد وترك الخلاعة فقالوا ما لنا غنى عن أبي جعفر بن سعيد اكتبوا اليه فصنعوا هذا الشعر وكتبوه له وجعلوا تحته أسماءهم

بعثنا الى رب السماحة والمجد * ومن ماله في ملة الظرف من ند
ليسعدنا عند الصبيحة في غد * لنسعى الى الحوز المؤمل أو نجد
نسرح منا أنفسا من شجونها * ثوت في شجون هن شر من اللحد
ونظفر من بخل الزمان بساعة * ألذ من العليا وأشهى من الحمد
على جدول ما بين ألفاف دوحة * تهز الصبا فيها لواء من الرند
ومن كان ذا شرب يخلي بشأنه * ومن كان ذا زهد تركناه للزهد
وما ظرفه يأبى الحديث على الطلى * ولا أن يديل الهزل حينا من الجد
تهز معاني الشعر أغصان ظرفه * ويمرح في ثوب الصبابة والوجد
وما نقص العيش المهنأ غير ان * يمازجه تكليف ما ليس بالود
نظمنا من الخلان عقد فرائد * ولما نجد الاك واسطة العقد
فماذا تراه لا عدمناك ساعة * فنحن بما تبديه في جنة الخلد
ورشدك مطلوب وامرك نحوه ار * تقاب وكل منك يهدى الى الرشد

فكان جوابه لهم

هو القول منظوما أو الدر في العقد * هو الزهر نفاحا الصبا أم شذا الود
أتاني وفكري في عقال من الاسى * فحل بنفث السحر ما حل من عقد
ومن قبل علمي أين مبعث وجهه * علمت جناب الورد من نفس الورد
وأيقنت ان الدهر ليس براجع * لتقديم عصر أو وقوف على حد
فكل أوان فيه أعلام فضله * ترادف موج البحر ردا الى رد

سلاح أو كراع أو عبد أو أمة وما سوى ذلك فهو ٩٨ ميراث لورثتهم على كتاب الله وخرج على بنفسه حاسرا على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سلاح عليه فنادى يا زبير اخرج الى فخرج شاكا في سلاحه فقيل لعائشة فقالت واحرباه باسماء فقيل لها ان عليا حاسر فاطمأنت واعتنق كل واحد منهما صاحبه فقال له على ويحك يا زبير ما الذى أخرجك قال دم عثمان قال قتل الله أولانا بدم عثمان اما تذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنى بياضة وهو راكب حماره فضحك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحكت أنت معه فقلت أنت يا رسول الله ما يدع على زهوه فقال لك ليس بزهو أتحبه يا زبير فقلت انى والله لاحبه فقال لك انك والله ستقاتله وأنت له ظالم فقال الزبير أستغفر الله لو ذكرتها ما خرجت فقال يا زبير ارجع فقال وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان هذا والله العار الذى لا يغسل فقال يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار فرجع الزبير وهو يقول

اخترت عارا على نار مؤججة * ما ان يقوم لها خلق من الطين
نادى على بأمر لست أجهله * عار لعمرك في الدنيا وفي الدين

فكم

فكم طيها من فائت مترقم * يهز بها قد ضمرت معطف الصلد
فيامن بهم تزهى المعالى ومن لهم * قياد المعالى ماسوى قصد كم قصدى
فسمعا وطوعا للذى قد أشرتم * به لا أرى عنه مدى الدهر من بد
فقوموا على اسم الله نحو حديقة * مقلدة الاجياد موشية البرد
بها قبة تدعى الكمامة فاطلعوا * بها زهرا أذكى نسيما من الند
وعندى ما يحتاج كل مؤمل * من الراح والمعشوق والكتب والنرد
فكل الى ماشاءه لست ثانيا * عنانا له ان المساعد ذو الود
ولست خليا من تأنس قينة * اذا ماشدت ضل الخلى عن الرشد
لها ولد فى حجرها لاتزيله * أوان غناء ثم ترميه بالبعد
فيا ليتنى قد كنت منها مكانه * تقلبنى ما بين خصر الى نهد
ضمنت لمن قد قال انى زاهد * اذا حل عندى أن يحول عن الزهد
فان كان يرجو جنة الخلد آجلا * فعندى له فى عاجل جنة الخلد

فركبوا الى جنته فسرهم أحسن يوم على ما اشتهوا وما زالوا بالرصافى الى أن شرب لما غلب عليه الطرب فقال الكتندى

غلبناك عما رمته يا ابن غالب * براح وريحان وشدو وكاعب

فقال أبو جعفر

بدا زهده مثل الخضاب فلم يزل * به ناصلا حتى بدا زور كاذب

فلما غربت الشمس قالوا ما رأينا أقصر من هذا اليوم وما ينبغى أن يترك بغير وصف فقال أبو جعفر أناله ثم قال بعد فكرة وهو من عجائبه التى تقدم بها المتقدمين وأعجز المتأخرين

لله يوم مسرة * أضوا وأقصر من ذباله
لما نصبنا للمنى * فيه بأوتار حباله
طار النهار به كمر * تاع فأجفلت الغزاله
فكأننا من بعده * بعنا الهداية بالضلاله

والنهار ذكر الحبارى واليه أشار بقوله طار النهار والغزالة الشمس ولا يخفى حسن التوريتين فسلم له الجميع تسليم السامع المطيع وعلى ذكر الغزالة فى هذا الموضع فلابى جعفر أيضا فيها وهو من بدائعه قوله

بدا ذنب السرحان ينبئ أنه * تقدم سبت والغزالة خلفه
ولم ترعينى مثله من متابع * لمن لايزال الدهر يطلب حتفه

وقوله

اسقنى مثل ما أنار لعينى * شفق ألبس الصباح جماله
قبل أن تبصر الغزالة تستد * رج منه على السماء غلاله
وتأمل لعسجد سال نهرا * كرعت فيه أو تقضى غزاله

ومن نظم أبى جعفر قوله

لولم يكن شدو الحمائم فاضلا * شدو القيان لما استخف الاغصنا

فقلت حسبك من عدل أبا حسن * فبعض هذا الذى قد قلت يكفينى فقال ابنه عبد الله أين تدعنا فقال يابنى أذكرنى أبو حسن بامر كنت قد أنسيته فقال لا والله ولكنك فررت من سيوف بنى عبد المطلب فانها طوال حداد تحملها فتية انجاد قال لا والله ولكنى ذكرت ما أنسانيه الدهر فاخترت العار على النار أبالجبن تعيرنى لا أبا لك ثم أمال سنانه وشد فى الميمنة فقال على أفرجوا له فقد هاجوه ثم رجع فشد فى الميسرة ثم رجع فشد فى القلب ثم عاد الى ابنه فقال أيفعل هذا جبان ثم مضى منصرفا حتى أتى وادى السباع والاحنف ابن قيس معتزل فى قومه من بنى تميم فاتاه آت فقال له هذا الزبير مار فقال ما أصنع بالزبير وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضا وهو مار الى منزله سالما فلحقه نفر من بنى تميم فسبقهم اليه عمرو بن جرموز وقد نزل الزبير الى الصلاة فقال أتؤمنى أو أؤمك فامه الزبير فقتله عمرو فى الصلاة وقتل الزبير رضى الله عنه وله خمس وسبعون سنة وقد قيل ان الاحنف بن قيس قتله بارسال من أرسل من قومه وقد رثته الشعراء وذكرت غدر ابن جرموز به ومن رثائه زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل أخت سعيد بن زيد فقالت

طرب ثنى حتى الجماد ترنحا * وأفاض من دمع السحائب أعينا
وقوله في الروض منك مشابه من أجلها * يهفو له طرفي وقلبي المغرم
الغصن قد والازاهر حلية * والورد خد والاقاحي مبسم
وقوله ألا حبذا نهر اذا ما لحظته * أبى ان يرد اللحظ عن حسنه الانس
ترى القمرين الدهر قد عنيا به * يفضضه بدر وتذهبه شمس
وقوله وقد مر بقصر من قصور أمير المؤمنين عبد المؤمن وقد رحل عنه
قصر الخلافة لا اخليت من كرم * وان خلوت من الاعداد والعدد
جزنا عليه فلم تنقص مهابته * والغيل يخلو وتبقى هيبة الاسد
وقوله من أبيات
سرح لحاظك حيث شئت فانه * في كل موقع لحظة متأمل
وقوله أيضا ولقد قلت للذي قال حلوا * ههنا سر فانما شئنا
لا تعين لنا مكانا ولكن * حيثما مالت اللواحظ ملنا
وقال ألا هاتها ان المسرة قربها * وما الحزن الا في توالي جفائها
مدام بكى الابريق عند فراقها * فأضحك ثغر الكاس عند لقائها
وقال عرج على الحوز وخيم به * حيث الاماني ضافيات الجناح
واسبق له قبل ارتحال الندى * ولا تزره دون شاد وراح
وكن مقيما منه حيث الصبا * تمتار مسكا من أريج البطاح
والقضب مال البعض منها على * بعض كما يثني القدود ارتياح
وشق جيب الصبر قصف اذا * شقت جيوب الطل منه الرياح
لم أحص كم غاديته ثابتا * واستوقفتني الراح عند الرواح
وقوله ألا حبذا روض بكرناه ضحى * وفي جنبات الروض للطل أدمع
وقد جعلت بين الغصون نسيمة * تمزق ثوب الطل منها وترقع
ونحن اذا ما ظللت القضب ركعا * نظل لها من هزة السكر نركع

وكان ابن الصابوني في مجلس أحد الفضلاء باشبيلية فقدم فيما قدم خيار فجعل أحد الادباء يقشرها بسكين فخطف ابن الصابوني السكين من يده فألح عليه في استرجاعها فقال له ابن الصابوني كف عني والا جرحتك بها فقال له صاحب المنزل اكفف عنه لئلا يجرحك ويكون جرحك جبارا تعريضا بقول النبي صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار فاغتاظ ابن الصابوني وخرج من الاعتدال وأخطأ بلسانه وما كف الا بعد الرغبة والتضرع ومن نظم ابن الصابوني

بعثت بمرآة اليك بديعة * فأطلع بسامي أفقها قمر السعد
لتنظر فيها احسن وجهك منصفا * وتعذرني فيما أكن من الوجد
فأرسل بذاك الخد لحظك برهة * لتجني منه ما جناه من الورد
مثالك فيها منك أقرب ملمسا * وأكثر احسانا وأبقى على العهد
وقوله في لابس أحمر

هبلتك أمك ان قتلت لمسلما
حلت عليك عقوبة المتعمد
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله
فيمن مضى ممن يروح ويغتدي

وأتى عمرو عليا بسيف الزبير وخاتمه ورأسه وقيل انه لم يأت برأسه فقال علي سيف طال ما جلا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه الحين ومصارع السوء وقاتل ابن صفية في النار ففي ذلك يقول عمرو بن جرموز التميمي

أتيت عليا برأس الزبير
وقد كنت أرجو به الزلفه
فبشر بالنار قبل العيان
وبئس بشارة ذي التحفه
لسيان عندي قتل الزبير
وضرطة عنز بذي الجحفه

ثم نادى علي رضي الله عنه طلحة حين رجع الزبير يا أبا محمد ما الذي أخرجك قال الطلب بدم عثمان قال علي قتل الله أولانا بدم عثمان أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنت أول من بايعني ثم نكثت وقد قال الله عز وجل فمن نكث فانما ينكث على نفسه فقال أستغفر الله ثم رجع فقال مروان بن الحكم رجع الزبير ويرجع طلحة ما أبالي رميت ههنا أم ههنا فرماه

أقبل فى حلة موردة * كالبدر فى حلة من الشفق
تحسبه كلما أراق دمى * يمسح فى ثوبه ظبا الحدق

ورحل الى القاهرة والاسكندرية فلم يلتفت اليه ولا عوّل عليه وكان شديد الانحراف فانقلب على عقبه بعض يديه على ماجرى عليه فمات عندا بابه الى الاسكندرية كمدا ولم يعرف له بالديار المصرية مقدار وحضر يوما بين يدى المعتضد الباجى ملك اشبيلية وقد نثرت أمامه جملة من دنانير سكت باسمه فأنشد

قد فخر الدينار والدرهم * لما علا ذين لكم ميسم
كلاهما يفصح عن مجدكم * وكل جزء منه فردفم

ومر فيها الى أن قال فى وصف الدنانير

كأنها الانجم والبعد قد * حقق عندى انها الارجم

فأشار السلطان الى وزيره فأعطاه منها جملة وقال له بدل هذا البيت لئلا يبقى ذما وكان يلقب بالحمار ولذا قال فيه ابن عتبة الطبيب

ياعير حمص عيرتك الحمير * بأكلك البرمكان الشعير

وهو أبو بكر محمد ابن الفقيه أبى العباس احمد بن الصابونى شاعر اشبيلية الشهير الذكر والذى أظهره مأمون بنى عبد المؤمن وله فيه قصائد عدة منها قوله فى مطلع

استول سباقا على غاياتها * نجح الامور يبين فى بدآتها

وله الموشحات المشهورة رحمه الله تعالى ومن حكايات الصبيان أن ابن أبى الخصال وهو من شقورة اجتاز بابدة وهو صبى صغير يطلب الادب فأضافه بها القاضى ابن مالك ثم خرج معه الى حديقة معروشة فقطف لهما منها عنقود أسود فقال القاضى * انظر اليه فى العصا * فقال ابن ابى الخصال * كرأس زنجى عصى * فعلم انه سيكون له شان فى البيان وحدث ابو عبد الله ابن زرقون ان ابا بكر بن المنخل وابا بكر الملاح الشلبيين كانا متواخيين متصافيين وكان لهما ابنان صغيران قد برعا فى الطلب وحازا قصب السبق فى حلبة الادب فتهاجى الابنان بأقذع الهجاء فركب ابن المنخل فى سحر من الاسحار مع ابنه عبد الله فجعل يعتبه على هجاء بنى الملاح و يقول له قد قطعت ما بينى و بين صديقى وصفيى أبى بكر فى اقذاعك بابنه فقال له ابنه انه بدأنى والبادى اظلم وانما يجب ان يلحى من بالشر تقدم فعذره ابوه فبينما هما على ذلك اذا قبلا على واد تنق فيه الضفادع فقال ابو بكر لابنه اجز * تنق ضفادع الوادى * فقال ابنه بصوت غير معتاد * فقال الشيخ * كأن نقيق مقولها * فقال ابنه * بنو الملاح فى النادى * فلما أحست الضفادع بهما صمتت فقال ابو بكر * وتصمت مثل صمتهم * فقال ابنه اذا اجتمعوا على زاد * فقال الشيخ * فلا غوث لملهوف * فقال الابن * ولا غيث لمرتاد * ولا خفاء أن هذه الاجازة لو كانت من الكبار لحصلت منها الغرابة فكيف ممن هو فى سن الصبا ومن حكايات النصارى واليهود من أهل الاندلس اعادها الله تعالى الى الاسلام عن قريب انه سميع مجيب ما حكى ان ابن المرغوى النصرانى الاشبيلى اهدى كلبة صيد للمعتمد بن عباد وفيها يقول

فقال انا لله وانا اليه راجعون والله لكنت كارها لهذا أنت والله كما قال القائل
فتى كان يدنيه الغنى من صديقه
اذا ماهو استغنى ويبعده الفقر
كأن الثريا علقت فى يمينه
وفى خده الشعرى وفى الآخر البدر
وذكر أن طلحة رضى الله عنه لما ولى سمع وهو يقول
ندامة ما ندمت وضل حلمى
ولهفى ثم لهف أبى وأمى
ندمت ندامة الكسعى لما
طلبت رضا بنى حزم بزعمى
وهو يمسح عن جبينه الغبار وهو يقول وكان أمر الله قدرا مقدورا وقيل انه سمع وهو يقول هذا الشعر وقد جرحه فى جبهته عبد الملك ورماه مروان فى أكحله وقد وقع صريعا يجود بنفسه وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمر ابن كعب بن سعيد بن تيم الله وهو ابن عم أبى بكر الصديق و يكنى أبا محمد وأمه الصعبة وكانت ابنة أبى سفيان صخر بن حرب كذلك ذكر الزبير بن بكار فى كتابه فى أنساب قريش وقتل وهو ابن أربع وستين سنة وقيل غير ذلك ودفن بالبصرة وقبره ومسجده الى هذه الغاية وقبر

لم ار ملهى لذي اقتناص * ومكسبا مقنع الحريص
كمثل خطار ذات جيد * اتلع في صفرة القميص
كالقوس في شكلها ولكن * تنفذ كالسهم للقنيص
ان تخذت انفها دليلا * دل على الكامن العويص
لو أنها تستثير برقا * لم يجد البرق من محيص

ومنها في المديح

يشفع تنويله بود * شفع القياسات بالنصوص

وقال
الله أكبر انت بدر طالع * والنقع دجن والكماة نجوم
والجود افلاك وانت مديرها * وعدوك الغاوي وهن رجوم

وقال
نزلت في آل مكعول وضيفهم * كمنازل بين سمع الارض والبصر
لا تستضيء بضوء في بيوتهم * مالم يكن لك تطفيل على القمر

وسببهما انه نزل عندهم فلم يوقدوا له سراجا * وقال نسيم الاسرائيلي

ياليتني كنت طيرا * أطير حتى أراكا
بمن تبدلت غيرا * ولم تحل عن هواكا

وهو شاعر وشاح من أهل اشبيلية وذكره الحجاري في المسهب * وقال ابراهيم بن سهل الاسرائيلي في أصفر ارتجالا

كأن محياك له بهجة * حتى اذا جاءك ماحي الجمال
أصبحت كالشمعة لما خبى * منها الضياء اسود فيها الذبال

وهو شاعر اشبيلية ووشاحها وقرأ على أبي علي الشلوبين وابن الدباج وغيرهما وقال العزفي في حقه وكان أظهر الاسلام ماصورته كان يتظاهر بالاسلام ولا يخلو مع ذلك من قدح واتهام انتهى وسئل بعض المغاربة عن السبب في رقة نظم ابن سهل فقال لانه اجتمع فيه ذلان ذل العشق وذل اليهودية ولما غرق قال فيه بعض الاكابر عاد الدر الى وطنه ومن نظم ابن سهل المذكور قوله

والى بقلبي منه جمر مؤجج * تراه على خديه يندى ويبرد
يسائلني من أي دين مداعبا * وشمل اعتقادي في هواه مبدد
فؤادي حنيفي ولكن مقلتي * مجوسية من خده النار تعبد

ومنه قوله

هذا أبو بكر يقود بوجهه * جيش الفتور مطرز الرايات
أهدى ربيع عذاره لقلوبنا * حر المصيف فشبها لفحات
خد جرى ماء النعيم بجمره * فاسود مجرى الماء في الجمرات

وذكر الحافظ أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري في رحلته الكبيرة القدر والجرم المسماة بملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة خلافا في اسلام ابن سهل باطنا وكتب على هامش هذا الكلام الخطيب العلامة سيدي

أبو

الزبير بوادي السباع وقتل محمد بن طلحة مع ابيه في ذلك اليوم ومر به علي فقال هذا رجل قتله بره بابيه وطاعته وكان يدعى بالسجاد وقد تنوزع في كنيته فقال الواقدي كان يكنى بابي سليمان وقال الهيثم بن عدي كان يكنى بابي القاسم وفيه يقول قاتله

واشعث سجاد بآيات ربه * قليل الاذى فيما ترى العين مسلم
شككت له بالرمح جيب قميصه * فخر صريعا لليدين وللفم
على غير شيء غير أن ليس تابعا * عليا ومن لا يتبع الحق يندم
يذكرني حاميم والرمح شارع * فهلا تلا حاميم قبل التقدم

وقد كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنة علي وميسرته فكشفوها فاتاه بعض ولد عقيل وعلي يخفق نعاسا على قربوس سرجه فقال له ياعم قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى وانت تخفق نعاسا قال اسكت يا ابن أخي فان لعمك يوما لا يعدوه والله لا يبالي عمك وقع على الموت اووقع الموت عليه ثم بعث الى ولده محمد بن الحنفية وكان صاحب رايته احمل على القوم فابطأ محمد عليه وكان بازائه قوم من الرماة ينتظر نفاد سهامهم فاتاه علي فقال هلا حملت فقال لا اجد متقدما الا على سهم او سنان واني لمنتظر

أبو عبد الله بن مرزوق ما نصه صح لنا من أدركناه من أشياخنا انه مات على دين الاسلام انتهى ورأيت في بعض كتب الادب بالمغرب انه اجتمع جماعة مع ابن سهل في مجلس انس فسألوه لما أخذت منه الراح عن اسلامه هل هو في الظاهر والباطن أم لا فأجابهم بقوله للناس ما ظهر ولله ما استتر انتهى واستدل بعضهم على صحة اسلامه بقوله

تسليت عن موسى بحب محمد * هديت ولولا الله ما كنت أهتدي
وما عن قلى قد كان ذاك وانما * شريعة موسى عطلت بمحمد

وله ديوان كبير مشهور بالمغرب حاز به قصب السبق في النظم والتوشيح وما أحسن قوله من قصيدة

تأمل لظى شوقي وموسى يشبها * تجد خير نار عندها خير موقد

وأنشد بعضهم له قوله

لقد كنت أرجو أن تكون مواصلي * فأسقيتني بالبعد فاتحة الرعد
فبالله برد ما بقلبي من الجوى * بفاتحة الاعراف من ريقك الشهد

وقال الراعي رحمه الله تعالى سمعت شيخنا أبا الحسن علي بن سمعة الاندلسي رحمه الله تعالى يقول شيآن لا يصحان اسلام ابراهيم بن سهل وتوبة الزمخشري من الاعتزال ثم قال الراعي قلت وهما من مرو يأتي أما اسلام ابراهيم بن سهل فيغلب على ظني صحته لعلمي بروايته واما الثاني وهو توبة الزمخشري فقد ذكر بعضهم انه رأى رسما بالبلاد المشرقية محكوما فيه يتضمن توبة الزمخشري من الاعتزال فقوي جانب الرواية انتهى باختصار وقال الراعي أيضا ما نصه وقد نكت الاديب البارع ابراهيم بن سهل الاسرائيلي الاندلسي على الشيخ أبي القاسم في تغزله حيث قال

أموسى أيا بعضي وكلي حقيقة * وليس مجازا قولي الكل والبعضا
خفضت مكاني اذ جزمت وسائلي * فكيف جمعت الجزم عندي والخفضا

وفي هذا دليل على ان يهود الاندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية فان ابراهيم قال هذين البيتين قبل اسلامه والله تعالى اعلم وقد روينا انه مات مسلما غريقا في البحر فان كان حقا فالله تعالى رزقه الاسلام في آخر عمره والشهادة انتهى ومن نظم ابن سهل في التوجيه باصطلاح النحاة قوله

رقت عوامله واحسب رتبتي * بنيت على خفض فلن تتغيرا
ومنه تنأى وتدنو والتفاتك واحد * كالفعل يعمل ظاهرا ومقدرا
وقوله اذا كان نصر الله وقفا عليكم * فان العدا التنوين يحذفه الوقف
وقوله وقرأنا باب المضاف عناقا * وحذفنا الرقيب كالتنوين
وقوله نبات بناء الحرف خامر طبعه * فصرت لتأثير العوامل جازما
وقوله لك الثناء فان يذكر سواك به * يوما فكالرابع المعهود في البدل

يعني الغلط وقوله

اذا اليأس ناجى النفس منك بلن ولا * اجابت ظنوني ربما وعساي

نفاد سهامهم وأحمل فقال احمل بين الاسنة فان للموت عليك جنة فحمل محمد فسكن بين الرماح والنشاب فوقف فأتاه علي فضربه بقائم سيفه وقال ادركك عرق من أمك وأخذ الراية وحمل وحمل الناس معه فما كان القوم الا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وطافت بنو امية بالجمل واقبلوا يرتجزون ويقولون

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل
ننازل الموت اذا الموت نزل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل
عثمان ردوه بأطراف الاسل
والموت أحلى عندنا من العسل

وقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بني ضبة معهم كعب بن سور القاضي متقلدا مصحفا كلما قطعت يد واحد منهم قام آخر فأخذ الخطام وقال انا الغلام الضبي ورمى الهودج بالنشاب والنبل حتى صار كأنه قنفذ وعرقب الجمل وهو لا يقع وقد قطعت اعضاؤه وأخذته السيوف حتى سقط ويقال ان عبد الله بن الزبير قبض على خطام الجمل وهو لا يقع وقد ناشده على تخلي عنه ولما سقط الجمل ووقع الهودج جاء محمد بن ابي بكر فادخل يده فقالت من انت قال اقرب الناس قرابة وابغضهم اليك انا محمد اخوك يقول لك امير المؤمنين هل أصابك شيء قالت ما أصابني الا سهم

وقوله وقلت عساه ان اقت برق لى * وقد نسخت لا عنده ما اقتضت عسى

وقوله ينبى لى الحال ولكنه * يدخل لا فى كل مستقبل

وقوله خفضت مقامى اذ جزمت وسائلى * فكيف جمعت الجزم عندى والخفضا

وقوله فى غلام شاعر

كيف خلاص القلب من شاعر * رقت معانيه عن النقد
يصغر نثر الدر عن نثره * ونظمه جل عن العقد
وشعره الطائل فى حسنه * طال على النابغة الجعدى

وحدث أبو حيان عن قاضى القضاة أبى بكر محمد بن أبى النصر الفتح بن على الانصارى الاشبيلى بغرناطة أن ابراهيم بن سهل الشاعر الاشبيلى كان يهوديا ثم أسلم ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة طويلة بارعة قال أبو حيان وقفت عليها وهى من أبدع ما نظم فى معناها وكان سن ابن سهل حين غرق نحو الاربعين سنة وذلك سنة تسع وأربعين وستمائة وقيل انه جاوز الاربعين وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وما أحسن قوله

مضى الوصل الا منية تبعث الاسى * أدارى بها همى اذا الليل عسعسا
أتانى حديث الوصل زورا على النوى * أعد ذلك الزور اللذيذ المؤنسا
ويا أيها الشوق الذى جاء زائرا * أصبت الامانى خذ قلوبا وأنفسا
كسانى موسى من سقام جفونه * رداء وسقانى من الحب أكؤسا

ومن أشهر موشحاته قوله

ليل الهوى يقظان * والحب ترب السهر
والصبر لى خوّان * والنوم عن عينى برى

وقد عارضه غير واحد فما شقوا له غبارا * وأما ابراهيم بن الفخار اليهودى فكان قد تمكن عند الادفونش ملك طليطلة النصرانى وصيره سفيرا بينه وبين ملوك المغرب وكان عارفا بالمنطق والشعر قال ابن سعيد أنشدنى لنفسه يخاطب أديبا مسلما كان يعرفه قبل أن تعلو رتبته ويسفر بين الملوك ولم يزده على ما كان يعامله به من الاذلال فضاق ذرع ابن الفخار وكتب اليه

أيا جاعلا أمرين شبيهين ماله * من العقل احساس به يتفقد
جعلت الغنى والفقر والذل والعلا * سواء فما تنفك تشقى وتجهد
وهل يستوى فى الارض نجد وتلعة * فتطلب تسهيلا وسيرك مصعد
وما كنت ذا ميز لمن كنت طالبا * بما كنت فى حال الفراغ تعوّد
وقد حال ما بينى و بينك شاغل * فلا تطلبنى بالذى كنت تعهد
فان كنت تأبى غير اقدام جاهل * فانك لا تنفك تلحى وتطرد
الافات فى أبوابه كل مسلك * ولا تك خلا حيثما قت تقعد

قال ابن سعيد وأنشدنى لنفسه

ولما دجا ليل العذار بخده * تيقنت أن الليل أخفى وأستر

تقرى فى بيتك والله ما انصفك الذين اخرجوك اذ صانوا عقائلهم وابرزوك وامر أخاها محمدا ان ينزلها فى دار صفية بنت الحرث بن ابى طلحة العبدى وهى ام طلحة الطلحات ووقع الهودج والناس مفترقون يقتتلون والتقى الاشتر بن مالك بن الحرث النخعى وعبد الله بن الزبير فاعتركا وسقطا الى الارض عن فرسيهما والناس حولهما يجولون وابن الزبير ينادى

اقتلونى ومالكا
واقتلوا مالكا معى

فلا يسمعهما احد لشدة الجلاد ووقع الحديد ولا يراهما راء لظلمة النقع وترادف العجاج وجاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الى على فقال يا امير المؤمنين لا تنكس اليوم راس محمد واردد اليه الراية فدعا به ورد عليه الراية وقال

اطعنهم طعن ابيك تحمد
لا خير فى حرب اذا لم توقد
بالمشرفى والقنا المشرد

ثم استسقى فاتى بعسل وماء فحسا منه حسوة وقال هذا الطائفى وهو غريب البلد فقال له عبد الله بن جعفر ماشغلك ما نحن فيه عن علم هذا قال انه والله يا بنى ما ملا بصدره شئ قط من امر الدنيا ثم دخل البصرة وكانت الوقعة فى الموضع المعروف بالحربية يوم الخميس واصبح

وأصبح عذالى يقولون صاحب * فاخلو به جهرا ولا أتستر
وقال يمدح الادفونش لعنهما الله تعالى
حضرة الادفنش لابرحت * غادة أيامها عرس
فاخلع النعلين تكرمة * في ثراها انها قدس

قال وأدخلوني الى بستان الخليفة المستنصر فوجدته في غاية الحسن كأنه الجنة ورأيت على بابه بوّابا في غاية القبح فلما سألني الوزير عن حال فرجتي قلت رايت الجنة الا انى سمعت ان الجنة يكون على بابها رضوان وهذه على بابها مالك فضحك واخبر الخليفة بما جرى فقال له قل له انا قصدنا ذلك فلو كان رضوان عليها بوّابا لخشينا ان يرده عنها ويقول له ليس هذا موضعك ولما كان هناك مالك ادخله فيها وهو لا يدرى ماوراءه ويخيل انها جهنم قال فلما اعلمني الوزير بذلك قلت له الله اعلم حيث يجعل رسالاته * وكان في زمان الياس بن المدور اليهودي الطبيب الرندي طبيب آخر كان يجرى بينهما من المحاسدة ما يجرى بين مشتركين في صنعة فأصلح الناس بينهما مرارا وظهر للياس من ذلك الرجل الطبيب ما ينفر الناس منه فكتب اليه

لا تخدعن فما تكون مودة * ما بين مشتركين امرا واحدا
انظر الى القمرين حين تشاركا * بسناهما كان التلاقي واحدا

يعنى انهما لما اشتركا في الضياء وجب التحاسد بينهما والتفرقة هذا يطلع ليلا وهذه تطلع نهارا واعتراضهما يوجب الكسوف * وكتب ايوب بن سليمان المرواني الى بسام بن شمعون اليهودي الوشقي في يوم مطير لما كنت وصل الله تعالى اخاءك وحفظك مطمع نفسي ومنتزع اختياري من ابناء جنسي على جوانبك اميل وارتع في رياض خلقك الجميل هزتني خواطر الطرب والارتياح في هذا اليوم المطير الداعي بكاؤه الى ابتسام الاقداح واستنطاق البم والزير فلم ارمعينا على ذلك ومبلغا ما هنالك الاحسن نظرك وتحشمك من المكارم ما جرت به عادتك وهذا يوم حرم الطرف فيه الحركة وجعل في تركها الخير والبركة فهل توصل مكرمتك اخاك الى التخلي معك في زاوية متكئا على دن مستندا الى خابية ونحن خلال ذلك نتجاذب أهداب الحديث التي لم يبق من اللذات الا هي ونجيل الالحاظ فيما تعوّدت عندك من المحاسن والاسماع في أصناف الملاهي وانت على ذلك قدير وكرمك بتكلفه جدير ولا يعيى المرء يوما على راحته الاكريم الطباع وها أنا والسمع مني الى الباب وذو الشوق حليف استماع

فان أتى داع بنيل المنى * ودع أشجاني ونعم الوداع

وهذا المرواني من ذرية عبد العزيز أخى عبد الملك بن مروان وهو من أهل المائة السادسة * وكانت بالاندلس شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت اسمعيل اليهودي وكان أبوها شاعرا واعتنى بتأديبها وربما صنع من الموشحة قسما فأتمتها هي بقسم آخر وقال لها أبوها يوما أجيزى

لى صاحب ذو بهجة قد قابلت * منها بظهر واستحلت جرمها

من التاريخ وخطب الناس بالبصرة خطبته الطويلة التي يقول فيها يا أهل المسجد يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلك من الدهر ثلاثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المرأة يا أتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم أخلاقكم رقاق وأعمالكم نفاق ودينكم زيغ وشقاق وماؤكم اجاج زعاق وقد ذم على أهل البصرة بعد هذا الموقف مرارا كثيرة وبعث بعبد الله ابن عباس الى عائشة يأمرها بالخروج الى المدينة فدخل اليها بغير اذنها واجتذب وسادة فجلس عليها فقالت يا ابن عباس أخطأت السنة المأمور بها دخلت الينا بغير اذننا وجلست على رحلنا بغير أمرنا فقال لها لو كنت في البيت الذى خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخلنا الا باذنك وما جلسنا على رحلك الا باذنك ان أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الاوبة والتأهب للخروج الى المدينة فقالت أبيت ما قلت وخالفت ما وصفت فمضى الى على فخبره بامتناعها فرده اليها وقال ان أمير المؤمنين يعزم عليك أن ترجعي فانعمت وأجابت الى الخروج

وجهزها على وأتاها في اليوم الثاني ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقى أولاده وأولاد اخوته

ففكرت غير كثير وقالت

كالشمس منها البدر يقبس نوره * أبدا ويكسف بعد ذلك جرمها

فقام كالمختبل وضمها اليه وجعل يقبل رأسها ويقول أنت والعشر كلمات أشعر مني ونظرت في المرآة فرأت جمالها وقد بلغت أوان التزوج ولم تتزوج فقالت

أرى روضة قد حان منها قطافها * ولست أرى جان يمد لها يدا
فوا أسفا يمضي الشباب مضيعا * ويبقى الذي ما ان اسميه مفردا

فسمعها أبوها فنظر في تزويجها وقالت في ظبية عندها

ياظبية ترعى بروض دائما * اني حكيتك في التوحش والحور
أمسى كلانا مفردا عن صاحب * فلنصطبر أبدا على حكم القدر

واستدعى أبو عبد الله محمد بن رشيق القلعي ثم الغرناطي بعض أصحابه الى انس بقوله

سيدي عندي اترج ونارنج وراح
وجنى آس وزهر * وجنا نا لا يباح
ليس الا مطرب يسلي الندامى والملاح
ومكان لانتهاك * قد نأى عنه الملاح
لا يرى يطلع فيه * دون أكواس صباح
فيه فتيان لهم في * لذة العيش جماح
طرحوا الدنيا يسارا * فاستراحت واستراحوا
لا كقوم أوجعتهم * لهم فيها نباح

وله

قال العذول الى كم * تدعو لمن لا يجيب
فقلت ليس عجيبا * أن لا يجيب حبيب
هون عليك فاني * من حبه لا أتوب

قال أبو عمران بن سعيد دخلت عليه وهو مسجون بدار الاشراف باشبيلية وقد بقي عليه من مال السلطان اثنا عشر ألف دينار قد أفسدها في لذات نفسه فلما لمحني أقبل يضحك ويشتغل بالنادر والحكايات الظريفة فقلت له قالوا انك أفسدت للسلطان اثني عشر ألف دينار وما أحسبك الا زدت على هذا العدد لما أراك فيه من المسرة والاستبشار فزاد ضحكا وقال يا أبا عمران أتراني اذا لزمت الهم والفكر يرجع علي ذلك العدد الذي أفسدت ثم فكر ساعة وأنشدني

ليس عندي من الهموم حديث * كلما ساءني الزمان سررت
أتراني أكون للدهر عونا * فاذا مسني بضر ضجرت
غمرة ثم تنجلي فكأني * عند اقلاع همها ما ضررت

وقال النحوي اللغوي أبو عيسى لب بن عبد الوارث القلعي

بدا ألف التعريف في طرس خده * فيا هل تراه بعد ذلك ينكر
وقد كان كافورا فهل أنا تارك * له عندما حياه مسك وعنبر

وفتيان أهله من بني هاشم وغيرهم من شيعته من همدان فلما بصرت به النسوان صحن في وجهه وقلن يا قاتل الاحبة فقال لو كنت قاتل الاحبة لقتلت من في هذا البيت وأشار الى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر وغيرهم فضرب من كان معه بايديهم الى قوائم سيوفهم لما علموا من في البيت مخافة أن يخرجوا فيغتالوهم فقالت لهم عائشة بعد خطب طويل كان بينهما اني أحب ان أقيم معك فاسير الى قتال عدوك عند سيرك فقال بل ارجعي الى البيت الذي تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته أن يؤمن ابن أختها عبد الله ابن الزبير فامنه وتكلم الحسن والحسين في مروان فأمنه وأمن الوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بني أمية وأمن الناس جميعا وقد كان نادى يوم الوقعة من ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن واشتد حزن علي على من قتل من ربيعة قبل ورود البصرة وهم الذين قتلهم طلحة والزبير من عبد القيس وغيرهم من ربيعة وجدد حزنه قتل زيد بن صوحان قتله في ذلك اليوم عمرو بن سبرة ثم قتل عمار بن ياسر عمرو بن سبرة في ذلك اليوم أيضا وكان علي يكثر من قوله وما

وما خير روض لا يرف نباته * وهل أفتن الاثواب الا المشهر

وقال

أبى لى أن أقول الشعر أنى * أحاول أن يفوق السحر شعرى
وأن يصغى اليه كل سمع * ويعلو ذكره فى كل ذكر

قال الحجارى أخبرنى انه احب أحد أولاد الاعيان ممن كان يقرأ عليه فلما خلا به شكا اليه مايجده فقال له الصبيان يفطنون بنا فاذا أردت أن تقول شيأ فاكتبه لى فى ورقة فلما سمعت ذلك منه تمكن الطمع منى فيه وكتبت له

يامن له حسن يفوق به الورى * صل هائما قد ظل فيك محيرا
وامنن على بقبلة أو غيرها * ان كنت تطمع فى الهوى أن تؤجرا

وكتب بعدها من الكلام ما رأيته فلما حصلت الورقة عنده كتب الى فى غيرها أنا من بيت عادة أهله أن يكونوا اسم فاعل لا اسم مفعول وانما أردت أن يحصل عندى خطك شاهدا على ما قابلتنى به لئلا أشكوك الى أبى فيقول لى حاش لله ان يقع الفقيه فى هذا وانما أنت خبيث رايته يطالبك بالتزام الحفظ فاختلقت عليه لأخرجك من عنده فأبقى معذبا معك ومعه وان أنا أوقفته على خطك صدقنى واسترحت ولكن لا أفعل هذا ان كففت عنى وان انتهيت فلا اخبر به احدا قال ابن عبد الوارث فلما وقفت على خطه علمت قدر ما وقعت فيه وجعلت ارغب اليه فى ان يرد الرقعة الى فأبى وقال هى عندى رهن على وفائك بأن لا ترجع تتكلم فى ذلك الشان قال فكان والله يبطل القراءة فلا اجسر ا كلمه لانى رايت صبيانيتى وناموسى قد حصل فى يده وتبت من ذلك الحين عن هذا وامثاله *وقال جابر بن خلف القصى وكان فى خدمة عبد الملك بن سعيد وقرا مع ابى جعفر بن سعيد وتهذب معه يخاطبه حين عاثت الذئاب فى غنمه

اباقائدا قد سما فى العلا * وساد علينا بذات وجد
غدا الذئب فى غنمى عائثا * وقد جئت مستعديا بالاسد

وكثر عليه الدين فكتب اليه ايضا

انى ايامك الغر * اموت كذا من الضر
واخبط فى دجاهمى * ووجهك طلعة الفجر

فضحك وادى دينه* ولما خلع اهل المرية طاعة عبد المؤمن وقتلوا نائبه ابن مخلوف قدموا عليهم ابا يحيى بن الرميمى ثم كان عليه من النصارى ما علم ففر الى مدينة فاس وبقى بها ضائعا خاملا يسكن فى غرفة ويعيش من النسخ فقال

امسيت بعد الملك فى غرفة * ضيقة الساحل والمدخل
تستوحش الارزاق من وجهها * فاتزال الدهر فى معزل
النسخ بالقوت لديها ولا * تقرعها كف اخ مفضل

وانشدها لبعض الادباء فبينما هو ليلة ينسخ بضوء السراج واذا بالباب يقرع ففتحه فاذا شخص متنكر لا يعرفه وقد مد يده اليه بصرة فيها جملة دنانير وقال خذها من كف اخ لا يعرفك ولا تعرفه وانت المفضل بقبولها فأخذها وحسن بها حاله وقال له بعض هذا شعرك

يالهف نفسى على ربيعه * ربيعة السامعة المطيعه وخرجت امرأة من عبد القيس تطوف بالقتلى فوجدت ابنين لها قد قتلا وقد كان قتل زوجها واخوان لها فيمن قتل قبل مجىء على البصرة فانشأت تقول

شهدت الحروب فشيبننى * فلم أر يوما كيوم الجمل
أضر على مؤمن فتنة * وأقتله لشجاع بطل
فليت الظعينة فى بيتها * وليتك عسكر لم ترتحل

وقد ذكر المدائنى أنه رأى بالبصرة رجلا مصطلم الاذن فساله عن قصته فذكر انه خرج يوم الجمل ينظر الى القتلى فنظر الى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا * فلم ننصرف الا ونحن رواء
أطعنا بنى تيم لشقوة جدنا * وما تيم الا أعبد واماء

فقلت سبحان الله أتقول هذا عند الموت قل لا اله الا الله فقال يا ابن اللخناء اياى تامر بالجزع عند الموت فوليت عنه متعجبا منه فصاح بى ادن منى لقنى الشهادة فصرت اليه فلما قربت منه استدنانى ثم التقم اذنى فذهب بها فجعلت ألعنه وادعو عليه فقال اذا صرت الى امك فقالت من فعل هذا بك فقل عمير بن الاهلب الضبى مخدوع المرأة التى ارادت ان تكون امير المؤمنين وخرجت عائشة من البصرة

ايام خلعك فهل قلت ايام امرك قال نعم لما قتل اهل المرية ابن مخلوف عامل عبد المؤمن واكرهوني ان اتولى امرهم قلت

اري فتناً تكشف عن لظاها * رماد بالنفاق له انصداع
وآل بها النظام الى انتثار * وساد بها الاسافل والرعاع
سأحمل كل ماجشمت منها * بصدر فيه للهول اتساع

واصل بني الرميمي من بني امية ملوك الاندلس ونسبوا الى رميمة قرية من اعمال قرطبة وقال ابو بحر يوسف بن عبد الصمد

فوصلت اقطار الغير اجابة * ومدحت اقواما بغير صلات
اموال اشعاري نمت فتكاثرت * فجعلت مدحي للبخيل زكاتي

وهذا من غريب المعاني وفي بني عبد الصمد يقول بعض اهل عصرهم لما راى من كثرة عددهم والتئامهم بالسلطان

ملأت قلبي هموما مثل ما * ملأ الدنيا بنو عبد الصمد
كاثر الشيخ أبوهم آدما * فغدا أكثر نسلا وولد
كلهم ذئب اذا أمنته * والرعايا بينهم مثل النقد

وكان الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس وزير زهير الصقلي ملك المرية بذ الناس في وقته بأربعة أشياء المال والبخل والعجب والكتابة قال أبو حيان وكان قبل محنته صير هجيراه أوقات لعب الشطرنج أوما يسنح له هذا البيت

عيون الحوادث عني نيام * وهضمي على الدهر شئ حرام

وذاع هذا البيت في الناس حتى قلب له مصراعه الاخير بعض الادباء فقال

سيوقظها قدر لا ينام

وكان حسن الكتابة جميل الخط مليح الخطاب غزير الادب قوي المعرفة مشاركا في الفقه حاضر الجواب جماعا للدفاتر حتى بلغت أربعمائة ألف مجلد وأما الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها وبلغ ماله خمسمائة ألف مثقال جعفرية سوى غير ذلك وكان مقتله بيد باديس بن حيوس ملك غرناطة وكفى دليلا على اعجابه قوله

لي نفس لاترتضي الدهر عمرا * وجميع الانام طرا عبيدا
لو ترقت فوق السماك محلا * لم تزل تبتغي هناك صعودا
أنا من تعلمون شيدت مجدي * في مكاني مابين قومي وليدا

وكان يتهم بداء أبي جهل فيما ينقل حتى كتب بعض الادباء على برجه بالمرية

خلوت بالبرج فماذا الذي * تصنع فيه ياسخيف الزمان

فلما نظر اليه أمر أن يكتب

أصنع فيه كل ماأشتهي * وحاسدي خارجه في هوان

وكان الاعمى التطيلي شاعرا مشهورا وكان الصبيان يقولون له تحتاج كحلا يا أستاذ فكان ذلك سبب انتقاله من مرسية وقيل له يا أبا بكر كم تقع في الناس فقال أنا أعمى وهم

وقد بعث معها على اخاها عبد الرحمن بن ابي بكر وثلاثين رجلا وعشرين امرأة من ذوات الدين من عبد القيس وهمدان وغيرهما البسهن العمائم وقلدهن السيوف وقال لهن لا تعلمن عائشة انكن نسوة كانكن رجال وكن اللاتي تلين خدمتها وحملها فلما اتت المدينة قيل لها كيف رايت مسيرك قالت كنت بخير والله لقد اعطى علي بن ابي طالب فاكثر ولكنه بعث معي رجالا فعرفها النسوة امرهن فسجدت وقالت ما ازددت والله يا ابن ابي طالب الا كرما ووددت أني لم أخرج وان اصابتني كيت وكيت من امور كرهتها وانما قيل لي تخرجين فتصلحين بين الناس فكان ما كان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ان الذي قتل من اصحاب علي في ذلك اليوم خمسة آلاف ومن اصحاب الجمل وغيرهم من اهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا وقيل غير ذلك ووقف على على عبد الرحمن بن عتاب ابن اسيد بن ابي العاص ابن امية وهو قتيل يوم الجمل فقال لهفي عليك يعسوب قريش قتلت الغطاريف من بني عبد مناف شفيت نفسي وجدعت انفي فقال له الاشتر ما أشد جزعك عليهم يا أمير المؤمنين وقد أرادوا بك ما نزل بهم فقال لي انه قامت عني وعنهم نسوة لم يقمن عنك واصيب

لا يبرحون حفرا فاعذرنى فى وقوعى فيهم فقال له السائل والله لا كنت قط حفرة لك وجعل يواليه بره ورفده ومن شعره

وجوه تعزعلى معشر * ولكن تهون على الشاعر
قرونهم مثل ليل المحب * وليل المحب بلا آخر

وله

زنجيكم بالفسوق دارى * يدلى من الحرص كالحمار
يخلو بخل الوزير سرا * فيولج الليل فى النهار

ومن شعر أبى جعفر أحمد بن الخيال الاستجى كاتب ابن الاحمر فيمن اسمه فضل الله

من الناس من يؤتى بنقد ومنهم * بكره ومنهم من ينالك اذا انتشى
ومنهم فتى يؤتى على كل حالة * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ولعبد الملك بن سعيد الخازن

ماحمدناك اذ وقفنا ببابك * للذى كان من طويل حجابك
قد ذممنا الزمان فيك فقلنا * أبعد الله كل دهر أتى بك

وقال فى المسهب كنت بمجلس القاضى ابن حمدين وقد أنشده شعراء قرطبة وغيرها وفى الجملة هلال شاعر غرناطة ومحمد بن الاستجى شاعر استجة الملقب بزركون فقام الاستجى وأنشده قصيدة منها

اليك ابن حمدين انتخلت قصائدا * بها رقصت فى القضب ورق الحمائم
أنا العبد لكن بالمودة أشترى * اذا كان غيرى يشترى بالدراهم

فشكره ابن حمدين ونبه على مكان الاحسان فحسده هلال البيانى على ذلك فلما فرغ من القصيدة قال له هلال أعد على البيت الذى فيه ورق الحمائم فاعاده فقال له لو أزلت النقطة عن الخاء كنت تصدق فقال له فى الحين ولو أزلت أنت النقطة عن العين كنت تحسن وكان على عين هلال نقطة فكان ذلك من الاتفاق العجيب والجواب الغريب وعمل فيه * ولما قال المقدم بن المعافى فى رثاء سعيد بن جودى

من ذا الذى يطعم أو يكسو * وقد غدا حلف الندى الرمس
لا اخضرت الارض ولا أورق العود ولا اشرقت الشمس
بعد ابن جودى الذى لن ترى * اكرم منه الجن والانس

فقيل له أترثيه وقد ضربك فقال والله انه نفعنى حتى بذنوبه ولقد نهانى ذلك الادب عن مضارجة كنت اقع فيها على راسى افلا أرعى له ذلك والله ماضربنى الا وانا ظالم له افابقى على ظلمى له بعد موته وقيل له لم لا تهجو مؤمن بن سعيد فقال لا اهجو من لو هجا النجوم ما اهتدى احد بها * وقال عبد الملك بن مروان بن نظيف

لا اشرب الراح الا * مع كل خرق كريم
ولست اعشق الا * ساجى الجفون رخيم

ومدح هلال البيانى ابن حمدين بقصيدة اولها

عرج على ذاك الجناب العالى * واحكم على الاموال بالآمال

كف ابن عتاب بمنى ألقاها عقاب وفيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب وكان اليوم الذى وجد فيه الكف بعد يوم الجمل بثلاثة أيام ودخل على بيت مال الكوفة فى جماعة من المهاجرين والانصار فنظر الى ما فيه من العين والورق فجعل يقول يا صفراء غرى غيرى وادام النظر الى المال مفكرا ثم قال اقسموه بين اصحابى ومن معى خمسمائة خمسمائة ففعلوا فما نقص درهم واحد وعدد الرجال اثنا عشر الفا وقبض ما كان فى عسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك فباعه وقسمه بين اصحابه واخذ لنفسه ما أخذ لكل واحد ممن معه من اصحابه واهله خمسمائة درهم فاتاه رجل من اصحابه فقال يا امير المؤمنين انى لم آخذ شيأ وخلفنى عن الحضور كذا وادلى بعذر فاعطاه الخمسمائة التى كانت له وقيل لابى لبيد الجهمى من الازد أتحب عليا قال وكيف أحب رجلا قتل من قومى فى بعض يوم ألفين وخمسمائة وقتل من الناس حتى لم يكن أحد يعزى أحدا واشتغل أهل كل بيت بمن لهم وولى على على البصرة عبد الله بن عباس وسار الى الكوفة فكان دخوله اليها لاثنتى عشرة ليلة مضت من رجب وبعث الى الاشعث بن

فيه ابن حمدين الذى لنوله * من كل أرض شدّ كل رحال

فقال له القاضى ما هذا الوثوب على المدح من اوّل وهلة الا تدرى انهم عابوا ذلك كما عابوا الطول ايضا وان الاولى التوسط فقال له ياسيدى اعذرنى بما لك فى قلبى من الاجلال والمحبة فانى كما ابتدأت فى مدحك لم يتركنى غرامى فى اسمك الا ان اتركه عند اول بيت فاستحسن ذلك منه وأحسن اليه ومن هذه القصيدة

قاض موال بره ونواله * فله جميع العالمين موالى

وكان يهوى وسيما من متأدبى قرطبة فصنع فيه شعرا انشده منه

وكانت عينى برعى النجم فى الظلم * وعبرتى قد غدت ممزوجة بدم

فقال له الغلام انت لا تبرح بكوكب من عينك ليلا ولا نهارا او عاشقا وغير عاشق فخجل هلال وكان على عينه نقطة * وحكى ابن حيان ان الامير عبد الرحمن عثرت به دابته وهو سائر فى بعض اسفاره وتطأطأت فكاد يكبو لفيه ولحقه جزع وتمثل اثره بقول الشاعر

* ومالا نرى مما يقى الله أكثر * وطلب صدر البيت فعزب عنه وأمر بالسؤال عنه فلم يوجد من يحفظه الا الكاتب محمد بن سعيد الزجالى وكان يلقب بالاصمعى لذكائه وحفظه فانشد الامير * نرى الشمس مما يتقى فنهابه * فاعجب الامير واستحسن شكله فقال له الزم السرادق وأعقب ابنا يسمى حامدا وحضر مع الوزير عبد الواحد بن يزيد الاسكندرانى فى مجلس فيه رؤساء فعرض عليهم فرس مطهم فتمثل فيه عبد الواحد بقول امرئ القيس * بريد السرى بالليل من خيل بربرا * ففهم الزجالى انه عرض بأنه من البربر فلم يحتمل ذلك وأراد الجواب فقال مدحا لما أراده ومعرضا أحسن عندى من ليل يسرى بى فيه على مثل هذا يوم على الحال التى قال فيها القائل

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وانما عرض للاسكندرانى بأنه كان يشهد مجالس الراحات فى أوّل أمره ومعرفة الغناء فقلق الوزير وشكاه الى الحاجب عيسى بن شهيد فاجتمع مع الزجالى وأخذ معه فى ذلك فحكى له الزجالى ماجرى من الاوّل الى الآخر وأنشد

وما الحر الا من يدين بمثل ما * يدان ومن يخنى القبيح وينصف

هم شرعوا التعريض قذفا فعندما * تبعناهم لاموا عليه وعنفوا

ومن نوادر ابنه حامد انه غلط امامه فى قوله تعالى الزانية والزانى بأن قال فانكحوهما فانشده حامد

أبدع القارئ معنى * لم يكن فى الثقلين

أمر الناس جميعا * بنكاح الزانيين

وقال لبعض أصحابه حينئذ أما سمعت ما أتى به امامنا من تبديل الحدود وتضاحكا * وكتب الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز الى المنصور صاحب بلنسية ويعرف بالمنصور الصغير قطعة أولها

يا أحسن الناس آدابا وأخلاقا * وأكرم الناس أغصانا وأوراقا

قيس يعزله عن أذربيجان وأرمينية وكان عاملا لعثمان فكان فى نفس الاشعث على على ماذكرنا من العزل وماخاطبه به حين قدم عليه فيما اقتطع هنالك من الاموال ووجه بجرير بن عبد الله الى معاوية وقد كان جرير قال لعلى ابعثنى اليه فانه لم يزل لى مستنصحا وودادا فآتيه وأدعوه الى أن يسلم هذا الامر وأدعو أهل الشام الى طاعتك فقال الاشتر لا تبعثه ولا تصدقه فوالله انى لاظن هواه هواهم ونيته نيتهم فقال على دعه حتى ننظر ما يرجع به الينا فبعثه وكتب الى معاوية معه يعلمه بمبايعة المهاجرين والانصار اياه واجتماعهم عليه ونكث الزبير وطلحة وما أوقع الله بهما ويأمره بالدخول فى طاعته ويعلمه أنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة فلما قدم عليه جرير دافعه وسأله ان ينتظره وكتب الى عمرو بن العاص على ما تقدم فى صدر هذا الباب فاشار عليه عمرو بالبعثة الى وجوه الشام وان يلزم عليا دم عثمان ويقاتلهم به فقدم جرير على على فاخبره خبرهم واجتماع اهل الشام مع معاوية على قتاله وانهم يبكون على عثمان ويقولون ان عليا قتله وآوى قتلته ومنع منهم وانهم لابد لهم من قتاله حتى يفنوه او يفنيهم فقال الاشتر قد كنت اخبرتك

ويا حيا

ويا حيا الارض لم تنكبت عن سنني * وسقت بحوى ارعادا وابراقا
و ياسنى الشمس لم اظلمت فى بصرى * وقد وسعت بلاد الله اشراقا
من أى باب سعت غير الزمان الى * رحيب صدرك حتى قيل قد ضاقا
قد كنت أحسبنى من حسن رأيك لى * أنى أخذت على الآيام ميثاقا
فالآن لم يبق لى بعد انحرافك لى * أسى عليه وأبدى منه اشفاقا

فاجابه بهذه القطعة

مازلت أوليك اخلاصا واشفاقا * وانثنى عنك مهما غبت مشتاقا
وكان من أملى ان أقتنيك أخا * فاخفق الامل المأمول اخفاقا
فقلت غرس من الاخوان أكلؤه * حتى أرى منه أثمارا واوراقا
فكان لما زها ازهاره ودنا * اثمارها حنظلا مر المذاقا
فلست اول اخوان سقيتهم * صفوى واعلقتهم بالقلب اعلاقا
فما جزونى باحسانى ولا عرفوا * قدرى ولا حفظوا عهدا وميثاقا

والوزير المذكور قال فى حقه فى المطمع انه وزير المنصور بن عبد العزيز ورب السبق فى وده والتبريز ومنقض الامور ومبرمها ومخمد الفتن ومضرمها اعتقل بالرهى واستقل بالامر والنهى على انتهاض بين الاكفاء واعتراض المحو لرسومه والاعفاء فاستمر غير مراقب وامر ماشاء غير ممتثل للعواقب ينتضى عزائم تنتضى فان الملمت من الايام مظلمة اضا الى ان اودى وغار منه الكوكب الاهدى فانتقل الامر الى ابنه ابى بكر فناهيك من اى عرف ونكر فقدر بى على الدها وما صبا الى الظبية والمها واستقل بالهول يقتحمه والامر يسديه ويلحمه فاى ندى افاض واى اجنحة عدى هاض فانقادت اليه الآمال بغير خطام ووردت من نداه بحر رطام ولم يزل بالدولة قائما وموقظا من بهجتها ما كان نائما الى ان صار الامر الى المأمون بن ذى النون اسد الحروب ومسدد الثغور والدروب فاعتمد عليه واتكل ووكل الامر الى غير وكل فما تعدى الوزارة الى الرياسة ولا تردى بغير التدبير والسياسة فتركه مستبدا ولم يجد من ذلك بدا وكان ابو بكر هذا ذا رفعة غير متضائلة وآراء لم تكن آفلة ادرك بها ما احب وقطع غارب كل منافس وجب الى ان طلحه العمر وانضاه واغمده الذى انتضاه فخلا الامر الى ابنيه فتبلدا فى التدبير ولم يفرقا بين القبيل والدبير فغلب عليهما القادر بن ذى النون وجلب اليهما كل جلب ما خلا المنون فانجلوا بعدما القوا ما عندهم وتخلوا وكان لابى عبد الله نظم مستبدع يوضع بين الجوانح ويودع انتهى المقصود من الترجمة * وكان للوزير ابى الفرج ابن مكبود قد اعياه علاجه وتهيأ لافساد مزاجه فدل على خمر قديمة فلم يعلم بها الا عند حكم وكان وسيما للعسس قسيما فكتب اليه

ارسل بها مثل ودك * ارق من ماء خدك
شقيقة النفس فانضح * بها جوى ابنى وعبدك

وكتب رحمه الله تعالى معتذرا عما جناه منذرا

يا امير المؤمنين بعداوته وغشه لو بعثتنى لكنت خيرا من هذا الذى ارخى خناقه واقام حتى لم يدع بابا نرجو منه الا فتحه ولا بابا يخاف منه الا أغلقه فقال جرير لو كنت ثم لقتلوك والله لقد ذكروا انك من قتلة عثمان قال الاشتر لو أتيتهم والله يا جرير لم يعينى جوابهم ولا ثقل على خطابهم ولحملت معاوية على خطة اعجلته فيها عن الفكر ولو اطاعنى امير المؤمنين قبل لحبسك واشباهك فى محبس فلا تخرجون منه حتى يستقيم هذا الامر فخرج جرير عند ذلك الى بلاد قرقيسيا والرحبة من شاطئ الفرات وكتب الى معاوية يعلمه ما نزل به وأنه أحب مجاورته والمقام فى داره فكتب اليه معاوية بالمسير اليه وبعث معاوية الى المغيرة بن شعبة الثقفى عند منصرف على من الجمل وقبل مسيره الى صفين بكتاب يقول فيه قد ظهر من رأى ابن أبى طالب ما كان يقدم من وعده لك فى طلحة والزبير فما الذى بقى فى رأيه فينا وذلك أن المغيرة بن شعبة لما قتل عثمان وبايع الناس عليا دخل عليه المغيرة فقال يا أمير المؤمنين ان لك عندى نصيحة فقال وماهى قال ان أردت أن يستقيم لك ما أنت فيه فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة والزبير بن العوام على البصرة وابعث الى معاوية

ما تعيبت عنك الا لعذر * ودليلي في ذاك حرصي عليكا
هبك ان الفرار من غير ذنب * أتراه يكون الا اليكا

وقال في المطمح في حق ابي الفرج من ثنية رياسة وعترة نفاسة مامنهم الا من تحلى بالامارة وتردى بالوزارة واضاء في آفاق الدول ونهض بين الخيل والخول وهو احد أمجادهم ومتقلد نجادهم فاقهم أدبا ونبلا وباراهم كرما تخاله وبلا الا انه بقي وذهبوا ولقي من الايام مارهبوا فعاين تنكرها وشرب عكرها وجال في الآفاق واستدر أخلاف الارزاق وأجال الرجاء قداحا متواليات الاخفاق فاخمل قدره وتوالى عليه جور الزمان وغدره فاندفنت آثاره وعفت أخباره وقد أثبت له بعض ماقاله وحاله قد أدبرت والخطوب اليه قد انبرت أخبرني الوزير الحكيم أبو محمد المصري وهو الذي آواه وعنده استقرت نواه وعليه كان قادما وله كان منادما انه رغب اليه في أحد الايام أن يكون من جملة ندمائه وأن لا يحجب عنه وتكون منة من أعظم نعمائه فاجابه بالاسعاف واستساغ منه ما كان يعاف لعلمه بقلته وافراط خلته فلما كان ذلك اليوم كتب اليه

أنا قد أبهت بكم وكلكم هدى * وأحقكم بالشكر مني السابق
فالشمس أنت وقد أظل طلوعها * فاطلع وبين يديك فجر صادق انتهى

وقال الوزير أبو عامر بن مسلمة

حج الحجيج منى ففازوا بالمنى * وتفرقت عن خيفه الاشهاد
وانا ابو جهل لحجة مبرورة * في كل يوم تنقضي وتعاد

وقال الفتح في حقه ماصورته بيت شرف باذخ ومفخر على ذوائب الجوزاء شامخ وزروا للخلفاء فانتجعتهم الادباء واتبعتهم العظماء وانتسبت لهم النعماء وتنفست عن نور بهجتهم الظلماء وابو عامر هذا هو جوهرهم المنتخل وجوادهم الذي لا يبخل وزعيمهم المعظم وسلك مفخرهم المنظم وكان فتى المدام ومستفتى الندام وأكثر من النعت للراح والوصف وآثر الافراح والقصف واري قينات السرور مجلوّة وآيات الحسن متلوّة وله كتاب سماه حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح واختص بالمعتضد اختصاصا جرعه رداه وصرعه في مداه فقد كان في المعتضد من عدم تحفظه للارواح وتهاونه باللوام في ذلك والواح فاطمأن اليه أبو عامر واغتر وأنس الى ما ابتسم من مؤانسته وافتر حتى أمكنته في اغتياله فرصة لم يعلق بها حصة ولم ضيق عليه الا انه زلت به قدمه فسقط في البحيرة وانكفا ولم يعلم به الا بعد ما طفا فاخرج وقد قضى وادرج منه في الكفن حسام المجد منتضى فمن محاسنه قوله يصف السوسن وهو مما ابدع فيه واحسن

وسوسن راق مرآه ومخبره * وجل في اعين النظار منظره
كانه اكؤس البلور قد صنعت * مسدسات تعالى الله مظهره
وبينها ألسن قد طوقت ذهبا * من بينها قائم بالملك يؤثره

بعهده على الشام حتى تلزمه طاعتك فاذا استقر قرارها رأيت فيه رأيك قال اما طلحة والزبير فسأرى رأيي فيهما واما معاوية فلا والله لا يراني الله أستعين به مادام على أبدا ولكني أدعوه الى ما عرفته فان اجاب والا حاكمته الى الله فانصرف المغيرة وقال

نصحت عليا في ابن هند مقالة * فردت فلا يسمع لها الدهر ثانيه
وقلت له أرسل اليه بعهده * على الشام حتى يستقر معاويه
ويعلم اهل الشام أن قد ملكته * وام ابن هند عند ذلك هاويه
فلم يقبل النصح الذي جئته به * وكانت له تلك النصيحة كافيه

(قال المسعودي) رحمه الله وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ما كان من المغيرة مع علي وما اشار به وهذا احد الوجوه المروية في ذلك فهذه جوامع ما يحتاج اليه من اخبار يوم الجمل وما كان فيه دون الاكثار والتطويل وتكرار الاسانيد في ذلك والله ولي التوفيق

(ذكر جوامع مما كان بين اهل العراق واهل الشام بصفين)

الى ان قال واجتمع بجنة بخارج اشبيلية مع اخدان له علية فبينما هم يديرون الراح ويشربون من كاسها الافراح والجو صاح اذ بالافق قد غيم وارسل الديم بعدما كسا الجو مطارف الرذاذ واشعر الغصون دهر قباذ والشمس منتقبة بالسحاب والرعد يبكيها بالانتحاب فقال

يوم كأن سحابه * لبست عمامات الصوامت
حجبت به شمس الضحى * بمثال اجنحة الفواخت
والغيث يبكي فقدها * والبرق يضحك مثل شامت
والرعد يخطب مفصحا * والجو كالمحزون ساكت

وخرج الى تلك الخميلة والربيع قد نشر رداه ونثر على معاطف الغصون نداه فاقام بها وقال

وخميلة رقم الزمان اديمها * بمفضض ومقسم ومشوب
رشفت قبيل الصبح ريق غمامة * رشف المحب مراشف المحبوب
وطردت في أكنافها ملك الصبا * وقعدت واستوزرت كل أديب
وأدرت فيها الدهر كاس مدامة * مع كل وضاح الجبين مهوب

وقال الوزير الكاتب أبو حفص أحمد بن برد

قلبي وقلبك لامحالة واحد * شهدت بذلك بيننا الالحاظ
فتعال فلنغظ الحسود بوصلنا * ان الحسود بمثل ذاك يغاظ

وقال

يامن حرمت لذاذتي بمسيره * هذي النوى قد صعرت لي خدها
زودجفوني من جمالك نظرة * والله يعلم ان رأيتك بعدها

وقال في المطمح في ابن برد المذكور انه غذي بالادب وعلا الى أسمى الرتب ومامن أهل بيته الا شاعر كاتب ملازم لباب السلطان مراقب ولم يزل في الدولة العامرية بسبق يذكر وحق لا ينكر وهو بديع الاحسان بليغ القلم واللسان مليح الكتابة فصيح الخطابة وله رسالة السيف والقلم وهو أوّل من قال بالفرق بينهما وشعره مثقف المباني مرهف كالحسام اليماني وقد أثبت منه مايلهيك سماعا ويريك الاحسان لماعا فمن ذلك قوله يصف البهار

تأمل فقد شق البهار كمائما * وأبرز عن نوّاره الخضل الندى
مداهن تبر في أنامل فضة * على أذرع مخروطة من زبرجد

وله يصف معشوقا أهيف القد ممشوقا أبدى صفحة ورد وبدا في ثوب لازورد

لما بدا في لازور * دي الحرير وقد بهر
كبرت من فرط الجما * ل وقلت ماهذا بشر
فأجابني لاتنكرن * ثوب السماء على القمر

وقال الوزير الكاتب أبو جعفر بن اللماي

ألما فديتكما نستلم * منازل سلمى على ذي سلم

(قال المسعودى) رحمه الله وقد ذكرنا جملا وجوامع من اخبار على رضى الله عنه بالبصرة وما كان يوم الجمل فلنذكر الآن جوامع من سيره الى صفين وما كان فيها من الحروب ثم نعقب ذلك بشأن الحكمين والنهروان ومقتله عليه السلام وكان سير على من الكوفة الى صفين لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر الانصارى فاجتاز فى مسيره بالمدائن ثم أتى الانبار وسار حتى نزل الرقة فعقد له هناك جسر افعبر الى جانب الشام وقد تنوزع فى مقدار ما كان معه من الجيش فمكثر ومقلل والمتفق عليه من قول الجميع تسعون ألفا وقال رجل من أصحاب على لما استقروا ممايلى الشام من أبيات كتب بها الى معاوية

اثبت معاوى قد أتاك الجافل
تسعون ألفا كلهم مقاتل
عما قليل يضمحل الباطل

وسار معاوية من الشام وقد تنوزع فى مقدار من كان معه فمكثر ومقلل والمتفق عليه من قول الجميع خمس وثمانون ألفا فسبق عليا الى صفين وعسكر فى موضع سهل افيح اختاره قبل قدوم على على شريعة لم يكن على الفرات فى ذلك الموضع

مناز ل كنت بها نازلا * زمان الصبا بين جيد وفم
أما تجدن الثرى عاطرا * اذا ما الرياح تنفسن ثم

وقال فى المطمع فيه امام من أئمة الكتابة ومفجر ينبوعها والظاهر على مصنوعها بمطبوعها اذا كتب نثر الدر فى المهارق وغمت فيه أنفاسه كالمسك فى المهارق وانطوى ذكره على انتشار احسانه مع امتداد لسانه فلم تظل لدوحه فروع ولا اتصل لها من نهر الاحسان كروع فاندفنت محاسنه من الاهمال فى قبر وانكسرت الآمال بعدم بدائعه كسرا بعد جبر وكان كاتب على بن حمود العلوى وذكر انه كان يرتجل بين يديه ولا يروّى فيأتى على البديه بما يفعله المروّى ويبديه فمن ذلك ما كتب به متفننا من ضمن رسالة روض القلم فى فنائك مونق وغصن الادب بمائك مورق وقد قذف بحر الهند درره وبعث روض نجد زهره فاهدى ذلك على يدى فلان الجارى فى جهده على مبانى قصده *وقال الوزير حسان بن مالك بن أبى عبدة فى المهرجان

أرى المهرجان قد استبشرا * غداة بكى المزن واستعبرا
وسربلت الارض امواهها * وجللت السندس الاخضرا
وهز الرياح صنابيرها * فضوّعت المسك والعنبرا
تهادى به الناس الطافه * وسامى المقل به المكثرا

وقال فى حقه فى المطمع من بيت جلالة وفخر أصالة كانوا مع عبد الرحمن الداخل وتوغلوا معه فى متشعبات تلك المداخل وسعوا فى الخلافة حتى حضر مبايعها وكثر مشايعها وجدوا فى الهدنة وانعقادها وأخمدوا نار الفتنة عند اتقادها فانبرمت عراها وارتبطت أولاها وأخراها فظهرت البيعة واتضحت وأعلنت الطاعة وأفصحت وصاروا تاج مفرقها ومنهاج طرقها وهو ممن بلغ الوزارة بعد ذلك وأدركها وحل مطلعها وفلكها مع اشتهار فى اللغة والآداب وانخراط فى سلك الشعراء والكتاب وابداع لما ألف وانتهاض بما تكلف ودخل على المنصور وبين يديه كتاب ابن السرى وهو به كلف وعليه معتكف فخرج وعمل على مثاله كتابا سماه ربيعة وعقيل جرده من ذهنه أى سيف صقيل وأتى به منتسخا مصوّرا فى ذلك اليوم من الجمعة الاخرى وأبرزه والحسن يتبسم عنه ويتفرى فسر به المنصور وأعجب ولا غاب عن بصره ساعة ولا حجب وكان له بعد هذه المدة حين أدجت الفتنة ليلها وأزجت ابلها وخيلها اغتراب كاغتراب الحرث بن مضاض واضطراب بين القوافى والمواضى كالحية النضناض ثم اشتهر بعد وافترله السعد وفى تلك المدة يقول يتشوّق الى أهله

سقى بلدا أهلى به وأقاربى * غواد بأثقال الحيا وروائح
وهبت عليهم بالعشى وبالضحى * نواسم برد والظلال فوائح
تذكرتهم والنأى قد حال دونهم * ولم أنس لكن أوقد القلب لافح
ومما شجانى هاتف فوق أيكة * ينوح ولم يعلم بما هو نائح
فقلت اتئد يكفيك أنى نازح * وأن الذى أهواه عنى نازح

أسهل منها للوارد الى الماء وماعداها أخراق عالية ومواضع الى الماء وعرة ووكل أبا الاعور السلمى بالشريعة مع أربعين ألفا وكان على مقدمته وبات على وجيشه فى البر عطاشا قد حيل بينهم وبين الورود الى الماء فقال عمرو بن العاص لمعاوية ان عليا لايموت عطشا هو وتسعون ألفا من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم ولكن دعهم يشربون ونشرب فقال معاوية لا والله أو يموتوا عطشا كما مات عثمان وعلى يدور فى عسكره بالليل فسمع قائلا وهو يقول

أيمنعنا القوم ماء الفرات * وفينا الرماح وفينا الجحف
وفينا على له صولة * اذا خوّفوه الردى لم يخف
ونحن غداة لقينا الزبير * وطلحة خضنا غمار التلف
فما بالنا الامس أسد العرين * وما بالنا اليوم شاء النجف

وألقى فى فسطاط الاشعث ابن قيس رقعة فيها

لئن لم يجل الاشعث اليوم كربة * من الموت عنا للنفوس تعلت
ونشرب من ماء الفرات بسيفه * فهبنا اناسا قبل كانوا افرّت

فلما قرأها حمى وأتى عليا رضى الله عنه فقال له اخرج فى أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم فى وسط عسكر معاوية فتشرب

ولى

ولي صبية مثل الفراخ بقفرة * متى خاضتا فيها طحتها الطوائح
اذا عصفت ريح أقامت رؤسها * فلم يلقها الا طيور بوارح
فمن لصغار بعد فقد أبيهم * سوى سانح في الدهر لو عن سانح

واستوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام أيام الفتنة فلم يرض بالحال ولم يمض في ذلك الانتحال وتثاقل عن الحضور في كل وقت وتغافل في ترك الغرور وبذلك المقت وكان المستظهر يستبد بأكثر تلك الامور دونه وينفرد مغيبا عنه شؤنه فكتب اليه

اذا غبت لم أحضر وان جئت لم أسل * فسيان مني مشهد ومغيب
فأصبحت تيميا وما كنت قبلها * لتيم ولكن الشبيه نسيب

وله
رأت طالعا للشيب بين ذوائبي * فباحت بأسرار الدموع السواكب
وقالت أشيب قلت صبح تجاربي * انار على أعقاب ليل نوائبي

ولما مات رثاه الوزير أبو عامر بن شهيد بقوله

أفي كل عام مصرع لعظيم * أصاب المنايا حادثي وقديمي
وكيف اهتدائي في الخطوب اذا دجت * وقد فقدت عيناي ضوء نجوم
مضى السلف الوضاح الا بقية * كغرة مسود القميص بهيم
فان ركبت مني الليالي هضيمة * فقبلي ما كان اهتضام تميم
أبا عبدة انا غدرناك عندما * رجعنا وغادرناك غير ذميم
أنخذل من كنا نروض بأرضه * ونكرع منه في اناء علوم
ويجلو العمى عنا بأنوار رأيه * اذا أظلمت ظلماء ذات غيوم
كأنك لم تلقح بريح من الحجا * عقائم افكار بغير عقيم
ولم نعتمد مغناك غدوا ولم نزد * رواحا لفصل الحكم دار حكيم انتهى

وقال الوزير الفقيه ابو ايوب بن امية

أمسك دارين حياك النسيم به * ام عنبر الشحر ام هذى البساتين
بشاطئ الروض حيث الروض مؤتلق * والراح تعبق ام تلك الرياحين

وحلاه في المطمح بقوله واحد الاندلس الذي طوقها فخارا وطبقها باوانه افتخارا ما شئت من وقار لا تخيل الحركة سكونه ومقدار يتمنى مخبر أن يكونه اذا لاح رايت المجد مجتمعا واذا فاه اضحى كل شئ مستمعا تكتحل منه مقل المجد وتنتحل المعالي افعاله انتحال ذي كلف بها و وجد لو تعرفت في الخلق سجاياه لحمدت الشيم واستسقيت بمحياه لما استمسكت الديم ودعي للقضاء فارضى واعفي عنه فكانه ما استقضى لديه تثبت الحقائق وتبينت العلائق وبين يديه يسلك عين الجدد ويدع اللدد للدد وله ادب اذا حاضر به فلا البحر اذا عصف ولا ابو عثمان اذا وصف مع حلاوة فيما شاءه تستهوي تحبيره وانشاءه وقد اثبت له بدعا يثني اليها الاحسان جيدا واخدعا فمن ذلك قوله في منزل حله متنزها

يامنزل الحسن اهواه وآلفه * حقا لقد جمعت في صحنك البدع

لاوردن خيلي الفراتا
شعث النواصي أو يقال ماتا
ثم دعا على الاشتر فسرحه في أربعة آلاف من الخيل والرجالة فصار يوم الاشعث صاحب رايته وهو رجل من النخع يرتجز ويقول
يا أشتر الخيرات ياخير النخع
وصاحب النصر اذا عال الفزع
قد خرج القوم وعالوا بالفزع
ان تسقنا اليوم فما هو بالبدع
ثم سار علي رضي الله عنه وراء الاشتر بباقي الجيش ومضى الاشعث فارد وجهه حتى هجم على عسكر معاوية فازال أبا الاعور عن الشريعة وغرق منهم بشرا وخيلا وأورد خيله الفرات وذلك ان الاشعث داخلته الحمية في هذا اليوم وكان يقدم رمحه ثم يحث أصحابه فيقول ارجوهم مقدار هذا الرمح فيزيلوهم عن ذلك المكان فبلغ ذلك من فعل الاشعث عليا فقال هذا اليوم نصرنا فيه بالحمية وفي ذلك يقول رجل من أهل العراق
كشف الاشعث عنا
كربة الموت عيانا
وارتحل معاويةعن

لله ما اصطنعت نعماك عندى فى * يوم نعمت به والشمل مجتمع

وحل منية صهره الوزير ابى مروان بن الدب بعدوة اشبيلية المطلة على النهر المشتملة على بدائع الزهر وهو معرس بنته فأقام بها اياما متأنسا وبجذوة السرور مقتبسا واولاه من التحف واهدى اليه من الطرف ما غمر كثره وبهر نفاسة واثره فلما ارتحل وقد اكتحل من حسن ذلك الموضع بما اكتحل كتب اليه

قل للوزير وان الشكر من منن * جاءت على سنن تترى وتتصل
غشيت مغناك والروض الانيق به * يندى وصوب الحيا يهمى وينهمل
وجال طرفى فى ارجائه مرحا * وقت اجتيازى يستعلى ويستفل
يرنو بلفتته حيث ارتمى زهر * عليه من منثنى أفنانه كلل
محل أنس نعمنا فيه آونة * من الزمان وواتانا به الأمل

وحل بعد ذلك متنزها بها على عادته فاحتفل فى موالاة ذلك البر واعادته فلما رحل كتب اليه

يا دار أمنك الزما * ن صروفه ونوائبه
ودنت سعودك بالذى * يهوى نزيلك آيبه
فلنعم ماوى الضيف أنت اذا تحاموا جانبه
خطر شأوت به الدنا * وأذعنت لك قاطبه

وصنع له ابن عبد الغفور رسالة سماها بالساجعة حذا بها حذو أبى العلاء المعرى فى الصاهل والساجع وبعث بها اليه فعرضها عليه فأقامت عنده أياما ثم استدعاها منه فصرفها اليه وكتب معها بكر زففتها أعزك الله تعالى نحوك وهززت بعقدها سماك وسروك فلم ألفظها عن شبع ولا جهلت ارتفاعها عما يجتلى من نوعها ويستمع ولكن لما أنست من أنسك بانتجاعها وحرصك على ارتجاعها دفعت فى صدر الولوع وتركت بينها وبين مجاثمها تلك الربوع حيث الادب غض وماء البلاغة مرفض فأسعد أعزك الله بكرتها وسلها عن افانين معرتها بما تقطفه من ثمارك وتغرفه من بحارك وترتاح له ولاخوانه من نتائج أفكارك وانها الشنشنة أعرفها فيكم من أخزم وموهبة ختموها وأحرزتم السبق فيها منذ كم انتهى * وابن عبد الغفور هو الوزير أبو القاسم الذى قال فيه الفتح فتى زكا فرعا وأصلا وأحكم البلاغة معنى وفصلا وجرد من ذهنه على الاغراض نصلا قدها به وفراها وقدح زند المعالى حتى أوراها مع صون يرتديه ولا يكاد يبديه وشبيبة ألحقته بالكهول فأقفرت منه ربعها المأهول وشرف ارتداه وسلف اقتدى أثره الكريم واقتداه وله شعر بديع السرد مفوف البرد وقد اثبت له منه ما الفيت وبالدلالة عليه اكتفيت فن ذلك قوله

تركت التصابى للصواب واهله * وبيض الطلى للبيض والسمر للسمر
مدامى مدادى والكؤس محابرى * وندماى اقلامى ومنقلتى سفرى

وله

لا تنكروا اننى فى رحلة ابدا * نحث فى نقف طورا وفى هدف

فدهرنا

الموضع وورد الاشتر وقد فى الموضع الذى كان فيه معاوية فقال معاوية لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله ما ظنك بالرجل اتراه يمنعنا الماء لمنعنا اياه وقد انحاز باهل الشام الى ناحية فى البر نائيا عن الماء فقال له عمرو لا ان الرجل جاء لغير هذا وانه لا يرضى حتى تدخل فى طاعته أو يقطع حبال عاتقك فارسل اليه معاوية يستأذنه فى وروده مشرعته واستقاء الناس من طريقه ودخل رسله عسكره فاباحه على كل ما سأل وطلب منه ولما كان أول يوم من ذى الحجة بعد نزول على على هذا الموضع بيومين بعث الى معاوية يدعوه الى اتحاد الكلمة والدخول فى جماعة المسلمين وطالت المراسلة بينهما فاتفقوا على الموادعة الى آخر المحرم سنة سبع وثلاثين وامتنع المسلمون عن الغزو فى البحر والبر لشغلهم بالحروب وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله اليه لشغله بعلى ولم يتم بين على ومعاوية صلح على غير ما اتفقا عليه من الموادعة فى المحرم وعزم القوم على الحرب بعد انقضاء المحرم ففى ذلك يقول حابس بن سعد الطائى صاحب راية معاوية

فدهـرنا سـدفة ونحن انجمها * وليس ينكر مجرى النجم فى السدف
لو اسفر الدهر لى أقصرت عن سفرى * وملت عن كلفى بهذه الكلف

وله من قصيدة

رويدك يا بدر التمام فاننى * أرى العيس حسرى والكواكب طلعا
كأن اديم الصبح قد قد انجما * وغودر درع الليـل فيها مرقعا
فانى وان كان الشباب محببا * الى وفى قلبى اجل واوقعا
لآنف من حسن بشعرى مفترى * وآنف من حسن بشعرى قنعا انتهى

وقال الوزير ابو الوليد بن حزم

اليك اباحفص وما عن ملالة * ثنيت عنانى والحبيب حبيب
مقالا يطير الجمر عن جنباته * ومن تحته قلب عليك يذوب
مضت لك فى أفياء ظلى صـولة * لها بين احناء الضلوع دبيب
ولكن ابى الا اليك التفاتة * فزاد عليه من هواك رقيب
وكم بيننا لو كنت تحمد ما مضى * اذ العيش غض والزمان قشيب
وتحت جناح الغيم احشاء روضة * بها لخفوق العاصفات وجيب
وللزهر فى ظل الرياض تبسم * وللطير منها فى الغصون نحيب

وقال فى الزهد

ثلاث وستون قد جزتها * فماذا تؤمل او تنتظر
وحل عليك نذير المشيب * فما ترعوى اوفما تزدجر
تمر لياليك مراحثيثا * وانت على ما ارى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضى * من العمر لاعتضت خيرا بشر
فمالك لا تستعد اذن * لدار المقام ودار المقر
أترغب عن نجأة للمنون * وتعلم أن ليس منها مفر
فامالى جنة أزلفت * واما الى سقر تستعر

وقال ابن أبى زمنين

الموت فى كل حين ينشر الكفنا * ونحن فى غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن الى الدنيا وبهجتها * وان توشحت من أثوابها الحسنا
أين الاحبة والجيران ما فعلوا * أين الذين هم كانوا لنا سكنا
سقاهم الموت كاسا غير صافية * فصيرتهم لاطباق الثرى رهنا
تبكى المنازل منهم كل منسجم * بالمكرمات وترثى البر والمننا
حسب الحمام لو أبقاهم وأمهلهم * أن لا يظن على معلومه حسنا

وقال فى المطمح الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبى زمنين فقيه متبتل وزاهد لا منحرف الى الدنيا ولا منفتل هجرها هجر المنحرف وحل أوطانه فيها محل المعترف لعلمه بارتحاله عنها وتفويضه وابداله منها وتعويضه ينظر بقلبه لا بعينه وانتظر يوم فراقه وبينه ولم

الشمس بعث الى أهل الشام انى قد احتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم اليه وانى قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فلم يردوا عليه جوابا الا السيف بيننا وبينك أو يهلك الاعجز منا وأصبح على يوم الاربعاء وكان أول يوم من صفر فعبأ الجيش وأخرج الاشتر أمام الناس وأخرج اليه معاوية وقد تصاف أهل الشام وأهل العراق حبيب ابن مسلم الفهرى وكان بينهم قتال شديد واسفرت عن قتلى من الفريقين جميعا وانصرفوا فلما كان يوم الخميس وهو اليوم الثانى أخرج على هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الزهرى المرقال وهو ابن أخى سعد ابن أبى وقاص وانما سمى المرقال لانه كان يرقل فى الحرب وكان أعور ذهبت عينه يوم اليرموك وكان من شيعة على وقد أتينا على خبره فى اليوم الذى ذهبت فيه عينه وحسن بلائه فى ذلك اليوم فى الكتاب الاوسط فى فتوح الشام فاخرج اليه معاوية أبا الاعور السلمى وهو سفيان ابن عوف وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن على وكان بينهم الحرب سجالا وانصرفوا فى آخر يومهم عن قتلى كثير واخرج

يكن له بعد ذلك بها اشتغال ولا فى شعاب تلك المسالك ايغال وله تآليف فى الوعظ والزهد وأخبار الصالحين تدل على تخليته عن الدنيا واتراكه والتفلت من حبائل الاغترار وأشراكه والتنقل من حال الى حال والتأهب للارتحال ويستدل به على ذلك الانتحال فمنها قوله الموت فى كل حين ينشر الكفنا * فذكر الابيات انتهى وقال خلف بن هرون يمدح الحافظ أبا محمد بن حزم

يخوض الى المجد والمكرمات * بحار الخطوب وأهوالها

وان ذكرت للعلا غاية * ترقى اليها وأهوى لها

وقال فى المطمح فيه فقيه مستنبط ونبيه بقياسه مرتبط ماتكلم تقليدا ولاعدا اختراعا وتوليدا ماتمنت به الاندلس أن تكون كالعراق ولاحنت الانفس معه الى تلك الآفاق أقام بوطنه ومابرح عن عطنه فلم يشرب ماء الفرات ولم يقف عيشة الثمرات ولكنه أربى على من من ذلك غذى وأزرى على من هنالك نعل وحذى تفرد بالقياس واقتبس نار المعارف أى اقتباس فناظر بها أهل فاس وصنف وحبر حتى أفنى الانفاس ونابذ الدنيا وقد تصدت له بأفتن محيا وأهدت اليه أعبق عرف وريا وخلع الوزارة وقد كسته ملاها والبسته حلاها وتجرد للعلم وطلبه وجد فى اقتناء نخبه وله تآليف كثيرة وتصانيف أثيرة منها الايصال الى فهم كتاب الخصال وكتاب الاحكام لاصول الاحكام و كتاب القصد فى الاهواء والملل والنحل و كتاب مراتب العلوم وغير ذلك مما لم يعطر مثله من هنالك مع سرعة الحفظ وعفاف اللسان واللحظ وفيه يقول خلف بن هرون * يخوض الى المجد والمكرمات * ولابن حزم فى الادب سبق لاينكر وبديهة لايعلم انه روى فيها ولافكر وقد أثبت من شعره مايعلم انه أوحد ومامثله فيه أحد ثم ذكر جملة من نظمه ذكرناها فى غير هذا الموضع وكتب أبو عبد الله بن مسرة الى أبى بكر اللؤلؤى يستدعيه فى يوم طين ومطر لقضاء أرب من الانس ووطر

أقبل فان اليوم يوم دجن * الى مكان كالضمير مكنى

لنا بحكم فيه أشهى فن * فأنت فى ذا اليوم أشهى منى

وقال فى المطمح ان ابن مسرة كان على طريق من الزهد والعبادة سبق فيها وانتسق فى سلك مقتفيها وكانت له اشارات غامضة وعبارة عن منازل الملحدين غير داحضة ووجدت له مقالات رديه واستنباطات مرديه نسب بها اليه رهق وظهر له فيها أمر حل عن الرشد وزهق فتتبعت مصنفاته بالحرق واتسع فى استباحتها الخرق وغدت مهجورة على التالين محجورة وكان له تنميق فى البلاغة وتدقيق لمعانيها وتزويق لاغراضها وتشييد لمبانيها انتهى وهو من غلاة الصوفية الذين تكلم فيهم والتسليم أسلم والله تعالى بأمرهم أعلم * (ومن حكايات أهل الاندلس) فى الانقباض عن السلطان والفرار من المناصب مع العذر اللطيف ماحكاه فى المطمح فى ترجمة الفقيه أبى عبد الله الحسنى اذ قال كان فصيح اللسان جزيل البيان وكان أنوفا منقبضا عن السلطان لم يتشبث بدنيا ولم ينكث له مبرم عليا دعاه الامير محمد الى القضاء فلم يجب ولم يظهر رجاءه المحتجب وقال أبيت عن أمانة هذه الديانة كما أبت

على فى اليوم الثالث وهو يوم الجمعة أبا اليقظان عمار بن ياسر فى عدة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والانصار فيمن شرع معهم من الناس وأخرج اليه معاوية عمرو ابن العاص فى تنوخ وبهراء وغيرهما من أهل الشام وكانت بينهم سجالا الى الظهر ثم حمل عمار بن ياسر فيمن ذكرنا فازال عمرا عن موضعه وألحقه بعسكر معاوية واسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشام ودونهم من أهل العراق وأخرج على فى اليوم الرابع وهو يوم السبت ابنه محمد ابن الحنيفة فى همدان وغيرها ممن خف معه من الناس فأخرج اليه معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى حمير ولخم وجذام وقد كان عبيد الله بن عمر لحق بمعاوية تخوفا من على أن يقيده بالهرمزان وذلك أن أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قاتل عمر كان فى أرض العجم غلاما للهرمزان فلما قتل عمر شد عبيد الله على الهرمزان فقتله وقال لاأترك بالمدينة فارسيا ولافى غيرها الاقتلته وكان الهرمزان عليلا فى الوقت الذى قتل فيه عمر فلما صارت الخلافة الى على أراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله اياه ظلما من غير سبب استحقه فلجأ الى معاوية فاقتتلوا فى ذلك اليوم وكانت على أهل الشام ونجا ابن عمر

السموات والارض عن حمل الامانة ابايه اشفاق لا ابايه عصيان ونفاق وكان الامير قد أمر الوزراء باجباره أو حمل السيف ان تمادى على تأبيه واصراره فلما بلغه قوله هذا أعفاه قال وكان الغالب عليه علم النسب واللغة والادب ورواية الحديث وكان مأمونا ثقة وكانت القلوب على حبه متفقة وله رحلة دخل فيها العراق ثم عاد الى هذه الآفاق وعندما اطمأنت داره وبلغ اقصى مناه مداره قال * كأن لم يكن بين ولم تك فرقة * الابيات انتهى وهذه الابيات قدمناها في الباب الخامس في ترجمة القاضي ابن أبي عيسى فأنت ترى كلام الفتح قد اضطرب في نسبتها فمرة نسبها الى هذا ومرة نسبها الى ذاك وهي قطعة عرفها ذاك (ومن دعابات اهل الاندلس وملحهم) ما يحكى عن ابي الحلي وهو علي ابو الحلي الكناني ابو الحسن قال لسان الدين كان شيخا مليح الحديث حافظا للمسائل الفقهية قائما على الدولة مضطلعا بمشكلاتها كثير الحكايات يحكي انه شاهد غرائب وملحا فينمقها عليه بعض الطلبة ويتعدون ذلك الى الافتعال والمداعبة حتى جمعوا من ذلك جزأ سموه السالك والحلي في اخبار ابن أبي الحلي فمن ذلك أنه كانت له هرة فدخل البيت يوما فوجدها قد بلت احدى يديها وجعلتها في الدقيق حتى علق بها ونصبتها بازاء كوة فأر ورفعت اليد الاخرى لصيده فناداها باسمها فزوت رأسها وجعلت أصبعها على فمها على هيئة المشير بالصمت وأشباه ذلك وتوفي المذكور سنة ٤٠٦ قاله في الاحاطة (ومن اجوبة ملوك الاندلس) ان نزارا العبيدي صاحب مصر كتب الى المرواني صاحب الاندلس كتابا سبه فيه وهجاه فكتب اليه المرواني أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام فاشتد ذلك على نزار وأفحمه عن الجواب وحكى انه كتب الى العبيدي ملك مصر مفتخرا

ألسنا بني مروان كيف تبدلت * بنا الحال او دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

(ومن غريب ما يحكى من قوة اهل الاندلس وشجاعتهم) أن الامير حريز بن عكاشة من ذرية عكاشة بن محصن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بساحته اذفونش ملك ملوك الروم فبدأهم بخراب ضياعها وقطع الشجر فكتب اليه حريز ليس من أخلاق القدير الفساد والتدمير فان قدرت على البلاد فسدت ملكك ولو كان الملك في عشرة أمثال عددي لم ينزل لي بساحة ولا تمكن منها براحة فلما وصلته الرسالة عف وأمر بالكف وبعث الملك يرغبه في الاجتماع به فاسترهنه في نفسه عدة من ملوك الروم فأجاب الى ما ارتهن ولما ساروا الى المدينة البيضاء وهي قلعة رباح غربي طليطلة خرج حريز لابسا لأمة حربه يرمق الروم منه شخصا أوتي بسطة في الجسم والبسالة يتحدثون بآلات حربه ويتعجبون من شجاعة قلبه ولما وصل فسطاط الملك تلقته الملوك بالرحب والسعة ولما أراد النزول عن فرسه ركز رمحه فأبصر الملك منه هيئة تشهد له بما عنه حدث وهيبة يجزع للقائها الشجاع ويكترث فدعاه الى البراز عظيم أبطالهم فقال له الملك يا حريز أريد أن أنظر الى مبارزتك هذا البطل فقال له حريز المبارز لا يبارز الا كفاءه وان لي بينة على صدق قولي أن ليس لي فيهم كفؤ هذا رمحي قدر كزته فمن ركب واقتلعه بارزته كان واحدا او عشرة

في آخر النهار هربا وأخرج علي في اليوم الخامس وهو يوم الاحد عبد الله بن العباس فأخرج اليه معاوية الوليد بن عقبة بن أبي معيط فاقتتلوا وأكثر الوليد من سب بني عبد المطلب بن هاشم فقاتله ابن عباس قتالا شديدا وناداه ابرز الي يا صفوان وكان لقب الوليد وكانت الغلبة لابن عباس وكان يوما صعبا وأخرج علي في اليوم السادس وهو يوم الاثنين سعيد بن قيس الهمداني وهو سيد همدان يومئذ فأخرج اليه معاوية ذا الكلاع وكانت بينهما الى آخر النهار وأسفرت عن قتلى وانصرف الفريقان جميعا وأخرج علي في اليوم السابع وهو يوم الثلاثاء الاشتر في النخع وغيرهم فأخرج اليه معاوية حبيب ابن سلمة الفهري فكانت بينهم سجالا وصبر كلا الفريقين وتكاثروا وتواقفوا للحرب واسفرت عن قتلى منهما والجراح في أهل الشام أعم وخرج في اليوم الثامن وهو يوم الاربعاء علي رضي الله تعالى عنه بنفسه في الصحابة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والانصار وربيعة وهمدان قال ابن عباس رأيت في هذا اليوم عليا وعليه عمامة بيضاء وكأن عينيه سراجا سليط وهو يقف على طوائف الناس في مراتبهم يحثهم ويحرضهم حتى انتهى الي وأنا في كثيف من الناس

فركب عظيمهم فلم يهز الرمح من مكانه حين رامه ثم فعل ذلك مرارا فقال له الملك أرنى يا حريز كيف تقلعه فركب واشار بيده واقتلعه فعجب القوم ووصله الملك وأكرمه انتهى وكان حريز هذا شاعرا ولما اجتاز به كاتب ابن ذى النون الوزير ابو المطرف بن المثنى كتب اليه

يا فريدا دون ثانى * وهلالا فى العيان
عدم الراح فصارت * مثل دهن البلسان

فجاوبه حريز وهو يومئذ امير قلعته

يا فريد الايجارى * بين ابناء الزمان
جاء من شعرك روض * جاده صوب البيان
فبعثناها سلافا * كسجاياك الحسان

وكان لحريز كاتب يقال له عبد الحميد بن لاطون فيه تغفل شديد فامره ان يكتب الى المأمون ابن ذى النون فى شأن حصن دخله النصارى فكتب وقد بلغنى ان الحصن الفلانى دخله النصارى ان شاء الله تعالى فهذه الواقعة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن بل هى الحادثة الشاهدة باشراط الزمان فانا لله على هذه المصيبة التى هدت قواعد المسلمين وأبقت فى قلوبهم حسرة الى يوم الدين فلما وصل الكتاب للمأمون ضحك حتى وقع للارض وكتب لابن عكاشة جوابه وفيه وقد عهدناك منتقيا الامور نقادا لصغيرك وكبيرك فكيف جاز عليك أمر هذا الكاتب الابله الجلف واسندت اليه الكتب عنك دون أن تطلع عليه وقد علمت ان عنوان الرجل كتابه ورائد عقله خطابه وما أدرى من أى شئ يتعجب منه هل من تعليقه ان شاء الله تعالى بالماضى أم من حسن تفسيره للقرآن ووضعه مواضعه ام من تورعه عن تأويله الا بتوقيف من سماع عن امام أم من تهويله المطر على من يخاطبه ام من علمه بشأن هذا الحصن الذى لو انه القسطنطينية العظمى مازاد على عظمه وهوله شيأ ولو أن حقيرا يخفى عن علم الله تعالى لخفى عنه هذا الحصن ناهيك من صخرة حيث لا ماء ولا مرعى منقطع عن بلاد الاسلام خارج عن سلك النظام لا يعبره الا لص فاجر أو قاطع طريق غير متظاهر حراسه لا يتجاوزون الخمسين ولا يرون خبز البر عندهم الا فى بعض السنين باعه احدهم بعشرين دينارا ولعمرى انه لم يغبن فى بيعه ولا ربح ارباب ابتياعه واراح من الشين بنسبته والنظر فى خداعه فليت شعرى ما الذى عظمه فى عين هذا الجاهل حتى خطب فى امره بما لم يخطب به فى حرب وائل فلما وقف حريز على الكتاب كتب لابن ذى النون جوابا منه وان المذكور ممن له حرمة قديمة تغنيه عن ان يمت بسواها وخدمة محمود اولاها واخراها ولسنا ممن اتسعت مملكته وعظمت حضرته فيحتاج الى انتقاء الكتاب والتحفظ فى الخطاب وانما نحن أحلاس ثغور وكتاب كتائب لا سطور وان يكن الكاتب المذكور لا يحسن فيما يلقيه على القلم فانه يحسن كيف يصنع فى مواطن الكرم وله الوفاء الذى تحدث به فلان وفلان بل سارت بشأنه فى اقصى البلاد الركبان وليس ذلك يقدح عندنا فيه بل زاده لكونه دالا على صحة الباطن والسذاجة فى الاكرام والتنويه انتهى ولهذا الكاتب شعر سقط فيه سقوط الاغبياء وقد يتنبه

فقال يامعشر المسلمين عموا الاصوات وأكملوا اللأمة واستشعروا الخشية واقلقوا السيوف فى الاجفان قبل السلة والحظوا الشزر واطعنوا الهبر ونافحوا بالظبا وصلوا السيوف بالخطا والنبال بالرماح وطيبوا عن أنفسكم أنفسا فانكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله عاودوا الكر واستقبحوا الفر فانه عار فى الاحقاب ونار يوم الحساب ودونكم هذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا نهجه فان الشيطان راكب صعيده معترض ذراعيه قد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا فصبرا جميلا حتى تنجلى عن وجه الحق وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم وتقدم على الحرب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء وخرج معاوية فى عدد أهل الشام فانصرفوا عند المساء وكل غير ظافر وخرج فى اليوم التاسع على وهو يوم الخميس وخرج معاوية فاقتتلوا الى ضحوة من النهار وبرز أمام الناس عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى أربعة آلاف من الخضرية معممين بشقق الحرير الاخضر متقدمين للموت يطلبون بدم عثمان وابن عمر يقدمهم وهو يقول

انا عبيد الله ينميني عمر * خير قريش من مضى ومن غبر
غير نبى الله والشيخ الاغر * قد ابطأت فى نصر عثمان مضر
والربعيون فلا أسقوا المطر فيه

فيه تنبه الاذكياء فمنه قوله من قصيدة يمدح حريز المذكور مطلعها

يذكرني بهم العنبر * وظلم ثناياهم سكر

الى ان قال

ولولا معاليك ياذا الندى * لما كان فى الارض من يشعر
فلا تنكرن زحاما علىّ * ذراك وفى كفك الكوثر

ومشى فى موكبه وهم فى سفر وكان فصل المطر والطين فجعل فرسه فى ذنب فرس ابن عكاشة فلما اثارت يدا فرسه طينا جاء فى عنق أميره ففطن لذلك الامير فقال له يا ابا محمد تقدم فقال معاذ الله ان اسىء الادب بالتقدم على اميرى فقال فان كان كذلك فتأخر مع الخيل فقال مثلى لا يزال على ركابك فى مثل هذه المواضع فقال له فقد والله اهلكتنى بما ترمى يدا فرسك على من الطين فقال اعز الله الامير فوالله ما علمت ان يدفرسى تصل الى عنقك فضحك ابن عكاشة حتى كاد يسقط عن مركوبه وكان بسرقسطة غلام اسمه يحيى بن يطفت من بنى يفرن قد نشأ عند ملكها المقتدر بن هود وتخلق بالركوب والادب وكان فى غاية الجمال والحلاوة والظرف فعلق بقلب ابن هود وكتم حبه زمانا فلم يكتم فكتب له

ياظبى بالله قل لى * متى ترى فى حبالى
يمر عمرى وحالى * من خيبتى منك خالى

فكتب له الغلام فى ظهر الرقعة

ان كنت ظبيا فأنت الهـزبر تبغى اغتيالى
وليس يخطر يوما * حلول غيل ببالى

ثم كتب بعدهما هذا ما اقتضاه حكم الجواب فى النظم وانا بعد قد جعلت رسنى بيد سيدى فعسى ان يقودنى الى ما احب لا ما اكره والذى احبه ان يكون بيننا من المحبة ما يقضى بدوام الاخلاص ونأمن فى مغبته من العار والقصاص فتركه مدة ثم كتب له يوما على الصورة التى ذكرها

ماذا ترى فى يوم أمن طرزت * حلل السحاب به البروق المذهبه
وانا وكاسى لا جليس غيره * ملآن لا يخلو الى ان تشربه
والانس ان يسرته متيسر * ومتى تصعبه فيا ما أصعبه

فاجابه

ياما الكا بذا الملوك بعلمه * وخلاله وعلوه فى المرتبه
وافى نداك فخرت عند جوابه * اذ ما تضمن ريبة مستغربه
انا اذا نخلو تقول حاسد * وغدا بهذا الامر ينصر مذهبه
هبنى الى يوم تطيش به النهى * والبيض تنضى والقنا متناشبه
وهناك فانظرنى بعين بصيرة * فالشبل يعرف أصله من جربه

ثم أعلاه الى درجة الوزارة والقيادة الى أن قتل فى جيش كان قدمه عليه فقال فيه من قصيدة

ياصارما أغمدته * عن ناظرى الصوارم

فناداه على ويحك يا ابن عمر علام تقاتلنى والله لو كان أبوك حيا ما قاتلنى قال أطلب بدم عثمان قال أنت تطلب بدم عثمان والله يطلبك بدم الهرمزان وامر على الاشتر النخعى بالخروج اليه فخرج الاشتر اليه وهو يقول

انى أنا الاشتر معروف السير
انى أنا الافعى العراقى الذكر
لست من الحى ربيع أو مضر
لكننى من مذحج البيض الغرر

فانصرف عنه عبيد الله ولم يبارزه وكثرت القتلى يومئذ وقال عمار بن ياسر انى لارى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكنا على الحق وكانوا على الباطل وتقدم عمار فقاتل ثم رجع الى موضعه فاستسقى فاتته امرأة من نساء بنى شيبان من مصافهم بعس فيه لبن فدفعته اليه فقال الله أكبر الله أكبر اليوم ألقى الاحبة تحت الاسنة صدق الصادق وبذلك خبر الناطق وهو اليوم الذى وعدت فيه ثم قال أيها الناس هل من رائح الى الله تحت العوالى والذى نفسى بيده لنقاتلنكم على تأويله كما قاتلناكم على تنزيله وتقدم وهو يقول نحن ضربناكم على تنزيله * فاليوم نضربكم على تأويله ضربا يزيل الهام عن مقيله

وزهرة غيبتها * من الطيور كمائم
يا كوكبا خرمن أنجمي وأنني راغم
بكت على وشقت * جيوبهن الغمائم
قل للعمائم اني * أصبحت أحكي الحمائم
وأثر الدمع مهما * رأيت للزهر باسم
تالله لالذ عيش * لمعترف لك عادم

ولما رحل الوزير عبد البر بن فرسان من وادى آش الى على الميورقى صاحب فتنة افريقية أقبل عليه ثم ولى أخوه يحيى الامارة بعده فأسند جميع أموره اليه فقال يخاطبه

أجبنا ورمحى ناصرى وحسامى * وعجز اوعزمى قائدى وامامى
ولى منك بطاش اليدين غضنفر * يحارب عن أشباله ويحامى
ألا غنيانى بالصهيل فانه * سماعى ورقراق الدماء مدامى
وحطا على الرمضاء رحلى فانها * مهادى وخفاق البنود خيامى

وكان الامير أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس من ابطال عصره وكان يدفع فى المواكب ويشقها يمينا وشمالا منشدا

أكرّ على الكتيبة لا أبالى * أحتفى كان فيها أم سواها

حتى انه دفع مرة فى موكب من النصارى فصرعهم وقتل وظهر منه ما أعجب به نفسه فقال لشخص من خواصه عالم بأمور الحرب كيف رأيت قال لو رآك السلطان لزادفيما لك فى بيت المال وأعلى مرتبتك أمن يكون رأس جيش يقدم هذا الاقدام و يتعرض بهلاك نفسه الى هلاك من معه فقال له دعنى فانى لا أموت مرتين واذا مت أنا فلا عاش من بعدى *(ومن حكاياتهم فى الظرف) أن القاضى أبا عبد الله محمد بن عيسى من بنى يحيى بن يحيى خرج الى حضور جنازة وكان لرجل من اخوانه منزل بقرب مقبرة قريش فعزم عليه فى الميل اليه فنزل وأحضر له طعاما وغنت جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح * وزهابحمرة وجهك التفاح
واذا الربيع تنسمت أرواحه * نمت بعرف نسيمك الارواح
واذا الحنادس ألبست ظلماءها * فضياء وجهك فى الدجى مصباح

فكتبها القاضى طربا على ظهر يده قال الراوى فلقد رأيته يكبر على الجنازة والابيات على ظهر يده *(ومن حكاياتهم فى البلاغة) ماذكره فى المغرب أن الوليد بن عقال لما انصرف من الحج اجتمع مع أبى الطيب فى مسجد عمرو بن العاص بمصر ففاوضه قليلا ثم قال له أنشدنى لمليح الاندلس يعنى ابن عبد ربه فانشده

يا لؤلؤا يسبى العقول أنيقا * ورشا بتعذيب القلوب رفيقا
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه * أبصرت وجهك فى سناه غريقا
يامن تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

الهادية العاملى وأبو حوّاء السكسكى واختلفا فى سلبه فاحتكما الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما اخرجا عنى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعت قريش بعمار مالهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة وقبره بصفين وصلى عليه على عليه السلام ولم يغسله وكان يغير شيبه وقد تنوزع فى نسبه فن الناس من الحقه ببنى مخزوم ومنهم من رأى أنه من حلفائهم ومنهم من رأى غير ذلك وقد أتينا على خبره فى كتاب مزاهر الاخبار وطرائف الآثار عند ذكرنا اشتراط الخمسين الذين بايعوا عليا على الموت وفى قتله يقول الحجاج بن عربة الانصارى أبياتا رثاه بها

يا للرجال لعين دمعها جارى
قد هاج حزنى أبو اليقظان عمار
أهوى اليه أبو حوّا فوارسه
يدعو السكون وللعيشين اعصار
فاختل صدر أبى اليقظان معترضا * للرمح قد وجبت فيناله النار

الله عن جمعهم لا شك كان عفا * أتت بذلك آيات وآثار من ينزع الله غلا من صدورهم * على الاسرة لم تمسسهم النار

فلما أكمل انشادها استعادها ثم صفق بيديه وقال يا ابن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبوا انتهى * وقال مؤلف كتاب واجب الادب مما يجب حفظه من مخترعات الاندلسيين قول ابن عبد ربه

يا ذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة و بلابلا
ما كنت أقطع أن لحظك صارم * حتى حملت من العذار حمائلا انتهى

وحكى أن الوزير أبا الوليد بن زيدون توفيت ابنته و بعد الفراغ من دفنها وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليتشكر لهم فقيل انه ما أعاد فى ذلك الوقت عبارة قالها لاحد قال الصفدى وهذا من التوسع فى العبارة والقدرة على التفنن فى أساليب الكلام وهو أمر صعب الى الغاية وأرى انه أشق مما يحكى عن واصل بن عطاء انه ما سمعت منه كلمة فيها راء لانه كان يلثغ بحرف الراء لثغة قبيحة والسبب فى تهوين هذا الامر وعدم تهويله أن واصل ابن عطاء كان يعدل الى ما يرادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء وهذا كثير فى كلام العرب فاذا أراد العدول عن لفظ فرس قال جواد أو ساع أو صافن أو العدول عن رمح قال قناة أو صعدة أو يزنى أو غير ذلك أو العدول عن لفظ صارم قال حسام أو لهذم أو غير ذلك وأما ابن زيدون فاقول فى حقه أقل ما كان فى تلك الجنازة وهو وزير ألف رئيس ممن يتعين عليه أن يتشكر له و يضطر الى ذلك فيحتاج فى هذا المقام الى ألف عبارة مضمونها الشكر وهذا كثير الى الغاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كبده

ولكنه صوب العقول اذا انبرت * سحائب منه أعقبت بسحاب

وقد استعمل الحريرى هذا فى مقاماته عندما يذكر طلوع الفجر وهو من القدرة على الكلام وأرى الخطيب بن نباتة ممن لا يلحق فى هذا الباب فانه أملى مجلدة معناها من أولها الى آخرها يا أيها الناس اتقوا الله واحذروه فانكم اليه راجعون وهذا أمر بارع معجز والناس يذهلون عن هذه النكتة انتهى كلام الصفدى ملخصا وقال فى الوافى بعد ذكره جملة من أحوال ابن زيدون ما نصه وقال بعض الادباء من لبس البياض وتختم بالعقيق وقرأ لابى عمرو وتفقه للشافعى وروى شعر ابن زيدون فقد استكمل الظرف وكان يسمى بحترى المغرب لحسن ديباجة نظمه وسهولة معانيه انتهى

(رجع) الى كلام أهل الاندلس * وكان الاديب المحدث أبو الربيع سليمان بن على الشلبى الشهير بكثير يهوى من يتجنى عليه و يقول انه أبرد من الثلج فخاطبه كثير بقوله

يا حبيبا له كلام خلوب * قلبت فى لظى هواه القلوب
كيف تعزو الى محبك بردا * ومن الحب فى حشاه لهيب
أنت شمس وقلت انى ثلج * فلهذا اذا طلعت اذوب

وقال ابن مهران مما يشتمل على أربعة أمثال

المال زين والحياة شهية * والجود يفقر والشجاعة تقتل
والبخل عيب والجبان مذمم * والقصد احكم والتوسط اجمل

وقال ابن السيد البطليوسى متغزلا

قال النبى له تقتلك شرذمة
سيطت لحومهم بالبغى فجار
فاليوم يعرف أهل الشام أنهم
أصحاب تلك وفيها النار والعار

ولما صرع عمار تقدم سعيد ابن قيس الهمدانى فى همدان وتقدم سعد بن عبادة الانصارى فى الانصار وربيعة وعدى بن حاتم فى طيئ وسعيد بن قيس الهمدانى فى أول الناس فخلطوا الجمع بالجمع واشتد القتال وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم الى معاوية وقد كان معاوية صمد فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان وأمر على الاشتر أن يتقدم باللواء الى أهل حمص وغيرهم من أهل قنسرين فاكثر القتل فى أهل حمص وقنسرين بمن معه من القراء وأتى المرقال يومئذ بمن معه فلا يقوم له شئ وجعل يرقل كما يرقل الفحل فى قيده وعلى وراءه يقول يا أعور لا تكن جبانا تقدم والمرقال يقول

قد أكثر القوم وما أقلا
أعور يبغى أهله محلا
قد عالج الحياة حتى ملا * لابد أن يفل أو يفلا
أسلهم بذى الكعوب سلا

ثم قصد هاشم بن عتبة

نفسي الفداء لجؤذر حلو اللمى * مستحسن بصدوده اضناني
في فيه سمطا جوهر يروي الظما * لو علني ببروده احياني

ويخرج من هذه القطعة عدة قطع * وقال ابن صارة مضمنا

الى كم ينفد الدينار مني * ويطلب كف من عنه يحيد
ألم انشده في وادي هيامي * به لو كان يعطفه النشيد
حبيبي انت تعلم ما أريد * ولكن لا ترق ولا تجود
وكم غنيت حين تنكبتني * منى شطانها ابدا مريد
يريد المرء أن يؤتى مناه * ويأبى الله الا ما يريد

وقال ذو الرياستين ابو مروان عبد الملك بن رزين

بالله ان لم تزدجر * يا مشبه البدر المنير
لأسرحن نواظري * في ذلك الورد النضير
ولأكلنك بالمنى * ولأشربنك بالضمير

وقال ابن عبد ربه

اشرب على المنظر الانيق * وامزج بريق الحبيب ريقي
واحلل وشاح الكعاب رفقا * خوفا على خصرها الرقيق
وقل لمن لام في التصابي * خذوا قليلا عن الطريق

وسيأتي ان شاء الله تعالى قريبا من بلاغة اهل الاندلس في الجد والهزل ما فيه مقنع لمن اقتصر عليه * (ومن حكاياتهم في عدم احتمال الضيم والذل والوصف بالانفة) انه لما ثار ابو ب بن مطروح في المائة الخامسة في الفتنة على ملك غرناطة عبد الله بن بلقين بن حيوس وخاض بحار الفتنة حتى رماه موجها فيمن رمى على الساحل وحصل فيما بث عليهم يوسف ابن تاشفين من الحبائل وكانت له همة وانفة عظيمة وخلع عن امارته وحصل في حبالته ادخل راسه تحته فانتظر من حضر معه ان يتكلم او يخرج راسه فلم يكن الا قليل حتى وقع ميتا رحمه الله تعالى * ولما ثار الميورقي بافريقية على بني عبد المؤمن الثورة المشهورة وخدمه جملة من أعيان أهل الاندلس وكان من جملتهم مالك بن محمد بن سعيد العنسي كتب عنه من رسالة وبعد فانا لا نحتاج لك الى برهان على أمير اسانه الحسام ويده التأييد الرباني الذي لا يرام قد نصب خيامه بالبراح ولم يتخذ سورا غير سمر القنا وبيض الصفاح له من العزم ردء ومن الحزم كمين اذا صدق الحسام ومنتضيه * فكل قرارة حصن حصين وهو من القوم الذين لا يجورون على جار ولا يرحلون بخزية ولا يتركون من عار دينهم دين التقوى وان كنت من ذلك في شك فاقدم علينا حتى يصح لك اختبار الذهب بالسبك وأنت بالخيار في الظعن والاقامة فان حللت نزلت خير منزل وان رحلت ودعت أفضل وداع وسرت في كنف السلامة اذ قد شهرنا بانا لا نقيد الا بالاحسان وأن ندع لاختياره كل انسان * (ومن حكايات أهل الاندلس في الجود والفضل ومكارم الاخلاق) أن أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد بن عباد فأدخلت عليه جملة من دنانير السكة فأمر له

المرقال لذي الكلاع وهو من حمير تحمل عليه صاحب لواء ذي الكلاع وكان رجلا من عذرة وهو يقول

أثبت فاني لست من فرعي مضر
نحن اليمانيون ما فينا ضجر
كيف ترى وقع غلام من عذر
ينعى ابن عفان ويلحى من غدر
يا أعور العين رمى فيها العور
سيان عندي من سعى ومن أمر

فاختلفا طعنتين فطعنه هاشم المرقال فقتله وقتل بعده سبعة عشر رجلا وحمل هاشم المرقال وحمل ذو الكلاع ومع المرقال جماعة من أسلم قد آلوا أن لا يرجعوا أو يفتحوا أو يقتلوا فاجتلد الناس فقتل هاشم المرقال وقتل ذو الكلاع جميعا فتناول ابن المرقال اللواء حين قتل أبوه في وسط المعركة وكر في العجاج وهو يقول

يا هاشم بن عتبة بن مالك
أعزز بشيخ من قريش هالك
يخبط الخيلين بالسنابك
أبشر بحور العين في الارائك
والروح والريحان عند ذلك

ووقف علي رضي الله عنه عنده صرع المرقال ومن صرع حوله من الاسلميين وغيرهم فدعا لهم وترحم عليهم وقال من أبيات

جزى الله خيرا عصبة أسلمية * صباح الوجوه صرعوا حول هاشم

بخريطتين

بحر يطتين منها و بين يديه تصاوير عنبر من جملتها صورة جمل مرصع بنفيس الدر فقال أبو العرب ما يحمل هذه الدنانير الا جمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال

أعطيتنى جملا جونا شفعت به * حملا من الفضة البيضاء لو حملا
نتاج جودك فى أعطان مكرمة * لا قدتصرف من منع ولا عقلا
فاعجب لشأنى فشأنى كله عجب * رفهتنى فحملت الحمل والجملا

ومن نظم أبى العرب المذكور

الام اتباعى للامانى الكواذب * وهذا طريق المجد بادى المذاهب
أهم ولى عزمان عزم مشرق * وآخر يثنينى همتى للمغارب
ولا بدلى أن أسأل العيس حاجة * تشق على أخفافها والغوارب
اذا كان أصلى من تراب فكلها * بلادى وكل العالمين أقاربى

وذكر الحافظ الحجارى فى المسهب انه سأل عمه أبا محمد عبد الله بن ابراهيم عن أفضل من لقى من أجواد تلك الحلبة فقال يا ابن أخى لم يقدر أن يقضى لى الاصطحاب بهم فى شباب أمرهم وعنفوان رغبتهم فى المكارم ولكن اجتمعت بهم وأمرهم قد هرم وساءت بتغير الاحوال ظنونهم وملوا الشكر وضجروا من المروءة وشغلتهم المحن والفتن فلم يبق فيهم فضل للافضال وكانوا كما قال أبو الطيب

أتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

فان يكن أتاه على الهرم فانا أتيناه وهو فى سياق الموت ثم قال ومع هذا فان الوزير أبا بكر ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى كان يحمل نفسه ما لا يحمله الزمان ويبسم فى موضع القطوب ويظهر الرضا فى حال الغضب ويجهد أن لا ينصرف عنه أحد غير راض فان لم يستطع الفعل عوض عنه القول قلت له فالمعتمد بن عباد كيف رأيته فقال قصدته وهو مع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فى غزوته للنصارى المشهورة فرفعت له قصيدة منها

لا روع الله سربا فى رحابهم * وان رمونى بتتريح وابعاد
ولا سقاهم على ما كان من عطش * الا بعض ندى كف ابن عباد
ذى المكرمات التى ما زلت تسمعها * أنس المقيم وفى الاسفار كالزاد
ياليت شعرى ماذا يرتضيه لمن * ناداه يا موئلى فى جحفل النادى

فلما انتهيت الى هذا البيت قال أما ما أرتضيه لك فلست أقدر فى هذا الوقت عليه ولكن خذ ما ارتضى لك الزمان وأمر خادمه له فاعطانى ما اعيش فى فائدته الى الآن فانى انصرفت به الى المرية وكان يعجبنى سكناها والتجارة بها لكونها مينا المراكب التجار من مسلم وكافر فتجرت فيها فكان ابقاء ماء وجهى على يديه رحمة الله تعالى عليه ثم أخذ البطاقة وجعل يجيل النظر والفكر فى القصيدة وأنا مترقب لنقده لكونه فى هذا الشان من أئمته وكثيرا ما كان الشعراء يتحامونه لذلك الا من عرف من نفسه التبريز ووثق بها الى ان انتهى الى قولى

ولا سقاهم على ما كان من عطش * الا بعض ندى كف ابن عباد

فقال لاى شئ بخلت عليهم أن يسقوا بكفه فقلت اذن كان يلحقنى من النقد ما لحق ذا الرمة

وسفيان وابنا هاشم ذى المكارم
وعروة لا ينفد ثناه وذكره
اذا اسل بالبيض الخفاف الصوارم
واستشهد فى ذلك اليوم صفوان وسعد ابنا حذيفة ابن اليمان وقد كان حذيفة عليلا بالكوفة فى سنة ست وثلاثين فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلى فقال أخرجونى وادعوا الصلاة جامعة فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى وعلى آله ثم قال أيها الناس ان الناس قد بايعوا عليا فعليكم بتقوى الله وانصروا عليا ووازروه فوالله انه لعلى الحق آخرا وأولا وانه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقى الى يوم القيامة ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال اللهم اشهد أنى قد بايعت عليا وقال الحمد لله الذى أبقانى الى هذا اليوم وقال لابنيه صفوان وسعد احملانى وكونا معه فسيكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس فاجتهدا ان تستشهدا معه فانه والله على الحق ومن خالفه على الباطل ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام وقيل بأربعين يوما واستشهد عبد الله بن الحرث النخعى أخو الاشتر واستشهد فيه عبد الله وعبد الرحمن ابنا بديل بن

فى قوله ولا زال منهلا بجرعائك القطر وكان طوفان نوح أهون عليهم من ذلك فما ألقت غرته وبدت مسرته وقال انا لله على أن لم يعنا الزمان على مكافأة مثلك قال وكنت ممن زاره بسجنه باغمات وحملتنى شدة الحمية له والامتعاض لما حل به أن كتبت على حائط سجنه متمثلا

فان تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه فى القبائل

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام فوجدت تحت البيت لذلك سجناه

ومن يجعل الضرغام فى الصيد بازه * تصيده الضرغام فيما تصيدا

فما أدرى من جاوب بذلك ثم عدت له ووجدته قد محى وأعلمت بذلك ابن عباد فقال صدق المجاوب وأنا الجانى على نفسه والحافر بيده لرمسه ولما أردت وداعه امر لى باحسان على قدر ما استطاع فارتجلت

آليت لا أقبل احسانكم * والدهر فيما قد عراكم مسى
فى الذى أسلفتم غنية * وان يكن عندكم قد نسى

قال وفيه أقول من قصيدة

ياطالب الانصاف من دهره * طلبت أمرا غير معتاد
فلو يكون العدل فى طبعه * لما عدا ملك ابن عباد

وللعبارى المذكور كتاب فى البديع سماه الحديقة وأنشد لنفسه فيه

وشادن ينصف من نفسه * أمنعنى من سطوة الدهر
ينام للشرب على جنبه * و يصرف الذنب الى الخمر

وله فى فرس

ومستبق يحار الطرف فيه * و يسلم فى الكفاح من الجماح
كأن أديمه ليل بهيم * تحجل باليسير من الصباح
اذا احتدم التسابق صار جوا * تقلب بين اجنحة الرياح

وكتب أبو العلاء ادريس بن أزرق الى ابن رشيق ملك مرسية وقد طالت اقامته عند ابن عبد العزيز

ألا ليت شعرى هل أعود الى الذى * عهدت من النعمى لديكم بلا جهد
فوالله مذ فارقتكم ما تخلصت * من الدهر عندى ساعة دون ما كد
فنوا باذن كى أطير اليكم * فلا عار فى شوق الى المال والجد

ووقف بعض اعدائه على هذه الابيات فوشى بها الى ابن عبد العزيز قاصدا ضرره وكان ذلك فى محفل ليكون أبلغ فقال والله لقد ذكرتنى أمره ولقد أحسن الدلالة على حاله فان الرجل كريم وعلينا وضع اللوم لا عليه ووالله لا وسعنه مالا ووجدا بقدر وسعى ثم أخذ فى الاحسان اليه حتى بر بيمينه رحمه الله تعالى

هكذا هكذا تكون المعالى * طرق الجد غير طرق المزاح

ولنذكر جملة من بنى مروان بالاندلس فنقول قال محمد بن هشام المروانى صاحب كتاب

لم يبق الا الصبر والتوكل
وأخذك الترس وسيف مصقل
ثم التمشى فى الرعيل الاول

فقتل ثم قتل عبد الرحمن أخوه بعده فيمن ذكرنا من خزاعة ولما رأى معاوية القتل فى أهل الشام وكلب أهل العراق عليهم استدعى بالنعمان بن جبلة التنوخى وكان صاحب راية قومه فى تنوخ ونهد وقال له لقد هممت أن أولى قومك من هو خير منك مقدما وانصح منك دينا فقال له النعمان انا لو كنا ندعى الى جيش ممنوع لكان فى الكع بعد الاناة فكيف ونحن ندعوهم الى سيوف قاطعة وردينية شاغرة وقوم ذوى بصائر نافذة والله لقد نصحتك على نفسى وآثرت ملكك على دينى وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه وحدت عن الحق وأنا أبصره وما وفقت لرشد حين أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول مؤمن به ومهاجر معه ولو أعطيناه ما أعطيناك لكان أرأف بالرعية وأجزل فى العطية ولكن قد بذلنا لك الامر ولا بد من اتمامه كان غيا أو رشدا وحاشا ان يكون رشدا وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها اذ حرمنا

أخبار الشعراء

وروضة من رياض الحزن حالفها * طل اطلت به في افقها الحلل
كأنما الورد فيما بينها ملك * موف ونوارها من حوله خول

وكان في مدة الناصر وأدخل عليه يوما اليه ذاكره فاستحسنه وأمره بالتزام بنيه ليؤدبهم بحسن أدبه ويتخلقوا بخلقه فاستعفى من ذلك وقال ان الفتيان لا يتعلمون الا بشدة الضبط والقيد والاغلاظ وأنا أكره أن أعامل بذلك أولاد الخليفة فيكرهونني وقد يحقد لي بعضهم ذلك الى أن يقدر على النفع والضر وقالوا وكان يتعشق المستنصر بالله ولي عهد الناصر وهو غلام وله فيه

متع بوجهك جفني * يا كوكبا فوق غصن
يا من تحجب حتى * عن كل فكر وأذن
وخامر الخوف فيه * فما يمر بذهن
فليس للطرف والقلب غير دمع وحزن
فانني ذو ذنوب * وانت جنة عدن

وقال أخوه أحمد بن هشام

قطعت الليالي بارتجاء وصالكم * ومانلت منكم غير متصل الهجر
وما كنت أدري ما التصبر قبلكم * فعلمتموني كيف أقوى على الصبر
وما كنت ممن يعلق الصبر فكره * ولكن خشيت الصبر يذهب بالعمر

*(ومن حكاياتهم في علو الهمة) أنه كان سبب قراءته واجتهاده انه حضر مجلسا فيه القائد أحمد بن أبي عبدة وهو غلام فاستخبره القائد فرآه بعيدا من الادب والظرف ورأى له ذهنا قابلا للصلاح فقال أي سيف لو كانت عليه حلية فقامت من هذه الكلمة قيامته وثابت له همة ملوكية عطف بها على الادب والتعلم الى أن صار ابن أبي عبدة عنده كما كان هو عند ابن ابي عبدة أولا فحضر بعد ذلك معه وجالا في مضمار الادب فرأى ابن ابي عبدة جوادا لا يشق غباره فقال ماهذا ابن هذا مما كان فقال ان كلمتك عملت في فكري ما اوجب هذا فقال والله ان هذه حلية تليق بهذا السيف فجزاك الله عن همتك خيرا ثم قال له سر ان لي عليك حقا اذ بعثتك على التأدب والتميز فاذا حضرنا في جماعة فلا تتطاول على تقصيري وحافظ على أن لا أسقط من العيون بارباء غيري على فقال لك ذلك وزيادة وكان المنذر ابن الامير عبد الرحمن الاوسط سيء الخلق في أول أمره كثير الاصغاء الى أقوال الوشاة مفرط القلق مما يقال في جانبه معاقبا على ذلك من يقدر على معاقبته مكثر التشكي ممن لا يقدر عليه لوالده الامير عبد الرحمن فطال ذلك على الامير فقال لوكيل خاص به عارف بالقيام بما يكلفه به الموضع الفلاني الذي بالجبل الفلاني المنقطع عن العمران تبني فيه الآن بناء أسكن فيه ابني المنذر وأوصاه بالاجتهاد فيه ففرغ منه وعاد اليه فقال له تعلم المنذر أني أمرته بالانفراد فيه ولا تترك أحدا من أصحابه ولا أصحاب غيره يزوره ولا يتكلم معه البتة فاذا ضجر من ذلك وسألك عنه فقل له هكذا أمر أبوك فتولى الثقة ذلك على ما أمر به ولما حصل المنذر في ذلك المكان وبقي

أثمار الجنة وأنهارها وخرج الى قومه وصمد الى الحرب وكان عبيد الله بن عمر اذا خرج الى القتال قام اليه نساؤه فشددن عليه سلاحه ماخلا الشيبانية بنت هانئ بن قبيصة فخرج في هذا اليوم وأقبل على الشيبانية وقال لها اني قد عبأت اليوم لقومك وايم الله اني لارجو أن أربط بكل طنب من اطناب فسطاطي سيدا منهم فقالت ما أبغض الآن تقاتلهم قال ولم قالت لانه لم يتوجه اليهم صنديد الا أبادوه وأخاف ان يقتلوك وكاني بك قتيلا وقد اتيتهم أسألهم أن يهبوا لي جيفتك فرماها بقوس فشجها وقال لها ستعلمين بمن آتيك من زعماء قومك ثم توجه فحمل عليه حريث بن جابر الجعفي فطعنه فقتله وقيل ان الاشتر النخعي هو الذي قتله وقيل ان عليا ضربه فقطع ماعليه من الحديد حتى خالط سيفه حشوة جوفه وان عليا قال حين هرب فطلبه ليقيد منه بالهرمزان لئن فاتني في هذا اليوم لا يفوتني في غيره وكلمت نساؤه معاوية في جيفته فامر ان يأتين ربيعة فيبذلن في جيفته عشرة آلاف ففعلن ذلك فاستأمرت ربيعة عليا فقال انما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها ولكن قد اجبتهم الى ذلك فاجعلوا جيفته لبنت هانئ بن قبيصة الشيباني زوجته فقالوا النسوة عبيد الله ان شئتن شددناه

وحده وفقد خوله ومن كان يستريح معه ونظر الى ماسلبه من الملك فضجر فقال للثقة عسى أن يصلني غلماني وأصحابي اتأنس بهم فقال له الثقة ان الامير أمر أن لا يصلك احد وأن تبقى وحدك لتستريح مما رفع لك أصحابك من الوشاية فعلم ان الامير قصد محنته بذلك وتاديبه فاستدعى دواة وكتب الى أبيه اني قد توحشت في هذا الموضع توحشا ماعليه من مزيد وعدمت فيه من كنت آنس اليه وأصبحت مسلوب العز فقيد الامر والنهي فان كان ذلك عقابا بالذنب كبير ارتكبته وعلمه مولاي ولم أعلمه فاني صابر على تأديبه ضارع اليه في عفوه وصفحه

وان أمير المؤمنين وفعله * لكالدهر لاعار بما فعل الدهر

فلما وقف الامير على رقعته وعلم ان الادب بلغ به حقه استدعاه فقال له وصلت رقعتك تشكو ما أصابك من توحش الانفراد في ذلك الموضع وترغب أن تأنس بخولك وعبيدك وأصحابك ان كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سكناك في ذلك المكان ومافعلت ذلك عقابا لك وانما أبناك تكثر الضجر والتشكي من القال والقيل فأردنا راحتك بأن نحجب عنك سماع كلام من يرفع لك وينم حتى تستريح منهم فقال له سماع ما كنت أضجر منه أخف علي من التوحد والتوحش والتخلي مما أنا فيه من الرفاهية والامر والنهي فقال له فاذ قد عرفت وتأدبت فارجع الى ما اعتدته وعول على أن تسمع كانك لم تسمع وترى كانك لم تر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم ماتدافنتم واعلم انك أقرب الناس الي وأحبهم في وبعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الاوقات عن انكار علي وسخط لما أفعله في جانبك أو جانب غيرك مما لو أطلعني الله تعالى عليه لساءني لكن الحمد لله الذي حفظ ما بين القلوب بستر بعضها عن بعض فيما يجول فيها وانك لذو همة ومطمع ومن يكن هكذا يصبر ويغض ويحمل ويبدل العقاب بالثواب ويصير الاعداء من قبيل الاصحاب ويصبر من الشخص على ما يسوء فقد يرى منه بعد ذلك مايسر ولقد يخف علي اليوم من قاسيت من فعله وقوله مالو قطعتهم عضوا عضوا لما ارتكبوه مني ماشفيت منهم غيظي ولكن رأيت الاغضاء والاحتمال لاسيما عند الاقتدار أولى ونظرت الى جميع من حولي ممن يحسن ويسيء فوجدت القلوب متقاربة بعضها من بعض ونظرت الى المسيء يعود محسنا والمحسن يعود مسيئا وصرت أندم على من سبق له مني عقاب ولا أندم على من سبق له مني ثواب فالزم يابني معالي الامور وان جماعها في التغاضي ومن لا يتغاضى لا يسلم له صاحب ولا يقرب منه جانب ولا ينال ماترتقي اليه همته ولا يظفر بأمله ولا يجد معينا حين يحتاج اليه فقبل المنذر يده وانصرف ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده حتى تخلق بالخلق الجميل وبلغ ما أوصاه به أبوه ورفع قدره ومن شعره في ابن عم له

ومولى أبي الأذاى واني * لاحلم عنه وهو بالجهل يقصد
توددته فازداد بعدا او بغضة * وهل نافع عند الحسود التودد

وقوله

خالف عدوك فيما * اتاك فيه لينصح
فانما يبتغي أن * تنام عنه فيربح

الى ذنب بغل ثم ضربناه حتى يدخل الى عسكر معاوية فصرخن وقلن هذا أشد علينا وأخبرن معاوية بذلك فقال لهن ائتوا الشيبانية فسلوها أن تكلمهم في جيفته ففعلن وأتت القوم وقالت انا بنت هانئ بن قبيصة وهذا زوجي القاطع الظالم قد حذرته فما صار اليه فهبوا لي جيفته ففعلوا وألقت اليهم بطرف خز فادرجوه فيه ودفعوه اليها وقد شد رجله الى طنب فسطاط من فساطيطهم ولما قتل عمار ومن ذكرنا في هذا اليوم حرض علي عليه السلام الناس وقال لربيعة أنتم درعي ورمحي فانتدب له مابين عشرة آلاف الى أكثر من ذلك من ربيعة وغيرهم قد جادوا بانفسهم لله عز وجل وعلي أمامهم على البغلة الشهباء وهو يقول

من أي يومي من الموت أفر
أيوم لم يقدر أم يوم قدر

وحمل وحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض وأهمدوا كل ماأتوا عليه حتى أتوا الى قبة معاوية وعلي لا يمر بفارس الاقده وهو يقول

أضربهم ولا أرى معاويه
الاخزر العين العظيم الهاويه
تهوى به في النار أم هاويه

وقيل ان هذا الشعر لبديل بن ورقاء قاله في ذلك اليوم ثم نادى علي

ومن

ومن كرم نفسه أن أحد التجار أهدى له جارية بارعة الحسن واسمها طرب ولها صنعة فى الغناء حسنة فعندما وقع بصره على حسنها ثم أذنه على غنائها أخذت بمجامع قلبه فقال لاحد خدامه ماترى أن ندفع لهذا التاجر عوضا عن هذه الجارية التى وقعت منا أحسن موقع فقال تقدر ما تساوى من الثمن وتدفع له بقدرها فقومت بخمسمائة دينار فقال المنذر للخديم ماعندك فيما ندفع له فقال الخمسمائة فقال ان هذا اللؤم رجل أهدى لنا جارية فوقعت منا موقع استحسان نقابله بثمنها ولو أنه باعها من يهودى لوجد عنده هذا فقال له ان هؤلاء التجار لؤماء بخلاء وأقل القليل يقنعهم فقال وانا كرماء سمحاء فلا يقنعنا القليل لمن نجود عليه فادفع له ألف دينار واشكره على كونه خصنا بها واعلمه بأنها وقعت منا موقع رضا وفيها يقول

ليس يفيد السرور والطرب ✱ ان لم تقابل لواحظى طرب
أبهت فى الكاس لست أشربها ✱ والفكر بين الضلوع يلتهب
يعجب منى معاشر جهلوا ✱ ولو رأوا حسنها لما عجبوا

وقال له أبوه يوما ان فيك لتيها مفرطا فقال له حق لفرع أنت أصله أن يعلو فقال له يابنى ان العيون تمج التياه والقلوب تنفر عنه فقال ياأبى لى من العز والنسب وعلو المكان والسلطان مايحمل عن ذلك وانى لم أر العيون الامقبلة على ولا الاسماع الامصغية الى وان لهذا السلطان رونقا يريقه التبذل وعلوا يخفضه الانبساط ولا يصونه و يشرفه الا التيه والانقباض وان هؤلاء الانذال لهم ميزان يسبرون به الرجل منا فان رأوه راجحا عرفوا له قدر رجاحته وان رأوه ناقصا عاملوه بنقصه وصيروا تواضعه صغرا وتخفضه خسة فقال له أبوه لله أنت فابق ومارأيت ✱ وكان له أخ أديب أيضا اسمه المطرف بن عبد الرحمن الاوسط ومن شعره

أفنيت عمرى فى الشر ✱ ب والوجوه الملاح
ولم أضيع أصيلا ✱ ولا اطلاع صباح
أحيى الليالى سهدا ✱ فى نشوة ومراح
ولست أسمع ماذا ✱ يقول داعى الفلاح

والعياذ بالله من هذا الكلام وحاكى الكفر ليس بكافر وعتبه أحد اخوانه على هذا القول فقال انى قلته وانا لاأعقل ولم أعلم أنه يحفظ عنى وأنا أستغفر الله تعالى منه والذى يغفر الفعل أكرم من أن يعاقب على القول ومن جيد شعره قوله

ياأخى فرقت صروف الليالى ✱ بيننا غير زورة الاحلام
فغدونا بعد ائتلاف وقرب ✱ نتناجى بألسن الاقلام

وقال أخوهما الثالث هشام بن عبد الرحمن فيمن اسمه ريحان

أحبك ياريحان ماعشت دائما ✱ ولولامنى فى حبك الانس والجان
ولولاك لم أهو الظلام وسهده ✱ ولاحببت لى فى ذرا الدار غربان
وماعشق الريحان الالانه ✱ شريكك فى اسم فيه قلبى هيمان
على انه لم يكمل الظرف مجلس ✱ اذا لم يكن فيه مع الراح ريحان

استقامت له الامور فقال له عمرو قد أنصفك الرجل فقال له معاوية ما أنصفت وانك لتعلم انه لم يبارزه رجل قط الاقتله أوأسره فقال له عمرو وما يجمل بك الامبارزته فقال له معاوية طمعت فيها بعدى وحقدها عليه وقد قيل فى بعض الروايات ان معاوية أقسم على عمرو لما أشار عليه بهذا ان يبرز الى على فلم يجد عمرو من ذلك بدا فبرز فلما التقيا عرفه على وشال السيف ليضربه به فكشف عمرو عن عورته وقال مكره أخوك لا بطل فحوّل على وجهه وقال قبحت ورجع عمرو الى مصافه وقد ذكر هشام بن محمد الكلبى عن السرقى بن القطان أن معاوية قال لعمرو بعد انقضاء الحرب هل غششتنى منذ نصحتنى قال لا قال بلى والله يوم أشرت على بمبارزة على وأنت تعلم ماهو قال دعاك الى المبارزة فكنت من مبارزته على احدى الحسنيين اما أن تقتله فتكون قد قتلت قاتل الاقران وتزداد شرفا الى شرفك واما أن يقتلك فتكون قد استعجلت مرافقة الشهداء والصالحين

وحسن أولئك رفيقا فقال معاوية ياعمرو الثانية أشر من الاولى وكان فى هذا اليوم من القتال مالم يكن

وله فيه

اذا أنا مازحت الحبيب فانما * قصدت شفاء الهم فى ذلك المزح
فما العيش الا أن أراه مضاحكا * كما ضحك الليل البهيم عن الصبح

وقال أخوهم الرابع يعقوب بن عبد الرحمن

اذا أنا لم أجد يوما وقومى * لهم فى الجود آثار عظام
فمن يرجى لتشييد المعالى * اذا قعدت عن الخير الكرام

ومدحه بعض الشعراء فأمر له بمال جزيل فلما كان مثل ذلك الوقت جاءه يمدح آخر فقال احد خدام يعقوب هذا اللئيم له دين عندنا يقتضيه فقال الامير يا هذا ان كان الله تعالى خلقك مجبولا على كره رب الصنائع فاجر على ماجبلت عليه فى نفسك ولا تكن كالاجرب يعدى غيره وان هذا رجل قصدنا قبل فكان منا ما أشربه وحمله على العودة وقد ظن فينا خيرا فلا نخيب ظنه والحديث أبدا يحفظ القديم وقد جاءنا على جهة التهنئة بالعمر ونحن نسأل الله تعالى أن يطيل عمرنا حتى يكثر تردادهو ويديم نعمنا حتى نجد ما ننعم به عليه ويحفظ علينا مروءتنا حتى يعيننا على التجمل معه ولا يبلينا بجليس مثلك يقبض أيدينا عن اسداء الايادى وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبل واوصاه بالعود عند حلول ذلك الاوان مادام العمر * وقال اخوهم الخامس الامير محمد ابن الامير عبد الرحمن لاخيهم السادس ابان وقد خلا معه على راحة هل لك امل تبلغك اياه فقال لم يبق لى امل الا ان يديم الله تعالى عمرك و يخلد ملكك فأعجب ذلك الامير وقال مامالت اليك نفسى من باطل وكان كل واحد منهما يهيم بالآخر وفى ذلك يقول ابان

يامن يلوم ولا يدرى بن أنا مفتون لو ابصرته ما كنت تلحانى
من مازجت روحه روحى وشاطرنى * ياحسنه حين اهواه و يهوانى

وكان للامير محمد ابن الامير عبد الرحمن ثلاثة اولاد نجباء القاسم والمطرف ومسلمة ولهم اخ رابع اسمه عثمان فنظم القاسم فى عثمان اخيه وقد زاره فاستسقاه ماء فأبطأ عليه غلامه لعله لم يقبلها القاسم

الماء فى دار عثمان له ثمن * والخبز شئ له شان من الشان
فاسلح على كل عثمان مررت به * غير الخليفة عثمان بن عفان

وله

شغلت بالكيمياء دهرى * فلم افد غير كل خسر
اتعاب فكر خداع عقل * فساد مال ضياع عمر

وقال شقيقه المطرف و يعرف بابن غزلان وهى امه وكانت مغنية بديعة محسنة عوّادة اديبة

هل أتركى مشرفا على نهر * ارمى بطرفى اليه من قصرى
عند اخ لودهته حادثة * اعطيته ما احب من عمرى

وقال اخوهما مسلمة

ان شيبا وصبوة لمحال * اولم يأن أن يكون زوال
فدع النفس عن مزاح ولهو * تلك حال مضت وجاء تك حال

قبل ووجدت فى بعض النسخ من أخبار صفين ان هاشما المرقال لما وقع الى الارض وهو يجود بنفسه رفع رأسه فاذا عبيد الله بن عمر مطروح الى قربه جريحا فجثا حتى دنا منه فلم يزل يعض على ثديه حتى نبتت فيه أسنانه لعدم السلاح والقوة لانه أصيب فوقه ميتا هو ورجل من بكر بن وائل قد زحف الى عبيد الله فخشأه وانصرف القوم الى مواضعهم وخرج كل فريق منهم يحملون من أمكن من قتلاهم ومر معاوية فى خواص من أصحابه فى الموضع الذى كان ميمنته فنظر الى عبد الله ابن بديل بن ورقاء الخزاعى معفرا بدمائه وقد كان على ميسرة على فحمل على ميمنة معاوية فاصيب على ماقدمنا آنفا فاراد معاوية ان يمثل به فقال عبد الله بن عامر وكان صديقا لابن بديل والله لاتركنك واياه فوهبه له فغطاه بعمامته فواراه فقال له معاوية قد والله واريت كبشا من كباش القوم وسيدا من سادات خزاعة غير مدافع لوظفرت بنا خزاعة لاكلونا ولو أنا فى جندل دون هذا الكبش وأنشأ يقول متمثلا

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت يوما به الحرب شمرا

وكان

كليث هزبر كان يحمى ذماره * رمته المنايا قصدها فتقطرا ونظر على الى غسان فى ٣٣١ مصافهم لايزولون لحرض

وكان يقول انى لا افارق الامن اختار مفارقتى ومن خادعنى انخدعت له وارينه انى غير فطن بخداعه ليجيبه امره وادخل عليه مسرة بنفسه ورايه * وقال محمد ابن الامير المنذر ابن الامير محمد فى جاريته الاراكة

قل للاراكة قد زا * د بالدنو اشتياقى
وهاج ما بى اليها * تمثلى للعناق
وانى وبقلبى * جمر جرى فى المآقى
طويت ما بى ليوم * يكون فيه التلاقى
فان اعد لاجتماع * حرمت يوم افتراق
لا يعرف الشوق الا * من ذاق طعم الفراق

وقال عبد الله بن الناصر وقد اهدى له سعيد بن فرج ياسمينا ابيض واصفر وكتب معه

مولاى قد ارسلت نحوك تحفة * بمرادما ابغيه منك تذكر
من ياسمين كاللجين تبرجت * بيضاء وصفراء والسماح يعبر

فأجابه بما نصه

اتاك تفسيرى ولما يحل * منى على أضغاث احلام
فاجعله رسما دائما زائرا * منى ومنك غرة العام

وبعث اليه بهذين البيتين مع ملء الطبق دنانير ودراهم فقال ابن فرج

قد سمعنا بجود كعب وحاتم * ما سمعنا جودا مدى العمر لازم
فدعائى بأن تدوم دعاء * لى لازال طول ما عشت دائم
ما سمعنا كمثل هذا اختراعا * هكذا هكذا تكون المكارم

وتشبه هذه الحكاية حكاية اتفقت لبعض ملوك افريقية وذلك ان رجلا أهدى له فى قادوس وردا أحمر وأبيض فأمر أن يملأ له دراهم فقالت له جارية من جواريه ان رأى الامير أن يلون ما أعطاه حتى يوافق ما أهداه فاستحسن ذلك الامير وأمر أن يملأ دنانير ودراهم وكان المروانى المذكور يساير أحد الفقهاء الظرفاء فمر بجميل فمال عبد الله بطرفه الى وجهه وظهر ذلك لمسايره فتبسم ففهم عبد الله تبسمه فقال ان هذه الوجوه الحسان خلابة ولكنا لا نتغافل فى نظرها ولا ندعى العفة عنها بالجملة وفيها اعتبار وتذكار بالحور العين التى وعد الله تعالى فقال له الفقيه احتج لروحك بما شئت فقال أو ما هى حجة تقبل فقال الفقيه يقبلها من رق طبعه وكاد يضيق عن الصبر وسعه فقال وأراك شريكا لى فقال ولولا ذلك لمتك فأطرق عبد الله ساعة ثم أنشد

أفدى الذى مر بى فمال له * لحظى ولكن ثنيته غصبا
ماذاك الا لخاف منتقد * فالله يعفو ويغفر الذنبا

فقال له الفقيه ان كنت ثنيت لحظك خوف انتقادى فانى أدعوه اليك حتى تملأه منه ولا تنسب الى ما نسبت فتبسم عبد الله وقال ولا هذا كله وقال له ان مثلك فى الفقهاء لمعدوم فقال له ما كنت الا أديبا ولكنى لما رأيت سوق الفقه بقرطبة نافقة اشتغلت به فقال له ومن عقل

أصحابه عليهم وقال ان هؤلاء ان يزولوا عن موقفهم دون طعن يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطفح الطعام وتسقط منه المعاصم والاكف وحتى تشدخ جباههم بعمد الحديد وتنثر حواجبهم على الصدور والاذقان أين أهل الصبر وطلاب الاجر فثاب اليه عصابة من المسلمين من سائر الناس فدعا ابنه محمدا فدفع اليه الراية وقال امش بها نحو هذه الراية مشيا رويدا حتى اذا أشرعت فى صدورهم الرماح فأمسك حتى يأتيك أمرى ففعل واتاه على ومعه الحسن والحسين وشيوخ بدر وغيرهم من الصحابة وقد كردس الخيل فحملوا على غسان ومن يليها فقتلوا منها بشرا كثيرا وعادت الحرب فى آخر النهار كحالها فى أوله وحملت ميمنة معاوية وفيها عشرة آلاف من مذحج وعشرون ألفا مقنعون فى الحديد على ميسرة على فاقتطعوا ألف فارس فانتدب من أصحاب على عبد العزيز بن الحرث الجعفى وقال لعلى مرنى بامرك فقال شد الله ركنك سر حتى تنتهى الى

اخواننا المحاط بهم وقل لهم يقول لكم على كبروا ثم احملوا وتحمل حتى نلتقى فحمل الجعفى فطعن فى عرضهم حتى انتهى

المرء أن لا يفنى عمره فيما لا ينفعه عصره وكان عبد الله المذكور يسمى الزاهد فبايع قوما على قتل والده الناصر وأخيه الحكم المستنصر ولى العهد فأخذ يوم عيد الاضحى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة فذبح بين يديه رحمه الله تعالى وقال أخوه أبو الاصبغ عبد العزيز بن الناصر وقد دخل ابن له الكتاب فكتب أول لوح فبعثه الى أخيه الحكم المستنصر ملك الاندلس ومعه

هاك يا مولاى خطا * مطه فى اللوح مطا
ابن سبع فى سنيه * لم يطق للوح ضبطا
دمت يا مولاى حتى * يلد ابن ابنك سبطا

وله

زارنى من همت فيه سحرا * يتهادى كنسيم السحر
اقبس الصبح ضياء ساطعا * فأضاء والفجر لم ينفجر
واستعار الروض منه نفحة * بثها بين الصبا والزهر
أيها الطالع بدرا نيرا * لا حللت الدهر الا بصرى

وكان مغرى مغرما بالخمر والغناء فقطع الخمر فبلغه أن المستنصر لما بلغه تركه للخمر قال الحمد لله الذى أغنانا عن مفاتحته ودله على ما نريد منه ثم قال لو ترك الغناء لكمل خيره فقال والله لا تركته حتى تترك الطيور تغريدها ثم قال

أنا فى صحة وجاه ونعمى * هى تدعو لهذه الالحان
وكذا الطير فى الحدائق تشدو * للذى سر نفسه بالقيان

وقال أخوه محمد بن الناصر لما قدم أخوهما المستنصر من غزوة

قدمت بحمد الله أسعد مقدم * وضدك أضحى لليدين وللفم
لقد حزت فيها السبق اذ كنت اهله * كما حاز بسم الله فضل التقدم

واما اخوهما محمد بن عبد الملك بن الناصر فقال الحجارى فيه انه لم يكن فى ولد الناصر من لم يل الملك اشعر منه ومن ابن اخيه وكتب الى العزيز صاحب مصر

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وكان جواب العزيز له اما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لهجوناك وله فى الصنوبر

ان الصنوبر حصن * لديه حرز وباس
حفت مزاجل ارها * ب من عداه تراس
كانما هو ضد * لما حواه الرياس

وبعض سيوف الاندلس محفور صدر الرياس على صورة قشور الصنوبر الا ان تلك ناتئة وهذه محفورة وقال

اتانى وقد خط العذار بخده * كما خط فى ظهر الصحيفة عنوان
تزاحمت الالحاظ فى وجناته * فشقت عليه للشقائق أردان
وزدت غراما حين لاح كانما * تفتح بين الورد والآس سوسان

اليهم فأخبرهم بمقالة على فكبروا ثم شدوا حتى التقوا بعلى وشد خواسبعمائة من أهل الشام وقتل حوشب ذو ظليم وهو كبش من كباش اليمن فى أهل الشام وكان على راية هذيل بن سنان وغيرها من ربيعة الحضين ابن المنذر بن الحرث بن وعلة الذهلى وفيه يقول على فى هذا اليوم

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قلت قدمها حضين تقدما

فامره بالتقدم واختلط الناس وبطل النبل واستعملت السيوف وجنهم الليل وتنادوا بالشعار وتقصفت الرماح وتصادم القوم وكان يعتنق الفارس الفارس ويقعان جميعا على الارض عن فرسيهما وكانت ليلة الجمعة وهى ليلة الهرير فكان جملة من قتل على بكفه فى يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلا أكثرهم فى اليوم وذلك انه كان اذا قتل رجلا كبر اذا ضرب ولم يكن يضرب الا قتل ذكر ذلك عنه من كان يليه فى حربه ولا يفارقه من ولده وغيرهم وأصبح القوم على قتالهم وكسفت الشمس وارتفع القتام وتقطعت الالوية ولم يعرفوا مواقيت الصلاة وغدا الاشتر يرتجز وهو يقول

نحن قتلنا حوشبا * لما غدا قد اعلما
وذا الكلاع قبله * ومعبدا اذ قدما

وقال

وقال لئن كنت خلاع العذار بشادن * وكاس فانى غير نزر المواهب
وانى لطعان اذا اشتجر القنا * ومقتحم طرفى صدور الكتائب
وانى اذا لم ترض نفسى بمنزل * وجاش بصدرى الفكر جم المذاهب
جليد يود الصخر لو أن صبره * كصبرى على ما نابنى للنوائب
وأسرى الى ان يحسب الليل اننى * لطول مسيرى فيه بعض الكواكب

وأما ابن اخيه مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر فكان فى بنى امية شبه عبد الله بن المعتز فى بنى العباس بملاحة شعره وحسن تشبيهه ومن شعره القصيدة المشهورة

غصن يهتز فى غصن نقا * يجتنى منه فؤادى حرقا
سال لام الصدغ فى صفحته * سيلان التبر وافى الورقا
فتناهى الحسن فيه انما * يحسن الغصن اذا ما أورقا

ومنها
أصبحت شمسا وفوه مغربا * ويد الساقى المحيى مشرقا
فاذا ما غربت فى فمه * تركت فى الخد منه شفقا

ومنها
وكأن الورد يعلوه الندى * وجنة المحبوب تندى عرقا

قالوا وهذا النمط قد فاق به أهل عصره ويظن انه لا يوجد لاحد منهم أحلى واكثر أخذا بمجامع القلوب من قوله

ودعت من أهوى أصيلا ليتنى * ذقت الحمام ولا أذوق نواه
فوجدت حتى الشمس تشكو وجده * والورق تندب شجوها بهواه
وعلى الاصائل رقة من بعده * فكأنها تلقى الذى ألقاه
وغدا النسيم مبلغا ما بيننا * فلذاك رق هوى وطاب شذاه
ما الروض قد مزجت به أنداؤه * سحرا بأطيب من شذاذ كراه
والزهر مبسمه ونكهته الصبا * والورد أخضله الندى خداه
فلذاك أولع بالرياض لانها * أبدا تذكرنى بمن أهواه

ولله قوله

وعشى كأنه صبح عيد * جامع بين بهجة وشحوب
هب فيه النسيم مثل محب * مستعيرا شمائل المحبوب
ظلت فيه ما بين شمسين هذى * فى طلوع وهذه فى غروب
وتدلت شمس الاصيل ولكن * شمسنا لم ترل بأعلى الجنوب
رب هذا اخلقته من بديع * من رأى الشمس أطلعت فى قضيب
أى وقت قد أسعف الدهر فيه * وأجابت به المنى عن قريب
قد قطعناه نشوة ووصالا * وملأناه من كبار الذنوب
حين وجه السعود بالبشر طلق * ليس فيه أمارة للقطوب
ضيع الله من يضيع وقتا * قد خلا من مكدر ورقيب

وبات عند أحد رؤساء بنى مروان فقدم اليه ذلك الرئيس قدحا من فضة فيه راح أصفر وقال

أضحوا بصفين وقد لاقوا انكالا مؤلما
وكان الاشتر فى هذا اليوم وهو يوم الجمعة على ميمنة على وقد أشرف على الفتح ونادت مشيخة أهل الشام الله الله فى الحرمات والنساء والبنات وقال معاوية هلم مخبآتك يا ابن العاص فقد هلكنا وتذكر ولاية مصر فقال عمرو أيها الناس من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه فكثر فى الجيش رفع المصاحف وارتفعت الضجة ونادوا كتاب الله بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام ومن لثغور العراق بعد أهل العراق ومن لجهاد الروم ومن للترك ومن للكفار ورفع فى عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف وفى ذلك يقول النجاشى بن الحرث

فأصبح أهل الشام قد رفعوا القنا
عليها كتاب الله خير قران

ونادوا عليا يا ابن عم محمد أما تتقى أن تهلك الثقلان فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا نجيب الى كتاب الله وننيب اليه وأحب القوم الموادعة
وقيل لعلى قد أعطاك معاوية الحق دعاك الى كتاب الله فاقبل منه وكان أشدهم فى ذلك اليوم الاشعث بن قيس فقال على

اشرب وصف فداك ابن عمك فقام اجلالا وشرب صائحا بسروره ثم قال الدواة والقرطاس فأحضرا وكتب

اشرب هنيئا لا عداك الطرب * شرب كريم فى العلا منتخب
وافاك بالراح وقد ألبست * برد أصيل معلما بالحبب
فى قدح لم يدر ساقى به * غير أولى المجد وأهل الحسب
ما جار اذ أسقاك من كفه * فى جامد الفضة ذوب الذهب
فقم على رأسك برابه * واشرب على ذكراه طول الحقب

ويحكى انه لما قتل أباه وقد وجده مع جارية له كان يهواها سجنه المنصور بن أبى عامر مدة الى أن رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم يأمره باطلاقه فأطلقه فمن أجل ذلك عرف بالطليق * قال أحمد بن سليمان بن أحمد بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر فى ابن حزم لما عاداه علماء عصره

لما تحلى بخلق * كالمسك أو نشر عود
نحل الكرام ابن حزم * وقام فى العلم عودى
فتواه جدد دينى * جدواه أورق عودى

وله فى أبى عامر بن المظفر بن أبى عامر من قصيدة يمدحه بها

بأبى عامر وصلت حبالى * فزمانى به زمان سعيد
فتى زدت فيه ودا وشكرا * فنداه وقد تناهى يزيد
كيف لى وصفه وفى كل يوم * منه فى المكرمات معنى جديد

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثى أبا مروان بن سراج

وكم من حديث للنبى أبانه * وألبسه من حسن منطقه وشيا
وكم مصعب للنحو قد راض صعبه * فعاد ذلولا بعد ما كان قد أعيا

وقال عبيد الله بن محمد المهدى وهو من حسنات بنى مروان و يعرف بالاقرع

أقول لآمالى ستبلغ ان بدا * محيا ابن عطاف ونعم المؤمل
فقالت دعانى كل يوم تعلل * فقلت لها ان لاح يغنى التعلل
لئن كان منى كل حين ترحل * فانى ان أحلل به لست أرحل
فتى ترد الآمال فى بحر جوده * وليس على نعمى سواه المعول

وقال هذه فى الوزير ابن عطاف فضن عليه حتى يرجع الجواب فكتب اليه بقصيدة منها

أيها الممكن من قدرته * لا براك الله الا محسنا
انما المرء بما قدمه * فتخير بين ذم وثنا
لا تكن بالدهر غرا واذا * كنت فانظر فعله فى ملكنا
كل ما خولت منه ذاهب * انما تصحب منه الكفنا
مد كفا نحو كف طالما * أمطرت منه السحاب الهتنا
أو أرحنى بجواب مؤيس * فطال البر من شر العنا

ايها الناس انه لم يكن من أمركم ما أحب حتى قرحتكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وانى كنت أمس أميرا فاصبحت اليوم مأمورا وقد أحببتم البقاء فقال الاشتر ان معاوية لا خلف له من رجاله ولك بحمد الله الخلف ولو كان له مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك فاقدع الحديد واستعن بالله وتكلم رؤساء أصحاب على بنحو من كلام الاشتر فقال الاشعث بن قيس انا لك اليوم على ما كنا عليه أمس وليس ندرى ما يكون غدا وقد والله فل الحديد وكلت البصائر وتكلم معه غيره بكلام كثير فقال على ويحكم ما رفعوها الا انكم تعلمونها ولا يعلمون بها وما رفعوها لكم الا خديعة ودهاء ومكيدة فقالوا انه ما يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنأبى أن نقبله فقال ويحكم انما قاتلتهم ليدينوا بحكم الكتاب فقد عصوا الله فيما أمرهم به ونبذوا كتابه فامضوا على حقكم وقصدكم وخذوا فى قتال عدوكم فان معاوية وابن العاص وابن أبى معيط وحبيب بن مسلمة وبنى النابغة وعدة غير هؤلاء ليسوا باصحاب دين ولا قرآن وأنا أعرف بهم منكم صحبتهم أطفالا ورجالا فهم شر أطفال ورجال وجرى له مع القوم خطب طويل قد أتينا ببعضه وتهددوه أن يصنع به ما صنع بعثمان

فلم

فلم يعطه شيأ وكان له كاتب فتحيل فى خمسين درهما فأعطاها له فلما سمع الوزير بذلك طرده وقال له من أنت حتى تحمل نفسك هذا وتعطيه قال فوالله مالبث الا قليلا حتى مات الوزير وتزوج الكاتب بزوجته وسكن فى داره وتحوّل فى نعمته فحملنى ذلك على أن كتبت بالفحم فى حائط داره

أيادار قولى اين ساكنك الذى * ابى لؤمه ان يترك الشكر خالدا
تسمى وزيرا والوزارة سبة * لمن قد أبى ان يستفيد المحامدا
وولى ولكن ليس يبرح ذمه * فهاهو قد ارضى عدوّا وناقدا
واضحى وكيل كان يأنف فعله * نزيلك فى الحوض الممنع واردا
جزاء باحسان لذا واساءة * لذاك وساع ورث الحمد قاعدا

والمثل السائر فى هذا رب ساع لقاعد * وقال سليمان بن المرتضى ين محمد بن عبد الملك بن الناصر وكان فى غاية الجمال ويلقب بالغزال

قدم الربيع عليك بعد مغيب * فتلقه بسلافة وحبيب
فصل جديد فلتجدد حالة * يأتى الزمان بها على المرغوب
الجوّ طلق فالقه بطلاقة * واذا انقطب فالقه بقطوب
لله أيام ظفرت بها ومن * أهواه منقاد بغير رقيب

وله

لى فى كفالات الرماح لوانها * وفت ضمان يبلغ الآمالا
وكلت دهرى فى اقتضاء ضمانها * ضمنا به أن لا يحول فحالا

وكان مولعا بالفكاهة والنادر محبا للظرفاء وكان يلتزم خدمته المضحك المشهور بالزرافة و يحضر معه ولعبوا فى مجلس سليمان لعبة أفضوا فيها الى أن تقسموا اثنين اثنين كل شخص ورفيقه فقال سليمان ومن يكون رفيقى فقال له المضحك يامولاى وهل يكون رفيق الغزال الا الزرافة فضحك منه على عادته ودخل عليه وهو قاعد فى رحبة قصره وقد أطل عذاره فقال له ماتطلب الزرافة فقال ترعى الحشيش وأشار الى عذاره فقال له اعزب لعنك الله ومر سليمان به يوما وهو سكران وقد اوقف ذكره وجعل يقول له ماذا رأيت فى القيام فى هذا الزمان أما رأيت كل ملك قام كيف خلع وقتل والله انك سيئ الرأى فقال له سليمان وبم لقبت هذا الثائر فقال يامولاى بصفته القائم فقال ويحتاج الى خاتم فقال نعم و يكون خاتم سليمان فقال له أخزاك الله ان الكلام معك لفضيحة * وقال سعيد بن محمد المروانى وقد هجره المنصور بن أبى عامر مدة الكلام بلغه عنه فدخل والمجلس غاص وأنشد

مولاى مولاى أما آن أن * ترحمنى بالله من هجركا
وكيف بالصبر وانى به * ولم أزل أسبح فى بحركا

فضحك ابن أبى عامر على ما كان يظهره من الوقار وقام وعانقه وعفا عنه وخلع عليه وله

والبدر فى جوّ السماء قد انطوى * طرفاه حتى عاد مثل الزورق
فتراه من تحت المحاق كانما * غرق الكثير وبعضه لم يغرق

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز

وقال الاشعث ان شئت اتيت معاويه فسألته مايريد قال ذلك اليك فاتاه

ان شئت فاتاه الاشعث فسأله فقال له معاوية نرجع نحن وأنتم الى كتاب الله والى ماامر به فى كتابه تبعثون منكم رجلا ترضونه وتختارونه ونبعث برجل وناخذ عليهما العهد والميثاق ان يعملا بما فى الكتاب ولايخرجا عنه وننقاد جميعا الى ما اتفقا عليه من حكم الله فصوّب الاشعث قوله وانصرف الى على فاخبره بذلك فقال اكثر الناس رضينا وقبلنا وسمعنا واطعنا فاختار اهل الشام عمرو بن العاص وقال الاشعث ومن ارتد بعد ذلك الى راى الخوارج رضينا نحن بابى موسى الاشعرى فقال على قد عصيتمونى فى اول الامر فلا تعصونى الآن انى لاارى ان اولى ابا موسى الاشعرى فقال الاشعث ومن معه لانرضى الا بابى موسى الاشعرى قال ويحكم ليس بثقة قد فارقنى وخذل الناس وفعل كذا وكذا وذكر اشياء فعلها ابوموسى ثم انه هرب شهورا حتى امنته ليكن هذا عبد الله بن عباس اوليه ذلك فقال الاشعث واصحابه والله لايحكم فينا مضرى قال على فالاشتر قالوا وقد هاج

هذا الامر الا الاشتر قال فاصنعوا الآن ماردتم وافعلوا مابدا لكم ان تفعلوه فبعثوا الى ابى موسى وكتبوا له القضية

وانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وقال قاسم بن محمد المرواني يستعطف المنصور بن أبي عامر وقد سجنه لقول صدر عنه

ناشدتك الله العظيم وحقه * في عبدك المتوسل المتحرم
بوسائل المدح المعاد نشيدها * في كل مجمع كوكب أو موسم
لا تستبح مني حمى ارعى له * يا من يرى في الله أحمى محتمى

وقال الاصم المرواني يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح معارضا بائية أبي تمام *السيف أصدق انباء من الكتب* بقصيدة طويلة منها

ما للعدا جنة أوقى من الهرب * أين المفر وخيل الله في الطلب
وأين يذهب من في رأس شاهقة * اذا رمته سماء الله بالشهب

ومنها

وطود طارق قد حل الامام به * كالطور كان لموسى أيمن الرتب
لو يعرف الطود ما غشاه من كرم * لم يبسط النور فيه الكف للسحب
ولو تيقن بأس اهل ذروته * لصار كالعهن من خوف ومن رهب
منه يعاوده ذا الفتح ثانية * أضعاف ما حدثوا في سالف الحقب
ويلبس الدين غضا ثوب عزته * كأن أيام بدر عنده لم تغب

وقال في نارنجة

وبنت أيك دنا من لثمها قزح * فصار منه على أرجائها اثر
يبدو لعينيك منها منظر عجب * زبرجد ونضار صاغه المطر
كأن موسى نبي الله اقبسه * نارا وجر عليها كفه الخضر

وقال

وشادن قلت له صف لنا * بستاننا هذا ونارنجنا
فقال لي بستانكم جنة * ومن جنى النارنج نارا جنى

وقال في زلباني

لله نفاح بدا لي مسحرا * فأفاد علم الكيميا بيمينه
ذهبت فضة خده بلواحظي * وكذاك تفعل ناره بعجينه

وقال وقد نزل في فندق لا يليق بمثله

يا هذه لا تفنديني * أن صرت في منزل هجين
فليس قبح المحل مما * يقدح في منصبي وديني
فالشمس علويةولكن * تغرب في حماة وطين

وقال احمد المرواني

حلفت بمن رمى فأصاب قلبي * وقلبه على جمر الصدود
لقد اودى تذكره بقلبي * ولست أشك أن النفس تودي
فقيد وهو موجود بقلبي * فوا عجبا لموجود فقيد

وقال الاصبغ القرشي يرثي ابن شهيد وهو من اصحابه

ايا من به كان السرور مواصلا * واسلم قلبي للصبابة والفكر

ومنها

وقيل لابي موسى ان الناس قد اصطلحوا فقال الحمد لله وقد جعلوك حكما قال انا لله وانا اليه راجعون

(ذكر الحكمين وبدء التحكيم)

كان ابو موسى الاشعري يحدث قبل وقعة صفين ويقول ان الفتن لم تزل في بني اسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى يبعثوا الحكمين يحكمان بما لا يرضى به من اتبعهما فقال سويد بن علقمة اياك ان ادركت ذلك الزمان أن تكون احد الحكمين قال انا قال نعم انت فكان يخلع قميصه ويقول لا جعل الله لي اذا في السماء مصعدا ولا في الارض مقعدا فلقيه سويد بن علقمة بعد ذلك فقال يا ابا موسى اتذكر مقالتك قال سل ربك العافية وكان فيما كتب في الصحيفة أن يحيي الحكمان ما احيا القرآن ولا يتبعان الهوى ولا يداهنان في شيء من ذلك فان فعلا فلا حكم لهما والمسلمون من حكمهما برآء وقال علي للحكمين حين اكره على امرهما وورد الاشتر وكان قد اشرف في ذلك اليوم على الفتح فاخبره مخبر بما قالوا في علي وانه لم يرده سلم الى معاوية وفعل به ما فعل بابن عفان فانصرف الاشتر خوفا على علي ان تحكما بما في كتاب الله وكتاب الله كله لي فان لم تحكما بما في كتاب الله فلا حكم لكما وصيروا الاجل

ومنها لعمرك مايجدى النعيم اذا نات * وجوههم عنى ولافسحة العمر

وقال سليمان بن عبد الملك الاموى

وذى جدل اطال القول منه * بلا معنى وقد خفى الصواب
فقلت اجبه فازداد ردا * فقلت له قد ازدحم الجواب
ولم ارغب بصمتى من مريح * اذا مالم يفد فيه الخطاب

وقال ابو يزيد بن العاصى

عابه الحاسد الذى لام فيه * أن رأى فوق خده جدريا
انما وجهه هلال تمام * جعلوا برقعا عليه الثريا

وله اذا شئت ان يصفو صديقك فاطرح * نزاع الذى يديه فى الهزل والجد
وان كنت من اخلاقه فى جهنم * فأنزله من مثواك فى جنة الخلد
الى ان يتيح الله من لطف صنعه * فراقا جميلا فاجعل العذر فى البعد

وليكن هذا آخر مانورده من كلام بنى مروان رحمهم الله تعالى * ولنرجع الى اهل الاندلس جملة فنقول ام ابو الحجاج المنصفى ان يكتب على قبره

قالت لى النفس اتاك الردى * وانت فى بحر الخطا يامقيم
هلا ادخرت الزاد قلت اقصرى * لايحمل الزاد لدار الكريم

وقد ذكرنا هذين البيتين فى غير هذا الموضع * وقال ابن مرج الكحل اجتمعنا فى حانوت بعض الاطباء باشبيلية فاضجرناه بكثرة جلوسنا عنده وتعذرت المنفعة عليه من أجلنا فأنشدنا

خففوا عنا قليلا * رب ضيق فى براح
هل شكوتم من سقام * أو جلستم للاصحاح

فأضفت اليهما ثالثا وأنشدته اياها على سبيل المداعبة

ان أتيتم ففرادى * ذاك حكم المستراح

ودخل محمد بن غانم بن وليد مجلس باديس بن حيوس فوسع له على ضيق كان فيه فقال

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

ودخل على أبى جعفر اللمائى بعض أصحابه عائدا فى علته التى مات فيها وجعل يروح عليه بمروحة فقال أبو جعفر على البديهة

روحنى عائدى فقلت له * لالاتزدنى على الذى أجد
أماترى النار وهى خامدة * عند هبوب الرياح تتقد

وقال الاعلم ليكن محفوظك من النظم مثل قول ابن القبطرنة

دعاك خليلك واليوم طل * وعارض وجه الثرى قد بقل
لقدرين فاحا وشمامة * وابريق راح ونعم المحل
ولو شاء زاد ولكنه * يلام الصديق اذا ما احتفل

وقال أبو عامر بن نيق الشاطبى

الى شهر رمضان على اجتماع الحكمين فى موضع بين الكوفة والشام وكان الوقت الذى كتبت فيه الصحيفة لايام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين وقيل بعد هذا الشهر منها وخرج الاشعث بالصحيفة يقرؤها على الناس فرحا مسرورا حتى انتهى الى مجلس لبنى تميم فيه جماعة من زعمائهم منهم عروة ابن الزبير التميمى وهو أخو بلال الخارجى فقرأها عليهم فجرى بين الاشعث وبين أناس منهم خطب طويل وان الاشعث كان بدء هذا الامر والمانع لهم من قتال عدوهم حتى يفيئوا الى أمر الله وقال عروة بن أدية اتحكمون فى دين الله وأمره ونهيه الرجال لاحكم الا لله فكان أول من قالها وحكم بها وقد تنوزع فى ذلك وشد بسيفه على الاشعث فضم فرسه عن الضربة فوقعت فى عجز الفرس ونجا الاشعث وكادت العصبية أن تقع بين النزارية واليمانية لولا اختلاف كلمتهم فى الديانة والتحكيم وفى فعل عروة ابن أدية بالاشعث يقول رجل من بنى تميم فى أبيات

عروياعرو وكل فتنة قوم * سلفت انما تكون فتيه
ثم تنمى ويعظم الخطب فيها * فاحذرن غب ماأتيت عريه

٤٣ طنى أعلى الاشعث المعصب بالتاج * حملت السلاح ياابن اديه انها فتنة كفتنة ذى العجل ياعروة العصا والعصيه

ما أحسن العيش لو أن الفتى أبدا * كالبدر يرجع تما بعد نقصان
اذ لا سبيل الى تخليد مأثرة * اذ لا سبيل الى تخليد جثمان

وقال أبو الحسن اللورقى

عجبا لمن طلب المحا * مد وهو يمنع ماليديه
ولباسط آماله * للخير لم يبسط يديه
لم لا أحب الضيف أو * أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه * عندى ويحمدنى عليه

وقال أبو عيسى بن لبون وهو من قواد المأمون بن ذى النون

نفضت كفى من الدنيا وقلت لها * اليك عنى فما فى الحق أغتبن
من كسر بيتى لى روض ومن كتبى * جليس صدق على الاسرار مؤتمن
أدرى به ماجرى فى الدهر من خبر * فعنده الحق مسطور ومختزن
ومامصابى سوى موتى ويدفننى * قوم ومالهم علم بمن دفنوا

وقال أبو عامر بن الحمارة

ولى صاحب أحنو عليه وانه * ليوجعنى حينا فلا أتوجع
أقيم مكانى ما جفانى وربما * يسائلنى الرجعى فلا أتمنع
كأنى فى كفيه غصن أراكة * تميل على حكم النسيم وترجع

وقال أبو العباس بن السعود

تبا لقلب عن الاحباب منصرف * يهوى أحبته ماخالس النظرا
مثل السجنجل فيه الشخص تبصره * حتى اذا غاب لم يترك به أثرا

ومرض أبو الحكم بن علندة فعاده جماعة من أصحابه فيهم فتى صغير السن فوفاه من بره ما أوجب تغيرهم ففطن لذلك وأنشدهم ارتجالا

تكثر من الاخوان للدهر عدة * فكثرة در العقد من شرف العقد
وعظم صغير القوم وابدأ بحقه * فمن خنصرى كفيك تبدأ بالعقد

وقال القاضى أبو موسى بن عمران

ما للتجارب من مدى * والمرء منها فى ازدياد
قد كنت أحسب ذا العلا * من حاز علما واستفاد
فاذا الفقيه بغير ما * ل كالحسام بلا اعماد
شرف الفتى بنضاره * ان الفقير أخو الجماد
ما العلم الا جوهر * قد بيع فى سوق الكساد

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطى

اياك من زلل اللسان فانما * عقل الفتى فى لفظه المسموع
والمرء يختبر الاناء بنقره * ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد تناول بعض أصحابنا نرجسة فركبها فى وردة ثم دفعها

بصفين قد ذكر احمد بن الدورقى عن يحيى بن معين ان عدة من قتل بها من الفريقين فى مائة يوم وعشرة ايام مائة ألف وعشرة آلاف من الناس من اهل الشام تسعون ألفا ومن اهل العراق عشرون الفا ونحن نذهب الى ان عدد من حضر الحرب من اهل الشام بصفين اكثر مما قيل فى هذا الباب وهو خمسون ومائة الف مقاتل سوى الخدم والاتباع وعلى هذا يجب ان يكون مقدار القوم جميعا من قاتل منهم ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلثمائة الف بل اكثر من ذلك لان اقل من فيهم معه واحد يخدمه وفيهم من معه الخمسة والعشرة من الخدم والاتباع واكثر من ذلك واهل العراق كانوا فى عشرين ومائة الف مقاتل دون الاتباع والخدم واما الهيثم ابن عدى الطائى وغيره مثل الشرقى بن القطامى وابى مخنف لوط بن يحيى فذكروا ما قدمناه وهو أن جملة من قتل من الفريقين جميعا سبعون الفا من اهل الشام خمسة واربعون الفا ومن اهل العراق خمسة وعشرون الفا فيهم خمسة وعشرون بدريا وان العدد كان يقع بالقضيب

الى والى صاعد وقال قولا فأبهمت دوننا ابواب القول فدخل الزبير وكان اميا لايذكر من الكلام الاما علق بنفسه فى المجالس و ينفذ مع هذا فى المطولات من الاشعار فأشعر بأمرنا فجعل يقول دون روية

مالللاديبين قداعيتهما * مليحة من ملح الجنه
نرجسة فى وردة ركبت * كمقلة تطرف فى وجنه

وقال ابو محمد بن حزم فى طوق الحمامة

خلوت بها والراح ثالثة لنا * وجنح ظلام الليل قد مد واتلج
فتاة عدمت العيش الابقربها * فهل فى ابتغاء العيش ويحك من حرج
كانى وهى والكاس والخمر والدجا * حيا وثرى والدر والتبر والسبج

قال وهذه خمس تشبيهات لايقدر أحد على أكثر منها اذ تضيق الاعاريض عنه قال أبو عامر ابن مسلمة ولا أذكر مثلها الا قول بعض

فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

الا انه لم يعطف خمسة على خمسة كما صنع ابن حزم بل اكتفى بالعلم فى التشبيهات قال ومن أغرب ما وقع لى من التشبيهات فى بيت قول ابن برون الاكشونى الاندلسى يصف فرسا وردا اغر محجلا

فكأن غرته وتحجيلاته * خمس من السوسان وسط شقائق

قال وهذا على التحقيق ستة على ستة ولم أسمع بمثله لاحد قال ابن الجلاب وكلام ابى عامر هذا لايخلو من النقد * وقال ابن صارة

انظر الى البدر واشراقه * على غدير موجه يزهر
كشمعة من حجر أخضر * خط عليه ذهب أحمر

وقال أبو القاسم بن العطار الاشبيلى

ركبنا سماء النهر والجو مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس فى تلك البرود رقوم

وقال ابن صارة

والنهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من ذهب الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كانها * عكن الخصور تضمها الاعجاز

وقال سهل بن مالك

ورب يوم وردنا فيه كل منى * وقل فى مثل ذاك اليوم أن نردا
فى روضتين بشطى سلسل شبم * كما اجتليت من المحبوب مفتقدا
يبدد القطر فى أثنائه حلقا * فتنظم الريح منها فوقه زردا

وقال ابن صارة

انظر النهر فى رداء عروس * صبغته بزعفران العشى
ثم لما هب النسيم عليه * هز عطفيه فى دلاص الكمى

يعرف ومن لا يعرف وفيهم من غرق وفيهم من قتل فى البر فاكلته السباع فلم يدركهم الاحصاء وغير ذلك مما يعسر ما وصفنا وسمعت امرأة بصفين وقد قتل لها ثلاثة اولاد وهى تقول

اعينى جودا بدمع سرب
على فتية من خيار العرب
وما ضرهم غير جبن النفوس
باى امرئ من قريش غلب

ولما وقع التحكيم تباغض القوم جميعا يتبرأ الاخ من اخيه والابن من ابيه وامر على بالرحيل لعلمه باختلاف الكلمة وتفاوت الرأى وعدم النظام لامورهم وما لحقه من الخلاف منهم و كثرة التحكيم فى جيش أهل العراق وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف وتسابوا ولام كل فريق منهم الآخر فى رأيه وسار على يؤم الكوفة ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام وفرق عساكره فلحق كل جند منهم ببلده ولما دخل على رضى الله عنه الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفا من القراء وغيرهم فلحقوا بحروراء قرية من قرى الكوفة وجعلوا عليهم شبيب بن ربعى التميمى وعلى صلاتهم عبد الله بن الكوا اليشكرى من بكر بن وائل فخرج على اليهم وكانت له معهم مناظرات فدخلوا جميعا

وابعضهم فى شكل يرمى الماء مجوفا مثل الخباء وتمزقه الريح أحيانا

ومطنب للماء ما أوتاده * الا انابيج فكرطب حاذق

لعبت به أيدى الصبا فكانها * أيدى الصبابة بالفؤاد العاشق

وقال صفوان بن ادريس يصف تفاحة فى ماء

ولم أر فيما تشتهى العين منظرا * كتفاحة فى بركة بقرار

يفيض عليها ماؤها فكانها * بقية خد فى اخضرار عذار

وقال أبو جعفر بن وضاح فى دولاب

وباكية والروض يضحك كلما * ألحت عليه بالدموع السواجم

بروقك منها ان تأملت نحوها * زئير اسود والتفاف أراقم

تخلص من ماء الغدير سبائكا * فتنبتها فى الروض مثل الدراهم

وقال الوزير ابن عمار

يوم تكاثف غيمه فكانه * دون السماء دخان عود أخضر

والطل مثل برادة من فضة * منثورة فى تربة من عنبر

والشمس احيانا تلوح كانها * أمة تعرض نفسها للمشترى

وقال أبو الحسن بن سعد الخير

لله دولاب يفيض بسلسل * فى روضة قد اينعت افنانا

قد طارحته بها الحمائم شجوها * فيجيبها ويرجع الالحانا

فكانه دنف يدور بمعهد * يبكى و يسال فيه عمن بانا

ضاقت مجارى طرفه عن دمعه * فتفتحت اضلاعه اجفانا

وقال ابن ابى الخصال

وورد جنى طالعتنا خدوده * ببشر ونشر يبعثان على السكر

وحف ترنجان به فكانه * خدود العذارى فى مقانعها الخضر

وقال ابن صارة

يارب نارنجة يلهو النديم بها * كانها كرة من احمر الذهب

اوجذوة حملتها كف قابسها * لكنها جذوة معدومة اللهب

وقال الخفاجى

ومياسة تزهو وقد خلع الحيا * عليها احلى حمر اوارديه خضرا

يذوب بها ريق الغمامة فضة * و يجمد فى اعطافها ذهبا نضرا

وقال ابن صارة ايضا

ونارنجة لم يدع حسنها * لعينى فى غيرها مذهبا

فطورا ارى ذهبا مضرما * وطورا ارى سفنا مذهبا

وقال ابن وضاح فى السرو

اياسرو لا يعطش منابتك الحيا * ولا يدعن اعطافك الخضر النضر

الكوفة واعا سموا الحرورية لاجتماعهم فى هذه القرية وانحيازهم اليها وقد ذكر يحيى بن معين قال حدثنا وهب بن جابر بن حازم عن الصلت بن بهرام قال لما قدم على الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر جزعت من البلية ورضيت بالقضية وقبلت الدنية لا حكم الا لله فيقول حكم الله أنتظر فيكم فيقولون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فيقول على فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون * وفى سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل وقيل بغيرها على ما قدمنا فى وصف التنازع فى ذلك وبعث على بعبد الله بن العباس وشريح بن هانئ الهمدانى فى أربعمائة رجل فيهم ابو موسى الاشعرى وبعث معاوية بعمرو بن العاص ومعه شرحبيل ابن الصمة فى اربعمائة فلما تدانى القوم من الموضع الذى كان فيه الاجتماع قال ابن عباس لابى موسى ان عليا لم يرض بك حكما لفضل غيرك والمتقدمون عليك كثير وان الناس أبوا غيرك وانى لاظن ذلك لشر يراد بهم وقد ضم داهية العرب معك ان نسيت فلا تنس أن عليا بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وليس فيه خصلة فقد

فقد كسيت منك الجذوع بمثل ما * تلف على الخطى رايات الخضر

وقال ابو اسحق الخولانى

نيلوفر شكله كشكلى * يعوم فى ابحر الدموع
قد البست عطفه دروعا * خود لريح الصبا شموع
يلوح اذلونه كلونى * من فوق فضفاضة هموع
مثل مسامير مذهبات * فى حلقات من الدروع

وقال ابن الابار

وسوسنات ارت من حسنها بدعا * ولم يزل عصر مولانا يرى بدعه
شبيهة بالثريا فى تألفها * وفى تألقها تلتاح ملتمعه
هامت بيمناه تبغى أن تقبلها * واستشرفت تجتلى مرآه مطلعه
ثم انثنى بعضها من بعضها غلبا * على البدار فوافت وهى مجتمعه

ورفع هذه الابيات الى الامير أبى يحيى زكريا

وقال حازم

لانورع يعدل نور اللوز فى أنق * وبهجة عند ذى عدل وانصاف
نظام زهر يظل الدر منتثرا * عليه من كل هامى القطر وكاف
بينا ترى وهى أصداف لدرحيا * بيض غدت دررا فى خضر أصداف

وقال ابن سعد الخير فى رمانة

وساكنة فى ظلال الغصون * بروض بروقك أفنانه
تضاحك أترابها فيه اذ * غدا الجو تدمع أجفانه
كما افتح الليث فاه وقد * تضرج بالدم أسنانه

وقال ابن نزار الوادى آشى

ورمانة قد فض عنها ختامها * حبيب أعار البدر بعض صفاته
فكسر منها نهد عذراء كاعب * وناولنى منها شبيه لداته

وقال بعضهم فى القراسيا ويقال له بالمغرب حب الملوك

ودوح تهدل اشطانه * رعى الدهر من حسنه ما اشتهى
فما احمر منه فصوص العقيق * وما اسود منه عيون المها

وقال بعضهم

وأين معاهد للحسن فيها * وللانس التقاء البهجتين
وللاوتار والاطيار فيها * لدى الاسحار أطرب ساجعين
فكم بدر تجلى من رباها * ومن بطحائها فى مطلعين
وأغيد يرتعى من تلعتيها * ومن ثمر القلوب بمرتعين
اذا أهوى لسوسنة يمينا * عجبت من التقاء السوسنين
وكم يوم توشح من سناه * ومن زهراتها فى حلتين

حين فارقه وهو يريد الاجتماع بابى موسى فقال يا أبا عبد الله ان أهل العراق قد أكرهوا عليا على أبى موسى وأنا وأهل الشام راضون بك وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأى فأخذ الجد وطبق المفصل ولا تلقه برأيك كله ووافاهم سعد ابن أبى وقاص وعبد الله ابن عمر وعبد الرحمن بن يغوث الزهرى والمغيرة بن شعبة الثقفى وغيرهم وهؤلاء ممن قعد عن بيعة على فى آخرين من الناس وذلك فى شهر رمضان فلما التقى أبو موسى وعمرو قال عمرو لابى موسى تكلم وقل خيرا فقال أبو موسى بل تكلم انت يا عمرو فقال عمرو وما كنت لافعل واقدم نفسى قبلك ولك حقوق كلها واجبة لسنك وصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت ضيف فحمد الله ابو موسى واثنى عليه وذكر الحديث الذى حل بالاسلام والخلاف الواقع باهله ثم قال يا عمرو هلم الى امر يجمع الله فيه الالفة ويلم الشعث ويصلح ذات البين فجزاه عمرو خيرا وقال ان للكلام اولا وآخرا ومتى تنازعنا الكلام خطبا لم نبلغ آخره حتى ننسى اوله فاجعل ما كان من كلام نتصادر عليه فى كتاب يصير اليه امرنا قال فاكتب فدعا

ووراح أصيله ما بين نهر * ودولاب يدور بمستعين
بنهر كالسماء يجول فيه * سحائب من ظلال الدوحتين
تدرع للنواسم حين هزت * عليه كل غصن كالرديني
ملاعب في غرامي عند ذكرى * صباه وغضه المتلاعبين

وقال الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانئ

ياحرقة البين كويت الحشا * حتى أذبت القلب في أضلعه
اذ كيت فيه النار حتى غدا * ينساب ذاك الذوب من مدمعه
ياسؤل هذا القلب حتى متى * تؤسى برشف الريق من منبعه
فان في الشهد شفاء الورى * لاسيما ان مص من مكرعه
والله يدني منكم عاجلا * ويبلغ القلب الى مطمعه

ولو لم يكن للاندلسيين غير كتاب شذور الذهب لكفاهم دليلا على البلاغة ومؤلفه هو على ابن موسى بن على بن محمد بن خلف أبو الحسن الانصارى الجيانى نزيل فاس وولى خطابتها ولم ينظم أحد فى الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب حتى قيل فيه ان لم يعلمك صناعة الذهب علمك الادب وفى عبارة بعضهم ان فاتك ذهبه لم يفتك أدبه وقيل فيه انه شاعر الحكماء وحكيم الشعراء وتوفى رحمه الله تعالى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة * ولنذكر هنا نبذة من سرعة بديهة أهل الاندلس وان مرت من ذلك جملة وستأتى أيضا زيادة على الجميع فنقول قال فى بدائع البدائه ما صورته روى عبد الجبار بن حمديس الصقلى قال صنع عبد الجليل بن وهبون المرسى الشاعر لنا نزهة بوادى اشبيلية فأقمنا فيه يوما فلما دنت الشمس للغروب هب نسيم ضعيف غضن وجه الماء فقلت للجماعة أجيزوا * حاكت الريح من الماء زرد * فأجازه كل منهم بما تيسر له فقال لى أبو تمام غالب بن رباح الحجاج كيف قلت يا أبا محمد فأعدت القسيم له فقال * أى درع لقتال لو جمد * انتهى وقد ذكرنا فى هذا الكتاب ما يخالف هذا فليراجع فى محله ثم قال صاحب بدائع البدائه بعد ما سبق ماصورته وقد نقله ابن حمديس الى غير هذا الوصف فقال

نثر الجو على الترب برد * أى در لنحور لو جمد

فناقض المعنى بذكر البرد وقوله لو جمد اذ ليس البرد الا ماجمد والبرد اللهم الا أن يريد بقوله لو جمد دام جموده فيصح ويبعد عن التحقيق * ومثل هذا قول المعتمد بن عباد يصف فوارة

ولربما سلت لنا من مائها * سيفا وكان عن النواظر مغمدا
طبعته لجيا فذابت صفحة * منه ولو جمدت لكان مهندا

وقد أخذت أنا هذا المعنى فقلت أصف روضا

فلو دام ذاك النبت كان زبرجدا * ولو جمدت أنهاره كن بلورا

وهذا المعنى مأخوذ من قول على التونسى الايادى من قصيدته الطائية المشهورة

ألؤلؤ قطر هذا الجو أم نقط * ما كان أحسنه لو كان يلتقط

وهذا المعنى كثير للقدماء قال ابن الرومى من قطعة فى العنب الرازقى

لو

عمرو بصحيفة وكاتب وكان الكاتب غلاما لعمرو فتقدم اليه ليبدا به اولا دون ابى موسى لما اراد من المكر به ثم قال له بحضرة الجماعة اكتب فانك شاهد علينا ولا تكتب شيأ يأمرك به احدنا حتى تستأمر الآخر فيه فاذا امرك فاكتب واذا نهاك فانته حتى يجتمع رأينا اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه فلان وفلان فكتب وبدا بعمرو فقال له عمرو لا أم لك اتقدمنى قبله كانك جاهل بحقه فبدا باسم عبد الله ابن قيس وكتب تقاضيا على انهما يشهدان أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ثم قال عمرو نشهد ان ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسول الله حتى قبضه الله اليه وقد ادى الحق الذى عليه قال ابو موسى اكتب ثم قال فى عمر مثل ذلك ثم قال عمرو اكتب وان عثمان ولى هذا الامر بعد عمر على اجماع من المسلمين وشورى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضا منهم وانه كان مؤمنا فقال ابو موسى الاشعرى ليس هذا مما قعدنا له قال عمرو والله لابد من ان يكون مؤمنا او كافرا قال ابو موسى اكتب قال عمرو فظالما قتل عثمان او مظلوما قال ابو موسى بل قتل مظلوما

لوانه يبقى على الدهور * قرط آذان الحسان الحور

قال على بن ظافر وأخبرنى من أثق به قال ركب المعتمد على الله أبو القاسم بن عباد للنزهة بظاهر اشبيلية فى جماعة من ندمائه وخواص شعرائه فلما أبعد أخذ فى المسابقة بالخيول فجاء فرسه بين السابقين سابقا فرأى شجرة تين قد أينعت وزهت و برزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت فسدد اليها عصا كانت فى يده فأصابها وثبتت على أعلاها فأطربه ما رأى من حسنها وثباتها والتفت ليخبر به من لحقه من أصحابه فرأى ابن جامع الصباغ أول من لحق به فقال أجز* كأنها فوق العصا* فقال* هامة زنجى عصى* فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله وأمر له بجائزة سنية * قال على بن ظافر وأخبرنى أيضا أن سبب اشتهار ابن جامع هذا ان الوزير ابا بكر بن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الاندلس لا يستقر ببلدة ولا يستفزه عن وطره وطن وكان كثير التطلب لما يصدر عن ارباب المهن من الادب الحسن فبلغه خبر ابن جامع هذا قبل اشتهاره فمر على حانوته وهو آخذ فى صناعة صباغته والنيل قد جر على يديه ذيلا وأعاد نهارهما ليلا فأراد أن يعلم سرعة خاطره فأخرج زنده ويده بيضاء من غير سوء وأشار الى يده وقال كم بين زند وزند فقال ما بين وصل وصد فعجب من حسن ارتجاله ومبادرة العمل واستعجاله وجذب بضبعه وبلغ من الاحسان اليه غاية وسعه وبلغنى أيضا انه دخل سرقسطة فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطى فمر عليه ولحم خرفانه بين يديه فأشار ابن عمار الى اللحم وقال * لحم سباط الخرفان مهزول * فقال

* يقول للمفلسين مه زولوا * انتهى ولما صنع المتوكل على الله بن الافطس صاحب بطليوس هذا القسيم * الشعر خطة خسف * أرتج عليه فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون صاحب الرائية التى أولها * الدهر يفجع بعد العين بالاثر * وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب وهو أحد وزراء دولته وخواص حضرته فاستجازه اياه فقال

لكل طالب عرف للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظرف وذكر ابن بسام فى الذخيرة أن قائل القسيم الاول الاستاذ أبو الوليد بن ضابط وأن عبد المجيد أجازه ارتجالا وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقد ذكرنا ما يقرب من ذلك فى هذا الكتاب وقال ابن الغليظ المالقى قلت يوما للاديب أبى عبد الله بن السراج المالقى ونحن على جرية ماء أجز

شمر بنا على ماء كأن خريره * فقال بديها * بكاء محب بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا كئيبا بالفه * فانى مشغوف به وكئيب

وذكر ابن بسام فى الذخيرة انه اجتمع ابن عبادة وابن القابلة السبتى بالمرية فنظر الى وسيم يسبح فى البحر وقد تعلق بسكان بعض المراكب فقال ابن عبادة أجز

انظر الى البدر الذى لاح لك * فقال ابن القابلة * فى وسط اللجة تحت الحلك *

قد جعل الماء سماء له * واتخذ الفلك مكان الفلك

وقال ابو عامر بن شهيد لما قدم زهير الصقلبى الى حضرة قرطبة من المرية وجه وزيره أبو جعفر ابن عباس الى لمة من أصحابنا منهم ابن برد و أبو بكر المروانى وابن الحناط والطبنى فحضروا اليه فسألهم عنى وقال وجهوا اليه فوافانى رسوله مع دابة بسرج حلى ثقيل فسرت اليه ودخلت

قال عمرو افليس قد جعل الله لولى المظلوم سلطانا يطلب بدمه قال ابوموسى نعم قال عمرو فهل تعلم لعثمان وليا اولى من معاوية قال ابو موسى لا قال عمرو افليس لمعاوية ان يطلب قاتله حيثما كان حتى يقتله او يعجز قال ابوموسى بلى قال عمرو للكاتب اكتب وامره ابوموسى فكتب قال عمرو فانا نقيم البينة أن عليا قتل عثمان قال ابو موسى هذا أمر قد حدث فى الاسلام وانما اجتمعنا لله فهلم الى أمر يصلح الله به أمة محمد قال عمرو وما هو قال ابوموسى قد علمت ان اهل العراق لا يحبون معاوية ابدا وان اهل الشام لا يحبون عليا ابدا فهل نخلعهما جميعا ونستخلف عبد الله بن عمرو وكان عبد الله بن عمر على بنت ابى موسى قال عمرو ايفعل ذلك عبد الله بن عمر قال ابو موسى نعم اذا حمله الناس على ذلك فعل فعمد عمرو الى كل ما مال اليه ابوموسى فصوبه وقال له هل لك فى سعد قال له ابوموسى لا فعدد له عمرو جماعة وابوموسى يأبى ذلك الا ابن عمر فاخذ عمرو الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه بعد أن ختماها جميعا وقال عمرو ارايت ان رضى اهل العراق بعبد الله ابن عمرو ابى اهل الشام ايقاتل اهل الشام قال ابوموسى لا قال عمرو فان رضى اهل الشام وابى

المجلس وأبو جعفر غائب فتحرك المجلس لدخولي وقاموا جميعا الى حتى طلع ابو جعفر علينا ساحبا ذيلا لم أر أحدا اصحبه قبله وهو يترنم فسلمت عليه سلام من يعرف قدر الرجال فرد ردا لطيفا فعلمت أن فى أنفه نعرة لاتخرج الا بسعوط الكلام ولاتراض الا بمستحصد النظام ورأيت أصحابى يصيخون الى ترنمه فقال لى ابن الخياط وكان كثير الانحاء على جالباقى المحافل مايسوءالى ان الوزير حضره قسيم وهو يسألنا اجازته فعلمت انى المراد فاستنشدته فأنشد* مرض الجفون ولثغة فى المنطق* فقلت لمن حضر لاتجهدوا أنفسكم فالمراد غيرى ثم أخذت الدواة فكتبت* سبحان جراعشق من لم يعشق*

من لى بألثغ لايزال حديثه * يذكى على الاحشاء جمرة محرق
ينبى فينبو فى الكلام لسانه * فكانه من خمر عينيه سقى
لايعنش الالفاظ من عثراتها * ولو انها كتبت له فى مهرق

ثم قمت عنهم فلم ألبث أن وردوا على وأخبرونى أن أباجعفر لم يرض بما جئت به من البديهة وسألونى أن أحمل مكاوى الهجاء على حتاره فقلت

أبو جعفر كاتب محسن * مليح سنا الخط حلو الخطابه
تمــلأ شحما ولحما وما * يليق تمــلؤه بالكتابه
اذا عــرق ليس ماء الحياة * ولكنــه رشح ماء الجنابه
جرى الماء فى سفله جرى لين * فأحدث فى العلو منه صلابه

وذكر الوزير أبو بكر بن اللبانة الدانى فى كتابه سقيط الدرر ولقيط الزهر أن المعتمد بن عباد صنع فيما فى القبة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهى وهو سعد السعود يتيه فوق الزاهى* ثم استجاز الحاضرين فعجزوا فصنع ولده عبدالله الرشيد وكلاهما فى حسنه متناهى*

ومن اغتدى سكنا لمثل محمد * قدجل فى العلياء عن الاشباه
لازال يبلغ فيهما ماشاءه * ودهت عداه من الخطوب دواهى

وخرج القاضى الفقيه أبو الحسن على بن القاسم بن محمد بن عشرة أحد رؤساء المغرب الاوسط فى جماعة من أصحابه منهم محمد بن عيسى بن سوار الاشبونى ورجل يسمى بأبى موسى خفيف الروح ثقيل الجسم فجعل يعبث بالحاضرين بأبيات من الشعر يصنعها فيهم فصنع القاضى أبو الحسن معاتباله *وشاعر أثقل من جسمه* ثم استجاز ابن سوار فقال *تأتى معانيه على حكمه

يهجو فلا يهجى فهل عندكم * ظلامة تعدى على ظالمه
لسانه فى هجوه حية * منية الحية فى سمه
يصيب سر المرء فى رميه * كأنما العالم فى علمه
أما أبو موسى ففى كفه * عصا ابنه والسحر فى نظمه

وفى المقتبس فى تاريخ الاندلس أن الامير عبد الرحمن خرج فى بعض أسفاره فطرقه خيال جارية له طروب أم ولده عبدالله وكانت أعظم حظايا عنده وأرفعهن لديه لايزال كلفا بها

اهل العراق ايقاتل أهل
فقم فاخطب الناس
واخلع صاحبينا وتكلم
باسم هذا الرجل الذى
تستخلف فقال ابو موسى
بل أنت قم فاخطب فانت
أحق بذلك قال عمرو ما احب
ان أتقدمك وماقولى
وقولك للناس الاقول
واحد فقم راشدا فقام أبو
موسى فحمدالله واثنى
عليه وصلى على نبيه صلى الله
عليه وسلم ثم قال ايها الناس
اناقد نظرنا فى امرنا فرأينا
اقرب مايحضرنا من الامن
والصلاح ولم الشعث
وحقن الدماء وجمع الالفة
خلعنا علياومعاوية وقد
خلعت عليا كما خلعت
عمامتى هذه واهوى الى
عمامته فخلعها واستخلفنا
رجلا قد صحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنفسه
وصحب ابوه النبى صلى الله
عليه وسلم فبرز فى سابقته
وهو عبدالله بن عمرو أطراه
ورغب الناس فيه ونزل
فقام عمرو فحمدالله واثنى
عليه وصلى على رسوله صلى
الله عليه وسلم ثم قال أيها
الناس ان أباموسى عبدالله
ابن قيس خلع عليا
وأخرجه من هذا الامر الذى
يطلب وهو أعلم به الاوانى
خلعت عليامعه وأثبت معاوية على وعليكم وان أباموسى قد كتب فى الصحيفة أن عثمان

هاأعجبها فأنشده وهو يقول

شاقك من قرطبة السارى * فى الليل لم يدر به الدارى

ثم أتاه عبد الله بن الشمر نديمه فاستجازه كمال البيت فقال

زار فيالى ظلام الدجا * أحبب به من زائر سارى

وصنع الامير عبد الرحمن المذكور فى بعض غزواته قسيما وهو * نرى الشئ مما يتقى فنهابه * ثم ارتج عليه وكان عبد الله بن الشمر نديمه وشاعره غائبا عن حضرته فأراد من يجيزه فأحضر بعض قواده محمد بن سعيد الزجالى وكان يكتب له فأنشده القسيم فقال وما لانرى مما يقى الله أكثر * فاستحسنه وأجازه وجعله استحسانه على أن استوزره وذكر ابن بسام أن المعتمد بن عباد أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب فصيغا فجاء وزنهما سبعمائة مثقال فأهدى الغزل الى السيدة ابنة مجاهد والهلال الى ابنه الرشيد فوقع له الى أن قال

بعثنا بالغزال الى الغزال * وللشمس المنيرة بالهلال

ثم أصبح مصطبحا وجاء الرشيد فدخل عليه وجاء الندماء والجلساء وفيهم أبو القاسم بن المرزبان فحكى لهم المعتمد البيت وأمرهم باجازته فبدر ابن المرزبان فقال

فذاك كنى أبوته فؤادى * وذا جلى أقلده المعالى

شغلت بذا الطلا خلدى ونفسى * ولكنى بذاك رخى بال

دفعت الى يديه زمام ملكى * محلى بالصوارم والعوالى

فقام يقرعنى فى مضاء * ويسلك مسلكى فى كل حال

فدم منا للعلاء ودام فينا * فانا للسماح وللنزال

ولما أنشد أبو القاسم بن الصيرفى قول عبد الله بن السمط

حار طرف تأملك * ملك أنت أم ملك

قال بديها بل تعاليت رتبة * فلك الارض والفلك

وذكر ابن بسام فى الذخيرة انه غنى يوما بين يدى العالى بالله الادريسى بمالقة بيت لعبد الله ابن المعتز

هل ترين البين يحتال * أن غدت للحى أجمال

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقى باجازته فقال بديها

انما العالى امام هدى * حليت فى عصره الحال

ملك اقبال دولته * لذوى الافهام اقبال

قل لمن أكدت مطالبه * راحتاه الجاه والمال

وغنى أبو الحسن زرياب يوما بين يدى الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بهذين البيتين وهما لابى العتاهية

قالت ظلوم سمية الظلم * مالى رأيتك ناحل الجسم

يامن رمى قلبى فأقصده * أنت الخبير بموقع السهم

فقال عبد الرحمن هذان البيتان منقطعان فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبدع فصنع

قد قتل مظلوما شهيدا وان لوليه أن يطلب بدمه حيث كان وقد صحب معاوية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحب أبوه النبى صلى الله عليه وسلم وأطراه ورغب الناس فيه وقال هو الخليفة علينا وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان فقال أبو موسى كذب عمرو لم نستخلف معاوية ولكنا خلعنا معاوية وعليا معا فقال عمرو بل كذب عبد الله بن قيس قد خلع عليا ولم يخلع معاوية (قال المسعودى رحمه الله) ووجدت فى وجه آخر من الروايات انهما اتفقا على خلع على ومعاوية وان يجعلا الامر بعد ذلك شورى يختار الناس رجلا يصلح لها فقدم عمرو أبا موسى فقال أبو موسى انى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وتنحى وقام عمرو من مكانه فقال ان هذا قد خلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبى معاوية فقال أبو موسى مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا فقال له عمرو بل اياك يلعن الله كذبت وغدرت انما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ثم وكز أبا موسى فألقاه لجنبه فلما رأى ذلك شريح بن هانئ قنع عمرا بالسوط وتحوّل أبو موسى فاستوى على

عبيد الله بن قرناس بديهيا

فأجبتها والدمع منحدر * مثل الجمان وهي من النظم

فاستحسنه وأمر له بجائزة وذكر ابن بسام أيضا أن المعتمد بن عباد غنى بين يديه بقول ابن المعتز

وخمارة من بنات المجوس * ترى الزق في بيتها شائلا
وزنا لها ذهبا جامدا * فكالت لنا ذهبا سائلا

فقال بديها يجيزه

وقلت خذي جوهرا ثابتا * فقالت خذوا عرضا زائلا

وركب المعتمد في بعض الايام قاصدا الجامع والوزير أبو بكر بن عمار يسايره فسمع أذان مؤذن فقال المعتمد

هذا المؤذن قد بدا باذانه فقال ابن عمار يرجو بذاك العفو من رحمانه

فقال المعتمد

طوبى له من شاهد بحقيقة فقال ابن عمار ان كان عقد ضميره كلسانه

وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلي أقمت باشبيلية لما قدمتها على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت الي ولا يعبأ بي حتى قنطت لخيبتي مع فرط تعبي وهممت بالنكوص على عقبي فاني لكذلك ليلة من الليالي في منزلي اذا بغلام معه شمعة ومركوب فقال لي أجب السلطان فركبت من فوري ودخلت عليه فأجلسني على مرتبة فنك وقال لي افتح الطاق التي تليك ففتحتها فاذا بكور زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه وواقدة تفتحهما تارة وتسدهما أخرى ثم دام سد أحدهما وفتح الآخر فحين تأملتهما قال لي أجز

أنظرهما في الظلام قد نجما فقلت كما رنا في الدجنة الاسد

فقال يفتح عينيه ثم يطبقها فقلت فعل امرئ في جفونه رمد

فقال فابتزه الدهر نور واحدة فقلت وهل نجا من صروفه احد

فاستحسن ذلك وأمر لي بجائزة سنية وألزمني خدمته وقد ذكرنا هذه الحكاية في هذا الكتاب ولكن ماهنا أتم مساقا فلذلك نبهت عليه وذكر صاحب فرحة الانفس في أخبار أهل الاندلس ان أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر جلس في جماعة من خواصه ومعهم أبو القاسم لب وكان يعده للمجون والتطايب فقال له اهج عبد الملك بن جهور يعني أحد وزرائه فقال اخافه فقال لعبد الملك فاهجه أنت فقال أخاف على عرضي منه فقال اهجوه أنا وأنت ثم صنع

لب أبو القاسم ذو لحية * كبيرة في طولها ميل

فقال عبد الملك

وعرضها ميلان ان كسرت * والعقل مأبون ومخبول

فقال الناصر للب اهجه فقد هجاك فقال بديها

قال أمين الله في عصرنا * لي لحية أزرى بها الطول
وابن جهير قال قول الذي * مأكله القرضيل والفول

راحلته ولحق بمكة ولم يعد الى الكوفة وقد كانت خطته وأهله وولده بها وآلى أن لا ينظر الى وجه على ما بقي ومضى ابن عمر وسعد الى بيت المقدس وفي فعل الحكمين يقول ابن ابن خريم بن فاتك الاسدي

لو كان للقوم رأي يعظمون به
عند الخطوب رموكم بابن عباس
لكن رموكم بوغد من ذوي يمن
لم يدر ما ضرب اخماس باسداس

وفي اختلاف الحكمين والحكمة يقول بعض من حضر ذلك

رضينا بحكم الله لا حكم غيره
وبالله ربا والنبي وبالذكر
وبالاصلع الهادي على امامنا
رضينا بذاك الشيخ في العسر واليسر
رضينا به حيا وميتا فانه
امام الهدى في موقف النهي والامر

ولابي موسى يقول ابن عباس

أبا موسى بليت وكنت شيخا
قريب العفو مخزون اللسان
وما عمرو صفاتك يا ابن قيس
فيا لله من شيخ يماني
فامسيت العشية ذا اعتذار
ضعيف الركن منكوب العنان
تعض الكف من ندم وماذا * يرد عليك عض للبنان

وقيل انه لم يكن بينهما غير ما كتباه في الصحيفة لولا

لولا حيائي من امام الهدى * نخست بالمنخس شو

ثم سكت فقال له الناصر هات تمام البيت فامتنع فقال له قولو يعني تمام البيت كلمة قالها الناصر مسترسلا غير متحفظ من زيادة الواو وابدال الهاء واوا انصوابها قله على حكم المشى مع الطبع والراحة من التكلف فقال اب يا مولانا أنت هجوته ففطن الناصر والحاضرون وضحكوا وأمر له بجائزة والقرضيل شوك له ورق عريض تأكله البقر وقوله شو اسم الرجل بالرومية وقولو اسم للاستبهاف كأنه قال لولا حياتي من امام الهدى نخست بالمنخس الذى هو الذ كراسته *وقال ابن ظافر اخبرنى من اثق به قال اجتمع الوزير ابو بكر ابن القبطرنة والاستاذ ابو العباس بن صارة فى يوم جلا ذهب برقه واذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فتر افدا فى صفتها فقال ابن صارة

هذى البسيطة كاعب ابرادها * حلل الربيع وحليها النوّار

فقال ابن القبطرنة

وكأن هذا الجوّ فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

فقال ابن صارة

فاذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

فقال ابن القبطرنة

فن اجل عزة ذا وذلة هذه * تبكى الغمام وتضحك الازهار

وقال ابو بكر محمد بن الزبيدى النحوى صاحب الشرطة يخاطب الوزير ابا الحسن جعفر بن عثمان المصحفى لما كتب كتابا له فيه فاضت نفسه بالضاد مبينا له الخطأ دون تصريح

قل للوزير السنى محتده * لى ذمة منك انت حافظها
عناية بالعلوم معجزة * قد بهظ الاوّلين باهظها
يقر لى عمرها ومعمرها * فيها ونظامها وجاحظها
قد كان حقا قبول حرمتها * لكنّ صرف الزمان لافظها
وفى خطوب الزمان لى عظة * لو كان يثنى النفوس واعظها
ان لم تحافظ عصابة نسبت * اليك قدما فن يحافظها
لاتدعن حاجتى بمطرحة * فان نفسى قد فاظ فائظها

فاجابه المصحفى

خفض فواقا فانت أوحدها * علما ونقابها وحافظها
كيف تضيع العلوم فى بلد * ابناؤها كلهم يحافظها
الفاظهم كلها معطلة * مالم يعوّل عليك لافظها
من ذا يساويك ان نطقت وقد * اقر بالعجز عنك جاحظها
علم ثنى العالمين عنك كما * ثنى عن الشمس من يلاحظها
وقد اتتنى فديت شاغلة * للنفس أن قلت فاظ فائظها

واقرار أبي موسى بان عثمان قتل مظلوما وغير ذلك مما قدمنا وانهما لم يخطبا وذلك أن عمرا قال لابى موسى سم من شئت حتى أنظر معك فسمى أبو موسى ابن عمر وغيره ثم قال لعمرو قد سميت أنا فسم أنت قال نعم اسمى لك أقوى هذه الامة عليها وأسدها رأيا واعلمها بالسياسة معاوية بن أبى سفيان قال لا والله ماهو لذلك باهل قال فآتيك بآخر ليس هو بدونه قال من هو قال أبو عبد الله عمرو بن العاص قال فلما قالها علم ابو موسى أنه يلعب به فقال فعلتها لعنك الله فتسابا فلحق أبو موسى بمكة فلما انصرف أبو موسى انصرف عمرو بن العاص الى منزله ولم يأت الى معاوية فارسل اليه معاوية يدعوه فقال انما كنت أجيئك اذ كانت لى اليك حاجة فاما اذ كانت الحاجة الينا فانت أحق أن تأتينا فعلم معاوية ما قد وقع اليه فخذ الرأى وأعمل الحيلة وأمر معاوية بطعام كثير فصنع ثم دعا بخاصته ومواليه وأهله فقال انى سأغدو الى هذا فاذا دعوته فادعوا مواليه وأهله فليجلسوا قبلكم فاذا شبع رجل وقام فليجلس رجل منكم مكانه فاذا خرجوا ولم يبق فى البيت أحد فأغلقوا باب البيت واحذروا أن يدخل أحد منهم الا أن آمركم وغدا اليه معاوية وعمرو جالس

فأوضحـــنها تغز بنـادرة * قدبهــظ الاولين باهظها

فاجابه الزبيدى وضمن شعره الشاهد على ذلك

اتانى كتاب من كريم مكـرّم * فنفس عن نفس تـكاد تفيظ
فسر جميـــــع الاولياء وروده * وسىء رجال آخرون وغيظوا
لقدحفظ العهـد الذى قداضاعه * لدى سـواه والكريم حفيظ
وباحثت عن فاظت وقبـلى قالها * رجال لديهم فى العلوم حظوظ
روى ذاك عن كيسان سهل وأنشدوا * مقال أبى الغياظ وهو مغيظ
وسميت غيـاظا واست بغائظ * عدوّا ولكن الصديق يغيظ
فلارحـم الرحمن روحـك حية * ولاهى فى الارواح حين تفيظ

قلت وفى خطاب الوزير بهـذا البيت وان حكى عن قائله مالايخفى أن اجتنابه المطلوب على أنه قد يقال فاضت نفسه بالضاد كماذكره ابن السكيت فى خلل الالفاظ والله أعلم * وكتب الزبيدى المذكور الى أبى مسلم بن فهد

أبامســــلم ان الفـتى بجنانه * ومقوله لا بالمراكب واللبس
وليست ثياب المرء تغنى قلامة * اذا كان مقصورا على قصر النفس
وليس يفيد العلم والحلم والحجا * أبامسلم طول القعود على الكرسى

وقال وقد استأذن الحكم المستنصر فى الرجوع الى أهله باشبيلية ولم يأذن له فكتب الى جاريته سلمى

ويحك ياسلم لاتراعى * لابدللبـين من زماع
لاتحسبينى صبرت الا * كصبر ميت على النزاع
ماخلق الله من عذاب * أشـد من وقفة الوداع
مابينها والحمام فرق * لولا المناحات والنواعى
ان يفترق شملنا وشيكا * من بعدما كان ذا اجتماع
فكل شمل الى افتراق * وكل شعب الى انصداع
وكل قرب الى بعاد * وكل وصـل الى انقطاع

واجتمع جماعـة من الادباء فيهم أبو الحسن سهل بن مالك والمهر بن الفرس وغيرهما بمدينة سبتة سنة ٥٨١ فتذاكروا محبوبا لهم يسكن الجزيرة الخضراء أمامهم فقالوا ليقل كل واحد منكم شيأ فيه فقال سهل بن مالك

لما حططت بسـبتة قتب النوى * والقلب يرجو أن يحوّل حاله
والجو مصـقول الاديم كأنما * يبدى الخفى من الامور صقاله
عاينت من بلد الجـزيرة مكنسا * والبحر يمنع أن يصاد غزاله
كالشكل فى المرآة تبصره وقـد * قربت مسافتـه وعز مناله

فقال الجماعة والله لايقول أحد منا بعد هذا شيأ * ولما قرأ أبو محمد عبد الله بن مطروح البلنسى صداق املاك وغير فيه حال القراءة لفظة غير برفع ما كان منصوبا أو بالعكس أنشد

بديها

ولادعاه اليها فجاءه معاوية وجلس على الارض واتكأ على الفرش وذلك أن عمرا على فرشه فلم يقم له عنها كان يحدث نفسه انه قد ملك الامر واليه العهد يضعها فيمن يرى وينذب للخلافة من يشاء فجرى بينهما كلام كثير وكان مما قال له عمرو هذا الكتاب الذى بينى وبينه عليه خاتمى وخاتمه وقد أقر بأن عثمان قتل مظلوما فأخرج عليا من هذا الامر وعرض على رجال لم أرهم أهلا لها وهذا الامر الى أستخلف من شئته قد أعطانى أهل الشام عهودهم ومواثيقهم فخادثه معاوية ساعة وأخرجه عما كانوا عليه وضاحكه وداعبه ثم قال يا أبا عبد الله هل من غداء قال أما والله شئ يشبع من ترى فلا فقال معاوية هلم يا غلام غداءك فجئ بالطعام المستعد فوضع فقال يا أبا عبد الله ادع مواليك وأهلك فدعاهم ثم قال له عمرو وادع أنت أصحابك قال نعم يأكل أصحابك ثم يجلس هؤلاء بعد فجعلوا كلما قام رجل من حاشية عمرو قعد موضعه رجل من حاشية معاوية حتى خرج أصحاب عمرو وجلس أصحاب معاوية فقام الذى وكله بغلق الباب فاغلق الباب فقال له عمرو فعلتها فقال اى والله بينى وبينك أمران اختر أيهما شئت البيعة لى أو أقتلك ليس والله غيرهما

بديها بعد الفراغ معتذرا عن لحنه

غيرت غيرا فصرت عيرا * وهكذا من يحد سيرا

فأجابه الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعى وكان الى جانبه بديهة

ما أنت ممن يظن فيه * بذاك جهل فظن خيرا

ووقف أبو أمية بن حمدون بباب الاستاذ الشلوبين فكتب فى ورقة أبو أمية بالباب ودفع الورقة لخادم الاستاذ فلما نظر اليها الاستاذ نون تاء أمية ولم يزد على ذلك وأمر الخادم بدفع الورقة اليه فلما نظر فيها أبو أمية انصرف علما منه أن الاستاذ صرفه فانظر الى فطنة الشيخ والتلميذ مع أن الشيخ منسوب الى التغفل فى غير العلم *(ومن حكايات أهل الاندلس فى العفو) أن المعتصم بن صمادح كان قد أحسن للنحلى البطليوسى ثم ان النحلى سار الى اشبيلية فمدح المعتضد بن عباد بشعر قال فيه

أباد ابن عباد البربرا * وأفنى ابن معن دجاج القرى

ونسى ما قاله حتى حل بالمرية فاحضره ابن صمادح لمنادمته وأحضر للعشاء موائد ليس فيها غير دجاج فقال النحلى يا مولاى ما عندكم فى المرية غير الدجاج فقال انما أردنا أن نكذبك فى قولك وأفنى ابن معن دجاج القرى فطار سكر النحلى وجعل يعتذر فقال له خفض عليك انما ينفق مثلك بمثل هذا وانما العتب على من سمعه فاحتمل منك فى حق من هو فى نصابه ثم أحسن اليه وخاف النحلى ففر من المرية ثم ندم فكتب الى المعتصم

رضا ابن صمادح فارقته * فلم يرضنى بعده العالم

وكانت مرية جنة * فخرجت بأجاه آدم

فما زال يتفقده بالاحسان على بعد دياره وخروجه عن اختياره انتهى * وقال فى بلنسية أبو عبد الله الرصافى وقد خرج منها صغيرا

بلادى التى ريشت قويدمتى بها * فريخا وآوتنى قرارتها وكرا

مهادى ولين العيش فى ريق الصبا * أبى الله أن أنسى اعتيادى بها خيرا

وقال أبو بكر محمد بن يحيى الشلطيشى

وفاة المرء سر لم يكاشف * ولم تثبت حقيقته درايه

سيفنى كل ذى شجو ونفس * وتلتحق النهاية بالبدايه

وينصدع الجميع الى صدوع * تعود به البرية كالبرايه

كان مصائب الدنيا سهام * لها الايام أغراض الرمايه

فنل ما شئت ان الفقر بدء * وعش ما شئت ان الموت غايه

وقال أبو بكر محمد بن العطار اليابسى وهو من رجال الذخيرة

أمطيت عزمك منه متن سابحة * خاب الحباب على لباتها لببا

تبدو على الموج أحيانا ويضمرها * كالعيس تعتسف الاهضاب والكثبا

وقال محمد بن الجيلى النحوى

وما الانس بالناس الذين عهدتهم * بأنس ولكن فقد رؤيتهم أنس

قلت لك قال فأولنى اذا مصر قال هى لك ما عشت فاستوثق كل واحد منهما من صاحبه وأحضر معاوية الخواص من أهل الشام ومنع أن يدخل معهم أحد من حاشية عمرو فقال لهم عمرو قد رأيت أن ابايع معاوية فلم أر أحدا أقوى على هذا الامر منه فبايعه أهل الشام وانصرف الى منزله خليفة ولما بلغ عليا ما كان من أمر ابى موسى وعمرو قال انى كنت تقدمت اليكم فى هذه الحكومة ونهيتكم عنها فابيتم الا عصيانى فكيف رأيتم عاقبة أمركم اذ أبيتم على والله انى لاعرف من حملكم على خلافى والترك لامرى ولو أشاء أخذه لفعلت ولكن الله من ورائه يريد بذلك الاشعث بن قيس والله أعلم وكنت فيما أمرت به كما قال أخو بنى خثعم

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

من دعا الى هذه الخصومة فاقتلوه قتله الله ولو كان تحت عمامتى هذه الا أن هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموهما حكمين

قد تركا حكم الله وحكما بهوى أنفسهما بغير حجة ولا حق معروف فأماتا ما أحيا القرآن وأحييا

فتأهبوا للجهاد واستعدوا للسير وأصبحوا فى عساكركم ان شاء الله تعالى (قال المسعودى) وقد اختلفت الفرق من أهل ملتنا فى الحكمين وقالوا فى ذلك أقاويل كثيرة وقد اتينا على ما ذهبوا اليه فى ذلك فى كتاب المقالات وما قاله كل فريق منهم ومن ايد قوله من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم من فرق هذه الامة فى كتابنا فى المقالات فى اصول الديانات وذكرنا فى كتاب اخبار الزمان قول على فى مواقفه وخطبه وما قاله فى ذلك وما اكره عليه وما بينه لهم بعد الحكومة وما تقدم الحكومة من تحذيره اياهم منها حين ألحوا فى تحكيم أبى موسى الاشعرى وعمرو حيث قال الان القوم قد اختاروا لانفسهم اقرب الناس مما يحبون واخترتم لانفسكم اقرب الناس مما تكرهون انما عهدكم بعبد الله بن قيس بالامس وهو يقول الا انها فتنة فقطعوا فيها اوتاركم وكسروا قسيكم فان يك صادقا فقد اخطأ فى مسيره غير مستكره عليه وان يك كاذبا فقد لزمته التهمة وهذا كلام ابى موسى فى تخذيله الناس وتحريضه على الجلوس عن امير المؤمنين على فى حروبه ومسيره الى الجمل وغيره ثم ما قاله فى بعض

اذا سلمت نفسى ودينى منهم * فحسبى أن العرض منى لهم ترس

وقال محمد بن حرب

طوبى لروضة جنة * لك قد نويت ورودها
نظمت على لباتها * أيدى الغمام عقودها
وسقت بماء الورد وا * لمسك الفتيت صعيدها
والطير تشدو فى الغصو * ن المائدات قصيدها
وتعير سمع المستعـ * ـير نظيمها ونشيدها

وكان فى دار محمد بن اليسع شاعر الدولة العامرية وردة وكان يهدى وردها كل عام الى عارض الجيش أحمد بن سعيد فغاب العارض سنة فقال

قال لى الورد وقد لا * حظته فى روضتيه
وهو قد أينع طيبا * جمع الحسن لديه
أين مولاى الذى قد * كنت تهدينى اليه
قلت غاب العام فايأس * أن ترى بين يديه
فبدا يذبل حتى * ظهر الحزن عليه

وقال محمد بن أفلح

ما أستريح الى حال فاحمدها * بالبين قلبى وقبل البين قد ذهبا
ان كان لى أرب فى العيش بعدكم * فلا قضيت اذن من حبكم أربا

وقال أحمد بن تليد الكاتب

لم ارض بالذل وان قلا * والحر لا يحتمل الذلا
يارب خل كان لى خامل * صار الى العزة ما خلا
حرمت المسامى على بابه * ووصله لم أره حلا
تأبى على النفس من أن أرى * يوما على مستقل كلا

وقال اسحق بن المنادم وقد أهدى له من يهواه تفاحة

مجال العين فى ورد الخدود * يذكر طيب جنات الخلود
وآرجة من التفاح تزهو * بطيب النشر والحسن الفريد
أقول لها فضحت المسك طيبا * فقالت لى بطيب أبى الوليد

وقال غالب بن عبد الله الثغرى

يا راحلا عن سواد المقلتين الى * سواد قلب عن الاضلاع قد رحلا
غدا الجسم وأنت الروح فيه فما * ينفك مرتحلا ما دمت مرتحلا
وللفراق جوى لو مر أبرده * من بعد فرقتكم بالماء لاشتعلا

وقال الوزير أبو الحسن بن الامام الغرناطى يهجو مراكش المحروسة

يا حضرة الملك ما اشهاك لى وطنا * لولا ضروب بلاء فيك مصبوب
ماء زعاق وجو كله كدر * وأكلة من بذنجان ابن معيوب

وابن معيوب هذا كان من خدام أبى العلاء بن زهر يزعم الناس انه سم ابن باجة لعداوته لابن زهر فى باذنجان * ولما بنى الفقيه أبو العباس بن القاسم قصره بسلا وشيده وصفته الشعراء وهنته به ودعت له وكان بالحضرة حينئذ الوزير أبو عامر بن الحمارة ولم يكن أعد شيأ فافكر قليلا ثم قال

يا أوحد الناس قد شيدت واحدة * فحل فيها حلول الشمس فى الحمل
فما كدارك فى الدنيا الذى أمل * ولا كدارك فى الاخرى لذى عمل

وفيهم يقول ابن بقى فى موشحته الشهيرة التى آخرها

ان جئت أرض سلا * تلقاك بالمكارم فيدان
هم سطور العلا * ويوسف بن القاسم عنوان

وكان محمد بن عبادة بالمرية ومعه ابن القابلة السبتى فنظرا الى غلام وسيم يسبح وقد تعلق بسفينة فقال ابن عبادة

انظر الى البدر الذى لاح لك فقال ابن القابلة فى وسط اللجة تحت الحلك
قد جعل الماء مكان السما * واتخذ الفلك مكان الفلك

وقال ابن خروف ويروى لغيره

أيتها النفس اليه اذهبى * فحبه المشهور من مذهبى
مفضض الثغر له شامة * مسكية فى خده المذهب
أيأسنى التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

واجتمع فى بستان ثلاثة من شعراء الاندلس وهم ابن خفاجة وابن عائشة وابن الزقاق فقال ابن خفاجة يصف الحال هنالك

لله نورية المحيا * تحمل نارية الحميا
دنا بها تحت ظل دوح * قد راق مرأى وطاب زيا
تجسم النور فيه نورا * فكل غصن به ثريا

وقال ابن عائشة

ودوحة قد علت سماء * تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا علينا * فخلتها أرسلت رجوما
كأنما الأفق غار لما * بدت فاغرى بها النسيما

وقال ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلب منها * زهرات تربك لون الراح
قلت ماذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال الاديب أبو الحسن بن زنون وقع بيدى وأنا أسير بقيجاطة أعادها الله تعالى دار اسلام كتاب ترجمته كتاب التحف والظرف لابن عفيون فوجدت فيه قال الحسين ابن الضحاك

فى خلافته كلام كثير فقال وقد زعمت قريش أن ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب تربت أيديهم وهل فيهم أشد مراسا لها منى لقد نهضت فيها وما بلغت الثلاثين وها أنا ذا قد اربيت على نيف وستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع (قال المسعودى) واذ قد تقدم ذكرنا لجمل من أخبار الجمل وصفين والحكمين فلنذكر الآن جوامع من أخبار يوم النهروان ونعقب ذلك بذكر مقتله عليه السلام وان كنا قد أتينا على مبسوط سائر ما تقدم لنا فى هذا الكتاب وما تأخر فيما سلف من كتبنا والله أعلم

(ذكر حروبه رضى الله عنه مع أهل النهروان وما لحق بهذا الباب من مقتل محمد ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنه والاشتر النخعى وغير ذلك)

واجتمعت الخوارج فى أربعة آلاف فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبى ولحقوا بالمدائن وقتلوا عبد الله بن خباب عامل على عليها ذبحوه ذبحا وبقروا بطن امرأته وكانت حاملا وقتلوا غيرها من النساء وقد كان على انفصل عن الكوفة فى خمسة وثلاثين ألفا وأتاه من البصرة من

ما كان أحوجني يوما الى رجل * في وسطه ألف دينار على فرس
في كفه حربة يفري الدروع بها * وصارم مرهف الحدين كالقبس
فلو رجعت ولم أظفر بمهجته * وقد خضبت ذباب الصارم الشكس
فلا اغتبطت بعيش وابتليت بما * يحول بيني وبين الشادن الانس

ووقف على هذه القطعة أبو نواس فقال

ما كان أحوجني يوما الى خنث * حلو الشمائل في باق من الغلس
في كفه قهوة يسبي النفوس بها * محكم الطرف للالباب مختلس
فلو رجعت ولم أظفر بتكته * وقد رويت من الصهباء كالقبس
فلا هنيت بعيش وابتليت بما * يكون منه صدود الشادن الانس
هذا ألذ وأشهى من مني رجل * في وسطه ألف دينار على فرس

ووقف على ذلك الوزير أبو عامر بن نيق فقال

ما كان أحوجني يوما الى رجل * يردد الذكر في باق من الغلس
في حلقه غنة يشفي النفوس بها * وفي الحشا زفرة مشبوبة القبس
فلو رجعت ولم أوثر تلاوته * على سماع غناء الشادن الانس
فلا حجدت اذن نفسي ولا اعتمدت * بي النجائب قصد البيت ذي القدس
ولا أسلت لقبر المصطفى مقلا * تبكي عليه بهامي الدمع منبجس

قال ابن زنون فقلت وكل ينفق مما عنده ومن عجائب صنع الله تعالى انه عند فراغي من كتب هذه القطعة وصل الفكاك الي وحل قيودي وأخرجني الى بلاد المسلمين وهي

ما كان أحوجني يوما الى رجل * يأتي فينبهني في فحمة الغلس
يفك قيدي وغلي غير مرتقب * ولا مبال من الحجاب والحرس
وقوا لي تأنيسا وتسلية * هذا السلاحي فالبسه وذا فرسي
فلو جبنت ولم أقبل مقالته * وأمتطي الطرف وثبا فعل مفترس
اذن خلعت لباس المجد من عنقي * وصار حظي منه حظ مختلس
وأخلفتني أماني التي طمعت * نفسي اليها واحساني لكل مسي

وقال أبو بكر بن جيش وقد زاره بعض أودائه في يوم عيد فطر

أكل ذا الاجمال في ذا الجمال * لله أستحفظ ذاك الكمال
يا مالكا بالبر رقي أما * يكفيك أن تملكني بالوصال
سرت الى ربعي زورا كما * سرى الى المهجور طيف الخيال
العيد لي وحدي بين الورى * حقا لاني قد رأيت الهلال
صومي مقبول وبرهانه * أني أدخلت جنان الوصال

وقال أبو بكر بن يوسف اللخمي وقد عاده في شكاية فتى وسيم من الاعيان كان والده خطيب البلد

يا عائدي وهو أصل ما بي * أفديك من ممرض طبيب
أصميت لما رميت قلبي * بسهم الحاظك المصيب

عليها عشرة آلاف فيهم الاحنف بن قيس وحارثة بن قدامة السعدي وذلك قبل ابن عباس وكان عامله في سنة ثمان وثلاثين فنزل على الانبار والتأمت اليه العساكر فخطب الناس وحرضهم على الجهاد وقال سيروا الى قتلة المهاجرين والانصار قد طالما سعوا في اطفاء نور الله وحرضوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ألا ان رسول الله أمرني بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرنا اليهم والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم والمارقين ولم نلقهم بعد فسيروا الى القاسطين فهم أهم علينا من الخوارج سيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين يتخذهم الناس أربابا ويتخذون عباد الله خولا وما لهم دولا فأبوا الا أن يبدؤا بالخوارج فسار علي اليهم حتى أتى النهروان فبعث اليهم بالحرث بن مرة العبدي رسولا يدعوهم الى الرجوع فقتلوه وبعثوا الى علي ان تبت من حكومتك وشهدت على نفسك بايعناك وان أبيت فاعتزلنا حتى نختار لانفسنا اماما فانا منك برآء فبعث اليهم على أن ابعثوا الي بقتلة اخواني فأقتلهم ثم أتارككم الى ان افرغ من قتال اهل المغرب ولعل الله يقلب قلوبكم فبعثوا اليه كلنا قتلة أصحابك وكلنا مستحل لدمائهم مشتركون

وجئتني منكر السقمى * وتلك من عادة الحبيب
ياساعة قد غفرت فيها * ما كان للدهر من ذنوب
ما كان فى فضلها مثال * لولم تكن جلسة الخطيب

وخاطب أبوزيد بن أبى العافية أباعبد الله بن العطار القرطبي بقصيدة منها هذا البيت

وكيف يفيق ذوصبر قصير * حليف وساوس حول طوال

يعرض له بطوله وحوله واصاحبه محمد بن بلال بقصره فراجعه أبو عبد الله المذكور بهذه الابيات يعرض له فيها بجربه وكان أبو زيد أصابه جرب كثير

أجل يانافث السحر الحلال * أتانى منك نظم كاللآلى
يروقك أولا لفظا ومعنى * ويلدغ آخرا لدغ الصلال
تعرض فيه أنك ذو مطال * حليف وساوس حول طوال
كانك لم تجرب قط خلقا * ولم تعرف بتجربة الليالى
أأنسيت التجارب اذ تجارى * بهن الجرب ياعم الشمال
فلا تغفل عن التجريب يوما * ولو أعطيت فيه جراب مال
وجرب جار بيتك واختبره * وجرب جاره ان كان قالى
وجار بنيك لا تستحى منه * ومن تجار بابك لا تبالى
وأجربالك الجرباء تبصر * نجوم الافق تجرى بانتقال
وجرب أهل جربة تلف قوما * أبوا لبس الجوارب والنعال
تجارا باعة تجروا بزيت * تسموا بالتجار بغير مال
اذا سعوا بتمر فى جريب * جوا بيطالة التمر البوالى
اذا جربت هذا الخلق أبدى * لك التجريب أجربة خوالى
ترى بالنجع دهرا جر بؤسا * عليك وجار بالنوب الثقال

وخرج ثلاثة أدباء لنزهة خارج مرسية وصلوا خلف امام مسجد قرية فاخطأ فى قراءته وسها فى صلاته فلما خرج أحدهم كتب على حائط المسجد

ياخلتى لصلاة * صليتها خلف جلف

فلما خرج الثانى كتب تحته

أغض عنها حياء * من المهيمن طرفى

فلما خرج الثالث كتب تحته

فليس تقبل عنا * لو أنها ألف ألف

وقال أبو اسحق بن حنيف فى أحدب أخذ مع صبى فى خلوة فضرب باوطيف بهما والاحدب على عنق الصبي

رأيت اليوم محمولا * وأعجب منه من حمله
جمال الناس تحملها * وهذا حامل جمله

وقال أبو الصلت الاندلسى

فى قتالهم واخبره الرسول وكان من يهود السواد أن القوم قد عبروا نهر طبرستان فى هذا الوقت وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان بين حلوان وبغداد من بلاد خراسان فقال على والله ماعبروه ولا يقطعونه حتى نقتلهم بالرميلة دونه ثم تواترت عليه الاخبار بقطعهم لهذا النهر وعبورهم هذا الجسر وهو يأبى ذلك ويحلف انهم لم يعبروه وان مصارعهم دونه ثم قال سيروا الى القوم فوالله لا يفلت منهم الا عشرة ولا يقتل منكم عشرة فسار على فاشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على ما قال لاصحابه فلما اشرف عليهم قال الله اكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصاف القوم ووقف عليهم بنفسه فدعاهم الى الرجوع والتوبة فأبوا ورموا أصحابه فقيل له قد رمونا فقال كفوا فكرروا القول عليه ثلاثا وهو يامرهم بالكف حتى أتى برجل قتيل متشحط بدمه فقال على الله اكبر الآن حل قتالهم احملوا على القوم فحمل رجل من الخوارج على أصحاب على فخرج فيهم وجعل يغشى كل ناحية ويقول

أضربهم ولو أرى عليا * ألبسته أبيض مشرفيا فخرج اليه على رضى الله عنه وهو يقول

وقائلة مابال مثلك خاملا * أأنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز
فقلت لها ذنبى الى القوم أننى * لما لم يحوزوه من المجد حائز

وكتب بعض المغاربة لابى العباس بن نصال يذكره بحاله

يا غارسا لى ثمار مجد * سقيتها العذب من زلالك
أخاف من زهرها سقوطا * ان لم يكن سقيها ببالك

وكتب الكاتب أبو عبد الله القرطبى مستنجزا وعدا

أبا عبد الاله وعدت وعدا * فانجز نربح الشكر الجزيلا
ولا تمطل فان المطل يمحو * من الاحسان رونقه الصقيلا
اذا كان الجميل يحب طبعا * فانى أكره الصبر الجميلا

وكتب ابن هزيل الفزارى للغنى بالله سلطان لسان الدين بن الخطيب

ليس يا مولاى لى من جابر * اذ غدا قلبى من البلوى جذاذا
غير صك أحمر تكتب لى * فيه يمناك اعتناء صح هذا

وقال أبو الحسن بن الزقاق فى غلام يهودى كان يجالس معه وينادمه يوم سبت

وحبب يوم السبت عندى أننى * ينادمنى فيه الذى أنا أحببت
ومن أعجب الاشياء أنى مسلم * حنيف ولكن خير أيامى السبت

وقال أبو حيان

ويعجبنى رشف تلك الشفاه * وعض الخدود وهصر القوام
محاسن فاقت قضيب الاراك * وورد الرياض وكاس المدام

وكتب أحد الادباء بمرسية الى فتى وسيم من أعيانها كان يلازم حانوت بعض القضاة بها للتفقه عليه بأبيات فى غرض فراجعه عنه أبو العباس بن سعيد بقوله

ما للمحب لدى غير صبابة * تقضى عليه ولوعة وغرام
فدع الطماعة واسترح باليأس من * وصل عليك الى الممات حرام

وقال السميسر

قرابة السوء شر داء * فاحمل أذاهم تعش حميدا
ومن تكن قرحة بفيه * يصبر على مصه الصديدا

وقال ابن خفاجة

ان للجنة بالاندلس * مجتلى عين وريا نفس
فسنى صبحتها من شنب * ودجى ليلتها من لعس
فاذا ما هبت الريح صبا * صحت واشوقى الى الاندلس

وقال بعض الاندلسيين ممن لم يحضرنى اسمه الآن

اذا مال ذو ود بود صديقه * فيا أيها الخل المصاحب لى صل بى
فانى مثل الماء لينا لصاحبى * وناهيك للاعداء من رجل صلب

وقال أبو يحيى بن هشام القرطبى

يا أيها المبتغى عليا * انى أراك جاهلا شقيا
قد كنت عن كفاحه غنيا * هلم فابرز ههنا اليا

وحمل عليه على فقتله ثم خرج منهم آخر فحمل على الناس ففتك فيهم وجعل يكر عليهم وهو يقول

أضربهم ولو أرى أبا حسن * ألبسته بصارمى ثوب غبن

فخرج اليه على وهو يقول

يا أيها المبتغى أبا حسن * اليك فانظر أينا يلقى الغبن

وحمل عليه على وشكه بالرمح وترك الرمح فيه فانصرف على وهو يقول لقد رأيت أبا حسن فرأيت ما تكره وحمل أبو أيوب الانصارى على زيد بن حصن فقتله وقتل عبد الله ابن وهب الذى قتل هانئ ابن حاطب الازدى وزياد ابن حفصة وقتل حرقوص ابن زهير السعدى وكان جملة من قتل من أصحاب على تسعة ولم يفلت من الخوارج الا العشرة وأتى على على القوم وهم أربعة آلاف فيهم المخدج ذو الثدية الا من ذكرنا من هؤلاء العشرة وأمر على بطلب المخدج فطلبوه فلم يقدروا عليه فقام على وعليه أثر الحزن لفقد المخدج فانتهى الى قتلى بعضهم فوق بعض فقال افرجوا ففرجوا يمينا وشمالا واستخرجوه فقال على رضى الله عنه الله أكبر ما كذبت على محمد وانه لناقص اليد ليس فيها عظم طرفها حلمة مثل ثدى المرأة عليها خمس شعرات

وخائط

وخائط رائع جمالا * وصاله غاية اقتراحي
تنعم منه الخيوط فتلا * بين اقاح و بين راح
تراه في السلم ذا طعان * بنافذات بلا جراح
حلته اشبهت فؤادي * لكثرة الوخز في النواحي
تقطع الثوب راحتاه * كصنع الحافظة الملاح
فقبله ما رأيت بدرا * يحرز فابردة الصباح

وقال ابو جعفر أحمد بن عبد الولي البلنسي

غصبت الثريا في البعاد مكانها * وأودعت في عيني صادق نوئها
وفي كل حال لم تزالي بخيلة * فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها

قال ابن الابار أنشد مؤلف قلائد العقيان هذين البيتين لابي جعفر البني اليعمري وأحدهما غالط من قبل اشتباه نسبهما والتفرقة بينهما مستوفاة من تأليفي المسمى بهداية المعتسف في المؤتلف والمختلف انتهى وأبو جعفر بن عبد الولي المذكور أحرقه القنبيطور لعنه الله تعالى حين تغلبه بالروم على بلنسية قال ابن الابار وذلك في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل ان احراقه كان سنة تسعين وأربعمائة انتهى وقال أبو العباس القيجاطي فيما انشده له ابن الطيلسان

ليس الخمول بعار * على امرئ ذي جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالي

وقال ابو محمد بن الجخاف المعافري البلنسي

اقول وقد خوفوني القران * وما هو من شره كائن
ذنوبي اخاف واما القران * فاني من شره آمن

وابوه ابو احمد هو المحرق ببلنسية كما ذكرناه في غير هذا الموضع وقال ابو العباس

و بين ضلوعي للصبابة لوعة * بحكم الهوى تقضي علي ولا أقضي
جنى ناظري منها على القلب ما جنى * فيا من رأى بعضا يعين على بعض

ودخل ابو القاسم بن عبد المنعم وكان أزرق وسيما ومعه ابو عبد الله الشاطبي وابو عثمان سعيد بن قوشترة على صاحب كتاب مشاحذ الافكار في مآخذ النظار فقال ابن قوشترة

عابوه بالزرق الذي بجفونه * والماء ازرق والسنان كذلكا

فقال الشاطبي

والماء يهدي للنفوس حياتها * والرمح يشرع للمنون مسالكا

فقال ابو بكر بن طاهر صاحب كتاب المشاحذ

وكذاك في اجفانه سبب الردى * لكن أرى طيب الحياة هنالكا

وهذا من بارع الاجازة وكم لاهل الاندلس من مثل هذا الديباج الخسرواني رحمهم الله تعالى وسامحهم وكتب الشيخ الامام العالم العلامة ابو عبد الله محمد بن الصائغ الاندلسي النحوي عند قول الحريري أمنا أن يعز زابشالث ما نصه قد جيء لهما بثالث ورابع في قافيتهما

أو سبع رؤسها معقفة ثم قال ائتوني به فنظر الى عضده فاذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة عليه شعرات سود اذا مدت اللحمة امتدت حتى تحاذي بطن يده الاخرى ثم تترك فتعود الى منكبه فثنى رجله ونزل وخر لله ساجدا ثم ركب ومر بهم وهم صرعى فقال لقد صرعكم من غركم قيل ومن غرهم قال الشيطان وأنفس السوء فقال أصحابه قد قطع الله دابرهم الى آخر الدهر فقال كلا والذي نفسي بيده انهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء لا تخرج خارجة الا خرجت بعدها امثالها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الاشمط يخرج اليه رجل منا أهل البيت فيقتلهم ولا يخرج بعدها خارجة الى يوم القيامة وجمع علي ما كان في عسكر الخوارج فقسم السلاح والدواب بين المسلمين ورد المتاع والعبيد والاماء الى أهليهم ثم خطب الناس فقال ان الله قد أحسن اليكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم فقالوا يا أمير المؤمنين قد كلت سيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا فدعنا نستعد باحسن عدتنا وكان الذي كلمه بهذا الاشعث بن قيس فعسكر علي بالنخيلة فجعل أصحابه يتسللون ويلحقون باوطانهم فلم يبق معه الا نفر يسير ومضى الحرث بن

وهو قول بعض الفضلاء

ما الامة اللكعاء بين الورى * كمسلم حرّ أتى مسلامه

فيه اذا استجديت من قول لا * فالحر لا يملأ منها فمه

ثم قال و بخامس وسادس

انقد مهوى أزره فانثنى * مه يا عذولي في الذي انقدمه

مندمة قتل المعنى فلا * ترسل سهام اللحظ تأمن دمه انتهى

قلت رأيت في المغرب في هذا المعنى ما ينيف على سبعين بيتا كلها مساجلة لبيتي الحريري رحمه الله تعالى وقال أبو بكر بن عبادة الشاعر في أبي بكر والد الوزير أبي الوليد بن زيدون

أي ركن من الرياسة هيضا * وجموم من المكارم غيضا

حملوه من بلدة نحو أخرى * كي يوافوا به ثراه الاريضا

مثل حمل السحاب ماء طيبا * لتداوى به مكانا مريضا

وكان المذكور توفي في ضيعة له ونقل تابوته الى قرطبة فدفن في الربض سنة ٤٠٥ وولد سنة ٣٠٤ وقال أبو بكر بن قزمان صاحب الموشحات

وعهدي بالشباب وحسن قدّي * حكى ألف ابن مقلة في الكتاب

فصرت اليوم منحنيا كأني * أفتش في التراب على شبابي

وقال

يا رب يوم زارني فيه من * أطلع من غرته كوكبا

ذو شفة لمياء معسولة * ينشع من خديه ماء الصبا

قلت له هب لي بها قبلة * فقال لي مبتسما مرحبا

فذقت شيأ لم أذق مثله * لله ما أحلى وما أعذبا

أسعدني الله باسعاده * يا شقوتي يا شقوتي لو أبى

قال لسان الدين كان ابن قزمان نسيج وحده أدبا وظرفا ولوذعية وشهرة قال ابن عبد الملك كان أديبا بارعا حلو الكلام مليح النثر مبرزا في نظم الزجل قال لسان الدين وهذه الطريقة الزجلية بديعة تتحكم فيها ألقاب البديع وتنفسح لكثير مما يضيق على الشاعر سلوكه و بلغ فيها أبو بكر رحمه الله تعالى مبلغا حجره الله عمن سواه فهو آيتها المعجزة وحجتها البالغة وفارسها المعلم والمبتدئ فيها والمتمم وقال الفتح في حقه مبرز في البيان ومحرز للسبق عند تسابق الاعيان اشتمل عليه المتوكل على الله فرقاه الى مجالس وكساه ملابس فامتطى أسمى الرتب وتبوأها ونال أسنى الخطط وما تملأها وقد أثبت له ما يعلم به رفيع قدره و يعرف كيف أساء له الزمان بغدره كقوله

ركبوا السيول من الخيول وركبوا * فوق العوالي السمر زرق نطاف

وتجللوا الغدران من ماذيهم * مرتجة الاعلى الاكتاف

والماذي العسل والنطاف جمع النطفة وهي الماء الصافي قل أو كثر وقال الفقيه أبو بكر ابن القوطية صاحب الافعال في اللغة والغريب في زمن الربيع

ضحك الثرى وبدا لك استبشاره * فاخضر شاربه وطر عذاره

ودنت

أنفسهم وقد أبى ذلك كثير من الناس وذكروا ان سامة بن لؤي ما أعقب وقد حكي عن علي فيهم ما قد ذكرنا في كتابنا في أخبار الزمان ولست ترى ساميا الا منحرفا عن علي من ذلك ما ظهر عن علي بن الجهم الشاعر السامي من التعصب والانحراف وقد أتينا على لمع من شعره واخباره في الكتاب الاوسط ولقد بلغ من انحرافه ونصبه العداوة لعلي عليه السلام انه كان يلعن أباه فسئل عن ذلك وبم استحق اللعن منه فقال بتسميته اياي عليا فسرح عليهم علي معقل ابن قيس الرياحي فقتل الحرث ومن معه من المرتدين بسيف البحر وسبى عيالهم وذراريهم وذلك بساحل البحرين فنزل معقل بن قيس بعض كور الاهواز بسبي القوم وكان هنالك مصقلة بن هبيرة الشيباني عاملا لعلي فصاح به النسوة امنن علينا فاشتراهم بثلثمائة ألف وأعتقهم وأدى من المال مائتي ألف وهرب الى معاوية فقال علي قبح الله مصقلة فعل فعل السيد وفر فرار العبد لو أقام أخذنا ما قدرنا على أخذه فان أعسر أنظرناه وان عجز لم نؤاخذه بشيء وانفذ العتق وفي ذلك

ودنت حدائقه وزر رنده * وتعطرت أنواره وثماره
واهتز ذابل كل ماء قرارة * لما أتى متطلعا آذاره
وتعممت صلع الربا بنباته * وترنمت من عجبها أطياره

وقال فى المطمح فى حق ابن القوطية المذكور انه ممن له سلف وثنية كلها شرف وهو أحد المجتهدين فى الطلب والمشتهرين بالعلم والادب والمنتدبين للعلم والتصنيف والمرتبين له بحسن الترتيب والتأليف وكان له شعر نبيه وأكثره أوصاف وتشبيه انتهى وقال القاضى الاجل يونس بن عبد الله بن مغيث

أتواحسه اذ قيل جد نحوله * فلم يبق من لحم عليه ولا عظم
فعادوا قميصا فى فراش فلم يجد * ولا لمسواشيا يدل على جسم
طواه الهوى فى ثوب سقم من الضنى * وليس بمحسوس بعين ولا وهم

وقال فى المطمح فيه انه قاضى الجماعة بقرطبة فاضل ورع مبرز فى النساك والزهاد دائم الارق فى التخشع والسهاد مع التحقق بالعلم والتميز بحمله والتحيز الى فئة الورع وأهله وله تآليف فى التصوف والزهد منها كتاب المنقطعين الى الله وكتاب المجتهدين وأشعار فى هذا المعنى منها قوله

فررت اليك من ظلمى لنفسى * وأوحشنى العباد وأنت أنسى
قصدت اليك منقطعا غريبا * لتؤنس وحدتى فى قعر رمسى
وللعظمى من الحاجات عندى * قصدت وأنت تعلم سر نفسى

ولما أراد المستنصر بالله غزو الروم تقدم الى أبى محمد والده بالكون فى صحبته ومسايرته فى غزوته فاعتذر بعذر يجده وألم لا يجده فقال له الحكم ان ضمن لى أن يؤلف فى أشعار خلفائنا بالمشرق والاندلس مثل كتاب الصولى فى أشعار خلفاء بنى العباس أعفيته من الغزاة وجازيته أفضل المجازاة فأجابه اليه على أن يؤلفه بالقصر فزعم انه رجل مزور وأن ذلك الموضع ممتنع على من يلم به ويزور فألفه بدار الملك المطلة على النهر وأكمله فيما دون شهر وتوفى المستنصر اذ ذاك انتهى وقال ابن سيده صاحب المحكم يخاطب اقبال الدولة

ألا هل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن فى ذاك واليمنا

قال فى المطمح الفقيه أبو الحسن على بن أحمد المعروف بابن سيده امام فى اللغة والعربية وهمام فى الفئة الادبية وله فى ذلك أوضاع لافهام اخلافها استدرار واسترضاع حررها تحريرا واعاد طرف الذكاء بها قريرا وكان منقطعا الى الموفق صاحب دانية وبها ادرك أمانيه ووجد تجرده للعلم وفراغه وتفرد بتلك الاراغة ولاسيما كتابه المسمى بالمحكم فانه أبدع كتاب واحكم ولما مات الموفق رائش جناحه ومثبت غرره وأوضاحه خاف من ابنه اقبال الدولة وأطاف به مكروها بعض من كان حوله اذ أهل الطلب كحيات مساورة ففر الى بعض الاعمال المجاورة وكتب اليه منها مستعطفا

الا هل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن فى ذاك واليمنا
فتنضى هموم طلحته خطوبها * ولا غار بايقين منه ولا متنا

وفارقت خير الناس بعد محمد
لمال قليل لا محالة ذاهب
وفى ذلك يقول الآخر
ومصقلة الذى قد باع بيعا
ربيحا يوم ناجية بن سام
ولصقلة أفعال أتاها
وحيل عملها قد ذكرناها
وما قال فى ذلك من الشعر فى الكتاب الاوسط وقال على بن محمد بن جعفر العلوى فيمن انتمى الى سامة بن لؤى بن غالب بن محمد
أسامة منا فاما بنوه
فامرهم عندنا مظلم
اناس أتونا بانسابهم
خرافة مضطجع يحلم
وقلنا لهم مثل قول الوصى
وكل أقاويله محكم
اذا ماسئلت فلم تدر ما
تقول فقل ربنا أعلم
وفى سنة ثمان وثلاثين وجه معاوية عمرو بن العاص الى مصر فى أربعة آلاف ومعه معاوية بن حديج وابو الاعور السلمى واستعمل عمرا عليها حياته ووفى له بما تقدم من ضمانه فالتقواهم ومحمد بن أبى بكر وكان عامل على عليها بالموضع المعروف بالمنشأة فاقتتلوا فانهزم محمد لاسلام أصحابه اياه وتركهم له وصار الى موضع بمصر فاختفى فيه فأحيط بالدار فخرج اليهم محمد ومن معه

غريب نأى أهلوه عنه وشفه * هواهم فأمسى لا يقر ولا يهنا
فيا ملك الاملاك انى محلأ * عن الورد لا عنه اذاد ولا أدنى
تحققت مكروها فأقبلت شاكيا * لعمرى أمأذون لعبدك أن يعنى
وان تتأكد فى دمى لك نية * فأنى بسيف لا أحب له جفنا
اذا ما غدا من حر سيفك باردا * فقدما غدا من برد نعماك سخنا
وهل هى الا ساعة ثم بعدها * ستقرع ما عمرت من ندم سنا
ومالى من دهرى حياة الذها * فتجعلها نعمى على وتمتنا
اذا ميتة ارضتك عنا فهاتها * حبيب الينا ما رضيت به عنا

وقال الفقيه ابو محمد غانم بن الوليد الاندلسى المخزومى المالقى

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وله

الصبر اولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة * كان على أيامه بالخيار

وقال فى المطمح فيه انه عالم متفرس وفقيه مدرس وأستاذ مجرد وامام لاهل الاندلس مجوّد وأما الادب فكان جل شرعته وهو رأس بغيته مع فضل وحسن طريقه وجد فى جميع الامور وحقيقه انتهى وقال المحدث الحافظ أبو عمر بن عبد البر يوصى ابنه بمقصورة

تجاف عن الدنيا وهوّن لقدرها * ووف سبيل الدين بالعروة الوثقى
وسارع بتقوى الله سرا وجهرة * فلا ذمة أقوى هديت من التقوى
ولا تنس شكر الله فى كل نعمة * يمن بها فالشكر مستجلب النعمى
فدع عنك ما لاحظ فيه لعاقل * فان طريق الحق أبلج لا يخفى
وشح بأيام بقين قلائل * وعمر قصير لا يدوم ولا يبقى
ألم تر أن العمر يمضى موليا * فجدته تبلى ومدته تفنى
نخوض ونلهو غفلة وجهالة * وننشر اعمالا وأعمارنا تطوى
تواصلنا فيه الحوادث بالردى * وتنتابنا فيه النوائب بالبلوى
عجبت لنفس تبصر الحق بينا * لديها وتأبى أن تفارق ما تهوى
وتسعى لما فيه عليها مضرة * وقد علمت أن سوف تجزى بما تسعى
ذنوبى أخشاها ولست بآيس * وربى أهل أن يخاف وأن يرجى
وان كان ربى غافرا ذنب من يشا * فانى لا ادرى أأكرم ام أخزى

وقال فى المطمح الفقيه الامام العالم الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر امام الاندلس وعالمها الذى التاحت به معالمها صحح المتن والسند وميز المرسل من المسند وفرق بين الموصل والقاطع وكسا الملة منه نور ساطع حصر الرواة وأحصى الضعفاء منهم والثقات وجد فى تصحيح السقيم وجدد منه ما كان كالكهف والرقيم مع معاناة العلل
٢ وارهاف ذلك العلل والتنبيه والتوقيف والاتقان والتثقيف وشرح المقفل

واستدراك

من أصحابه فقاتلهم حتى قتل فأخذه معاوية بن خديج وعمرو بن العاص وغيرهما فجعلوه فى جلد حمار وأضرموه بالنار وذلك بموضع فى مصر يقال له كوم شريك وقيل انه فعل به ذلك وبه شىء من الحياة وبلغ معاوية قتل محمد وأصحابه فاظهر الفرح والسرور وبلغ عليا قتل محمد وسرور معاوية فقال جزعنا عليه على قدر سرورهم فما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعى عليه كان لى ربيبا وكنت أعده ولدا كان بى برا وكان ابن أخى فعلى مثل هذا نحزن وعند الله نحتسبه وولى على الاشتر مصر وانفذه اليها فى جيش فلما بلغ ذلك معاوية دس الى دهقان وكان بالعريش فارغبه وقال أترك خراجك عشرين سنة فاحتل للاشتر بالسم فى طعامه فلما نزل الاشتر العريش سأل الدهقان اى الطعام والشراب احب اليه قيل العسل فاهدى له عسلا وقال ان من امره وشانه كذا وكذا ووصفه للاشتر وكان الاشتر صائما فتناول منه شربة فما استقرت فى جوفه حتى تلف وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه وقيل كان ذلك بالقلزم والاول أثبت فبلغ ذلك عليا فقال لليدين وللفم وبلغ ذلك معاوية فقال ان لله جندا من العسل وقبض أصحابه عن على فى هذه السنة ثلاثة

أرزاق على حسب ما كان يحمل اليه من المال من أعماله ثم ورد عليه مال من أصبهان فخطب الناس وقال اغدوا الى عطاء رابع فوالله ما أنا لكم بخازن وكان فى عطائه يأخذ كما يأخذ الواحد منهم ولم يكن بين على ومعاوية من الحرب الا ما وصفنا بصفين وكان معاوية فى بقية أعمال على يبعث سرايا تغير وكذلك على كان يبعث من يمنع سرايا معاوية من أذية الناس وقد أتينا على ذكر السرايا والغارات فيما سلف من كتبنا (قال المسعودى رحمه الله) وقد تكلم طوائف من الناس ممن سلف وخلف من أهل الآراء فى الخوارج وغيرهم ممن فعل على يوم الجمل وصفين وتباين حكمه فيهما وفيمن قتل من أهل صفين مقبلين ومدبرين واجهازه على جرحاهم ويوم الجمل لم يتبع موليا ولا أجهز على جريح ومن ألقى سلاحه أودخل داره كان آمنا وما أجابهم به شيعة على فى تباين حكم على فى هذين اليومين لاختلاف حكمهما وهو أن أصحاب الجمل لما انكشفوا لم يكن لهم فئة يرجعون اليها وانما رجع القوم الى منازلهم غير محاربين ولا منابذين ولا لامره مخالفين فرضوا بالكف عنهم وكان الحكم فيهم رفع السيف اذ لم يطلبوا عليه أعوانا وأهل صفين كانوا يرجعون

واستدراك المغفل وله فنون هى للشريعة رتاج وفى مفرق الملة تاج أشهرت للحديث ظبا وفرعت لمعرفته ربا وهبت لتفهمه شمالا وصبا وشفت منه وصبا وكان ثقة والانفس على تفضيله متفقة وأما أدبه فلا تعبر لجته ولا تدحض حجته وله شعر لم تجد منه الا ما نفث به أنفه وأفصى فيه عن معرفة فمن ذلك قوله وقد دخل اشبيلية فلم يلق فيها مبرة ولم ير من أهلها تهلل أسرة فاقام بها حتى أخلقه مقامه واطبقه اغتمامه فارتحل وقال

تنكر من كنا نسر بقربه * وعاد زعاقا بعد ما كان سلسلا
وحق لجار لم يوافقه جاره * ولا لاءمته الدار أن يتحولا
بليت بحمص والمقام ببلدة * طويلا لعمرى مخلق يورث البلى
اذا هان حر عند قوم أتاهم * ولم ينأ عنهم كان أعمى وأجهلا
ولم تضرب الامثال الا لعالم * وما عوتب الانسان الا ليعقلا

انتهى

وقال الفقيه أبو بكر بن أبى الدودس

اليك أبا يحيى مددت يد المنى * وقد ما غدت عن جود غيرك تقبض
وكانت كنور العين يلمع بالدجا * فلما دعاه الصبح لباه ينهض

وقال فى المطمح انه من أبدع الناس خطا وأصحهم نقلا وضبطا اشتهر بالاقراء واقتصر بذلك على الامراء ولم يحط لسواهم ومطل الناس بذلك ولواهم وكان كثير التحول عظيم التجول لا يستقر فى بلد ولا يستظهر على حرمانه بجلد فقذفته النوى وطردته عن كل ثوى ثم استقر آخر عمره بأغمات وبهامات وكان له شعر بديع يصونه ابدا ولا يمد به يدا أخبرنى من دخل عليه بالمرية فرآه فى غاية الاملاق وهو فى ثياب أخلاق وقد توارى فى منزله توارى المذنب وقعد عن الناس قعود مجتنب فلما علم ما هو فيه وترفعه عمن يجتديه عاتبه فى ذلك الاعتزال وآخذه حتى استنزله بعض الانزال وقال له هلا كتبت الى المعتصم فانى ذلك ما يصم فكتب اليه اليك أبا يحيى مددت يد المنى البيتين انتهى

* وقال الفقيه القاضى الفاضل أبو الفضل بن الاعلم حين أقلع وأناب وودع ذلك الجناب وتزهد وتنسك وعمل من طاعة الله بما تمسك وتذكر يوما يتجرد من أهله وينفرد فيه بعمله

الموت يشغل ذكره * عن كل معلوم سواه
فاعمل له وبعاد كا * رك فى العشية والغداه
واكحل به طرف اعتبا * رك طول ايام الحياه
قبل ارتكاض النفس ما * بين الترائب واللهاه
فيقال هذا جعفر * رهن بما كسبت يداه
عصفت به ريح المنو * ن فصيرته كما تراه
فضعوه فى اكفانه * ودعوه يجنى ما جناه
وتمتعوا بمتاعه الـ * ـمخزون واحووا ما حواه

يامنظرا مستبشعا * بلغ الكتاب به مداه
لقيت فيه بشارة * تشفي فؤادي من جواه
ولقيت بعدك خير من * نباه رني واجتباه
في دار خفض ما اشتهت * نفس المقيم بها اتاه

وقال في المطمع انه كهل الطريقة وفتى الحقيقة تدرع الصيانة وبرع في الورع والديانة وتماسك عن الدنيا عفافا وما تماسك التماسا بأهلها والتفافا فاعتقل النهى وتنقل في مراتبها حتى استقر فيها في السها وعطل ايام الشباب وعطل فيها سعاد وزينب والرباب الاساعات وقفها على المدام وعطفها الى الندام حتى تخلى عن ذلك واترك وأدرك من المعلومات ما ادرك وتعرى من الشبهات وسرى الى الرشد مستيقظا من تلك السنات وله تصرف في شتى من الفنون وتقدم في معرفة المفروض والمسنون وأما الادب فلم يجاره في ميدانه أحد ولا استولى على احسانه فيه حصر ولا احد وجده أبو الحجاج الاعلم هو خلد منه ما خلد ومنه تقلد ما تقلد وقد أثبت لابي الفضل هذا ما يسقيك ماء الفضل زلالا ويريك سحر البيان حلالا فمن ذلك ما كتب به الي وقد مررت على شنتمرية بعد ما رحل عنها وانتقل واعتقل من نوانا وبيننا ما اعتقل وشنتمرية هذه داره وبها كمل هلاله وابداره وفيها استقضى وشيم مضاؤه وانتضى فالتقينا بها على ظهر وتعاطينا ذكر ذلك الدهر فجددت من شوقه ما كان قد شب عن طوقه فرامني على الاقامة وسامني على ذلك بكل كرامة فأبيت الا النوى وانثنيت عن الثوى فودعني ودفع الي تلك القطعة حين شيعني

بشراي أطلعت السعود على * آفاق أنسي بدرها كملا
وكسا أديم الارض منه سنى * فكست بسائطها به حللا
ايه أبا نصر وكم زمن * قصر ادكارك عندي الأملا
هل تذكرن والعهد يخجلني * هل تذكرن أيامنا الاولا
أيام نعثر في أعنتنا * ونجر من أبرادنا خيلا
ونحل روض الانس مؤتنفا * ونحل شمس مرادنا الحملا
ونرى ليالينا مساعفة * تدعو رفاقتنا لنا الجفلى
زمن نقول على تذكره * ما تم حتى قيل قد رحلا
عرضت لزورتكم وما عرضت * الا لتمحق كل ما فعلا

ووافيته عشية من العشايا أيام ائتلافنا وعودنا الى مجلس الطلب واختلافنا فرأيته مستشرفا متطلعا يرتاد موضعا يقيم به لثغور الانس مرتشفا ولثديه مرتضعا فحين مقلني تقلدني اليه واعتقلني وملنا الى روضة قد سندس الربيع في بساطها ودبج الزهر درانك أوساطها وأشعرت النفوس فيها بسرورها وانبساطها فأقمنا بها نتعاطى كؤس أخبار ونتهادى أحاديث جهابذة وأحبار الى أن نزع نزان العشي وأذهب الانس خوف العالم الوحشي فقمت وقام وتموج الرعب من ألسنتنا ما كان استقام وقال

الى فئة مستعدة وامام منتصب يجمع لهم السلاح ويسني لهم الاعطية ويقسم لهم الاموال ويجبر كسيرهم ويحمل راجلهم ويردهم فيرجعون الى الحرب وهم الى امامته منقادون ولرأيه متبعون ولغيره مخالفون ولامامته تاركون ولحقه جاحدون وبانه يطلب ما ليس له قائلون فاختلف الحكم لما وصفنا وتباين حكماهما لما ذكرنا ولكل فريق من السائل والمجيب كلام يطول ذكره ويتسع شرحه قد اتينا على استيعابه وما ذكره كل فريق منهم فيما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن اعادته والله اعلم

(ذكر مقتل علي بن ابي طالب رضي الله عنه)

وفي سنة اربعين اجتمع بمكة جماعة من الخوارج فتذاكروا الناس وما هم فيه من الحرب والفتنة وتعاهد ثلاثة منهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص وتواعدوا واتفقوا على ان لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي يتوجه اليه حتى يقتله أو يقتل دونه وهم عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله وكان من تجيب وكان عداده في مراد فنسب اليهم وحجاج بن عبد الله الصريمي ولقبه البرك وزادويه مولى بني العنبر فقال ابن ملجم أنا أقتل عليا وقال البرك أنا أقتل معاوية

وعشية

وعشيـــة كالسيف الاحدّه * بسط الربيع بها النعلى خده
عاطيت كاس الانس فيها واحدا * ماضره ان كان جمعا وحده

وتنزه يوما بحديقة من حدائق الحضرة قد اطرد نهرها وتوقد زهرها والريح يسقطه فينظم بلبة الماء و يتبسم به فتخاله كصفحة خضرة السماء فقال

انظر الى الازهار كيف تطلعت * بسماوة الروض المجود نجوما
وتساقطت فكأن مسترقا دنا * للسمع فانقضت عليه رجوما
والى مسيل الماء قد رقت به * صنع الرياح من الحباب رقوما
ترمى الرياح لها نثير أزاهر * فتمده فى شاطئيه رقيما

وله يصف قلم براعة و برع فى صفته أعظم براعة

ومهفهف ذلق صليب المكسر * سبب لنيـــل المطلب المتعذر
متألق تنبيك صفرة لونه * بقديم صحبته لآل الاصفر
ماضره أن كان كعب براعة * و بحكمه اطردت كعوب السمهرى

وله عندما شارف الكهولة واستألف قطع صرة كانت موصولة

أما أنا فقد ارعويت عن الصبا * وعضضت من ندم عليه بنانى
فأطعت نصاحى ورب نصيحة * جاؤا بها فلججت فى العصيان
أيام أسحب من ذيول شبيبتى * مرحا وأعثر فى فضول عنانى
وأجل كاسى أن ترى موضوعة * فعلى يدى أوفى يدى ندمانى
أيام أحيا بالغوانى والغنا * وأموت بين الراح والريحان
فى فتية فرضوا اتصال هواهم * فناهـــم دن من الادنان
هزت علاهم أريحيات الصبا * فهى النسيم وهم غصون البان
من كل مخلوع الاعنة لم يبل * فى غيه بصارف الا زمان

الى أن قال ومن نثره يصف فرسا انظر اليه سايم الاديم كريم القديم كأنما نشأ بين الغبراء والنجوم نجم اذا بدا و وهم اذا عدا يستقبل بغزال ويستدبر برال و يتحلى بشيات تقسيمات الجمال *وله يصف سرجا برنجياد ومركب أجواد جميل الظاهر رحيب ما بين القادمة والآخر كأنما قد من الخدود أديمه واختص باتقان الحبك تقويمه *وله فى وصف لجام متناسب الاشلاء صريح الانتماء الى الثريا بالسماء فكله نكال وسائره جمال *وله فى وصف رمح مطرد الكعوب صحيح اتصال الغالب والمغلوب أخ ينوب كما استنيب و يصيب *وله فى وصف قميص كافورى الاديم بابلى الرسوم تباشر منه الجسوم اما باشر الروض من النسيم *وله فى وصف بغل مترف النسب مستخبر الشرف آمن الكبب ان ركب امتنع اعتماله أو ركب استقل به أخواله * وله فى وصف حمار وثيق المفاصل عتيق النهضة اذا ونت المراسل انتهى ببعض اختصار *وقال الاديب الشاعر أبو عمرو يوسف بن هرون الكندى المعروف بالرمادى

أومى لتقبيل البساط خنوعا * فوضعت خدى فى التراب خضوعا

شهر رمضان وقيل ليلة احدى وعشرين فخرج عبد الرحمن بن ملجم المرادى الى على فلما قدم الكوفة أتى قطام بنت عمه وكان على قتل أباها وأخاها يوم النهروان وكانت أجمل أهل زمانها فخطبها فقالت لا أتزوج حتى تسمى لى قال لا تسأليني شيأ الا أعطيته فقالت ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وقتل على فقال ما سألت هولك مهرا الا قتل على فلا أراك تدركينه قالت فالتمس غرة فان أصبته شفيت نفسى ونفعك العيش معى وان هلكت فما عند الله خير لك من الدنيا فقال والله ما جاء بى الى هذا المصر وقد كنت هاربا منه الا ذلك وقد أعطيتك ما سألت وخرج من عندها وهو يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقينة
وقتل على بالحسام المصمم
فلا مهر أعلى من على وان علا
ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

فلقيه رجل من أشجع يقال له شبيب بن بجيرة من الخوارج فقال له هل لك فى شرف الدنيا والآخرة

فقال وماذاك قال تساعدنى على قتل على قال ثكلتك أمك لقد جئت شيأ ادا قد عرفت غناءه فى

ما كان مذهبه الخنوع لعبده * الا زيادة قلبه تقطيعا
قولوا لمن أخذ الفؤاد مسلما * يمنن على برده مصدوعا
العبد قد يعصى وأحلف انني * ماكنت الا سامعا ومطيعا
مولاى يحيى فى حياة كاسمه * وانا اموت صبابة وولوعا
لاتنكروا غيث الدموع فكل ما * يحل من جسمى يكون دموعا

والرمادى المذكور عرف به غير واحد منهم الحافظ أبو عبد الله الحميدى فى كتابه جذوة المقتبس وقال أظن أن أحد آبائه كان من أهل الرمادة وهى موضع بالمغرب وهو قرطبى كثير الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة هنالك لسلوكه فى فنون من المنظوم والمنثور مسالك حتى كان كثير من شيوخ الادب فى وقته يقولون فتح الشعر بكندة وختم بكندة يعنون امرأ القيس والمتنبى و يوسف بن هرون على ان فى كون المتنبى من كندة القبيلة كلاما مشهورا واخذ ابو عمر بن عبد البر عن الرمادى هذا قطعة من شعره وضمنها بعض تآليفه قال ابن حيان توفى الرمادى سنة ٤٠٣ وذكر ابن سعيد فى المغرب ان الرمادى اكتسب صناعة الادب من شيخه ابى بكر بن هذيل الكفيف عالم ادباء الاندلس وهو القائل رحمه الله تعالى

لاتلمنى على الوقوف بدار * اهلها صيروا السقام ضجيعى
جعلوا لى الى هواهم سبيلا * ثم سدوا على باب الرجوع

وروى الرمادى عن أبى على كتاب النوادر ومدح أبا على بقصيدة كما أشرنا اليه فى غير هذا الموضع وقال فى المطمح انه شاعر مفلق انفرج له من الصناعة المغلق و ومض له برقها المؤتلق وسال بها طبعه كالماء المندفق فأجمع على تفضيله المختلف والمتفق فتارة يحزن وأخرى يسهل وفى كلتاهما بالبديع يعل وينهل فاشتهر عند الخاصة والعامة بانطباعه فى الفريقين وابداعه فى الطريقين وكان هو وأبو الطيب متعاصرين وعلى الصناعة متغايرين وكلاهما من كنده وما منهما الا من اقتدح فى الاحسان زنده وتمادى بأبى عمرو طلق العمر حتى افرده صاحبه ونديمه وهريق شبابه واستشن اديمه ففارق تلك الايام وبهجتها وادرك الفتنة فخاض لجتها واقام فرقا من هيجانها شرقا باشجانها ولحقته فيها افاقة نهكته وبعدت عنه الافاقة حتى اهلكته وقد اثبت من محاسنه مايحببك سرده ولايمكنك نقده فمن ذلك قوله

شطت نواهم بشمس فى هوادجهم * لولا تلألؤها فى ليلهن عشوا
شككت محاسنها عينى وقد غدرت * لانها بضمير القلب تخمش
شعر ووجه تبارى فى اختلافهما * بحسن هذا وذاك الروم والحبش
شككت فى سقمى منها أفى فرشى * منها تنكست الا الطيف والفرش

الى ان قال وكان كلفا بفتى نصرانى استسهل لباس زناره والخلود معه فى ناره وخلع بروده لمسوحه وتشرع من صبيحه وراح فى بيعته وغدا من شيعته ولم يشرب نصيبه حتى حط عليه صليبه فقال

الاسلام وسابقته مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن ملجم ويحك اما تعلم انه قد حكم الرجال فى كتاب الله وقتل اخواننا المصلين فنقتله ببعض اخواننا فاقبل معه حتى دخل على قطام وهى فى المسجد الاعظم وقد ضربت كلة بها وهى معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان فاعلمتهما أن مجاشع بن وردان بن علقمة قد انتدب لقتله معهما فدعت لهما بحرير فعصبتهما وأخذوا أسيافهم وقعدوا مقابلين لباب السدة التى يخرج منها على للمسجد وكان على يخرج كل غداة أول الاذان للصلاة وقد كان ابن ملجم مر بالاشعث وهو فى المسجد فقال له فضحك الصبح فسمعها حجر بن عدى فقال قتلته يا أعور قتلك الله وخرج على رضى الله عنه ينادى أيها الناس الصلاة فشد عليه ابن ملجم وأصحابه وهم يقولون الحكم لله لا لك وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف فى قرنه وأما شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب وأما ابن وردان فهرب وقال على لا يفوتنكم الرجل وشد الناس على ابن ملجم يرمونه بالحصباء ويتناولونه ويصيحون فضرب ساقه رجل من همدان برجله وضرب المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وجهه فصرعه وأقبل به

أدرها مثل ريقك ثم صلب * كعادتهم على وهمي وكاسي
فيقضي ما أمرت به اجتلابا * لسروري وزاد خضوع راسي

وله في مثله

ورأيت فوق النحر در * عا فاقعا من زعفران
فزجرته لوناسقا * مي بالنوى والزجر شاني
يامن نأى عني كما * تنأى العيون الفرقدان
فأرى بعيني الفرقدين ولا أراه ولا يراني
لاقدرت لك أوبة * حتى يؤوب القارظان
هل ثم الا الموت فر * دا لاتكون منيتان

وله أيضا

اشرب الكاس يانصير وهات * ان هذا النهار من حسناتي
بأبي غرة ترى الشخص فيها * في صفاء أصفى من المرآت
تنزح الناس نحوها بازدحام * كازدحام الحجيج في عرفات
هاتها يانصير انا اجتمعنا * بقلوب في الدين مختلفات
انما نحن في مجالس لهو * نشرب الراح ثم انت مواتي
فاذا ما انقضت ديانة ذا اللهو واعتمدنا مواضع الصلوات
لومضى الدهر دون راح وقصف * لعددناه ذا من السيئات

وشاعت عنه أشعار في دولة الخلافة وأهلها سدد اليهم صائبات نبلها وسقاهم كؤس نهلها أوغرت عليه الصدور ونعرت عليه المنايا ولكن لم يساعدها المقدور فسجنه الخليفة دهرا وأسكنه من النكبة وعرا فاستعطفه أثناء ذلك واستلطفه وأجناه كل زهر من الاحسان وأقطفه فما أصغى اليه ولا ألغى موجدته عليه وله في السجن اشعار صرح فيها ببثه وأفصح فيها عن جل الخطب لمقصد صبره ونكثه فمن ذلك قوله

* لك الامن من شجو يزيد تشوقي * ومنها

فوافوا بنا الزهراء في حال خالع الأئمة لا ستيفائهم في التوثق
وحولي من أهل التأدب مأتم * ولا جؤذر الا بثوب مشقق
فلو أن في عيني الحمام كروضها * وان كان في ألوانه غير مشفق
ونادى حمامي مهجتي لتقلقلت * فهلا أجابت وهو عندي بمخنق
أعيني ان كانت لدمعي فضلة * تشبث صبري ساعة فتدفقي
فلو ساعدت قالت أمن عدة الاسى * تنفث دمعي أم من البحر تستقي

ومنها

وقالت تظن الدهر يجمع بيننا * فقلت لها من لي بظن محقق
ولكنني فيما زجرت عقابي * زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق
فقد كانت الاشعار في مثل بعدنا * فلما التقت بالطيف قالت ستلتقي
أباكية يوما ولم يأت وقته * سينفد قبل اليوم دمعك فارفقي

الى أن قال وله أيضا

على كبري تهمي السحاب وتذرف * ومن جزعي تبكي الحمام وتهتف

الى الحسن ودخل شبيب بين الناس فنجا بنفسه وهرب حتى أتى رحله فدخل عليه عبدالله بن بجره وهو أحد بني أبيه فرآه ينزع الحرير عن صدره فسأله عن ذلك فخبره خبره فانصرف عبدالله الى رحله وأقبل اليه بسيفه فضربه حتى قتله وقيل ان عليا لم ينم تلك الليلة وانه لم يزل يمشي بين الباب والحجرة وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت فلما صرخ بط كان للصبيان صاح بهن بعض من في الدار فقال علي ويحك دعهن فانهن نوائح وقد ذكر طائفة من الناس أن عليا رضي الله عنه أوصى الى ابنيه الحسن والحسين لانهما شريكاه في آية التطهير وهذا قول كثير ممن ذهب الى القول بالنص ودخل عليه الناس يسألونه فقالوا يا أمير المؤمنين أرأيت ان فقدناك ولا نفقدك أنبايع الحسن قال لا آمركم ولا أنهاكم انتم ابصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما أوصيكما بتقوى الله وحده ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شئ منها قولا الحق وارحما اليتيم واعينا الضعيف وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ولا تأخذكما في الله لومة لائم ثم نظر الى ابن الحنفية فقال هل سمعت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك وتزيين أمرهما ولا تقطعن

كأن السحاب الواكفات غواسلى * وتلك على فقدى نوائح هتف
الا ظعنت ليلى وبان قطينها * ولكننى باق فلوموا وعنفوا
وآنست فى وجه الصباح لبينها * نحولا كأن الصبح مثلى مدنف
واقرب عهد رشفة بلت الحشا * فعادشتاء باردا وهو صيف
وكانت على خوف فولت كأنها * من الردف فى قيد الخلاخل ترسف

وله
قبلته قدام قسيسه * شربت كاسات بتقديسه
يفزع قلبى عندى ذكرى له * من فرط شوقى قرع ناقوسه

وسجن معه غلام من أولاد العبيدى فيه مجال وفى نفس متأمله من لوعته أوجال فكتب يخاطب الموكل بالسجن بقطعة منها

جليسك ممن اتلف الحب قلبه * ويلذع قلبى حرقة دونها الجمر
هلال وفى غير السماء طلوعه * وريم ولكن ليس مسكنه القفر
تأملت عينيه فخامرنى السكر * ولا شك فى أن العيون هى الخمر
أناطقه كيما يقول وانما * أناطقه عمدا لينتثر الدر
أناعبده وهو المليك كما اسمه * فلى منه شطر كامل وله شطر

انتهى باختصار وقال محمد بن هانئ

قدمرنا على مغانيك تلك * فرأينا بها مشابه منك
عارضتها المها الجوادل سربا * عند اجراعها فلم نسل عنك
لا برع للهانذ كرك سرب * أشبهتك فى الوصف ان لم تكنك
كن عذيرى لقد رأيت معاجى * يوم تبكى بالجزع ولهى وأبكى
بحنين مرجع وتشك * وأنين موجع كتشكى

وقال صاحب المطمح فى حقه الاديب أبو القاسم محمد بن هانئ ذخر خطير وروض أدبه مطير غاص فى طلب الغريب حتى أخرج دره المكنون وبهرج بافتنانه فيه كل الفنون وله نظم تتمنى الثريا أن تتوج به وتتقلد ويود البدر أن يكتب ما اخترع فيه وولد زهت به الاندلس وتاهت وحاسنت ببدائعه الاشمس وباهت فحسد المغرب فيه المشرق وغص به من بالعراق وشرق غير أنه نبت به أكنافها وشمخت عليه آنافها وبرئت منه وزويت الخيرات فيها عنه لانه سلك مسلك المعرى وتجرد من التدين وعرى وأبدى الغلو وتعدى الحق المجاوز فمجته الانفس وأزعجته الاندلس فخرج على غير اختيار وما عرج على هذه الديار الى أن وصل الزاب واتصل بجعفر بن الاندلسيه مأوى تلك الجنسيه فناهيك من سعد ورد عليه فكرع ومن باب ولج فيه وما قرع فاسترجع عنده شبابه وافتجع وبله ورbابه وتلقاه بتأهيل ورحب وسقاه صوب تلك السحب فأفرط فى مدحه فيه فى الغلو وزاد وقرع عنده تلك المزاد ولم يتورع ولا ثناه ذو ورع وله بدائع يتحير فيها ويحار ويخال لرقتها أنها اسحار فانه اعتمد التهذيب والتحرير واتبع فى أغراضه الفرزدق مع جرير وأما تشبيهاته فخرق فيها المعتاد وماشاء منها اقتاد وقد أثبت له

أمرادونهما ثم قال لهما أوصيكما به فانه سيفكما وابن أبيكما فأكرماه واعرفا حقه فقال له رجل من القوم ألا تعهد يا أمير المؤمنين قال لا ولكن أتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فماذا تقول لربك اذا أتيته قال أقول اللهم انك أبقيتنى فيهم ما شئت ان تبقينى ثم قبضتنى وتركتك فيهم فان شئت أفسدتهم وان شئت أصلحتهم ثم قال أما والله انها الليلة التى ضرب فيها يوشع بن نون ليلة سبع عشرة وقبض ليلة احدى وعشرين وبقى على الجمعة والسبت وقبض ليلة الاحد ودفن بالرحبة عند مسجد الكوفة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار تنازع الناس فى موضع قبره وما قيل فى ذلك وقبض وقد أتى عليه اثنتان وسبعون سنة وقيل اثنتان وستون وقد قدمنا تنازع الناس فى مقدار سنه وكان كما قال الحسن والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الاولون الا بفضل النبوة ولا يدركه الآخرون وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه وكان الذى صلى عليه الحسن ابنه فو كبر عليه سبعا وقيل غير ذلك ولم يترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة

ما

ما تحن له الاسماع ولا تتمكن منه الاطماع فمن ذلك قوله

أليلتنا اذ أرسلت واردا وحفا * وبتنا نرى الجوزاء فى أذنها شنفا
وبات لنا ساق يقوم على الدجا * بشمعة صبح لا تقط ولا تطفا
أغن غضيض خفف اللين قده * وثقلت الصهباء أجفانه الوطفا
ولم يبق ارعاش المدام له يدا * ولم يبق اعنات التثنى له عطفا
نزيف نضاه السكر الا ارتجاجة * اذا كل عنها الخصر حملها الردفا
يقولون حقف فوقه خيزرانة * أما يعرفون الخيزرانة والحقفا
جعلنا حشايانا ثياب مدامنا * وقدت لنا الازهار من جلدها لحفا
فمن كبد توحى الى كبد هوى * ومن شفة تؤوى الى شفة رشفا

ومنها

كأن السماكين اللذين تراهما * على لبدتيه ضامنان له حتفا
فذا رامح يهوى اليه سنانه * وذا أعزل قد عض أنمله لهفا
كأن سهيلا فى مطالع أفقه * مفارق ألف لم يجد بعده الفا
كأن بنى نعش ونعشا مطافل * بوجرة قد أضللن فى مهمه خشفا
كأن سهاها عاشق بين عود * فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن قدامى النسر والنسر واقع * قصصن فلم تسم الخوافى له ضعفا
كأن أخاه حين حوم طائر * اتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن ظلام الليل اذ مال ميلة * صريع مدام بات يشرب بها صرفا
كأن عمود الصبح خاقان معشر * من الترك نادى بالنجاشى فاستخفى
كأن لواء الشمس غرة جعفر * رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وله أيضا

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من علو الحديد الاحمر
أبنى العوالى السمهرية والسيو * ف المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوابغ تبع فى حمير
جيش تعدله الليوث وفوقها * كالغيل من قصب الوشيج الاخضر
وكأنما سلب القشاعم ريشها * مما يشق من العجاج الاكدر
لحق القبول مع الدبور وسار فى * جمع الهرقل وعزمة الاسكندر
فى فتية صدأ الحديد لباسهم * فى عبقرى البيض جنة عبقر
وكفاه من حب السماحة أنه * منها بموضع مقلة من محجر

ومنها

نعماؤه من رحمة ولباسه * من جنة وعطاؤه من كوثر

وله أيضا من قصيدة فى جعفر بن على

ألا أيها الوادى المقدس بالندى * وأهل الندى قلبى اليك مشوق
ويا أيها القصر المنيف قبابه * على الزاب لا يسدد اليك طريق

درهم بقيت من عطائه أراد أن يشترى بها خادما لاهله وقال بعضهم ترك لاهله مائتين وخمسين درهما ومصحفه وسيفه ولما أرادوا قتل ابن ملجم لعنه الله قال عبد الله بن جعفر دعونى حتى أشفى نفسى منه فقطع يديه ورجليه وأحمى له مسمارا حتى اذا صار جمرة كحله به فقال سبحان الذى خلق الانسان انك لتكحل عمك بملمول بصاص ثم ان الناس أخذوه وادرجوه فى بوارى ثم طلوها بالنفط وأشعلوا فيها النار فاحترق وفيه يقول عمران بن حطان الرقاشى يمدحه فى ضربته من شعر له طويل

يا ضربة من تقى ما أراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لاذكره يوما فاحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

فأجابه القاضى أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعى

انى لابرأ مما أنت قائله * عن ابن ملجم الملعون بهتانا
يا ضربة من شقى ما أراد بها * الا ليهدم للاسلام أركانا
انى لاذكره يوما فالعنه * دنيا وألعن عمرانا وحطانا
عليه ثم عليه الدهر متصلا * لعائن الله اسرارا واعلانا
فأنتما من كلاب النار جاء به * نص الشريعة برهانا وتبيانا

وزاد بعضهم على هذه الابيات بيتا آخر وهو

ويا ملك الزاب الرفيع عماده * بقيت لجمع المجد وهو فريق
فلم أنس لا أنس الامير اذا غدا * يروع بغوى ملكه ويروق
فللجود مجرى من صفيحة وجهه * اذا كان من ذاك الجبين شروق
وهزته للجد حتى كأنما * جرت فى سجاياه العذاب رحيق
أما وأبى تلك الشمائل انها * دليل على أن النجار عتيق
فكيف بصير النفس عنه ودونه * من الارض مغبرا الفجاج عميق
فكن كيف شاء الناس أو شئت دائما * فليس له ذا الملك غيرك فوق
ولا تشكر الدنيا على نيل رتبة * فما نلتها الا وأنت حقيق

ولم من أخرى

خليلى أين الزاب منى وجعفر * وجنات عدن بنت عنها وكوثر
فقلبى نأى عن جنة الخلد آدم * فاراقه من جانب الارض منظر
لقد سرنى أنى أمر ببابه * فيخبره عنى بذلك مخبر
وقد ساءنى أنى أراه ببلدة * بها منسك منه عظيم ومشعر
وقد كان لى منه شفيع مشفع * به يمحص الله الذنوب ويغفر
أتى الناس أفواجا اليك كأنما * من الزاب بيت او من الزاب محشر
فانت لمن قد مزق الله شمله * ومعشره والاهل اهل ومعشر

وله أيضا

ألا طرقتنا والنجوم ركود * وفى الحى أيقاظ وهن هجود
وقد اعجل الفجر الملمع خطوها * وفى اخريات الليل منه عمود
سرت عاطلا غضبى على الدهر وحده * ولم يدر نحر ما دهاه وجيد
فما برحت الا ومن سلك ادمعى * قلائد فى لباتها وعقود
ويا حسنها فى يوم نضت سوالفا * تريع الى اترابها وتحيد
الم يأتها انا كبرنا عن الصبا * وانا بلينا والزمان جديد
ولا كالليالى ما لهن مواثق * ولا كالغوانى ما لهن عهود
ولا كالمعز ابن النبى خليفة * له الله بالفخر المبين شهيد

وله من قصيدة يمدح بها يحيى بن على بن رمان

قفا بى فلا مسرى سرينا ولا سرى * والا نرى مثنى القطا الوارد الكدر
قفا نتبين أين ذا البرق منهم * ومن حيث تأتى الريح طيبة النشر
لعل ثرى الوادى الذى كنت مرة * أزورهم فيه تضوع للسفر
والا فما واديسيل بعنبر * والا فما تدرى الركاب ولا ندرى
اكل كناس بالصريم تظنه * كناس الظباء الدعج والشدن العفر
وهل عجبوا أنى اسائل عنهم * وهم بين احناء الجوانح والصدر
وهل علموا أنى ايمم ارضهم * ومالى بها غير التعسف من خبر

حطان لعنه الله فى ابن ملجم اخزاه الله

قل لابن ملجم والاقدار غالبة * هدمت ويلك للاسلام اركانا
قتلت افضل من يمشى على قدم * واول الناس اسلاما وايمانا
واعلم الناس بالقرآن ثم بما * سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبى ومولانا وناصره * اضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له * مكان هرون من موسى بن عمرانا
وكان فى الحرب سيفا صارما ذكرا * ليثا اذا ما لقى الاقران اقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر * فقلت سبحان رب الناس سبحانا
انى لاحسبه ما كان من بشر * يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد اذا عدت قبائلها * وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الاولى التى جلبت * على ثمود بارض الحجر خسرانا

ولى

ولي سكن نائي الحوادث دونه * فيبعد عن عيني و يقرب من فكري
اذا ذكرته النفس جاشت بذكره * كما عثر الساقي بجام من الخمر
فلا تسألاني عن زماني الذي خلا * فو العصر اني بعد يحيي لفي خسر
وآليت لا اعطي الزمان مقادتي * على مثل يحيي ثم اغضي على الوتر
حنيني اليه ظاعنا ومخيما * وليس حنين الطير الا الى الوكر

وله من قصيدة

فتكات طرفك ام سيوف ابيك * وكؤس خمرك ام مراشف فيك
اجلاد مرهفة وفيك محاجر * لا انت راحمة ولا اهلوك
يا بنت ذي السيف الطويل نجاده * اكذا يجوز الحكم في ناديك
عيناي ام مغناك موعدنا على * وادي الكرى ألقاك ام واديك

وله ايضا

احبب بها تيك القباب قبابا * لا بالحداة ولا الركاب ركابا
فيها قلوب العاشقين تخالها * عنما بايدي البيض ام عنابا
والله لولا ان يعنفني الهوى * و يقول بعض العاذلين تصابى
لكسرت دملجها بضيق عناقها * ورشفت من فيها البرود رضابا
بنتم فلولا ان اغير لمتي * عبثا وألقاكم علي غضابا
لخططت شيبا في مفارق لمتي * ومحوت محو النفس عنه شبابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو انني اجد البياض خضابا
واذا اردت على المشيب وفادة * فاحثث مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتبعثن الى الزمان غرابا

ومنها

قد طبب الاقطار طيب ثنائه * من اجل ذا تجد الثغور عذابا
لم تدنني ارض اليك وانما * جئت السماء ففتحت ابوابا
ورايت حولي وفد كل قبيلة * حتى توهمت العراق الزابا
ارض وطئت الدر من رضراضها * والمسك تربا والرياض جنابا
ورايت اجبل ارضها منقادة * فحسبتها مدت اليك رقابا
سد الامام بها الثغور وقبلها * هزم النبي بقومك الاحزابا

انتهى

وقال ابن هانئ يصف الاسطول

معطفة الاعناق نحو متونها * كما نهت أيدي الحواة الافاعيا
اذا ما وردنا الماء سوقا ببرده * صدرن ولم يشربن غرقى صواديا
اذا أعملوا فيها المجاذيف سرعة * ترى عقربا منها على الماء ماشيا

وقال الاديب أبو عمر أحمد بن فرج الجياني رحمه الله تعالى

وطائعة الوصال غدوت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل ساترة ظلام الدياجي منه سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعي

لقوله في شقي ظل مجترما
ونال ما ناله ظلما وعدوانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها
الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غوي أورثته لظى
مخلدا قد اتى الرحمن غضبانا
كانه لم يرد قصدا بضربته
الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا
ولعمران بن حطان ولابيه حطان اخبار كثيرة قد اتينا على ذكرها في كتابنا اخبار الزمان في باب اخبار الخوارج من الازارقة والاباضية والحمرية والصفرية والهجرية وغيرهم من فرق الخوارج الى سنة ثمان عشرة وثلثمائة وكان آخر من خرج منهم ربيعة المعروف بفروان فادخل على المقتدر بالله بعث به ابن حمدان من هرموناء وقد كان خرج في ايامه ايضا المعروف بابي شعيب وقد رثى الناس امير المؤمنين عليا رضي الله عنه في ذلك الوقت والى هذه الغاية وذكروا مقتله وممن رثاه في ذلك الوقت ابو الاسود الدؤلي من ابيات

فملكت النهى جماح شوقى * لأجرى بالعفاف على طباعى
وبت بها مبيت الطفل يظما * فيمنعه الفطام من الرضاع
كذاك الروض ليس به لمثلى * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعى

وقال
للروض حسن فقف عليه * واصرف عنان الهوى اليه
أماترى نرجسا نضيرا * يرنو اليه بمقلتيه
نشر حبيبى على رباه * وصفرتى فوق وجنتيه

وقال
بمهلكة يستهلك الجهد عفوها * ويترك شمل العزم وهو مبدد
ترى عاصف الارواح فيها كأنها * من الاين تمشى ظالع أو مقيد

وقال فى المطمح محرز الخصل مبرز فى كل معنى وفصل متميز بالاحسان منتم الى فئة البيان ذكى الخاطر مع قوة العارضه والمنة الناهضه حضر مجلس بعض القضاة وكان مشتهر الضبط مشهر المن انبسط فيه بعض البسط حتى ان أهله لا يتكلمون فيه الا رمزا ولا يخاطبون الا ايماء فلا تسمع لهم ركزا فتكلم فيه خصم له كلاما استطال به عليه لفضل بيانه وطلاقة لسانه ففارق عادة المجالس فى رفض الانفه وخفض الجة المؤتنفه وهز عطفه وحسر عن ساعده وأشار بيده مادا بها لوجه خصمه خارجا عن حد المجلس ورسمه فهم الاعوان بتقويمه وتثقيفه ووزعهم رهبة منه وخشية حتى تناوله القاضى بنفسه وقال له مهلا عافاك الله اخفض صوتك واقبض يدك ولا تفارق مركزك ولا تعد حدك وأقصر عن ادلالك فقال له مهلا يا قاضى أمن المخدرات أنا فاخفض صوتى وأستر يدى واغطى معاصمى لديك أم من الانبياء أنت فلا يجهر بالقول عندك وذلك لم يجعله الله تعالى الا لرسوله عليه الصلاة والسلام لقول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الى قوله لا تشعرون ولست به ولا كرامة وقد ذكر الله تعالى أن النفوس تجادل فى القيامة فى موقف الهول الذى لا يعدله مقام ولا يشبه انتقامه انتقام فقال تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها الى قوله تعالى وهم لا يظلمون لقد تعديت طورك وعلوت فى منزلك وانما البيان بعبارة اللسان وبالنطق يستبين الحق من الباطل ولابد فى الخصام من افصاح الكلام وقام وانصرف فبهت القاضى ولم يحر جوابا وكان فى الدولة صدرا من اعيانها وباسق دررتبيانها نفق فى سوقها وصنف وقرط محاسنها وشنف وله الكتاب الرائق المسمى بالحدائق وادركه فى الدولة سعى وفض له فيها رمى واعتقله الخليفة واوثقه فى مكان اخيه فلم يومض له عفو ولم يشب كدر حاله صفو حتى قضى معتقلا ونعى للنائبات نعيا مشكلا وله فى السجن اشعار كثيره واقوال مبدعات منيره فمن ذلك ما انشده ابن حزم يصف خيالا طرقه بعد ما اسهره الوجد وارقه

أيها الناقى الشكر بادى * بشكر الطيف ام شكر الرقاد
سرى وازداد فى املى ولكن * عففت فلم اجد منه مرادى

قتلتم خير من ركب المطايا ٣٦٨ * وذللها ومن ركب السفينا ومن لبس النعال ومن حذاها * ومن قرأ المثانى والمئينا

اذا استقبلت وجه ابى حسين
رايت النور فوق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت
بانك خيرهم حسبا ودينا
وانطلق البرك الصريمى الى معاوية فطعنه بخنجر فى أليته وهو يصلى فاخذ وأوقف بين يديه فقال له ويلك وما انت وما خبرك قال لا تقتلنى واخبره قال انا تبايعنا فى هذه الليلة عليك وعلى على وعلى عمرو فان أردت فاحبسنى عندك فان كانا قتلا والا خليت سبيلى فطلبت قتل على ولك على أن أقتله وأن آتيك حتى أضع يدى فى يدك فقال بعض الناس قتله يومئذ وقال بعضهم حبسه حتى جاءه خبر قتل على فاطلقه وانطلق زادويه عمرو بن بكر التميمى الى عمرو بن العاص فوجد خارجة قاضى مصر جالسا على السرير يطعم الناس فى مجلس عمرو وقيل بل صلى خارجة بالناس الغداة ذلك اليوم وتخلف عمرو عن الصلاة لعارض فضربه بالسيف فدخل عليه عمرو وبه رمق فقال ا خارجة والله ما أراد غيرك فقال عمرو ولكن الله أراد خارجة وأوقف الرجل بين يدى عمرو فسأله عن خبره فقص عليه القصة وأخبره وما

ومافى النوم من حرج ولكن * جريت من العفاف على اعتيادى انتهى

وقال الشاعر المشهور ابو عبد الله محمد بن الحدّاد

ياغائبا خطرات القلب محضره * الصبر بعدك شئ لست اقدره
تركت قلبى وأشواقى تفطره * ودمع عينى وأحداقى تحدّره
لو كنت تبصر فى تدبير حالتنا * اذن لاشفقت مما كنت تبصره
فالعين دونك لاتخلو بلذتها * والدهر بعدك لايصفو تكدّره
أخفى اشتياقى وما أطويه من أسف * عن البرية والانفاس تظهره

قال فى المطمح هو شاعر مادح وعلى أيك الندى صادح لم ينطقه الا معن أو صمادح فلم يرم مثواهما ولم ينتجع سواهما واقتصر على المريه واختصر قطع المهامه وخوض البريه فعكف فيها ينثر درره فى ذلك المنتدى ويرشف ابدا ثغور ذلك الندى مع تميزه بالعلم وتحيزه الى فئة الوقار والحلم وانتمائه الى آية سلف وعذابه مذاهب أهل الشرف وكان له لسن ورواء يشهدان له بالنباهه ويقلدان كاهله ماشاء من الوجاهه وقد أثبت له بعض ماقذفه من درره وفاه به من محاسن غرره فمن ذلك قوله

الى الموت رجعى بعد حين فان أمت * فقد خلدت خلد الزمان مناقبى
وذكراى فى الآفاق طيبا كانها * بكل لسان طيب عذراء كاعب
ففى أى علم لم تبرز سوابقى * وفى أى فن لم تبرز كتائبى

وحضر مجلس المعتصم بحضور ابن اللبانة فانشد فيه قصيدا أبرز به من غرا الاحسان مالم ينفصم واستمر فيها يكمل بدائعها وقوافيها فاذا هو قد أغار على قصيد ابن الحداد الذى أوّله عج بالحمى حيث الظباء العين فقال ابن الحداد مرتجلا

حاشا لعدلك يا ابن معن أن يرى * فى سلك غيرى درى المكنون
واليكها تشكو استلاب مطيها * عج بالحمى حيث الظباء العين
فاحكم لها واقطع لسانا لايدا * فلسان من سرق القريض يمين

وله

ان المدامع والزفير * قد أعلنا مافى الضمير
فعلام أخفى ظاهرا * سقمى على به ظهير
هب لى الرضا من ساخط * قلبى بساحته الاسير

وله أيضا

ايها الواصل هجرى * أنا فى هجران صبرى
ليت شعرى اى نفع * لك فى ادمان ضرى

وله ايضا يامشبه الملك الجعدى تسمية * ومخجل القمر البدرى انوارا

وله

تطالبنى نفسى بعافيه صونها * فاعصى ويسطو شوقها فأطيعها
ووالله مايخفى على ضلالها * ولكنها تهوى فلا استطيعها

وقال

بخافقة القرطين قلبك خافق * وعن خرس القلبين دمعك ناطق
وفى مشرق الصدغين للبدر مغرب * وللفكر حالات وللعين سارق
وبين حصا الياقوت ماء وسامة * مخلاة عنه الظباء السوابق

ان عليا ومعاوية قد قتلا فى هذه الليلة فقال ان قتلا أو لم يقتلا فلابد من قتلك فبكى فقيل له أجزعا من الموت مع هذا الاقدام فقال لا والله ولكن غما أن يفوز صاحباى بقتل على ومعاوية ولا أفوز انا بقتل عمرو فضرب عنقه وصلب وكان على رضى الله عنه كثيرا مايتمثل

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى
فلا وربك ما بروا وما ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم
بذات ودقين لايعفو لها أثر

وكان يكثر من ذكر هذين البيتين

أشدد حيازيمك للموت
فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت
اذا حل بواديكا

وسمعا منه فى الوقت الذى قتل فيه فانه قد خرج الى المسجد وقد عسر عليه فتح باب داره وكان من جذوع النخل فاقتلعه وجعله ناحية وانحل ازاره فشده وجعل ينشد هذين البيتين المتقدمين وقد كان معاوية دس أناسا الى الكوفة يشيعون موته وأكثر الناس القول فى ذلك حتى بلغ عليا فقال فى مجلسه قد أكثرتم من نعى معاوية والله مامات ولا يموت حتى يملك ماتحت قدمى وانما أراد ابن أكلة الاكباد ان يعلم ذلك منى فبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ويتيقن ما عندى

وحشو قباب الرقم احوى مقرطق * كما آس روض عطفه والقراطق

انتهى باختصار* وقال الاسعد بن بليطة

برامة ريم زارنى بعد ماشطا * تقنصته بالحلم فى الشط فاشتطا

رعى من افانين الهوى ثمر الحشا * جنيا ولم يرع العهود ولا الشرطا

خيال لمر قوم غرير برامة * تأوبنى بالرقتين لدى الارطى

فأكسبنى من خدها روضة الجنى * وألدغنى من صدغها حية رقطا

وبانت ذراعاها نجاد العاتق * اذا التقتا بالحلى غنى لها الغطا

وسل اهتصارى غصنها من مخصر * طواه الضنى طى الطوامير فامتطا

وقد غاب كحل الليل فى دمع فجره * الى ان تبدى الصبح فى الليلة الشمطا

ومنها فى وصف الديك

وقام لها ينعى الدجا ذو شقيقة * يدير لنا من عين اجفانه نقطا

اذا صاح اصغى سمعه لاذانه * وبادر ضربا من قوادمه الابطا

كأن أنوشروان اعلاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا

سبى حلة الطاوس حسن لباسها * ولم يكفه حتى سبى المشية البطا

ومن غزلها

غلامية جاءت وقد جعل الدجا * لخاتم فيها فص غالية خطا

فقلت احاجيها بما فى جفونها * وما فى الشفاه اللعس من حسنها المعطى

مجمرة العينين من غير سكرة * متى شربت الحاظ عينيك اسفنطا

ارى نكهة المسواك فى خمرة اللمى * وشاربك المخضر بالمسك قد خطا

عسى قزح قبلته فأخاله * على الشفة الليماء قد جاء مختطا

وقال فى المطمح فى تحلية الاسعد انه سرد البدائع احسن السرد وافترس المعانى كالاسد الورد وابرز درر المحاسن من صدفها وحاز من فخر الاجادة وشرفها ومدح ملوكا طوقهم من مدائحه قلائد وزف اليهم منها خرائد وجلاها عليهم كواعب بالالباب لواعب فأسالت العوارف وما تقاص له من الحظوة ظل وارف وقد اثبت له ما يعترف بحقه ويعرف به مقدار سبقه فمن ذلك قوله

لو كنت شاهدنا عشية امسنا * والمزن يبكينا بعينى مذنب

والشمس قد مدت اديم شعاعها * فى الارض تجنح غير أن لم تغرب

وقوله وتلذ تعذيبى كانك خلتنى * عودا فليس يطيب ما لم يحرق

وهو مأخوذ من قول ابن زيدون

تظنوننى كالعود حقا وانما * تطيب لكم انفاسه حين يحرق

انتهى ببعض اختصار وقال الاديب أبو بكر عبادة بن ماء السماء وهو كما فى المطمح من فحول الشعراء وأئمتهم الكبراء وكان منتجعا بشعره مسترجعا من صرف دهره وكانت له همة أطالت همه وأكثرت كمده وغمه

المستقبل من الزمان ومر فى كلام كثير يذكر فيه أيام معاوية ومن تلاه من فيه وما يكون من أمره فى يزيد ومروان وبنيه وذكر الحجاج وما يسومهم من العذاب فارتفع الضجيج وكثر البكاء والشهيق فقام قائم من الناس فقال يا أمير المؤمنين لقد وصفت أمورا عظيمة آلله ان ذلك كائن قال على والله ان ذلك لكائن ما كذبت ولا كذبت فقال آخرون متى ذلك يا أمير المؤمنين قال اذا خضبت هذه من هذه ووضع احدى يديه على لحيته والاخرى على رأسه فأكثر الناس من البكاء فقال لا تبكوا فى وقتكم هذا فستبكون بعدى طويلا فكاتب أكثر أهل الكوفة معاوية سرا فى أمورهم واتخذوا عنده الايادى فوالله ما مضت الأيام قلائل حتى كان ذلك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب بعد ذكرنا لزهده ولمع من كلامه وجمل من أخباره أيضا أخبار معاوية بن أبى سفيان والله ولى التوفيق

(ذكر لمع من كلامه وأخباره وزهده رضوان الله عليه)

لم يلبس عليه السلام فى أيامه ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعة ولا ربعا الا شيأ كان له بسرف مما تصدق به وحبسه والذى حفظ الناس عنه من خطبه فى سائر مقاماته أربعمائة خطبة

يؤرقنى الليـــل الذى أنا نائمــه * فتجهـــل ما ألقى وطـــرفك عالمــه
وفى الهودج المرقوم وجـه طوى الغشا * عن الحسن فيـه الحسن قد حار واقـه
اذا شاء وقفا أرسـل الحسن فرعـه * يضلهـم عن منهج القصـــد فاحمــه
أظلمار أو اتقليـــده الدرأم زروا * بتـــلك اللآلى انهن تمائمـــه

وقال الاديب أبو عبد الله بن عائشـة فى فتى طرزت غلالة خده وركب من عارضه سنانا على صعدة قده

اذا كنت تهوى خـده وهو روضة * به الورد غـض والاقاح مفـلج
فـزد كلفا فيــه وفـرط صـبابة * فقد زيد فيه من عذار بنفسج

وحـلاه فى المطمح بأن قال اشـتهر صونا وعفافا ولم بعقيلة حضره زفافا فاثر انقباضا وسكونا واعتمد النهار كونا الى أن أنهضه أمير المسلمين الى بساطه فهب من مرقد خموله وشب لبلوغ مأموله فبدا منه فى الحال انزواء فى تسنم تلك الرسوم والتواء وقعود عن مراتب الاعلام وجمود لا يحمد فيه ولا يلام الا أن أمير المسلمين ألقى عليه منه محبه جلبت اليه مسرى الظهور ومهبه وكان له أدب واسع المـدى يانع كالزهر بلله النـدى ونظم مشرق الصفحه عبق النفحه الا انه قليلا ما كان يحل ربعه ويذيل له طبعه وقد أثبت له منه ما يدع الالباب حائره والقلوب اليه طائره فمن ذلك قوله فى ليلة سمحت له بفتى كان يهواه ونفحت له هبة وصل أبدت جواه

لله ليـل بات عنـدى به * طوع يدى من مهجتى فى يديه
وبت أسقيه كؤس الطلا * ولم أزل اسـهر شوقا اليـه
عاطيتـه حمراء ممزوجـة * كانهـا تعصر من وجنتيـه

وخرج من بلنسية يوما الى منية الوزير الاجـل ابى بكر بن عبـد العزيز وهى من ابدع منازل الدنيا وقد مدت عليها ادواحها الافيا واهدت اليهـا ازهارها العرف والريا والنهر قد غص بمائه والروض قد خص بمثل انجـم سمائه وكانت لبنى عبـد العزيز فيها الطراب تهيألهـم فيها من الايام آراب فلبسوا فيهـا الانس حتى ابلوه ونشروا فيهـا الحظ وطووه أيام كانوا بذلك الافق طلوعا لم تضم عليهم النوب ضلوعا فقعد ابو عبد الله مع لمة من الادباء تحت دوحـة من ادواحها فهبت ريح انس من ارواحها سطت باعصارهـا واسقطت لؤلؤها على باسم ازهارها فقال

ودوحة قد علت سمـاء * تطلع ازهـارها نجوما
هفا نسـيم الصبا عليها * فأرسلت فوقنا رجوما
كأنما الجو غارلمـا * بدت فأغرى بها النسما

وكان فى زمان عطلته ووقت اصفراره وعلته ومقاساته من العيش انـكده ومن التخوف اجهده كثيرا ما ينشرح بجزيرة شقر ويستريح ويستطيب تلك الريح ويجول فى اجارع واديها وينتقل من نواديها الى بواديها فانها صحيحة الهواء قليلة الادواء خضلة العشب والازاهر قد احاط بها نهرها كما تحيط بالمعاصم الاساور والايك قد نشرت ذوائبها على

ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة تداول الناس ذلك عنه قولا وعملا (وقيل) له من خيار العباد قال الذين اذا أحسـنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا واذا ابتلوا صبروا واذا غضبوا غفـروا (وكان) يقول الدنيا دار صـدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهـم عنهـا ودار غنى لمن تزود منها الدنيا مسجـد أحباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحيـه ومتجر أوليائه اكتسبوا فيهـا الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها ومثلت لهم ببـلائها البلاء وشوقت بسرورهـا الى السرور وراحت بفجيعة وابتـكرت بعافيـة تحذيرا وترغيبا وتخويفا فذمها رجال غب الندامة وحمدها آخرون غب المـكافأة ذكرتهم فذكروا تصاريفها وصـدقتهم فصدقوا احاديثها فيا أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى استذامت لك الدنيا بل متى غرتك من نفسها أبمضاجع آبائك من البلى ام بمصارع امهاتك مـن الثرى كم قد عللت بكفك ومرضت بيدك من تبغى له الشفاء وتستوصف له الاطباء لم تنفعه بشفائك ولم تستعف له بطلبتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك غداة لا ينفعك بكاؤك ولا يغنى عنك احباؤك ولا تسمع فى مدح الدنيا احسن من

صفحته والروض قد عطر جوانبه بريحه وابو اسحق بن خفاجة هو كان منزع نفسه ومصرع انسه نفح له بالمنى عبق وشذا ومسح عن عيون مسراته القذى وغدا على ما كان وراح وجرى متهافتا فى ميدان ذلك المراح قريب عهد بالفطام ودهره ينقاد فى خطام فلما اشتعل رأسه شيبا وزرت عليه الكهول جيبا اقصر عن تلك الهنات واستيقظ من تلك السنات وشب عن ذلك الطوق واقصر عن الهوى والشوق وقنع بأدنى تحيه وما يستشعره فى وصف تلك العهاد من اريحيه فقال

الا خليانى والاسى والقوافيا * أرددها شجوى واجهش باكيا
أآمن شخص للمسرة باديا * واندب رسما للشبيبة باليا
تولى الصبا الا توالى فكرة * قدحت بها زندا وما زلت واريا
وقد بان حلو العيش الا تعلة * تحدثنى عنها الامانى خاليا
ويا برد هذا الماء هل منك قطرة * تهل فاستسقى غمامك صاديا
وهيهات حالت دون حزوى وأهلها * ليال وأيام تحاكى اللياليا
فقل فى كبير عاده صائد الظبا * اليهن مشتاقا وقد كان ساليا
فيا راكبا يستعمل الخطو قاصدا * ألا عج بشقر رائحا ومغاديا
وقف حيث سال النهر ينساب أرقما * وهب نسيم الايك ينفث راقيا
وقل لاثيلات هناك واجرع * سقيت أثيلات وحييت واديا

انتهى ببعض اختصار وابن عائشة أشهر من أن يقال فى أمره وليس الخبر كالعيان * وقال أبو عمرو يزيد بن عبد الله بن أبى خالد اللخمى الاشبيلى الكاتب فى فتح المهدية سنة ٦٠٢

كم غادر الشعراء من متردم * ذخرت عظائمه لخير معظم
تبعا لمذخور الفتوح فانه * جاءت له بخوارق لم تعلم
من كل سامية المنال اذا انتمت * رفعت الى اليرموك صوت المنتمى
وتوسطت فى النهروان بنسبة * كرمت ففازت بالمحل الاكرم

قال ابن الابار فى تحفة القادم هو صدر فى نبهائها وأدبائها يعنى اشبيلية وممن له قدر فى منجبيها ونجبائها والى سلفه ينسب العقل المعروف بحجر أبى خالد وتوفى بها سنة ٦١٢ وأورد له قوله

ويا للعوارى المنشآت وحسنها * طوائر بين الماء والجو عوما
اذا نشرت فى الجو أجنحة لها * رأيت به روضا ونوراه كمما
وان لم تهبه الريح جاء مصافحا * فمدت له كفا خضيبا ومعصما
مجاذف كالحيات مدت رؤسها * على وجل فى الماء كى تروى الظما
كما أسرعت عدا أنامل حاسب * بقبض وبسط يسبق العين والفما
هى الهدب فى أجفان أكحل أوطف * فهل صنعت من عندم أو بكت دما

قال ابن الابار أجاد ما أراد فى هذا الوصف وان نظر الى قول أبى عبد الله بن الحداد يصف اسطول المعتصم بن صمادح

هذا (ومما حفظ من كلامه فى بعض مقاماته فى صفة الدنيا) انه قال الا ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة وان الآخرة قد دنت مقبلة ولهذه ابناء ولهذه أبناء فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين فى الدنيا والراغبين فى الآخرة ان الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقوضوا الدنيا تقويضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ومن راقب الخير سارع فى الخيرات الا وان لله عبادا يرون أهل الجنة فى الجنة منعمين مخلدين قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة أنفسهم عفيفة وحاجتهم خفيفة صبروا أياما قليلة فصارت لهم العقبى راحة طويلة أما الليل فصافوا أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجارون الى ربهم ويسعون فى فكاك رقابهم وأما النهار فعلماء حكماء بررة أتقياء كأنهم القداح براهم الخوف والعبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالطهم أمر عظيم من ذكر النار ومن فيها (وقال لابنه الحسن) يابنى استغن

هام صرف الردى بهام الاعادى * ان سمت نحوهم لها أجياد
وتراءت بشرعها كعيون * دأبها مثل خائفيها اسهاد
ذات هدب من المجاذيف حالك * هدب باك لدمعه اسعاد
جسم فوقها من البيض نار * كل من أرسلت عليه رماد
ومن الخط فى يدى كل در * ألف خطها على البحر صاد

قال وما أحسن قول شيخنا أبى الحسن بن حريق فى هذا المعنى من قصيد أنشدنيه

وكأنما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح خشية الطوفان
فاذا رأين الماء يطفح نضنضت * من كل خرق حية بلسان

قال ولم يسبقهم الى الاحسان وانما سبقهم بالزمان على بن محمد الايادى التونسى فى قوله

شرعوا جوانبها مجاذف اتعبت * شادى الرياح لها ولما تتعب
تنصاع من كثب كما نفر القطا * طوراً وتجتمع اجتماع الربرب
والبحر يجمع بينها فكأنه * ليل يقرب عقرباً من عقرب
وعلى جوانبها أسود خلافة * تختال فى عدد السلاح المذهب
وكأنما البحر استعار بزيهم * ثوب الجمال من الربيع المعجب

ومن هذه القصيدة الفريدة فى ذكر الشراع

ولها جناح يستعار يطيرها * طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو بها حدب العباب مطاره * فى كل لج زاخر مغلولب
يسمو بآخر ذى الهواء منصب * عريان منسرح الذؤابة شوذب
يتنزل الملاح منه ذؤابة * لو رام يركبها القطا لم يركب
وكأنما رام استراقة مقعد * للسمع الا انه لم يشهب
وكأنما جن ابن داود هم * ركبوا جوانبها بأعنف مركب
سجر واجواهم بينهم فتقاذفوا * منها بألسن مارج متلهب
من كل مسجون الحريق اذا انبرى * من سجنه انصلت انصلات الكوكب
عريان يقدمه الدخان كانه * صبح يكر على ظلام غيهب

ومن أولها

اعجب بأسطول الامام محمد * وبحسنه وزمانه المستغرب
لبست به الامواج أحسن منظر * يبدو لعين الناظر المتعجب
من كل مشرفة على ماقابلت * اشراف صدر الاجدل المتنصب

ومنها

جوفاء تحمل موكباً فى جوفها * يوم الرهان وتستقل بموكب

وهى طويلة من غرر القصائد وقد سرد جملة منها صاحب المناهج وغيره * وقال أبو عمر القسطلى

وحال الموج بين بنى سبيل * يطير بهم الى الصوب ابن ماء
أغر له جناح من صباح * يرفرف فوق جنح من سماء

وأخذه أبو اسحق بن خفاجة فقال

وجارية ركبت بها ظلاما * يطير من الصباح بها جناح

فقال كيف أصبحت يا أمير المؤمنين قال أصبحت ضعيفاً مذنباً آكل رزقى وأنظر أجلى قال وما تقول فى الدنيا قال وما أقول فى دار أولها غم وآخرها موت من استغنى فيها افتتن ومن افتقر فيها حزن حلالها حساب وحرامها عقاب قال فاى الخلق أنعم قال أجساد تحت التراب قد أمنت العقاب وهى تنتظر الثواب (ودخل) ضرار بن حمزة وكان من خواص على على معاوية وافداً فقال له صف لى علياً قال اعفنى يا أمير المؤمنين قال معاوية لابد من ذلك فقال اما اذا كان لابد من ذلك فانه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يعجبه من الطعام ماخشن ومن اللباس ماقصر وكان والله يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا اذا سألناه وكنا والله على تقريبه لنا وقربه منا لانكلمه هيبة له ولا نبتدئه لعظمه فى نفوسنا يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويرحم المساكين ويطعم فى المسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة يكسو العريان وينصر اللهفان ويستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس

اذا الماء اطمأن ورق خصرا * علا من موجه ردف رداح
وقد فغر الحمام هناك فاه * وأتلع جيده الاجل المتاح

ولا يخفاك حسن هذه العبارة الصقيلة المرآة فالله تعالى يرحم قائلها * وقال ابن الابار وقد قلت أنا في ذلك

ياحبذا من بنات الماء سابحة * تطفو لما شب أهل النار تطفئه
تطيرها الريح غربانا بأجنحة الـ * ـحمائم البيض للاشراك ترزؤه
من كل أدهم لا يلفى به جرب * فالراكبه بالقار يهنؤه
يدعى غرابا وللفتخاء سرعته * وهو ابن ماء وللشاهين جؤجؤه

واجتمع ابن أبي خالد وأبو الحسن بن الفضل الاديب عند أبي الحجاج بن مرطير الطبيب بحضرة مراكش وجرى ذكر قاضيها حينئذ أبي عمران موسى بن عمران بينهم وما كان عليه من القصور والبعد عما اتيح له وأوثر به فقال أبو الحجاج ليس فيه من أبي موسى شبه فقال أبو الحسن فأبوه فضة وهو شبه فقال ابن أبي خالد

كم دعاه اذ رآه عرة * وأباه اذ دعاه يا أبه

انتهى

وقال أبو العباس الاعمى

بهمة لو جرى في الخيل أكبرها * لغابت الريح في الاحجال والغرر
تجري فللماء ساقا عائم درب * وللرياح جناحا طائر حذر
قد قسمتها يد التقدير بينهما * على السواء فلم تسبح ولم تطر

وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاسطول

ياحسنها يوما شهدت زفافها * بنت الفضاء الى الخليج الازرق
ورقاء كانت أيكة فتصورت * لك كيف شئت من الحمام الاورق
حيث الغراب يجر شملة عجبه * وكأنه من غرة لم ينعق
من كل لابسة الشباب ملاءة * حسب اقتدار الصانع المتأنق
شهدت لها الاعيان أن شواهنا * أسماؤها فتصحفت في المنطق
من كل ناشرة قوادم أجنح * وعلى معاطفها وهادة سودق
زأرت زئير الاسد وهي صوامت * وزحفن زحف مواكب في مأزق
ومجاذف تحكي أراقم ربوة * نزلت لتكرع من غدير متأق

وقال ابن خفاجة

سقيا لها من بطاح خز * ودوح نهر بها مطل
فما ترى غير وجه شمس * أظل فيه عذار ظل

وهو من بديع الشعر وكم لابن خفاجة من مثله * وقال عبيد الله بن جعفر الاشبيلي وقد زار صاحبا له مرات ولم يزره هو فكتب على بابه

يامن يزار على بعد المحل ولا * يزورنا مرة من بين مرات
زر من يزورك واحذر قول عاذلة * تقول عنك فتى يؤتى ولا ياتي

الليل وظلمته وكاني به وقد ارخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري الي تعرضت أم الي تشوفت هيهات هيهات لا حان حينك قد ابنتك ثلاثا لا رجعة لي فيك عمرك قصير وعيشك حقير وخطرك يسير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق فقال له معاوية زدني شيأ من كلامه فقال ضرار كان يقول أعجب ما في الانسان قلبه وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجاء اماله الطمع وان مال به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه القنوط قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان أسعده الرضا نسي التحفظ وان أماله الخوف فضحه الجزع وان أفاد مالا أطغاه الغنى وان عضته فاقة فضحه الفقر وان أجهده الجوع اقعده الضعف وان أفرط به الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد فقال له معاوية زدني كل ما وعيته من كلامه قال هيهات أن آتي على جميع ما سمعته منه ثم قال سمعته يوصي كميل بن زياد يا كميل ذب عن المؤمن فان ظهره حمى الله ونفسه كريمة على الله وظالمه خصم الله وأحذركم من ليس له ناصر الا الله

ومن

قال وسمعته يقول ذات يوم ان هذه الدار اذا أقبلت على قوم أعارتهم محاس غيرهم واذا أدبرت عنهم

ومن مجونياته سامحه الله تعالى

وأغيد ليس تعدوه الامانى * ولوحكمت عليه باشتطاط
سقيت الراح حتى مال سكرا * ونام على النمارق والبساط
وأسلمنى على طول التجنى * وأمكننى على فرط التعاطى
فأولجت المقادر جيد بكر * ولا كفران فى سم الخياط
وغنانى بصوت من حشاه * فاطربنى وبالغ فى نشاطى
فانقر المثالث والمثانى * بأطرب من تلاحين الضراط
ولولا الريق لم أظفر بشئ * على عدم اهتبالى واحتياطى
فلا تسخر بريق بعد هذا * فان الريق مفتاح اللواط

وقال أبو الحسن على بن محمد الرجال

كيف أصبحت أيهذا الحبيب * نحن مرضى الهوى وأنت الطبيب
كل قلب اليك يهفو غراما * وتجافى على منك القلوب
ان تلح حومت عليك هياما * أو تغب حنها عليك الوجيب
غير أنى من بينهم مستريب * حين تبدو وليس لى ماريب
كل ماقد ألقاه منك ومنى * دون هذا له تشق الجيوب

وقال أحمد المعروف بالكساد فى موسى الذى كان يتغزل فيه شعراء اشبيلية

مالموسى قد خرلله لما * فاض نور اغشاه ضوء سناه
وأنا قد صعقت من نور موسى * لا أطيق الوقوف حين أراه

ولله دره فى رثاء موسى المذكور اذ قال

فر الى الجنة حوريها * وارتفع الحسن من الارض
وأصبح العشاق فى مأتم * بعضهم يبكى الى بعض

وقوله فيه هتف الناعى بشجو الابد * اذ نعى موسى بن عبد الصمد
ماعليهم ويحهم لودفنوا * فى فؤادى قطعة من كبدى

ولقب بالكساد لقوله * و بيع الشعر فى سوق الكساد * وقال أبو القاسم بن أبى طالب الحضرمى المنيشى

صاغت يمين الرياح محكمة * فى نهر واضح الاسارير
فكلما ضاعفت به حلقا * قام لها القطر بالمسامير

وقال أبو زيد عبد الرحمن العثمانى وهو من بيت امارة

لاتسلى عن حالتى فهى هذى * مثل حالى لا كنت يامن يرانى
ملنى الاهل والاخلاء لما * أن جفانى بعد الوصال زمانى
فاعتبر بى ولايغرك دهر * ليس منه ذو غبطة فى أمان

وقال أبو زكريا يحيى بن محمد الاركشى

لاحبذا المال والافضال يتلفه * والبخل يحميه والاقدار تعطيه

سلبتهم محاسن أنفسهم قال وسمعته يقول بطر الغنى يمنع من عز الصبر قال وسمعته يقول ينبغى للمؤمن أن يكون نظره عبرة وسكوته فكره وكلامه حكمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قتل جعفر بن أبى طالب الطيار بمؤتة من أرض الشام لايبعث بعلى فى وجهة من الوجوه الايقول رب لاتذرنى فردا وأنت خير الوارثين وحمل على يوم أحد على كردوس من المشركين خشن فكشفهم فقال جبريل يامحمد ان هذه لهى المواساة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان عليا منى قال جبريل وأنا منكم كذلك ذكره اسحق بن ابراهيم وغيره ووقف على على سائل فقال للحسن قل لامك تدفع اليه درهما فقال انما عندنا ستة دراهم للدقيق فقال على لايكون المؤمن مؤمنا حتى يكون بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده ثم أمر للسائل بالستة الدراهم كلها فما برح على رضى الله عنه حتى مر به رجل يقود بعيرا فاشتراه منه بمائة وأربعين درهما وأنسأ أجله ثمانية أيام فلم يحل أجله حتى مر به رجل والبعير معقول فقال بكم هذا فقال بمائتى درهم فقال قد أخذته فوزن له الثمن فدفع على منه مائة

وقال

لا تبكين لاخوان تفارقهم * فانى قبلك استخبرت اخوانى
فما حمدتهم فى حال قربهم * فكيف فى حال ابعاد وهجران

وقال ابو عمران موسى الطريانى لما دخل يوم نيروز الى بعض الاكابر وعادتهم أن يصنعوا فى مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور مستحسنة فنظر الى صورة مدينة فاعجبته فقال له صاحب المجلس صفها وخذها

مدينة مسوّره * تحار فيها السحره
لم تبنها الايدا * عذراء أو مخدره
بدت عروسا تجتلى * من درمك مزعفره
ومالها مفاتح * الا البنان العشره

وقال أبو عمرو بن حكم

حاشا لمن أملكم أن يخيب * وينثنى نحو العدا مستريب
هذا وكم أقرأنى بشركم * نصر من الله وفتح قريب

وقال أبو الحسن على بن الجعدى القرمونى

اياك من زلل اللسان فانه * قدر الفتى من لفظه المسموع
فالمرء يختبر الاناء بنقره * ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال الفقيه أبو الحسن على بن ليال فى محبرة عناب محلاة بفضة

منعلة بالهلال ملجمة * بالنسر مجدولة من الشفق
كانما حبرها يتح فى * فرضتها سائلا من الغسق
فأنت مهما تردتشبهها * فى كل حال فانظر الى الافق

وقال فى محبرة آبنوس

وخديمة للعلم فى أحشائها * كلف بجمع حرامه وحلاله
لبست رداء الليل ثم توشحت * بنجومه وتتوجت بهلاله

وقال ابو العباس أحمد بن شكيل الشريشى

تفاحة بت بها ليلتى * أبثها سرى والشكوى
أضمها معتنقا لاثما * اذا ذكرت خدمن آهوى

وقال

تفاحة حامضة عضها * فى غمل من قطب الوجها
ولم أخل من قبلها محسنا * يجرى عليه العض والنجها

وقال أبو جعفر أحمد الشريشى

على حسن نور الباقلاء أدرها * على الصب كاسى خمرة وجفون
يذكرنى بلق الحمام وتارة * يؤكد للاشجان شهل عيون

وقال عمرو بن غياث

وقالوا مشيب قلت واعجبا لكم * أينكر صبح قد تخلل غيهبا
وليس مشيبا ماترون وانما * كميت الصبا لما جرى عاد أشهبا

وأر بعين درهما الذى هى فقال هذه تصديق لما جاء به أبوك صلى الله عليه وسلم من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومر ابن عباس بقوم ينالون من على ويسبونه فقال لقائده أدننى منهم فادناه فقال أيكم الساب لله قالوا نعوذ بالله ان نسب الله فقال أيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نعوذ بالله ان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم الساب على بن أبى طالب قالوا أما هذه فنعم قال أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سبنى فقد سب الله ومن سب عليا فقد سبنى فاطرقوا فلما ولى قال لقائده كيف رأيتهم فقال

نظروا اليك بأعين مزورة * نظر التيوس الى شفار الجازر

فقال زدنى فداك أبى وأمى فقال

خزر العيون منكسى أذقانهم * نظر الذليل الى العزيز القاهر

قال زدنى فداك أبى وأمى قال ماعندى مزيد ولكن عندى

أحياؤهم تخزى على أمواتهم * والميتون فضيحة للغابر

وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبى عبد الله

وقال

وقال الوزير أبو بكر محمد بن ذي الوزارتين أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز يخاطب ابن عبدون

في ذمة الفضل والعلياء مرتحل * فارقت صبري اذا فارقت موضعه
ضاءت به برهة أرجاء قرطبة * ثم استقل فسد البين مطلعه
عذرا الى المجد عن حين فارقني * ذاك الجلال فاعيا أن أشيعه
قد كنت أصحبته قلبي وأقعدني * ما كان أودعني عن أن أودعه

وفيهم يقول ابن عبدون

بحور بلاغة ونجوم عز * واطواد رواس من جلال

وقال الوزير الكاتب أبو القاسم بن ابي بكر بن عبد العزيز

نديمي لاعدمتك من نديم * ادرها في دجى الليل البهيم
فخير الانس أنس تحت ستر * يصان عن السفيه او الحليم

وقال الثائر ابو عبد الله الجزيري

في أم رأسي سر * يبدو لكم بعد حين
لابلغن مرادي * ان كان سعدي معيني
أولا فأكتب ممن * سعى لاظهار دين

وسبب قوله هذا أن بني عبد المؤمن لما غيروا رسم مهديهم وصيروا الخلافة ملكا وتوسعوا في الرفاهية وأهملوا حق الرعية جعل يتستر وقال هذه الابيات وشاع سره في مدة ناصر بني عبد المؤمن فطلبه ففر ولم يزل يتنقل مستخفيا مع أصحابه الى أن حصل في حصن قولية من عمل مدينة بسطة فبينما هو ذات يوم في جامعها مع أصحابه وهم يأكلون بطيخا ويرمون قشره في صحن الجامع اذ أنكر ذلك رجل من العامة وقال لهم ماتتقون الله تعالى تتهاونون ببيت من بيوته فضحكوا منه واستهزؤا به وأهل تلك الجهة لاتحتمل شيأ من ذلك فصاح بفتية من العامة فاجتمع جمع وحملوا الى الوالي فكان عند الوالي من عرفه فقتلوا جميعا وأمر الناصر أن يرفع عن جميع أرض قولية جميع تكاليف السلطان * ولما عتب المنصور ابن أبي عامر على الكاتب عبد الملك الجزيري وسجنه في الزاهرة ثم صفح عنه قال وكتب به اليه

عجبت من عفو أبي عامر * لابد أن تتبعه منه
كذلك الله اذا ما عفا * عن عبده أدخله الجنه

فاستحسن ذلك وأعاده الى حاله * وقال على لسان بهار العامرية وهو النرجس

حدق الحسان تقر لي وتغار * وتضل في وصفي النهى وتحار
طلعت على قضب عيون تمائمي * مثل العيون تحفها الاشفار
وأخص شئ بي اذا شبهتني * درع تنطق سلكه دينار
أنا نرجس حقا بهرت عقولهم * ببديع تركيبي فقيل بهار

وقال في بنفسجها

شهدت لنوار البنفسج ألسن * من لونه الاحوى ومن ايناعه

جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي بن الحسين بن علي ان عليا قال في صبيحة الليلة التي ضرب فيها عبد الرحمن بن ملجم بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم كل امرئ ملاقيه ما يفر منه والاجل تساق النفس اليه والهرب منه موافاته كم اطردت الايام أتحينها عن مكنون هذا الامر فأبى الله عز وجل الا اخفاءه هيهات علم مكنون اما وصيتي فلا تشركوا به شيأ ومحمد لا تضيع سنته اقيموا هذين العمودين وخلاكم ذم حمل كل امرئ منكم مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم ودين قويم وامام عليم كنا في اعصار ودوى رياح تحت ظل غمامة اضمحل راكدها فحطها من الارض حيا وبقي من بعدي خيرها واستكنه بعد حركة كاظمة بعد نطق ليعظكم هدوئي وخفوت اطرافي انه اوعظ لكم من نطق البليغ ودعتكم وداع امرئ مرصد للتلاق وغدا ترون ويكشف عن ساق عليكم السلام الى يوم المرام كنت بالامس صاحبكم واليوم عظة لكم وغدا افارقكم ان افق فانا ولي دمي وان امت فالقيامة ميعادي والعفو اقرب للتقوى الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ومن خطبه قبل هذا وتزهيده في هذه الدنيا قوله في بعض مقاماته

بشابه الشعر الاحم أعاره القمر المنير الطلق نورشعاعه
ولربما جمد النجيع من الطلى * فى صارم المنصور يوم قراعه
فحكاه غير مخالف فى لونه * لافى روائحه وطيب طباعه

وقال فى القمر حين جعل يختفى بالسحاب ويبدو أمام المنصور

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيظهر ثم يلتحف السحابا
وذلك انه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا وغابا

وقال المجارى فى المسهب سألت أبا الحسن على بن حفص الجز يرى أن ينشدنى شيأ من شعره فقال يا أبا محمد اذا لم ينظم الانسان مثل قول شرف

لم يبق للجور فى أيامكم أثر * الا الذى فى عيون الغيد من حور

فالاولى له أن يترك نظم الشعر الى أن خرجت معه يوما الى سيف الجزيرة الخضراء فلقى غلاما قد كدر رونق حسنه السفر وأثر فى وجهه كآثار الكلف فى القمر فصافحه ثم قال

بأبى الذى صافحته فتوردت * وجناته وأناء نحوى قده
قد بدا كلف السرى فى خده * لما توالى فى الترحل جهده
لكن معالم حسنه تمت كما * قدتم فى صدا الحسام فرنده

فحفظتها من سمعه ثم قلت له قد أخذت عنك من نظمك بغير شكرك فضحك وقال فاحفظ هذا وأنشد

لا تقولن فلان * صاحب قبل اختبار
وانتظر و بحك نقد الليل فيه والنهار
أنا جربت فلم ألف صديقا باختيارى

وأنشد

كم قد بكرت الى الرياض وقضبها * قد ذكرتنى موقف العشاق
يا حسنها والريح يلحف بعضها * بعضا كاعناق الى اعناق
والورد خد والاقاحى مبسم * وغدا البهار ينوب عن احداق
لم انفصل عنها بكاس مدامة * حتى جلت محاسن الاخلاق

ولما كتب ابو الحسن بن سعيد الى الاديب القائد ابى العباس احمد بن بلال يستدعيه ليوم انس بقوله

اباالعباس لو ابصرت حولى * ندامى بادروا العيش الهنيا
يبيحون المدام ولا انتقاد * وقارهم و يزدادون غيا
وهم مع ما بذلك من عفاف * يحبون الصبية والصبيا
و يهوون المثالث والمثانى * وشرب الراح صبحا وعشيا
على الروض الذى يهدى لطرف * وانف منظرا بهجا ور يا
فلا تلم السرى على ارتياح * حكى طربا بجانبه سر يا
وبادر نحو نادما خلامن * نداك فقد عهدتك لوذعيا

اجابه بقوله

ابيت سوى المعالى يا عليا * فما تنفك دهرك أريحيا

وخطبه ان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع وان الآخرة قد اشرفت واقبلت باطلاع وان المضمار اليوم والسباق غداً لا انكم فى ايام امل وراءه اجل فمن اخلص فى ايام امله قبل حضور اجله فقد حسن عمله فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون فى الرهبة الا وانى لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم له الهدى يجزيه الضلال وقد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد فان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل * وفضائل على ومقاماته ومناقبه ووصف زهده ونسكه اكثر من ان يأتى عليه كتابنا هذا اوغيره من الكتب او يبلغه اسهاب مسهب او اطناب مطنب وقد اتينا على جمل من اخباره وزهده وسيره وأنواع من كلامه وخطبه فى كتابنا المترجم بكتاب حدائق الاذهان فى أخبار آل محمد عليه الصلاة والسلام وفى كتاب مزاهر الاخبار وظرائف الآثار للصفوة النورية والذرية الزكية أبواب الرحمة وينابيع الحكمة (قال المسعودى) والاشياء التى استحق بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل هى السبق الى الايمان والهجرة والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقربى منه والقناعة وبذل النفس له

تميل اذا النسيم سرى كغصن * وتسرى للمكارم مشرفيا
وترتاح ارتياحا بالمثانى * وتقتض الصبيـة والصبيا
وتهوى الروض قلده نداه * والبسه مع الحلل الحليا
وان غنى الحمام فلا اصطبار * وان خفق الخليج فنيت حيا
تذكرنى الشباب فلست ادرى * اصبحا حين تذكر ام عشيا
فلو ادركتنى والغصن غض * لادركت الذى تهوى لديا
ولم اترك وحقك قدر لحظ * وقد ناديتنى ذاك النديا

وقال بعض اهل الاندلس

وفرع كان يوعدنى بأسر * وكان القلب ليس له قرار
فنادى وجهه لاخوف فاسكن * كلام الليل يمحوه النهار

ولست على يقين أن قائلهما أندلسى غير أنى رأيت فى كلام بعض الافاضل نسبتهما لاهل الاندلس والله تعالى أعلم * وقال أبو الوليد القسطلى

وفوق الدوحة الغناء دير * تلألأ صفحة وسجا قرارا
اذا ما انصب أزرق مستقيما * تدوّر فى البحيرة فاستدارا
يجرده فم الانبوب صلتا * حساما ثم يفلته سوارا

ولابى كثير الطريفى يمدح الناصر بن المنصور

فتوح لها يهتز شرق ومغرب * كما اطردت فى السمهرية أكعب
تجلت على الدنيا شموس منيرة * فلم يبق فى ليل الكآبة غيهب
أقام بها الاسلام شدو مغرد * وظلت بأرض الشرك بالخطب تخطب
فلا سمع الا وهو قد مال نحوها * ولا قلب الا فى مناها يقلب

وقال أبو عامر بن الجد

لله ليلة مشتاق ظفرت بها * قطعتها بوصال اللثم والقبل
نعمت فيها بأوتار تعللنى * أحلى من المن أو أمنية الغزل
أحبب الى بها اذ كلها سحر * أراحت الصب من عذر ومن عذل

وقال الكاتب أبو عبد الله محمد الشبلى كاتب ملك افريقية عبد الواحد بن أبى حفص

مدالى الكاس من لحظه * لايحوج الشرب الى الكاس
ومنذ حيانى بآس فلم * أيأس ولكن كان لى آسى
وقال لولا الناس قبلته * ما أشأم الناس على الناس

وقال أبو بكر محمد بن المليح وهو من رجال الذخيرة على لسان حال سوار مذهب

أنا من الفضة البيضاء خالصة * لكن دهتنى خطوب غيرت جسدى
علقت غصنا على أحوى فأجسدنى * جرى الوشاح وهذى صفرة الجسد

وما أحسن قوله من قصيدة فى المعتضد والد المعتمد

غرته الشمس والحيا يده * بينهما للنجيع قوس قزح

ذلك لعلى عليه السلام منه النصيب الاوفر والحظ الاكبر الى ما ينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آخى بين أصحابه أنت أخى وهو صلى الله عليه وسلم لاضد له ولا ند وقوله صلوات الله عليه أنت منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى وقوله عليه الصلاة والسلام من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثم دعاؤه عليه السلام وقد قدم اليه أنس الطائر اللهم أدخل الى احب خلقك اليك يا كل معى من هذا الطائر فدخل عليه على الى آخر الحديث فهذا وغيره من فضائله وما اجتمع فيه من الخصال مما تفرق فى غيره ولكل فضائل ممن تقدم وتأخر وقبض النبى صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم مخبر عن بواطنهم بموافقتها لظواهرهم بالايمان وبذلك نزل التنزيل وتولى بعضهم بعضا فلما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى حدثت أمور تنازع الناس فى صحتها ولا يقطع عليهم بها واليقين من أمورهم ما تقدم وما روى مما كان فى احداثهم بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم فغير متيقن بل هو ممكن ونحن نعتقد

واما ابنه أبو القاسم فهو من رجال المسهب وكان اشتغل أول أمره بالزهد و كتب التصوف فقال له أبوه يابنى هذا الامر ينبغى أن يكون آخر العمر وأما الآن فينبغى أن تعاشر الادباء والظرفاء وتأخذ نفسك بقول الشعر ومطالعة كتب الادب فلما عاشرهم زينوا له الراح فتهتك فى الخلاعة وفر الى اشبيلية وتزوج بامرأة لاتليق بحاله وصار يضرب معها بالدف فكتب اليه أبوه

ياسخنة العين يابنيا * ليتك ما كنت لى بنيا
أبكيت عينى أطلت حزنى * أمت ذكرى وكان حيا
حطت قدرى وكان أعلى * فى كل حال من الثريا
أما كفاك الزنا ارتكابا * وشرب مشمولة الحميا
حتى ضربت الدفوف جهرا * وقلت للشر جئ اليا
فاليوم أبكيك ملء عينى * ان كان يغنى البكاء شيا

فاجاب أباه بقوله

يالائم الصب فى التصابى * ماعنك يغنى البكاء شيا
أوجفت خيل العتاب نحوى * وقبل ولت نبتها اليا
وقلت هذا قصير عمر * فاربح من الدهر ماتهيا
قد كنت أرجو المتاب مما * فتنت جهلا به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء * أنت وابليس والحميا

وقال أبو بكر محمد بن عبد القادر الشبلى يستدعى

فديتك يا كرنحو قبة روضة * تسجع بها الامواه والطير تهتف
وقد طلعت شمس الدنان بأفقها * ونحن لديها فى انتظارك وقف
فلا تتخلف ساعة عن محلة * صدودك عمن حل فيها تخلف

وقال أخو امام نحاة الاندلس أبى محمد عبد الله بن السيد البطليوسى وهو أبو الحسن على ابن السيد

يارب ليل قد هتكت حجابه * بزجاجة وقادة كالكوكب
يسعى بها ساق أغن كأنها * من خده ورضاب فيه الاشنب
بدران بدر قد أمنت غروبه * يسعى ببدر جانح للمغرب
فاذا نعمت برشف بدر طالع * فانعم ببدر آخر لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كأنها * حول المجرة ربرب فى مسرب
والليل منحفز يطير غرابه * والصبح يطرده ببازأشهب

ولما مدح أبو بكر محمد بن الروح الشلبى الامير ابراهيم الذى خطب به الفتح فى القلائد وهو ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكان يدل عليه و ينادمه بقصيدته التى أولها

أناشاعر الدنيا وأنت أميرها * فمالى لايسرى الى سرورها

اشار الامير الى مضحك له كان حاضرا أن يخبق له القول أناشاعر الدنيا فقال له ابن الروح على من

ثم بويع الحسن بن على ابن ابى طالب بالكوفة بعد وفاة على ابيه بيومين فى شهر رمضان من سنة اربعين ووجه عماله الى السواد والجبل وقتل الحسن عبد الرحمن بن ملجم على حسب ماذكرنا ودخل معاوية الكوفة بعد صلح الحسن بن على لخمس بقين من شهر ربيع فى سنة احدى وأربعين وكانت وفاة الحسن وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة بالسم ودفن بالبقيع مع امه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ولى التوفيق

(ذكر لمع من أخباره وسيره رضى الله عنه)

حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال دخل الحسين على عمى الحسن بن على لما سقى السم فقام لحاجة الانسان ثم رجع فقال لقد سقيت السم عدة مرار فما سقيت مثل هذه لقد لفظت طائفة من كبدى فرأيتنى أقلبه بعود فى يدى فقال له الحسين يا أخى من سقاك قال وماتريد بذلك فان كان الذى أظنه فالله حسيبه وان كان غيره فما أحب ان يؤخذ بى برىء فلم يلبث بعد ذلك الاثلاثا حتى

معاوية دس اليها انك ان احتلت فى قتل الحسن وجهت اليك بمائة ألف درهم وزوجتك يزيد فكان ذلك الذى بعثها على سمه فلما مات وفى لها معاوية بالمال وارسل اليها انا نحب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه (وذكر) ان الحسن قال عند موته لقد حاقت شربته وبلغ امنيته والله ماوفى بما وعد ولا صدق فيما قال وفى فعل جعدة يقول النجاشى الشاعر وكان من شيعة على فى شعر له طويل

جعدة بكيه ولا تسأمى
بعد بكاء المعول الثاكل
لم يسبل الستر على مثله
فى الارض من حاف ومن ناعل
كان اذا شبت له ناره
يرفعها بالسند الغاتل
كيما يراها بائس مرمل
وفرد قوم ليس بالآهل
يغلى بنىء اللحم حتى اذا
أنضجه لم يغل كل آكل
اعنى الذى اسلمنا هلكه
للزمن المستخرج الماحل

وفى ذلك يقول آخر من شيعة على رضى الله عنه

تأس فكم لك من سلوة
تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبى وقتل الوصى

من خبعقت يعنى انه يحتمل أن يكون ذلك الفعل لقوله أنا شاعر الدنيا أو لقوله وأنت أميرها ففطن الامير لما قصده وضحك وتغافل * وقال أبو بكر بن المنخل الشلبى

كم ليلة دارت على كواكب * للخمر تطلع ثم تغرب فى فى
قبلتها فى كف من يسعى بها * وخلعت قبلتها بقبلة معصم
وكأن حسن بنانه مع كاسه * غيم يشير لنا ببعض الانجم

وقال ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار

قرأت كتابك مستشفعا * بوجه أبى الحسن من رده
ومن قبل فض ختام الكتاب * قرأت الشفاعة فى خده

وقال

غزا القلوب غزال * جت اليه العيون
قد خط فى الخد نونا * وآخر الحسن نون

فاز الجارى وا كثار ابن عمار فى المعذرين واحسانه فيهم يدلك على انه كما قيل عنه كان مشغوفا بالكاس والاستلقاء من غير نعاس * وكان أبو الفضل بن الاعلم من أجمل الناس وأذكاهم فى علم الادب والنحو وأقرأ علم النحو قبل أن يلتحى فقال ابن صارة فيه

أكرم بجعفر اللبيب فانه * ما زال يوضح مشكل الايضاح
ماء الجمال بخده مترقرق * فالعين منه تجول فى ضحضاح
ماخده جرحته عينى انما * صبغت غلالته دماء جراحى
لله زاى زبرجد فى عسجد * فى جوهر فى كوثر فى راح
ذى طرة سبجية ذى غرة * عاجية كالليل والاصباح
رشأ له خد البرىء ولحظه * ابدا شريك الموت فى الارواح

وقال الرمادى

ونور غيث مسبل * وقهوة تسلسل
تدور بين فتية * بخلقهم تمثل
والافق من سحابه * طل ضعيف ينزل
كأنه من فضة * برادة تغربل

وقال

بدر بدا يحمل شمسا بدت * وخدها فى الحسن من خده
تغرب فى فيه ولكنها * من بعد ذا تطلع فى خده

ومن نظم أبى الفضل بن الاعلم السابق الذكر

وعشية كالسيف الاحده * بسط الربيع بها النعلى خده
عاطيت كاس الانس فيها واحدا * ماضره أن كان جمعا وحده

وهو جعفر ابن الوز ير أبى بكر محمد ابن الاستاذ الاعلم من رجال القلائد والمسهب وسمط الجمان وكان قاضى شنتمرية والاستاذ الاعلم هو امام نحاة زمانه ابو الحجاج يوسف بن عيسى من رجال الصلة والمسهب والسمط وهو شارح الاشعار الست ومن نظمه يخاطب المعتمد بن عباد

يامن تملكنى بالقول والعمل * ومبلغى فى الذى أملته أملى

وقتل الحسين وسم الحسن (قال المسعودى رحمه الله) ووجدت فى كتاب الاخبار لابى الحسن على بن محمد بن سليمان النوفلى

عن صالح بن على بن عطية الاصم قال حدثنا عبد الرحمن بن العباس الهاشمى عن أبى عون صاحب الدولة عن

كيف الثناء وقد أعجزتنى نعما * مالى بشكرك عليها الدهر من قبل
رفعت للعود أعلاما مشهرة * فبابك الدهر منها عامر السبل

وقال أبو على ادريس بن اليمان العبدرى

قبلة كانت على دهش * اذهبت مالى من العطش
ولها فى القلب منزلة * لو عدتها النفس لم تعش
طرقتنى والدجا لبست * خلعا من جلدة الحنش
وكأن النجم حين بدا * درهم فى كف مرتعش

وساله المعتضد أن يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التى مدح بها ابن عبود فقال له اشعارى مشهورة و بنات صدرى كريمة فمن أراد أن ينكح بكرها فقد عرف مهرها وكانت جائزته مائة دينار ومن مشهور شعره بالمغرب والمشرق قوله

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وكانت بين الاديب الحسيب أبى عمرو بن طيفور والحافظ ابى الهيثم مهاجاة فقال فيه الحافظ

لابن طيفور قريض * فيه شوك وغموض
عدمت فيه القوافى * والمعانى والعروض

وقال فيه ابن طيفور

انما الهيثم سفر * من كلام الناس ضخم
لا تطالبه بفهم * ليس للديوان فهم

وقال أبو عمران بن سعيد اخبرنى والدى انه زار ابن حمدين بقرطبة فى مدة يحيى بن غانية فوجدته فى هالة من العلماء والادباء فقام وتلقانى ثم قال يا أبا عبد الله ما هذا الجفاء فاعتذرت بأنى أخشى التثقيل وأعلم أن سيدى مشغول بما هو مكب عليه فأطرق قليلا ثم قال

لو كنت تهوانا طلبت لقاءنا * ليس المحب عن الحبيب بصابر
فدع المعاذر انما هى جنة * لمخادع فيها ولست بعاذر

فقلت تصديق سيدى عندى أحب الى وان ترتبت على فيه الملامة من منازعته منتصر الحق فاستحسن جوابى وقال لى كرره فانه والله ماح لكل ذنب ثم سألته كتب البيتين عنه فقال لى وما تكتب فيهما فقلت لاحدما أخبر به والدى اذا أبت اليه فأملاهما على فقلت من قائلهما قال قائلهما فعلمت أنهما له وقنعت بذلك * وقال الحجارى صاحب المسهب فى أخبار المغرب

كم بت من أسر السهاد بليلة * ناديت فيها هل لجنحك آخر
اذ قام هذا الصبح يقهر ملة * حكمت بان ذبح الظلام الكافر

وعلى ذكر المسهب فقد كنت كثيرا ما أستشكل هذه التسمية لما قال غير واحد ان المسهب انما هو بفتح الهاء كقولهم سيل مفعم بفتح العين والفقرة الثانية وهى المغرب تقتضى أن

محمد بن على بن عبد الله بن العباس عن أبيه عن جده عن العباس بن عبد المطلب قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل على بن أبى طالب فلما رآه اسفر فى وجهه فقلت يا رسول الله انك لتسفر فى وجه هذا الغلام فقال يا عم رسول الله والله لله أشد حباله منى ولم يكن نبى الا وذريته الباقية بعده من صلبه وان ذريتى بعدى من صلب هذا انه اذا كان يوم القيامة دعى الناس باسمائهم واسماء امهاتهم سترا من الله عليهم الا هذا وشيعته فانهم يدعون باسمائهم وأسماء آبائهم لصحة ولادتهم ولما دفن الحسن رضى الله عنه وقف محمد بن الحنفية اخوه على قبره فقال لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح تضمنه كفنك ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك وكيف لا تكون هكذا وأنت عقبة الهدى وخلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء غذتك بالتقوى أكف الحق وارضعتك ثدى الايمان وربيت فى حجر الاسلام فطبت حيا وميتا وان كانت انفسنا غير سخية بفراقك رحمك الله أبا محمد (ووجدت) فى وجه آخر

يكون بكسر الهاء ولم يزل ذلك يتردد فى خاطرى الى أن وقفت على سؤال فى ذلك رفعه المعتمد ابن عباد سلطان الاندلس الى الفقيه الاستاذ ابى الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوى الشنتمرى المشهور بالاعلم ونص السؤال سألك ابقاك الله الوزير الكاتب أبو عمرو بن غطمش سلمه الله عن المسهب وزعم أنك تقول بالفتح والكسر والذى ذكر ابن قتيبة فى ادب الكاتب والزبيدى فى مختصر العين أسهب الرجل فهو مسهب اذا أكثر الكلام بالفتح خاصة فبين لى أبقاك الله تعالى ماتعتقد فيه والى أى كتاب تسند القولين لاقف على صحة من ذلك فأجابه وصل الى أدام الله تعالى توفيقك هذا السؤال العزيز ووقفت على ماتضمنه والذى ذكرته من قول ابن قتيبة والزبيدى فى الكتابين موضوع كما ذكرته والذى احفظه وأعتقده أن المسهب بالفتح المكثر فى غير صواب وأن المسهب بالكسر البليغ المكثر فى الصواب الا انى لا أسند ذلك الى كتاب بعينه ولكنى أذكره عن أبى على البغدادى عن كتاب البارع أو غيره معلقا فى عدة نسخ من كتاب البيان والتبيين على بيت فى صدره لمكى بن سوادة وهو

حصر مسهب جرىء جبان * خير عى الرجال عى السكوت

والمعلقة تقول العرب أسهب الرجل فهو مسهب وأحصن فهو محصن وألفج فهو ملفج اذا افتقر قال الخليل يقال رجل مسهب ومسهب قال أبو على أسهب الرجل فهو مسهب بالفتح اذا أكثر فى غير صواب وأسهب فهو مسهب بالكسر اذا اكثر واصاب قال ابو عبيدة اسهب الرجل فهو مسهب اذا اكثر من خرف وتلف ذهن وقال ابو عبيد عن الاصمعى اسهب الرجل فهو مسهب بالفتح اذا خرف وأهتر فان اكثر من الخطا قيل افند فهو مفند انتهت المعلقة فرأى عملو كك أيدك الله تعالى واعتقاده أن المسهب بالفتح لايوصف به البليغ المحسن ولا المكثر المصيب ألاترى الى قول الشاعر حصر مسهب انه قرن فيه المسهب بالحصر وذمه بالصفتين وجعل المسهب أحق بالعى من الساكت والحصر فقال

*خير عى الرجال عى السكوت * والدليل على أن المسهب بالكسر يقال للبليغ المكثر فى الصواب أنهم يقولون للجواد من الخيل مسهب بالكسر خاصة لانها بمعنى الاجادة والاحسان وليس قول ابن قتيبة والزبيدى فى المسهب بالفتح هو المكثر من الكلام بموجب أن المكثر هو البليغ المصيب لان الاكثار من الكلام داخل فى معنى الذم لانه من الثرثرة والهذر ألاتراهم قالوا رجل مكثار كما قالوا ثرثار ومهذار وقال الشاعر

*فلا تمارون ان ماروا باكثار * فهذا ماعندى والله تعالى الموفق للصواب قال الاعلم ثم نظمت السؤال العزيز والجواب المذكور فقلت

سلام الاله وريحانه * على الملك المجتبى المنتخل
سلام امرئ ظل من سيبه * خصيب الجناب رحيب المحل
أتانى سؤالك أعزز به * سؤال مبرع لى من سال
يسائل عن حالتى مسهب * ومسهب المبتلى بالعلل
لما اختلفا فى بنائيهما * وحكمهما واحد فى فعل

حياتك لقد فجع مماتك
وكيف لايكون كذلك
وانت خامس أهل الكساء
وابن محمد المصطفى وابن
على المرتضى وابن فاطمة
الزهراء وابن شجرة طوبى
ثم انشأ يقول رضى الله عنه

أأدهن رأسى ام تطيب مجالسى
وخدك معفور وانت سليب
أأشرب ماء المزن من غير مائه
وقد ضمن الاحشاء منك لهيب
سأبكيك مانا حت حمامة ايكة
وما اخضر فى دوح الحجاز قضيب
غريب واكناف الحجاز تحوطه
الا كل من تحت التراب غريب

(ووجدت) فى بعض كتب التواريخ فى اخبار الحسن ومعاوية ان بخلافة الحسن صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة لان ابا بكر الصديق رضى الله عنه تقلدها سنتين وثلاثة اشهر وثمانية ايام وعمر رضى الله عنه عشر سنين واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعثمان رضى الله عنه احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعلى رضى الله عنه اربع سنين وتسعة اشهر ويوما والحسن رضى الله

أنى ذا على مفعل لم يعل * وذاك على مفعل قد أعل
فقلت مقالا على صدقه * شهيد من العقل لا يستزل
بناء البليغ أتى سالما * سلامته من فضول الخطل
واسهب ذاك مسيئا فزل * دليلا أتى متنه فانخذل
وأحسن ذا فخرى وصفه * على سنن المحسن المستقل
فهذا مقالى مستبصرا * ولست كمن قال حدسا فضل
تقلدت فى رايه مذهبا * يخصك بين الظبا والاسل
سموك فى الروع مستشرفا * الى مهجة المستميت البطل
كانك فيها هلال السما * يزيد بهاء اذا ما أهل
بل أنت مطل كبدر السما * يضى الظلام اذا ما أطل

انتهى

قلت رأيت فى بعض الحواشى الاندلسية أن ابن السكيت ذكر فى بعض كتبه فى بعض ماجعله بعض العرب فاعلا وبعضهم مفعولا رجل مسهب ومسهب لكثير الكلام وهذا يدل على انهما بمعنى واحد انتهى * وسأل بعض الادباء الاستاذ الاعلم المذكور عن المسئلة الزنبورية المقترنة بالشهادة الزورية الجارية بين سيبويه والكسائى أو الفراء والقضاء بينهم فيها وهى ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى أو اياها وعن نسب سيبويه هل هو صريح أو مولى وعن سبب لزومه الخليل بعد أن كان يطلب الحديث والتفسير وعن علة تعرضه لمناظرة الكسائى والفراء وعن كتابه الجارى بين الناس هو هل أول كتاب أو أنشأه بعد كتاب أول ضاع كما زعم بعض الناس فأجاب أما المسئلة الزنبورية المأثورة بين سيبويه والكسائى أو بينه وبين الفراء على حسب الاختلاف فى ذلك بحضرة الرشيد أو بحضرة يحيى بن خالد البرمكى فيما يروى فقد اختلفت الرواة فيها فمنهم من زعم ان الكسائى أو الفراء قال لسيبويه كيف تقول ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى أو اياها فاجاب سيبويه بعد أن اطرق شيأ فاذا هو اياها فى بعض الاقاويل وزعم آخرون انه قال فاذا هو هى ففيها من الاختلاف عنهم ما ترى فان كان أجاب باذا هو هى فقد أصاب لفظا ومعنى ولم تدخل عليه فى جوابه شبهة ولا علقة لمعترض لان اذا فى المسئلة من حروف الابتداء المتضمنة للتعليق بالخبر فاذا اعتبرت المضمرين بعدها بالاسمين المظهرين لزمك أن تقول فاذا الزنبور العقرب أو اللسعة اللسعة أى مثلها سواء فلو قلت فاذا هو اياها بنصب الضمير الاخير للزمك ان تقول فاذا الزنبور العقرب بالنصب وهذا لا وجه له فاذا لم يجز نصب الخبر المظهر فكيف يجوز نصب الخبر المضمر الواقع موقعه ويروى فى المسئلة أن الكسائى أو الفراء قال لسيبويه بعد أن اجاب برفع الضميرين على ما يوجبه القياس كيف تقول يا بصرى خرجت فاذا زيد قائم أو قائما فقال سيبويه أقول قائم ولا يجوز النصب فقال الكسائى أقول قائم وقائما والقائم والقائم بالرفع والنصب فى الخبر مع النكرة والمعرفة فتأول الكسائى والفراء فى اختيارهما فاذا هو اياها حمل الخبر المضمر فى النصب على الخبر المظهر مع الاعراب بوجه النصب فكانه قال فاذا الزنبور العقرب كما تقول فاذا زيد قائما

فيجرى

عنه ثمانية اشهر وعشرة ايام ذلك ثلاثون سنة (وحدث) محمد بن جرير الطبرى عن محمد بن حميد الرازى عن على بن مجاهد عن محمد بن اسحق عن الفضل بن العباس بن ربيعة قال وفد عبد الله بن العباس على معاوية قال فوالله انى لفى المسجد اذ كبر معاوية فى الخضراء فكبر أهل الخضراء ثم كبر اهل المسجد بتكبير اهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها فقالت سرك الله يا امير المؤمنين ما هذا الذى بلغك فسررت به قال موت الحسن بن على فقالت انا لله وانا اليه راجعون ثم بكت وقالت مات سيد المسلمين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية نعما والله ما علمت انه كان كذلك اهلا ان يبكى عليه ثم بلغ الخبر ابن عباس رضى الله عنهما فراح فدخل على معاوية قال علمت يا ابن عباس أن الحسن توفى قال الذلك كبرت قال نعم قال والله ما موته بالذى يؤخر اجلك ولا حفرته بسادة حفرتك ولئن اصبنا به فقد اصبنا بسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين ثم بعد بسيد الاوصياء فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العبرة فقال ويحك يا ابن عباس ما كلمتك الا وجدتك معدا

فيجرى المعرفة فى النصب مجرى النكرة وقولهما فى هذا خطأ من جهتين احداهما أن نصب الخبر بعد اذا لا يكون الا بعد تمام الكلام الاول فى الاسم مع حرف المفاجأة ومع كون الخبر نكرة كقولك خرجت فاذا زيد قائم لانك لو قلت خرجت فاذا زيد تم الكلام لتعلق المفاجأة بزيد على معنى حضوره ثم تبين حاله فى المفاجأة المتعلقة به فتقول قائما أى خرجت ففاجأنى زيد فى هذا الحال وقوله فى المسئلة اياها لا يتم الكلام فى الاسم الاول دونها الا ترى أنك لو قلت ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو وسكت لم يتم الكلام أولا ولا أفدت بذكر المفاجأة وتعليقها بالزنبور فائدة وانما المفاجأة للضمير الآخر فلا بد من ذكره والاعتماد عليه وهذا يوجب الرفع فى الخبر لان الظرف له لا للمخبر عنه فهذا بين واضح والجهة الاخرى فى غلطهما ان اياها معرفة والحال لا تكون الا نكرة فقد اجتمع فى قولهما أن أتيا بحال لم يتم الكلام دونها معرفة والحال لا تكون الا بعد تمام الكلام ومع التنكير فقد تبين خطؤهما واصابة سيبويه فى لزوم الرفع فى الخبر فقط وأما من زعم عن سيبويه انه قال خرجت فاذا زيد قائم بالرفع لا غير فباطل وكيف ينسب اليه وهو علمنا أن الظرف اذا كان مستقرا للاسم المخبر عنه نصب الخبر واذا كان مستقرا لغير رفع الخبر ونحن نقول خرجت فاذا زيد فيتم الكلام ونظرت فاذا الهلال طالع فيتبعه الخبر رفعا كما تقول فى الدار زيد قائم وقائما واليوم سيرك سريع وسريعا ولكن الخبر اذا كان الظرف له ولم يتعلق الا به لم يكن الا رفعا كقولك اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج لان الظرف لا يكون مستقرا للاسم المخبر عنه اذا كان زمانا والمخبر عنه جثة وكذلك المفاجأة اذا كانت للخبر لم يكن الا مرفوعا معرفة كان أو نكرة فاذا كانت للمخبر عنه والخبر نكرة انتصب على الحال فجرى قولك ظننت ان العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى وظننت زيدا عالما فاذا هو جاهل فى لزوم الرفع فى الخبر مجرى اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج كما جرى خرجت فاذا زيد قائم وقائما فى جواز الرفع والنصب مجرى فى الدار زيد جالس وجالسا فتأمل الفرق بينهما وحصله فان النحويين المتقدمين والمتأخرين قد أغفلوا الفرق بين المفاجأتين وأما نصب الخبر المعرفة بعد اذا تم الكلام أو لم يتم فباطل لا تقوله العرب ولا يجيزه الا الكوفيون وان كان سيبويه رحمه الله تعالى اجاب بقوله فاذا هو اياها كما روى بعضهم فظاهر جوابه مدخول لما قدمت جوابه والخطأ فيه بين من جهة القياس كما ذكرنا فان كان قاله والتزمه دون الرفع فقد أخطأ خطأ لا مخرج له منه وان كان قد قاله وهو يرى ان الرفع أولى وأحق الا انه آثر النصب للاعراب جلاء على المعنى الخفى دون ما يوجبه القياس واللفظ الجلى فلجوابه عندى وجهان حسنان أحدهما أن يكون الضمير المنصوب وهو اياها كناية عن اللسعة لا عن العقرب والضمير المرفوع كناية عن الزنبور فكأنه قال ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا الزنبور لسعة العقرب أى فاذا الزنبور يلسع لسعة العقرب فاختزل الفعل لما تقدم من الدليل عليه بعد أن أضمر اللسعة متصلة بالفعل فكأنه قال فاذا الزنبور يلسعها فاتصل الضمير بالفعل لوجوده فلما اختزل الفعل انفصل الضمير لعدم الفعل ونظير هذا من كلام العرب قولهم انما أنت شرب الابل أى انما أنت تشرب شرب الابل فاختزل الفعل وبقى عمله فى المصدر ولم

(وفى نسخة) انه لما صالح الحسن معاوية كبر معاوية فى الخضراء وكبر أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة من خوخة لها فقالت سرك الله يا امير المؤمنين ما هذا الذى بلغك قال اتانى البشير بصلح الحسن وانقياده فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد أهل الجنة وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين فالحمد لله الذى جعل فئتى احدى الفئتين ولما صالح الحسن معاوية لما ناله من اهل الكوفة وما نزل به أشار عمرو بن العاص على معاوية وذلك بالكوفة أن يأمر الحسن فيقوم فيخطب الناس فكره ذلك معاوية وقال ما أريد أن يخطب قال عمرو لكنى أريد أن يبدو عيه فى الناس بانه يتكلم فى امور لا يدرى ماهى ولم يزل به حتى أطاعه فخرج معاوية فخطب الناس وأمر رجلا أن ينادى بالحسن بن على فقام اليه فقال قم يا حسن فكلم الناس فتشهد فى بديهته ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله هدا كم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة

 والدنيا دول قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان أدرى أقريب ام بعيد ما توعدون

برفع لانه غير الاسم الاول فلو أضمرت شرب الابل لاتصل الضمير بالفعل فلو حذفته لانفصل الضمير فقلت انما أنت اياه فتدبره تجده منقادا صحيحا والوجه الآخر أن يكون قوله فاذا هو اياها محمولا على المعنى الذى اشتمل عليه أصل الكلام من ذكر الظن أولا وآخرا لان الاصل فى تأليف المسئلة ظننت أن العقرب اشد لسعة من الزنبور فلما لسعنى الزنبور ظننته هو اياها فاختصر الكلام لعلم المخاطب وحذف الظن آخرا لما جرى من ذكره أوّلا ودلت عليه اذا لما فيها من المفاجاة على الفعل الواقع بعدها الدالة على وقوع الشئ لوقوع غيره فاذا جاز حذف الكلام ايثارا للاختصار مع وجود الدليل على المحذوف كان قولنا فاذا هو اياها بمنزلة قولنا فلما لسعنى الزنبور ظننته هو اياها فحذف الظن مع مفعوله الاول وبقى الضمير الذى هو العماد والفصل مؤكدا للضمير المحذوف مع الفعل ودالا على ما يأتى بعده من الخبر المحتاج اليه فيكون فى حذف الخبر عنه لما تقدم من الدليل عليه مع الاتيان بالعماد والفصل المؤكد له المثبت لما بعده من الخبر المحتاج اليه مثل قوله ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم فحذف البخل الذى هو المفعول الاول لقوله يحسبن وبقى الضمير مؤكدا له مثبتا لما بعده من الخبر وجاز حذفه لدلالة يبخلون عليه والمعنى لا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيرا لهم فهو فى المسئلة عماد مؤكد لضمير الزنبور المحمول على الظن المضمر ومثبت لما يجئ بعده من الخبر الذى هو اياها فتفهمه فانه متمكن من جهة المعنى وجار من الاختصار لعلم المخاطب على قياس وأصل وشاهده القرآن فى الحذف واستعمال العرب النظائر وهى أكثر من أن تحصى فمنها قولهم ما أغفله عنك شيأ أى تثبت شيأ ودع الشك وقولهم لمن أنكر عليه ذكر انسان ذكره من أنت زيدا أى من أنت تذكر زيدا وربما قالوا من أنت زيد بالرفع على تقدير من أنت ذكرك زيد فحذفوا الفعل مرة وأبقوا عمله وحذفوا المبتدا أخرى وأبقوا خبره وكل ذلك اختصار لعلم المخاطب بالمعنى وكذلك قولهم هذا ولا زعماتك أى هذا القول والزعم الحق ولا أتوهم زعماتك فحذف هذا العلم السامع مع تحصل المعنى وقيامه عند المخاطب والحمل فى كلامهم على المعنى أكثر من أن يحصى فان كان الضمير الاول فى المسئلة للزنبور والضمير الآخر للعقرب لم يجز البتة الا رفع الضميرين بالابتداء والخبر على حد قولك ظننت زيدا عاقلا فاذا هو أحمق وحسبت عبد الله قاعدا فاذا هو قائم ولو تقدم ذكر الخبر والمخبر عنه لقلت فاذا هو هو ولم يجز فاذا هو اياه البتة ويجوز فى المسئلة أن تقول فاذا هى هو على التقديم والتأخير على حد قولك فاذا العقرب الزنبور أى سواء فى شدة اللسعة كما تقول خرجت فاذا قائم زيد على تقدير فاذا زيد قائم ويجوز أن يكون هو كناية عن اللسع بدلالة اللسعة عليه وتكون هى كناية عن اللسعة على تقدير فاذا اللسع الزنبور لسعة العقرب ويجوز فاذا هى هو على اضمار اللسعة واللسع والتقدير فاذا اللسعة الزنبور لسع العقرب وهذا كله لا يجوز فيه الا الرفع عند البصريين لان الآخر هو الاول والخبر معرفة متعلق بالمفاجأة فلا يجوز فيه الحال والكوفيون يجيزون النصب كما تقدم وهو غلط بين وخطأ فاحش لا تقوله العرب ولا تعلق له بقياس فاعلمه ويجوز فى المسئلة فاذا هو هو على تقدير فاذا اللسع اللسع ويجوز فاذا هى هى على تقدير فاذا اللسعة اللسعة وفى هذا كفاية ان شاء الله تعالى * وأما

كلامه ذلك يا أهل الكوفة لم تذهب نفسى عنكم الا لثلاث خصال أذهلت مقتلكم لابى وسلبكم ثقلى وطعنكم فى بطنى وانى قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سرادق الحسن ورحله وطعنوا بالخنجر فى جوفه فلما تيقن ما نزل به انقاد الى الصلح وقد كان على رضى الله عنه وكرم الله وجهه اعتل فأمر ابنه الحسن رضى الله عنه أن يصلى بالناس يوم الجمعة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله لم يبعث نبيا الا اختار له نفسا ورهطا وبيتا فوالذى بعث محمدا بالحق لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد الا انقصه الله من عمله مثله ولا يكون علينا دولة الا وتكون لنا العاقبة ولتعلمن نبأه بعد حين * ومن خطب الحسن رضى الله عنه فى أيامه فى بعض مقاماته انه قال نحن حزب الله المفلحون وعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقربون وأهل بيته الطاهرون الطيبون وأحد الثقلين الذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى كتاب الله فيه تفصيل كل شئ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والمعول عليه فى

نسب

نسب سيبويه ففارسى مولى لبنى الحرث بن كعب بن علة بن خالد بن مالك وهو مذحج واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر وكنيته أبو بشر ولقبه الذى شهر به سيبويه ومعناه بالفارسية رائحة التفاح وكان من أطيب الناس رائحة وأجملهم وجها وقيل معنى سى ثلاثون ومعنى بويه رائحة فكان معناه الذى ضوعف طيب رائحته ثلاثين مرة وأما سبب تعويله على الخليل فى طلب النحو مع ما كان عليه من الميل الى التفسير والحديث فانه سأل يوما حماد بن سلمة فقال له أحدثك هشام بن عروة عن أبيه فى رجل رعف فى الصلاة بضم العين فقال له حماد أخطأت انما هو رعف بفتح العين فانصرف الى الخليل فشكا اليه مالقيه من حماد فقال له الخليل صدق حماد ومثل حماد يقول هذا ورعف بضم العين لغة ضعيفة وقيل انه قدم البصرة من البيداء من قرى شيراز من عمل فارس وكان مولده ومنشؤه بها ليكتب الحديث ويرويه فلزم حلقة حماد بن سلمة فبينما هو يستملى على حماد قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس من أصحابى الا من لو شئت لاخذت عليه ليس أبا الدرداء فقال سيبويه ليس أبو الدرداء بالرفع وظنه اسم ليس فقال حماد لحنت ياسيبويه فقال سيبويه سأطلب علما لاتلحننى فيه فلزم الخليل وبرع فى العلم * وأما سبب وفوده على الرشيد ببغداد وتعرضه لمناظرة الكسائى والفراء فلما كانا عليه من تمكن الحال والقرب من السلطان وعلو همته وطلبه الظهور مع ثقته بعلمه لانه كان أعلم أهل زمانه وكان بينه وبين البرامكة أقوى سبب فوفد على يحيى ابن خالد بن برمك وابنيه جعفر والفضل فعرض عليهم ماذهب اليه من مناظرة الكسائى فسعوا له فى ذلك وأوصلوه الى الرشيد فجرى بينه وبين الكسائى والفراء ماذكروا اشتهر وكان آخر أمره ان الكسائى واصحابه لما ظهروا عليه بشهادة الاعراب على حسب مالقنوا أن قال يحيى بن خالد أو الكسائى للرشيد يا أمير المؤمنين ان رأيت أن لايرجع خائبا فعلت فامر له بعشرة آلاف درهم وانصرف الى الاهواز ولم يعرج على البصرة واقام هنالك مدة الى ان مات كمدا وروى انه ذربت معدته فكانوا يرون انه مات غما وروى ان الكسائى لما بلغه موته قال للرشيد يا أمير المؤمنين فانى أخاف ان اكون شاركت فى دمه ولما احتضر وضع رأسه فى حجر أخيه فقطرت دمعة من دموعه على خده فرفع عينيه وقال

أخيين كنا فرق الدهر بيننا * الى الامد الاقصى ومن يأمن الدهرا

ومات على السنة والجماعة رحمه الله تعالى * وأما كتابه الجارى بين الناس فلم يصح انه أنشأه بعد كتاب آخر قبله على أن ذلك قد ذكر فهذا ما احضر فيما سألت عنه فمن قرأه وأشرف فيه على تقصير فليبسط العذر فانه لساعتين من نهار املاء يوم الثلاثاء عشى النهار لثمان خلون لصفر سنة ٤٧٦ انتهى وقال الالبيرى رحمه الله تعالى

لاشئ أخسر صفقة من عالم * لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرق دينه أيدى سبا * ويذيله حرصا لجمع المال
لاخير فى كسب الحرام وقلما * يرجى الخلاص لكاسب لحلال
فخذ الكفاف ولاتكن ذا فضلة * فالفضل تسئل عنه اى سؤال

وكان أبو الفضل بن الاعلم من أحسن الناس وجها وأذكاهم فى علم النحو والادب وأقرأ

(ذكر لمع من أخباره وسيره ونوادر من بعض أفعاله) وفى سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجر بن عدى

كل شئ لايخطئنا تأويله بل نتيقن حقائقه فأطيعوا فاطاعتنا مفروضة اذ كانت بطاعة الله والرسول وأولى الامر مقرونة فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم واحذركم الاصغاء لهتاف الشيطان انه لكم عدو مبين فتكونون كأوليائه الذين قال لهم لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى أرى مالاترون فتلقون للرماح ازرا وللسيوف جزرا وللعمد خطأ وللسهام غرضا ثم لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا والله أعلم

(ذكر خلافة معاوية ابن أبى سفيان)

بويع معاوية فى شوال سنة احدى واربعين ببيت المقدس فكانت أيامه تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وتوفى فى رجب سنة احدى وستين وله ثمانون سنة ودفن بدمشق بباب الصغير وقبره يزار فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وعليه بيت مبنى يفتح كل يوم اثنين وخميس

النحو فى صباه وفيه يقول ابن صارة الاندلسى رحمه الله تعالى

أكرم بجعفر اللبيب فانه * مازال يوضح مشكل الايضاح
ماء الجمال بوجهه مترقرق * فالعين منه تجول فى ضحضاح
ماخده جرحته عينى انما * صبغت غلالته دماء جراحى
لله زاى زبرجد فى عسجد * فى جوهر فى كوثر فى راح
ذى طرة سجية ذى غرة * عاجية كالليل والاصباح
رشأ له خد البرىء ولحظه * أبدا شريك الموت فى الارواح

وقال محمد بن هانئ الاندلسى من قصيدة

السافرات كأنهن كواكب * والناعمات كأنهن غصون
ماذا على حلل الشقيق لوانها * عن لابسيها فى الخدود تبين
لأعطشن الروض بعدهم ولا * يرويه لى دمع عليه هتون
أأعير لحظ العين بهجة منظر * وأخونهم انى اذن لخؤن
لا الجو جو مشرق وان اكتسى * زهوا ولا الماء المعين معين
لا يبعدن اذ العبير له ثرى * والبان روح والشموس قطين
الظل لا متنقل والحوض لا * متكدر والأمن لا ممنون

وقال القسطلى فى اسطول أنشأه المنصور بن أبى عامر من قصيدة

تحمل منه البحر بحرا من القنا * يروع بها أمواجه ويهول
بكل ممالات الشراع كأنها * وقد حملت أسد الحقائق غيل
اذا سابقت شأو الرياح تخيلت * خيولا مدى فرسانهن خيول
سحائب تزجيها الرياح فان وفت * أطافت بأجياد النعام فيول
ظباء شمام مالهن مفاحص * وورق حمام مالهن هديل
سوا كن فى أوطانهن كأن سما * بها الموج حيث الراسيات نزول
كما رفع الآل الهوادج بالضحى * غداة استقلت بالخليط حمول
أراقم تحوى ناقع السم مالها * بما حملت دون العداة مقيل

وقد أطنب الناس فى وصف السفن وأطابوا وقرطسوا القريض وأصابوا وقد ذكرنا نبذة من ذلك فى هذا الكتاب* وقال أبو بحر صفوان بن ادريس التجيبى حدثنى بعض الطلبة بمراكش أن أبا العباس الجراوى كان فى حانوت وراق بتونس وهنالك فتى يميل اليه فتناول الفتى سوسنة صفراء وأومأ بها الى خديه مشيرا وقال أين الشعراء تحريكا للجراوى فقال ارتجالا

وعلوى الجمال اذا تبدى * أراك جبينه بدرا أنارا
أشار بسوسن يحكيه عرفا * ويحكى لون عاشقه اصفرارا

قال أبو بحر ثم سألنى ان أقول فى هذا المعنى فقلت بديها

أومى الى خده بسوسنة * صفراء صيغت من وجنتى عبده

الكندى وهو أول من أهل الكوفة وأربعة من غيرها فلما صار على أميال من الكوفة يراد به دمشق أنشأت ابنته تقول ولا عقب له من غيرها

ترفع أيها القمر المنير
لعلك ان ترى حجرا يسير
يسير الى معاوية بن حرب
ليقتله كذا زعم الامير
ويصلبه على بابى دمشق
وتأكل من محاسنه النسور
تخيرت الخبايا بعد حجر
وطاب لها الخورنق والسدير
ألا يا حجر حجر بنى عدى
تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عليا
وشيخا فى دمشق له زئير
ألا ياليت حجرا مات موتا
ولم ينحر كما نحر البعير
فان تهلك فكل عميد قوم
الى هلك من الدنيا يصير

ولما صار الى مرج عذراء على اثنى عشر ميلا من دمشق تقدم البريد بأخبارهم الى معاوية فبعث برجل أعور فلما أشرف على حجر وأصحابه قال رجل منهم ان صدق الزجر فانه سيقتل منا النصف وينجو الباقون فقيل له وكيف ذلك قال أما ترون الرجل المقبل مصابا باحدى عينيه فلما وصل اليهم قال لحجر ان أمير المؤمنين أمرنى بقتلك يارأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولى لم

لم ترعيني من قبله غصنا * سوسنه نابت ازاورده
أعملت فكرى فقلت ربما * قرب خد المشوق من خده

فحدثنى المذكور انه اجتمع مع أبى بكر بن مجير رحمه الله تعالى قبل اجتماعه بى فى ذلك الموضع الذى اجتمع فيه بعينه فحدثه بالحكاية كما حدثنى وسأله أن يقول فى تلك الحال فقال بديها

بى رشأ وسنان مهما انثنى * حار قضيب البان فى قده
مذولى الحسن وسلطانه * صارت قلوب الناس من جنده
أودع فى وجنته زهرة * كأنها تجزع من صده
وقد تفاءلت على فعله * أنى أرى خدى على خده

فتعجبت من توارد خاطرينا على معنى هذا البيت الاخير قال أبو بحر ثم قلت فى تلك الحال

أبرزمن وجنته وردة * أودعها سوسنة صفرا
وانما صورته آية * ضمنها من سوسن عشرا

وقال بعضهم فى الباذنجان

ومستحسن عند الطعام مدحرج * غذاه غير الماء فى كل بستان
تطلع فى أقماعه فكأنه * قلوب نعاج فى مخاليب عقبان

وقال ابن خروف ويقال انها فى وصف دمشق

اذا رحلت عروبة عن جماها * تأوه كل أواه حليم
الى سبت حكى فرعون موسى * يجمع كل سحار عليم
فتبصر كل أملود قويم * يميس بكل ثعبان عظيم
اذا انسابت أراقمها عليها * تذكرنا بها السيل السليم
وشاهدنا بها فى كل حين * حبالا القيت نحو الكليم

وقال أبو القاسم بن هشام ارتجالا فى وسيم عض وردة ثم رمى بها وسئل ذلك منه امتحانا

ومعجز الاوصاف والوصاف فى * بردى جمال طرزا بالتيه
سوسان أنمله تناول وردة * فغدا يرزقها أقاحى فيه
فكأننى شبهت وجنته بها * فرمى بها غضبا على التشبيه

وقال أيضا فيمن عض كلب وجنته

وأغيد وضاح المحاسن باسم * اذا قام الاسياف ناظره قر
تعمد كلب عض وجنته التى * هى الورد اينا عاوأبقى بها أثر
فقلت لشهب الافق كيف صماتكم * وقد أثر العواء فى صفحة القمر

وقال آخر يصف شجة فى خد وسيم

عذيرى من ذى صفحة يوسفية * بها شجة جلت عن اللثم واللمس
يقولون من عجب أتحسن وصفها * فقلت هلال لاح فى شفق الشمس

وقال القاضى أبو الوليد الوقشى فيمن طرشاربه

قد بينت فيه الطبيعة أنها * لبديع أفعال المهندس باهره

كان معه ان الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعونا اليه ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب الينا من دخول النار وأجاب نصف من كان معه الى البراءة من على فلما قدم حجر ليقتل قال دعونى أصل ركعتين فجعل يطول فى صلاته فقيل له اجزعا من الموت فقال لا ولكنى ما تطهرت للصلاة قط الا صليت وما صليت قط أخف من هذه وكيف لا أجزع وانى لارى قبرا محفورا وسيفا مشهورا وكفنا منشورا ثم قدم فنحر والحق به من وافقه على قوله من أصحابه وقيل ان قتلهم كان فى سنة خمسين وذكر أن عدى بن حاتم الطائى دخل على معاوية فقال له معاوية ما فعلت الطرفات يعنى أولاده قال قتلوا مع على قال ما أنصفك على قتل أولادك وبقاء أولاده فقال عدى ما أنصفت على اذ قتل وبقيت بعده فقال معاوية أما انه قد بقى قطرة من دم عثمان ما يمحوها الا دم شريف من أشراف اليمن فقال عدى والله ان قلوبنا التى أبغضناك بها لفى صدورنا وان أسيافنا التى قاتلناك بها لعلى عواتقنا ولئن أدنيت الينا من الغدر فترا لندنين اليك من الشر شبرا وان حز

عنيت بعبسه خطت فوقه * بالمسك خطا من محيط الدائره

وقال أبو الحسن بن عيسى

عابوه أسمر ناحلا اذ ازرقة * رمداوظنوا أن ذلك يشينه
جهلوا بأن السمهرى شبيهه * وخضابه بدم القلوب يزينه

وقال الاستاذ أبو ذر الخشنى

أنكر صحبي اذرأوا طرفه * ذا حمرة يشقى بها المغرم
لا تنكروا ما احمر من طرفه * فالسيف لا ينكر فيه الدم

وقال أبو عبد الله محمد بن أبى خاص الرندى

يا شادنا برز العذار بخده * وازداد حسنا ليته لم يبرز
الآن أعلم حين جد بى الهوى * كم بين مختصر و بين مطرز

وقال أبو الحسين عبد الملك بن مفوز المعافرى

ومعذر من خده ورقيبه * شغلان حلا عقد كل عزيمة
خد وخب عيل صبرى منهما * هذا بنممة وذا بنميمة

وقال أبو الوليد بن زيدون فيمن أصابه جدرى

قال لى اعتل من هو يت حسود * قلت أنت العليل و يحك لا هو
ما الذى قد أنكرت من بثرات * ضاعفت حسنه وزانت حلاه
جسمه فى الصفاء والرقة الما * ء فلا غرو أن حباب علاه

وقال الهيثم

قالوا به جرب فقلت لهم قفوا * تلك الندوب مواقع الابصار
هو روضة والقد غصن ناعم * أرأيتم غصنا بلا انوار

وقال أبو بكر محمد بن عياض القرطبى فى مخضوبة الانامل

وعلقتها فتانة أعطافها * تزرى بغصن البانة المياد
من للغزالة والغزال بحسنها * فى الخد أوفى العين أوفى الهادى
خضبت أناملها السواد وقلما * أبصرت أقلاما بغير مداد

وقال أبو الحسين النقرى

بدا بوسفا وشدا معبدا * فللعين ما تشتهى والاذن
كأن بأعلاه قرية * تغرد من قده فى غصن

وقال ابن صارة

مقام حر بأرض هون * عجز لعمرى من المقيم
سافر فان لم تجد كريما * فمن لئيم الى لئيم

وقال المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى

مولاى أشكو اليك داء * أصبح قلبى به قريحا
سخطك قد زادنى سقاما * فابعث الى الرضا مسيحا

فقال معاوية هذه كلمات حكم فاكتبوها وأقبل على عدى محادثا له كأنه ما خاطبه بشئ (وذكر) أن معاوية ابن أبى سفيان تنازع اليه عمرو بن عثمان بن عفان وأسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض فقال عمرو لأسامة كأنك تنكرنى فقال أسامة ما يسرنى نسبك بولائى فقام مروان ابن الحكم فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس الى جانب أسامة فقام سعيد بن العاص فجلس الى جانب مروان فقام الحسين فجلس الى جانب الحسن فقام عبد الله ابن عامر فجلس الى جانب سعيد فقام عبد الله بن جعفر فجلس الى جانب الحسين وقام عبد الرحمن ابن الحكم فجلس الى جانب ابن عامر فقام عبد الرحمن ابن العباس فجلس الى جانب ابن جعفر فلما رأى ذلك معاوية قال لا تعجلوا انا كنت شاهدا اذ أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين وأقبل الامويون عليه فقالوا ألا كنت أصلحت بيننا قال دعونى فوالله ما ذكرت

عيونهم تحت المغافر بصفين الا لبس على عقلى وان الحرب أولها نجوى وأوسطها شكوى وآخرها قال

قال بعضهم وقوله مسيحا من القوافى التى يتحدى بها وكتب الى أبيه جوابا عن تحفة

ياما لكا قد أصبحت كفه * ساخرة بالعارض الهاطل
قد أفحمتنى منة مثلها * يضيق القول على القائل
وان أكن قصرت فى وصفها * فحسبها عن وصفها شاغلى

وكتب الى وزيره ابن عمار

لما نأت ناى الكرى عن ناظرى * ورددته لما انصرفت عليه
طلب البشير بشارة يجزى بها * فوهبت قلبى واعتذرت اليه

وقال فى جارية له كان يحبها وبينما هى تسقيه اذ لمع البرق فارتاعت

يروعها البرق وفى كفها * برق من القهوة لماع
ياليت شعرى وهى شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

ومن توارد الخواطر أن ابن عباد أنشد عبد الجليل بن وهبون البيت الاول وأمره أن يذيله فقال

ولن ترى أعجب من آنس من * من مثل مايمسك يرتاع

وقال المعتمد رحمه الله تعالى

داوى ثلاثته بلطف ثلاثة * فثنى بذاك رقيبه لم يشعر
اسراره بتستر واواره * بتصبر وخباله بتوقر

وكانت له جارية اسمها جوهرة وكان يحبها فجرى بينهما عتاب ورأى أن كتب اليها يسترضيها فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها فقال

لم تصف لى بعد والافلم * لم أرفى عنوانها جوهره
درت بأنى عاشق لاسمها * فلم ترد للغيظ أن تذكره
قالت اذا أبصره ثابتا * قبله والله لا أبصره

وقال فى هذه الجارية

سرورنا بعدكم ناقص * والعيش لاصاف ولاخالص
والسعد ان طالعنا نجمه * وغبت فهو الآفل الناكص
سموك بالجوهر مظلومة * مثلك لايدركه غائص

وقال فيها أيضا

جوهرة عذبنى * منك تمادى الغضب
فزفرتى فى صعد * وعبرتى فى صبب
يا كوكب الحسن الذى * زرى بزهر الشهب
مسكنك القلب فلا * ترضى له بالوصب

وقال فى جارية اسمها وداد

اشرب الكاس من ودادو دادك * وتانس بذكرها فى انفرادك
قمر غاب عن جفونك مرآ * هو سكناه فى سواد فؤادك

فتنة تدنو بزينتها لكل جهول ثم قال مافى القلوب يشب الحروب والامر الكبير يدفعه الامر الصغير وتمثل قد يلحق الصغير بالجليل وانما القرم من الافيل وتسحق النخل من الفسيل (قال المسعودى) ولما هم معاوية بالحاق زياد بابى سفيان ابيه وذلك فى سنة أربعين شهد عنده زياد بن أسماء الحرمازى ومالك ابن ربيعة السلولى والمنذر ابن الزبير بن العوام أن اباسفيان اخبر انه ابنه وان اباسفيان قال لعلى عليه السلام حين ذكر زياد عند عمر بن الخطاب اما والله لولا خوف شخص يرانى ياعلى من الاعادى لبين امره صخر بن حرب ولم يكن المجمجم عن زياد ولكنى اخاف صروف كف لها نقم ونفى عن بلادى فقد طالت محاولتى ثقيفا وتركى فيهم ثمر الفؤاد ثم زاده يقينا الى ذلك شهادة ابى مريم السلولى وكان اخبر الناس ببدء الامر وذلك انه جمع بين ابى سفيان وسمية ام زياد فى الجاهلية على زنا وكانت سمية من ذوات الرايات بالطائف تؤدى الضريبة الى الحرث بن كلدة وكانت تنزل بالموضع الذى ينزل فيه البغايا بالطائف خارجا عن الحضر فى محلة

وقال

لك الله كم أودعت قلبي من أسى * وكم لك ما بين الجوانح من كلم
لحاظك طول الدهر حرب لمهجتي * ألا رحمة تثنيك يوما الى سلمي

وقال

قلت متى ترحمني * قال ولا طول الابد
قلت فقد أيأستني * من الحياة قال قد

وأهدى أبو الوليد بن زيدون باكورة تفاح الى المعتضد والد المعتمد وكتب له معها

يا من تزينت الريا * سة حين ألبس ثوبها
جاءتك جامدة المدا * م فخذ عليها ذوبها

وقال المعتمد وقد أمره أبوه المعتضد أن يصف مجنا فيه كواكب فضة

مجن حكى صانعوه السما * لتقصر عنه طوال الرماح
وقد صوروا فيه شبه الثريا * كواكب تقضي له بالنجاح

وقال ابن اللبانة كنت بين يدي الرشيد بن المعتمد في مجلس انسه فورد الخبر باخذ يوسف بن تاشفين غرناطة سنة ٤٩٣ فتفجع وتلهف واسترجع وتأسف وذكر قصر غرناطة فدعونا القصره بالدوام ولملكه بتراخي الايام وأمر عند ذلك أبا بكر الاشبيلي بالغناء فغنى

يا دارمية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الامد

فاستحالت مسرته وتجهمت اسرته وأمر بالغناء من ستارته فغنى

ان شئت أن لا ترى صبر المصطبر * فانظر على أي حال أصبح الطلل

فتأكد تطيره واشتد اربداد وجهه وتغيره وأمر مغنية أخرى بالغناء فغنت

بالهف نفسي على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت
ان اعتذاري الى من جاء يسألني * مالست أملك من احدى المصيبات

قال فقلت لافيت الحال بأن قلت

محل مكرمة لا هد مبناه * وشمل مأثرة لاشتت الله
البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا * ان الرشيد مع المعتد ركناه
ثاو على أنجم الجوزاء مقعده * وراحل في سبيل السعد مسراه
حتم على الملك أن يقوى وقد وصلت * بالشرق والغرب يمناه ويسراه
باس توقد فاحمرت لواحظه * ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمري لقد بسطت من نفسه وأعادت عليه بعض انسه على اني وقعت فيما وقع فيه الكل لقولي البيت كالبيت وأمر اثر ذلك ابا بكر بالغناء فغنى

ولما قضينا من منى كل حاجة * ولم يبق الا أن تزم الركائب

فأيقنا ان هذا التطير يعقبه التغير * وقد كان المعتضد بن عباد حين تصرمت ايامه وتدانى حمامه استحضر مغنيا يغنيه ليجعل ما يبدأ به فالا وكان المغني السوسي فأول شعر قاله

نطوي المنازل علما أن ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

فـات

سبب ادعاء معاوية فيما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن عليا كان ولاه فارس حين يقال لها حارة البغايا وكان أخرج منها سهل بن حنيف فضرب زياد بعضهم ببعض حتى غلب عليها وما زال يتنقل في كورها حتى صلح أمر فارس ثم ولاه على اصطخر وكان معاوية يتهدده ثم أخذ بسر بن أرطاة عبيد الله وسلمان ولديه وكتب اليه يقسم ليقتلنهما ان لم يرجع ويدخل في طاعة معاوية ويرده على عمله فقدم زياد على معاوية وكان المغيرة بن شعبة قال لزياد قبل قدومه على معاوية ارم الغرض الاقصى ودع عنك الفضول فان هذا الامر لا يمد اليه أحد يدا الا الحسن بن علي وقد بايع لمعاوية فخذها لنفسك قبل التوطين قال زياد فأشر علي قال أرى أن تنقل أصلك الى اصله وتصل حبلك بحبله وتعير الناس منك اذنا صماء فقال زياد يا ابن شعبة أأغرس عودا في غير منبته ولا مدرة فتحييه ولا عرق فيسقيه ثم ان زيادا عزم على قبول الدعوى وأخذ برأي ابن شعبة وارسلت اليه جويرية بنت أبي سفيان عن أمر أخيها فأتاها فأذنت له وكشفت عن شعرها بين يديه وقالت انت اخي اخبرني بذلك أبو مريم ثم أخرجه معاوية الى المسجد وجمع الناس فقام

فمات بعد خمسة ايام وكان الغناء من هذا الشعر في خمسة ابيات * وقال المعتمد بعد ما خلع وسجن

قبح الدهر فماذا صنعا * كلما اعطى نفيسا نزعا
قد هوى ظلما بمن عاداته * أن ينادي كل من يهوى لعا
من اذا قيل الخنا صم وان * نطق العافون همسا سمعا
قل لمن يطمع في نائله * قد ازال الياس ذاك الطمعا
راح لا يملك الا دعوة * جبر الله العفاة الضيعا

وقال ابن اللبانة كنت مع المعتمد باغمات فلما قاربت الصدر وازمعت السفر صرف جبله واستنفد ما قبله وبعث الي مع شرف الدولة ولده وهذا من بنيه احسن الناس سمتا واكثرهم صمتا تخجله اللفظه وتجرحه اللحظه حريص على طلب الادب مسارع في اقتناء الكتب مثابر على نسخ الدواوين مفتح فيها من خطه زهر الرياحين بعشرين مثقالا مرابطية وثوبين غير مخيطين وكتب معها ابياتا منها

اليك النزر من كف الأسير * وان تقنع تكن عين الشكور
تقبل ما يذوب له حياء * وان عذرته حالات الفقير

فامتنعت من ذلك عليه واجبته بأبيات منها

تركت هواك وهو شقيق ديني * لئن شقت برودي عن غدوري
ولا كنت الطليق من الرزايا * اذا اصبحت اجحف بالاسير
جذيمة انت والزباء خانت * وما انا من يقصر عن قصير
تصرف في الندى حيل المعالي * فتسمح من قليل بالكثير
وأعجب منك أنك في ظلام * وترفع للعفاة منار نور
رويدك سوف توسعني سرورا * اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلني رتب المعالي * غداة تحل في تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء * بها وأزيد ثم على جرير
تأهب أن تعود الى طلوع * فليس الخسف ملتزم البدور

واتبعتها ابياتا منها

حاش لله ان اجيح كريما * يتشكى فقرا وقد سد فقرا
وكفاني كلامك الرطب نيلا * كيف ألفى درا واطلب تبرا
لم تمت انما المكارم ماتت * لا سقى الله بعدك الارض قطرا

ورأى ابن اللبانة احد ابناء المعتمد وهو غلام وسيم وقد اتخذ الصياغة صناعة وكان يلقب ايام سلطانهم من الالقاب السلطانية بفخر الدولة فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ وقد جلس في السوق يتعلم الصياغة فقال

شكاتنا لك يا فخر العلا عظمت * والرزء يعظم ممن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مخنقة * ضاقت عليك وكم طوقتنا نعما

أبو مريم السلولي فقال أشهد أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف وأنا خمار في الجاهلية فقال ابغني بغيا فأتيته وقلت لم أجد الا جارية الحرث بن كلدة سمية فقال ائتني بها على دفرها وقذرها فقال له زياد مهلا يا أبا مريم انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فقال أبو مريم لو كنتم أعفيتموني لكان احب الي وانما شهدت بما عاينت ورأيت والله لقد اخذ بكم درعها واغلقت الباب عليهما وقعدت دهشان فلم ألبث أن خرج علي يمسح جبينه فقلت مه يا ابا سفيان فقال ما أصبت مثلها يا أبا مريم لولا استرخاء من ثديها ودفر من فيها فقام زياد فقال ايها الناس هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم ولست ادري حق ذلك من باطله وانما كان عبد نبيا مبرورا أو وليا مشكورا والشهود اعلم بما قالوا فقام يونس بن عبيد أخو صفية بنت عبيد بن اسد بن علاج الثقفي وكانت صفية مولاة سمية فقال يا معاوية قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الولد للفراش وللعاهر الحجر وقضيت انت ان الولد للعاهر وان الحجر للفراش مخالفة لكتاب الله تعالى وانصرافا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة ابي مريم على زنا ابي سفيان فقال معاوية والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة

وعاد طوقك فى دكان قارعة * من بعدما كنت فى قصر حكى ارما
صرفت فى آلة الصوّاغ انملة * لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها * فتستقل الثريا أن تكون فما
يا صائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ فى الصور هول ما حكاه سوى * هول رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددت اذ نظرت عينى اليك به * لو أن عينى تشكو قبل ذاك عمى
ماحطك الدهر لماحط عن شرف * ولا تحيف من أخلاقك الكرما
لح فى العلا كوكبا ان لم تلح قمرا * وقم بها ربوة ان لم تقم علما
واصبر فربتما أحمدت عاقبة * من يلزم الصبر يحمد غب ما لزما
والله لو انصفتك الشهب لانكسفت * ولو وفى لك دمع العين لانسجما
أبكى حديثك حتى الدر حين غدا * يحكيك رهطا وألفاظا ومبتسما

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى وقفت على قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات فى حركة راحة أعملتها الى الجهات المراكشية باعثها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار سنة ٧٦١ وهو بمقبرة أغمات فى نشز من الارض وقد حفت به سدرة والى جانبه قبر اعتماد حظيته مولاة رميك وعليهما هيئة التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما فانشدت فى الحال

قد زرت قبرك عن طوع باغمات * رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا * ويا سراج الليالى المدلهمات
وانت من لو تخطى الدهر مصرعه * الى حياتى لجادت فيه أبياتى
اناف قبرك فى هضب يميزه * فتنتحيه حفيات التحيات
كرمت حيا وميتا واشتهرت علا * فانت سلطان أحياء وأموات
ما رىء مثلك فى ماض ومعتقدى * أن لا يرى الدهر فى حال وفى آتى انتهى

وقد زرت انا قبر المعتمد بن عباد بمدينة اغمات سنة ١٠١٠ ورأيت فيه مثل ماذكره لسان الدين رحمه الله تعالى فسبحان من لا يبيد ملكه لا اله الا هو واخبار المعتمد كثيرة وقال وزيره ابو الوليد بن زيدون

متى اخف الغرام يصفه جسمى * بألسنة الضنى الخرس الفصاح
فلو ان الثياب نزعن عنى * خفيت خفاء خصرك فى الوشاح

وقال يخاطب المعتمد

وطاعة امرك فرض ارا * ه من كل مفترض اوكدا
هى الشرع اصبح دين الضمير * فلو قد عصاك لقد الحدا

وقال فيه

ياندى عينى ابى القاسم غم * ياسنا بشر المحيا أشمس
وارتشف معسول ثغر اشنب * تحيب من مجاج العس

وقال

مهما امتدحت سواك قبل فانما * مدحى الى مدحى لك استطراد

فى ذلك ويقال انه ليزيد ابن مفرّغ الحميرى

ألا أبلغ معاوية بن حرب
مغلغلة عن الرجل اليمانى
أتغضب ان يقال أبوك عف
وترضى ان يقال ابوك زانى
فاشهد ان رحمك من زياد
كرحم الفيل من ولد الاتان

وفى زياد واخوته يقول خالد النجارى

ان زيادا ونافعا وابا
بكرة عندى من اعجب العجب
ان رجالا ثلاثة خلقوا
من رحم انثى مخالفى النسب
ذا قرشى فيما يقول وذا
مولى وذا ابن عمه عربى

ولما قتل على كرم الله وجهه كان فى نفس معاوية من يوم صفين على هاشم ابن عتبة بن ابى وقاص المرقال وولده عبد الله بن هاشم احن فلما استعمل معاوية زيادا على العراق كتب اليه اما بعد فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة فشد يده الى عنقه ثم ابعث به الى فحمله زياد من البصرة مقيدا مغلولا الى دمشق وقد كان زياد طرقه بالليل فى منزله بالبصرة فادخل الى معاوية وعنده عمرو ابن العاص فقال معاوية لعمرو بن العاص هل تعرف هذا قال لا قال هذا الذى يقول أبوه يوم صفين

تغشى الميادين الفوارس حقبة * كيما يعلمها النزال طراد

وقال يحيينى بريحان التجنى * ويحبينى معتقة السماح
فها انا قد غنمت من الايادى * اذا اتصل اغتباقى باصطباحى

وكتب الى ابى عامر يستدعيه

ابا المعالى نحن فى روضة * فانقل الينا القدم العاليه
انت الذى لو تشترى ساعة * منه بدهر لم تكن غاليه

وتذكرت هنا قول بعض المشارقة فيما اظن

لله ايام مضت مأنوسة * ما كان احسنها وانضرها معا
لو ساعة منها تباع شريتها * ولو أنها بيعت بعمرى اجمعا

(رجع) وقال ابو القاسم اسعد من قصيدة فى المعتصم بن صمادح

وقد ذاب كحل الليل فى دمع فجره * الى أن تبدى الليل كاللمة الشمطا
كأن الدجا جيش من الزنج نافذ * وقد ارسل الاصباح فى اثره القبطا
ومنها اذا سار سار الجود تحت لوائه * فليس يحط المجد الا اذا حطا

وقال ابن خلصة المكفوف النحوى من قصيدة

ملك تملك حر المجد لا يده * نالت بظلم ولا مالت الى البخل
مهذب الجد ماضى الحد مضطلع * لما تحمله العلياء من ثقل
اغر لا وعده يخشى له ابدا * خلف ولا رايه يؤتى من الزلل
قد جاوزت نطق الجوزاء همته * به ومازحلت عن مرتقى زحل
يأبى له ان يحل الذم ساحته * ما صد من خلل اوسد من خلل
ومنها ان لم تكن بكم حالى مبدلة * فما انتفاعى بعلم الحال والبدل

وقال ابن الحداد يمدح المعتصم بن صمادح

عج بالحمى حيث الغياض العين * فعسى تعن لنا المهاة العين
واستقبلن ارج النسيم فدارهم * ندية الارجاء لا دارين
افق اذا مارمت لحظ شموسه * صدتك للنقع المثار دجون
أنى اراعى لهم وبين جوانحى * شوق يهون خطبهم فيهون
انى يصاب ضرابهم وطعانهم * صب بألحاظ العيون طعين
فكأنما بيض الصفاح جداول * وكأنما سمر الرماح غصون
ذرنى اسر بين الاسرة والظبا * فالقلب فى تلك القباب رهين
يا ربة القرط المعير خفوقه * قلبى أما لحراكه تسكين
نور يدخدك للصبابة مورد * وفتور طرفك للنفوس فتون
فاذا رنت فوحى حبك منزل * واذا نطقت فانه تلقين

ومنها فى وصف قصر

راس بظهر النون الا انه * سام فقبته بحيث النون

* اغور يبغى اهله محلا قد عالج الحياة حتى ملا لابد أن يفل او يفلا اسلهم بذى الكعوب سلا لا خير عندى فى كريم ولى فقال عمرو متمثلا وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا دونك يا امير المؤمنين الضب الضب فاشخب اوداجه على اسباجه ولا ترده الى اهل العراق فانه لا يصبر على النفاق وهم اهل غدر وشقاق وحزب ابليس ليوم هيجانه وان له هوى سيؤديه ورأيا سيطغيه وبطانة ستقويه وجزاء سيئة سيئة مثلها فقال عبد الله يا عمرو ان أقتل رجل اسلمه قومه وادركه يومه أفلا كان هذا منك اذ تحيد عن القتال ونحن ندعوك الى النزال وانت تلوذ بشمال النطاف وعقائق الرصاف كالامة السوداء والنعجة القوداء لا تدفع يد لامس فقال عمرو أما والله لقد وقعت فى لهاذم شذقم للاقران ذى لبد ولا احسبك منفلتا من مخاليب امير المؤمنين فقال عبد الله اما والله يا ابن العاص انك لبطر فى الرخاء جبان عند اللقاء غشوم اذا وليت هياب اذا لقيت تهدر كما يهدر العود المنكوس المقيد بين مجرى الشول

هو جنة الدنيا تبوأ نزلها * ملأت عما له التقى والدين
فكأنما الرحمن عجلها له * ليرى بما قد كان ما سيكون
وكأن بانيه سمار فيها * يعدوه تحسين ولا تحصين
وجزاؤه فيه نقيض جزائه * شتان ما الاحياء والتحيين

ومنها في المديح

لا تلقع الاحكام حيفا عنده * فكأنما الافعال والتنوين

ومنها

وبداه لال الافق أحنى ناسخا * عهد الصيام كأنه العرجون
فكأن بين الصوم خطط نحوه * خطا خفيا بان منه النون

وقال عبد الجليل بن وهبون

زعموا الغزال حكاه قلت لهم نعم * في صده عن عاشقيه وهجره
وكذا يقولون المدام كريقه * يارب ما علموا مذاقة ثغره

وقال أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي وهب الاندلسي

قالوا اتد انيت من وداعهم * ولم نر الصبر عنك مغلوبا
فقلت للعلم أنني بغد * أسمع لفظ الوداع مقلوبا

وهذا كقول بعض شعراء اليتيمة

اذا دهاك الوداع فاصبر * ولا يروعنك البعاد
وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا

وقال ابن اللبانة

ان تكن تبتغي الوداع فدعني * عنك في حومة القتال أحامي
خذ جناني عن جنة ولساني * عن سنان وخاطري عن حسام

وقال القزاز يمدح ابن صمادح وخلط النسيب بالمديح

نفى الحب عن مقلتي الكرى * كما قد نفى عن يدي العدم
فقد قر حبك في خاطري * كما قر في راحتيك الكرم
وفر سلوك عن فكرتي * كما فر عن عرضه كل ذم
فحبي ومفخره باقيا * ن لا يذهبان بطول القدم
فأبقى لي الحب خال وجد * وأبقى له الفخر خال وعم

وقال أبو الحسن بن الحاج

أذوب اشتياقا يوم يحجب شخصه * واني على ريب الزمان لقاسي
وأذعر منه هيبة وهو المنى * كما يذعر المخمور أول كاس

وقال

من لي بطرف كأنني أبدا * منه بغير المدام مخمور
ما أصدق القائلين حين بدا * عاشق هذا الجمال معذور

وقال

أبا جعفر مات فيك الجمال * فأظهر خدك لبس الحداد
وقد كان ينبت نور الربيع * فقد صار ينبت شوك القتاد

لا يستعجل في المدة ولا يرتجى في الشدة افلا كان هذا منك اذ غمرك اقوام لم يعنفوا صغارا ولم يمزقوا كبارا لهم أيد شداد والسنة حداد يدعمون العوج ويذهبون الحرج يكثرون القليل ويشفون الغليل ويعزون الذليل فقال عمرو أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تخفق أحشاؤه وتبق أمعاؤه وتضطرب أصلاؤه كأنما انطبق عليه ضمد فقال عبد الله يا عمرو انا قد بلوناك ومقالتك فوجدنا لسانك كذوبا غادرا خلوت باقوام لا يعرفونك وجند لا يساومونك ولو رمت المنطق في غير أهل الشام لجحظ اليك عقلك ولتلجلج لسانك ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذي أثقله حمله فقال معاوية ايها عنكما وأمر باطلاق عبد الله فقال عمرو لمعاوية

أمرتك امرا حازما فعصيتني * وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبوه يا معاوية الذي * أعان عليا يوم حز الغلاصم
فلم ينثني حتى جرت من دمائنا * بصفين أمثال البحور الخضارم
وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه * ويوشك ان تقرع به سن نادم

فقال عبد الله يجيبه

معاوي ان المرء عمرا أبت له * ضغينة صدر غشها غير نائم

فهل

فهل كنت من عبد شمس فأخشى * عليك ظهور شعار السواد

وقال وما أحكمه

ماعجبى من بائع دينه * بلذة يبلغ فيها هواه
وانما أعجب من خاسر * يبيع أخراه بدنيا سواه

وقال من مخمسة يرثى فيها ابن صمادح ويندب الاندلس زمن الفتنة

من لى بمجبول على ظلم البشر * محف فى أحكامه حاء الحور
مر بنا يسحب أذيال الخفر * ما أحسد الظبى له اذا نفر
وأشبه الغصن به اذا خطر

كافورة قد طرزت بمسك * جوهرة لم تمتهن بسلك
نبذت فيها ورعى ونسكى * بعد لجاجى فى التقى ومحكى
فاليوم قد صح رجوعى واشتهر

نهيت قدما ناظرى عن نظر * علما بما يجنى ركوب الغرر
وقلت عرج عن سبيل الخطر * فاليوم قد عاين صدق الخبر
اذ بات وقفا بين دمع وسهر

سقى الحيا عهدا لنا بالطاق * معترك الالباب والاحداق
وملتقى الانفس والاشواق * أيأس فيه الدهر عن تلاقى
ور بما ساءك دهر ثم سر

أحسن به مطلعا ما أغربا * قابل من دجلة مرأى معجبا
ان طلعت شمس وقد هبت صبا * حسبته ينشر بردا مذهبا
بمنظر فيه جلاء للبصر

يارب أرض قد خلت قصورها * وأصبحت آهلة قبورها
يشغل عن زائرها مزورها * لا يأمل العودة من يزورها
هيهات ذاك الورد ممنوع الصدر

تنتحب الدنيا على ابن معن * كأنها ثكلى أصيبت بابن
أكرم مأمول ولا أستثنى * أثنى بنعماه ولا أثنى
والروض لا يشكر معروف المطر

عهدى به والملك فى ذماره * والنصر فيما شاء من أنصاره
يطلع بدر التم من أزراره * وتكمن العفة فى ازوراره
ويحضر السودد أيان حضر

قل للنوى جد بنا انطلاق * ما بعدت مصر ولا العراق
اذا حدا نحوهما اشتياق * ومن دواء الملل الفراق
ومن نأى عن وطن نال وطر

سار بذى برد من الاصباح * راكب نشوى ذات قصد صاح

يرى لك قتلى يا ابن هند وانما يرى ما يرى عمرو وملوك الاعاجم
على انهم لا يقتلون أسيرهم اذا منعت منه عهود المسالم
وقد كان منا يوم صفين نفرة عليك جناها هاشم وابن هاشم
قضى ما انقضى منها وليس الذى مضى ولا ما جرى الا كاضغاث حالم
فان تعف عنى تعف عن ذى قرابة وان ترقتلى تستحل محارمى
فقال معاوية
أرى العفو عن عليا قريش وسيلة الى الله فى يوم العصيب القماطر
ولست أرى قتل العداة ابن هاشم بادراك ثارى فى لؤى وعامر
بل العفو عنه بعد ما بان جرمه وزلت به احدى الجدود العواثر
فكان أبوه يوم صفين جمرة علينا فاردته رماح شهابر
وحضر عبد الله بن هاشم ذات يوم مجلس معاوية فقال معاوية من يخبرنى عن الجود والنجدة والمروءة فقال عبد الله يا أمير المؤمنين أما الجود فابتذال المال والعطية قبل السؤال واما النجدة فالجراءة على الاقدام والصبر عند

مسودة مبيضة الجناح * تسبح بين الماء والرياح
يزورها عن طافع المرج زور
يقتحم الهول بها اغترارا * فى فتية تحسبهم سكارى
قد افترشن المسد المغارا * حتى اذا اشارفت المنارا
هب كابل العليل المحتضر
يؤم عدل الملك الرضى * الهاشمى الطاهر النقى
والمجتبى من ضئضئ النبى * من ولد السفاح والمهدى
فخر معد ونزار ومضر
حيث ترى العباس يستقى به * والشرف الاعظم فى نصابه
والامر موقوفا على أربابه * والدين لا تختلط الدنيا به
وسيرة الصديق تمضى وعمر

وقال ابن خفاجة فى صفة قوس

عرجاء تعطف ثم ترسل تارة * فكأنما هى حية تنساب
واذا انحنت والسهم منها خارج * فهى الهلال انقض منه شهاب

وقال وعسى الليالى أن تمن بنظمنا * عقدا كما كنا عليه وأكملا
فلربما نثر الجمان تعمدا * ليعاد أحسن فى النظام وأجملا

وهو من قول مهيار

عسى الله يجعلها فرقة * تعود بأكمل مستجمع

وقول المتنبى سألت الله يجعله رحيلا * يعين على الاقامة فى ذراكا

وقال اقض على خلك أوساعد * عشت بجد فى العلا صاعد
فقد بكى جفنى دما سائلا * حتى لقد ساعده ساعدى

وقال وأسود يسبح فى بركة * لا تكتم الحصباء غدرانها
كأنها فى صفوها مقلة * زرقاء والاسود انسانها

وقال حبابها ونسيمها كنسيمه * فشربته من كفه فى وده
متساغة فكأنها من ريقه * محمرة فكأنها من خده

وقال لعمرى لو أوضعت فى منهج التقى * لكان لنا فى كل صالحة نهج
فما يستقيم الامر والملك جائر * وهل يستقيم الظل والعود معوج

وقال يرثى صديقا من أبيات

تيقن أن الله أكرم جيرة * فأزمع عن دار الحياة رحيلا
فان أقفرت منه العيون فانه * تعوض منها بالقلوب بديلا
ولم أر أنسا قبله عاد وحشة * وبردا على الاكباد عاد غليلا
ومن تك أيام السرور قصيرة * به كان ليل الحزن فيه طويلا

وقال تفاوت نجلا أبى جعفر * فمن متعال ومن متسفل

رضى الله عنه قيس بن سعد بن عبادة عن مصر وجه مكانه محمد ابن أبى بكر فلما وصل اليها كتب الى معاوية كتابا فيه من محمد ابن أبى بكر الى الغاوى معاوية بن صخر أما بعد فان الله بعظمته وسلطانه خلق خلقه بلا عبث منه ولا ضعف فى قوته ولا حاجة به الى خلقهم لكنه خلقهم عبيدا وجعل منهم غويا ورشيدا وشقيا وسعيدا ثم اختار على علم واصطفى وانتخب منهم محمدا صلى الله عليه وسلم فانتخبه لعلمه واصطفاه لرسالته وائتمنه على وحيه وبعثه رسولا ومبشرا ونذيرا فكان اول من اجاب وأناب وآمن وصدق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه على بن ابى طالب صدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم ووقاه بنفسه كل هول وحارب حربه وسالم سلمه فلم يبرح مبتذلا لنفسه فى ساعات الليل والنهار والخوف والجوع والخضوع حتى برز سابقا لا نظير له فيمن اتبعه ولا مقارب له فى فعله وقد رايتك تساميه وانت انت وهو هو اصدق الناس نية وافضل الناس ذرية وخير الناس زوجة وافضل الناس ابن عم اخوه الشارى بنفسه يوم موته وعمه سيد الشهداء يوم

فهذا يمين بها أكله * وهذا شمال بها يغتسل

وقال ابن الرفاء

ولما رأيت الغرب قد غص بالدجا * وفي الشرق من ضوء الصباح دلائل
توهمت أن الغرب بحر أخوضه * وأن الذي يبدو من الشرق ساحل

وقال أبو محمد بن عبد البر الكاتب

لا تكثرن تأملا * وامسك عليك عنان طرفك
فلربما أرسلته * فرماك في ميدان حتفك

وقال أبو القاسم السميسر

يا آكلا كل ما اشتهاه * وشاتم الطب والطبيب
ثمار ما قد غرست تجنى * فانتظر السقم عن قريب
يجتمع الداء كل يوم * أغذية السوء كالذنوب

وكان كثير الهجاء وله كتاب سماه بشفاء الامراض في أخذ الاعراض والعياذ بالله تعالى

ومن قوله

خنتم فهنتم وكم أهنتم * زمان كنتم بلا عيون
فانتم تحت كل تحت * وأنتم دون كل دون
سكنتم يا رياح عاد * وكل ريح الى سكون

وقال

يا مشفقا من خمول قوم * ليس لهم عندنا خلاق
ذلوا ويا طالما أذلوا * دعهم يذوقوا الذى أذاقوا

وقال

وليتم فما أحسنتم مذ وليتم * ولا صنتم عمن يصونكم عرضا
وكنتم سماء لا ينال منالها * فصرتم لدى من لا يسائلكم أرضا
ستسترجع الايام ما أقرضتكم * ألا انها تسترجع الدين والقرضا

وقال ابن شاطر السرقسطي

قد كنت لا أدرى لأية علة * صار البياض لباس كل مصاب
حتى كساني الدهر سحق ملاءة * بيضاء من شيبي لفقد شبابي
فبذا تبين لى اصابة من رأى * لبس البياض على نوى الاحباب

وهذه عادة أهل الاندلس ولهذا قال الحصري

اذا كان البياض لباس حزن * بأندلس فذاك من الصواب
ألم ترني لبست بياض شيبي * لاني قد حزنت على الشباب

وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

لو كنت زائرتي لراعك منظرى * ورأيت بي ما يصنع التفريق
والحال من دمعي وحر تنفسي * بيني وبينك لجة وحريق

وقال ابن عبد الصمد يصف فرسا

على سابح فرد يفوت بأربع * له أربع منها الصبا والشمائل
من الفتح خوان العنان كأنه * مع البرق سار أو مع السيل سائل

اللعين ابن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الغوائل وتجهدان في اطفاء نور الله تجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتؤلبان عليه القبائل على ذلك مات أبوك وعليه خلفته والشهيد عليك من تدنى ويلجأ اليك من بقية الاحزاب ورؤساء النفاق والشاهد لعلى مع فضله المبين القديم انصاره الذين معه الذين ذكرهم الله بفضلهم واثنى عليهم من المهاجرين والانصار وهم معه كتائب وعصائب يرون الحق في اتباعه والشقاء في خلافه فكيف يالك الويل تعدل نفسك بعلى وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ووصيه وابو ولده اول الناس له اتباعا واقربهم به عهدا يخبره بسره ويطلعه على امره وانت عدوه وابن عدوه فتمتع في دنياك ما استطعت بباطلك وليمددك ابن العاص في غوايتك فكأن أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى ثم يتبين لك لمن تكون العاقبة العليا واعلم انك انما تكايد ربك الذى آمنك كيده ويئست من روحه فهو لك بالمرصاد وانت منه في غرور والسلام على من اتبع الهدى (فكتب اليه معاوية) من معاوية بن صخر الى الزارى

وقال ابن عبد الحميد البرجى
أرح متن المهند والجواد * فقد تعبا بجدك فى الجهاد
قضيت بعزمة حق العوالى * فقض براحة حق الهوادى

وقال عبادة
انما الفتح هلال طالع * لاح من أزراره فى فلك
خده شمس وليل شعره * من رأى الشمس بدت فى حلك

وقال ابن المطرف المنجم
برى العواقب فى أثناء فكرته * كأن أفكاره بالغيب كهان
لاطرفة منه الاتحتها عمل * كالدهر لادورة الا لها شان

وقال أبو الحسن بن اليسع
راموا ملامى وكان اغرا * وذم حبى وكان اطرا
لو علم العاذلون مابى * لانقلبت فيه لامهم را

وقال
لماقدمت وعندى * شطر من الشوق وافى
قدمت قلبى قبلى * فصنه حتى أوافى

ولما خاطب المستنصر ملك افريقية ابن سيد الناس بقوله
ماحال عينيك ياعين الزمان فقد * أورثتنى حزنا من أجل عينيكا
وليس لى حيلة غير الدعاء فيا * رب براوى الصحيحين حنانيكا

أجابه الحافظ أبو المطرف بن عميرة المخزومى خدمة عن الحافظ أبى بكر بن سيد الناس
مولاى حالهما والله صالحة * لما سألت فأعلى الله حالكا
ما كان من سفر أو كان من حضر * حتى تكون الثريا دون نعليكا

وقال الاديب أبو العباس الرصافى وهو من أصحاب أبى حيان
هذا هلال الحسن أطلع بيننا * وجميعنا بحلى محاسنه شغف
لما رأى طل العذار بخده * ماء النعيم أتى اليه ليرتشف
فكأن ذاك الخد أنكر أمره * فاحمر من حنق عليه وقال قف

وقال
وعشية نعمت بها أرواحنا * والخمر قد أخذت هنالك حقها
وكأنما ابريقنا لماجثا * ألقى حديثا للكؤوس وقهقها

وقال الامام الحافظ أبو الربيع بن سالم
كأنما ابريقنا عاشق * كل عن الخطو فأعمله
غازل من كاسى حبيباله * فكلما قبله أخجله

وقال أبو القاسم بن الابرش
رأيت ثلاثة تحكى ثلاثا * اذا ما كنت فى التشبيه تنصف
فتحوالنيل منفعة وحسنا * وشنتر ين مصر وأنت يوسف

وقال فى غريق وقيل انه مما تمثل به

به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله مع كلام كثير لك فيه تضعيف ولابيك فيه تعنيف ذكرت فيه فضل ابن ابى طالب وقديم سوابقه وقرابته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواساته اياه فى كل هول وخوف فكان احتجاجك على وعيبك لى بفضل غيرك لا بفضلك فاحمد ربا صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبى طالب وحقه لازما لنامبرورا علينا فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ماعنده واتم له ماوعده واظهر دعوته فابلج حجته وقبضه الله اليه صلوات الله عليه كان ابوك وفاورقه اول من ابتزه حقه وخالفه على أمره على ذلك اتفقا واتسقا ثم انهما دعواه الى بيعتهما فابطأ عنهما وتلكأ عليهما فهمابه الهموم وأراد ابه العظيم ثم انه بايع لهما وسلم لهما وأقاما لايشركانه فى امرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرهما فعبته انت وصاحبك حتى

الحمد لله على كل حال * قد أطفأ الماء سراج الجمال
أطفأه ما كان محياً له * قد يطفئ الزيت ضياء الزبال

وهو القائل

لولم يكن لى آباء أسود بهم * ولم يؤسس رجال الغرب لى شرفا
ولم أنل عند ملك العصر منزلة * لكان فى سيبويه الفخر لى وكفى
فكيف علم ومجد قد جمعتهما * وكل مختلق فى مثل ذا وقفا

وقال أبو الحسن بن حريق

أصبحت تدمير مصرا كاسمها * وأبو يوسف فيها يوسفا

وقال أبو القاسم بن العطار الاشبيلى فى بعض الهوزنيين وقد غرق فى نهر طلبيرة عند فتحها

ولما رأوا أن لا مقر لسيفه * سوى هامهم لاذوا بأجرامهم
فكان من النهر المعين معينهم * ومن ثلم السد الحسام المثلم
فياعجبا للبحر غالته نطفة * وللاسد الضرغام أرداه أرقم

وقال أبو العباس اللص

وقائلة والضنا شاملى * علام سهرت ولم ترقد
وقد ذاب جسمك فوق الفرا * ش حتى خفيت على العوّد
فقلت وكيف أرى نائما * ورائى المنية بالمرصد

ولما قرئ عليه ديوان أبى تمام ومر فيه وصف سيف قال أنا أشعر منه حيث أقول

تراه فى غداة الغيم شمسا * وفى الظلماء نجما أو ذبالا
يروعهم معاينة ووهما * ولو ناموا الروّعهم خيالا

وقال أبو اسحق الالبيرى

تمر لداتى واحدا بعد واحد * وأعلم انى بعدهم غير خالد
وأحمل موتاهم وأشهد دفنهم * كانى بعيد عنهم غير شاهد
فها أنا فى علمى لهم وجهالتى * كمستيقظ يرنو بمقلة راقد

قيل ولو قال فى البيت الثانى . كأنى عنهم غائب غير شاهد لكان أحسن وأبدع وأبرع فى الصناعة الشعرية قاله ابن الابار رحمه الله تعالى * وقال الوزير أبو الوليد بن مسلمة

اذا خانك الرزق فى بلدة * ووافاك من همها ما كثر
ففتاح رزقك فى بلدة * سواها فردها نقل ما يسر
كذا المبهمات بوسط الكتا * ب مفتاحها أبدا فى الطرر

وقال أبو الطاهر اسمعيل الخشنى الجيانى المعروف بابن أبى راكب وقيل ان أخاه الاستاذ أبا بكر هو المعروف بذلك

يقول الناس فى مثل * تذكر غائبا تره
فمالى لا أرى سكنى * ولا أنسى تذكره

وأنشد أبو المعالى الاشبيلى الواعظ بمسجد رحبة القاضى من بلنسية أبياتا تامها

أنا فى الغربة أبكى * ما بكت عين غريب
لم أكن يوم خروجى * من بلادى بمصيب

نخذ حذرك يا ابن ابى بكر وقس شبرك بفترك يقصر عن ان توازى او تساوى من يزن الجبال بحلمه لا يلين عن قسر قناته ولا يدرك ذو مقال اناته مهدمهاده و بنى الملكه وشاده فان يك ما نحن فيه صوابا فابوك استبدبه ونحن شركاؤه ولولا ما فعل أبوك من قبل ماخالفنا ابن أبى طالب ولاسلمنا اليه ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فاخذنا بمثله فعب اباك بما بدالك أودع ذلك والسلام على من اناب (ومما كتب به معاوية الى على) أما بعد فلو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك مابلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا منها ما نردبه مامضى ونصلح به ما بقى وقد كنت سألتك الشام على ان لاتلزمنى لك طاعة وأنا أدعوك اليوم الى ما دعوتك اليه أمس فانك لاترجو من البقاء الا ما أرجو ولا تخاف من القتال الا ما أخاف وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به عزيز ويسترق به حر والسلام (فكتب اليه على كرم الله وجهه) من على بن ابى طالب الى معاوية بن ابى سفيان اما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه انك لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت

عجبا لى ولتركى * وطنا فيه حبيبى

وقال أبو القاسم بن الانقر السرقسطى

احفظ لسانك والجوارح كلها * فلكل جارحة عليك لسان
واخزن لسانك ما استطعت فانه * ليث هصور والكلام سنان

وقال أبو القاسم خلف بن يحيى بن خطاب الزاهد مما نسبه لابى وهب الزاهد

قد تخيرت أن أكون مخفا * ليس لى من مطيهم غير رجلى
فاذا كنت بين ركب فقالوا * قدموا للرحيل قدمت نعلى
حيثما كنت لا أخلف رحلا * من رآنى فقد رآنى ورحلى

وقال أبو عبد الله بن محمد بن فتح الانصارى الثغرى

كم من قوى قوى فى تقلبه * مهذب الرأى عنه الرزق ينحرف
ومن ضعيف ضعيف الرأى مختبل * كأنه من خليج البحر يغترف

وقال أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب

مضت أعمارنا ومضت سنونا * فلم تظفر بذى ثقة يدان
وجربنا الزمان فلم يفدنا * سوى التخويف من أهل الزمان

وحكى عن الفقيه الاديب النحوى ابى عبد الله محمد بن ميمون الحسينى قال كانت لى فى صبوتى جارية وكنت مغرى بها وكان أبى رحمه الله تعالى يعذلنى فيها ويعرض لى ببيعها لانها كانت تشغلنى عن الطلب والبحث عليه فكان عذله يزيدنى اغراء بها فرأيت ليلة فى المنام كان رجلا يأتينى فى زى أهل المشرق كل ثيابه بيض وكان يلقى فى نفسى انه الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما وكان ينشدنى

تصبو الى مى ومى لا تنى * تزهو بسلواك التى لا تنقضى
ونخارك القوم الاولى ما منهم * الا امام أو وصى أو نبى
فاثن عنانك للهدى عن ذى الهوى * وخف الاله عليك ويحك وارعوى

قال فانتبهت فزعا مفكرا فيما رأيته فسألت الجارية هل كان لها اسم قبل أن تتسمى بالاسم الذى أعرفه فقالت لا ثم عاودتها حتى ذكرت أنها كانت تسمى مية فبعتها حينئذ وعلمت انه وعظ وعظنى الله به عز وجل وبشرى * وقال ابن الحداد أول قصيدته حديقة الحقيقة

ذهب الناس فانفرادى أنيسى * وكتابى محدثى وجليسى
صاحب قد أمنت منه ملالا * واختلالا وكل خلق بئيس
ليس فى نوعه مجىء ولكن * يلتقى الحى منه بالمرموس

وقال بعض أهل الجزيرة الخضراء

الحاظكم تجرحنا فى الحشا * ولحظنا يجرحكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذى أوجب جرح الصدود

وقال ابن النعمة انهما لابن شرف وقد ذكرناهما مع جوابهما فى غير هذا الموضع * وقال المعتمد بن عباد

لم يحبها بعضنا على بعض وانا واياك نلتمس منها غاية لم نبلغها بعد فاما طلبك منى الشام فانى لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك امس واما استواؤنا فى الخوف والرجاء فلست بأمضى على الشك منى على اليقين وليس أهل الشام على الدنيا باحرص من أهل العراق على الآخرة واما قولك نحن بنو عبد مناف فكذلك نحن وليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كابى طالب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق وفى ايدينا فضل النبوة التى قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام (وحدث) أبو جعفر محمد ابن جرير الطبرى عن محمد ابن حميد الرازى عن أبى مجاهد عن محمد بن اسحق ابن ابى نجيح قال لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد فلما فرغ انصرف معاوية الى دار الندوة فأجلسه معه على سريره ووقع معاوية فى على وشرع فى سبه فزحف سعد ثم قال أجلستنى معك على سريرك ثم شرعت فى سب على والله لأن يكون فى خصلة واحدة من خصال كانت لعلى أحب الى من ان يكون لى ما طلعت عليه الشمس والله لأن أكون صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم لى من الولد ما لعلى احب الى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس

اقنع

اقنع بحظك في دنياك ما كانا * وعز نفسك ان فارقت أوطانا
في الله من كل مفقود مضى عوض * فأشعر القلب سلوانا وايمانا
أكلما سنحت ذكرى طربت لها * مجت دموعك في خديك طوفانا
أما سمعت بسلطان شبيهك قد * بزته سود خطوب الدهر سلطانا
وطن على الكره وارقب اثره فرجا * واستغنم الله تغنم منه غفرانا

وقال أبو عامر البرياني في الصنم الذي بشاطبة

بقية من بقايا الروم معجبة * أبدى الثبات بها من علمهم حكما
لم أدر ما أضمروا فيه سوى أمم * تتابعت بعد ما سموه لنا صنما
كالمبرد الفرد ما أخطا مشبهه * حقا لقد برد الايام والامما
كانه واعظ طال الوقوف به * مما يحدث عن عاد وعن ارما
فانظر الى حجر صلد يكلمنا * أسمى وأوعظ من قس لمن فهما

قيل لو قال مكان حكما علما لاحسن * وقال السميسر

اذا شئت ابقاء أحوالكا * فلا تحرجاها على بالكا
وكن كالطريق لجتازها * يمروا نت على حالكا

وقال

هن اذا ما نلت حظا * فاخو العقل يهون
فتى حطك دهر * فكما كنت تكون

وقال أبو الربيع بن سالم الكلاعي أنشدني أبو محمد الشلبي أنشدني أبو بكر بن مخل لنفسه

مضت لي ست بعد سبعين حجة * ولي حركات بعدها وسكون
فياليت شعري أين أو كيف أومتى * يكون الذي لابد أن سيكون

وقال أبو محمد عبد الحق الاشبيلي

لا يخدعنك عن دين الهدى نفر * لم يرزقوا في التماس الحق تأييدا
عمي القلوب عروا عن كل فائدة * لأنهم كفروا بالله تقليدا

وقال أبو محمد بن صارة

بنو الدنيا بجهل عظموها * فعزت عندهم وهي الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

وقال

اسعد بمالك في الحياة ولا تكن * تبقى عليه حذار فقر حادث
فالبخل بين الحادثين وانما * مال البخيل لحادث أو وارث

ودخل أبو محمد الطائي القرطبي على القاضي أبي الوليد بن رشد فأنشده ارتجالا

قد قام لي السيد الهمام * قاضي قضاة الورى الامام
فقلت قم بي ولا تقم لي * فقلما يؤكل القيام

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم

لا تلمني لان سبقت لحظ * فات ادراكه ذوي الالباب
يسبق الكلب وثبة الليث في العد * وو يعلو النخال فوق اللباب

ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار يفتح الله على يديه احب الي من ان يكون لي ما طلعت عليه الشمس والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما قال له في غزوة تبوك الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبي بعدي احب الي من ان يكون لي ما طلعت عليه الشمس وايم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت ونهض (ووجدت) في وجه آخر من الروايات وذلك في كتاب علي بن محمد بن سليمان النوفلي في الاخبار عن ابن عائشة وغيره أن سعدا لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له اقعد حتى تسمع جواب ما قلت ما كنت عندي قط الأم منك الآن فهلا نصرته ولم قعدت عن بيعته فاني لو سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم مثل الذي سمعت فيه لكنت خادما لعلي ما عشت فقال سعد والله اني لاحق بموضعك منك فقال معاوية يأبى عليك بنو عذرة وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة قال النوفلي وفي ذلك يقول

من كان اقدمها اسلاما وأكثرها * علما وأطهرها أهلا وأولادا من وحد الله اذ كانت مكذبة * تدعو مع الله أوثانا وأندادا

وقال أبو عبد الله الجبلى الطبيب القرطبى

اشدد يديك على كلب ظفرت به * ولا تدعه فان الناس قد ماتوا

قلت تذكرت بهذا قول الآخر

اشدد يديك بكلب ان ظفرت به * فأكثر الناس قد صاروا اخنازيرا

وقال محمد بن عبد الله الحضرمى مولى بنى أمية

عاشر الناس بالجميل وسدد وقارب
واحترس من أذى الكرا * م وجد بالمواهب
لا يسود الجميع من * لم يقم بالنوائب
و يحوط الاذى و ير * عى ذمام الاقارب
لا تواصل الا الشر * يف الكريم المناصب
من له خير شاهد * وله خير غائب
واجتنب وصل كل وغد دنىء المكاسب

وقال الكاتب الحافظ أبو عبد الله بن الابار

لله نهر كالحباب * ترقيشه سامى الحباب
يصف السماء صفاوة * فحصاه ليس بذى احتجاب
وكأنما هو رقة * من خالص الذهب المذاب
غارت على شطيه أبكار المنى عصر الشباب
والطل يبدو فوقه * كالخال فى خد الكعاب
لا بل أدار عليه خو * ف الشمس منه كالنقاب
مثل المجرة جر فيها ذيله جون السحاب

وقال

شتى محاسنه فمن زهر على * نهر تسلسل كالحباب تسلسلا
غربت به شمس الظهيرة لا تنى * احراق صفحته لهيبا مشعلا
حتى كساه الدوح من أفنانه * بردا يعز فى الاصيل مسلسلا
وكأنما لمع الظلال بمتنه * قطع الدماء جمدن حين تحللا

وقال يمدح المستنصر صاحب افريقية

ان البشائر كلها جمعت * للدين والدنيا وللأمم
فى نعمتين جسيمتين هما * برء الامام و بيعة الحرم

قال ابن الابار واخبرنى بعض اصحابنا يعنى اباعمرو بن عبد الغنى انه انشدهما الخليفة فسبقه الى عجز البيت الثانى فقلت له على البديهة

نظر لشعرى على الاشعار يحفظه * خليفة الله كان الله حافظه

واشار بقوله بيعة الحرم الى ما ذكره ابن خلدون وغير واحد من المؤرخين ان اهل مكة خطبوا للمستنصر صاحب تونس بعرفة وكتبوا له بيعة من انشاء ابن سبعين المتصوف وقد ذكر ابن خلدون نص البيعة فى ترجمة المستنصر فليراجعها من ارادها * وقال ابن الابار

من كان يقدم فى الهيجاء ان نكلوا
عنها وان بخلوا فى أزمة جادا
من كان أعدلها حكما وأقسطها
حلما وأصدقها وعدا وايعادا
ان يصدقوك فلم يعدوا أبا حسن
ان أنت لم تلق للابرار حسادا
ان أنت لم تلق من تيم أخا صلف
ومن عدى لحق الله جحادا
أو من بنى عامر أو من بنى أسد
رهط العبيد ذوى جهل وأوغادا
أو رهط سعد وسعد كان قد علموا
عن مستقيم صراط الله صدادا
قوم تداعوا زنيما ثم سادهم
لولا خمول بنى زهر لما سادا
وكان سعد واسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن سلمة ممن قعد عن على بن أبى طالب وأبوا أن يبايعوه هم وغيرهم ممن ذكرنا من القعاد عن بيعته وذلك انهم قالوا انها فتنة ومنهم من قال لعلى أعطنا سيوفا نقاتل بها معك فاذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم ونبت عن أجسامهم واذا

ألا

ألا اسمع في الامير مقال صدق * وخذه عن امرئ خدم الاميرا
متى يكتب تردوش لا اجاجا * وان يركب تردعذبا غيرا

وقال مجيبا للتجاني

أيها الصاحب الصفي مباح * لك عني فيما نصصت الروايه
ان عناني اسعاف قصدك فيها * فلكم لم تزل بها ذا عنايه
ولها شرطها فحافظ عليه * ثم كافئ وصيتي بالكفايه
وتحام الاخلال جهدك لاقيت من الله عصمة وحمايه

ونص استدعاء التجاني

ان رأى سيدي الذي حاز في العلم مع الحلم والعلا كل غايه
وحوى المجد عن جدود كرام * كلهم في السماح والفضل آيه
أن أرى عنه بالاجازة أروي * كل ما فيه لي تصح الروايه
من حديث وكل نظم ونثر * وفنون له بهن درايه
فله في ذاك الثواب من الله ومنا الثناء دون نهايه
دام في رفعة وعز وسعد * وأمان ومكنة وحمايه
ما تولى جيش الظلام هزيما * وعلت للصباح في الافق رايه

ولابن الابار ترجمة واسعة ذكرتها في أزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض فلتراجع فيه * وأما التجاني أبو عبد الله هذا المذكور فقد وصفه قريبه أبو الفضل محمد حفيد عمه في كتابه الحلي التيجانيه قال ابن رشيد وجمعه باسمنا حفظه الله تعالى وشكره وقال في موضع آخر انه باسمه واسم صاحبه الوزير ابن الحكيم رحمهما الله تعالى انتهى * وقال ابن مفوز أبو الحسين

اذا عرتك عيلة * يعجز عنها ما تجد
فلتقتصد فانه * ما عال قط مقتصد

وقال حاز دنياه كلها * محرزا أكبر المنن
من حوى قوت يومه * آمنا سالم البدن

وقال أعن أخاك في الذي * يأمله ويرتجيه
فالله في عون الفتى * ما كان في عون أخيه

وقال أنفس ما أودعته * قلبك ذكرى موقظه
وخير ما أتلفته * مال أفاد موعظه

وقال أبو البركات القميحي أنشدنا أبو العباس بن مكنون وقد رأى اهتزاز الثمار وتمايلها مرتجلا

حارت عقول الناس في ابداعها * ألسكرها أم شكرها تتأود
فيقول ارباب البطالة تنثني * ويقول ارباب الحقيقة تسجد

قال الشيخ أبو البركات القميحي قلت لابن مكنون ما الذي يدل على انهما في وصف الثمار فقال وطيء أنت لهما فقلت

ضر بنابها الكافرين نمرت في أبدانهم فاعرض عنهم علي وقال ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من الاخبار بين ان الامر لما أفضى الى معاوية أتاه أبو الطفيل الكناني فقال له كيف وجدك على خليلك أبي الحسن قال كوجد أم موسى على موسى وأشكو الى الله التقصير فقال معاوية أكنت فيمن حضر قتل عثمان قال لا ولكني فيمن حضر فلم ينصره قال فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة قال منعني ما منعك اذ تربص به ريب المنون وأنت بالشام قال أوما ترى طلبي بدمه نصرة له قال بلى ولكنك واياه كما قال الجعدي

لا الفينك بعد الموت تندبني
وفي حياتي ما زودتني زادا

ودخل على معاويه ضرار ابن الخطاب فقال له كيف حزنك على أبي الحسن قال حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها (ومما جرى) بين معاوية وبين قيس بن سعد بن عبادة حين كان عاملا على مصر فكتب اليه معاوية أما بعد فانك يهودي ابن يهودي وان ظفر أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان ظفر أبغضهما اليك

يامن أتى متنزهاً في روضة * أزهارها من حسنها تتوقد
انظر الى الاشجار في دوحاتها * والريح تنسف والطيور تغرد
فترى الغصون تمايلت أطرافها * وترى الطيور على الغصون تعربد

قال ابن رشيد غلط المذكور في نسبته البيتين لابن مكنون وانما هما لابي زيد الفازازي من قصيدة أولها

نعم الاله بشكره تتقيد * فالله يشكر في النوال ويحمد
مدت اليه أكفنا محتاجة * فأنالها من جوده ما تعهد

والبيتان في أثنائها غير أن أولهما في ديوانه هكذا تاهت عقول الناس في حركاتها انتهى ورأيت في روضة التعريف للسان الدين بعدهما بيتاً ثالثاً وهو

واذا أردت الجمع بينهما فقل * في شكر خالقها تقوم وتقعد انتهى

وحكى أن حافظ الاندلس امام الادباء ورئيس المؤلفين حسنة الزمان نادرة الاحسان أبا محمد عبد الله بن ابراهيم الصنهاجي الحجاري صاحب كتاب المسهب كان سبب اتصاله بعبد الملك بن سعيد جد علي بن موسى صاحب المغرب أنه وفد عليه في قلعته فلما وقف ببابه وهو بزي بداوة ازدراه البوابون فقال لهم استأذنوا الى على القائد فضحكوا به وقالوا الله ما كان وجد القائد من يدخل عليه في هذه الساعة الا أنت فمد يده الى دواة في خرامه وسحاءة وكتب بها بباب القائد الاعلى لازال آهلاً بأهل الفضيلة رجل وفد عليه من شلب بقصيدة مطلعها عليك أحالني الذكر الجميل فان رأى سيدي أن يحجب من بلده شلب ومن قصيده هذا فهو أعلم بما يأتي ويذر ولا عتب على القدر ورغب الى احد غلمانه فأوصل الورقة فلما وقف عليها القائد قال من شلب بلده وهذا مطلع قصيدته ما لهذا الاشأن ولعله الوزير ابن عمار وقد نشر الى الدنيا عجلوا بالاذن له فأذن له فدخل وبقي واقفاً لم يسلم ولا كلم احداً فاستثقله الحاضرون واستبردوا مقصده ونسبوه للجهل وسوء الادب فقال له احدهم مالك لا تسلم على القائد وتدخل مداخل الادباء والشعراء فقال حتى أخجل جميعكم قدر ما أخجلتموني على الباب مع أقوام أنذال وأعلم أيضاً من هو الكثير الفضول من أصحاب القائد أعزه الله تعالى فأكون أتقيه ان قدر لي خدمته فقال له عبد الملك أتأخذنا بما فعل السفهاء منا قال لا والله بل أغفر لك ذنوب الدهر أجمع وانما هي أسباب تقصدها المحاور بها مثلك اعزك الله تعالى وتمكن التأنيس وتحل قيد الهيبة ثم انشد من راسه ولا ورقة في يده

عليك احالني الذكر الجميل * فصح العزم واقتصر الرحيل
وودعت الحبيب بغير صبر * ولم اسمع لما قال العذول
واسبلت الظلام على ستراً * ونجم الافق ناظره كليل
ولم اشك المعير وقد دعاني * الى ارجائك الظل الظليل

وهي طويلة فأكرمه وقربه رحم الله تعالى الجميع * واهديت للمعتمد بن عباد شمعة فقال في وصفها ابو القاسم بن مرزقان الاشبيلي وهو ممن قتل في فتنة المعتمد

مدينة في شمعة صورت * قامت حماة فوق اسوارها

وما

وادركه يومه ثم مات بحوران طريداً فكتب اليه قيس بن سعد اما بعد فانما انت وثني ابن وثني دخلت في الاسلام كرهاً وخرجت منه طوعاً لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك وقد كان أبي أوتر قوسه ورمى غرضه فشغب به من لم يبلغ عقبه ولا شق غباره ونحن انصار الدين الذي منه خرجت واعداء الدين الذي فيه دخلت (ودخل) قيس بن سعد بعد وفاة علي ووقوع الصلح في جماعة من الانصار على معاوية فقال لهم معاوية يا معشر الانصار بم تطلبون ما قبلي فوالله لقد كنتم قليلاً معي كثيراً علي ولفللتم حدي يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى في أسنتكم وهجوتموني في أسلافي بأشد من وقع الاسنة حتى اذا أقام الله ما حاولتم ميله قلتم ارع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم هيهات يأبى الحقير الغدرة فقال قيس نطلب ما قبلك بالاسلام الكافي به الله لا بما تمت به اليك الاحزاب وأما عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك وأما هجاؤنا اياك فقول يزول باطله ويثبت حقه وأما استقامة الامر

وماراينا قبلها روضة * تتقد النار بنوارها
تصير الليل نهارا اذا * ما اقبلت ترفل فى نارها
كأنها بعض الايادى التى * تحت الدجى تسرى بأنوارها
من ملك معتمد ماجد * بلاده أوطان زوارها

وقال أبو الاصبغ بن رشيد الاشبيلى لما هطلت باشبيلية سحابة بقطر أحمر يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة

لقد آن للناس أن يقلعوا * ويمشوا على السنن الاقوم
متى عهد الغيث يا غافلا * كلون العقيق أو العندم
اظنّ الغمائم فى جوها * بكت رحمة للورى بالدم

وفيها ايضا
لا تكن دائم الكآبة عما * قد غدا فى الثرى غيرا نجيعا
لطم البرق صفحة المزن حتى * سال منه على الرياض نجيعا

وله فى دولاب

ومجنون اذا دارت سمعت لها * صوتا أجش وطل الماء ينهمل
كأن أقداسها ركب اذا سمعوا * منها حداء بكوا البين وارتحلوا

وله فيمن اسمه مالك

غزالى الجفون شقيق بدر * تبسم عن عقيق فوق در
له نفحات مسك أى مسك * له نفثات سحر أى سحر
شكوت له الهوى والهجر منه * فقال عليك باسمى سوف تدرى
تعلمت القساوة من سميى * وأحرقت القلوب بنار هجرى

وقال ابو بكر بن حجاج الغافقى فى موسى وسيم اشبيلية الذى كان شعراؤها يتغزلون فيه

من مبلغ موسى المليح رسالة * بعثت له من كافرى عشاقه
ما كان خلق راغبا عن دينه * لو لم تكن توراته من ساقه

وقال
ان الزويلى فتى شاعر * قد اعجب العالم من نظمه
وانت يا موسى قد اخترته * واختار موسى قبل من قومه

وقال
على معاذ قرون لو يعاينها * فرعون ما قال اوقد لى على الطين
قالت له عرسه اذ جاء ينكحها * ماذا دهيت به من كل عنين
هلا استعنت بعمون فقال لها * انى استعنت على نفسى بعمون

وقال ابو وهب عبد الرؤف النحوى وكان له حظ فى قرض الشعر وكان سقاطا

ليس لمن ليست له لحية * باس اذا حصلته لبسا
وصاحب اللحية مستقبح * يشبه فى طاعته التيسا
ان هبت الريح تلاهت به * وماست الريح به ميسا

وقال ابو عبد الله محمد بن يحيى القلفاط

يا غزالا عن لى فابتز قلبى ثم ولى

فعلى كره كان منا واما فتلنا احدك يوم صفين فانا كنا مع رجل نرى طاعته لله طاعة واما وصية رسول الله بنا فمن آمن به رعاها بعده وأما قولك يا ابن الحقير الغدرة فليس دون الله يد تحجزك منا يامعاوية فقال معاوية يموّه ارفعوا حوائجكم وقد كان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل الى على بالموضع العظيم وبلغ من خوفه الله وطاعته اياه انه كان يصلى فلما أهوى للسجود اذا فى موضع سجوده ثعبان عظيم مطرق فمال عن الثعبان برأسه وسجد الى جانبه فتطوق الثعبان برقبته فلم يقصر من صلاته ولا نقص منها شيأ حتى فرغ ثم أخذ الثعبان فرمى به كذلك ذكر الحسن بن على بن عبد الله بن المغيرة عن معمر ابن خلاد عن أبى الحسن على بن موسى الرضا وقال عمرو بن العاص لمعاوية ذات يوم قد أعيانى ان أعلم أجبان أنت أم شجاع لانى أراك تتقدم حتى أقول أراد القتال ثم تتأخر حتى أقول أراد الفرار فقال له معاوية والله ما أتقدم حتى أرى التقدم غنما ولا أتأخر حتى أرى التأخر حزما كما قال القطامى

شجاع اذا ما امكنتنى فرصة * والا تكن لى فرصة فجبان

(وذكر أبو مخنف) لوط بن يحيى عن أبى الاغر التميمى

انت مني بفؤادي * يا منى نفسى اولى

وقال احمد بن المبارك الحبيبي فى الناصر قبل ان يلى عهد جده

يا عابد الرحمن فقت الورى * بهذه العليا وهذا الكرم
ما جعل الله الندى فى امرئ * الا وقد جنبه كل ذم

واستدعى الوزير عبيد الله بن ادريس أبا بكر أحمد بن عثمان المروانى ونادمه ليلة فلما قرب الصباح قال له أين ما يحدث عنك من حسن الشعر فهذا موضعه فقال الدواة والقرطاس فأمر له باحضارهما فجعل يفكر ويكتب الى أن أنشده هذه الابيات

بتنا ندامى صفاء يستحث لنا * فى جامد الفضة التبر الذى سبكا
كل مصيخ الى ما قال صاحبه * ولا يبالى أصدقا قال أم افكا
موقرون خفاف عند شربهم * ولا يخافون فيما أحدثوا دركا
لا تعدمن اذا أبصرتهم فرحا * اما ترى الصبح من بشرهم ضحكا

وقال أبو محمد عبد الله المروانى فى الخيرى

عجبت من الخيرى يكتم عرفه * نهارا ويسرى بالظلام فيعرب
فتجنى عروس الطيب منه يد الدجا * ويبدو له وجه الصباح فيحجب

وقال ابراهيم بن ادريس العلوى

للبين فى تعذيب نفسى مذهب * ولنائبات الدهر عندى مطلب
أمادون الحادثات فانها * تأتى لوقت صادق لا يكذب

وخرج الاديب النحوى هذيل الاشبيلى يوما من مجلسه فنظر الى سائل عارى الجسم وهو يرعد ويصيح الجوع والبرد فأخذ بيده ونقله الى موضع بلغته الشمس وقال له صح الجوع فقد كفاك الله مؤنة البرد* ومر المعتمد بن عباد ليلة مع وزيره ابن عمار بباب شيخ كثير التندير والتهكم يمزج ذلك بانحراف ويضحك الثكلى فقال لابن عمار تعال نضرب على هذا الشيخ الساقط بابه حتى نضحك معه فضربا عليه الباب فقال من هذا فقال ابن عباد انسان يرغب أن تقد له هذه الفتيلة فقال والله لو ضرب ابن عباد بابى فى هذا الوقت ما فتحته له فقال فانى ابن عباد فقال مصفوع ألف صفعة فضحك ابن عباد حتى سقط الى الارض وقال لوزيره امض بنا قبل أن يتعدى الصفع من القول الى الفعل فهذا شيخ ركيك ولما كان من غد تلك الليلة وجه له ألف درهم وقال لموصلها قل له هذه حق الالف صفعة التى كانت البارحة* وكان فى زمان المعتمد السارق المشهور بالبازى الاشهب وكان له فى السرقة كل غريبة وكان مسلطا على أهل البادية وبلغ من سرقته أنه سرق وهو مصلوب لان ابن عباد أمر بصلبه على ممر أهل البادية لينظروا اليه فبينما هو على خشبته على تلك الحال اذ جاءت اليه زوجته وبناته وجعلن يبكين حوله ويقلن لمن تتركنا نضيع بعدك واذا ببدوى على بغل وتحته حمل ثياب وأسباب فصاح عليه يا سيدى انظر فى أى حالة أنا ولى عندك حاجة فيها فائدة لى ولك قال وما هى قال انظر الى تلك البئر لما أرهقنى الشرط رميت فيها مائة دينار فعسى تحتال فى اخراجها وهذه زوجتى وبناتى يمسكن بغلك خلال ما تخرجها فعمد البدوى الى حبل

قال بينما انا واقف بصفين اذ مر العباس بن ربيعة مغفرا بالسلاح وعيناه يبصان من تحت المغفر كانهما شعلتا نار أو عينا ارقم وبيده صفيحة له يمانية يقلبها والمنايا تلوح فى شفرتها وهو على فرس صعب فبينا هو يبعثه ويمنعه ويلين من عريكته اذ هتف به هاتف يقال له غرار بن أدهم من أهل الشام يا عباس هلم الى النزال قال فالنزول اذا فانه اياس من الحياة فنزل اليه الشامى وهو يقول

ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا
أو تنزلون فانا معشر نزل

وثنى العباس وركه وهو يقول

الله يعلم أنا لا نحبكم
ولا نلومكم أن لا تحبونا

ثم عصر فضلات درعه فى محزمه بريد منطقته ودفع فرسه الى غلام له أسود كانى والله انظر فلافل شعره ثم زحف كل واحد منهما الى صاحبه وكف الفريقان اعنة الخيول ينظرون ما يكون من الرجلين فتكافحا بسيفيهما مليا نهارهما لا يصل واحد منهما الى صاحبه لكمال لامته الى ان لحظ العباس وهنا فى درع الشامى فاهوى اليه بيده وهتكه الى ثندوته ثم عاد لمجاولته وقد أفرج له مفتق الدرع فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانح صدره فخر الشامى لوجهه فكبر الناس ودلى

ودلى نفسه فى البئر بعدما اتفق معه على أن يأخذ النصف منه فلما حصل فى أسفل البئر قطعت زوجة السارق الحبل وبقى حائرا يصيح وأخذت ما كان على البغل مع بناتها وفرت به وكان ذلك فى شدة حر وما سبب الله شخصا يغيثه الا وقد غبن عن العين وخلص فتحيل ذلك الشخص مع غيره على اخراجه وسألوه عن حاله فقال هذا الفاعل الصانع احتال على حتى مضت زوجته وبناته بثيابى وأسبابى ورفعت هذه القصة الى ابن عباد فتعجب منها وأمر باحضار البازى الاشهب وقال له كيف فعلت هذا مع انك فى قبضة الهلكة فقال له ياسيدى لو علمت قدر لذتى فى السرقة خليت ملكك واشتغلت بها فلعنه وضحك منه ثم قال له ان سرحتك واحسنت اليك وأجريت عليك رزقا تقلك أتتوب من هذه الصنعة الذميمة فقال يامولاى كيف لا أقبل التوبة وهى التى تخلصنى من القتل فعاهده وقدمه على رجال أنجاد وصار من جملة حراس أحواز المدينة * ويحكى ان منصور بنى عبد المؤمن لما أراد بناء صومعة اشبيلية العظيمة القدر احضر لها العرفاء والصناع من مظانهم فعرف بشيخ مغفل صحيح المذهب عارف بالبناء الذى يجهله كثير من الصناع فأحضر فقال له المنصور كم تقدر ان ينفق على هذه الصومعة فضحك وقال ياسيدى البنيان اغباه ومثل ذكر ليس يقدر حتى يقوم فكاد المنصور يفتضح من الضحك وصرف وجهه عنه وبقيت حكايته يضحك عليها زمانا * وكان احمد المقرينى المعروف بالكساد شاعرا وشاحا زجالا اشبيليا وقال فى موسى الذى تغزل فيه ابن سهل

ما لموسى قد خر لله لما * فاض نور أغشاه ضوء سناه
وأنا قد صعقت من نور موسى * لا أطيق الوقوف حين أراه

وقال فى رثائه

فر الى الجنة حوريها * وارتفع الحسن من الارض
وأصبح العشاق فى مأتم * بعضهم يبكى على بعض

وقال فيه

هتف الناعى بشجو الابد * اذ نعى موسى بن عبد الصمد
ما عليهم وحدهم لو دفنوا * فى فؤادى قطعة من كبدى

ولابن سهل الاسرائيلى فى موسى هذا ما هو مثبت فى ديوانه * وكان محمد بن أحمد بن ابى بكر القرموطى المرسى من أعرف اهل الاندلس بالعلوم القديمة المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب فيلسوفا طبيبا ماهرا آية الله فى المعرفة بالاندلس يقرى الامم بألسنتهم فنونهم التى يرغبون فيها وفى تعلمها ولما تغلب طاغية الروم على مرسية عرف له حقه فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود وقال له يوما وقد ادنى منزلته لو تنصرت وحصلت الكمال كان لك عندى كذا وكنت كذا فأجابه بما اقنعه ولما خرج من عنده قال لاصحابه انا عمرى كله أعبد الها واحدا وقد عجزت عما يجب له فكيف حالى لو كنت اعبد ثلاثة كما طلب الملك منى انتهى * وقال ابو عبد الله محمد بن سالم القيسى الغرناطى يخاطب السلطان على ألسنة اصحابه الاطباء الذين ببابه موريا باسمائهم

قد جمعنا ببابكم سطر علم * لبلوغ المنى ونيل الاراده
ومن اسمائنا لكم حسن فال * سالم ثم غالب وسعاده

ورائى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين الآية فالتفت فاذا بعلى رضى الله عنه فقال ياابن الاغر من المبارز لعدوّنا قلت ابن اخيكم العباس بن ربيعة قال وانه لهو العباس قلت نعم فقال ياعباس ألم أنهك وعبد الله ابن عباس ان تخلا بمركزا وتبارزا أحدا قال ان ذلك كما قلت قال على فاعدا فيما بدا قال أفادعى الى البراز فلا اجيب قال طاعة أمامك أولى بك من اجابة عدوك وتغيظ واستطار ثم تطامن وسكن ورفع يديه مبتهلا فقال اللهم اشكر للعباس مقامه واغفر ذنبه اللهم انى قد غفرت له فاغفر له وتأسف معاوية على غرار بن أدهم وقال متى ينطف فحل بمثله ايطل دمه لاها الله الا رجل يشرى نفسه يطلب بدم غرار فانتدب له رجلان من لخم من اهل الباس ومن صناديد الشأم فقال اذهبا فايكما قتل العباس فله مائة أوقية من التبر ومثلها من اللجين وبعددهما من برود اليمن فأتياه فدعواه الى البراز وصاحا بين الصفين يا عباس يا عباس ابرز الى الداعى فقال ان لى سيدا أريد ان أوامره فاتى عليا وهو

وقال ابو عبد الله بن عمر الاشبيلي الخطيب

وكل الى طبعه عائد * وان صده المنع عن قصده
كذا الماء من بعد اسخانه * يعود سريعا الى برده

وقال الكاتب ابو زيد عبد الرحمن العثماني لما تغير حاله باشبيلية

لا تسلني عن حالتي فهي هذي * مثل حالي لا كنت يا من يراني
ملني الاهل والاخلاء لما * ان جفاني بعد الوصال زماني
فاعتبر بي ولا يغرك دهر * ليس منه ذو غبطة في امان

ودخل الاديب النحوي ابو عمران موسى الطبراني الى بعض الاكابر يوم نيروز وعادتهم ان يصنعوا في مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور مستحسنة فنظر الى مدينة اعجبته فقال له صاحب المجلس صفها وخذها فقال

مدينة مسوره * تحار فيها المهره
لم تبتذلها الايدا * عذراء او مخدره
بدت عروسا تجتلي * من درمك مزعفره
وما لها مفاتح * الا البنان العشره

ورفع الى القائد أبي السمر وصاحب ديوان سبتة قصيدة يعرض له فيها بزاد وقد عزم على سفر فأنعم عليه بذلك ثم أتبعه بتحف مما يكون في الديوان مما يجلبه الافرنج الى سبتة ولم يكن التمس منه ذلك ولا خطر بخاطره فكتب اليه

أيا سابقا بالذي لم يجل * بفكري ولم يبد لي في خطاب
ويا غائصا في بحار الندى * ويا فاتحا للعلا كل باب
كذا فلتكن نعم الاكرمين * تفاجي بنيل المنى والطلاب
ولم أر أعظم من نعمة * أتتني ولم تك لي في حساب
سأشكرها شكر عهد الرضى * وأذكرها ذكر غض الشباب

وكتب مجاهد صاحب دانية الى المنصور بن أبي عامر الاصغر ملك بلنسية رقعة ولم يضمنها غير بيت الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فأحرجت المنصور وأقامته وأقعدته فأحضر وزيره أبا عامر بن التاكرني فكتب عنه

شتمت مواليها عبيد نزار * شيم العبيد شتيمة الاحرار

فسلا المنصور عما كان فيه * ومن شعر المذكور في المنصور

انهض على اسمك انه منصور * وارم العدو فانه مقهور
ولو اغتنيت عن النهوض كفيتهم * فبذكر بأسك كلهم مذعور
ولتبلغن مدى مرادك فيهم * ويكون يوم في العدا مشهور

وقال له المنصور يوما والله لقد سئمت من هؤلاء الجند ووددت الراحة منهم فقال له يصبر مولاي فلا بد من السآمة فهي على حالتين اما من يكون أمرك اليه أو يكون أمره اليك والحمد لله

الذي

في بطنه اطفاء لنور الله (ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) اما والله ليملكنكم منا رجال ورجال يسومونهم سوم الخسف حتى تعفو الآثار ثم قال ياعباس ناقلني سلاحك بسلاحي فناقله ووثب على فرس العباس وقصد اللخميين فلم يشكا انه العباس فقالا له أذن لك صاحبك فتحرج ان يقول نعم فقال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) وكان العباس أشبه الناس في جسمه وركوبه بعلي فبرزله احدهما فما أخطاه ثم برزله الآخر فالحقه بالاول ثم أقبل وهو يقول (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ثم قال ياعباس خذ سلاحك وهات سلاحي فان عادلك احد فعد لي ونما الخبر الى معاوية فقال قبح الله اللجاج انه لعقور ما ركبته قط الا خذلت فقال عمرو ابن العاص المخذول والله اللخميان والمغرور من غررته لا أنت المخذول قال اسكت ايها الرجل فليس هذا من شانك قال وان لم يكن رحم الله اللخميين ولا أراه يفعل قال ذلك والله أضيق لحجتك وأخسر

الذى رفعه عن الحالة الاولى وقال بعض الهجائين فى رندة

قبحاً لرندة مثل ما * قبحت مطالعة الذنوب
بلد عليه وحشة * ما ان يفارقه القطوب
ما حلها أحد فينوى بعد بين أن يؤب
لم آتها عند الضحى * الا وخيل لى الغروب
أفق أغم وساحة * تملا القلوب من الكروب

وقال جلاص الشاعر الرندى

لا تفرحن بولاية سوغتها * فالثور يعلف أشهرا كى يذبحا

وله فى بعض رؤساء الملثمين من قصيدة

ولو لم تكن كالبدر نوراً ورفعة * لما كنت غراً بالسحاب ملثما
وما ذاك الا للنوال علامة * كذا القطر مهما لثم الافق انهمى

فاهتز الملثم وأعجبه وأمر له بكسوة وذهب * ولما ذكر أبو بكر بن عمر الرندى فى مجلس بعض الرؤساء بحضرة أبى الحسن على بن سعيد وأطنب فى الثناء عليه وعمر المجلس بشكره وأخبر بذلك أطرق ساعة ثم قال

لا تذكرن ما غاب عنى من ثنا * أطنبت فيه فليس ذلك يجهل
فتى حضرت بمجلس وجرى به * خبرى فان الذكر فيه يجمل

ولما نفى بنو ذى النون أرقم من نسبهم لانه كان ابن أمة مهينة واقعها أبو الظافر فى حال سكره ولم يكن فيهم من يتظم ويتولع بالادب غيره وولى ابنه يحيى وكان أحسد من طلعت عليه الشمس قال على أرقم بالاذاية حتى فر عن مملكته وقال مرتجلا

لئن طبتم نفسا بتركى دياركم * فنفسى عنكم بالتفرق أطيب
اذا لم يكن لى جانب فى دياركم * فما العذر لى أن لا يكون تجنب
زعمتم بأنى لست فرعا لاصلكم * فهلا علمتم أنى عنه أرغب
وحسبى اذا ما البيض لم ترع نسبة * بأنى الى سيفى ورمحى أنسب
وان مدت الايام عمرى للعلا * يشرق ذكرى فى الورى ويغرب

وكتب الوزير الكاتب أبو محمد بن سفيان الى أبى أمية بن عصام قاضى القضاة بشرق الاندلس عين زمانه فوقعت نقطة على العين فتوهمها وظن انه أبهمها واعتقدها وعددها وانتقدها فقال

لا تلزمى ما جنته براعة * طمست بريقتها عيون ثناء
حقدت على لزامها فتحولت * أفعى تمج سمامها بسحاء
غدر الزمان وأهله عرف ولم * أسمع بغدر براعة واباء

وشرب المأمون بن ذى النون مع أبى بكر محمد بن أرفع رأسه الطليطلى وحفل من رؤساء ندمائه كابن لبون وابن سفيان وابن الفرج وابن المثنى حسبما تقدم ذكره فى ملوك الطوائف فى ذلك العصر فقال كل واحد ما عنده بحسب غرضه فقال ابن أرفع رأسه ارتجالا

بن أبى طالب على الحق وانا على ضده فقال معاوية مصر والله أعمتك ولولا مصر لالفيتك بصيرا ثم ضحك معاوية ضحكا ذهب به كل مذهب قال مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك قال أضحك من حضور ذهنك يوم بارزت عليا وابدائك سوأتك اما والله يا عمرو لقد واقعت المنايا ورأيت الموت عيانا ولو شاء لقتلك ولكن أبى ابن أبى طالب فى قتلك الا تكرما فقال عمرو اما والله انى لعن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت عيناك وبدا سحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك من نفسك فاضحك أودع (وذكر أبو مخنف) لوط ابن يحيى ان معاوية برز فى بعض أيام صفين أمام الناس وكر على ميسرة على وكان على فيها فى ذلك الوقت يعبى الناس فغير على لأمته وجواده وخرج بلأمة بعض أصحابه وصمد له معاوية فلما تدانيا انتبه معاوية فغمز برجليه على جواده وعلى وراءه حتى فاته ودخل فى مصاف أهل الشام فاصاب على رجلا من مصافهم دونه ثم رجع وهو يقول يا لهف نفسى فاتنى معاويه * فوق طمر كالعقاب الضاريه

دعوا الملوك وأبناء الملوك فمن * أضحى على البحر لم يشتق الى نهر
ما في البسيطة كالمأمون ذو كرم * فانظر لتصديق ما سمعت من خبر
يا واحدا ما على علياه مختلف * منجاد كفك لم نحتج الى المطر
وقد طلعت لنا شمسا فانظرت * عين الى كوكب يهدى ولا قمر
وقد بدوت لنا وسطى ملوكهم * فلم تعرج على شذر ولا درر

فداخل ابن ذى النون من الارتياح ما ليس عليه مزيد وأمر له باحسان جزيل عتيد وقال أبو أحمد عبد المؤمن الطليطلى

رأيت حياتى قادحا فى معيشتى * و يصعب تركى للحياء ويقبح
وقد فسد الناس الذين عهدتهم * وقد طال تأنيبى لمن ليس يصلح

وله
ولما غدوا بالغيد فوق جمالهم * طفقت أنادى لا أطيق بهم همسا
عسى عيس من أهوى تجود بوقفة * ولو كوقوف العين لاحظت الشمسا

وقال الزاهد ابو محمد عبد الله بن الغسال

أعندكم علم بأنى متيم * والا فما بال المدامع تسجم
وما بال عينى لا تغمض ساعة * كانى فى رعى الدرارى منجم

وكان الوزير أبو جعفر الوقشى تياها معجبا بنفسه ومن شعره فى غرضه الفاسد

اذا لم أعظم قدر نفسى واننى * عليم بما حازته من عظم القدر
فغيرى معذور اذا لم يبرنى * ولا يكبر الانسان شئ سوى الكبر

وله
يرومون بى غير المكان الذى له * خلقت و بعضى منكر ذاك من بعضى
فقولوا البدر الافق يترك سماءه * ويحتل من اجل التواضع فى الارض

وقال
تكبر وان كنت الصغير تظاهرا * وباعد اخاصدق متى ما اشتهى قربا
وكن تابعا للدهر فى حفظ أمره * الست تراه عندما يصعر الكلبا

وقال له بعض ندماء ملكه يوما صاحب جيان بن همشك يا ابا جعفر انت جملة محاسن وفيك الادوات العلية التى هى اهل لكل فضيلة غير انك قد قدحت فى ذلك كله بكثرة عجبك واذا مشيت على الارض تشمئز منها فقال له كيف لا اشمئز من شئ اشترك معك فى الوطء عليه فضحك جميع من حضر من جوابه وله جوابا لمن اعتذر عن غيبته عنه

لك الفضل فى ان لا تلوح لناظرى * وتبعد عنى ما بقيت مدى الدهر
فوجهك فى لحظى كما صور الردى * ولفظك فى سمعى حديث عن الفقر
ومن حاز ما قد حزته من ركاكة * وغاب فلا يحتج الى كلفة العذر

وله
لك يومان لم تلح لعيانى * ولك الفضل فى زيارة شهر
ولك الفضل فى زيارة عام * ولك الفضل فى زيارة دهر
ولك الفضل أن تغيب عنى * ذلك الوجه ما تطاول عمرى

وله وقد شرب على صهريج فاختنق الاسد الذى يرمى بالماء فنفخ فيه رجل أبخر فجرى

ليث بديع الشكل لا مثل له * صيغ من الماء له سلسله

تخطاك المنايا لا تموت

فاجابه عمرو

فلست بميت ما دمت حيا
ولست بميت حتى تموت

(وذكر) ان معاوية لما نظر الى عساكر أهل العراق وقد أشرفت وأخذت الرجال مراتبها من الصفوف ونظر الى على على فرس أشقر حاسر الرأس يرتب الصفوف كانه يغرسهم فى الارض غرسا فيثبتون كانهم بنيان مرصوص قال لعمرو يا أبا عبد الله اما تنظر الى ابن أبى طالب وما هو عليه فقال له عمرو من طلب عظيما خاطر بعظيم وقد كان معاوية فى سنة اربعين بعث بشر ابن ارطاة فى ثلاثة آلاف حتى قدم المدينة وعليها ابو ايوب الانصارى فتنحى وجاء بشر حتى صعد المنبر وتهدد أهل المدينة بالقتل فاجابوه الى بيعة معاوية وبلغ الخبر عليا فانفذ حارثة ابن قدامة السعدى فى ألفين ووهب ابن مسعود فى ألفين ومضى بشر الى مكة ثم سار الى اليمن وكان عبد الله بن العباس بها فخرج عنها ولحق بعلى واستخلف عليها

عبد الله بن عبد المدان الحرثى وخلف ابنيه عبد الرحمن وقثم عند امهما جويرية بنت قارظ الكنانية يقذف

يقذف بالماء على جيده * كأنه عاف الذى قبله

وقال أبو الوليد هشام الوقشى

برح بى أن علوم الورى * اثنان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها * و باطل تحصيله لا يفيد

وقال

وفاره يركبه فاره * مر بنا فى يده صعده
سنانها مشتمل لحظه * وقدها منتحل قده
يزحف للنساك فى جحفل * من حسنه وهو يرى وحده
قلت لنفسى حين مدت لها الآمال والآمال ممتده
لا تطمعى فيه كما الشمس لا * يطمع فى تدنيسه حده

وقال

عجبا للمدام ماذا استعارت * من سجايا معذبى وصفاته
طيب أنفاسه وطعم ثنايا * ه وسكر العقول من لحظاته
وسنا وجهه وتوريد خديـ * ـه ولطف الديباج من بشراته
والتداوى منها بهالك التداوى * برضا من هويت من سطواته
وهى من بعد ذا على حرام * مثل تحريمه جنى رشفاته

ومن تآليفه نكت الكامل للمبرد وقد مر ذكر هذا الرجل الفرد قبل هذا وحضر يوما مجلس ابن ذى النون فقدم نوع من الحلوى يعرف بآذان القاضى فتهافت جماعة من خواصه عليها بقصد دون التندير فيه وجعلوا يكثرون من أكلها وكان فيما قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر فقال له المأمون يا قاضى أرى هؤلاء يأكلون أذنيك فقال وأنا أيضا آكل عيونهم وكشف عن الطبق وجعل يأكل منه وكان هذا من الاتفاق الغريب * وكان الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبى جعفر الوقشى آية الله فى الظرف وكيف لا ووالده الوزير أبو جعفر وصهره أبو الحسين بن جبير وشيخه فى علم الموسيقى والتهذيب والظرف والتدريب أبو الحسين بن الحسن بن الحاسب شيخ هذه الطريقة وقد رزق أبو الحسين المذكور فيها ذوقا مع صوت بديع أشهى من الكاس للخليع قال أبو عمران بن سعيد ما سمعته الا تذكرت قول الرصافى

ومطارح مما تجس بنانه * لحنا أفاض عليه ماء وقاره
يثنى الحمام فلا يروح لوكره * طربا ويرزق بنيه فى منقاره

وكنت أرتاح الى لقائه ارتياح العليل الى شفائه ولم أزل أقرع بابا بابا وأخرق للاتصال حجابا حجابا حتى هجمت مع شفيع لا يرد عليه وجلست بين يديه فحينئذ حرضه حسبه على الاكرام وتلقى بما أوسع من البشر والسلام وقال ليعلم سيدى انى كنت اود الناس فى لقائه واحبهم فى اخائه والحمد لله الذى جعلنى انشد

وليس الذى يستتبع الوبل رائدا * كمن جاءه فى داره رائد الوبل

ثم قام الى خزانة فأخرج منها عودا وغناء يطرب دون ان تجس اوتاره وتلحن اشعاره واندفع يغنى دون ان اسأله ذلك ولا اتجشم تكليفه الدخول فى تلك المسالك

فقتلهما بشر وقتل معهما خالا لهما من ثقيف وقد كان بشر بن ارطاة العامرى عامر بن لؤى بن غالب قتل بالمدينة و بين المسجدين خلقا كثيرا من خزاعة وغيرهم وكذلك بالجرف قتل بها خلقا كثيرا من رجال همدان وقتل بصنعاء خلقا كثيرا من الابناء ولم يبلغه عن أحد انه يمالئ عليا أو يهواه الا قتله ونما اليه خبر حارثة بن قدامة السعدى فهرب وظفر حارثة بابن اخى بشر مع أربعين من أهل بيته فقتلهم وكانت جويرية أم ابنى عبد الله بن العباس اللذين قتلهما بشر تدور حول البيت ناشرة شعرها وهى من أجمل الناس وهى تقول ترثيهما

ها من أحس من ابنى اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف
ها من أحس من ابنى اللذين هما * سمعى وقلبى فعقلى اليوم مختطف
ها من أحس من ابنى اللذين هما * مخ العظام فمخى اليوم مزدهف
نبئت بشرا وما صدقت ما زعموا * من قولهم ومن الافك الذى وصفوا
أنحى على ودجى ابنى مرهفة * مشحوذة وكذاك الاثم يقترف

(وذكر الواقدى) قال دخل عمرو بن العاص يوما على

وما زلت ارجو في الزمان لقاءكم * فقد يسر الرحمن ما كنت ارتجي
فذكركم ما زلت اتلوه دائبا * اذا ذكروا ما بين سلمى ومنعج

فلما فرغ من استهلاله وعمله قبلت راسه وقلت له لا ادري علام اشكرك قبل هل على تعجيلك بما لم تدعني اسالك في شأنه ام على ما تفردت باحسانه فما هذا الصوت قال هذا نشيد خسروان من التحيني قال وانشدني لنفسه

حننت الى صوت النواعير سحرة * فأضحى فؤادي لا يقر ولا يهدا
وفاضت دموعي مثل فيض دموعها * اطارحها تلك الصبابة والوجدا
وزاد غرامي حين أكثر عاذلي * فقلت له اقصر ولا تقدح الزندا
اهيم بهم في كل واد صبابة * وازداد مع طول البعاد لهم ودا

وانشدني لنفسه

ولقد مررت على المنازل بعدهم * ابكي واسأل عنهم وانوح
واقول ان سألوا بحالي في النوى * ما حال جسم فارقته الروح

وقال وكتب الي

يا حسرة ما قضت من لذة وطرا * اين الزمان الذي يرجى به الخلف
ابكيك ملء جفوني ثم يرجعني * الى التصبر اني سوف انصرف

قال ابو عمران وكنت في ايام الفتنة اذا كنت الى الآمال هولت على نفسي ما التي من اهوالها بقولي مع خاطري * اين الزمان الذي يرجى به الخلف * انتهى * وكان ابو الحسين علي بن الحمارة ممن برع في الالحان وعلمها وهو من اهل غرناطة واشتهر عنه انه كان يعمد الى الشعراء فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عودا للغناء و ينظم الشعر و يلحنه و يغني به فيطرب سامعيه ومن شعره قوله

اذا ظن وكرا مقلتي طائر الكرى * راى هدبها فارتاع خوف الحبائل

وقال بعض العلماء في حقه انه آخر فلاسفة الاندلس قال واعجب ما وقع له في الشعر انه دخل سلا وقد فرغ ابن عشرة من بناء قصره والشعراء تنشده في ذلك فارتجل ابن الحمارة هذين البيتين وانشدهما بعدهم

يا واحد الناس قد شيدت واحدة * فحل فيها محل الشمس في الحمل
فما كدارك في الدنيا لذي امل * ولا كدارك في الاخرى لذي عمل

وسيأتي ذكر هذين البيتين * وكان اهل الاندلس في غاية الاستحضار للمسائل العلمية على البديهة قال ابن مسدي أملى علينا ابن المناصف النحوي بدانية على قول سيبويه هذا باب ما الكلم العربية عشرين كراسا بسط القول فيها في مائة وثلاثين وجها انتهى وهذا وأشباهه يكفيك في تبحر أهل الاندلس في العلوم وبسائل العالم منهم عن المسئلة التي يحتاج في جوابها الى مطالعة ونظر فلم يحتج الى ذلك و يذكر من فكره ما لا يحتاج معه الى زيادة * (ومن الحكايات في مثل ذلك أن الاديب البليغ الحافظ أبا بكر بن حبيش لما قال في تخميسه المشهور بماذا على كل من الحق أوجبت اعترض عليه أبو زكريا اليفرني

معاوية بعدما كبر ودق ومعه مولاه وردان فاخذا في الحديث وليس عندهما غير وردان فقال عمرو يا أمير المؤمنين ما بقي مما تستلذه فقال اما النساء فلا أرب لي فيهن وأما الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حتى وهي بها جلدي فما ادري أيها ألين وأما الطعام فقد أكلت من لينه وطيبه حتى ما أدري ايه الذ واطيب واما الطيب فقد دخل خياشيمي منه حتى ما أدري ايه اطيب فما شيء الذ عندي من شراب بارد في يوم صائف ومن أن أنظر الى بني وبني بني يدورون حولي فما بقي منك يا عمرو قال مال أغرسه فاصيب من ثمرته ومن غلته فالتفت معاوية الى وردان فقال ما بقي منك يا وردان قال صنيعة كريمة سنية أعقلها في اعناق قوم ذوي فضل واخطار لا يكافؤنني بها حتى القى الله تعالى وتكون لعقبي في اعقابهم بعدي فقال معاوية تبا لمجلسنا سائر اليوم ان هذا العبد غلبني وغلبك وفي سنة ثلاث واربعين مات عمرو بن العاص بن وائل ابن سهم بن سعيد بن سعد بمصر وله تسعون سنة وكانت ولايته مصر عشر سنين وأربعة أشهر ولما حضرته الوفاة قال اللهم لا براءة لي فأعتذر ولا قوة لي فانتصر امرتنا فعصينا ونهيتنا فركبنا اللهم بما

بما نصه استعمل المخمس ماذا فى البيت تكثيرا وخبرا والمعروف من كلام العرب استعمالها استفهاما مالخفاو به بقوله اما استعمالها استفهاما كما قال فكثير لا يحتاج الى شاهد وأما استعمالها فى ألسن فصحاء العرب للكثرة فكثير لا يحتاج الى شاهد لو وصل بحث واستعمل مكث فلم يعترض على ولى ولا تشكك فى جلى

وليس يصح فى الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

قال الله تعالى فى سورة يونس قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ووقع فى صحيح البخارى فى رثاء المقتولين من المشركين يوم بدر

وماذا بالقليب قليب بدر * من الفتيان والشرب الكرام
وماذا بالقليب قليب بدر * من الشيزى تكلل بالسنام

وفى السير فى رثاء المذكورين أيضا

ماذا ببدر فالعقنقل من مرازبة جحاجح

وهذا الشعر لأمية بن أبى الصلت الثقفى ووقع فى الاغانى للوليد بن يزيد يرثى نديماله يعرف بابن الطويل

لله قبر ضمنت * فيه عظام ابن الطويل
ماذا تضمن اذ ثوى * فيه من الرأى الاصيل

والخبر طويل وأجلى من هذا وأعلى وأحق بكل تقديم وأولى ولكن الواو لا تفيد رتبه ولا تتضمن نسبه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا أنزل الليلة من الفتن وهو فى الصحاح ووقع فى الحماسة وقد أجمعوا على الاستشهاد بكل ما فيها

ماذا أجال وثيرة بن سماك * من دمع باكية عليه وباك

وفى الحماسة أيضا واظنها الابى دهبل

ماذا رزئنا غداة الخل من زمع * عند التفرق من خيم ومن كرم

ووقع فى نوادر القالى لكعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه أبا المغوار

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا * وماذا يرد الليل حين يؤوب

ووقع فى شعر الخنساء ترثى أخاها صخرا

ألا ثكلت أم الذين غدوا به * الى القبر ماذا يحملون الى القبر
وماذا يوارى القبر تحت ترابه * من الجود فى بؤسى الحوادث والدهر

ولجرير وهو فى الحماسة

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وفى الحماسة ايضا * ماذا من البعد بين البخل والجود * ووقع فى الحماسة أيضا وهو لامرأة

هوت أمهم ماذا بهم يوم صرعوا * بجيشان من أسباب مجد تصرما

ارادت ماذا تصرم لهم يوم صرعوا بجيشان من أسباب مجد تصرما ومما يستظهر به قول أبى الطيب المتنبى

هذه يدى الى ذقنى ثم قال خذوا الى فى الارض خدا وسنوا على التراب سنا ثم وضع اصبعه فى فيه حتى مات وصلى عليه ابنه عبد الله يوم الفطر فبدأ بالصلاة عليه قبل صلاة العيد ثم صلى بالناس بعد ذلك صلاة العيد وكان ابوه من المستهزئين وفيه نزلت ان شانئك هو الابتر (وولى معاوية) ابنه عبد الله بن عمرو ما كان لابيه وخلف عمرو من العين ثلثمائة الف دينار وخمسة وعشرين الف دينار ومن الورق الفى الف درهم وضيعته المعروفة بالرهط قيمتها عشرة آلاف درهم وفيه يقول ابن الزبير الاسدى الشاعر من ابيات

الم تران الدهر اخنت صروفه * على عمرو السهمى تجبى له مصر
فلم يغن عنه حزمه واحتياله * ولا جمعه لما اتيح له الدهر
وامسى مقيما بالعراء وضللت * مكايده عنه واموالة الدثر

وفى سنة خمس واربعين ولى معاوية زياد ابن ابيه البصرة واعمالها وقال لما دخلها

الارب مسرور بما لا يسره * وآخر محزون بما لا يضره

وقد كان معاوية عزل فى هذه السنة شقران بن عوف العامرى وأمر أن يبلغ الطوانة فاصيب معه خلق من الناس فعم الناس الحزن عن أصيب بارض الروم وبلغ معاوية أن

ماذالقيت من الدنيا وأعجبها * انى بما أنا باك منه محسود

وقوله أيضا

وماذا بمصر من المضحكات * ولكنه ضحك كالبكاء

ومن ملح المتأخرين كان بمرسية أبو جعفر المذكور فى المطمح وكان يلقب بالبقيرة فقال فيه بعض أهل عصره

قالوا البقيرة تيه جوبا فقلت لهم * ماذا دهيت به حتى من البقر

هذا وليس بثور بل هو ابنته * وأين منزلة الانثى من الذكر

وأنشد صاحب الزهر ولا أذكر قائله

ماذا لقيت من المستعربين ومن * قياس قولهم هذا الذى ابتدعوا

ان قلت قافية بكرا يكون لها * معنى يخالف ما قالوا وما وضعوا

قالوا لحنت وهذا الحرف منتصب * وذاك خفض وهذا ليس يرتفع

وضربوا بين عبدالله واجتهدوا * و بين زيد فطال الضرب والوجع

وقال صاحب الزهر أنشد أبو حاتم ولم يسم قائله

ألا فى سبيل الله ماذا تضمنت * بطون الثرى واستودع البلد القفر

هذا ما حضر بفضل الله من الاستشهاد على أن ماذا تستعمل بمعنى الخبر والتكثير ووالله الذى لا اله غيره ما طالعت عليه كتابا ولا فتحت فيه بابا وانما هو عمالة من حوض التذكار وصبابة مما علق به شرك الافكار وأثر مما سلك به السمع أيام خلو الذرع وعقدت عليه الحبى فى عصر الصبى ورحم الله من تصفح وتلمح فسمح وصحح ما وقع اليه من الاعتلال وأصلح ما وضح لديه من الاختلال فخير الناس من أخذ بالبر والايناس فبصر من جهله وادكر عن وهله وانما المؤمنون اخوة وتحابهم فى الله رفعة وحظوة ولهم فى السلف الكريم ومحافظتهم على الود القديم اسوة كريمة وقدوة انتهى قال ابن الطراح انظر تحصيل هذا الامام والرئيس الاسمى النفيس واستحضاره كلام الادباء وسير النقاد البلغاء ومساجلته مع فرسان المعانى ووصفه تلك المغانى وقد كان حامل لواء الادب وفائق أبناء جنسه فى مراقب الطلب وهذه الكلمة أعنى ماذا جرت بسببها مناظرة بين الاستاذ أبى الحسين بن أبى الربيع النحوى المشهور و بين مالك بن المرحل بسبتة حتى ألف مالك كتاب الرمى بالحصا والضرب بالعصا وفيه هنات لا ينبغى لعاقل أن يذكرها ولا لذى طى فى البيان أن ينشرها وفى ذلك قال الاستاذ أبو الحسين رحمه الله تعالى

كان ماذا ليتها عدم * جنبوها قربها ندم

ليتنى يا مال لم أرها * انها كالنار تضطرم انتهى

وقوله يا مال ترخيم مالك وحكى الاستاذ ابن غازى انهم اختلفوا هل يقال كان ماذا أم لا وقال ان الاستاذ ابن أبى الربيع تطفل على مالك بن المرحل فى الشعر كما ان ابن المرحل تطفل عليه فى النحو وقال ومن نظم مالك بن المرحل فى هذه القضية

يزيد ابنه لما بلغه خبرهم وهو على شرابه مع ندمائه قال أهون على بما لاقت جموعهم * يوم الطوانة من حمى ومن شوم

اذا اتكأت على الانماط مرتفقا * بدير مروان عندى أم كلثوم

فخلف عليه ليغزون وأردف به شقران فسميت هذه الغزاة غزاة الرادفة وبلغ الناس فيها الى القسطنطينية وفيها مات أبو أيوب الانصارى ودفن هناك على باب القسطنطينية واسم أبى أيوب خالد بن زيد وقد قيل ان أبا أيوب مات فى سنة احدى وخمسين غازيا مع يزيد وقد أتينا على خبر هذه الغزاة وما كان من يزيد فيها فى الكتاب الاوسط وفى سنة تسع وأربعين كان الطاعون بالكوفة فهرب منها المغيرة بن شعبة وكان واليها ثم عاد اليها فطعن فمات فمر أعرابى عليه وهو يدفن فقال

ارسم ديار للمغيرة تعرف * عليها دوانى الانس والجن تعزف

فان كنت قد لاقيت هامان بعدنا * وفرعون فاعلم أن ذا العرش منصف

(وذكر) أن المغيرة ركب الى هند بنت النعمان بن المنذر وهى فى ديرها فى الحيرة مترهبة وهو أمير الكوفة يومئذ وقد كانت هند عميت فلما جاء الدير استأذن عليها فأتتها

عاب قوم كان ماذا * ليت شعري كان ماذا
ان يكن ذلك جهلا * منهم فكان ماذا

انتهى

ومن نظم ابن حبيش المذكور قوله

اذا ماشئت أن تحياهنيا * رفيع القدر ذا نفس كريمه
فلا تشفع الى رجل كبير * ولا تشهد ولا تحضر وليمه

وله أيضا

لا عملن الى لقياكم قدمى * ولو تجشمت بين الطين والماء
لأن يبل ثيابى الغيث أهون بى * من أن تحرق نار الشوق أحشائى

وأبوزكريا المعترض على ابن حبيش هو الفقيه النحوى الاديب أبوزكريا يحيى بن على بن سلطان اليفرنى ولد سنة ٦٤١ وبرع فى العربية وكان يلقب فى المشرق جبل النحو وكان عند نفسه مجتهدا وكان لا يجيز نكاح الكتابيات خلافا للامام مالك وهو مذهب الامام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى ويتمسك بقوله تعالى وجعل بينكم مودة ورحمة وكان يرى أن الطلاق لا يكون الا مرتين مرة للاستبراء ومرة للانفصال ولا يقول بالثلاث وهو خلاف الاجماع وكان يقول فى نهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل ذى ناب من السباع أى أكول كل ذى ناب وتبقى هى على الاباحة ويدل عليه قوله تعالى وما أكل السبع وكان يقول فى قوله تعالى ان هذان لساحران الهاء اسم ان وذان لساحران جملة خبر لان ولا تحتاج لرابط لانها تفسيرية والمعنى عنده وأسروا النجوى قالوا انها أى نجواناه ذان لساحران أى قولنا هذان لساحران تثبيطا للناس عن اتباعهما وخط المصحف يرده لكن فى المصحف أشياء كتبت على غير المصطلح مثل مال هذا ولا اوضعوا ولا اذبحنه قال ابن الطراح ورأيت هذا المعنى لغيره وأظنه ابن النحاس وتوفى اليفرنى المذكور سنة ٧٠٠ ومن شعره

ماذا على الغصن المياس لو عطفا * على صبابة صب حالف الدنفا
يارحمة لفؤادى من معذبه * كم ذا يحمله أن يحمل الكلفا
ويارعى الله دهرا ظل يجمعنا * فى ظل عيش صفا من طيبه وضفا
مودة بيننا فى الحب كاملة * ونحن لا نعرف الاعراض والصلفا

(رجع) الى كلام الاندلسيين قال صالح بن شريف الرندى رحمه الله تعالى فى سكين الكتابة

أنا صمصامة الكتابة مالى * من شبيه فى المرهفات الرقاق
فكأنى فى الحسن يوم وصال * وكأنى فى القطع يوم فراق

وقال فى المقص

ومصطحبين ما اتهما بعشق * وان وصفا بضم واعتناق
لعمر أبيك ما اجتمعا لشئ * سوى معنى القطيعة والفراق

ولبعض الاندلسيين

هلا اقتدى ذو خلة بفعالنا * فيكون واصل خله كوصالنا
مهما يجئ أحد ليقطع بيننا * نقطعه ثم نعد لاحسن حالنا

فلما دخل قعد عليها وقال أنا المغيرة فقالت له قد عرفتك عامل المدرة فما جاء بك قال أتيتك خاطبا اليك نفسك قالت اما والصليب لو أردتني لدين أو جمال ما رجعت الا بحاجتك ولكني أخبرك الذي أردت ذلك له قال وما هو قالت اردت انك تتزوجني حتى تقوم فى الموسم فى العرب فتقول تزوجت ابنة النعمان قال ذلك اردت ولكن اخبريني ما كان ابوك يقول فى هذا الحى من ثقيف قالت كان ينسبهم من اياد وقد افتخر عنده رجلان من ثقيف احدهما من بنى سالم والآخر من بنى يسار فسألهما عن انسابهما فانتسب احدهما الى هوازن والآخر الى اياد فقال ابى ما لحى معد على اياد فضل فخر جاوابى يقول

ان ثقيفا لم تكن هوازنا
ولم تناسب عامرا ومازنا
الا حديثا واثبتوا المحاسنا

فقال المغيرة اما نحن فمن هوازن وابوك اعلم قال فاخبريني اى العرب كان احب الى ابيك قالت اطوعهم له قال ومن اولئك قالت بكر بن وائل قال فأين بنو تميم قالت ما استعقبتهم

فى طاعة قال فقيس قالت ما اقتربوا اليه بما يحب الا استعقبوه بما يكره قال فكيف اطاع

وجرح بعض الكتاب يده بالمقص فأنشده أحد جلسائه وغالب ظنى انه اندلسى

عداوة لا لكفك من قديم * فلا تعجب لمقراض لئيم
لئن أدماك فهو للاشبه * وقد يعدو اللئيم على الكريم

ولما ألف ابن عصفور كتابه المغرب فى النحو انتقده جماعة من أهل قطره الاندلسيين وغيرهم منهم ابن الصائغ وابن هشام والجزيرى وله عليه المنهج المعرب فى الرد على المغرب وفيه تخليط كثير وتعسف

وفى تعب من يحسد الشمس نورها * و يأمل أن يأتى لها بضريب

ومنهم ابن الحاج وأبو الحسن حازم القرطاجنى الخزرجى وسماه شد الزيار على جحفلة الحمار وابن مؤمن القابسى وبهاء الدين بن النحاس * ومن شعر حازم الاندلسى المذكور قوله

لم تدر اذ سألتك ما أسلاكها * أبكت أسى أم قطعت أسلاكها

وعارضه التجانى بقوله

ياساحر الالحاظ يافتاكها * فتياجواز الصدّ من أفتاكها

*(ومن حكاياتهم فى المجون وما يجرى مجراه أن الوزير أبا بكر بن الملح كان له ابن شاب فاسترسل مع الادب الى أن خرج من القول الى الفعل وأتى باشياء لاتليق بمثله فكتب اليه أبوه

ياسخنة العين يابنيا * ليتك ما كنت لى بنيا
أبكيت عينى أطلت حزنى * أمت صيتى وكان حيا
حططت قدرى وكان أعلى * فى كل حال من الثريا
أما كفاك الزنا ارتكابا * وشرب مشمولة الحميا
حتى ضربت الدفوف جهرا * وقلت للشرجىء اليا
فاليوم أبكيك ملء عينى * لو كان يغنى البكاء شيا

فأجابه ابنه بقوله

يالائم الصب فى التصابى * ماعنك يغنى البكاء شيا
أوجفت خيل العتاب نحوى * وقبل وثبتها اليا
وقلت عمر الفنا قصير * فاربح من العيش ماتهيا
قد كنت أرجو المتاب مما * فتنت جهلا به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء * أنت وابليس والحميا انتهى

وقال أبو جعفر بن صفوان المالقى رحمه الله تعالى

سألته الاتيان نحوى مقبلا * فقال سل نحوى كى تحصلا
قرأت باب الجمع من شوقى له * وهو بالاشتغال عنى قد سلا
للاستغاثة ابتدأت تاليا * وهو لافعال التعدى قد تلا
وكلما طلبت منه فى الهوى * عطفا غدا يطلب منى بدلا
وان أرم محض اضافة له * أعمل فى قطعى عنه الحيلا

زيادة فكان اول من جمع له ولاية العراقين البصرة والكوفة وفى سنة ثمان وار بعين قبض معاوية فدك من مروان بن الحكم وقد كان وهبها له قبل ذلك فاستردها وقد كان معاوية حج فى سنة خمسين وامر بحمل منبر النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشأم فلما حمل كسفت الشمس ورؤيت الكواكب بالنهار فجزع من ذلك واعظمه ورده الى موضعه وزاد فيه ست مراقى وفى سنة ثلاث وخمسين هلك زياد ابن ابيه بالكوفة فى شهر رمضان وكان يكنى ابا المغيرة وقد كان كتب الى معاوية انه قد ضبط العراق بيمينه وشماله فارغة فجمع له الحجاز مع العراقين واتصلت ولايته باهل المدينة فاجتمع الصغير والكبير بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجوا الى الله ولاذوا بقبر النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام لعلمهم بما هو عليه من الظلم والعسف فخرجت فى كفه بثرة ثم حكها ثم سرت واسودت فصارت اكلة سوداء فهلك بذلك وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل اثنتين وخمسين ودفن بالنوبة

فى ألف الوصـل ظلمت باحثا * وهو بباب الفصل قد تكفلا
فلست موصولا وليس عائدا * وليس حالى عن أسى منتقلا
فيا منى نفسى ومن افهمه * دانت فهوم الاذكياء النبلا
وجدى موقوف عليك لا أرى * عنك مدى الدهر له منتقلا
فالذى يمنع من تسكينه * والوقف بالتسكين حكم أعملا
والحب مرفوع اليك مفرد * فلم ترى لضمتى مستثقلا
فالضم للرفع غداة لامة * فى مفرد مثلى فأوضح مشكلا
لازلت للهيام عنى رافعا * للوصل ناصبا القولى معملا
للشوق مسكنا الهجرى صارفا * بالقرب من حال البعاد مبدلا
تجزم أمرا فى الامانى ماضيا * وتبتدى بما تشا مستقبلا

وقال محمد بن ادريس القضاعى الاصطبونى

علاه رياض أورقت بمحامد * تنور بالجدوى وتثمر بالامل
تسح عليها من نداه غمامة * تروى ثرى المعروف بالعل والنهل
وهل هو الا الشمس نفسا ورفعة * فيقرب بالجدوى و يبعد بالامل
تعم أياديه البرية كلها * فدان وقاص جود كفيه قد شمل

وقال محمد التطيلى الهذلى من أعيان غرناطة

جارت على لواحظ الآرام * لما رمت أجفانها بسهام
حكمت على بحكمها فتبسمت * الضنى منها لدى أحكام
ياقاتلى عمدا بسيف لحاظه * أغمد ظباه قبل وقع حمام
كم رمت وصلك والصدود يصدنى * و يفل عزمى امره ومرامى
انى عدمت النفس يوم فراقكم * والبين اسلمها الى الاعدام
كيف المقام وأصل جسمى ناحل * ان النفوس مقيمة الاجسام
صعب العلاج فليس يمكن برؤها * حتى يعود الشهر مثل العام
قد كنت أفرح بالسلو فها أنا * قد زم قلبى فى الهوى بزمام
مالت به نحو الفتون بدائع * من شادن يحكيه بدر تمام
فقوام أنفسنا بلذة وصله * وجميع أعيننا عليه سوام
قد أبرزت خداه روض محاسن * عظمت على الأفكار والاوهام
تبدى بما شبيبة وتنعم * فتروق روق الزهر فى الاكمام
فكأنما وجناتها فى لونها * ورد الرياض ربا بصوب غمام
وكأنما درع الدجا من شعره * قد حاك منها يد الاظلام
وكأنما ريق حواه ثغره * مسك أذيف بعنبر ومدام
وكأنما سيف نضت ألحاظه * سيف الامير ممهد الاسلام
ذاك الامير محمد بن محمد * ناهيك من ملك أغر همام

من أرض الكوفة وقد كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن على فمن أبى ذلك عرضه على السيف فذكر عبد الرحمن بن السائب قال حضرت فصرت الى الرحبة ومعى جماعة من الانصار فرأيت شيأ فى منامى وأنا جالس فى الجماعة وقد خفقت وهوانى رايت شيأ طويلا قد اقبل فقلت ماهذا فقال انا النقاد ذو الرقبة بعثت الى صاحب هذا القصر فانتبهت فزعا فما كان الا مقدار ساعة حتى خرج خارج من القصر فقال انصرفوا فان الامير عنكم مشغول واذا به قد اصابه ماذكرنا من البلاء وفى ذلك يقول عبد الله بن السائب من ابيات

ماكان منتهيا عما ارادبنا * حتى تأتى له النقاد ذو الرقبه
فاسقط الشق منه ضربة ثبتت * لما تناول ظلما صاحب الرحبه

يعنى بصاحب الرحبة على بن ابى طالب رضى الله عنه وقد ذهب جماعة الى ان عليا دفن فى القصر بالكوفة و يقال ان زيادا طعن فى يده وانه شاور شريحا فى قطعها فقال له لك رزق مقسوم واجل معلوم وانى اكره ان كان لك مدة ان تعيش اجذم وان حم أجلك ان تلقى ربك مقطوع اليد فاذا سألك لم قطعتها قلت بغضا للقائك وفرارا من قضائك فلام الناس شريحا فقال انه استشارنى والمستشار مؤتمن ولولا

ملك علا فوق السماك علاؤه * وسما فادرك غاية الاعظام
لو كان يعتقل السها لأتاه في * شكل القناة ملثما بلثام
أو كان يرضى بالمجرة أجردا * لجرت الى الاسراج والالجام
فالسعد يفعل للاماني قولها * والنصر يخدمه مع الايام
واليوم يعشقه ويحسد ليله * فيه كعشق سيوفه للهام
نامت عيون الشرك خوف سنانه * لولاه ما اكتحلت بطيف منام
بهر الانام بسيفه وبيأسه * فسبى وأنعم أيما انعام
فالمعتفي يجني جزيل هباته * والمعتدي يصلى الردى بحسام
مهما استعنت به فضيغم معرك * واذا استجرت به فطود شمام
أجرى مياه العدل بعد جفوفها * وأزال نار الظلم بعد ضرام
كم من كتيبة جحفل قد هدّها * في معرك بمهند صمصام
المقتني الجرد المذاكي عدة * للكر في الاعداء والاقدام
من كل مبيض كأن أديمه * نون الصباح أتى عقيب ظلام

ومنها

يا خير من ركب الجياد وقادها * تحت اللواء وعمدة الاقوام
لازلتم والسعد يخدم أمركم * في غبطة موصولة بدوام
حتى يصير الأمن في أرجائنا * عبدا يقوم لنا على الأقدام
والله ينصركم ويعلي مجدكم * ماسح اثر الصحو وماء غمام

وكان يحيى السرقسطي أديبا فرجع الى الجزارين فأمر الحاجب ابن هود أبا الفضل ابن حسداي أن يوبخه على ذلك فكتب اليه

تركت الشعر من عدم الاصابه * وملت الى التجارة والقصابه

فاجابه يحيى

تعيب على مألوف القصابه * ومن لم يدر قدر الشئ عابه
ولو أحكمت منها بعض شئ * لما استبدلت منها بالحجابه
ولو تدري بها كلفي ووجدي * علمت علام أحتمل الصبابه
وانك لو طلعت على يوما * وحولي من بني كلب عصابه
لهالك ما رأيت وقلت هذا * هزبر صير الأوضام غابه
وكم شهدت لنا كلب وهر * بأن المجد قد حزنا لبابه
فتكنا في بني العنزي فتكا * أقر الذعر فيهم والمهابه
ولم نقلع عن الثوري حتى * مزجنا بالدم القاني لعابه
ومن يغتر منهم بامتناع * فان الى صوار منا ايابه
ويبرز واحد منا لالف * فيغلبهم وذاك من الغرابه

ومنها

أبا الفضل الوزير أجب ندائي * وفضلك ضامن عنك الاجابه
وأصغ الى شكوى شكور * أطلت على صناعته عتابه

أمانة المشورة لوددت أن الله قطع يده يوما ورجله يوما وسائر جسده يوما وفي سنة تسع وخمسين وفد على معاوية وفد الامصار من العراق وغيرها فكان ممن وفد من أهل العراق الاحنف بن قيس في آخرين من وجوه الناس فقال معاوية للضحاك بن قيس اني جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله فاذا فرغت من كلامي فقل في يزيد الذي يحق عليك وادع الى بيعته فاني قد أمرت عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عمارة الاشعري وثور بن معن السلمي ان يصدقوك في كلامك وان يجيبوك الى الذي دعوتهم اليه فلما كان من الغد قعد معاوية فاعلم الناس بما رأى من حسن رعية يزيد ابنه وهديه وان ذلك دعاه الى ان يوليه عهده ثم قام الضحاك ابن قيس فأجابه الى ذلك وحض الناس على البيعة ليزيد وقال لمعاوية اعزم على ما أردت ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عمارة الاشعري وثور بن معن فصدقوا قوله ثم قال معاوية أين الاحنف بن قيس فقام الاحنف فقال ان الناس قد امسوا في منكر زمان قد سلف ومعروف زمان يؤتنف ويزيد حبيب قريب فان توله عهدك فعن غير كبر مفن اومرض مضن وحقك

وقد حلبت الدهور وجربت الامور فاعرف من تسند اليه عهدك ومن توله

وحقك ما تركت الشعر حتى * رأيت البخل قد أوصى صحابه
وحتى زرت مشتاقا خليلى * فأبدى لى التخيل والكآبه
وظن زيارتى اطلاب شئ * فنافرنى وغلظ لى حجابه

وقال الاديب أبو الحسن بن الحداد

قالت وأبدت صفحة * كالشمس من تحت القناع
بعت الدفاتر وهى آ * خر ما يباع من المتاع
فأجبتها ويدى على * كبدى وهمت بانصداع
لاتعجبى مما رأيـ * ـت فنحن فى زمن الضياع

وقال الاديب أبو زكريا بن مطروح من أهل مدينة باغة وقد عزل وال فنزل المطر على اثره وهو من أحسن شعر قاله وكان الوالى غير مرضى

ورب وال سرنا عزله * فبعضنا هنأه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده * ولذ فى أجفاننا الغمض
لو لم يكن من نجس شخصه * ما طهرت من بعده الارض

وقال القاضى أبو البركات بن الحاج البلفيقى رحمه الله تعالى

وعشية حكمت على من تاب من * أهل الخلاعة أن يعود لما مضى
جمعت لنا شمل السرور بفتية * جمعوا من اللذات شملا مرتضى
ما عاقنى عن أن أسير بسيرهم * الا الريا مع الخطابة والقضا

وقال أبو الحجاج يوسف الفهرى من أهل دانية

أبى الله الا أن أفارق منزلا * يطالعنى وجه المنى فيه سافرا
كأن على الايام أن لا أحله * رويدا فأغشاه الا مسافرا

وقال بعضهم فى الرثاء

عبرات تفيض حزنا وثكلا * وشجون تعم بعضا وكلا
ليس الاصبابة أضرمتها * حسرة تبعث الاسى ليس الا

ولابى جعفر البغيل أحد شعراء المرية وكتابها

عزاء على هذا المصاب الذى دهى * وشتت شمل الانس من بعد ما انتهى
بفرع علاء فى منابت سؤدد * تسامى رقيا فى المعالى الى السها
أصبت به من بعد ما تم مجده * وقد شمخت منه الشماريخ وازدهى
فأية شمس فيه للمجد كورت * وأى بناء للمكارم قد وهى
فصبرا عليه لا رزئت بمثله * فمثلك من يعزى الى الحلم والنهى

وقال الكاتب الماهر أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائى المالقى

طلعت طلائع للربيع فاطلعت * فى الروض وردا قبل حين أوانه
حيا أمير المؤمنين مبشرا * ومؤملا للنيل من احسانه
ضنت سحائبه عليه بمائه * فأتاه يستسقيه ماء بنانه

الامر من بعدك واعص راى من يامرك ولا يقدر لك ويشير عليك ولا ينظر لك فقام الضحاك بن قيس مغضبا فذكر اهل العراق بالشقاق والنفاق وقال اردد رايهم فى نحورهم وقام عبد الرحمن بن عثمان فتكلم بنحو كلام الضحاك ثم قام رجل من الازد فاشار الى معاوية وقال انت امير المؤمنين فاذا مت فأمير المؤمنين يزيد فمن ابى هذا فهذا واخذ بقائم سيفه فسله فقال له معاوية اقعد فأنت من اخطب الناس فكان معاوية اول من بايع ليزيد ابنه بولاية العهد وفى ذلك يقول عبد الله بن هشام السلولى

فان تاتوا برملة او بهند
نبايعها اميرة مؤمنينا
اذا ما مات كسرى قام كسرى
نعد ثلاثة متناسقينا
فيا لهفا لو ان لنا الوفا
ولكن لا نعود كما عنينا
اذا لضربتموا حتى تعودوا
بمكة تلعقون بها السخينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا
دماء بنى امية ما روينا
لقد ضاعت رعيتكم وانتم
تصيدون الارانب غافلينا

وانفذت الكتب ببيعة يزيد الى الامصار وكتب معاوية الى مروان بن الحكم وكان على المدينة يعلمه باختياره يزيد ومبايعته اياه بولاية العهد ويأمره بمبايعته واخذ البيعة

يمشى بين السماطين حتى اذا كان منه بقدر ما يسمعه صوته سلم وتكلم بكلام كثير يوبخ به معاوية منه اقم الامور يا ابن ابى سفيان واعدل عن تأميرك الصبيان واعلم ان لك من قومك نظراء وان لك على مناواتهم وزراء فقال له معاوية انت نظير امير المؤمنين وعدته فى كل شديدة وعضده والثانى بعد ولى عهده وجعله ولى عهد يزيد ورده الى المدينة ثم انه عزله عنها وولاها الوليد ابن عتبة بن ابى سفيان ولم يف لمروان بما جعل له من ولاية عهد يزيد ابن معاوية

(ذكر جمل من أخلاقه وسياسته وظرائف من عيون اخباره)

قد ذكرنا فيما تقدم جملا من اخباره وسيره فلنذكر الآن فى هذا الباب جملا من أخلاقه وسياساته واخباره وغير ذلك مما لحق بهذا المعنى الى وفاته كان من اخلاق معاوية انه كان يأذن فى اليوم والليلة خمس مرات كان اذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرا جزأه ثم يدخل الى منزله فيأمر وينهى ثم يصلى اربع ركعات ثم يخرج الى مجلسه فيأذن لخاصة الخاصة فيحدثهم ويحدثونه و يدخل عليه

دامت لنا أيامه موصولة * بالعز والتمكين فى سلطانه

وقال أبو جعفر أحمد بن طلحة من جزيرة شقر

يا هل ترى أظرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها * مطربة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا بكؤوس الشقيق

وقال أبو جعفر الغسانى من أهل وادى آش واستوطن غرناطة ثم مات بالمرية فكتب على حمالة قراب لموطا الامام مالك بعد ما استنجد قرائح أدباء عصره واستصرخ اختراعاتهم لنصره فكلهم قصر عن غرضه وأداء مفترضه فقال هو

يا طالبا لكمال * حفظى أتم كمالك
فما تقلدت مثلى * اذلم تقلد كمالك

وقال أبو بكر يحيى بن بقى

خذها على وجه الربيع المخصب * لم يقض حق الروض من لم يشرب
همى سماء علا وهى مارد * فارجمه من تلك الكؤوس بكوكب

وهو رحمه الله تعالى صاحب الابيات المشهورة

زحزحته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على فراش خافق

وانتقد عليه بعض اللطفاء فقال انه كان جافى الطبع حيث قال زحزحته ولو قال باعدته عن أضلع اتشتاقه لكان أحسن *وقال السلطان المتوكل بن الافطس صاحب بطليوس يستدعى

انهض أبا طالب الينا * واسقط سقوط الندى علينا
فنحن عقد بغير وسطى * مالم تكن حاضر الدنيا

وتذكرت هنا قول بعض المشارقة فيما أظن والله تعالى أعلم

نحن فى مجلس أنس * ما به غير محبك
فتصدق بحضور * واجمع الوقت بقربك
وخف الآن عتابى * مثل خوفى عند عتبك

*(رجع) وقال أبو عبد الله بن خلصة الضرير

ولو جاد بالدنيا وثنى بمثلها * لظن من استصغارها انه ضنا
ولا عيب فى انعامه غير أنه * اذا من لم يتبع مواهبه منا

وله أيضا

يا مالكا حسدت عليه زمانه * امم خلت من قبله وقرون
مالى ارى الآمال بيضا وضحا * ووجوه آمالى حوالك جون
انا آمن فرق وراج آيس * وروض مسرح مسجون
لا تعدنى انواء سيبك لاعدا * لك النصر والتأييد والتمكين

وقال ابن اللبانة

كرمت فلا بحر حكاك ولا حيا * وفت فلا عجم شأتك ولا عرب

وأوليتني منك الجميل فواله * عسى السح من نعمائك يتبعه السكب

وقال ابو علي اليماني

ابنات الهديل اسعدن أو عد * ن قليل العزاء بالاسعاد
بيد أني لا أرتضي مافعلتن * فأطواقكن في الاجياد

وقال ابو جعفر احمد بن الدود من كلمه

فغدت غوادي الحي عنك عجائبا * واسلن الحاظ الرباب ربابا

وقال ابن ابي الخصال في مليحة لها اربع جوار قبيحات

وليلة طولها على سنة * بات بها الجفن نادبا وسنه
بأربع بينهن واحدة * كسيئات وبينها حسنه

وقال غالب بن تمام الملقب بالحجام

صغار الناس اكثرهم قبيحا * وليس لهم بصالحة نهوض
الم ترفي سباع الطير نسرا * يسالمنا ويؤذينا البعوض

وقال ابن عائشة

وروضة قد علت سماء * تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها * فخالها ارسلت رجوما
كأنما الجو غار لما * بدت فأغرى بها النسيما

وله يصف فرسا وهو من بدائعه

قصرت له تسع وطالت اربع * وزكت ثلاث منه للمتأمل
وكأنما سال الظلام بمتنه * وبدا الصباح بوجهه المتهلل
وكأن راكبه على ظهر الصبا * من سرعة أو فوق ظهر الشمأل

وقال

تربة مسك وجو عنبرة * وغيم ند وطش ماورد
كأنما جائل الحباب به * يلعب في جانبيه بالنرد

وتروى هذه الابيات لغيره وقال

هم سلبوني حسن صبري اذ بانوا * باقمار أطواق مطالعها بان
لئن غادروني باللوى ان مهجتي * مسايرة أظعانهم حيثما كانوا

وقال أبو محمد بن سفيان وهو من أبدع التخلص

فقلت وجفني قد تداعت شؤونه * وحرض لوعي مقعد ومقيم
لئن دهمت دهم الخطوب وآلمت * فان أباعيسى أغر كريم

وقال ابن الزقاق

بأبي وغير أبي أغن مهفهف * مهضوم ماتحت الوشاح خميصه
لبس الفؤاد ومزقته جفونه * فاتى كيوسف حين قد قميصه

وقال

سلام على أيامكم ما بكى الحيا * وسقيا لذاك العهد ما ابتسم الزهر
كأن لم نبت في ظل أمن تضمنا * من الليلة الظلماء أردية خضر

وزراؤه فيكلمونه فيما يريدون من يومهم الى العشي ثم يؤتى بالغداء الاصغر وهو فضلة عشائه من جدي بارد او فرخ اوما يشبهه ثم يتحدث طويلا ثم يدخل منزله لما اراده ثم يخرج فيقول ياغلام اخرج الكرسي فيخرج الى المسجد فيوضع فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمراة ومن لا احد له فيقول ظلمت فيقول اعزوه ويقول عدي على فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بي فيقول انظروا في امره حتى اذا لم يبق احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر منازلهم ولا يشغلني احد عن رد السلام فيقال كيف اصبح امير المؤمنين اطال الله بقاءه فيقول بنعمة من الله فاذا استووا جلوسا قال ياهؤلاء انما سميتم اشرافا لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا فيقوم الرجل فيقول استشهد فلان فيقول افرضوا لولده ويقول آخر غاب فلان عن اهله فيقول تعاهدوهم اعطوهم اقضوا حوائجهم اخدموهم ثم يؤتى بالغداء ويحضر الكاتب فيقوم عند راسه ويقدم الرجل فيقول له اجلس على المائدة فيجلس فيمد يده فيأكل لقمتين او ثلاثا والكاتب يقرأ كتابه فيأمر فيه بامر

الحوائج أربعون او نحوهم على قدر الغداء ثم يرفع الغداء و يقال للناس اجيزوا فينصرفون فيدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادي بالظهر فيخرج فيصلي ثم يدخل فيصلي اربع ركعات ثم يجلس فيأذن لخاصة الخاصة فان كان الوقت وقت شتاء اتاهم بزاد الحاج من الاخبصة اليابسة والخشكنانج والاقراص المعجونة باللبن والسكر من دقيق السميذ والكعك المنضد والفواكه اليابسة وان كان وقت صيف اتاهم بالفواكه الرطبة ويدخل اليه وزراؤه فيؤامرونه فيما احتاجوا اليه بقية يومهم ويجلس الى العصر ثم يخرج فيصلي العصر ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى اذا كان في آخر اوقات العصر خرج فجلس على سريره و يؤذن للناس على منازلهم فيؤتى بالعشاء فيفرغ منه مقدار ما ينادي بالمغرب ولا ينادى له بأصحاب الحوائج ثم يرفع العشاء وينادى بالمغرب فيخرج فيصليها ثم يصلي بعدها اربع ركعات يقرأ في كل

ولم تغتبق تلك الاحاديث قهوة * وكم مجلس طيب الحديث به خمر
ألا في ضمان الله في كل ساعة * يجدد لي فيها بشوقي له ذكر
يذكرنيه البرق جذلان باسما * ويذكرني اسفار غرته الفجر
ومارق زهر الروض الا تبسمت * لناظر عيني منه آدابه الزهر

وقال يحيى السرقسطي

هاتها عسجدية كوثرية * بنت كرم رحيقة عطرية
كلما شفها النحول تقوت * فاعجبوا من ضعيفة وقوية
رب خمارة سريت اليها * والدجا في ثيابه الزنجية

ومنها

كم عقار بذلته بعقار * وثياب صبغتها خمرية
ان خير البيوع ما كان نقدا * ليس ما كان آجلا بنسية

وله

نسيتم الظلم لعمالكم * ونمتم عن قبح أعمالكم
والله لو حكمتم ساعة * ما خطر العدل على بالكم

وقال الرصافي في الدولاب

وذي حنين يكاد شجوا * يختلس الانفس اختلاسا
اذا غدا للرياض جارا * قال لها المحل لامساسا
يبتسم الروض حين يبكي * بأدمع ما رأين باسا
من كل جفن يسل سيفا * صار له عقده رياسا

وخرج أبو بكر الصابوني لنزهة بوادي اشبيلية وكان يهوى فتى اسمه علي فقال

أباحسن أباحسن * بعادك قدني وسني
وما أنسى تذكره * فهل أنسى فيذكرني

ويشبه هذا قول الطاهر بن أبي ركب

يقول الناس في مثل * تذكر غائب ساتره
فمالي لا أرى سكني * وما أنسى تذكره

وكتب بعض الادباء الى ابن حزم الاندلسي بقوله

سألت الوزير الفقيه الاجل * سؤال مدل على من سأل
فقلت أيا خير مسترشد * و يا خير من عن امام نقل
أيحرم ان نالني قبلة * غزال ترشف فيه الغزل
وعانقني والدجا خاضب * فبتنا ضجيعين حتى نصل
وجئتك أسأل مسترشدا * فبين فديت لمن قد سأل

فأجابه ابن حزم بقوله

اذا كان ما قلته صادقا * وكنت تحريت جهد المقل
وكان ضجيعك طاوي الحشا * أعار المهاة احورار المقل
قريب الرضا وله غنة * تميت الهموم وتحيي الجذل

ركعة خمسين آية يجهر تارة ويخافت اخرى ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادي

ففي

ففي أخذ أشهب عن مالك * عن ابن شهاب عن الغير قل

بترك الخلاف على جمعهم * على أن ذلك حل وبل

ونظر الرصافي يوما الى صبي يبكي ويأخذ من ريقه ويبل عينيه كي يحكي أثر البكاء فارتجل الرصافي

عذيري من جذلان يبدي كآبة * وأضلاعه مما يحاوله صفر

أميلد مياس اذا قاده الصبا * الى ملح الادلال أيده السحر

يبل مآقي مقلتيه بريقه * ليحكي البكا عمدا كما ابتسم الزهر

أيوهم أن الدمع بل جفونه * وهل عصرت يوما من النرجس الخمر

وكان المذكور أعني الرصافي يميل في شبيبته لبعض فتيان الطلبة وأجمع الطلبة على أن يصنعوا نزهة بالوادي الكبير بمالقة فركبوا زورقا للسير الى الوادي فوافق أن اجتمع في الزورق شمل الرصافي بمحبوبه ثم ان الريح الغربية عصفت وهاج البحر ونزل المطر فنزلوا من الزورق وافترق شمل الرصافي من محبوبه فارتجل في ذلك ويقال انها من أول شعره

غاربي الغرب اذ رآني * مجتمع الشمل بالحبيب

فأرسل الماء عن فراق * وأرسل الريح عن رقيب

فلما سمع ذلك استاذه استنبله وقال له انك ستكون شاعر زمانك * وحكى ان أبا بكر بن مجبر قال في ابن لابي الحسن بن القطان بحضرة والده

جاء وفي يساره * قوس وفي اليمنى قدح

كأنه شمس بدت * وحولها قوس قزح

يالائمي في حبه * ما كل من لام نصح

فقال ابن عياش الكاتب هذه أبيات لاندلسي استوطن المشرق في تركي فأقسم أبو بكر انه لم يسمع شيأ من ذلك وانما ارتجلها وقيل انها لابي الفتح محمد بن عبيد الله من أهل بغداد وأولها جذ بقلبي ومزح فالله أعلم بحقيقة الامر * وخرج أبو بكر بن طاهر وأبو ذر الخشني والقاضي أبو حفص بن عمر وهو اذ ذاك وسيم فأثرت الشمس في وجهه فقال أبو ذر

وسمتك الشمس ياقمر * سمة في القلب تنتثر

فقال الآخر علمت قدر الذي صنعت * فأتت صفراء تعتذر

وقال أبو الحسن بن البلنسي الصوفي كان لي صديق أمي لا يقرأ ولا يكتب فعلق فتى وكان خرج لنزهة فأثرت الشمس في وجهه فأعجبه ذلك وأنشد

رأيت أحمد لما جاء من سفر * والشمس قد أثرت في وجهه أثرا

فانظر لما أثرته الشمس في قمر * والشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا

واجتمع أبو الوليد الوقشي وأبو مروان عبد الملك بن سراج القرطبي وكانا فريدي عصرهما حفظا وتقدما فتعارفا وتسالما ثم بادر أبو الوليد بالسؤال وقال كيف يكون قول القائل

ولو أن ما بي بالحصا فعل الحصا * وبالريح لم يسمع لهن هبوب

ما ينبغي أن يكون مكان فعل الحصا فقال أبو مروان فلق الحصا فقال وهمت انما يكون فلق

بالعشاء الآخرة فيخرج فيصلي ثم يؤذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية فيؤامره الوزراء فيما ارادوا صدرا من ليلتهم ويستمر الى ثلث الليل في اخبار العرب وايامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وسائر ملوك الامم وحروبها ومكايدها وسياستها لرعيتها وغير ذلك من اخبار الامم السالفة ثم تأتيه الطرف الغريبة من عند نسائه من الحلوى وغيرها من المآكل اللطيفة ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك واخبارها والحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون وقد وكلوا بحفظها وقراءتها فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والآثار وأنواع السياسات ثم يخرج فيصلي الصبح ثم يعود فيفعل ما وصفنا في كل يوم وقد كان هم بأخلاقه جماعة بعده مثل عبد الملك ابن مروان وغيره فلم يدركوا خلقه ولا اتقانه للسياسة ولا التأني للامور ولا مداراته للناس على منازلهم ورفقه بهم على طبقاتهم وبلغ من احكامه للسياسة واتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه وعوامه أن رجلا من اهل الكوفة دخل على بعير له الى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال هذه ناقتي

الحصا ليكون مطابقا لقوله لم يسمع لهن هبوب يريد أن مابه يحرك ماشأنه السكون و يسكن ماشأنه الحركة فقال أبو مروان ما يريد الشاعر بقوله

وراكعة في ظل غصن منوطة * بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر

وكان اجتماعهما في مسجد فأقيمت الصلاة أثر فراغ ابن سراج من انشاد البيت فلما انقضت الصلاة قال له الوقشي ألغز الشاعر باسم أحمد فالراكعة الحاء والغصن كناية عن الالف واللؤلؤ الميم ومنقار الطائر الدال فقال له ابن سراج ينبغي أن تعيد الصلاة اشتغل خاطرك بهذا اللغز فقال له الوقشي بين الاقامة وتكبيرة الاحرام فككته والبيت لعبد الله بن الدمينة وبعده

ولو أنني أستغفر الله كلما * ذكرتك لم تكتب علي ذنوب

وقال الوزير أبو الحسن بن أضحى

ومستشفع عندي بخير الورى عندي * واولاهم بالشكر مني وبالحمد
وصلت فلما لم اقم بجزائه * لففت له رأسي حياء من المجد

وكان سبب قوله هذين البيتين انه كتب اليه أحد الوزراء شافعا لاحد الاعيان فلما وصل اليه بره وأنزله وأعطاه عطاء استعظمه واستجزله وخلع عليه خلعا وأطلعه من الجمال بدرا لم يكن مطلعا ثم اعتقد انه قد جاء مقصرا فكتب اليه معتذرا بالبيتين هكذا حكاه في الفتح وقال بعد ذلك ماصورته ومن باهر جلاله وظاهر خلاله انه اعف الناس بواطن واشرفهم في التقى مواطن ماعلمت له صبوه ولاحلت له الى مستنكر حبوه مع عدل لاشئ يعدله وتجنب عما يتقي مما يرسل عليه حجابه و يسدله وكان لصاحب البلد الذي يتولى القضاء به ابن من احسن الناس صوره وكانت محاسن الاقوال والافعال عليه مقصوره مع ماشئت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالبهاء والتفاف قال الفتح وحللنا لاحدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا قرية على ضفة نهر احسن من شادن مهر تشقها جداول كالصلال ولاترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جلة من اعيانها فأحضرنا من انواع الطعام وارانا من فرط الاكرام والانعام مالا يطاق ولايحد و يقصر عن بعضه العد وفي اثناء مقامنا بدا لي من ذلك الفتى المذكور ماانكرته فقابلته بكلام اعتقده وملام احقده فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ولم ارمنه ماعهدته من الانابه فكتبت اليه مداعبا له فراجعني بهذه القطعة

اتتني أبانصر نتيجة خاطر * سريع كرجع الطرف في الخطرات
فأعربت عن وجدي كمين طويته * بأهيف طاوفاتر اللحظات
غزال احم المقلتين عرفته * بخيف منى للحسن اوعرفات
رماك فأصمى والقلوب رمية * لكل كحيل الطرف ذي فتكات
وظن بأن القلب منك محصب * فلباك من عينيه بالجمرات
تقرب بالنساك في كل منسك * وضحى غداة النحر بالمهجات
وكانت له جيان مثوى فأصبحت * ضلوعك مثواه بكل فلاة

أخذت مني بصفين فارتفع امرهما الى معاوية وأقام الدمشقي خمسين رجلا بينة يشهدون انها ناقته فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير اليه فقال الكوفي اصلحك الله انه جمل وليس بناقة فقال معاوية هذا حكم قد مضى ودس الى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره وسأله عن ثمن بعيره فدفع اليه ضعفه وبره واحسن اليه وقال له ابلغ عليا اني اقابله بمائة الف مافيهم من يفرق بين الناقة والجمل ولقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له انه صلى بهم عند مسيرهم الى صفين الجمعة في يوم الاربعاء وأعاروه رؤسهم عند القتال وحملوه بها وركنوا الى قول عمرو بن العاص ان عليا هو الذي قتل عمار ابن ياسر حين أخرجه لنصرته ثم ارتقى بهم الامر في طاعته الى أن جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير (قال المسعودي) وذكر بعض الاخباريين انه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم من أبو تراب هذا الذي يلعنه الامام على المنبر قال أراه لصا من لصوص الفتن (وحكى الجاحظ) قال سمعت رجلا من العامة وهو حاج وقد ذكر له البيت يقول اذا أتيته من يكلمني منه وانه اخبره صديق له انه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلي

يعز

يعز علينا ان تهيم فتنطوى * كئيبا على الاشجان والزفرات
فلو قبلت للناس فى الحب فدية * فديناك بالاموال والبشرات

ومن ايثار ديانته وعلامة حفظه للشرع وصيانته وقصده مقصد المتورعين وجريه جرى المتشرعين ان احد اعيان بلده كان متصلا به اتصال الناظر بسواده محتفلا فى عينه وفؤاده لايسلمه الى مكروه ولا يفرده فى حادث يعروه وكان من الادب فى منزلة تقتضى اسعافه ولا توردهمن تشفيعه فى مورد قد عافه فكتب اليه ضارعا فى رجل من خواصه اختلط بمرأة طلقها ثم تعلقها وخاطبه فى ذلك بشعر فلم يسعفه وكتب اليه مراجعا

أيا أيها السيد المجتبى * ويا أيها الالمعى العلم
أتتنى ابياتك المحكمات * بما قدحوت من بديع الحكم
ولم ارمن قبلها مثلها * وقد نفثت سحرها فى الكلم
ولكنه الدين لايشترى * بنثر ولا بنظام نظم
وكيف ابيح حمى مانعا * وكيف احلل ماقد حرم
الست اخاف عقاب الاله * ونارا مؤججة تضطرم
أأصرفها طالقا بتة * على أنف قد طغى واجترم
ولو أن ذاك الغوى الذوى * تثبت فى أمره ماندم
ولكنه طاش مستعجلا * فكان أحق الورى بالندم

انتهى كلام الفتح الذى أردت جلبه هنا ولا خفاء أن هذه الحكاية مما يدخل فى حكايات عدل قضاة الاندلس ومن نظم ابن أضحى المذكور ما كتب به الى بعض من يعز عليه

ياساكن القلب رفقا لم تقطعه * الله فى منزل قد ظل مثوا كا
يشيد الناس للتحصين منزلهم * وأنت تهدمه بالعنف عينا كا
والله والله ماحبى لفاحشة * أعاذنى الله من هذا وعافا كا

وله فى مثل ذلك

روحى اليك فرديه الى جسدى * من لى على فقده بالصبر والجلد
بالله زورى كئيبا لا عزاء له * وشرفيه ومثواه غداة غد
لو تعلمين بما ألقاه يا أملى * بايعتنى الود تصفيه يدا بيد
عليك منى سلام الله ما بقيت * آثار عينيك فى قلبى وفى كبدى

واذ وصلت الى هذا الموضع من كلام أهل الاندلس فقد رأيت أن أذكر جملة من نساء أهل الاندلس اللاتى لهن اليد الطولى فى البلاغة كى يعلم أن البراعة فى أهل الاندلس كالغريزة لهم حتى فى نسائهم وصبيانهم *(فمن النساء المشهورات بالاندلس أم السعد بنت عصام الحميرى من أهل قرطبة وتعرف بسعدونة ولها رواية عن أبيها وجدها وغيرهما كما حكاه ابن الابار فى ترجمتها من التكملة وأنشدت لنفسها فى تمثال نعل النبى صلى الله عليه وسلم تكملة لقول غيرها

سألثم التمثال اذلم أجد * للثم نعل المصطفى من سبيل

على محمد صلى الله عليه وسلم ماتقول فى محمد هذا أربناهو (وذكر) ثمامة بن أشرس قال كنت مارا فى السوق ببغداد فاذا أنا برجل عليه الناس مجتمعون فنزلت عن بغلتى وقلت لشئ ما هذا الاجتماع ودخلت بين الناس واذا برجل يصف كحلا معه انه ينجح من كل داء يصيب العين فنظرت اليه فاذا عينه الواحدة برشاء والاخرى مأسوكة فقلت له ياهذا لو كان كحلك كما تقول نفع عينيك فقال لى أها هنا اشتكت عيناى انما اشتكتا بمصر فقال كلهم صدق وذكر انه ما انفلت من نعالهم الا بعد كد (وذكر) لى بعض اخوانى ان رجلا من العامة بمدينة السلام رفع الى بعض الولاة الطالبين لاصحاب الكلام على جارله انه يتزندق فسأله الوالى عن مذهب الرجل فقال انه مرجى قدرى أباضى رافضى فلما نص عن ذلك قال انه يبغض معاوية بن الخطاب الذى قاتل على بن العاص فقال له الوالى ما أدرى على أى شئ احسدك على علمك بالمقالات أوعلى بصرك بالانساب (وأخبرنى) رجل من اخواننا من أهل العلم قال كنا نقعد نتناظر فى أبى بكر وعمر وعلى ومعاوية ونذكر ما يذكره أهل العلم وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا فقال لى ذات يوم بعضهم وكان من اعقلهم وأكبرهم

ماصورته
لعلـــنى أحظى بتقبيـله * فى جنـة الفردوس أسنى مقيل
فى ظل طوبى سا كنا آمنا * أسقى بأ كواس من السلسبيل
وأمسح القلب به عـله * يسكـن ماجاش به من غليل
فطالما استشفى باطلال من * يهواه أهـل الحب فى كل جيل

وأنشدنى ابن جابر الوادى آشى عن شيخه المحـدث أبى محمد بن هرون القرطبى لجدنه سعدونه وأظنهاهذه
آخ الرجال مـن الابا * عدوالاقارب لاتقارب
ان الاقارب كالعـقا * رب أوأشدمن العقارب

هكذا نقـله الخطيب ابن مرزوق ورأيت نسـبة البيتين لابن العميدفالله اعـلم * ومنهن حسانة التميمية بنت أبى الحسين الشاعر تأدبت وتعلمت الشعرفلمامات ابوها كتبت الى الحـكم وهى اذذاك بكرلم تتزوج
انى اليـك اباالعاصى موجعـة * اباالحسين سقته الوا كف الديم
قد كنت أرتع فى نعماه عا كفـة * فاليوم آوى الى نعماك ياحكم
انت الامام الذى انقادالانام له * وملكته مقاليـد النهـى الامم
لاشئ أخشى اذاما كنت لى كنفا * آوى اليـه ولا يعرولى العـدم
لازلت بالعـزة القعساء مرتديا * حتى تذل اليـك العرب والعجـم

فلماوقف الحـكم على شـعرها استحسـنه وأمر لهـا باجراء مرتب وكتب الى عامله على البـيرة فجهزها بجهـاز حسـن ويحكى انهاوفدت على ابنه عبدالرحمن بشـكية من عامـله جابربن لبيدوالى البيرة وكان الحـكم قدوقع لهـا بخط يده تحرير أملا كها فلم يفدهـا فدخلت الى الامام عبـدالرحمن فأقامت بفنائه وتلطفت مع بعض نسائه حتى أوصلتها اليه وهوفى حال طرب وسرور فانتسبت اليه فعرفها وعرف أباها ثم أنشدته
الى ذى الندى والمجدسارت ركائبى * عـلى شحط تصـلى بنارالهواجر
ليجـبرصـدعى انه خـير جابر * ويمنعـنى من ذى الظلامة جابر
فانى وأيتـامى بقبضة كفه * كذى ريش أضحى فى مخالب كاسر
جـديرلمثـلى أن يقـال مروعـة * لموت أبى العاصى الذى كان ناصرى
سقاه الحيالوكان حيالمـا اعتدى * عــلى زمان باطش بطش قادر
أيمحوالذى خطتـــه يمناه جابر * لقدسام بالاملاك احدى الكبائر

ولمـافرغت رفعت اليه خطوالده وحكت جميع أمرهـا فرق لهـا وأخذخط أبيه فقبله ووضعه على عينيه وقال تعدى ابن لبيـدطوره حتى رام نقض رأى الحـكم وحسبنا أن نسلك سـبيله بعده ونحفظ بعدموته عهده انصرفى ياحسانة فقدعزلته لك ووقع لهابمثل توقيع أبيه الحـكم فقبلت يده وأمر لهـا بجائزة فانصرفت وبعثت اليه بقصيدة منها
ابن الهشـامين خـيرالناس مأثرة * وخــيرمنتجـع يومالرواد
ان هز يوم الوغى أثنـاء صعـدته * روّى أنابيبهامن صرف فرصاد
قل للامام أياخـير الورى نسـبا * مقابلابين آباء وأجــداد

لحية كم تطنبون فى على ومعاوية وفلان وفلان فقلت له فما تقول أنت فى ذلك قال من تريد قلت عـلى فما تقول فيه قال أليس هوابوفاطمة قلت ومن كانت فاطمـة قال امرأة النبى عليه السلام بنت عائشة أخت معاوية قلت فمـا كانت قصـة على قال قتل فى غزاة حنين مع النبى صـلى الله عليه وسـلم وقد كان عبدالله بن عـلى حين خرج فى طلب مروان الى الشام وكان من قصة مروان ومقتـله ماقدذكر ونزل عبدالله بن على الشام ووجـه الى أبى العباس السفاح اشياخامن اهـل الشام من أرباب النعم والرياسة فحلفوالابى العباس السـفاح انهـم ماعلموالرسول الله صـلى الله عليه وسلم قرابة ولاأهل بيت يرثونه غيربنى امية حتى وليتم الخلافة فقال فى ذلك ابراهـيم بن المهاجر البجلى
أيها الناس اسمعوا أخبركم
عجبازادعـلى كل العجب
عجبامن عبدشمس انهم
فتحواللناس أبواب الكذب
ورثوا احمـد فيمازعموا
دون عباس بن عبدالمطلب
كذبوا والله مانعلمه
يحرزالميراث الامن قرب
وقد كان ببغداد رجـل فى أيام هرون الرشيد متطبب يطبب العامة بصفاته وكان دهريا يظهر أنه من أهل السنة والجماعة ويلعن أهل البدع ويعرف بالسنى تنقاداليه العامة فكان

جودت طبعي ولم ترض الظلامة لي * فهاك فضل ثناء رائح غاد
فان أقمت ففي نعماك عاطفة * وان رحلت فقد زودتني زادي

*(ومنهن أم العلاء بنت يوسف الحجارية) ذكرها صاحب المغرب وقال انها من أهل المائة الخامسة ومن شعرها

كل ما يصدر منكم حسن * وبعلياكم تحلى الزمن
تعطف العين على منظركم * وبذكراكم تلذ الاذن
من يعش دونكم في عمره * فهو في نيل الاماني يغبن

وعشقها رجل أشيب فكتبت اليه

الشيب لا يخدع فيه الصبي * بحيلة فاسمع الى نصحي
فلا تكن أجهل من في الورى * يبيت في الجهل كما يضحي

ولها أيضا

أفهم مطارح أحوالي وما حكمت * به الشواهد واعذرني ولا تلم
ولا تكلني الى عذر أبينه * شر المعاذير ما يحتاج للكلم
وكل ما جئته من زلة فبما * أصبحت في ثقة من ذلك الكرم

والحجارية بالراء المهملة نسبة الى وادي الحجارة *(ومنهن أمة العزيز) قال الحافظ ابو الخطاب ابن دحية في كتاب المطرب من أشعار المغرب أنشدتني اخت جدي الشريفة الفاضلة أمة العزيز الشريفة الحسنية لنفسها

لحاظكم تجرحنا في الحشا * ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذي اوجب جرح الصدود انتهى

قلت هذا السؤال يحتاج الى جواب وقد رأيت لبلديّنا القاضي الامام الفاضل ابي الفضل قاسم العقباني التلمساني رحمه الله تعالى جوابه والغالب انه من نظمه وهو قوله

اوجبه مني يا سيدي * جرح بخد ليس فيه الجحود
وأنت فيما قلته مدع * فأين ما قلت وأين الشهود انتهى

*(ومنهن أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية) *قال ابن سعيد في المغرب كانت تنظم الشعر وعشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسمار وعملت فيه الموشحات ومن شعرها فيه

يا معشر الناس ألا فاعجبوا * مما جنته لوعة الحب
لولاه لم ينزل ببدر الدجا * من أفقه العلوي للترب
حسبي بمن أهواه لو أنه * فارقني تابعه قلبي

*(ومنهن الشاعرة الغسانية البجانية) بالنون نسبة الى بجانة وهي كورة عظيمة وتشتهر باقليم المرية وهي من أهل المائة الرابعة فمن نظمها من ابيات

عهدتهم والعيش في ظل وصلهم * انيق وروض الوصل أخضر فينان
ليالي سعد لا يخاف على الهوى * عتاب ولا يخشى على الوصل هجران

يجتمع اليه في كل يوم بقوارير الماء خلق من الناس فاذا اجتمعوا وثب قائما على قدميه فقال لهم معاشر المسلمين قلتم لا ضار ولا نافع الا الله فلاي شئ تسألوني عن مضاركم ومنافعكم الجؤا الى ربكم وتوكلوا على باريكم حتى يكون فعلكم مثل قولكم فيقبل بعضهم على بعض فيقولون اي والله قد صدقنا فكم من مريض لم يعالج حتى مات ومنهم من كان يتركه حتى يسكن ثم يريه الماء فيصف له الدواء فيقول ايمانك ضعيف ولولا ذلك لتوكلت على الله كما أمرك فهو يبرئك فكان يقتل بقوله هذا خلقا كثيرا لتزهيده اياهم في معالجة مرضاهم ومن اخلاق العامة ان يسودوا غير السيد ويفضلوا غير الفاضل ويقولوا بعلم غير العالم وهم اتباع من سبق اليهم من غير تمييز بين الفاضل والمفضول والفضل والنقصان ولا معرفة للحق من الباطل عندهم ثم انظر هل ترى اذا اعتبرت ما ذكرنا ونظرت في مجالس العلماء هل تشاهدها الا مشحونة بالخاصة من اولي التمييز والمروءة والحجى وتقصد العامة في احتشادها وجموعها فلا تراهم الدهر الا مرقلين الى قائد دب وضارب بدف على سياسة قرد ومتشوقين الى اللهو واللعب أو مختلفين الى مشعبذ متمس مخرف أو

(ومنهن العروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب تسكنت بلنسية وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة لكنها فاقته في ذلك وبرعت في العروض وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالي وتشرحهما قال أبو داود سليمان بن نجاح قرأت عليها الكتابين وأخذت عنها العروض توفيت بدانية بعد سيدها في حدود الخمسين والاربعمائة رحمها الله تعالى * (ومنهن حفصة بنت الحاج الركونية الشاعرة الاديبة المشهورة بالجمال والحسب والمال ذكرها الملاحي في تاريخه وأنشد لها مما قالته في أمير المؤمنين عبد المؤمن ابن علي ارتجالا بين يديه

ياسيد الناس يامن * يؤمل الناس رفده
امنن علي بطرس * يكون للدهر عدة
تخط يمناك فيه * الحمد لله وحده

وأشارت بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين فانها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط غليظ في رأس المنشور الحمد لله وحده وتذكرت بذلك والشئ بالشئ يذكر انه لما قفل السلطان الناصر أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين يعقوب المنصور ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي سلطان المغرب والاندلس من افريقية سنة ثلاث وستمائة بعد فتح المهدية هنأته الشعراء بذلك ثم اجتمع أبو عبد الله بن مرج الكحل بالشعراء والكتاب فتذاكروا الفتح وعظمه فأنشدهم ابن مرج الكحل في الوقت لنفسه

ولما توالى الفتح من كل وجهة * ولم تبلغ الاوهام في الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره * بما أودع السر الالهي عنده
فلا نعمة الا تؤدي حقوقها * علامته بالحمد لله وحده

فاستحسن الكتاب له ذلك ووقع أحسن موقع * وحكى صاحب كتاب روح الشعر وروح السحر وهو الكاتب أبو عبد الله محمد بن الجلاب الفهري أن أمير المؤمنين يعقوب المنصور لما قفل من غزوة الارك المشهورة وكانت يوم الاربعاء تاسع شعبان سنة احدى وتسعين وخمسمائة ورد عليه الشعراء من كل قطر يهنئونه فلم يمكن لكثرتهم أن ينشد كل انسان قصيدته بل كان يختص منها بالانشاد البيتين او الثلاثة المختارة فدخل أحد الشعراء فأنشده

ما أنت في امراء الناس كلهم * الا كصاحب هذا الدين في الرسل
أحييت بالسيف دين الهاشمي كما * أحياه جدك عبد المؤمن بن علي

فأمر له بألفي دينار ولم يصل أحدا غيره لكثرة الشعراء وأخذا بالمثل منع الجميع أرضى للجميع قال وانتهت رقاع القصائد وغيرها الى ان حالت بينه وبين من كان أمامه لكثرتها انتهى *(رجع الى أخبار حفصة وأنشد لها أبو الخطاب في المطرب قولها

ثنائي على تلك الثنايا لانني * أقول على علم وأنطق عن خبر
وأنصفها لا اكذب الله انني * رشفت بها ريقا أرق من الخمر

وتولع بها السيد ابو سعيد عبد المؤمن ملك غرناطة وتغير بسببها على أبي جعفر بن سعيد حتى أدى تغيره عليه ان قتله وطلب ابو جعفر منها الاجتماع فمطلته قدر شهرين فكتب لها

مستمعين الى قاص كذاب أو مجتمعين حول مضروب اوو قوفا عند مصلوب ينعق بهم ويصاح بهم فلا يرتدعون لا ينكرون منكرا ولا يعرفون معروفا ولا يبالون ان يلحقوا البار بالفاجر والمؤمن بالكافر وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فيهم حيث يقول الناس اثنان عالم او متعلم وماعدا ذلك همج رعاع لا يعبأ الله بهم وكذلك ذكر عن علي وقد سئل عن العامة فقال همج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق واجمع الناس في تسميتهم على انهم غوغاء وهم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا ثم تدبر تفرقهم في احوالهم ومذاهبهم فانظر الى اجماع مللهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يدعو الخلق الى الله اثنتين وعشرين سنة وهو ينزل عليه الوحي وعليه على اصحابه فيكتبونه ويدونونه ويلتقطونه لفظة لفظة وكان معاوية في هذه المدة بحيث علم الله ثم كتب له صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهور فاشادوا من ذكره ورفعوا من منزلته بأن جعلوه كاتبا للوحي وعظموه بهذه الكلمة واضافوه اليها وسلبوها عن غيره واسقطوا ذكر سواه واصل ذلك العادة والالف وما ولدوا عليه وما نشؤا فيه فالغوا وقت التحصيل والبلوغ

يا

يامن اجانب ذكر اسمه وحبي علامه
مالى أرى الوعد يقضى * والعمر أخشى انصرامه
اليوم ارجوك لاان * يكون لى فى القيامه
لوقد بصرت بحالى * والليل أرخى ظلامه
أنوح شوقا ووجدا * اذ تستريح الحمامه
صب أطال هواه * على الحبيب غرامه
لمن يتيه عليه * ولا يرد سلامه
ان لم تنيلى أريحى * فاليأس يثنى زمامه

فاجابته

يامدعى فى هوى الحسن والغرام الامامه
أتى قريضك لكن * لم أرض منه نظامه
امدعى الحب يثنى * ياس الحبيب زمامه
ضللت كل ضلال * ولم تفدك الزعامه
مازلت تصحب مذ كنت فى السباق السلامه
حتى عثرت وأخجلت بافتضاح السآمه
بالله فى كل وقت * يبدى السحاب انسجامه
والزهر فى كل حين * يشق عنه كمامه
لوكنت تعرف عذرى * كففت غرب الملامه

ووجهت هذه الابيات مع موصل ابياته بعدما لعنته وسبته وقالت له لعن الله المرسل والمرسل فما فى جميعكما خير ولالى برؤيتكما حاجة وانصرف بغاية من الخزى ولما أطل على ابى جعفر وهو فى قلق لانتظاره قال له ماوراءك ياعصام قال مايكون وراء من وجهه خلف الى فاعلة تاركة اقرأ الابيات تعلم فلما اقرأ الابيات قال للرسول ما أسخف عقلك واجهلك انها وعدتنى للقبة التى فى جنتى المعروفة بالكمامة سر بنا فبادروا الى الكمامة فما كان الا قليلا واذا بها قد وصلت وأراد عتبها فانشدت

دعى عد الذنوب اذا التقينا * تعالى لانعد ولاتعدى

وجلسا على أحسن حالة واذا برقعة الكندى الشاعر لابى جعفر وفيها

اباجعفر يا ابن الكرام الاماجد * خلوت بمن تهواه رغما لحاسد
فهل لك فى خل قنوع مهذب * كتوم عليم باختفاء المراصد
يبيت اذا يخلو المحب بحبه * ممتع لذات بخمس ولائد

فقرأها على حفصة فقالت لعنه الله قد سمعنا بالوارش على الطعام والواغل على الشراب ولم نسمع اسما لمن يعلم باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما فقال لها بالله سميه لنكتب له بذلك فقالت اسميه الحائل لانه يحول بينى و بينك ان وقعت عينى عليه فكتب له فى ظهر رقعته

يامن اذا ما أتانى * جعلته نصب عينى
تراك ترضى جلوسا * بين الحبيب و بينى

وقد عملت العادة عملها وبلغت مبالغها فى العادة قالت الشعراء وتكلم اهل الدراية والادباء فقال الشاعر

لاتنهنى بعد اذ أكرمتنى * فشديد عادة منتزعة

وقال آخر معاتبا لصاحبه

ولكن فطام النفس اثقل محملا * من الصخرة الصماء حين ترومها

وقد قالت حكماء العرب العادة املك بالادب وقالت حكماء العجم العادة هى الطبيعة الثانية وقد صنف ابو عقال الكاتب كتابا فى أخلاق العوام يصف فيه اخلاقهم وشيمهم ومخاطباتهم وسماه بالملهى ولولا انى اكره التطويل والخروج عما قصدنا اليه فى هذا الكتاب من الايجاز لشرحت من نوادر العامة واخلاقها وظرائف افعالها عجائب ولذكرت مراتب الناس فى اخلاقهم وتصرفهم فى احوالهم (فلنرجع) الآن الى اخبار معاوية وسياسته وما اوسع الناس من اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الأهل والقرابات من ذلك أنه وفد عليه عقيل بن ابى طالب منتجعا وزائرا فرحب به معاوية وسر بوروده لاختياره اياه على أخيه وأوسعه حلما واحتمالا فقال له يا أبا يزيد كيف تركت عليا فقال

ان كان ذاك فماذا * تبغي سوى قرب حيني
والآن قد حصلت لي * بعد المطال بديني
فان أتيت فدفعا * منها بكلتا اليدين
اوليس تبغي وحاشا * ك ان ترى طير بين
وفي مبيتك بالخمس كل قبح وشين
فليس حقك الا الـخلو بالقمرين

وكتب له تحت ذلك ما كان منها من الكلام وذيل ذلك بقوله

سمالك من اهواه حائل * ان كنت بعد العتب واصل
مع ان لونك مزعج * لو كنت تحبس بالسلاسل

فلما رجع اليه الرسول وجده قد وقع بمطمورة نجاسة وصار هتكة فلما قرأ الابيات قال للرسول اعلمهما بحالي فرجع الرسول وأخبرهما بذلك فكاد أن يغشى عليهما من الضحك وكتبا اليه ارتجالا كل واحد بيتا بيتا وابتدأ أبو جعفر فقال

قل للذي خاصنا * من الوقوع في الخرا
ارجع كما شاء الخرا * يا ابن الخرا الى ورا
وان تعد يوما الى * وصالنا سوف ترى
يا اسقط الناس ويا * انذلهم بلا مرا
هذا مدى الدهر تلا * قي لو أتيت في الكرا
يا لحية تشغف في السخر وتشنا العنبرا
لاقرب الله اجتما * عاتك حتى تقبرا

ومن شعرها

سلام يفتح في زهره الكمام وينطق ورق الغصون
على نازح قد ثوى في الحشا * وان كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا البعد ينسا كم * فذلك والله مالا يكون

وقولها من أبيات

ولو لم يكن نجما لما كان ناظري * وقد غبت عنه مظلما بعد نوره
سلام على تلك المحاسن من شج * تناءت بنعماه وطيب سروره

وقولها سلوا البارق الخفاق والليل ساكن * اظل بأحبابي يذكرني وهنا
لعمري لقد اهدى لقلبي خفقه * وأمطرني منهل عارضه الجفنا

ونسب بعض اليها البيتين المشهورين

أغار عليك من عيني رقيبي * ومنك ومن زمانك والمكان
ولو اني خبأتك في عيوني * الى يوم القيامة ما كفاني

والله تعالى أعلم وكتبت الى أبي جعفر

رأست فما زال العداة بظلمهم * وعلمهم النامي يقولون لم رأس

وهل

تركته على ما يحب الله ورسوله والفيتك على ما يكره الله ورسوله فقال له معاوية لولا انك زائر منتجع جنابنا لرددت عليك أبا يزيد جوابا تألم منه ثم أحب معاوية ان يقطع كلامه مخافة ان يأتي بشيء يخفظه فوثب عن مجلسه وأمر له ان ينزل وحمل اليه مالا عظيما فلما كان من غد جلس وارسل اليه فاتاه فقال له يا ابا يزيد كيف تركت عليا اخاك قال تركته خير النفسه منك وانت خير لي منه فقال له معاوية انت والله كما قال الشاعر

واذا اعددت فخار آل محرق * فالمجد منهم في بني عتاب
فعل المجد من بني هاشم منوط فيك يا ابا يزيد ما تغيرك الايام والليالي فقال عقيل

اصبر لحرب انت جانيها * لابد ان تصلى بحاميها

وانت والله يا ابن ابي سفيان كما قال الآخر

واذا هوازن اقبلت بفخارها * يوما فخرتهم بآل مجاشع
بالحاملين على الموالي عزمهم * والضاربين الهام يوم القارع

ولكن انت يا معاوية اذا افتخرت بنو امية فيمن تفخر فقال معاوية عزمت عليك ابا يزيد لما امسكت فاني لم اجلس لهذا وانما اردت ان اسألك عن اصحاب علي فانك ذو معرفة بهم فقال عقيل سل عما بدا لك فقال ميزلي اصحاب علي وابدأ بآل صوحان فانهم مخاريق الكلام

وهل عنكر أن ساد أهل زمانه * جموح الى العليا حرون عن الدنس

وقال ابن دحية حفصة من أشراف غرناطة رخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر انتهى ومن قولها فى السيد أبى سعيد ملك غرناطة تهنئه بيوم عيد وكتبت بذلك اليه

ياذا العلا وابن الخليفة والامام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى * فيه بما تهوى القضا
وأتاك من تهواه فى * قيد الانابة والرضا
ليعيد من لذاته * ماقد تصرم وانقضى

وذكر الملاحى فى تاريخه انها سألتها امرأة من أعيان غرناطة أن تكتب لها شيأ بخطها فكتبت اليها

يا ربة الحسن بل يا ربة الكرم * غضى جفونك عما خطه قلمى
تصفحيه بلحظ الود منعمة * لاتحفلى بردىء الخط والكلم

واتفق ان بات أبو جعفر بن سعيد معها فى بستان بحوز مؤمل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال أبو جعفر وكان يهواها كما سبق

رعى الله ليلا لم يرح عذمم * عشية وارانا بحوز مؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريجة * اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قمرى على الدوح وانثنى * قضيب من الريحان من فوق جدول
يرى الروض مسرورا بما قدبداله * عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتب بها اليها بعد الافتراق لتجيبه على عادتها فى مثل ذلك فكتبت اليه بقولها

لعمرك ماسر الرياض بوصلنا * ولكنه ابدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا * ولا غرد القمرى الالماوجد
فلا تحسن الظن الذى أنت أهله * فماهو فى كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق أبدى نجومه * لأمر سوى كيما تكون لنا رصد

وقال ابن سعيد فى الطالع السعيد كتبت حفصة الركونية الى بعض أصحابها

ازورك ام تزور فان قلبى * الى ما تشتهى أبدا يميل
فثغرى مورد عذب زلال * وفرع ذؤابتى ظل ظليل
وقد أملت أن تظما وتضحى * اذا وافى اليك بى المقيل
فعجل بالجواب فما جميل * اباؤك عن بثينة يا جميل

قال التجانى تشبه أبيات حفصة هذه أبيات أنشدها ابن أبى الحسين فى تاريخه لسلمى بنت القراطيسى من أهل بغداد وكانت مشهورة بالجمال وهى

عيون مها الصريم فداء عينى * وأجياد الظباء فداء جيدى
أزين بالعقود وان نحرى * لازين للعقود من العقود
ولا أشكو من الاوصاب ثقلا * وتشكو قامتى ثقل النهود

وبلغت هذه الابيات المقتفى أمير المؤمنين فقال اسألوا هل تصدق صفتها قولها فقالوا

ويفتق ما رتق قليل النظير وأما زيد وعبد الله فانهما نهران جاريان يصب فيهما الخلجان ويغاث بهما البلدان رجلا جد لا لعب معه وأما بنو صوحان فكما قال الشاعر

اذا نزل العدو فان عندى * اسودا تخلس الاسد النفوسا

فاتصل كلام عقيل بصعصعة فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم ذكر الله أكبر وبه يستفتح المستفتحون وانتم مفاتيح الدنيا والآخرة أما بعد فقد بلغ مولاك كلامك لعدو الله وعدوه فحمدت الله على ذلك وسألته ان يفىء بك الى الدرجة العليا والقضيب الاحمر والعمود الاسود فانه عمود من فارقه الدين الازهر ولئن نزعت بك نفسك الى معاوية طلبا لماله انك لذو علم بجميع خصاله فاحذر أن تعلق بك ناره فيضلك عن الحجة فان الله قد رفع عنكم أهل البيت ماوضعه فى غيركم فما كان من فضل او احسان فبكم وصل الينا فأجل الله اقداركم وحمى اخطاركم وكتب آثاركم فان اقداركم مرضية

 واخطاركم محمية وآثاركم بدرية وانتم سلم الله الى خلقه ووسيلته الى طرقه ايد عليه ووجوه جليه

مايلون أجزل منها فقال اسألوا عن عفافها فقالوا له هي أعف الناس فأرسل اليها مالا جزيلا وقال تستعين به على صيانة جمالها ورونق بهجتها انتهى * (رجع الى حفصة) وقال أبو جعفر بن سعيد أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة ومن بعض ما أجعله دليلا على تصديق عزمي وبرقسمي أني كنت يوما في منزلي مع من يحب أن يخلي معه من الاجواد الكرام على راحة سمحت بها غفلات الايام فلم نشعر الا بالباب يضرب فخرجت جارية تنظر من الضارب فوجدت امرأة فقالت لها ماتريدين فقالت ادفعي لسيدك هذه الرقعة فجاءت برقعة فيها

زائر قد أتى بجيد الغزال * مطلع تحت جنحه للهلال

بلحاظ من سحر بابل صيغت * ورضاب يفوق بنت الدوالي

يفضح الورد ما حوى منه خد * وكذا الثغر فاضح للآلي

ما ترى في دخوله بعد اذن * أو تراه لعارض في انفصال

قال فعلمت أنها حفصة وقمت مبادر اللباب وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حسنه وآدابه والغرام به وتفضله بالزيارة دون طلب في وقت الرغبة في الانس به انتهى قلت واذ قد جرى ذكر أبي جعفر بن سعيد سابق الحلبة فانلم ببعض أحواله فنقول هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي قال قريبه أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد في المغرب سمعت أبي يقول لا أعلم في بني سعيد أشعر منه بل لا أعلم في بلده وعشق حفصة شاعرة الاندلس وكانا يتجاوبان تجاوب الحمام ولما استبد والده بأمر القلعة حين ثار أهل الاندلس بسبب صولة بني عبد المؤمن على الملثمين اتخذه وزيرا واستعان به في أموره فلم يصبر على ذلك واستعفى فلم يعفه وقال أفي مثل هذا الوقت الشديد تركن الى الراحة فكتب اليه

مولاي في أي وقت * أنال في العيش راحه

ان لم أنلها وعمري * ما ان أنار صباحه

وللملاح عيون * تميل نحو الملاحه

وكاس راحي ما ان * تمل مني راحه

والخطب عني أعمى * لم يقترب لي ساحه

وأنت دوني سور * من العلا والرجاحه

أعفني وأقلني * مما رأيت صلاحه

ما في الوزارة حظ * لمن يريد ارتياحه

كل وقال وقيل * مما يطيل نباحه

أنسى أتى مستغيثا * فاترك فديت سراحه

فلما قرأ الابيات قال لا ينفع الله بما لا يكون مركبا في الطبع مائلة له النفس ثم وقع على ظهر ورقته قد تركنا سراح أنسك وألحقنا يومك بامسك ولما رجع ثوار الاندلس الى عبد المؤمن وبايعه عبد الملك بن سعيد فغمره احسانا وبرا وولي السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن غرناطة طلب كاتبا من أهلها فوصف له فضل أبي جعفر وحسبه وأدبه فاستكتبه

وانتم كما قال الشاعر

فما كان من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطى الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل

(وحدث) ابو الهيثم عن ابي سفيان عمرو بن يزيد عن البراء بن يزيد عن محمد بن عبد الله بن الحرث الطائي ثم احد بني عفان قال لما انصرف علي من الجمل قال لآذنه من بالباب من وجوه العرب قال محمد بن عمير بن عطارد التميمي والاحنف بن قيس وصعصعة ابن صوحان العبدي رجال سماهم فقال ائذن لهم فدخلوا فسلموا بالخلافة فقال لهم انتم وجوه العرب عندي ورؤساء اصحابي فأشيروا علي في امر هذا الغلام المترف يعني معاوية فافتنت بهم المشورة عليه فقال صعصعة ان معاوية ترفه الهوى وحببت اليه الدنيا فهانت عليه مصارع الرجال وابتاع آخرته بدنياهم فان تعمل فيه برأي ترشد وتصب ان شاء الله والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا امير المؤمنين الرأي ان ترسل اليه عينا من عيونك وثقة من ثقاتك بكتاب تدعوه الى بيعتك فان اجاب واناب كان له ما لك وعليه ما عليك والا جاهدته وصبرت لقضاء الله حتى يأتيك اليقين فقال علي عزمت عليك ياصعصعة الا كتبت الكتاب بيدك وتوجهت به الى معاوية

فطلب

فطلب أن يعفيه فأبى الى أن شرب أبو جعفر يوما مع بعض خواصه وخرج ثاني يوم الى الصيد وكان اليوم ذا غيم وبرد ولما اشتد البرد مالوا الى خيمة ناطور وجعلوا يصطلون و يشربون على ما اصطادوا فحمل أبا جعفر بقية السكر على أن قال يصف يومه ويستطرد بما في نفسه

ويوم تجلى الافق فيه بعنبر * من الغيم لذنا فيه باللهو والقنص
وقد بقيت فينا من الامس فضلة * من السكر تغرينا بمنتهب الفرص
ركبنا له صبحا وليلا وبعضنا * اصيلا وكل ان شدا جلجل رقص
وشهب بزاة قد رجمنا بشهبها * طيورا يساغ الاهوان شكت الغصص
وعن شفق تغزى الصباح او الدجا * اذا اوثقت ماقد تحرك اوقص
وملنا وقد نلنا من الصيد سؤلنا * على قنص اللذات والبرد قد قرص
بخيمة ناطور توسط عذبها * جحيم به من كان عذب قد خلص
ادرنا عليه مثله ذهبية * دعته الى الكبرى فلم يجب الرخص
فقل لحريص ان يراني مقيدا * بخدمته لا يجعل البازفي القفص
وماكنت الا طوع نفسي فهل ارى * مطيعا لمن عن شأو فخري قد نقص

فكان من أصحابه من حفظ هذين البيتين ووشى بهما للسيد فعزله اسوأ عزل ثم بلغه بعد ذلك انه قال لحفصة الشاعرة ما تحبين في ذلك الاسود وأنا أقدر أن اشتري لك من سوق العبيد عشرة خيرا منه وكان لونه مائلا الى السواد فاسرها في نفسه الى ان فر عبد الرحمن بن عبد الملك ابن سعيد الى ملك شرق الاندلس محمد بن مردنيش فوجد له بذلك سببا فقتله صبرا بمالقة وكان عبد الملك بن سعيد يذكر ابنه ابا جعفر لعبد المؤمن و ينشده من شعره رغبة في تشريفه بالحضور بين يديه وانشاده في مجلسه فأمره بحضوره فعندما دخل عليه قبل يده وانشد قصيدة منها قوله

عليك احالني داعي النجاح * ونحوك حثني حادي الفلاح
وكنت كساهر ليلا طويلا * ترنح حين بشر بالصباح
وذي جهل تغلغل في قفار * شكا ظمأ فدل على القراح
دعانا نحو وجهك طيب ذكر * و يذكر للرياض شذا الرياح

وله في غلام اسود ساق ارتجالا

ادار علينا الكاس ظبي مهفهف * غدا نشره واللون للعنبر الشحري
وزاد لنا حسنا بزهر كؤسه * وحسن ظلام الليل بالانجم الزهر

وقوله فيه وقد لبس ابيض

وغصن من الآبنوس ارتدى * بعاج كليل علاه فلق
يحاكي لنا الكاس في كفه * صباح بجنح علاه شفق

وقوله مما كتب به الى اخيه محمد وقد ورد منه كتاب بانعام

وافى كتابك ينبي * عن سابغ الانعام
فقلت در ودر * من زاخر وغمام

واجعل صدر الكتاب تحذيرا وتخويفا وعجزه استتابة واستنابة وليكن فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي امير المؤمنين الى معاوية سلام عليك أما بعد ثم اكتب ما أشرت به علي واجعل عنوان الكتاب ألا الى الله تصير الامور قال اعفني من ذلك قال عزمت عليك لتفعلن قال أفعل فخرج بالكتاب وتجهز وسار حتى ورد دمشق فأتى باب معاوية فقال لآذنه استأذن لرسول أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب وبالباب أردفة من بني أمية فأخذته الايدي والنعال لقوله وهو يقول أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وكثرت الجلبة واللغط فاتصل ذلك بمعاوية فوجه من يكشف الناس عنه فكشفوا ثم أذن لهم فدخلوا فقال لهم من هذا الرجل قالوا رجل من العرب يقال له صعصعة بن صوحان معه كتاب من علي فقال والله لقد بلغني أمره هذا أحد سهام علي وخطباء العرب ولقد كنت الى لقائه شيقا ائذن له يا غلام فدخل عليه فقال السلام عليك يا ابن أبي سفيان هذا كتاب أمير المؤمنين فقال معاوية أما انه لو كانت الرسل تقتل في جاهلية أو اسلام لقتلتك ثم اعترضه معاوية في الكلام وأراد ان يستخرجه ليعرف

وقوله يذم حماما

يارب حمام لعنا بها * أبدى الينا كل حمام
أفق له قطر رحيم كما * أصمت سهام من يدى رامى
يخرق سحبا للدخان الذى * لاح كغيم العارض الهامى
وقيم يجذبنى جذبة * وتارة يكسر ابهامى
و يجمع الاوساخ من لؤمه * فى عضدى قصد الاعلامى
وازدحم الانذال فيه وقد * ضجوا ضجيجا دون افهام
و جملة الامر دخلنا بنى * سام وعدنا كبنى حام

وله فى ضد ذلك والنصف الاخير لابن بقى

لا أنس ما عشت حماما ظفرت به * وكان عندى أحلى من جنى الظفر
نعمت جسمى فى ضدين مغتنما * تنعم الغصن بين الشمس والمطر

وقال له السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة ما أنت الاحسن الفراسة وافر العقل فقال

نسبتم لمن هذبتموه فراسة * وعقلا ولولا كم للازمه الجهل
وما هو أهل للثناء وانما * علاكم لتقليد الايادى له أهل
وما أنا الا منكم واليكم * ومافى من خير فأنتم له أصل

وقال

ولما رأيت السعد فى صفح وجهه * منيرا دعانى ما رأيت الى الشكر
وأقبل يبدى لى غرائب نطقه * وما كنت أدرى قبله منزع السحر
فأصغيت اصغاء الجديب الى الحيا * وكان ثنائى كالرياض على القطر

وله

لا تكثرن عتابى * ان طال عنك فراقى
فما يضر بعاد * يطول والود باقى

وله

ما خدمنا كم لأن تشفعوا فينا بدار الجزاء يوم الحساب
ذاك يوم أنا وأنت سواء * فيه كل يخاف سوء العقاب
انما الشان الذب فى هذه الدنيا بسلطانكم عن الاصحاب
واذا ما خذلتموهم بشكوى * و بخلتم عنهم بردا الجواب
فاعذروهم ان يطلبوا من سواكم * نصرة وارفعوا حبال العتاب
واذا أرض مجدب لفظته * فله العذر فى اتباع السحاب

وله وقد تقدم أمامه فى ليلة مظلمة أحد أصحابه فطفئ السراج فى يده فقال لو قته

لى من جبينك هادى * فى الليل نحو مرادى
فما أريد سراجا * يدلنى لرشاد
أنى وكفك سحب * يبدو بها ذا اتقاد

وله فى قوادة

قوادة تفخر بالعار * أقود من ليل على سار

التى افترس واذا انصرف احترس قال فمن أى أولاده أنت قال من ربيعة قال وما كان ربيعة قال كان يطيل النجاد و يعول العباد ويضرب بيقاع الارض العماد قال فمن أى اولاده أنت قال من جديلة قال وما كان جديلة قال كان فى الحرب سيفا قاطعا وفى المكرمات غيثا نافعا وفى اللقاء لهبا ساطعا قال فمن أى أولاده انت قال من عبد القيس قال وما كان عبد القيس قال كان حضر يا خصيبا أبيض وهابا لضيفه ما يجد ولا يسأل عما فقد كثير المرق طيب العرق يقوم للناس مقام الغيث من السماء قال ويحك يا ابن صوحان فما تركت لهذا الحى من قريش مجدا ولا فخرا قال بلى والله يا ابن أبى سفيان تركت لهم مالا يصلح الا بهم ولهم تركت الابيض والاحمر والاصفر والاشقر والسرير والمنبر والملك الى المحشر وأنى لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله فى الارض ونجومه فى السماء ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها فقال صدقت يا ابن

صوحان ان ذلك لكذلك فعرف صعصعة ما أراد فقال ليس لك ولا لقومك فى ذلك اصدار ولا ايراد ولا

ولاجـة فى كل داروما * يدرى بهامن حذقهادارى
ظريفة مقبولة الملتقى * خفيفة الوطء على الجار
لحافها الاينطوى دائما * أقلق من راية بيكار
قدر بيت مذ عرفت نفعها * مابين فتاك وشطار
جاهلة حيث ثوى مسجد * عارفة حانة خمار
بسامة مكثرة برها * ذات فكاهات وأخبار
علم الرياضات حوته وسا * سته بتقويم واسعار
مبتاعة للنعل من كيسها * موسرة فى حال اعسار
تكاد من لطف أحاديثها * تجمع بين الماء والنار

وماسمعنا فى هذا الباب أحسن من هذا والبيت السائر

تقود من السياسة ألف بغل * اذا حرنت بخيط العنكبوت

وشرب ليلة مع أصحاب له وفيهم وسيم فأعرض بجانبه وقطب فتكدر المجلس فقال أبو جعفر

يامن نأى عنا الى جانب * صدا كميل الشمس عند الغروب
لاتزوعنا وجهك المجتلى * فالشمس لا يعهد منها قطوب
ان دام هذا الحال ما بيننا * فاننا عما قليل نتوب
مانشتكى الدهر ولا خطبه * لولاك ما دارت علينا خطوب

وله

أيا الائمى فى حمل صحبة جاهل * قطوب المحيا سيء اللفظ والسمع
لمنفعة ترجى لديه صحبته * وان كان ذا طبع يخالفه طبعى
كما احتمل الانسان شرب مرارة الـ * ـدواء لما يرجو لديه من النفع

وله وقد أحسن ماشاء

تركتكم لا كارها فى جنابكم * ولكن أبى ردى الى بابكم دهرى
وطاحت بى الاطماع فى كل وجهة * تنقلنى من كل سهل الى وعر
وما باختيار فارق الخلد آدم * وما عن مراد لاذ أيوب بالصبر
ولكنها الايام ليست مقيمة * على ما اشتهاه مشته أمد العمر
وانك ان فكرت فيما أتيته * تيقنت أن الترك لم يك عن غدر
ولكن لجاج فى النفوس اذا انقضى * رجعت كما قد عاد طير الى وكر
وانى لمنسوب اليكم وان نأت * بى الدار عنكم والغدير الى القطر
وانى لمثن بالذى نلت منكم * مقيم على ما تعلمون من البر
وان خنتكم يوما فخانتنى المنى * وساء لديكم بعد احماده ذكرى
على أننى أقررت أنى مذنب * وذو المجد من يغنى المقر عن العذر

وله يصف نارا

نظرت الى نار تصول على الدجا * اذا ما حسبناها تدانت تبعد
ترفعها أيدى الرياح وتارة * تخفضها مثل المكبر يسجد

بعدتم عن أنف المرعى وعلوتم عن عذب الماء قال فلم ذلك ويلك يا ابن صوحان قال الويل لاهل النار ذلك لبنى هاشم قال قم فأخرجوه فقال صعصعة الصدق ينبئ عنك لا الوعيد من أراد المشاجرة قبل المحاورة فقال معاوية لشىء ماسوده قومه وددت والله أنى من صلبه ثم التفت الى بنى أمية فقال هكذا فلتكن الرجال (وحدث) منصور ابن وحشى عن أبى الغياض عبد الله بن محمد الهاشمى عن الوليد بن البخترى العبسى عن الحرث بن مسمار البهرانى قال حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدى وعبد الله ابن الكواء اليشكرى ورجالا من أصحاب على مع رجال من قريش فدخل عليهم معاوية يوما فقال نشدتكم بالله الا ما قلتم حقا وصدقا أى الخلفاء رأيتمونى فقال ابن الكواء لولا انك عزمت علينا ما قلنا لانك جبار عنيد لا تراقب الله فى قتل الاخيار ولكنا نقول انك ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة قريب الثرى بعيد المرعى تجعل الظلمات نورا والنور ظلمات فقال معاوية ان الله أكرم هذا الامر بأهل الشام الذابين عن بيضته التاركين لمحارمه ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله والمحلين ما حرم الله

والافق لا يملك الصبر قلبه * يقوم به غيظ هناك ويقعد
لها ألسن تشكو بها ما أصابها * وقد جعلت من شدة القر ترعد

وله على لسان انسان أخلقت بردته

مولاى هذى بردتى أخلقت * وليس شئ دونها أملك
وصرت من باس ومن فاقة * أبكى اذا أبصرتها تضحك

وله يستدعى أحد أبناء الرؤساء الى يوم اجتماع

تداركنا فانا فى سرور * وما بسواك يكتمل السرور
أهلة انسنابك فى تمام * أليس تتم بالشمس البدور

وله وقد خطر على منزله من له اليه ميل وقال لولا أخاف التثقيل لدخلت وانصرف فلما علم أبو جعفر كتب اليه

مولاى لم تقصد تعذيب من * يهوى وما قصدك مجهول
طلبت تخفيفا ببعد وفى * تخفيف من تهواه تثقيل
غيرك ان زارجنى ضجرة * وجمنه القال والقيل
وأنت ان زرت حياة وما الـ * ـعيش اذا ما طال مملول

وله وقد جلس الى جانبه رجل تكلم فأنبأ عن علو قدر فسأله عن بلده فقال اشبيلية ففكر ثم قال

يا سيدا لم أكن من قبل أعرفه * حتى تكلم مثل الروض بالعبق
وزادنى أن غدا فى حمص منشؤه * لقد تشاكل بين البدر والافق

وله وقد حضر مجلسا مع اخوان له فى انبساط ومزاح فدخل عليهم أحد ظرفاء الغرب بوجه طلق وبشاشة فاهتز لما سمع بينهم وجعل يصل ما يحتاج من مزاحهم الى صلة بأحسن منزع وأنبل مقصد فأنشده أبو جعفر ارتجالا

يا سيدا قد ضمه مجلس * حل به للمزح اخوان
لم يلق من خجانه خجلة * ولا ثناه عنه كتمان
كأنه من جمعنا واحد * لم ينب منا عنه انسان
ولم نكن ندريه لكن بدا * فى وجهه للظرف عنوان

وله وقد لقى أحد اخوانه وكان قد أطال الغيبة عنه فدار بينهما ما أوجب ان قال

ان كنت لم تلمح سواك الاعين * أو غبت لم تذكر سواك الالسن
أنت الذى ما ان يمل حضوره * ومغيبه السلوان عنه يؤمن

وله وهو من آياته

انى لاجحد طيفها وألومها * والفرق بينهما الذى كبير
هى ان بدت لى شيبة فى جفوة * والطيف فى حين المشيب يزور
واذا توالى صدها أو بينها * وافى على أن المزار عسير

وله وقد سار بعض الاراذل بماله فنكب فى سفره وعاد فقيرا بأسوا أحواله

والمحرمين ما أحل الله فقال عبد الله بن الكواء يا ابن أبى سفيان ان لكل كلام جوابا ونحن نخاف جبروتك فان كنت تطلق ألسنتنا ذببنا عن أهل العراق بألسنة حداد لا يأخذها فى الله لومة لائم والافانا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه قال والله لا يطلق لك لسان ثم تكلم صعصعة فقال تكلمت يا ابن أبى سفيان فابلغت ولم تقصر عما أردت وليس الامر على ما ذكرت أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهرا ودانهم كبرا واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا أما والله مالك فى يوم بدر مضرب ولا مرمى وما كنت فيه الا كما قال القائل (لا حلى ولا سيرى) ولقد كنت أنت وأبوك فى العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أنت طليق ابن طليق أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى تصلح الخلافة لطليق فقال معاوية لولا أنى أرجع الى قول أبى طالب حيث يقول

قابلت جهلهم حلما ومغفرة * والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم (وحدث) أبو جعفر محمد بن حبيب قال أخبرنا أبو الهيثم يزيد بن رجاء الغنوى قال أخبرنا الوليد بن البخترى عن أبيه عن أبى مزروع الكلبى قال دخل صعصعة ابن صوحان على معاوية فقال

اغدو لا يغن عنك القيل والقال * فالجود مبتسم والفضل يختال
قالوا فلان رماه الله في سفر * رآه رأيا بما حالت به الحال
فآب منه سليبا مثل مولده * عليه ذل وتفجيع واقلال
فقلت لاخفف الرحمن عنه فلم * يكن لديه على القصاد اقبال
فقل له دام في ذل ومسغبة * ولا أعيدت له في المال آمال
قد كان حقك حسن المال يستره * فاليوم أصبحت لا عقل ولا مال

وله وقد سافر أحد الرؤساء من أصحابه

أيا غائبا لم يغب ذكره * ولا حال عن وده حائل
لئن مال دهري بي عنكم * فقلبي نحوكم مائل
فاني شاهدت منكم علا * من العجز قس بها باقل
لئن طال بي البعد عن لحظكم * فما في حياتي اذن طائل

وله وهو من حسناته

شقت جيوب فرحا عندما * آبت وفي البعد تشق القلوب
فقلت هذا موقف ما يشق الحبيب فيه غير صب طروب
فابتسمت زهوا وقالت كذا الافق لعود الشمس شق الجيوب

وله وقد اجمع رأيه على أن يفد على أمير المؤمنين عبد المؤمن فأخذ في ذلك مع أصحاب له فجعلوا يثنونه عن ذلك وظهر عليهم الحسد له فقال

سر نحو ما تختار لا تسمعن * ما قاله زيد ولا عمرو
كلهم يحسد ما رمته * مهما يساعد رأيك الدهر
عجبت ممن رام صدر العلا * يروم أن يصفو له دهر

فقالوا له اتهمتنا في الود فقال لو لم أتهمكم كنت أتهم عقلي والعياذ بالله تعالى من ذلك وكيف لا أتهمكم وقد غدوتم تثنوني عن زيارة خليفة لوالدي عنده مكان وله علينا احسان ولي شافع عنده مقرب لمجلسه عقلي ولساني ولكني أنا المخطئ الذي عدلت عن العمل بقول القائل

ولم يستشر في أمره غير نفسه * ولم يرض الا قائم النفس صاحبا

وله في شعاع الشمس والقمر على النهر

ألا حبذا نهر اذا ما لحظته * أبى أن يرد اللحظ عن حسنه الانس
ترى القمرين الدهر قد عنيا به * يفضضه بدر وتذهبه شمس

وله في والده وقد شن عليه درعا

أيا قائد الابطال في كل وجهة * تطير قلوب الاسد فيها من الذعر
لقد قلت لما أن رأيتك دارعا * أيا حسن ما لاح الحباب على البحر
وأنشدت والابطال حولك هالة * أيا حسن ما دار النجوم على البدر

وقوله وقد بلغه أن حاسدا شكره

متى سمعت ثناه * عمن غدا لك حاسد

قال البصرة واسطة العرب ومنتهى الشرف والسودد وهم أهل الخطط في أول الدهر وآخره وقد دارت بهم سروات العرب كدوران الرحا على قطبها قال فاخبرني عن اهل الكوفة قال قبة الاسلام وذروة الكلام ومصان ذوي الاعلام الا ان بها اجلافا تمنع ذوي الامر الطاعة وتخرجهم عن الجماعة وتلك اخلاق ذوي الهيئة والقناعة قال فاخبرني عن اهل الحجاز قال اسرع الناس الى فتنة واضعفهم عنها واقلهم عناء فيها غير ان لهم ثباتا في الدين وتمسكا بعروة اليقين يتبعون الائمة الابرار ويخلعون الفسقة الفجار فقال معاوية من البررة والفسقة فقال يا ابن أبي سفيان ترك الخداع من كشف القناع علي وأصحابه من الائمة الابرار وأنت وأصحابك من أولئك ثم أحب معاوية أن يمضي صعصعة في كلامه بعد ان بان فيه الغضب فقال أخبرني عن القبة الحمراء في ديار مضر قال أسد مضر بسلاء بين غيلين اذا ارسلتها افترست واذا تركتها احترست فقال معاوية هنالك يا ابن صوحان العز الراسي فهل في قومك مثل هذا قال هذا لاهله دونك يا ابن ابي سفيان

فكان منك الخداع * به فرأيك فاسد
بصدره منك نار * لهيبها غير خامد
وغله لك مازد * ت في السعادة زائد
وانما ذاك منه * كالحب في فخ صائد

وله

أبصره من يلوم فيه * فقال ذا في الجمال فائق
أما ترى ما دهيت منه * كان عذولا فصار عاشق

وله في أبيه وقد سجنه عبد المؤمن

مولاى ان يحبسك خير خليفة * فبذاك فخرك واعتلاء الشان
فالجفن يحبس نوره من غبطة * والمرهفات تصان في الاجفان
فابشر فنزع الدر من أصدافه * يعليه للاسلاك والتيجان
ولئن غدا من ظل دونك مطلقا * ان القذى ملقى عن الاجفان
والعين تحبس دائما أجفانها * وهداية الانسان بالانسان
والطرس يختم ما حواه نفاسة * و يهان ما يبدو من العنوان
فاهنأ به لكن مليا مكثه * سجنا لغير مذلة وهوان
فلتعلون رغم الاعادى بعده * بذرى الخلافة في ذرى كيوان

مولاى غيرك يعزى بما لم يزل يجرى على الكرام و يذكر تأنيسا له في الوحشة بما يطرأ من الكسوف والخسوف على الشمس المنيرة والبدر التمام

وأنت تعلم الناس التعزى * وخوض الموت في الحرب السجال

وقد كان مولاى أنشدني لعلى بن الجهم قائلا ان أحدا لم يسل نفسه عما ناله من السجن بمثله

قالوا سجنت فقلت ليس بضائرى * سجنى وأى مهند لا يغمد

الابيات ماذا نفيدك من العلم وصدرك ينبوعه وبخاطرك لا يزال غروبه وطلوعه وانما هي عادة تبعناها أدبا وقضينا بها في النفس من الاعلام بالتوجع والتفجع أربا ولعل الله تعالى يتبع هذه التسلية بتهنئة و يعقب بالنعمة هذه المرزئة قال فأمر الملك بتسريحه اثر ذلك فلما اجتمع وجهه بوجهه جعل يحمد الله تعالى جهرا و يغرد بهذه الابيات وكان سراحه بكرة

طلعت علينا كالغزالة بالضحى * وعزك طماح ووجهك مشرق
فغفر الذنب الدهر أجمع انه * أتى اليوم من حسناه ماهو أليق
فلح في سماء العز بالسعد طالعا * وقدرك سام أفقه ليس يلحق
فقد سرحت لما غدوت مسرحا * قلوب وأفكار وسمع ومنطق

فاهتز أبوه من شدة الطرب وقال له والله انك لتملأ الدلو الى عقد الكرب * وله يعتذر وقد دعى الى مجلس أنس سيدى ساعدك سؤلك لما وصل الى أخيك المعتد بك رسولك قابله بما يجب من القبول وأبدى له من الشغل ما منع من الوصول

ومن ذا الذي يدعى لعدن فلا يرى * على الرأس اجلالا اليها يبادر

قال فاخبرني عن ديار ربيعة ولا يستخفنك الجهل وسابقة الحمية بالتعصب لقومك ومن أحب قوما حشر معهم قال والله ما أنا عنهم براض ولكني أقول فيهم وعليهم هم والله أعلام الليل واذناب في الدين والميل ان تغلب رايتها اذا رشحت خوارج الدين برازخ اليقين من نصروه فلج ومن خذلوه زلج قال فاخبرني عن مضر قال كنانة العرب ومعدن العز والحسب يقذف البحر بها أذيه والبر رديه ثم أمسك معاوية فقال له صعصعة سل يا معاوية والا أخبرتك بما تحيد عنه قال وماذاك يا ابن صوحان قال اهل الشام قال فاخبرني عنهم قال اطوع الناس لمخلوق واعصاهم للخالق عصاة الجبار وخلفة الاشرار فعليهم الدمار ولهم سوء الدار فقال معاوية والله يا ابن صوحان انك لحامل مديتك منذ ازمان الا ان حلم ابن أبي سفيان يرد عنك فقال صعصعة بل امر الله وقدرته ان امر الله كان قدرا مقدورا (حدث) ابو الهيثم قال حدثني ابو البشر محمد بن بشر الفزارى عن ابراهيم بن عقيل البصرى قال قال معاوية يوما وعنده صعصعة وكان قدم عليه بكتاب علي وعنده وجوه الناس الارض لله وانا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لي وما تركت منه كان جائزا لي فقال صعصعة

ولكن

ولكن الاضطرار لا يكون معه اختيار واني لأشوق الناس الى مشاهدة تلك المكارم وأحبهم في محاضرة تلك الآداب المترادفة ترادف الغمائم ولكن شغلني عارض قاطع وبرغمي أني لدعوتك عاص وله طائع واني بعد ذلك لحامل على تلك السجية الكريمة في الغفران مستجير بالخلاص الذي أعهده من خرق فلان ومكر فلان فاني متى غبت لا أعدم مترصدا اقرحة يقع عليها ذبابه ومستجمعا اذا أبصر فرصة سل عليها ذبابه

ولكنني أدري باني نازح * ودان سواء عند من يحفظ العهدا

واني لا اقول وقد غبت عن تلك الحضرة العليه وجانبت ذلك الجناب السامي والمثابة السنيه

لئن غبت عمن نوره نور ناظري * فحسبي لديه أن أغيب عقابا
وسوف أوافيه مقر ابزلتي * وفي حلمه أن لا يطيل حسابا

وله في قصر النهار ولو لم يكن له غيره لكفاه

لله يوم مسرة * أضوا وأقصر من ذباله
لما نصبنا للمنى * فيه باوتار حباله
طار النهار به كر * تاع وأجفلت الغزاله

وهذا المعنى لم يسبق اليه ولم يقدر أحد أن ينتزعه من يديه * ولما وصل صحبة والده الى اشبيلية افتتن بواديها واعتكف على الخلاعة فيها مصعدا ومنحدرا بين بساتينه ومنازهه فر ليلة بطريانة فمال نحو منزه فيه طرب سمعه فاستوقفه هنالك وهو في الزورق متكئ وأصحابه وأصحاب ابيه مظهرون انحطاطهم عنه في المرتبة فأخرج رأسه أحد الانذال المعتادين بالنادر من شرجب والشرجب هو الدرابزين من خشب فيه طاقات وطريانة مقابلة اشبيلية وبها المنازه والابنية الحسنة فضرط له ذلك النذل بغاية ما قدر فرفع رأسه وقد أخذ منه السكر ولم يعتد بمثل ذلك في بلده وقال يا سفلة اتقدم علي بهذا قبل معرفتي فثني عليه واحدة أخرى ثم رفع ثوبه عن ذكره وهو منعظ وقال يا وزير اجعل هذا عندك وديعة حتى أعرف من تكون ثم رفع ما على استه من ثيابه وقال واعمل من هذا غلافا للحيتك فاذا عرفناك ذهبناه لك فغلبه الضحك على الحرج وجعل أصحابه يقولون له ما سمعت ان من دخل هذا الوادي يعول على هذا وامثاله فسار عن ذلك المنزه قليلا واطرق ساعة وقال

نهر حمص لا عدمنا * ك فما مثلك نهر
فيك يلتذ ارتياح * ابد الدهر وسكر
كل عمر قد خلا منـ * ـك فما ذلك عمر
خصه الله بمعنى * فيه للالباب سر
يلعن الانسان فيه * وهو يصغي ويسر

ثم سأل بعد ذلك عن رب المنزه فسمي له واعلم ان ابن سيد الشاعر المشهور باللص كان حاضرا وانه املى على السفلة ما قال وصنع فكتب له ابو جعفر

يا سمي وان افاد اشتراك * غير ما يرتضيه فضل وود
أكذا يزدري الخليل بأفق * أنت فيه ولم يكن منك رد

تمنيك نفسك مالا يكو * ن جهلا معاوي لا تأثم فقال معاوية يا صعصعة تعلمت الكلام قال العلم بالتعلم ومن لا يعلم يجهل قال معاوية ما احوجك الى ان اذيقك وبال امرك قال ليس ذلك بيدك ذلك بيد الذي لا يؤخر نفسا اذا جاء اجلها قال ومن يحول بيني وبينك قال الذي يحول بين المرء وقلبه قال معاوية اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير قال اتسع بطن من لا يشبع ودعا عليه من لا يجمع (قال المسعودي) ولصعصعة ابن صوحان اخبار حسان وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والايضاح عن المعاني على ايجاز واختصار (ومن ذلك) خبره مع عبد الله بن العباس وهو ما حدث به المدائني عن زيد ابن طايع الذهلي الشيباني قال اخبرني ابي عن مصقلة ابن هبيرة الشيباني قال سمعت صعصعة بن صوحان وقد ساله ابن عباس ما السودد فيكم فقال اطعام الطعام ولين الكلام وبذل النوال وكف المرء نفسه عن السؤال والتودد للصغير والكبير وان يكون الناس عندك شرعا قال فالمروءة قال اخوان اجتمعا فان لقيا قهرا وان كان حارسهما قليل وصاحبهما جليل لحاجان الى صيانة مع نزاهة وديانة قال فهل تحفظ في ذلك شعرا قال نعم اما سمعت قول مرة بن ذهل

لا أرى من سلطت وغدا ولكن * ليس يخفى عليك من هو وغد

فلما وقف على هذه الابيات كتب له مولاى وسيدى وأجل ذخرى للزمان وعضدى الذى أفخر بمشاركة اسمه وتنبيه هذه الصناعة بذكره ورسمه

وخير الشعر أشرفه رجالا * وشر الشعر ما قال العبيد

سلام كتسنيم على ذلك المقام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته وان كان مولاى لم يفاتحنى بالسلام ولا رآنى أهلا لمقاومة الكرام لكن حط قدرى عنده ما نسب لى من الذنب المختلق ولا والله ما نطقت بلسان ولا كنت ممن رمق بل الذى زور لسيدى فى هذه الوشاية كان المعين عليها والملم اليها فبادر اليكم قبل أن أسبقه فاتسم باسقاط خطتين النذالة الاولى والوشاية الاخرى ولولا أن المجالس بالامانات وأن الخلاعة بساط يطوى على ما كان فيه لكنت أسبق منه لكنى يأبى ذلك خلقى وما تادبت به ومع ذلك فانى أقول

فان كنت ذا ذنب فقد جئت تائبا * ومثلك غفاره مثلك قابل

ولولا ما أخشى من التثقيل وما أتوقع من الخجل اذا التقى الوجهان لأتيت حتى بلغت فى الاعتذار بالمشافهة ما لا يسع القرطاس لكننى متكل على حلم سيدى واغضائه متوسل فى الغفران اليه بعلائه وكتب تحت ذلك شعرا طو يلا منه

ولا غرو ان تعفو وأنت ابن من غدا * تعود عفوا عن كبار الجرائم

لكم آل عمار بيوت رفيعة * تشيد من كسب الثنا بدعائم

اذا نحن أذنبنا رجونا ثوابكم * ولم نقتنع بالعفو دون المكارم

وانك فرع من أصول كريمة * ولا تلد الازهار غير الكمائم

وانى مظلوم لز ورسمعتــه * وقد جئت أرجو العفو فى زى ظالم

فأجابه أبو جعفر بما نصه سيدى الذى أكبر قدره وأجل ذكره وأجزل شكره وصل جوابك الذى لو كان لك من الذنب ما تحمله ابن ملجم لاضربت لك عنه صفحا ونسيت بما تأخر ما تقدم ومعاذ الله أن أنسب لفضلك عيبا فأذم لك حضورا أو غيبا وانما قصدت بالمعاتبه ما تحتها من المطارحة والمداعبه على أن سيدى لو تيقنت أنه ظالم لانشدت

منذ غدا طرفك لى ظالما * آليت لا أدعو على ظالم

لكننى أتيقن خلاف ذلك وأعلم حتى كأنى حاضر ما كان هنالك وقد أطلت عليك وبعد هذا فلتعتمد على ان تصل الى أو أصل اليك فهذا يوم كما قال البستى

يوم له فضل على الايام * مزج السحاب ضياءه بظلام

فالبرق يخفق مثل قلب هائم * والغيم يبكى مثل جفن هام

فاختر لنفسك أربعا هن المنى * وبهن تصفو لذة الايام

وجه الحبيب ومنزلا مستشرفا * ومغنيا غردا وكاس مدام

وقد حضرت عند محبك الثلاثة فكن رابعها ونادت بك همم الامانى فكن بفضلك سامعها ومركز أفلاك هذه المسرة حين كتب هذه الرقعة الى مجدك منزه مطل على جزيرة سنتبوس لا أزال أترنم فيه بقول ابن وكيع

ابن شيبان حيث يقول

ان السيادة والمروءة علقا * حيث السماء من السماك الاعزل

واذا تقابل مجريان لغاية * عثر الهجين وأسلمته الارجل

ويجىء الصريح مع العتاق معودا * قرب الجياد فلم يخنه الافكل

فى ابيات فقال له ابن عباس لوان رجلا ضرب آباط ابله مشرقا ومغربا بالفائدة هذه الابيات ما عنفته انا منك يا ابن صوحان لعلى علم وحلم واستنباط ما قد عفا من اخبار العرب فن الحليم فيكم قال من ملك غضبه فلم يفعل وسعى اليه بحق أو باطل فلم يقبل ووجد قاتل أبيه وأخيه فصفح ولم يقتل ذلك الحليم يا ابن عباس قال فهل تجد ذلك فيكم كثيرا قال ولا قليلا وانما وصفت لك أقواما لا تجدهم الا خاشعين راهبين لله مريدين ينيلون ولا ينالون فأما الآخرون فانهم سبق جهلهم حلمهم ولا يبالى أحدهم اذا ظفر ببغيته حين الحفيظة من كان بعد ان يدرك زعمه ويقضى بغيته ولو وتره أبوه لقتل أباه أو أخوه لقتل أخاه أما سمعت الى قول ريان بن عمرو بن زيان وذلك ان عمرا أباه قتله مالك بن كومة فاقام ريان زمانا ثم غزا مالكا فاتاه فى مائتى فارس صباحا وهو فى اربعين بيتا فقتله وقتل أصحابه وقتل عمه فيمن

قم

قم فاسقني والخليج مضطرب * والريح تثني ذوائب القضب
كأنها والرياح تعطفها * صف قنا سندسية العذب
والجو في حلة ممسكة * قد طرزتها البروق بالذهب

فان كان سيدي في مثل هذا المكان جرينا اليه جري الحلبة لخصل الرهان وان كان في كسر بيته فليبادر الى محل تقصر عنه همة قيصر وكسرى وان أبطأ فان الرقاع بالاستدعاء لا تزال عليه تترى وان كان لا يجدي هذا الكلام فانقنع من العقوبة المؤلمة بالملام وعلى المودة المرعية الدعية أكمل ما يكون من السلام فعندما قرأ الرقعة ركب اليه زورقا وصنع هذه الابيات في طريقه فعند وصوله أنشده اياها

ركبت اليك النهر يا بحر فالقنا * بما يتلقى جوده كل قادم
بفيض ولكن من مدام وهزة * ولكن الى بذل الندى والمكارم
وكنا نسمى قبل كونك حاتما * ومذ لحت فينا لم نعد ذكر حاتم
بآل سعيد يفخر السعد والعلا * فأيديهم تلغى أيادي الغمائم

فامتلأ أبو جعفر سرورا وخلع عليه ما كان عنده هنالك ووعده بغير ذلك فأطرق لينظم شيأ في شكره فأقسم عليه أن لا يشغل خاطره في ذلك الوقت عن الارتياح وحث أكؤس الراح فاقبلوا على شأنهم وكان ابن سعيد في ذلك الحين متسترا بشرب الراح وكان عند أبي جعفر خديم كثير النادر والالتفات يخاف أهل التستر من مثله فقال ابن سعيد هات دواة وقرطاسا فاعطاه ذلك فكتب

يا سيدي قد علمت اني * بهذه الحال لا أظاهر
أخشى اناسا لهم عيون * نواظر من المعاير
احذرهم طاقتي واني * وثقت بالله فهو غافر
ولا تقس حالتي بحال * منك اعتذار فالفرق ظاهر
فأنت ان كنت ذا جهار * غير مبال فالجاه ساتر
لا تخش من قول ذي اعتراض * ولا حسود عليك قادر
واني قد رأيت ممن * يكثر القول وهو ساخر
ما قد أراب العفيف منه * ضحك وظن به يجاهر
أخشى اذا قيل كيف كنتم * قال بحال تسر ناظر
واللص ما بيننا صريعا * بكل كاس عليه دائر
مطرحا للصلاة يصغى * لصولة الدف والمزامر
فأغتدي سيدي مشارا * الى مهما مر ت خاطر
وان أتيت الملوك أبغى * نوالهم قيل أي شاعر
يذكر في شعره خلافا * وهو لزور المحال ذاكر
بالامس قد كان ذا انتهاك * فاله بعد ذاك عاذر
ان كان هذا فان حظي * واني لربح فاب خاسر

في ذلك قتلت صاحبنا فقال فلو أمي ثقفت بحيث كانوا لبل ثيابها علق صبيب ولو كانت أمية أخت عمرو بهذا الماء ظل لها نحيب شهرت السيف في الادنين مني ولم تعطف أواصرنا قلوب فقال ابن عباس فمن الفارس فيكم حد لي حدا أسمعه منك فانك تضع الاشياء مواضعها يا ابن صوحان قال الفارس من قصر أجله في نفسه وضغم على أمله بضرسه وكانت الحرب أهون عليه من أمسه ذلك الفارس اذا وقدت الحروب واشتدت بالانفس الكروب وتداعوا للنزال وتزاحفوا للقتال وتخالسوا المهج واقتحموا بالسيوف اللجج قال أحسنت والله يا ابن صوحان انك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء ماورثت هذا عن كلالة زدني قال نعم الفارس كثير الحذر مدير النظر يلتفت بقلبه ولا يدير خرزات صلبه قال أحسنت والله يا ابن صوحان الوصف فهل في مثل هذه الصفة من شعر قال نعم لزهير بن جناب الكلبي يرثي ابنه عمرا حيث يقول

فارس تكلأ الصحابة منه * بحسام يرم الحريق لا تراه لدى الوغى في مجال * يغفل الضرب لا ولا في مضيق

فقال له أبو جعفر يا أبا العباس اشرب هنيئا غير مقدر ما قدرت فلو كان هذا المضحك على الصفة التي ذكرت كان الذنب منسوبا الي في كوني أحضر في مجلسي من يهتك ستر المستورين ومهما تره هنا بهذه الخفة والطيش والتسرع للكلام فانه اذا فارقنا أثقل من جبل وأصمت من سمكة متزي بزي خطيب في نهاية من السكون والوقار (وتحت الثياب العار لو كان باديا) فكن في امن ماشربت معي فاني والله لا أسمع أحدا من أصحابنا تكلم في شأنك بأمر الا عاقبته أشد العقاب والذنب في ذلك راجع الي فسكن ابن سيد وجعل يحث الاقداح ويمرح أشد المراح على ما كان يظهره من الانقباض تقية لما يخشاه من الاعتراض الى أن قاربت الشمس الغروب ومدلها في النهر معصم مخضوب فقال أبو جعفر

انظر الى الشمس قد ألصقت على الارض خدا

فقال ابن سيد

هي المرآة لكن * من بعدها الافق يصدا

فقال أبو جعفر

مدت طرازا على النهر عندما لاح بردا

فقال ابن سيد

أهدت لطرفك منه * ما للأكارم يهدى

فقال أبو جعفر

درع اللجين عليه * سيف من التبر مدا

فقال ابن سيد

فاشرب عليه هنيئا * وزد سرورا وسعدا

ثم لما أظلم الليل نظروا الى منارة سنتبوس قد عكست مصابيحها في النهر والى النجوم قد طلعت فيه فقال ابن سيد

اخلع على النهر ثوب السكر فذلك واجب

فقال أبو جعفر

وانظر الى السرج فيه * كالزهر ذات الذوائب
وحين صفق للأفق نقطته الكواكب

فقبل ابن سيد رأسه وقال ماتركت بعد هذا مقالا لقائل ثم جعلوا يشربون فقال أبو جعفر

سقني والافق برد * بنجوم الليل معلم

فقال ابن سيد

وبساط النهر منها * وهو فضي مدرهم

فقال أبو جعفر

ورواق الليل مرخي * والشذا بالروض قد نم

فقال ابن سيد

من يراه يخله في الحرب يوما * انه أخرق مضل الطريق
في أبيات فقال له ابن عباس فأين أخواتك منك يا ابن صوحان صفهم لا اعرف ورثيكم قال أما زيد فكما قال أخو غني

فتى لا يبالي أن يكون بوجهه * اذا ناز خلان الكرام شحوب
اذا ماترا آه الرجال تحفظوا * فلم ينطقوا العوراء وهو قريب
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه * اليه ويدعوه الندى فيجيب
يبيت الندى يا أم عمرو ضجيعه * اذا لم يكن في المنقيات حلوب
كأن بيوت الحي مالم يكن بها * بسابس ما يلفى بهن عريب

في أبيات كان والله يا ابن عباس عظيم المروءة شريف الاخوة جليل الخطر بعيد الاثر كميش العروة أليفا لبدوه سليم جوانح الصدر قليل وساوس الدهر ذاكر الله طرفي النهار وزلفا من الليل الجوع والشبع عنده سيان لا ينافس في الدنيا وأقل أصحابه من ينافس فيها يطيل السكوت ويحفظ الكلام وان نطق نطق بعقام يهرب منه الدعار الاشرار ويألفه الاحرار الاخيار فقال ابن عباس ماظنك برجل من أهل الجنة رحم

والندى

والندى فى الزهر منثو * رعلى عقد منظم

فقال أبو جعفر

والصبا جرت على ميت الطلى كف ابن مريم

فقال ابن سيد

كان مبهوتا فلما * نفخت فيه تكلم

فقال أبو جعفر

وكان الكاس والقهوة دينار ودرهم

فقال ابن سيد

وبدا الدف يناغى العود والمزمار هيم

فقال أبو جعفر

فاذاع الانس منا * كل ما كان مكتم

فقال ابن سيد

أى عيش يهتك المستور لو كان ابن أدهم

فقال أبو جعفر

هكذا العيش ودعنى * من زمان قد تقدم

فقال ابن سيد

حين لا نجز سوى ما * بكؤس البيض من دم

فقال أبو جعفر والله ما تعديت ما جال الساعة فى خاطرى فانى ذكرت أيام الفتنة وما كابدنا فيها من المحن وانا لم نزل فى مصادمة ومقارعة ثم رأيت ما نحن الآن فيه بهذه الدولة السعيدة التى أمنت وسكنت فشكرت الله تعالى ودعوت بدوامها ثم لما طلع الفجر قال أبو جعفر

نثر الطل عقوده * ونضا الليل بروده

فقال ابن سيد

وبدا الصبح بوجه * مطلع فينا سعوده

فقال أبو جعفر

وغدا ينشر لما * فتر الليل بنوده

فقال ابن سيد

فهلم اشرب وقبل * من غدا ينطق عوده

فقال أبو جعفر

ثم صافحه على رغم النوى وافرك نهوده

فقال ابن سيد

واجعل الشكر على ما * نلته منه جوده

فقال أبو جعفر يا أبا العباس انك أغرت على التهامى فى هذا البيت فى قوله

وشكر أيادى الغانيات جحودها قال فلم لقبت باللص لولا هذا وأمثاله ما كان ذلك

الله زيدا فأين كان عبد الله منه قال كان عبد الله سيدا شجاعا ألفا مطاعا خيره وساع وشره دفاع قلبى النحيزة أحوذى الغريزة لا ينهنهه منهنه عما أراده ولا يركب من الامر الا عتاده سمام عدى وباذل قرى صعب المقاده جزل الرفاده أخو اخوان وفتى فتيان وهو كما قال البرجمى عامر ابن سنان

سمام عدى بالنبل يقتل من رمى * وبالسيف والرمح الردينى مشغب
مهيب مفيد للنوال معوّد * بفعل الندى والمكرمات مجرب

فى أبيات فقال له ابن عباس أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب (ومن أخبار صعصعة) ما حدث به أبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمى عن أبى الهيثم يزيد بن رجاء الغنوى قال وقف رجل من بنى فزارة على صعصعة فاسمعه كلاما (منه) بسطت لسانك يا ابن صوحان على الناس فتهيبوك أما لئن شئت لاكونن لك لصادقا فلا تنطق الا جددت لسانك بأذرب من ظبة السيف بعضب قوى ولسان على ثم لا يكون لك فى ذلك حل ولا ترحال فقال صعصعة لو أجد غرضا منك لرميت بل أرى شيئا ولا أخال مثالا الا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا أما لو كنت كفؤا

واللص المذكور اسمه أحمد بن سيد يكنى أبا العباس وهو من مشهوري شعراء الاندلس ولما أنشد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح قوله

غمض عن الشمس واستقصر مدى زحل * وانظر الى الجبل الراسى على جبل

قال له أنت شاعر هذه الجزيرة لولا أنك بدأتنا بغمض وزحل والجبل ومن بديع نظم اللص قوله

سلبت قلبي بلحظ * أبا الحسين خلوب
فلم أسمى بلص * وأنت لص القلوب

ولما اجتمع ابو جعفر بن سعيد المترجم به باللص أبي العباس المذكور في جبل الفتح عندما وفد فضلاء الاندلس على عبد المؤمن واستنشده فجعل ينشده ما استجفاه به لخروجه من حلاوة منزع أبي جعفر الى أن أنشده قوله

وما أفنى السؤال لكم نوالا * ولكن جودكم أفنى السؤالا

فقال له أبو جعفر لا جعلك الله فى حل من نفسك يكون فى شعرك مثل هذا وتنشدنى ما كان يحملنى على أن أسأت معك الادب والله لو لم يكن لك غير هذا البيت لكنت به أشعر أهل الاندلس * وكتب لابي جعفر أبو الحكم بن هرون في يوم بارد بغرناطة

ياسيدى فى علم مجدك مايحتاج فيه هذا النهار المطير
ندف الثلج فيه قطنا علينا * ففررنا بعدلكم نستجير
والذى أبتغيه فى اللحظ منه * ورضاب الذى هويت نظير
يوم قر يود من حل فيه * لو تبدى لمقلتيه سعير

فوجه بما طلب وجاوبه بما كتب

أيها السيد الاجل الوزير * الذى قدره معلى خطير
قد بعثنا بما أشرت اليه * دمت للانس والسرور تشير
كان لغزا فككته دون فكر * ان فهمى بما تريد خبير

ومن نظم أبى الحكم

اذا ضاقت عليك فول عنها * وسر فى الارض واختبر العبادا
ولا تمسك رحالك فى بلاد * غدوت بأهلها خبرا معادا

ولما مدح أبو القاسم أخيل بن ادريس الرندى عبد المؤمن في جبل الفتح بقصيدة أولها

ما الفخر الا فخر عبد المؤمن * أثنى عليه كل عبد مؤمن

قال أبو جعفر بن سعيد دعاه التجنيس الى الضعف والخروج عن المقصود والاولى أن لو قال شاد الخلافة وهو أول مبتنى ومن هذه القصيدة

أما ابن سعد فهو أول مارق * ياليته بأبيه سعد يكتنى
ماقدر مرسيه وحكمك نافذ * ان شئت من عدن لارض المعدن

فلما أكملها قال له عبد المؤمن أجدت فقال ارتجالا

من لى أمير المؤمنين بموقفى * هذا وقولك لى أجدت ولم تنى
فلقد مدحتك خائفا أن لا يفى * لسنى بما يعيي جميع الالسن

لرميت حدائلك بأذرب من ذلق السنان ولرشقتك بنبال تردعك عن النضال ولخطمتك بخطام يحزم منك موضع الزمام فاتصل الكلام بابن عباس فاستخف لك من الفزارى وقال أما لو كلف أخو فزارة نفسه نقل الصخور من جبال شمام الى الهضاب لكان أهون عليه من منازعة أخى عبد القيس خاب أبوه ما أجهله يستجهل أخا عبد القيس وقواه المرية ثم تمثل

صبت عليه ولم تنصب من أمم * ان الشقاء على الاشقين مصبوب

(وحدث) المبرد عن الرياشي عن ربيعة بن عبد الله النميرى قال أخبرنى رجل من الازد قال نظرت الى أبى ايوب الانصارى فى يوم النهروان وقد علا عبد الله بن وهب الراسبى فضربه ضربة على كتفه فأبان يده وقال بؤ بها الى النار يامارق فقال عبد الله ستعلم اينا اولى بها صليا قال وابيك انى لاعلم اذ اقبل صعصعة بن صوحان فوقف وقال اولى بها والله صليا من ضل فى الدنيا عميا وصار الى الآخرة شقيا ابعدك الله وأترحك اما والله لقد انذرتك هذه الصرعة بالامس فأبيت الا نكوصا على عقبيك فذق يامارق وبال امرك وشرك اباايوب فى قتله ضربه ضربة ولابن

ولابن ادريس المذكور

أيها البدر هل علمت بأنى * لم أبت راعيا محياك ودا

انا لوبات من حكيت بجنبى * لم يكن عنه ناظرى يتعدى

وله

شتان ما بينى و بينك فى الهوى * أنا أبتغيك وأنت عنى تصدف

واذا عتبتك وارعويت يبين لى * فى الحين منك بأن ذاك تكلف

ياليت شعرى كيف يقضى وصلنا * والعمر يفنى والمواعد تخلف

وقيل له لما هجره عبد المؤمن اكتب له واعتذر وبرهن عن نفسك فقال ما يكون أمير المؤمنين هجرنى الا وقد صح عنده ولا أنسبه فى أمرى لقلة التثبت والجور وانما أرغب فى عفوه ورحمته فكان هذا الكلام ألان عليه قلب عبد المؤمن لما بلغه وكان قد نقل عنه حساده انه قال

كيف تصح له الخلافة وليس بقرشى * ولا بأس أن نزيد من اخبار اللص الذى جرى ذكرناله مع أبى جعفر بن سعيد فنقول هو النحوى المبرز فى الشعر أبو العباس أحمد بن سيد الاشبيلى ذكره ابن دحية فى المطرب وأخبر انه شيخه وختم كتاب سيبويه مرتين على النحوى ابى القاسم بن الرماك واجتمع به ابو جعفر بن سعيد بجبل الفتح كما سبق ولقب اللص لاغارته على أشعار الناس وله

شاموا الردى فأشموا الترب أنفهم * ولم يبالوا بما فيها من الشمم

ثم جعل يقول قطع الله لسانى ان كان اليوم على وجه الارض من يعرف يسمعه فضلا عن أن يقوله وله القصيدة الشهيرة

نداك الغيث ان محل توالى * وأنت الليث ان شاؤا القتالا

سلبت الليث شدة ساعديه * نعم وسلبت عينيه الغزالا

وما أفنى السؤال لكم نوالا * ولكن جود كم أفنى السؤالا

وقد تقدم هذا البيت فى حكايته مع ابن سعيد * وقال فى حلقة خياط وهو من محاسنه

كأنها بيضة وخراز ماح بها * بادوقونسها بالسيف قد قطعا

وقال فالليل ان واصلت كالليل ان هجرت * أشكو من الطول ما أشكو من القصر

(رجع الى أخبار أبى جعفر بن سعيد) قال فى الازهار المنثورة فى الاخبار المأثورة ما نصه لما قبض على الوزير أبى جعفر بن عبد الملك بن سعيد العنسى وثقف عاقة دخل اليه ابن عمه ووصل الى الاجتماع به ريثما استوذن السيد ابو سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن فى أمره قال فدمعت عيناى حين رأيته مكبولا فقال لى أعلى تبكى بعد ما بلغت من الدنيا أطايب لذاتها فأكلت صدور الدجاج وشربت فى الزجاج ولبست الديباج وتمتعت بالسرارى والازواج واستعملت من الشمع السراج الوهاج وركبت كل هملاج وها أنا فى يد الحجاج ومنتظر محنة الحلاج قادم على غافر لا يحتاج الى اعتذار ولا الى احتجاج قال فقلت افلا يؤسف على من ينطق بهذا الكلام ثم يفقد وقت عنه فكان آخر العهد به انتهى *رجع الى أخبار النساء)* ومن أشهرهن بالاندلس ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن ابن عبيد الله بن الناصر لدين الله وكانت واحدة زمانها المشار اليها فى أوانها حسنة المحاضرة

بالسيف ابان بها رجله وادركه باخرى فى بطنه وقال لقد صرت الى نار لاتطفأ ولا يبوخ سعيرها ثم احتز راسه واتيابه عليا فقال هذا راس الفاسق الناكث المارق عبد الله بن وهب فنظر اليه فقطب وقال شاه هذا الوجه حتى خيل الينا انه يبكى ثم قال قد كان اخو راسب حافظا لكتاب الله تاركا لحدود الله ثم قال لهما اطلبا لى ذا الثدية فطلب فلم يوجد فرجعا اليه وقالا ما أصبنا شيأ فقال والله لقد قتل فى يومه هذا وما كذبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت عليه قوموا بجمعكم فاطلبوه فقامت جماعة من أصحابه فتفرقوا فى القتلى فأصابوه فى دهاس من الارض فوقه زهاء مائة قتيل فاخرجوه بجر برجله ثم اتى به على فقال اشهدوا أنه ذو الثدية وقد ذكرنا أخبار ذى الثدية فيما سلف من هذا الكتاب ولعلى فى ربيعة كلام كثير يمدحهم فيه ويرثيهم شعرا ومنثورا وقد كانوا انصاره واعوانه والركن المنيع من اركانه فمن بعض ذلك قوله يوم صفين

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حصين تقدما

فيوردها فى الصف حتى يعلها * حياض المنايا تقطر الموت والدما

جزى الله قوما قاتلوا فى لقائه * لدى الموت قدما ما اعز واكرما

مشكورة المذاكرة كتبت بالذهب على الطراز الايمن

انا والله أصلح للمعالى * وأمشى مشيتى وأتيه تيها

وكتبت على الطراز الايسر

وأمكن عاشقى من صحن خدى * وأعطى قبلتى من يشتهيها

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف وفيها خلع ابن زيدون عذاره وقال فيها القصائد الطنانة والمقطعات وكانت لها جارية سوداء بديعة المعنى فظهر لولادة أن ابن زيدون مال اليها فكتبت اليه

لو كنت تنصف فى الهوى ما بيننا * لم تهو جاريتى ولم تتخير

وتركت غصنا مثمرا بجماله * وجنحت للغصن الذى لم يثمر

ولقد علمت بانني بدر السما * لكن ولعت لشقوتى بالمشترى

ولقبت ابن زيدون بالمسدس وفيه تقول

ولقبت المسدس وهو نعت * تفارقك الحياة ولا يفارق

فلوطى وما بون وزان * وديوث وقرنان وسارق

وقالت فيه

ان ابن زيدون على فضله * يعشق قضبان السراويل

لو أبصر الايرعلى نخلة * صار من الطير الابابيل

وقالت فيه أيضا

ان ابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولاذنب لى

يلحظنى شزرا اذا جئته * كاننى جئت لاخصى على

وقالت ولادة تهجو الاصبحى

يا أصبحى اهنأ فكم نعمة * جاءتك من ذى العرش رب المنن

قد نلت باست ابنك ما لم ينل * بفرج بوران أبوها الحسن

وكتبت اليه لما أولع بها بعد طول تمنع

ترقب اذا جن الظلام زيارتى * فانى رأيت الليل أكتم للسر

وبى منك مالو كان بالشمس لم تلح * وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ووفت بما وعدت ولما أرادت الانصراف ودعته بهذه الابيات

ودع الصبر محب ودعك * ذائع من سره ما استودعك

يقرع السن على ان لم يكن * زاد فى تلك الخطا اذ شيعك

يا أخا البدر سناء وسنا * حفظ الله زمانا أطلعك

ان يطل بعدك ليلى فلكم * بت أشكو قصر الليل معك

وكتبت اليه

ألا هل لنا من بعد هذا التفرق * سبيل فيشكو كل صب بما لقى

وقد كنت أوقات التزاور فى الشتا * أبيت على جمر من الشوق محرق

فكيف وقد أمسيت فى حال قطعه * لقد عجل المقدور ما كنت أتقى

ربيعة أعنى انهم اهل نجدة و بأس اذا لاقوا خميسا عرمرما

(وذكر) المدائنى ان معاوية اسر جميل بن كعب الثعلبى وكان من سادات ربيعة وشيعة على وانصاره فلما وقف بين يديه قال الحمد لله الذى أمكننى منك الست القائل يوم الجمل

اصبحت الامة فى امر عجب · والملك مجموع غدا لمن غلب

قد قلت قولا صادقا غير كذب · ان غدا تهلك أعلام العرب

قال لا تقل ذلك فانها مصيبة قال معاوية وأى نعمة أكبر من أن يكون الله قد أظفرنى برجل قد قتل فى ساعة واحدة عدة من حماة أصحابى اضربوا عنقه فقال اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلنى فيك ولا لانك ترضى قتلى ولكن قتلنى على حطام الدنيا فان فعل فافعل به ما هو أهله وان لم يفعل فافعل به ما أنت أهله فقال معاوية قاتلك الله لقد سببت فابلغت فى السب ودعوت فبالغت فى الدعاء ثم أمر به فاطلق

وتمثل معاوية بابيات للنعمان بن المنذر لم يقل النعمان غيرها فيما ذكر ابن الكلبى وهى

تمر الليالى لا أرى البين ينقضى * ولا الصبر من رق التشوق معتقى
سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا * بكل سكوب هاطل الوبل مغدق

فأجابها بقوله

لحى الله يوما لست فيه بملتقى * محياك من أجل النوى والتفرق
وكيف يطيب العيش دون مسرة * وأى سرور للكئيب المؤرق

وكتبت فى أثناء الكلام بعد الشعر وكنت ربما حثثتنى على ان أنبهك على ما أجد فيه عليك نقدا وانى انتقدت عليك قولك سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا فان ذا الرمة قد انتقد عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة

ألا يا اسلمى يا دارمى على البلا * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

اذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له وأما المستحسن فقول الآخر

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

انتهى

وبسببها خاطب ابن عبدوس بالرسالة المشهورة التى شرحها غير واحد من أدباء المشارقة كالجمال بن نباتة والصفدى وغيرهما وفيها من التلميحات والتندريات ما لا مزيد عليه وقد ذكر ولادة ابن بشكوال فى الصلة فقال كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر وكانت تناضل الشعراء وتساجل الادباء وتفوق البرعاء وعمرت عمرا طويلا ولم تتزوج قط وماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين وقيل أربع وثمانين وأربعمائة رحمها الله تعالى *وكان أبوها المستكفى بايعه أهل قرطبة لما خلعوا المستظهر كما أعلنا به فى غير هذا الموضع وكان خاملا ساقطا وخرجت هى فى نهاية من الادب والظرف حضور شاهد وحرارة أوابد وحسن منظر ومخبر وحلاوة مورد ومصدر وكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار المصر وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر يعشو أهل الادب الى ضوء غرتها ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة منتابها تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم انساب وطهارة أثواب على انها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها ولما مرت بالوزير أبى عامر بن عبدوس وأمام داره بركة تتولد عن كثرة الامطار وربما استمدت بشئ مما هنالك من الاقذار وقد نشر أبو عامر كميه ونظر فى عطفيه وحشر أعوانه اليه فقالت له

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

فتركته لا يحير حرفا ولا يرد طرفا * وقال فى المغرب بعد ذكره أنها بالغرب كعلية بالشرق الا ان هذه تزيد بمزية الحسن الفائق وأما الادب والشعر والنادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها وكان لها صنعة فى الغناء وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النادر وانشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك وفيها يقول ابن زيدون

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

وقال أيضا يخاطب ابن عبدوس لاشتراكه معه فى هواها

اثرت هزبر الشرى اذ ربض * ونبهته اذ هدا فاغتمض

الا ليعرف فضلها
ويخاف شدة نكالها
(وذكر) لوط بن يحيى وابن دأب والهيثم بن عدى وغيرهم من نقلة الاخبار ان معاوية لما احتضر تمثل
هو الموت لا منجى من الموت والذى
تحاذر بعد الموت ادهى وافظع
ثم قال اللهم اقل العثرة واعف عن الزلة وجد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك ولم يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة مهرب فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال لقد رغب الى من لا مرغوب اليه مثله وانى لأرجو أن لا يعذبه الله (وذكر) محمد بن اسحق وغيره من نقلة الآثار أن معاوية دخل الحمام فى بدء علته التى كانت وفاته فيها فرأى نحول جسمه فبكى لفنائه وما قد أشرف عليه من الدثور الواقع بالخليقة وقال متمثلا
أرى الليالى أسرعت فى نقضى
أخذن بعضى وتركن بعضى
حنين طولى وحنين عرضى
أقعدننى من بعد طول نهضى
وايس من برئه أنشأ يقول

ولما أزف أمره وحان فراقه واشتدت علته

ومازلت تبسط مسترسلا * اليه يد البغي لما انقبض
حذار حذار فان الكريم * اذا سيم خسفا أبى فامتعض
وان سكون الشجاع النهو * ش ليس بمانعه ان يعض
عمدت لشعري ولم تتئد * تعارض جوهره بالعرض
اضاقت أساليب هذا القريـ * ـض ام قد عفا رسمه فانقرض
لعمري فوقت سهم النضال * وأرسلته لو اصبت الغرض
ومنها
وغرك من عهد ولادة * سراب تراءى وبرق ومض
هي الماء يعز على قابض * ويمنع زبدته من مخض

*(ومن اخبار ولادة مع ابن زيدون ما قاله الفتح في القلائد ان ابن زيدون كان يكلف بولادة ويهيم ويستضيء بنور محياها في الليل البهيم وكانت من الادب والظرف وتتميم السمع والطرف بحيث تختلس القلوب والالباب وتعيد الشيب الى اخلاق الشباب فلما حل بذلك الغرب وانحل عقدة صبره بيد الكرب فر الى الزهراء ليتوارى في نواحيها ويتسلى برؤية موافيها فوافاها والربيع قد خلع عليها برده ونشر سوسنه ووردة وأترع جداولها وانطق بلابلها فارتاح ارتياح جيد بوادي القرى وراح بين روض يانع وريح طيبة السرى فتشوق الى لقاء ولادة وحن وخاف تلك النوائب والمحن فكتب اليها يصف فرط قلقه وضيق أمده اليها وطاقه ويعلمها انه ما سلا عنها بخمر ولاخبا ما في ضلوعه من ملتهب الجمر ويعاتبها على اغفال تعهده ويصف حسن محضره بها ومشهده

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والافق طلق ووجه الارض قد راقا
وللنسيم اعتلال في اصائله * كأنما رق لي فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم * كما حللت عن اللبات اطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت * بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر * جال الندى فيه حتى مال اعناقا
كأن اعينه اذ عاينت ارقى * بكت لما بي فجال الدمع رقراقا
ورد تألق في ضاحي منابته * فازداد منه الضحى في العين اشراقا
سرى ينافحه نيلوفر عبق * وسنان نبه منه الصبح احداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا * اليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا
لو كان وفى المنى في جمعنا بكم * لكان من أكرم الايام اخلاقا
لا سكن الله قلبا عن ذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملى نسيم الريح حين هفا * وافاكم بفتى اضناه مالاقى
يا علقي الاخطر الاسنى الحبيب الى * نفسي اذا ما اقتنى الاحباب اعلاقا
كان التجازي بمحض الود مذ زمن * ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا
فالآن أحمد ما كنا لعهدكم * سلوتم وبقينا نحن عشاقا انتهى

وقال أيضا ان ابن زيدون لم يزل يروم دنو ولادة فيتعذر ويباح دمه دونها ويهدر

فياليتني لم أعن في الملك ساعة * ولم أك في اللذات اعشى النواظر
وكنت كذي طمرين عاش ببلغة * من الدهر حتى زار أهل المقابر
(قال المسعودي) ولمعاوية اخبار كثيرة مع علي وغيره وقد أتينا على الغرر من أخباره وما كان في أيامه في كتابنا اخبار الزمان والاوسط وغيرهما من كتبنا مما أفردنا لآثاره هذا باب كبير والكلام فيه وفي غيره مما تقدم وتأخر في هذا الكتاب كثير ومن ضمن الاختصار لم يجز له الاكثار وانما نذكر في كل باب من هذا الكتاب طرفا من كل نوع من العلوم والاخبار وما انتخبناه من طرائف الآثار ليستدل الناظر فيه بما ذكرنا على المراد مما تركنا ذكره وقد تقدم وصفه وبسطه فيما سلف من كتبنا واذ قد تقدم ما ذكرنا فلنذكر الآن جملا من فضل الصحابة وغيرهم عليهم السلام اذ كانوا حجة على من بعدهم وقدوة لمن تأخر عنهم وبالله التأييد *(ذكر الصحابة ومدحهم وعلي والعباس وفضلهما)* دخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده وجوه قريش فلما سلم وجلس قال له معاوية اني أريد ان أسألك عن مسائل قال سل عما بدا لك قال ما تقول في أبي بكر قال

لسوء

اسوء أثره في ملك قرطبة وواليها وقبائح كان ينسبها اليه ويواليها أحقدت بني جهور عليه وسددت أسهمهم اليه فلما يئس من لقياها وحجب عنه محياها كتب اليها يستديم عهدها ويؤكد ودها ويعتذر من فراقها بالخطب الذي غشيه والامتحان الذي خشيه ويعلمها انه ماسلا عنها بخمر ولا خبا ما في ضلوعه من ملتهب الجمر وهي قصيدة ضربت في الابداع بسهم وطلعت في كل خاطر ووهم ونزعت منزعا قصر عنه حبيب وابن الجهم وأولها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضي علينا الاسى لولا تأسينا

وأخبار ولادة كثيرة وفيما ذكرناه كفاية *(ومن المشهورات بالاندلس اعتماد جارية المعتمد بن عباد وأم أولاده وتشتهر بالرميكيه وفي المسهب والمغرب انه ركب المعتمد في النهر ومعه ابن عمار وزيره وقد زردت الريح النهر فقال ابن عباد لابن عمار أجز (صنع الريح من الماء زرد) فأطال ابن عمار الفكرة فقالت امرأة من الغسالات (أي درع لقتال لو جمد) فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار ونظر اليها فاذا هي صورة حسنة فأعجبته فسألها أذات زوج هي فقالت لا فتزوجها وولدت له اولاده الملوك النجباء رحمهم الله تعالى وحكى البعض منهم صاحب الهداية بسنده الى السلفي بسنده الى بعض أدباء الاندلس وسماه ولم يحضرني الآن انه هو الذي قال للمعتمد (اي درع لقتال لو جمد) قال فاستحسنه المعتمد وكنت رابعا في الانشاد فجعلني ثانيا واجازني بجائزة سنية قال ابن ظافر وقد أخذت هذا المعنى فقلت اصف روضا

فلو دام ذاك النبت كان زبرجدا * ولو جمدت انهاره كان بلورا

ولما قال ابن ظافر قد اذكت الشمس على الماء لهبا
قال القاضي الاعز فكسا الفضة منه ذهبا

*(رجع) ولما خلع المعتمد وسجن باغمات قالت له ياسيدي لقد هنا هنا فقال

قالت لقد هنا هنا * مولاي أين جاهنا * قلت لها الهنا * صيرنا الى هنا

*وحكى انها قالت له وقد مرض ياسيدي مالنا قدرة على مرضاتك في مرضاتك ولما قال الوزير ابن عمار قصيدته اللامية الشهيرة في المعتمد والرميكية أغرت المعتمد به حتى قتله وضربه بالطبرزين ففلق رأسه وترك الطبرزين في رأسه فقالت الرميكية قد بقي ابن عمار هدهدا والقصيدة أولها

ألا حي بالغرب حيا حلالا * أناخوا جمالا وحازوا جمالا
وعرج بيومين ام القرى * ونم فعسى أن تراها خيالا

ويومين قرية باشبيلية كانت منها أولية بني عباد وفي هذه القصيدة يقول معرضا بالرميكية

تخيرتها من بنات الهجان * رميكية ماتساوي عقالا
فجاءت بكل قصير العذار * لئيم النجارين عما وخالا
قصار القدود ولكنهم * أقاموا عليها قرونا طوالا
أتذكر أيامنا بالصبا * وأنت اذا لحت كنت الهلالا
اعانق منك القضيب الرطيب * وارشف من فيك ماء زلالا

رحم الله ابا بكر كان والله للقرآن تاليا وعن المنكر ناهيا وبذنبه عارفا ومن الله خائفا وعن الشبهات زاجرا وبالمعروف آمرا وبالليل قائما وبالنهار صائما فاق اصحابه ورعا وكفافا وسادهم زهدا وعفافا فغضب الله على من أبغضه وطعن عليه قال معاوية ايها يا ابن عباس فما تقول في عمر بن الخطاب قال رحم الله أبا حفص عمر كان والله حليف الاسلام ومأوى الايتام ومنتهى الاحسان ومحل الايمان وكهف الضعفاء ومعقل الحنفاء قام بحق الله عزوجل صابرا محتسبا حتى أوضح الدين وفتح البلاد وأمن العباد فاعقب الله على من ينقصه اللعنة الى يوم الدين قال فما تقول في عثمان قال رحم الله اباعمرو كان والله أكرم الحفدة وافضل البررة هجادا بالاسحار كثير الدموع عند ذكر النار نهاضا عند كل مكرمة سباقا الى كل منحة حييا أبيا وفيا صاحب جيش العسرة وختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فاعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين الى يوم الدين قال فما تقول في علي قال رضي الله عن أبي الحسن كان والله علم الهدى وكهف التقى ومحل الحجى وبحر الندى وطود النهى وكهف العلى للورى داعيا الى المحجة

وأقنع منك بدون الحرام * فتقسم جهدك ان لا حلالا
سأهتك عرضك شيأ فشيأ * واكشف سترك حالا فحالا

ومنها
فيا عامر الخيل يا زيدها * منعت القرى وأبحت العيالا

وسبب قول ابن عمار هذه القصيدة ان المعتمد نذر به وذيل على قصيدته الرائية المذكورة في القلائد بعد قوله

كيف التفات بالخديعة من يدى * رجل الحقيقة من بنى عمار

ويخربه في أبيات مشهورة قال الفتح في حق المعتمد بعد كلام ومازالت عقارب تلك الداخلة تدب وريحها العاصفة تهب ونارها تتقد وضلوعها تحنو وتعقد وتضمر الغدر وتعتقد حتى دخل البلد من واديه وبدت من المكروه بواديه وكر عليه الدهر بعوائده وعواديه وهو مستمسك بعرى لذاته منغمس فيها بذاته ملقى بين جواريه مغتر بعوائد ملكه وعواريه التى استرجعت منه في يومه ونبهه فواتها من نومه ولما انتشر الداخلون في البلد وأوهنوا القوى والجلد خرج والموت يشعر في ألحاظه ويتصوّر من ألفاظه وحسامه يعد بعضائه ويتوقد عند انتضائه فلقيهم رحبة القصر وقد ضاق بهم فضاؤها وتضعضعت من رجتهم أعضاؤها فحمل فيهم حملة صيرتهم فرقا وملأتهم فرقا ومازال يوالى عليهم الكر المعاد حتى أوردهم النهر ومابهم جواد وأودعهم حشاه كأنهم له فؤاد ثم انصرف وقد أيقن بانتهاء حاله وذهاب ملكه وارتحاله وعاد الى قصره واستمسك فيه يومه وليلته مانعا لحوزته دافعا للذل عن عزته وقد عزم على أفظع أمر وقال بيدى لا بيد عمرو ثم صرفه تقاه عما كان نواه فنزل من القصر بالقسر الى قبضة الاسر فقيد للحين وحان له يوم شر ما ظن أنه يحين ولما قيدت قدماه وذهبت عنه رقة الكبل ورحماه قال يخاطبه

اليك فلو كانت قيودك أسعرت * تضرم منها كل كف ومعصم
مخافة من كان الرجال بسيبه * ومن سيفه في جنة او جهنم

ولما آلمه عضه ولازمه كسره ورضه وأوهاه ثقله واعياه نقله قال

تبدلت من ظل عز البنود * بذل الحديد وثقل القيود
وكان حديدى سنانا ذليقا * وعضبا رقيقا صقيل الحديد
فقد صار ذاك وذا ادهما * يعض بساقى عض الاسود

ثم جمع هو واهله وحملتهم الجوارى المنشآت وضمتهم جوانحها كأنهم أموات بعدما ضاق عنهم القصر وراق منهم العصر والناس قد حشروا بضفتى الوادى وبكوا بدموع كالغوادى فساروا والنوح يحدوهم والبرح باللوعة لا يعدوهم وفى ذلك يقول ابن اللبانه

تبكى السماء بمزن رائح غاد * على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التى هدت قواعدها * وكانت الارض منهم ذات اوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * اساود لهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تخدمها * فاليوم لا عاكف فيها ولا باد

العظمى متمسكا بالعروة الوثقى خير من آمن واتقى وافضل من تقمص وارتدى وأبر من انتعل واسعا وافصح من تنفس وقرأوا كثر من شهد النجوى سوى الانبياء والنبى المصطفى صاحب القبلتين فهل يوازيه أحد وأبو السبطين فهل يقارنه بشر وزوج خير النسوان فهل يفوقه قاطن بلد للاسود قتال وفى الحروب ختال لم ترعينى مثله ولن ترى فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد الى يوم التناد قال أيها يا ابن عباس لقد اكثرت فى ابن عمك قال فما تقول فى أبيك العباس قال رحم الله العباس أبا الفضل كان صنو نبى الله صلى الله عليه وسلم وقرة عين صفى الله سيد الاعمام له أخلاق آبائه الاجواد واحلام اجداده الامجاد تباعدت الاسباب فى فضيلته صاحب البيت والسقاية والمشاعر والتلاوه ولم لا يكون كذلك وقد ساسه اكرم من دب فقال معاوية يا ابن عباس انا أعلم انك كلمانى أهل بيتك قال ولم لا أكون كذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام يا معاوية ان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه خص محمدا صلى الله عليه وسلم بصحابة آثروه على الانفس والاموال يا

يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ * فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه * جف القطين وجف الزرع بالوادى
وأنت يا فارس الخيل التى جعلت * تختال فى عدد منهم وأعداد
ألق السلاح وخل المشرفى فقد * أصبحت فى لهوات الضيغم العادى
لما دنا الوقت لم تخلف له عدة * وكل شئ بميقات وميعاد
ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا * وقد خلت قبل حمص أرض بغداد
حموا حريمهم حتى اذا غلبوا * سيقوا على نسق فى حبل مقتاد
وأنزلوا عن متون الشهب واحتملوا * فويق دهم لتلك الخيل انداد
وعيث فى كل طوق من دروعهم * فصيغ منهن أغلال لاجياد
نسيت الا غداة النهر كونهم * فى المنشآت كاموات بألحاد
والناس قد ملؤا البرين واعتبروا * من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حط القناع فلم تستر مخدرة * ومزقت أوجه تمزيق أبراد
حان الوداع فضجت كل صارخة * وصارخ من مفداة ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها * كأنها ابل يحدو بها الحادى
كم سال فى الماء من دمع وكم حملت * تلك القطائع من قطعات أكباد

انتهى ما قصدجلبه من كلام الفتح رحمه الله تعالى وسامحه * وقال ابن اللبانة فى كتاب نظم السلوك فى مواعظ الملوك فى اخبار الدولة العبادية ان طائفة من اصحاب المعتمد خامرت عليه فأعلم باعتقادها وكشف له عن مرادها وحض على هتك حرمها واغرى بسفك دمها فابى ذلك مجده الاثيل ومذهبه الجميل وما خصه الله تعالى به من حسن اليقين وصحة الدين الى ان امكنتهم الغرة فانتصروا ببغاث مستنسر وقاموا بجمع غير مستبصر فبرز من قصره متلافيا الامر عليه غلالة ترف على جسده وسيفه يتلظى فى يده

كأن السيف راق وراع حتى * كأن عليه شيمة منتضيه
كأن الموت أودع فيه سرا * ليرفعه الى يوم كريه

فلقى على باب من أبواب المدينة فارسا مشهورا بنجدة فرماه الفارس برمح التوى على غلالته وعصمه الله تعالى منه وصب هو سيفه على عاتق الفارس فشقه الى اضلاعه فخر صريعا سر يعا فرأيت القائمين عندما تسنموا الاسوار تساقطوا منها وبعدما أمسكوا الابواب تخلوا عنها وأخذوا على غير طريق وهوت بهم ريح الهيبة فى مكان سحيق فظننا أن البلد من أقذائه قد صفا وثوب العصمة علينا قد ضفا الى أن كان يوم الاحد الحادى والعشرون من رجب فعظم الخطب فى الامر الواقع واتسع الخرق فيه على الراقع ودخل البلد من جهة واديه وأصيب حاضره بعادية باديه بعد أن ظهر من دفاع المعتمد وبأسه وترامية على الموت بنفسه ما لامزيد عليه ولا انتهى خلق اليه فشنت الغارة فى البلد ولم يبق فيه على سبد لاحد ولا لبد وخرج الناس عن منازلهم يسترون عوراتهم بأناملهم وكشف وجوه المخدرات العذارى ورأيت الناس سكارى وما هم بسكارى وزحل

وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت اسبابه وظهرت آلاء الله واستقر دينه ووضحت اعلامه وأذل الله بهم الشرك وأزال روحه ومحا دعائمه وصارت كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية والارواح الطاهرة العالية فقد كانوا فى الحياة لله اولياء وكانوا بعد الموت أحياء أصحياء رحلوا الى الآخرة قبل ان يصلوا اليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها فقطع عليه معاوية الكلام وقال ايها يا ابن عباس حديثنى فى غير هذا

(ذكر ايام يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان)

وبويع يزيد بن معاوية فكانت أيامه ثلاث سنين وثمانية أشهر الا ثمانى ليال وأخذ يزيد لابنه معاوية ابن يزيد البيعة على الناس قبل موته ففى ذلك يقول عبد الله بن همام السلولى تلقفها يزيد عن أبيه

تخذها يا معاوى عن يزيدا * فقد علقت بكم فتلقفوها
ولا ترموا بها الغرض البعيدا

وهلك يزيد بحوارين من أرض دمشق لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة أربع وستين وهو ابن ثلاث

بالمعتمد وآله بعد استئصال جميع ماله لم يصحب معه بلغة زاد ولا بغية مراد فأمضيت عزيمتى فى اتباعه فوصلت اليه باغمات عقب ثقاف استنقذه الله منه فذكرت به شعرا كان لى فى صديق اتفق له مثل ذلك فى الشهر بعينه من العام الماضى وهو الامير أبو عبد الله بن الصفار وهو

لم تقل فى الثقاف كان ثقافا * كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر فى الكمام ولكن * بعد مكث الكمام يدنو قطافا
واذا ما الهلال غاب لغيم * لم يكن ذلك المغيب انكسافا
انما أنت درة للمعالى * ركب الدهر فوقها أصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما * مثل ما تحجب الدنان السلافا
أنت للفضل كعبة ولوانى * كنت أسطيع لاستطعت الطوافا

قال أبو بكر وجرت بينى وبينه مخاطبات ألذ من غفلات الرقيب وأشهى من رشفات الحبيب وأدل على السماح من فجر على صباح انتهى ثم قال ولما خلع المعتمد وذهب الى اغمات طلب من حواء بنت تاشفين خباء عارية فاعتذرت بأنه ليس عندها خباء فقال

هم أوقدوا بين جفنيك نارا * أطالوا بها فى حشاك استعارا
أما يخجل المجد أن زودوك * ولم يصحبوك خباء معارا
فقد قنعوا المجد ان كان ذاك * وحاشاهم منك خزيا وعارا
يقل لعينيك أن يجعلوا * سواد العيون عليكم شعارا

ثم انه بقى ماسورا باغمات الى سنة ٤٨٢ فاخذ عالقة رجل كبير يعرف بابن خلف فسجن مع أصحاب له فنقبوا السجن وذهبوا الى حصن منت ميور ليلا فاخر جوا قائدها ولم يضروه وبينما هم كذلك اذطلع عليهم رجل فسألوه فاذا هو عبد الجبار بن المعتمد فولوه على أنفسهم وظن الناس انه الراضى فبقى فى الحصن ثم أقبل مركب من الغرب يعرف بمركب ابن الزرقاء فانكسر بمرسى الشجرة قريبا من الحصن فاخذوا بنوده وطبوله وما فيه من طعام وعدة فاتسعت بذلك حالتهم ثم وصلت أم عبد الجبار اليه ثم خاطبه أهل الجزيرة وأهل أركش فدخلها سنة ٤٨٨ ولما بلغ خبر عبد الجبار الى ابن تاشفين أمر بثقاف المعتمد فى الحديد وفى ذلك يقول

قيدى أما تعلمنى مسلما * أبيت أن تشفق أو ترحما
يبصرنى فيك أبو هاشم * فينثنى القلب وقد هشما

وبقى الى أن توفى رحمه الله سنة ٤٨٨ وقد ساق الفتح قضية ثورة عبد الجبار بن المعتمد بعبارته البارعة فقال وأقام بالعدوة برهة لا يروعه سرب وان لم يكن آمنا ولا يثور له كرب وان كان فى ضلوعه كامنا الى أن ثار أحد بنيه بأركش معقل كان مجاور الاشبيلية مجاورة الانامل للراح ظاهرا على بسائط وبطاح لا يمكن معه عيش ولا يتمكن من منازلته جيش فغدا على أهلها بالمكاره وراح وضيق عليهم المتسع من جهاتها والبراح فسار نحوه الامير سير بن ابى بكر رحمة الله عليه قبل أن يرتد طرف استقامته اليه فوجده وشره

وقد رثاه الاخطل النصرانى فقال من قصيدة

لعمرى لقد دلى الى الخلد خالد جنازة لا نكس الفؤاد ولا غمر
مقيم بحوّارين ليس يريمها سقته الغوادى من ثوى ومن قبر

فى أبيات

(ذكر مقتل الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام ومن قتل معه من أهل بيته وشيعته)

ولما مات معاوية أرسل أهل الكوفة الى الحسين ابن على انا قد حبسنا انفسنا على بيعتك ونحن نموت دونك ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك وطولب الحسين البيعة ليزيد بالمدينة فسام التأخير وخرج يتهادى بين مواليه ويقول

لاذعرت السوام فى فلق الصبح مغيرا ولادعيت يزيدا
يوم اعطى مخافة الموت ضيما والمنايا ترصدننى ان احيدا

ولحق بمكة فأرسل بابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة قال له سر الى اهل الكوفة فان كان حقا ما كتبوا به عرفنى حتى الحق بك فخرج مسلم من مكة فى النصف من شهر رمضان حتى قدم الكوفة لخمس خلون من شوال والامير عليها النعمان بن بشير الانصارى فنزل على

وشره قد تشمر وصرده قد تمر وجمره متسعر وأمره متوعر فنزل عدوته وحل للعزم حبوته وتدارك داءه قبل اعضاله ونازله وما اعدا لات نضاله واحتشدت اليه الجيوش من كل قطر وأفرغ في مسالكه كل قطر فبقي محصورا لايشد اليه الاسهم ولاينفذ عنه الانفس أووهم وامتسك شهورا حتى عرضه أحد الرماة بسهم فرماه فاصماه فهوى في مطلعه وخرقتيلا في موضعه فدفن الى جانب سريره وأمن عاقبة تغريره وبقي اهله ممتنعين مع طائفة من وزرائه حتى اشتد عليهم الحصر وارتدعنهم النصر وعمهم الجوع وأغب أجفانهم الهجوع فنزلت منهم طائفة متهافته وولت بأنفاس خافته فتبعهم من بقي ورغب في التنعم من شقي فوصلوا الى قبضة الملمات وحصلوا في غصة الممات فوسمهم الحيف وتقسمهم السيف ولما زأر الشبل خيفت سورة الاسد ولم يرج صلاح الكل والبعض قد فسد فاعتقل المعتمد خلال تلك الحال واثناءها وأحل ساحة الخطوب وفناءها وحين اركبوه أساودا وأورثوه حزنا بات له معاودا قال

غنتك اغماتية الالحان * ثقلت على الارواح والابدان
قد كان كالثعبان قيدك في الورى * فغدا عليك القيد كالثعبان
متمددا بحذاك كل تمدد * متعطفا الارحمة للعاني
قلبي الى الرحمن يشكو بثه * ماخاب من يشكو الى الرحمن
ياسائلا عن شأنه ومكانه * ما كن أغنى شانه عن شان
هاتيك قينته وذلك قصره * من بعد أي مقاصر وقيان

ولما فقد من كان يجالسه وبعد عنه من كان يؤانسه وتمادى كربه ولم تسالمه حربه قال

تؤمل للنفس الشجية فرجة * وتأبى الخطوب السود الاتماديا
لياليك من زاهيك أصفى صحبتها * كذا صحبت قبل الملوك اللياليا
نعيم وبؤس ذا لذلك ناسخ * وبعدهما نسخ المنايا الامانيا

ولما امتدت مدته واشتدت عليه قسوة الكبل وشدته وأقلقته همومه وأطبقته غمومه وتوالت عليه الشجون وطالت لياليه الجون قال

أنباء أسرك قد طبقن آفاقا * بل قد عممن جهات الارض اقلاقا
سرت من الغرب لايطوى لها قدم * حتى أتت شرقها تنعاك اشراقا
فاحرق الفجع أكبادا وأفئدة * وأغرق الدمع آماقا وأحداقا
قد ضاق صدر المعالي اذ نعيت لها * وقيل ان عليك القيد قد ضاقا
اني غلبت وكنت الدهر ذا غلب * للغالبين وللسباق سباقا
قلت الخطوب أذلتني طوارقها * وكان عزي الى الاعداء طراقا
متى رأيت صروف الدهر تاركة * اذا انبرت لذوي الاخطار أرماقا

وقال لي من أثق لما ثار ابنه حيث ثار وأثار من حقد أمير المسلمين عليه ما أثار جزع جزعا مفرطا وعلم أنه قد صار في أنشوطة الشر متورطا وجعل يتشكى من فعله ويتظلم ويتوجع منه ويتألم ويقول عرض بي للمحن ورضي لي أن امتحن ووالله ما أبكي الا انكشاف من

رجل يقال له عوسجة مستترا فلما ذاع خبر قدومه بايعه من اهل الكوفة اثنا عشر الف رجل وقيل ثمانية عشر الفا فكتب بالخبر الى الحسين وسأله القدوم اليه فلما هم الحسين بالخروج الى العراق أتاه ابن عباس فقال له ياابن عم قد بلغني انك تريد العراق وانهم أهل غدر وانما يدعونك للحرب فلا تعجل وان أبيت الامحاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فاشخص الى اليمن فانها في عزلة ولك فيها انصار واخوان فأقم بها وبث دعاتك واكتب الى أهل الكوفة وانصارك بالعراق فيخرجوا اميرهم فان قووا على ذلك ونفوه عنها ولم يكن بها احد يعاديك اتيتهم وما انا بغدرهم بآمن وان لم يفعلوا اقت بمكانك الى ان يأتي الله بأمره فان فيها حصونا وشعابا فقال الحسين يا ابن عم اني لأعلم انك لي ناصح وعلي شفيق ولكن مسلم بن عقيل كتب الي باجتماع اهل المصر على بيعتي ونصرتي وقد اجمعت على المسير قال انهم من جربت وجربت وهم اصحاب ابيك واخيك وقتلتك غدا مع اميرهم انك لو قد خرجت فبلغ ابن زياد خروجك استنفرهم اليك وكان الذين كتبوا اليك اشد من عدوك فان عصيتني وابيت الا الخروج الى الكوفة فلا تخرجن

أتخلفه بعدى ويخيفه بعدى ثم أطرق ورفع رأسه وقد تهللت أسرته وطلالته مسرته ورأيته قد استجمع وتشوف الى السماء وتطلع فعلمت أنه قد رجا عودة الى سلطانه وأوبة الى أوطانه فما كان الا بمقدار ما تنداح دائره أو تلتفت مقلة حائره حتى قال

كذا يهلك السيف فى جفنه * الى هز كفى طويل الحنين
كذا يعطش الرمح لم أعتقله * ولم تروه من نجيع يمينى
كذا يمنع الطرف علك الشكيم * مرتقباً غارة فى كمين
كأن الفوارس فيه ليوث * تراعى فرائسها فى عرين
ألا شرف يرحم المشرفى * مما به من سمات الوتين
ألا كرم ينعش السمهرى * ويشفيه من كل داء دفين
ألا حنة لابن محنية * شديد الحنين ضعيف الانين
يؤمل من صدره راضمة * تبوئه صدر كبر معين

وكانت طائفة من أهل فاس قد عاثوا فيها وفسقوا وانتظموا فى سلك الطغيان واتسقوا ومنعوا جفون أهلها السنات وأخذوا البنين من حجور آبائهم والبنات وتلقبوا بالاماره وأركبوا السوء نفوسهم الاماره حتى كادت أن تقفر على أيديهم وتدثر رسومها بافراط تعديهم الى أن تدارك أمير المسلمين رحمه الله تعالى أمرهم وأطفأ جمرهم وأوجعهم ضربا وأقطعهم ما شاء حزنا وكربا وسجنهم باغمات وضمتهم جوانح الملمات والمعتمد اذ ذاك معتقل هناك وكانت فيهم طائفة شعريه مدنية أو بربريه فرغبوا الى سجانهم أن يسترجحوا مع المعتمد من أشجانهم فخلى ما بينهم وبينه وغمض لهم فى ذلك عينه فكان المعتمد رحمه الله تعالى يتسلى بمجالستهم ويجد اثر مؤانستهم ويستريح اليهم بجواه ويبوح لهم بسره ونجواه الى أن شفع فيهم وانطلقوا من وثاقهم وانفرج لهم مبهم أغلاقهم وبقى المعتمد يشتكى من ضيق الكبل ويبكى بدمع كالوبل فدخلوا عليه مودعين ومن بثه متوجعين فقال

أما لانسكاب الدمع فى الخد راحة * لقد آن أن يفنى ويفنى به الخد
هبوا دعوة يا آل فاس لمبتلى * بما منه قد عافاكم الصمد الفرد
تخلصتم من سجن أغمات والتوت * على قيود لم يحن فكها بعد
من الدهم أما خلقها فأساود * تلوى وأما الايد والبطش فالاسد
فهنيتم النعمى ودامت لكم بها * سعادته ان كان قد خانني سعد
خرجتم جماعات وخلفت واحدا * ولله فى أمرى وأمركم الحمد

ومر عليه فى موضع اعتقاله سرب قطا لم يعلق لها جناح ولا تعلق بها من الايام جناح ولا عاقها عن أفراخها الاشراك ولا أعوزها البشام ولا الاراك وهى تمرح فى الجو وتسرح فى مواقع النو فتنكد عما هو فيه من الوثاق وما دون أحبته من الرقباء والاغلاق وما يقاسيه من كبله ويعانيه من وجده وخبله وفكر فى بناته وافتقارهن الى نعيم عهدنه وحبور حضرنه وشهدنه فقال

نساءك وولدك معك فوالله انى لخائف ان تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه فكان الذى رد عليه لأن أقتل والله بمكان كذا أحب الى من أن استحل بمكة فيئس ابن عباس منه وخرج من عنده فمر بعبد الله بن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير وانشد

يالك من قبرة بمعمر *
خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ما شئت ان تنقرى

هذا حسين يخرج الى العراق ويخليك والحجاز وبلغ ابن الزبير أنه يريد الخروج الى الكوفة وهو أثقل الناس عليه قد غمه مكانه بمكة لان الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين فلم يكن شئ يؤتاه أحب اليه من شخوص الحسين عن مكة فأتاه فقال أبا عبد الله ما عندك فوالله لقد خفت الله فى جهاد هؤلاء القوم على ظلمهم واستذلالهم الصالحين من عباد الله فقال حسين قد عزمت على اتيان الكوفة فقال وفقك الله أما لو أن لى مثل انصارك ما عدلت عنها ثم خاف أن يتهمه فقال ولو أقمت بمكانك فدعوتنا وأهل الحجاز الى بيعتك أجبناك وكنا اليك سراعا وكنت أحق بذلك من يزيد وأبى يزيد

(ودخل) أبو بكر بن الحرث بن هشام على الحسين فقال يا ابن عم ان الرحم يظائرنى عليك

بكيت

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بى * سوارح لاسجن يعوق ولا كبل
ولم تك والله المعيد حسادة * ولكن حنينا ان شكلى لها شكل
فأسرح لاشملى صديع ولا الحشا * وجيع ولا عيناى يبكيهما ثكل
هنيئا لها اذ لم يفرق جميعها * ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل
واذ لم تبت مثلى تطير قلوبها * اذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل
وماذاك مما يعتريه وانما * وصفت التى فى جبلة الخلق من قبل
لنفسى أن ألقى الحمام تشوف * سواى يحب العيش فى ساقه كبل
ألا عصم الله القطا فى فراخها * فان فراخى خانها الماء والظل

وفى هذه الحالة زاره الاديب أبو بكر بن اللبانة وهو أحد شعراء دولته المرتضعين درها المنتجعين دررها وكان المعتمد رحمه الله تعالى يميزه بالشفوف والاحسان ويجوزه على فرسان هذا الشان فلما رآه وحلقات الكبل قد عضت بساقيه عض الاسود والتوت عليه التواء الاساود السود وهو لا يطيق اعمال قدم ولا يريق دمعا الا ممزوجا بدم بعدما عهده فوق منبر وسرير ووسط جنة وحرير تخفق عليه الالويه وتشرق منه الانديه وتكف الامطار من راحته وتشرف الاقدار بحلول ساحته ويرتاع الدهر من اوامره ونواهيه ويقصر النسر أن يقارنه أو يضاهيه نديه بكل مقال يلهب الاكباد ويشير فيه لوعة الحرث ابن عباد أبدع من أناشيد معبد وأصدع للكبد من مراثى أربد أو بكاء ذى الرمة بالمربد سلك فيها الاحتفاء طريقا لاحبا وغدا فيها الذيول الوفاء ساحبا فمن ذلك قوله

انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها السفلى قد كتمت * سريرة العالم العلوى اغمات
طوت مظلتها الا بل مذلتها * من لم تزل فوقه للعز رايات
من كان بين الندى والبأس انصله * هندية وعطاياه هنيدات
رماه من حيث لم تسترها سابغة * دهر مصيباته نبل مصيبات
أنكرت الا التواآت القيود به * وكيف تنكر فى الروضات حيات
غلطت بينهما بين عقدن له * وبينها فاذا الانواع اشتات
وقلت هن ذؤابات فلم عكست * من رأسه نحو رجليه الذؤابات
حسبتها من قناه أو أعنته * اذا بها لثقاف الجد آلات
دروه ليثا فخافوا منه عادية * عذرتهم فلعدو الليث عادات
لو كان يفرج عنه بعض آونة * قامت بدعوته حتى الجمادات
بحر محيط عهدناه تجىء له * كنقطة الدارة السبع المحيطات
لهفى على آل عباد فانهم * أهلة ما لها فى الافق هالات
راح الحيا وغدا منهم بمنزلة * كانت لنا بكر فيها وروحات
أرض كأن على أقطارها سرجا * قد أوقدتهن بالادهان أنبات
وفوق شاطئ واديها رياض ربا * قد ظللتها من الانشام دوحات

ولا أدرى كيف أنا فى النصيحة لك فقال يا أبا بكر ما أنت ممن يستغش فقال أبو بكر كان أبوك أشد بأسا والناس له أرجى ومنه أسمع وعليه أجمع فسار الى معاوية والناس مجتمعون عليه الا أهل الشام وهو أعز منه فخذلوه وتثاقلوا عنه حرصا على الدنيا وضنا بها فجرعوه الغيظ وخالفوه حتى صار الى ما صار اليه من كرامة الله ورضوانه ثم صنعوا باخيك بعد أبيك ما صنعوا وقد شهدت ذلك كله ورأيته ثم أنت تريد أن تسير الى الذين عدوا على أبيك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هو أعد منك وأقوى والناس منه أخوف وله أرجى فلو بلغهم مسيرك اليهم لاستطغوا الناس بالاموال وهم عبيد الدنيا فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك ويخذلك من أنت أحب اليه ممن ينصره فاذكر الله فى نفسك فقال الحسين جزاك الله خيرا يا ابن عم فقد أجهدك رأيك ومهما يقض الله يكن فقال وعند الله نحتسب أبا عبد الله ثم دخل على الحرث بن خالد بن العاص ابن هشام المخزومى والى مكة وهو يقول

كم نرى ناصحا يقول فيعصى * وظنين المغيب يلفى نصيحا

فقال وماذاك فاخبره بما قال للحسين فقال نصحت له ورب الكعبة واتصل الخبر بيزيد فكتب الى

كان واديها سلك بلبتها * وغاية الحسن أسلاك ولبات
نهر شربت بعبريه على صور * كانت لها من قبيل الراح سورات
وربما كنت اسمو للخليج به * وفي الخليج لاهل الراح راحات
وبالغروسات لاجفت منابتها * من النعيم غروسات جنيات

ولم تزل كبده تتوقد بالزفرات وخلده يتردد بين النكبات والعثرات ونفسه تتقسم بين الاشجان والحسرات الى أن شفته منيته وجاءته بها أمنيته فدفن باغمات وأريح من تلك الازمات (وعطلت المآثر من حلاها * وافردت المفاخر من علاها) ورفعت مكارم الاخلاق وكسدت نفائس الاعلاق وصار أمره عبرة في عصره وصاب أندى عبرة في مصره وبعد ايام وافى أبو بحر بن عبد الصمد شاعره المتصل به المتوصل الى المنى بسببه فلما كان يوم العيد وانتشر الناس ضحى وظهر كل متوار وضحا قام على قبره عند انفصالهم من مصلاهم واختيالهم بزينتهم وحلاهم وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه وخر على تربه ولثمه

ملك الملوك أسامع فأنادي * أم قد عدتك عن السماع عوادي
لما خلت منك القصور فلم تكن * فيها كما قد كنت في الاعياد
قبلت من هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد

وهي قصيدة أطال انشادها وبنى بها اللواعج وشادها فانحشر الناس اليه وانحفلوا وبكوا ببكائه وأعولوا وأقاموا أكثر نهارهم مطيفين به طواف الحجيج مديمين للبكاء والعجيج ثم انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم وأقرحوا مآقيهم بفيض شؤنهم وهذه نهاية كل عيش وغاية كل ملك وجيش والايام لاتدع حيا ولا تألو اكل نشر طيا تطرق رزاياها كل سمع وتفرق مناياها كل جمع وتصمي كل ذي أمر ونهي وترمي كل مشيد بوهي ومن قبله طوت النعمان بن الشقيقه ولوت مجازه في تلك الحقيقه انتهى ماقصدنا جلبه من كلام الفتح مما يدخل في أخبار المعتمد بن عباد لمناسبة ما مر وكلام الفتح كله الغاية وليس الخبر كالعيان ولذا قال بعض من عرف به انه أراد أن يفضح الشعراء الذين ذكرهم في كتبه بنثره سامحه الله تعالى وأخبار المعتمد رحمه الله تعالى تحتمل مجلدات وآثاره الى الآن بالغرب مخلدات وكان من النادر الغريب قولهم في الدعاء للصلاة على جنازته الصلاة على الغريب بعد اتساع ملكه وانتظام سلكه وحكمه على اشبيلية وأنحائها وقرطبة وزهرائها وهكذا شأن الدنيا في تدريسها نحو ندبتها واغرائها * وقد توجه لسان الدين الوزير بن الخطيب الى أغمات لزيارة قبر المعتمد رحمه الله تعالى ورأى ذلك من المهمات وأنشد على قبره ابياته الشهيرة التي ذكرتها في جملة نظمه الذي هو أرق من النسيم وابهج من المحيا الوسيم * قلت وقد زرت أنا قبر المعتمد والرميكية أم أولاده حين كنت بمراكش المحروسة عام عشرة والف وعمي على أمر القبر المذكور وسألت عنه من تظن معرفته له حتى هداني اليه شيخ طعن في السن وقال لي هذا قبر ملك ملوك الاندلس وقبر حظيته التي كان قلبه بحبها خفاقا غير مطمئن فرأيته في ربوة

عبيدالله بن زياد بتوليته الكوفة فخرج من البصرة مسرعا حتى قدم الكوفة على الظهر فدخلها في أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل ابن زياد يسلم على الناس فيقولون وعليك السلام يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم حتى انتهى الى القصر وفيه النعمان ابن بشير فتحصن فيه ثم أشرف عليه فقال يا ابن رسول الله مالي ولك وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان فقال ابن زياد لقد طال نومك يا نعيم وحسر اللثام عن فيه فعرفه ففتح له وتنادى الناس ابن مرجانة وحصبوه بالحصباء ففاتهم ودخل القصر ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول الى هانئ ابن عروة المرادي ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه فوجه محمد ابن الاشعث بن قيس الى هانئ فجاءه فسأله عن مسلم فأنكره فاغلظ له ابن زياد القول فقال هانئ ان لزياد أبيك عندي بلاء حسنا وأنا أحب مكافأته به فهل لك في خير قال ابن زياد وما هو قال تشخص الى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين باموالكم فانه قد جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك فقال ابن زياد ادنوه مني فادنوه منه فضرب وجهه

حسبما

حسبما وصفه ابن الخطيب رحمه الله تعالى فى الابيات وحصلت لى من ذلك المحل خشية وادكار وذهبت بى الافكار فى ضروب الآيات فسبحان من يؤتى ملكه من يشاء لا اله غيره وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين * وما أحسن قول الوزير ابن عبدون فى مطلع رائيته الشهيره

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

(وهو القائل)

يا نائم الليل فى فكر الشباب أفق * فصبح شيبك فى أفق النهى بادى
غضت عنانك أيدى الدهر ناسخة * علما بجهل واصلاحا بافساد
وأسلمت للمنايا آل مسلمة * وعبدت للرزايا آل عباد
لقد هوت منك خانتها قوادمها * بكوكب فى سماء المجد وقاد

ومنها

ومالك كان يحيى شول قرطبة * أستغفر الله لا بل شول بغداد
شق العلوم نطافا والعلا زهرا * فبين ما بين روّاد وورّاد

وأين هذه القصيدة فى مدحهم من قصيدة الغض منهم وهى قول أبى الحسن جعفر بن ابراهيم ابن الحاج اللورقى

تعز عن الدنيا ومعروف أهلها * اذا عدم المعروف فى آل عباد
حللت بهم ضيفا ثلاثة أشهر * بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد

وهذا يدلك على أن الشعراء لم يسلم من لسانهم من أحسن فضلا عمن أساء من العظماء والرؤساء وما أمدح قول أبى محمد بن غانم فيهم

ومن الغريب غروب شمس فى الثرى * وضياؤها باق على الآفاق

وقال فى المطمح فى حق بنى عباد وأوليتهم ما صورته الوزير أبو القاسم محمد بن عباد هذه بقية منتماها فى لخم ومرتماها الى مفخر ضخم وجدهم المنذر بن ماء السماء ومطلعهم فى جو تلك السماء وبنو عباد ملوك أنس بهم الدهر وتنفس منهم عن أعبق الزهر وعمروا ربع الملك وأمروا بالحياة والهلك ومعتضدهم أحد من أقام وأقعد وتبوّأ كاهل الارهاب واقتعد وافترش من عريشته وافترس من مكايد فريسته وزاحم بعود وهد كل طود وأنحل كل ذى زى وشاره وختل بوحى واشاره ومعتمدهم كان أجود الاملاك وأحد نيرات تلك الافلاك وهو القائل وقد شغل عن منادمة خواص دولته بمنادمة العقائل

لقد حننت الى ما اعتدت من كرم * حنين أرض الى مستأخر المطر
فهاتها خلعا أرضى السماح بها * محفوفة فى أكف الشرب بالبدر

وهو القائل وقد حن فى طريقه الى فريقه

أدار النوى كم طال فيك تلذذى * وكم عقتنى عن دار أهيف أغيد
حلفت به لو قد تعرض دونه * كماة الاعادى فى النسيج المسرد
لجردت للضرب المهند فانقضى * مرادى وعزما مثل حد المهند

بقضيب كان فى يده كسر انفه وشق حاجبه ونثر لحم وجنته وكسر القضيب على وجهه ورأسه وضرب هانئ بيده الى قائم سيف شرطى من تلك الشرط فجاذبه الرجل ومنعه السيف وصاح اصحاب هانئ بالباب قتل صاحبنا فخافهم ابن زياد وامر بحبسه فى بيت الى جانب مجلسه واخرج اليهم ابن زياد شريحا القاضى فشهد عندهم انه حى لم يقتل فانصرفوا ولما بلغ مسلما مافعل ابن زياد بهانئ امر مناديا فنادى يا منصور وكانت شعارهم فتنادى اهل الكوفة بها فاجتمع اليه فى وقت واحد ثمانية عشر الف رجل فسار الى ابن زياد فتحصن منه فحصره فى القصر فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل فلما نظر الى الناس يتفرقون عنه سار نحو ابواب كنده فما بلغ الباب الا ومعه منهم ثلاثة ثم خرج من الباب فاذا ليس معه منهم أحد فبقى حائرا لا يدرى أين يذهب ولا يجد أحدا يدله على الطريق فنزل عن فرسه ومشى متلددا فى أزقة الكوفة لا يدرى أين يتوجه حتى انتهى الى باب مولاة للاشعث بن قيس فاستسقاها ماء فسقته ثم سالته عن حاله فاعلمها بقضيته فرقت له وآوته فجاء ابنها فعلم بموضعه فلما أصبح غدا الى محمد بن الاشعث فاعلمه فمضى

والقاضى أبو القاسم هذا جدهم وبه سفر مجدهم وهو الذى اقتنص لهم الملك النافر واختصهم منه بالحظ الوافر فانه اخذ الرياسة من ايدى جابر واضحى من ظلالها عيان اكابر عندما اناخت بها اطماعهم واصاخت اليها اسماعهم وامتدت اليها من مستحقيها اليد واتلعوا اجيادا زانها الجيد وفغر عليها فاه حتى هجا بيت العبدى وتصدى اليها من تحضر وتبدى فاقتعد سنامها وغاربها وابعد عنها عجمها واعاربها وفاز من الملك باوفر حصه وغدت سمته به صفة مختصه فلم يمح رسم القضاء ولم يتسم بسمة الملك مع ذلك النفوذ والمضاء ومازال يحمى حوزته و يحلو عزته حتى حوته الرجام وخلت منه تلك الآجام وانتقل الملك الى ابنه المعتضد وحل منه فى روض غدق له ونضد ولم يعمر فيه ولم يدم ولاه وتسمى بالمعتضد بالله وارتمى الى أبعد غايات الجود بما أناله وأولاه لولا بطش فى اقتضا النفوس كدر ذلك المنهل وعكر أثناء ذلك صفو العل والنهل ومازال للارواح قابضا وللوثوب عليها رابضا يخطف اعداءه اختطاف الطائر من الوكر و ينتصف منهم بالدهاء والمكر الى أن أفضى الملك الى ابنه المعتمد فاكتحل منه طرفه الرمد وأحمد مجده وتقلد منه أى باس ونجده ونال به الحق مناه وجدد سناه وأقام فى الملك ثلاثا وعشرين سنه لم تعدم له فيها حسنة ولا سيرة مستحسنه الى أن غلب على سلطانه وذهب به من اوطانه فنقل الى حيث اعتقل وأقام كذلك الى ان مات ووارته تربة اغمات وكان للقاضى جده أدب غض ومذهب مبيض ونظم يرتجله كل حين و ينفثه أعطر من الرياحين فن ذلك قوله يصف النيلوفر

يا ناظرين لذا النيلوفر البهج * وطيب مخبره فى الفوح والارج
كأنه جام در فى تألقه * قد أحكموا وسطه فصا من السبج

انتهى المقصود منه وهو أعنى الفتح يشيد قصور الشرف اذا مدح و يهدم معاقلها اذا هجا وقدح * ومن أغراضه قوله فى المطمع فى حق الاديب أبى جعفر بن البنى رافع رايات القريض وصاحب آيات التصريح والتعريض أقام شرائعه وأظهر بدائعه اذا نظم ازرى بالعقود وأتى بأحسن من رقم البرود وكان أليف غلمان وحليف كفر لا ايمان مانطق متشرعا ولا رمق متورعا ولا اعتقد حشرا ولا صدق بعثا ولا نشرا تنسك مجونا وفتكا وتمسك باسم التقى وقد هتكه هتكا لايبالى كيف ذهب ولا بم تمذهب وكانت له أهاجى جرع بها صابا ودرع منها أوصابا وقد اثبت له مايرشف ريقا و يشرب تحقيقا فن ذلك قوله يتغزل

من لى بغرة فاتن يختال فى * حلل الجمال اذا بدا وحليه
لو شمت فى وضح النهار شعاعها * ماعاد جنح الليل بعد مضيه
شرقت لآلى الحسن حتى خلصت * ذهبية فى الخد من فضيه
فى صفحتيه من الجمال ازاهر * غذيت بوسمى الحيا ووليه
سالت محاسنه لقتل محبه * من سحر عينيه حسام سميه

وله فيه

ابن الاشعث الى ابن زياد فاعلمه فقال انطلق فأتى به ووجه معه عبدالله بن العباس السلمى فى سبعين رجلا فاقتحموا على مسلم الدار فثار عليهم بسيفه وشد عليهم فاخرجهم من الدار ثم حملوا عليه الثانية فشد عليهم وأخرجهم أيضا فلما رأوا ذلك علوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة وجعلوا يلهبون النار باطراف القصب ثم يلقونها عليه من فوق البيوت فلما رأى ذلك قال أكل ما أرى من الاحلاب لقتل مسلم بن عقيل يانفس اخرجى الى الموت الذى ليس عنه محيص فخرج اليهم مصلتا سيفه الى السكة فقاتلهم واختلف هو وبكير بن حمران الاحمرى ضربتين فضرب بكير فم مسلم فقطع السيف شفته العليا وشرع فى السفلى وضربه مسلم ضربة منكرة فى رأسه ثم ضربه أخرى على حبل العاتق فكاد يصل الى جوفه وهو يرتجز و يقول

أقسم لا أقتل الا حرا
وان رأيت الموت شيأ مرا
كل امرئ يوما ملاق شرا
أخاف ان أكذب أو أغرا

فلما رأوا ذلك تقدم اليه محمد بن الاشعث فقال له فانك لاتكذب ولا تغر وأعطاه الامان فامكنهم من نفسه وحملوه على بغلة وأتوا به ابن زياد وقد سلبه ابن الاشعث حين أعطاه الامان سيفه وسلاحه وفى ذلك يقول بعض الشعراء كيف

كيف لا يزداد قلبى * من جوى الشوق خبالا
واذا قلت عــلى * بهــر الناس جمالا
هو كالغصن وكالبد * ر قواما واعتــدالا
اشرق البــدر كمالا * وانثنى الغصن اختيالا
ان من رام ســلوى * عنــه قــد رام محالا
لست اسلو عن هواه * كان رشــدا وضلالا
قل لمن قصر فيــه * عــذل نفسى اواطالا
دون أن تدرك هذا * تسلب الرفق الهــلالا

وكنت بميورقة وقد حلها متسما بالعباده وهو أسرى الى الفجور من خيال أبى عباده وقد لبس أسمالا ولبس منــه أقوالا وأفعالا بجوده بجوده واقراره بالله بجوده وكانت له رابطة لم يكن للوازمها مرتبطا ولا بسكناها مغتبطا سماها بالعقيق وسمى فتى كان يتعشقه بالحمى وكان لا يتصرف الا فى صــفاته ولا يقف الا بعرفاته ولا يؤرقــه الاجواه ولا يشوقه الاهواه فاذا بأحد دعاة حبيبه ورواة تشبيبه قال له كنت البارحــة بحماه وذكر له خبرا ورى به عنى وعماه فقال

تنفس بالحمى مطــلول أرض * فاودع نشره نشرا شــمالا
فصحت العيون الى كــلى * تجرر فيــه أردانا خضالا
أقول وقد شممت الترب مسكا * بنفحتها يمينا وشــمالا
نسيم جاء يبعث منك طيبا * ويشكو من محبتك اعتلالا

ولما تقرر عند ناصر الدولة من امره ما تقرر وتردد على سمعه انتهاكه وتكرر اخرجــه من بلده ونفاه وطمس رسم فســقه وعفاه فأقلع الى المشرق وهو جار فلما صار من ميورقة على ثلاثة مجار نشأت له ريح صرفته عن وجهته الى فقده مهجته فلما لحق بميورقة اراد ناصر الدولة اماحته واخذ ثار الدين منــه واراحته ثم آثر صفعه واخمد ذلك الجمر ولفعه واقام اياما ينتظر بحا علها تزجيه ويستهديها تخلصه وتنجيه وفى اثناء بلوته لم يتجاسر احد على اتيانه من اخوته فقال يخاطبهم

احبتنا الا الى عتب واعلينا * فأقصرنا وقــد ازف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وانسا * فهل فى العيش بعد كم انتفاع
اقول وقد صــدرنا بعد يوم * اشــوق بالسفينة ام نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وله يتغزل

بنى العرب الصميم الارعيتم * ما آثر كم بآثار السماح
دفعتم نار كــم فعشا اليها * بوهــن فارس الحى الوقاح
فهل فى القعب فضل تنفحوه * به من مخض البــان اللقاح
لعــل الرســل شائبة الثنايا * بشــهد من ندى نور الاقاح

وله ايضا

وكأنما رشا الحمى لما بدا * لث فى مضاعــفة الحديد المعلم

فشلا ولولا أنت كان منيعا
وقتلت وافد آل بيت محمد
وسلبت أســيافاله ودروعا
فلما صار مسلم الى باب القصر نظر الى قلة مبردة فاستسقاهم منها فنعهــم مسلم بن عمــرو البــاهلى وهو أبو قتيبة بن مسلم ان يسقوه فوجه عمرو ابن حريث فأتاه بماء فى قدح فلما رفعه الى فيــه امتلأ القدح دما فصبه وملأ له الثانية فلما رفعه الى فيــه سقطت ثناياه فيه وامتلأ دما فقــال الحمــد لله لو كان من الرزق المقسوم لشربته ثم أدخل الى ابن زياد فلما انقضى كلامه ومسلم يغلظ له فى الجواب امر به فأصعد الى أعــلى القصر ثم دعا الاحمرى الذى ضربه مسلم فقال كن انت الذى تضرب عنقه لتأخذ بثارك من ضربته فأصعدوه الى اعلى القصر فضرب بكير الاحمرى عنقــه فأهوى رأســه الى الارض ثم أتبعوا رأســه جسده ثم امر بهانئ بن عروة فاخرج الى السوق فضرب عنقه صبرا وهو يصيح يا آل مراد وهو شيخهــا وزعيمــها وهو يومئذ يركب فى أربعة آلاف دارع وثمــانية آلاف راجل واذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان فى ثــلاثين ألف دارع فلم يجد زعيمهم منهم أحدا فشلا وخذلانا فقال الشاعر وهو يرثى هانئ بن عروة ومسلم بن عقيل ويذكر مانالهما

غصب الغمام قسيه فأراكها * من حسن معطفه قويم الاسهم

وله ايضا

نظرت اليه فاتقانى بمقلة * ترد الى نحرى صدور رماح
حميت الجفون بارشا الحمى * واظلمت ايامى وانت صباحى

وقال

قالوا تصيب طيور الجو اسهمه * اذا رماها فقلنا عندنا الخبر
تعلمت قوسها من قوس حاجبه * وأيد الاسهم من الحاظه الحور
يروح فى بردة كالنقس حالكة * كما اضاء بجنح الليلة القمر
وربما راق فى خضراء مورقة * كما تفتح فى اوراقه الزهر

انتهى

وقال فى ترجمة ابن اللبانة أبو الحسن شاعر سمع متقلد بالاحسان متشح أم الملوك والرؤساء ويمم تلك السعادة القعساء فانتجع مواقع خيرهم واقتطع ماشاء من ميرهم وتمادت أيامه الى هذا الاوان فحالت به فى ميدان الهوان فكسد نفاقه وارتدت آفاقه وتوالى عليه حرمانه واخفاقه وأدركته وقد خبته سفونه وانتظرته منونه ومحاسنه كعهدها فى الاتقاد وبعدها من الانتقاد وقد أثبت منها ما يعذب جنى وقطافا ويستعذب استنزالا واستلطافا فمن ذلك قوله يستنجد الامير الاجل أبا اسحق ابن أمير المسلمين

قل للامير ابن الامير بل الذى * أبدى به فى المكرمات وفى الندى
والمجتنى بالزرق وهى بنفسج * ورد الجراح مضعفا ومنضدا
جاءتك آمال العفاة طوامئا * فاجعل لها من ماء جودك موردا
وانثر على المداح سيبك انهم * نثروا المدائح لؤلؤا وزبرجدا
فالناس ان ظلموا فأنت هو الحمى * والناس ان ضلوا فأنت هو الهدى

أخبرنى وزير السلطان أن هذه القطعة لما ارتفعت اعتنت بجملة الشعراء وشفعت فأنجز لهم الموعود وأورق لهم ذلك العود وكثر اللغط فى تعظيمها واستجادة نظيمها وحصل له بها ذكر واتصل له بسببها فكر وله من قطعة يصف بها سيفا

كل نهر توقدت شفرتاه * كاتقاد الشهاب فى الظلماء
فهو ماء مركب فوق نار * أو كنار قد ركبت فوق ماء

وكتب الى معزيا عن والدتى

على مثله من مصاب وجب * على من أصيب به المنتحب
وقلب فروق واب خفوق * ونفس تشب وهم نصب
فقد خشعت للتقى هضبة * ذؤابتها فى صميم العرب
من الجاعلات محاريبها * هوادجها أبدا والقتب
من القائمات بظل الدجا * ولا من تسامر الا الشهب
فكم ركعت اثرها فى الدجا * تناجى بها ربها من كثب
وكم سكبت فى أوانى السجود * مدامع كالغيث لما انسكب
وقد خلفت ولدا باسلا * فصيحا اذا ما قرا أو خطب

اذا كنت لا تدرين ما الموت فانظرى * الى هانئ فى السوق وابن عقيل
الى بطل قد هشم السيف وجهه * وآخر يهوى فى طمار قتيل
أصابهما أمر الامير فاصبحا * أحاديث من يسعى بكل سبيل
ترى جسدا قد غير الموت لونه * ونضح دم قد سال كل مسيل
أيترك أسماء المهايج آمنا * وقد طلبته مذحج بذحول
فتى هو أحيا من فتاة حيية * وأقطع من ذى شفرتين صقيل

ثم دعا ابن زياد ببكير بن حمران الذى ضرب عنق مسلم فقال أقتلته قال نعم قال فما كان يقول وأنتم تصعدون به لتقتلوه قال كان يكبر ويسبح الله ويهلل ويستغفر الله فلما أدنيناه لنضرب عنقه قال اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا فقلت الحمد لله الذى أقادنى منك وضربته ضربة لم تعمل شيأ فقال لى أوما يكفيك وفى خدش منى وفاء بدمك ايها العبد قال ابن زياد أوفخرا عند الموت قال وضربته الثانية فقتلته ثم اتبعنا رأسه جسده وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذى الحجة سنة ستين وهو اليوم الذى ارتحل فيه الحسين من مكة الى الكوفة وقيل يوم الاربعاء يوم عرفة لتسع مضين من ذى الحجة سنة ستين ثم امر ابن زياد

بقتل

يفل السيوف بأقلامه * ويكسر صم القنا بالقصب

وكان القائد أبو عمرو عثمان بن يحيى بن ابراهيم أجل من جال فى خلد واستطال على جلد رشأ يحيى باحتشامه و يسترد البدر بلثامه ويزرى بالغصن تثنيه و يثمر الحسن لو دنت قطوفه لمجتنيه مع لوذعية تخال الهاجر يالا وسجية يختال فيها الفضل اختيالا وكان قد بعد عن أنسنا بحمص وانتضى من تلك القمص وكان بثغر الاشبونة فسده ولم يفرج لنا من الانس بعده ما يسد مسده الى أن صدر فأسرع الينا وابتدر فالتقينا وبتنا ليلة نام عنها الدهر وغفل وقام لنا بما شئنا فيها وتكفل فبينا نحن نفض ختامها وننفض عنا غبار الوحشة وقتامها اذا أنا بابن لبان هذا وقد دخل اذنه علينا فأمرناه بالنزول وتلقيناه بالترحيب وأنزلناه بمكان من المسرة رحيب وسقيناه صغارا وكبارا وأريناه اعظاما واكبارا فلما شرب طرب وكلما كرعها التحف السلوة وتدرعها ومازال يشرب أقداحا و ينشدفينا أمداحا و يفدى بنفسه و يستهدى الاستزادة من أنسه فهتكنا الظلام بما أهداه من البديع واجتلينا محاسنه كالصريع وانفصلت ليلته عن أتم مسره واعم مبره وارتحل عثمان أعزه الله الى ثغره وأقام به برهة من دهره فشيت بها اليه مجددا عهدا ومتضلعا من مؤانسته شهدا فكتب ابن لبان هذه القطعة من القصيدة يذهب الى شكره و يجتهد فى تجديد ذكره

ماشام انسان انسان كعثمان * ولا كبغيته من حسن احسان
بدر السيادة يبدو فى مطالعه * من المحاسن محفوفا بشهبان
له التمام وما بالافق من قمر * متمم دون أن يرمى بنقصان
به الشبيبة تزهى من نضارتها * كما تساقط طل فوق بستان
معصفر الحسن للابصار ناصعه * كأنه فضة شيبت بعقيان
نبثت عنه بأنباء اذا نعتت * تعطلت نفحات المسك والبان
قامت عليه براهين تصدقها * كالشكل قام عليه كل برهان
قد زادها ابن عبيد الله من وضح * مازادت الشمس نور الفجر للرائى
بالله بلغه تسليمى اذا بلغت * تلك الركاب وعجل غير ليان
وليت أنى لو شاهدت أنسكما * على كؤس وطاسات وكيزان
فألفظ الكلام المنثور بينكما * كأنما هو من در ومرجان
لله درك ياذا الخطتين لقد * خططت بالمدح فيه كل ديوان
كلا كما البحر فى جود وفى كرم * أو الغمامة تسقى كل ظمآن
ان كان فارس هيجاء ومعترك * فانت فارس افصاح وتبيان
فاذكر أبا نصر المعمور منزله * بالرفد ماشئت من مثنى ووحدان
قصائد الأخى ودوان نزحت * بك الركاب الى أقصى خراسان

انتهى * وقال فى ترجمة الاديب أبى بكر عبد المعطى بيت شعر ونباهه وأبو بكر ممن انتبه خاطره للبدائع أى انتباهه وله أدب باهر ونظم كما سفرت أزاهر وقد أثبت له جمالا يبلغ

بجثة مسلم فصلبت وحمل رأسه الى دمشق وهذا أوّل قتيل صلبت جثته من بنى هاشم وأوّل رأس حمل من رؤسهم الى دمشق فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحرث بن يزيد التميمى فقال له أين تريد يا ابن رسول الله قال أريد هذا المصر فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره ثم قال ارجع فانى لم أدع خلفى خيرا أرجوه لك فهم بالرجوع فقال له أخو مسلم والله لا نرجع حتى نصيب بثارنا أو نقتل كلنا فقال الحسين لا خير فى الحياة بعدكم ثم سار حتى لقى خيل عبيد الله بن زياد عليها عمر بن سعد بن أبى وقاص فعدل الى كربلاء وهو فى مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه ونحو مائة راجل فلما كثرت العساكر على الحسين أيقن أنه لا محيص له فقال اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا فلم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه وكان الذى تولى قتله رجل من مذحج واحتز رأسه وانطلق به الى ابن زياد وهو يرتجز

أنا قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا
وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فبعث به زياد الى يزيد بن معاوية ومعه الرأس فدخل الى يزيد وعنده أبو بردة الاسلمى فوضع الرأس بين يديه فأقبل ينكت

آمالا فمن ذلك قوله وقد اجتمعنا فى ليلة لم يضرب لها وعد ولم يعزب عنها سعد وهو
قعدى قد شب عن طوق الانس فى الندى وماقال خلا عمرو ولا عدا والكهولة قد قبضته
وأقعدته عن ذلك وما أنهضته

امام النـثر والمنظوم فتح * جميع الناس ليل وهو صبح
له قلم جليـل لايجارى * يقر بفضله سيف ورمح
يبارى المزن ماسحت سماحا * وان شحت فليس لديه شح

وكان مرتسما فى عسكر قرطبة وكان ابن سراج يقوم له بكل ماينبغى تطلبه خيفة من لسانه
ومحافظة على احسانه ولما خرج الى اقليش خرج معه وجعل يساير من شيعه فلما حصلوا
بفحص سرادق وهو موضع توديع المفارق للمفارق قرب منه أبو الحسين بن سراج لوداعه
وأنشده فى تفرق الشمل وانصداعه

هم رحلوا عنا لامر لهم عنا * فما أحد منهم على أحد حنا
وما رحلوا حتى استقادوا نفوسنا * كانهم كانوا أحق بها منا
فياليت كنى نجد لتبعد داركم * ظننا بكم ظنا فاخلفتم الظنا
غدرتم ولم أغدر وخنتم ولم أخن * وقلتم ولم أعتب وجرتم وماجرنا
وأقسمتم أن لاتخونون فى الهوى * فقد وذمام الحب خنتم وماخنا
ترى تجمع الايام بينى وبينكم * ويجمعنا دهر نعود كما كنا

فلما استتم انشاده لحق بالسلطان واعتذر اليه بمرض خلفه وهو يخاف تلفه فاذن له
بالانصراف وكتب الى أبى الحسين بن سراج

أما والهدايا مارحلنا ولا حلنا * وان عز من دون الترحل ماعنا
تركنا ثواب الفضل والعز للعزا * على مضض منا وعدنا كما كنا
وليس لنا منكم على البين سلوة * وان كان أنتم عندكم سلوة عنا

وجمعتنا عشية بربض الرحال بقرطبة ومعنا لمة من الاخوان وهو فى جلتهم مناهض
لاعيانهم وجلتهم بفضل أدبه وكثرة نجبه فجعل يرتجل ويروى وينشر محاسن الآداب
ويطوى ويمتعنا بتلك الاخبار ويقطعنا منها جانب اعتبار ويطلعنا على اقبال الايام
وعلى الادبار

أيا ابن عبد الله يا ابن الاكارم * لقد بخلت عنك صوب الغمائم
لك القلم الاعلى الذى عطل القنا * وفل ظبات المرهفات الصوارم
وأخلاقك الزهر الازاهر بالربا * ترف بشؤبوب الغيوث السواجم
بقيت لتشييد المكارم والعلى * تظاهرها بالسالف المتقادم

واجتمع عند أبيه لمة من أهل الادب وذوى المنازل والرتب فى عشية غيم أعقب مطرا
وخط فيه البرق أسطرا والبرد يتساقط كالدر من نظام ويترا آكشنايا غادة ذات ابتسام
وهو غلام ماانضا برد شبابه ولا انتضى مرهف آدابه فقال معرضا بهم ومتعرضا لتحقق أدبهم

كأن الهواء غدير جمد * بحيث البرود تذيب البرد

بالقضيب ويقول تفلق هاما من رجال أحبة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما فقال له أبو بردة ارفع
قضيبك فطال والله مارأيت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يضع فمه على فمه يلثمه
وكان جميع من حضر مقتل
الحسين من العساكر
ومحاربيه وتولى قتله من
أهل الكوفة خاصة
لم يحضرهم شامى وكان
جميع من قتل مع الحسين
فى يوم عاشوراء بكربلاء
سبعة وثمانين منهم ابنه
على بن الحسين الاكبر
وكان يرتجز ويقول
انا على بن الحسين بن على
نحن وبيت الله أولى بالنبى
تالله لايحكم فينا ابن الدعى
وقتل من ولد أخيه الحسن
ابن على عبد الله بن الحسن
والقاسم بن الحسن وابو بكر
ابن الحسن ومن اخوته
العباس بن على وعبد الله
ابن على وجعفر بن على
وعثمان بن على ومحمد بن
على وهو الاصغر ومن ولد
جعفر بن ابى طالب محمد
ابن عبد الله بن جعفر وعون
ابن عبد الله بن جعفر ومن
ولد عقيل بن ابى طالب
عبد الله بن عقيل وعبد الله
ابن مسلم بن عقيل وذلك
لعشر خلون من المحرم سنة
اربع وستين وقتل الحسين
وهو ابن خمس وخمسين سنة
وقيل ابن تسع وخمسين سنة
وقيل غير ذلك ووجد بالحسين يوم قتل ثلاث وثلاثون طعنة واربع وثلاثون ضربة

خيوط

النخعي ثم نزل فاحتز رأسه وفي ذلك يقول الشاعر
وأي رزية عدلت حسينا غداة تبينه كفا سنان
وقتل معه من الانصار أربعة وباقي من قتل معه من أصحابه على ما قدمنا من العدة من سائر العرب وفي ذلك يقول مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم
عين جودي بعبرة وعويل واندبي ان ندبت آل الرسول
وابن عم النبي غوثا أخاهم ليس فيما ينوب بالمخذول
وسمي النبي غودر فيهم قد علوه بصارم مصقول
واندبي كهلهم فليس اذا ما عد في الخير كهلهم كالكهول
لعن الله حيث كان زيادا وابنه والعجوز ذات البعول
وأم عمرو بن سعد أصحابه أن يوطئوا خيلهم الحسين فانتدب لذلك اسحق بن حياة الحضرمي في نفر معه فوطئوه بخيلهم ودفن أهل العامرية وهم قوم من بني عامر من بني أسد الحسين وأصحابه بعد قتلهم بيوم وكان عدة من قتل من أصحاب سعد في حرب الحسين عليه السلام ثمانية وثمانين رجلا

خيوط وقد عقدت في الهواء * وراحة ريح تحل العقد

وشرب في دار ابن الاعلم في يوم لم ير للدهر فيه اساءه وليل نسخ نور أنسه مساءه ومعهم جملة من الشعراء وجماعة من الوزراء منهم أبناء القبطرنة فوقع بينهم عتاب وتعذال وامتهان في ميدان المشاجرة وابتذال آل به الى تجريد السيف وتكدير ما صفا بذلك الحيف فسكنوه بالاستنزال وثنوه عن ذلك النزال وقال في المطمح في حق أبي بكر يحيى ابن بقي القرطبي صاحب الموشحات البديعة كان نبيل السيرة والنظام كثير الارتباط في سلكه والانتظام أحرز خصالا وطرز بمحاسنه بكرا وآصالا وجرى في ميدان الاحسان الى أبعد أمد وبني من المعارف أثبت عمد الا أن الايام حرمته وقطعت حبل رعايته وصرمته فلم تتم له وطرا ولم تسجم عليه الحظوة مطرا ولا سوغت من الحرمة نصيبا ولا أنزلته مرعى خصيبا فصار راكب صهوات وقاطع فلوات لا يستقر يوما ولا يستحسن نوما مع توهم لا يظفره بأمان وتقلب ذهن كالزمان الا أن يحيى بن علي بن القاسم نزعه من ذلك الطيش وأقطعه جانبا من العيش ورقاه الى سمائه وسقاه صيب نعمائه وفيأه ظلاله وبوأه أثر النعمة يجوس خلاله فصرف به اقواله وشرف بعواقبه فعاله وأفرده منها بأنفس در وقصده منها بقصائد غر انتهى المقصود من ترجمته في المطمح * وقال في حقه في القلائد رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض أقام شرائعه وأظهر روائعه وصار عصيه طائعه اذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى بأحسن من رقم البرود وطغا عليه حرمانه فاصفاله زمانه انتهى * وابن بقي المذكور هو القائل

بأبي غزال غازلته مقلتي * بين العذيب وبين شطي بارق

الابيات المذكورة في غير هذا الموضع ومن موشحاته قوله

عبث الشوق بقلبي فاشتكى * ألم الوجد فلبت أدمعي
أيها الناس فؤادي شغف
وهو من بغي الهوى لا ينصف
كم أداريه ودمعي يكف
أيها الشادن من علمكا * بسهام اللحظ قتل السبع
بدر تم تحت ليل أغطش
طالع في غصن بان منتشي
أهيف القد بخد أرقش
ساحر الطرف وكم ذا فتكا * بقلوب الاسد بين الاضلع
أي ريم رمته فاجتنبا
وانثنى يهتز من سكر الصبا
كقضيب هزه ريح الصبا
قلت هب لي يا حبيبي وصلكا * واطرح أسباب هجري ودع

 (ذكر أسماء ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه) الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم الكبرى

قال خدى زهره مذ فوّفا
جردت عيناى سيفا مرهفا
حذرا منه بأن لا يقطفا
انمن رام جناه هلكا * فأزل عنك علال الطمع

ذاب قلبي في هوى ظبي غرير
وجهه في الدجن صبح مستنير
وفؤادي بين كفيه أسير
لم أجد للصبر عنه مسلكا * فانتصاري بانسكاب الادمع

وقال رحمه الله تعالى

خذ حديث الشوق عن نفسى * وعن الدمع الذى همعا
ماترى شوقى قد اتقدا
وهمى بالدمع واطردا
واغتدى قلبى عليك سدا
آه من ماء ومن قبس * بين طرفى والحشا جمعا
بأبى ريم اذا سفرا
أطلعت أزراره قمرا
فاحذروه كلما نظرا
فبألحاظ الجفون قسى * انا منها بعض من صرعا
أرتضيه جار أوعدلا
قد خلعت العذر والعذلا
انما شوقى اليه جلا
كم وكم أشكو الى اللعس * ظمئ لو أنه نفعا
صال عبد الله بالحور
وبطرف فاتر النظر
حكمه فى انفس البشر
مثل حكم الصبح فى الغلس * ان تجلى نوره صدعا
شبهته بالرشا الاحم
فلعمرى انهم ظلموا
فتغنى من به السقم
أى ظبى القفر والكنس * من غزال فى الحشا رتعا

انتهى وله ايضا

ماردنى لابس * ثوب الضنا الدارس * الاقمر
فى غصن مائس * شعاعه عاكس * ضوء البصر

وزينب الكبرى أمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحمد وأمه خولة بنت اياس الحنفية وقيل ابنة جعفر ابن قيس بن مسلمة الحنفى وعبد الله وأبو بكر أمهما ليلى بنت مسعود النهشلى وعمر ورقية أمهما تغلبية ويحيى وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن جعفرا الطيار استشهد وخلف عليها عونا ومحمدا وعبد الله وأن عقب جعفر منها من عبد الله ابن جعفر ان أبا بكر الصديق تزوجها بعده وخلف عليها محمدا ثم تزوجها على فخلف عليها يحيى وانها ابنة العجوز الحرسية التى كانت أكرم الناس أصهارا وقد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب تسمية أصهار العجوز الحرسية وان أولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعفر والعباس وعبد الله أمهم أم البنين بنت حرام الوحيدية ورملة وأم الحسن أمهما أم سعد بنت عروة ابن مسعود الثقفى وأم كلثوم الصغرى وزينب وجمانة وميمونة وخديجة وفاطمة أم الكرام ونفيسة وأم سلمة وأم أبيها وقد أتينا على أنساب آل أبى طالب ومن أعقب منهم ومصارعهم وغير ذلك من أخبارهم فى كتابنا أخبار الزمان (والعقب) لعلى من خمسة الحسن والحسين ومحمد

اسير

أسير كالسيل * اليه لاباع * الا وداد
والطيف فى خيل * لهن اسراع * مع الرقاد
يا كوكب الليل * ان كنت ترتاع * فلم فؤادى
كالاسد العابس * لكنه خانس * من الحسود

ومن نظمه قصيدة مدح يحيى بن على بن القاسم المذكور بها منها فى المديح قوله

نوران ليسا يحجبان عن الورى * كرم الطباع ولا جمال المنظر
وكلاهما اجتمعا ليحيى فليدع * كتمان نور علائه المشتهر
فى كل أفق من جمال ثنائه * عرف يزيد على دخان المجمر
ردنى شمائله ورد فى جوده * بين الحديقة والغمام الممطر
يدر عليه من الوقار سكينة * فيها القيظة كل ليث مخدر
مثل الحسام اذا انطوى فى غمده * ألقى المهابة فى نفوس الحضر
أربى على المزن الملث لانه * أعطى كما أعطى ولم يستعبر

ومنها

أقبلت مرتادا الجود لك انه * صوب الغمامة بل زلال الكوثر
ورأيت وجه النجح عندك أبيضا * فركبت نحوك كل لج أخضر

وهى طويلة وقوله أربى على المزن الملث البيت هو معنى تلاعب الشعراء بكرته وأورده كل منهم على حسب مقدرته فقال بعض

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شيئين
أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وهو اذا جاد دامع العين

وقال آخر

مانوال الغمام يوم ربيع * كنوال الامير يوم سخاه
فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

وهما من شواهد البديع وقال أبو عبد الله الحوضى التلمسانى فى قصيدة مدح بها سلطان تلمسان أبا عبد الله الزيانى

أصبح المزن من عطائك يحكى * يوم الاثنين للانام عطاء
كيف يدعى لك الغمام شبيها * ولقد فقته سناو سناء
أنت تعطى اذا تقصر مالا * وهو يعطى اذا تطول ماء

(رجع) وذكر العماد فى الخريدة ابن بقى المذكور وأورد له جملة من المقطعات ومحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى وبقى على وزن على (رجع الى بنى عباد رحمهم الله تعالى) وقال ابن اللبانة فى بنى عباد مانصه عباد أصفهم وأحليهم وأى منقبة من الجلالة أوليهم فهم القوم الذين تحل مناقبهم عن العد والاحصاء ولا يتعرض لها بالاستيفاء والاستقصاء ملوك بهم زينت الدنيا وتحلت وترقت حيث شاءت وحلت ان ذكرت الحروب فعليهم يوقف منها الخبر اليقين او عدت المآثر فهم فى ذلك فى درجة السابقين أصبح الملك بهم مشرق القسام والايام ذات بهجة وابتسام حتى أناخ بهم الحمام وعطل من محاسنهم الوراء والامام فنقل الى العدم وجودهم ولم يرع باسهم وجودهم وكل ملك آدمى ففقود وما نؤخره الا لاجل

وأنساب غيرهم من قريش بنى هاشم وغيرهم الزبير ابن بكار فى كتابه فى أنساب قريش وأحسن من هذا الكتاب فى انساب آل أبى طالب الكتاب الذى سمع من طاهر بن يحيى العلوى الحسينى بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم وقد صنف فى انساب آل ابى طالب كتب كثيرة منها كتاب العباس من ولد العباس بن على وكتاب أبى على الجعفرى وكتاب المهلوى العلوى من ولد موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وفى قتيل الطف يقول سليمان ابن قبة يرثيه على ماذكره الزبير بن بكار فى كتاب أنساب قريش من أبيات

فان قتيل الطف من آل هاشم
أذل رقابا من قريش فذلت
فان يتبعوه عائذ البيت يصبحوا
كعاد تعمت عن هداها فضلت
ألم ترأن الارض أضحت مريضة
بقتل حسين والبلاد اقشعرت
فلا يبعد الله الديار وأهلها * وان أصبحت منهم برغمى تخلت

(ذكر لمع من أخبار يزيد وسيره ونوادر من بعض أفعاله)

معدود فأول ناشئة ملكهم ومحصل الامر تحت ملكهم عظيمهم الاكبر وسابقة شرفهم الاجل الاشهر وزينهم الذي يعد في الفضائل بالوسطى والخنصر محمد بن عباد ويكنى أبا القاسم واسم والده اسمعيل ومن شعره قوله

يا حبذا الياسمين اذ يزهر * فوق غصون رطيبة نضر
قد امتطى للجمال ذروتها * فوق بساط من سندس أخضر
كأنه والعيون ترمقه * زمرذ في خلاله جوهر

انتهى ولنذكر كلام ابن اللبانة وغيره في حقهم فنقول وصف المعتضد رحمه الله تعالى بما صورته المعتضد أبو عمرو عباد رحمه الله تعالى لم تخل أيامه في أعدائه من تقييد قدم ولا عطل سيفه من قبض روح وسفك دم حتى لقد كانت في باب داره حديقة لا تثمر الا رؤسا ولا تنبت الا رئيسا ومرؤسا فكان نظره اليها أشهى مقترحاته وفي التلفت اليها استعمل جل بكره وروحاته فبكى وأرق وشتت وفرق ولقد حكي عنه من أوصاف التجبر ما ينبغي أن تصان عنه الاسماع ولا يتعرض له بتصريح ولا ايماء ومن نظمه عفا الله عنه

أتتك أم الحسن * تشدو بصوت حسن
تمد في ألحانها * من الغناء المدني
تقود مني ساكنا * كأنني في رسن
أوراقها أستارها * اذا شدت في فنن

وقوله شربنا وجفن الليل يغسل كحله * بماء صباح والنسيم رقيق
معتقة كالتبر أما بخارها * فضخم وأما جسمها فرقيق

وقوله قد وجدنا الحبيب يصفي وداده * وحمدنا ضميره واعتقاده
قرب الحب من فؤاد محب * لا يرى هجره ولا ابعاده

وقال عند حصول رندة في ملكه

لقد حصنت يا رنده * فصرت لملكنا عده
افادتناك أرماح * وأسياف لها حده

وقال رحمه الله تعالى

اشرب على وجه الصباح * وانظر الى نور الاقاح
واعلم بأنك جاهل * ما لم تقل بالاصطباح
فالدهر شيء بارد * ما لم تسخنه براح

انتهى ومن حكايات المعتضد عباد ما ذكره غير واحد أن ابن جاخ الشاعر ورد على حضرته فدخل الدار المخصوصة بالشعراء فسألوه فقال اني شاعر فقالوا أنشدنا من شعرك فقال

اني قصدتك يا عباد * قصد القليق بالجري للوادي

فضحكوا منه وازدروه فقال بعض عقلائهم دعوه فان هذا شاعر وما يبعد ان يدخل مع الشعراء ويندرج في سلكهم فلم يبالوا بكلام الرجل وتنادروا على المذكور فبقي معهم وكان لهم في تلك الدولة يوم مخصوص لا يدخل فيه على الملك غيرهم وربما كان يوم الاثنين فقال

بعض

ولما أفضى الامر الى يزيد بن معاوية دخل منزله فلم يظهر للناس ثلاثا فاجتمع ببابه أشراف العرب ووفود البلدان وأمراء الاجناد لتعزيته بأبيه وتهنئته بالامر فلما كان في اليوم الرابع خرج شعثا أغبر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان معاوية كان حبلا من حبال الله مده الله ما شاء أن يمده ثم قطعه حين شاء أن يقطعه وكان دون من قبله وخير من بعده ان يغفر الله له فهو أهله وان يعذبه فبذنبه وقد وليت الامر بعده ولست أعتذر من جهل ولا أشتغل بطلب علم فعلى رسلكم فان الله اذا أراد شيأ كان اذكروا الله واستغفروه ثم نزل ودخل منزله ثم أذن للناس فدخلوا عليه لا يدرون أيهنئونه أم يعزونه فقام عصام بن أبي صيفي فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته أصبحت قد رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله ومنحت هبة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه وأعطيت بعده الرياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واحمده على أفضل العطية فقال يزيد ادن مني يا ابن أبي صيفي فدنا حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله بن مازن فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين رزئت خير

بعض لبعض هذه شنعة بنا ان يكون مثل هذا البادى يقدم علينا ويجترئ على الدخول معنا فاتفقوا على ان يكون هو أول متكلم فى اليوم المخصوص بهم عند جلوس السلطان وقدروا أن يقول مثل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهم ويكون ذلك حسما لعلة اقدام مثله عليهم فلما كان اليوم المذكور وقعد السلطان فى مجلسه ونصب الكرسى لهم رغبوا منه أن يكون هذا القادم أول متكلم فى ذلك اليوم فأمر بذلك فصعد الكرسى وانتظروا أن ينشد مثل الشعر المضحك المتقدم فقال

قطعت يا يوم النوى أكبادى * وحرمت عن عينى لذيذ رقادى
وتركتنى أرعى النجوم مسهدا * والنار تضرم فى صميم فؤادى
فكأنما آلى الظلام ألية * لاينجلى الا الى ميعاد
لى بين بين أين تقتاد النوى * ابلى الذين تحملوا بسعاد
ولرب خرق قد قطعت نياطه * والليل يرفل فى ثياب حداد
بشملة حرف كأن زميلها * سرح الرياح وكل برق غادى
والنجم يحدوها وقد ناديتها * يا ناقتى عوجى على عباد
ملك اذا ما أضرمت نار الوغى * وتلاقت الاجناد بالاجناد
فترى الجسوم بلا رؤس تنثنى * وترى الرؤس لقى بلا أجساد
يا أيها الملك المؤمل والذى * قد ماسما شرفا على الانداد
ان القريض لكاسد فى أرضنا * وله هنا سوق بغير كساد
فجلبت من شعرى اليك قوافيا * يفنى الزمان وذكرها متمادى
من شاعر لم يضطلع أدبا ولا * خطت يداه صحيفة بمداد

فقال له الملك أنت ابن جاخ فقال نعم فقال اجلس فقد وليتك رياسة الشعراء وأحسن اليه ولم يأذن فى الكلام فى ذلك اليوم لاحد بعده انتهى (رجع الى أخبار بقية بنى عباد) المعتمد على الله ابو القاسم محمد بن المعتضد ابى عمرو عباد ابن القاضى ابى القاسم بن عباد رحمه الله تعالى ملك مجيد واديب على الحقيقة مجيد وهمام تحلى به للملك لبة وللنظم جيد افنى الطغاة بسيفه وأباد وأنسى بسيبه ذكر الحرث بن عباد فاطلع أيامه فى الزمان حجولا وغررا ونظم معاليه فى اجيادها جواهر ودررا وشيد فى كل معلوة فناءه وعمر بكل نادرة مستغربة وبادرة مستظرفة اوقاته وآناءه فنفقت به للعلم سوق وبسقت ثمرات احسانه اى بسوق منع وقرى وراش وبرى ووصل وفرى وكان له من ابنائه عدة أقمار نظمهم نظم السلك وزين بهم سماء ذلك الملك فكانوا معاقل بلاده وحماة طارفه وتلاده الى أن استدار الزمان كهيئته واخذ البؤس فى فيئته واعتز الخلاف وظهر وسل الشتات سيفه وشهر والمعتمد رحمه الله تعالى يطلب نفسه أثناء ذلك بالثبات بين تلك الثبات والمقام فى ذلك المقام الى أن بدل القطب بالواقع واتسع الخرق على الراقع فاستعضد بابن تاشفين فورد عليه كتابه يشعره بالوفاء فثاب اليه فكر خاطره وفاء وثبت خلال تلك المدة للنزال ودعا من رام حربه نزال الى أن أصبح والحروب قد نهبته والايام

الآباء وسميت خير الاسماء ومنحت أفضل الاشياء فهنأك الله بالعطية وأعانك على الرعية فقد اصبحت قريش مفجوعة بعد سياستها مسرورة بما احسن الله اليها من الخلافة بك والعقبى من بعده ثم انشأ يقول

الله اعطاك التى لافوقها
وقد اراد الملحدون عوقها
عنك فيأبى الله الا سوقها
اليك حتى قلدوك طوقها

فقال له يزيد ادن منى يا ابن مازن فدنا منه حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله بن همام فقال آجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزية وصبرك على المصيبة وبارك لك فى العطية ومنحك محبة الرعية مضى معاوية لسبيله غفر الله له واورده موارد السرور ووفقك لصالح السياسة أصبت بأعظم المصائب ومنحت أفضل الرغائب فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكره على أفضل العطية وأحدث لخالقك حمدا والله يمتعنا بك ويحفظك ويحفظك علينا وعليك وانشأ يقول

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر حباء الذى بالملك أصفاكا
أصبحت لارزء فى الاقوام نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أعطيت طاعة خلق الله كلهم * وانت ترعاهم والله يرعاكا
وفى معاوية الباقى لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

تسترجع منه ما وهبته فمثل ذلك العرش واعتدت الليالي حين أمنت من الارش فنقل من صهوات الخيول الى بطون الاجفان وهذه الدنيا جميع ما لديها زائل وكل من عليها فان فما اغنت تلك المملكة وما دفعت وليتها ما ضرت اذ لم تكن نفعت وكل يلقى معجله ومؤجله ويبلغ الكتاب أجله * وقال الفقيه القاضي أبو بكر بن خميس رحمه الله تعالى حين ذكر تاريخ بني عباد وقد ذكر الناس للمعتمد من أوصافه ما لا يبلغ مع كثرته الى انصافه وانا الآن أذكر نبذا من أخباره وأردفها بما وقفت عليه من منظومات أشعاره فانه رحمه الله تعالى جم الادب رائقه عالي النظم فائقه كان يسمى بمحمد ويكنى بابي القاسم على كنية جده القاضي استبد بالامر عند موت أبيه المعتضد وفي ذلك يقول الحصري رحمه الله تعالى

مات عباد ولكن * بقي الفرع الكريم * فكأن الميت حي * غير أن الضاد ميم

قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ولم يزل المعتمد بخير الى أن كانت سنة خمس وسبعين وأربعمائة ووصل اليهودي ابن شاليب لقبض الجزية المعلومة مع قوم من رؤساء النصارى وحلوا بباب من ابواب اشبيلية فوجه لهم المعتمد المال مع جماعة من وجوه دولته فقال اليهودي والله لا اخذت هذا العيار ولا آخذ منه الا مصحرا وبعد هذا العام لا آخذ منه الا أجفان البلاد ردوه اليه فرد المال الى المعتمد وأعلم بالقصة فدعا بالجند وقال ائتوني باليهودي وأصحابه واقطعوا احبال الخباء ففعلوا وجاؤا بهم فقال اسجنوا النصارى واصلبوا اليهودي الملعون فقال اليهودي لا تفعل وانا افتدي منك بزنتي مالا فقال والله لو اعطيتني العدوة والاندلس ما قبلتهما منك فصلب فبلغ الخبر النصراني فكتب فيهم فوجه اليه بهم فاقسم النصراني أن يأتي من الجنود بعدد شعر رأسه حتى يصل الى بحر الزقاق وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين اذ ذاك محاصر سبتة فجاز المعتمد اليه ووعده بنصرته فرجع وحث ملوك الاندلس على الجهاد ثم وصل الى ابن تاشفين فكانت غزوة الزلاقة المشهورة ورجع ابن تاشفين الى المغرب ثم جاز بعد ذلك الى الاندلس وتوهم ابن عباد انه اذا أخذ البلاد ياخذ أموالها ويترك الاجفان فعزم ابن تاشفين على ان يخلع ملوك الاندلس ودارت اذ ذاك مكايد جمة ثم وجه ابن تاشفين من سبتة الى المعتمد يطلب منه الجزيرة الخضراء وفيها ابنه يزيد فكتب اليه معتذرا عنها فلم يكن الا كلمح البصر واذا بمائة شراع قد أطلت على الجزيرة فطير ابنه الحمام اليه فأمره باخلائها فظهر عند ذلك ابن تاشفين وقيل انه لم يجز المرة الاولى حتى طلب من المعتمد الجزيرة لتكون عدة له وكان ذلك بدسيسة بعض أهل الاندلس نصحا لابن تاشفين ثم شرع ابن تاشفين في خلع ملوك الاندلس وقتالهم وأرسل الى كل مملكة جماعة من أهل دولته وأجناده يحاصرونها وأرسل الى حضرة المعتمد اشبيلية وشرع في قتالها والناس قد ملوا الدولة العبادية وسئموها على ما جرت به العادة من حب الجديد لا سيما وقد ظهر من ابن عباد من التهتك في الشرب والملاهي ما لا يخفى أمره فتمنى أكثر الناس الراحة من دولتهم ولما اشتد مخنق المعتمد وجه ٣ عن النصارى فاعد لهم ابن تاشفين من لقيهم في الطريق فهزمهم وجهز ابن تاشفين الطلائع لاشبيلية وجد في حصارها والمعتمد مع ذلك منغمس في لذاته

فقال له يزيد ادن مني يا ابن همام فدنا حتى جلس قريبا منه ثم قام الناس يعزونه ويهنئونه بالخلافة فلما ارتفع من مجلسه أمر لكل واحد منهم بمال على مقداره في نفسه ومحله في قومه وزاد في اعطائهم ورفع مراتبهم وقد اتينا في كتابنا اخبار الزمان على ما كان من خبر يزيد وغيبته في حال وفاة ابيه معاوية ومسيره من ناحية حمص حتى بلغه ما بابيه من العلة وورده على ثنية العقاب من ارض دمشق فأغنى ذلك عن اعادة هذا الخبر في هذا الكتاب وذكر عدة من الأخباريين واهل السير ان عبد الملك بن مروان دخل على يزيد فقال ان ارضا لك الى جانب ارض لي ولي فيها سعة فأقطعنيها فقال يا عبد الملك انه لا يتعاظمني كبير ولا اخدع عن صغير فأخبرني عنها والا سألت غيرك فقال ما بالحجاز أعظم منها قدرا قال قد أقطعتك فشكره عبد الملك ودعا له فلما ولى قال يزيد ان الناس يزعمون ان هذا يصير خليفة فان صدقوا فقد صانعناه وان كذبوا فقد وصلناه وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب وجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد وذلك بعد قتل الحسين فاقبل على ساقيه فقال

وقد ألقى الامور بيد ابنه الرشيد فلم يشعر ابن عباد الا والعسكر معه في البلد فأفاق من نومه وصحا من سكره وركب فرسه وحسامه في يده وليس عليه الا ثوب واحد فوافق العسكر قد دخل من باب الفرج ووافى هنالك طبالا فضربه بسيفه ضربة قسمه بها نصفين ففر الناس أمامه وترامو من السور ووقف حتى بان الباب وفي ذلك يقول الابيات المذكورة فيما يأتي ان يسلب القوم العدا الى آخره فلما وصل الى الصباغين وجد ابنه مالكا مقتولا فاسترحم له ودخل القصر وزاد الامر بعد ذلك ودخل البلد من كل جهاته فطلب الامان له ولمن معه فأمن وجميع من له وأعدت له مراكب واجتاز الى طنجة فلقيه الحصري الشاعر وكان قد ألف له كتاب المستحسن من الاشعار فلم يقض بوصوله اليه الا وهو على تلك الحالة فلما أخذ المعتمد الكتاب قال للحصري ارفع ذلك البساط فخذ ما تحته فوالله ما أملك غيره فوجد تحته جملة مال فأخذه ثم انتقل حتى وصل أغمات ولم يزل بها الى أن مات رحمه الله تعالى * وقال الفتح في ترجمته ما نصه ملك قمع العدا وجمع الباس والندى وطلع على الدنيا بدر هدى لم يتعطل يوما كفه ولا بنانه آونة يراعه وآونة سنانه وكانت أيامه مواسم وثغوره بواسم ولياليه كلها دررا وللزمان حجولا وغررا لم يغفلها من سمات عوارف ولم يخلها من ظل ايناس وارف ولا عطلها من مأثرة بقي أثرها باديا ولقى مقتفيه منها الى الفضل هاديا وكانت حضرته مطمحا للهمم ومسرحا لآمال الامم ومقذفا لكل كمي وموقفا لكل ذي أنف حمى لم تخل من وفد ولم يصح جوها من انسجام رفد فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكماه ومشاهير الحماه أعداد يغص بهم الفضاء وأنجاد يزهى بهم النفوذ والمضاء وطلع في سمائه كل نجم متقد وكل ذي فهم منتقد فأصبحت حضرته ميدانا لرهان الاذهان ومضمار الاحراز الخصل في كل معنى وفصل فلم يتحقق بزمامه الا كل بطل نجد ولم يتسق في نظامه الا ذكاء ومجد فأصبح عصره أجمل عصر وغدا مصره أكمل مصر تسفح فيه ديم الكرم ويفصح فيه لسان سيف وقلم ويفضح الرضا في وصفه أيام ذى سلم وكان قومه وبنوه لتلك الحلبة زينا ولتلك الجملة عينا ان ركبوا خلت الارض فلكا يحمل نجوما وان وهبوا رأيت الغمام سجوما وان أقدموا أحجم عنترة العبسي وان فخروا أفحم عرابة الاوسي ثم انحرفت الايام فالوت باشراقه وأذوت يانع ايراقه فلم يدفع الرمح ولا الحسام ولم تنفع تلك المنن الجسام فتملك بعد الملك وحط من فلكه الى الفلك فأصبح خائضا تحدوه الرياح وناهضا يزجيه البكاء والصياح قد ضحت عليه أياديه وارتجت جوانب ناديه وأضحت منازله قد بان عنها الانس والحبور وألوت بهجتها الصبا والدبور فبكت العيون عليه دما وعاد موجود الحياة عدما وصار أحرار الدهر فيه خدما فسحقا للدنيا ما رعت حقوقه ولا أبقت شروقه فكم أحياها لبنيها وابداها رائقة لمجتنيها وهى الايام لا يتقى من تجنيها ولا تبقى على مواليها ومدانيها ادثرت آثار جلق واخمدت نار المحلق وذللت عزة ابن شداد وهدت القصر ذا الشرفات من سنداد ونعمت بؤس النعمان وأكمنت غدرها له في طلب الامان انتهى ثم ذكر الفتح من أخباره وأشعاره ومجالس انسه وغير ذلك من أمره نبذا ذكرنا بعضها في هذا الكتاب * وقال في ترجمة ابنه الراضي بالله أبي خالد

اسقني شربة تروى مشاشى * ثم صل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والامانة عندى * ولتسديد مغنمى وجهادى

ثم أمر المغنين فغنوا وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي وأظهر الناس شرب الشراب وكان له قرد يكنى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأ وكان قردا خبيثا وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت وذللت لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء في بعض الايام سابقا فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل وعلى أبي قيس قباء من الحرير الأحمر والاصفر مشهر وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق وعلى الاتان سرج من الحرير الاحمر منقوش ملمع بأنواع من الوان فقال في ذلك بعض شعراء الشام في ذلك اليوم

تمسك أبا قيس بفضل عنانها * فليس عليها ان سقطت ضمان
الا من رأى القرد الذى سبقت به * جياد أمير المؤمنين أتان

وفي يزيد وتملكه وتجبره وانقياد الناس الى ملكه يقول الاحوص

ملك تدين له الملوك مبارك * كادت لهيبته الجبال تزول

يزيد بن المعتمد ما نصه ملك تفرع من دوحة سناء أصلها ثابت وفرعها في السماء وتحدر من سلالة أكابر وزقاة أسرة ومنابر وتصرف أثناء شبيبته بين دراسة معارف وافاضة عوارف وكلف بالعلم حتى صار ملهج لسانه وروضة أجفانه لا يستريح منه الا الى فرس سائل الغرة ميمون الاسرة يسابق به الرياح ويحاسن بغرته البدر اللياح عريق في السناء عتيق الاقتناء سريع الوخد والارقال من آل عوج أو ولد العقال الى أن ولاه أبوه الجزيرة الخضراء وضم اليها رندة الغراء فانتقل من متن الجواد الى ذروة الاعواد واقلع عن الدراسة الى تدبير الرياسة ومازال يدبرها بجوده ونهاه ويورد الآمل فيها مناه حتى غدت عراقا وامتلأت اشراقا الى أن اتفق في أمر الجزيرة ما اتفق وخاب فيها الرجاء وأخفق واستحالت بهجتها وأحالت عليها من الحال لجتها فانتقل الى رندة معقل أشب ومنزل للسماك منتسب وأقام فيها وهي بين حصار وهو بين حماة وأنصار ولقيت ريحه كل اعصار حتى رمته سهام الخطوب عن قسيها وامكنت منه يدي مسيها فخواه رمسه وطواه عن غداه أمسه حسبما بسطنا القول فيه فيما مر من أخبار أبيه انتهى والذي أشار اليه هنا وأحال عليه فيما تقدم له من أخبار المعتمد هو قوله بعد حكايته قتل المأمون ابن المعتمد بقرطبة وسياقه أخبار ذلك ما نصه ثم انتقلوا الى رندة احدى معاقل الاندلس الممتنعه وقواعدها السامية المرتفعه تطرد منها على بعد مرتقاها ودنو النجوم من ذراها عيون لانصبابها دوي كالرعد القاصف والرياح العواصف ثم تتكون واديا يلتوي بجوانبها التواء الشجاع ويزيدها في التوعر والامتناع وقد تجوفت نواحيها وأقطارها وتكونت فيها الباناتها وأوطارها لا يتعذر لها مطلب ولا يتصور فيها عدو الا عقله ناب أو مخلب فلما أناخوا منها على بعد وأقاموا من الرجاء فيها على غير وعد وفيها ابنه الراضي لم يحفل باناختهم بازائه ولا عدها من أرزائه لامتناعه من منازلتهم وارتفاعه عن مطاولتهم الى أن انقضى في أمر اشبيلية ما انقضى وأفضى أمر أبيه الى ما أفضى فحمل على مخاطبته لينزل عن صياصيه ويمكنهم من نواصيه فنزل برابابيه وأبقى على أرماق ذويه بعد أن عاقدهم مستوثقا وأخذ عليهم عهدا من الله وموثقا فلما وصل اليهم وحصل في يديهم مالوا به عن الحصن وجرعوه الردى وأقطعوه الثرى حين اودى وفي ذلك يقول المعتمد يرثيهما وقد رأى قرية نائحة بشجها نائحة بفننها على سكنها وامامها وكر فيه طائران يرددان نغما ويغردان ترحة وترغما

بكت أن رات الفين ضمهما وكر * مساء وقد اخنى على الفها الدهر
وناحت فباحت واستراحت بسرها * وما نطقت حرفا يباح به سر
فمالي لا ابكي ام القلب صخرة * وكم صخرة في الارض يجري بها نهر
بكت واحدا لم يشجها غير فقده * وابكي لآلاف عديدهم كثر
بني صغير أو خليل موافق * يمزق ذا فقر ويغرق ذا بحر
نجمان زين للزمان احتواهما * بقرطبة النكداء أو رندة القبر
غدرت اذن ان ضن جفني بقطرة * وان لؤمت نفسي فصاحبها الصبر

تجبي له بلخ ودجلة كلها * وله الفرات وماسقى والنيل وقيل ان الاخوص قال هذا في معاوية بعد وفاته يرثيه ولما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكربلاء وحمل رأسه ابن زياد الى يزيد خرجت بنت عقيل بن ابي طالب في نساء من قومها حواسر لما قد ورد عليهن من قتل السادات وهي تقول

ماذا تقولون ان قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتي وباهلي بعد مفتقدي * نصف أسارى ونصف ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم * أن تخلفوني بشر في ذوي رحمي

وفي فعل ابن زياد بالحسين يقول ابو الاسود الدؤلي من قصيدة

أقول وذلك من جزع ووجد * أزال الله ملك بني زياد
وأبعدهم بما غدروا وخانوا * كما بعدت ثمود وقوم عاد

ولما شمل الناس جور يزيد وعماله وعمهم ظلمه وما ظهر من فسقه من قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصاره وما ظهر من شرب الخمور وسيره سيرة فرعون بل كان فرعون أعدل منه في رعيته وانصف منه لخاصته وعامته أخرج أهل المدينة عامله عليهم وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان فقل

فقل للنجوم الزهر تبكيه ماما معي * لمثله ما فلتحزن الانجم الزهر

انتهى * وقال في ترجمة الراضي ماصورته وكان المعتمد رحمه الله تعالى كثيرا ما يرميه بملامه ويصميه بسهامه فربما استلطفه بمقال أفصح من دمع المحزون وأملح من روض الحزون فانه كان ينظم من بديع القول لآلئ وعقودا تسل من النفوس سخائم وحقودا وقد أثبت من كلامه في بث آلامه واستعارة عذله وملامه ماتستبدعه وتحله النفوس وتودعه فمن ذلك ماقاله وقد أنهض جماعة من اخوته وأقعده وأدناهم وأبعده

اعيذك أن يكون بنا خمول * ويطلع غيرنا ولنا افول
حنانك ان يكن جرمي قبيحا * فان الصفح عن جرمي جميل
ألست بفرعك الزاكي وماذا * يرجى الفرع خانته الاصول

ثم قال الفتح بعد كلام ومرت عليه يعني الراضي هوادج وقباب فيها حبائب كن له وأحباب الفهن أيام خلائه من دوله وجال معهن في ميدان المنى أعظم جوله ثم انتزعوا منه ببعده واودعوا الهوادج من بعده ووجهوا هدايا الى العدوة والموابها المام قريش بدار الندوة فقال

مروا بنا أصلا من غير ميعاد * فاوقدوا نار قلبي أي ايقاد
وأذكروني اياما لهوت بهم * فيها ففازوا بايثاري واحمادي
لاغرو أن زاد في وجدي مرورهم * فرؤية الماء تذكي غلة الصادي

ولما وصل العدو لورقة اعلم أن العدو قد جيش اهاواحتشد ونهد نحوها وقصد ليتركها خاوية على عروشها طاوية الجوانح على وحوشها فتعرض له العدودون بغيته وطلع عليه من ثنيته وأمر الراضي بالخروج اليه في عسكر جرده لمحاربته وأعده لمصادمته ومضاربته فاظهر التمرض والتشكي وأضمر التقاعس والتلكي فرارا من المصادمة واحجاما عن المساومة وجزعا من منازلة الاقران ومقابلة ذوابل المران ومقاساة الطعان وملاقاة أبطال كالرعان ورأى أن المطالعة أرجح من المقارعة ومعاناة العلوم أربح من مداواة الكلوم فقد كان عاكفا على تلاوة ديوان عارفا باجادة صدر وعنوان فعلم المعتمد مانواه وتحقق ما لواه فاعرض عنه ونفض يده منه وتوجه المعتمد مع ذلك الجيش الذي لم تنتشر بنوده ولا نصرت جنوده فعند مالاقوا العدو لاذوا بالفرار وعاذوا باعطاء الغرة بدلا من القرار وتفرقوا في تلك الافاريت وفرقوا من تخطف أولئك العفاريت فتحيف العدو من بقي مع المعتمد واهتضمه وخضم ما في العسكر وهضمه وغدت مضاربه مجرع واليه ومجرى مذاكيه وآب اخسر من بائع الدانه ومضيع الامانه فانطبقت سماء المعتمد على أرضه وشغلته عن اقامة نوافله وفرضه فكتب اليه الراضي

لايكرثنك خطب الحادث الجاري * فما عليك بذاك الخطب من عار
ماذا على ضيغم أمضى عزيمته * أن خانه حد أنياب واظفار
لئن أتوك فمن جبن ومن خور * قد ينهض العير نحو الضيغم الضاري
عليك للناس أن تبقى لنصرتهم * وماعليك لهم اسعاد أقدار

الدعوة لنفسه وذلك في سنة ثلاث وستين وكان اخراجهم لماذكرنا من بني أمية وعامل يزيد عن اذن ابن الزبير فاغتنمها مروان منهم اذلم يقبضوا عليهم ويحملوهم الى ابن الزبير فجثوا السير نحو الشام وغني فعل أهل المدينة ببني امية وعامل يزيد الى يزيد فسير اليهم بالجيوش من أهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المري الذي أخاف المدينة ونهبها وقتل أهلها وبايعه أهلها على أنهم عبيد ليزيد وسماها نتنة وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وقال من اخاف المدينة أخافه الله فسمي مسلم هذا لعنه الله بمجرم ومسرف لما كان من فعله ويقال ان يزيد حين جرد هذا الجيش وعرض عليه انشا يقول

أبلغ أبابكر اذا الامر انبرى * واشرف القوم على وادي القرى
أجمع السكران من قوم ترى

يريد بهذا القول عبدالله ابن الزبير وكان عبدالله يكنى بابي بكر وكان يسمي يزيد السكران

الخمير وكتب الى ابن الزبير ادعوالهك في السماء فانني * أدعو عليك رجال عك وأشعرا

لو يعلم الناس فيما أن تدوم لهم * بكوا لانك من ثوب الصبا عارى
ولو أطاقوا انتقاصا من حياتهم * لم يتحفوك بشئ غير أعمار

فحجب عنه وجه رضاه ولم يستنزله بذلك ولا استرضاه وعادى على اعراضه وقعد عن اظهاره وانهاضه حتى بسطته سوانح السلو وعطفته عليه جوانح الحنو فكتب اليه بهزل غلب فيه كل منزع جزل وهو

الملك فى طى الدفاتر * فتخل عن قود العساكر
طف بالسرير مسلما * وارجع لتوديع المنابر
وازحف الى جيش المعا * رف تقهر الحبر المقاهر
واطعن باطراف اليرا * ع نصرت فى ثغر المحابر
واضرب بسكين الدوا * ة مكان ماضى الحد باتر
أولست اسطاليس ان * ذكر الفلاسفة الاكابر
وأبو حنيفة ساقط * فى الرأى حين تكون حاضر
وكذاك ان ذكر الخليل فأنت نحوى وشاعر
من هرمس من سيبويه من ابن فورك اذ تناظر
هذى المكارم قد حويت فكن لمن حاباك شاكر
واقعد فانك طاعم * كاس وقل هل من مفاخر
لحجبت وجه رضاى عنك وكنت قد تلقاه سافر
اولست تذكر وقت لو * رقة وقلبك ثم طائر
لا يستقر مكانه * وأبوك كالضرغام خادر
هلا اقتديت بفعله * واطعته اذ ذاك آمر
قد كان أبصر بالعوا * قب والموارد والمصادر

فكتب اليه الراضى مراجعا بقطعة منها

مولاى قد أصبحت كافر * بجميع ماتحوى الدفاتر
وفللت سكين الدوا * ة وظلت للاقلام كاسر
وعلمت أن الملك ما * بين الاسنة والبواتر
والمجد والعلياء فى * ضرب العساكر بالعساكر
لاضرب أقوال بأقوال ضعيفات مناكر
قد كنت أحسب من سفا * ها انها أصل المفاخر
فاذا بها فرع لها * والجهل للانسان عاذر
لا يدرك الشرف الفتى * الا بعسال وباتر
وهجرت من سميتهم * وجدت أنهم أكابر
لو كنت تهوى منيتى * لوجدتنى للعيش هاجر
ضحك الموالى بالعبيد اذا تؤمل غير ضائر

كيف النجاة أبا خبيب منهم * فاحتل لنفسك قبل آتى العسكرا

ولما انتهى الجيش من المدينة الى الموضع المعروف بالحرة وعليهم مسرف خرج الى حربه أهلها عليهم عبدالله ابن مطيع العدوى وعبدالله بن حنظلة الغسيل الانصارى وكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس من بنى هاشم وسائر قريش والانصار وغيرهم من سائر الناس فمن قتل من آل أبى طالب اثنان عبدالله بن جعفر بن ابى طالب وجعفر بن محمد بن على بن ابى طالب ومن بنى هاشم من غير آل أبى طالب الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وحمزة بن عبدالله ابن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب والعباس بن عتبة ابن ابى لهب بن عبد المطلب وبضع وتسعون رجلا من سائر قريش ومثلهم من الانصار وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الاحصاء دون من لم يعرف وبايع الناس على انهم عبيد ليزيد ومن أبى ذلك أمره مسرف على السيف غير على بن الحسين بن على ابن ابى طالب السجاد وعلى ابن عبدالله بن العباس ابن عبد المطلب وفى وقعة الحرة يقول محمد بن اسلم

فان تقتلونا يوم حرة واقم * فنحن على الاسلام أول من قتل
ونحن تركناكم ببدر أذلة * وابنا باسياف لنا منكم تفل ان

ان كان لى فضل فمنك وهل لذاك النور ساتر
أو كان بى نقص فنى غير أن الفضل غامر
ذكرت عبدك ساعة * يبقى لها ما عاش ذاكر
ياليته قد غيبته عندها احدى المقابر
أتريد منى أن أكو * ن كمن غدا فى الدهر قادر
هيهات ذلك مطمع * يعيي الاوائل والاواخر
لا تنس يا مولاى قو * لة ضارع لا قول فاخر
ضبط الجزيرة عندما * نزلت بقفرتها العساكر
أيام ظلت بها فريـ * ـدا ليس غير الله ناصر
اذ كان يعشى ناظرى * لمع الاسنة والبواتر
و يصم اسماعى بها * قرع الحجارة بالحوافر
وهى الحضيض سهولة * لكن ثبت بها مخاطر
هبنى اسأت كما أسأ * ت أما لهذا العتب آخر
هب زلتى لبنوتى * واغفر فان الله غافر

فقربه وأدناه وصفح عما كان جناه ولم تزل الحال آخذة فى البوار والامور معتلة اعتلال حب الفرزدق للنوار حتى مضوا الغير طيه وقضوا بين الصوارم والرماح الخطيه حسبما سردناه وعلى ما اوردناه واذا أراد الله سبحانه انفاذ أمر سبق فى علمه فلا مرد له ولا معقب لحكمه لا اله الا هو رب العالمين انتهى كلام الفتح * وعلى الجملة فكانت دولة بنى عباد بالاندلس من أبهج الدول فى الكرم والفضل والادب حتى قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ان الدولة العبادية بالاندلس أشبه شئ بالدولة العباسية ببغداد سعة مكارم وجمع فضائل ولذلك ألف فيها كتابا مستقلا سماه الاعتماد فى اخبار بنى عباد ولا يلتفت الكلب عقور نبح بقوله

مما يزهدنى فى أرض اندلس * اسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها * كالهر يحكى انتفاخا صورة الاسد

لان هذه مقالة متعسف كافر للنعم ومثل ذلك فى حقهم لا يقدح ومازالت الاشراف تهجى وتمدح * وللمعتمد أولاد ملوك منهم المأمون والرشيد والراضى والمعتمد وغيرهم وقد سردنا خبر بعضهم وكان الدانى المذكور مائلا الى بنى عباد بطبعه اذ كان المعتمد هو الذى جذب بضبعه وله فيه المدائح الانيقة التى هى أذكى من زهر الحديقة فمن ذلك قوله من قصيدة يمدحه بها ويذكر أولاده الاربعة الذين عمروا من المجد أربعه وهم الرشيد عبيد الله والراضى يزيد والمامون والمؤتمن وكانوا انجم ذلك الافق وغيوث ذلك الزمن ولقد أجاد فى ذلك كل الاجاده وأطال لمجدهم نجاده

يغيثك فى محل يعينك فى ردى * يروعك فى درع يروقك فى برد
جمال واجمال وسبق وصولة * كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد

ونظر الناس الى على بن الحسين السجاد وقد لاذ بالقبر وهو يدعو فاتى به الى مسرف وهو مغتاظ عليه فتبرأ منه ومن آبائه فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له وأقعده الى جانبه وقال له سلنى حوائجك فلم يسأله فى أحد ممن قدم الى السيف الا شفعه فيه ثم انصرف عنه فقيل لعلى رأيناك تحرك شفتيك فما الذى قلت قال قلت اللهم رب السموات السبع وما أظللن والارضين السبع وما أقللن رب العرش العظيم رب محمد وآله الطاهرين أعوذ بك من شره وأدرأ بك فى نحره أسئلك ان تؤتينى خيره وتكفينى شره وقيل لمسلم رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه فلما أتى به اليك رفعت منزلته فقال ما كان ذلك لرأى منى لقد ملئ قلبى منه رعبا وأما على بن عبد الله فان أخواله من كندة منعوه منه وأناس من ربيعة كانوا فى جيشه فقال على فى ذلك

أبا العباس قوم من لؤى
وأخوالى الملوك بنو وليعه
هم منعوا ذمارى يوم جاءت
كتائب مسرف وبنى اللكيعه
ارادنى التى لا عز فيها
فحالت دونه أيدى ربيعه

ولما نزل بأهل المدينة ما وصفنا من القتل والنهب والرق والسبى وغير ذلك مما عنه أعرضنا من مسرف خرج عنها يريد مكة فى جيوشه من أهل الشام ليوقع بابن الزبير وأهل

بهجته شاد العلا ثم زادها * بناء بأبناء جحاجحة لد
بأربعة مثل الطباع تركبوا * لتعديل ذكر المجد والشرف العد

والمأمون بن المعتمد قتله لمتونة بقرطبة والراضي يزيد قتلوه برندة كما سقنا خبره آنفا وفي حالتهم هذه يقول الشاعر المشهور عبد الجبار بن حمديس الصقلي

ولما رحلتم بالندى في اكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد دنت * فهذي الجبال الراسيات تسير

وفي قضية المعتمد يقول الداني المذكور

لكل شيء من الاشياء ميقات * وللمنى في مناياهن غايات
والدهر في صفة الحرباء منغمس * لوان حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج في يده * وطالما قمرت بالبيدق الشاة
انفض يديك من الدنيا وزينتها * فالارض قد اقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الارضي قد كتمت * سريرة العالم العلوي اغمات

وهي طويلة ذكرها الفتح وغيره وللداني أيضا قصيدة عملها في المعتمد وهو باغمات سنة ٤٨٦

تنشق بريحان السلام فانما * افض به مسكا عليك مختما
وقل لي مجازا ان عدمت حقيقة * لعلك في نعمى فقد كنت منعما
أفكر في عصر مضى بك مشرقا * فيرجع ضوء الصبح عندي مظلما
وأعجب من افق المجرة اذ رأى * كسوفك شمسا كيف أطلع أنجما
لئن عظمت فيك الرزية انما * وجدناك منها في الرزية أعظما
قناة سعت للطعن حتى تقصمت * وسيف اطال الضرب حتى تثلما

ومنها

بكى آل جود ولا كمحمد * وأولاده صوب الغمامة اذ همى
حبيب الى قلبي حبيب وقومه * عسى طلل يدنو بهم ولعلما
صباحهم كنا به نحمد السرى * فلما عدمناهم سرينا على عمى
وكنا رعينا العز حول حماهم * فقد أجدب المرعى وقد اقفر الحمى
وقد ألبست أيدي الليالي قلوبهم * مناسج سدى الغيث فيها وألحما
قصور خلت من ساكنيها فما بها * سوى الادم تمشي حول واقفة الدمى
تجيب بها الهام الصدى ولطالما * اجاب القيان الطائر المترنما
كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى * بها الوفد جمعا والخميس عرمرما

ومنها

حكيت وقد فارقت ملكك مالكا * ومن ولهي احكي عليك متمما
مصاب هوى بالنيرات من العلا * ولم يبق في أرض المكارم معلما
تضيق علي الارض حتى كأنما * خلقت واياها سوارا ومعصما
ندبتك حتى لم يخل لي الاسى * دموعا بها أبكي عليك ولا دما

مكة بأمر يزيد وذلك في سنة أربع وستين فلما انتهى الى الموضع المعروف بقديد مات مسرف لعنه الله واستخلف على الجيش الحصين بن نمير فسار الحصين حتى أتى مكة وأحاط بها وعاذ ابن الزبير بالبيت الحرام وكان قد سمى نفسه العائذ بالبيت وشهر بهذا حتى ذكرته الشعراء في اشعارها من ذلك ما قدمنا من قول سليمان بن قبة

فان تتبعوه عائذ البيت تصبحوا * كعاد تعمت عن هداها فضلت

ونصب الحصين فيمن معه من أهل الشام المجانيق والعرادات على مكة والمسجد من الجبال والفعاح وابن الزبير في المسجد ومعه المختار بن أبي عبيد الثقفي داخلا في جملته منضافا الى بيعته منقادا الى امامته على شرائط شرطها عليه لا يخالف له رأيا ولا يعصي له أمرا فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت ورمي مع الاحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحرقات وانهدمت الكعبة واحترقت البنية ووقعت صاعقة فأحرقت من أصحاب المجانيق أحد عشر رجلا وقيل أكثر من ذلك يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة قبل وفاة يزيد بأحد عشر يوما

واني

واني عـلى رسمي مقـيم فان امت * ساجعل للباكين رسمي موسما
بكاك الحيا والريش شقت جيوبها * عليك وناح الرعد باسمك معلما
ومزق ثوب البرق واكتست الضحى * حدادا وقامت أنجم الجوّ مأتما
وحار ابنك الاصباح وجدا فما اهتدى * وغار أخوك البحر غيظا فما طمى
وماحل بدر التم بعدك دارة * ولا أظهرت شمس الظهيرة مبسما
قضى الله أن حطوك عن ظهر أشقر * بشم وأن أمطوك أشأم أدهما

وكان قد انفكت عنه القيود فاشار الى ذلك بقوله فيها

قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت * قيودك منهم بالمكارم ارحما
عجبت لأن لان الحديد وأن قسوا * لقد كان منهم بالسريرة اعلما
سيجنيك من نجى من السجن يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح بن مريما

ولابي بكر الداني المذكور في البكاء على ايامهم وانتثار نظامهم عدة مقطعات وقصائد هي قرة عين الطالب ونجعة الرائد وقد اشتمل عليها جزء لطيف صدر عنه في هيئة تصنيف سماه السلوك في وعظ الملوك ووفد على المعتمد وهو باغمات عدة وفادات لم يخل في جميعها من افادات وقال في احداها هذه وفادة وفاء لا وفادة اجتداء قال غير واحد من النادر الغريب انه نودي على جنازته الصلاة على الغريب بعد عظم سلطانه وسعة اوطانه وكثرة صقالبته وحبشانه وعظم أمره وشانه فتبارك من له العزة والبقاء والدوام واجتمع عند قبره جماعة من الاقوام الذين لهم في الادب حصه ولقضية المعتمد في صدورهم غصه منهم البالغ في البلاغة الامد شاعره ابو بحر عبد الصمد وكان به خصيصا وكم ألبسه من برة حلة وقميصا فقال من قصيدة طويلة اجاد فيها ماشا وجلب بها الى انفس الحاضرين بعد الانس ايحاشا مطلعها

ملك الملوك اسامع فأنادي * ام قد عدتك عن السماع عوادي
لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت في الاعياد
قبلت في هذا الثرى لك خاضعا * وجعلت قبرك موضع الانشاد

فلما بلغ من انشاده الى مراده قبل الثرى ومرغ جسمه وعفر خده فبكى كل من حضر وحذفه ذلك عن سرور العيد وصده اذ كانت هذه القصة يوم عيد فسبحان المبدئ المعيد *ويحكى ان رجلا راى في منامه اثر الكائنة على المعتمد بن عباد كأن رجلا صعد منبر جامع قرطبة فاستقبل الناس وانشد هذه الابيات متمثلا

رب ركب قد اناخوا عيسهم * في ذرا مجدهم حين بسق
سكت الدهر زمانا عنهم * ثم ابكاهم دما حين نطق

وعاش ابو بكر بن اللبانة المعروف بالداني المذكور آنفا بعد المعتمد وقدم ميورقة آخر شعبان سنة ٤٨٩ ومدح ملكها مبشر بن سليمان بقصيدة مطلعها

ملك يروعك في حلى ريعانه * راقت برونقه صفات زمانه

واين هذا من امداحه في المعتمد *وتذكرت هنا من احوال الداني انه دخل على ابن عمار

واشتد الامر على أهل مكة وابن الزبير واتصل الاذى بالاحجار والنار والسيف ففي ذلك يقول ابو حرة المديني

ابن نمير بئس ما تولى
قد احرق المقام والمصلى

وليزيد وغيره اخبار عجيبة ومثالب كثيرة من شرب الخمر وقتل ابن الرسول ولعن الوصي وهدم البيت واحراقه وسفك الدماء والفسق والفجور وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه كوروده فيمن جحد توحيده وخالف رسله وقد أتينا على الغرر من ذلك فيما سلف من كتبنا والله ولي التوفيق

(ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم والمختار بن أبي عبيد وعبد الله بن الزبير ولمع من أخبارهم وسيرهم وبعض ما كان في أيامهم)

(قال المسعودي) وملك معاوية بن يزيد بن معاوية بعد أبيه فكانت أيامه أربعين يوما الى أن مات وقيل شهرين وقيل غير ذلك وكان يكنى بأبي يزيد وكنى حين ولي الخلافة بابي ليلى وكانت هذه الكنية للمستضعف من العرب وفيه يقول الشاعر

اني أرى فتنة هاجت مراجلها
والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

ولما حضرته الوفاة اجتمعت اليه بنو أمية فقالوا له اعهد الى من رأيت من أهل بيتك فقال والله ماذقت حلاوة

في مجالس فأراد ان يندر به وقال له اجلس يادانى بغير الف فقال له نعم يا ابن عمار بغير ميم وهذا هو الغاية في سرعة الجواب والاخذ بالثأر في المزاح * ونظيره وان كان من باب آخر ان المعتمد مر مع وزيره ابن عمار ببعض ارجاء اشبيلية فلقيتهما امرأة ذات حسن مفرط فكشفت وجهها وتكلمت بكلام لا يقتضيه الحياء وكان ذلك بموضع الجباسين الذين يصنعون الجبس والجيارين الصانعين للجير باشبيلية فالتفت المعتمد الى موضع الجيارين وقال يا ابن عمار الجيارين ففهم مراده وقال في الحال يا مولاى والجباسين فلم يفهم الحاضرون المراد وتحيروا فسألوا ابن عمار فقال له المعتمد لا تبعها منهم الا غالية وتفسيرها ان ابن عباد صحف الحيازين بقوله الجيارين اشارة الى أن تلك المرأة لو كان لها حياء لازدانت فقال له والجباسين وتصحيفه والخناثين أى هى وان كانت جميلة بديعة الحسن لكن الخنا شانها وهذا شأو لا يلحق * ومن أخبار المعتمد انه جلس يوما والبزاة تعرض عليه فاستحث الشعراء في وصفها فصنع ابن وهبون بديها

للصيد قبلك سنة مأثورة * لكنها بك أبدع الاشياء
تمضي البزاة وكلما أمضيتها * عاطيتها بخواطر الشعراء

فاستحسنها وأسنى جائزته * وذكر ابن بسام ان أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد يوما وقد حمل اليه حمول وافرة من قراريط الفضة فأمر له بكيسين منها وكان بين يديه تماثيل عنبر من جملتها اجمل مرصع بالذهب واللآلئ فقال له أبو العرب معرضا ما يحمل هذين الكيسين الا الجمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال أبو العرب بديها

أجديتني جملا جونا شفعت به * حملا من الفضة البيضاء لو حملا
نتاج جودك فى أعطان مكرمة * لا قد تصرف من منع ولا عقلا
فاعجب لشأنى فشأنى كله عجب * رفهتنى فحملت الحمل والجملا

وذكر الحجارى هذه القصة فقال قعد المعتمد في مجلس احتفل في تنضيده واحضار الطرائف الملوكية وكان في الجملة تمثال جمل من بلور وله عينان من ياقوتتين وقد حلى بنفائس الدر فأنشده أبو العرب قصيدة فأمر له بذهب كثير مما كان بيده من السكة الجديدة فقال معرضا بذلك الجمل ما يحمل هذه الصلة الا الجمل فقال خذ هذا الجمل فانه حمال أثقال فارتجل شعرا منه * رفهتني فحملت الحمل والجملا * وذكر ان ذلك الجمل بيع بخمسمائة مثقال فسارت بهذا الخبر الركائب وتهادته المشارق والمغارب * وتباحث المعتمد مرة مع الجلساء في بيت المتنبي الذي زعم انه أمير شعره

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

فقال ما قصر في مقابلة كل لفظة بضدها الا أن فيه نقدا خفيا ففكروا فيه فلما فكروا قالوا له ما وقفنا على شئ فقال الليل لا يطابق الا بالنهار ولا يطابق بالصبح لان الليل كلى والصبح جزئى فتعجب الحاضرون وأثنوا على تدقيق انتقاده قال الصفدى قلت ليس هذا بنقد صحيح والصواب مع أبى الطيب لانه قال أزورهم وسواد الليل يشفع لى فهذا محب زار أحبابه في سواد الليل خوفا ممن يشي به فاذا لاح الصبح أغرى به الوشاة ودل عليه أهل النميمة والصبح

خلافتكم فكيف أتقلد وزرها وتتحلون أنتم حلاوتها وأتحمل مرارتها اللهم انى برىء منها متخل عنها اللهم انى لا أجد نفرا كأهل الشورى فأجعلها اليهم ينصبون من يرونه أهلا لها فقالت له أمه ليت أنك خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام فقال لها وليتنى يا أماه خرقة حيضة ولم أتقلد هذا الامر أتفوز بنو أمية بحلاوتها وأبوء بوزرها ومنعها أهلها كلا انى لبرىء منها (وقد تنوزع) في سبب وفاته فمنهم من رأى أنه سقى شربة ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أنه طعن وقبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ودفن بدمشق وصلى عليه الوليد ابن عتبة بن أبى سفيان ليكون الامر له من بعده فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتا قبل تمام الصلاة فقدم عثمان بن عتبة بن أبى سفيان فقالوا نبايعك قال على ان لا أحارب ولا أباشر قتالا فأبوا ذلك عليه فصار الى مكة ودخل فى جملة ابن الزبير وزال الامر عن آل حرب فلم يكن فيهم من يرومها ولا يتشوف نحوها ولا يرتجى أحد منهم لها وبايع أهل العراق عبدالله بن الزبير فاستعمل على الكوفة عبدالله بن مطيع العدوى فقال المختار بن أبى عبيد الثقفى لابن الزبير انى لأعرف قوما لو أن لهم

من هم قال شيعة بني هاشم بالكوفة قال كن أنت ذلك الرجل فبعثه الى الكوفة فنزل ناحية منها وجعل يظهر البكاء على الطالبيين وشيعتهم ويظهر الحنين والجزع لهم ويحث على أخذ الثار لهم والمطالبة بدمائهم فمالت الشيعة اليه وانضافوا الى جملته وسار الى قصر الامارة فأخرج مطيعا منه وغلب على الكوفة وابتنى لنفسه دارا واتخذ بستانا أنفق عليه أموالا عظيمة أخرجها من بيت المال وفرق الاموال على الناس بها تفرقة واسعة وكتب الى ابن الزبير يعلمه انه انما أخرج ابن مطيع عن الكوفة لعجزه عن القيام بها ويسوم ابن الزبير أن يحتسب له بما أنفقه من بيت المال فأبى ابن الزبير ذلك عليه فخلع المختار طاعته وجحد بيعته وكتب المختار كتابا الى علي بن الحسين السجاد يريده على أن يبايع له و يقول بامامته ويظهر دعوته وأنفذ اليه مالا كثيرا فأبى علي أن يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه وسبه على رؤس الملا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر كذبه وفجوره ودخوله على الناس

أول ما يغرى به قبل النهار وعادة الزائر المريب أن يزور ليلا وينصرف عند انفجار الصبح خوفا من الرقباء ولم تجر العادة ان الخائف يتلبث الى أن يتوضح النهار ويمتلئ الافق نورا فذكر الصبح هنا أولى من ذكر النهار والله أعلم انتهى قلت كان يختلج في صدري ضعف ما قال الصفدي حتى وقفت على ما كتبه البدر البشتكي ومن خطه نقلت ما صورته هو ما انتقد عليه المعنى انما انتقد عليه مطابقة الليل بالصبح فان ذلك فاسد انتهى فحمدت الله على الموافقة انتهى * وقال في بدائع البدائه جلس المعتمد للشرب وذلك في وقت مطر أجرى كل وهدة نهرا وحلى جيد كل غصن من الزهر جوهرا و بين يديه جارية تسقيه وهي تقابل وجهها بنجم الكاس في راحة كالثريا تخجل الزهر بطيب العرف والريا فاتفق أن لعب البرق بحسامه وأجال سوطه المذهب يسوق به ركامه فارتاعت لخطفته وذعرت من خيفته فقال المعتمد بديها

روعها البرق وفي كفها * برق من القهوة لماع
عجبت منها وهي شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

واستدعى عبد الجليل بن وهبون المرسي وأنشده البيت الاول مستجيزا فقال عبد الجليل

ولن أرى أعجب من آنس * من مثل ما يمسك يرتاع

فاستحسنه وأمر له بجائزة قال ابن ظافر وبيته عندي أحسن من بيت المعتمد انتهى * وقال ابن بسام كان في قصر المعتمد فيل من الفضة على شاطئ بركة يقذف الماء وهو الذي يقول فيه عبد الجليل بن وهبون من بعض قصيدة

ويفرغ فيه مثل النصل بدع * من الافيال لا يشكو ملالا
رعى رطب اللجين فجاء صلدا * تراه قلما يخشى هزالا

فجلس المعتمد يوما على تلك البركة والماء يجري من ذلك الفيل وقد أوقد شمعتان من جانبيه والوزير أبو بكر بن الملح عنده فصنع الوزير فيهما عدة مقاطيع بديها منها

ومشعلين من الاضواء قد قرنا * بالماء والماء بالدولاب منزوف
لاحا لعيني كالنجمين بينهما * خط المجرة ممدود ومعطوف

وقال أيضا كأنما النار فوق الشمعتين سنا * والماء من منفذ الانبوب منسكب
غمامة تحت جنح الليل هامعة * في جانبيها خفاق البرق يضطرب

وقال أيضا وانبوب ماء بين نارين ضمنا * هوى لكؤس الراح تحت الغياهب
كأن اندفاع الماء بالماء حية * يحركها في الماء لمع الحباحب

وقال أيضا كأن سراجي سربهم في التظائها * وأنبوب ماء الفيل في سيلانه
كريم تولى كبره من كليهما * لئيمان في انفاقه يعذلانه

ولما مات والد المعتمد واستقل بالملك قال ذو الوزارتين ابن زيدون يرثي المعتضد ويمدح المعتمد بقصيدة طويلة أولها

هو الدهر فاصبر للذي أحدث الدهر * فمن شيم الاحرار في مثلها الصبر
ستصبر صبر اليأس أو صبر وحشة * فلا تؤثر الوجه الذي معه الوزر

باظهار الميل الى آل أبي طالب فلما يئس المختار من علي بن الحسين كتب الى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلك

حذارك من أن يعقب الرزء فتنة * يضيق بها عن مثل ايمانك العذر
اذا أسف الثكل اللبيب فشفه * رأى أفدح الثكلين أن يذهب الاجر
مصاب الذي يأسى بموت ثوابه * هو البرح لا الميت الذي أحرز القبر
حياة الورى نهج الى الموت مهيع * لهم فيه ايضاع كما يوضع السفر

ومنها

اذا الموت أضحى قصد كل معمر * فان سواء طال أو قصر العمر
ألم تر أن الدين ضيم ذماره * فلم يغن أنصار عديدهم دثر
بحيث استقل الملك ثاني عطفه * وجر من أذياله العسكر المجر
هو الضيم لو غير القضاء يرومه * ثناه المرام الصعب والمسلك الوعر
اذا اعترت جردا العناجيج في القنا * بليل عجاج ليس يصدعه فجر

ومنها

أعاديا أوفى الملوك لقد عدا * عليك زمان من سجيته الغدر

الى أن قال بعد أبيات كثيرة

الا أيها المولى الوصول عبيده * لقد رابنا أن يتلو الصلة الهجر
بغاديك داعينا السلام كعهده * فما يسمع الداعي ولا يرفع الستر
أعتب علينا ذاو عن ذلك الرضا * فتسمع أم بالمسمع المعتلي وقر

ومنها

وكيف بنسيان وقد ملأت يدي * جسام أياد منك أيسرها الوفر
وان كنت لم أشكر لك المنن التي * تملتها تترى فلا بقي الكفر
فهل علم الشلو المقدس أنني * مسوغ حال حار في كنهها الدهر
وان مناتي لم يضعه محمد * خليفتك العدل الرضي وابنك البر
هو الظافر الاعلى المؤيد بالذي * له في الذي وفاه من صنعه سر
له في اختصاصي ما رأيت وزادني * مزية زلفى من نتائجها الفخر
وأرغم في برى أنوف عصابة * لقاؤهم جهم ولحظهم شزر
اذا ما استوى في الدست عاقد حبوة * وقام سماطا حفله فلي الصدر
وفي نفسه العلياء لي متبوأ * يساجلني فيه السماك والنسر

ومنها

لك الخير ان الرزء كان غيابة * طلعت لنا فيها كما طلع البدر
فقرت عيون كان أسخنها البكا * وقرت قلوب كان زلزلها الزعر

ومنها

ولما قدمت الجيش بالامر أشرقت * اليك من الآمال آفاقها الغبر
فقضيت من فرض الصلاة لبانة * فشيعها نسك وقارنها طهر
ومن قبل ما قدمت مثنى نوافل * يلاقي بها من صام من غيره فطر
ورحت الى القصر الذي غض طرفه * بعيد التسامي أن غدا غيره القصر
وأجمل عن الناوي العزاء فان توى * فانك لا الواني ولا الضرع الغمر
وما أعطت السبعون قبل أولى الحجا * من اللب ما أعطاك عشروك والعمر
ألست الذي ان ضاق ذرع بحادث * تبلج منه الوجه واتسع الصدر
فلا تهض الدنيا جناحك بعده * فمنك لمن هاضت نوائبها جبر

فأشار عليه علي بن الحسين أن لا يجيبه الى شئ من ذلك فان الذى يحمله على ذلك اجتذابه القلوب الناس بهم وتقر به اليهم بمحبتهم وباطنه مخالف لظاهره في الميل اليهم والتولي لهم والبراءة من أعدائهم بل هو من أعدائهم لا من أوليائهم والواجب عليه ان يشهر أمره ويظهر كذبه على حسب ما فعل هو وأظهر من القول في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى ابن الحنفية ابن عباس فأخبره بذلك فقال له ابن العباس لا تفعل فانك لا تدرى ما أنت عليه من ابن الزبير فأطاع ابن عباس وسكت عن عيب المختار واشتد أمر المختار بالكوفة وكثر رجاله ومال الناس اليه وأقبل يدعو الناس على طبقاتهم ومقاديرهم في أنفسهم وعقولهم فمنهم من يخاطبه بامامة محمد بن الحنفية ومنهم من يرفعه عن هذا فيخاطبه بان الملك يأتيه بالوحي ويخبره بالغيب وتتبع قتلة الحسين فقتلهم قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري وهو الذي تولى حرب الحسين يوم كربلاء وقتله ومن معه فازداد ميل أهل الكوفة اليه ومحبتهم له وأظهر ابن الزبير الزهد في الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة وقال انما بطني شبر فما عسى ان يسع ذلك من الدنيا وأنا العائذ بالبيت والمستجير بالرب ولا

ولازلت موفور العديد بقرة * لعينك مشدودا بهاذلك الازر
فانك شمس في سماء رياسة * تطلع منها حولنا أنجم زهر
شككنا فلم نثبت لايام دهرنا * بها وسن أم هز أعطافها سكر
وما ان تغشتها مغازلة الكرى * وما ان تمشت في معاطفها الخمر
سوى نشوات من سجايا مملك * يصدق في عليائها الخبر الخبر
أرى الدهر ان يبطش فانت يمينه * وان تضحك الدنيا فانت لها ثغر
وكم سائل بالغيب عنك أجبته * هناك الايادي الشفع والسودد الوتر
هناك التقى والعلم والحلم والنهى * وبذل اللها والبأس والنظم والنثر
همام اذا لاقى المنا جز رده * واقباله خطر واد باره حصر
محاسن ما للروض سامره الندى * رواء اذا نصت حلاها ولا نشر
متى انتشقت لم تدر دارين مسكها * حياء ولم يفخر بعنبره الشحر
عطاء ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر
قد استوفت النعماء فيك تمامها * علينا فمنا الحمد لله والشكر

وكتب ابن زيدون المذكور الى المعتمد رحمهما الله تعالى يشوقه الى تعاطي الحميا في قصوره البديعة التي منها المبارك والثريا

فز بالنجاح وأحرز الآمالا * وخذ المنى وتنجز الآمالا
وليهنك التأييد والظفر الذي * صدقاك في السمة العلية فالا
يا أيها الملك الذي لولاه لم * تجد العقول الناشدات كمالا
أما الثريا فالثريا نسبة * وافادة وانافة وجمالا
قد شاقها الاغباب حتى انها * لو تستطيع سرت اليك خيالا
رفد ورودكها لتنعم راحة * وأطل مزاركها لتنعم بالا
وتأمل القصر المبارك وجنة * قد وسطت فيها الثريا خالا
وأدر هنالك من المدام كؤوسها * وأتمها وأشفها جريالا
قصر يقر العين منه مصنع * بهج الجوانب لو مشى لاختالا
لازلت تفترش السرور حدائقا * فيه وتلتحف النعيم ظلالا

وأهدى اليه تفاحا واعتقد أن يكتب معه قطعة فبدأ بها ثم عرض له غيرها فتركها ثم ابتدا

دونك الراح جامده * وفدت خير وافده
وجدت سوق ذوبها * عندك اليوم كاسده
فاستحالت الى الجمو * د وجاءت مكايده

وكتب الى المعتمد

يا أيها الظافر نلت المنى * ولا أتانا فيك محذور
ان الخلال الزهر قد ضمها * ثوب عليك الدهر مزرور
لازال للمجد الذي شدته * ربع بتعميرك معمور

وكثرت أذيته لبني هاشم مع شحه بالدنيا لسائر الناس ففي ذلك يقول أبو حرة مولى الزبير

ان الموالي أمست وهي عاتبة
على الخليفة تشكو الجوع والحربا
ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا
أي الملوك على ما حولنا غلبا

وفيه يقول بعد مفارقته اياه

مازال في سورة الاعراف يقرؤها
حتى فؤادي مثل الخز في اللين
لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد
أفضلت فضلا كثيرا للمساكين
ان امرأ كنت مولاه فضيعني
يرجو الفلاح لعمري حق مغبون

وفيه يقول أيضا

فيارا كبا اما عرضت فبلغن
كبير بني العوام ان قيل من تعني
تخبر من لاقيت أنك عائذ
وتكثر قتلا بين زمزم والركن

وفيه يقول الضحاك بن فيروز الديلمي

تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة
وبطنك شبر أو أقل من الشبر
وأنت اذا ما نلت شيأ قضمته
كما قضمت نار الغضى حطب السدر
فلو كنت تجزى أو تثيب بنعمة * قريبا لردتك العطوف على عمرو
وذلك أن يزيد بن معاوية كان قد ولى الوليد

ابن عتبة بن أبي سفيان المدينة فسرح منها جيشا الى مكة لحرب ابن الزبير عليه عمرو بن الزبير أخوه

وافاك نظم لي في طيه * معنى معمى اللفظ مستور
مرامه يصعب مالم يبح * بالسرقري وشحرور

وذكر أبياتا فيها أسماء طيور عمى بها عن بيت ظيره فيها والبيت المطير فيه

أنت ان تغز ظافر * فليطع من ينافر

ففكه المعتمد وجاوبه

ياخير من يلحظه ناظري * شهادة ماشانها زور
ومن اذا خطب دجا ليله * لاح به من رأيه نور
جاءتني الطير التي سرها * نظم به قلبي مسرور
شعرهو السحر فلا تنكروا * أني به ماعشت مسحور
اللفظ والقرطاس ان شبها * قيل هما مسك وكافور
هوى لحسن الطير من فكرتي * صقر تولى وهو مقهور
ولاح لي بيت فؤادي له * دأبا على ودك مقصور
حظك من شكري ياسيدي * حظ غالي منك موفور
قصرت في نظمي فاعذرني * ضاهاك في التقصير معذور
فأنت ان تنظم وتنثر فقد * أعوز منظوم ومنثور
لا يعدكم روض من الحظ في الاكرام والترفيع ممطور

فكتب اليه ابن زيدون

حظي من نعماك موفور * وذنب دهري بك مغفور
وجانبي ان رامه أزمة * حجر لدى ظلك محجور
يا ابن الذي سرب الهدى آمن * منذ انبرى يحميه خفور
وآمر الدهر الذي لم يزل * يصغي اليه منه مأمور
ألبس منك الدهر أسنى الحلى * بظافر منحاه منصور
قام وفي المأثور يا من له * مجد مع الايام مأثور
عبدك ان أكثر من شكره * فهو بما توليه مكثور
ان تعف عن تقصيره منعما * فاليسر أن يقبل معسور
ان حلال السحر ان صغته * في صحف الانفس مسطور
نظم زهاني به اذ جاءني * علق عظيم القدر مذخور
لاغرو أن أفتن اذ لاحظت * فكري منه أعين حور
تنم عن معناه ألفاظه * كما وشى بالراح بلور
جهلت اذ عارضته غير أن * لابد أن ينفث مصدور
يا آل عباد موالاتكم * ذاك من الاعمال مبرور
ان الذي يرجو موازاتكم * من المناوين لمغرور
مكانه منكم كما انحط عن * منزلة المرفوع مجرور

وكان عمرو منحرفا عن عبد الله فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه فظفر به أخوه عبد الله فأقامه للناس بباب المسجد الحرام مجردا ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات وحبس عبد الله ابن الزبير الحسن بن محمد ابن الحنفية في الحبس المعروف بحبس عارم وهو حبس موحش مظلم وأراد قتله فعمل الحيلة حتى تخلص من السجن وتعسف الطريق على الجبال حتى أتى منى وبها أبوه محمد بن الحنفية ففي ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت أنك عائذ * بل العائذ المظلوم في سجن عارم
ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى * من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمي نبي الله وابن وصيه * وفكاك أغلال وقاضي مغارم

وقد كان ابن الزبير عمد الى من بمكة من بني هاشم فحصرهم في الشعب وجمع لهم حطبا عظيما لو وقعت فيه شرارة من نار لم يسلم من الموت أحد وفي القوم محمد ابن الحنفية وحدث النوفلي علي بن سليمان عن فضيل بن عبد الوهاب الكولي عن أبي عمران الرازي عن

لازلتم فی غبطة ما انجلی * عن فلق الاصباح دیجور
ولا یزل یجری بما شئتم * أعماركم لله مقدور

وكتب المعتمد الى ابن زيدون بعد أن فك معمى كتب به اليه ابن زيدون ما صورته

العين بعدك تقذى * بكل شئ تراه
فليجل شخصك عنها * ما بالمغيب جناه

وقد قدمنا من كلام أبي الوليد بن زيدون رحمه الله تعالى ما فيه كفاية (رجع الى بني عباد) قال ابن حمديس لما قدمت وافدا على المعتمد بن عباد استدعاني وقال افتح الطاق فاذا بكير زجاج والنار تلوح من بابيه وواقده يفتحهما تارة ويسدهما أخرى ثم أدام سد أحدهما وفتح آخر فحين تأملتهما قال لي أجز

انظرهما في الظلام قد نجما * فقلت * كما رنا في الدجنة الاسد
فقال يفتح عينيه ثم يطبقها * فقلت * فعل امرئ في جفونه رمد
فقال فابتزه الدهر نور واحدة * فقلت * وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك وأطربه وأمر لي بجائزة وألزمني الخدمة * وعلى ذكر ابن حمديس فما أحسن قوله

أرى الركب في الاهوال بحرا * عظيما ليس يؤمن من خطوبه
تسير فلكه شرقا وغربا * وتدفع من صباه الى جنوبه
وأصعب من ركوب البحر عندي * أمور ألجأتك الى ركوبه

ولغيره

ان ابن آدم طين * والبحر ماء يذيبه
لولا الذي فيه يتلى * ما جاز عندي ركوبه

وقال ابن حمديس في هذا المعنى

لا أركب البحر أخشى * على منه المعاطب
طين انا وهو ماء * والطين في الماء ذائب

(رجع الى بني عباد رحمهم الله تعالى) قال ابن بسام أخبرني الحكيم النديم المطرب أبو بكر الاشبيلي قال حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد وعنده الوزير أبو بكر بن عمار فلما دارت الكاس وتمكن الانس وغنيت أصواتا ذهب الطرب بابن عمار كل مذهب فارتجل يخاطب الرشيد

ما ضر أن قيل اسحق وموصله * ها أنت أنت وذي حمص واسحق
أنت الرشيد فدع من قد سمعت به * وان تشابه أخلاق وأعراق
لله درك داركها مشعشعة * واحضر سقاتك ما قامت بنا ساق

وكان الرشيد هذا أحد أولاد المعتمد النجبا وله أخبار في الكرم يقضي الناظر فيها من أمرها عجبا وكذلك اخوته وقد ألمعنا في هذا الكتاب بجملة من محاسنهم وأمهم اعتماد الملقبة بالرميكية هي التي ترجمناها في هذا الموضع واقتضت المناسبة ذكر أمر بني عباد فلنعد الى ما كنا بصدده من أخبارها رحمها الله تعالى فنقول قال ابن سعيد في بعض مصنفاته كان المعتمد كثيرا ما يأنس بها ويستظرف نوادرها ولم تكن لها معرفة بالغناء وانما كانت مليحة

قطن بن خليفة عن الذبال بن حرملة قال كنت فيمن استنفره أبو عبد الله الجدلي من الكوفة من قبل المختار فنفرنا معه في أربعة آلاف فارس فقال أبو عبد الله هذه خيل عظيمة وأخاف أن يبلغ ابن الزبير الخبر فيعجل على بني هاشم فيأتي عليهم فانتدبوا معي فانتدبنا معه في ثمانمائة فارس جريدة خيل فما شعر ابن الزبير الا والرايات تخفق على رأسه قال فجئنا الى بني هاشم فاذاهم في الشعب فاستخرجناهم فقال لنا ابن الحنفية لا تقتلوا الا من قاتلكم فلما رأى ابن الزبير تمرنا له واقدامنا عليه لاذ بأستار الكعبة وقال أنا عائذ الله (وحدث) النوفلي في كتابه في الاخبار عن ابن عائشة عن أبيه عن حماد ابن سلمة قال كان عروة بن الزبير يعذر أخاه اذا جرى ذكر بني هاشم وحصره اياهم في الشعب وجمعه الحطب لتحريقهم ويقول انما أراد بذلك ارهابهم ليدخلوا في طاعته كما أرهب بنو هاشم وجمع لهم الحطب لاحراقهم اذ هم أبوا البيعة فيما سلف وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا وقد أتينا على ذكره في كتابنا في مناقب أهل البيت وأخبارهم المترجم بكتاب حدائق الاذهان وخطب ابن الزبير فقال قد بايعني الناس ولم يتخلف الا هذا الغلام محمد بن الحنفية والموعد بيني وبينه أن تغرب الشمس ثم اضرم

الوجه حسنة الحديث حلوة النادر كثيرة الفكاهة لها فى كل ذلك نوادر محكية وكانت فى عصرها ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن وهى أبدع منها حالا وأحسن افتنانا وأجل منصبا وكان أبوها أمير قرطبة و يلقب بالمستكفى بالله وأخبار أبى الوليد بن زيدون معها وأشعاره فيها مشهورة انتهى ملخصا * ومن أخبار الرميكية القصة المشهورة فى قولها ولا يوم الطين وذلك انها رأت الناس يمشون فى الطين فاشتهت المشى فى الطين فأمر المعتمد فسحقت أشياء من الطيب وذرت فى ساحة القصر حتى عمته ثم نصبت الغرابيل وصب فيها ماء الورد على أخلاط الطيب وعجنت بالايدى حتى عادت كالطين وخاضتها مع جواريها وغاضبها فى بعض الايام فاقسمت انها لم تر منه خيرا قط فقال ولا يوم الطين فاستحيت واعتذرت وهذا مصداق قول نبينا صلى الله عليه وسلم فى حق النساء لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط قلت ولعل المعتمد أشار فى أبياته الرائية الى هذه القضية حيث قال فى بناته

يطأن فى الطين والاقدام حافية * كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

ويحتمل أن يكون أشار بذلك الى ما جرت به عادة الملوك من ذر الطيب فى قصورهم حتى يطؤه باقدامهم زيادة فى التنعم وسبب قول المعتمد ذلك ما حكاه الفتح فقال وأول عيد أخذه يعنى المعتمد باغمات وهو سارح وما غير الشجون له مبارح ولا زى الاحالة الخمول واستحالة الخمول فدخل اليه من يسليه ويسلم عليه وفيهم بناته وعليهن أطمار كأنها كسوف وهن أقمار يبكين عند التساؤل و يبدين الخشوع بعد التخايل والضياع قد غير صورهن وحير نظرهن وأقدامهن حافيه وآثار نعيمهن عافيه فقال

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فساءك العيد فى اغمات ماسورا
ترى بناتك فى الاطمار جائعة * يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة * أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن فى الطين والاقدام حافية * كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
لاخد الا تشكى الجدب ظاهرة * وليس الا مع الانفاس ممطورا
افطرت فى العيد لا عادت مساءته * فكان فطرك للاكباد تفطيرا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك فى ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مغرورا

انتهى * وقال الفتح أيضا ولما نقل المعتمد من بلاده واعرى من طارفه وتلاده وحمل فى السفين واحل فى العدوة محل الدفين تندبه منابره واعواده ولا يدنو منه زواره ولا عواده بقى أسفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد المذانب عبراته لا يخلو بمؤانس ولا يرى الا عرينا بدلا من تلك المكانس ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ولم ير وجه مسرة مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور بهجتها فراقته وتخيل استيحاش اوطانه واجهاش قصره الى قطانه واظلام جوه من اقماره وخلوه من حراسه وسماره فقال

بكى المبارك فى اثر ابن عباد * بكى على اثر غزلان وآساد

ابن العباس لابن الحنفية فقال يا ابن عم انى لا آمنه عليك فبايعه فقال سمعه

داره عليه نارا فدخل على حجاب قوى فجعل ابن عباس ينظر الى الشمس ويفكر فى كلام ابن الحنفية وقد كادت الشمس ان تغرب فوافاهم أبو عبد الله الجدلى فيما ذكرنا من الخيل وقالوا لابن الحنفية ائذن لنا فيه فأبى وخرج الى ايلة فأقام بها سنين ثم قتل ابن الزبير كذلك حدث عمر ابن حبة التميمى عن عطاء بن مسلم فيما أخبرنا به أبو الحسن المهرانى البصرى بمصر وأبو اسحق الجوهرى بالبصرة وغيرهما وهؤلاء الذين وردوا الى ابن الحنفية هم الشيعة الكيسانية وهم القائلون بامامة محمد بن الحنفية وقد تنازعت الكيسانية بعد قولهم بامامة محمد بن الحنفية فمنهم من قطع بموته ومنهم من زعم انه لم يمت وانه حى فى جبال رضوى وقد تنازع كل فريق من هؤلاء أيضا وانما سموا بالكيسانية لاضافتهم الى المختار بن أبى عبيد الثقفى وكان اسمه كيسان و يكنى أبا عمرة أو هو غير المختار وقد أتينا على أقاويل فرق الكيسانية وغيرهم من فرق الشيعة وطوائف الامة فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات وذكرنا قول كل فريق منهم وما أيد به مذهبه وقول من ذكر منهم أن ابن الحنفية

بكت

بكت ثرياه لا غمت كواكبها * بمثل نوء الثريا الرائح الغادى
بكى الوحيد بكى الزاهى وقبته * والنهر والتاج كل ذله بادى
ماء السماء على افيائه درر * يا لجة البحر دومى ذات ازباد

وفى ذلك يقول ابن اللبانة

أستودع الله أرضا عندما وضحت * بشائر الصبح فيها بدلت حلكا
كان المؤيد بستانا بساحتها * يجنى النعيم وفى عليائها فلكا
فى امره لملوك الدهر معتبر * فليس يغتر ذو ملك عاملكا
نبكيه من جبل خرت قواعده * فكل من كان فى بطحائه هلكا

وكان القصر الزاهى من اجل المواضع لديه وابهاها واحبها اليه واشهاها لاطلاله على النهر واشرافه على القصر وجماله فى العيون واشتماله بالزهر والزيتون وكان له به من الطرب والعيش المزرى بحلاوة الضرب مالم يكن بحلب لبنى حمدان ولا لسيف بن ذى يزن فى رأس غمدان وكان كثيرا ما يدير به راحه ويجعل فيه انشراحه فلما امتد الزمان اليه بعدوانه وسد عليه ابواب سلوانه لم يحن الا اليه ولم يتمن غير الحلول لديه فقال

غريب بارض المغربين أسير * سيبكى عليه منبر وسرير
وتندبه البيض الصوارم والقنا * وينهل دمع بينهن غزير
مضى زمن والملك مستأنس به * واصبح منه اليوم وهو نفور
برأى من الدهر المضلل فاسد * متى صلحت للصالحين دهور
أذل بنى ماء السماء زمانهم * وذل بنى ماء السماء كبير
فياليت شعرى هل ابيتن ليلة * أمامى وخلفى روضة وغدير
بمنبتة الزيتون مورثة العلا * تغنى حمام أو ترن طيور
بزاهرها السامى الذى جاده الحيا * تشير الثريا نحونا ونشير
ويلحظنا الزاهى وسعد سعوده * غيورين والصب المحب غيور
تراه عسيرا لا يسيرا امناله * ألا كل ماشاء الاله يسير

انتهى * وقال الحجارى فى المسهب ان امير المسلمين يوسف بن تاشفين اهدى الى المعتمد جارية مغنية قد نشأت بالعدوة واهل العدوة بالطبع يكرهون أهل الاندلس وجاء بها الى اشبيلية وقد كثر الارجاف بان سلطان الملثمين ينتزع بلاد ملوك الطوائف منهم واشتغل خاطر ابن عباد بالفكر فى ذلك فخرج بها الى قصر الزهراء على نهر اشبيلية وقعد على الراح فخطر بفكرها أن غنت عندما انتشى هذه الابيات

حلوا قلوب الاسد بين ضلوعهم * ولووا عمائمهم على الاقمار
وتقلدوا يوم الوغى هندية * امضى اذا انتضيت من الاقدار
ان خوفوك لقيت كل كريهة * أو أمنوك حللت دار قرار

فوقع فى قلبه أنها عرضت بما داتها فلم يملك غضبه ورمى بها فى النهر فهلكت انتهى فقدر الله تعالى أن كان تمزيق ملكه على يدهم تصديقا للجارية فى قولها

من الاخباريين ان كثيرا الشاعر كان كيسانيا ويقول ان محمد بن الحنفية هو المهدى الذى يملؤها عدلا كما ملئت جورا وحكى الزبير بن بكار فى كتابه انساب قريش فى انساب آل أبى طالب وأخبارهم منه قال أخبرنى عمير قال قال كثير أبياتا له يذكر ابن الحنفية رضى الله عنه وأولها

هو المهدى خبرناه كعب * أخو الاحبار فى الحقب الخوالى

أقر الله عينى اذ دعانى * أمين الله يلطف فى السؤال
وأثنى فى هواى على خيلا * وساءل عن بنى وكيف حالى

وفيه يقول أيضا كثير

الا ان الائمة من قريش * ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه * هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر * وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا تراه العين حتى * يقود الخيل يتبعها اللواء
يغيب لا يرى فيهم زمانا * برضوى عنده عسل وماء

وفيه يقول السيد الحميرى وكان كيسانيا

ألا قل للوصى فدتك نفسى * أطلت بذلك الجبل المقاما

أضر بمعشر والوك منا * وسموك الخليفة والاماما وعادوا فيك أهل الارض طرا * مغيبك عنهم سبعين عاما

*ان خوفوك لقيت كل كريهة * وحصره جيوش لمتونة الملثمين حتى أخذوه قهرا وسيق الى امير المسلمين والقصة مشهورة *وقال الفتح فى شأن حصار المعتمد ماصورته ولما تم فى الملك أمده واراد الله تعالى أن تخرم عقده وتنقرض ايامه وتتقوض عن عراص الملك خيامه نازلته جيوش أمير المسلمين ومحلاته وظاهرته فساطيطه ومظلاته بعدما نثرت حصونه وقلاعه وسعرت بالنكاية جوانحه واضلاعه واخذت عليه الفروج والمضايق وانثنت اليه الموانع والعوائق وطرقته طوارقها بالاضرار وامطرته من النكاية كل ديمة مدرار وهو ساه بروض ونسيم لاه براح ومحيا وسيم زاه بفتاة تنادمه ناه عن هدم انس هو هادمه لايصيخ الى نباسمعه ولاينيخ الا على لهو يفرق جموعه جمعه وقد ولى المدامة ملامه وثنى الى ركنها طوافه واستلامه وتلك الجيوش تجوس خلاله وتقلص ظلاله وحين اشتد حصاره وعجز عن المدافعة أنصاره ودلس عليه ولاته وكثرت ادواؤه وعلاته فتح باب الفرج وقد لفح شواظ الهرج فدخلت عليه من المرابطين زمره واشتعلت من التقلب جمره تاجج اضطرامها وسهل بها ايقاد الفتنة واضرامها وعندما سقط الخبر عليه خرج حاسرا عن مفاضته جامحا كالمهر قبل رياضته فلحق اوائلهم عند الباب المذكور وقد انتشروا فى جنباته وظهروا على البلد من اكثر جهاته وسيفه فى يده يتلمظ للطلى والهام ويعد بانفراج ذلك الاستبهام فرماه أحد الداخلين برمح تخطاه وجاوز مطاه فبادره بضربة أذهبت نفسه واغربت شمسه ولقى ثانيا فضربه وقسمه وخاض جيش ذلك الداء وحسمه فاجلوا عنه وولوا فرارا منه فأمر بالباب فسد وبنى منه ماهد ثم انصرف وقد اراح نفسه وشفاها وابعد الله تعالى عنه الملامة ونفاها وفى ذلك يقول عندما خلع واودع من المكروه ما اودع

ان يسلب القوم العدا * ملكى وتسلمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه * لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم * أن لاتحصننى الدروع
وبرزت ليس سوى القميص على الحشاشة دفوع
أجلى تأخر لم يكن * بهواه ذلى والخضوع
ماسرت قط الى القتا * ل وكان من املى الرجوع
شيم الالى انا منهم * والاصل تتبعه الفروع

ومازالت عقارب تلك الداخلة تدب ثم ذكر الفتح تمام هذا الكلام فراجعه فيما يقرب من نحو ثلاث ورقات *ومن حكايات مجالس انسه أيام ملكه قبل أن ينظمه صرف الدهر فى سلكه ماحكاه الفتح عن ذخر الدولة انه دخل عليه فى دار المزينية والزهر يحسد اشراق مجالسه والدر يحكى اتساق تأنسه وقد رددت الطير شدوها وجودت طربها ولهوها وجددت كلفها وشجوها والغصون قد التحفت بسندسها والازهار تحيى بطيب تنفسها والنسيم يلم بها فتضعه بين أجفانها وتودعه أحاديث آذارها ونيسانها وبين يديه فتى من فتيانه يتثنى تثنى القضيب ويحمل الكاس فى راحة أبهى من الكف الخضيب وقد توشح وكأن الثريا وشاحه

وفيه يقول السيد أيضا

يا شعب رضوى مالمن بك لايرى
وبنا اليه من الصبابة أولق
حتى متى والى متى وكم المدى
يا ابن الرسول وأنت حى ترزق

وللسيد فيه اشعار كثيرة لا يأتى عليها كتابنا هذا (وذكر) على بن محمد بن سليمان النوفلى فى كتابه الاخبار مما سمعناه من ابى العباس بن عمار قال حدثنا جعفر بن محمد النوفلى قال حدثنا اسمعيل الساحر وكان راوية السيد الحميرى قال ما مات السيد الا على قوله بالكيسانية وأنكر قوله فى القصيدة التى أولها

تجعفرت باسم الله والله أكبر

قال أبو الحسن على بن محمد النوفلى عقيب هذا الخبر وليس يشبه هذا شعر السيد لان السيد مع فصاحته وجزالة قوله لا يقول تجعفرت باسم الله وذكر عمر بن شبة النميرى عن مساور بن السائب أن ابن الزبير خطب أربعين يوما لا يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال لا يمنعنى أن أصلى عليه الا أن تشمخ رجال بآنافها وذكر سعيد بن جبير أن عبد الله بن عباس دخل على ابن الزبير فقال له ابن الزبير أنت الذى

وشاحه وانار فكأن الصبح من محياه كان اتضاحه فلما ناوله الكاس خامرته سوره وتخيل أن الشمس تهديه نوره فقال المعتمد

لله ساق مهفهف غنج * قد قام يسقي فجاء بالعجب
أهدى لنا من لطيف حكمته * في جامد الماء ذائب الذهب

ولما وصل لورقة استدعى ذا الوزارتين القائد أبا الحسن بن اليسع ليلته تلك في وقت لم يخف فيه زائر من مراقب ولم يبد فيه غير نجم ثاقب فوصل وما للامن الى فؤاده وصول وهو يتخيل أن الجو صوارم ونصول بعد أن وصى بما خلف وودع من تخلف فلما مثل بين يديه آنسه وازال توجسه وقال له خرجت من اشبيلية وفي النفس غرام طويته بين ضلوعي وكفكفت فيه غرب دموعي بفتاة هي الشمس أو كالشمس اختها لا يحول قلبها ولا تخالها وقد قالت في يوم وداعها عند تفطر كبدي وانصداعها

ولما التقينا للوداع غدية * وقد خفقت في ساحة القصر رايات
بكينا دما حتى كأن عيوننا * بجري الدموع الحمر منها جراحات

وقد زارتني هذه الليلة في مضجعي وأبرأتني من توجعي ومكنتني من رضابها وفقتني بدلالها وخضابها فقلت

أباح لطيفي طيفها الخد والنهدا * فعض بها تفاحة واجتنى وردا
ولو قدرت زارت على حال يقظة * ولكن حجاب البين ما بيننا مدا
أما وجدت عنا الشجون معرجا * ولا وجدت منا خطوب النوى بدا
سقى الله صوب القطر أم عبيدة * كما قد سقت قلبي على حره بردا
هي الظبي جيدا والغزالة مقلة * وروض الربا عرفا وغصن النقا قدا

فكرر استجادته وأكثر استعادته فأمر له بخمسمائة دينار وولاه لورقة من حينه قال الفتح وأخبرني ابن اللبانة انه استدعاه ليلة الى مجلس قد كساه الروض وشيه وامتثل الدهر فيه أمره ونهيه فسقاه الساقي وحياه وسفر له الانس عن مونق محياه فقام للمعتمد مادحا وعلى دوحة تلك النعماء صادحا فاستجاد قوله وأفاض عليه طوله فصدر وقد امتلأت يداه وغمر جوده ونداه فلما حل بمنزله وافاه رسوله بقطيع وكاس من بلار قد أترعا بصرف العقار ومعهما

جاءتك ليلا في ثياب نهار * من نورها وغلالة البلار
كالمشتري قد لف من مريخه * اذ لفه في الماء جذوة نار
لطف الجمود لذا وذا فتألفا * لم يلف ضد ضده بنفار
يتحير الراؤن في نعتيهما * أصفاء ماء أم صفاء دراري

وقال الفتح أيضا وأخبرني ذخر الدولة انه استدعاه في ليلة قد ألبسها البدر رداءه وأوقد فيها أضواءه وهو على البحيرة الكبرى والنجوم قد انعكست فيها تخالها زهرا وقابلتها المجرة فسالت فيها نهرا وقد أرجت نوافح الند وماست معاطف الرند وحسد النسيم الروض فوشى بأسراره وأفشى حديث آسه وعراره ومشى مختالا بين لبات النور وأزراره

تؤذيني وتخاذلني قال ابن عباس نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس المسلم الذي يشبع ويجوع جاره فقال ابن الزبير انى لاكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة وجرى بينهم خطب طويل فخرج ابن عباس من مكة خوفا على نفسه فنزل الطائف فتوفي هنالك ذكر هذا الخبر عمر بن شبة النميري عن سويد بن سعيد يرفعه الى سعيد بن جبير فيما حدثنا به المهراني بمصر والكلابي بالبصرة وغيرهما عن عمر ابن شبة وحدث النوفلي في كتابه في الاخبار عن الوليد بن هشام المخزومي قال خطب ابن الزبير فنال من علي فبلغ ذلك ابنه محمد ابن الحنفية حتى وضع له كرسي قدامه فعلاه وقال يا معاشر قريش شاهت الوجوه أينتقص علي وأنتم حضور ان عليا كان سهما صادقا أحد مرامي الله على أعدائه يقتلهم لكفرهم ويهوعهم ماكلهم فثقل عليهم فرموه بصرفة الاباطيل وانا معشر له على نهج من أمره بنو الحسبة من الانصار فان تكن لنا الايام دولة ننثر عظامهم ونحسر عن أجسادهم والابدان يومئذ بالية وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فعاد ابن الزبير الى خطبته وقال عذرت بني الفواطم يتكلمون فما بال بني الحنفية فقال

وهو وجم ودمعه منسجم وزفراته تترجم عن غرامه وتجمجم عن تعذر مرامه فلما نظر اليه استدناه وقربه وشكا اليه من الهجران ما استغرب به وأنشده

أيا نفس لا تجزعي واصبري * والافان الهوى متلف
حبيب جفاك وقلب عصاك * ولاح لحاك ولا منصف
شجون منعن الجفون الكرى * وعوضنها أدمعا تنزف

فانصرف ولم يعلمه بقصته ولا كشف له عن غصته انتهى *وقال الفتح أيضا أخبرني ذخر الدولة بن المعتضد انه دخل عليه في ليلة قد امتنى السرور منامها وامتطى الحبور غاربها وسنامها وراع الانس فؤادها وستر بياض الاماني سوادها وغازل نسيم الروض زوارها وعوادها ونور السراج قد قلص اذيالها ومحا من لجين الارض نيالها والمجلس مكتس بالمعالي وصوت المثاني والمثالث عالي والبدر قد كمل والتحف بضوئه القصر واشتمل وتزين بسناه وتجمل فقال المعتمد

ولقد شربت الراح يسطع نورها * والليل قد مد الظلام رداء
حتى تبدى البدر في جوزائه * ملكا تناهى بهجة وبهاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه * لألاؤها فاستكمل اللألاء
لما أراد تنزها في غربة * جعل المظلة فوقه الجوزاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله * رفعت ثرياها عليه لواء
وحكيته في الارض بين كواكب * وكواعب جمعت سناوسناء
ان نشرت تلك الدروع حنادسا * ملأت لنا هذي الكؤس ضياء
واذا تغنت هذه في مزهر * لم تأل تلك على التريك غناء

وأخبرني ابن اقبال الدولة انه كان عنده في يوم قد نشر من غيمه رداء ند واسكب من قطره ماء ورد وأبدى من برقه لسان نار وأظهر من قزحه حنايا قوس آس حفت بنرجس وجلنار والروض قد بعث رياه وبث الشكر لسقياه فكتب الى الطبيب الاديب أبي محمد المصري

أيها الصاحب الذي فارقت عيـ * ـني ونفسي منه السنا والسناء
نحن في المجلس الذي يهب الرا * حة والمسمع الغنى والغناء
نتعاطى التي تنسي من الرقـ * ـة واللذة الهوى والهواء
فأته تلف راحة ومحيا * قد أعدا لك الحيا والحياء

فوافاه وألفى مجلسه وقد تلعت فيه الاباريق أجيادها وأقامت فيه خيل السرور طرادها وأعطته الاماني انطباعها وانقيادها وأهدت الدنيا يومه مواسمها وأعيادها وخلعت عليه الشمس شعاعها ونشرت فيه الحدائق ايناعها فاديرت الراح وتعوطيت الاقداح وخامر النفوس الابتهاج والارتياح واظهر المعتمد من ايناسه ما استرق به نفوس جلاسه ثم دعا بكبير فشربه كما غربت الشمس في ثبير وعندما تناولها قام المصري ينشد أبياتا يمثلها

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا * بشاد مهر ودع غمدان لليمن

ابن هاشم جدتي أوليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدة أبي أما والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركت في بني أسد عظما الا هشمته وان نالتني فيه المصائب صبرت (حدثنا) ابن عمار عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني ابن عائشة والعتبي جميعا عن ابويهما والفاظهما متقاربة قال اخطب ابن الزبير فقال ما بال أقوام يفتون في المتعة وينتقصون حواري الرسول وأم المؤمنين عائشة ما بالهم أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يعرض بابن عباس فقال يا غلام أصمدني صمدة فقال يا ابن الزبير قد

أنصف القارة من راماها
انا اذا ما فئة نلقاها
ترد أولاها على أخراها

أما قولك في المتعة فسل أمك تخبرك فان أول متعة سطع مجمرها لمجمر سطع بين أمك وأبيك يريد متعة الحج وأما قولك حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد لقيت أباك في الزحف وأنا مع امام هدى فان يكن على ما أقول فقد كفر بقتالنا وان يكن على ما تقول فقد كفر بهربه عنا فانقطع ابن الزبير ودخل على أمه اسماء فأخبرها فقالت صدق

فأنت أولى بتاج الملك تلبسه * من هوذة بن على وابن ذى يزن

فطرب حتى زحف عن مجلسه واسرف فى تأنيسه وأمر فخلعت عليه خلع لاتصلح الاللخلفاء وأدناه حتى أجلسه مجلس الاكفاء وأمر له بدنانير عددا وملأ له بالمواهب يدا* وله فى غلام رآه يوم العروبة من ثنيات الوغى طالعا ولطلى الابطال قارعا وفى الدماء والغا واستنشع كؤس المنايا سائغا وهو ظبي قد فارق كناسه وعاد أسدا قد صارت القنا أخياسه ومتكاثف العجاج قد مزقه اشراقه وقلوب الدارعين قد شكتها أحداقه فقال

ابصرت طرفك بين مشتجر القنا * فبدا لطرفى انه فلك
أوليس وجهك فوقه قمرا * يجلى بنير نوره الحلك

وقال فيه

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سحاب من العنبر

وقد جمع بنا القلم فى ترجمة المعتمد بن عباد بعض جموح وماذاك الالما علمنا أن نفوس الادباء الى أخباره رحمه الله تعالى شديدة الطموح وقد جعل الله تعالى له كما قال ابن الابار فى الحلة السيراء رقة فى القلوب وخصوصا بالمغرب فان أخباره وأخبار الرميكية الى الآن متداولة بينهم وان فيها لاعظم عبرة رحم الله تعالى الجميع (رجع الى أخبار النساء) *(ومنهن) العبادية جارية المعتضد عباد والد المعتمد اهداها اليه مجاهد العامرى من دانية وكانت أديبة ظريفة كاتبة شاعرة ذاكرة لكثير من اللغة قال ابن عليم فى شرحه لادب الكاتب لابن قتيبة وذكر الموسعة وهى خشبة بين جمالين يجعل كل واحد منهما طرفها على عنقه ماصورته وبذكر الموسعة اغربت جارية لمجاهد اهداها الى عباد كاتبة شاعرة على علماء اشبيلية بالغرمة التى تظهر فى أذقان بعض الاحداث وتعترى بعضهم فى الخدين عند الضحك فاما التى فى الذقن فهى النونة ومنه قول عثمان رضى الله تعالى عنه دسموا نونته لتدفع العين وأما التى فى الخدين عند الضحك فهى الفحصة فما كان فى ذلك الوقت فى اشبيلية من عرف منهما واحدة* وسهر عباد ليلة لامر حزبه وهى نائمة فقال

تنام ومدنفها يسهر * وتصبر عنه ولا يصبر

فاجابته بديهة بقولها

لئن دام هذا وهذا له * سيهلك وجدا ولا يشعر

ويكفيك هذا شاهدا على فضلها رحمها الله تعالى وسامحها *(ومنهن) بثينة بنت المعتمد بن عباد وأمها الرميكية السابقة الذكر وكانت بثينة هذه نحوا من أمها فى الجمال والنادرة ونظم الشعر ولما أحيط بابيها ووقع النهب فى قصره كانت فى جملة من سبى ولم يزل المعتمد والرميكية عليها فى وله دائم لايعلمان ما آل اليه أمرها الى أن كتبت اليهما بالشعر المشهور المتداول بين الناس بالمغرب وكان أحد تجار أشبيلية اشتراها على انها جارية تسرية ووهبها لابنه فنظر من شأنها وهيئت له فلما أراد الدخول عليها امتنعت وأظهرت نسبها وقالت لا أحل لك الا بعقد النكاح ان رضى أبى بذلك وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لابيها وانتظار جوابه فكان الذى كتبته بخطها من نظمها ماصورته

(قال المسعودى) وفى هذا الخبر زيادات من ذكر السبرة والعوسجة وقد أتينا على الخبر بتمامه وماقاله الناس فى متعة النساء ومتعة الحج وتنازعهم فى ذلك وماذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم من انه حرمها عام خيبر ولحوم الحمر الاهلية وماذكر فى حديث الربيع ابن سبرة عن أبيه وقول عمر كانتا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تقدمت بالنهى لفعلت بفاعل ذلك كذا وكذا ومار وى عن جابر قال تمتعنا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر وصدر من خلافة عمر وغير ذلك من أقاويلهم فى كتابنا المترجم بكتاب الاستنصار وفى كتاب الصفوة وفى كتابنا المترجم بالكتاب الواجب فى الفروض اللوازم وماقال الناس فى غسل الرجلين ومسحهما والمسح على الخفين وطلاق السنة وطلاق العدة وطلاق التعدى وغير ذلك وقد حدث النوفلى عن أبى عاصم عن ابن جريج قال حدثنى منصور بن شيبة عن صفية بنت أبى عبيد عن أسماء بنت أبى بكر قالت لما قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع أمر من لم يكن معه هدى ان يحل قالت فأحللت فلبست ثيابى وتطيبت وجئت حتى جلست الى جنب الزبير

اسمع كلامى واستمع لمقالتى * فهى السلوك بدت من الاجياد
لاتنكروا أنى سبيت وأننى * بنت لملك من بنى عباد
ملك عظيم قد تولى عصره * وكذا الزمان يؤل للافساد
لما أراد الله فرقة شملنا * واذاقنا طعم الاسى من زاد
قام النفاق على أبى فى ملكه * فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجت هاربة فحازنى امرؤ * لم يأت فى اجماله بسداد
اذباعنى بيع العبيد فضمنى * من صاننى الا من الانكاد
وأرادنى لنكاح نجل طاهر * حسن الخلائق من بنى الانجاد
ومضى اليك يسوم رأيك فى الرضا * ولأنت تنظر فى طريق رشادى
فعساك يا أبتى تعرفنى به * ان كان ممن يرتجى لوداد
وعسى رميكية الملوك بفضلها * تدعو لنا باليمن والاسعاد

فلما وصل شعرها لابيها وهو باغمات واقع فى شراك الكروب والازمات سرهو وأمها بحياتها ورأيا أن ذلك للنفس من أحسن امنياتها اذ علما مآل أمرها وجبر كسرها اذ ذاك أخف الضررين وان كان الكرب قد ستر القلب منه بحجاب رين وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من الصبي المذكور وكتب اليها أثناء كتابه مايدل على حسن صبره المشكور

بنيتى كونى به برة * فقد قضى الدهر باسعافه

وأخبار المعتمد بن عباد تذيب الاكباد فلنرجع الى ذكر نساء الاندلس فنقول * (ومنهن) حفصة بنت حمدون من وادى الحجارة ذكرها فى المغرب وقال انها من أهل المائة الرابعة ومن شعرها

رأى ابن جميل أن يرى الدهر مجملا * فكل الورى قد عمهم سيب نعمته
له خلق كالخمر بعد امتزاجها * وحسن فما أحلاه من حين خلقته
بوجه كمثل الشمس يدعو ببشره * عيونا ويعشيها بافراط هيبته

ولها أيضا لى حبيب لاينثنى لعتاب * واذا ماتركته زاد تيها
قال لى هل رأيت لى من شبيه * قلت أيضا وهل ترى لى شبيها

ولها تذم عبيدها

يارب انى من عبيدى على * جمر الغضا مافيهم من نجيب
اما جهول ابله متعب * أو فطن من كيده لايجيب

وقال ابن الابار انها كانت أديبة عالمة شاعرة وذكرها ابن فرج صاحب الحدائق وأنشد لها أشعارا منها قولها

ياوحشتى لأحبتى * ياوحشة متماديه
ياليلة ودعتهم * ياليلة هى ماهيه

* (ومنهن) زينب المرية كانت أديبة شاعرة وهى القائلة

فقال قومى عنى فقات ما الحديث عن أبى عاصم غير النوفلى وقد تنازع الناس فى ذلك فمنهم من رأى انه عنى متعة النساء ومنهم من رأى انه أراد متعة الحج لان الزبير تزوج أسماء بكرا فى الاسلام زوجه أبو بكر معلنا فكيف تكون متعة النساء ولما هلك يزيد بن معاوية وولى ابنه معاوية بن يزيد بدعى ذلك الى الحصين بن نمير ومن معه فى الجيش من أهل الشام وهو على حرب ابن الزبير فهادنوا ابن الزبير ونزلوا مكة فلقى الحصين عبد الله فى المسجد فقال له هل لك يا ابن الزبير أن أحملك الى الشام وأبايع لك بالخلافة فقال له عبد الله رافعا صوته أبعد قتل أهل الحرة لا والله حتى أقتل بكل رجل خمسة من أهل الشام فقال الحصين من زعم يا ابن الزبير انك داهية فهو أحمق أكلمك سرا وتكلمنى علانية أدعوك أن أستخلفك فترفع الحرب وتزعم انك تقاتلنا فستعلم أينا المقتول وانصرف أهل الشام الى بلادهم مع الحصين فلما صاروا الى المدينة جعل أهلها يتخفون بهم ويتوعدونهم ويذكرون قتلاهم بالحرة فلما أكثروا من ذلك

يا أيها الراكب الغادي مطيته * عرج أنبيك عن بعض الذي أجد
ما عالج الناس من وجد تضمنهم * الا ووجدي بهم فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه وأني في مسرته * ووده آخر الايام أجتهد

*(ومنهن) غاية المنى وهي جارية أندلسية متأدبة قدمت الى المعتصم بن صمادح فاراد اختبارها فقال لها ما اسمك فقالت غاية المنى فقال لها أجيزي اسئلوا غاية المنى فقالت من كسا جسمي الضنا وأراني مولها * سيقول الهوى انا هكذا أورد السالمي هذه الحكاية في تاريخه قال ابن الابار وقرأت بخط الثقة حاكيا عن القاضي أبي القاسم بن حبيش قال سيقت لابن صمادح جارية لبيبة تقول الشعر وتحسن المحاضرة فقال تحمل الى الاستاذ ابن الفراء الخطيب ليختبرها وكان كفيفا فلما وصلته قال ما اسمك فقالت غاية المنى فقال أجيزي

سل هوى غاية المنى * من كسا جسمي الضنا

فقالت تجيزه

وأراني متيما * سيقول الهوى أنا

فحكي ذلك لابن صمادح فاشتراها انتهى *(ومنهن) حمدة ويقال حمدونة بنت زياد المؤدب من وادي آش وهي خنساء المغرب وشاعرة الاندلس ذكرها الملاحي وغيره وممن روى عنها أبو القاسم بن البراق ومن عجيب شعرها قولها

ولما أبى الواشون الا افتراقنا * وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة * وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي * ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

وبعض يزعم أن هذه الابيات لمهجة بنت عبد الرزاق الغرناطية وكونها لحمدة أشهر والله سبحانه وتعالى أعلم * وخرجت حمدة مرة للوادي مع صبية فلما نضت عنها ثيابها وعامت قالت

أباح الدمع أسراري بوادي * له للحسن آثار بوادي
فمن نهر يطوف بكل روض * ومن روض يرف بكل وادي
ومن بين الظباء مهاة انس * سبت لبي وقد ملكت فؤادي
لها لحظ ترقده لامر * وذاك الامر يمنعني رقادي
اذا سدلت ذوائبها عليها * رأيت البدر في أفق السواد
كأن الصبح مات له شقيق * فمن حزن تسربل بالحداد

وقال ابن البراق في سوق هذه الحكاية أنشدتنا حمدة العوفية لنفسها وقد خرجت متنزهة بالرملة من نواحي وادي آش فرأت ذات وجه وسيم أعجبها فقالت و بين الروايتين خلاف أباح الدمع الى آخره ونسب بعضهم الى حمدة هذه الابيات الشهيرة بهذه البلاد المشرقية وهي

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمإ زلالا * ألذ من المدامة للنديم

وخافوا الفتنة وهيجها صعد روح بن زنباع الجذامي على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك الجيش فقال يا أهل المدينة ما هذا الايعاد الذي توعدوننا وانا والله ما دعوناكم الى كلب لمبايعة رجل منهم ولا الى رجل من بلقين ولا الى رجل من لخم أو جذام ولا غيرهم من العرب ولكن دعوناكم الى هذا الحي من قريش يعني بني أمية ثم الى طاعة يزيد بن معاوية وعلى طاعته قاتلناكم فايانا توعدون أما والله انا لابناء الطعن والطاعون وفضلات الموت والمنون فاشئتم ومضى القوم الى الشام وحمل الى ابن الزبير من صنعاء الفسيفساء التي كان بناها ابرهة الحبشي في كنيسته التي اتخذها هنالك ومعها ثلاث أساطين من رخام فيها وشي منقوش قد حشي النقش والسندروس وانواع الالوان من الاصباغ فمن رآه ظنه ذهبا وشرع ابن الزبير في بناء الكعبة وشهد عنده سبعون شيخا من قريش ان قريشا حين بنت الكعبة عجزت نفقتهم فنقصوا من سعة البيت سبعة اذرع من اساس ابراهيم الخليل الذي اسسه هو واسمعيل عليهما السلام فبناه ابن الزبير وزاد فيه الاذرع المذكورة وجعل فيه الفسيفساء والاساطين وجعل له بابين بابا يدخل منه وبابا

يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

ومن جزم بذلك الرعينى وقال ان مؤرخى بلاد الاندلس نسبوها لحمدة من قبل أن يوجد المنازى الذى ينسبها له أهل المشرق وقد رأيت أن أذكر كلامه برمته ونصه كانت من ذوى الالباب وفحول أهل الآداب حتى ان بعض المنتحلين تعلق بهذه الاهداب وادعى نظم هذين البيتين يعنى ولما أبى الواشون الى آخره لما فيهما من المعانى والالفاظ العذاب وما غره فى ذلك الا بعد دارها وخلوّ هذه البلاد المشرقية من أخبارها وقد تلبس بعضهم أيضا بشعارها وادعى غير هذا من أشعارها وهو قولها وقانا لفحة الرمضاء واد * الى آخره وان هذه الابيات نسبها أهل البلاد للمنازى من شعرائهم وركبوا التعصب فى جادة ادعائهم وهى أبيات لم يحلها سم غير لسانها ولا رقم برديها غير احسانها ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا وهى الاندلس أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازى من العدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود انتهى وهو أبو جعفر الاندلسى الغرناطى نزيل حلب وحكى ابن العديم فى تاريخ حلب ما نصه وبلغنى أن المنازى عمل هذه الابيات ليعرضها على أبى العلاء المعرى فلما وصل اليه أنشده الابيات فجعل المنازى كلما أنشده المصراع الاول من كل بيت سبقه أبو العلاء الى المصراع الثانى الذى هو تمام البيت كما نظمه ولما أنشده قوله
نزلنا دوحه فحنا علينا قال أبو العلاء * حنوّ الوالدات على الفطيم * فقال المنازى انما قلت على اليتيم فقال أبو العلاء الفطيم أحسن انتهى وهذا يدل على أن الرواية عنده حنوّ الوالدات وقد تقدم المرضعات والله تعالى أعلم * وقال ابن سعيد يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات لمحافظتهنّ على المعانى العربية ومن أشهرهن زينب بنت زياد الوادى آشى وأختها حمدة وحمدة هذه هى القائلة وقد خرجت الى نهر منقسم الجداول بين الرياض مع نسائها فسبحن فى الماء وتلاعبن * أباح الدمع أسرارى بوادى * الابيات انتهى (ومنهنّ) عائشة بنت أحمد القرطبية قال ابن حيان فى المقتبس لم يكن فى زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها علما وفهما وأدبا وشعرا وفصاحة تمدح ملوك الاندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء لم تنكح سنة أربعمائة * وقال فى المغرب انها من عجائب زمانها وغرائب أوانها وأبو عبد الله الطبيب عمها ولو قيل انها أشعر منه لجاز ودخلت على المظفر بن المنصور بن أبى عامر وبين يديه ولد فارتجلت

أراك الله فيه ما تريد * ولا برحت معاليه تزيد
فقد دلت مخايله على ما * تؤمله وطالعه السعيد
تشوّقت الجياد له وهز الحسام هوى وأشرقت البنود
وكيف يخيب شبل قد نمته * الى العليا ضراغمة أسود
فسوف تراه بدرا فى سماء * من العليا كواكبه الجنود
فأنتم آل عامر خير آل * زكا الابناء منكم والجدود

يخرج منه فلم يزل البيت على ذلك حتى قتل الحجاج عبد الله بن الزبير وكتب الى عبد الملك يعلمه بما زاده ابن الزبير فى البيت فأمره عبد الملك بهدمه ورده الى ما كان عليه آنفا من بناء قريش وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم وان يجعل له بابا واحدا ففعل الحجاج ذلك واستوثق الامر لابن الزبير وأخذت له البيعة بالشأم وخطب له على سائر منابر الاسلام الامنبر طبرية من بلاد الاردن فان حسان بن مالك بن بحدل أبى أن يبايع لابن الزبير وأرادها لخالد ابن يزيد بن معاوية وكان القيم بأمر بيعة ابن الزبير بمكة عبد الله بن مطيع العدوى ففى ذلك يقول قضاعة الاسدى وكان بايع لابن الزبير ثم نكث

دعا ابن مطيع للبياع فجئته * الى بيعة قلبى لها غير آلف
فناولنى خشناء لما لمستها * بكفى ليست من أكف الخلائف

وهلك يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وعبيد الله بن زياد على البصرة أمير فخطب الناس واعلمهم بموتهما وان الامر شورى لم ينصب له أحد وقال لا أرض اليوم أوسع من أرضكم ولا عددا كثر من عددكم ولا مال أكثر من مالكم فى بيت مالكم مائة ألف ألف درهم عطاء مقاتلتكم ستون ألفا وعطاؤهم وليدكم

وليـد كم لدى رأى كشيخ * وشيخكم لدى حرب وليـد

وخطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه فكتبت اليه

أنا لبوة لكنني لا أرتضي * نفسي مناخا طول دهري من أحد
ولو أنني أختار ذلك لم أجب * كلبا وكم غلقت سمعي عن أسد

*(ومنهن) مريم بنت أبي يعقوب الانصاري سكنت اشبيلية وأصلها والله أعلم من شلب وذكرها ابن دحية في المطرب وقال انها أديبة شاعرة مشهورة وكانت تعلم النساء الادب وتحتشم لدينها وفضلها وعمرت عمرا طويلا سكنت اشبيلية واشتهرت بها بعد الاربعمائة وذكرها الحميدي وأنشد لها جوابها لما بعث المهدي اليها بدنانير وكتب اليها

مالي بشكر الذي أوليت من قبل * لو أنني حزت نطق اللسن في الحلل
يا فذة الظرف في هذا الزمان ويا * وحيدة العصر في الاخلاص في العمل
أشبهت مريم العذراء في ورع * وفقت خنساء في الاشعار والمثل

ونص الجواب منها

من ذا يجاريك في قول وفي عمل * وقد بدرت الى فضل ولم تسل
مالي بشكر الذي نظمت في عنقي * من اللآلي وما أوليت من قبل
حليتني بحلى أصبحت زاهية * بها على كل أنثى من حلى عطل
لله أخلاقك الغر التي سقيت * ماء الفرات فرقت رقة الغزل
أشبهت مروان من غارت بدائعه * وأنجدت وغدت من أحسن المثل
من كان والده العضب المهند لم * يلد من النسل غير البيض والاسل

ومن شعرها وقد كبرت

وما يرتجى من بنت سبعين حجة * وسبع كنسج العنكبوت المهلهل
تدب دبيب الطفل تسعى الى العصا * وتمشي بها مشي الاسير المكبل

*(ومنهن) أسماء العامرية من أهل اشبيلية كتبت الى عبد المؤمن بن علي برسالة تمت فيها اليه بنسبها العامري وتسأله في رفع الانزال عن دارها والاعتقال عن مالها وفي آخرها قصيدة أولها

عرفنا النصر والفتح المبينا * لسيدنا أمير المؤمنينا
اذا كان الحديث عن المعالي * رأيت حديثكم فينا شجونا

ومنها

رويتم علمه فعلمتموه * وصنتم عهده فغدا مصونا

*(ومنهن) أم الهناء بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية سمعت أباها وكانت حاضرة النادرة سريعة التمثل من أهل العلم والفهم والعقل ولها تأليف في القبور ولما ولي أبوها قضاء المرية دخل داره وعيناه تذرفان وجد المفارقة وطنه فأنشدته متمثلة

يا عين صار الدمع عندك عادة * تبكين في فرح وفي أحزان

وهذا البيت من جملة أبيات هي

جاء الكتاب من الحبيب بأنه * سيزورني فاستعبرت أجفاني

وعطاء العيال ستون ألف ألف درهم فانظروا رجلا ترضونه يقوم بامركم ويجاهد عدوكم وينصف مظلومكم من ظالمكم ويوزع بينكم أموالكم فقام اليه أشراف أهلها ومنهم الاحنف بن قيس التميمي وقيس بن الهيثم السلمي ومسمع بن مالك العبدي فقالوا اما نعلم ذلك الرجل غيرك أيها الامير وانت احق من قام على امرنا حتى تجتمع الناس على خليفة فقال اما لو استعملتم غيري لسمعت وأطعت وقد كان على الكوفة عمرو بن حريث الخزاعي عاملا لعبيد الله بن زياد فكتب اليه عبيد الله يعلمه بما دخل فيه أهل البصرة ويأمره أن يأمر أهل الكوفة بما دخل فيه أهل البصرة فقام يزيد بن رويم الشيباني فقال الحمد لله الذي أطلق أيماننا لا حاجة لنا في بني أمية ولا في امارة ابن مرجانة وهي أم عبيد الله وأم أبيه زياد سمية على ماذ كرنا آنفا انما البيعة لاهل الحجز يعني أهل الحجاز فخلع أهل الكوفة ولاية بني أمية وامارة ابن زياد وأرادوا أن ينصبوا لهم أميرا الى أن ينظروا في أمرهم فقال جماعة عمرو بن سعد بن أبي وقاص يصلح لها فلما هموا بتاميره أقبل نساء من همدان وغيرهم من نساء كهلان والازد وربيعة والنخع حتى دخلن المسجد الجامع صارخات باكيات معولات يندبن الحسين

غلب السرور علي حتى انه * من عظم فرط مسرتي أبكاني

و بعده البيت وبعده

فاستقبلي بالبشر يوم لقائه * ودع الدموع لليلة الهجران

*(ومنهن) مهجة القرطبية صاحبة ولادة رحمهما الله تعالى وكانت من أجمل نساء زمانها وعلقت بها ولادة ولازمت تأديبها وكانت من أخف الناس روحا ووقع بينها و بين ولادة ما اقتضى أن قالت

ولادة قد صرت ولادة * من غير بعل فضح الكاتم

حكت لنا مريم لكنه * نخلة هذى ذكر قائم

قال بعض الاكابر لوسمع ابن الرومي هذا لاقر لها بالتقدم ومن شعرها

لئن قد حمى عن ثغرها كل حاتم * فما زال يحمى عن مطالبه الثغر

فذلك تحميه القواضب والقنا * وهذا حماه من لواحظها السحر

وأهدى اليها من كان يهيم بها خوخا فكتبت اليه

يا متحفا بالخوخ أحبابه * أهلا به من مثلج للصدور

حكى ثدى الغيد تفليكه * لكنه أخزى رؤس الايور

*(ومنهن) هند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي وكانت أديبة شاعرة كتب اليها أبو عامر بن ينق يدعوها للحضور عنده بعودها

يا هند هل لك في زيارة فتية * نبذوا المحارم غير شرب السلسل

سمعوا البلابل قد شدوا فتذكروا * نغمات عودك في الثقيل الاول

فكتبت اليه في ظهر رقعته

يا سيدا حاز العلا عن سادة * شم الانوف من الطراز الاول

حسبي من الاسراع نحوك أنني * كنت الجواب مع الرسول المقبل

*(ومنهن) الشلبية قال ابن الابار ولم أقف على اسمها وكتبت الى السلطان يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجها

قد آن أن تبكي العيون الآبيه * ولقد أرى أن الحجارة باكيه

يا قاصد المصر الذى يرجى به * ان قدر الرحمن رفع كراهيه

ناد الامير اذا وقفت ببابه * يا راعيا ان الرعية فانيه

أرسلتها هملا ولا مرعى لها * وتركتها نهب السباع العاديه

شلب كلا شلب وكانت جنة * فأعادها الطاغون نارا حاميه

حافوا وما خافوا عقوبة ربهم * والله لا تخفى عليه خافيه

فيقال انها ألقيت يوم جمعة على مصلى المنصور فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث عن القضية فوقف على حقيقتها وأمر للمرأة بصلة *وحكى ان بعض قضاة لوشة كانت له زوجة فاقت العلماء في معرفة الاحكام والنوازل وكان قبل أن يتزوجها ذكر له وصفها فتزوجها وكان في مجلس قضائه تنزل به النوازل فيقوم اليها فتشير عليه بما يحكم به فكتب اليه بعض اصحابه

وكان المبرزون في ذلك نساء همدان وقد كان علي عليه السلام مائلا الى همدان مؤثرا لهم وهو القائل

فلو كنت بوابا على باب جنة
لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقال

عبيت همدان وعبوا حميرا
ولم يكن بصفين منهم أحد مع معاوية وأهل الشأم الاناس كانوا بغوطة دمشق بقرية تعرف بعين برما مافيها منهم قوم الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ولما اتصل خبر أهل الكوفة بابن الزبير أنفذ اليهم عبد الله بن مطيع العدوى على ماقدمنا آنفا فتولى أمرهم حتى وجه المختار في أثره ونظر مروان بن الحكم انطباق الناس على مبايعة ابن الزبير واجابتهم له فأراد أن يلحق به وينضاف الى جملته فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند لحاقه بالشأم وقال له انك شيخ بني عبد مناف فلا تعجل فصار مروان الى الجابية من أرض الجولان بين دمشق والاردن واستمال الضحاك ابن قيس الفهرى الناس ورأسهم وانحاز عن مروان وأراد دمشق فسبقه اليها الاشدق عمرو بن سعيد بن العاص فدخلها وصار

أصحابه مداعبا بقوله

بلوشة قاض له زوجة * وأحكامها فى الورى ماضيه
فياليته لم يكن قاضيا * وياليتها كانت القاضيه

فأطلع زوجته عليه حين قرأه فقالت ناولنى القلم فناولها فكتبت بديهة

هو شيخ سوء مزدرى * له شيوب عاصيه
كلا لئن لم ينته * لنسفعا بالناصيه

وسمعت بعض أشياخنا يحكى القضية عن لسان الدين بن الخطيب وانه هو الذى كتب يداعب زوج المرأة فكتبت اليه

ان الامام ابن الخطيب * له شيوب عاصيه الى آخره فالله أعلم

*(ومنهن) نزهون الغرناطية قال فى المغرب من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجارى فى المسهب ووصفها بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الامثال مع جمال فائق وحسن رائق وكان الوزير أبو بكر بن سعيد أولع الناس بمعاضرتها ومذاكرتها ومراسلتها فكتب لها مرة

يامن له ألف خل * من عاشق وصديق
أراك خليت للنا * س منزلا فى الطريق

فأجابته حللت أبا بكر محلا منعته * سواك وهل غير الحبيب له صدرى
وان كان لى كم من حبيب فانما * يقدم أهل الحق حب أبى بكر

قيل لو قالت وان كان خلانى كثيرا الخ لكان أجود ولما قال فيها المخزومى

على وجه نزهون من الحسن مسحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا
قواصد نزهون توارك غيرها * ومن قصد البحر استقل السواقيا

قالت

ان كان ما قلت حقا * من بعض عهد كريم
فصار ذكرى ذميما * يعزى الى كل لوم
وصرت أقبح شئ * فى صورة المخزومى

وقد تقدمت حكايتها فى الباب الاول من هذا فلتراجع *وقال لها بعض الثقلاء ما على من أكل معك خمسمائة سوط فقالت

وذى شقوة لما رآنى رأى له * تمنيه يصلى معى جاحم الضرب
فقلت له كلها هنيئا فانما * خلقت الى لبس المطارف والشرب

وقال ابن سعيد فى طالعه لما وصف وصول ابن قزمان الى غرناطة واجتماعه بجنته بقرية الزاوية من خارجها بنزهون القلاعية الاديبة وماجرى بينهما وانها قالت له بعقب ارتجال بديع وكان يلبس غفارة صفراء على زى الفقهاء حينئذ أحسنت يابقرة بنى اسرائيل الا أنك لاتسر الناظرين فقال لها ان لم أسر الناظرين فأنا أسر السامعين وانما يطلب سرور الناظرين منك يافاعلة ياصانعة وتمكن السكر من ابن قزمان وآل الامر الى أن تدافعوا معه حتى رموه فى البركة فما خرج الا وهو قد شرب كثيرا من الماء وثيابه تهطل فقال اسمع

لمروان هل لك فيما أقوله لك فهو خير لى ولك قال مروان وما هو قال أدعو الناس اليك وآخذها لك على أن تكون لى من بعدك فقال مروان لا بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية فرضى الاشدق بذلك ودعا الناس الى بيعة مروان فأجابوا ومضى الاشدق الى حسان بن مالك بالاردن فأرغبه فى بيعة مروان فخنع لها وبويع مروان بن الحكم ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى أبا عبد الملك وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان وذلك بالاردن وكان أول من بايعه أهلها وتمت بيعته وكان مروان أول من أخذها بالسيف كرها على ماقيل بغير رضا من عصبة من الناس بل كل خوفه الاعداد ايسيرا جلوه على وثوبه عليها وقد كان غيره ممن سلف أخذها بعدد وأعوان الا مروان فانه أخذها على ماوصفنا وبايع مروان بعده لخالد بن يزيد ولعمرو بن سعيد الاشدق بعد خالد وكان مروان يلقب بخيط باطل وفى ذلك يقول عبد الرحمن بن الحكم

لحا الله قوما أمروا خيط باطل * على الناس يعطى مايشاء ويمنع واشترط حسان بن مالك وكان رئيس قحطان وسيدها بالشام

ياوزير ثم أنشد

ايه أبابكر ولاحول لى * بدفع أعيان وانذال
وذات فرج واسع دافق * بالماء يحكى حال أذيالى
غرقتني فى الماء ياسيدى * كفره بالتغريق فى المال

فأمر بتجريد ثيابه وخلع عليه ما يليق به ومر لهم يوم بعد عهدهم بمثله ولم ينتقل ابن قزمان من غرناطة الامن بعدما أجزل له الاحسان ومدحه بما هو ثابت له فى ديوان أجزاله ٣ وحكى عنه فيما أظن أعنى ابن قزمان ويحتمل انه غيره انه تبع احدى الماجنات وكان أحول فأطمعته فى نفسها وأشارت اليه أن يتبعها فاتبعها حتى أتت به سوق الصاغة باشبيلية فوقفت على صائغ من صياغها وقالت له يامعلم مثل هذا يكون فص الخاتم الذى قلت لك عنه تشير الى عين ذلك الاحول الذى تبعها وكانت قد كلفت ذلك الصائغ أن يعمل لها خاتما يكون فصه عين ابليس فقال لها الصائغ جيئيني بمثال فانى لم أرهذا ولاسمعت به قط وحكاها بعضهم على وجه آخر وانها ذهبت الى الصائغ وقالت له صورلى صورة الشيطان فقال لها ائتيني بمثال فلما تبعها ابن قزمان جاءته به وقالت له مثل هذا فسأل ابن قزمان الصائغ فخجل ولعنها وكتب ابن قزمان على باب جنته

وقائل ياحسنها جنة * لايدخل الحزن على بابها
فقلت والحق له صولة * أحسن منها جدار بابها

وله

كثير المال تمسكه فيفنى * وقد يبقى مع الجود القليل
ومن غرست يداه ثمار جود * ففى ظل الثناء له مقيل

(رجع) الى أخبار نزهون حكى انها كانت تقرأ على أبى بكر المخزومى الاعمى فدخل عليهما أبو بكر الكتندى فقال يخاطب المخزومى *لو كنت تبصر من تجالسه* فأفحم وأطال الفكر فما وجد شيأ فقالت نزهون *لغدوت أخرس من خلاخله*

البدر يطلع من ازرته * والغصن يمرح فى غلائله

وكانت ناجبة ومن شعرها قولها

لله در الليالى ما أحيسنها * وما أحيسن منها ليلة الاحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت * عين الرقيب فلم تنظر الى أحد
أبصرت شمس الضحى فى ساعدى قمر * بل ريم خازمة فى ساعدى أسد

وهذا المعنى متفق مع قول ابن الزقاق

ومرتجة الارداف أما قوامها * فلدن وأما ردفها فرداح
ألمت فبات الليل من قصر بها * يطير ولاغير السرور جناح
فبت وقد زارت بانعم ليلة * يعانقنى حتى الصباح صباح
على عاتقى من ساعديها حمائل * وفى خصرها من ساعدى وشاح

وابن الزقاق هذا له فى النظم والغوص على المعانى الباع المديد ومن نظمه قوله

رئيس الشرق محمود السجايا * يقصر عن مدائحه البليغ

نسميه

على مروان ما كان لهم من الشروط على معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية بن يزيد منها أن يفرض لهم لالفى رجل ألفين ألفين وان مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه وعلى أن يكون لهم الامر والنهى وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فعن رأى منه ومشورة فرضى مروان بذلك وانقادوا اليه وقال له مالك بن هبيرة اليشكرى انه ليست لك فى أعناقنا بيعة وليس نقاتل عن عرض دنيا فان تكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك وان تكن الاخرى فوالله ماقريش عندنا الاسواء فأجابه مروان الى ماسأل وسار مروان نحو الضحاك ابن قيس الفهرى وقد انحازت قيس وسائر مضر وغيرهم من نزار الى الضحاك ومعه أناس من قضاعة عليهم وائل بن عمرو العدوى وكانت معه راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابيه وأظهر الضحاك ومن معه خلافة ابن الزبير والتقى مروان والضحاك ومن معهما بمرج راهط على أميال من دمشق فكانت بينهم الحروب سجالا وكثرت اليمانية عليهم وبواديها مع مروان فقتل الضحاك ابن قيس رئيس جيش ابن الزبير قتله رجل من تيم اللات وقتل معه نزار وأكثرهم من قيس

نسيمه يحيي وهو ميت * كما ان السليم هو اللديغ
يعاف الورد ان ظمئت حشاه * وفي مال اليتيم له ولوغ

وقوله
كتبت ولو أنني أستطيع * لاجلال قدرك بين البشر
قددت اليراعة من أنملي * وكان المداد سواد البصر

وقوله
غرير يباري الصبح اشراق خده * وفي مفرق الظلماء منه نصيب
ترف بفيه ضاحكا اقحوانة * ويهتز في برديه منه قضيب

وقوله
ومهفهف نبت الشقيق بخده * واهتز أملود النقا في برده
ماء الشبيبة والغرام أرق من * صقل الحسام المنتقى وفرنده
يحيي الورى بتحية من وصله * من بعد ما وردوا الحمام بصده
ان كنت أهديت الفؤاد له فقل * أي الجوى بجوانحي لم يهده

وقوله
أرق نسيم الصبا عرفه * وراق قضيب النقا عطفه
ومر بنا يتهادى وقد * نضى سيف أجفانه طرفه
ومد لتسليمه راحة * تخال الاقاح دنا قطفه
اشارت بتقبيلها للسلام * فقال في ليتني كفه

وقوله
بأبي من لم يدع لي لحظه * في الهوى من رمق حين رمق
جمعت نكهته في ثغره * عبقا في نسق يسبي الحدق
وبدت خجلته في خده * شفقا في فلق تحت غسق

وقال
وعشية لبست ملاءة شقيق * تزهى بلون للخدود أنيق
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما * أبقى الحياء بوجنتي معشوق
لو أستطيع شربتها كلفا بها * وعدلت فيها عن كؤس رحيق

وقال في مسامرة كتاب زعماء
لله ليلتنا التي استجدى بها * فلق الصباح لسدفة الاظلام
طرأت علي مع النجوم بأنجم * من فتية بيض الوجوه كرام
ان حوربوا فزعوا الى بيض الظبا * أو خوطبوا فزعوا الى الاقلام
فترى البلاغة ان نظرت اليهم * والبأس بين يراعة وحسام

وقال
ومجدين في السرى قد تعاطوا * غفوات الهوى بغير كؤس
جنحوا وانحنوا على العيس حتى * خلتهم يعتبون أيدي العيس
نبذوا الغمض وهو حلو الى أن * وجدوه سلافة في الرؤس

وقال
وحبب يوم السبت عندي أنني * ينادمني فيه الذي أنا أحببت
ومن أعجب الاشياء أني مسلم * حنيف ولكن خير أيامي السبت

ولنقتصر من نساء الاندلس على هذا المقدار ونعد الى ما كنا فيه من جلب كلام بلغاء الاندلس ذوي الاقدار فنقول قال الخفاجي رحمه الله تعالى

وهاتفة في البان تملي غرامها * علينا وتتلو من صبابتها صحفا

مقتلة عظيمة لم ير مثلها قط وفي ذلك يقول مروان بن الحكم لما رأيت الناس صاروا حزبا * والمال لا يؤخذ الا غصبا
دعوت غسانا لهم وكلبا
والسكسكيين رجالا غلبا
والقين تمشي في الحديد نكبا
والاعوجيات يثبن وثبا
يحملن سروات ودينا صلبا
وفي ذلك يقول أخوه عبد الرحمن بن الحكم
أرى أحاديث اهل المجد قد بلغت
أهل الفرات وأهل الفيض والنيل
وكان زفر بن الحرث العامري ثم الكلابي مع الضحاك فلما أمعن السيف في قومه ولى ومعه رجلان من بني سليم فقص فرساهما وغشيتهما اليمانية من خيل مروان فقالا له انج بنفسك فانا مقتولان فولى راكضا ولحق الرجلان فقتلا وفي هذا اليوم يقول زفر بن الحرث الكلابي من أبيات كثيرة
لعمري لقد أبقت وقيعة راهط
لمروان صدعا بيننا متنائيا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى
وتبقى حزازات النفوس كما هيا
أريني سلاحي لا أبا لك انني
أرى الحرب لا تزداد الا تماديا
أتذهب كلب لم تنلها رماحنا
وتترك قتلى راهط هي ماهيا
فلم ير مني نبوة بعد هذه * فراري وتركي صاحبي ورائيا
عشية أغدو في الفريقين لا أرى *

من القوم الامن على ولاليا * أيذهب يوم واحد ان أسأته بصالح أيامى وحسن بلائيا * أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا
ومقتل همام أمنى الامانيا وتلاحق الناس ممن حضر الوقعة من أجنادهم بارض الشام وكان النعمان بن
بشير واليا على حمص قد خطب لابن الزبير مماثلا للضحاك فلما بلغه قتله وهزيمة الزبيرية خرج عن حمص هاربا فسار ليلته جمعاء متحيرا لايدرى أين يأخذ فاتبعه خالد بن عدى الكلاعى فيمن خف معه من أهل حمص فلحقه وقتله وبعث برأسه الى مروان وانتهى زفر بن الحرث الكلابى فى هزيمته الى قرقيسيا فغلب عليها واستقام الشام لمروان وبث فيه رجاله وعماله وسار مروان فى جنوده من الشام الى أهل مصر فحاصرها وخندق عليها خندقا مما يلى المقبرة وكانوا زبيرية عليهم لابن الزبير عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم وسيد الفسطاط يومئذ وزعيمها أبو رشد بن كريب بن ابرهة بن الصباح فكان بينهم وبين مروان قتال يسير وتوافقوا على الصلح وقتل مروان أكدر بن الحمام صبرا وكان فارس مصر فقال أبو رشد بن لمروان ان شئت والله أعدناها جذعة يعنى يوم الدار بالمدينة فقال مروان ماأشاء من ذلك شيأ وانصرف عنها وقد استعمل عليها ابنه عبد العزيز
وقدم مروان الشام فنزل الصبرة على ميلين من طبرية من بلاد الاردن فاحضر حسان بن مالك وأرغبه وأرهبه فقام
حسان فى الناس خطيبا ودعاهم الى بيعة عبد الملك بن مروان بعد مروان وبيعة عبد العزيز بن ولم

عجبت لها تشكو الفراق جهالة * وقد جاوبت من كل ناحية الفا
ويشجى قلوب العاشقين أنينها * ومافهموا مما تغنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى * لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

وقال الاستاذ أبو محمد بن صارة

متى تلتقى عيناى بدر مكارم * تود الثريا أنها من مواطئه
ولما أهل المدلجون بذكره * وفاح تراب البيد مسكا لواطئه
عرفنا بحسن الذكر حسن صنيعه * كما عرف الوادى بخضرة شاطئه

وقال يتغزل

يامن تعرض دونه شحط النوى * فاستشرفت لحديثه اسماعى
انى لمن يحظى بقربك حاسد * ونواظرى يحسدن فيك رقاعى
لم تطوك الايام عنى انما * نقلتك من عينى الى أضلاعى

وقال الاديب أبو القاسم بن العطار

عبرنا سماء الجو والنهر مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس فى تلك البرود رقوم

وله أيضا

لله بهجة نزهة ضربت به * فوق الغدير رواقها الانسام
فمع الاصيل النهر درع سابغ * ومع الضحى يلتاح فيه حسام

وقال أيضا

هبت الريح بالعشى فحاكت * زرد الغدير ناهيك جنه
وانجلى البدر بعد هذا فحاكت * كفه للقتال منه أسنه

وقال أيضا

لله حسن حديقة بسطت لنا * منها النفوس سوالف ومعاطف
تختال فى حلل الربيع وحليه * ومن الربيع قلائد ومطارف

وله

وسنان ماان يزال عارضه * يعطف قلبى بعطفة اللام
أسلمنى للهوى فواحزنى * أن سرنى عفتى واسلامى
لحاظه أسهم وحاجبه * قوس وانسان عينه رامى

وارتجل أبو جعفر بن خاتمة رحمه الله تعالى لما بات فى قرية بيش

لله منزلنا بقرية بيش * كاد الهوى فيها ادكارا بى يشى
رحنا اليها والبطاح كانها * صحف مذهبة بابريز العشى

فأجازه الوزير ابن جزى بقوله

فى فتية هزت حميا الانس من * أعطافهم فالكل منها منتشى
يأتى علاهم بالصحيح ولفظهم * بالمنتقى وجمالهم بالمدهش

وقال السلطان أبو الحجاج الناصر النصرى مرتجلا أيام مقامه بظاهر جبل الفتح سنة ٨٢٥

ولم يتركوا أوطانهم بمرادهم * ولكن لأحوال أشابت مفارقى
أقام بها ليل التهانى تقلبا * وقد سكنت جهلا نفوس الخلائق
فعوضتها ليل الصبابة بالسرى * وأنس التلاقى بالحبيب المفارق

ولم يثنني طرف من النور ناعس * ولا معطف للبان وسط الحدائق
ولا منهض الاشبال في عقر غيرهم * ولا ملعب الغزلان فوق النمارق
وعاطيتها صبح الدياجي مدامة * تميل بها الركبان فوق الايانق
اذا ماقطعنا بالمطي تنوفة * دجلنا الأخرى بالجياد السوابق
بحيث التقى موسى مع الخضر آية * عسى ترجع العقبى كموسى وطارق

وله

من عاذري من غزال زانه حور * قدهام لما بدا في حسنه البشر
ألحاظه كسيوف الهند ماضية * لها بقلبي وان سالمتها أثر

وقال القاضي أبو القاسم بن حاتم

شكوت بما دهاك وكان سرا * لمن ليست مودته صحيحه
فتلك مصيبة عادت ثلاثا * لصحبتها الشماتة والفضيحه

وقال الفقيه محمد بن سعيد الاندلسي مخاطبا للغنتيه الغفار

خفف علينا قليلا أيها العلم * فربما كان فينا من به ألم
لا يستطيع نهوضا من تأمله * وان تمادى قليلا خانت القدم
كفى وصية مولانا وسيدنا * محمد فاسمعوا ما قال والتزموا

وقال ابن جبير اليحصبي فيمن أهدى اليه تفاحا

خليل لم يزل قلبي قديما * يميل بفرط صاغية اليه
أتاني مقبلا والبشر يبدي * وسائل برة كرمت لديه
وجاء بعرف تفاح ذكي * فقلت أتى الخليل بسيبويه
فأهدى من جناه بكل شكل * يلوح جمال مهديها عليه

وقال قاضي مالقة سيدي ابراهيم البدوي

قطعت باسي فصنت وجهي * عن الوقوف لذي وجاهه
قصدت ربي فكان حسبي * ألبسني فضله وجاهه
فلا يرى يثني عناني * مدى حياتي الاتجاهه

وقال ابن خليل السكوني في فهرسته شاهدت بجامع العديس باشبيلية ربعة مصحف في أسفار يحيى به لنحو خطوط الكوفة الا انه أحسن خطا وأبينه وأبرعه وأتقنه فقال لي الشيخ الاستاذ أبو الحسين بن الطفيل بن عظيمة هذا خط ابن مقلة وأنشد

خط ابن مقلة من ارعاه مقلته * ودت جوارحه لو أنها مقل

ثم قسنا حروفه بالضابط فوجدنا أنواعها تتماثل في القدر والوضع فالالفات على قدر واحد واللامات كذلك والكافات والواوات وغيرها بهذه النسبة انتهى (قلت) رأيت بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مصحفا بخط ياقوت المستعصمي بهذه المثابة وهو من الاوقاف الرستمية ورأيت بالحجرة الشريفة على صاحبها الصلاة والسلام مصحفا مكتوبا في آخره ماصورته كتبته بقلم واحد فقط ماقط الا مرة فقط انتهى (رجع) وقال ابن عبدون رحمه الله تعالى

مروان بعد عبد الملك فلم يخالفه في ذلك أحد وهلك مروان بدمشق في هذه السنة وهي سنة خمس وستين وقد تنازع أهل التواريخ وأصحاب السير ومن عني باخبارهم في سبب وفاته فمنهم من رأى أنه مات مطعونا ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أن فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة أم خالد ابن يزيد بن معاوية هي التي قتلته وذلك ان مروان حين أخذ البيعة لنفسه ولخالد بن يزيد بعده وعمرو ابن سعيد بن خالد ثم بدا له غير ذلك فجعلها لابنه عبد الملك بعده ثم لابنه عبد العزيز ودخل عليه خالد بن يزيد فكلمه وأغلظ له فغضب من ذلك وقال أتكلمني يا ابن الرطبة وكان مروان قد تزوج بأمه فاختة ليذله بذلك ويضع منه فدخل خالد على أمه فقبح لها تزوجها بمروان وشكا اليها ما نزل به منه فقالت لا يعيبك بعدها فمنهم من رأى انها وضعت على نفسه وسادة وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات ومنهم من رأى انها أعدت له لبنا مسموما فلما دخل عليها ناولته اياه فشرب فلما استقر في جوفه وقع يجود بنفسه وامسك لسانه فحضره عبد الملك وغيره من ولده فجعل مروان يشير الى أم خالد يخبرهم انها قتلته وأم خالد تقول بأبي أنت حتى عند النزع لم تشتغل عني انه يوصيكم بي حتى هلك فكانت أيامه تسعة أشهر وأياما قلائل وقيل ثمانية وأشهر وقيل غير ذلك مما سنورده عند ذكرنا المدة التي هلكت فيها بنو أمية

من الاعوام فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهلك مروان وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد ذكر غير ذلك في سنه وكان قصيرا أحمر ومولده لسنتين .. خلتا من الهجرة وهلك بعد أخذ البيعة لولده بثلاثة أشهر وقد ذكر ابن أبي خيثمة في كتابه في التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي ومروان له ثمان سنين وكان لمروان عشرون أخا وثمان أخوات وله من الولد أحد عشر ذكرا وثلاث بنات وهم عبد الملك وعبد العزيز وعبد الله وأبان وداود وعمرو وأم عمرو وعبد الرحمن وأم عثمان وعمرو وأم عمرو وبشر ومحمد ومعاوية وقد ذكرناهؤلاء ومن أعقب منهم ومن لم يعقب وقد كان يزيد بن معاوية خلف من الولد أكثر مما خلف مروان وذلك أنه خلف معاوية وخالدا وعبد الله الاكبر وأبا سفيان وعبد الله الاصغر وعمرا وعاتكة وعبد الرحمن وعبد الله الذي لقبه الاصغر وعثمان وعتبة الاعور وأبا بكر ومحمدا ويزيد وأم يزيد وأم عبد الرحمن ورملة وصفية

(ذكر أيام عبد الملك بن مروان)

وبويع عبد الملك بن مروان ليلة الاحد غرة شهر رمضان من سنة خمس وستين ثم بعث الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن الزبير ومن معه من الناس بمكة فقتل عبد الله يوم الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وكانت ولاية ابن الزبير تسع سنين وعشر ليال

أذهبن من فرق الفراق نفوسا * ونثرن من در الدموع نفيسا
فتبعتها نظر الشجي فحدقت * رقباؤها نحوي عيونا شوسا
وحللن عقد الصبر اذ ودعنني * فحللن أفلاك الخدور شموسا
حلته اذ حلته حتى خلته * عرشا لها وحسبتها بلقيسا
فازور جانبها وكان جوابها * لو كنت تهوانا صحبت العيسا

وهي طويلة (قلت) ما أظن لسان الدين نسج قصيدته من هذا البحر والروي الاعلى منوال هذه وان كان الحافظ التنسي قال انه نسجها على منوال قصيدة أبي تمام حسبما ذكرنا ذلك في محله فليراجع * وقال أبو عبد الله بن المناصف قاضي بلنسية ومرسية رحمه الله تعالى

ألزمت نفسي خمولا * عن رتبة الاعلام
لا يخسف البدر الا * ظهوره في تمام

وتذكرت به قول غيره

ليس الخمول بعار * على امرئ ذي جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالي

وقال الوزير ابن عمار وقد كتب له أبو المطرف بن الدباغ شافعا لغلام طرله عذار

أتاني كتابك مستشفعا * بوجه أبي الحسن من ورده
ومن قبل فضي ختم الكتاب * قرأت الشفاعة في خده

وقال القاضي الاديب والفيلسوف الاريب أبو الوليد الوقشي قاضي طليطلة

برح بي أن علوم الورى * قسمان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها * وباطل تحصيله لا يفيد

وقال أبو عبد الله بن الصفار وهو من بيت القضاء والعلم بقرطبة

لا تحسب الناس سواء متى * ما اشتبهوا فالناس أطوار
وانظر الى الاحجار في بعضها * ماء وبعض ضمنه نار

وهذا مثل قول غيره

الناس كالارض ومنها هم * من خشن الطبع ومن لين
مرو تشكى الرجل منه الوجى * واثمد يجعل في الاعين

ومن نظم ابن الصفار المذكور

اذا نويت انقطاعا * فاعمل حساب الرجوع

وقال أبو مروان الجزيري

ومن العجائب والعجائب جمة * أن يلهج الاعمى بعيب الاعور

وقال حسان بن المصيصي كاتب الظافر بن عباد ملك قرطبة

لا تأمنن من العدو لبعده * ان امرأ القيس اشتكى الطماحا

وقال الشيخ الاكبر سيدي محيي الدين بن عربي قدس سره العزيز في كتابه الاسفار عن نتائج الاسفار أنشدني الكاتب الاديب أبو عمرو بن مهيب باشبيلية أبياتا عملها في حمود بن ابراهيم

ابن

ابن أبي بكر الهرعي وكان أجمل أهل زمانه رآه عندنا زائراً وقد خط عذاره فقلت يا أبا عمرو ما تنظر الى حسن هذا الوجه فعمل الابيات في ذلك وهي

وقالوا العذار جناح الهوى * اذا ما استوى طار عن وكره
وليس كذلك نخبرهم * قساما بعذري أو عذره
اذا كمل الحسن في وجنة * نختامه ويك مسن شعره

انتهى *قال بعضهم رأيت آخر الكتاب المذكور بعد فراغه شعراً نسبه اليه وهو

أيا حاضراً بجماله في خاطري * ومحجباً بجلاله عن ناظري
ان غبت عن عيني فانك نورها * وضمير سرك سائر في سائري
ومن العجائب أنني أبداً الى * رؤياك ذو شوق مديد وافر
مع انني ما كنت قط بمجلس * الا وكنت منادمي ومسامري

انتهى *وأنشد في الاحاطة لعبد الله الجذامي

أيا سيدي أشكو لمجدك أنني * صددت مراراً عن مثولي بساحتك
شكاة اشتياق أنت حقا طبيبها * وما راحتي الا بتقبيل راحتك

قال وهو عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد الجذامي فاضل ملازم للقراءة عاكف على الخير مشارك في العربية خاطب للرياسة الادبية اختص بالامير أبي علي المنصور ابن السلطان أيام مقامه بالاندلس ومما خاطبه به معتذراً أيا سيدي البيتين انتهى *وقال في ترجمة عبد الله بن أحمد المالقي قاضي غرناطة وكان فقيها بارع الادب انه كتب الى أبي نصر صاحب القلائد والمطمع أثناء رسالة بقوله

تفتحت الكتابة عن نسيم * نسيم المسك في خلق كريم
أبا نصر رسمت لها رسوماً * تخال رسومها وضح النجوم
وقد كانت عفت فأنرت منها * سراجا لاح في الليل البهيم
فتحت من الصناعة كل باب * فصارت في طريق مستقيم
فكتاب الزمان ولست منهم * اذا راموا مرامك في همو م
فأقس بابدع منك لفظا * ولاسحبان مثلك في العلوم

انتهى *وقال الذهبي وقد جرى ذكر محمد بن الحسن المذحجي الاندلسي بن الكتاني انه أديب شاعر متفنن ذو تصانيف حمل عنه ابن حزم ومن شعره

ألا قد هجرنا الهجر واتصل الوصل * وبانت ليالي البين واجتمع الشمل
فسعدى نديمي والمدامة ريقها * ووجنتها روضي وتقبيلها النقل

وقال العلامة محمد بن عبد الرحمن الغرناطي

الشعب ثم قبيلة وعمارة * بطن وفخذ والفصيلة تابعه
فالشعب مجتمع القبيلة كلها * ثم القبيلة للعمارة جامعه
والبطن تجمعه العمائر فاعلمن * والفخذ تجمعه البطون الواسعه
والفخذ يجمع للفصائل ها كها * جاءت على نسق لها متتابعه

وسنذكر مدة ابن الزبير بعد هذا الموضع من هذا الكتاب عند ذكرنا الجامع ملك بني أمية ثم هاجت فتنة ابن الاشعث في شعبان من سنة اثنتين وثمانين ثم توفي عبد الملك بن مروان بدمشق يوم السبت لاربع عشرة مضت من شوّال سنة ست وثمانين وكانت ولايته من منذ بويع الى ان توفي احدى وعشرين سنة وشهراً ونصفاً وبقي بعد عبد الله بن الزبير واجتماع من اجتمع عليه من الناس ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر الا سبع ليال وسنذكر ما فعله من وقت استقامة من استقام له من الناس وقبض وهو ابن ست وستين سنة وقيل أكثر من ذلك وكان يحب الشعر والفخر والتقريظ والمدح وكان عماله على مثل مذهبه فالحجاج بالعراق والمهلب بخراسان وهشام ابن اسمعيل بالمدينة وغيرهم بغيرها وكان الحجاج من أظلمهم وأسفكهم للدماء وسنذكر في هذا الكتاب جوامع من ذكره فيما يلي هذا الباب

(ذكر جمل من افعاله وسيره ولمع مما كان في أيامه ونوادر من اخباره)

ولما أفضى الامر الى عبد الملك بن مروان تاقت نفسه الى محادثة الرجال والاشراف في أخبار الناس فلم يجد من يصلح لمنادمته غير الشعبي فلما حمل اليه ونادمه قال له يا شعبي لا تساعدني على ما قبح ولا ترد على الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف أصبح الامير وكيف أمسى وكلمني بقدر

خزيمة شعب وان كنانة * لقبيلة منها الفضائل شائعة
وقريشها تسمى العمارة يافتى * وقصى بطن للاعادى قامعة
ذا هاشم فخذ وذا عباسها * أثر الفصيلة لا تناط بسابعة

وكتبت هذه الابيات وان لم تشتمل على بلاغة لما فيها من الفائدة ولان بعض الناس سألنى فيها لغرابتها والاعمال بالنيات * ولما دخل أبو محمد الكلابى الجيانى على القاضى ابن رشد قام له فأنشده أبو محمد بديهة

قام لى السيد الهمام * قاضى قضاة الورى الامام
فقلت قم بى ولا تقم لى * فقلما يؤكل القيام

وقال أبو عبد الرحمن بن جحاف البلنسى

لئن كان الزمان أراد حطى * وحاربنى بانياب وظفر
كفانى أن تصافينى المعالى * وان عاديتنى يا أم دفر
فما عز اللئيم وان تسامى * ولا هان الكريم بغير وفر

وقال أبو محمد بن برطلة

ألا انما سيف الفتى صنو نفسه * فنافس باوفى ذمة واخاء
يزينك مرأى أو يعينك حاجة * فيحسن حالى شدة ورخاء

وقال أيضا

أنفسى صبرا لا يروعك حادث * بارتاجه واستشعرى عاجل الفتح
فرب اشتداد فى الخطوب لفرجة * كما انشق ليل طال عن فلق الصبح

وقال أيضا

متى يدنو لوعدكم انتجاز * ويبعد عن حقيقته المجاز
أيجمل أن يؤمكم رجائى * فيوقف لا يرد ولا يجاز
وجدكم كفيل بالامانى * ومطلوبى قريب مستجاز
اذا ما أمكنت فرص المساعى * فعجز أن يطاولها انتهاز
وها أنا قد هززتكم حساما * ويحسن للمهند اهتزاز
فما الانصاف أن يمضى كهام * ويودع غمده العضب الجراز
كأنعم العراق بعذب بحر * ويشقى بالظما البرح الحجاز
فأعيى الناس فى المقدار حلم * تجاذبه خمول واعتزاز

وأنشد الشيخ أبو بكر بن حبيش لابن وضاح البيت المشهور وهو

اسرى وأسير فى الآفاق من قمر * ومن نسيم ومن طيف ومن مثل

وابن حبيش المذكور هو أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش بفتح الحاء وقد عرف به تلميذه ابن رشيد الفهرى فى رحلته فقال بعد كلام أما النظم فبيده عنانه وأما النثر فمال اليه توكف له بنانه مع تواضع زائد على صلة مخبره عائد لقيته بمنزله ليوم أو يومين من مقدمى على تونس فتلقى بكل فن يونس وصادفته بحالة مرض من وثء فى رجله عرض وعنده جملة من العواد من الصدور الامجاد فأدنى وقرب وسهل ورحب وتفاوض

ما أستطعمك واجعل بدل المدح لى صواب الاستماع منى واعلم أن صواب الاستماع أكثر من صواب القول واذا سمعتنى أتحدث فلا يفوتنك منه شئ وأرنى فهمك من طرفك وسمعك ولا تجهد نفسك فى تطرية صوابى ولا تستدع بذلك الزيادة فى كلامى فان اسوأ الناس حالا من استكد الملوك بالباطل وان اسوأ الناس حالا منهم من استخف بحقهم واعلم يا شعبى أن أقل من هذا يذهب بسالف الاحسان ويسقط حق الحرمة فان الصمت فى موضعه ربما كان أبلغ من المنطق فى موضعه وعند اصابته وفرصته وقال عبد الملك للشعبى يوما من أين يهب الريح قال لا علم لى يا أمير المؤمنين قال عبد الملك اما مهب الشمال فمن مطلع بنات نعش وأما مهب الصبا فمن مطلع الشمس الى مطلع سهيل وأما الجنوب فمن مطلع سهيل الى مغرب الشمس واما الدبور فمن مغرب الشمس الى مطلع بنات نعش وفى سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه ورأوا انهم قد اخطؤا خطأ كبيرا بدعاء الحسين اياهم ولم يجيبوه ولمقتله الى جانبهم فلم ينصروه ورأوا انهم لا يغسل عنهم ذلك الجرم أولئك

أولئك الصدور فى فنون من الادب كانها الشذور الى أن خاضوا فى الاحاجى واستضاؤا بأنوار أفكارهم فى تلك الدياجى فخضت معهم فى الحديث وأنشدتهم بيتين كنت صنعتهما وأنا حديث لقصة بلغتنى عن أبى الحسن سهل بن مالك وهى انه كان يسائل أصحابه وهو فى المكتب و يقول لهم أخرجوا اسمى فكل ينطق على تقديره فيقول لهم انكم لم تصيبوه مع انه سهل فنظمت هذا المعنى فقلت

وما اسم فكه سهل يسير * يكون مصغر الجسم يسير
مصحفه له فى العين حسن * وقلبى عند صاحبه أسير

وكان الشيخ أبو بكر على فراشه فزحف مع ما به من ألم الى محبرة وطرس وقلم وكتب البيتين بخطه وقال للحاضرين ارووا هذين البيتين عن قائلهما * ومن شيوخ ابن حبيش المذكور أبو عبد الله بن عسكر المالقى ‟ كتب له ولاخيه أبى الحسين بخطه اجازة جميع ما يجوز له وعنه وضمن آخرها هذه الابيات

اجبتكما لكن مقر بانى * اقصر فيما رمتما عن مداكما
فانكما بدران فى العلم أشرقا * فسلم اذعانا وقسرا عداكما
فسيروا على حكم الوداد فاننى * أجود بنفسى أن تكون فداكما

قال ابن رشيد وقد جمع صاحبنا أبو العباس الاشعرى لابن حبيش فهرسة جامعة ولما وقف عليها ابن حبيش كتب فى أولها ما نصه الحمد لله حق حمده أحسن هذا الفاضل فيما صنع أحسن الله اليه وبالغ فيما جمع بلغ الله تعالى به أشرف المراتب لديه غير أنى أقول واحده ما سر برتى لها بجاحده وأصرح بمقال لا يسعنى كتمه بحال والله ما أنا للاجادة باهل ولا مرامها الذى بسهل اذ من شرط المجيز أن يعد فيمن كمل و يعد العلم والعمل اللهم غفرا كيف ينيل من عدم وفرا أو يجيز من أصبح صدره من المعارف قفرا وصحيفته من الصالحات صفرا وكيف يرتسم فى ديوان الجله من يتسم بالافعال المخله ومتى يقترن الشبه بالابريز أو يوصف السكيت بالتبريز ومن ضعف النهى مجانسة الاقمار بالسها ومن أعظم التوبيخ تشيخ من لا يصلح للتشييخ وان هذا المجموع ليروق ويعجب ولكنه جمع لمن لا يستوجب وان القراءة قد تحصلت ولكن القواعد ما تأصلت وان القارئ علم ولكن المقروء عليه عدم ولقد شكرت لهذا السرى ما جلب وكنت مسعفا له بما طلب وقرنت الى دره هذا المخشلب قلت وحلى عطل ونطقى عطل مكره أخاك لا بطل والله سبحانه وتعالى ينفع بما أخلص له عند الاعتقاد ويسمح للبهرج عند الانتقاد كتبه العبد المذنب محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش اللخمى حامدا الله تعالى ومصليا على نبيه الكريم المصطفى وعلى آله أعلام الطهارة والهدى ومسلما تسليما * وكتب أيضا رحمه الله تعالى فى جواب استجازة المسؤل مبذول ان شاء الله تعالى على التنجيز ولكن شروط الاجازة موجودة فى المجاز معدومة فى المجيز والله تعالى يصفح بكرمه ومنه ويشكر كل فاضل على ٣ تحصيل ظنه وهو المسؤل سبحانه أن يحفظ بعنايته مهجاتهم ويرفع بالعلم والعمل درجاتهم ويمتعهم بالكمال الرائق المعجب ويقر بالنجيبين عين المنجب كتبه ابن حبيش انتهى

الاقتل من قتله أو القتل فيه ففزعوا الى خمسة نفر منهم سليمان بن صرد الخزاعى والمسيب بن محمد الفزارى وعبد الله بن سعد بن نفيل الازدى وعبد الله بن وال التميمى ورفاعة بن شداد البجلى فعسكروا بالنخيلة بعد أن كان لهم مع المختار ابن عبيد الثقفى خطب طويل بتثبيطه الناس عنهم ممن أراد الخروج معهم ففى ذلك يقول عبد الله ابن الاحمر يحرض على الخروج والقتال من أبيات

صحوت وقد صحوا الصبى والعواديا
وقلت لاصحابى أجيبوا المناديا
وقولوا له اذ قام يدعو الى الهدى
وقبل الدعا لبيك لبيك داعيا

فى شعر طويل يحث فيه على الخروج ويرثى الحسين ومن قتل معه ويلوم شيعته بتخلفهم عنه ويذكر أنهم قد تابوا الى الله وأنابوا اليه من الكبائر التى ارتكبوها اذ لم ينصروه ويقول أيضا فى هذا الشعر

الا وانع خير الناس جدا ووالدا
حسينا لاهل الدين ان كنت ناعيا
ليبك حسينا مرمل ذو خصاصة
عديم وأيتام تشكى المواليا
فاضحى حسين للرماح درية * وغودر مسلوبا لدى الطف ثاويا

سقى الله قبرا ضمن المجد والتقى
بغربية الطف الغمام الغواديا
فيا أمة تاهت وضلت سفاهة
انيبوا فأرضوا الواحد المتعاليا
ثم ساروا يقدمهم من سمينا من الرؤساء وعبيد الله ابن الاحمر يقول
خرجن يلمعن بنا أرسالا
عوابسا تحملنا أبطالا
تريد أن نلقى بها الاقيالا
القاسطين الغدر الضلالا
وقد رفضنا الولد والاموالا
والخفرات البيض والحجالا
نرضى به ذا النعم المفضالا
فانتهوا الى قرقيسياء من شاطئ الفرات وبها زفر بن الحرث الكلابي فاخرج اليهم الانزال وساروا من قرقيسياء ليسبقوا الى عين الوردة وقد كان عبد الله بن زياد توجه من الشام الى حربهم فى ثلاثين الفا وانفصل على مقدمته من الرقة خمسة أمراء منهم الحصين بن نمير السلولى وشراحيل بن ذى الكلاع الحميرى وادهم بن محرز الباهلى وربيعة بن المخارق الغنوى وجبلة بن عبد الله الخثعمى حتى اذا صاروا الى عين الوردة التقى الاقوام وقد كان قبل ذلك لهم مناوشات فى الطلائع فاستشهد سليمان بن صرد الخزاعى ولما

وقال الوزير الكاتب أبو بكر بن القبطرنة يستجدى بازيا من المنصور بن الافطس صاحب بطليوس

يا أيها الملك الذى آباؤه * شم الانوف من الطراز الاول
حليت بالنعم الجسام قسيمة * عنقى فخل يدى كذاك بأجدل
وامنن به ضافى الجناح كأنما * جذبت قوائمه بريح شمأل
متلفتا والطل ينثر برده * منه على مثل اليمانى المخمل
أغدو به عجبا أصرف فى يدى * ريحا وآخذ مطلقا بمكبل

وأدخلت على المعتمد يوما باكورة نرجس فكتب الى ابن عمار يستدعيه

قد زارنا النرجس الذكى * وآن من يومنا العشى
وعندنا مجلس أنيق * وقد ظمئنا وفيه رى
ولى خليل غدا سميي * ياليته ساعد السمى

فأجاب ابن عمار

لبيك لبيك من مناد * له الندى الرحب والندى
ها أنا بالباب عبد قن * قبلته وجهك السنى
شرفه والداه باسم * شرفته أنت والنبى

واصطبح المعتمد يوم غيم مع أم الربيع واحتجب عن الندماء فكتب اليه ابن عمار

تجهم وجه الافق واعتلت النفس * لان لم تلح للعين أنت ولا شمس
فان كان هذا منكما عن توافق * وضمكما أنس فيهنيكما الانس

فأجابه المعتمد بقوله

خليلى قولا هل على ملامة * اذا لم أغب الا تحضرنى الشمس
وأهدى بأكواس المدام كواكبا * اذا أبصرتها العين هشت لها النفس
سلام سلام أنتما الانس كله * وان غبتما أم الربيع هى الانس

واستدعى جماعة من اخوان ابن عمار منه شرابا فى موضع هو فيه منقود فبعث لهم به وبرمانتين وتفاحتين وكتب لهم مع ذلك

خذاها مثل ما استدعيتماها * عروسا لاترف الى اللئام
ودونكم بها ثديى فتاة * أضفت اليهما ذقنى غلام

وشرب ذو الوزارتين القائد أبو عيسى بن لبون مع الوزراء والكتاب ببطحاء لورقة عند أخيه وابن اليسع غائب فكتب اليه

لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا * والمزن يسكن أحيانا وينحدر
والارض مصفرة بالمزن طافية * أبصرت دراعيه التبر ينتثر

وقال الجارى من القصيدة المشهورة * عليك أحالنى الذكر الجميل * فى وصف زيه البدوى المستثقل ومافى طيه

ومثلى بدن فيه خمر * يخف به ومنظره ثقيل

الحصين بن نمير بسهم فقتله فأخذ الراية المسيب بن محمد الفزاري وكان من وجوه أصحاب على رضى الله عنه وكر على القوم وهو يقول

قد علمت ميالة الذوائب
واضحة اللبات والترائب
أنى غداة الروع والمقانب
اشجع من ذى لبدة مواثب

فقاتل حتى قتل فاستقتل التوابون وكسروا أجفان السيوف وسالت عليهم عساكر أهل الشام كالليل ينادون الجنة الجنة الى التقية من أصحاب أبى تراب الجنة الجنة الى الترابية وأخذ راية التوابين عبد الله بن سعيد بن نفيل وأتاهم اخوانهم يحثون السير خلفهم من أهل البصرة وأهل المدائن فى نحو من خمسمائة فارس عليهم المثنى بن محرصة وسعيد بن حذيفة وهم يقولون أقلنا ربنا تفريطنا فقد تبنا فقيل لعبد الله بن سعيد بن نفيل وهو فى القتال ان اخواننا قد لحقوا من البصرة والمدائن فقال ذلك لو جاؤا ونحن أحياء فكان أول من استشهد فى ذلك الوقت عن لحقهم من أهل المدائن كثير بن عمرو المدنى وطعن

ولما انصرف ابن سعيد عن ابن هود عذله ابن هود على تجوله عنه فقال النفس تواقه ومالى بغير التغرب طاقه ثم قال

يقولون لى ماذا الملال تقيم فى * محل فعند الانس تذهب راحلا
فقلت لهم مثل الحسام اذا شدا * على غصن أمسى بآخر نازلا

وقد رأيت أن اكفر ما تقدم ذكره من الهزل الذى أتيت به على سبيل الاحماض بما لابد منه من الحكم والمواعظ وما يناسبها (فنقول) قال أبو العباس بن الخليل

فهموا اشارات الحبيب فهاموا * وأقام أمرهم الرشاد فقاموا
وتوسموا بمدامع منهلة * تحت الدياجى والانام نيام
وتلوا من الذكر الحكيم جوامعا * جمعت لها الالباب والافهام
ياصاح لو أبصرت ليلهم وقد * صفت القلوب وصفت الاقدام
لرأيت نور هداية قد حفهم * فسرى السرور وأشرق الاظلام
فهم العبيد الخادمون مليكهم * نعم العبيد وأفلح الخدام
سلموا من الآفات لما استسلموا * فعليهم حتى الممات سلام

وقال العالم الكبير الشهير صاحب التآليف أبو محمد عبد الحق الاشبيلى رحمه الله تعالى

قالوا صف الموت ياهذا وشدته * فقلت وامتد منى عندها الصوت
يكفيكم منه أن الناس ان وصفوا * أمرا يروعهم قالوا هو الموت

وقال الخطيب الاستاذ أبو عبد الله محمد بن صالح الكنانى الشاطبى نزيل بجاية

جعلت كتاب ربى لى بضاعه * فكيف أخاف فقرا أو اضاعه
وأعددت القناعة رأس مال * وهل شئ أعز من القناعه

وقال القاضى الكبير الاستاذ الشهير أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسى نزيل أفريقية

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة * وأنت على سوء من الفعل عاكف
واياك أن تمضى من الدهر ساعة * ولا لحظة الا وقلبك واجف
وبادر باعمال تسرك أن ترى * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه * لرب العباد بالعباد لطائف

وقال رحمه الله تعالى

أما آن للنفس أن تخشعا * أما آن للقلب أن يقلعا
أليس الثمانون قد أقبلت * فلم تبق فى لذة مطمعا
تقضى الزمان ولا مطمع * لما قد مضى منه أن يرجعا
تقضى الزمان فواحسرتى * لما فات منه وما ضيعا
وياويلتاه لذى شيبة * يطيع هوى النفس فيما دعا
وبعدا وسحقا له اذ غدا * يسمع وعظا ولن يسمعا

وقال الاستاذ الزاهد أبو اسحق الالبيرى الغرناطى رحمه الله تعالى

كل امرئ فيما يدين يدان * سبحان من لم يخل منه مكان

سعيد بن سعيد الحنفى وعبد الله بن الحنظل الطائى وقتل عبد الله بن سعيد بن نفيل فلما علم من بقى

يا عامر الدنيا ليسكنها وما * هى بالتى يبقى بها سكان
تفنى وتبقى الارض بعدك مثل ما * يبقى المناخ و يرحل الركبان
أأسر فى الدنيا بكل زيادة * وزيادتى فيها هى النقصان

وقال أيضا رحمه الله تعالى

وذى غنى أوهمته همته * ان الغنى عنه غير منفصل
يجر أذيال عجبه بطرا * واختال للكبرياء فى الحلل
نزته أيدى الخطوب بزته * فاعتاض بعد الجديد بالسمل
فلا تثق بالغنى فآفته الـ * فقر وصرف الزمان ذو دول
كفى ببذل الكفاف عنه غنى * فكن به فيه غير محتفل

وقال رحمه الله تعالى

لاشئ أخسر صفقة من عالم * لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرق دينه أيدى سبا * ويذيله حرصا لجمع المال
لا خير فى كسب الحرام وقلما * يرجى الخلاص لكاسب لحلال
فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة * فالفضل تسئل عنه أى سؤال

وقال رحمه الله تعالى

الشيب نبه ذا النهى فتنبها * ونهى الجهول فما استقام ولا انتهى
فالى متى ألهو وأخدع بالمنى * والشيخ أقبح ما يكون اذا لها
ما حسنه الا التقى لا أن يرى * صبا بالحاظ الجآذر والمها
أنى يقاتل وهو مفلول الشبا * كالبى الجواد اذا استقل تأوها
محق الزمان هلاله فكأنما * أبقى له منه على قدر السها
فغدا حسيرا يشتهى أن يشتهى * ولكم جرى طلق الجموح كما اشتهى
ان أن أواه وأجهش بالبكا * لذنوبه ضحك الجهول وقهقها
ليست تنبهه العظات ومثله * فى سنه قد آن أن يتنبها
فقد اللذات وزاد غيا بعدهم * هلا تيقظ بعدهم وتنبها
يا ويحه ما باله لا ينتهى * عن غيه والعمر منه قد انتهى

وقال الاستاذ ولى الله سيدى أبو عبد الله بن العريف

من لم يشافه عالما باصوله * فيقينه فى المشكلات ظنون
من أنكر الاشياء دون تيقن * وتثبت فمعاند مفتون
الكتب تذكرة لمن هو عالم * وصوابها بمحالها مرهون
والفكر غواص عليها مخرج * والحق فيها لؤلؤ مكنون

وقال أبو القاسم بن الابرش

أيأسونى لما تعاظم ذنبى * أتراهم هم الغفور الرحيم
فذرونى وما تعاظم منه * انما يغفر العظيم العظيم

وقال

من التوابين أن لا طاقة لهم بمن بازائهم من أهل الشأم انحازوا عنهم وارتحلوا عليهم رفاعة بن شداد البجلى وتأخر أبو الحويرث العبدى فى جابية الناس وطلب منهم أهل الشام المكافة والمتاركة لما رأوا من بأسهم وصبرهم مع قلتهم فلحق أهل الكوفة بمصرهم وأهل المدائن والبصرة ببلادهم وسمع التوابون فى سيرهم ورجوعهم من عين الوردة قائلا يقول رافعا عقيرته

يا عين بكى ابن الصرد
بكى اذا الليل خمد
كان اذا الباس مكد
تخاله فيه أسد
مضى حميدا قد رشد
فى طاعة الاعلى الصمد

وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من أصحاب التواريخ والسير من قتل من التوابين مع سليمان ابن صرد الخزاعى على عين الوردة وأسماءهم فقللهم وحكى أبو مخنف فى كتابه فى أخبار التوابين المترجم بعين الوردة قصيدة عزاها الى أعشى همدان طويلة يرثى بها أهل عين وردة من التوابين ويصف ما فعلوه منها

توجه من دون الثوية سائرا * الى ابن زياد فى الجموع الكتائب
فساروا وهم من بين ملتمس التقى * وآخر مما جر بالامس تائب

وقال أبو العباس بن صقر الغرناطي أو المري وأصله من سرقسطة

أرض العدو بظاهر متصنع * ان كنت مضطرا الى استرضائه
كم من فتى ألقى بوجه باسم * وجوانحي تنقد من بغضائه

وقال الكاتب الشهير الشهيد أبو عبد الله محمد بن الابار القضاعي البلنسي رحمه الله تعالى من أبيات

يا شقيق النفس أوصيك وان * شق في الاخلاص ما تنتهجه
لا تبت في كمد من كيد * رب ضيق عاد رحبا مخرجه
وبلطف الله أصبح واثقا * كل كرب فعليه فرجه

ولابن الابار المذكور ترجمة طويلة استوفيت منها ما أمكنني في أزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل للنفس به ارتياح وللعقل ارتياض قال الغبريني في عنوان الدراية لو لم يكن له من الشعر الا قصيدته السينية التي رفعها للامير أبي زكريا رحمه الله تعالى يستنجده ويستصرخه لنصرة الاندلس لكان فيها كفاية وان كان قد نقدها ناقد وطعن عليه فيها طاعن ولكن كما قال أبو العلاء المعري

تكلم بالقول المضلل حاسد * وكل كلام الحاسدين هراء

ولو لم يكن له من التآليف الا كتابه المسمى بمعادن اللجين في مراثي الحسين لكفاه في ارتفاع درجته وعلو منصبه وسمو رتبته ثم قال توفي بتونس ضحوة يوم الثلاثاء الموفي عشرين لمحرم سنة ٦٥٨ ومولده آخر شهر ربيع سنة ٥٩٥ ببلنسية رحمه الله تعالى وسامحه انتهى وقال ابن علوان انه يتصل سنده به من طرق منها من طريق الراوية أبي عبد الله محمد بن جابر القيسي الوادي آشي عن الشيخ المقري المحدث المتبحر أبي عبد الله محمد بن حيان الاوسي الاندلسي نزيل تونس عنه ومن طريق والدي صاحب عنوان الدراية عن الخطيب أبي عبد الله بن صالح عنه انتهى (قلت) وسندي اليه عن العم عن التنسي عن أبيه عن ابن مرزوق عن جده الخطيب عن ابن جابر الوادي آشي به كما مر* وقال ابن عبد ربه

بادر الى التوبة الخلصاء مجتهدا * والموت ويحك لم يمدد اليك يدا
وارقب من الله وعدا ليس يخلفه * لا بد لله من انجاز ما وعدا

وقال الصدر أبو العلاء بن قاسم القيسي

يا واقف الباب في رزق يؤمله * لا تقنطن فان الله فاتحه
ان قدر الله رزقا أنت طالبه * لا تيأسن فان الله مانحه

وقال الاعمى التطيلي

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا * أن سوف تقتلهم لذاتها بددا
قل للمحدث عن لقمان أو لبد * لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا
وللذي همه البنيان يرفعه * ان الردى لم يغادر في الثرى أحدا
ما لابن آدم لا تفنى مطامعه * يرجو غدا وعسى أن لا يعيش غدا

وقال أبو العباس التطيلي

عليهم فخيوهم ببيض قواضب
فجاءهم جمع من الشام بعده
جموع ككوج البحر من كل جانب
فما برحوا حتى أبيرت جموعهم
ولم ينج منهم ثم غير عصائب
وغودر أهل الصبر صرعى فاصبحوا
تعاورهم ريح الصبا والجنائب
وأضحى الخزاعي الرئيس مجدلا
كأن لم يقاتل مرة ويحارب
ورأس بني سمح وفارس قومه
جميعا مع التيمي هادي الكتائب
وعمرو بن عمرو وابن بشر وخالد
وبكر وزيد والحليس بن غالب
أبوا غير ضرب يفلق الهام ضربه
وطعن باطراف الاسنة صائب
فيا خير جيش للعراق وأهله
سقيتم روايا كل أسحم ساكب
فلا تبعدن فرساننا وحماتنا
اذا البيض أبدت عن خدام الكواعب
فان تقتلوا فالقتل أكرم ميتة
وكل فتى يوما لاحدى النوائب
وما قتلوا حتى أصابوا عصابة* محلين نورا كالليوث الضوارب وقيل ان وقعة الوردة كانت في سنة ست وستين وفي أيام عبد الملك

والناس كالناس الا أن تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر
كالايك مشتبهات فى منابتها * وانما يقع التفضيل فى الثمر

وقال القاضى أبو العباس بن الغماز البلنسى

من كان يعلم لا محالة انه * لا بد أن يودى وان طال المدى
هلا استعد لمشهد يجزى به * من قد أعد من اهتدى ومن اعتدى

وقال أيضا

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة * وأنت على سوء من الفعل عاكف
واياك أن تمضى من الدهر ساعة * ولا لحظة الا وقلبك واجف
فبادر باعمال يسرك أن ترى * اذا طويت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه * لرب العباد بالعباد لطائف

ولما استوزر باديس صاحب غرناطة اليهودى الشهير بابن نغولة وأعضل داؤه المسلمين قال زاهد البيرة وغرناطة أبو اسحق الالبيرى قصيدته النونية المشهورة التى منها فى اغراء صنهاجة باليهود

الا قل لصنهاجة أجمعين * بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذى مقة مشفق * صحيح النصيحة دنيا ودين
لقد زل سيدكم زلة * أقر بها أعين الشامتين
تخير كاتبه كافرا * ولو شاء كان من المؤمنين
فعز اليهود به وانتموا * وسادوا وتاهوا على المسلمين

وهى قصيدة طويلة فثارت اذ ذاك صنهاجة على اليهود وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفيهم الوزير المذكور وعادة أهل الاندلس ان الوزير هو الكاتب فاراح الله العباد والبلاد ببركة هذا الشيخ الذى نور الحق على كلامه باد وقال أبو الطاهر الجيانى المشهور بابن أبى ركب بفتح الراء وسكون الكاف

يقول الناس فى مثل * تذكر غائبا تره
فمالى لا أرى سكنى * ولا أنسى تذكره

وكان أبو الطاهر هذا فى جلة من الطلبة فمر بهم رجل معه محبرة آبنوس تأنق فى حليتها واحتفل فى عملها فأراهم اياها وقال أريد أقصد بها بعض الاكابر وأريد أن تتمموا احتفالى بأن تصنعوا الى بينكم أبيات شعر أقدمها معها فأطرق الجماعة وقال أبو الطاهر

واقتك من عدد العلا زنجية * فى حلة من حلية تتبختر
صفراء سوداء الحلى كأنها * ليل تطرزه نجوم تزهر

فلم يغب الرجل عنهم الا يسيرا واذا به قد عاد اليهم وفى يده قلم نحاس مذهب فقال لهم وهذا أعددته للدفع مع هذه المحبرة فتفضلوا بأكمال الصنيعة عندى بذكره فبدر أبو الطاهر وقال

حملت باصفر من نجار حليها * تخفيه احيانا وحينا تظهر
خرساء الا حين يرضع ثديها * فتراه ينطق ما يشاء ويذكر

ابن مروان توفى الحرث الاعور صاحب على عليه السلام وهو الذى دخل على على فقال يا امير المؤمنين الا ترى الى الناس قد اقبلوا على هذه الاحاديث وتركوا كتاب الله قال وقد فعلوها قال نعم قال أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن اراد الهدى فى غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ عنه العقول ولا تلتبس به الالسن ولا تنقضى عجائبه ولا يعلم علم مثله هو الذى لما سمعته الجن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد من قال به صدق ومن زال عنه عدا ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم خذها اليك يا أعور (ولما كان) ومن قعة عين الوردة ما قدمنا سار عبيد الله بن زياد فى عساكر الشام يؤم العراق فلما انتهى الى الموصل وذلك فى سنة ست وستين التقى هو وابراهيم بن الاشتر النخعى وابراهيم على خيل العراق من قبل المختار بالجارد فكانت بينهم وقعة عظيمة

قال

قال ابن الابار فى تحفة القادم وحضر يومانى جماعة من أصحابه وفيهم أبو عبد الله بن زرقون فى شعبان فى مكان فلما تملؤا من الطعام قال أبو الطاهر لابن زرقون أجزيا أبا عبد الله وأنشد

حمدت لشعبان المبارك شبعة * تسهل عندى الجوع فى رمضان
كما حمد الصب المتيم زورة * تحمل فيها الهجر طول زمان

فقال دعوها بشعبانية ولوانهم * دعوها بشعبانية لكفانى

انتهى * وقال أبو عبد الله بن خميس الجزائرى

تحفظ من لسانك ليس شئ * أحق بطول سجن من لسان
وكن للصمت ملتزما اذا ما * أردت سلامة فى ذا الزمان

وقال أيضا

كن حلس بيتك مهما فتنة ظهرت * تخلص بدينك وافعل دائما حسنا
وان ظلمت فلا تحقد على أحد * ان الضغائن فاعلم تنشئ الفتنا

وقال بدالى أن خير الناس عيشا * من امنه الاله من الانام
فليس لخائف عيش لذيذ * ولو ملك العراق مع الشام

وله جانب جميع الناس تسلم منهم * ان السلامة فى مجانبة الورى
واذا رأيت من امرئ يوما أذى * لاتجزه أبدا بما منه ترى

وله من أدب ابناله صغيرا * قرت به عينه كبيرا
وارغم الانف من عدوّ * يحسد نعماه كثيرا

وقال أبو محمد بن هرون القرطبى

بيد الاله مفاتح الرزق الذى * أبوابه مفتوحة لم تغلق
عجبا لذى فقر يكلف مثله * فى الوقت شيأ عنده لم يخلق

وقال أيضا

لعمرك ما الانسان يرزق نفسه * ولكنما الرب الكريم يسخره
وما بيد المخلوق فى الرزق حيلة * تقدمه عن وقته أو تؤخره

وقال الاديب الاستاذ أبو محمد بن صارة رحمه الله تعالى

يامن يصيخ الى داعى السفاة وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر
ان كنت لاتسمع الذكرى ففيم ثوى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرها * فراقها الثاويان البدو والحضر

وقال رحمه الله تعالى فى ابنة ماتت له

ألا ياموت كنت بنا رؤفا * فجددت الحياة لنا بزوره
حماد لفعلك المشكور لما * كفيت مؤنة وسترت عوره
فأنكحنا الضريح بلا صداق * وجهزنا الفتاة بغير شوره

ذى ظليم وعبد الله بن اياس السلمى أبو سدس وغالب الباهلى وأشراف أهل الشام وذلك أن عمير بن الحباب السلمى كان على ميمنة ابن زياد فى ذلك الجيش وكان فى نفسه ما فعل بقومه من مضر وغيرهم من نزار يوم مرج راهط فصاح بالشارات قيس يالمضر يالنزار فتزاحمت نزار من مضر ورببعة على من كان معهم فى جيشهم من أهل الشام من قحطان وقد كان عمير كاتب ابراهيم بن الاشتر سرا قبل ذلك والتقيا فتوطآ على ما ذكرنا وحمل ابراهيم بن الاشتر رأس ابن زياد وغيره الى المختار فبعث به المختار الى عبد الله ابن الزبير بمكة وقد كان عبد الملك بن مروان سار فى جيوش أهل الشام فنزل بطنان ينتظر ما يكون من ابن زياد فأتاه خبر مقتله ومقتل من كان معه وهزيمة الجيش بالليل وأتاه فى تلك الليلة مقتل جيش بن دلجة وكان على جيش بالمدينة لحرب ابن الزبير ثم جاءه خبر دخول نابل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير ومسير مصعب بن الزبير من المدينة الى فلسطين ثم جاءه مسير ملك الروم لاوى بن فلقط ونزوله المصيصة يريد الشام ثم جاءه خبر دمشق وأن عبيدها

وأنشد أبو عبد الله بن الحاج البكرى الغرناطى فى بعض مجالسه قوله

يا غاديا فى غفلة ورائحا * الى متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا * يستنطق الله به الجوارحا
يا عجبا منك وكنت مبصرا * كيف تجنبت الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرا فى غد * صحيفة قد ملئت فضائحا
أم كيف ترضى أن تكون خاسرا * يوم يفوز من يكون رابحا

وممن روى عنه هذه الابيات الكاتب الرئيس أبو الحسن بن الجياب وتوفى ابن الحاج المذكور سنة ٧١٥ رحمه الله تعالى * وقال حافظ الاندلس ومحدثها أبو الربيع سليمان ابن موسى بن سالم الكلاعى رحمه الله تعالى

الهى مضت للعمر سبعون حجة * ولى حركات بعدها وسكون
فياليت شعرى أين أو كيف أو متى * يكون الذى لابدّ أن سيكون

والصواب انهما لغيره كما ذكرته فى غير هذا الموضع وبالجملة فهما من كلام الاندلسيين وان لم يحقق ناظمهما بالتعيين * وقال أبو بكر يحيى التطيلى رحمه الله تعالى

اليك بسطت الكف فى فحمة الدجا * نداء غريق فى الذنوب عريق
رجاء ضميرى كى تخلص جملتى * وكم من فريق شافع لفريق

وحكى ان بعض المغاربة كتب الى الملك الكامل بن العادل بن أيوب رقعة فى ورقة بيضاء ان قرئت فى ضوء السراج كانت فضية وان قرئت فى الشمس كانت ذهبية وان قرئت فى الظل كانت حبرا أسود وفيها هذه الابيات

لئن صدنى البحر عن موطنى * وعينى بأشواقها زاهره
فقد زخرف الله لى مكة * بأنوار كعبته الزاهره
وزخرف لى بالنبى يثربا * وبالملك الكامل القاهره

فقال الملك الكامل قل

وطيب لى بالنبى طيبة * وبالملك الكامل القاهره

وأظن أن المغربى أندلسى لقوله لئن صدنى البحر عن موطنى فلذلك أدخلته فى أخبار الاندلسيين على غير تحقيق فى ذلك والله أعلم * وأنشد أبو الوليد المعروف بابن الخليع قال أنشدنا أبو عمر بن عبد البر النمرى الحافظ

تذكرت من يبكى على مداوما * فلم ألف الا العلم بالدين والخبر
علوم كتاب الله والسنن التى * أتت عن رسول الله مع صحة الاثر
وعلم الالى من ناقديه وفهمها * له اختلفوا فى العلم بالرأى والنظر

وأنشده أيضا

مقالة ذى نصح وذات فوائد * اذا من ذوى الالباب كان استماعها
عليكم بآثار النبى فانه * من أفضل أعمال الرشاد اتباعها

وقال أبو الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب الازدى اليابرى وسكن أبوه قرطبة

مكابرة وأن خيل الاعراب أغارت على حمص وبعلبك والبقاع وغير ذلك مما نمى اليه من المقطعات فى تلك الليلة فلم ير عبد الملك فى ليلة قبلها أشد ضحكا ولا أحسن وجها ولا أبسط لسانا ولا أثبت جنانا منه تلك الليلة تجلدا وسياسة للملوك فترك اظهار الفشل وبعث باموال وهدايا الى ملك الروم فشغله وهادنه وسار الى فلسطين وبها نابل بن قيس على جيش ابن الزبير فالتقوا باجنادين فقتل نابل بن قيس وعامة أصحابه وانهزم الباقون ونعى خبر قتله وهزيمة الجيش الى مصعب بن الزبير وهو فى الطريق فولى راجعا الى المدينة ففى ذلك يقول رجل من كلب من المروانية

قتلنا باجنادين سعدا ونابلا * قصاصا بما لاقى خنيس ومنذر

ورجع عبد الملك الى دمشق فنزلها وسار ابراهيم ابن الاشتر فنزل نصيبين وتحصن منه أهل الجزيرة ثم استخلف على نصيبين ولحق بالمختار بالكوفة وفى سنة سبع وستين سار مصعب بن الزبير من البصرة وقد كان أخوه عبد الله بن الزبير أنفذه الى العراق واليا فنزل حروراء

عصيت هوى نفسى صغيرا وعندما * رمتنى الليالى بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتنى * خلقت كبيرا وانتقلت الى الصغر

وقيل ان ابنه أبا الحسن على بن عبد الملك قال بيتا مفردا فى معنى ذلك وهو

هنيئا له اذ لم يكن كابنه الذى * أطاع الهوى فى حالتيه وما اعتبر

وقيل ان هذا البيت رابع أربعة أبيات * وقال أبو اسحق بن خفاجة لما اجتمع به أبو العرب وسأله عن حاله وقد بلغ فى عمره احدى وثمانين سنة فأنشده لنفسه

أى عيش أو غذاء أو سنه * لابن احدى وثمانين سنه
قلص الشيب به ظل امرئ * طالما جر صباحا رسنه
تارة تسطو به سيئة * تسخن العين وأخرى حسنه

وقال أبو محمد عبد الوهاب بن محمد القيسى المالقى

الموت حصاد بلا منجل * يسطو على القاطن والمنجلى
لا يقبل العذر على حالة * ما كان من مشكل أو من جلى

وقال الشيخ عبد الحق الاشبيلى الازدى صاحب كتاب العاقبة والاحكام وغيرهما

ان فى الموت والمعاد لشغلا * وادكار الذى النهى وبلاغا
فاغتنم خطتين قبل المنايا * صحة الجسم يا أخى والفراغا

وقال أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغسانى من أهل جليانة من عمل وادى آش

ألا انما الدنيا بحار تلاطمت * فما أكثر الغرقى على الجنبات
وأكثر من صاحبت يغرق الفه * وقل فتى ينجى من الغمرات

وكان المذكور من أهل العلم والادب رحل وحج وتجول فى البلاد ونزل القاهرة المعزية وكان أحد السياحين فى الارض وله تآليف منها جامع انماط الوسائل فى القريض والخطب والرسائل وأكثره نظمه ونثره رحمه الله تعالى * وقال عبد العليم بن عبد الملك ابن حبيب القضاعى الطرطوشى

وما الناس الا كالصحائف عبرة * وألسنهم الا كمثل التراجم
اذا اشتجر الخصمان فى فطنة الفتى * فقوله فى ذاك أعدل حاكم

وقال أبو الحكم عبد المحسن البلنسى

من كان للدهر خدنا فى تصرفه * أبدت له صفحة الدهر الاعاجيبا
من كان خلوا من الآداب سربله * من الليالى على الايام تأديبا

وقال أبو حاتم عمر بن محمد بن فرج من أهل مبرتلة مدينة بقرب الاندلس يمدح شهاب الدين القضاعى

شهب السماء ضياؤها مستور * عنا اذا أفلت توارى النور
فانزع هديت الى شهاب نوره * متألق آماله تبصير
تشفى جواهره القلوب من العمى * ولطالما انشرحت بهن صدور

وابنان له ودخل قصر الامارة بالكوفة وتحصن فيه وكان يخرج كل يوم لمحاربة مصعب وأصحابه وأهل الكوفة وغيرهم والمختار معه خلق كثير من الشيعة قد سموا الحسينية من الكيسانية وغيرهم فخرج اليهم ذات يوم وهو على بغلة له شهباء فحمل عليه رجل من بنى حنيفة يقال له عبد الرحمن ابن أسد فقتله واحتز رأسه وتنادوا بقتله فقطعه أهل الكوفة وأصحاب مصعب أعضاء وأبى مصعب أن يعطى الامان لمن بقى فى القصر من أصحابه فخاربوا الى أن أضر بهم الجهد ثم أمنهم وقتلهم بعد ذلك فكان ممن قتل مع مصعب عبد الله بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنه وله خبر مع المختار فى تخلصه منه ومضيه الى البصرة وخوفه على نفسه من مصعب الى أن خرج معه فى جيشه وقد اتينا على خبره وسائر ما أومأنا اليه فى كتابنا أخبار الزمان فكان جملة من أدركه الاحصاء ممن قتله مصعب مع المختار سبعة آلاف رجل كل هؤلاء طالبوا بدم الحسين وقتلوا أعداءه فقتلهم مصعب وسماهم الحسينية وتتبع مصعب الشيعة بالقتل بالكوفة وغيرها

فاذا أتى فيه حديث محمد * خذ في الصلاة عليه يا مغرور
وترحم على القضاعي الذي * وضع الشهاب فسعيه مشكور

وقال الاستاذ أبو محمد غانم بن الوليد المخزومي المالقي

ثلاثة يجهل مقدارها * الأمن والصحة والقوت
فلا تثق بالمال من غيرها * لو أنه در و ياقوت

وتذكرت بهذا قول الآخر

اذا ما القوت يأتي لـ * ـك والصحة والأمن
وأصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزن

وكل ذلك أصله الحديث النبوي من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه معه قوت يومه فكأنما سيقت له الدنيا بحذافيرها وأخبرنا شيخنا القصار أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسي مفتي مدينة فاس وخطيبها سنة عشر وألف قال حدثنا شيخنا أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل التونسي نزيل فاس الشهير بخروف حدثنا الامام سيدي فرج الشريف الطنطائي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يقول من أصبح آمنا في سربه الحديث *(رجع)* وقال الاستاذ العارف بالله سيدي أبو العباس أحمد بن العريف الاندلسي دفين مراكش وقد زرت قبره بها سنة ١٠١٠

اذا نزلت بساحتك الرزايا * فلا تجزع لها جزع الصبي
فان لكل نازلة عزاء * بما قد كان من فقد النبي

وقال رحمه الله تعالى

شدوا الرحال وقد نالوا المنى بمنى * وكلهم بأليم الشوق قد باحا
راحت ركائبهم تندى روائحها * طيبا بما طاب ذاك الوفد أشباحا
نسيم قبر النبي المصطفى لهم * راح اذا سكروا من أجله فاحا
يا راحلين الى المختار من مضر * زرتم جسوما وزرنا نحن أرواحا
انا أقمنا على شوق وعن قدر * ومن أقام على عذر كمن راحا

وقال أبو محمد المحاربي

داء الزمان وأهله * داء يعز له العلاج
أطلعت في ظلمائه * رأيا كما سطع السراج
لمعاشر أعيا ثقا * في من قناتهم اعوجاج
كالدر ما لم تختبر * فاذا اختبرت فهم زجاج

وقال أبو عبد الله غريب الثقفي القرطبي

تهددني بمخلوق ضعيف * يهاب من المنية ما أهاب
له أجل ولي أجل وكل * سيبلغ حيث يبلغه الكتاب
وما يدري لعل الموت منه * قريب أينا منه المصاب

وله

أيها الآمل ما ليس له * طالما غر جهولا أمله

وأتى بحرم المختار فدعاهن الى البراءة منه ففعلن الا حرمتين له احداهما بنت سمرة بن جندب الفزاري والثانية ابنة النعمان بن بشير الانصاري وقالتا كيف نتبرأ من رجل يقول ربي الله كان صائم نهاره قائم ليله قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله وشيعته فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس فكتب مصعب الى أخيه عبد الله يخبرهما وما قالتاه فكتب اليه أن رجعتا عما هما عليه وتبرأتا منه والا فاقتلهما فعرضهما مصعب على السيف فرجعت بنت سمرة ولعنته وتبرأت منه وقالت لو دعوتني الى الكفر مع السيف لكفرت اشهد أن المختار كافر وأبت ابنة النعمان بن بشير وقالت شهادة أرزقها فاتركها كلا انها موتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته والله لا يكون آتي مع ابن هند فاتبعه واترك ابن أبي طالب اللهم اشهد أني متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته ثم قدمها فقتلت صبرا ففي ذلك يقول الشاعر

ان من أعجب الاعاجيب عندي * قتل بيضاء حرة عطبول
قتلوها ظلما على غير جرم * ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

ربعابات يمنى نفسه * خانه دون مناه أجله
وفتى بكر فى حاجاته * عاجلا أعقب ريثا عجله
قل لمن مثل فى أشعاره * يذهب المرء ويبقى مثله
نافس المحسن فى احسانه * فسيكفيك مسيئا عمله

قال ابن الابار وهذا البيت الاخير فى برنامج الطبنى * وقال أبو الحسين سليمان بن الطراوة النحوى المالقى

وقائلة اتصبو للغوانى * وقد أضحى بعفرقك النهار
فقلت لها حثثت على التصابى * أحق الخيل بالركض المعار

وقال الحافظ أبو الربيع بن سالم

اذا برمت نفسى بحال أحلتها * على أمل ناء فقرت به النفس
وأنزل أرجاء الرجاء ركائبى * اذا رام المام ابساحتى اليأس
وان أوحشتنى من أمانى نبوة * فلى فى الرضا بالله والقدر الانس

وقال أبو الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلى الاشبيلى مما أنشده لنفسه فى كتابه الذى سماه بالذخائر والاعلاق فى أدب النفوس ومكارم الاخلاق

اذا تم عقل المرء تمت فضائله * وقامت على الاحسان منه دلائله
فلا تنكر الابصار ماهو فاعله * ولا تنكر الاسماع ماهو قائله

وكان ابو المنذ كور من وزراء المعتمد بن عباد رحم الله تعالى الجميع * وقال أبو بكر الزبيدى اللغوى

اترك الهم اذا ما طرقك * وكل الامر الى من خلقك
واذا أمل قوم أحدا * فالى ربك فامدد عنقك

وقال القاضى أبو الوليد هشام بن محمد القيسى الشلبى المعروف بابن الطلا فاوضت القاضى أبا محمد عبد الله بن شبرين ما يحذر من فتنة النظر الى الوجوه الحسان فقلت

لا تنظرن الى زى رونق أبدا * واحذر عقوبة ما ياتى به النظر
فكم صريع رأيناه صريع هوى * من نظرة قادها يوماله القدر

فاجابنى فى المعنى الذى انتحيته

اذا نظرت فلا تولع بتقليب * فربما نظرة عادت بتعذيب

ورب هنالك كثير * وقال الاستاذ ابن حوط الله

أتدرى انك الخطاء حقا * وأنك بالذى تاتى رهين
وتغتاب الالى فعلوا وقالوا * وذاك الظن والافك المبين

قال فى الاحاطة أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عمر بن حوط الله الانصارى الحارثى كان فقيها جليلا أصوليا كاتبا أديبا شاعرا متفننا فى العلوم ورعا دينا حافظا ثبتا فاضلا درس كتاب سيبويه ومستصفى أبى حامد الغزالى وكان رحمه الله تعالى مشهورا بالعقل والفضل معظما عند الملوك معلوم القدر لديهم يخطب فى مجالس الامراء والمحافل الجمهورية

تنسب اليه الازارقة من الخوارج اذ كنا أتينا فى كتابنا اخبار الزمان على ذكر حروب الخوارج مع المهلب وغيره ممن سلف وخلف وذكرنا شأن مرداس بن عمرو بن بلال التميمى وعطية بن الاسود الحنفى وأبى فديك وسودة الشيبانى ووقعة ابن الماجور الخارجى مع المهلب ومقتله وظفر المهلب بهم فى ذلك اليوم وخبر عبد ربه وأخبار خوارج اليمن كابى حمزة المختار بن عوف الازدى وبيهس الهيصمى مع ما تقدم من ذكرنا لفرق الخوارج فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات من الاباضية وهم سراة عمان من الازد وغيرهم من الازارقة والنجدات والحمرية والصفرية وغيرهم من فرق الخوارج وبلدانهم من الارض مثل بلاد سنجار وتل أعفر من بلاد ديار ربيعة والسن والبوازيج والحديثة مما يلى بلاد الموصل ثم من سكن من الاكراد ببلاد اذربيجان وهم المعروفون بالسراة منهم وأسلم المعروف بابن سادلويه وقد كان ملك على أعمال ابن أبى الساج من بلاد اذربيجان واران والبيلقان وارمينية ومن سكن منهم ببلاد سجستان وجبال هراة وهشتانه

مقدما فى ذلك بلاغة وفصاحة الى أبعد مضمار ولى قضاء اشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة فتظاهر بالعدل وعرف بما أبطن من الدين والفضل وكان من العلماء العاملين مجانبا لاهل البدع والاهواء بارع الخط حسن التقييد وسمع الحديث فحصل له سماع لم يشاركه فيه أحد من اهل الغرب وسمع على الجهابذة كابن بشكوال وغيره وقرأ أكثر من ستين تاليفا بين كبار وصغار وكمل له على أبى محمد بن عبد الله بين قراءة وسماع نحو من ستة وثلاثين تأليفا منها الصحيحان وأكثر عن ابن حبيش وابن الفخار والسهيلى وغيرهم ومولده فى محرم سنة ٥٤١ ومات بغرناطة سحر يوم الخميس ثانى ربيع الاول سنة ٦١٢ ونقل منها فى تابوته الذى ألحد فيه يوم السبت تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة الى مالقة فدفن بها رحمه الله تعالى انتهى وبعضه بالمعنى مختصرا والمذكور ترجمة واسعة جدا والمعتمد ما ذكر على وجه التبرك بذكره رحمه الله تعالى ورضى عنه ✻ وقال أبو المتوكل الهيثم ابن أحمد السكونى الاشبيلى

يحفى الفقير وتغشى الناس قاطبة ✻ باب الغنى كذا حكم المقادير
وانما الناس أمثال الفراش فهم ✻ يرون حيث مصابيح الدنانير

وقال تلميذه ابن الابار أنشدنى بعض أصحابنا عنه هذين البيتين ولم أسمعهما منه انتهى (قلت) وهذا تعرف وهم من نسب البيتين الى عبد المهيمن الحضرمى وقد انشدهما ايضا ابن الجلاب الفهرى فى روح الشعر وروح السحر ✻ وقال أبو محمد القاسم بن الفتح الحجارى المعروف بابن افر يولة

ركابى بارجاء الرجاء مناخة ✻ ورائدها علمى بانك لى رب
وانك علام بما أنا قائل ✻ كما أنت علام بما أضمر القلب
لئن آدها ذنب تولت بعبئه ✻ لقد قرعت بابا به يغفر الذنب

وقال أيضا

عجبا لحبر قد تيقن انه ✻ سيرى اقتراف يديه فى ميزانه
ثم امتطى ظهر المعاصى جهرة ✻ لم يثنه التأنيب عن عصيانه
أنى عصى ولكل جزء نعمة ✻ من نفسه وزمانه ومكانه

وقال الشاعر الكبير الشهير أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجير الفهرى

ان الشدائد قد تغشى الكريم لأن ✻ تبين فضل سجاياه وتوضحه
كمبرد القين اذ يعلو الحديد به ✻ وليس يا كله الا ليصلحه

وقال

لا تغبط المجدب فى علمه ✻ وان رأيت الخصب فى حاله
ان الذى ضيع من نفسه ✻ فوق الذى ثمر من ماله

وقال أبو الحجاج يوسف بن احمد الانصارى المنصفى البلنسى

قالت لى النفس أتاك الردى ✻ وأنت فى بحر الخطايا مقيم
هل اتخذت الزاد قلت اقصرى ✻ هل يحمل الزاد لدار الكريم

وجرية ومنهم ببلاد حمران اصطخر وصاهد بين كرمان وفارس ومنهم ببلاد تيهرت المغرب ومنهم ببلاد حضرموت وغيرها من بقاع الارض وفى سلطنة عبد الملك مات أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فى سنة ثمان وستين وقيل فى سنة تسع وستين بالطائف وأمه لبابة بنت الحرث بن حزن من ولد عامر بن صعصعة وله احدى وسبعون سنة وقيل انه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقد ذكر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أنه قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين وصلى عليه محمد بن الحنفية وكان قد ذهب بصره لبكائه على على والحسن والحسين وكانت له وفرة طويلة يخضب شيبه بالحناء وهو الذى يقول

ان يأخذ الله من عينى نورهما ✻ ففى لسانى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وعقلى غير مدخل ✻ وفى فمى صارم كالسيف مأثور

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم دعا له حين وضع له الماء للطهر فى بيت خالته ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وقيل لابن عباس وكان

وكان المنصفى المذكور صالحا وله رحلة حج فيها وسال الى علم التصوف رحمه الله تعالى وله فيه أشعار حملت عنه * وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن الصائغ القرشى الاموى الاندلسى مخمسا أبيات عز الدين بن جماعة قاضى القضاة رحمه الله تعالى

هم الابى على مقدار منصبه * وبسط راحته فى طى منصبه
ما أنت والدهر تشكو من تقلبه * يامبتلى بقضاء قد بليت به
عليك بالصبر واحذر يا أخى جزعك

صبرا فللصبر فى حرب العدا عدد * ذر العدو يمته الغيظ والحسد
ولا يكن لك الا الله معتمد * واعلم بان جميع الخلق لو قصدوا
أذاك لم يقدروا والله قد رفعك

أعلاك فى رتب غر معظمة * بالعرف معروفة بالعلم معلمة
ومن يناويك فى بهماء مظلمة * فاصرف هواك وجانب كل مظلمة
واصحب فديتك من بالنصح قد نفعك

قد اجتليت من الايام تبصرة * وقد كفاك الهدى والذكر تذكرة
فاشكر وقدم مع الاخلاص معذرة * واسال الهك فى الاسحار مغفرة
منه وكن معه حتى يكون معك

وتوفى المذكور بالقاهرة فى الطاعون العام سنة ٧٤٩ * وقال أبو عبد الله الحميدى

الناس نبت وأرباب القلوب لهم * روض واهل الحديث الماء والزهر
من كان قول رسول الله حاكمه * فلا شهود له الا الالى ذكروا

وقال أيضا

من لم يكن للعلم عند فنائه * أرج فان بقاءه كفنائه
بالعلم يحيا المرء طول حياته * فاذا انقضى احياه حسن ثنائه

وقال ايضا

دين الفقيه حديث يستضىء به * عند الحجاج والا كان فى الظلم
ان تاه ذو مذهب فى قفر مشكلة * لاح الحديث له فى الوقت كالعلم

ولما تعرض بعض من لا يبالى بما ارتكب الى اصحاب الحديث بقوله

أرى الخير فى الدنيا يقل كثيره * وينقص نقصا والحديث يزيد
فلو كان خيرا كان كالخير كله * ولكن شيطان الحديث مريد
ولابن معين فى الرجال مقالة * فيسئل عنها والمليك شهيد
فان يك حقا قوله فهى غيبة * وان يك زورا فالقصاص شديد

أجابه الامام أبو عبد الله الحميدى بقصيدة طويلة منها

وانى الى ابطال قولك قاصد * ولى من شهادات النصوص جنود
اذا لم يكن خيرا كلام نبينا * لديك فان الخير منك بعيد
وأقبح شئ أن جعلت لما أتى * عن الله شيطانا وذاك شديد

رضى الله عنهما مامنع عليا رضى الله عنه ان يبعثك مكان أبى موسى يوم الحكمين فقال منعه من ذلك حائل القدر وقصر المدة ومحنة الابتلاء أما والله لو بعثنى مكانه لاعترضت مدارج نفسه ناقضا لما أبرم ومبرما لما نقض أسف اذا طار وأطير اذا أسف ولكن مضى قدر وبقى أسف ومع اليوم غدا وللآخرة خير للمتقين وكان لابن عباس من الولد على وهو أبو الخلفاء من بنى العباس والعباس ومحمد والفضل وعبد الرحمن وعبيد الله ولبابة وأمهم رعبة بنت مسرح الكندية فاما عبيد الله ومحمد والفضل فلا اعقاب لهم (وفى سنة سبعين) قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق وهو عمرو بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان ذا شهامة وفصاحة وبلاغة واقدام وكان بينه وبين عبد الملك محادثات ومكاتبات وخطب طويل طلبا للملك وكان فيما كتب اليه عبد الملك انك لتطمع نفسك بالخلافة ولست لها باهل فكتب اليه عمرو استدراج النعم اياك أفادك البغى ورائحة الغدرة أورثتك الغفلة زجرت عما وافقت عليه وندبت الى ما تركت سبيله ولو كان ضعف الاسباب يؤيس المطالب ما انتقل سلطان ولا ذل عزيز وعن قريب يتبين

وما زلت فى ذكر الزيادة معجبا * بها تبدى التلبيس ثم تعيد
كلام رسول الله وحى ومن يرم * زيادة شئ فهو فيه عنيد

ومنها فى ابن معين

وما هو لا واحد من جماعة * وكلهم فيما حكوه شهود
فان صد عن حكم الشهادة جاهل * فان كتاب الله فيه عتيد
ولولا رواة الدين ضاع واصبحت * معالمه فى الآخرين تبيد
هم حفظوا الآثار من كل شبهة * وغيرهم عما اقتنوه رقود
وهم هاجروا فى جمعها وتبادروا * الى كل أفق والمرام كؤد
وقاموا بتعديل الرواة وجرحهم * فدام صحيح النقل وهو جديد
بتبليغهم صحت شرائع ديننا * حدود تحروا حفظها وعهود
وصح لاهل النقل منها احتجاجهم * فلم يبق للاعاند وحقود
وحسبهم أن الصحابة بلغوا * وعنهم روو الايستطاع جحود
فمن حاد عن هذا اليقين فمارق * مريد لاظهار الشكوك مريد
ولكن اذا جاء الهدى ودليله * فليس لموجود الضلال وجود
وان رام أعداء الديانة كيدها * فكيدهم بالمخزيات مكيد

وقال ابو بكر محمد بن محمد بن محرز الزهرى البلنسى والتزم الراء فى كل كلمة

اشكر لربك وانتظر * فى اثر عسر الامر يسرا
واصبر لربك وادخر * فى ستر ضر الفقر أجرا
فالدهر يعثر بالورى * والصبر بالاحرار احرى
والوفر أظهر معشرا * والفقر بالاخيار يغرى

وقال ايضا

اقنع بما أوتيته تنل الغنى * واذا دهتك ملمة فتصبر
واعلم بان الرزق مقسوم فلو * رمنا زيادة ذرة لم نقدر
والله أرحم بالعباد فلا تسل * بشرا تعش عيش الكرام وتؤجر
واذا سخطت لضر حالك مرة * ورأيت نفسك قد عدت فاستبصر
وانظر الى من كان دونك تدكر * لعظيم نعمته عليك فتشكر

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم أنشدنى والدى أحمد بن سعيد بن حزم

اذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن * على حالة الارضيت بدونها

وقال القاضى أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسى نزيل تونس

وقالوا أما تخشى ذنوبا أتيتها * ولم تك ذا جهل فتعذر بالجهل
فقلت لهم هبنى كما قد ذكرتم * تجاوزت فى قولى واسرفت فى فعلى
أمانى رضا مولى الموالى وصفحه * رجاء ومسلاة لمقترف مثلى

وانشد رحمه الله تعالى لنفسه فى اليوم الذى مات فيه وهو آخر ما سمع منه ليلة عاشوراء

سنة

الرحبة وخالف عمرو بن سعيد بدمشق فبلغه أن عراقه دعا الى بيعته بدمشق فكر راجعا اليها فامتنع عمرو فيها فناشده عبد الملك الرحم وقال له لا تفسد أهل بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة وفيما صنعت قوة ارجع الى بيعتك فانى سأجعل لك العهد فرضى وصالح ودخل عبد الملك وعمرو متحيز منه فى نحو خمسمائة يزولون معه حيث زال وقد تنازع أهل السير فى كيفية قتل عبد الملك اياه فمنهم من رأى أن عبد الملك قال لحاجبه ويحك أتستطيع اذا دخل عمرو أن تغلق الباب قال نعم قال فافعل وكان عمرو رجلا عظيم الكبر لا يرى لاحد عليه فضلا ولا يلتفت وراءه اذا مشى الى أحد فلما فتح الحاجب الباب دخل عمرو فاغلق الحاجب الباب دون أصحابه ومضى عمرو لا يلتفت وهو يظن أن أصحابه قد دخلوا معه كما كانوا يدخلون فعاتبه عبد الملك طويلا وقد كان وصى صاحب حرسه أبا الزعيزعة بان يضرب عنقه فكلمه عبد الملك وأغلظ له القول فقال يا عبد الملك أتستطيل على كانك ترى لك على فضلا ان شئت والله نقضت

ادعوك يارب مضطرا على ثقة * بما وعدت كما المضطر يدعوكا
دارك بعفوك عبدا لم يزل أبدا * فى كل حال من الاحوال يرجوكا
طالت حياتى ولما أتخذ عملا * الا محبة أقوام أحبوكا

وقال ابن الزقاق ويقال انها مكتوبة على قبره

أخواننا والموت قد حال دوننا * وللموت حكم نافذ فى الخلائق
سبقتكم للموت والعمر طية * وأعلم أن الكل لابد لاحقى
بعيشكم أو باضطجاعى فى الثرى * ألم نك فى صفو من العيش رائق
فمن مربى فليمض لى مترحما * ولايك منسيا وفاء الاصادق

وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح الكنانى الشاطبى ومولده سنة ٦١٤

أرى العمر يفنى والرجاء طويل * وليس الى قرب الحبيب سبيل
حباه اله الخلق أحسن سيرة * فما الصبر عن ذاك الجمال جميل
متى يشتفى قلبى بلثم ترابه * ويسمح دهر بالمزار بخيل
دلات عليه فى اوائل اسطرى * فذاك نبى مصطفى ورسول

وقال أيمن بن محمد الغرناطى نزيل طيبة على ساكنها الصلاة والسلام

أرى حجرات قد أحاطت عراصها * ببحر محيط حصره غير ممكن
بحار المعانى والمعالى وان طمت * لدى لجه تفنى وعن هوله تنى
محمد المحمود فى كل موطن * أبو القاسم المختار من خير معدن
نبى اذا أبصرت غرة وجهه * تيقنت أن العز عز المهيمن
لك الله من بدر اذا الشمس قابلت * محياه قالت ان ذا طالع سنى
وله كل القلوب مطيعة لك فى الهوى * جانب فديتك من تشا أو والى
الحسن وال والقلوب رعية * وعلى الرعية أن تطيع الوالى

وقال أيضا

الا أيها الباكى على مايفوته * من الحظ فى الدنيا جهلت وماتدرى
على فوت حظ من جوار محمد * حقيق بأن تبكى الى آخر العمر
ستدرى اذا قمنا وقد رفع اللوا * وأحمد هادينا الى موقف الحشر
من الفائز المغبوط فى يوم حشره * أجار النبى المصطفى أم أخو الوفر
وله فررت من الدنيا الى ساكن الحمى * فرار محب لاذ بحبيب
لجأت الى هذا الجناب وانما * لجأت الى سامى العماد رحيب
وناديت مولاى الذى عنده الغنى * نداء عليل فى الزمان غريب
أمولاى انى قد أتيتك لائذا * وأنت طبيبى يا أجل طبيب
فقال لك البشرى ظفرت من الرضا * بأوفر حظ مجزل ونصيب
تناومت فى أطلال ليل شبيبتى * فأدركنى بالفجر صبح مشيبى

العهد بينى وبينك ثم نصبت لك الحرب فقال عبد الملك قد شئت ذلك فقال وأنا قد فعلت فقال عبد الملك يا أبا الزعيزعة شأنك فالتفت عمرو الى أصحابه فلم يرهم فى الدار فدنا من عبد الملك فقال مايدنيك منى قال ليمسنى رحمك وكانت أم عمرو عمة عبد الملك تحت الحكم بن أبى العاص بن وائل فضرب به أبو الزعيزعة فقتله فقال له عبد الملك ارم برأسه الى أصحابه فلما رأوا رأسه تفرقوا ثم خرج عبد الملك فصعد المنبر وذكر عمرا فوقع فيه وذكر خلافه وشقاقه ونزل من المنبر وهو يقول

ادنيته منى لتسكن نفرة * فاصول صولة حازم مستمكن
غضبا ومحماة لدينى انه * ليس المسىء سبيله كالمحسن

وقيل ان عمرا خرج من منزله يريد عبد الملك فعثر بالبساط فقالت له امرأته نائلة بنت فريض بن وكيع بن مسعود أنشدك الله أن لا تأتيه فقال دعينى عنك فوالله لو كنت نائما ما أيقظنى وخرج وهو مكفر بالدرع فلما دخل على عبد الملك قام من هناك من بنى أمية فقال عبد الملك وقد أخذت الابواب انى كنت حلفت لئن ملكتك لاشدنك فى جامعة فاتى بجامعة فوضعها فى عنقه وشدها عليه فايقن عمرو أنه قاتله فقال أنشدك الله يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك يا أبا أمية مالك جئت

وقال أبو بكر الزبيدي اللغوي

لولم تكن نار ولا جنة * للمرء الا انه يقبر
لكان فيه واعظ زاجر * ناه لمن يسمع أو يبصر

ولقد صدق رحمه الله تعالى ورضي عنه * ولبعض فقهاء طلبيرة

رأيت الانقباض أجل شئ * وادعى في الامور الى السلامه
فهذا الخلق سالمهم ودعهم * فرؤيتهم تؤول الى الندامه
ولا تعنى بشئ غير شئ * يقود الى خلاصك في القيامه

وأمر الكاتب أبو بكر بن مفاوز بكتب هذه الابيات على قبره وهي له

أيها الواقف اعتبارا بقبري * استمع فيه قول عظمي الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها بأديمي
قلت لا تجزعوا علي فاني * حسن الظن بالرؤف الرحيم
ودعوني بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

وقال الخطيب بن صفوان

رأيتك يدنيني اليك تباعدي * فأبعدت نفسي لابتغائي في القرب
هربت له مني اليه فلم يكن * بي البعد في قربي فصح به قربي
فيارب هل نعمى على العبد بالرضا * ينال بها فوزا من القرب بالقرب

وقال الوادي آشي وهذا النظم معناه جليل وتكرار القرب وان قبح عند العروضي فهو عند المحب جميل وهم القوم يسلم لهم في الافعال والاقوال وترتجى بركتهم في كل الاحوال انتهى * وقال بعض قدماء الاندلس

سئمت الحياة على حبها * وحق لذي السقم أن يسأما
فلا عيش الا الذي صحة * تكون له للتقى سلما

وذيله آخر منهم فقال

ولا داء الا لمن لم يزل * يقارب في دينه مأثما
فلست تعالج جرح الهوى * هديت بمثل التقى مرهما

وقال أبو جعفر أحمد السياسي القيسي المري

اذا ما جنى يوما عليك جناية * ظلوم يدق السمر باسا ويقصف
فلا تنتقم يوما عليه بما جنى * وكل أمره للدهر فالدهر منصف

وقال أيضا

ليس حلم الضعيف حلما ولكن * حلم من لو يشاء صال اقتدارا
من تغاضى عن السفيه بحلم * أصبح الناس دونه أنصارا
من يزوج كريمة الهمة العلـ * ـياء علوا فقد أجاد الخيارا
ستريه عند الولاد بنيها الـ * ـعلم والحلم والاناة كبارا

وقال الخطيب الصالح أبو اسحق بن أبي العاصي

وتماكرني أيضا وأنا أمكر منك تريد أن أخرجك الى الناس فيمنعوك ويستنقذوك من يدي وخرج عبد الملك الى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز وقد كان قدم من مصر في ذلك اليوم بقتله اذا خرج وقد قيل أمر ابنه الوليد بذلك فلما دنا منه عبد العزيز ناشده عمرو بالرحم فتركه فلما رجع عبد الملك من الصلاة ورآه حيا قال لعبد العزيز والله ما أردت قتله من أجلكم الا أن لا يحوزها دونكم ثم أضجعه فقال له عمرو أغدرا يا ابن الزرقاء فذبحه ووافى أخو عمرو يحيى بن سعيد الى الباب بمن معه من رجاله ليكسره فخرج اليه الوليد وموالي عبد الملك فاقتتلوا واختلف الوليد ويحيى فضربه يحيى بالسيف على أليته فانصرع وألقي رأس عمرو الى الناس فلما رأوه تفرقوا من بعد أن ألقي عليهم من أعلى الدار بدر الدنانير فاشتغلوا بها عن القتال وقال عبد الملك وابيك لئن كانوا قتلوا الوليد لقد أصابوا ثأرهم وقد كان الوليد فقد حين ضرب وذلك ان ابراهيم ابن عدي احتمله فادخله بيت القراطيس في المعمعة وأتى عبد الملك بيحيى بن سعيد واجتمعت الكلمة

اعمل بعلمك توت علما انما * جدوى علوم المرء نهج الاقوم
واذا الفتى قد نال علما ثم لم * يعمل به فكأنه لم يعلم

وقال موطئا على البيت الاخير

أمولاى أنت العفو الكريم * لبذل النوال وللمعذره
على ذنوب و تخفيفها * ومن عندك الجود والمغفره

وقال الخطيب المتصوف الشهير أبو جعفر أحمد بن الزيات من بلش مالقة

يقال خصال أهل العلم ألف * ومن جمع الخصال الالف سادا
ويجمعها الصلاح فمن تعدى * مذاهبه فقد جمع الفسادا

وقال أيضا

ان شئت فوزا بمطلوب الكرام غدا * فاسلك من العمل المرضى منهاجا
واغلب هوى النفس لا يغررك خادعه * فكل شئ يحط القدر منهاجا

وقال الاديب الكبير الشهير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة البكرى الشنترينى رحمه الله تعالى

بنو الدنيا بجهل عظموها * فجلت عندهم وهى الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

وقال

أى عذر يكون لا أى عذر * لابن سبعين مولع بالصبابه
وهو ماء لم تبق منه الليالى * فى اناء الحياة الا صبابه

وقال أيضا

ولقد طلبت رضا البرية جاهدا * فاذا رضاهم غاية لا تدرك
وأرى القناعة للفتى كنزا له * والبر أفضل ما به يتمسك

وقال أبو محمد بن صاحب الصلاة الدانى ويعرف بعبدون

وعجل شيبى ان ذا الفضل مبتلى * بدهر غدا ذو النقص فيه مؤملا
ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى * بها الحر يشقى واللئيم مولا
متى ينعم المعتبر عينا اذا اعتنى * جوادا مقلا أو غنيا مبخلا

وقال أبو الحكم عبيد الله الاموى مولاهم الاندلسى

اذا كان اصلاحى لجسمى واجبا * فاصلاح نفسى لا محالة أوجب
وان كان ما يفنى الى النفس معجبا * فان الذى يبقى الى العقل أعجب

وقال الفقيه الزاهد أبو اسحق ابراهيم بن مسعود الالبيرى رحمه الله تعالى

لله أكياس جفوا أوطانهم * فالارض أجمعها لهم أوطان
جالت عقولهم مجال تفكر * وجلالة فبدا لها الكتمان
ركبت بحار الفهم فى فلك النهى * وجرى بها الاخلاص والايمان
فرست بهم لما انتقوا بجفونهم * مرسى لهم فيه غنى وأمان

وقال أبو جعفر بن خاتمة رحمه الله تعالى

يامن يغيث الورى من بعد ما قنطوا * ارحم عبادا أكف الفقر قد بسطوا
عودتهم بسط أرزاق بلا سبب * سوى جميل رجاء نحوه انبسطوا

أتينا على ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا شعر أخته فيه وكانت تحت الوليد بن عبد الملك فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار المنصور اذ هو الموضع المستحق له دون هذا الموضع لما تغلغل بنا الكلام وتسلسل بنا القول نحوه وأقام عبد الملك بدمشق بقية سنة سبعين وقد كان مصعب بن الزبير خرج حين صفا له العراق بعد قتل المختار وأصحابه حتى انتهى الى الموضع المعروف بباجميرا عابرا الى الجزيرة يريد الشام لحرب عبد الملك فبلغه مسير خالد بن عبد الله ابن خالد بن أسيد من مكة الى البصرة فى ولده وعدة من مواليه ناكثا لبيعة عبد الله بن الزبير فنزل بعض نواحى البصرة وان قوما قد انضافوا اليه من ربيعة ومنهم عبيد الله بن الوليد ومالك بن مسمع البكرى وصفوان بن الايهم التميمى وصعصعة بن معاوية عم الاحنف فكانت لهم بالبصرة حروب كانت آخرا على خالد بن عبد الله فخرج هاربا بابنيه حتى لحقوا بعبد الملك وانصرف مصعب راجعا الى البصرة وذلك فى سنة احدى وسبعين ثم عاد من العراق الى باجميرا ففى ذلك يقول الشاعر أبيت يا مصعب الا سيرا * فى كل يوم لك باجميرا

وعدت بالفضل ذو ودونى صدر * بالجود ان اقسطوا والحلم ان قسطوا
عوارف ارتبطت شم الانوف لها * وكل صعب بقيد الجود يرتبط
يا من تعرّف بالمعروف فاعترفت * بجم انعامه الاطراف والوسط
وعالما بخفيات الامور فلا * وهم يجوز عليه ولا غلط
عبد فقير بباب الجود منكسر * من شأنه أن يوافى حين ينضغط
مهما أتى لمد الكف أخجله * قبائح وخطايا أمرها فرط
يا واسعا ضاق خطو الخلق عن نعم * منه اذا خطبوا فى شكرها خبطوا
وناشرا بيد الاجمال رحمته * فليس يلحق منه مسرفا قنط
ارحم عبادا بضنك العيش قد قنعوا * فانما سقطوا بين الورى لقطوا
اذا توزعت الدنيا فما لهم * غير الدجنة لحف والثرى بسط
لكنهم من ذرا علياك فى نمط * سام رفيع الذرا ما فوقه نمط
ومن يكن بالذى يهواه مجتمعا * فما يبالى أقام الحى أم شحطوا
نحن العبيد وأنت الملك ليس سوى * وكل شئ يرجى بعد ذا شطط

وقال رحمه الله تعالى

ملاك الامر تقوى الله فاجعل * تقاه عدة لصلاح أمرك
وبادر نحو طاعته بعزم * فما تدرى متى يمضى بعمرك

وقال أيضا

اذا كنت تعلم أن الامور * بحكم الاله كما قد قضى
ففيم التفكر والحكم ماض * ولا رد للحكم مهما مضى
فخل الوجود كما شاءه * مدبره وابغ منه الرضا

وقال

اذا ما الدهر نابك منه خطب * وشد عليك من حنق عقاله
فكل لله أمرك لا تفكر * ففكرك فيه خبط فى حباله

وقال

عدوك داره ما اسطعت حتى * يعود لديك كالخل الشفيق
فما فى الارض أردى من عدو * وما فى الارض أجدى من صديق

وقال

ان اعرضت دنياك عنك بوجهها * وغدت ومنها فى رضاك نزاع
فاحذر بنيها واحتفظ من شرهم * ان البنين لأمهم أتباع

وقال

يا مجيب المضطر عند الدعاء * منك دائى وفى يديك دوائى
جذبتنى الدنيا اليها بضبعى * ودعتنى لمحنتى وشقائى
يا الهى وأنت تعلم حالى * لا تذرنى شماتة الاعداء

وقال الحافظ الكبير الشهير أبو عبد الله الحميدى صاحب الجمع بين الصحيحين رحمه الله تعالى

كتاب الله عز وجل قولى * وما صحت به الآثار دينى
وما اتفق الجميع عليه بدأ * وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذى وخذها * تكن منها على عين اليقين

وقال

طريق الزهد أفضل ما طريق * وتقوى الله بادية الحقوق

ابن الزبير فنزل على امامته وبايعه وسار عبد الملك فنزل على نصيبين وفيها يزيد والحبيشى موليا الحرث فى الفى فارس ممن بقى من أصحاب المختار يدعوا الى امامة محمد بن الحنفية فحاصرهم فنزلوا على امامته وانضافوا الى جملته وخرج مصعب فى أهل العراق وذلك فى سنة اثنتين وسبعين يريد عبد الملك ودلف اليه عبد الملك فى عساكر مصر والجزيرة والشأم فالتقوا بمسكن قرية من أرض العراق على شاطئ دجلة وعلى مقدمة عبد الملك الحجاج بن يوسف بن أبى عقيل الثقفى وقيل على ساقته وقد حمد أمره فى قيامه بما أهل له فكاتب عبد الملك رؤساء أهل العراق ممن هو بعسكر مصعب وغيرهم وصار يرغبهم ويرهبهم فكان فيمن كتب اليه ابراهيم ابن الاشتر النخعى فلما أتاه كتابه مع الجاسوس اعتقله فى رحله وأتى مصعبا بالكتاب قبل أن يفضه ويعلم ما فيه فقال له مصعب أقرأته فقال أعوذ بالله أن أقرأه حتى يقرأه الامير وآتى يوم القيامة غادرا قد نقضت بيعته وخلعت طاعته فلما تأمل مصعب ما فيه وجده أمانا له وولاية لما شاء من العراق واقطاع

فثق بالله يكفك واستعنه * يعنك وذر بنيات الطريق

وقال أبو بكر مالك بن جبير رحمه الله تعالى

رحلت وانني من غير زاد * وما قدمت شيأ للمعاد
ولكني وثقت بجود ربي * وهل يشقى المقل مع الجواد

وتوفي المذكور بأربولة أعادها الله تعالى الى الاسلام سنة ٥٦١ * وقال ابن جبير اليحصبي وهو الكاتب أبو عبد الله محمد

كلما رمت أن أقدم خيرا * لمعادي ورمت أني أتوب
صرفتني بواعث النفس قسرا * فتقاعست والذنوب ذنوب
رب قلبي لعزمة خير * لمتاب ففي يديك القلوب

واعلم أن كلام أهل الاندلس بحر لا ساحل له ويرحم الله تعالى لسان الدين بن الخطيب حيث قال في صدر الاحاطة وهذا الغرض الذي وضعناله هذا التأليف يطالبنا به ماقصدنا به من المباهاة والافتخار بالاكثار واستيعاب النظام والنثار ويحملنا فيه خوف السآمة على الاختصار والاقتصار وكفى بهذا جلاء في الاعذار والله تعالى مقيل العثار وساتر العيب المثار بفضله انتهى * ولنختم هذا الباب بقول أبي زكريا يحيى بن سعد بن مسعود القلعي

عفوك اللهم عنا * خير شئ نتمنى
رب انا قد جهلنا * في الذي قد كان منا
وخطينا وخطلنا * ولهونا ومجنا
ان نكن رب أسأنا * ما أسأنا بك ظنا

وذيلته بقولي

فأولنا الختم بالحسنى وانعاما ومنا آمين

(الباب الثامن)

في ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة الخضراء بعد صرفه وجوه الكيد اليها وتضريبه بين دلوكهاور وسائها بمكره واستعماله في أمرها حيل فكره حتى استولى دمره الله تعالى عليها ومحا منها التوحيد واسمه وكتب على مشاهدها ومعاهدها وسمه وقرر مذهب التثليث والرأي الخبيث لديها واستغاث أهلها استغاثة ملهوف بالنظم والنثر أهل ذلك العصر من سائر الاقطار حتى تعذرت بحصارها مع قلة حماتها وأنصارها المآرب والاوطار وجاءها الاعداء من خلفها ومن بين يديها أعاد الله تعالى اليها كلمة الاسلام وأقام فيها شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ورفع يد الكفر عنها وعما حوا اليها آمين يامعين (قال) غير واحد من المؤرخين أول من جمع فل النصارى بالاندلس بعد غلبة العرب لهم علج يقال له بلاي من أهل اشتوريش من أهل جليقية كان رهينة عن طاعة أهل بلده فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفي الثاني من امراء العرب بالاندلس وذلك في السنة السادسة من افتتاحها وهي سنة ثمان وتسعين من الهجرة وثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن فطردوه وملكوا البلاد وبقي الملك فيهم الى الآن وكان عدة

غير ذلك ثم قال ابراهيم لمصعب هل أتاك أحد من أشراف العساكر بكتاب فقال مصعب لا فقال ابراهيم والله لقد كاتبهم وما كاتبني حتى كاتب غيري ولا امتنعوا من ايصالها اليك الا لرضا به والغدر بك فاطعني وابدأبهم فأمرهم على السيف أو استوثق منهم في الحديد وألق هذا الرجل فأبى مصعب ذلك وتحيز ما كان في عسكره من ربيعة لقتله ابن زياد بن ظبيان البكري وكان من سادات ربيعة وزعماء بكر بن وائل وسار ابراهيم بن الاشتر على مقدمة مصعب في مشرعة الخيل فلقي خيل عبد الملك ومقدمته عليها أخوه محمد ابن مروان وبلغ عبد الملك وروده ابراهيم ومنازلته محمدا أخاه فبعث الى محمد عزمت عليك أن لا تقاتل في هذا اليوم وقد كان مع عبد الملك منجم مقدم وقد أشار على عبد الملك أن لا تحارب له خيل في ذلك اليوم فانه منحوس وليكن حربه بعد ثلاث فانه ينصر فبعث اليه محمد وأنا أعزم على نفسي لاقاتلن ولا التفت الى زخاريف منجمك والمحالات من الكذب فقال عبد الملك للمنجم ولمن حضر ألا ترون ثم رفع طرفه الى السماء وقال اللهم ان مصعبا أصبح يدعو الى أخيه وأصبحت أدعو لنفسي اللهم فانصر خيرنا لأمة محمد صلى الله عليه

من ملك منهم الى آخر أيام الناصر لدين الله اثنين وعشرين ملكا انتهى * وقال عيسى ابن أحمد الرازى فى أيام عنبسة بن سحيم الكلبى قام بأرض جليقية علج خبيث يقال له بلاى من وقعة أخذ النصارى بالاندلس وجد الفرنج فى مدافعة المسلمين عما بقى بأيديهم وقد كانوا لا يطمعون فى ذلك ولقد استولى المسلمون بالاندلس على النصرانية وأجلوهم وافتتحوا بلادهم حتى بلغوا اربولة من أرض الفرنجة وافتتحوا بنبلونة من جليقية ولم يبق الا الصخرة فانه لاذ بها ملك يقال له بلاى فدخلها فى ثلثمائة رجل ولم يزل المسلمون يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعا وبقى فى ثلاثين رجلا وعشر نسوة ولا طعام لهم الا العسل يشتارونه من خروق بالصخرة فيتقوتون به حتى أعيا المسلمين أمرهم واحتقروا بهم وقالوا ثلاثون علجا ما عسى أن يجىء منهم فبلغ أمرهم بعد ذلك من القوة والكثرة ما لا خفاء به وفى سنة ٣٣ أهلك الله تعالى بلاى المذكور وملك ابنه فاقله بعده وكان ملك بلاى تسع عشرة سنة وابنه سنتين فملك بعدهما اذفونش بن بيطر جد بنى اذفونش هؤلاء الذين اتصل ملكهم الى اليوم فأخذوا ما كان المسلمون أخذوه من بلادهم انتهى باختصار وقال المسعودى بعد ذكره غزوة سمورة أيام الناصر ما صورته وأخذ ما كان بايدى المسلمين من ثغور الاندلس مما يلى الفرنجة ومدينة اربونة خرجت عن أيدى المسلمين سنة ٣٣٠ مع غيرها مما كان بأيديهم من المدن والحصون وبقى ثغر المسلمين فى هذا الوقت وهو سنة ٣٣٦ من شرق الاندلس طرطوشة وعلى ساحل بحر الروم مما يلى طرطوشة آخذا فى الشمال افراغه على نهر عظيم ثم لارده انتهى * ومن أول ما استرد الافرنج من مدن الاندلس العظيمة مدينة طليطلة من يد ابن ذى النون سنة ٤٧٥ وفى ذلك يقول عبد الله بن فرج اليحصبى المشهور بابن العسال

يا أهل اندلس حثوا مطيكم * فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى * ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

ويروى صدر البيت الثالث هكذا

من جاور الشر لا يأمن بوائقه * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وتروى الابيات هكذا

حثوا رواحلكم يا أهل أندلس * فما المقام بها الا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى * سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن عواقبه * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وقال آخر

يا أهل اندلس ردوا المعار فما * فى العرف عارية الا مردات
ألم تروا بيدق الكفار فرزنه * وشاهنا آخر الابيات شهمات

وقال بعض المؤرخين أخذ الاذفونس طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرها سبع سنين وكان أخذه لها فى منتصف محرم سنة ٤٧٨ انتهى وفيه بعض مخالفة لما قبله فى وقت أخذها وسيأتى قريبا بعد ما يؤيده قال وهى مدينة حصينة قديمة أزلية من بناء العمالقة على ضفة النهر الكبير ولها قصبة حصينة فى غاية المنعة ولها

وسلم فالتقى محمد بن مروان ٥٢٢ وابن الاشتر ومحمد يرتجز ويقول مثلى على مثلك أولى بالسلب * محجل الرجلين أعرب الذنب فاقتتلوا حتى غشيهم المساء فقال عتاب بن ورقاء التميمى وكان مع ابن الاشتر يا ابراهيم ان الناس قد جهدوا فمرهم بالانصراف حسدا له لاشرافه على الفتح فقال ابراهيم وكيف ينصرفون وعدوهم بازائهم فقال عتاب فمر الميمنة أن تنصرف فأبى ابراهيم ذلك فمضى اليهم عتاب فأمرهم بالانصراف فلما زالوا عن مصافهم أكبت ميسرة محمد عليهم واختلط الرجال وصمدت الفرسان لابراهيم واشتبكت عليه الاسنة فبرى منها عدة رماح واسلمه من كان معه فاقتلع من سرجه ودار به الرجال وازدحموا عليه فقتل بعد أن أبلى ونكى فيهم وقد تنوزع فيمن أخذ رأسه فمنهم من زعم أن ثابت بن يزيد مولى الحصين بن نمير الكندى هو الذى أخذ رأسه ومنهم من ذكر ان عبيد ابن ميسرة مولى بنى يشكر ثم من بنى رفاعة هو الذى أخذ رأسه وأتى عبد الملك بجسد ابراهيم فالقى بين يديه فأخذه مولى الحصين ابن نمير وأخذ حطبا وأحرقه بالنار وسار عبد الملك فى صبيحة تلك الليلة من موضعه حتى نزل بدير الجاثليق من أرض السوداء وأقبل عبيد الله بن زياد بن ظبيان وعكرمة بن أبى

قنطرة واحدة عجيبة البنيان على قوس واحد والماء يدخل تحتـه بعنف وشدة جرى ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها فى الجو تسعون ذراعا وهى تصعد الماء الى أعلى القنطرة و يجرى الماء على ظهرها فيدخل المدينة وطليطلة هـذه دار مملكة الروم و بها كان البيت المغلق الذى كانوا يتحامون فتحه حتى فتحه لذريق فوجد فيه صورة العرب انتهى وقد تقدم شئ من هذا فيما مر من هذا الكتاب (وقد حكى) ابن بدرون فى شرح العبدونية أن المأمون يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة بنى بها قصرا تأنق فى بنائه وأنفق فيه مالا كثيرا وصنع فيه بحيرة و بنى فى وسطها قبة وسيق الماء الى رأس القبة على تدبير أحكمه المهندسون فكان الماء ينزل من أعلى القبة حواليها محيطا بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة فى غلالة من ماء سكب لا يفتر والمأمون بن ذى النون قاعد فيها لا يمسه من الماء شئ ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو فيها اذ سمع منشدا ينشد

أتبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها لو علمت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يعتريه رحيل

فلم يلبث بعد هذا الا يسيرا حتى قضى نحبه انتهى وقال ابن خلكان ان طليطلة أخذت يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ بعد حصار شديد انتهى وقال ابن علقمة ان طليطلة اخذت يوم الاربعاء لعشر خلون من المحرم سنة ٤٧٨ وكانت وقعة الزلاقة التى نشأت فى السنة بعدها انتهى وقد رأيت أن أذكر هنا وقعة الزلاقة التى نشأت عن أخذ طليطلة وما يتبع ذلك من كلام صاحب الروض المعطار وغيره فنقول انه لما ملك يوسف بن تاشفين اللمتونى المغرب و بنى مدينتى مراكش وتلمسان الجديدة وأطاعته البربر مع شكيمتها الشديده وتمهدت له الاقطار الطويلة المديده تاقت نفسه الى العبور لجزيرة الاندلس فهم بذلك وأخذ فى انشاء المراكب والسفن ليعبر فيها فلما علم بذلك ملوك الاندلس كرهوا المامه بجزيرتهم وأعدوا له العدة والعدد وصعبت عليهم مدافعته وكرهوا أن يكونوا بين عدوين الفرنج عن شمالهم والمسلمين عن جنوبهم وكانت الفرنج تشتد وطأتها عليهم وتغير وتنهب وربما يقع بينهم صلح على شئ معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين والفرنج ترهب ملك المغرب يوسف بن تاشفين اذ كان له اسم كبير وصيت عظيم لنفاذ أمره وسرعة تملكه بلاد المغرب وانتقال الامر اليه فى أسرع وقت مع ما ظهر لابطال الملثمين ومشايخ صنهاجة فى المعارك من ضربات السيوف التى تقد الفارس والطعنات التى تنظم الكلى فكان له بسبب ذلك ناموس ورعب فى قلوب المنتدبين لقتاله وكان ملوك الاندلس يفيؤن الى ظله ويحذرونه خوفا على ملكهم مهما عبر اليهم وعاين بلادهم فلما رأوا مادلهم على عبوره اليهم وعلموا ذلك راسل بعضهم بعضا يستنجدون آراءهم فى أمره وكان مفزعهم فى ذلك الى المعتمد بن عباد لانه أشجع القوم وأكبرهم مملكة فوقع اتفاقهم على مكاتبته لما تحققوا أنه يقصدهم يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من أهل الاندلس كتابا (وهو) أما بعد فانك ان أعرضت عنا نسبت الى كرم ولم تنسب الى عجز وان أجبنا داعيك نسبنا الى عقل ولم ننسب الى وهن وقد اخترنا لانفسنا أجمل نسبتينا فاختر

الى رايات ربيعة فاضافوها الى عسكر عبد الملك ودخلوا فى طاعته ثم تصاف القوم فافرد مصعب وتخلى عنه من كان معه من مضر واليمن وبقى فى سبعة نفر منهم اسمعيل بن طلحة ابن عبيد الله التميمى وابنه عيسى بن مصعب فقال لابنه عيسى يا بنى اركب فانج فالحق بمكة بعمك فاخبره بما صنع بى أهل العراق ودعنى فانى مقتول فقال له لا والله لا يتحدث بنا قريش أنى فررت عنك ولا أحدثهم عنك أبدا فقال له مصعب اما اذ أبيت فتقدم أمامى حتى أحتسبك فتقدم عيسى فقاتل حتى قتل وسأل محمد بن مروان أخاه عبد الملك أن يؤمن مصعبا فاستشار عبد الملك من حضره فقال له على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب لا تؤمنه وقال خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بل أمنه وارتفع الكلام بين على وخالد حتى تسابا على مصافهما فأمر عبد الملك أخاه محمدا أن يمضى الى مصعب فيؤمنه و يعطيه عنه ما اراد فمضى محمد بن مروان وقال أمنك أمير المؤمنين على نفسك ومالك وكل ما احدثت وان تنزل أى البلاد شئت ولو أراد بك غير ذلك لانزل بك فأنشدك الله فى نفسك وأقبل رجل من أهل الشأم الى عيسى بن مصعب ليحتز رأسه فعطف عليه مصعب والرجل غافل

لنفسك أكرم نسبتيك فانك بالمحل الذي لايجب أن تسبق فيه الى مكرمة وان في استبقائك ذوي البيوت ماشئت من دوام لامرك وثبوت والسلام فلما وصله الكتاب مع تحف وهدايا وكان يوسف بن تاشفين لايعرف باللسان العربي لكنه ذكي الطبع يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك فيه ويعرفونك انهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك أن لاتجعلهم في منزلة الاعادي فانهم مسلمون وذوو بيوتات فلاتغير بهم وكفى بهم من وراءهم من الاعادي الكفار وبلدهم ضيق لايحتمل العساكر فأعرض عنهم اعراضك عمن أطاعك من أهل المغرب فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه فما ترى أنت فقال أيها الملك اعلم أن تاج الملك وبهجته شاهده الذي لايرد فانه خليق بما حصل في يده من الملك والمال أن يعفو اذا استعفي وأن يهب اذا استوهب وكلما وهب جليلا جزيلا كان لقدره أعظم فاذا عظم قدره تأصل ملكه واذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة اليهم وكان وارث الملك من غير اهلاك لآخرته واعلم أن بعض الملوك الحكماء الاكابر البصراء بطريق تحصيل الملك قال من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك البلاد فلما ألقى الكاتب هذا الكلام على السلطان يوسف بلغته فهمه وعلم صحته فقال للكاتب أجب القوم واكتب بما يجب في ذلك واقرأ علي كتابك فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته تحية من سالمكم وسلم عليكم وانكم مما في أيديكم من الملك في أوسع اباحه مخصوصين منا بأكرم ايثار وسماحه فاستديموا وفاءنا بوفائكم واستصلحوا اخاءنا باصلاح اخائكم والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن به مايصلح لهم من التحف ودرق اللمط التي لاتوجد الا ببلاده وأنفذ ذلك اليهم فلما وصلهم ذلك وقرؤا كتابه فرحوا به وعظموه وسروا بولايته وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج عنهم وأزمعوا ان رأوا من الفرنج مايريبهم انهم يرسلون الى يوسف بن تاشفين يعبر اليهم أو يمدهم باعانة منه وكان ملك الافرنج الاذفونش لما وقعت الفتنة بالاندلس وثار الخلاف وكان كل من حاز بلدا وتقوى فيه ملكه وادعى الملك وصاروا مثل ملوك الطوائف فطمع فيهم الاذفونش بسبب ذلك وأخذ كثيرا من ثغورهم فقوي شأنه وعظم سلطانه وكثرت عساكره وأخذ طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذي النون بعد أن حاصرها سبع سنين وكان أخذه لها في منتصف محرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فزاد لعنه الله تعالى بملكه طليطلة قوة الى قوته وأخذ يجوس خلال الديار ويستفتح المعاقل والحصون (قال) ابن الاثير في الكامل وكان المعتمد بن عباد أعظم ملوك الاندلس ومتملك أكثر بلادها مثل قرطبة واشبيلية وكان مع ذلك يؤدي الضريبة الى الاذفونش كل سنة فلما تملك الاذفونش طليطلة أرسل اليه المعتمد الضريبة المعتادة فلم يقبلها منه وأرسل اليه يهدده ويتوعده بالمسير الى قرطبة ليفتحها الا أن يسلم اليه جميع الحصون المنيعة ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول في جمع كثير نحو خمسمائة فارس فأنزله المعتمد

عبد الله بن زياد بن ظبيان فاختلفا ضربتين فسبق مصعب بالضربة الى رأسه وكان مصعب قد أثخن بالجراح وضربه عبد الله فقتله واحتز رأسه وأتى به عبد الملك فسجد عبد الملك وقبض عبيد الله بن زياد على قائم سيفه فاجتذبه من غمده حتى أتى على أكثره سلا ليضرب عبد الملك في حال سجوده ثم ندم واسترجع فكان يقول بعد ذلك ذهب الفتك من الناس اذ هممت ولم أفعل فأكون قد قتلت عبد الملك ومصعبا ملكي العرب في ساعة واحدة وتمثل عبيد الله عند مجيئه برأس مصعب

نعاطي الملوك الحق ماقسطوا لنا
وليس علينا قتلهم بمحرم

وقال عبد الملك متى تغذو قريش مثل مصعب وكان قد قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادي الاولى سنة اثنتين وسبعين وأمر عبد الملك بمصعب وابنه عيسى فدفنا بدير الجاثليق ودعا عبد الملك أهل العراق الى بيعته فبايعوه وقد كان مسلم بن عمرو الباهلي من صنائع معاوية وابنه يزيد وكان في ذلك اليوم في جيش

وفرق أصحابه على قواد عسكره ثم أمر قواده أن يقتل كل منهم من عنده من الكفرة وأحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش وأخبروه الخبر وكان متوجها الى قرطبة ليحاصرها فرجع الى طليطلة ليجمع آلات الحصار ويكثر العدد والعدة انتهى * وقال الفقيه أبو عبد الله عبد الله بن عبد المنعم الحميرى فى كتابه **الروض المعطار** فى ذكر المدن والاقطار ما ملخصه انه لما اشتغل المعتمد بغزو ابن صمادح صاحب المرية حين تأخر الوقت الذى كان يدفع فيه الضريبة للاذفونش وأرسلها اليه بعد ذلك استشاط الطاغية غضبا وتشطط وطلب بعض الحصون زيادة على الضريبة وأمعن فى التجنى وسأل فى دخول امرأته القمجيطة الى جامع قرطبة لتلد فيه اذ كانت حاملا لما أشار عليه بذلك القسيسون والاساقفة لمكان كنيسة كانت فى الجانب الغربى منه معظمة عندهم عمل عليها المسلمون الجامع الاعظم وسأل أن تنزل امرأته المذكورة بالمدينة الزهراء غربى مدينة قرطبة وهى التى أنشأ بناءها الناصر لدين الله وأمعن فى بنائها وأغرب فى حسنها وجلب اليها الرخام الملون والمرمر الصافى والحوض المشهور من البلاد والاقطار وكان يثيب على السارية بكذا وكذا غير الثمن وأجرة الحمل وأنفق فيها الاموال العظيمة واشتغل بها وكان يباشر الصناع بنفسه حتى تخلف عن حضور الجمعة ثلاث مرات متواليات وحضر فى الرابعة وكان الخطيب يومئذ الفقيه الزاهد منذر بن سعيد البلوطى فعرض به فى الخطبة ووبخه على رؤس الملا وقصته فى ذلك مشهورة وبناء الزاهر أيضا من أعظم مبانى الاسلام فمن أراد الوقوف على ذلك فعليه بتاريخ ابن حيان (ولنرجع) الى الاذفونش فان الاطباء والقسوس لما أشاروا ان تكون المرأة المذكورة ساكنة بالزهراء وتتردد الى الجامع المذكور حتى تكون ولادتها بين طيب نسيم الزهراء وفضيلة موضع الكنيسة من الجامع المذكور وكان السفير فى ذلك يهوديا كان وزيرا الاذفونش فامتنع ابن عباد من ذلك فراجعه فاباه وأيأسه من ذلك فراجعه اليهودى فى ذلك وأغلظ له فى القول وواجهه بما لم يحتمله ابن عباد فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودى فانزل دماغه فى حلقه وأمر به فصلب منكوسا بقرطبة واستفتى لما سكن غضبه الفقهاء عن حكم ما فعله باليهودى فبادره الفقيه محمد بن الطلاع بالرخصة فى ذلك لتعدى الرسول حدود الرسالة الى ما استوجب به القتل اذ ليس له ذلك وقال للفقهاء انما بادرت بالفتوى خوفا أن يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو وعسى الله أن يجعل فى عزيمته للمسلمين فرجا وبلغ الاذفونش ما صنعه ابن عباد فأقسم بآلهته ليغزونه باشبيلية وليحاصرنه فى قصره فجرد جيشين جعل على أحدهما كلبا من مساعير كلابه وأمره أن يسير على كورة باجة من غرب الاندلس ويغير على تلك التخوم والجهات ثم يمر على لبلة الى اشبيلية وجعل موعده أمام طريانة للاجتماع معه ثم زحف الاذفونش بنفسه فى جيش آخر عرمرم فسلك طريقا غير الطريق التى سلكها الآخر وكلاهما عاث فى البلاد وخرب ودمر حتى اجتمعا لموعدهما بضفة النهر الاعظم قبالة قصر ابن عباد وفى أيام مقامه هنالك كتب الى ابن عباد زاريا عليه كثر بطول مقامى فى مجلسى الذباب واشتد على الحر فأتحفنى من قصرك بمروحة

مصعب فاتى به عبد الملك وقد أخذ له منه الامان فقيل له أنت ميت لاترجو الحياة امابك من الجراح فما تصنع بالامان قال ليسلم مالى ويأمن ولدى بعدى فلما وضع بين يدى عبد الملك قال قطع الله يد ضاربك كيف لم يجهز عليك أكفرت صنائع آل حرب معك فأمنه على ماله وولده ومات من ساعته وفى مصرع مصعب بدير الجاثليق من أرض العراق يقول عبد الله بن قيس الرقيات

لقد أورث المصرين عارا وذلة
قتيل بدير الجاثليق مقيم
فما نصحت لله بكر بن وائل
ولا صبرت عند اللقاء تميم
جزى الله بصريا بذاك ملامة
ولو فيهم ان المليم مليم

وفى ذلك يقول شاعر اهل الشام من ابيات

لعمرى لقد أصحرت خيلنا
باكناف دجلة للمصعب
يهزون كل طويل القنا
ة معتدل النصل والثعلب
اذا ما منافق أهل العرا
ق عوتب يوما فلم يعتب
دلفنا اليه لدى موقف
قليل التفقد للغيب

وقد كان مصعب ذا حسن وجمال وهيئة وكمال فى الصورة وفيه يقول ابن قيس الرقيات من كلمة

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

وقد أتينا على اخبار مصعب وسكينة بنت

أروّح بها على نفسي وأطرد بها الذباب عن وجهي فوقّع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة قرأت كتابك وفهمت خيلاءك واعجابك وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطية تروح منك لا تروّح عليك ان شاء الله تعالى فلما وصلت الاذفونش رسالة ابن عباد وقرئت عليه وعلم مقتضاها أطرق اطراق من لم يخطر له ذلك ببال وفشا في الاندلس توقيع ابن عباد وما أظهر من العزيمة على جواز يوسف بن تاشفين والاستظهار به على العدوّ فاستبشر الناس وفرحوا بذلك وفتحت لهم أبواب الآمال وأما ملوك طوائف الاندلس فلما تحققوا عزم ابن عباد وانفراده برأيه في ذلك اهتموا منه ومنهم من كاتبه ومنهم من كلمه مواجهة وحذروه عاقبة ذلك وقالوا له الملك عقيم والسيفان لا يجتمعان في غمد واحد فاجابهم ابن عباد بكلمته السائرة مثلا رعى الجمال خير من رعى الخنازير ومعناه أن كونه مأكولا ليوسف بن تاشفين أسيرا يرعى جماله في الصحراء خير من كونه ممزقا للاذفونش أسيرا له يرعى خنازيره في قشتالة وقال لعذاله ولوّامه يا قوم اني من أمري على حالين حالة يقين وحالة شك ولا بد لي من احداهما اما حالة الشك فاني ان استندت الى ابن تاشفين او الى الاذفونش ففي الممكن أن يفي لي ويبقى على وفائه ويمكن ان لا يفعل فهذه حالة شك وأما حالة اليقين فاني ان استندت الى ابن تاشفين فاني ارضي الله وان استندت الى الاذفونش اسخطت الله تعالى فاذا كانت حالة الشك فيها عارضة فلأي شئ أدع ما يرضي الله وآتي ما يسخطه فحينئذ قصر أصحابه عن لومه ولما عزم أمر صاحب بطليوس المتوكل عمر بن محمد وعبد الله بن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة أن يبعث اليه كل منهما قاضي حضرته ففعلا واستحضر قاضي الجماعة بقرطبة أبا بكر عبيد الله بن أدهم وكان أعقل اهل زمانه فلما اجتمع عنده القضاة باشبيلية اضاف اليهم وزيره أبا بكر بن زيدون وعرفهم أربعتهم انهم رسله الى يوسف بن تاشفين وأسند الى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف بن تاشفين وترغيبه في الجهاد وأسند الى وزيره ما لا بد منه في تلك السفارة من ابرام العقود السلطانية وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود ثغور الاندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله والاسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيسمع اليهم ويصغي لقولهم وترق نفسه لهم فعبرت رسل ابن عباد البحر الاورسل يوسف بالمرصاد ولما انتهت الرسل الى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم مثواهم واتصل ذلك بابن عباد فوجه من اشبيلية اسطولا نحو صاحب سبتة فانتظمت في سلك يوسف ثم جرت بينه وبين الرسل مراوضات ثم انصرفت الى مرسلها ثم عبر يوسف البحر عبورا سهلا حتى أتى الجزيرة الخضراء ففتحوا له وخرج اليه أهلها بما عندهم من الاقوات والضيافات وأقاموا له سوقا جلبوا اليه ما عندهم من سائر المرافق واذنوا للغزاة في دخول البلد والتصرف فيها فامتلأت المساجد والرحبات بالمطوّعين وتواصوا بهم خيرا هذا ما ساق صاحب الروض المعطار * وأما ابن الاثير فانه لما ذكر وقعة الزلاقة ذكر ما تقدم من فعل المعتمد بالارسال وقتاله وتخوف أكابر الاندلس من الاذفونش وانه اجتمع منهم رؤساء وسار والى القاضي عبد الله بن محمد وقالوا له الا تنظر ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها وقالوا قد غلب على البلاد الفرنج ولم يبق الا القليل

وان

الحسين زوجه وعائشة بنت طلحة وليلى من نسائه وغير ذلك من أخباره في الكتاب الاوسط (وحدث) المقرى قال حدثني سويد ابن سعيد قال حدثنا مروان ابن معاوية الفزاري عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي مسلم النخعي قال رأيت رأس الحسين جيء به فوضع في دار الامارة بالكوفة بين يدي عبيد الله بن زياد ثم رأيت رأس عبيد الله ابن زياد قد جيء به فوضع في ذلك الموضع بين يدي مصعب بن الزبير ثم رأيت رأس مصعب بن الزبير قد جيء به فوضع في ذلك الموضع بين يدي عبد الملك وقد قيل في وجه آخر من الروايات فرأى عبد الملك مني اضطرابا فسألني فقلت يا أمير المؤمنين دخلت هذه الدار فرأيت رأس الحسين بين يدي ابن زياد في هذا الموضع ثم دخلتها فرأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار فيه ثم دخلتها فرأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير وهذا رأس مصعب بين يديك فوقاك الله يا أمير المؤمنين قال فوثب عبد الملك ابن مروان وامر بهدم الطاق الذي عليه المجلس ذكر هذا الحديث عن الوليد ابن خباب وغيره وسار عبد الملك من دير الجاثليق حتى نزل النخيلة بظهر الكوفة فخرج اليه اهل الكوفة فبايعوه ووفى الناس بما كان وعدهم به في

وان دام هذا الامر عادت نصرانية كما كانت أولا وقد رأينا أن نعرضه عليك قال وما هو قالوا نكتب الى عرب افريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا شطر أموالنا ونخرج معهم مجاهدين في سبيل الله فقال لهم انا نخشى ان وصلوا الينا أن يخربوا بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركوا الافرنج ويبدؤا بنا والمرابطون أصلح منهم وأقرب الينا فقالوا له فكاتب أمير المسلمين وأسأله العبور الينا أو اعانتنا بما تيسر من الجند فبينما هم في ذلك يتراوضون اذ قدم عليهم المعتمد بن عباد قرطبة فعرض عليه القاضي بن أدهم ما كانوا فيه فقال له المعتمد ابن عباد أنت رسولي اليه في ذلك فامتنع وانما أراد أن يبرئ نفسه من ذلك فألح عليه المعتمد فسار الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فوجده بسبتة وأبلغه الرسالة وأعلمه بما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش ففي الحال أمر بعبور العساكر الى الاندلس وأرسل الى مراكش في طلب من بقي من العساكر فاقبلت اليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر واجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع عساكره وحشد جنوده وسار من طليطلة وكتب الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا كتبه له بعض غواة أدباء المسلمين يغلظ له في القول ويصف ما معه من القوة والعدد والعدد وبالغ في ذلك فلما وصل وقرأه يوسف أمر كاتبه أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب وأجاد فلما قرأه على أمير المسلمين قال هذا كتاب طويل وأحضر كتاب الاذفونش وكتب في ظهره الذي يكون ستراه وأرسله اليه فلما وقف عليه الاذفونش ارتاع له وعلم انه بلي برجل لا طاقة له به * وذكر ابن خلكان أن يوسف بن تاشفين أمر بعبور الجمال فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا جملا قط ولا خيلهم فصارت الخيل تجمع من رؤية الجمال ومن رغائها وكان ليوسف في عبور الجمال رأي مصيب فكان يحدق بها عسكره ويحضرها الحرب فكانت خيل الفرنج تجمع منها وقدم يوسف بين يديه كتابا للاذفونش يعرض عليه فيه الدخول في الاسلام أو الجزية أو الحرب كما هي السنة ومن جملة ما في الكتاب بلغنا يا اذفونش انك دعوت الى الاجتماع بنا وتمنيت أن تكون لك سفن تعبر فيها البحر الينا فقد عبرنا اليك وقد جمع الله تعالى في هذه الساحة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك وما دعاء الكافرين الا في ضلال انتهى بمعناه وأكثره بلفظه ولنرجع الى كلام صاحب الروض المعطار فانه أقعد بتاريخ الاندلس اذ هو منهم وصاحب البيت أدرى بالذي فيه قال رحمه الله تعالى فلما عبر يوسف وجميع جيوشه الى الجزيرة الخضراء انزعج الى اشبيلية على أحسن الهيئات جيشا بعد جيش وأميرا بعد أمير وقبيلا بعد قبيل وبعث المعتمد ابنه الى لقاء يوسف وأمر عمال البلاد بجلب الاقوات والضيافات ورأى يوسف ما سره من ذلك ونشطه وتواردت الجيوش مع أمرائها على اشبيلية وخرج المعتمد الى لقاء يوسف من اشبيلية في مائة فارس ووجوه أصحابه فلما أتى محلة يوسف ركض نحو القوم وركضوا نحوه فبرز اليه يوسف وحده والتقيا منفردين وتصافحا وتعانقا وأظهر كل منهما لصاحبه المودة والخلوص وشكرا نعم الله تعالى وتواصيا بالصبر والرحمة وبشرا أنفسهما بما

ترغيبه وترهيبه وولى على البصرة خالد بن عبد الله ابن خالد بن اسد وعلى الكوفة بشر بن مروان أخاه وخلف معه جماعة من أهل الرأي والمشورة من أهل الشام منهم روح ابن زنباع الجذامي وبعث بالحجاج بن يوسف لحرب ابن الزبير بمكة وسار في بقية أهل الشام الى دار مملكته دمشق وكان بشر ابن مروان أديبا ظريفا يحب الشعر والسمر والسماع والمعاقرة وقد كان أخوه عبد الملك قال له ان روحا عمك الذي لا ينبغي أن تقطع أمرا دونه لصدقه وعفافه ومناصحته ومحبته لنا أهل البيت فاحتشم بشر منه وقال لندمائه أخاف ان انبسطنا ان يكتب روح الى أمير المؤمنين بذلك فوالله لاحب من الانس والاجتماع ما يحبه مثلي فقال له بعض ندمائه من أهل العراق بحسن مساعدته ولطيف حيلته أنا أكفيك أمره حتى ينصرف عنك الى أمير المؤمنين غير شاك ولا لائم فسر بشر ووعده الجائزة وحسن المكافأة ان هو أتى له ما وعد به وكان روح شديد الغيرة وله جارية اذا خرج من منزله الى المسجد أو غيره ختم بابه حتى يعود بعد أن يقفله فاخذ الفتى

استقبلاه من غزو أهل الكفر وتضرعا الى الله تعالى في أن يجعل ذلك خالصا لوجهه مقربا اليه وافترقا فعاد يوسف لمحلته وابن عباد الى جهته وألحق ابن عباد ما كان أعده من هدايا وتحف وضيافات أوسع بها على محلة يوسف بن تاشفين وباتوا تلك الليلة فلما أصبحوا وصلوا الصبح ركب الجميع وأشار ابن عباد على يوسف بالتقدم نحو اشبيلية ففعل ورأى الناس من عزة سلطانهم ما سرهم ولم يبق من ملوك الطوائف بالاندلس الا من بادر أو أعان وخرج او اخرج وكذلك فعل الصحراويون مع يوسف كل صقع من اصقاعه رابطوا وكابدوا وكان الاذفونش لما تحقق الحركة والحرب استنفر جميع أهل بلاده وما يليها وما وراءها ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا أناجيلهم فاجتمع له من الجلالقة والافرنجة ما لا يحصى عدده وجواسيس كل فريق تتردد بين الجميع وبعث الاذفونش الى ابن عباد ان صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاده وخاض البحار وأنا أكفيه العناء فيما بقي ولا أكلفكم تعبا أمضي اليكم وألقاكم في بلادكم رفقا بكم وتوفيرا عليكم وقال لخاصته وأهل مشورته اني رأيت اني ان مكنتهم من الدخول الى بلادي فناجزوني فيها وبين جدرها وربما كانت الدائرة علي يستحكمون البلاد ويحصدون من فيها غداة واحدة ولكني أجعل يومهم معي في حوز بلادهم فان كانت علي اكتفوا بما نالوه ولم يجعلوا الدروب وراءهم الا بعد أهبة أخرى فيكون في ذلك صون لبلادي وجبر لكاسري وان كانت الدائرة عليهم كان مني فيهم وفي بلادهم ما خفت أنا أن يكون في وفي بلادي اذا ناجزوني في وسطها ثم برز بالمختار من جنوده وأنجاد جموعه على باب دربه وترك بقية جموعه خلفه وقال حين نظر الى ما اختاره منهم بهؤلاء اقاتل الجن والانس وملائكة السماء فالمقلل يقول المختارون اربعون ألف دارع ولكل واحد اتباع وأما النصارى فيعجبون ممن يزعم ذلك ويرون انهم أكثر من ذلك كله واتفق الكل ان عدد المسلمين أقل من الكفرة ورأى الاذفونش في نومه كأنه راكب فيلا يضرب نقيرة طبل فهالته الرؤيا وسأل عنها القسوس والرهبان فلم يجبه أحد فدس يهوديا عمن يعلم تأويلها من المسلمين فدل على معبر فقصها عليه ونسبها لنفسه فقال له المعبر كذبت ما هذه الرؤيا لك ولا أعبرها لك الا ان صدقتني بصاحب الرؤيا فقال له اكتم على الرؤيا للاذفونش فقال المعبر صدقت ولا يراها غيره والرؤيا تدل على بلاء عظيم ومصيبة فادحة فيه وفي عسكره وتفسيرها قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل وأما ضربه النقيرة فتأويلها فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير الآية فانصرف اليهودي وذكر للاذفونش ما وافق خاطره ثم خرج من بلاد الاندلس وتقدم السلطان يوسف فقصده وتأخر ابن عباد لبعض مهماته ثم انزعج يقفو أثره بجيش فيه حماة الثغور ورؤساء الاندلس وجعل ابنه عبد الله على مقدمته وسار وهو ينشد لنفسه متفائلا مكملا البيت المشهور

لابد من فرج قريب * يأتيك بالعجب العجيب
غزو عليك مبارك * سيعود بالفتح القريب
لله سعدك انه * نكس على دين الصليب
لابد من يوم يكو * ن له أخا يوم القليب

ووافت

دواة وأتى منزل روح عشيا وخرج روح للصلاة فتوصل الفتى الى دخول الدهليز في حال خروج روح وكمن تحت الدرجة ولم يزل يحتال ليلته حتى توصل الى بيت روح فكتب على حائط في أقرب المواضع من مرقد روح

يا روح من لبنيات وأرملة * اذا نعاك لأهل المغرب الناعي
ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل لنفسك يا روح بن زنباع
ولا يغرنك انكار ومنعمة * واسمع هديت مقال الناصح الداعي

ورجع الى مكانه بالدهليز فبات فيه فلما أصبح روح خرج الى الصلاة فتبعه غلمانه والفتى متنكر في جملتهم مختلط بهم فلما عاد روح وافتتح باب حجرته تبين الكتابة وقرأها فراعه ذلك وانكره وقال ما هذا فوالله ما يدخل حجرتي انسي سواي ولا حظ لي في المقام ثم نهض الى بشر فقال يا ابن أخي أوصني بما أحببت من حاجة وسبب عند أمير المؤمنين قال أو تريد الشخوص يا عم قال نعم قال ولم هل أنكرت شيأ أو رأيت قبيحا لا يسعك المقام عليه قال لا والله بل جزاك الله عن نفسك وعن سلطانك خيرا ولكن أمر حدث ولابد لي من الانصراف الى أمير المؤمنين فاقسم عليه أن يخبره فقال له

و وافت الجيوش كلها بطليوس فاناخوا بظاهرها وخرج اليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس فلقيهم بما يجب من الضيافات والاقوات و بذل المجهود وجاءهم الخبر بشخوص الاذفونش ولما ازداف بعضهم الى بعض أذكى المعتمد عيونه فى محلات الصحراويين خوفا عليهم من مكايد الاذفونش اذهم غرباء لاعلم لهم بالبلاد وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل ان الرجل من الصحراويين لايخرج على طرف المحلة لقضاء أمر أوحاجة الاويجد ابن عباد بنفسه مطيفا بالمحلة بعد ترتيب الخيل والرجال على أبواب المحلات وقد تقدم كتاب السلطان يوسف الى الاذفونش يدعوه الى احدى الثلاث المأمور بها شرعا فامتلأ الكافر غيظا وعتا وطغا وراجعه بما يدل على شقائه وقامت الاساقفة والرهبان ورفعوا صلبانهم ونشروا أناجيلهم وتبايعوا على الموت ووعظ يوسف وابن عباد أصحابهما وقام الفقهاء والصالحون مقام الوعظ وحضوهم على الصبر والثبات وحذروهم من الفشل والفرار وجاءت الطلائع تخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم وهو يوم الاربعاء فأصبح المسلمون وقد أخذوا مصافهم فكع الاذفونش ورجع الى اعمال المكر والخديعة فعاد الناس الى محلاتهم و باتوا ليلتهم ثم أصبح يوم الخميس فبعث الاذفونش الى ابن عباد يقول غدا يوم الجمعة وهو عيدكم والاحد عيدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت فعرف المعتمد بذلك السلطان يوسف وأعلمه انها حيلة منه وخديعة وانما قصده الفتك بنا يوم الجمعة فليكن الناس على استعداد له يوم الجمعة كل النهار و بات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس و بعد مضى جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبى وكان فى محلة ابن عباد فرحا مسرورا يقول انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فى النوم فبشره بالفتح والموت على الشهادة فى صبيحة تلك الليلة فتأهب ودعا وتضرع ودهن رأسه وتطيب وانتهى ذلك الى ابن عباد فبعث الى يوسف يخبره بها تحقيقا لما توقعه من غدر الكافر بالله تعالى ثم جاء بالليل فارسان من طلائع المعتمد يخبران انهما أشرفا على محلة الاذفونش وسمعا ضوضاء الجيوش واضطراب الاسلحة ثم تلاحق بقية الطلائع محققين بتحرك الاذفونش ثم جاءت الجواسيس من داخل محلتهم تقول استرقنا السمع فسمعنا الاذفونش يقول لاصحابه ابن عباد مسعر هذه الحروب وهؤلاء الصحراويون وان كانوا أهل حفاظ وذوى بصائر فى الحروب فهم غير عارفين بهذه البلاد وانما قادهم ابن عباد فاقصدوه واهجموا عليه واصبروا فان انكشف لكم هان عليكم الصحراويون بعده ولا أرى ابن عباد يصبر لكم ان صدقتموه الحملة فعند ذلك بعث ابن عباد الكاتب أبا بكر بن القصيرة الى السلطان يوسف يعرفه باقبال الاذفونش و يستحث نصرته فمضى ابن القصيرة يطوى المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين فعرفه بجلية الامر فقال له قل له انى سأقرب منه ان شاء الله تعالى وأمر يوسف بعض قواده أن يمضى بكتيبة رسمها له حتى يدخل محلة النصارى فيضرمها نارا مادام الاذفونش مشتغلا مع ابن عباد وانصرف ابن القصيرة الى المعتمد فلم يصله الا وقد غشيته جنود الطاغية فصدم ابن عباد صدمة قطعت آماله ومال الاذفونش عليه بجموعه وأحاطوا به من كل جهة فهاجت الحرب وحمى الوطيس واستحر القتل فى أصحاب ابن

ان أمير المؤمنين قدمات أو هو ميت الى أيام قال ومن أين علمت ذلك فاخبره بخبر الكتابة وقال ليس يدخل حجرتى غيرى وغير جاريتى فلانة وما كتب ذلك الا الجن أو الملائكة فقال له بشر أقم فانى أرجو أن لايكون لهذا حقيقة فلم يثنه شئ وسار الى الشام فاقبل بشر على الشراب والطرب فلما لقى روح عبد الملك انكر أمره وقال ما اقدمك الا لحادثة حدثت أو لأمر كرهته فاثنى على بشر وحمد سيرته وقال لا بل لامر لايمكننى ذكره حتى نخلو فقال عبد الملك لجلسائه انصرفوا وخلا بروح فاخبره بقصته وأنشده الابيات فضحك عبد الملك حتى استغرب وقال ثقلت على بشر وأصحابه حتى احتالوا لك بما رأيت فلا ترع ولما اتصل قتل مصعب باخيه عبد الله أضرب عن ذكره حتى تحدثت بذلك العبيد والاماء فى سكك المدينة ومكة فصعد المنبر وجبينه يرشح فقال الحمد لله مالك الدنيا والآخرة يؤتى الملك من يشاء و ينزع الملك ممن يشاء و يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير ألا انه لن يذل الله من كان الحق معه ولن يعز من كان أولياء الشيطان حزبه انه أتانا خبر من العراق أحزننا وأفرحنا قتل مصعب فاما الذى احزننا من ذلك فان الفراق

الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوى من بعد ذلك الى كريم الصبر وجميل العزاء وأما الذى

عباد وصبر ابن عباد صبرا لم يعهد مثله لاحد واستبطأ السلطان يوسف وهو يلاحظ طريقه وعضته الحروب واشتد عليه وعلى من معه البلاء وأبطأ عليه الصحراويون وساءت الظنون وانكشف بعض أصحاب ابن عباد وفيهم ابنه عبد الله وأثخن ابن عباد جراحات وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغه وجرحت يمنى يديه وطعن فى أحد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة افراس كلما هلك واحد قدم له آخر وهو يقاسى حياض الموت ويضرب يمينا وشمالا وتذكر فى تلك الحالة ابنا له صغيرا كان مغرما به تركه فى اشبيلية عليلا وكنيته أبو هاشم فقال

أباهاشم هشمتنى الشفار * فلله صبرى لذاك الاوار
ذكرت شخيصك تحت العجاج * فلم يثننى ذكره للفرار

ثم كان أول من وافى ابن عباد من قواد ابن تاشفين داود بن عائشة وكان بطلا شجاعا شهما فنفس بجيئه عن ابن عباد ثم أقبل يوسف بعد ذلك وطبوله تصعد أصواتها الى الجو فلما أبصره الاذفونش وجه حملته اليه وقصده بمعظم جنوده فبادر اليهم السلطان يوسف وصدمهم بجمعه فردهم الى مركزهم وانتظم به شمل ابن عباد واستنشق ريح الظفر وتباشر بالنصر ثم صدقوا جميعا الحملة فتزلزلت الارض بحوافر خيولهم وأظلم النهار بالعجاج والغبار وخاضت الخيل فى الدماء وصبر الفريقان صبرا عظيما ثم تراجع ابن عباد الى يوسف وحمل معه حملة جاء معها النصر وتراجع المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفئتين وصدقوا الحملة فانكشف الطاغية وهرب منهزما وقد طعن فى احدى ركبتيه طعنة بقى يخمع بها بقية عمره وعلى سياق ابن خلكان أن ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو فى يوم الاربعاء وكان الموعد فى المناجزة فى يوم السبت فغدر الاذفونش ومكر فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب أقبلت طلائع ابن عباد والروم على اثرها والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وبث الخبر فى العساكر فماجت بأهلها ووقع البهت ورجفت الارض وصار الناس فوضى على غير تعبئة ولا أهبة ودهمتهم خيل العدو فأحاطت بابن عباد وحطمت ما تعرض لها وتركت الارض حصيدا خلفها وجرح ابن عباد جرحا أشواه وفر رؤساء الاندلس وتركوا محلاتهم وأسلموها وظنوا انه وهى لا يرقع ونازلة لا تدفع وظن الاذفونش أن السلطان يوسف فى المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين فركب أمير المسلمين وأحدق به جياد خيله ورجاله من صنهاجة رؤساء القبائل وقصدوا محلة الاذفونش فاقتحموها ودخلوها وفتكوا فيها وقتلوا وضربت الطبول وزعقت البوقات فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال والآفاق وتراجع الروم الى محلاتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها فصدموا أمير المسلمين فخرج لهم عنها ثم كر عليهم فأخرجهم منها ثم كروا عليه فخرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها وأحجمت عن أقرانها وتلاحق الاذفونش بأسود نفذت مزاريقه فأهوى ليضربه بالسيف فلصق به الاسود وقبض على عنانه وانتضى

أفرحنا فان القتل له شهادة ويجعل الله له ولنا فى ذلك الخيرة أما والله انا لا نموت حتفا كميتة آل أبى العاص وانما نموت قعصا بالرماح وقتلا تحت ظلال السيوف الا وان الدنيا عارية من الملك القهار الذى لا يزول سلطانه ولا يتبدل فان تقبل الدنيا على لا آخذها أخذ الاشر البطر وان تدبر عنى لا أبكى عليها بكاء الحزين المهين فأتى الحجاج الطائف فاقام بها شهورا ثم زحف الى مكة فحاصر ابن الزبير بها وكتب الى عبد الملك انى قد ظفرت بابى قبيس فلما ورد كتابه على عبد الملك بحصار ابن الزبير بمكة والظفر بابى قبيس كبر عبد الملك فكبر من فى داره واتصل التكبير بمن فى جامع دمشق فكبروا واتصل ذلك باهل الاسواق ثم سألوا عن الخبر فقيل لهم ان الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة وظفر بأبى قبيس فقالوا لا نرضى حتى يحمله الينا مكبلا على رأسه برنس على جمل يمر بنا فى الاسواق الترابى الملعون وكان حصار الحجاج لابن الزبير بمكة هلال ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وفيها قتل مصعب ومنع ابن الزبير الحجاج أن يطوف بالبيت ووقف الحجاج بالناس محرما

خبرا

خنجرا كان متمنطقا به فاثبته في فخذه فهتك حلق درعه ونفذ من فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال وهبت ريح النصر فانزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم وصدقوا الحملة على الاذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا أعناقهم والسيوف تصفعهم والرماح تطعنهم الى أن لحقوا بربوة لجؤا اليها واعتصموا بها وأحدقت بهم الخيل فلما أظلم الليل انساب الاذفونش وأصحابه من الربوة وافلتوا بعدما تشبثت بهم أظفار المنية واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الآلات والسلاح والمضارب والاواني وغير ذلك وأمر ابن عباد بضم رؤس قتلى المشركين فاجتمع من ذلك تل عظيم انتهى وبعضه بالمعنى (رجع) الى كلام صاحب الروض المعطار قال ولجأ الاذفونش الى تل كان يلي محلته في نحو خمسمائة فارس كل واحد منهم مكلوم وأباد القتل والاسر من عداهم من أصحابهم وعمل المسلمون من رؤسهم مآذن يؤذنون عليها والمخذول ينظر الى موضع الوقيعة ومكان الهزيمة فلا يرى الانكالا محيطا به وبأصحابه وأقبل ابن عباد على السلطان يوسف وصافحه وهناه وشكره وأثنى عليه وشكر يوسف صبر ابن عباد ومقامه وحسن بلائه وجميل صبره وسأله عن حاله عندما أسلمته رجاله بانهزامهم عنه فقال له هم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليخبروك وكتب ابن عباد الى ابنه باشبيلية كتابا مضمونه كتابي هذا من المحلة المنصورة يوم الجمعة الموفى عشرين من رجب وقد أعز الله الدين ونصر المسلمين وفتح لهم الفتح المبين وهزم الكفرة المشركين وأذاقهم العذاب الاليم والخطب الجسيم فالحمد لله على ما يسره وسناه من هذه المسرة العظيمة والنعمة الجسيمة في تشتيت شمل الاذفونش والاحتواء على جميع عساكره أصلاه الله نكال الجحيم ولا أعدمه الوبال العظيم المقيم بعد اتيان النهب على محلاته واستئصال القتل في جميع أبطاله وحماته حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها فلله الحمد على جميل صنعه ولم يصبني والحمد لله الا جراحات يسيرة آلمت لكنها فرجت بعد ذلك فلله الحمد والمنة والسلام واستشهد في ذلك اليوم جماعة من الفضلاء والعلماء وأعيان الناس مثل ابن رميلة صاحب الرؤيا المذكورة وقاضي مراكش أبي مروان عبد الملك المصمودي وغيرهما رحمهم الله تعالى (وحكى) أن موضع المعترك كان على اتساعه ما كان فيه موضع قدم الا على ميت أو دم وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم واستؤذن في ذلك السلطان يوسف فعف عنها وآثر بها ملوك الاندلس وعرفهم أن مقصده الجهاد والاجر العظيم وما عند الله في ذلك من الثواب المقيم فلما رأت ملوك الاندلس ايثار يوسف لهم بالغنائم استكرموه وأحبوه وشكروا له ذلك ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل عن أبطاله وشجعانه وأصحابه ففقدهم ولم يسمع الا نواح الثكلى عليهم اهتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك غما وهما وراح الى أمه الهاوية ولم يخلف الا بنتا واحدة جعل الامر اليها فتحصنت بطليطلة ورحل المعتمد الى اشبيلية ومعه السلطان يوسف بن تاشفين فأقام السلطان يوسف بن تاشفين بظاهر اشبيلية ثلاثة أيام ووردت عليه من المغرب أخبار تقتضي العزم فسافر وذهب معه ابن عباد يوما وليلة فحلف ابن تاشفين وعزم عليه في الرجوع وكانت جراحاته تورمت عليه فسير معه ولده

في درع ومغفر وهو من أبناء احدى وثلاثين سنة ونحر ابن الزبير بمكة ولم يخرج الى عرفة بسبب الحجاج فكانت مدة حصار الحجاج لابن الزبير بمكة خمسين ليلة ودخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد بلغت مائة سنة لم تقع لها سن ولا ابيض لها شعر ولم ينكر لها عقل على حسب ما قدمنا من خبرها في هذا الكتاب فقال يا امه كيف تجدينك قالت اني لشاكية يا بني فقال لها ان في الموت راحة قالت لعلك تمنيه لي وما أحب أن أموت حتى يأتي على أحد طرفيك اما قتلت فأحتسبك واما ظفرت فقرت عيني بك وأوصى عبد الله بما يحتاج من أمره وأمر نسائه اذا بلغن الواعية عليه ان يضممن أمه أسماء اليهن وكان عروة ابن الزبير على رأي عبد الملك بن مروان وكان كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره بتعاهد عروة وأن لا يسوءه في نفسه وماله فخرج عروة الى الحجاج ورجع الى أخيه فقال هذا خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعمرو بن عثمان بن عفان يعطيانك أمان عبد الملك على ما احدثت أنت ومن معك وأن تنزل أي البلاد شئت لك بذلك عهد الله وميثاقه وغير ذلك من الكلام فأبى عبد الله قبول ذلك وقالت له أمه أسماء أي بني لا تقبل خطة تخاف على نفسك

عبد الله الى أن وصل البحر وعبر الى المغرب ولما رجع ابن عباد الى اشبيلية جلس للناس وهنئ بالفتح وقرأت القراء وقامت على رأسه الشعراء فأنشدوه قال عبد الجليل بن وهبون حضرت ذلك اليوم وأعددت قصيدة أنشدها بين يديه فقرأ القارئ الا تنصروه فقد نصره الله فقلت بعد الى ولشعرى والله ما أبقت لى هذه الآية معنى أحضره وأقوم به ولما عزم السلطان يوسف بن تاشفين الى بلاده ترك الامير سيرى بن أبى بكر أحد قواده المشاهير وترك معه جيشا برسم غزو الفرنج فاستراح الامير المذكور أياما قلائل ودخل بلاد الاذفونس وأطلق الغارة ونهب وسبى وفتح الحصون المنيعة والمعاقل الصعبة العويصة وتوغل فى البلاد وحصل أموالا وذخائر عظيمة ورتب رجالا وفرسانا فى جميع ما أخذه وأرسل للسلطان يوسف جميع ما حصله وكتب له يعرفه أن الجيوش بالثغور مقيمة على مكابدة العدو وملازمة الحرب والقتال فى أضيق العيش وأنكده وملوك الاندلس فى بلادهم وأهليهم فى أرغد عيش وأطيبه وسأله مرسومه فكتب اليه أن يأمرهم بالنقلة والرحيل الى أرض العدوة فمن فعل فذاك ومن أبى فحاصره وقاتله ولا تنفس عليه ولتبدأ بمن والى الثغور ولا تتعرض للمعتمد بن عباد الا بعد استيلائك على البلاد وكل بلد أخذته فول فيه أميرا من عساكرك فأول من ابتدأ به من ملوك الاندلس بنو هود وكانوا بروطه بضم الراء المهملة وبعدها واو ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وبعدها هاء ساكنة وهى قلعة منيعة من عاصمات الذرى وماؤها ينبع من أعلاها وفيها من الاقوات والذخائر المختلفات ما لا تفنيه الازمان فحاصرها فلم يقدر عليها ورحل عنها وجند أجنادا على هيئة الفرنج وزيهم وأمرهم أن يقصدوها ويغيروا عليها وكمن هو وأصحابه بقرب منها فلما رآهم أهل القلعة استضعفوهم فنزلوا اليهم ومعهم صاحب القلعة فخرج عليه سيرى المذكور وقبضه باليد وتسلم الحصن ثم نازل بنى طاهر بشرق الاندلس فأسلموا له البلاد ولحقوا ببر العدوة ثم نازل بنى صمادح بالمرية ولها قلعة حصينة فحاصرهم وضيق بهم ولما علم ابن صمادح الغلب أسف ومات غبنا فأخذ القلعة واستولى على المرية وجميع أعمالها ثم قصد بطليوس وكان بها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس المتقدم ذكره فحاصره وأخذه واستولى على جميع أعماله وماله ولم يبق له الا المعتمد ابن عباد فكتب للسلطان يوسف يعرفه بما فعل ويسأله مرسومه فى ابن عباد فكتب اليه يأمره أنه يعرض عليه النقلة لبر العدوة بجميع الاهل والعشيرة فان رضى والا فحاصره وخذه وأرسل به كسائر أصحابه فواجهه وعرفه بما رسم به السلطان يوسف وسأله الجواب فلم يجب بنفى ولا اثبات ثم انه نازل اشبيلية وحاصره بها وألح عليه فأقام الحصار شهرا ودخل البلد قهرا واستخرجه من قصره فحمل وجميع أهله وولده الى العدوة فانزل باغمات وأقام بها الى أن مات رحمه الله تعالى وعفا عنه * وأما ابن الاثير ففى كلامه تقديم وتأخير وبعض خلاف لما مر وأخبار المعتمد بن عباد وما رآه من الملك والعز فى كل حاضر وباد وما قاساه فى الاسر من الضيق والعسر وسوء العيش أمر عجيب يتعظ به العاقل الاريب وأما ما مدحته به الشعراء وأجوبته لهم فى حالى يسره وعسره وملكه وأسره وطيه ونشره وتجهمه وبشره فهو كثير وفى كتب التواريخ منه نظيم ونثير وقد قدمنا منه فى هذا الكتاب ما يبعث الاعتبار

منها مخافة القتل مت كريما وإياك ان تؤسر أو تطعى بيديك فقال يا أمه انى أخاف ان يمثل بى بعد القتل فقالت يابنى وهل تتألم الشاة من السلخ بعد الذبح ودخلوا على ابن الزبير فى المسجد وقت الصلاة وقد التجأ الى البيت وهم ينادون يا ابن ذات النطاقين فقال ابن الزبير متمثلا

وعيرها الواشون أنى أحبها * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ونظر الى طائفة منهم قد اقبلوا نحوه بالسيوف فقال لاصحابه من هؤلاء قالوا أهل مصر قال قتلة عثمان أمير المؤمنين ورب الكعبة فحمل عليهم فضرب رجلا منهم به أدمة فقده وقال صبرا يا ابن حام وتكاثر عليه الرجال من أهل الشأم ومصر فلم يزل يضرب فيهم حتى أخرجهم عن المسجد ورجع الى البيت وهو يقول

ولست بمبتاع الحياة بسبة * ولا ابتغى من رهبة الموت سلما

فاستلم الحجر ثم تكاثروا عليه فحمل عليهم وهو يقول

قد سن أصحابك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

فأتاه حجر فصك جبينه فادماه وأوضحه فقال

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ويشير وخصوصا في الباب السابع من هذا التأليف الذي هو عند المنصف أثير وفي المعتمد وأبيه المعتضد يقول بعض الشعراء

من بني منذر وذاك انتساب * زاد في فخرهم بنو عباد
فتية لم تلد سواها المعالي * والمعالي قليلة الاولاد

وقال ابن القطاع في كتابه لمح الملح في حق المعتمد انه اندى ملوك الاندلس راحة وأرحبهم ساحة وأعظمهم عمادا وأرفعهم عمادا ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال وموسم الشعراء وقبلة الآمال ومألف الفضلاء حتى انه لم يجتمع بباب أحد من الملوك من اعيان الشعراء وأفاضل الادباء ما كان يجتمع ببابه وتشتمل عليه حاشيتا جنابه *وقال ابن بسام في الذخيرة للمعتمد شعر كما انشق الكمام عن الزهر لو صار مثله ممن جعل الشعر صناعه واتخذه بضاعه لكان رائقا معجبا ونادرا مستغربا فمنه قوله

أكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك أحيانا على أمور
فكأنما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور

قال وهذا المعنى ينظر الى قول بعضهم من أبيات

اسفر ضوء الصبح عن وجهه * فقام ذاك الخال فيه بلال
كأنما الخال على خده * ساعات هجر في زمان الوصال

وعزم على ارسال حظاياه من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسايرهن من أول الليل الى الصبح فودعهن ورجع وأنشد أبياتا منها

سايرتهم والليل عقد ثوبه * حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثم مودعا وتسلمت * مني يد الاصباح تلك الانجما

وهذا المعنى في نهاية الحسن ثم ذكر من كلامه جملة (عودوا نعطاف) ولما جاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى ناحية غرناطة بعدما حصر بعض حصون الفرنج فلم يقدر عليه خرج الى لقائه صاحب غرناطة عبد الله بن بلكين فسلم عليه ثم عاد الى بلده ليخرج له التقادم فغدر به ودخل البلد وأخرج عبد الله ودخل قصره فوجد فيه من الذخائر والاموال مالا يحد ولا يحصى ثم رجع الى مراكش وقد أعجبه حسن بلاد الاندلس وبهجتها وما بها من المباني والبساتين والمطاعم وسائر الاصناف التي لا توجد في سائر بلاد العدوة اذ هي بلاد بربر وأجلاف عرب فجعل خواص يوسف يعظمون عنده بلاد الاندلس ويحسنون له أخذها ويوغرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير على المعتمد وقصد مشارفة الاندلس (وحكى) ابن خلدون أن علماء الاندلس أفتوا ابن تاشفين بجواز خلع المعتمد وغيره من ملوك الطوائف وبقتالهم ان امتنعوا فجهز يوسف العساكر الى الاندلس وحاصر سير بن أبي بكر أحد عظماء دولة يوسف اشبيلية وبها المعتمد فكان من دفاعه وشدة ثباته ما هو معلوم ثم أخذ أسيرا وصار طرف الملك بعده حسيرا *وفي وصف ذلك يقول صاحب القلائد بعد كلام ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجواري المنشآت وضمتهم كأنهم أموات بعدما ضاق عنهم القصر وراق منهم المصر والناس قد حشروا بضفتي الوادي يبكون بدموع كالغوادي فساروا

فكشفهم عن المسجد ورجع الى من بقي من أصحابه عند البيت فقال لهم ألقوا أغماد السيوف وليصن كل منكم سيفه كما يصون وجهه لا ينكسر سيف أحدكم فيقعد كالمرأة ولا يسأل رجل منكم أين عبد الله من يسأل عني فانني في الرعيل الاول ثم أنشأ يقول

يارب ان جنود الشأم قد كثروا * وهتكوا من حجاب البيت أستارا
يارب اني ضعيف الركن مضطهد * فابعث الي جنودا منك أنصارا

وتكاثر أهل الشأم عليه ألوفا من كل باب فحمل عليهم فشدخ بالحجارة فانصرع وأكب عليه موليان له وأحدهما يقول العبد يحمي ربه ويحتمي حتى قتلوا جميعا وتفرق من كان معه من أصحابه وأمر به الحجاج فصلب بمكة وكان مقتله يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين وكلمت أسماء أمه الحجاج في دفنه فأبى عليها فقالت للحجاج أشهد اني لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فهو المختار وأما المبير فما أظنك الا هو وسنذكر لمعا من أخبار الحجاج فيما يرد من هذا الكتاب وان كان

والنوح يحدوهم والبوح باللوعة لا يعدوهم انتهى * ولما فرغ أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين من أمر غزوة الزلاقة المتقدم ذكرها ورجع تكرم له ابن عباد وسأله أن ينزل عنده فعرج الى بلاده اذ أجابه الى ما طلب فلما انتهى ابن تاشفين الى اشبيلية مدينة المعتمد وهى من أجل المدن وأحسنها منظرا وأمعن يوسف النظر فيها وفى محلها وهى على نهر عظيم متبحر تجرى فيه السفن بالبضائع جالبة من بر المغرب وحاملة اليه وفى غربيها رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخا يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون وهذا هو المسمى بشرف اشبيلية وتمتار بلاد المغرب كلها بهذه الاصناف منه وفى جانب المدينة قصور المعتمد وأبيه المعتضد فى غاية الحسن والبهاء وفيها أنواع ما يحتاج اليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمفروش وغير ذلك فأنزل المعتمد يوسف بن تاشفين فى أحدها وتولى من اكرامه وخدمته ما أوسع شكر ابن تاشفين له وكان مع ابن تاشفين أصحاب له ينبهونه على حسن تلك الحال وتأملها وما هى عليه من النعمة والاتراف ويغرونه باتخاذ مثلها ويقولون له ان فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد وأصحابه وكان ابن تاشفين عاقلا مقتصدا فى أموره غير متطاول ولا مبذر غير سالك نهج الترف والتأنق فى اللذة والنعيم اذ ذهب صدر عمره فى بلاده بالصحراء فى شظف العيش فأنكر على من أغراه بذلك الاسراف وقال له الذى يلوح لى من أمر هذا الرجل يعنى المعتمد انه مضيع لما فى يده من الملك لان هذه الاموال الكثيرة التى تصرف فى هذه الاحوال لابد أن يكون لها أرباب لا يمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبدا فأخذه بالظلم واخراجه فى هذه الترهات من أفحش الاستهتار ومن كانت همته فى هذا الحد من التصرف فيما لا يعدو الاجوفين متى يستعد همة فى ضبط بلاده وحفظها وصون رعيته والتوفير لمصالحها ولعمرى لقد صدق فى كل ذلك ثم ان يوسف بن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد فى لذاته هل تختلف فتنقص عما عليه فى بعض الاوقات فقيل له بل كل زمانه على هذا فقال أفكل أصحابه وأنصاره على عدوه ومنجديه على الملك ينال حظا من ذلك فقالوا لا قال فكيف ترون رضاهم عنه فقالوا لا رضا لهم عنه فاطرق وسكت وأقام عند المعتمد على تلك الحال أياما وفى أثنائها استأذن رجل على المعتمد فدخل وهو ذو هيئة رثة وكان من أهل البصائر فلما مثل بين يديه قال أصلحك الله أيها السلطان وان من أوجب الواجبات شكر النعمة وان من شكر النعمة اهداء النصائح وانى رجل من رعيتك حالى فى دولتك الى الاختلال أقرب منها الى الاعتدال ولكننى مع ذلك مستوجب لك من النصيحة ما للملك على رعيته فمن ذلك خبر وقع فى أذنى من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدل على انهم يرون أنفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك وقد رأيت رأيا فان آثرت الاصغاء اليه قلته فقال المعتمد له قله فقال له رأيت أن هذا الرجل الذى أطلعته على ملكك مستأسد على الملوك قد حكم على رفقائه ببر العدوة وأخذ الملك من أيديهم ولم يبق على واحد منهم ولا يؤمن أن يطمع الى المطمع فى ملكك بل فى ملك جزيرة الاندلس كلها لما قد عاينه من هناءة عيشك وانى لمتخيل مثل ذلك لسائر ملوك الاندلس وان له من الاقارب وغيرهم من يود الحلول بما أنت فيه من خصب الجناب وقد ادى الاذفونش

وجيشه

قد أتينا على مبسوطها فيما تقدم من كتبنا وأقام الحجاج واليا على مكة والمدينة والحجاز واليمن واليمامة ثلاث سنين ثم جمع له العراق بعد موت بشر بن مروان بالبصرة ومات جابر ابن عبد الله الانصارى فى أيام عبد الملك بالمدينة وذلك فى سنة ثمان وسبعين وقد ذهب بصره وهو ابن نيف وتسعين سنة وقد كان قدم الى معاوية بدمشق فلم يأذن له أياما فلما أذن له قال يا معاوية أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حجب ذا فاقة وحاجة حجبه الله يوم فاقته وحاجته فغضب معاوية وقال له لقد سمعته يقول انكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تردوا على الحوض أفلا صبرت قال ذكرتنى ما نسيت وخرج فاستوى على راحلته ومضى فوجه اليه معاوية بستمائة دينار فردها وكتب اليه

وانى لاختار القنوع على الغنى
اذا اجتمعا والماء بالبارد المحض
وأقضى على نفسى اذا الامر نابنى
وفى الناس من يقضى عليه ولا يقضى
وألبس أثواب الحياء وقد أرى * مكان الغنى أن لا أهين له عرضى

وقال لرسوله قل له والله

و جيشه واستأصل شأفتهم واعدمك منه أقوى ناصر عليه لو احتجت اليه فقد كان لك منه أقوى عضد وأوقى مجن وبعد فانه ان فات الامر في الاذفونش فلا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم فقال له المعتمد وما هو الحزم اليوم فقال أن تجمع أمرك على قبض ضيفك هذا واعتقاله في قصرك وتجزم انك لا تطلقه حتى يأمر كل من بجزيرة الاندلس من عسكره أن يرجع من حيث جاء حتى لا يبقى منهم احد بالجزيرة طفل فمن فوقه ثم تتفق أنت وملوك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجري فيه له ثم بعد ذلك تستحلفه باغلظ الايمان أن لا يضمر في نفسه عودا الى هذه الجزيرة الا باتفاق منكم ومنه وتأخذ منه على ذلك رهائن فانه يعطيك من ذلك ما تشاء فنفسه أعز عليه من جميع ما يلتمس منه فعند ذلك يقتنع هذا الرجل ببلاده التي لا تصلح الا له وتكون قد استرحت منه بعد ما استرحت من الاذفونش وتقيم في موضعك على خير حال ويرتفع ذكرك عند ملوك الجزيرة ويتسع ملكك وينسب هذا الاتفاق لك الى سعادة وحزم وتهابك الملوك ثم أعمل بعد هذا ما يقتضيه حزمك في مجاورة من عاملته هذه المعاملة واعلم أنه قد تهيأ لك من هذا أمر سماوي تتفانى الامم وتجري بحار الدم دون حصول مثله فلما سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه وجعل يفكر في انتهاز الفرصة وكان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه في اللذات فقال احدهم لهذا الرجل الناصح ما كان المعتمد على الله وهو امام أهل المكرمات ممن يعامل بالحيف ويغدر بالضيف فقال الرجل انما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن نفسه المحذور اذا ضاق به فقال ذلك النديم ضيم مع وفاء خير من حزم مع جفاء ثم ان ذلك الناصح استدرك الامر وتلافاه فشكره المعتمد ووصله بصلة واتصل هذا الخبر بيوسف فاصبح غاديا فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتحف الفاخرة فقبلها ثم رحل انتهى خبر وقعة الزلاقة وما يتبعه ملخصا من كتب التاريخ (ولما) انقرض بالاندلس ملك ملوك الطوائف بني عباد وبني ذي النون وبني الافطس وبني صمادح وغيرهم انتظمت في سلك اللمتونيين وكانت لهم فيها وقعات بالاعداء مشهورة في كتب التواريخ (ولما) مات يوسف بن تاشفين سنة خمسمائة قام بالملك بعده ابنه أمير المسلمين علي بن يوسف وسلك سنن أبيه وان قصر عنه في بعض الامور ودفع العدو عن الاندلس مدة الى أن قيض الله تعالى للثورة عليه محمد بن تومرت الملقب بالمهدي الذي اسس دولة الموحدين فلم يزل يسعى في هدم بنيان لمتونة الى أن مات ولم يملك حضرة سلطنتهم مراكش ولكنه ملك كثيرا من البلاد فاستخلف عبد المؤمن بن علي فكان من استيلائه على مملكة اللمتونيين ما هو معروف ثم جاز الى الاندلس وملك كثيرا منها ثم اخرج الافرنج من مهدية أفريقية وملك بلاد افريقية وضخم ملكه وتسمى بامير المؤمنين ولما كانت سنة ٥٤٥ سار الاذفونش صاحب طليطلة وبلاد الجلالقة الى قرطبة ومعه أربعون ألف فارس فحاصرها وكان أهلها في غلاء شديد فبلغ الخبر عبد المؤمن فجهز اليهم جيشا يحتوي على اثني عشر ألف فارس فلما اشرفوا على الاذفونش رحل عنها وكان فيها القائد أبو الغمر السائب فسلمها الى صاحب جيش عبد المؤمن يحيى بن ميمون فبات فيها فلما اصبح رأى الفرنج عادوا الى مكانهم ونزلوا في المكان الذي كانوا فيه فلما عاين ذلك رتب هنالك ناسا وعاد الى عبد

يا ابن آكلة الاكباد لا وجد في صحيفتك حسنة أنا سبها أبدا ومات محمد بن الحنفية في سنة احدى وثمانين في أيامه بالمدينة ودفن بالبقيع وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان باذن ابنه أبي هاشم وكان محمد يكنى بأبي القاسم وقبض وهو ابن خمس وستين وقيل انه خرج الى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات بها وقيل انه مات ببلاد أيلة وقد تنوزع في موضع قبره وقدمنا قول الكيسانية ومن قال منهم انه بجبل رضوى وكان له من الولد الحسن وأبو هاشم والقاسم وابراهيم (حدثنا) نصر بن علي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري عن يونس بن أبي اسحق قال حدثنا سهيل بن عبيد ابن عمر الخابوري قال كتب ابن الحنفية الى عبد الملك ان الحجاج قد قدم بلدنا فقد خفته فأحب ان لا تجعل له علي سلطانا بيد ولا لسان فكتب عبد الملك الى الحجاج ان محمد بن علي كتب الي يستعفيني منك وقد أخرجت يدك عنه فلم أجعل لك عليه سلطانا بيد ولا لسان فلا تتعرض له فلقيه في الطواف فعض على شفته ثم قال لم يأذن لي فيك أمير المؤمنين فقال له محمد ويحك أوما علمت أن الله تبارك وتعالى في كل يوم وليلة ثلثمائة وستين لحظة أو قال نظرة لعله أن ينظر الي منها بنظرة أو قال بلحظة فيرحمني

المؤمن ثم رحل الفرنج الى ديارهم وفى السنة بعدها دخل جيش عبد المؤمن الى الاندلس فى عشرين ألفا عليهم الهنتاتى فصار اليه صاحب غرناطة ميمون وابن همشك وغيرهما فدخلوا تحت طاعة الموحدين وحرصوا على قصد ابن مردنيش ملك شرق الاندلس و بلغ ذلك ابن مردنيش فخاف وارسل الى صاحب برشلونة من الافرنج يستنجده فجهز اليه فى عشرة آلاف من الافرنج عليهم فارس وسار صاحب جيش عبد المؤمن الى أن قارب ابن مردنيش فبلغه أمر البرشلونى الافرنجى فرجع ونازل مدينة المرية وهى بايدى الروم فحاصرها فاشتد الغلاء فى عسكره فرجع الى اشبيلية فاقام فيها وسار عبد المؤمن الى سبتة فجهز الاساطيل وجمع العساكر ثم سار عبد المؤمن سنة ٥٤٧ الى المهدية فملكها وملك أفريقية وضخم ملكه كما قدمناه * ولما مات بويع بعده ولده يوسف بن عبد المؤمن ولما تمهدت له الامور واستقرت قواعد ملكه رحل الى جزيرة الاندلس لكشف مصالح دولته وتفقد احوالها وكان ذلك سنة ست وستين وخمسمائة وفى صحبته مائة ألف فارس من الموحدين والعرب فنزل بحضرة اشبيلية وخافه ملك شرق الاندلس مرسية وما انضاف اليها الامير الشهير أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش وحمل على قلب ابن مردنيش فمرض مرضا شديدا ومات وقيل انه سم ولما مات جاء أولاده وأهله الى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية فدخلوا تحت حكمه وسلموا الاحكامه البلاد فصاهرهم واحسن اليهم واصبحوا عنده فى اعز مكان ثم شرع فى استرجاع البلاد التى استولى عليها الافرنج فاتسعت مملكته بالاندلس وصارت سراياه تعبر الى باب طليطلة وقيل انه حاصرها فاجتمع الفرنج كافة عليه واشتد الغلاء فى عسكره فرجع عنها الى مراكش حضرة ملكه ثم ذهب الى أفريقية فمهدها ثم رجع الى حضرته مراكش ثم جاز البحر الى الاندلس سنة ثمانين وخمسمائة ومعه جمع كثيف وقصد غربى بلادها فحاصر مدينة شنترين وهى من اعظم بلاد العدو وبقى محاصرها شهرا فاصابه المرض فمات فى السنة المذكورة وحمل فى تابوت الى اشبيلية وقيل أصابه سهم من قبل الافرنج والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال * وفى ابنه السيد اسحق يقول مطرف التحيبى رحمه الله تعالى

سعد كاشاء العلا والفخار * تصرف الليل به والنهار
مادانت الارض لكم عنوة * وانما دانت لامر كبار
مهدتموها فصفا عيشها * واتصل الابن فنعم القرار

ومنها

فالشاة لا يختلها ذئبها * وان اقامت معه فى وجار

ولما مات يوسف قام بالامر بعده ابنه الشهير أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن فقام بالامر أحسن قيام ولما مات يوسف المذكور رثاه أديب الاندلس أبو بكر يحيى ابن مجير بقصيدة طويلة أجاد فيها واولها

جل الاسى فأسل دم الاجفان * ماء الشؤن لغير هذا الشان

ويعقوب المنصور هو الذى أظهر أبهة ملك الموحدين ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط الاحكام الشرعية وأظهر الدين وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام الحدود على

الروم وقد كان توعده فكتب اليه ملك الروم ليست هذه من سجيتك ولا من سجية آبائك ماقالها الانبى أو رجل من أهل بيت نبى (وذكر) الشعبى قال أنفذنى عبد الملك الى ملك الروم فلما وصلت اليه جعل لا يسألنى عن شئ الا أجبته وكانت الرسل لا تطيل الاقامة عنده فحبسنى اياما كثيرة حتى استحببت خروجى فلما أردت الانصراف قال لى من أهل بيت المملكة أنت قلت لا ولكنى رجل من العرب فى الجملة فهمس بشئ فدفعت الى رقعة وقيل لى اذا أديت الرسائل عند وصولك الى صاحبك أوصل اليه هذه الرقعة قال فأديت الرسائل عند وصولى الى عبد الملك ونسيت الرقعة فلما صرت فى بعض الدار اذ بدأت بالخروج تذكرتها فرجعت فأوصلتها اليه فلما قرأها قال لى أقال لك شيأ قبل أن يدفعها اليك قلت نعم قال لى من أهل بيت المملكة انت قلت لا ولكنى رجل من العرب فى الجملة ثم خرجت من عنده فلما بلغت الباب رددت فلما مثلت بين يديه قال لى اتدرى مافى الرقعة قلت لا قال اقرأها فلما قرأتها فاذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل هذا

القريب والبعيد وله فى ذلك أخبار وفيه يقول الاديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكانمى الاسود الشاعر المشهور

أزال حجابه عنى وعينى * تراه من المهابة فى حجاب
وقربنى تفضله ولكن * بعدت مهابة عند اقترابى

وكثرت الفتوحات فى أيامه وأول ما نظر فيه عند صيرورة الامر اليه بلاد الاندلس فنظر فى شأنها ورتب مصالحها وقرر المقاتلين فى مراكزهم ورجع الى كرسى مملكته مراكش المحروسة وفى سنة ٥٨٦ بلغه أن الافرنج ملكوا مدينة شلب وهى من غرب الاندلس فتوجه اليها بنفسه وحاصرها وأخذها وأنفذ فى الوقت جيشا من الموحدين والعرب ففتح أربع مدن مما بأيدى الافرنج من البلاد التى كانوا أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله الهدنة والصلح فهادنه خمس سنين وعاد الى مراكش وأنشد القائد أبو عبد الله بن وزير الشلبي وهو من أمراء كتاب اشبيلية قصيدة يخاطب بها يعقوب المنصور فيما جرى فى وقعة مع الفرنج كان الشلبي المذكور مقدما فيها

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا * فمنا ومنهم طائحون عديد
وجال غرار الهند فينا وفيهم * فمنا ومنهم قائم وحصيد
فلا صدر الا فيه صدر مثقف * وحول الوريد للحسام ورود
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا * كلانا على حر الجلاد جليد
ولكن شددنا شدة فتبلدوا * ومن يتبلد لا يزال يحيد
فولوا وللسمر الطوال بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود

(رجع) الى أخبار المنصور بعد هدنة الافرنج ولما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها الا القليل خرج طائفة من الافرنج فى جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسعوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الخبر اليه فتجهز لقصدهم فى جيوش موفرة وعساكر مكتبة واحتفل فى ذلك وجاز الى الاندلس سنة ٥٩١ فعلم به الافرنج فجمعوا جمعا كثيرا من أقاصى بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه وقيل انه لما أراد الجواز من مدينة سلا مرض مرضا شديدا ويئس منه اطباؤه فعاث الاذفونش فى بلاد المسلمين بالاندلس وانتهز الفرصة وتفرقت جيوش المسلمين بسبب مرض السلطان فأرسل الاذفونش يتهدد ويتوعد ويرعد ويبرق ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الاندلس وخلاصة الامر أن المنصور توجه بعد ذلك الى لقاء النصارى وتزاحف الفريقان فكان المصاف شمالى قرطبة على قرب قلعة رباح فى يوم الخميس تاسع شعبان سنة ٥٩١ فكانت بينهم وقعة عظيمة استشهد فيها جمع كبير من المسلمين (وحكى) أن يعقوب المنصور جعل مكانه تحت الاعلام السلطانية الشيخ أبا يحيى ابن أبى حفص عم السلطان أبى زكريا الحفصى الذى ملك بعد ذلك افريقية وخطب له ببعض الاندلس فقصد الافرنج الاعلام ظنا أن السلطان تحتها فأثر وافى المسلمين أثرا قبيحا فلم يرعهم الا والسلطان يعقوب قد أشرف عليهم بعد كسر شوكتهم فهزمهم شر هزيمة وهرب الاذفونش فى طائفة يسيرة وهذه وقعة الارك الشهيرة الذكر (وحكى) أن الذى حصل

كيف ملكوا غيره فقلت له والله لو علمت ما حملتها وانما قال هذا لانه لم يرك قال أفتدرى لم كتبها ٥٣٧ قلت لا قال حسدنى عليك وأراد ان يغرينى بقتلك قال فتأدى ذلك الى ملك الروم فقال ما أردت الا ما قال وذكر عند معاوية عبد الملك فقال هو آخذ بثلاث وتارك لثلاث آخذ بقلب الناس اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبايسر الامرين اذا خولف تارك للمماراة تارك للغيبة تارك لما يعتذر منه وقال لعبد الملك بعض جلسائه يوما أريد الخلوة بك فلما خلا به قال له عبد الملك بشرط ثلاث خصال لا تطرنى عندك فانا أعلم بها منك ولا تغتب عندى أحدا فلست أسمع منك ولا تكذبنى فلا رأى لمكذب قال أتاذن فى الانصراف قال اذا شئت وذكر الهيثم وغيره من الاخباريين أن عبد الملك بلغه عن عامل من عماله أنه قبل الهدايا فاشخصه اليه فلما دخل عليه قال له أقبلت هدية منذ وليت قال يا أمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك على أفضل حال قال أجب فيما سألتك عنه أقبلت هدية منذ وليتك قال نعم قال ان كنت قبلت ولم تعوض انك للئيم ولئن كنت أنت مهديها من غير مالك أو استكفيته مالم يكن مثله مستكفاه انك لخائن جائر وفيما أتيت أمر

لبيت المال من دروع الافرنج ستون ألفا وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصر لها عدد ولم يسمع بعد وقعة الزلاقة بمثل وقعة الارك هذه وربما صرح بعض المؤرخين بأنها أعظم من وقعة الزلاقة وقيل ان فل الافرنج هربوا الى قلعة رباح فتحصنوا بها فحاصرها السلطان يعقوب حتى أخذها وكانت قبل للمسلمين فأخذها العدو فردت فى هذه المرة ثم حاصر طليطلة وقاتلها أشد قتال وقطع أشجارها وشن الغارات على ارجائها وأخذ من أعمالها حصونا وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب منازلها وهدم أسوارها وترك الافرنج فى أسوا حال ولم يبرز اليه أحد من المقاتلة ثم رجع الى اشبيلية وأقام الى سنة ٥٩٣ فعاد الى بلاد الافرنج وفعل فيها الافاعيل فلم يقدر العدو على لقائه وضاقت على الافرنج الارض بما رحبت فطلبوا الصلح فأجابهم اليه لما بلغه من ثورة الميرقى عليه بافريقية مع قراقوش مملوك بنى أيوب سلاطين مصر والشام ثم توفى السلطان يعقوب سنة ٥٩٥ وما يقال انه ساح فى الارض وتخلى عن الملك ووصل الى الشام ودفن بالبقاع لا أصل له وان حكى ابن خلكان بعضه وممن صرح ببطلان هذا القول الشريف الغرناطى فى شرح مقصورة حازم وقال ان ذلك من هذيان العامة لولوعهم بالسلطان المذكور * وتولى بعده ولده محمد الناصر المشؤم على المسلمين وعلى جزيرة الاندلس بالخصوص فانه جمع جموعا اشتملت على ستمائة ألف مقاتل فيما حكاه صاحب الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ودخله الاعجاب بكثرة من معه من الجيوش فصادف الافرنج فكانت عليه وعلى المسلمين وقعة العقاب المشهورة التى خلا بسببها أكثر المغرب واستولى الافرنج على أكثر الاندلس بعدها ولم ينج من الستمائة ألف مقاتل غير عدد يسير جدا لم يبلغ الالف فيما قيل وهذه الوقعة هى الطامة على الاندلس بل المغرب جميعا وما ذاك الا لسوء التدبير فان رجال الاندلس العارفين بقتال الافرنج استخف بهم الناصر ووزيره فشنق بعضهم ففسدت النيات فكان ذلك من بخت الافرنج والله غالب على أمره وكانت وقعة العقاب هذه المشؤمة سنة ٦٠٩ ولم تقم بعدها للمسلمين قائمة تحمد * ولما مات الناصر سنة عشرين وستمائة ولى بعده ابنه يوسف المستنصر وكان مولعا بالراحة فضعفت الدولة فى أيامه * وتوفى سنة ٦٢٠ فتولى عم أبيه عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن فلم يحسن التدبير وكان اذ ذاك بالاندلس العادل بن المنصور فرأى انه أحق بالامر فاستولى على ما بقى فى أيدى المسلمين من الاندلس بغير كلفة ولما خلع عبد الواحد وخنق بمراكش ثارت الافرنج على العادل بالاندلس وتصاف معهم فانهزم ومن معه من المسلمين هزيمة شنعاء فكانت الاندلس قرحا على قرح فهرب العادل وركب البحر يروم مراكش وترك باشبيلية أخاه أبا العلاء ادريس ودخل العادل مراكش بعد خطوب ثم قبض عليه الموحدون وقدموا يحيى بن الناصر صغير السن غير مجرب للامور فادعى حينئذ الخلافة أبو العلاء ادريس باشبيلية وبايعه أهل الاندلس ثم بايعه أهل مراكش وهو مقيم بالاندلس فثار على أبى العلاء بالاندلس الامير المتوكل محمد بن يوسف الجذامى ودعا الى بنى العباس فمال الناس اليه ورجعوا عن ابى العلاء فخرج عن الاندلس اعنى أبا العلاء وترك ما وراء البحر لابن هود ولم يزل أبو العلاء يتحارب مع يحيى بن الناصر الى ان قتل يحيى وصفا الامر لابى

العلاء

لاتخلو فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع وأمر بصرفه عن عمله (حدث) المنقرى عن الضبي قال قال الوليد بن اسحق قال قال ابن عباس كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر تحت عبد الملك بن مروان فغضبت عليه فطلب رضاها بكل شئ فأبت عليه وكانت أحب الناس اليه فشكا ذلك الى خاصته فقال له عمرو بن بلال رجل من بنى أسد كان قد تزوج بنت زنباع الجذامى مالى عليك ان أرضيتها قال أحكمك فخرج وجلس ببابها يبكى فقالت خاصتها مالك أبا حفص قال فزعت الى ابنة عمى فاستأذنوا لى عليها فأذنت له وبينهما ستر فقال قد عرفت حالى مع أمراء المؤمنين معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك ولم يكن لى غير ابنين فعدا أحدهما على الآخر فقتله فقال أمير المؤمنين انا قاتل المتعدى قلت له انا ولى الدم وقد عفوت فابى على وقال ما أحب أن أعود رعيتى هذا وهو قاتله بالغداة فانشدك الله الا ما طلبته منه فقالت لا أكلمه قال ما أظنك تكسبين شيأ هو أفضل من احياء نفس ولم يزل خواصها وخدمها وحاشيتها حتى قالت على بثيابي فلبست وكان بينها وبين عبد الملك باب وكانت قد

العلاء بالمغرب دون الاندلس ثم مات سنة ٦٣٠ * وبويع ابنه الرشيد وبايعه بعض أهل الاندلس ثم توفي سنة ٦٤٠ * وولي بعده أخوه السعيد وقتل على حصن بينه وبين تلمسان سنة ٦٤٦ * وولي بعده المرتضى عمر بن ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن وفي سنة ٦٦٥ دخل عليه الواثق المعروف بأبي دبوس ففر ثم قبض وسيق الى الواثق فقتله ثم قتل الواثق بنو مرين سنة ٦٦٨ وبه انقرضت دولة بني عبد المؤمن وكانت من أعظم الدول الاسلامية فاستولى بنو مرين على المغرب وأما المتوكل بن هود فملك معظم الاندلس ثم كثرت عليه الخوارج قريب موته وقتله غدرا وزيره ابن الرميمي بالمرية واغتنم الافرنج الفرصة بافتراق الكلمة فاستولوا على كثير مما بقي بايدي المسلمين من البلاد والحصون ثم آل الامر الى أن ملك بنو الاحمر وخطب بعض الاندلس لابي زكريا الحفصي صاحب افريقية وقد سبق الكلام على أكثر المذكور هنا وأعدناه لتناسق الحديث ولما في بعضه من زيادة الفائدة على البعض الآخر وذلك لايخفى على المتأمل وقد بسطنا في الباب الثالث أحوال ابن هود وابن الاحمر وغيرهما رحم الله تعالى الجميع * ثم استفحل ملك يعقوب بن عبد الحق صاحب المغرب وحضرة ملك فاس فانتصر به أهل الاندلس على الافرنج الذين تكالبوا عليهم فاجتاز الى الاندلس وهزم الافرنج أشد هزيمة حتى قال بعضهم مانصر المسلمون من العقاب حتى دخل يعقوب المريني وفتك في بعض غزواته بملك من النصارى يقال له ذوننند ويقال انه قتل من جيشه أربعين ألفا وهزمهم اشد هزيمة ثم تتابعت غزواته بالاندلس وجوازه للجهاد وكان له من بلاد الاندلس رندة والجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق وغير ذلك وأعز الله تعالى به الدين بعد تمرد الفرنج المعتدين * ولما مات ولي بعده ابنه يوسف بن يعقوب ففر اليه الاذفونش ملك النصارى لائذا به وقبل يده ورهن عنده تاجه فأعانه على استرجاع ملكه ولم يزل ملوك بني مرين يعينون أهل الاندلس بالمال والرجال وتركوا منهم حصة معتبرة من أقارب السلطان بالاندلس غزاة فكانت لهم وقائع في العدوة مذكورة ومواقف مشكورة وكان عند ابن الاحمر منهم جماعة بغرناطة وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة (ولما) أفضى الملك الى السلطان الكبير الشهير أبي الحسن المريني وخلص له المغرب وبعض بلاد الاندلس أمر بانشاء الاساطيل الكثيرة برسم الجهاد بالاندلس واهتم بذلك غاية الاهتمام فقضى الله تعالى أن استولى الافرنج على كثير من تلك المراكب بعد اخذهم الجزيرة الخضراء وكان الافرنج جمعوا جموعا كثيرة برسم الاستيلاء على ما بقي للمسلمين بالاندلس فاستنفر أهل الاندلس السلطان أبا الحسن المذكور فجاء بنفسه الى سبتة فرضة المجاز ومحل أساطيل المسلمين فاذا بالافرنج جاؤا بالسفن التي لاتحصى ومنعوه العبور وأعانه أهل الاندلس حتى استولوا على الجزيرة الخضراء وأنكوه في مراكبه أعظم نكاية ولله الامر وقد أفصح عن ذلك كتاب صدر من السلطان أبي الحسن المذكور الى سلطان مصر والشام والحجاز الملك الصالح ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي الالفي رحم الله تعالى الجميع وهذه نسخة الكتاب المذكور الذي خاطب به أمير المسلمين السلطان أبو الحسن المريني المذكور ملك المغرب رحمه الله تعالى السلطان الملك

ردمته فامرت بفتحه ثم دخلت فأقبل الخصي يشتد فقال يا أمير المؤمنين هذه عاتكة قال ويلك ورأيتها قال نعم اذ طلعت وعبد الملك على سريره فسلمت فسكت فقالت أما والله لولا مكان عمرو بن بلال ما أتيتك آ الله أن عدا أحد ابنيه على الآخر فقتله وهو ولي الدم وقد عفا أعزمت لتقتلنه قال اي والله وهو راغم فأخذت بيده فاعرض عنها فاخذت برجله فقبلتها فقال هو لك وتراضيا بعد أن نكحها ثلاثا وراح عبد الملك فجلس مجلسه للعامة فدخل عمرو بن بلال فقال له يا أبا حفص ألطفت الحيلة في القيادة ولك الحكم فقال يا أمير المؤمنين ألف دينار ومزرعة بما فيها من الآلات والرقيق قال هي لك قال وفرائض لولدي وأهل بيتي قال وذلك كله وبلغ عاتكة الخبر فقالت ويلي على القواد انما خدعني وكتب عبد الملك الى الحجاج أن صف لي الفتنة فكتب اليه ان الفتنة تلقح بالنجوى وتمخض بالشكوى وتنتج بالخطب فكتب اليه انك قد أصبت وأحسنت الصفة فان أردت أن يستقيم لك من قبلك فخذهم بالجماعة وأعطهم عطاء الفرقة وألصق بهم الحاجة (وحدثنا) المنقري قال حدثنا أبو الوليد الصباح بن الوليد قال حدثنا أبو رياش عتبة بن نعامة عن

الصالح ابن السلطان الملك الشهير الكبير الناصر محمد بن قلاوون ووصل الى مصر فى النصف وقيل فى العشر الاواخر من شعبان المكرم سنة ٧٤٥ بعد البسملة والصلاة من عند أمير المسلمين المجاهد فى سبيل الله رب العالمين المنصور بفضل الله المتوكل عليه المعتمد فى جميع أموره لديه سلطان البرين حامى العدوتين مؤثر المرابطة والمثاغره موازر حزب الاسلام حق الموازره ناصر الاسلام مظاهر دين الملك العلام ابن مولانا امير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين فخر السلاطين حامى حوزة الدين ملك البرين امام العدوتين ممهد البلاد مبدد شمل الاعاد مجند الجنود المنصور الرايات والبنود محط الرحال مبلغ الآمال أبى سعيد ابن مولانا امير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين حسنة الايام حسام الاسلام أبى الاملاك مشجى أهل العناد والاشراك مانع البلاد رافع علم الجهاد مدوخ أقطار الكفار مصرخ من ناداه للانتصار القائم لله باعلاء دين الحق أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق أخلص الله لوجهه جهاده ويسر فى قهر عداة الدين مراده الى محل ولدنا الذى طلع فى أفق العلا بدرا تما وصدع بانواع الفخار خلالا ظلاما وظلما وجمع شمل المملكة الناصرية فاعلى منها علما واحيا لها رسما حائط الحرمين القائم بحفظ القبلتين باسط الامان قابض كف العدوان الجزيل النوال الكفيل تامينه بحياطة النفوس والاموال قطب المجد وسماكه حسب الجد وملاكه السلطان الجليل الرفيع الاصيل الحافل العادل الفاضل الكامل الشهير الخطير الاضخم الافخم المعان المؤزر المؤيد المظفر الملك الصالح أبو الوليد اسمعيل ابن محل أخينا الشهير علاؤه المستطير فى الآفاق ثناؤه زين الايام والليال كمال عين انسان المجد وانسان عين الكمال وارث الدول النافث بصحيح رأيه فى عقود أهل الملل والنحل حامى القبلتين بعدله وحسامه النامى فى حفظ الحرمين أجر اضطلاعه بذلك وقيامه هازم احزاب المعاندين وجيوشها هادم الكنائس والبيع فهى خاوية على عروشها السلطان الاجل الهمام الاحفل الافخم الاضخم الفاضل العادل الشهير الكبير الرفيع الخطير المجاهد المرابط المقسط عدله فى الجائر والقاسط المؤيد المظفر المنعم المقدس المطهر زين السلاطين ناصر الدنيا والدين أبى المعالى محمد ابن الملك الارضى الهمام الامضى والد السلاطين الاخيار عاقد لواء النصر فى قهر الارمن والفرنج والتتار محيى رسوم الجهاد معلى كلمة الاسلام فى البلاد جمال الايام ثمال الاعلام فاتح الاقالم صالح ملوك عصره المتقادم الامام المؤيد المنصور المسدد قسيم أمير المؤمنين فيما تقلد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون مكن الله له تمكين أوليائه ونمى دولته التى أطلع هاله السعد شمسا فى سمائه واحسن ايزاعه للشكر أن جعله وارث آبائه سلام كريم يفاوح زهر الربا مسراه وينافح نسيم الصبا مجراه يصحبه رضوان يدوم ما دامت تنقل الفلك حركاته ويتولاه روح وريحان تحييه به رحمة الله وبركاته (أما بعد) حمد الله مالك الملك جاعل العاقبة للتقوى صدعا باليقين ودفعا للشك وخاذل من أسرف فى النفاق النجوى فاصر على الدخن والافك والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذى محا بانوار الهدى ظلم الشرك

مقاس بن سابق الدمشقى ثم السكسكى أن عبد الملك لما بلغه خلع ابن الاشعث صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان أهل العراق استعجلوا قدرى قبل انقضاء أجلى اللهم لا تسلطنا على من هو خير منا ولا تسلط علينا من نحن خير منه اللهم سلط سيف أهل الشام على أهل العراق حتى يبلغ رضاك فاذا بلغه فلا تجاوز بخطك وكتب عبد الملك الى الحجاج أنت سالم فلم يعرف ما أراد بذلك فكتب الى قتيبة يسأله عن ذلك وبعث الكتاب مع رسول فلما ورد الى قتيبة وناوله الكتاب ضرط الرسول فخجل واستحيا فقرأ قتيبة وأراد أن يقول له اقعد فقال اضرط قال قد فعلت فاستحيا قتيبة وقال ما أردت الا أن أقول لك اقعد فغلطت فقال قد غلطت أنا وغلطت أنت قال قتيبة ولا سواء أغلط أنا من فى وتغلط أنت من استك أعلم أمير المؤمنين أن سالما كان لعبد الرجل وكان عنده أسيرا وكان يسعى به اليه كثيرا فقال

يديروننى عن سالم وأديرهم
وجلدة بين العين والانف سالم

فاراد عبد الملك انك عندى بمنزلة سالم فلما أتى الحجاج بالرسالة كتب له عهدا على خراسان وقد حكى نحو هذا الخبر عن رجل كان فى مجلس خالد بن عبد الله

ونبيه

ونبيه الذى ختم به الانبياء وهو واسطة ذلك السلك ودحا به حجة الحق فعادت بالافرة محمولة الافلاك وماجت بهم حاملة الفلك والرضا عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيل هداه فسلك فى قلوبهم أجمل السلك وملكوا أعنة هواهم فلزموا من محجة الصواب أنجح السلك وصابروا فى جهاد الاعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهب يزيد خلوصا على السبك والدعاء لأولياء الاسلام وحماته الاعلام بنصر لمضائه فى العدا أعظم الفتك ويسر بقضائه درك آمال الظهور وأحفل بذلك الدرك فكتبناه اليكم كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوغ النعم من حضرتنا بمدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه يعرّف مذاهب الالطاف ويكيف مواهب تلهج الالسنة فى القصور عن شكرها بالاعتراف ويصرف من أمره العظيم وقضائه المتلقى بالتسليم مايتكون بين النون والكاف ومكانكم العتيد سلطانه وسلطانكم المجيد مكانه وولاؤكم الصحيح برهانه وعلاؤكم الفسيح فى مجال الجلال ميدانه والى هذا زاد الله سلطانكم تمكينا وأفاد مقامكم تحصينا وتحسينا وسلك بكم من سنن من خلفتموه سبيلا مبينا فلاخفاء بما كانت عقدته أيدى التقوى ومهدته الرسائل التى على الصفاء تطوى بيننا وبين والدكم نعم الله روحه وقدسه وبقربه مع الابرار فى عليين آنسه من مواخاة احكمت منها العهود تالية الكتب والفاتحة وحفظ عليها محكم الاخلاص معوّذتاها المحبة والنية الصالحه فانعقدت على التقوى والرضوان واعتضدت بتعارف الارواح عند تنازح الابدان حتى استحكمت وصلة الولاء والتأمت كلحمة النسب لحمة الاخاء فما كان الاوشيكا من الزمان ولاعجب قصر زمن الوصلة أن يشكوه الخلان وردوا ردأ وردرنق المشارب وحقق قول من يسأل الركبان عن كل غائب أنبأ باستئثار الله تعالى بنفسه الزكيه واكتنان درته السنيه وانقلابه الى ماأعدّ له من المنازل الرضوانيه بجليل ماوقر لفقده فى الصدور وعظيم ماتأثرت له النفوس لوقوع ذلك المقدور حنانا للاسلام بتلك الاقطار واشفاقا من أن يعتور قاصدى بيت الله الحرام من جراء الفتن عارض الاضرار ومساهمة فى مصاب الملك الكريم والولى الحميم ثم عميت الاخبار وطويت طى السجل الآثار فلم نر مخبرا صدقا ولامعلما بمن استقرله ذلكم الملك حقا وفى أثناء ذلك حفزنا للحركة عن حضرتنا استصراخ أهل الاندلس وسلطانها وتواتر الاخبار بان النصارى أجمعوا على خراب أوطانها ونحن اثناء ذلكم الشان نستخبر الوراد من تلكم البلدان عما أجلى عنه ليل الفتن بتلكم الاوطان فبعد لأى وقعنا منها على الخبير وجاءنا بوقاية حرم الله بكم البشير وتعرفنا أن الملك استقر منكم فى نصابه وتداركه الله تعالى منكم بفاتح الخير من أبوابه فاطفأ بكم نار الفتنة وأخمدها وأبرأ من أدواء النفاق ماأعل البلاد وأفسدها فقام سبيل الحج سابلا وتعبر طريقه لمن جاء قاصدا وقافلا ولما احتفت بهذا الخبر القرائن وتواتر بنقل الحاضر المعاين أثار حفظ الاعتقاد البواعث والود الصحيح تجره حقا المواريث فاصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفننة الاطوار الجامعة بين الخبر والاستخبار الملابسة من العزاء والهناء ثوبى الشعار والدثار ومثل ذلكم الملك رضوان الله عليه من تحل المصائب لفقدانه وتحل عرا الاصطبار بموته ولات حين أوانه لكن الصبر

القسرى فضرط فلما حضر الغداء قام ذلك الرجل فقال له خالد اقعد فأبى فقال له أقسمت عليك لتضرطن قال قد ضرطت فخجل خالد واعتذر اليه وأمر له بمال وأهدى الى عبد الملك أترسة مكللة بالدر والياقوت فأعجبته وعنده جماعة من خاصته وأهل خلوته فقال لرجل من جلسائه اسمه خالد اغمز منها ترسا وأراد ان يمتحن صلابته فقام فغمزه فضرط فاستضحك عبد الملك وضحك جلساؤه فقال كم دية الضرطة فقال بعضهم أربعمائة درهم وقطيفة فأمر له بذلك فأنشأ يقول رجل من القوم

أيضرط خالد من غمز ترس
ويحبوه الامير بها بدورا
فيالك ضرطة جلبت غناه
ويالك ضرطة أغنت فقيرا
يود الناس لو ضرطوا فنالوا
من المال الذى أعطى عشيرا
ولو نعلم بان الضرط يغنى
ضرطنا أصلح الله الاميرا

فقال عبد الملك أعطوه أربعة آلاف درهم ولا حاجة لنا فى ضراطك (وحدث) أحمد بن سعيد الدمشقى والطوسى وغيرهما فى كتاب الاخبار المعروف بالموفقيات عن الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن يزيد بن عتبة بن ابى لهب قال حج عبد الملك فى بعض اعوامه فامر للناس بالعطاء فخرجت بدرة مكتوب عليها من

أجل ما ارتداه ذو عقل حصين والاجر أولى ما اقتناه ذو دين متين ومثلكم من لا يخف وقاره ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث اصطباره ومن خلفكم فما مات ذكره ومن قمتم بامره فما زال بل زاد فخره وقد طالت والحمد لله العيشة الراضية بالحقب وطاب بين مبداه ومحتضره هنيأ عما من الاجر اكتسب وصار حميدا الى خير المنقلب ووفد من كرم الله على أفضل ما منح موفقا ووهب فقد ارتضا كم الله بعده لحياطة أرضه المقدسة وحماية زوار بيته مقيلة أو معرسة ونحن بعد بسط هذه التعزيه نهنيكم بما خولكم الله أجل التهنية وفي ذات الله الايراد والاصدار وفي مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار فاستقبلوا دولة التي العز عليها رواقه وعقد الظهور عليها نطاقه وأعطاها أمان الزمان عقده وميثاقه ونحن على ما عاهدنا عليه الملك الناصر رضوان الله عليه من عهود موثقه وموالاة محققه وثناء كمائمه عن أذكى من الزهر غب القطر مفتقه ولم يغب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الاكرمين اللذين خطتهما منا اليمين وأوت بهما الرغبة من الحرمين الشريفين الى قرار مكين وانه كان لوالدكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه وأورده موارد احسانه في ذلكم من الفعل الجميل والصنع الجليل ما ناسب مكانه الرفيع وشاكله فضله من البر الذي لا يضيع حتى طبق فعله الآفاق ذكرا وطوق أعناق الوراد والقصاد برا وكان من أجل ما به تحفي وأتحف وأعظم ما بعرفه الى رضا الملك العلام في ذلك تعرف اذنه للتوجهين اذ ذاك في شراء رباع توقف على المصحفين ورسم المراسم المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين فجرت أحوال القراء فيهما بذلك الخراج المستفاد ريثما يصلهم من خراج ما وقفناه عليهم بهذه البلاد على ما رسمه رحمة الله عليه من عناية بهم متصله واحترام في تلك الاوقاف فوائدها به متوفرة متحصله وقد أم نامؤدي هذا الكتاب لكم وموفده على جلالكم كاتبنا الاسنى الفقيه الاجل الاحظى الاكمل أبا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الاجل الحاج الاتقى الارضى الافضل الاحظى الاكمل المرحوم ابي عبد الله بن ابي مدين حفظ الله عليه رتبته ويسر في قصد البيت الحرام بغيته بأن يتفقد احوال تلك الاوقاف ويتعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد واسراف وان يتخير لها من يرتضى لذلك ويحمد تصرفه فيها هنالك وخاطبنا سلطانكم في هذا الشأن جريا على الود الثابت الاركان واعلاما بما لوالدكم رحمه الله تعالى في ذلك من الافعال الحسان وكمالكم يقتضي تخليد ذلكم البر الجميل وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل وتشييد ما اشتمل عليه من الشراء الاصيل والاجر الجزيل والتقدم بالاذن السلطاني في اعانة هذا الوافد بهذا الكتاب على ما يتوخاه في ذلك الشأن من طرق الصواب وثناؤنا عليكم الثناء الذي يفاوح زهر الربا ويطارح نغم حمام الايك مطربا وبحسب المصافاه ومقتضى الموالاه نشرح لكم المتزايدات بهذه الجهات وننبئكم بموجب ابطاء انفاذ هذا الخطاب على ذلكم الجناب وذلك انه لما وصلنا من الاندلس الصريخ ونادى منا للجهاد عزما المثل نداؤه يصيخ أنبانا أن الكفار قد جمعوا احزابهم من كل صوب وحتم عليهم باباهم اللعين التناصر من كل أوب وأن تقصد طوائفهم البلاد الاندلسية بإجحافها وتنقص بالمنازلة أرضها من أطرافها

ليمنوا

الصدقة فأبى أهل المدينة من قبولها وقالوا انما كان عطاؤنا من الفيء فقال عبد الملك وهو على المنبر يا معشر قريش مثلنا ومثلكم أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا في ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا الرواح خرجت اليهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فألقته اليهما فقالا ان هذا لمن كنز فأقاما عليها ثلاثة أيام كل يوم تخرج اليهما دينارا فقال أحدهما لصاحبه الى متى ننتظر هذه الحية ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه فنهاه أخوه وقال ما ندري لعلك تعطب ولا تدرك المال فأبى عليه وأخذ فأسا معه ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها فثارت الحية فقتلته ورجعت الى جحرها فقام أخوه فدفنه وأقام حتى اذا كان من الغد خرجت الحية معصوبا رأسها ليس معها شيء فقال لها يا هذه اني والله ما رضيت ما أصابك ولقد نهيت أخي عن ذلك فهل لك أن نجعل الله بيننا أن لا تضريني ولا أضرك وترجعين الى ما كنت عليه قالت الحية لا قال ولم ذلك قالت اني لأعلم أن نفسك لا تطيب لي أبدا وأنت ترى قبر أخيك ونفسي لا تطيب لك أبدا وأنا أذكر هذه الشجة وأنشدهم شعر النابغة

لمعدوا كلمة الاسلام منها و يقلصوا ظل الايمان عنها فقدمنا من يشتغل بالاساطيل من القوّاد وسرنا على اثرهم الى سبتة منتهى الغرب الاقصى وباب الجهاد فما وصلناها الا وقد أخذه العدو الكفور وسدت أجفان الطواغيت على التعاون مجاز العبور وأتوا من أجفانهم بما لا يحصى عددا وأرصدوها بمجمع البحر حيث المجاز الى دفع العدا وتقلصوا عن الانبساط فى البلاد واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء أعادها الله بكل من جمعوه من الاعاد لكنا مع انسداد تلك السبيل وعدم أمور نستعين بها فى ذلكم العمل الجليل حاولنا امداد تلكم البلاد بحسب الجهد وأصرخناهم بمن أمكن من الجند وجهزنا أجفانا مختلسين فرصة الاجازة تتردد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه وأمرنا لصاحب الاندلس من المال بما يجهز به حركته لمداناة محلة حزب الضلال وأجريناله ولجيشه العطاء الجزل مشاهرة وأرضخنا لهم فى النوال ما نرجو به ثواب الآخرة وجعلت أجفاننا تتردد فى مينا السواحل وتلج أبواب الخوف العاجل لاحراز الامن الآجل مشحونة بالعدد الموفورة والابطال المشهورة والخيل المسومة والاقوات المقومة فمن ناج حارب دونه الاجل وشهيد مضى لما عند الله عز وجل ومازالت الاجفان تتردد على ذلك الخطر حتى تلف منها سبع وستون قطعة غزوية أجرها عند الله يدخر ثم لم نقنع بهذا العمل فى الامداد فبعثنا أحد أولادنا أسعدهم الله تعالى مساهمة به لاهل تلك البلاد فلقى من هول البحر وارتجاجه والحاح العدو ولجاجه ما به الامثال تضرب وبمثله يتحدث ويستغرب ولما خلص لتلك العدوة بعد أن بقيته الشدائد نزل بازاء الكافر الجاحد حتى كان منه بفرسخين أو أدنى وقد ضرب بعطن يصابح العدو ويماسيه بحرب بها اينى وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته وقويت فى الحرب ادارته يبلون البلاء الاصدق ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء فى البعير الاورق الا ان المطاولة بحصرها فى البحر مدة ثلاثة أعوام ونصف ومنازلتها فى البر نحو عامين معقودا عليها الصف بالصف أدى الى فناء الاقوات فى البلد حتى لم يبق لاهله قوت شهر مع انقطاع المدد وبه من الخلق ما يربى على عشرة آلاف دون الحرم والولد فكتب الينا سلطان الاندلس يرغب فى الاذن له فى عقد الصلح ووقع الاتفاق على انه لاستخلاص المسلمين من وجوه النجح فاذناله فيه الاذن العام اذ فى اصراخهم واصراخ من بقطره من المسلمين توخينا ذلك المرام هنالك دعى النصارى الى السلم فاستجابوا وقد كانوا علموا فناء القوت وما استرابوا فتم الصلح الى عشر سنين وخرج من بها من فرسان ورجال وأهل وبنين ولم يرزؤا مالا ولا عدة ولا لقوا فى خروجهم غير النزوح عن أول أرض مس الجلد ترابها شده ووصلوا الينا فاجزلنا لهم العطاء وأسليناهم عما جرى بالحباء فمن خيل تزيد على الالف عتاقها وخلع تربى على عشرة آلاف أطواقها وأموال عمت الغنى والفقير ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير وكف الله ضرا الطواغيت عما عداها وما انقلبوا بغير مدرة عفا رسمها وصم صداها وقد كان من لطف الله حين قضى باخذ هذا الثغر أن قدر لنا فتح جبل طارق من أيدى الكفر وهو المطل على هذه المدرة والفرصة منها ان شاء الله تعالى متيسرة حتى يفرق عقد الكفار ويفرج

فقالت أرى قبرا تراه مقابلى * وضربة فأس فوق رأسى فاغره فيا معشر قريش وليكم عمر بن الخطاب فكان فظا غليظا مضيقا عليكم فسمعتم له وأطعتم ثم وليكم عثمان فكان سهلا فعدوتم عليه فقتلتموه وبعثنا عليكم مسلما يوم الحرة فقتلناكم فنحن نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبوننا أبدا وأنتم تذكرون يوم الحرة ونحن لا نحبكم أبدا ونحن نذكر قتل عثمان (وحدث) المدينى وابن دأب أن روح بن زنباع جليس عبد الملك رأى منه اعراضا وجفوة فقال للوليد بن عبد الملك أما ترى ما أنا فيه من أمير المؤمنين باعراضه عنى بوجهه حتى لقد فغرت السباع بأفواهها نحوى وأهوت بمخاليبها الى وجهى فقال له الوليد احتل له فى حديث تضحكه به كما احتال مرزبان نديم سابور ابن ملك فارس قال روح وما كان من خبره مع الملك قال الوليد كان مرزبان هذا من سمار سابور فظهرت له من سابور جفوة فلما اعلم ذلك تعلم نباح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وزقاء الديوك وشحيج البغل وصهيل الخيل ومثل هذا ثم توصل الى موضع يقرب من مجلس خلوة الملك وفراشه وأخفى أثره فلما خلا الملك نبح نباح الكلاب فلم يشك الملك أنه كلب فقال الملك ماهذا فعوى عوى الذئاب فنزل

بهذه الجهة منهم مجاوروه هذه الاقطار فلولا اجلابهم من كل جانب و كونهم سدوا مسالك العبور بما لجيعهم من الاجفان والمراكب لما بالينا باصعاقهم ولحللنا بعون الله عقد اتفاقهم ولكن للموانع أحكام ولا رادلما جرت به الاقلام وقد أمرنا لذلك الثغر بمزيد المدد وتخيرنا له ولسائر تلك البلاد العدد والعدد وعدنا لحضرتنا فاس لنستريح الجيوش من وعثاء السفر وترتبط الجياد وتنتخب العدد لوقت الظهور المنتظر وتكون على أهبة الجهاد وعلى مرقبة الفرصة عند تمكنها فى الأعاد وعند عودنا من تلك المحاوله تيسر الركب الحجازى موجها الى هنالكم رواحله فاصدرنا اليكم هذا الخطاب اصدار الود الخالص والحب اللباب وعندنا لكم ما عند أحنى الآباء واعتقادنا فيكم فى ذات الله لايخشى جديده من البلاء ومالكم من غرض بهذه الانحاء فوفى قصده على أكمل الاهواء موالى تتميمه على أجل الآراء والبلاد باتحاد الود متحده والقلوب والايدى على ما فيه مرضاة الله عزوجل منعقده جعل الله ذلكم خالصا لرب العباد مذخورا ليوم التناد مسطورا فى الاعمال الصالحة يوم المعاد بمنه وفضله وهو سبحانه يصل اليكم سعدا تتفاخر به سعود الكواكب وتتضافر على الانقياد له صدور المواكب وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات المناكب والسلام الاتم يخصكم كثيرا أثيرا ورحمة الله وبركاته وكتب فى يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين وسبعمائة وصورة العلامة وكتب فى التاريخ المؤرخ *ونسخة الجواب عن ذلك من انشاء خليل الصفدى شارح لامية العجم فى سادس شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة بعد البسملة فى قطع النصف بقلم الثلث عبد الله ووليه صورة العلامة ولده اسمعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد المرابط المظفر المنصور عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيي العدل فى العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك ملك العرب والعجم والترك فاتح الاقطار واهب الممالك والامصار اسكندر الزمان مملك أصحاب المنابر والاسرة والتخوت والتيجان ظل الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه مالك البحرين خادم الحرمين الشريفين سيد الملوك والسلاطين جامع كلمة الموحدين ولى أمير المؤمنين أبو الفداء اسمعيل ابن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبى الفتح محمد ابن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون خلد الله تعالى سلطانه وجعل الملائكة أنصاره وأعوانه يخص المقام العالى الملك الاجل الكبير المجاهد المؤيد المرابط المثاغر المعظم المكرم المظفر المعمر الاسعد الاصعد الاوحد الامجد الانجد السنى السرى المنصور أبا الحسن على ابن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق أمده الله بالظفر وقرن عزمه بالتأييد فى الآصال والبكر سلام وشت البروق وشائعه وادخرت الكواكب ودائعه واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه وثناء اتخذ النفحات المسكية طلائعه ونبه للتغريد فى الروض سواجعه وجلى فى كاسه من الشفق المحمر مدامه ومن النجوم فواقعه أما بعد حمد الله على نعم أدت لنا الامانة فى عود سلطنة والدنا لموروثه وأجلستنا على سرير مملكة زرابيها بين النجوم مبثوثه

الملك عن شربه فنهق نهيق الحمير فمضى الملك هاربا ومضى الغلمان يتبعون الصوت فكلما دنوا منه ترك ذلك الصوت وأحدث صوتا آخر من أصوات البهائم فجموا عنه ثم اجتمعوا فاقتحموا عليه فاخرجوه فلما نظروا اليه قالوا للملك هذا مرزبان المضحك فضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ويلك ما حملك على هذا قال ان الله مسخنى كلبا وحمارا وكل خلق لما غضبت على فامر الملك بالخلع عليه ورده الى مرتبته التى كان فيها وتجدد للملك به سرور فقال روح للوليد اذا اطمأن المجلس بأمير المؤمنين فاسألنى عن عبد الله بن عمر هل كان يمزح أو يسمع مزاحا قال الوليد أفعل وكان ابن عمر صاحب سلامة لايمزح ولا يعرف شيأ من المزاح فتقدم الوليد وسبقه بالدخول فتبعه روح فلما اطمأن بهما مجلس عبد الملك قال الوليد يا أبا زرعة هل كان ابن عمر يمزح أو يسمع المزاح قال روح حدثنى ابن أبى عتيق ان امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية هجته فقالت

ذهب الاله بما تعيش به
وقرت عيشك أيما قمر
أنفقت مالك غير محتشم
فى كل زانية وفى خمر

وكان ابن أبى عتيق صاحب غزل وفكاهة فاخذ هذين البيتين فى رقعة وخرج فاذا هو بابن عمر فقال وأحسنت

وأحسنت بنا الخلف عن سلف عهوده في الاعناق غير منكورة ولا منكوثه وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم في الكفرة غاية أمله وسوله صلاة تحط بالرضوان سيولها وتجر بالغفران ذيولها ماتراسل أصحاب وتواصل أحباب ويوضح للعلم الكريم ورود كتابكم العظيم وخطابكم الفائق على الدر النظيم تفاخر الخمائل سطوره ويصبغ خد الورد بالخجل منثوره ويحكي الرياض اليانعة فالالفات غصونه والهمزات عليها طيوره ويخلع على الآفاق حال الايام والليالي فالطرس صباحه والنقس ديجوره لفظه يطرب ومعناه يعرب فيغرب وبلاغته تدل على أنه آية لان شمس بيانها طلعت من المغرب فاتخذنا سطوره ريحانا وجعلنا ألفاظه ألحانا وجعنا الى الجد فشبهنا ألفاته بظلال الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة بافواه الجراح وسطوره المنتظمة بالفرسان المزدحمة في يوم الكفاح وانتهينا الى ماأودعتموه من اللفظ المسجوع والمعنى الذي يطرب طائره المسموع والبلاغة التي فضح المتطبع بيانها المطبوع فاما العزاء باخيكم الوالد قدس الله روحه وسقى عهده وأحسن لسلفه خلفا بعده فلنا برسول الله أسوة حسنة ولولا الوثوق بأنه في عدة الشهداء ماراى القلب قراره ولا الطرف وسنه عاش سعيدا يملك الارض ومات شهيدا يفوز بالجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره يسير مسير الشمس في الآفاق ويوقف على نضارة حدائقه نظرات الاحداق وورثنا منه حسن الاخاء لكم والوفاء بعهود مودة تشبه في اللطف شمائلكم وأما الهناء بوراثة ملكه والانخراط مع الملوك في سلكه فقد شكرنا لكم منحى هذه المنحه وقابلناها بثناء يعطر النسيم في كل نفحه ووقفنا عليها احمدا جعل الود علينا ابراده وعلى أنفاس سرحة الروض شرحه وتحققنا به حسن ودكم الجميل وكريم اخائكم الذي لايميد طود رسوخه ولا يميل وأما ماذكرتموه من أمر المصحفين الشريفين اللذين وقفتموهما على الحرمين المنيفين وانكم جهزتم كاتبكم الفقيه الاجل الاسنى الاسمى أبا المجد ابن كاتبكم أبي عبد الله بن أبي مدين أعزه الله تعالى لتفقد أحوالهما والنظر في أمر أوقافهما فقد وصل المذكور بمن معه في حرز السلامة وأكرمنا نزلهم وسهلنا بالترحيب سبلهم وجمعنا على بذل الاحسان اليهم شملهم وحضر المذكور بين أيدينا وقربناه وسمعنا كلامه وخاطبناه وأمرنا في أمر المصحفين الشريفين بما أشرتم ورسمنا لنوابنا في نواحي أوقافهما بماذكرتم وهذا الوقف المبرور جار على أحسن عادة ألفها وأثبت قاعدة عرفها مرعى الجوانب محمى المنازل والمضارب آمن من ازالة رسمه أوازالة حكمه بدره أبدا في طالع تمه وزهره دائما يرقص في كمه لا يزداد الاتخليدا ولا اطلاق ثبوته الاتقييدا ولا عنق اجتهاده الا تقليدا جريا على قاعدة أوقاف ممالكنا وعادة تصرفاتنا في مسالكنا والمزيد الرعايه وافادة الحمايه ووفادة العنايه وأماما وصفتموه من أمر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ومني به من الكفار حزنها وسهلها فانه شق علينا سماعه الذي أنكى أهل الايمان وعدديه نوب الزمان كل قلب بأنامل الخفقان وطالما فزتم بالظفر ورزقتم النصر على عدوكم بجر ذيل الهزيمة وفر ولكن الحروب سجال وكل زمان لدوائه دولة ولرجائه رجال ولو أمكنت المساعدة لطارت

يا أبا عبد الله انظر في هذه الرقعة وأشر علي برأيك فيها فلما قرأها عبد الله استرجع فقال له ماترى فيمن هجاني بهذا الشعر قال أرى أن تعفو وتصفح قال والله يا أبا عبد الرحمن لئن لقيته بناحية لأنيكنه نيكا جيدا فاخذ ابن عمر خذلة ورعدة واربد لونه وقال مالك غضب الله عليك قال ماهو الا ماقلت لك وافترقا فلما كان بعد أيام لقيه فاعرض عنه ابن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن اني لقيت صاحب البيتين ونكته فصعق عبد الله بن عمر فلما رأى ماحل به دنا منه وقال له في أذنه انها امرأتي فقبل ما بين عينيه وضحك وقال أحسنت فزدها فضحك عبد الملك حتى فحص برجله وقال له قاتلك الله ياروح ما أطيب حديثك ومد يده اليه فقام اليه روح فاكب عليه وقبل أطرافه وقال يا أمير المؤمنين الذنب فأعتذر أم الملالة فأصبر وأرجو عاقبتها قال لا والله ماذاك لشئ نكرهه ثم عاد الى أحسن حالاته (وقد حكى) مثل هذا عن عبد الملك بن مهلهل الهمداني وكان سميرا لسليمان بن المنصور وكان سليمان قد جفاه فاتاه يوما في قائم الظهيرة واحتدام الهجير فاستأذن فقال له الحاجب ليس هذا بوقت اذن على الامير فقال أعلمه بمكاني فدخل فاستأذن له فقال له سليمان مره يسلم

بنا اليكم عقبان الجياد المسومه وسالت على عدوكم أباطحهم بقسينا المعوجة وسهامنا المقومه وكحلنا عيون النجوم بمراود الرماح وجعلنا ليل العجاج ممزقا ببروق الصفاح واتخذنا رؤسهم لصوالج القوائم كرات وفرجنا مضايق الحرب بتوالي الكرات وعطفنا عليهم الاعنه وخضنا جداول السيوف ودسنا شوك الاسنه وفلقنا الصخرات بالصرخات وأسلنا العبرات بالرعبات ولكن أين الغاية من هذا المدى المتطاول وأين الثريا من يد المتناول ومالنا غير امدادكم بجنود الدعاء الذى نرفعه نحن ورعايانا والتوجه الصادق الذى تعرفه ملائكة القبول من سجايانا وأما ما فقدتموه من الاجفان التى طرقها طيف التلاف وأم حرم فنائها الفناء وطاف به بعد الالطاف فقد روع هذا الخبر قلب الاسلام ونوع له الحزن على اختلاف الاصباح والاظلام وهذه الدار ما يخلو صفوها من كدر القدر وطالما أنامت بالامن أول الليل وخاطبت بالخطب فى السحر ولكن فى بقائكم ما يسلى من خطب العطب ومع سلامة نفسكم الكريمة فالامر هين لان الدر يفدى بالذهب وأما ما رأيتموه من الصلح فرأى عندهم مبارك وأمر ما فيه فارط عزم وان كان فيتدارك والامر يجىء كما يحب لا كما نحب والحروب يزورها نصرها تارة ويغب ومع اليوم غدا وقد يرد الله الردى ويعيد الظفر بالعدا وأما عودكم الى فاس المحروسة طلبا للاراحة من عند كم من الجنود وتجهيز من يصل من عندكم الى الحجاز الشريف من الوفود فهذا أمر ضرورى التدبير سرورى التثمير لان النفوس تمل وثير المهاد فكيف ملازمة صهوات الجياد وتسأم من مجالسة الشرب فكيف بممارسة الحرب وتعرض عن دوام اللذه فكيف بمباشرة المنايا الفذة وهذا جبل طارق الذى فتح الله به عليكم وساق هدى هديته اليكم لعله يكون سببا الى ارتجاع ما شرد وحسما لهذا الطاغية الذى مرد وورد لهذا النازل الذى قدم ورد الصبر لما ورد فعادة الالطاف الالهية بكم معروفه وعزماتكم الى جهات الجهاد مصروفه وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بانه طارق خير من الرحمن يطرق وجبل يعصم من سهم يرمى من قسى الكفار ويرق وأما ما تحتمونه من الخيل العتاق والملابس التى تطلع بدور الوجوه من مشارق الاطواق والاموال التى زكت عند الله تعالى ونمت على الانفاق فعلى الله عز وجل خلفها ولكم فى منازل الدنيا والآخرة سرفها وشرفها واليكم تساق هدايا أثنيتها وتحف تحفها واذا وصل وفدكم الحاج وأنار له بوجه اقبالنا عليهم ليلهم الداج كانوا مقيمين تحت ظل اكرامنا وشمول اسعافنا لهم وانعامنا يتقولون تحفا أنتم سببها ويتناولون طرفا فى كؤس لاعتنائهم تنضدها واذا كان أوان الرحيل الى الحج فسحنا لهم الطريق وسهلنا لهم الرفيق وبلغناهم بحول الله تعالى مناهم من منى وسؤلهم من اذا زاروا حجرته الشريفة حازوا الراحة من العناء وفازوا بالغنى واذا عادوا عاملناهم بكل جميل ينسيهم مشقة ذلك الدرب ويخيل اليهم أن لا مسافة لمسافر بين الشرق والغرب وغمرناهم بالاحسان فى العود اليكم وأمرناهم بما يهونه شفاها لديكم وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم وتوفر لأخذ الثار حماتكم وتخصكم بتأييد تنزلون روضه الانضر وتجنون به ثمر النصر اليانع من ورق الحديد الاخضر وتتحفكم بسعد لا يبلى قشيبه وعز لا يمحو شبابه مشيبه

وتحيته

قائما ويخفف فخرج الحاجب فاذن له وأمره بالتخفيف فدخل فسلم قائما ثم قال أصلح الله الامير انى انصرفت بالامس الى نحو منزلي وقد أمسيت فبينا أنا فى طريقي اذ أذن مؤذن فدنوت ثم صعدت الى مسجد مغلق فصعدت ثم صعدت ثم صعدت قال سليمان فبلغت السماء فكان ماذا قال فتقدم انسان اما كردى أو طمطانى فأم القوم بكلام ما أفهمه ولغة ما أعرفها فقال ويل لكل ومة رمأمالا وعدده قال يريد ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده فاذا خلفه سكران ما يعقل سكرا فلما سمع قراءته ضرب بيديه ورجليه وجعل يقول أبرعنكى در ليلكى فى حرام قارئك ومصليك فضحك سليمان حتى تمرغ على فراشه وقال ادن منى يا أبا محمد فانت أطيب أمة محمد ثم دعا بخلعة وقال الزم الباب واغد فى كل يوم وعاد الى أحسن حالاته عنده

(ذكر جمل من أخبار الحجاج وخطبه وما كان منه فى بعض أفعاله)

كانت أم الحجاج عند الحرث ابن كلدة فدخل عليها فى السحر فوجدها تتخلل فبعث اليها بطلاقها فقالت لم بعثت الى بطلاقى الشئ رابك منى قال نعم دخلت عليك السحر وأنت تتخللين فان كنت باكرت الغداء فانت شرهة وان كنت بت والطعام بين اسنانك فانت قذرة فقالت كل

وتحيته المباركة تغاديكم وتراوحكم وتفاوحكم انفاسها المعنبرة وتناحكم بمنه وكرمه انتهى (ورأيت) بخط منشئ هذا الجواب الصلاح الصفدي رحمه الله تعالى اثر ذكره مانصه أما بعد حمد الله تعالى على نعمائه وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله خاتم أنبيائه فقد قرأ الشيخ الامام العالم العامل العلامة المفيد القدوة عز الدين أبو يعلى حمزة ابن الرئيس الكبير الفاضل القاضي قطب الدين موسى بن أحمد ابن شيخ السلامية الاحمدي أمتع الله بفوائده الكتاب الوارد من سلطان المغرب الملك المجاهد المرابط أبي الحسن المريني صاحب مراكش تغمده الله تعالى برحمته والجواب عنه عن السلطان الشهيد الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن السلطان الشهيد الملك الناصر محمد قدس الله تعالى روحهما من انشائي وأنا أسمع ذلك جميعا من أولهما الى آخرهما قراءة اطربت السمع لفصاحتها وأمالت العطف لرجاحتها

وأخجلت ورق الحمى بالله ـوا * ن صدحت في ذروة الغصن
تكاد من لطف ومن رقة * تدخل في الاذن بلا اذن

وذلك في مجلس واحد في ذي القعدة سنة ٧٥٦ بالجامع الاموي بدمشق المحروسة فان رأى روايه ذلك عني فله علو الرأي في تشريفي بذلك وكتبه خليل بن ايبك الصفدي الشافعي عفا الله عنه انتهى وكان السلطان أبو الحسن المريني المذكور كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها الى المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال ووقف عليها أوقافا جليلة كتب توقيعه سلطان مصر والشام بمسامحتها من انشاء الاديب الشهير جمال الدين بن نباتة المصري ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله وهو الذي مد يمينه بالسيف والقلم فكتب في أصحابها وسطر الختمات الشريفة فايد الله حزبه بما سطر من أحزابها واتصلت ملائكة النصر بلوائه تغدو وتروح وكثرت فتوحه لامليئا الغرب فقالت أوقاف الشرق لابد للفقراء من فتوح ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدي وخط سطورها بالعربي وطالما خط في صفوف الاعداء بالهندي ورتب عليها أوقافا تجري اقلام الحساب في اطلاقها وطلقها وحبس املاكا شامية تحدث بنعم الاملاك التي سرت من مغرب الارض الى مشرقها والله تعالى يمتع من وقف هذه الختمات بما سطره له في أكرم الصحائف وينفع الجالس من ولاة الامور في تقريرها ويتقبل من الواقف انتهى * قلت وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذي ببيت المقدس وربعته في غاية الصنعة * وقال بعض المشارقة في حق السلطان أبي الحسن ما صورته ملك أضاء المغرب بأنوار هلاله وجرت الى المشرق أنواء نواله وطابت نسماته واشتهرت عزماته كان حسن الكتابة كثير الانابة ذا بلاغة وبراعة وشهامة وشجاعة كتب بخطه ثلاثة مصاحف ووقفها على المساجد الثلاثة أقام في الملك عشر سنين وسبعة أيام ثم صرف بولده أبي عنان بعد حروب يطول شرحها انتهى من كتاب نزهة الانام * ولما ذكر الامام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق في كتابه المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن أمر الربعة التي أرسلها السلطان أبو الحسن بخطه قال ما ملخصه وأرسل معها للسلطان الملك الناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والثمن ثمانمائة وخمسة وعشرين ومن الزمرد ثمانمائة وثمانية وعشرين

ذلك لم يكن لكني تخلفت من شفايا السوء فتزوجها بعده يوسف بن عقيل الثقفي أبو الحجاج فولدت له الحجاج بن يوسف مشوها لادبر له فثقب عن دبره وأبى أن يقبل ثدي أمه وغيرها فأعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصور لهم في صورة الحرث بن كلدة فقال ما خبركم فقالوا بني ولد ليوسف من الفارعة وكان اسمها وقد أبى ان يقبل ثدي أمه فقال اذبحوا جديا أسود وأولغوه دمه فاذا كان في اليوم الثاني فافعلوا به كذلك فاذا كان في اليوم الثالث فاذبحوا له تيسا أسود وأولغوه دمه ثم اذبحوا له أسود سالخا فأولغوه دمه واطلوا به وجهه فانه يقبل الثدي في اليوم الرابع قال ففعلوا به ذلك فكان بعد لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه في بدء أمره هذا وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن أكثر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره ولا سبق اليها سواه (حدثنا) أبو جعفر محمد بن سليمان بن داود البصري المنقري قال حدثني ابن عائشة وغيره قال سمعت أبي يقول لما غلبت الخوارج على البصرة بعث اليهم عبد الملك جيشا فهزموه ثم بعث اليهم آخر فهزموه فقال من للبصرة والخوارج فقيل له ليس لهم الا المهلب بن أبي صفرة فبعث الى المهلب فقال على أن لي خراج ما أجليتهم

ومن الزبرجد مائة وثمانية وعشرين ومن الجوهر النفيس الملوكي ثلثمائة وأربعة وستين وأرسل حللا كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر ومن الاناق عشرين مذهبة ومن الخلادي ستة وأربعين ومن القنوع ستة وعشرين مذهبة ومن المحررات المختمة ثمانمائة ومن الرصان عشرين شقة والاكسية المحررة أربعة وعشرين والبرانس المحررة ثمانية عشر والمشقفات مائة وخمسين واحارم الصوف المحررة عشرين ومن شقق الملف الرفيع ستة عشر ومن الفضالي المنوعة والفرش والمخاد المنبوق والحال ثمانمائة وأوجه اللحف المذهبة عشرين وحائطان حلة وحنابل مائة واثني عشر كلها حرير وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ومن السيوف المحلاة بالذهب المنظم بالجوهر عشرة والسروج عشرة بركب ذهب والمهاميز الذهب كذلك وثلاث ركب فضة وستة مزججة ومذهبة ومضمتان من ذهب مما يليق بالملوك وشاشية حديد بذهب مكلل بالجوهر ومن لزمات الفضة عشرة وسرج مخروزة بالفضة عشرة وعشر علامات معششة مذهبة وعشر رايات مذهبة وعشر براقع مذهبة وعشر أمثلة مرقومة وثلاثين جلدا شرك وأربعة آلاف درقة لمط منها مائتان بنهود الذهب وثمانية عشر بنهود الفضة وخباء قبة كبيرة من مائة بنيقة لها أربعة أبواب وقبة أخرى مضربة من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بحلة مذهبة وهي حرير أبيض ومرابطها حرير ملون وعمودها عاج وآبنوس واكبارها من فضة مذهبة ومن البزاة الاحرار المنتقاة أربعة وثلاثين ومن عتاق الخيل العراب ثلثمائة وخمسا وثلاثين ومن البغال الذكور والاناث مائة وعشرين ومن الجمال سبعمائة وتوجهت مع هذه الهدية أم برسم الحج مع الربعة المكرمة وأعطى الحرة أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهبا ولقاضي الركب ثلثمائة وكسوة ولقائد الركب أربعمائة وكساوي متعددة وبغلات وللرسول المعين للهدية ألفا ولشيخ الركب أحمد بن يوسف بن أبي محمد صالح خمسمائة ولجماعة الضعفاء من الحجاج ستمائة وبرسم العفاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة ولشراء ريع ستة عشر ألفا وخمسمائة ذهبا انتهى * وذكر في الكتاب المذكور أن السلطان أبا الحسن الموصوف اهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك ومنها لصاحب الاندلس صلة وصدقة وهدية في مرات ومنها الملوك النصارى بعد هداياهم ومنها سلاطين السودان كصاحب مالي ومنها لصاحب افريقية ومنها لصاحب تلمسان انتهى * وقال مؤرخ مصر المقريزي في كتاب السلوك في سنة ٧٣٨ ما نصه وفي ثاني عشرين من رمضان قدمت الحرة من عند السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب المريني صاحب فاس تريد الحج ومعها هدية جليلة الى الغاية نزل لحملها من الاصطبل السلطاني ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال وكان من جملتها أربعمائة فرس منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتا بغل وجميعها بسرج ولجم مسقطة بالذهب والفضة وبعضها سروجها وركبها كلها ذهب وكذلك لجمها وعدتها اثنان وأربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها اثنان وثلاثون بازا وفيها سيف قرابه ذهب مرصع وحياصة ذهب مرصع وفيها مائة كساء وغير ذلك من القماش العال وكان قد خرج المهمندار الى لقائهم وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح

عنه قال اذن تشركني في ملكي قال فثلثاه قال لا قال فنصفه والله لا أنقص منه شيأ على ان تمدني بالرجال فاذا أحللت فلا حق لك علي فجعلوا يقولون ولي عبد الملك على العراق رجلا ضعيفا وجعل يقول بعثت المهلب حتى يحارب الخوارج فركب دجلة ثم كتب المهلب الى عبد الملك انه ليس عندي رجال أقاتل بهم فاما بعثت الي بالرجال واما خليت بينهم وبين البصرة فخرج عبد الملك الى أصحابه فقال ويلكم من للعراق فسكت الناس وقام الحجاج فقال أنا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج وقال انا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج الثالثة فقال والله أنا لها يا أمير المؤمنين قال أنت زنبورها فكتب اليه عهده فلما بلغ القادسية أمر الجيش أن يقيلوا وان يروحوا وراءه ودعا بجمل عليه قتب فجلس عليه بغير خشبة ولا وطاء وأخذ الكتاب بيده ولبس ثياب السفر وتعمم بعمامته حتى دخل الكوفة وحده فجعل ينادي الصلاة جامعة وما منهم رجل جالس في مجلسه الا ومعه العشرون والثلاثون وأكثر ذلك من أهله ومواليه وصعد المنبر متلثما متنكبا قوسه فجلس واضعا ابهامه على فيه فقال بعضهم لبعض قوموا حتى نحصبه قال له بعض أهل وهم

وهم جمع كثير احد وكان يوم طلوع الهدية من الايام المذكورة ففرق السلطان الهدية على الامراء باسرهم على قدر مراتبهم حتى نفدت كلها سوى الجواهر واللؤلؤ فانه اختص به فقدرت قيمة هذه الهدية ما يزيد على مائة ألف دينار ثم نقلت الحرة الى الميدان بمن معها ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة في كل يوم بكرة وعشية ما عمهم وفضل عنهم فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ونصف أردب أرز وقنطار حب رمان وربع قنطار سكر وثمان فانوسيات شمع وتوابل الطعام وحمل اليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم وأجرة حمل أثقالهم مبلغ ستين ألف درهم ثم خلع على جميع من قدم مع الحرة فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال الذين قادوا الخيول وحمل الى الحرة من الكسوة ما يجل قدره وقيل لها أن تملي ما تحتاج اليه ولا يعوزها شئ وانما تريد عناية السلطان باكرامها واكرام من معها حيث كانوا فتقدم السلطان الى النشو والى الامير أحمد أقبغا بتجهيزها اللائق بها فقاما بذلك واستخدما لها السقائين والضوية وهيأ كل ما تحتاج اليه في سفرها من أصناف الحلاوات والسكر والدقيق والبقسماط وطلبا الجمالة لحمل جهازها وازودتها وندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولي الجيزة وأمره أن يرحل بها في مركب لها بمفردها قدام المحمل ويمتثل كل ما تأمر به وكتب لاميري مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة انتهى * وقال في سنة خمس وأربعين وسبعمائة ما نصه وفي نصف شعبان قدمت الحرة أخت صاحب المغرب في جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبي الحسن يتضمن السلام وأن يدعو له الخطباء في يوم الجمعة ومشايخ الصلاح وأهل الخير بالنصر على عدوهم ويكتب الى أهل الحرمين بذلك وذلك أن في السنة الخالية كانت بينه وبين الفرنج وقعة عظيمة قتل فيها ولده ونصره الله تعالى بعد على العدو وقتل كثيرا منهم وملكوا منهم الجزيرة الخضراء فعمر الفرنج مائتي شيني وجمعوا طوائفهم وقصدوا المسلمين وأوقعوا بهم على حين غفلة فاستشهد عالم كثير ونجا أبو الحسن في طائفة من الزامه بعد شدائد وملك الفرنج الجزيرة واسروا وسبوا وغنموا شيئا يجل وصفه ثم مضوا الى جهة غرناطة ونصبوا عليها مائة منجنيق حتى صالحهم أهلها على قطيعة يقومون بها وتهادنوا مدة عشر سنين اه كلامه وقد تقدم نص هذا الكتاب الموجه من السلطان أبي الحسن فليراجع قريبا * وقال ابن مرزوق في المسند الصحيح بعد كلام ما ملخصه وكان يعني السلطان أبا الحسن مجتهدا في الجهاد بنفسه وحرمه وجاز للاندلس برسم ذلك بنفسه وأظهر آثاره الجميلة ومنها ارتجاع جبل الفتح ليد المسلمين بعد أن انفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود اذ كان من عمالته هو والجزيرة ورندة ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليد المسلمين وأنفق على بنائه احمال مال واعتنى بتحصينه وبنى حصنه وأبراجه وسوره وجامعه ودوره ومخازنه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برا وبحرا فصبر المسلمون صبر الكرام فخيب الله تعالى أمل العدو وعاد خاسرا والمنة لله فرأى أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو في منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فانفق الاموال وأنصف العمال فأحاط بمجموعه احاطة الهالة

بيته أصلحك الله اكفف عن الرجل حتى نسمع ما يقول فمن قائل يقول حصر الرجل فما يقدر على الكلام ومن قائل يقول أعرابي ما أبصر حجته فلما غص المجلس بأهله حسر اللثام عن وجهه ثم قام ونحى العمامة عن رأسه فوالله ما حمد الله ولا أثنى عليه ولا صلى على نبيه وكان أول ما بدأهم به أن قال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني

اني والله لأرى أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة ورؤسا قد أينعت وحان قطافها واني أنا صاحبها كأني أنظر الى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى

هذا أوان الحرب فاشتدي زيم
قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم

وقال

قد لفها الليل بعصلبي
أروع خراج من الدوى
مهاجر ليس باعرابي

وقال

قد شمرت عن ساقها فشدوا
وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد
مثل ذراع البكر أو أشد

ان أمير المؤمنين نثر كنانته فوجدني أمرها طعما وأحدها سنانا وأقواها قد احافان تستقيموا تستقم لكم الامور وان تأخذوا الى بنيات الطريق تجدوني لكل مرصد مرصدا والله لا أقبل لكم عثره ولا أقبل منكم عذره يا أهل

بالهلال وأما بناؤه للمحاسن والطوالع فامر غير مجهول اه (وقد رأيت) ان أذكر هنا بعض انشاء لسان الدين بن الخطيب فى شان ما يتعلق بجبل الفتح وغيره من بلاد الاندلس وحال العدو الكافر وما ينخرط فى هذا السلك فمن ذلك على لسان سلطانه يخاطب به أحد السلاطين من أولاد السلطان أبى الحسن المرينى (ونصه) المقام الذى يصرخ وينجد ويتهم فى الفضل وينجد ويسعف ويسعد ويبرق فى سبيل الله ويرعد فيأخذ الكفر من عزماته المقيم المقعد حتى ينجز من نصر الله تعالى الموعد مقام محل أخينا الذى حسن الظن بمجده جميل وحد الكفر بسعده كليل وللاسلام فيه رجاء وتأميل ليس للقلوب عنه مميل السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى وعزمه الماضى لصولة الكفر قامعا وتدبيره الناجح لشمل الاسلام جامعا وملكه الموفق لنداء الله مطيعا سامعا معظم مقداره وملتزم اجلاله واكباره المعتد فى الله بكرم شيمته وطيب نجاره المستظهر على عدو الله باسراعه الى تدمير الكافر وبداره سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله مجيب دعوة السائل ومتقبل الوسائل ومتيح النعم الجلائل مربح من عامله فى هذا الوجود الزائف الزائل والايام القلائل بالمتاع الدائم الطائل والنعيم غير الحائل ومقيم أود الاسلام المائل باولى المكارم من أوليائه والفضائل والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المنقذ من الغوائل المنجى من الروع الهائل الصادع بدعوة الحق الصائل بين العشائر والفصائل الذى ختم به وبرسالته ديوان الرسل والرسائل وجعله فى الاواخر شرف الاوائل فحبه كنز العائل والصلاة عليه زكاة القائل والرضا عن آله وصحبه وعترته وحزبه تيجان الاحياء والقبائل المتميزين بكرم السجايا وطيب الشمائل والدعاء لمقام اخوتكم فى البكر والاصائل بالسعد الصادق المخايل والصنع الذى تتبرج مواهبه تبرج العقائل والنصر الذى تهز له الصعاد الملد عطف المترانح المتخايل فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم عزا يانع الخمائل ونصرا يتكفل للكتائب المدونة فى الجهاد ومرضاة رب العباد بسرد المسائل واقناع السائل من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه الا الاستبصار فى التوكل على من بيده الامور وتسبب مشروع تتعلق به باذن الله تعالى أحكام القدر المقدور ورجاء فيما وعد به من الظهور يتضاعف على توالى الايام وترادف الشهور والحمد لله كثيرا كما هو أهله فلا فضل الا فضله ومقامكم المعروف محله الكفيل بالارواء نهله وعله والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس مجدكم ووالى النعم عندنا وعندكم فاننا فى هذه الايام أهمنا من امر الاسلام ما رنق الشراب ونغص الطعام وذاد المنام لما تحققنا من عمل الكفر على مكايدته وسعى الضلال والله الواقى فى استئصال بقيته وعقد النوادى للاستشارة فى شانه وشروع الحيل فى هد أركانه ومن يؤمل من المسلمين لدفع الردى وكشف البلوى وبث الشكوى واهله حاطهم الله تعالى وتولاهم وعمم عوائد لطفه الذى أولاهم فهو مولاهم فى غفلة ساهون وعن المغبة فيه لاهون قد شغلتهم دنياهم عن دينهم وعاجلهم عن آجلهم وطول الامل عن نافع العمل الا من نور الله تعالى قلبه بنور الايمان وتململ بمناصحة الله تعالى والاسلام تململ السليم

العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق والله ما أغمز بغماز التين ولا يقعقع لى بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة والله لالحونكم لحو العود ولا عصبنكم عصب السلمة ولاضربنكم ضرب غراب الابل ولا قرعنكم قرع المروة يا أهل العراق طالما سعيتم فى الضلالة وسلكتم سبيل الغواية وسننتم سنن السوء وتماديتم فى الجهالة يا عبيد العصا وأولاد الاماء أنا الحجاج بن يوسف أنا والله لا أعد الا وفيت ولا أحلف الا بريت فاياكم وهذه الزرافات والجماعات وقال وقيل وما يكون وما هو كائن وما أنتم وذاك يا بنى اللكيعة لينظر الرجل فى أمر نفسه وليحذر أن يكون من فرائسى يا أهل العراق انما مثلكم كما قال الله عز وجل مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الآية فاسرعوا واستقيموا واعتدلوا ولا تميلوا وشايعوا وبايعوا واصغوا واعلموا أنه ليس منى الاكثار والاهدار ولا منكم الفرار والنفار انما هو انتضاء السيف ثم لا أغمده فى شتاء ولا صيف حتى يقيم الله لامير المؤمنين أودكم ويذل به صعبكم انى نظرت فوجدت الصدق مع البر ووجدت البر فى الجنة ووجدت واستدل

واستدل بالشاهد على الغائب وصرف الفكر الى مطالب الامم النوائب فلما رأينا أن الدولة المرينية التي هي على ممر الايام شجا العدا ومتوعد من يكيد الهدى وفئة الاسلام التي اليها يتحيز وكهفه الذي اليه يلجأ قد أذن الله تعالى في صلاح أمورها ولم شعثها واقامة صفاها بان صرف الله تعالى عنها هنات الغدر واراحها من مس الضر وردقوسها الى يد باريها وصير حقها الى وارثها وأقام لرعي مصالحها من حسن الظن بحسبه ودينه ورجي الخير من ثمرات نجحه ومن لم يعلم الا الخير من سعيه والسداد من سيرته ومن لا يسترتيب المسلمون بصحة عقده واستقامة قصده أردنا أن نخرج لكم عن العهدة في هذا الدين الحنيف الذي وسمت دعوته وجوه أحبابكم شملهم الله تعالى بالعافية وتشبثت به أنفس من صار الى الله تعالى من السلف تغمدهم الله بالرحمة والمغفرة وفي هذا القطر الذي بلاده مابين مكفول يجب رعيه طبعا وشرعا وجار يلزم حقه دينا ودنيا وحمية وفضلا وعلى الحالين فعليكم بعد الله المعول وفيكم المؤمل فارعوا اسماعكم المباركة نقص عليكم مافيه رضا الله والمنجاة من نكيره والفخر والاجر وحفظ النعم والخلف في الذرية بهذا وعدت الكتب المنزله والرسل المرسله وهو أن هذا القطر الذي تعددت فيه المحاريب والمنابر والراكع والساجد والذاكر والعابد والعالم واللفيف والارملة والضعيف قد انقطع عنه ارفاد الاسلام وشحت الايدي به منذ أعوام وسلم الى عبدة الاصنام وقوبلت ضرائره بالاعذار والمواعيد المستغرقة للاعمار وان عرضت شواغل وفتن وشواغب واحن فقد كانت بحيث لا يقطع السبب بجملته ولا يذهب المعروف بكليته

ولابد من شكوى الى ذي مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

ولو كانت الاشغاب تقطع المعروف وتصرف عن الواجب لم يفتح المقدس والدكم جبل الفتح وهو منازل أخاه بسجلماسة ولا امده ولده السلطان أبو عنان وهو بمراكش وبالامس بعثنا الى الجبل وسماته في جملة ما أهمنا مبلغ جهد وسداد من عوز وقد فضلت عن ضرائرنا أموال فرضت من اجل الله على عباده وطعام سمحنا به على الاحتياج اليه في سبيل جهاده فلم يسهم المتغلب منها لجانب الله بحبة ولا أقطعه منها ذرة مستخفا به جل وعلا متهاونا بنكيره الذي هو أحق أن يخشى فضاعت الامور واختلت الثغور وتشذبت الحامية وتبددت العدد وخلت المخازن وهلكت بها الجراذن وعظمت بها عسرة الاسلام أضعاف ماعظمت حسرته أيام ما كانت تكفلها همم الملوك الكرام والخلفاء العظام والوزراء النصحاء والاشياخ الامجاد قدس الله تعالى أرواحهم وضاعف أنوارهم ولا كالحسرة في الجبل باب الاندلس وركاب الجهاد وحسنة بني مرين ومآثر آل يعقوب وكرامة الله للسلطان المقدس أبي الحسن والد الملوك وكبير الخلفاء والمجاهدين والدكم الذي ترد على قبره مع الساعات والانفاس وفود الرحمة وهدايا الزلفة وريحان الجنة فلولا انكم على علم من أحواله لشرحنا المجمل وشكلنا المهمل انما هو اليوم شبح مائد وطلل بائد لولا أن الله تعالى شغل العدا عنه بفتنة لم يصرف وجهه الا اليه ولا حوم طيره الا عليه ولكان بصدد أن

عدو لكم مع المهلب وقد أمرتكم بذلك وأجلت لكم ثلاثا وأعطيت الله عهدا يؤاخذني به ويستوفيه مني أن لا أجد أحدا من بعث المهلب بعدها الا ضربت عنقه وانتهبت ماله يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقال الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فاني أحمد الله اليكم فقال الحجاج اسكت يا غلام ثم قال مغضبا يا أهل العراق والنفاق والشقاق ومساوي الاخلاق يا أهل الفرقة والضلال يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام أما والله لئن بقيت لكم لألحونكم لحو العود ولأؤدبنكم أدبا سوى هذا الادب هذا ادب ابن سمية وهو صاحب شرطة كان بالعراق اقرأ يا غلام الكتاب فلما بلغ السلام قال أهل المسجد وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته ثم نزل وأمر للناس باعطياتهم والمهلب يومئذ بمهرجان يقاتل الازارقة فلما كان اليوم الثالث جلس الحجاج بنفسه يعرض الناس فمر به عمير بن ضابئ البرجمي ثم أحد بني الحدادية وكان من أشراف أهل الكوفة وكان

يتخذه الصليب دارا وان يقربه عينا والعدوة فضلا عن الاندلس قد اوسعها شرا وارهق ما يجاوره عسرا نسأل الله تعالى بنور وجهه أن لا يسوّد الوجوه بالفجع فيه ولا يسمع المسلمين الثكلة وما دونه فهو وان أنعش بالتعليل عليله ووقع بالجهد خلقه لحم على وضم الا ان يصل الله تعالى وقايته ويوالى دفاعه وعصمته لا اله الا هو الولى النصير وما زلنا نشكو الى غير المصمت ونمد اليد الى المدبر عن الله المعرض ونخطب له زكاة الاموال من المبانى الضخمة والخزائن الثرة والاهراء الطامية والحظ التافه من المفترض برسمه فتمضى الايام لا تزيد الضرائر فيها الا ضيقا ولا الاحوال الا شدة ولا الثغر الا ضعة ولا نعلم أن نظرا وقع له ولا فكرا أعمل فيه الا ما كان من تسخير رعيته الضعيفه وبلالة مجباه السخيفه فى بناء قصر بمنت ميور من جباله

شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير فى ذاره وكور

جلب اليه الزليج واختلفت فيه الاوضاع فى رأس نيق لأمل نزوة وسوء فكرة فلما تم أقطع الهجران فهو اليوم مجتمع البوم ومحط الخراب فلا حول ولا قوة الا بالله حتى جاء أمر الله خالى الصحيفة من البر صفر اليد من العمل الصالح نعوذ بالله من ذلك ونسأله الالهام والسداد والتوفيق والرشاد وقد بذلنا جهدنا قولا وفعلا وموعظة ونصحا واستدعينا لتلك الجهة صدقة المسلمين محمولة على أكتاد العباد الضعفاء الذين كانت صدقات فاتحيه رضى الله تعالى عنهم ترفدهم ونوافلهم تتعهدهم فما حرك ذلك الجؤار حلوبا ولا استدعى مطلوبا ولا رفد امجلوبا فالى متى تنضى ركاب الصبر وقد بلغ الغاية واستنفد البلالة بعد أن أعاد الله تعالى العهد وجبر المال واصلح السعى واجرى ينابيع الخير وأنشق رياح الاقالة وجملة ما نريد أن نقرره فهو الباب الجامع والقصد الشامل والداعى والباعث أن صاحب قشتالة لما عاد الى ملكه ورجع الى قطره جرت بيننا وبينه المراسلة التى استقرت بعدم رضاه عن كدحنا النصره ومظاهرتنا اياه على أمره وان كنا قد بلغنا جهدا وأبعدنا وسعا واجلت عن شروط ثقيلة لم نقبلها واغراض صعبة لم نكملها ونحن نتحقق انه اما أن تهيج حفيظته وتثور احنته فيكشف وجه المطالبة مستكثرا بالامة التى داس بها أهل قشتالة فراجع أمره غلابا وحقه ابتزازا واستلابا أو يصرفها ويهادن المسلمين بخلال ما لا يدع جهة من جهات دينه الغريب الاعقد معها صلحا وأخذ عليها باعانتها اياه عهدا ثم تفرغ الى شفاء غليله وبلوغ جهده ولا شك انها تجيبه صرفا البأس عن نحورها ومقارضة كما وقع باطريرة من مضيق صدورها ومؤسف جهورها وكل من له دين ما فهو يحرص على التقرب الى من دانه به وكلفه وظائف تكليف رجاء لوعده وخوفا من وعيده وبالله ندفع ما لا نطيق من جموع تداعت من الجزر ووراء البحور والبر المتصل الذى لا تقطعه الرفاق ولا تحصى ذرعه الحذاق وقد أصبحنا بدار غربة ومحل روعة ومفترس نبوة ومظنة فتنة والاسلام عدده قليل ومنتجعه فى هذه البقعة جديب وعهده بالارفاد والامداد من المسلمين بعيد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا الى آخر السورة واذا تداعت أمم الكفر نصرة لدينها المكذوب وحمية لصليبها المنصوب فمن يستدعى لنصر دين الله وحفظ أمانة نبيه الا أهل ذلك الوطن

من بعث المهلب فقال أصلح الله الامير انى شيخ كبير زمن عليل ضعيف ولى عدة أولاد فليغتر الامير أيهم شاء مكانى أشدهم ظهرا وأكرمهم فرسا وأتمهم أداة قال الحجاج لا بأس بشاب مكان شيخ فلما ولى قال له عنبسة بن سعيد ومالك بن اسماء اصلح الله الامير أتعرف هذا قال لا قال هو عمير بن ضابئ التميمى الذى وثب على أمير المؤمنين عثمان وهو مقتول فكسر ضلعا من أضلاعه فقال انه كان حبس أبى شيخا كبيرا ضعيفا فلم يطلقه حتى مات فى سجنه فقال الحجاج أما أمير المؤمنين عثمان فتغزوه بنفسك وأما الازارقة فتبعث اليهم بالبدل أوليس أبوك الذى يقول

همممت ولم أفعل وكدت وليتنى
فعلت وأوليت البكاء حلائله

أما والله ان فى قتلك أيها الشيخ اصلاح المصرين ثم أقبل يصعد بصره اليه ويغض على لحيته مرة ويسرحها أخرى ثم أقبل عليه فقال يا عمير سمعت مقالتى على المنبر فقال نعم قال والله انه لقبيح على أن يكون كذابا قم اليه يا غلام فاضرب عنقه ففعل فلما قتل ركب الناس كل صعب وذلول وخرجوا على وجوههم يريدون المهلب فازدحموا على الجسر حتى سقط

حيث

حيث المآذن بذكر الله تعالى عالية الآفاق وكلمة الاسلام قد عمت الربا والوهاد اغاث الاسلام غريق قد تشبث باهدابكم يناشدكم الله في بقية الرمق وقبل الرمي تراش السهام وهذا أوان الاعتناء واختيار الحماة واعداد الاقوات قبل أن يضيق المجال وتمنع الموانع وقد وجهنا هذا الوفد المبارك للحضور بين يديكم مقررا الضرورة ومنهيا الرغبة مذكرا بما يقرب عند الله مذكرا الذمام الاسلام جالبا على من وراءهم بحول الله تعالى من المسلمين البشرى التى تشرح الصدور وتسنى الآمال وتستدعى الدعاء والثناء فالمؤمن كثير باخيه ويد الله مع الجماعة والمسلمون يد على من سواهم والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والتعاون على البر والتقوى مشروع وفي الذكر الحكيم مذكور وحق الجار مشهور وما كان جبريل يوصى به في الصحيح مكتوب وكاراء المسلمين اجتماع كلمة الكفر فرجوا أن يروع الكفر من العز بالله وشد الحيازيم في سبيل الله ونفير النفرة لدين الله والشعور بحماية الثغور وعمرانها وازاحة عللها وجلب الاقوات اليها وانشاء الاساطيل وجبر ما تلف من عدة البحر أمور تدل على ماوراءها وتخبر بمشيئة الله تعالى عما بعدها وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى ومن خطب على رضى الله تعالى عنه أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة ألبسه الله تعالى سيما الخسف ووسمه بالصغار وما بعد الدنيا الا الآخرة وما بعد الآخرة الا احدى دارى البقاء أفي الله شك ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والاعتناء بالجبل عنوان هذا الكتاب ومقدمة هذا الباب والغفلة عنه منذ أعوام قد صيرتنا الاقنع باليسير وقد أبرمته المواعيد وغيرت رسومه الانتظار ومن المنقول ارحموا السائل ولو جاء على فرس والاسراف في الخير أرجح في هذا المحل من عكسه وكان بعض الاجواد يقول وقد أقترا اللهم هب لى الكثير فان حالى لا تقوم على القليل وعسى أن يكون النظر له بنسبة الغفلة عنه والامتعاض مكافئا للازراء به وخلو البحر يغتنم لامداده وارفاده قبل أن يشوب نظر الكفر الى قطع المدد وسد البحر ومن ضيع الحزم ندم ولا عذر لمن علم والله عز وجل يطلع من قبلكم على ما فيه شفاء الصدور وجبر القلوب وشعب الصدوع وما نقص مال من صدقة وطعام الواحد كافي الاثنين والدين دينكم والبلاد بلادكم ومحل رباطكم وجهادكم وسوق حسناتكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد قلدنا العهد الحفيظ علينا المصروف العناية بفضل الله تعالى الينا والله المستعان وعليه التكلان والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى* وفي اعتقادى أن هذا المكتوب للسلطان أبى فارس عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن المرينى وأن المراد بالمتغلب الوزير عمر بن عبد الله الذى ظفر به أبو فارس المذكور واستقل بالملك بعد محاورة حسبما ذكرناه في غير هذا المحل والله سبحانه أعلم (ومن انشاء لسان الدين) على لسان سلطانه في استنهاض عزم صاحب فاس السلطان المرينى لنصرة الاندلس (مانصه) المقام الذى يؤثر حظ الله اذا اختلفت الحظوظ وتعددت المقاصد ويشرع الادنى منه اذا تفاضلت المشارع وتغايرت الموارد وتشمل عادة حلمه وفضله الشارد ويسع وارف ظله الصادر والوارد والغائب والشاهد ويعيد من نصر الله للاسلام العوائد ويسد الذرائع ويدر الفوائد مقام محل أخينا الذى

بعض الناس في الفرات فاتاه صاحب الجسر فقال أصلح الله الامير قد سقط بعض الناس في الفرات قال ويحك ولم ذلك قال أهل هذا البعث ازدحموا على الجسر حتى ضاق بهم قال انطلق فاعقد لهم جسرين وخرج عبد الله ابن الزبير الاسدى مذعورا حتى اذا كان عند اللجامين لقيه رجل من قومه يقال له ابراهيم فقال له ما الخبر فقال ابن الزبير الشر الشر قتل عمير من بعث المهلب وأنشأ يقول

أقول لابراهيم لما لقيته ... أرى الامر أمسى مهلكا متصعبا
تجهز فاما أن تزور ابن ضابئ ... عميرا واما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما ... ركوبك حوليا من الثلج أشهبا
فاضحى ولو كانت خراسان دونه ... رآها مكان السوق أو هو أقربا
والا فما الحجاج مغمد سيفه ... مدى الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

وخرج الناس هربا الى السواد وأرسلوا الى أهاليهم أن زودونا ونحن بمكاننا وقال الحجاج لصاحب الجسر افتح ولا تحل بين أحد وبين الخروج ووجه العراض الى المهلب فاتت على المهلب عاشرة حتى ازدحموا عليه فقال من هذا الذى استعمل

ذكر الرجال فويل الله للعدو ان شاء الله تعالى وقد كان الحجاج استعمل

حسنت فى الملك سيره وتعاضد فى الفضل خبره وخبره ودلت شواهد مداركه للعقوق وتعمده للعقوق على أن الله تعالى لا يهمله ولا يذره فسلك نحره متسقة درره ووجه ملكه شادخة غرره السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله رفيعا علاؤه هامية لديه منن الله تعالى وآلاؤه مزدانة بكواكب السعد سماؤه محروسة بعز النصر أرجاؤه مكملا من فضل الله تعالى فى نصر الاسلام وكبت عبدة الاصنام أمله ورجاؤه معظم قدره الذى يحق له التعظيم وموقر سلطانه الذى له الحسب الاصيل والمجد الصميم الداعى الى الله تعالى باتصال سعادته حتى ينتصف من عدو الاسلام الغريم ويتاح على يد سلطانه الفتح الجسيم فلان سلام كريم طيب عميم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخيب لمن اخلص الرغبة اليه أملا وموفى من ترك له حقه أجره المكتوب متمما مكملا وجاعل الجنة لمن اتقاه حق تقاته نزلا ملك الملوك الذى جل وعلا وجبار الجبابرة الذى لا يجدون عن قدره محيصا ولا من دونه موئلا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى أنزل الله تعالى عليه الكتاب مفصلا وأوضح طريق الرشد وكان مغفلا وفتح باب السعادة ولولاه كان مقفلا والرضا عن آله وأصحابه وعترته وأحزابه الذين ساهموه فيما مر وما حلا وخلفوه من بعده بالسير التى راقت مجتلى ورفعوا عماد دينه فاستقام لا يعرف ميلا وكانوا فى الحلم والعفو مثلا والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذى يلفى نصه صريحا لا محتملا مؤولا والصنع الذى يبهر حالا ومستقبلا والعز الذى يرسو جبلا والسعد الذى لا يبلغ أمدا ولا أجلا فانا كتبناه اليكم أصحب الله تعالى ركابكم حلف التوفيق حلا ومرتحلا وعرفكم عوارف اليمن الذى يشرح جذلا ويدعو وافد الفتح المبين فيرد مستعجلا من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من التشيع لمقامكم حرس الله تعالى سلطانه ومهد أوطانه الا الخير الذى نسأل بعده تحسين العقبى وتوالى عادة الرحمى والحمد لله على التى هى أزكى وسدل جناح الستر الاضفى وصلة للطائف التى هى أكفل وأكفى وأبر وأوفى ومقامكم عندنا العدة التى بها نصول ونرهب والعمدة التى نطيل فى ذكرها ونسهب وقد أوفدنا عليكم كل ما زاد لدينا أو فتح الله تعالى به علينا ونحن مهما اشتد المختنق بكم نستنصر أو تراخى ففى ودكم نستبصر أو فتح الله تعالى فابوابكم نهنى ونبشر وقررنا عندكم أن العدو فى هذه الايام توقف عن بلاد المسلمين فلم تصل منه اليها سريه ولا بطشت له يد جريه ولا افترعت من تلقائه ثنيه ولا ندرى أللمكيدة تدبر أم آراء تنقض بحول الله وتتبر أو لشاغل فى الباطن لا يظهر وبعد ذلك وردت على بابنا من بعض كبارهم وزعماء أقطارهم مخاطبات يندبون فيها الى جنوحها للسلم فى سبيل النصح لايادسلفت منا لهم قررها ورسائل ذكرها فلم يخف عنا أنه أمر دبر بليل وخبيئة تحت ذيل فظهر لنا أن نسبر الغور ونستفسر الامر فوجهنا اليه على عادتنا مع سلفه لنعتبر ما لديه وننظر الى بواطن أمره ونبحث عن زيد قومه وعمره فتأتى ذلك وجر مفاوضة فى الصلح أعددنا لاجلها الرسالة واستشعرنا البسالة ووازنا الاحوال واختبرنا واعتززنا فى الشروط ما قدرنا ونحن نرتقب ما يخلق الله تعالى من مهادنة

على العراق من هذا الذى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على سجستان وبست والرخج فحارب من هنالك من امم الترك وهم أنواع من الترك يقال لهم الطغرغر والخلج وحارب من يلى تلك البلاد من ملوك الهند مثل زنبيل وغيره وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب مراتب ملوك الهند وغيرهم من ملوك العالم وذكرنا مملكة كل واحد منهم والصقع الذى هو به وذوى السياسات منهم وبينا أن كل ملك يلى هذا الصقع من بلاد الهند يقال له زنبيل فخلع ابن الاشعث طاعة الحجاج وصار الى بلاد كرمان فثنى بخلع عبد الملك وانقاد الى طاعته أهل الرى والجبال مما بين الكوفة والبصرة وغيرهما وسار الحجاج الى البصرة وسار الاشعث اليه فكانت له حروب عظيمة وفى عبد الرحمن بن الاشعث يقول

خلع الملوك وسار تحت لوائه
شجر العرا وعراعر الاقدام

وكتب الحجاج بن يوسف الى عبد الملك يعلمه بخبر ابن الاشعث فكتب اليه عبد الملك لعمرى لقد خلع طاعة الله بيمينه وسلطانه بشماله وخرج من الدين

تحصل

تحصل بها الاقوات المهيأة للانتساف وتسكن ماساء البلاد المسلمة من هذا الارجاف ونفرغ الوقت لمطاردة هذه الامآل العجاف أوحرب يبلغ الاستبصار فيه غايته حتى يظهر الله تعالى فى نصر الفئة القليلة آيته ولم نجعل سبب الاعتزاز فيما أردناه وشموخ الانف فيما أصدرناه الاما أشعنامن عزمكم على نصرة الاسلام وارتقاب خفوق الأعلام والنهوض الى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام وان الارض حمية لله تعالى قد اهتزت والنفرة قد غلبت النفوس واستفزت واستظهرنا بكتبكم التى تضمنت ضرب المواعد وشمرت عن السواعد وأن الخيل قد اطلقت الى الجهاد فى سبيل الله الاعنة والثنايا سددتها بروق الاسنة وفرض الجهاد قد قام به المؤمنون والاموال قد سمح بها المسلمون وهذه الامور التى تمشت بقريبها أوبعيدها أحوال الاسلام والامانى المعدة لتزجية الايام ثم اتصل بنا الخبر الكارث بما كان من حور العزائم المؤمنة بعد كورها وتسويف مواعد النصرة بعد استشعار فورها وان الحركة معملة الى مراكش الجهة التى فى يديكم زمامها واليكم وان تراخى الطول ترجع أحكامها والقطر الذى لايفوتكم مع الغفله ولايعجزكم عن الصوله ولايطلبكم ان تركتموه ولايمنعكم ان طرقتموه وعركتموه فسقط فى الايدى الممدودة واختلفت المواعد المحدوده وخشعت الابصار المرتقبة ورجفت المعاقل الاشبه وساءت الظنون وذرفت العيون وأكذب الفضلاء الخبر ونفوا أن يعتبر وقالوا هذا لايمكن حيث الدين الحنيف والملك المنيف والعلماء الذين أخذ الله تعالى ميثاقهم وحمل النصيحة أعناقهم هذا المفترض الذى يبعد والقائم الذى يقعد ياباه الله تعالى والاسلام وتاباه العلماء الاعلام وتاباه المآذن والمنابر وتاباه الهمم والاكابر فبادرنا نستطلع طلع هذا النبا الذى اذا كان باطلا فهو الظن ولله المن وان كان خلافه لرأى ترجح وتنفق بقرب الملك وتبجح فنحن نوفد كل من يقدم الى الله تعالى بهذا القطر فى شفاعه ويمد اليه كف ضراعه ومن يوسم بصلاح وعباده ويقصد فى الدين بث افاده يتطارحون عليكم فى نقض ماأبرم ونسخ ما أحكم فانكم تجنون به على من استنصركم عكس ماقصد وتحلون عليه ماعقد وهب العذر يقبل فى عدم الاعانه وضرورة الاستعانة والاستكانه أى عذر يقبل فى الاطراح والاعراض الصراح كأن الدين غير واحد كأن هذا القطر لكلمة الاسلام جاحد كأن ذمام الاسلام غير جامع كأن الله غير راء ولاسامع فنحن نسألكم بالله الذى تساءلون به والارحام ونأنف لكم من هذا الاحجام ونتطارح عليكم أن تتركوا حظكم فى أهل تلك الجهة حتى يحكم الله بيننا وبين العدو والذى يتكالب علينا بادباركم بعدما تضاءل لاستنفاركم ولانكلفكم غير اقتراب داركم وماسامكم المسلمون بها شططا ولولا حلولكم الاقصد اوسطا وماذهبتم اليه لايفوت ولايبعد وقد تجاورت البيوت انما الفائت ماوراءكم من حديث تأنف من سماعه أوداؤكم ودين يشمت به أعداؤكم فأسعفوا بالشفاعة فيمن بتلك الجهة المراكشية قصدنا وحاشى احسانكم أن يرى فيه ردنا وأنتم بعد بالخيار فيما يجريه الله على يديكم من قدره أو يلهمكم اليه من نصره وجوابكم مرتقب بما يليق بكم ويجمل بحسبكم والله سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام

عريانا وانى لأرجو أن يلون هلاكه وهلاك أهل بيته واستئصالهم فى ذلك على يد أمير المؤمنين وماجوابه عندى فى خلع الطاعة الاقول القائل

أناة وحلما وانتظارا بهم غدا فما أنا بالقالى ولا الضرع الغمر
أظن صروف الدهر بينى وبينكم ستحملكم منى على مركب وعر
ألم تعلموا أنى تخاف عزائمى وان قناتى لاتلين على الكسر

ودخل ابن الاشعث الكوفة وكتب الحجاج كتابا الى عبد الملك يذكر فيه جيوش ابن الاشعث وكثرتها ويستنجد عبد الملك ويسأله الامداد وقال فى كتابه واغوثاه يا ألله واغوثاه يا ألله واغوثاه يا ألله فامده بالجيوش وكتب اليه يالبيك يالبيك يالبيك فالتقى الحجاج وابن الاشعث بالموضع المعروف بدير الجماجم فكانت بينهم وقائع نيف وثمانون وقعة تفانى فيها الخلق وذلك فى سنة اثنتين وثمانين وكانت على ابن الاشعث فمضى حتى انتهى الى ملوك الهند ولم يزل الحجاج يحتال فى قتله حتى قتل وأتى برأسه فعلا الحجاج منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أهل العراق ان الشيطان استبطنكم فخالط اللحم منكم والعظم والاطراف

الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (ومن انشاء لسان الدين) أيضا فى مخاطبة سلطان فاس والمغرب على لسان سلطان غرناطة فيما يقرب من الانحاء السابقة (مانصه) المقام الذى أقمار سعده فى انتظام واتساق وجياد عزه الى الغاية القصوى ذات استباق والقلوب على حبه ذات اتفاق وعناية الله تعالى عليه ممدودة الرواق وأياديه الجمة فى الاعناق ألزم من الاطواق وأحاديث مجده سمر النوادى وحديث الرفاق مقام محل أبينا الذى شأن قلوبنا الاهتمام بشانه وأعظم مطلوبنا من الله تعالى سعادة سلطانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى والصنائع الالهية تحط ببابه والالطاف الخفية تعرس فى جنابه والنصر العزيز يحف بركابه وأسباب التوفيق متصلة بأسبابه والقلوب الشجية لفراقه مسرورة باقترابه معظم سلطانه الذى له الحقوق المحتومة والفواضل المشهورة المعلومه والمكارم المسطورة المرسومه والمفاخر المنسوقة المنظومه الداعى الى الله تعالى فى وقاية ذاته المعصومه وحفظها على هذه الامة المرحومه الامير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم طيب عمم كما سطعت فى غيهب الشدة أنوار الفرج وهبت نواسم ألطاف الله عاطرة الارج يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله جالى الظلم بعد اعتكارها ومقيل الايام من عثارها ومزين سماء الملك بشموسها المحتجبة وأقمارها ومريح القلوب من وحشة أفكارها ومنشئ سحاب الرحمة على هذه الامة بعد افتقارها وشدة اضطرابها واضطرارها ومتداركها باللطف الكفيل بتمهيد أوطانها وتيسير أوطارها والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله صفوة النبوة ومختارها ولباب مجدها السامى ونجارها نبى الملاحم وخائض تيارها ومذهب رسوم الفتن ومطفئ نارها الذى لم ترعه الشدائد باضطراب بحارها حتى بلغت كلمة الله ماشاءت من سطوع أنوارها ووضوح آثارها والرضا عن آله وأصحابه الذين تمسكوا بعهده على أحلاء الحوادث وأمرارها وباعوا نفوسهم فى اعلاء دعوته الحنيفية واظهارها والدعاء لمقامكم الاعلى باتصال السعادة واستمرارها وانسحاب العناية الالهية واسدال أستارها حتى تقف الايام ببابكم موقف اعتذارها وتعرض على مثابتكم ذنوبها راغبة فى اغتفارها فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتب لصالحى الملوك من مواهب اسعاده وعرفكم عوارف الآلاء فى اصدار أمركم الرفيع وايراده وأجرى الفلك الدوار بحكم مراده وجعل لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى محكم كتابه المبين للصالحين من عباده من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله الذى عليه فى الشدائد الاعتماد والى كنف فضله الاستناد ثم بركة جاه نبينا الذى وضح بهدايته الرشاد الا الصنائع التى تشام بوارق اللطف من خلالها وتخبر سيماها بطلوع السعود واستقبالها وتدل مخايل يمنها على حسن مآلها لله الحمد على نعمه التى نرغب فى كمالها ونستدر عذب زلالها وعندنا من الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه والسرور بسعادة أيامه والدعاء الى الله تعالى فى اظهاره واتمامه مالاتفى العبارة باحكامه ولا تتعاطى حصر أحكامه والى هذا أيد

والاعضاء وجرى منكم مجرى الدم وافضى الى الاضلاع والامخاخ فحشى ماهنالك شقاقا واختلافا ونفاقا ثم أربع فيه فعشش وباض فيه ففرخ واتخذتموه دليلا لاتتبعونه وقائدا لاتطاوعونه ومؤمرا تستأمرونه ألستم أصحابى بالاهواز حين سعيتم بالغدر بى فاستجمعتم على وحيث ظننتم أن الله سيخذل دينه وخلافته وأقسم بالله انى لاراكم بطرفى وأنتم تتسللون لواذا منهزمين سراعا مفترقين كل امرئ منكم على عنقه السيف رعبا وجبنا ويوم الزاوية ومايوم الزاوية بها كان فشلكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم وتوليكم على أكتافكم السيوف هاربين لايسأل الرجل عن بنيه ولا يلوى امرؤ على أخيه حين عض لكم السلاح وقصعتكم الرماح ويوم دير الجماجم بها كانت الملاحم والمعارك العظائم ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله فما الذى أرجوه منكم يا أهل العراق أم ما الذى أتوقعه ولماذا أستبقيكم ولاى شئ أدخركم أللهجرات بعد العدوات أم للنزوة بعد النزوات وما الذى أراقب بكم وما الذى انتظر فيكم ان بعثتم الى ثغوركم جبنتم وان أمنتم أوخفتم نافقتم لاتجزون بحسنة ولا تشكرون نعمة يا أهل العراق هل استنبحكم نابح أو استشلاكم عاق الله

الله تعالى أمركم وعلاه وصان سلطانكم وتولاه فقد علم الحاضر والغائب وخلص الخلوص الذى لا تغيره الشوائب ما عندنا من الحب الذى وضحت منه المذاهب وانما لما اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الامور التى صحبت مقامكم فيها العناية من الله والعصمه وجعل على العباد والبلاد الوقاية والنعمه لا يستقر بقلوبنا القرار ولا تتأتى بأوطاننا الاوطار تشوقا لما تتيحه لكم الاقدار ويبرزه من سعادتكم الليل والنهار ورجاؤنا فى استئناف سعادتكم يشتد على الاوقات ويقوى علما بان العاقبة للتقوى وفى هذه الايام عميت الانباء وتكالبت فى البر والبحر الاعداء واختلفت الفصول والاهواء وعاقت الوارد الانواء وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ولو كنا نجد للاتصال بكم سببا أو نلفى لاعانتكم مذهبا لما شغلنا البعد الذى بيننا اعترض والعدو بساحتنا فى هذه الايام ربض وكان خديمكم الذى رفع من الوفاء راية خافقه واقتنى منه فى سوق الكساد بضاعة نافقه الشيخ الاجل الاوفى الاود الاخلص الاصفى أبو محمد بن احبانا سنى الله مأموله وبلغه من سعادة أمركم سوله وقد ورد على بابنا وتحيز الى اللعاق بجنابنا ليتيسر له من جهتنا القدوم ويتأتى له باعانتنا الغرض المروم فبينما نحن ننظر فى تتميم غرضه واعانته على الوفاء الذى قام بمفترضه اذا اتصل بنا خبر قرقورتين من الاجفان التى استعنتم بها على الحركه والعزمة المقترنة بالبركه حطت احداهما بمرسى المنكب والاخرى بمرسى المريه فى كنف العناية الالهيه فتلقينا من الواصلين فيها الانباء المحققة بعد التباسها والاخبار التى يغنى نصها عن قياسها وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر وحركتكم المعروفة باليمن والظفر وانكم استخرتم الله تعالى فى اللعاق بالاوطان التى يؤمن قدومكم خائفها ويؤلف طوائفها ويسكن راجفها ويصلح أحوالها ويسكن أهوالها وانكم سبقتم حركتها بعشرة أيام مستظهرين بالعزم المبرور والسعد الموفور واليمن الرائق السفور والاسطول المنصور فلا تسألوا عن انبعاث الآمال بعد سكونها ونهوض طيور الرجاء من وكونها واستبشار الامة المحمدية منكم بقرة عيونها وتحقق ظنونها وارتياح البلاد الى دعوتكم التى ألبستها ملابس العدل والاحسان وقلدتها قلائد السير الحسان وما منها الا من باح بما يخفيه من وجده وجهر بشكر الله تعالى وحمده وابتهل اليه فى تيسير غرض مقامكم الشهير وتتميم قصده واستئناس نور سعده وكم مطل الانتظار بديوان آمالها والمطاولة من اعتلالها وأما نحن فلا تسألوا عمن استشعر دنو حبيبه بعد طول مغيبه انما هو صدر راجعه فؤاده وطرف ألفه رقاده وفكر ساعده مراده فلما بلغنا هذا الخبر بادرنا الى انجاز ما بذلنا لخديمكم المذكور من الوعد واغتنمنا ميقات هذا السعد ليصل سببه باسبابكم ويسرع لحاقه بجنابكم فعنده خدم نرجو أن ييسر الله تعالى أسبابها ويفتح بنيتكم الصالحة أبوابها وقد شاهده من امتعاضنا لذلك المقام الذى ندين له بالتشيع الكريم الوداد ونصل له على بعد المزار ونزوح الاقطار سبب الاعتداد ما يغنى عن القلم والمداد وقد ألقينا اليه من ذلك كله ما يلقيه الى مقامكم الرفيع العماد وكتبنا الى من بالسواحل من ولاتنا نحد لهم ما يكون عليه عملهم فى بر من يرد عليهم من جهة أبوتكم الكريمه

أو استخفكم ناكث أو استنفركم عاص الا تابعتموه وبايعتموه وآويتموه وكنفتموه يا أهل العراق هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو دبى كاذب الا كنتم أنصاره وأشياعه يا أهل العراق لم تنفعكم التجارب وتحفظكم المواعظ أو تعظكم الوقائع هل يجمع فى صدوركم ما أوقع الله بكم عند مصادر الامور ومواردها يا أهل الشام انا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفى عنهن القذى ويكنهن من المطر ويحفظهن من الذباب ويحميهن من سائر الدواب لا يخلص اليهن معه قذى ولا يفضى اليهن بذا ولا يمسهن أذى يا أهل الشام أنتم العدة والعدد والجند والحرب ان حارب محارب أو جانب مجانب وما أنتم وأهل العراق الا كما قال نابغة بنى جعدة

وان تداعيكم حظهم ولم ترزقوه ولم نكذب
كقول اليهود قتلنا المسيح ولم يقتلوه ولم يصلب

فى أبيات ولما أسرف الحجاج فى قتل أسارى دير الجماجم وأعطى الاموال بلغ ذلك عبد الملك فكتب اليه أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك فى الدماء وتبذيرك فى الاموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لاحد من الناس وقد حكم عليك أمير المؤمنين فى الدماء فى الخطا الدية وفى

ذات الحقوق العظيمه والايادي الحديثة والقديمه وهم يعملون في ذلك بحسب المراد وعلى شاكلة جميل الاعتقاد ويعلم الله تعالى أننا لولم تعق العوائق الكبيره والموانع الكثيره والاعداء الذين ذهبت بهم في الوقت هذه الجزيره ماقدمنا عملا على اللحاق بكم والاتصال بسببكم حتى نوفي لابوتكم الكريمة حقها ونوضح من المسرة طرقها لكن الاعذار واضحة وضوح المثل السائر والله العالم بالسرائر والى الله تعالى نبتهل في أن يوضح لكم من التيسير طريقا ويجعل السعد لكم مصاحبا ورفيقا ولا يعدمكم عناية منه وتوفيقا ويتم سرورنا عن قريب بتعريف أنبائكم الساره وسعودكم الداره فذلك منه سبحانه غاية آمالنا وفيه اعمال ضراعتنا وابتهالنا هذا ماعندنا بادرنا لاعلامكم به اسرع البدار والله تعالى يوفد علينا أكرم الاخبار بسعادة ملككم السامي المقدار وييسر ماله من الاوطار ويصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * وكان طاغية النصارى الملعون لكثرة مامارس من أمور ملوك الاندلس وسلاطين فاس كثيرا مايدس لاقارب الملوك القيام على صاحب الامر ويزين له الثورة ويعده بالامداد بالمال والعدة وقصده بذلك كله توهين المسلمين وافساد تدبيرهم ونسخ الدول بعضها ببعض لماله في ذلك من المصلحة حتى بلغ أبعده الله تعالى من أمله الغاية (ومن انشاء لسان الدين بن الخطيب) رحمه الله تعالى عن سلطان الاندلس الى سلطان فاس المريني يعتذر عن فرار الامير أبي الفضل المريني الذي كان معتقلا بغرناطة فتحيل الطاغية في أمره حتى خرج طالب الملك (مانصه) المقام الذي شهد الليل والنهار باصالة سعادته وجرى الفلك الدوار بحكم ارادته وتعود الظفر بمن يناويه فاطرد والحمد لله جريان عادته فوليه متحقق لافادته وعدوه مرتقب لابادته وحلل الصنائع الالهية تضفو على اعطاف مجادته مقام محل أخينا الذي سهم سعده صائب وأمل من كاده خاسر خائب وسير الفلك المدار في مرضاته دائب وصنائع الله تعالى له تصحبها الالطاف العجائب فسيان شاهد منه في عصمة وغائب السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى مسدد السهم ماضي العزم تجل سعوده عن تصور الوهم ولازال موهوب الحد ممتثل الرسم موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعدد القسم فائزا بفلج الخصام عند لدد الخصم معظم قدره وملتزم بره مبتهج بما يسببه الله تعالى له من اعزاز نصره واظهار أمره فلان سلام كريم طيب برعميم يخص مقامكم الاعلى ومثابتكم الفضلى التي حازت في الفخر الامد البعيد وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذي فسح لملككم الرفيع في العز مدى وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصر على أعدائه يوما وغدا وحرس سماء علائه بشهب من قدره وقضائه فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وجعل نجح آماله وحسن مآله قياسا مطردا فرب مريد ضره ضر نفسه وهاد اليه اهدى وماهدى والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذي ملأ الكون نورا وهدى وأحيا مراسم الحق وقد صارت طرائق قددا أعلى الانام يدا وأشرفهم محتدا الذي بجاهه نلبس أثواب السعادة جددا ونظفر بالنعيم الذي لا ينقطع أبدا

العمد القود وفي الاموال ردها الى مواضعها ثم العمل فيها برأيه فانما أمير المؤمنين أمين الله وسيان عنده منع حق واعطاء باطل فان كنت أردت الناس له فما أغناهم عنك وان كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك من أمير المؤمنين أمران لين وشدة فلا يؤنسنك الا الطاعة ولا يوحشنك الا المعصية وظن بامير المؤمنين كل شئ الا احتماله لك على الخطا واذا أعطاك الظفر على قوم فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا وكتب في أسفل كتابه

اذا أنت لم تطلب أمورا كرهتها ... وتطلب رضائي بالذي أنت طالبه
وتخشى الذي يخشاه مثلي هاربا ... الى الله منه ضيع الدر حالبه
فان ترمني غفلة قرشية ... فيا ربما قد غص بالماء شاربه
وان ترمني وثبة أموية ... فهذا وهذا كل ذا انا صاحبه
فلا تلمني والحوادث جمة ... فانك مجزى بما أنت كاسبه
ولا تعد ما يأتيك مني وان تعد ... يقوم بها يوما عليك نوادبه
ولا تدفعن للناس حقا علمته ... ولا تعطين ما ليس لله جانبه

وهي أبيات من جيد ما اخترناه من قول عبد الملك فلما قرأ الحجاج كتابه كتب أما بعد فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الدماء وتبذيري

أبدا والرضا عن آله واصحابه الذين رفعوا السماء سنته عمدا وأوضحوا من سبيل اتباعه مقصدا وتقبلوا شيمه الطاهرة ركعا وسجدا سيوفا على من اعتدى ونجوما لمن اهتدى حتى علت فروع ملته صعدا واصبح بناؤها مديدا مخلدا والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذى يتوالى مثنى وموحدا كما جمع لملككم ما تفرق من الالقاب على توالى الاحقاب فجعل سيفكم سفاحا وعلمكم منصورا ورأيكم رشيدا وعزمكم مؤيدا فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيف أودا وعزما يملأ أفئدة الكفر كمدا وجعلكم ممن هيأ له من أمره رشدا ويسر لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى كتابه العزيز والله أصدق موعدا من حمراء غرناطة حرسها ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطلاع سعودكم فى آفاق العناية واعتقاد جميل صنع الله فى البداية والنهاية والعلم بان ملككم تحدى من الظهور على أعدائه بآيه وأجرى جياد السعد فى ميدان لا يحد بغايه وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولايه ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفا ويسدل عليه من العصمة سجفا فقاسمه الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفا ونصفا ونعقد بين أنباء مسرته وبين الشكر لله حلفا ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله زلفى ونؤمل من امداده وترتقب من جهاده وقتا يكفل به الدين ويكفى وتروى غلل النفوس وتشفى والى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم وعضدكم فانا من لدن صدر عن أخيكم أبى الفضل ما صدر من الانقياد لخدع الآمال والاغترار بعوارد الآل وفال رأيه فى اقتحام الاهوال وتورط فى هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام فى الاحوال وناصب من أمركم السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقبال ومن ذا يزاحم الاطواد ويزحزح الجبال وأخلف الظن منافى وفائه واضمر عملا استأثر عنا باخفائه واستعان من عدو الدين بمعين قلما يورى لمن استنصر به زند ولا خفق لمن تولاه بالنصر بند وان الطاغية اعانه وأنجده ورأى انه سهم على المسلمين سدده وعضب للفتنة جرده فسخر له الفلك وأمل أن يستخدمه بسبب ذلك الملك فأورده الهلك والظلم الحلك علمنا أن طرف سعادته كاب وسحاب آماله غير ذات انسكاب وقدم عزته لم يستقر من السداد فى غرز ركاب فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بنياتها وغايات الامور تظهر فى بداياتها وعوائد الله تعالى فيمن نازع قدرته لا تجهل ومن غالب أمر الله خاب منه المعوّل فبينما نحن نرتقب خسار تلك الصفقة المعقودة وخمود تلك الشعلة الموقودة وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الاخبار ويهدى طرف المسرات على أكف الاستبشار ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار عن الود الواضح وضوح النهار والتحقق بخلوصنا الذى يعلمه عالم الاسرار فاعاد فى الافادة وأبدى وأسدى من الفضائل الجلائل ما أسدى فعلمنا منه مآل من رام يقدح زند الشتات من بعد الالتئام ويثير عجاجة المنازعة من بعد ركود القتام هيهات تلك قلادة الله تعالى التى ما كان يتركها بغير نظام ولم يدر أنكم نصبتم له من الحزم حبالة لا يفلتها قنيص وسددتم له من السعد سهما ماله عنه من محيص بما كان من ارسال جوارح الاسطول السعيد فى مطاره حائلا بينه

فى الاموال ولعمرى ما بلغت فى عقوبة أهل المعصية ماهم أهله وما قضيت حق أهل الطاعة بما استحقوه فان كان قتلى أولئك العصاة سرفا واعطائى أولئك المطيعين تبذيرا فليسوغنى أمير المؤمنين ما سلف وليحد لى فيه حدا أنتهى اليه ان شاء الله تعالى ولا قوة الا بالله ووالله ما على من عقل ولا قود ما أصبت القوم خطأ فأفديهم ولا أعطيتهم الا لك ولا قتلت الا فيك واما ما أنا منتظره من أمريك فالينهما عدة وأعظمهما محنة فقد عبأت للعدة الجلاد وللمحنة الصبر وكتب فى أسفل كتابه

اذا أنا لم أتبع رضاك وأتقى * أذاك فيومى لا تزول كواكبه
وما لامرئ بعد الخليفة جنة * تقيه من الامر الذى هو كاسبه
أسالم من سالمت من ذى قرابة * ومن لم تسالمه فانى محاربه
اذا قارف الحجاج منك خطيئة * فقامت عليه فى الصباح نوادبه
اذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه * وأقصى الذى تسرى الى عقاربه
فمن ذا الذى يرجو نوالى ويتقى * مصاولتى والدهر جم نوائبه
فقف بى على حد الرضا لا أجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعنى والامور فاننى * شفيق رفيق أحكمتنى تجاربه

وبين أوطاره فما كان الا التسمية والارسال ثم الامساك والقتال ثم الاقتيات والاستعمال فياله من زجر استنطق لسان الوجود بخذله واستنصر البحر بخذله وصارع القدر بخذله لما جدله وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمّل غاية بعيده ومنتسب الى نسبة غير سعيده وشانئ غمرته من الكفار خدام الماء وأولياء النار تحكمت فيهم أطراف العوالى وصدور الشفار وتحصل منهم من تخطاه الحمام فى قبضة الاسار فعجبنا من تيسير هذا المرام واحمادالله لهذا الضرام وقلنا تكييف لا يحصل فى الاوهام وتسديد لا تستطيع اصابته السهام كلما قدح الخلاف زند الطفأ سعدكم شعلته أو أظهر الشتات ألما ابرأ يمن طائركم علته ماذاك الا النية صدقت معاملتها فى جنب الله تعالى وصحت واسترسلت بركتها وسحت وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلكم وتمت واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التى أهمت فنحن نهنيكم بنعم الله ومننه ونسأله أن يلبسكم من اعانته أوقى جننه فاملنا أن تطرد آمالكم وتنجح فى مرضاة الله أعمالكم فمقامكم هو العمدة التى يدافع العدو بسلاحها وتنبلج ظلمات صفاحها وكيف لا نهنيكم بصنع على جهتنا يعود وبآفاقنا تطلع منه السعود فتيقنوا ما عندناه ن الاعتقاد الذى رسومه قد استقلت واكتفت وديمه بساحة الود قد وكفت والله عز وجل يجعل لكم الفتوح عادة ولا يعدمكم عناية وسعادة وهو سبحانه يعلى مقامكم وينصر أعلامكم ويهنى الاسلام أيامكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته (وكان) سلطان الاندلس فى الازمان المتأخرة كثيرا ما يشم أرج الفرج فى سلم الكفار ومهادنتهم حيث لم يقدر فى الغالب على مقاومتهم ولذلك لما قتل السلطان أبو الحجاج الذى كان لسان الدين كاتبه ووزيره وقام بالامر بعده ابنه محمد الغنى بالله الذى ألقى مقاليده للسان الدين أكد أمر السلم وانتظم ما يبرمه القضاء الجزم والقدر الحتم (ومن انشاء لسان الدين) فى ذلك على لسان الغنى مخاطبا السلطان فاس والمغرب أبى عنان (ما صورته) المقام الذى يغنى عن كل مفقود بوجوده ويهز الى جيل العوائد أعطاف باسه وجوده ونستضى عند اظلام الخطوب بنور سعوده ونرث من الاعتماد عليه اسنى ذخر يرثه الولد عن آبائه وجدوده مقام محل أبينا الذى يرعى الاذمة شانه وصلة الراعى سجية انفرد بها سلطانه ومواعد النصر ينجزها زمانه والقول والفعل فى ذات الله تعالى تكفلت بهما يده الكريمة ولسانه وتطابق فيهما اسراره واعلانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى محروسا من غير الايام جنابه موصولة بالوقاية الالهية أسبابه مسدولا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وحجابه مصروفا عنه من صروف القدر ما يعجز عن رده بوّابه ولا زال ملجأ تنفق لديه الوسائل التى تدخرها الاولادها أولياؤه وأحبابه ويسطر فى صحف الفخر ثوابه وتشتمل على مكارم الدين والدنيا أثوابه وتتكفل بنصر الاسلام وجبر القلوب عند طوارق الايام كتائبه وكتابه معظم ما عظم من حقه السائر من اجلاله وشكر خلاله على لاحب طرقه المستضىء فى ظلمة الخطب بنور أفقه الامير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برعميم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله

وهى أبيات من جيد ما اخترناه من شعر الحجاج فلما انتهى كتابه الى عبد الملك قال خاف أبو محمد صولتى ولن أعود لشئ يكرهه (وحدث) حماد الراوية أن الحجاج سهر ليلة بالكوفة فقال لحرسى ائتنى بمحدث من المسجد فاعترض رجلا جسيما عظيما فقال أجب الامير فانطلق به حتى أدخله اليه فلم يسلم ولا نطق حتى قال له الحجاج ايه ما عندك فقال له الرجل ايه ما عندك فقال للحرسى أخرجه أخرج الله نفسك أمرتك أن تأتينى بمحدث فأتيتنى بمرعوب قد ذهب فؤاده فخرج الحجاج ومعه صرة دراهم الى المسجد فجعل يناول الناس فيأخذونها حتى انتهى الى شيخ فاعطاه فنبذها فاعادها الحجاج فردها ففعل ذلك الحجاج ثلاثا فدنا منه الحجاج وقال أنا الحجاج ودخل القصر وقال للحرسى الحقنى به فدخل فسلم بلسان ذلق وقلب شديد فقال له الحجاج ممن الرجل فقال من بنى شيبان قال ما اسمك قال سبرة بن الجعد قال ياسبرة هل قرأت القرآن قال جمعته فى صدرى وان عملت به فقد حفظته وان لم أعمل به فقد ضيعته قال فهل تفرض قال انى لافرض الصلب وأعرف الاختلاف فى الجد قال فهل تبصر الفقه قال انى لابصر ما أقوّم به أهلى وأرشد ذا العمى من قومى قال فهل تعرف

الذى

الذى لا راد لامره ولا معارض لفعله مصرف الامر بقدرته وحكمته وعدله الملك الحق
الذى بيده ملاك الامر كله مقدر الآجال والاعمار فلا يتأخر شئ عن ميقاته ولا يبرح عن محله
جاعل الدنيا مناخ قلعة لا يغتبط العاقل بمائه ولا بظله وسبيل رحلة فما أكثب ظعنه من
حله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوة خلقه وخيرة أنبيائه وسيد رسله الذى
نعتصم بسببه الاقوى ونتمسك بحبله ونمد يد الافتقار الى فضله ونجاهد فى سبيله من
كذب به أو حاد عن سبله ونصل اليه ابتغاء مرضاته ومن أجله والرضا عن آله وأحزابه
وأنصاره وأهله المستولين من ميدان الكمال على خصله والدعاء لمقامكم الاعلى بعز نصره
ومضاء فضله فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم وقاية لا تطرق الخطوب حماها وعصمة
ترجع عنها سهام النوائب كلما فوقها الدهر ورماها وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا
مسماها وعزا يزاحم أجرام الكواكب منتماها من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ونعم
الله سبحانه تتواتر لدينا دفعا ونفعا وألطافه تتعرفها وترا وشفعا ومقامكم الابوى هو المستند
الاقوى والمورد الذى ترده آمال الاسلام فتروى وتهوى اليه أفئدتهم فتجد ما تهوى
ومثابتكم العدة التى تأسست مبانيها على البر والتقوى والى هذا وصل الله تعالى سعدكم
وأبقى مجدكم فاننا لما نعلم من مساهمة مجدكم التى تقتضيها كرام الطباع وطباع الكرم
وندعو اليها ذمم الرعى ورعى الذمم نعرفكم بعد الدعاء لملككم بدفاع الله تعالى عن ارتقائه
وامتاع المسلمين ببقائه بما كان من وفاة مولانا الوالد نفعه الله تعالى بالسعادة التى ألبسه
حلتها والشهادة التى فى أعماله الزكية كتبها والدرجة العالية التى حتمها له وأوجبها
وعاتصير الينا من أمره وضم بنا من نشره وسدل على من خلفه من ستره وانها العبرة لمن ألقى
السمع وموعظة تهز الجمع وترسل الدمع وحادثة أجمل الله سبحانه فيها الدفع وشرح
مجملها وان أخرس اللسان هولها وأسلم العبارة قوتها وحولها انه رضى الله تعالى عنه لما برز
لاقامة سنة هذا العيد مستشعرا شعار كلمة التوحيد مظهرا سمة الخضوع للولى الذى
تضرع بين يديه رقاب العبيد آمنا بين قومه وأهله متسربلا فى حلل نعم الله تعالى وفضله
قرير العين باكتمال عزه واجتماع شمله قد احترس بأقصى استطاعته واستظهر
بخلصان طاعته والاجل المكتوب قد حضر والارادة الالهية قد أنفذت القضاء والقدر
وسجد بعد الركعة الثانية من صلاته أتاه أمر الله لميقاته على حين الشباب غض جلبابه
والسلاح زاخر عبابه والدين بهذا القطر قد اينع بالامن جنابه وأمر من يقول للشئ كن
فيكون قد بلغ كتابه ولم يرعه وقد اطمأنت بذكر الله تعالى القلوب وخلصت الرغبات
الى فضله المطلوب الاشقى قيضه الله لسعادته غير معروف ولا منسوب وخبيث لم يكن بمعتبر
ولا محسوب تخلل الصفوف المعقوده وتجاوز الابواب المسدوده وخاض الجموع
المشهوده والامم المحشورة الى طاعة الله المحشوده لا تدل العين عليه شارة ولا بزه ولا تحمل
على الحذر منه مثلها انفة ولا عزه وانما هو خبيث ممرور وكلب عقور وحية سمها وحى
محذور وآلة مصرفة لينفذ بها قدر مقدور فلما طعنه وأثبته وأعلق به شرك الحين فما
أفلته قبض عليه من الخلصان الاولياء من خبر ضميره وأحكم تقريره فلم يجب عند

النجوم قال انى لاعرف منازل القمر وما اهتدى به فى لسفر قال فهل تروى
الشعر قال انى لاروى
المثل والشاهد قال المثل
قد عرفناه فما الشاهد قال
اليوم يكون للعرب من
أيامها عليه شاهد من
الشعر فانى أروى ذلك
الشاهد فاتخذه الحجاج
سميرا فلم يك يطلب شيأ
من الحديث الا وجد عنده
منه علما وكان يرى رأى
الخوارج من أصحاب
قطرى بن الفجاءة التميمى
والفجاءة أمه وكانت من
بنى شيبان وانما هو رجل
من تميم وكان قطرى يومئذ
يحارب المهلب فبلغ قطريا
مكان سبرة من الحجاج
فكتب اليه بابيات منها
لشتان ما بين ابن جعد
وبيننا
اذا نحن رحنا فى الحديد
المظاهر
نجاهد فرسان المهلب كلنا
صبور على وقع السيوف
البواتر
وراح يجر الخز عند أميره
أمير بتقوى ربه غير آمر
أبا الجعد أين العلم والحلم
والنهى
وميراث آباء كرام العناصر
ألم تر أن الموت لاشك نازل
ولا بد من بعث الالى فى
المقابر
حفاة عراة والتراب لديهم
فمن بين ذى ربح وآخر خاسر
فان الذى قد نلت يفنى وانما * حياتك فى الدنيا كوقعة طائر

الاستفهام جوابا يعقل ولاعثر على شئ عنه ينقل لطفا من الله أفاد براءة الذمم وتعاورته للحين أيدى التمزيق وأتبع شلوه بالتحريق واحتمل مولانا الوالد رحمه الله تعالى الى القصر وبه ذماء لم يلبث بعد الفتكة العمرية الا أيسر من اليسير وتخلف الملك ينظر من الطرف الحسير وينهض بالجناح الكسير وقد عاد جمع السلامة الى التكسير الا أن الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب بأن أقامنا مقامه لوقته وحينه ورفع بناء عماد ملكه ولم شعث دينه وكان جميع من حضر المشهد من شريف الناس ومشروفهم وأعلامهم ولفيفهم قد جمعه ذلك الميقات وحضر الاولياء الثقات فلم تختلف علينا كلمة ولا شذت منهم عن بيعتنا نفس مسلمة ولا أخيف برى ولا حذر جرى ولا فرى فرى ولا وقع لبس ولا استوحشت نفس ولا نبض للفتنة عرق ولا أغفل للدين حق فاستنفد النقل الى نصه ولم يعدم من فقيدنا غير شخصه وبادرنا الى مخاطبة البلاد نمهدها ونسكنها ونقرر الطاعة فى النفوس ونمكنها وأمرنا الناس بها بكف الايدى ورفع التعدى والعمل من حفظ شروط المسالمة المعقودة بما يجدى ومن شره منهم للفرار عاجلناه بالانكار وصرفنا على النصارى ما أوصاه مصحبا بالاعتذار وخاطبنا صاحب قشتالة نرى ما عنده فى صلة السلم الى امدها من الاخبار واتصلت بنا البيعات من جميع الاقطار وعفى على حزن المسلمين بوالدنا ماظهر عليهم بولايتنا من الاستبشار واستبقوا وتطير بهم أجنحة الابتدار جعلنا الله تعالى ممن قابل الحوادث بالاعتبار وكان على حذر من تصاريف الاقدار واختلاف الليل والنهار واعاننا على اقامة دينه فى هذا الوطن الغريب المنقطع بين العدو الطاغى والبحر الزخار وألهمنا من شكره ما يتكفل بالمزيد من نعمه ولا قطع عنا عوائد كرمه وان فقدنا والدنا فانتم لنا من بعده الوالد والذخر الذى تكرم منه العوائد والحب يتوارث كما ورد فى الاخبار التى صحت منها الشواهد ومن أعد مثلكم لبنيه فقد تيسرت من بعد الممات أمانيه وتأسست قواعد ملكه وتشيدت مبانيه فالاعتقاد الجميل موصول والفروع لها فى التشيع اليكم أصول وفى تقرير فخركم محصول وأنتم ردء المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذى يعينها بارفاده وينصرهم بانجاده ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده وعند ما استقر هذا الامر الذى تبعت المحنة فيه المنحه وراقت من فضل الله تعالى ولطفه فيه الصفحه وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد استدعاء خواصهم وأعيانهم وتراجمت على رقها المنشور خطوط أيمانهم وتأصلت قواعد الفاظها ومعانيها فى قلوبهم وآذانهم وضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه وقد خبر سلفنا والحمد لله وفاء ضمانهم بادرنا تعريف مقامكم الذى نعلم مساهمته فيما ساء وسر واحلى وأمر عملا بمقتضى الخلوص الذى ثبت واستقر والحب الذى ما مال يوما ولا ازور وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا الامر المحذور وانجلاء ليله عن صبح الصنع البادى السفور وان كنا قد خاطبنا من خدامكم من يبادر اعلامكم بالامور الا انه امر له ما بعده وحادث يأخذ حده ونبعث الى بابكم من شاهد الحال ما بين وقوعها الى استقرارها رأى العيان وتولى تسديد الامور باعماله الكريمة ومقاصده الحسان ليكون أبلغ فى البر واشرح للصدر وأوعب للبيان فوجهنا اليكم وزير

فراجع أبا جعد ولاتك مغضيا * على ظلمة أعشت جميع النواظر
وتب توبة تهدى اليك شهادة
فانك ذو ذنب ولست بكافر
وسر نحونا تلق الجهاد غنيمة
تفدك ابتياعا رابحا غير خاسر
هى الغاية القصوى الرغيب ثوابها
اذا نال فى الدنيا الغنى كل تاجر
فلما قرأ كتابه بكى وركب فرسه وأخذ سلاحه ولحق بقطرى وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه ولم يرع الحجاج الا وكتاب قد بدر منه فيه شعر قطرى الذى كان كتب به اليه وفى أسفل الكتاب الى الحجاج أبيات منها
فمن مبلغ الحجاج أن سميره
قلا كل دين غير دين الخوارج
رأى الناس الا من رأى مثل رأيه
ملاعين تراكين قصد المخارج
فاقبلت نحو الله بالله واثقا
وما كربتى غير الاله بفارج
الى عصبة أما النهار فانهم
هم الاسد أسد الغيل عند التهايج
وأما اذا ما الليل جن فانهم
قيام بانواح النساء النواشج
ينادون للتحكيم تالله انهم
رأوا حكم عمرو كالرياح الهوائج
وحكم ابن قيس مثل ذلك فأعصموا * بحبل شديد المتن ليس بناهج فطرح الحجاج هذا الكتاب الى عنبسة بن سعيد فقال أمرنا

هـذا من سميرنا الشيبانى وهو من الخوارج ولا نعلم به ولابى الجعد سبرة بن الجعد سمير الحجاج هذا

أمرنا وكاتب سرنا الكذا ابن فلان والقينا اليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الاسنى واستنادنا من التشيع اليه الى الركن الوثيق المبنى ما نرجو أن يكون له فيه المقام الاعنى والثمرة العذبة الجنى فلاهتمامه بهذا الغرض الاكيد الذى هو أساس بنائنا وقامع أعدائنا آثرنا توجيهه على توفر الاحتياج اليه ومدار الحال عليه والمرغوب من أبوتكم المؤملة أن يتلقاه قبولها بما يليق بالملك العالى والخلافة السامية المعالى والله عزوجل يديم أيامكم لصلة الفضل المتوالى ويحفظ مجدكم من غير الايام والليالى وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويوالى نصركم وعضدكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وقوله فى هذه الرسالة فوجهنا اليكم وزير امرنا الى آخره هو لسان الدين رحمه الله تعالى اذ هو كان الوزير اذ ذاك والسفير فى هذه القضية ومن صفحات هذا الكلام يتضح لك ما نال لسان الدين رحمه الله تعالى من الرياسة والجاه ونفوذ الكلمة بالاندلس وبالمغرب رحمه الله تعالى وقد أكرمه السلطان أبو عنان فى هذه الوفادة وغيرها غاية الاكرام وكان المقصود الاعظم من هذه الوفادة استعانة سلطان الاندلس الغنى بالله بالسلطان أبى عنان على طاغية النصارى كما ألمعنا بذلك فى الباب الثانى من القسم الثانى الذى يتعلق بلسان الدين وكان السلطان أبو عنان ابن السلطان أبى الحسن معتنيا بالاندلس غاية الاعتناء وخصوصا بجبل الفتح حتى انه بلغ من اعتنائه به أن أمر عليه ولده ابا بكر السعيد وهو الذى تولى الملك بعده (ومن انشاء لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) على لسان سلطانه ما خاطب به الامير السعيد المذكور اذ قلده والده جبل الفتح وهو الامارة التى أشرق فى سماء الملك شهابها واتصلت باسباب العز أسبابها واشتملت على الفضل والطهارة أثوابها وأجيلت قداح المفاخر فكان الى جهة الله تعالى انتدابها امارة محل أخينا الذى تأسس على مرضاة الله تعالى أصيل فخره واتسم بالمرابط المجاهد على اقتبال سنه وجدة عمره وبدأ بفضل الجهاد صحيفة أجره وافتتح بالرباط والصلاح ديوان نهيه وأمره لما يسره من سعادة نصبته وحباه من عز نصره الامير الاجل الاعز الارفع الاسنى الاطهر الاظهر الامنع الاصعد الاسمى الموفق الارضى محل أخينا العزيز علينا المهداة أنباء مأمول جواره الينا أبى بكر السعيد ابن محل والدنا الذى مقاصده للاسلام وأهله على مرضاة الله تعالى جاريه وعزائمه على نصر الملة الحنيفية متباريه السلطان الكذا أبو عنان ابن السلطان الكذا أبى الحسن ابن السلطان الكذا أبى سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد الحق أبقاه الله تعالى سديدة آراؤه ناجحة أعماله ميسرة أغراضه من فضل الله تعالى متممة آماله رحيبا فى السعد مجاله يكنفه من الله تعالى ومحل أبينا غمام وارفة ظلاله هامى نواله حتى يرضى الله تعالى مساعيه بين يديه ومصاله وتمضى فى الاعداء أمام رايته المنصورة نصاله أخوه المسرور بقربه المنطوى على مضمر حبه أمير المسلمين محمد ابن امير المسلمين أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر سلام كريم طيب بر عميم يخص اخوتكم الفضلى وامارتكم التى آثار فضلها بحول الله تتلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله على ما كيف من ألطافه المشرقة الانوار ويسره لهذه الاوطان بنصرته من الاوطار

اشعار كثيرة منها قوله من أبيات

عجبت لحالات البلاء وللدهر ... وللحين يأتى المرء من حيث لايدرى

وللناس يأتون الضلالة بعدما ... أتاهم من الرحمن نور من البدر

ولله لايخفى عليه صنيعنا ... حفيظ علينا فى المقام وفى السفر

علا فوق عرش فوق سبع ودونه ... سماء يرى الارواح من دونها تجرى

وقد قيل ان هذا الشعر لغيره من الخوارج ولاصناف الخوارج أخبار حسان من الازارقة والاباضية وغيرهما قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وذكرنا ما اتفقت عليه الخوارج واجتمعت عليه من الاصول من اكفارهم عثمان وعليا والخروج على الامام الجائر وتكفير من ركب الكبائر والبراءة من الحكمين أبى موسى عبدالله بن قيس الاشعرى وعمرو بن العاص السهمى وحكمهما والبراءة ممن صوب حكمهما أو رضى به واكفار معاوية وناصريه ومقلديه ومحبيه فهذا ما اتفقت عليه الخوارج من الشراة والحرورية ثم اختلفوا بعد ذلك

فكلما دجت بها شدة طلع الفرج عليها طلوع النهار وكلما اضطرب منها جانب أعاده بفضل الله تعالى من أقامه لذلك واختاره الى حال السكون والقرار والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى المختار الذى أكد عليه جبريل صلوات الله عليه حق الجوار حتى كاد يلحقه بالوسائل والقرب الكبار الذى وصانا بالالتئام واتصال اليد فى نصرة الاسلام فنحن نقابل وصاته بالبدار ونجرى على نهجه الواضح الآثار ونرتجى باتباعه الجمع بين سعادة هذه الدار وتلك الدار والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره واحزابه أكرم الآل والاصحاب والاحزاب والانصار الذين كانوا كما أخبر الله تعالى عنهم على لسان الصادق الاخبار رحماء بينهم أشداء على الكفار والدعاء لامارتكم السعيدة بالتوفيق الذى تجرى به الامور على حسب الاختيار والعز المنيع الذمار والسعد القويم المدار والوقاية التى يامن بها اهلها من الشرار فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم أسنى ما كتب للامراء الارضياء الاخيار ومتعكم من بقاء والدكم بالعدة العظمى والسيرة الرحمى والجلال الرفيع المقدار من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله صلى الله عليه وسلم الذى أوضح برهانه الالطاف باهره وعناية من الله تعالى باطنه وظاهره وبشارة بالقبول واردة وبالشكر صادره والله تعالى يصل لدينا نعمه ويوالى فضله وكرمه والى هذا فاننا اتصل بنا فى هذه الايام ما كان من عناية والدكم محل أبينا أبقاه الله تعالى بهذه البلاد المستندة الى تأميل مجده واقطاعها الغاية التى لا فوقها من حسن نظره وجميل قصده وتعيينكم الى المقام بجبل الفتح ابلاغا فى اجتهاده الدينى وجده فقلنا هذا خبر ان صدق مخبره وتحصل منتظره فهو فخر تجددت أثوابه واعتناء تفتحت أبوابه وعمل عند الله تعالى ثوابه فان الاندلس عصمها الله تعالى وان أنجدته عدده وامواله ونجحت فى نصرها مقاصده الكريمة وأعماله لا تدرى موقع النظر لها من نفسه وزيادة يومه فى العناية على أمسه حتى يسمح لها بولده ويخصها بثمرة عينه وفلذة كبده فلما ورد الخبر الذى راقت منه الحبر ووضحت من سعادته الغرر باجازتكم البحر واختياركم فى حال الشبيبة الفخر وصدق مخيلة الدين فيكم واستقراركم فى الثغر الشهير الذى افتتحه سيف جدكم واستنقذه سعد أبيكم سررنا بقرب المزار ودنو الدار وقابلنا صنع الله تعالى بالاستبشار ووثقنا وان لم نزل على ثقة من عناية الله تعالى وعناية محل والدنا بهذه الاقطار وحمدنا الله تعالى على هذه الآلاء المشرقه والنعم المغدقه والصنائع المتألقه بادرنا بهنى اخوتكم أولا بما يسره الله تعالى لكم من سلامة المجاز ثم بما منحكم الله تعالى من فضل الاختصاص بهذا الغرض والامتياز فامارتكم الامارة التى أخذت باسباب السماء وركبت الى الجهاد فى سبيل الله تعالى جياد الخيل والماء وأصبحت على حال الشبيبة شجا فى حلوق الاعداء ونحن أحق بهذا الهناء ولكنها عادة الود وسنة الاخاء فالله عز وجل يجعله مقدما ميمون الطائر متهلل البشائر تتهلل بصنع الله تعالى بعده وجوه القبائل والعشائر ويجرى خبر سعادتكم مجرى المثل السائر ويشكر محل والدنا فيما كان من اختياره وزيد ايثاره ويجازيه

فى مواضع العبارة عن التوحيد والوعد والوعيد والامامة وغير ذلك من آرائهم وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى باب ذكر الحكمين أن أول من حكم بصفين عروة بن أدية التميمى وقيل ان أول من حكم بصفين يزيد بن عاصم المحاربى وقيل ان أول من حكم رجل من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وكان أول من شرى بصفين من المحكمة رجل من بنى يشكر وكان من وجوه ربيعة ممن كان مع على فانه حكم فى ذلك اليوم قال لا حكم الا لله ولا طاعة لمن عصى الله وخرج عن الصف فحمل على أصحاب على فقتل منهم رجلا ثم حمل على أصحاب معاوية فتعاموه ولم يقدر على قتل أحد منهم وكر على أصحاب على فقتله رجل من همدان وقد أتى الهيثم ابن عدى وأبو الحسن المدائنى وأبو البخترى القاضى وغيرهم على أخبار الخوارج وأصنافهم فيما أفردوه من كتبهم وذكر أصحاب المقالات فى الآراء والديانات ما تنازعوا فيه من مذاهبهم وذلك فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات وذكرنا من خرج منهم من وقت التحكيم فى عصر عصر الى آخر من خرج منهم بديار ربيعة على بنى حمدان وذلك فى سنة ثمان عشرة وثلثمائة وهو المعروف

جزاء

جزاء من سمع في ذاته بعظنة ادخاره ومذ رأينا ان هذا الغرض لايجتزى فيه بالكتابه دون الاستنابه وجهنا لكم من يقوم بحقه ويجرى من تقرير ما لدينا على أوضح طرقه وهو القائد الكذا ومجدكم يصغى لما يلقيه ويقابل بالقبول ما من ذلك يؤديه والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام انتهى * وكان الطاغية الملعون أيام السلطان أبي عنان رحمه الله تعالى نازل جبل الفتح ثم كفى الله تعالى شره في ذلك التاريخ

(ومن انشاء لسان الدين) على لسان سلطانه أبي الحجاج يخاطب أبا عنان سلطان فاس والمغرب ما نصه المقام الذي رمى له الملك الاصيل بافلاذه وأدى منه الاسلام الى ملجئه الاحمى وملاذه وكفلت السعود باضاء أمره المطاع وانفاذه وشأى حلبة الكرم فكان وحيد آحاده وفذ افذاذه وابتدع غرائب الجود فقال لسان الوجود نعمت البدعة هذه مقام محل أخينا الذي أركان مجده راسية راسخة وغرر عزه بادية باذخه وأعلام فخره سامية شامخه وآيات سعده محكمة ناسخه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى يجرى بسعده الفلك ويجلى بنور هديه الحلك ويسطر حسنات ملكه الملك ويشهد بفضل بأسه ونداه النادى والمعترك معظم حقوقه التي تأكد فرضها المثنى على مكارمه التي أعيا الاوصاف البليغة بعضها أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برعميم يخص اخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذي هيأ لملة الاسلام بمظاهرة ملككم المنصور الاعلام اظهارا واعزازا وجعل لها العاقبة الحسنى بيمن مقامكم الاسنى تصديقا لدعوة الحق وانجازا وسهل لها بسعدكم كل صعب المرام وقد سامتها صروف الايام لياواعوازا وأتاح لها منكم وليا يسوم أعداءها استلابا وابتزازا ويسكن آمالها وقد استشعرت انحفازا حمدا يكون على حلل النعم العميمة والآلاء الكريمة طرازا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي بهرت آياته وضوحا واعجازا واستحقت الكمال صفاته حقيقة لامجازا ونبيه الذي بين للخلق أحكام دينه الحق امتناعا وجوازا ويسر لهم وقد ضلوا في مفاوز الشك مفازا والرضا عن آله وأصحابه المستولين على ميادين فضائل الدنيا والدين اختصاصا بها وامتيازا فكانوا غيوثا ان وجدوا محلا وليوثا ان شهدوا برازا والدعاء لمقام اخوتكم الاسمى بنصر على أعدائه تبدى له الجياد الجرد ارتياحا والرماح الملد اهتزازا وعز يطأ من أكناف البسيطة وأرجائها المحيطة سهلا وعزازا ويمن يشمل من بلاد الايمان أقطارا نازحة ويعم أحوازا وسعد يجول في ميدان ذكره المذاع أطراف ألسنة اليراع اسهابا وايجازا وفخر يجوب جيوب الاقطار جوب المثل السيار عراقا وحجازا ولازالت كتائب سعده تنتهز فرص الدهر انتهازا وتوسع ممالك الكفر انتهابا واحتيازا فانا كتبناه الى مقامكم كتب الله تعالى لكم سعدا ثابت المراكز وعزا لاتلين قناته في يد الغامز وثناء لايثني عنان سراه عرض المفاوز وصنعا رحيب الجوانب رغيب الجوائز من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وفضله عز وجل قد أدال العسر يسرا وأحال القبض بسطا وقرب نوازح الآمال بعد أن تناءت ديارها شحطا وراض مركب الدهر الذي كان

بعروق وخرج ببلاد كفربيونى ووردالى نصيبين فكانت له مع أهلها حرب أسرفيها وقتل منهم خلق عظيم والمعروف بأبي شعيب خرج في بني مالك وغيرهم من ربيعة وقد كان أدخل على المقتدر بالله وقد كان بعد العشرين والثلثمائة للاباضية ببلاد عمان مما يلي بلاد بروى وغيرها حروب وتحكيم وخروج وامام نصبوه فقتل وقتل من كان معه وفي سنة سبع وسبعين كانت للحجاج حروب مع شبيب الخارجي وولى عنه الحجاج بعد قتل ذريع كان في أصحابه حتى أحصى عددهم بالقضيب فدخل الكوفة وتحصن في دار الامارة ودخل شبيب وأمه وزوجته غزالة الكوفة عند الصباح وقد كانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيهما سورة البقرة وآل عمران فاتوا الجامع في سبعين رجلا فصلوا به الغداة وخرجت غزالة مما كانت أوجبته على نفسها فقال الناس بالكوفة في تلك السنة

وفت الغزالة نذرها
يارب لاتغفر لها

وكانت الغزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم وكذلك أم شبيب وقد كان عبد الملك حين بلغه خبر هرب الحجاج وتحصنه في دار الامارة بالكوفة من شبيب بعث من الشأم

لايلين لمن استمطى وقرب غريم الرجاء فى هذه الارجاء وكان مشترطا والتوكل عليه سبحانه وتعالى قد أحكم منه اليقين والاستبصار المبين ربطا ومشروط المزيد من نعمه قد لزم من الشكر شرطا ومقامكم هو عدة الاسلام اذا جد حفاظه وظله الظليل اذا لفح للكفر شواظه وملجؤه الذى تنام فى كنف أمنه أيقاظه ووزره الذى الى نصره تمد أيديه وتشير ألحاظه ففى أرجاء ثنائه تسرح معانيه وألفاظه ولخطب تمجيده وتحميده يقول قسه وتحتفل عكاظه وتشوقنا الى ذلك الجناب الكريم طويل عريض ومقدمات ودنا اياه لايعترضها نقيض وأفلاك تعظيمنا له ليس لأوجها الرفيع حضيض وأنوار اعتقادنا الجميل فيه يشف سواد الحبر عن أوجهها البيض والى هذا أيدكم الله تعالى ثوبا لسعادة المعادة فضفاضا كما عرف بركة ايالتكم الكريمة على ربوع الاسلام ووجوه الليالى والايام وقد ازورت اعراضا وبسطت آمالها وقد استشعرت انقباضا فانه ورد علينا كتابكم الذى كرم أنحاء وأغراضا وجالت البلاغة من طرسه الفصيح المقال رياضا ووردت الافكار من معانيه الغرائب وألفاظه المزرية بدرر النحور والترائب بحورا صافية وحياضا فاجتلينا منه حلة من حلل الود سابغه وحجة من حجج المجد بالغه وشمسا فى فلك السعد بازغه الذى بين المقاصد الكريمة وشرحها وجلا الفضائل العميمة وأوضحها فما أكرم شيم ذلك الجلال وأسمعها وأفضل خلال ذلك الكمال وأرجحها حثثتم فيه على احكام السلم التى تحوط الانفس والحريم بسياج ويداوى القطر العليل منها بأنجع علاج والحال ذات احتياج وساحة الجبل عصمه الله تعالى ميدان هياج ومتبوأ أعلاج ومظنة اختلاف للظنون الموحشة واختلاج فحضر لدينا محتمله وزيركم الشيخ الاجل الاعظم الموقر الاسمى الخاصة الاحظى أبو على ابن الشيخ الوزير الاجل الحافل الفاضل المجاهد الكامل أبى عبد الله بن محلى والشيخ الفقيه الاستاذ الاعرف الفاضل الكامل أبو عبد الله ابن الشيخ الفقيه الاجل العارف الفاضل الصالح المبارك المبرور المرحوم أبى عبد الله القشتالى وصل الله سبحانه سعادتهما وحرس مجادتهما حالين من مراتب ترفيعنا أعلى محل الاعزاز وواردين على أحلى القبول الذى لا تشاب حقيقته بالمجاز عملا بما يجب علينا لمن يصل الينا من تلك الانحاء الكريمة والاحواز فتلقينا ما اشتملت عليه الاحالة السلطانية من الود الذى كرم مفهوما ونصا والبر الذى ذهب من مذاهب الفضل والكمال الامد الاقصى وقد كان سبقهما صنع الله جل جلاله بما اخلف الظنون وشرح الصدور وأقر العيون فلم يصلا الينا الا وقد أهلك الله تعالى الطاغيه ومزق أحزابه الباغيه نعمة منه سبحانه وتعالى ومنة ملأت الصدور انشراحا وعمت الارجاء افراحا وعنوانا على سعد مقامكم الذى راق غررا فى المكرمات وأوضاحا ومد يده الى سهام المواهب الالهية فحاز أعلاها قداحا فتشوفت نفوس المسلمين الى ما كانت تؤمله من فضل الله تعالى وترجوه وبدت فى القضية التى أشرتم باعمالها الوجوه وانبعثت الآمال الى ما آلت اليه هذه الحال انبعاثا والتاثت أمور العدو قصمه الله تعالى التياثا وانتقض غزله من بعد قوته بفضل الله تعالى أنكاثا واحتملت المسئلة التى تفضلتم بعرضها وأشرتم الى فرضها مأخذا

بعساكر كثيرة عليها سفيان بن الابرد الكلبى لقتال شبيب فقدم على الحجاج بالكوفة فخرجوا الى شبيب فحاربوه فانهزم شبيب وقتلت الغزالة وأمه ومضى شبيب فى فوارس من أصحابه واتبعه سفيان من أهل الشام فلحقه بالاهواز فولى شبيب فلما حصل على جسر دجيل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر فالقاه فى الماء فقال له بعض أصحابه أغرقا يا أمير المؤمنين قال ذلك تقدير العزيز العليم فألقاه دجيل ميتا بشطه فحمل على البريد الى الحجاج فامر الحجاج بشق بطنه واستخراج قلبه فاستخرج فاذا هو كالحجر اذا ضربت به الارض نبا عنها فشق فاذا فى داخله قلب صغير كالكرة فشق فاصيب علقة الدم فى داخله وفى سنة اثنتين وثمانين قتل الحجاج ابن القرية لخروجه مع ابن الاشعث وانشائه الكتب له ووضعه الصدور والخطب وكان ابن القرية من البلاغة والعلم والفصاحة بالموضع الموصوف وقد أتينا على خبر مقتله وما كان من كلامه مع الحجاج وقد كان قتله صبرا فى الكتاب الاوسط وان قتله اياه كان بالسيف وقيل بل قدم اليه فضرب به الحجاج بحربة فى نحره فاتى عليه وابن القرية القائل الناس ثلاثة عاقل وأحمق وفاجر فاما

وأبحاثنا فالقيناني هذه الحال الى رسوليكم أعزهما الله تعالى ما يلقيانه الى مقامكم الاعلى ومثابتكم الفضلى وما تزيد عندنا من الامور فركائب التعريف بها اليكم محثوثه وجزئياتها بين يدى مقامكم الرفيع مبثوثه وقد اضطربت أحوال الكفر وفالت آراؤه واستحكم بالشتات داؤه وارتجت بزلزال الفتن أرجاؤه وتيسرت آمال الاسلام بفضل الله تعالى ورجاؤه وماهو الا السعد يذلل لكم صعب العدو ويروضه والله سبحانه يهيئ لكم فضل الجهاد حتى تقضى بكم فروضه وأما الذى لكم عندنا من الخلوص الصافية شرائعه والثناء الذى هو الروض تارج ذائعه فأوضح من فلق الصبح اذا أشرقت طلائعه جعله الله تعالى فى ذاته ووسيلة الى مرضاته ورسولا كم يشرحان لكم الحال بجزئياته ويقرران ماعندنا من الود الذى سطع نور آياته وهو سبحانه وتعالى يصل لكم سعد اسامى المراتب والمراقى ويجمع لكم بعد بعد المدى وتمهيد دين الهدى بين نعيم الدنيا والنعيم الباقى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وأبين من هذا فى القضية كتاب آخر من انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى (صورته) من أمير المسلمين عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر الى محل أخينا الذى نثنى على مجادته أكرم الثناء ونجدد له ماسلف بين الاسلاف الكرام من الولاء ونتحفه من سعادة الاسلام وأهله بالاخبار السارة والانباء السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى رفيع المقدار كريم المآثر والآثار وعرفه من عوارف فضله كل مشرق الانوار كفيل بالحسنى وعقبى الدار سلام كريم بر عميم يخص جلالكم الارفع ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله على عميم آلائه وجزيل نعمائه ميسر الصعب بعد ابائه والكفيل بتقريب الفرج وادنائه له الحمد والشكر ملء أرضه وسمائه والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم رسله الكرام وأنبيائه الهادى الى سبيل الرشد وسوائه مطلع نور الحق بحلوظلم الشك بضيائه والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه وخلفائه السائرين فى الدنيا والآخرة تحت لوائه الباذلين نفوسهم فى اظهار دينه القويم واعلائه والدعاء لمقامكم بتيسير أمله من فضل الله سبحانه ورجائه واختصاصه بأوفر الحظوظ من اعتنائه فانا كتبناه اليكم كتبكم الله تعالى فيمن ارتضى قوله وعمله من أوليائه وعرفكم عوارف السعادة المعادة فى نهاية كل أمر وابتدائه من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم الذى أوضح برهانه وعظم أمره ورفع شانه ثم بما عندنا من الود الكريم وتجديد العهد القديم لمقامكم أعلى الله تعالى سلطانه الا الخير الهامى السحاب والتيسير المتين الاسباب واليمن المفتح الابواب والسعد الجديد الاثواب ومقامكم معتمد بترفيع الجناب متعمد بالود الخالص والاعتقاد اللباب معلوم له فضل الدين وأصالة الاحساب والى هذا وصل الله تعالى سعدكم مديد الاطناب ثاقب الشهاب وأطلع عليكم وجوه البشائر سافرة النقاب فانه قد كان بلغكم ما آلت الحال اليه بطاغية قشتالة الذى كلب على هذه الاقطار الغربية من وراء البحار وماسامها من الاوصاب والاضرار وانه جرى فى ميدان الاملاء والاغترار

العاقل فان الدين شريعته والحلم طبيعته والرأى الحسن سجيته ان نطق أصاب وان كلم أجاب وان سمع العلم وعى وان سمع الفقه روى وأما الاحمق فان تكلم عجل وان حدث ذهل وان حمل على القبيح حمل وأما الفاجر فان استأمنته خانك وان صاحبته شانك وان استكتم لم يكتم وان علم لم يعلم وان حدث لم يصدق وان فقه لم يفقه (وذكر المدائنى) أن الحجاج لم يكن يظهر لندمائه منه بشاشة ولا سماحة فى الخلق الا فى يوم دخلت عليه ليلى الاخيلية فقال لها بلغنى أنك مررت بقبر توبة بن الحمير وعدلت عنه فوالله ماوفيت له ولو كان هو مكانك وأنت بمكانه ماعدل عنك قالت أصلح الله الامير لى عذر قال وما هو قال سمعته وهو يقول

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت ... علىّ وفوقى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا ... اليها صدى من جانب القبر صائح

وكان معى نسوة قد سمعن قوله فكرهت أن أكذبه فاستحسن الحجاج قولها وقضى حوائجها وانبسط فى محادثتها فلم ير منه بشاشة وأريحية داخلته مثل ذلك اليوم (وذكر) حماد الراوية غير هذا الوجه وهو أن زوج ليلى حلف عليها وقد اجتاز بقبر توبة ليلا أن تنزل وتأتى وتسلم

ومحص المسلمون على يده بالوقائع العظيمة الكبار وانه نكث العهد الذى عقده وحل الميثاق الذى أكده وحمله الطمع الفاضح على أن أجلب على بلاد المسلمين بخيله ورجله ودهمها بتيار سيله وقطع ليله وأمل أن يستولى على جبل الفتح الذى يدعى منه فتحها وطلع لملة المحمدية صبحها فضيقه حصارا واتخذه دارا وعند ما عظم الاشفاق وأظلمت الآفاق ظهر فينا لقدرة الله تعالى الصنع العجيب ونزل الفرج القريب وقبل الدعاء السميع المجيب وطرق الطاغية جند من جنود الله تعالى أخذه أخذة رابيه ولم يبق له من باقيه فهلك على الجبل حتف انفه وغالته غوائل حتفه فتفرقت جموعه وأحزابه وانقطعت أسبابه وتجلى لنار الله تعالى مآبه وأصبحت البلاد مستبشرة ورأينا أن هذه البشارة التى يأخذ منها كل مسلم بالنصيب الموفور ويشارك فيما جلبته من السرور أنتم أولى من تتحفه بطيب رياها ونطلع عليه جميل محياها لما تقرر عندنا من دينكم المتين وفضلكم المبين وعملكم فى المساهمة على شاكلة صالحى السلاطين فاذلك الافضل نيتكم للمسلمين فى هذه البلاد وأثر ما عندكم من جميل الاعتقاد وقد ورد علينا رسولكم القائد أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح أعزه الله تعالى مقررا ما لديكم من الود الراسخ القواعد والخلوص الصافى الموارد الواضح الشواهد وأثنى على مكارمكم الاصيله وألقى ما عندكم من المذاهب الجميله فقابلنا ذلك بالشكر الذى يتصل سببه ويتضح مذهبه وسألنا الله تعالى أن يجعله ودا فى ذاته ووسيلة الى مرضاته وتعرفنا ما كان من تفضلكم بالطريدة المفتوحة المؤخر وما صدر عن الرئيس المعروف بالناظر من خدام دار الصنعة بالمرية من قبيح محاولته وسوء معاملته فأمرنا بقطع جرايته وثقافه بمطمورة القصبة جزاء لجنايته ولولا اننا توقفنا أن يكون عظيم عقابه مما لا يقع من مقامكم بموقعه لاشهور عفافه ورفقه لجعلناه نكالا لامثاله وعبرة لاشكاله وقد وجهنا اجفانا سفريا لايساق الخيل التى ذكرتم وايصال ما اليه من ذلك أشرتم ويكمل القصد ان شاء الله تعالى تحت لحظ اعتنائكم وفضل ولائكم هذا ما تزيد عندنا عرفنا كم به عملا على شاكلة الود الجميل والولاء الكريم الجملة والتفصيل فعرفونا بما يتزيد عندكم يكن من جملة أعمالكم الفاضله ومكارمكم الحافله والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن انشاء لسان الدين) فيما يتعلق بالاندلس وانقطاعها وانه لا غنى لها عن العدوة وغير ذلك ما صورته المقام الذى بنور سعادته تنجلى الغماء وتتصل النعماء من نيته قد حصل منها الجانب الله تعالى الانتماء واتفقت منه المسميات والاسماء مقام محل أبينا الذى تتفيأ هذه الجزيرة الغريبة أفياء نيته الصالحة وعمله وتثق بحسن العاقبة اعتمادا على وعد الله تعالى المنزل على خيرة رسله وتجتنى ثمار النجح من أفنان آرائه المتألقة تألق الصبح حالى ريثه وعجله وتتعرف حالى المودود والمكروه عارفة الخير والخيرة من قبله أبقاه الله تعالى يحسم الادواء كلما استشرت ويحلى موارد العاقبة كلما أمرت ويعفى على آثار الاطماع الكاذبة بها ما خدعت بخلبها وغرت ويضمن سعده عودة الامور الى أفضل

عليه وتكذبه حيث يقول وذكر البيتين المتقدمين قال وأبت أن تفعل فاقسم عليها زوجها فنزلت حتى جاءت الى القبر ودموعها على صدرها كغر السحاب فقالت السلام عليك يا توبة فلم تستتم النداء حتى انفرج القبر عن طائر كالحمامة البيضاء فضربت صدرها فوقعت ميتة فاخذوا فى جهازها وكفنها ودفنت الى جانب قبره وللعرب فيما ذكرنا كلام كثير على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى آرائهم ومذاهبهم فى الهام والصدى والصفر وقد كانت العرب تعقل الى جانب قبر الميت اذا دفن ناقة وتجعل عليه بردعة وحشية يسمونها البلية وقد ضربوا بذلك أمثالهم وذكره خطباؤهم فى خطبهم فقالوا البلايا على الولايا وقد كان بعضهم يتطير بالسانح ويتيامن بالبارح وبعضهم يضاد هذا فيتطير بالبارح ويتيامن بالسانح فأهل نجد يتيامنون بالسانح وأهل التهائم بالضد من ذلك على حسب ما قدمنا من قول عبيد الراعى فيما سلف من هذا الكتاب (حدثنا) المنقرى قال حدثنا عبد العزيز بن الخطاب الكوفى قال حدثنا فضيل بن مرزوق قال لما غلب بشر بن أرطاة على اليمن وكان من قتله لابنى عبد الله بن العباس وأهل مكة والمدينة ما كان

ما

ماعليه استقرت معظم مقامه الذي هو بالتعظيم حقيق وموقر ملكه الذي لا يلتبس منه في الفخر والعز طريق ولا يختلف في فضله العميم ومجده الكريم فريق أما بعد حمد الله المثيب المعاقب الكفيل لأهل التقوى بحسن العواقب المشيد بالعمل الصالح الى أرفع المراقي والمراقب يهدي من يشاء ويضل من يشاء فبقضائه وقدره اختلاف المسالك والمذاهب والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الحاشر العاقب ونبيه الكريم الرؤوف الرحيم ذي المفاخر السامية والمناقب والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه الذين ظاهروه في حياته باعمال السمر العوالي والبيض القواضب وخلفوه في أمته بخلوص الضمائر عن شوب الشوائب فكانوا في سماء ملته كالنجوم الثواقب والدعاء لمقامكم الاسمى بالسعادة المعادة في الشاهد من الزمن والغائب والنصر الذي يقضي بعز الكتائب والصنع الذي تطلع من ثناياه غرر الصنائع العجائب من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من الاعتداد بمقامكم أعلى الله تعالى سلطانه وشمل بالتمهيد أوطانه الا تشيع ثابت ويزيد واخلاص ماعليه في ميدان الاستطاعة مزيد وتعظيم أشرق منه جيد وثناء راق فوق رياضه تحميد وتمجيد والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس الطاهر الكريم مجدكم فقد وصلنا كتابكم الذي هو على الخلوص والاعتقاد عنوان وفي الاحتجاج على الرضا والقبول برهان تنطق بالفصل أصوله وتشير الى كرم العقد فروعه الزكية وأصوله ويحق أن ينسب الى ذلك الفخر الأصيل محصوله عرفتمونا بما ذهب اليه عيسى بن الحسين من الخلاف الذي ارتكبه وسبيل الصواب الذي انتكبه وتنبهون على مادة الحق في مثل ذلك وأوجبه حتى لا يصل أحد من جهتنا سببه ولا يظاهره مهما نذبه ولا يسعف في الأهواء طلبه فاستوفينا ما استدعاه ذلك البيان الصريح وجلبه وخطه القلم الفصيح وكتبه وليعلم مقامكم وهو من أصالة النظر غني عن الاعلام ولكن لابد من الاستراحة بالكلام والتنفث بنفثات الأقلام أننا انما نجري أمورنا مع هذا العدو الكافر الذي رمينا بجواره وبلينا والحمد لله بصادمة تياره على تعداد أقطاره واتساع براريه وبحاره بأن تكون الأمة المحمدية بالعدوتين تحت وفاق وأسواق النفاق غير ذات نفاق والجماهير تحت عهد من الله تعالى وميثاق فهما تعرفنا ان اثنين اختلف منهما بالعدوتين عقد ووقع بينهما في قبول الطاعة رد ساءنا واقعه وعظمت لدينا مواقعه وسألنا أن يتدارك الخرق راقعه لما نتوقعه من التشاغل عن نصرنا وتفرغ العدو الى ضرنا فكيف اذا وقعت الفتنة في صقعنا وقطرنا انما هي شعلة في بعض بيوتنا وقعت وحادثة الى جهتنا أشرعت وان كان لسوانا لفظها فلنا معناها وعلى وطننا يعود جناها فنحن أحرص الناس على اطفائها واخمادها وأسعى في اصلاح فسادها والمثابرة على كفها واستئسادها وما الظن بدار قد بابها وآمال رثت أسبابها وجزيرة لا تستقيم أحوال من بها الا بالسكون وسلم العدو المغرور المفتون حتى تقضي منه باعانتكم الديون وان اضطرابها انما هو داء نستنصر من رأيكم فيه بطبيب وهدف خطب نرميه من عزمكم بسهم مصيب وأمر نضرع في تداركه الى سميع للدعاء مجيب ونحن فيه يد أمام

قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ان بشر بن أرطاة قد غلب على اليمن والله ما أرى هؤلاء القوم الا سيغلبون على ما في أيديهم وما ذلك بحق في أيديهم ولكن بطاعتهم واستقامتهم ومعصيتكم لي وتناصرهم وتخاذلكم واصلاح بلادهم وافساد بلادكم وتالله يا أهل الكوفة لوددت أني صرفتكم صرف الدنانير العشرة بواحد ثم رفع يديه فقال اللهم اني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني فأبدلني بهم خيرا منهم وأبدلهم بي شرا مني اللهم عجل عليهم بالغلام الثقفي الذيال الميال يأكل خضرها ويلبس فروها ويحكم فيها بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنها ولا يتجاوز عن مسيئها قال وما كان ولد الحجاج يومئذ (حدثنا) الجوهري عن سليمان بن أبي شيخ الواسطي عن محمد بن يزيد عن سفيان بن حسين قال سأل الحجاج الجوهري ما النعمة قال الأمن فاني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش قال زدني قال الصحة فاني رأيت السقيم لا ينتفع بعيش قال زدني قال الشباب فاني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش قال زدني قال الغنى فاني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش قال زدني قال لا أجد مزيدا (حدثنا) الجوهري

يد كم ومقصدنا فيه تبع لقصدكم وتصرفنا على حد اشارتكم جار وعزمنا الى منتهى مرضاتكم متبار وعقدنا في مشايعة أمركم غير متوار وقد كنا الاول اتصال هذا الخبر القبيح العين والاثر بادرنا تعريفكم بجميع ما اتصل بنا في شانه ولم نطوعنكم شيأ من اسراره ولا اعلانه وبعثنا رسولنا الى بابكم العلي نستعد بسلطانه ونرتجي تمهيد هذا الوطر بتمهيد أوطانه وبادرنا بالمخاطبة من وجبت مخاطبته من أهل مربلة واسطبونة تثبت بصائرهم في الطاعة وتقويها ونعدهم بتوجيه من يحفظ جهاتهم ويحميها وعجلنا الى بعضها مددا من الرماة والسلاح ليكون ذلك عدة فيها وعملنا ما أوجب الله تعالى من الاعمال التي يزلف بها ويرتضيها وكيف لا نظاهر أمركم الذي هو العدة المذخوره والفئة الناصرة المنصوره والباطل سراب يخدع والحق اليه يرجع والبغي يردي ويصرع وكم تقدم في الدهر منتز شذ عن الطاعه وخرج عن الجماعه ومخالف على الدول في العصور الاول بهرج الحق زائفه ورجم بشهب الاسنة طائفه وأخذت عليه الضيعة وهاده وتنائفه فتقلص ظله ونبا به عن الحق محله وكما قال يذهب الباطل وأهله لا سيما وسعادة ملككم قد وطأت المسالك ومهدتها وقهرت الاعداء وتعبدتها وأطفأت جداول سيوفكم النار التي أوقدتها وكائن بالامور اذا أعملتم فيها رأيكم السديد وقد عادت الى خير أحوالها والبلاد بيمن تدبيركم قد شفي ما ظهر من اعتلالها وعلى كل حال فانما نحن الى تكميل مرضاتكم مبادرون وفي أغراضكم الدينية واردون وصادرون ولاشارتكم التي تتضمن الخير والخيرة منتظرون عندنا من ذلك عقائد لا يحتمل نصها التأويل ولا يقبل صحيحها التعليل فلتكن أبوتكم من ذلك على أوضح سبيل فشمس النهار لا تحتاج الى دليل والله تعالى يسني لكم عوائد الصنع الجميل حتى لا يدع عزمكم مغصوبا الا رده ولا ثلما في ثغر الدين الا سده ولا هدفا متعاصيا الا هده ولا عرقا من الخلاف الا جده وهو سبحانه يبقي ملككم ويصل سعده ويعلي أمره ويحرس مجده والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن انشائه رحمه الله تعالى) من جملة رسالة على لسان سلطانه أبي الحجاج يخاطب الرعايا ما نص محل الحاجة منه والى هذا فقد علمتم ما كانت الحال آلت اليه من ضيقة البلاد والعباد بهذا الطاغية الذي جرى في ميدان الامل جري الجموح ودارت عليه خمرة النخوة والخيلاء مع الغبوق والصبوح حتى طمع بسكر اغتراره ومحص المسلمون على يده بالوقائع التي تجاوز منتهى مقداره وتوجهت الى استئصال الكلمة مطامح أفكاره ووثق بانه يطفئ نور الله بناره ونازل جبل الفتح فشد مخنق حصاره وادار أشياعه في البر والبحر دور السوار على أسواره وانتهز الفرصة بانقطاع الاسباب وانبهام الابواب والامور التي لم تجر للمسلمين بالعدوتين على مألوف الحساب وتكالب التثليث على التوحيد وساءت الظنون في هذا القطر الوحيد المنقطع بين الامة الكافره والبحور الزاخره والمرام البعيد وانا صابرنا بالله تعالى تيار سيله واستضأنا بنور التوكل عليه في جنح هذا الخطب ودجنة ليله ولجأنا الى من بيده نواصي الخلائق واعتلقنا من حبله المتين بأوثق العلائق وفسحنا مجال الامل في ذلك الميدان المتضايق وأخلصنا لله

عن مسلم بن ابراهيم أبي عمرو الفراهيدي عن الصلت بن دينار قال مرض الحجاج فارجف أهل الكوفة فلما تماثل من علته صعد المنبر وهو يتثنى على أعواده فقال ان أهل الشقاق والنفاق نفخ الشيطان في مناخرهم فقالوا مات الحجاج ومات الحجاج فمه والله ما أرجو الخير كله الا بعد الموت وما رضي الله الخلود لاحد من خلقه في الدنيا الا لاهونهم عليه ابليس والله لقد قال العبد الصالح سليمان بن داود رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فكان ذلك ثم اضمحل فكأن لم يكن يا أيها الرجل وكلكم ذلك الرجل كأني بكل حي ميت وبكل رطب يابس وقد نقل كل امرئ بثياب طهره الى حفرته فخدله في الارض ثلاث أذرع طولا في ذراعين عرضا فاكلت الارض لحمه ومصت من صديده ودمه وانقلب الحبيبان يقتسم أحدهما صاحبه حبيبه من ولده يقتسم حبيبته من ماله أما الذين يعلمون فسيعلمون ما أقول والسلام (حدثنا) المنقري عن مسلم بن ابراهيم أبي عمرو الفراهيدي عن الصلت ابن دينار قال سمعت الحجاج يقول قال الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فهذه لله وفيها مثنوية وقال واسمعوا واطيعوا وهذه

مقيل العثار ومؤوى أولى الاضطرار قلوبنا ورفعنا اليه أمرنا ووقفنا عليه مطلوبنا ولم نقصر مع ذلك فى ابرام العزم واستشعار الحزم وامداد الثغور باقصى الامكان وبعث الجيوش الى ما يلينا من بلاد على الاحيان فرحم الله تعالى انقطاعنا الى كرمه والتجاءنا الى حرمه فجلى بفضله سبحانه ظلم الشده ومد على الحريم والاطفال ظلال رحمته الممتده وعرفنا عوارف الصنع الذى قدم به العهد على طول المده ورماه بجيش من جيوش قدرته أغنى عن ايجاف الركاب واحتشاد الاحزاب وأظهر فينا قدرة ملكه عند انقطاع الاسباب واستخلاص العباد والبلاد من بين الظفر والناب فقد كان جمع على الحق بأباطيله وسد المجاز باساطيله ورمى الجزيرة الاندلسية بشؤبوب شره وصيرها فريسة بين غربان بحره وعقبان بره فلم يخلص الى المسلمين من اخوانهم مرقبة الا على الخطر الشديد والافلات من يد العدو العنيد مع توفر العزائم والحمد لله على العمل الحميد والسعى فيما يعود على الدين بالتأييد وبينما شفقتنا على جبل الفتح تقيم وتقعد وكلب الاعداء عليه يبرق ويرعد واليأس والرجاء خصمان هذا يقرب وهذا يبعد اذ طلع علينا البشير بانفراج الازمه وحل تلك العزمه وموت شاه تلك الرقعه وأبقاه الله تعالى على تلك البقعه وانه سبحانه أخذ الطاغية أكمل ما كان اغترارا وأعظم أنصارا وزلزلت أرض عزه وقد أصابت قرارا وان شهاب سعده قد أصبح آفلا وعلم كبره انقلب سافلا وان من بيده ملكوت السموات والارض طرقه بحتفه وأهلكه برغم أنفه وان محلته عاجلها التباب والتبار وعاثت فى منازلها النار وتمخض عن سوء عاقبتها الليل والنهار وان حماتها يخربون بيوتهم بايديهم وينادى بشتات الشمل لسان مناديهم وتلاحق الفرسان من جبل الفتح المعقل الذى عليه من عناية الله تعالى رواق مضروب والرباط الذى من حاربه فهو المحروب فأخبرت بانفراج الضيق وارتفاع العائد عن الطريق وبرء الداء الذى أشرق بالريق وان النصارى دمرها الله تعالى جدت فى ارتحالها وأسرعت بجيفة طاغيتها الى سوء مآلها وجالها وسمحت للنار والنهب باسلابها وأموالها فبهرنا هذا الصنع الالهى الذى مهد الاقطار بعد رجفانها وأنام العيون بعد سهاد أجفانها وسألنا الله تعالى أن يعيننا على شكر هذه النعمة التى ان سلطت عليها قوى البشر فضحتها ورجحتها وأينا سر اللطائف الخفية كيف سريانه فى الوجود وشاهدنا بالعيان أنوار اللطائف الالهية والوجود وقلنا انما هو الفتح الاول شفع بثان وقواعد الدين الحنيف أيدت من صنع الله تعالى ببنيان اللهم لك الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة ومننك الوافره انك ولينا فى الدنيا والآخرة انتهى (ومن انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى) من أخرى مما يتعلق بضيق حال المسلمين بالاندلس ماصورته وان تشوفتم الى أحوال هذا القطر ومن به من المسلمين بمقتضى الدين المتين والفضل المبين فاعلموا اننا فى هذه الايام ندافع من العدو تيارا ونكابر بحرا زخارا ونتوقع الآن وقى الله تعالى خطوبا كبارا ونمد اليد الى الله تعالى انتصارا ونلجأ اليه اضطرارا ونستمد دعاء المسلمين بكل قطر استعدادا به واستظهارا ونستشير من خواطر الفضلاء ما يحفظ أخطارا وينشئ ريح روح الله طيبة معطارا فان القومس الاعظم قيوم دين النصرانية الذى يأمرها فتطيع وبخالفته

لعبد الله وخليفة الله ونجيب الله عبد الملك أما والله لو أمر الناس أن يدخلوا فى هذا الشعب فدخلوا فى غيره لكانت دماؤهم لى حلالا عذيرى من أهل هذه الحمراء يلقى أحدهم الحجر الى الارض ويقول الى أن يبلغها يكون فرج الله لاجعلنهم كالرسم الدائر وكالأمس الغابر عذيرى من عبد هذيل يقرأ القرآن كانه رجز الأعراب أما والله لو أدركته لضربت عنقه يعني عبد الله بن مسعود عذيرى من سليمان بن داود يقول لربه رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى كان والله فيما علمت عبدا حسودا بخيلا (وحدثنا) المنقرى عن عبيد بن أبى السرى عن محمد بن هشام بن السائب عن أبيه عن عبد الرحمن ابن السائب قال قال الحجاج يوما لعبد الله بن هانئ وهو رجل من أود حى من اليمن وكان شريفا فى قومه وقد شهد مع الحجاج مشاهده كلها وشهد معه تحريق البيت وكان من أنصاره وشيعته والله ما كافأناك بعد ثم أرسل الى اسماء بن خارجة وكان من فزارة أن زوج عبد الله ابن هانئ ابنتك فقال لا ولا كرامة فدعا له بالسياط فقال أنا أزوجه فزوجه ثم بعث الى سعيد بن قيس الهمدانى رئيس اليمامة أن زوج عبد الله بن هانئ ابنتك

قال ومن أددوا الله لا أزوجه ولا كرامة قال هاتوا السيف قال دعني حتى أشاور أهلي فشاورهم فقالوا زوجه لا يقتلك هذا

لا تستطيع رمى هذه الامة الغريبة المنقطعة منهم بحر اذلا يسد طريقها ولا يحصى فريقها
التفت على أخي صاحب قشتالة وعزمها أن تملكه بدله وتبلغه أمله ويكون الكل يدا
واحدة على المسلمين ومناصبة هذا الدين واستئصال شأفة المؤمنين وهي شدة ليس
لاهل هذا الوطن بها عهد ولا عرفها بجد ولا وهد وقد اقتحموا الحدود القريبة والله
تعالى ولي هذه الامة الغريبة وقد جعلنا مقاليد أمورنا بيد من يقوى الضعيف ويدرأ
الخطب المخيف ورجونا أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وهو سبحانه المرجو في
حسن العقبى والمآل ونصر فئة الهدى على فئة الضلال وما قل من كان الحق كنزه ولا ذل
من استمد من الله عزه قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الآية ودعاء من قبلكم من
المسلمين مدد موفور والله سبحانه على كل حال محمود مشكور انتهى (ومن أخرى) طويلة
من جملتها ما صورته وقد اتصل بنا الخبر الذي يوجب نصح الاسلام ورعى الجوار والذمام
وما جعل الله تعالى للمأموم على الامام ايقاظكم من مراقدكم المستغرقه وجمع أهوائكم
المتفرقه وتهيئكم الى مصادمة الشدائد المرعدة المبرقه وهو أن كبير دين النصرانيه
الذي اليه ينقادون وفي مرضاته يصادقون ويعادون وعند رؤية صليبه يكبرون
ويسجدون لما رأى الفتن قد أكلتهم خضما وقضما وأوسعتهم هضما فلم تبق عصبا ولا
عظما ونثرت ما كان نظما أعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق ويرفع ما طرق ويرفو ما
مزق الشتات وخرق فرمى الاسلام بامة عددها القطر المنثال وأمرهم وشأنهم الامتثال أن
يدمنوا لمن ارتضاه من أمته الطاعه ويجمعوا في ملته الجماعه ويطلع الكل على هذه الفئة
القليلة الغريبة بغتة كقيام الساعه وأقطعهم قطع الله تعالى بهم العباد والبلاد والطارف
والتلاد وسوغهم الحريم والاولاد وبالله تعالى نستدفع ما لا نطيقه ومنه نسأل عادة الفرج
فاسدت طريقه الأثار أبناء غفلة الناس مؤذنة البوار وأشفقنا للدين المنقطع من وراء
البحار وقد أصبح مضغة في لهوات الكفار وأردنا أن نهزكم بالموعظة التي تكحل البصائر
بميل الاستبصار فان جبر الله تعالى الخواطر بالضراعة اليه والانكسار ونسخ الاعسار
بالايسار وأنجد اليمين باختها اليسار والا فقد تعين في الدنيا والآخرة حظ الخسار فان
من ظهر عليه عدو دين الله تعالى وهو من الله مصروف وبالباطل مشغوف وبغير العرف
معروف وعلى الحطام المسلوب عنه ملهوف فقد تله الشيطان للجبين وقد خسر الدنيا
والآخرة ذلك هو الخسران المبين ومن نفذ فيه أوله قدر الله في أداء الواجب وبذل المجهود
وأفرد بالعبودية وجه الواحد الاحد المعبود ووطن النفس على الشهادة المبوئة دار الخلود
العائدة بالحياة الدائمة والوجود أو الظهور على عدو الله المحشور اليه المحشود صبرا على المقام
المحمود وبيعا من الله تعالى تكون الملائكة فيه الشهود حتى تعين يد الله في ذلك البناء
المهدوم بقوة الله والمهدود والسواد الاعظم الممدود كان على أمريه بالخيار المودود قل
هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الآية انتهى * (وقال) صاحب مناهج الفكر بعد
وصفه جزيرة الاندلس وأقطارها ما صورته ولم تزل هذه الجزيرة منتظمة لمالكها في

الفاسق فزوجه فقال له
الحجاج يا عبد الله قد زوجتك
بنت سيد فزارة وابنة سيد
همدان وعظيم كهلان وما
أددهناك فقال لا تقل
أصلح الله الامير ذلك فان
لنا مناقب ما هي لاحد من
العرب قال وما هذه
المناقب قال ما سب أمير
المؤمنين عثمان في نادينا
قط قال هذه والله منقبة
قال وشهد منا صفين مع
أمير المؤمنين معاوية
سبعون رجلا وما شهد مع
أبي تراب منا الا رجل
واحد كان والله ما علمته
امرأ سوء قال وهذه والله
منقبة قال وما منا أحد
تزوج امرأة تحب أبي تراب
ولا تولاه قال وهذه والله
منقبة قال وما منا امرأة
الا نذرت ان قتل الحسين
أن تنحر عشر جزائر لها
ففعلت قال وهذه والله
منقبة قال وما منا رجل علم
من أبيه شتم أبي تراب
ولعنه الا فعل وقال وأزيدكم
ابنيه الحسن والحسين
وأمهما قال وهذه والله
منقبة قال وما أحد من
العرب له من الملاحة
والصباحة ما لنا وضحك
وكان دميما شديد الادمة
مجدورا في رأسه عجر مائل الشدق أحول قبيح الوجه مائل الحولة (المنقري) عن جعفر بن عمرو الحرصي

سلك

سلك الانقياد والوفاق الى ان طما بمتر فيها سيل العناد والنفاق فامتاز كل رئيس منهم بصقع كان مسقط راسه وجعله معقلا يعتصم فيه من المخاوف بافراسه فصار كل منهم يشن الغارة على جاره ويحاربه فى عقرداره الى أن ضعفوا عن لقاء عدوّ فى الدين يعادى ويراوح معاقلهم بالعيث ويغادى حتى لم يبق فى أيديهم منها الا ماهو فى ضمان هدنة مقدّره وأتاوة فى كل عام على الكبير والصغير مقرره كان ذلك فى الكتاب مسطورا وقدرا فى سابق علم الله مقدورا انتهى *وهذا قاله قبل أن يستولى العدو على جميعها والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين (ولنرجع) الى ما كنا بصدده من أخذ النصارى قواعد الاندلس فنقول قد قدمنا أوائل هذا الباب أن طليطلة أعادها الله تعالى من أوّل ما أخذ الكفار من المدن العظام بالاندلس (قال) ابن بسام لما توالت على أهل طليطلة الفتن المظلمة والحوادث المصطلمة وترادف عليهم البلاء والجلاء واستباح الفرنج لعنهم الله تعالى أموالهم وأرواحهم كان من أعجب ماجرى من النوادر الدالة على الخذلان أن الحنطة كانت تقيم عندهم مخزونة خمسين سنة لا تتغير ولا يؤثر فيها طول المدة بما يمنع من أكلها فلما كانت السنة التى استولى عليها العدوّ فيها لم ترفع الغلة من الاندر حتى أسرع فيها الفساد فعلم الناس أن ذلك بمشيئة الله تعالى لامر أراده من شمول البلوى وعموم الضراء فاستولى العدوّ على طليطلة وأنزل من بها على حكمه وخرج ابن ذى النون منها على أقبح صورة وأفظع سيرة ورآه الناس وبيده اصطرلاب يأخذ به وقتا يرحل فيه فتعجب منه المسلمون وضحك عليه الكافرون وبسط الكافر العدل على أهل المدينة وحبب التنصر الى عامة طغامها فوجد المسلمون من ذلك مالا يطاق حمله وشرع فى تغيير الجامع كنيسة فى ربيع الاول سنة ست وتسعين وأربعمائة ومما جرى فى ذلك اليوم أن الشيخ الاستاذ المقامى رحمه الله تعالى صار الى الجامع وصلى فيه وأمر مريداله بالقراءة ووافاه الفرنج لعنهم الله تعالى وتكاثروا لتغيير القبلة فاجسر أحد منهم على ازعاج الشيخ ولا معارضته وعصمه الله تعالى منهم الى أن أكمل القراءة وسجد سجدة ورفع رأسه وبكى على الجامع بكاء شديدا وخرج ولم يعرض أحد له بمكروه وقيل لملك النصارى ينبغى أن تلبس التاج كمن كان قبلك فى هذا الملك فقال حتى تأخذ قرطبتهم وأعد لذلك ناقوسا تأنق فيه وفيما رصع به من الجواهر فاكذبه الله وأزعجه وورد أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين فاقصر فيما أثر من اذلال المشركين وارغام الكافرين واستدراك أمور المسلمين انتهى ملخصا وقدم مطولا *وكانت قبلها وقعة بطرنة سنة ست وخمسين وأربعمائة وذلك أن الفرنج خذلهم الله تعالى انتدبت منهم قطعة كثيفة ونزلت على بلنسية فى السنة المذكورة وأهلها جاهلون بالحرب معرضون عن أمر الطعن والضرب متبلون على لذات اللذات من الاكل والشرب وأظهر الفرنج الندم على منازلتها والضعف عن مقاومة من فيها وخدعوهم بذلك فانخدعوا واطمعوهم فطمعوا وكمن فى عدة أماكن جماعة من الفرسان وخرج أهل البلد بثياب زينتهم وخرج معهم أميرهم عبد العزيز بن أبى عامر فاستدرجهم العدو لعنهم الله تعالى ثم عطفوا عليهم فاستأصلوهم بالقتل والاسر وما نجا منهم الا من حصنه أجله وخاص الامير نفسه ومما حفظ عنه انه

عن محمد بن رجاء قال سمعت عمران بن مسلم بن أبى بكر الهذلى يقول

سمعت الشعبى يقول أتى بى الحجاج موثقا فلما دخلت عليه استقبلنى يزيد بن مسلم فقال انا لله يا شعبى على ما بين دفتيك من العلم وليس بيوم شفاعة بؤ للامير بالشرك وبالنفاق على نفسك فبالحرى أن تنجو منه فلما دخلت استقبلنى محمد بن الحجاج فقال لى مثل مقالة يزيد فلما مثلت بين يدى الحجاج فقال وأنت يا شعبى فيمن خرج علينا وكثر قلت نعم أصلح الله الامير أحزن بنا المنزل وأجدب الجناب وضاق المسلك واكتحلنا السهاد واستحلسنا الخوف ووقعنا فى فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء قال صدق والله مابروا بخروجهم علينا ولا قووا اذ فجروا أطلقوا عنه قال الشعبى ثم احتاج الى فريضة فقال ما تقول فى أخت وأم وجد قلت اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وزيد وعلى وعثمان وابن عباس قال فماذا قال فيها ابن عباس فلقد كان معنيا قلت جعل الجد أبا وأعطى الام الثلث ولم يعط الاخت شيأ قال فما قال فيها عبد الله قلت جعلها من ستة فاعطى الاخت النصف وأعطى الام السدس وأعطى الجد الثلث قال فما قال فيها زيد قلت جعلها تسعة فاعطى

أنشد لما أعياه الامر

خليلي ليس الرأي في صدر واحد * أشيرا على اليوم ما تريان

وفي أهل بلنسية يقول بعض الشعراء حين خرجوا في ثياب الزينة والترفه

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم * حلل الحرير عليكم ألوانا

ما كان أقبحهم وأحسنكم بها * لولم يكن ببطرنة ما كانا

قال ابن بسام وهكذا جرى لاهل طليطلة فان العدو خذله الله تعالى استظهر عليهم وقتل جماهيرهم وكان من جملة ما غنمه الفرنج من أهلها لما خرجوا اليهم في ثياب الترفه ألف غفارة خارجا عما سواها انتهى (وقال) ابن حيان وكان تغلب العدو خذله الله تعالى على بربشتر قصبة بلاد برطانية وهي تقرب من سرقسطة سنة ست وخمسين وأربعمائة وذلك أن جيش الاردمليش نازلها وحاصرها وقصر يوسف بن سليمان بن هود في حمايتها ووكل أهلها الى نفوسهم فأقام العدو عليها أربعين يوما ووقع فيما بين أهلها تنازع في القوت لقلته واتصل ذلك بالعدو فشدد القتال عليها والحصر لها حتى دخل المدينة الاولى في خمسة آلاف مدرع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلة وجرت بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسمائة افرنجي ثم اتفق أن القناة التي كان الماء يجري فيها من النهر الى المدينة تحت الارض في سرب موزون انهارت وفسدت ووقعت فيها صخرة عظيمة سدت السرب بأسره فانقطع الماء عن المدينة ويئس من بها من الحياة فلاذوا بطلب الامان على أنفسهم خاصة دون مال وعيال فأعطاهم العدو الامان فلما خرجوا نكث بهم وغدر وقتل الجميع الا القائد ابن الطويل والقاضي ابن عيسى في نفر من الوجوه وحصل للعدو من الاموال والامتعة ما لا يحصى حتى ان الذي خص بعض مقدمي العدو لحصنه وهو قائد خيل رومة نحو ألف وخمسمائة جارية أبكارا ومن أوقار الامتعة والحلي والكسوة خمسمائة جمل وقدر من قتل وأسر مائة ألف نفس وقيل خمسون ألف نفس (ومن نوادر) ما جرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه أن المرأة كانت تقف على السور وتنادي من يقرب منها أن يعطيها جرعة ماء لنفسها أو لولدها فيقول لها أعطيني ما معك فتعطيه ما معها من كسوة وحلي وغيره قال وكان السبب في قتلهم انه خاف من يصل لنجدتهم وشاهد من كثرتهم ما هاله فشرع في القتل لعنه الله تعالى حتى قتل منهم نيفا على ستة آلاف قتيل ثم نادى الملك بتأمين من بقي وأمر أن يخرجوا فازدحموا في الباب الى أن مات منهم خلق عظيم ونزلوا من الاسوار في الحبال للخشية من الازدحام في الابواب ومبادرة الى شرب الماء وكان قد تحيز في وسط المدينة قدر سبعمائة نفس من الوجوه وحاروا في نفوسهم وانتظروا ما ينزل بهم فلما خلت ممن أسر وقتل وأخرج من الابواب والاسوار وهلك في الزحمة نودي في تلك البقية بان يبادر كل منهم الى داره باهله وله الامان وأرهقوا وأزعجوا فلما حصل كل واحد منهم بمن معه من أهله في منزله اقتسمهم الافرنج لعنهم الله تعالى بأمر الملك وأخذ كل واحد منهم دارا بمن فيها من أهلها نعوذ بالله تعالى وكان من أهل المدينة جماعة قد عاذوا برؤس الجبال وتحصنوا بمواضع منيعة وكادوا يهلكون من العطش فأمنهم الملك على نفوسهم وبرزوا في صور الهلكى من العطش فأطلق

الام ثلاثة وأعطى الاخت سهمين وأعطى الجد أربعة قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان قلت جعلها أثلاثا قال فما قال فيها أبو تراب قلت جعلها ستة أعطى الاخت النصف وأعطى الام الثلث وأعطى الجد السدس قال فضرب بيده على أنفه وقال انه المرء يرغب عن قوله (المنقري) عن أبي عبد الرحمن العتبي عن أبيه قال أراد الحجاج الحج فخطب الناس وقال يا أهل العراق اني قد استعملت عليكم محمدا وبه الرغبة عنكم أما انكم لا تستأهلونه وقد أوصيته فيكم خلاف وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصار فانه أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم أما اني اذا وليت عنكم انكم تقولون لا أحسن الله له الصحابة وما منعكم من تعجيله الا الفراق وأنا أعجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة ثم نزل (العتبي) عن عبد الغني بن محمد بن جعفر عن الهيثم بن عدي عن أبي عبد الرحمن الكناني عن ابن عباس الهمداني عن عبيد بن أبي المخارق قال استعملني الحجاج على الفلوجة فقلت أههنا دهقان يستعان برأيه فقالوا جميل بن صهيب فأرسلت اليه فجاءني شيخ سبيلهم

سبيلهم فبينما هم فى الطريق اذ لقيتهم خيل الكفر ممن لم يشهد الحادثة فقتلوهم الا القليل ممن نجا باجله قال وكان الفرنج لعنهم الله تعالى لما استولوا على أهل المدينة يفتضون البكر بحضرة أبيها والثيب بعين زوجها وأهلها وجرى من هذه الاحوال مالم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان ومن لم يرض منهم أن يفعل ذلك فى خادم أو ذات مهنة أو وخش اعطاهن خوله وغلمانه يعيثون فيهن عيثة و بلغ الكفرة منهم يومئذ مالا تلحقه الصفة على الحقيقة ولما عزم ملك الروم على القفول الى بلده تخير من بنات المسلمين الجوارى الابكار والثيبات ذوات الجمال ومن صبيانهم الحسان الوفا عدة حملهم معه ليهديهم الى من فوقه وترك من رابطة خيله ببربشتر ألفا وخمسمائة ومن الرجالة ألفين (قال) ابن حيان واختم هذه الاخبار الموقظة لقلوب أولى الالباب بنادرة منها يكتفى باعتبارها عما سواها وهى أن بعض تجار اليهود جاء ببربشتر بعد الحادثة ملتمسا فدية بنات بعض الوجوه ممن نجا من أهلها حصلن فى سهم قومس من الرابطة فيها كان يعرفه قال فهديت الى منزله فيها واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا فى نفيس ثيابه والمجلس والسرير كما خلفهما ربهما يوم محنته لم يغير شيأ من رياشهما وزينتهما ووصائفه مضمومات الشعور قائمات على رأسه ساعيات فى خدمته فرحب بى وسألنى عن قصدى فعرفته وجهه واشرت الى وفور ما أبذله فى بعض اللواتى على رأسه وفيهن كانت حاجتى فتبسم وقال بلسانه ما أسرع ماطمعت فيمن عرضناه لك أعرض عمن هنا وتعرض لمن شئت ممن صيرته لحصنى من سبيى واسراى من أقاربك فيمن شئت منهم فقلت له أما الدخول الى الحصن فلا رأى لى فيه وبقربك أنست وفى كنفك اطمأننت فسمنى ببعض من هنا فانى أصير الى رغبتك فقال وما عندك قلت العين الكثير الطيب والبز الرفيع الغريب فقال كأنك تشهينى ماليس عندى يا ماجه ينادى بعض أولئك الوصائف يريد يا بهجة فغيره بعجمته قومى فاعرضى عليه ما فى ذلك الصندوق فقامت اليه وأقبلت ببدر الدنانير واكياس الدراهم واسفاط الحلى فكشف وجعل بين يدى العلج حتى كادت توارى شخصه ثم قال لها أدنى الينا من تلك التخوت فأدنت منه عدة من قطع الوشى والخز والديباج الفاخر مما حار له ناظرى وبهت واسترذلت ما عندى ثم قال لى لقد كثر هذا عندى حتى ما ألذ به ثم حلف بالله انه لولم يكن عنده شئ من هذا ثم بذل له بأجمعه فى ثمن تلك ما سمحت بها يدى فهى ابنة صاحب المنزل وله حسب فى قومه اصطفيتها لمزيد جمالها لولادتى حسبما كان قومها يصنعون بنسائنا نحن أيام دولتهم وقد رد لنا الكرة عليهم فصرنا فيما تراه وأزيدك بأن تلك الخودة الناعمة وأشار الى جارية أخرى قائمة الى ناحية مغنية والدها التى كانت تشدوله على نشواته الى أن أيقظناه من نوماته يافلانة يناديها بلكنته خذى عودك فغنى زائرنا بشجوك قال فأخذت العود وقعدت تسويه وانى لا تأمل دمعها يقطر على خدها فسارق العلج مسحه واندفعت تغنى بشعر ما فهمته انا فضلا عن العلج فصار من الغريب أن حث شربه هو عليه وأظهر الطرب منه فلما يئست مما عنده قمت منطلقا عنه وارتدت لتجارتى سواه واطلعت لكثرة مالدى القوم من السبى والمغنم على ماطال عجبى به فهذا فيه مقنع لمن تدبره وتذكر لمن تذكره (قال ابن حيان) قد أشفينا

كبيرة قد سقط حاجباه على عينيه فقال ازعجتنى وانا شيخ كبير قلت أردت يمنك وبركتك ومشورتك فامر بحاجبيه فرفعا بخرقة حرير وقال ماحاجتك قلت استعملنى الحجاج على الفلوجة وهو ممن لا يؤمن شره فاشر على قال أيما أحب اليك رضا الحجاج أو رضا بيت المال أو رضا نفسك قلت انى أحب رضا كل هؤلاء وأخاف الحجاج فانه جبار عنيد قال فاحفظ عنى أربع خلال افتح بابك ولا يكن لك حاجب فيأتيك الرجل وهو على ثقة من لقائك وهو أجدر أن يخافك عمالك وأطل الجلوس لاهل عملك فانه قلما أطال عامل الجلوس الا هيب مكانه ولا تخاف حكمك بين الناس وليكن حكمك على الشريف والوضيع سواء فلا يطمع فيك أحد من أهل عملك ولا تقبل من أهل عملك هدية فان مهديها لا يرضى من ثوابها الا باضعافها مع ما فى ذلك من المقالة القبيحة ثم اسلخ ما بين اقفيتهم الى عجوب اذنابهم فيرضوا عنك ولا يكون للحجاج عليك سبيل (المنقرى) عن يوسف بن موسى القطان عن جرير عن المغيرة عن الربيع بن خالد قال سمعت الحجاج يخطب على المنبر وهو يقول اخليفة أحدكم فى أهله أكرم عليه أم رسوله فى حاجته فقلت لله على أن لا أصلى

بشرح هذه الحالة الفادحة مصائب جليلة مؤذنة بوشك القاعة طالما حذر أسلافنا الحكماء فيها ما احتملوه عمن قبلهم من اثارة ولا شك عند ذوي الالباب أن ذلك مما دهانا من داء التقاطع وقد أمرنا بالتواصل والالفة فأصبحنا من استشعار ذلك والتمادي عليه على شفا جرف يؤدي الى الهلكة لامحالة انتهى ببعض اختصار *وذكر بعده كلاما في ذم أهل ذلك الزمان من أهل الاندلس وانهم يعللون أنفسهم بالباطل وأن من أدل الدلائل على جهلهم اغترارهم بزمانهم وبعدهم عن طاعة خالقهم ورفضهم وصية نبيهم وغفلتهم عن سد ثغورهم حتى أطل عدوهم الساعي لاطفاء نورهم يجوس خلال ديارهم ويستقري بسائط بقاعهم ويقطع كل يوم طرفا ويبيد أمة ومن لدينا وحوالينا من أهل كلمتنا صموت عن ذكرهم لهاة عن بثهم ما أن يسمع عندنا بمسجد من مساجدنا أو محفل من محافلنا مذكر لهم أوداع فضلا عن نافر اليهم أوماش لهم حتى كأنهم ليسوا منا أو كأن بثقهم ليس بمفض الينا وقد بخلنا عليهم بالدعاء بخلنا بالغناء عجائب فاتت التقدير وعرضت للتغيير ولله عاقبة الامور واليه المصير انتهى ولقد صدق رحمه الله تعالى فان البثق سرى اليهم جميعا كما استراه ولا حول ولا قوة الا بالله (وقال) قبله ان بربشتر هذه تناسخت تهاقرون المسلمين منذ ثلثمائة وثلاث وستين سنة من عهد الفتوح الاسلامية بجزيرة الاندلس فرسخ فيها الايمان وتدورس القرآن الى أن طرق الناعي بها قرطبتنا صدر رمضان من العام فصك الاسماع واطار الافئدة وزلزل أرض الاندلس قاطبة وصير لكل شغلا يشغل الناس في التحدث به والتساؤل عنه والتصور لحلول مثله اياما لم يفارقوا فيها عادتهم من استبعاد الوجل والاغترار بالامل والاستناد الى امراء الفرقة الهمل الذين هم منهم ما بين فشل ووكل يصدونهم عن سواء السبيل ويلبسون عليهم وضوح الدليل ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين هم كالملح فيهم الامراء والفقهاء بصلاحهم يصلحون وبفسادهم يفسدون فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا بما لا كفاية له ولا مخلص منه فالامراء القاسطون قد نكبوا عن نهج الطريق ذيادا عن الجماعة وجريا الى الفرقة والفقهاء أئمتهم صموت عنهم صدوف عما أكده الله تعالى عليهم من التبيين لهم قد أصبحوا ما بين آكل من حلوائهم وخابط في أهوائهم وبين مستشعر مخافتهم آخذ في التقية من صدقهم وأولئك هم الاقلون فيهم فما القول في أرض فسد ملحها الذي هو المصلح لجميع أغذيتها وما هي الا مشفية من بوارها ولقد طما العجب من افعال هؤلاء الامراء لم يكن عندهم لهذه الحادثة الا الفزع لحفر الخنادق وتعلية الاسوار وشد الاركان وتوثيق البنيان كاشفين لعدوهم عن السوأة السوأى من القائهم يومئذ بأيديهم اليه أمورا قبيحات الصور مؤذنات الصدور باعجاز الغير

أمور لو تدبرها حكيم * اذا لنهى وهيب ما استطاعا

انتهى باختصار *ثم قال ابن حيان فلما كان عقب جمادى الاولى سنة ٥٧ شاع الخبر بقرطبة برجوع المسلمين اليها وذلك أن أحمد المقتدر بن هود المفرط فيها والمتهم على أهلها لانحرافهم الى أخيه صمد لها مع امداد الخليفة عباد وسعى لاصمات سوء المقالة عنه وقد كتب الله تعالى عليه منها ما لا يمحوه الا عفوه فتأهب لقصد بربشتر في جموع من المسلمين فخالدوا

خلفك أبدا ولئن رأيت قوما يجاهدونك لاقاتلنك معهم فقاتل في دير الجماجم حتى قتل (المنقري) عن العتبي عن أبيه أن الحجاج وجه الغضبان بن القبعثري الى بلاد كرمان ليأتيه بخبر ابن الاشعث عند خلعه ففصل من عنده فلما صار ببلاد كرمان ضرب خباءه ونزل فاذا هو باعرابي قد أقبل عليه فقال السلام عليك فقال له الغضبان كلمة مقولة قال له الاعرابي من أين جئت قال من ورائي قال وأين تريد قال أمامي قال وعلام جئت قال على فرسي قال وفيم جئت قال في ثيابي قال أتأذن لي أن أدنو اليك قال وراءك أوسع لك قال والله ما أريد طعامك ولا شرابك قال لا تعرض بهما فوالله لا تذوقهما قال أوليس عندك الا ما أرى قال بل هراوة من ارزن أضرب بها رأسك قال ان الرمضاء قد أحرقت قدمي قال بل عليهما يبردان قال فكيف ترى فرسي هذا قال أراه خيرا من شر منه وأرى آخر أفره منه قال قد علمت هذا قال لو علمته ما سألتني عنه فتركه الاعرابي وولى ثم دخل على عبد الرحمن بن الاشعث فقال ما وراءك يا غضبان قال الشر تغد بالحجاج قبل ان يتعشى بك ثم صعد المنبر فخطب بمعايب الحجاج والبراءة منه ودخل ابن الاشعث في أمره فلم يلبث الا قليلا ثم اسر ابن الاشعث الكفار

الكفار بها جلادا اوتاب منه كل جبان وأعز الله سبحانه أهل الحفيظة والشجعان وحمى الوطيس بينهم الى أن نصر الله تعالى أولياءه وخذل أعداءه وولوا الادبار مقتحمين أبواب المدينة فاقتحمها المسلمون عليهم وملكوهم أجمعين الامن فر من مكان الوقعة ولم يدخل المدينة فاجيل السيف فى الكافرين واستؤصلوا أجمعين الامن استرق من أصاغرهم وفدى من أعاظمهم وسبوا جميع من كان فيها من عيالهم وأبنائهم وملكوا المدينة بقدرة الخالق البارئ وأصيب فى محنة النصر المتاح طائفة من حماة المسلمين الجادين فى نصر الدين نحو الخمسين كتب الله تعالى شهادتهم وقتل فئة من أعداء الله الكافرين نحو ألف فارس وخمسة آلاف راجل فغسلها المسلمون من رجس الشرك وجلوها من صدا الافك انتهى وليت طليطلة البائسة استرجعت كهذه ومع هذا فقد غلب العدو بعد على الكل والله سبحانه المرجو فى الادالة (وقال) ابن اليسع أخذ العدو مدينة تطيلة وأختها طرشونة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ولما صار أمر بلنسية الى الفقيه القاضى أبى أحمد بن جحاف قاضيها صيرها الامير المسلمين يوسف بن تاشفين حصرها القادر بن ذى النون الذى مكن اذفونش من طليطلة فهجم عليه القاضى فى لمة من المرابطين وقتله ودفع ابن جحاف لما لم يعهد من تدبير السلطان ورجعت عنه طائفة الملثمين الذين كان يعتد بهم وجعل يستصرخ الى أمير المسلمين فيبطئ عليه وفى أثناء ذلك انهض يوسف بن احمد بن هود صاحب سرقسطة لذريق الطاغية للاستيلاء على بلنسية فدخلها وعاهده القاضى بن جحاف واشترط عليه احضار ذخيرة كانت للقادر بن ذى النون فاقسم انها ليست عنده فاشترط عليه انه ان وجدها عنده قتله فاتفق انه وجدها عنده فاحرقه بالنار وعاث فى بلنسية وفيها يقول ابن خفاجة حينئذ

عاثت بساحتك الظبا يادار * ومحا محاسنك البلى والنار
فاذا تردد فى جنابك ناظر * طال اعتبار فيك واستعبار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها * وتمخضت بخرابها الاقدار
كتبت يد الحدثان فى عرصاتها * لا أنت أنت ولا الديار ديار

وكان استيلاء القنبطور لعنه الله تعالى عليها سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل فى التى قبلها وبه جزم ابن الابار قائلا فتح حصار القنبطور اياها عشرين شهرا وذكر انه دخلها صلحا وقال غيره انه دخلها وحرقها وعاث فيها وممن أحرق فيها الاديب أبو جعفر بن البناء الشاعر المشهور رحمه الله تعالى وعفا عنه فوجه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الامير أبا محمد مزدلى ففتحها الله تعالى على يديه سنة خمس وتسعين وأربعمائة وتوالى عليها أمراء الملثمين ثم صارت ليحيى بن غانية الملثم حين ولى جميع شرق الاندلس فقدم عليها أخاه عبد الله بن غانية ولما ثارت الفتنة فى المائة السادسة أخرجه منها مروان بن عبد العزيز الى أن قام عليه جيش بلنسية سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وبايعوا لابن عياض ملك شرق الاندلس ففر مروان الى المرية ثم رجعت بلنسية الى أبى عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس بعد ابن عياض وقدم عليه أخاه أبا الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش الى أن رجع أبو الحجاج الى جهة بنى عبد المؤمن الى أن ولى عليها السيد أبو زيد عبد الرحمن ابن السيد أبى عبد الله بن أبى حفص ابن أمير المسلمين

فاخذ الغضبان فيمن أسر فلما أدخل على الحجاج قال ياغضبان كيف رأيت بلاد كرمان قال أصلح الله الامير بلاد ماؤها وشل وتمرها دقل ولصها بطل والخيل بها ضعاف وان كثر الجند بها جاعوا وان قلوا ضاعوا قال الست صاحب الكلمة الخبيثة تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك قال أصلح الله الامير ما نفعت من قيلت له ولا ضرت من قيلت فيه قال لأقطعن يديك ورجليك من خلاف ثم لأصلبنك قال لا أرى الامير اصلحه الله يفعل ذلك فأمر به فقيد والقى فى السجن فاقام به حتى بنى الحجاج خضراء واسط فلما استتم بناؤها جلس فى صحنها وقال كيف ترون قبتى هذه قالوا ما بنى لخلق قبلك مثلها قال فان فيها مع ذلك عيبا فهل فيكم مخبرى به قالوا والله ما نرى بها عيبا فأمر باحضار الغضبان فأتى به يرسف فى قيوده فلما دخل عليه قال له الحجاج أراك ياغضبان سمينا قال أيها الامير القيد والرتعة ومن يكن ضيف الامير يسمن قال فكيف ترى قبتى هذه قال أرى قبة ما بنى لاحد مثلها الا ان بها عيبا فان امننى الامير اخبرته به قال قل آمنا قال بنيت فى غير بلدك لغير ولدك لا تتمتع به ولا تنعم فالما لا يتمتع فيه من طيب ولا لذة قال ودوه فانه صاحب الكلمة الخبيثة قال أصلح الله الاميران

عبد المؤمن بن علي فلما ثار العادل بمرسية تمنع واعتز وأظهر طاعة في باطنها معصية ودام على ذلك مع أبي العلاء المأمون وكان قائد الاعنة المشار اليه في الدفاع عن بلنسية الامير زيان ابن أبي الحملات بن أبي الحجاج بن مردنيش فأخرجه من بلنسية وملكها وفر السيد الى النصارى ولم يزل أمر بلنسية يضعف باستيلاء العدو على أعمالها الى أن حصرها ملك برشلونة النصراني فاستغاث زيان بصاحب افريقية أبي زكريا بن أبي حفص وأوفد عليه في هذه الرسالة كاتبه الشهير أبا عبد الله بن الابار القضاعي صاحب كتاب التكملة واعتاب الكتاب وغيرهما فقام بين يدي السلطان منشدا قصيدته السينية الفريدة التي فضحت من باراها وكبا دونها من جاراها وهي

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست * فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها * فطالما ذاقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة أضحى أهلها جزرا * للحادثات وأمسى جدها تعسا
في كل شارقة المام بارقة * يعود مأتمها عند العدا عرسا
وكل غاربة اجمال شائبة * تثني الامان حذارا والسرور أسى
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم * الا عقائلها المحجوبة الانسا
وفي بلنسية منها وقرطبة * ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا
مدائن حلها الاشراك مبتسما * جذلان وارتحل الايمان منبئسا
وصيرتها العوادي الغانيات بها * يستوحش الطرف منها ضعف ما أنسا
فمن دساكر كانت دونها حرسا * ومن كنائس كانت قبلها كنسا
يا للمساجد عادت للعدا بيعا * وللنداء غدا أثناءها جرسا
لهفي عليها الى استرجاع فائتها * مدارسا للمثاني أصبحت درسا
وأربعا نمنمت أيدي الربيع لها * ما شئت من خلع موشية وكسا
كانت حدائق للاحداق مونقة * فصوح النصر من أدواحها وعسا
وحال ما حولها من منظر عجب * يستجلس الركب أو يستركب الجلسا
سرعان ما عاث جيش الكفر واحربا * عيث الربا في مغانيها التي كبسا
وابتز بزتها مما تحيفها * تحيف الأسد الضاري لما افترسا
فأين عيش جنيناه بها خضرا * وأين عصر جليناه بها سلسا
محا محاسنها طاغ أتيح لها * ما نام عن هضمها حينا ولا نعسا
ورج أرجاءها لما أحاط بها * فغادر الشم من أعلامها خنسا
خلا له الجو فامتدت يداه الى * ادراك ما لم تطأ رجلاه مختلسا
وأكثر الزعم بالتثليث منفردا * ولو رأى راية التوحيد ما نبسا
صل حبلها أيها المولى الرحيم فما * أبقى المراس لها حبلا ولا مرسا
وأحي ما طمست منها العداة كما * أحييت من دعوة المهدي ما طمسا

الحديد قد أكل لحمي وبرى عظمي فقال احملوه فلما استقل به الرجال قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال أنزلوه فلما استوى على الارض قال اللهم أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين قال جروه فلما جروه قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم قال أطلقوا عنه (المنقري) عن عبد الله بن محمد بن حفص التميمي عن الحسين بن عيسى الحنفي قال لما هلك بشر بن مروان وولي الحجاج العراق بلغ ذلك أهل العراق فقام الغضبان بن القبعثرى الشيباني بالمسجد الجامع بالكوفة خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الكوفة ان عبد الملك قد ولي عليكم من لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الظلوم الغشوم الحجاج ألا وان لكم من عبد الملك منزلة بما كان منكم من خذلان مصعب وقتاله فاعترضوا هذا الخبيث في الطريق فاقتلوه فان ذلك لا يعد منكم خلعا فانه متى يعلوكم على متن منبركم وصدر سريركم وقاعة قصركم ثم قتلتموه عد خلعا فاطيعوني وتغدوا به قبل أن يتعشى بكم فقال له أهل الكوفة جبنت يا غضبان بل ننتظر سيرته فان رأينا منكرا غيرناه قال ستعلمون فلما قدم الحجاج الكوفة

أيام

أيام صرت لنصر الحق مستبقا * وبت من نور ذاك الهدى مقتبسا
وقمت فيها بأمر الله منتصرا * كالصارم اهتز أو كالعارض انبجسا
تمحو الذي كثف التجسيم من ظلم * والصبح ماحية أنواره الغلسا
وتقتضي الملك الجبار مهجته * يوم الوغى جهرة لا ترقب الخلسا
هذي رسائلها تدعوك من كثب * وأنت أفضل مرجو لمن يئسا
وافتك جارية بالنجح راجية * منك الأمير الرضا والسيد الندسا
خاضت خضارة يعليها ويخفضها * عبابه فتعاني اللين والشرسا
وربما سبحت والريح عاتية * كما طلبت بأقصى شده الفرسا
تؤم يحيى بن عبد الواحد بن أبي * حفص مقبلة من تربه القدسا
ملك تقلدت الاملاك طاعته * دينا ودنيا فغشاها الرضا لبسا
من كل غاد على يمناه مستلما * وكل صاد الى نعماه ملتمسا
مؤيد لو رمى نجما لأثبته * ولو دعا أفقا لبى وما احتبسا
تالله ان الذي ترجى السعود له * ما جال في خلد يوما ولا هجسا
امارة يحمل المقدار رايتها * ودولة عزها يستصحب القعسا
يبدي النهار بها من ضوئه شنبا * ويطلع الليل من ظلمائه لعسا
ماضي العزيمة والايام قد نكلت * طلق المحيا ووجه الدهر قد عبسا
كأنه البدر والعلياء هالته * تحف من حوله شهب القنا حرسا
تدبيره وسع الدنيا وما وسعت * وعرف معروفه واسى الورى وأسا
قامت على العدل والاحسان دولته * وأنشرت من وجود الجود ما رمسا
مبارك هديه باد سكينته * ما قام الا الى حسنى وما جلسا
قد نور الله بالتقوى بصيرته * فما يبالي طروق الخطب ملتبسا
برى العصاة وراش الطائعين فقل * في الليث مفترسا والغيث مرتجسا
ولم يغادر على سهل ولا جبل * حيا لقاحا اذا وافيته بخسا
فرب أصيد لا تلفى به صيدا * ورب أشوس لا تلقى له شوسا
الى الملائك ينمى والملوك معا * في نبعة أثمرت للمجد ما غرسا
من ساطع النور صاغ الله جوهره * وصان صيقله أن يقرب الدنسا
له الثرى والثريا خطتان فلا * أعز من خطتيه ما سما ورسا
حسب الذي باع في الاخطار يركبها * اليه محياه ان البيع ما وكسا
ان السعيد امرؤ ألقى بحضرته * عصاه محتزما بالعدل محترسا
فظل يوطن من أرجائها حرما * وبات يوقد من أضوائها قبسا
بشرى لعبد الى الباب الكريم حدا * آماله ومن العذب المعين حسا
كأنما يمتطي واليمن يصحبه * من البحار طريقا نحوه يبسا
فاستقبل السعد وضاحا أسرته * من صفحة فاض منها النور وانعكسا

بلغته مقالته وأمر به فأقام في حبسه ثلاث سنين حتى ورد على الحجاج كتاب من عبد الملك يأمره أن يبعث اليه بثلاثين جارية عشرا من النجائب وعشرا من قعد النكاح وعشرا من ذوات الاحلام فلما نظر الى الكتاب لم يدر ما وصفه من الجواري فعرضه على أصحابه فلم يعرفوه فقال له بعضهم أصلح الله الامير ينبغي أن يعرف هذا من كان في أوليته بدويا فله معرفة أهل البدو ثم غزا فله معرفة أهل الغزو ثم شرب الشراب فله بذاء أهل الشراب قال وأين هذا قيل في حبسك قال ومن هو قيل الغضبان الشيباني فأحضر فلما مثل بين يديه قال أنت القائل لأهل الكوفة يتغدون بي قبل أن أتعشى بهم قال أصلح الله الامير ما نفعت من قالها ولا ضرت من قيلت فيه قال ان أمير المؤمنين كتب الي كتابا لم أدر ما فيه فهل عندك شيء منه قال يقرأ علي فقرئ عليه فقال هذا بين قال وما هو قال أما النجيبة من النساء فالتي عظمت هامتها وطال عنقها وبعد ما بين منكبيها وثدييها واتسعت راحتها وثخنت ركبتها فهذه اذا جاءت بالولد جاءت به كالليث وأما قعد النكاح فهن ذوات الاعجاز منكسرات الثدي كثيرات اللحم يقرب بعضهن من بعض فأولئك يشفين

وقبل الجود طفاحا غوار به * من راحة غاص فيها البحر وانغمسا
يا أيها الملك المنصور أنت لها * علياء توسع أعداء الهدى تعسا
وقد تواترت الانباء أنك من * يحيى بقتل ملوك الصفر اندلسا
طهر بلادك منهم انهم نجس * ولا طهارة مالم تغسل النجسا
وأوطئ الفيلق الجرار أرضهم * حتى يطأطئ رأسا كل من رأسا
وانصر عبيدا بأقصى شرقها شرقت * عيونهم أدمعا تهمى زكا وخسا
هم شيعة الامر وهى الدار قد نهكت * داء متى لم تباشر حسمها انتكسا
فاملأ هنيئا لك التأييد ساحتها * جرداسلاهب أو خطية دعسا
واضرب لها موعدا بالفتح ترقبه * لعل يوم الاعادى قد أتى وعسى

فبادر السلطان باعانتهم وشحن الاساطيل بالمدد اليهم من المال والاقوات والكسى فوجدوهم فى هوة الحصار الى أن تغلب الطاغية على بلنسية ورجع ابن الابار بأهله الى تونس وكان تغلب العدو على بلنسية صلحا يوم الثلاثاء السابع عشر لصفر من سنة ست وثلاثين وستمائة فهزت هذه القصيدة من الملك عطف ارتياح وحركت من جنانه أخفض جناح واشغفه بها وحسن موقعها منه أمر شعراء حضرته بمعاوبتها غير واحد وحال العدو بين بلنسية وبينه وتعاهد أهلها مع النصرانى على أن يسلمهم فى أنفسهم وذلك سنة سبع وثلاثين وستمائة أعادها الله تعالى للاسلام * وكانت وقعة كتندة على المسلمين قبل هذا التاريخ بمدة وكتندة ويقال قتندة بالقاف من حيز دورقة من عمل سرقسطة من الثغر الاعلى وكانت الهزيمة على المسلمين جبرهم الله تعالى قتل فيها من المطوعة نحو من عشرين ألفا ولم يقتل فيها من العسكر أحد وكان على المسلمين الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين الذى ألف الفتح باسمه قلائد العقيان وكانت سنة أربع عشرة وخمسمائة وممن حضرها الشيخ أبو على الصدفى السابق الذكر وقرينه فى الفضل أبو عبد الله بن الفراء خرجا غازيين فكانا ممن فقد فيها * وقال غير واحد ان العسكر انصرف مفلولا الى بلنسية وان القاضى أبا بكر بن العربى كان ممن حضرها وسئل مخلصه منها عن حاله فقال حال من ترك الخباء والعباء وهذا مثل عند المغاربة معروف يقال لمن ذهبت ثيابه وخيامه يعنى انه ذهب جميع ماله * ودخل العدو لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة مع السيد أبى محمد البياسى فى الفتنة التى كانت بينه وبين العادل فعاثوا فيها أشد العيث ثم ردها المسلمون الى أن أخذت بعد ذلك كما يأتى * ودخل العدو مدينة المرية يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الاولى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة عنوة (وحكى) أبو زكريا الجعيدى عن أبى عبد الله بن سعادة الشاطبى المعمر أن أبا مروان بن ورد أتاه فى النوم شيخ عظيم الهيئة فرمى يديه فى عضديه من خلفه وهزه هزا عنيفا حتى أرعبه وقال له قل

ألا أيها المغرور ويحك لا تنم * فلله فى ذا الخلق أمر قد انبهم
فلا بد أن يرزوا بأمر يسوءهم * فقد أحدثوا جرما على حاكم الامم

قال وكان هذا فى سنة أربعين وخمسمائة فلم يمض الا يسير حتى تغلب الروم على المرية فى سنة

القرم ويروين الظمآن وأما ذوات الأحلام فبنات خمس وثلاثين الى الاربعين فتلك التى تبسه كما يبس الحالب الناقة فتستخرجه من كل شعر وظفر وعرق قال الحجاج أخبرنى بشر النساء قال اصلح الله الامير شرهن الصغيرة النقبة الحديدة الركبة السريعة الوثبة الواسطة فى نساء الحى التى اذا غضبت غضب لها مائة واذا سمعت كلمة قالت لا والله لا أنتهى حتى أقرها قرارها التى فى بطنها جارية ويتبعها جارية وفى حجرها جارية قال الحجاج على هذه لعنة الله ثم قال ويحك فاخبرنى بخير النساء قال خيرهن القريبة القامة من السماء الكثيرة الاخذ من الارض الودود الولود التى فى بطنها غلام وفى حجرها غلام ويتبعها غلام قال ويحك فاخبرنى بشر الرجال قال شرهم السبوط الربوط المحمود فى حرم الحى الذى اذا سقط لاحداهن دلو فى بئر انحط عليه حتى يخرجه فهن يجزينه الخير ويقلن عافى الله فلانا قال على هذا لعنة الله فاخبرنى بخير الرجال قال خيرهم الذى يقول فيه الشماخ التغلبى

فتى ليس بالراضى بادنى معيشة * ولا فى بيوت الحى بالمتولج

اثنتين وأربعين وخمسمائة بعد تلك الرؤيا بعامين أو نحوهما انتهى * وهو مما حكاه ابن الابار الحافظ في كتاب التكملة له * وفي وقعة المرية هذه استشهد الرشاطي الامام المشهور وهو أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف بن أحمد بن عمر اللخمي الرشاطي المربي وكانت له عناية كبيرة بالحديث والرجال والرواة والتواريخ وهو صاحب كتاب اقتباس الانوار والتماس الازهار في نسب الصحابة ورواة الآثار أخذه الناس عنه واحسن فيه وجمع وما قصر وهو على اسلوب كتاب ابي سعد بن السمعاني الحافظ المسمى بالانساب * وولد الرشاطي سنة ٤٦٦ بقرية من اعمال مرسية يقال لها اوريوالة بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الراء وضم المثناة التحتية وبعد الالف لام مفتوحة وبعدها هاء وتوفي شهيدا بالمرية عند تغلب العدو عليها صبيحة الجمعة ٢٥ جمادى الاولى سنة ٥٤٢ والرشاطي بضم الراء وفتح الشين المخففة وذكر هو أن احد اجداده كان في جسمه شامة كبيرة وكانت حاضنته عجمية فاذا لاعبته قالت رشاطة وكثر ذلك منها فقيل له الرشاطي انتهى ملخصا من وفيات الاعيان ونقله بالمعنى * وبعد اخذ النصارى المرية هذه المرة رجعت الى ملك المسلمين واستنقذها الله تعالى على يد الموحدين وبقيت بأيدي اهل الاسلام سنين وكان اول الولاة عليها حين استولى عليها امير المسلمين عبد المؤمن بن علي رجلا يقال له يوسف ابن مخلوف فثار عليه اهل المرية وقتلوه وقدموا على انفسهم الرميمي فأخذها النصارى منه عنوة كما ذكرنا واحصى عدد من سبي من ابكارها فكان اربعة عشر الفا * وقال ابن حبيش آخر الحفاظ بالاندلس كنت في قلعة المرية لما وقع الاستيلاء عليها اعادها الله تعالى للاسلام فتقدمت الى زعيم الروم السليطين وهو ابن بنت الاذفونش وقلت له اني أحفظ نسبك منك الى هرقل فقال لي قل فذكرته له فقال لي اخرج أنت وأهلك ومن معك طلقاء بلا شئ وابن حبيش شيخ ابن دحية وابن حوط الله وأبي الربيع الكلاعي رحمهم الله تعالى ولما أخذت المرية أقبل اليها السيدان أبو حفص وأبو سعيد ابنا أمير المؤمنين عبد المؤمن فحصرا النصارى بها وزحف اليهما أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس محاربا لهما فكانا يقاتلان النصارى والمسلمين داخلا وخارجا ثم رأى ابن مردنيش العار على نفسه في قتالهم مع كونهم يقاتلون النصارى فارتحل فقال النصارى ما رحل ابن مردنيش الا وقد جاءهم مدد فاصطلحوا ودخل الموحدون المدينة وقد خربت وضعفت الى أن أحيا رمقها الرئيس أبو العباس أحمد بن كمال وذلك ان أخته أخذت سبية في دخلة عبد المؤمن لجانة فاختلت بقصره واعتنت بأخيها فولاه بلده فصلح به حالها وكان جوادا حسن المحاولة كثير الرفق واشتهر من ولاتها في مدة بني عبد المؤمن في المائة السابعة الامير أبو عمران بن أبي حفص عم ملك افريقية أبي زكريا * ولما كانت سنة خمس وعشرين وستمائة وثارت الاندلس على مأمون بني عبد المؤمن بسبب قيام ابن هود بمرسية قام في المرية بدعوة ابن هود أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي يحيى بن الرميمي وجده ابو يحيى هو الذي أخذها النصارى من يده ولما قام بدعوة ابن هود وفد عليه بمرسية وولاه وزارته وصرف اليه سياسته وآل امره معه الى ان اغراه بان يحصن قلعة المرية ويجعلها له عدة وهو يبغي ذلك عدة

فقال له حسبك كم حبسنا عطاءك قال ثلاث سنين فأمر له بها وخلى سبيله (المنقري) عن محمد بن السري عن هشام بن محمد ابن السائب عن أبي عبد الله النخعي قال لما فرغ الحجاج من دير الجماجم وفد على عبد الملك ومعه أشراف اهل المصرين أدخلهم عليه فبينما هم عنده اذ تذاكروا البلدان فقال محمد بن عمير ابن عطارد أصلح الله الامير ان الكوفة أرض ارتفعت عن البصرة وحرها وعمقها وسفلت عن الشام ووبائها وجاورها الفرات فعذب ماؤها وطاب ثمرها فقال خالد بن صفوان الاهتمي أصلح الله الامير نحن أوسع منهم برية وأسرع منهم في السرية وأكثر منهم قندا وعاجا وساجا وماسا ماؤنا صفو وخيرنا عفو لا يخرج من عندنا الا قائد وسائق وناعق فقال الحجاج أصلح الله أمير المؤمنين انى بالبلدين خبير وقد وطئتهما جميعا فقال له قل فانت عندنا مصدق فقال أما البصرة فعجوز شمطاء دفراء بخراء أوتيت من كل حلي وزينة وأما الكوفة فشابة حسناء جميلة لا حلي لها ولا زينة فقال عبد الملك فضلت الكوفة على البصرة (المنقري) عن عمر بن الحباب الباهلي عن اسمعيل

لنفسه وترك ابن هود فيها جارية تعلق ابن الرميمي بها واجتمع معها فبلغ ذلك ابن هود فبادر الى المرية وهو مضمر الايقاع بابن الرميمي فتغدى به قبل ان يتعشى به واخرج من قصره ميتا ووجهه فى تابوت الى مرسية فى البحر واستبد ابن الرميمي بملك المرية ثم ثار عليه ولده وآل الامر بعد احوال الى ان تملكها ابن الاحمر صاحب غرناطة وبقيت فى يد اولاده بعده الى ان اخذها العدو الكافر عند ماطوى بساط بلاد الاندلس كما سننبه عليه والله غالب على امره * وما احسن قول ابى اسحق ابراهيم بن الدباغ الاشبيلي فى هزيمة العقاب باشبيلية

وقائلة اراك تطيل فكرا * كانك قد وقفت لدى الحساب
فقلت لها أفكر فى عقاب * غدا سببا لمعركة العقاب
فما فى ارض اندلس مقام * وقد دخل البلا من كل باب

وقول القائد ابى بكر ابن الامير ملك شلب ابى محمد عبد الله ابن وزير ها يخاطب منصور بنى عبد المؤمن وقد التقى هو واصحابه مع جماعة من الفرنج فتناصفوا ثم كان الظفر للمسلمين

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا * فمنا ومنهم طائحون عديد
وجال غرار الهند فينا وفيهم * فمنا ومنهم قائم وحصيد
فلا صدر الا فيه صدر مثقف * وحول الوريد للحسام ورود
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا * كلانا على حد الجلاد جليد
ولكن شددنا شدة فتبلدوا * ومن يتبلد لايزال يحيد
فولوا وللسمر الطوال بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود

وكان المذكور من فرسان الاندلس وكان ابنه الفاضل أبو محمد غير مقصر عنه فروسية وقدرا وأدبا وشعرا وولاه ناصر بنى عبد المؤمن مدينة قصر أبى دانس فى الجهة الغربية وقتله ابن هود باشبيلية وزعم أنه يروم القيام عليه ومن شعره قوله فى ابن صاحب أعمال اشبيلية

لاتيأسن من الخلافة بعدما * ولى ابن عمرو خطة الاشراف
تبا الدهر هذه أفعاله * يضع النوافج فى يدى كناف

(رجع) ودخل العدو كورة ماردة من محمد بن هود سنة ست وعشرين وستمائة وكان مفتتح المصائب على يده أعادها الله تعالى للاسلام وهى قاعدة بلاد الجوف فى مدة العرب والعجم والحضرة المستجدة بعدها هى مدينة بطليوس وبين ماردة وقرطبة خمسة أيام * وملك بطليوس وماردة وما اليها المظفر محمد بن المنصور بن الافطس مشهور وهو من رجال القلائد والذخيرة وهو أديب ملوك عصره بلامدافع ولامنازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكر المظفرى خمسون مجلدا المشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر وجميع علوم الادب وقال يوما والله مايمنعنى من اظهار الشعر الا كونى لا أقول مثل قول أبى العشائر بن حمدان

أقرأت منه ماتخط يد الوغى * والبيض تشكل والاسنة تنقط

وقول أبى فراس ابن عمه

الله عز وجل كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة فطول الامل يقصر الاجل (المنقرى) عن سهل بن تمام بن بزيع عن عباد بن حبيب بن المهلب عن أبيه قال لما قتل المهلب بن عبد ربه بن الصغير بكرمان قال ائتونى برجل له بيان وعقل ومعرفة أوجهه الى الحجاج برؤس من قتلنا فدلوه على بشر بن مالك الجرشى فلما دخل على الحجاج قال مااسمك قال بشر بن مالك الجرشى قال كيف تركت المهلب قال تركته صالحا نال مارجا وأمن ماخاف قال فكيف فاتكم قطرى قال كادنا من حيث كدناه قال أفلا طلبتموه قال كان الحسد أهم علينا من القتل قال أصبتم قال فكيف كان بنو المهلب قال كانوا أعداء البيات حتى يأمنوا وأصحاب السرج حتى يردوا قال أجل فايهم أفضل قال ذلك الى أبيهم أيهم شاء ان يستكفيه أمرا كفاه قال انى ارى لك عقلا فقل قال هم كالحلقة المستوية لايدرى أين طرفاها قال ابن هم من ابيهم قال فضله عليهم

وجدنا العوالى فى مقام * تحدث عنه ربات الجمال
كأن الخيل تعلم من عليها * ففى بعض على بعض تعالى

فأين هذا من قولى

أنفت من المدام لان عقلى * أعز على من أنس المدام
ولم أرتح الى روض وزهر * ولكن للعمائل والحسام
اذا لم أملك الشهوات قهرا * فلم أبغى الشفوف على الانام

وله رحمه الله تعالى

ياحظ زد فتورا * تزد على اقتدارا
فالحظ كالسيف أمضا * ه مارق غرارا

وابنه المتوكل من رجال القلائد والمسهب وكان فى حضرة بطليوس كالمعتمد بن عباد باشبيلية قد أناخت الآمال بحضرتهما وشدت رحال الآداب الى ساحتهما يتردد أهل الفضائل بينهما كتردد النواسم بين جنتين وينظر الادب منهما عن مقلتين والمعتمد أشعر والمتوكل أكتب (رجع) وقال الفاضل الكاتب أبو عبد الله محمد الفازازى وقيل انها وجدت برقعة فى جيبه يوم موته

الروم تضرب فى البلاد وتغنم * والجور يأخذ مابقى والمغرم
والمال يورد كله قشتالة * والجند تسقط والرعية تسلم
وذوو التعين ليس فيهم مسلم * الا معين فى الفساد مسلم
أسفى على تلك البلاد وأهلها * الله يلطف بالجميع ويرحم

وقيل ان هذه الابيات رفعت الى سلطان بلده فلما وقف عليها قال بعد مابكى صدق رحمه الله تعالى ولو كان حيا ضربت عنقه * وهذا الفازازى أخو الشاعر الشهير الكاتب الكبير أبى زيد عبد الرحمن الفازازى صاحب الامداح فى سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعضهم صاحب القلم الاعلى والقدح المعلى أبرع من ألف وصنف وأبدع من قرظ وشنف فقد طاع القلم لبنانه والنظم والنثر لبيانه كان نسيج وحده رواية وأخبارا ووحيد نسجه روية وابتكارا وفريد وقته خبرا وأخبارا وصدر عصره ايرادا واصدارا صاحب فهوم ورافع ألوية علوم أما الادب فلا يسبق فيه مضماره ولا يشق غباره ان شاء انشا أنشاووشى سائل الطبع عذب النبع له فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم بدائع قد خضع البيان لها وسلم أعجز بتلك المعجزات نظما ونثرا وأوجز فى تحبير تلك الآيات البينات فلا سحرا ورفع للقوافى راية استظهار تخير فيها الاظهر فجمع وعشر وشفع وأوتر وأما الاصول فهى من فروعه فى متفرق منظومه ومنثور مجموعه وأما النسب فالى حفظه انتسب وأما الايام والدول ففى تاريخه الاواخر والاول وقد سبك من هذه العلوم فى منثوره وموزونه مايشهد باضافتها الى فنونه وله سماع فى الحديث وروايه وفهم بقوانينه ودرايه سمع من أبى الوليد اليزيد بن عبد الرحمن بن بقى القاضى ومن أبى الحسن جابر بن أحمد القرشى التاريخى وهو آخر من حدث عنه ومن أبى عبد الله

الفضل وكانوا معه والى يقاتل بهم مقاتلة الصعلوك ويسوسهم سياسة الملوك فله منهم بر الاولاد ولهم منه شفقة الوالد قال هل كنت هيأت ماارى قال لا يعلم الغيب الا الله قال فالتفت الحجاج الى عنبسة فقال هذا الكلام المخلوق لا الكلام المصنوع (وأخذ الحجاج) جرير ابن الخطفى فأراد قتله فمشى اليه قومه من مضر فقالوا أصلح الله الامير لسان مضر وشاعرها هبه لنا فوهبه لهم (وكانت هند) بنت اسماء زوج الحجاج ممن طالب به فقالت للحجاج أتأذن لجرير على يوما أستنشده من وراء حجاب فقال لها نعم فأمرت بمجلس لها فهيئ فجلست فيه والحجاج معها ثم بعثت الى جرير فدخل عليها يسمع كلامها ولا يراها فقالت ياابن الخطفى أنشدنى ماشببت به فى النساء فقال لها ماشببت بامرأة قط ولا خلق الله شيأ هو أبغض الى من النساء قالت ياعدو الله وأين قولك
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فارجعى بسلام

تجرى السواك على أغر كأنه * برد تحدر من متون غمام لو كنت صادقة بما حدثتنا * لوصلت ذاك فكان غير لمام

التجيبى كثيرا وهو أول من حدث عنه فى حياة الحافظ أبى الطاهر السلفى اذ قدم عليهم تلمسان وأجازه الحافظ السهيلى وابن خلف الحافظ وغيرهما وولد بعد الخمسين والخمسمائة وتوفى بمراكش سنة ٦٣٧ رحمه الله تعالى انتهى ملخصا (رجع) ولما ثارت الاندلس على طائفة عبد المؤمن كان الوالى بجزيرة ميورقة أبو يحيى بن أبى عمران التينملى فأخذها الفرنج منه كذا قال ابن سعيد وقال ابن الابار انها أخذت يوم الاثنين الرابع عشر من صفر سنة سبع وعشرين وستمائة انتهى وقال المخزومى فى تاريخ ميورقة ان سبب أخذها من المسلمين ان أميرها فى ذلك الوقت محمد بن على بن موسى كان فى الدولة الماضية أحد أعيانها ووليها سنة ست وستمائة واحتاج الى الخشب المجلوب من يابسة فأنفذ طريدة بحرية وقطعة حربية فعلم بها والى طرطوشة فجهز اليها من أخذها فعظم ذلك على الوالى وحدث نفسه بالغزو لبلاد الروم وكان ذلك رأيا مشؤما ووقع بينه وبين الروم وفى آخر ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة بلغه ان مسطحا من برشلونة ظهر على يابسة ومركبا آخر من طرطوشة انضم اليه فبعث ولده فى عدة قطع اليه حتى نزل فى مرسى يابسة ووجد فيه لاهل جنوة مركبا كبيرا فأخذه وسار حتى أشرف على المسطح فقاتله وأخذه وظن أنه غالب الملوك وغاب عنه انه أشأم من عاقر الناقة وأن الروم لما بلغهم الخبر قالوا لملكهم وهو من ذرية اذفونش كيف يرضى الملك بهذا الامر ونحن نقاتل بنفوسنا وأموالنا فأخذ عليهم العهد بذلك وجمع عشرين ألفا من اهل البلاد وجهز فى البحر ستة عشر ألفا وشرط عليها حمل السلاح * وفى سنة ست وعشرين وستمائة اشتهر أمر هذه الغزوة فاستعد لها الوالى وميز نيفا على ألف فارس ومن فرسان الحضر والرعية مثلهم ومن الرجالة ثمانية عشر ألفا وذلك فى شهر ربيع الاول من السنة ومن سوء الاتفاق أن الوالى أمر صاحب شرطته أن يأتيه باربعة من كبراء المصر فساقهم وضرب أعناقهم وكان فيهم ابنا خاله وخالهما أبو حفص بن سيرى ذو المكانة الوجيهة فاجتمعت الرعية الى ابن سيرى فأخبروه بما نزل وعزوه فيمن قتل وقالوا هذا أمر لا يطاق ونحن كل يوم الى الموت نساق وعاهدوه على طلب الثار وأصبح الوالى يوم الجمعة منتصف شوال والناس من خوفه فى أهوال ومن أمر العدو فى اهمال فأمر صاحب شرطته باحضار خمسين من أهل الوجاهة والنعمة فأحضرهم واذا بفارس على هيئة النذير دخل الى الوالى وأخبره بان الروم قد أقبلت وانه عد فوق الاربعين من القلوع وما فرغ من اعلامه حتى ورد آخر من جانب آخر وقال ان اسطول العدو قد تظاهر وقال انه عد سبعين شراعا فصح الامر عنده فسمح لهم بالصفح والعفو وعرفهم بخبر العدو وأمرهم بالتجهز فخرجوا الى دورهم كانما نشروا من قبورهم ثم ورد الخبر بان العدو قرب من البلد فانهم عدوا مائة وخمسين قلعا ولما عبر وقصد المرسى أخرج الوالى جماعة تمنعهم النزول فباتوا على المرسى فى الرجل والخيل وفى الثامن عشر من شوال وهو يوم الاثنين وقع المصاف وانهزم المسلمون وارتحل النصارى الى المدينة ونزلوا منها على الحربية الحزنية من جهة باب الكحل ولم يزل الامر فى شدة وقد أشرفوا على أخذ البلد ولما رأى ابن سيرى أن العدو قد استولى على البلد خرج الى البادية ولما كان يوم الجمعة الحادى عشر من صفر

سرت الهموم فبتن غير نيام * وأخو الهموم يروم كل مرام
قال ماقلت هذا ولكنى أنا الذى أقول
لقد جرد الحجاج للحق سيفه
ألا فاستقيموا لا يميلن مائل
ومايستوى داعى الضلالة والهدى
ولا حجة الخصمين حق وباطل
فقالت دع عنك هذا فأين قولك
خليلى لا تستغزرا الدمع فى هند
أعيذكما بالله أن تجدا وجدى
ظمئت الى شرب الشراب وحسنه
كذى فرية يرجو هداها ومايجدى
قال ماقلت هذا ولكنى أنا الذى أقول
ومن يأمن الحجاج أما عقابه
فمر وأما عقده فوثيق
يسر لك البغضاء كل منافق
كما كل ذى بر عليك شفيق
فقالت دع عنك هذا فأين قولك
ياعاذلى دعا الملامة واقصرا
طال الهوى وأطلتما التفنيدا
انى وجدت ولو أردت زيادة
فى الحب عندى ماوجدت مزيدا
فقال باطل أصلحك الله ولكنى أنا الذى أقول
من سد مطالع النفاق عليهم * أم من يصول كصولة الحجاج

قالوا

قاتلوا البلد قتالا شديدا ولما كان يوم الاحد أخذ البلد وأخذ منه أربعة وعشرون ألفا قتلوا على دم واحد وأخذ الوالى وعذب وعاش بعد ذلك خمسة وأربعين يوما ومات تحت العذاب وأما ابن سيرى فانه صعد الى الجبل وهو منيع لا ينال من تحصن فيه وجمع عنده ستة عشر ألف مقاتل ومازال يقاتل الى أن قتل يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وجده من آل جبلة بن الايهم الغسانى وأما الحصون فاخذت فى آخر رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة وفى شهر شعبان لحق من نجا من المسلمين الى بلاد الاسلام انتهى ماذكره ابن عميرة المخزومى ملخصا * وكان بميورقة جماعة أعلام وشعراء ومن شعر ابن عبد الولى الميورقى

هل أمان من لحظك الفتان * وقوام يميل كالخيزران
مهجتى منك فى جحيم ولكن * جفونى قد متعت فى جنان
فتنتنى لواحظ ساحرات * لست أخشى من فتنة الشيطان

ولما استولى النصارى على ميورقة فى التاريخ المتقدم ثار بجزيرة منورقة وهى قريبة منها الجواد العادل العالم أبو عثمان سعيد بن حكم القرشى وكان واليها من قبل الوالى أبى يحيى المقتول وتصالح مع النصارى على ضريبة معلومة واشترط أن لا يدخل جزيرته أحد من النصارى وضبطها أحسن ضبط قال أبو الحسن على بن سعيد أخبرنى أحد من اجتمع به أنه اتى منه براجب اليه الاقامة فى تلك الجزيرة المنقطعة وذكر أنه ركب معه فنظر الى حمالة سيف ضيقة قد أثرت فى عنقه فأمر له باحسان وغنباز وكتب معه

حمالة السيف توهى جيد حاملها * لاسيما يوم اسراع وانجاز
وخير ما استعمل الانسان يومئذ * لحسم علتها الباس غنباز

والغنباز عند أهل المغرب صنف من الملبوس غليظ يستر العنق * وأصل أبى عثمان من مدينة طابيرة من غرب الاندلس وقد ألفت باسمه التآليف المشهورة بالمغرب ككتاب روح الشعر وروح السحر وغيره * وأخذ العدو ميورقة بعد مدة * وأخذ العدو جزيرة شقر صلحا سنة تسع وثلاثين وستمائة فى آخرها * وأخذ العدو دمره الله تعالى مدينة سرقسطة يوم الاربعاء لاربع خلون من رمضان سنة اثنتى عشرة وخمسمائة * وكان استيلاء الافرنج على شرق الاندلس شاطبة وغيرها واجلاؤهم من يشاركهم من المسلمين فيما تغلبوا عليه منها فى شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة * وكان استيلاء العدو دمره الله تعالى على مدينة قرطبة يوم الاحد الثالث والعشرين من شوال سنة ست وثلاثين وستمائة * وكان تملك العدو مرسية صلحا ظهر يوم الخميس العاشر من شوال قدم أحمد بن محمد بن هود ولد والى مرسية بجماعة من وجوه النصارى فملكهم اياها صلحا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وحصر العدو اشبيلية سنة خمس وأربعين وستمائة * وفى يوم الاثنين الخامس من شعبان للسنة بعدها ملكها الطاغية صاحب قشتالة صلحا بعد منازلتها حولا كاملا وخمسة أشهر أو نحوها * وقال ابن الابار فى ترجمة أبى على الشلوبين من التكملة ما صورته وتوفى بين يدى منازلة الروم اشبيلية ليلة الخميس منتصف صفر سنة خمس وأربعين وستمائة وفى العام القابل ملكها الروم

أم من يغار على النساء حفيظة
اذ لا يثقن بغيرة الازواج
هذا ابن يوسف فافهموا وتفهموا
برح الخفاء وليس حيث يفاجى
فلرب نا كث بيعتين تركته
وخضاب لحيته دم الاوداج
فقال الحجاج يا عدو الله تحرض على النساء فقال لا والذى أكرمك أيها الامير ما فطنت لهذا البيت قبل ساعتى هذه وما علمت بمكانك فاقلنى جعلنى الله فداك قال قد فعلت فأمر له هند بجارية وكسوة وأوفده الحجاج على عبد الملك ولما انهزم ابن الاشعث بدير الجماجم حلف الحجاج أن لا يؤتى باسير الاضرب عنقه فاتى باسرى كثيرة وكان أول من أتى به اعشى همدان الشاعر وهو أول من خلع عبد الملك والحجاج بين يدى ابن الاشعث بسجستان فقال له الحجاج ايه أنت القائل
من مبلغ الحجاج أنى قد جنيت عليه حربا
ووضعت فى كف امرئ جلدا اذا ما لا مرعى

انتهى * وكانت وقعة أنيجة التي قتل فيها الحافظ أبو الربيع الكلاعي رحمه الله تعالى يوم الخميس لعشر بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة ولم يزل رحمه الله تعالى متقدما أمام الصفوف زحفا إلى الكفار مقبلا على العدو ينادي بالمنهزمين أعن الجنة تفرون حتى قتل صابرا محتسبا برد الله تعالى مضجعه وكان دائما يقول ان منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره فكان كذلك ورثاه تلميذه الحافظ أبو عبد الله بن الابار بقصيدته الميمية الشهيرة التي أولها

ألما بأشلاء العلا والمكارم * تقد بأطراف القنا والصوارم
وعوجا عليها مأربا ومفازة * مصارع خصت بالطلى والجماجم
نحيي وجوها في الجنان وجيهة * مجاسد من نسج الظبا واللهازم

وهي طويلة ومن شعر الحافظ أبي الربيع المذكور

توالت ليال للغواية جون * ووافى صباح للرشاد مبين
ركاب شباب أزمعت عنك رحلة * وجيش مشيب جهزته منون
ولا أكذب الرحمن فيما أجنه * وكيف ولا يخفى عليه جنين
ومن لم يخل أن الرياء يشينه * فمن مذهبي أن الرياء يشين
لقد ريع قلبي للشباب وفقده * كما ريع بالعلق الفقيد ضنين
وآلمني وخط المشيب بلمتي * فخطت بقلبي للشجون فنون
وليل شبابي كان أنضر منظرا * وآنق مهما لاحظته عيون
فآها على عيش تكدر صفوه * وأنس خلا منه صفا وحجون
ويا ويح فودي أو فؤادي كلما * تزيد شيبي كيف بعد يكون
حرام على قلبي سكون بغرة * وكيف مع الشيب الممض سكون
وقالوا شباب المرء شعبة جنة * فمالي عراني للمشيب جنون
وقالوا شجاك الشيب حدثان ما أتى * ولم يعلموا أن الحديث شجون

وقال أيضا

أمولى الموالي ليس غيرك لي مولى * وما أحد يا رب منك بذا أولى
تبارك وجه وجهت نحوه المنى * فأوزعها شكرا وأوسعها طولا
وما هو إلا وجهك الدائم الذي * أقل حلى علياه يخرس القولا
تبرأت من حولي إليك وقوتي * فكن قوتي في مطلبي وكن الحولا
وهب لي الرضا مالي سوى ذاك مبتغى * ولو لقيت نفسي على نيله الهولا

وكان رحمه الله تعالى حافظا للحديث مبرزا في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لأحكام أسانيده ذاكرا لرجاله ريان من الادب خطب ببلنسية واستقضي وكان مع ذلك من أولي الحزم والبسالة والاقدام والجزالة حضر الغزوات وباشر القتال بنفسه وأبلى بلاء حسنا وروى عن أبي القاسم بن حبيش وطبقته وصنف كتبا منها مصباح الظلم في الحديث والاربعون عن أربعين شيخا لاربعين من الصحابة والاربعون السباعية والسباعيات من حديث

الصدفي

وانهض هديت لعله
يجلى بك الرحمن كربا
نبئت أن بني يو
سف خر من زلق فتبا
وهي أبيات وأنت القائل
شطت نوى من داره الايوان
ايوان كسرى من ذوي
الريحان
من عاشق أمسى برالكسان
ان ثقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضي وكذاب
ثان
أمكن ربي من ثقيف
همدان
يوما من الليل يسلي ما كان
وأنت القائل
وسألتها في المجد أين محله
فالمجد بين محمد وسعيد
بين الأشج وبين قيس
باذخ
بخ لوالده وللمولود
قال لا ولكني الذي أقول
أبى الله الا أن يتمم نوره
ويطفئ نور الفاسقين
فيخمدا
وينزل ذلا بالعراق وأهله
بما نقضوا العهد الوثيق
المؤكدا
وما أحدثوا من بدعة
وضلالة
من القول لم يصعد الى ذروة
العدا
قال إسنا نحمدك على
هذا القول انما قلته
تأسفا على أن لا تكون ظفرت وظهرت وتحريضا لاصحابك وليس عن هذا سألتك أخبرني عن قولك

الصدفى وحلية الامالى فى الموافقات والعوالى وتحفة الوارد ونجعة الوراد والمسلسلات والانشادات وكتاب الاكتفاء فى مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازى الثلاثة الخلفاء وميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين فى غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله والمعجم فيمن وافقت كنيته زوجه من الصحابة والاعلام باخبار البخارى الامام والمعجم فى مشيخة أبى القاسم بن حبيش وبرنامج رواياته وجنى الرطب فى سنى الخطب ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال وجهد النصيح فى معارضة المعرى فى خطبة الفصيح والامتثال لمثال المبهج فى ابتداع الحكم واختراع الامثال ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعرى فى ملقى السبيل ومجازفة اللحن للاحن الممتحن مائة مسئلة ملغزة ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم فى مثال النعل النبوية على لابسها الصلاة والسلام قال ابن رشيد لو قال وزكاة النثير والنظيم لكان احسن وله كتاب الصحف المنشره فى القطع المعشره وديوان رسائله سفر وديوان شعره سفر وكتب الى الاديب الشهير أبى بحر صفوان بن ادريس المرسى عقب انفصاله من بلنسية سنة ٥٨٧

أحن الى نجد ومن حل فى نجد * وماذا الذى يغنى حنينى أو يجدى
وقد أوطنوها وادعين وخلفوا * محبهم رهن الصبابة والوجد
تبين بالبين اشتياقى اليهم * ووجدى فساوى ما أجن الذى أبدى
وضاقت على الارض حتى كأنها * وشاح بخصر أو سوار على زند
الى الله أشكو ما ألاقى من الجوى * وبعض الذى لاقيته من جوى يردى
فراق أخلاء وصد أحبة * كأن صروف الدهر كانت على وعد
فيا سرحتى نجد نداء متيم * له ابدا شوق الى سرحتى نجد
ظمئت فهل طل يبرد لوعتى * ضحيت فهل ظل يسكن من وجدى
ويا زمنا قد بان غير مذمم * لعل لانس قد تصرم من رد
ليالى نجنى الانس من شجر المنى * ونقطف زهر الوصل من شجر الصد
وسقيا لاخوان بأكناف حاجر * كرام السجايا لايحولون عن عهد
وكم لى بنجد من سرى ممجد * ولاكابن ادريس أخى البشر والمجد
أخو همة كالزهر فى بعد نيلها * وذو خلق كالزهر غب الحيا العد
تجمعت الاضداد فيه حميدة * فمن خلق سبط ومن حسب جعد
أبا راحلا أودى بصبرى رحيله * وفال من عزمى وثلم من حدى
أتعلم ما يلقى الفؤاد لبعدكم * ألم أذنا أيتم ما يعيد ولا يبدى
فياليت شعرى هل تعود لنا المنى * وعيشا كما غنمت حاشيتى برد
عسى الله أن يدنى السرور بقربكم * فيبدو ومنا الشمل منتظم العقد

انتهى * وقال الحافظ القاضى أبو بكر بن العربى فى أحكام القرآن عند تفسير قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا ما صورته ولقد نزل بنا العدو قصمه الله تعالى سنة سبع وعشرين

أمكن ثقيفا من همدان ولم يمكن همدان من ثقيف وعن قولك بين الاشج وبين قيس باذخ

بخ لوالده وللمولود

والله لاتبخبخ لاحد بعدها وأمر به فضربت عنقه ولم يزل يؤتى برجل رجل حتى أتى برجل من بنى عامر وكان من فرسان الحجاج مع ابن الاشعث فقال له والله لاقتلنك شر قتلة قال والله ما ذلك لك قال ولم قال لان الله يقول فى كتابه العزيز فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها وأنت قد قتلت فأثخنت وأسرت فأثخنت فاما أن تمن علينا أو تفدينا عشائرنا فقال له الحجاج أكفرت قال نعم وغيرت وبدلت قال خلوا سبيله ثم أتى برجل من ثقيف فقال له الحجاج أكفرت قال نعم قال الحجاج لكن هذا الذى خلفك لم يكفر وخلفه رجل من السكون قال السكونى أعن نفسى تخادعنى بل والله لو كان شئ أشد من الكفر لبؤت به فخلى سبيلهما فهذه جمل من أخبار عبد الملك والحجاج وقد أتينا على مبسوط هذه الاخبار مما لم نورده فى هذا الكتاب فى كتابينا أخبار الزمان

وخمسمائة فجاس ديارنا وأسر جيرتنا وتوسط بلادنا فى عدد حدد الناس عدده فكان كثيرا وان لم يبلغ ما حددوه فقلت للوالى والمولى عليه هذا عدو الله قد حصل فى الشرك والشبكه فلتكن عندكم بركه ولتكن منكم الى نصرة الدين المتعينة عليكم حركه فليخرج اليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد فى جميع الاقطار فيحاط بهم فانه هالك لا محالة وان يسركم الله له فغلبت الذنوب ورجفت بالمعاصى القلوب وصار كل أحد من الناس ثعلبا ياوى الى وجاره وان رأى المكيدة بجاره فانا لله وانا اليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى *ولا خفاء أن هذا كان قبل أخذ العدو الجزيرة وشرق الاندلس وسرقسطة وميورقة وغيرها مما قدمنا ذكره والبدايات عنوان النهايات * وقال أبو جعفر الوقشى البلنسى نزيل مالقة يمدح أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على

أبت غير ماء بالنخيل ورودا * وهامت به عذب الجمام برودا
وقالت لحاديها أتم زيارة * على العشر فى وردى له فازيدا
غلبتك ما هذا القنوع وما أنا * عهدتك لا تثنين عنه وريدا
أنونا اذا ما كنت منه قريبة * وضبا اذا ما كان عنك بعيدا
ردى حضرة الملك الظليل رواقه * لعمرى ففيها تحمدين ورودا
بحيث امام الدين يوسع فضله * جميع البرايا مبدئا ومعيدا
أعاد اليها الانس بعد شروده * وأحيا لنا ما كان منه أبيدا
ولين أيام الزمان بعدله * وكانت حديدا فى الخطوب حديدا
فلا ليلة الا يروقك حسنها * ولا يوم الا عاد يفضل عيدا

ومنها يصف حال الاندلس ويبعث على الجهاد

ألا ليت شعرى هل يمد لى المدى * فأبصر شمل المشركين طريدا
وهل بعد يقضى فى النصارى بنصرة * تغادرهم للمرهفات حصيدا
ويغزو أبو يعقوب فى شنت ياقب * يعيد عميد الكافرين عميدا
ويلقى على افرنجهم عبء كلكل * فيتركهم فوق الصعيد همودا
يغادرهم جرحى وقتلى مبرحا * ركوعا على وجه الفلا وسجودا
ويفتك من أيدى الطغاة نواعما * تبدلن من نظم الحجول قيودا
وأقبلن فى خشن المسوح وطالما * سحبن من الوشى الرقيق برودا
وغبر منهن التراب ترائبا * وخدد منهن الهجير خدودا
فحق لدمعى أن يفيض لأزرق * تملكها دعج المدامع سودا
ويالهف نفسى من معاصم طفلة * تجاور بالقيد الاليم نهودا
ويا أسفى ما ان يزال مرددا * على شمل أعياد أعيد بديدا
وآها بمد الصوت منتحبا على * خلو ديار لو يكون مفيدا

وقال فى آخرها وهو مما استحسنه الناس

حملت اليكم من نظامى قلادة * يلقبها أهل الكلام قصيدا

والاوسط التالى له الذى كتابنا هذا تاليه وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار الحجاج لمعا على حسب ما قدمنا من الشرط فيما سلف من هذا الكتاب وبالله العون والقوة

(ذكر أيام الوليد بن عبد الملك)

بويع الوليد بن عبد الملك بدمشق فى اليوم الذى توفى فيه عبد الملك وتوفى الوليد بدمشق للنصف من جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين فكانت ولايته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين وهلك وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وكان يكنى بأبى العباس

(ذكر لمع من أخباره وسيره وما كان من الحجاج فى أيامه)

كان الوليد جبارا عنيدا ظلوما غشوما وخلف من الولد أربعة عشر ذكرا منهم يزيد وعمرو وبسر والعالم والعباس وكان يدعى فارس بنى مروان لشهامته فعدل الوليد بالامر عن ولده بعده اتباعا لوصية عبد الملك على حسب ما رتبها وكان نقش خاتمه ياوليد انك ميت فكان كلما هم أن يجعل الامر فى ولده قلب الفص فقرأ انك ميت فيقول لاها الله لا خالفت فيما أمر به انى لميت وفى سنة تسع وثمانين ابتدأ الوليد ببناء المسجد الجامع بدمشق ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأنفق عليهما

خـدت يوم انشاد القريض وحيدة * كما قصدت في المعلوات وحيدا

ولما تمهدت الاندلس لعبد المؤمن و بنيه كان لهم فيها وقائع مع عدو الدين واجتاز اليها عبد المؤمن ثم لما ولي بعده ملكه ابنه يوسف دخل الاندلس سنة ٥٦٦ وفي صحبته مائة ألف فارس من المغرب والموحدين فنزل باشبيلية فخافه الامير أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش صاحب شرق الاندلس مرسية وأعمالها وما انضاف اليها فحمل على قلبه فرض فمات وشرع السلطان يوسف في استرجاع بلاد المسلمين من أيدي الفرنج فاتسعت مملكته بالاندلس وأغارت سراياه على طليطلة اذ هي قاعدة ملكهم ثم انه حاصرها فاجتمعت طائفة الفرنج عليه واشتد الغلاء في عسكره فرحل عنها وعاد الى حضرة ملكه مراكش المحروسة * ولم يزل أهل الاندلس بعد ظهور النصارى دمرهم الله تعالى على كثير منها يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لاخذ الثار بالنظم والنثار فلم ينفعهم ذلك حتى اتسع الخرق واعضل الداء أهل الغرب والشرق فمن القصائد الموجهة في ذلك قول بعضهم لما أخذت بلنسية يخاطب صاحب افريقية أبازكريا عبد الواحد بن أبي حفص

نادتك أندلس فلب نداءها * واجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العلية فاحبها * من عاطفاتك ما يقي حوباءها
واشدد بجلبك جرد خيلك أزرها * تردد على أعقابها أرزاءها
هي دارك القصوى أوت لايالة * ضمنت لها مع نصرها ايواءها
وبها عبيدك لا بقاء لهم سوى * سبل الضراعة يسلكون سواءها
خلعت قلوبهم هناك عزاءها * لما رأت أبصارهم ماساءها
دفعوا الابكار الخطوب وعونها * فهم الغداة يصابرون عناءها
وتنكرت لهم الليالي فاقتضت * سراءها وقضتهم ضراءها
تلك الجزيرة لا بقاء لها اذا * لم يضمن الفتح القريب بقاءها
رش أيها المولى الرحيم جناحها * واعقد باوشية النجاة رشاءها
أشفى على طرف الحياة ذماؤها * فاستبق للدين الحنيف ذماءها
حاشاك أن تفنى حشاشتها وقد * قصرت عليك نداءها ورجاءها
طافت بطائفة الهدى آمالها * ترجو بيحيى المرتضى احياءها
واستشرفت أمصارها لامارة * عقدت لنصر المستضام لواءها
ياحسرتي لعقائل معقولة * سئم الهدى نحو الضلال هداءها
ايه بلنسية وفي ذكراك ما * يمري الشؤن دماءها لاماءها
كيف السبيل الى احتلال معاهد * شب الاعاجم دونها هيجاءها
والى ربا وأباطح لم تعر من * حلل الربيع مصيفها وشتاءها
طاب المعرس والمقيل خلالها * وتطلعت غرر المنى أثناءها
بأبي مدارس كالطلول دوارس * نسخت نواقيس الصليب نداءها
ومصانع كسف الضلال صباحها * فيخاله الرائي اليه مساءها

الاموال الجليلة وكان المتولي للنفقة على ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى

وحكى عثمان بن مرة الخولاني قال لما ابتدأ الوليد بناء مسجد دمشق وجد في حائط المسجد لوح من حجارة فيه كتابة باليونانية فعرض على جماعة من أهل الكتاب فلم يقدروا على قراءته فوجه به الى وهب بن منبه فقال هذا مكتوب في أيام سليمان بن داود عليهما السلام فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم لو عاينت ما بقي من يسير أجلك لزهدت فيما بقي من طول أملك وقصرت عن رغبتك وحيلك وانما تلقى ندمك اذا زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ثم صرت تدعى فلا تجيب فلا أنت الى أهلك عائد ولا في عملك زائد فاغتنم الحياة قبل الموت والقوة قبل الفوت وقبل أن يؤخذ منك بالكظم ويحال بينك وبين العمل وكتب زمن سليمان بن داود فأمر الوليد أن يكتب بالذهب على اللازورد في حائط المسجد ربنا الله لا نعبد الا الله أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله الوليد أمير المؤمنين في ذي الحجة سنة سبع وثمانين وهذا الكلام مكتوب بالذهب في مسجد دمشق الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ووفد الحجاج

ناحت بها الورقاء تسمع شدوها * وغدت ترجع نوحها وبكاءها
عجبا لاهل النار حلوا جنة * منها تمد عليهم أفياءها
أملت لهم فتعجلوا ما أملوا * أيامهم لا سوغوا املاءها
بعدا لنفس أبصرت اسلامها * فتوكفت عن حزبها استلاءها
أما العلوج فقد أحالوا حالها * فمن المطيق علاجها وشفاءها
أهدى اليها بالمكاره جارح * للكفر كره ماءها وهواءها
وكفى أسى أن الفواجع جمة * فمتى يقاوم أسوها أسواءها
هيهات فى نظر الامارة كفما * تخشاه ليت الشكر كان كفاءها
مولاى هاك معادة أنباءها * لتنيل منك معادة أبناءها
جرد ظباك لمحو آثار العدا * تقتل ضراغمها وتسب ظباءها
واستدع طائفة الامام لغزوها * تسبق الى أمثالها استدعاءها
لا غرو أن يعزى الظهور لملة * لم يبرحوا دون الورى ظهراءها
ان الاعاجم للاعارب نهبة * مهما أمرت بغزوها أحياءها
تالله لو دببت لها أدبابها * لطوت عليها أرضها وسماءها
ولو استقلت عوفها لقتالها * لاستقبلت بالمقربات عفاءها
أرسل جوارحها تجئك بصيدها * صيدا ونادلعمنها أرجاءها
هبوا لها يا معشر التوحيد قد * آن الهبوب وأحرزوا عليائها
ان الحفائظ من خلالكم التى * لا يرهب الداعى بهن خلاءها
هى نكتة المحيا فحيهلا بها * تجدوا سناها فى غد وسناءها
أولوا الجزيرة نصرة ان العدا * تبغى على أقطارها استيلاءها
نقصت بأهل الشرك من أطرافها * فاستحفظوا بالمؤمنين نماءها
حاشا لكم أن تضمروا الغاءها * فى أزمة أو تضمروا اقصاءها
خوضوا اليها بحرها يصبح لكم * رهوا وجوبوا نحوها بيداءها
وافى الصريخ مثوبا يدعو لها * فلتعملوا اقصدا الثواب ثواءها
دار الجهاد فلا تفتكم ساحة * ساوت بها أحياؤها شهداءها
هذى رسائلها تناجى بالتى * وقفت عليها ريثها ونجاءها
ولربما أنهت سوالب للنهى * من كائنات حملت انهاءها
وفدت على الدار العزيزة تجتنى * آلاءها أو تجتلى آراءها
مستسقيات من غيوث غياثها * ما وقعه يتقدم استسقاءها
قد أمنت فى سبلها اهواءها * اذ سوغت فى ظلها أهواءها
وبحسبها أن الامير المرتضى * مترقب بفتوحها آناءها
فى الله ما ينويه من ادراكها * بكلاءة يفدى أبى اكلاءها
بشرى لاندلس تحب لقاءه * ويحب فى ذات الاله لقاءها

ابن يوسف على الوليد فوجده فى بعض نزهه فاستقبله فلما رآه ترجل له وقبل يده وجعل يمشى وعليه درع وكنانة وقوس عربية فقال له الوليد اركب يا أبا محمد فقال دعنى يا أمير المؤمنين استكثر من الجهاد فان ابن الزبير وابن الاشعث شغلانى عنك فعزم عليه الوليد حتى ركب ودخل الوليد داره وتفضل فى غلالة ثم أذن للحجاج فدخل عليه فى حاله تلك وأطال الجلوس عنده فبينما هو يحادثه اذ جاءت جارية فسارت الوليد ومضت ثم عادت فسارته ثم انصرفت فقال الوليد للحجاج أتدرى ما قالت هذه يا أبا محمد قال لا والله قال بعثتها الى ابنة عمى أم البنين بنت عبد العزيز تقول ما مجالستك لهذا الاعرابى المتسلح فى السلاح وأنت فى غلالة فارسلت اليها انه الحجاج فراعها ذلك وقالت والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق فقال الحجاج يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعهن على سرك ولا مكايدة عدوك ولا تطعهن فى غير أنفسهن ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن واياك ومشاورتهن فى الامور فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك ولا تملك الواحدة منهن من صدق

صـدق الرواة المخـبرون بأنه * يشـفى ضـناها أو يعيد رواءها
ان دوّخ العرب الصعاب مقادة * وأبى عليها أن تطيـع اباءها
فـكأن بفيلقه العرمرم فالقا * هام الاعاجم ناسـفا أرجاءها
أنذرهم بالبطشة الـكبرى فقد * نذرت صوارمه الرقاق دماءها
لايعـدم الزمن انتصار مؤيد * تتسـوّغ الدنيا به سراءها
ملك أمدّ النـيرين بنوره * وأفاده لألاؤه لألاءها
خضعت جبابرة الملوك لعزه * ونضت بكف صغارها خيلاءها
أبـقى أبوحفص امارته له * فسما اليها حامـلا أعباءها
سل دعوة المهدى عن آثاره * تنبيـك أن ظباه قمن ازاءها
فغزا عـداها واسترق رقابها * وحمى حماها واسترد بهاءها
قبضت يداه على البسيطة قبضة * قادت له فى قـده امراءها
فعلى المشارق والمغارب ميسم * لهـداه شرف وسمه أسماءها
تطـمو بتونسها بحار جيوشـه * فيزور زاخر موجها زوراءها
وسع الزمان فضاق عنه جلالة * والارض طرا ضنـكها وفضاءها
ماأزمـع الايغال فى اكنافها * الاتصـيد عزمـه زعماءها
دانت له الدنيا وشم ملوكها * فاحتل من رتب العلاء شماءها
ردت سعادته عـلى أدراجها * ليـل الزمان ونهنهت علـداءها
ان يعتم الدول الغزيرة بأسه * فالآن يولى جـوده اعطاءها
تقع الجلائل وهوراس راسخ * فيها يوقـع للسـعود جـلاءها
كالطود فى عصف الرياح وقصفها * لارهوها يخشى ولا هو جاءها
سامى الذوائب فى أعز ذؤابة * أعلت عـلى قم النجوم بناءها
بركت بكل محـلة بركاته * شفعا يبادر بذلها شفعاءها
كالغيث صب على البسيطة صوبه * فسـقى عمائرها وجاد قواءها
ينميه عبد الواحد الارضى الى * عليا فتبخ بأسـها وسخاءها
فى نبعة كرمت وطابت مغرسا * وسمت وطالت نضرة نظـراءها
ظهرت لمحتدها السماء وجاوزت * اسرادقات فخارها جـوزاءها
فئة كرام لاتـكف عن الوغى * حـتى تصرع حـولها أكفاءها
وتـكب فى نار القرى فوق الذرا * من عـزة الويها وكباءها
قد خلقوا الايام طيب خلائق * فثنت اليهـم حـمدها وثناءها
ينضون فى طلب النفائس أنفسا * حبسـوا عـلى احرازها امضاءها
واذا انتضوا يوم الكريهة بيضهم * أبصرت فيهـم قطعها ومضاءها
لاعذر عند المكرمات لهم متى * لم يستبن لعفاتـكم عذراءها
قوم الامـير فن يقوم بما لهم * من صالحات أفحمت شـعراءها

الامور ما يجاوز نفسها ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرها ولا تطل الجلوس معهن فان ذلك أوفر لعقلك وأبين لفضلك ثم نهض الحجاج فخرج ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالة الحجاج فقالت يا أمـير المؤمنين أحب ان تأمره غدا بالتسليم على فقال أفعل فلما غـدا الحجاج عـلى الوليد قال له يا أبا محمد سر الى أم البنين فسلم عليها فقال اعفنى من ذلك يا امير المؤمنين فقال لابد من ذلك فمضى الحجاج اليها فحجبته طويلا ثم أذنت له فاقـرّته قائما ولم تأذن له فى الجلوس ثم قالت ايه يا حجاج أنت الممـتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الاشعث أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقه ما ابتلاك برمى الـكعبة ولا بقتل ابن ذات النطاقين وأول مولود ولد فى الاسلام وأما ابن الاشعث فقـد والله والى علـيك الهـزائم حتى لذت بامـير المؤمنين عبد الملك فاغاثك باهـل الشام وأنت فى أضيق من القرن فأظلتك رماحهم وانجاك كفاحهم ولولا ذلك لـكنت أذل من النقد وأما ما اشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه فان كن ينفـرجن عـن مثـل ما انفرجت به عنك أملك فما أحقه بالاخذ عنك والقبول منك وان كن ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فانه غير قابل منك ولا مصغ

صفحا جميلا أيها الملك الرضى * عن محكمات لم نطق احصاءها
تقف القوافى دونهن حسيرة * لاعيها تخفى ولا اعياءها
فلعل عليا كم تسامح راجيا * اصغاءها ومؤملا اغضاءها

ومن ذلك قول بعضهم يندب طليطلة أعادها الله تعالى للاسلام

لثكلك كيف تبتسم الثغور * سرورا بعدما بئست ثغور
اما وأبى مصاب هد منه * ثبير الدين فاتصل الثبور
لقد قصمت ظهور حين قالوا * أمير الكافرين له ظهور
ترى فى الدهر مسرورا بعيش * مضى عنا لطيته السرور
أليس بها أبى النفس شهم * يدير على الدوائر اذ تدور
لقد خضعت رقاب كن غلبا * وزال عتوها ومضى النفور
وهان على عزيز القوم ذل * وسامح فى الحريم فتى غيور
طليطلة أباح الكفر منها * حماها ان ذا نبأ كبير
فليس مثالها ايوان كسرى * ولا منها الخورنق والسدير
محصنة محسنة بعيد * تناولها ومطلبها عسير
ألم تك معقلا للدين صعبا * فذلله كما شاء القدير
وأخرج أهلها منها جميعا * فصاروا حيث شاء بهم مصير
وكانت دار ايمان وعلم * معالمها التى طمست تنير
فعادت دار كفر مصطفاة * قد اضطربت بأهليها الامور
مساجدها كنائس أى قلب * على هذا يقر ولا يطير
فيا أسفاه يا أسفاه حزنا * يكرر ما تكررت الدهور
وينشر كل حسن ليس يطوى * الى يوم يكون به النشور
اديلت قاصرات الطرف كانت * مصونات مساكنها القصور
وأدركها فتور فى انتظار * لسرب فى لواحظه فتور
وكان بنا وبالقينات أولى * لو انضمت على الكل القبور
لقد سخنت بحالتهن عين * وكيف يصح مغلوب قرير
لئن غبنا عن الاخوان انا * باحزان وأشجان حضور
نذور كان للايام فيهم * بمهلكهم فقد وفت النذور
فان قلنا العقوبة أدركتهم * وجاءهم من الله النكير
فانا مثلهم وأشد منهم * نجور وكيف يسلم من يجور
أنامن أن يحل بنا انتقام * وفينا الفسق أجمع والفجور
وأكل للحرام ولا اضطرار * اليه فيسهل الامر العسير
ولكن جرأة فى عقر دار * كذلك يفعل الكلب العقور
يزول الستر عن قوم اذا ما * على العصيان أرخيت الستور

الى نصيحتك قال الله الشاعر وقد نظر اليك وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك حيث يقول

أسد على وفى الحروب نعامة * فتخاء تفزع من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة فى الوغى * بل كان قلبك فى جناحى طائر

أخرجنه عنى فدخل الى الوليد من فوره فقال يا أبا محمد ما كنت فيه فقال والله يا أمير المؤمنين ما سكنت حتى كان بطن الارض أحب الى من ظاهرها فضحك الوليد حتى فحص برجله ثم قال يا أبا محمد انها بنت عبد العزيز ولام البنين هذه أخبار كثيرة فى الجود وغيره وقد أتينا على ذكرها فى غير هذا الكتاب وفى سنة خمس وتسعين قبض على بن الحسين بن على بن أبى طالب فى ملك الوليد ودفن بالمدينة فى بقيع الغرقد مع عمه الحسن ابن على وهو ابن سبع وخمسين سنة ويقال انه قبض سنة أربع وتسعين وكان عقب الحسين من على بن الحسين وهو السجاد على ما ذكرنا وذو الثفنات وزين العابدين (وذكر المدائنى) قال دخل الوليد على أبيه عبد الملك عند وفاته فجعل يبكى عليه وقال كيف اصبح أمير المؤمنين فقال عبد الملك

يطول على ليلى رب خطب * يطول لهوله الليل القصير
خذوا ثار الديانة وانصروها * فقد حامت على القتلى النسور
ولا تهنوا وسلوا كل عضب * تهاب مضاربا عنه النحور
وموتوا كلكم فالموت أولى * بكم من أن تجاروا أو تجوروا
أصبرا بعد سبي وامتحان * يلام عليهما القلب الصبور
فأم الصبر مذكار ولود * وأم الصقر مقلات نزور
نخور اذا دهينا بالرزايا * وليس بعجب بقر يخور
ونجبن ليس نزأر لو شجعنا * ولم نجبن لكان لنا زئير
لقد ساءت بنا الاخبار حتى * أمات المخبرين بها الخبير
أتتنا الكتب فيها كل شر * وبشرنا بأحسننا البشير
وقيل تجمعوا لفراق شمل * طليطلة تملكها الكفور
فقل فى خطة فيها صغار * يشيب لكربها الطفل الصغير
لقد صم السميع فلم يعوّل * على نبأ كما عمى البصير
تجاذبنا الاعادى باصطناع * فينجذب المخوّل والفقير
فباق فى الديانة تحت خزى * تثبطه الشويهة والبعير
وآخر مارق هانت عليه * مصائب دينه فله السعير
كفى حزنا بأن الناس قالوا * الى أين التحوّل والمسير
أنترك دورنا ونفر عنها * وليس لنا وراء البحر دور
ولا ثم الضياع تروق حسنا * نباكرها فيعجبنا البكور
وظل وارف وخرير ماء * فلا قر هناك ولا حرور
ويؤكل من فواكهها طرى * ويشرب من جداولها نمير
يؤدى مغرم فى كل شهر * ويؤخذ كل صائفة عشور
فهم أحمى لحوزتنا وأولى * بنا وهم الموالى والعشير
لقد ذهب اليقين فلا يقين * وغر القوم بالله الغرور
فلا دين ولا دنيا ولكن * غرور بالمعيشة ما غرور
رضوا بالرق يا لله ماذا * رآه وما أشار به مشير
مضى الاسلام فابك دما عليه * فما ينفى الجوى الدمع الغزير
ونح واندب رفاقا فى فلاة * حيارى لا تحط ولا تسير
ولا تجنح الى سلم وحارب * عسى أن يجبر العظم الكسير
أنعمى عن مراشدنا جميعا * وما ان منهم الا بصير
ونلقى واحدا ويفر جمع * كما عن قانص فرت حمير
ولو أنا ثبتنا كان خيرا * ولكن ما لنا كرم وخير
اذا ما لم يكن صبر جميل * فليس بنافع عدد كثير

وأشار بالمصراع الثانى الى نسائه وهن المستعبرات (وذكر العتبى) وغيره من الاخبار يين ان عبد الملك لما سال الوليد عن خبره وهو يجود بنفسه انشأ يقول كم عائد رجلا وليس يعوده الا لينظر هل يراه يموت وقيل ان عبد الملك نظر الى الوليد وهو يبكى عليه عند رأسه فقال يا هذا احنين الحمامة اذا أنا مت فشمر واتزر والبس جلد نمر وضع سيفك على عاتقك فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه ومن سكت مات بدائه ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا فقال ان طويلك لقصير وان كثيرك لقليل وان كنا منك لفى غرور ثم أقبل على جميع ولده فقال أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية فالتقوى خير زاد وأفضل فى المعاد وهى أحصن كهف وليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير مع سلامة الصدور والاخذ بجميل الامور واياكم والبغى والتحاسد فبهما هلك الملوك الماضون وذوو العز المكين يا بنى أخوكم مسلمة نابكم الذى تفترون عنه

 نى ومجنكم الذى تستجنون به اصدروا عن رأيه وأكرموا الحجاج فانه الذى وطأ لكم هذا الامر كونوا أولادا

الا رجل له رأي أصيل * به مما نحاذر نستجير
يكر اذا السيوف تناولته * وأين بنا اذا ولت كرور
ويطعن بالقنا الخطار حتى * يقول الرمح ماهذا الخطير
عظيم أن يكون الناس طرا * باندلس قتيل أو أسير
أذكر بالقراع الليث حرصا * على أن يقرع البيض الذكور
يبادر خرقها قبل اتساع * لخطب منه تخسف البدور
يوسع للذي يلقاه صدرا * فقد ضاقت بما تلقى صدور
تنغصت الحياة فلا حياة * وودع جيرة اذ لا مجير
قليل فيه هم مستكن * ويوم فيه شر مستطير
ونرجو أن يتيح الله نصرا * عليهم انه نعم النصير

ومن مشهور ما قيل في ذلك قول الاديب الشهير أبي البقاء صالح بن شريف الرندي رحمه الله تعالى

لكل شئ اذا ماتم نقصان * فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول * من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد * ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة * اذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضي كل سيف للفناء ولو * كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن * وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد في ارم * وأين ما ساسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب * وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له * حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك * كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على كسرى وقاتله * وأم كسرى فما آواه ايوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب * يوما ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة * وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها * وما لما حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له * هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين في الاسلام فارتزأت * حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسية * وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم * من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص وما تحويه من نزه * ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن أركان البلاد فما * عسى البقاء اذا لم تبق أركان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف * كما بكى لفراق الالف هيمان

على

أبرارا وفي الحروب أحرارا وللمعروف منارا وعليكم السلام وسأله بعض شيوخ بني أمية وقد فرغ من وصية أولاده هذه كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال كما قال الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الى قوله ما كنتم تزعمون فكان هذا آخر كلام سمع منه فلما قضى سجاه الوليد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لم أر مثلها مصيبة ولا مثلها نعمة فقدت الخليفة وتقلدت الخلافة فانا لله وانا اليه راجعون على المصيبة والحمد لله رب العالمين على النعمة ثم دعا الناس الى بيعته فبايعوا ولم يختلف عليه أحد ومات في أيام الوليد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وذلك في سنة سبع وثمانين وكان جوادا كريما وذكر أن سائلا وقف عليه فقال تصدق بما رزقك الله فاني نبئت أن عبيد الله بن العباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر اليه فقال وأين أنا من عبيد الله قال له أين أنت في الحسب أو في كثرة المال قال فيهما جميعا قال ان الحسب في الرجل مروءته وحسن فعله فاذا فعلت ذلك كنت حسيبا فاعطاه ألفي درهم واعتذر اليه فقال له السائل ان لم تكن عبيد الله فانت خير منه وان كنت هو فانت اليوم خير منك

علی دیار من الاسلام خالیة * قد أقفرت ولها بالکفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما * فيهن الا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة * حتى المنابر ترثي وهي عيدان
يا غافلا وله في الدهر موعظة * ان كنت في سنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحا يلهيه موطنه * أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها * وما لها مع طول الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة * كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة * كأنها في ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر في دعة * لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل اندلس * فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم * قتلى وأسرى فما يهتز انسان
ماذا التقاطع في الاسلام بينكم * وأنتم يا عباد الله اخوان
ألا نفوس أبيات لها همم * أما على الخير أنصار وأعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم * أحال حالهم كفر وطغيان
بالامس كانوا ملوكا في منازلهم * واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم * عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم * لهالك الامر واستهوتك أحزان
يا رب أم وطفل حيل بينهما * كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت * كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة * والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد * ان كان في القلب اسلام وايمان

انتهت القصيدة الفريدة ويوجد بايدي بعض الناس زيادات فيها ذكر غرناطة وبسطة وغيرهما مما أخذ من البلاد بعد موت صالح بن شريف وما اعتمدته منها نقلته من خط من يوثق به على ما كتبته ومن له أدنى ذوق علم أن ما يزيدون فيها من الابيات ليست تقاربها في البلاغة وغالب ظني أن تلك الزيادة لما أخذت غرناطة وجميع بلاد الاندلس اذ كان أهلها يستنهضون همم الملوك بالمشرق والمغرب فكأن بعضهم لما أعجبته قصيدة صالح بن شريف زاد فيها تلك الزيادات وقد بينت ذلك في أزهار الرياض فليراجع وصالح بن شريف الرندي صاحب القصيدة من أشهر أدباء الاندلس ومن بديع نظمه قوله

سلم على الحي بذات العرار * وحي من أجل الحبيب الديار
وخل من لام على حبهم * فما على العشاق في الذل عار
ولا تقصر في اغتنام المنى * فما ليالي الانس الا قصار
وانما العيش لمن رامه * نفس تداري وكؤس تدار
وروحه الراح وريحانه * في طيبه بالوصل أو بالعقار

أمس فاعطاه الفا أيضا فقال اني كنت عبيد الله انك لاسمع أهل دهرك وما أخالك الا من رهط فيهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسألك بالله أنت هو قال نعم قال والله ما أخطأت الا باعتراض الشك بين جوانحي والا فهذه الصورة الجميلة والهيئة المنيرة لا تكون الا في نبي أو عترة نبي وذكر أن معاوية وصله بخمسمائة ألف درهم ثم وجه له من يتعرف له خبره فانصرف اليه فاعلمه انه قسمها في سماره واخوانه حصصا بالسوية وأبقى لنفسه مثل نصيب أحدهم فقال معاوية ان ذلك ليسوءني ويسرني فاما الذي يسرني فان عبد مناف والده واما الذي يسوءني فقرابته من ابي تراب (قال المسعودي) وقد قدمنا خبر مقتل ابني عبيد الله فيما سلف من هذا الكتاب وهما عبد الرحمن وقثم وما رثتهما به أمهما أم حكيم جويرية بنت فارط بن خالد الكنانية وقد كان عبيد الله بن العباس دخل يوما على معاوية وعنده قاتلهما بشر بن أرطاة العامري فقال له عبيد الله أيها الشيخ أنت قاتل الصبيين قال نعم قال والله لوددت أن الارض انبتتني عندك يومئذ فقال له بشر فقد انبتتك الساعة فقال عبيد الله ألا سيف فقال بشر هاك سيفي فلما اهوى عبيد الله الى السيف ليتناوله قبض

لاصبر للشئ على ضده * والجمر والهم كماء ونار
مدامة مدنية للمنى * فى رقة الدمع ولون النضار
مما أبو ديق أباريقها * تنافست فيها النفوس الكبار
معللى والبرء من علتى * ما أطيب الخمرة لولا الخمار
ما أحسن النار التى شكلها * كالماء لو كف شرار الشرار
وبى وان عذبت فى حبه * ببعده على اقتراب المزار
ظبى غرير نام عن لوعتى * ولا أذوق النوم الا غرار
ذو وجنة كأنها روضة * قد بهر الورد بها والبهار
رجعت للصبوة فى حبه * وطاعة اللهو وخلع العذار
يا قوم قولوا بذمام الهوى * أهكذا يفعل حب الصغار
وليلة نبهت أجفانها * والفجر قد فجر نهر النهار
والليل كالمهزوم يوم الوغى * والشهب مثل الشهب عند الفرار
كأنما استخفى السها خيفة * وطولب النجم بثار فثار
كذاك ما شابت نواصى الدجا * وطير النسر أخاه فطار
وفى الثريا قمر سافر * عن غرة غيرمنها السفار
كأن عنقودا تثنى به * اذ صار كالعرجون عند السرار
كأنها تسبك دينا ره * وكفها يفتل منه السوار
كأنما الظلماء مظلومة * تحكم الفجر عليها فجار
كأنما الصبح لمشتاقه * عز غنى من بعد ذل افتقار
كأنما الشمس وقد أشرقت * وجه أبى عبد الاله استنار
محمد محمد كاسمه * شخص له فى كل معنى يشار
أما المعالى فهو قطب لها * والقطب لاشك عليه المدار
مؤثل المجد صريح العلا * مهذب الطبع كريم النجار
تزهى به لخم وساداتها * وتنتمى قيس له فى الفخار
يفيض من جود يديه على * عافيه ما منه تحار البحار
اليمن من يمناه حكم جرى * واليسر من شيمة تلك اليسار
أخ صفا منه لنا واحد * فالدهر مما قد جنى فى اعتذار
فان شكرنا فضله مرة * فقد سكرنا من نداه مرار
ونحن منه فى جوار العلا * تدور للسعد بنا منه دار
الحافظ الله واسماؤه * لذلك الجار وذاك الجوار

(رجع) وقد رأيت أن أثبت هنا رسالة خاطب بها الكاتب البارع القاضى أبو المطرف ابن عميرة المخزومى الشيخ الحافظ أبا عبدالله بن الابار يذكر له أخذ العدو مدينة بلنسية وهى

معاوية ومن حضره على يد عبيدالله قبل ان يقبض على السيف ثم اقبل معاوية على بشر فقال أخزاك الله من شيخ قد كبرت وذهل عقلك تعمد الى رجل موتور من بنى هاشم فتدفع اليه سيفك انك لغافل عن قلوب بنى هاشم والله لو تمكن من السيف لبدأ بنا قبلك قال عبيدالله ذلك والله أردت (وكان على عليه السلام) حين أتاه خبر قتل بشر لابنى عبيدالله قثم وعبدالرحمن دعا على بشر فقال اللهم اسلبه دينه وعقله فخرف الشيخ حتى ذهل عقله واشتهر بالسيف فكان لا يفارقه فجعل له سيف من خشب وجعل فى يديه زق منفوخ كلما تخرق أبدل فلم يزل يضرب ذلك الزق بذلك السيف حتى مات ذاهل العقل يلعب بخرئه وربما كان يتناول منه ثم يقبل على من يراه فيقول انظروا كيف يطعمنى هذان الغلامان ابنا عبيدالله وكان ربما شدت يداه الى وراء منعا من ذلك فأنجى ذات يوم فى مكانه ثم أهوى بفيه فتناول منه فبادروا الى منعه فقال أنتم تمنعوننى وعبدالرحمن وقثم يطعمانى ومات بشر فى أيام الوليد ابن عبدالملك سنة ست وثمانين وفيها مات عبدالله ابن عتبة بن مسعود الهذلى وعتبة مهاجر وهو أخو عبدالله بن مسعود بن غافل

الا

ألا فئة للدهر تدنو بمن نأى * وبقيا يرى منها خلاف الذى رأى
ويامن عذيرى منه بعذر من أوى * اليه ولا يدرى سوى خلف من وأى
ذخائر ما فى البر والبحر صيده * فلا لؤلؤا يبقى عليه ولا وأى

أيها الاخ الذى دهش ناظرى لكتابه بعد أن ادهش خاطرى من اغبابه وسرنى من بشره ايماض بعد أن ساءنى من جهته اعراض جرت على ذكره الصلة فقوم قدح نبعتها وروى أكناف قلعتها وأحدث ذكرا من عهدنا الماضى فنقط وجه عروسه وشعشع خمر كؤسه وسقى بماء الشبيبة ثراه وأبرز مثال مرآة الغر بيه مرآه فبورك فيه أحوذيا وصل رحمه وكسا منظره من البهجة ما كان حرمه وحياه الله تعالى منه وليا على سالف عهدى تمادى وبشعار ودى نادى و بين والاحسان شيمته وأبان والبيان لا تحجاب عنه ديمته ولا تغلو بغير قلمه قيمته واعتذر عن كلمة تمنى تبديلها ودعوة ذكر وجوم النادى لها ثم أرسلها ترجف بوادرها من خيفه وتوغر زعم صدور قلم وصحيفه وتندر من ريحانة قريش أن تمنعه عرفها وتحدق اليه طرفها واتقى غارة على غره من الناجى برأس طمره ولم يأمن هجران المهاجر بعد وصله وعز عكرمة المغطى بحلمه على أبى جهله وعند ذكر كتيبة خالد أحجم وذكر يوم أحاطت به فارس فاستلجم فاعتذر عما قال واضمر الحذر الا أن يقال فهلا أيها الموفى على علمه النافث بسحر قلمه أتظن منزلتك فى البلاغة ومهيعها الاحب ومنزعها بالعقول لاعب تسفل وقد ترفعت أو تخفى وان تلفعت عرفناك بأسوده وشهرت حلة عطارد الملاحة والجوده فلم حين تهيب الاخ الاوحد من قصى غطارفها ولو استثار من حفائظها تالدها وطارفها لم يذكر يد قومه عند أبيها وقد رام خطة أشرف على تأبيها حين أهاب بكم لمهمه ودعا منكم أخاه لأمه ولولا ذلك لما خلاله وجه الكعبه ولا خلص من تلك المضايق الصعبه وبأن أعز تموه نجدتكم الموصوفه غلب على ما كان بأيدى صوفه فكيف نجحد اليد عند عمنا أو نشحذ أسنة الالسنة لذمنا أو كيف نلقاكم بحدنا وأبوكم بكر معدنا وما تيامنكم الى سبأ بن يشجب وان أطلنا فيه التعجب بالذى يقطع أرحامنا ويمنع اشتباكنا والتحامنا بعد أن شددنا فعالنا بفعالكم ورأينا أقدامنا فى نعالكم ولو شئتم توعدتم بأسود سؤددكم عند الاقدام والحاح الحافكم فى ضرب الهام لكن نقول ان قومنا الكرام ولو شاؤا كان لنا فيكم شره وعرام وأعود من حيث بدأ الاخ الذى أبثه شوقى واتطعم حلاوة عشرته باقية فى حاسة ذوقى طارحنى حديث مورد جف وقطين خف فيالله لأتراب درجوا وأصحاب عن الاوطان خرجوا قصت الاجنحة وقيل طيروا وانما هو القتل أو الاسر أو تسيروا فتفرقوا أيدى سبا وانتشروا ملء الوهاد والربا ففى كل جانب عويل وزفره وبكل صدر غليل وحسره ولكل عين عبره لا ترقأ من أجلها عبره داء خامر بلادنا حين أتاها وما زال بها حتى سجى على موتاها وشجا اليوم بها الاطول كهلها وفتاها وانذر بها فى القوم بحران أنجبه يوم اثاروا اسدها المهيجه فكانت تلك الحطمة طل الشؤبوب وباكورة البلاء المصبوب أشكلتنا اخواننا أبكانا نعيهم ولله أحوذيهم والمعيهم ذاك أبو ربيعنا

بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وكانت الرياسة فى الجاهلية فى صبح بن كاهل ابن الحرث بن تميم بن سعد ابن هذيل وكان ولد عبد الله بن عتبة عبيد الله من كبار أهل العلم ذكر ابن أبى خيثمة قال سمعت ابن الاصبهانى يقول قال سفيان قال الزهرى كنت أظن انى نلت من العلم حتى جالست عبيد الله بن عبد الله فكأنما هو البحر وفى سنة أربع وتسعين قتل الحجاج سعيد بن جبير فذكر عون بن أبى راشد العبدى قال لما ظفر الحجاج بسعيد بن جبير واوصل اليه قال له ما اسمك قال اسمى سعيد بن جبير قال بل شقى بن كسير قال أبى كان أعلم باسمى منك قال لقد شقيت وشقى أبوك قال له الغيب انما يعلمه غيرك قال لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى قال لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت الها غيرك قال فما قولك فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فاختر أى قتلة تريد أن أقتلك قال بل اختر يا شقى لنفسك فوالله ما تقتلنى اليوم بقتلة الا قتلتك فى الآخرة بمثلها فأمر به الحجاج فاخرج ليقتل فلما ولى ضحك فامر الحجاج برده وساله عن ضحكه فقال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك فامر

وشيخ جميعنا سعد بشهادة يومه ولم يرما يسوءه فى أهله وقومه وبعد ذلك أخذ من الام بالمخنق وهى بلنسية ذات الحسن والبهجة والرونق ومالبث أن أخرس من مسجدها لسان الاذان وأخرج من جسدها روح الايمان فبرح الخفاء وقيل على آثار من ذهب العفاء وانعطفت النوائب مفردة ومركبة كما تعطف الفاء فاودت الخفة والحصافه وذهب الجسر والرصافه ومزقت الحلة والشمله وأوحشت الجرف والرمله ونزلت بالحارة وقعة الحره وحصلت الكنيسة من جآزرها وظبائها على طول الحسره فاين تلك الخمائل ونضرتها والجداول وخضرتها والاندية وأرجها والاودية ومنعرجها والنواسم وهبوب مبتلها والاصائل وشحوب معتلها دار ضاحكت الشمس بحرها وبحيرتها وازهار ترى من ادمع الطل فى أعينها ترددها وحيرتها ثم زحفت كتيبة الكفر بزرقها وشقرها حتى احاطت بجزيرة شقرها فآها لمسقط الرأس هوى نجمه ولفادح الخطب سرى كلمه ويا لجنة أجرى الله تعالى النهر تحتها وروضة أجاد أبو اسحق نعتها وانما كانت داره التى فيها دب وعلى أوصاف محاسنها أكب وفيها أتته منيته كما شاء وأحب ولم تعدم بعده محبين قشيبهم اليها ساقوه ودمعهم عليها أراقوه وقد أثبت من النظم ما يليق بهذا الموضع وان لم يكن له ذلك الموقع

أقلوا ملامى أو فقولوا وأكثروا * ملومكم عما به ليس يقصر
وهل غير صب ماتنى عبراته * اذا صعدت أنفاسه تتحدر
يحن وما يجدى عليه حنينه * الى أربع معروفها متنكر
ويندب عهدا بالمشقر فاللوى * وأين اللوى منه وأين المشقر
تغير ذاك العهد بعدى وأهله * ومن ذا على الايام لا يتغير
وأقفر رسم الدار الا بقية * لسائلها عن مثل حالى تخبر
فلم تبق الا زفرة اثر زفرة * ضلوعى لها تنقد أو تتفطر
والا اشتياق لا يزال يهزنى * فلا غاية تدنو ولا هو يفتر
أقول لسارى البرق فى جنح ليلة * كلانا بها قد بات يبكى ويسهر
تعرض مجتازا فكان مذكرا * بعهد اللوى والشئ بالشئ يذكر
أتأوى لقلب مثل قلبك خافق * ودمع سفوح مثل دمعك يقطر
وتحمل أنفاسا كومضك نارها * اذا رفعت تبدو ولمن يتنور
يقر لعينى أن أعاين من نأى * لما أبصرته منك عيناى تبصر
وأن يترا آلك الخليط الذين هم * بقلبى وان غابوا عن العين حضر
كفى حزنا أنا كأهل محصب * بكل طريق قد نفرنا وننفر
وأن كلينا من مشوق وشائق * بنار اغتراب فى حشاه تسعر
ألا ليت شعرى والامانى ضلة * وقولى ألا يا ليت شعرى تحير
هل النهر عقد للجزيرة مثل ما * عهدنا وهل حصباؤه وهى جوهر
وهل للصبا ذيل عليه تجره * فيزور عنه موجه المتكسر

به فذبح فلما كب لوجهه قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الحجاج غير مؤمن بالله ثم قال اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدى فذبح واحتز رأسه ولم يعش الحجاج بعده الا خمس عشرة ليلة حتى وقعت فى جوفه الاكلة فمات من ذلك ويروى انه كان يقول بعد قتل سعيد ياقوم مالى ولسعيد بن جبير كلما عزمت على النوم أخذ بحلقى واشتكى الوليد فبلغه عن أخيه سليمان تمنٍ لموته لماله من العهد بعده فكتب اليه الوليد يعتب عليه الذى بلغه وكتب فى كتابه هذه الابيات

تمنى رجال أن أموت وان أمت
فتلك سبيل لست فيها بأوحد
لعل الذى يرجو فنائى ويدعى
به قبل موتى أن يكون هو الردى
فما موت من قد مات قبلى بضائرى
ولا عيش من قد عاش بعدى بمخلدى
فقل للذى يرجو خلاف الذى مضى
تزود لاخرى غيرها فكأن قد
منيته تجرى لوقت وحتفه
سيلحقه يوما على غير موعد

فاجابه سليمان فهمت ماقال أمير المؤمنين ووالله لئن كنت تمنيت ذلك لما يخطر بالبال انى لاول وتلك

وتلك المغانى هل عليها طلاوة * بعاراق منها أو بعارق تسحر
ملاعب أفراس الصبابة والصبا * تروح اليها تارة وتبكر
وقبلى ذاك النهر كانت معاهد * بها العيش مطلول الخميلة أخضر
بحيث بياض الصبح أزرار جيبه * تطيب وأردان النسيم تعطر
ليال بماء الورد ينضح ثوبها * وطيب هواء فيه مسك وعنبر
وبالجبل الادنى هناك خطا لنا * الى اللهو لا نكبو ولا نتعثر
جناب بأعلاه بهار ونرجس * فأبيض مفتر الثنايا وأصفر
وموردنا فى قلت قلب كمقلة * حذارا علينا من قذى العين تستر
وكم قد هبطنا القاع نذعر وحشه * وياحسنه مستقبلا حين يذعر
نقود اليه طائعا كل جارح * له منخر رحب وخصر مضمر
اذا مارمينا به عبثت به * مدللة الاطراف عنهن تكشر
تضم لأروى النيق حزان سهلها * وقد فقدت فيها مهاة وجؤذر
كذلك الى أن صاح بالقوم صائح * وأنذر بالبين المشتت منذر
وفرقهم أيدى سبا وأصابهم * على غرة منهم قضاء مقدر

ونعود الى حيث كنا من تبدد شمل الجيره وطى بساط الجزيره أما شاطبة فكانت من قصبتها شوساء الطرف وبطحائها عروسا فى نهاية الظرف فتخلى عن الذروة من أخلاها وقيل للكافر شأنك وأعلاها فقبل أن تضع الحرب أوزارها كشط عنها ازارها فاستحل الحرمة أو تأولها وما انتظر أقصر المدة ولا أطولها وأما تدمير فخادعودها على الهصر وأمكنت عدوها من القصر فداجى الكفر الايمان وناجى الناقوس الاذان وماوراءها من الاصقاع التى باض الكفر فيها وفرخ وأنزل بها ما أنسى التاريخ ومن أرخ فوصفكم على الحادثة فيها أتى وفى ضمان القدرة الانتصاف من عدو عثا وعتا وانا لنرجوها كرة تفك البلاد من أسرها وتجبرها بعد كسرها وان كانت الدولة العامرية منعت بالقراع ذمارها ورفعت على اليفاع نارها فهذه العمرية بتلك المنقبة اخلق والعدو لها اهيب ومنها أفرق وما يستوى نسب مع البقل نبت وبالمستفيض من النقل ما ثبت وآخر علت سماؤه على اللمس ورسا ركنه فى الاسلام رسو قواعده الخمس وكان كما قال أبو حنيفة فى خبر المسح جاءنا مثل الشمس والايام العمرية هى أم الوقائع الحكمية ومن شاء عدها من البرموكية الى الاركيه وهذه الايام الزاهرة هى زبدة حلاوتها وسجدة تلاوتها وامامتها العظمى أيدها الله تعالى تمهل الكافر مدة املائه ثم تشفى الاسلام من دائه وتطهر الارض بنجس دمائه بفضل الله تعالى المرجو زيادة نعمه قبلها وآ لائه راجعت سيدى مؤديا ما يجب أداؤه ومقتديا وما كل احد يحسن اقتداؤه وانا ناضلت ثعليا وعهدى بالنضال قديم وناظرت جدليا وما عندى للمقال تقديم وأطعته فى الجواب ولقريحتى يعلم الله تعالى نكول ورويتى لولاحق المسئلة بطير الحوادث المرسلة عصف ما كول أتم الله تعالى عليه آلاءه وحفظ موداته وولاءه ومتع بخلته الكريمة اخلاءه بمنه والسلام انتهت الرسالة * ورأيت فى

ما تحمل السفر بمنزل ثم يظعنون عنه وقد بلغ أمير المؤمنين مالم يظهر من لفظى ولا يرى من لحظى ومتى سمع أمير المؤمنين من أهل النميمة ومن ليست له روية أوشك أن يسرع فى فساد النيات وقطع بين ذوى الارحام والقرابات وكتب فى أسفل الكتاب
ومن لا يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب
فكتب اليه الوليد ما أحسن ما اعتذرت به وحذوت عليه وأنت الصادق فى المقال والكامل فى الفعال وماشئ أشبه بك من اعتذارك ولا أبعد مما قيل فيك والسلام وكان الوليد متحننا على اخوته مراعيا لسائر ما أوصاه به عبد الملك وكان كثير الانشاد لابيات قالها عبد الملك حين كتب وصيته منها
انفوا الضغائن عنكم وعليكم * عند المغيب وفى حضور المشهد
بصلاح ذات البين طول بقائكم * ان مد فى عمرى وان لم يمدد
فلمثل ريب الدهر ألف بينكم * بتواصل وتراحم وتودد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم * بمسود منكم وغير مسود

رحلة ابن رشيد لما ذكر أبا المطرف ماصورته وأما الكتابة فقد كان حامل لوائها كما قال بعض أصحابنا ألان الله تعالى له الكلام كما ألان الحديد لداود عليه السلام وأخبرني شيخنا أبو بكر ان شيخه ابا المطرف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فاعطاه حزمة اقلام وقال استعن بهذه على كتابتك او كما قال صلى الله عليه وسلم * وبعد كتبي لهذه الرسالة رأيت أن اذكر رسالة الحافظ ابن الابار التي هذه جواب عنها وهي من غرض ما نحن فيه فلنقتبس نور البلاغة منها وهي سيدي وان وجم لها النادي وجمجم بها المنادي ذلك لصغرها عن كبره في المعارف الاعلام وصدرها بوغر صدور الصحائف والاقلام واعيذ بحانة قريش ان تروح من حفيظتها في جيش قدها بتهامة اوبركل حي وأجابتها الغطاريف من قصي تداف بين يديها كتيبة خالد وتحالف لا قدحت نار الهيجاء بزند صالد أو تنسف من غامطها وتقذف به وسط غطامطها لاجرم أني من جريتي حذر وعما وضحت به قيمتي للمجد معتذر الا أن يصوح من الروض نبته وجناته ويصرح بالقبول حلمه وأناته الحديث عن القديم شجون والشان بتقاضي الغريم شؤون فلاغرو أن أطارحه اياه وأفاتحه الامل في لقياه ومن لي بعقالة مستقله أواخالة غير مخله أبت البلاغة الاعمادها ومع ذلك فسأنبئ عما دهي درجت اللدات والاتراب وخرجت الروم بنا الحثيث الأعراب أيام دفعنا الاعظم الاخطار وفجعنا بالاوطان والاوطار فالام نداري برح الالم وحتام نساري النجم في الظلم جمع أوصاب ماله من انفضاض ومضض اغتراب شذ عن ابن مضاض فلو سمع الاول بهذا الحادث ماضرب المثل بالحارث يالله من جلاء ليس به يدان وتناء قلما يسفر عن تدان وعدا الجد العاثر لقاءه فأنجز ورام الجلد الصابر انقضاءه فأعجز هؤلاء الاخوان مكنهم لايمتع به أوان وبينهم كنبت الارض ألوان بين هائم بالسرى ونائم في الثرى من كل صنديد بطل أومنطيق غير ذي خطا ولاخطل قامت عليه النوادب لما قعدت به النوائب وهجمت بيوته المفناة الجماجم والذوائب وأما الاوطان المحبب عهدها بحكم الشباب المشبب فيها بمحاسن الاحباب فقد ودعنا معاهدها وداع الابد وأخني عليها الذي أخنى على لبد أسلمها الاسلام وانتظمها الانتثار والاصطلام حين وقعت أنسرها الطائره وطلعت أنحسها الغائره فغلب على الجذل الحزن وذهب مع المسكن السكن

كزعزع الريح صك الدوح عاصفها * فلم يدع من جنى فيها ولا غصن
وأهاوواها يموت الصبر بينهما * موت المحامد بين البخل والجبن

أين بلنسية ومغانيها وأغاريد ورقها وأغانيها أين حلى رصافتها وجسرها ومنزلا عطائها ونصرها أين أفياؤها تندى غضاره وركاؤها تبدو من خضاره أين جداولها الطفاحة وخمائلها أين جنائبها النفاحة وشمائلها شذ ماعطل من قلائد أزهارها نحرها وخلعت شعشعانية ضحاها بحيرتها وبحرها فأية حيلة لاحيلة في صرفهما مع صرف الزمان وهل كانت حتى بانت الا رونق الحق وبشاشة الايمان ثم لم يلبث داء عقرها أن دب الى جزيرة شقرها فأمر عذبها النمير وذوى غصنها النضير وخرست حمائم أدواحها وركدت

وكان عبد الملك مواظبا على حث أولاده على اصطناع المعروف وبعثهم على مكارم الاخلاق وقال لهم يابني عبد الملك أحسابكم أحسابكم صونوها ببذل أموالكم فما يبالي رجل ماقيل فيه من الهجو بعد قول الاعشى

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم * وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ومايبالي قوم ماقيل فيهم من المدح بعد قول زهير

على مكثريهم حق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

(حدث) عبد الله بن اسحق ابن سلام عن محمد بن حبيب قال صعد الوليد المنبر فسمع صوت ناقوس فقال ماهذا قيل البيعة فأمر بهدمها وتولى بعض ذلك بيده فتتابع الناس يهدمون فكتب اليه الاحرم ملك الروم ان هذه البيعة قد أقرها من كان قبلك فان يكونوا أصابوا فقد أخطأت وان تكن أصبت فقد أخطؤا فقال من يجيبه فقال الفرزدق يكتب اليه وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين

نواسم أرواحها ومع ذلك اقتحمت دانيه فنزحت قطوفها وهى دانية وبالشاطبة وبطحائها من حيف الايام وانحائها ولهفاه ثم لهفاه على تدميرو تلاعها وجيان وقلاعها وقرطبة ونواديها وحمص وواديها كلها رعى كلؤها ودهى بالتفريق والتمزيق ملؤها عض الحصار أكثرها وطمس الكفر عينها وأثرها وتلك البيرة بصدد البوار وريه فى مثل حلقة السوار ولا مرية فى المرية وخفضها على الجوار الى بنيات لواحق بالامهات ونواطق بها الاول ناطق بهات ماهذا النفخ بالمعمور اهو النفخ فى الصور ام النفر عاريا من الحج المبرور ومالاندلس أصيبت بأشرافها ونقصت من اطرافها قوّض عن صوامعها الاذان وصمت بالنواقيس فيها الآذان اجنت مالم تجن الاصقاع اعقت الحق فحاق بها الايقاع كلا بل دانت للسنه وكانت من البدع فى احصن جنه هذه المروانية مع اشتداد اركانها وامتداد سلطانها القت حب آل النبوّة فى حبات القلوب والوت ماظفرت من خلعة ولا قلعة بمطلوب الى المرابطة باقاصى الثغور والمحافظة على معالى الامور والركون الى الهضبة المنيعه والروضة المريعه من معاداة الشيعه وموالاة الشريعه فليت شعرى بم استوثق تمحيصها ولم تعلق بعموم البلوى تخصيصها اللهم غفرا الماضر محضر ومن الانباء مافيه مزدجر جرى بما لم نقدره المقدور فاعسى ان ينفث به المصدور وربنا الحكيم العليم فحسبنا التفويض له والتسليم وياعجبا لبنى الاصفر أنسيت مرج الصفر ورميها يوم اليرموك بكل أغلب غضنفر دع ذا فالعهد به بعيد ومن اتعظ بغيره فهو سعيد هلا تذكرت العامرية وغزواتها وهابت العامرية وهبواتها أما الجزيرة بخيلها محدقه وباحاديث فتحها مصدقه هذا الوقت المرتقب والزمان الذى زجيت له الشهور والحقب وهذه الامامة أيدها الله تعالى هى المنقذة من أسرها والمنفذة لسلطانها مراسم نصرها فيتاح الاخذ بالثار ويزاح عن الجنة أهل النار ويعلم الكافر لمن عقبى الدار حاورت سيدى بمثار الفاجى الفاجع وحاولت برء الجوى من جوابه بالعلاج الناجع وبودى لو تقع فى الارجاء مصاقبه فترفع من الازراء معاقبه أليس لديه اسواء المكلوم وتدارك المظلوم وبيديه أزمة المنثور والمنظوم خيال يخترفى اقناع ايادوصوغ مالم يخطر على قلب زيد ولا بخاطر زياد بست الجبال الطوامح المابست وأبو فتحها وغيضت البحار الطوافح فمن يعبأ بالركايا ومتحها أين أبو الفضل بن العميد من العماد الفاضل وصمصامة عمرو من قلمه الفاضل هذا مدرهها الذى فعل الافاعيل وأحمدها الذى سما على ابراهيم واسمعيل وهما اماما الصناعه وهماما البراعة واليراعة بهما فخرمن نطق بالضاد وبسببهما حسدت الحروف الصاد لكن دفعهم بالراح وأعرى مدرعهم من المراح وشرف دونهم ضعيف القصب على صم الرماح أبقاه الله تعالى وبيانه صادق الانواء وزمانه كاذب الاسواء ولازال مكانه مجاوزا ذؤابة الجوزاء واحسانه مكافأ باحسن الجزاء والسلام * وقد عرفت بابن الابار فى أزهار الرياض بما لامزيد عليه غيرانى رأيت هنا أن أذكر فصولا مجموعة من كلامه فى كتابه المسمى بدرر السمط فى خبر السبط قال رحمه الله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت فروع النبوّة والرساله وينابيع

ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ومات الحجاج فى سنة خمس وتسعين وهو ابن أربع وخمسين سنة بواسط العراق وكان تأمره على الناس عشرين سنة وأحصى من قتله صبرا سوى من قتل فى عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين ألفا ومات وفى حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهن ستة عشر ألفا مجردة وكان يحبس النساء والرجال فى موضع واحد ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس فى الصيف ولا من المطر والبرد فى الشتاء وكان له غير ذلك من العذاب ما أتينا على وصفه فى الكتاب الاوسط وذكر انه ركب يوما يريد الجمعة فسمع ضجة فقال ماهذا فقيل له المحبوسون يضجون ويشكون ماهم فيه من البلاء فالتفت الى ناحيتهم وقال اخسؤا فيها ولا تكلمون فيقال انه مات فى تلك الجمعة ولم يركب بعد تلك الركبة (قال المسعودى) ووجدت فى كتاب عنوان البلاغات مما اختير من كلام الحجاج قوله ماسلبت نعمة الا بكفرها ولا نمت الا بشكرها وقد كان الحجاج تزوّج الى عبدالله ابن جعفر بن أبى طالب حين أملق عبد الله وافتقر وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان الخبر فى ذلك وتهنئة ابن القرية الحجاج

السماحة والبسالة صفوة آل أبي طالب وسراة بني لؤي بن غالب الذين جاءهم الروح الامين وحلاهم الكتاب المبين فقل في قوم شرعوا الدين القيم ومنعوا اليتيم أن يقهر والايم ماقدمن أديم آدم أطيب من أبيهم طينه ولا أخذت الارض أجمل من مساعيهم زينه لولاهم ماعبد الرحمن ولاعهد الايمان وعقد الامان ذؤابة غير أشابه فضاهم ماشانه نقص ولاشابه سراة محلتهم سر المطلوب وقرارة محبتهم حبات القلوب أذهب الله عنهم الرجس وشرف بخلقهم الجنس فان تميزوا فشريعتهم البيضاء أو تحيزوا فلعشيرتهم الحمراء من كل يعسوب الكتيبة منسوب لنجيب ونجيبه نجاره الكرم وداره الحرم غنته العرانين من هاشم أبي النسب الاصرح الاوضح الى نبعة فرعها في السماء ومغرسها سرة الابطح أولئك السادة أحيي وافدي والشهادة بحبهم اوفي وأؤدي ومن يكتمها فانه آثم قلبه انتهى (فصل) ما كانت خديجة لتاتي بخداج ولا الزهراء لتلد الا ازاهر كالسراج مثل النحلة لا تاكل الاطيبا ولا تضع الا طيبا خلدت بنت خويلد ليزكو عقبها من الحاشر العاقب ويسمو قبها على النجم الثاقب لم تجد بمثلها المهارى ولم يلد له غيرها من المهارى آمت من بعولتها قبله لتصل السعادة بحبلها حبله ملاك العمل خواتمه رب ربات حجال أنفذ من فحول رجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

هذه خديجة من أخيها حزام أحزم ولشعار الصدق من شعارات القص ألزم ركنت الى الركن الشديد وسددت للهدى كما هديت للتسديد يوم نبئ خاتم الانبياء وأنبئ بالنور المنزل عليه والضياء (فصل) وكان قبيل المبعث وبين يدي لم الشعث يثابر على كل حسنى وحسنه ويجاور شهرا من كل سنه يتحرى حراء بالتعهد ويزجي تلك المدة في التعبد وذلك الشهر المقصور على التبرر المقدور فيه رفع التضرر شهر رمضان المنزل فيه القرآن فبيناه لا ينام قلبه وان نامت عيناه جاءه الملك مبشرا بالنجح وقد كان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح فغمره بالكلاءه وأمره بالقراءه وكلما تحبس له غطه ثم أرسله واذا أراد الله بعبد خيرا عسله

تريدون ادراك المعالي رخيصة * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

كذلك حتى عاد بالارق من الفرق وقد علق فاتحة العلق فلا يجري غيرها على لسانه وكانما كتبت كتابا في جنانه (فصل) ولما أصبح يؤم الاهل وتوسط الجبل يريد السهل وقد قضى الاجل ومانضا الوجل نوجي بما في الكتاب المسطور ونودي كما نودي موسى من جانب الطور فعرض له في طريقه ماشغله عن فريقه فرفع رأسه متأملا فأبصر الملك في صورة رجل متمثلا يشرفه بالنداء ويعرفه بالاجتباء وانما عضد خبر الليلة بعيان اليوم وأرى في اليقظة مصداق ماأسمع في النوم ليحق الله الحق بكلماته وعلى ماورد في الاثر وسرد رواة السير فذلك اليوم كان عيد فطرنا الآن وغير بدع ولا بعيد أن يبدأ الوحي بعيد كما ختم بعيد اليوم أكملت لكم دينكم فبهت عليه السلام لما سمع نداءه وراءه وثبت لا يتقدم أمامه ولا يرجع وراءه

بذلك وقد كان عبد الله بن الجعفر في المسجد الجامع وهو يقول اللهم انك عودتني عادة فعودتها عبادك فان قطعتها عني فلا تبقني فمات في تلك الجمعة وذلك في أيام عبد الملك ابن مروان وصلى عليه أبان بن عثمان بمكة وقيل بالمدينة وهي السنة التي كان بها السيل الجحاف الذي بلغ الركن وذهب بكثير من الحجاج وفي هذه السنة كان الطاعون العام بالعراق والشأم ومصر والجزيرة والحجاز وهي سنة ثمانين وقبض عبد الله بن جعفر وهو ابن سبع وستين وولد بالحبشة حين هاجر جعفر الى هنالك وقيل ان مولده كان في السنة التي قبض فيها النبي صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك وذكر المبرد والمدائني والعتبي وغيرهم من الاخباريين ان عبد الله عوتب على كثرة افضاله فقال ان الله تعالى عودني أن يفضل على وعودته أن أفضل على عباده فاكره ان أقطع العادة عنهم فيقطع العادة عني ووفد عبد الله على معاوية بدمشق فعلم به عمرو ابن العاص قبل دخوله دمشق أخبره بذلك مولى له كان قد سار مع ابن جعفر من الحجاز فتقدمه بمرحلتين

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي * متقدم عنه ولا متأخر

ثم جعل في الخوف والرجاء لا يقلب وجهه في السماء الا تعرض له في تلك الصوره وعرض عليه ما أعطاه الله سبحانه من السوره فيقف موقف التوكل ويمسك حتى عن التأمل

تتوق اليك النفس ثم أردها * حياء ومثلي بالحياء حقيق

أذود سواد الطرف عنك وماله * الى أحد الا اليك طريق

(فصل) وفطنت خديجة لاحتباسه فامعنت في التماسه تزوجوا الودود الولود ولفورها بل لفوزها بعثت في طلبه رسلها وانبعثت تاخذ عليه شعاب مكة وسبلها *ان المحب اذا لم يستزر زارا * طال عليها الامد فطار اليها الكمد والحب حقيقه من لا يفيق فيقه بالنفس النفيسة سماحه وجوده وفي وجود المحبوب الاشرف وجوده

كأن بلاد الله مالم تكن بها * وان كان فيها الخلق طرا بلاقع

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني والهم بالليل جامع

نهاري نهار الناس حتى اذا دجى * لي الليل هزتني اليك المضاجع

لقد نبتت في القلب منك محبة * كما نبتت في الراحتين الاصابع

(فصل) وبعد لأي ماورد عليها وقعد مضيفا اليها فطفقت بحكم الاجلال تمسح أركانه وتفسح مجال السؤال عما خلف له مكانه فباح لها بالسر المغيب وقد لاح وسم الكرامة على الطيب المطيب فعلمت انه الصادق المصدوق وحكمت بانه السابق لا المسبوق اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ومازالت حتى أزالت مابه من الغمه وقالت اني لارجو أن تكون نبي هذه الامة

اني تفرست فيك الخير أعرفه * والله يعلم أن ماخانني البصر

أنت النبي ومن يحرم شفاعته * يوم الحساب فقد أزرى به القدر

لاترهب فسوف تبهر وسيبدو أمر الله تعالى ويظهر أنت الذي سجعت به الكهان ونزلت له من صوامعها الرهبان وسارت بخبر كرامته الركبان أنت الذي ماحملت أنخف منه حامل ودرت ببركته الشاة فاذا هي حافل

وأنت لما ولدت أشرقت الارض وضاءت بنورك الافق

فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

(فصل) ومالبثت أن غلقت أبوابها وجمعت عليها أثوابها وانطلقت الى ورقة بن نوفل تطالبه بتفسير ذلك المجمل وكان يرجع الى عقل حصيف ويبحث عمن يبعث بالدين الحنيف فاستبشر به ناموسا وأخبر أنه الذي كان يأتي موسى فازدادت ايمانا وأقامت على ذلك زمانا ثم رأت أن خبر الواحد قد يلحقه التفنيد ودرت أن المجتهد لا يجوز له التقليد طلب العلم فريضة على كل مسلم فرجعت أدراجها في ارتياد الاقناع وألقي في روعها القاء الخمار والقناع فهنالك وضح لها البرهان وصح لها أن الآتي ملك لا شيطان

تولى عليه الروح من عند ربه * ينزل من جو السماء ويرفع

نشاوره فيما نريد وقصدنا * اذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع

وغيرهم منهم عبد الله بن الحرث بن عبد المطلب فقال عمرو وقد أتاكم رجل كثير الخلوات بالتمني والطرقات بالتغني آخذ للسلف منقاد بالسرف فغضب عبد الله ابن الحرث وقال لعمرو كذبت وأهل ذلك أنت ليس عبد الله كماذكرت ولكنه لله ذكور ولبلائه شكور وللغناء نفور ماجد مهذب كريم سيد حليم ان ابتدأ أصاب وان سئل أجاب غير حصر ولاهياب ولا فحاش ولاسباب كالهزبر الضرغام الجرىء المقدام والسيف الصمصام والحسيب القمقام وليس كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها فاصبح ألأمها حسبا وأدناها منصبا يلوذ منها بذليل ويأوي الى قليل ليت شعري بأي حسب تتناول أو بأي قدم تتعرض غير انك تعلو بغير اركانك وتتكلم بغير لسانك ولقد كان أبر في الحكم وأبين في الفضل أن يكفك ابن أبي سفيان عن ولوعك باعراض قريش وان يكعمك كعام الضبع في وجارها فلست لاعراضها بوفي ولا لأحسابها بكفي وقد أتيح لك ضيغم شرس للاقران مختلس وللارواح مفترس فهم عمرو أن يتكلم فمنعه معاويه من ذلك وقال عبد الله بن الحرث لا يبقى المرء الا على نفسه

*(فصــل) سبقت لها من الله تعالى الحسنى فصنعت حسنا وقالت حسنا ومن يؤمن بالله يهد قلبه مافتر الوحي بعدها ولا مطل الحق الحي وعدها وعد الله لا يخلف الله وعده دانت لحب ذي الاسلام فحياها الملك بالسلام من الملك السلام من كان الله له أغنت غناء الابطال فغناها لسان الحال

هل تذكرين فدتك النفس مجلسنا * يوم التقينا فلم أنطق من الحصر
لا ارفع الطرف حولي من مراقبة * بقي علي وبعض الحزم في الحذر

يسرت لاحتمال الاذى والنصب فبشرت ببيت في الجنة من قصب هل امنت اذ آمنت من الرعب حتى غنيت عن الشبع بما في الشعب

لا تحسب المجد تمرا انت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

واهالها احتملت عض الحصار وما طاقت فقد النبي المختار

يطول اليوم لا القاك فيه * وشهر نلتقي فيه قصير

والحبيب سمع المحب وبصره وله طول محياه وقصره

أنت كل الناس عندي فاذا * غبت عن عيني لم الق أحد

مكنت للرياسة مواسية وآسيه فثلثت في بحبوحة الجنة مريم وآسيه ثم ربعت البتول فبعث نطقت بذلك الآثار وصدعت خير نساء العالمين أربع *(فصل)* الى البتول سير بالشرف التالد وسبق الفخر بالام الكريمة والوالد حلت في الجيل الجليل وتحلت بالمجد الاثيل ثم تولت الى الظل الظليل

وليس يصح في الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

وأبيها ان أم أبيها لا تجد لها شبيها نثرة النبي وطلبة الوصي وذات الشرف المستوى على الامد القصي كل ولد الرسول درج في حياته وحملت هي ما حملت من آياته ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء لا فرع للشجرة المباركة من سواها فهل جدوى أوفر من جدواها الله أعلم حيث يجعل رسالاته حفت بالتطهير والتكريم و زفت الى الكفؤ الكريم فوردا صفو العارفة والمنه وولدا سيدي شباب أهل الجنه عوضت من الامتعة الفاخره بسيدي الدنيا والاخره ما أثقل نحوها ظهرا ولا بذل غير درعه مهرا كان صفر اليدين من البيضاء والصفراء وبحالة لا حيلة معها في اهداء الحلة السيراء فصاهره الشارع وخالله وقال في بعض صعلوك لا مال له نرفع درجات من نشاء *(فصل)

أتنتهب الايام افلاذ أحمد * وافلاذ من عاداهم تتودد
و يضحى و يظما أحمد و بناته * و بنت زياد وردها لا يصرد
أفي دينه في أمنه في بلاده * تضيق عليهم فسحة تتورد
وما الدين الا دين جدهم الذي * به أصدروا في العالمين وأوردوا

انتهى ماسنح لي ذكره من درر السمط وهو كتاب غاية في بابه ولم أورد منه غير ماذكرته لان في الباقي ماتشم منه رائحة التشيع والله سبحانه يسامحه بمنه وكرمه ولطفه (رجع) الى ما كنا بصدده فنقول قد ذكرنا في الباب الثاني رسالة أبي المطرف بن عميرة الى أبي جعفر بن أمية وهي

والله ان لساني لحديد وان جوابي ٦٠٤ لعتيد وان قولي لسديد وان أنصاري لشهود فقام معاوية وتفرق القوم ولعبد الله بن جعفر بن أبي طالب أخبار حسان في الجود والكرم وغير ذلك من المناقب وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما كان تزوج الحجاج اليه يتذلل بذلك الى أبي طالب وكتب الحجاج الى عبد الملك يغلظ له أمر الخوارج مع قطري فكتب اليه أما بعد فاني أحمد اليك السيف وأوصيك بما أوصى به البكري زيدا فلم يفهم الحجاج ما عناه عبد الملك وقال من جاء بتفسير ما أوصى به البكري زيدا فله عشرة آلاف درهم فورد رجل من الحجاز يتظلم من بعض عماله فقيل له أتعلم ما أوصى به البكري زيدا قال نعم قال فأت الحجاج به ولك عشرة آلاف درهم فاتاه فاحضره فقال أوصاه بان قال

أقول لزيد لا تبر فانهم * يرون المنايا دون قتلك اوقتلي
فان وضعوا حربا فضعها وان أبوا * فشب وقود الحرب بالحطب الجزل
وان عضت الحرب الضروس بنابها * فعرضة حد السيف مثلك اومثلي

فقال الحجاج صدق أمير المؤمنين مشتملة

مشتملة على التلهف على الجزيرة الاندلسية حين أخذ العدو بلنسية وظهرت له مخايل الاستيلاء على ما بقي من الاندلس فراجعها فيما سبق وان كان التناسب التام في ذكرها هنا فالمناسبة هنالك حاصلة أيضا والله سبحانه الموفق وذكرنا هنالك أيضا جملة غيرها من كلامه رحمه الله تعالى تتعلق بهذا المعنى وغيره فلتراجع ثمة * ورأيت أن أثبت هنا ما رأيته بخط الاديب الكاتب الحافظ المؤرخ أبي عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي نزيل تلمسان رحمه الله تعالى ما صورته حدثني الفقيه العدل سيدي حسن بن القائد الزعيم الافضل سيدي ابراهيم العراف انه حضر مرة لانزال الطلسم المعروف بفروج الرواح من العلية بالقصبة القديمة من غرناطة بسبب البناء والاصلاح وانه عاينه من سبعة معادن مكتوبا فيه

ايوان غرناطة الغراء معتبر * طلسمه بولاة الحال دوار
وفارس روحه ريح تدبره * من الجماد ولكن فيه أسرار
فسوف يبقى قليلا ثم تطرقه * دهياء يخرب منها الملك والدار

انتهى * وقد صدق قائل هذه الابيات فانه طرقت الدهياء ذلك القطر الذي ليس له في الحسن مثال ونسل الخطب اليه من كل حدب وانثال وكل ذلك من اختلاف رؤسائه وكبرائه ومقدميه وقضاته وأمرائه ووزرائه فكل يروم الرياسة لنفسه ويجر نارها لقرصه والنصارى لعنهم الله تعالى يضربون بينهم بالخداع والمكر والكيد ويضربون عمرا منهم بزيد حتى تمكنوا من أخذ البلاد والاستيلاء على الطارف والتلاد قال الرئيس القاضي العلامة الكاتب الوزير أبو يحيى بن عاصم رحمه الله تعالى في كتابه جنة الرضا في التسليم لما قدر الله تعالى وقضى ما صورته محل الحاجة منه ومن استقرأ التواريخ المنصوصه وأخبار الملوك المقصوصه علم أن النصارى دمرهم الله تعالى لم يدركوا في المسلمين ثارا ولم يرحضوا عن أنفسهم عارا ولم يخربوا من الجزيرة منازل وديارا ولم يستولوا عليها بلادا جامعة وامصارا الا بعد تمكينهم لاسباب الخلاف واجتهادهم في وقوع الافتراق بين المسلمين والاختلاف وتضريبهم بالمكر والخديعة بين ملوك الجزيره وتحريشهم بالكيد والخلابة بين حماتها في الفتن المبيره ومهما كانت الكلمة مؤتلفه والآراء لا مفترقة ولا مختلفه والعلماء بمعاناة اتفاق القلوب الى الله مزدلفه فالحرب اذ ذاك سجال ولله تعالى في اقامة الجهاد في سبيله رجال وللممانعة في غرض المدافعة ميدان رحب ومجال وروية وارتجال الى أن قال وتطاولت الايام ما بين مهادنة ومقاطعه ومضاربة ومقارعه ومنازلة ومنازعه وموافقة وممانعه ومحاربة وموادعه ولا أمل للطاغية الا في التمرس بالاسلام والمسلمين واعمال الحيلة على المؤمنين واضمار المكيدة للموحدين واستبطان الخديعة للمجاهدين وهو يظهر انه ساع للوطن في العاقبة الحسنى وانه منطو لاهله على المقصد الاسنى ومهتم برعاة أمورهم وناظر بنظر المصلحة لخاصتهم وجمهورهم وهو يسر حسوا في ارتغائه ويعمل الحيلة في التماس هلاك الوطن وابتغائه فبالعقول تقبل مثل هذا المحال وتصدق هذا الكذب بوجه او بحال وليت المغرور الذي يقبل هذا لو فكر في نفسه وعرض هذا المسموع على

وصدق البكري وكتب الى المهلب ان أمير المؤمنين أوصاني بما أوصى به البكري زيدا وأنا أوصيك به وبما أوصى به الحرث بن كعب بنيه فاتى المهلب بوصيته فاذا فيها يا بني كونوا جميعا ولا تكونوا شتى فتفرقوا وبروا قبل أن تبروا فموت في قوة وعز خير من ذل وعجز فقال المهلب صدق البكري والحرث بن كعب وكتب عبد الملك الى الحجاج جنبني دماء آل أبي طالب فاني رأيت الموت استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم فكان الحجاج يجتنبها خوفا من زوال الملك عنهم لا خوفا من الخالق عز وجل ودخلت ليلى الاخيلية على الحجاج فقالت أصلح الله الامير أتيت اخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد قال فاخبريني عن الارض قالت مقشعرة والفجاج مغبرة والمقتر مقل وذو الغنى مجل والبائس مقل والناس مسنتون رحمة الله يرجون قال أي النساء تختارين تنزلين عندها قالت سمهن لي قال عندي هند بنت المهلب وهند بنت أسماء بن خارجة فاختارتها فدخلت عليها فصبت حليها عليها حتى أثقلتها لاختيارها اياها ودخولها عليها دون من سواها (حدثنا) المنقري قال حدثنا العتبي عن أبيه قال قدم على الحجاج ابن عم له من البادية فنظر اليه يولي الناس

مدركات حسه وراجع أوّليات عقله وتجربيات حدسه وقاس عدوه الذى لا ترجى مودته على أبناء جنسه فانا أناشده الله هل بات قط بصالح النصارى وسلطانهم مهتما وأصبح من خطب طرقهم مغتما ونظر لهم نظر المفكر فى العاقبة الحسنه أو قصد لهم قصد المدبر فى المعيشة المستحسنه أو خطر على قلبه أن يحفظ فى سبيل القربة اربابهم وصلبانهم أو عمر ضميره من تمكين عزهم بما ترضاه أحبارهم ورهبانهم فان لم يكن ممن يدين بدينهم الخبيث ولم يشرب قلبه حب التثليث ويكون صادق اللهجه منصفا عند قيام الحجه فسيعترف أن ذلك لم يخطر له قط على خاطر ولا مر له ببال وان عكس ذلك هو الذى كان به ذا اغتباط وبفعله ذا اهتبال وان نسب لذلك المعنى فهو عليه أثقل من الجبال وأشد على قلبه من وقع النبال هذا وعقده التوحيد وصلاته التحميد وملته الغراء وشريعته البيضاء ودينه الحنيف القويم ونبيه الرؤف الرحيم وكتابه القرآن الحكيم ومطلوبه بالهداية الصراط المستقيم فكيف نعتقد هذه المريبة الكبرى والمنقبة الشهرى لمن عقده التثليث ودينه المليث ومعبوده الصليب وتسميته التصليب وملته المنسوخة وقضيته المفسوخة وختامه التغطيس وغافر ذنبه القسيس وربه عيسى المسيح ورأيه ليس البين ولا الصحيح وأن ذلك الرب قد ضرج بالدماء وسقى الخل عوض الماء وأن اليهود قتلته مصلوبا وأدركته مطلوبا وقهرته مغلوبا وأنه جزع من الموت وخاف الى سوى ذلك مما يناسب هذه الاقاويل السخاف فكيف يرجى من هؤلاء الكفرة من الخير مقدار الذره أو يطمع منهم فى جلب المنفعة أو دفع المضره اللهم احفظ علينا العقل والدين واسلك بنا سبيل المهتدين ثم قال بعد كلام ما صورته كانت خزانة هذه الدار النصرية مشتملة على كل نفيسة من الياقوت ويتيمة من الجوهر وفريدة من الزمرذ وثمينة من الفيروزج وعلى كل واق من الدروع وحام من العدّة وماض من الاسلحة وفاخر من الآلة ونادر من الامتعة فن عقود وفذة وسلوك جمة وأقراط تفضل على قرطى مارية نفاسة فائقة وحسنا رائقا ومن سيوف شواذ بالابداع غرائب فى الاعجاب منسوبات الصفائح فى الطبع خالصات الحلى من التبر ومن دروع مقدّرة السرد متلاحمة النسج واقية للناس فى يوم الحرب مشهورة النسبة الى داود نبى الله ومن جواشن سابغة اللبسة ذهبية الحلية هندية الضرب ديباجية الثوب ومن بيضات عسجدية الطرق جوهرية التنضيد زبرجدية التقسيم ياقوتية المركز ومن مناطق لجينية الصوغ عريضة الشكل مزججة الصفح ومن درق لمطية مصمتة المسام لينة المجسة معروفة المنعة صافية الاديم ومن قسى ناصعة الصبغة هلالية الخلقة منعطفة الجوانب زارية بالحواجب الى آلات فاخرة من أوتار نحياسية ومنائر بلورية وطيافير دمشقية ٣ وسبحات زجاجية وصحاف صينية وأكواب عراقية وأقداح طباشيرية وسوى ذلك مما لا يحيط به الوصف ولا يستوفيه العد وكل ذلك انتهبه شواظ الفتنة والتقمه تيار الخلاف والفرقة فرزئت الدار منه بما يتعذر اتيان الدهور بمثله وتقصر ديار الملوك المؤثلة النعمة عن بعضه فضلا عن كله انتهى كلامه رحمه الله تعالى (رجع) ولما أخذت قواعد الاندلس مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها انحاز أهل

الاسلام

فقال له أيها الامير لم لا تولينى بعض هذا الحضر فقال الحجاج هؤلاء يكتبون ويحسبون وأنت لا تحسب ولا تكتب فغضب الاعرابى وقال بلى انى والله لاحسب منهم حسبا وأكتب منهم كتبا فقال له الحجاج فان كان كما تزعم فاقسم ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس فما زال يقول ثلاثة دراهم بين أربعة ثلاثة بين أربعة لكل واحد منهم درهم يبقى الرابع بلاشئ كم هم أيها الامير قال هم أربعة قال نعم أيها الامير قد وقفت على الحساب لكل واحد منهم درهم وأنا أعطى الرابع منهم درهما من عندى وضرب بيده الى تكته فاستخرج منها درهما وقال أيكم الرابع فلاها الله ما رأيت كاليوم دز أمثل حساب هؤلاء الحضريين فضحك الحجاج ومن معه فذهب بهم الضحك كل مذهب ثم قال الحجاج ان أهل أصبهان كسروا خراجهم ثلاث سنين كلما أتاهم وال عجزوه فلا رمينهم ببدويه هذا وعجهيته فأخلق به أن ينجب فكتب له عهده على أصبهان فلما خرج استقبله أهل أصبهان واستبشروا به وأقبلوا عليه يقبلون يده ورجله وقد استغمروه وقالوا أعرابى بدوى ما يكون منه فلما أكثروا عليه قال اعنوا على أنفسكم وتقبيلكم أطرافى وأخواعى هذه الهيآت أما يشغلكم

الاسلام الى غرناطة والمرية ومالقة ونحوها وضاق الملك بعد اتساعه وصار تنين العدو يلتقم كل وقت بلدا أو حصنا ويهصر من دوح تلك البلاد غصنا وملك هذا النزر اليسير الباقي من الجزيرة ملوك بني الاحمر فلم يزالوا مع العدو في تعب وممارسة كما ذكره ابن عاصم قريبا وربما أنجدوا في الكفار كما علم في أخبارهم وانتصروا بملوك فاس بني مرين في بعض الاحايين ولما قصد ملوك الافرنج السبعة في المائة الثامنة غرناطة ليأخذوها اتفق أهلها على أن يبعثوا لصاحب المغرب من بني مرين يستنجدونه وعينوا للرسالة الشيخ أبا اسحق بن أبي العاصي والشيخ أبا عبد الله الطنجالي والشيخ ابن الزيات البلشي نفع الله تعالى بهم ثم بعد سفرهم نازل الافرنج غرناطة بخمسة وثلاثين ألف فارس ونحو مائة ألف راجل مقاتل ولم يوافقهم سلطان المغرب فقضى الله تعالى ببركة المشايخ الثلاثة أن كسر النصارى في الساعة التي كسر خواطرهم فيها صاحب المغرب وظهرت في ذلك كرامة لسيدي أبي عبد الله الطنجالي رحمه الله تعالى ثم ان بني الاحمر ملوك الاندلس الباقية بعد استيلاء الكفار على الجل كانوا في جهاد وجلاد في غالب أوقاتهم ولم يزل ذلك شأنهم حتى أدرك دولتهم الهرم الذي يلحق الدول فلما كان زمان السلطان أبي الحسن علي بن سعد النصري الغالبي الاحمري واجتمعت الكلمة عليه بعد أن كان أخوه أبو عبد الله محمد بن سعد المدعو بالزغل قد بويع بمالقة بعد أن جاء به بعض القواد من عند النصارى وبقي بمالقة برهة من الزمان ثم ذهب الى أخيه وبقي من بمالقة من القواد والرؤساء فوضى وآل الحال الى أن قامت مالقة بدعوة السلطان أبي الحسن وانقضت الفتنة واستقل السلطان أبو الحسن بملك ما بقي بيد المسلمين من بلاد الاندلس وجاهد المشركين وافتتح عدة أماكن ولاحت له بارقة الكرة على العدو الكافر وخافوه وطلبوا هدنته وكثرت جيوشه فأجمع على عرضها كلها بين يديه وأعد لذلك مجلسا أقيم له بناؤه خارج الحمراء قلعة غرناطة وكان ابتداء هذا العرض يوم الثلاثاء تاسع عشر الحجة عام اثنين وثمانين وثمانمائة ولم تزل الجنود تعرض عليه كل يوم الى الثاني والعشرين من محرم السنة التي تليها وهو يوم ختام العرض وكان معظم المتنزهين والمتفرجين بالسبيكة وما قارب ذلك فبعث الله تعالى سيلا عرما على وادي حدره بحجارة وماء غزير كأفواه القرب عقابا من الله سبحانه وتأديبا لهم لمجاهرتهم بالفسق والمنكر واحتمل الوادي ما على حافتيه من المدينة من حوانيت ودور ومعاصر وفنادق وأسواق وقناطر وحدائق وبلغ تيار السيل الى رحبة الجامع الاعظم ولم يسمع بمثل هذا السيل في تلك البلاد وكان بين رؤساء الافرنج في ذلك الوقت اختلاف فبعضهم استقل بملك قرطبة وبعض باشبيلية وبعض بشريش وعلى ذلك كان صاحب غرناطة السلطان أبو الحسن قد استرسل في اللذات وركن الى الراحات وأضاع الاجناد وأسند الامر الى بعض وزرائه واحتجب عن الناس ورفض الجهاد والنظر في الملك ليقضي الله تعالى ما شاء وكثرت المظالم والمغارم فأنكر الخاصة والعامة ذلك منه وكان أيضا قد قتل كبار القواد وهو يظن أن النصارى لا يغزون بعد البلاد ولا تنقضي بينهم الفتنة ولا ينقطع الفساد واتفق أن صاحب قشتالة تغلب على بلادها بعد حروب وانقاد له رؤساء الشرك المخالفون ووجدت النصارى السبيل الى الافساد والطريق الى

ما أخرجني له الامير فلما استقر في داره باصبهان جمع أهلها فقال ما لكم تعصون ربكم وتغضبون أميركم وتنقصون خراجكم فقال قائلهم جور من كان قبلك وظلم من قال فما الامر الذي فيه صلاحكم فقالوا تؤخرنا بالخراج ثمانية أشهر ونجمعه لك قال لكم عشرة وتأتوني بعشرة ضمناء يضمنون فأتوه بهم فلما توثق منهم أمهلهم فلما قرب الوقت رآهم غير مكترثين لما ندبوا من الاجل فقال لهم فلم ينتفع بقوله فلما طال به ذلك جمع الضمناء وقال لهم المال فقالوا أصابنا من الآفة ما نقض ذلك فلما رأى ذلك منهم آلى أن لا يفطر وكان في شهر رمضان حتى يجمع ماله أو يضرب أعناقهم ثم قدم أحدهم فضرب عنقه وكتب عليه فلان ابن فلان أدى ما عليه وجعل رأسه في بدرة وختم عليها ثم قدم الثاني ففعل به مثل ذلك فلما رأى القوم الرؤس تبدر وتجعل في الاكياس بدلا من البدر قالوا أيها الامير توقف علينا حتى نحضر لك المال ففعل فأحضروه في أسرع وقت فبلغ ذلك الحجاج فقال انا معاشر آل محمد يعني جده ولدنا نجيب فكيف رأيتم فراستي في الاعرابي ولم يزل عليها واليا حتى مات الحجاج وحبس الحجاج ابراهيم التميمي بواسط فلما دخل السجن وقف على مكان مشرف ونادى بأعلى صوته

الاستيلاء على البلاد وذلك أنه كان للسلطان أبي الحسن ولدان محمد ويوسف وهما من بنت عمه السلطان أبي عبد الله الأيسر وكان قد اصطفى على أمهما روميه كان لها منه بعض ذريه وكانت حظيه عنده مقدمة في كل قضيه فخيف أن يقدم أولاد الروميه على أولاد بنت عمه السنيه وحدث بين خدام الدولة التنافر والتعصب لميل بعضهم الى أولاد الحرة وبعض الى أولاد الروميه وكان النصارى أيام الفتنة بينهم هادنوا السلطان لأمد حدوه وضربوه ولما تم أمد الصلح وافق وقته هذا الشان بين أولياء الدولة بسبب الاولاد وتشكى الناس مع ذلك بالوزراء والعمال لسوء ما عاملوا به الناس من الحيف والجور فلم يصغ اليهم وكثر الخلاف واشتد الخطب وطلب الناس تأخير الوزير وتفاقم الامر وصح عند النصارى لعنهم الله تعالى ضعف الدولة واختلاف القلوب فبادروا الى الحامة فأخذوها غدرا آخر أيام الصلح على يد صاحب قادس سنة سبع وثمانين وثمانمائة وغدوا القلعة وتحصنوا بها ثم شرعوا في أخذ البلد فملئوا الطرق خيلا ورجالا وبذلوا السيف فيمن ظهر من المسلمين ونهبوا الحريم والناس في غفلة نيام من غير استعداد كالسكارى فقتل من قضى الله تعالى بتمام أجله وهرب البعض وترك أولاده وحريمه واحتوى العدو على البلد بما فيه وخرج العامة والخاصة من أهل غرناطة عندما بلغهم العلم وكان النصارى عشرة آلاف بين ماش وفارس وكانوا عازمين على الخروج بما غنموه واذا بالسرعان من اهل غرناطة وصلوا فرجع العدو الى البلد فحاصرهم المسلمون وشددوا في ذلك ثم تكاثر المسلمون خيلا ورجالا من جميع بلاد الاندلس ونازلوا الحامة وطمعوا في منع الماء عن العدو وتبين للعامة أن الجند لم ينصحوا فأطلقوا ألسنتهم بأقبح الكلام فيهم وفي الوزير وبينما هم كذلك واذا بالنذير جاء ان النصارى أقبلوا في جمع عظيم لاغاثة من بالحامة من النصارى فاقلع جند المسلمين من الحامة وقصدوا ملاقاة الواردين من بلاد العدو ولما علم بهم العدو ولوا الادبار من غير ملاقاة محتجين بقلتهم وكان رئيسهم صاحب قرطبة * ثم ان صاحب اشبيلية جمع جندا عظيما من جيش النصارى الفرسان والرجال وأتى لنصرة من في الحامة من النصارى وعندما صح هذا عند العسكر اجتمعوا وأشاعوا عند الناس أنهم خرجوا بغير زاد ولا استعداد والصلاح الرجوع الى غرناطة ليستعد الناس ويأخذوا ما يحتاج اليه الحصار من العدة والعدد فعندما أقلع المسلمون عنها دخلها النصارى الواردون وتشاوروا في اخلائها أو سكناها واتفقوا على الاقامة بها وحصنوها وجعلوا فيها جميع ما يحتاج اليه وانصرف صاحب اشبيلية وترك اجناده وفرق فيهم الاموال ثم عاد المسلمون لحصارها وضيقوا عليها وطمعوا فيها من جهة موضع كان النصارى في غفلة عنه ودخل على النصارى جملة وافرة من المسلمين وخاب السعد بذلك بأن شعر بهم النصارى فعادوا عليهم وتردى بعضهم من أعلى الجبل وقتل أكثرهم وكانوا من أهل بسطة ووادي آش فانقطع أمل الناس من الحامة ووقع الاياس من ردها * وفي جمادى الاولى من السنة تواترت الاخبار أن صاحب قشتالة أتى في جنود لا تحصى ولا تحصر فاجتمع الناس بغرناطة وتكلموا في ذلك واذا به قد قصد لوشة ونازلها قصدا أن يضيفها الى الحامة وجاء بالعدة والعدد وأغارت على النصارى جملة من المسلمين فقتلوا من لحقوه وأخذوا جملة من

يا أهل بلاء الله في عافيته ويا أهل عافية الله في بلائه اصبروا فنادوه جميعا لبيك لبيك ومات في حبس الحجاج وانما كان الحجاج طلب ابراهيم النخعي فنجا ووقع ابراهيم التيمي (وحكي) عن الاعمش قال قلت لابراهيم النخعي أين كنت حين طلبك الحجاج فقال بحيث يقول الشاعر

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصوت انسان فكدت أطير

حدثنا الدمشقي الاموي أحمد بن سعيد وغيره عن الزبير بن بكار عن محمد بن سلام الجمحي وحدثنا الفضل بن الحباب الجمحي عن محمد بن سلام قال سأل الحجاج ابن القرية أي النساء أحمد قال التي في بطنها غلام وفي حجرها غلام ويسعى لها مع الغلمان غلام قال فأي النساء شر قال الشديدة الاذى الكثيرة الشكوى المخالفة لما تهوى فقال أي النساء أعجب اليك قال الشقاء العطبول المنعاج الكسول التي لم يشنها قصر ولا طول قال فأي النساء أبغض اليك قال الرعينة القصيرة الباهق الشريرة قال فأخبرني عن أفضل النساء قال الغضة البضة التي أعلاها قضيب وأسفلها كثيب اللعساء الورهاء التي لم تذهب طولا في انحطاط ولا تلحق قصرا في افراط الجعدة الغدائر الجشعة الظفائر

المدافع

المدافع الكبار ثم جاءت جماعة أخرى من أهل غرناطة وناوشوا النصارى فالجؤهم الى الخروج عن الخيام وأخذوها وغيرها فهرب النصارى وتركوا طعاما كثيرا وآلة ثقيلة وذلك فى السابع والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة * وفى هذا اليوم بعينه هرب الاميران أبو عبد الله محمد وأبو الحجاج يوسف خوفا من أبيهما أن يفتك بهما باشارة حظيته الرومية ثريا واستقرا بوادى آش وقامت بدعوتهما ثم بايعتهما تلك البلاد المرية وبسطة وغرناطة وهرب أبوهما السلطان أبو الحسن الى مالقة * وفى صفر سنة ثمان وثمانين وثمانمائة اجتمع جميع رؤساء النصارى وقصدوا قرى مالقة وبلش فى نحو الثمانية آلاف وفيهم صاحب اشبيلية وصاحب شريش وصاحب استجة وصاحب النقيرة وغيرهم فلم يتمكنوا من أخذ حصن ونشبوا فى أوعار ومضايق وخنادق وجبال واجتمع عليهم أهل بلش ومالقة وصار المسلمون ينالون منهم فى كل محل حتى بلغوا مالقة ففر كبيرهم ومن بقى أسر أوقتل وكان السلطان أبو الحسن فى ذلك الوقت قد تحرك لنواحى المنكب وبقى أخوه أبو عبد الله بمالقة ومعه بعض الجند وقتل من النصارى فى هذه الوقعة نحو ثلاثة آلاف وأسر نحو ألفين من جملتها خال السلطان وصاحب اشبيلية وصاحب شريش وصاحب النقيرة وغيرهم وهم نحو الثلاثين من الاكابر وغنم المسلمون غنيمة وافرة من الانفس والاموال والعدة والذهب والفضة وبعقب ذلك سافر أهل مالقة لبلاد النصارى فكسروا هنالك كسرة شنيعة قتل فيها أكثر قوّاد غرب الاندلس * ولما استقر السلطان أبو عبد الله ابن السلطان أبى الحسن بغرناطة وطاعت له البلاد غير مالقة والغربية تحرك السلطان أبو الحسن على المنكب ونواحيها وأتى ابنه السلطان أبو عبد الله فى جند غرناطة والجهة الشرقية والتقوا فى موضع يعرف بالدب فكسر السلطان أبو عبد الله * ولما سمع السلطان أبو عبد الله صاحب غرناطة بان عمه بمالقة غنم من النصارى أعمل السفر للغزو باهل بلاده من غرناطة والشرقية وذلك فى ربيع الاول من السنة الى أن بلغ نواحى لشانة وقتل وأسر وغنم فتجمعت عليه النصارى من جميع تلك النواحى ومعه كبير قبرة وحالوا بين المسلمين وبلادهم فى جبال وأوعار فانكسر الجند واسر من الناس كثير وقتل آخرون وكان فى جملة من اسر السلطان أبو عبد الله ولم يعرف ثم علم به صاحب لشانة وأراد صاحب قبرة أن يأخذه منه فهرب به ليلا وبلغه الى صاحب قشتالة ونال بذلك عنده رفعة على جميع القوّاد وتفاءل به فقلما توجه لجهة أو بعث سرية الا وبعثه فيها * ولما اسر السلطان أبو عبد الله اجتمع كبراء غرناطة وأعيان الاندلس وذهبوا لمالقة للسلطان أبى الحسن وذهبوا به لغرناطة وبايعوه مع انه كان اصابه مثل الصرع الى أن ذهب بصره وأصابه ضرر ولما تعذر أمره قدم اخاه اباعبد الله وخلع له نفسه ونزل بالمنكب فاقام بها الى أن مات واستقل أخوه ابو عبد الله المعروف بالزغل بالملك بعده * وأما أبو عبد الله ابن السلطان أبى الحسن فهو فى اسر العدو * وفى شهر ربيع الآخر من سنة تسعين وثمانمائة خرج العدو فى قوة الى نواحى مالقة بعد أن كان فى السنة قبلها استولى على حصون فاستولى هذه السنة على بعض الحصون وقد ذكوان فهد أسوارها وكان بها جملة من اهل الغربية ورندة ودخل ألف مدرع ذكوان عنوة فاظفر الله تعالى بهم أهل ذكوان

النخمة الماكم الطفلة البراجم اذا رأيت أناملها شبهتها بالمدارى واذا قامت خلتها سارية من السوارى فتلك تهيج المشتاق وتحيى العاشق بالعناق (قال المسعودى) وللوليد بن عبد الملك أخبار حسان لما كان فى أيامه من الكوائن والحروب وكذلك الحجاج وقد أتينا على كثير من مبسوطها فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب مالم نورده فى ذينك الكتابين كما أن ماذكرناه فى الكتاب الاوسط لم نورده فى كتاب أخبار الزمان والله أعلم

(ذكر أيام سليمان بن عبد الملك)

بويع سليمان بن عبد الملك بدمشق فى اليوم الذى كانت فيه وفاة الوليد وذلك يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين من الهجرة وتوفى سليمان بمرج دابق من أعمال جبل قنسرين يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال وهلك وهو ابن تسع وثلاثين سنة وعهد الى عمر بن عبد العزيز وقيل ان وفاة سليمان كانت يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وان ولايته سنتان وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما على حسب ماوجدنا من

فقتلوهم جميعا ثم طلبوا الامان وخرجوا * ثم انتقل فى جمادى الاولى الى رندة وحاصرها وكان أهلها خرجوا الى نصرة ذكوان وسواها فحاصر رندة وهدّ اسوارها وخرج أهلها على الامان وطاعت له جميع تلك البلاد ولم يبق بغربى مالقة الامن دخل فى طاعة الكافر وتحت ذمته وضيق بمالقة وفرق حصصه على بعض الحصون ليحاصر مالقة وعاد الى بلاده * وفى تاسع عشر شعبان من العام سافر صاحب غرناطة لتحصين بعض البلاد وبينما هو كذلك اذا بالخبر جاءه ان محلة العدو خارجة لذلك الحصن * وفى صبيحة الثانى والعشرين من شعبان أصبحت جنود النصارى على الحصن كانوا قد سروا اليه ليلا وأصبحوا عند الفجر مع جند المسلمين فقاتلهم المسلمون من غير تعبية فاختل نظام المسلمين ووصل النصارى الى خباء السلطان ثم التحم القتال واشتد وقوى الله تعالى المسلمين فهزموا النصارى شر هزيمة وقتل منهم خلائق وقصر المسلمون خوفا من محلة سلطان النصارى اذ كانت قادمة فى اثر هذه ولما رجعت اليهم الفلول رجعوا القهقرى واستولى المسلمون على غنائم كثيرة وآلات وجعلوا ذلك كله بالحصن ولم يحدث شئ بعد الى رمضان فتوجه الكافر لحصن قبيل ونازله وهدّ أسواره ولما رأى المسلمون أن الحصن قد دخل طلبوا الامان وخرجوا بأموالهم وأولادهم مؤمنين وفر الناس من تلك المواضع من البراجلة هاربين واستولى العدو على عدة حصون مثل مشاقر وحصن اللوز وضيق العدو بجميع بلاد المسلمين ولم يتوجه لناحية الا استأصلها ولا قصد جهة الا أطاعته وحصلها ثم ان العدو دبر الحيلة مع ماهو عليه من القوة فبعث الى السلطان أبى عبد الله الذى تحت أسره وكساه ووعده بكل ما يتمناه وصرفه لشرقى بسطة وأعطاه المال والرجال ووعده أن من دخل تحت حكمه من المسلمين وبايعه من أهل البلاد فانه فى الهدنة والصلح والعهد والميثاق الواقع بين السلاطين وخرج لبلش فأطاعه أهلها ودخلت باش فى طاعته ونودى بالصلح فى الاسواق وصرخت به فى تلك البلاد الشياطين وسرى هذا الامر حتى بلغ أرض البيازين من غرناطة وكانوا من التعصب وحمية الجاهلية والجهل بالمقام الذى لا يخفى وتبعهم بعض المفسدين المحبين تفريق كلمة المسلمين وممن مال الى الصلح عامة غرناطة لضعف الدولة ووسوس للناس شياطين الفتنة وسماسرتها بتقبيح وتحسين الى أن قام ربض البيازين بدعوة السلطان الذى كان مأسورا عند المشركين ووقعت فتنة عظيمة فى غرناطة نقسم بها بين المسلمين لما أراده الله تعالى من استيلاء العدو على تلك الاقطار ورجموا البيازين بالحجارة من القلعة وعظم الخطب وكانت الثورة ثالث شهر ربيع الاول عام أحد وتسعين وثمانمائة ودامت الفتنة الى منتصف جمادى الاولى من العام وبلغ الخبر أن السلطان الذى قاموا بدعوته قدم على لوشة ودخلها على وجه رجاء الصلح بينه وبين عمه الزغل صاحب قلعة غرناطة بأن العم يكون له الملك وابن أخيه تحت ايالته بلوشة أو بأى المواضع أحب ويكونون يدا واحدة على عدو الدين وبينما هم كذلك اذا بصاحب قشتالة قد خرج بجند عظيم ومحلة قوية وعدد وعدد ونازل لوشة حيث السلطان أبو عبد الله الذى كان أسيرا وضيق عليها الحصار وقد كان دخلها جماعة من أهل البيازين بنية الجهاد والمعاضدة وليهم وخاف أهل غرناطة وسواها من أن يكون ذلك حيلة فلم يأت لنصرتهم غير

البيازين

تباين مافى كتب التواريخ والسير وسنذكر جمل أيامهم فى باب نفرده فيما يرد من هذا الكتاب وقد تنوزع فى مقدار سن سليمان فذكر بعضهم أنه قبض وهو ابن خمس وأربعين ومنهم من زعم انه كان ابن ثلاث وخمسين وقد قدمنا قول من قال انه قبض وهو ابن تسع وثلاثين ووجدت أكثر شيوخ بنى مروان من ولده ولد غيره بدمشق وغيرها يذهبون الى انه كان ابن تسع وثلاثين والله أعلم

(ذكر لمع من أخباره وسيره)

لما أفضى الامر الى سليمان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال الحمد لله الذى ما شاء صنع وما شاء أعطى وما شاء منع وما شاء رفع وما شاء وضع أيها الناس ان الدنيا غرور وباطل وزينة وتقلب بأهلها تضحك باكيها وتبكى ضاحكها وتخيف آمنها وتؤمن خائفها وتثرى فقيرها وتفقر مثريها ميالة بأهلها عباد الله اتخذوا كتاب الله اماما وارضوا به حكما واجعلوه لكم هاديا ودليلا فانه ناسخ ما قبله ولا ينسخه ما بعده واعلموا عباد الله أنه ينفى عنكم كيد الشيطان ومطامعه كما يجلو ضوء الشمس الصبح اذا أسفر وادبار الليل اذا عسعس ثم نزل وأذن للناس بالدخول عليه وأقر عمال من كان قبله

البيازين واشتد عليهم الحصار وكثرت الاقاويل وصرخت الالسن بان ذلك باتفاق بين السلطان الماسور وصاحب قشتالة ودخل على أهل لوشة فى ربضهم وخافوا من الاستئصال فطلبوا الامان فى أموالهم وأنفسهم وأهليهم فوفى لهم صاحب قشتالة بذلك وأخذ البلد فى السادس والعشرين لجمادى الاولى سنة احدى وتسعين وهى أعنى لوشة كانت بلد سلف الوزير لسان الدين بن الخطيب كما ذكرناه مستوفى فى غير هذا الموضع وهاجر أهل لوشة الى غرناطة وبقى السلطان أبو عبد الله الذى كان ماسورا مع النصرانى بلوشة فصرح عند ذلك أهل غرناطة بانه ما جاء للوشة الا ليدخل اليها العدو الكافر ويجعلها فداء له وقيل انه سرح له حينئذ ابنه اذ كان مرهونا فى الفداء وكثر القيل والقال بينهم وبين أهل البيازين فى ذلك وظهر بذلك ما كان كامنا فى القلوب ثم رجع صاحب قشتالة الى بلاده ومعه السلطان المذكور وفى نصف جمادى الثانية خرج الى البيرة فهد بعض الاسوار وتوعد الناس فاعطاه أهله الحصن على الامان فخرجوا وقدموا على غرناطة ثم فعل بحصن التلين مثل ذلك وقاتلوا قتالا شديدا ولما ضاقوا ذرعا أعطوه بالمقادة على الامان فخرجوا الى غرناطة وأطاع أهل قلنبيرة من غير قتال فخرجوا الى غرناطة ثم وصل العدو الى متن فريد فرمى عليهم بالمحرقات وغيرها وأحرق دار العدة فطلبوا الامان وخرجوا الى غرناطة وانتقل للصخرة فاخذها وحصن هذه الحصون كلها وشحنها بالرجال والعدة ورتب فيها الخيل لمحاصرة غرناطة ثم عاد الكافر لبلاده وتعاهد مع السلطان الذى فى أسره بأن من دخل فى حكمه وتحت أمره فهو فى الامان التام وأشاعوا أن ذلك بسبب فتنة وقعت بينه وبين صاحب افرنسية فخرج لبلش وأطاعته ثم بعث لمن والاه من البلاد انه أتى بصلح صحيح وعقد وثيق وأن من دخل تحت أمره امن من حركة النصارى عليه وأن معه وثائق بخطوط السلاطين فلم يقبل الناس ذلك الا القليل منهم مثل أهل البيازين فلهجوا بهذا الصلح وأقاموا على صحته الدلائل وتكلموا فى أهل غرناطة بالكلام القبيح مع تمكن الفتنة والعداوة فى القلوب فبعث له أهل البيازين انه اذا قدم بهذه الحجج لتلك الجهات اتبعه الناس وقاموا بدعوته من غير التباس فاتى على حين غفلة ولم يكن يظن اتيانه بنفسه فاتى البيازين ودخلها ونادى فى أسواقها بالصلح التام الصحيح فلم يقبل ذلك منه أهل غرناطة وقالوا ما بعهد لوشة من قدم ودخل ربض البيازين بالرجال سادس عشر شوّال سنة احدى وتسعين وثمانمائة وعمه بالحمراء وانتقل للقلعة واشتد أمر الفتنة ثم ان صاحب قشتالة أمد صاحب البيازين بالرجال والعدة والمال والقمح والبارود وغيرها واشتد أمره بذلك وعظمت أسباب الفتنة وفشا فى الناس القتل والنهب ولم يزل الامر كذلك الى السابع والعشرين من محرم سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة فعزم أهل غرناطة مع سلطانهم على الدخول على البيازين عنوة وتكلم أهل العلم فيمن انتصر بالنصارى ووجوب مدافعته ومن أطاعه عصى الله ورسوله ودخلوا على أهل البيازين دخولا فشل ثم ان صاحب غرناطة بعث الى الاجناد والقوّاد من أهل بسطة ووادى آش والمرية والمنكب وبلش ومالقة وجميع الاقطار وتجمعوا بغرناطة وتعاهدوا وتحالفوا على ان يدهم واحدة على أعداء الدين ونصره من قصده العدو من المسلمين وخاف صاحب البيازين فبعث لصاحب قشتالة فى

على أعمالهم وأقر خالد بن عبد الله القسرى على مكة وقد كان خالد أحدث بمكة أحداثا منها انه أدار الصفوف حول الكعبة وقد كان قبل ذلك صفوف الناس فى الصلاة بخلاف ذلك وبلغه قول الشاعر

يا حبذا الموسم من موقف
وحبذا الكعبة من مسجد
وحبذا اللاتى تزاحمنا
عند استلام الحجر الاسود

فقال خالد أما انهن لا يزاحمنك بعدها أبدا ثم أمر بالتفريق بين الرجال والنساء فى الطواف وكان سليمان صاحب أكل كثير يجوز المقدار وكان يلبس الثياب الرقاق وثياب الوشى وفى أيامه عمل الوشى الجيد باليمن والكوفة والاسكندرية ولبس الناس جميعا الوشى جبابا وأردية وسراويل وعمائم وقلانس وكان لا يدخل عليه رجل من أهل بيته الا فى الوشى وكذلك عماله وأصحابه ومن فى داره وكان لباسه فى ركوبه وجلوسه وعلى المنبر وكان لا يدخل عليه أحد من خدامه الا فى الوشى حتى الطباخ فانه كان يدخل اليه فى صدره وشى وعلى رأسه طويلة وشى وأمر أن يكفن فى الوشى المثقلة وكان شبعه فى كل يوم من الطعام مائة رطل بالعراقى وكان ربما أتاه الطباخون بالسفافيد التى فيها الدجاج المشوية وعليه الوشى المثقلة فلنهمه وحرصه

ذلك فخرج بمحلته قاصدا نواحى بلش وكان صاحب البيازين بعث وزيره الى ناحية مالقة والى حصن المنشأة يذكر ويخوف ومعه النسخة من عقود الصلح فقامت مالقة وحصن المنشأة بدعوته ودخلوا فى ايالته خوفا من صاحب قشتالة وصولته وطمعا فى الصلح وصحته ثم اجتمع كبار مالقة مع أهل بلش وذكروا لهم سبب دخولهم فى هذه الدعوة والسبب الحامل لهم على ذلك فلم يرجع أهل بلش عما عاهدوا عليه أهل غرناطة وسائر الاندلس من العهود والمواثيق وخرج صاحب قشتالة قاصدا بلش مالقة ونزل عليها فى ربيع الثانى سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وحاصرها ولما صح عند صاحب غرناطة ذلك اجتمع بالناس فاشاروا بالمسير لاغاثة بلش للعهد الذى عقدوه وأتى أهل وادى آش وغيرها وحشود البشرات وخرج صاحب غرناطة منها فى الرابع والعشرين لربيع الثانى من السنة ووصل بلش فوجد العدو نازلا عليها برا وبحرا فنزل بجبل هنالك وكثر لغط الناس وحملوا على النصارى من غير تعبية وحين حركتهم للحملة بلغ السلطان الزغل أن غرناطة بايعت صاحب البيازين فالتقوا مع النصارى فشلين وقبل الالتحام انهزموا وتبددت جموعهم مع كون النصارى خائفين وجلين منهم ولاحول ولاقوة الا بالله فرجعوا منهزمين وقد شاع عند الخواص ثورة غرناطة على السلطان فقصدوا وادى آش وعاد النصارى الى بلش بعد أن كانوا بيتوا جيوشهم للقاء السلطان وأهل غرناطة فلما عادوا الى بلش دخلوا عنوة ربضها وضيقوا بها وكانت ثورة غرناطة خامس جمادى الاولى ولما رأى أهل بلش تكالب العدو عليهم وادبار جيوش المسلمين عنهم طلبوا الامان فخرجوا يوم الجمعة عاشر جمادى الاولى من السنة وأطاعت النصارى جميع البلاد التى بشرقى مالقة وحصن قمارش ثم انتقل العدو الى حصار مالقة وكان أهل مالقة قد دخلوا فى الصلح وأطاعوا صاحب البيازين وأتى اليها النصارى بالميرة ولما نزل بلش بعثوا هدية لصاحب قشتالة مع قائدهم وزير صاحب البيازين وقائد شريش الذى كان مأسورا عندهم فلم يلتفت اليهم صاحب قشتالة لقيام جبل فاره وهو حصن مالقة بدعوة صاحب وادى آش وارتحل صاحب قشتالة الى مالقة ونازلها برا وبحرا وقاتله أهلها قتالا عظيما بعد دافعهم وعدتهم وخيلهم ورجلهم وطال الحصار حتى أداروا على مالقة من البر الخنادق والسور والاجفان من البحر ومنع الداخل اليها ولم يدخلها غير جماعة من المرابطين حال الحصار وحاربوا حربا شديدا وقربوا المدافع ودخلوا الارباض وضيقوا عليهم بالحصار الى أن فنى ما عندهم من الطعام فاكلوا المواشى والخيل والحمير وبعثوا الكتب للعدوتين وهم طامعون فى الاغاثة فلم يأت اليهم أحد وأثر فيهم الجوع وفشا فى أهل نجدتهم القتل ولم يظهر وامع ذلك هلعا ولا ضعفا الى أن ضعف حالهم ويئسوا من ناصر أو مغيث من البر والبحر فتكلموا مع النصارى فى الامان كما وقع ممن سواهم فعوتبوا على ما صدر منهم وما وقع من الجفاء وقيل لهم لما تحقق العدو التعاهم تؤمنون من الموت وتعطون مفتاح القلعة والحصن والسلطان ما يعاملكم الا بالخير اذا فعلتم وهذا خداع من الكفار فلما تمكن العدو منهم أخذهم أسرى وذلك أواخر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ولم يبق فى تلك النواحى موضع الا وملكه النصارى * وفى عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة

على الاكل يدخل يده فى كمه حتى يقبض على الدجاجة وهى حارة فيفصلها وذكر الاصمعى قال ذكرت للرشيد نهم سليمان وتناوله الفراريج بكمه من السفافيد فقال قاتلك الله فما أعلمك بأخبارهم انه عرضت على جباب بنى أمية فنظرت الى جباب سليمان واذا كل جبة منها فى كمها أثر دهن فلم أدر ما ذلك حتى حدثتنى بالحديث ثم قال على بجباب سليمان فأتى بها فنظرنا فاذا تلك الآثار فيها ظاهرة فكسانى منها جبة فكان الاصمعى ربما يخرج أحيانا فيها فيقول هذه جبة سليمان التى كسانيها الرشيد وذكران سليمان خرج من الحمام ذات يوم وقد اشتد جوعه فاستعجل الطعام ولم يكن فرغ منه فأمر أن يقدم ما لحق من الشواء فقدم اليه عشرون خروفا فأكل أجوافها كلها مع أربعين رقاقة ثم قرب بعد ذلك الطعام فأكل مع ندمائه كأنه لم يأكل شيأ وحكى انه كان يتخذ سلال الحلوى ويجعل ذلك حول مرقده فكان اذا قام من نومه يمد يده فلا تقع الا على سلة يأكل منها (حدث) المنقرى عن العتبى عن اسحق بن ابراهيم بن الصباح بن مروان وكان مولى لبنى أمية من أرض البلقاء من أعمال دمشق وكان حافظا لاخبار بنى أمية قال لبس سليمان يوم الجمعة فى ولايته

وثمانمائة خرج العدو الكافر الى الشرف وبلش التى كانت فى الصلح فاستولى عليهما واحتجوا بالصلح فلم يلتفت اليهم وأخذ تلك البلاد كلها ثم رجع لبلاده * وفى عام أربعة وتسعين خرج لبعض حصون بسطة فأخذها بعد حرب واستولى على ما هنالك من الحصون ثم نازل بسطة وكان صاحب وادى آش لما تعين العدو بعلته بعث جميع جنده وقواده وحشد أهل نجدة تلك البلاد من وادى آش والمرية والمنكب والبشرات فلما نزل العدو بسطة أتت الحشود المذكورة ودخلوها ووقعت بين المسلمين والنصارى حروب عظيمة حتى تقهقر العدو عن قرب بسطة ولم يقدر على منع الداخل والخارج وبقى الامر كذلك رجب وشعبان ورمضان ومحلات المسلمين نازلة خارج البلد ثم ان العدو شد الحصار وجد فى القتال وقرب المدافع والآلات من الاسوار حتى منع الداخل والخارج بعض منع واشتد الحال فى القعدة والحجة وقل الطعام وفى آخر الحجة اختبروا الطعام فى خفية فلم يجدوا الا القليل وكانوا طامعين فى اقلاع العدو عند دخول فصل الشتاء واذا بالعدو بنى وعزم على الاقامة وقوى اليأس على المسلمين فتكلموا فى الصلح على ما فعل غيرهم من الامان وظن العدو أن الطعام لم يبق منه شئ وان ذلك هو الملجئ لهم للكلام وفهموا عنه ذلك فاحتالوا فى اظهار جميع أنواع الطعام بالاسواق وأبدوا للعدو القوة مع كونهم فى غاية الضعف والحرب خدعة فدخل بعض كبار النصارى للتكلم معهم وهو عين ليرى ما عليه البلد وما صفة الناس وعند تحققهم بقاء الطعام والقوة أعطوهم الامان على أنفسهم دون من أعانهم من اهل وادى آش والمنكب والمرية والبشرات فان دفعوا هؤلاء عنهم صح لهم الامان والافلا فلم يوافق أهل البلد على هذا وطال الكلام وخاف أهل البلد من كشف الستر فاتفقوا على أن تكون العقدة على بسطة ووادى آش والمرية والمنكب والبشرات ففعلوا ذلك ودخل جميع هؤلاء فى طاعة العدو على شروط شرطوها وأمور اظهروا بعضها للناس وبعضها مكتوم وقبض الخواص مالا وحصلت لهم فوائد * وفى يوم الجمعة عاشر محرم سنة خمس وتسعين وثمانمائة دخل النصارى قلعة بسطة وملكوها ولم يعلم العوام كيفية ما وقع عليه الشرط والالتزام وقالوا لهم من بقى بموضعه فهو آمن ومن انصرف خرج بماله وسلاحه سالما ثم أخرج العدو المسلمين من البلد وأسكنهم بالربض خوف الثورة ثم ارتحل العدو للمرية وأطاعته جميع تلك البلاد ونزل صاحب وادى آش للمرية ليلقاه بها فلقيه وأخذ الحصون والقلاع والبروج وبايع له السلطان أبو عبد الله على أن يبقى تحت طاعته فى البلاد التى تحت حكمه كما أحب فوعده بذلك وانصرف معه الى وادى آش ومكنه من قلعتها أوائل صفر من العام المذكور واطاعته جميع البلاد ولم يبق غير غرناطة وقراها وجميع ما كان فى حكم صاحب وادى آش صار للنصارى فى طرفة عين وجعل فى كل قلعة قائدا نصرانيا وكان قائد من المسلمين أصحاب هذه البلاد دفع لهم الكفار مالا من عند صاحب قشتالة اكراما منه لهم بزعمهم فتبا لعقولهم وما ذلك منه الا توفير لرجاله وعدته ودفع بالتى هى أحسن ثم أخذ برج الملاحة وغيره وبناه وحصنه وشحن الجميع بالرجال والذخيرة واظهر المحبة والصلح مع صاحب وادى آش واباح الكلام بالسوء فى حق

لباسا شهر به وتعطر ودعا بتخت فيه عمائم وبيده مرآة فلم يزل يعتم بواحدة بعد أخرى حتى رضى منها بواحدة فأرخى من سدولها وأخذ بيده مخصرة وعلا المنبر ناظرا فى عطفيه وجمع جمه وخطب خطبته التى أرادها فأعجبته نفسه فقال أنا الملك الشاب السيد المهاب الكريم الوهاب فتمثلت له جارية من بعض جواريه كان يحظاها فقال لها كيف ترين أمير المؤمنين قالت أراه منى النفس وقرة العين لولا ما قال الشاعر قال وما قال الشاعر قالت قال

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للانسان
أنت من لا يريبنا منك شئ ... علم الله غير أنك فانى
ليس فيما بدا لنا منك عيب ... ياسليمان غير أنك فانى

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيا فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بالجارية فقال لها ما دعاك الى ما قلت لأمير المؤمنين قالت والله ما رأيت أمير المؤمنين اليوم ولا دخلت عليه فأكبره ذلك ودعا بقيمة جواريه فصدقتها فى قولها فراع ذلك سليمان ولم ينتفع بنفسه ولم يمكث بعد ذلك الا مدة حتى توفى وكان سليمان يقول قد أكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الفاره ولم يبق لذة الا صديق أطرح معه فيما بينى وبينه مؤنة التحفظ ودخل عليه يزيد

صاحب غرناطة مكرا منه وخداعا ودهاء ثم بعث فى السنة نفسها رسلا لصاحب غرناطة أن يمكنه من الحمراء كما مكنه عمه من القلاع والحصون ويكون تحت ايالته ويعطيه مالا جزيلا على ذلك وأى بلاد شاء من الاندلس يكون فيها تحت حكمه قالوا وأطمعه صاحب غرناطة فى ذلك فخرج العدو فى محلاته لقبض الحمراء والاستيلاء على غرناطة وهذا فى سر بين السلطانين فجمع صاحب غرناطة الاعيان والكبراء والاجناد والفقهاء والخاصة والعامة وأخبرهم بما طلب منه العدو وأن عمه أفسد عليه الصلح الذى كان بينه وبين صاحب قشتالة بدخوله تحت حكمه وليس لنا الا احدى خصلتين الدخول فى طاعته أو القتال فاتفق الرأى على الجهاد والوفاء بما عقده من صلح وخرج بعلته ان صاحب قشتالة نزل على مرج غرناطة وطلب من اهل غرناطة الدخول فى طاعته والا أفسد عليهم زرعهم فاعلنوا بالمخالفة فأفسد الزرع وذلك فى رجب سنة خمس وتسعين ووقعت بين المسلمين والعدو حروب كثيرة ثم ارتحل العدو عند الاياس منهم ذلك الوقت وهدم بعض حصون واصلح برج همدان والملاحة وشحنهما بما ينبغى ثم رجع الى بلاده وعند انصرافه نزل صاحب غرناطة بمن معه الى بعض الحصون التى فى يد النصارى ففتحها عنوة وقتل من فيها من النصارى وأسكنها المسلمين ورجع لغرناطة ثم أعمل الرحلة الى البشرات فى رجب المذكور فأخذ بعض القرى وهرب من بها من النصارى والمرتدين أصحابهم ثم أتى حصن اندرش فتمكن منه وأطاعته البشرات وقامت دعوة الاسلام بها وخرجوا عن ذمة النصارى وهنالك عمه أبو عبد الله محمد بن سعد بجملة وافرة فقصدهم فى شعبان من غرناطة واستقر عمه بالمرية وأطاعت صاحب غرناطة جميع البشرات الى برجة ثم تحرك عمه مع النصارى الى اندرش فأخذوها فى رمضان وخرج صاحب غرناطة لقرية همدان وكان برجها العظيم مشحونا بالرجال والعدة والطعام فحاصره أهل غرناطة ونصبوا عليه أنواعا من الحرب ومات فيه خلق كثير منهم ونقبوا البرج الاول والثانى والثالث وألجؤهم للبرج الكبير وهو القلعة فنقبوها ثم أسروا من كان بها وهم ثمانون ومائة واحتووا على ما هنالك من عدة وآلات حرب* وفى آخر رمضان خرج صاحب غرناطة بقصد المنكب فلما وصل حصن شلوبانية نزله وأخذه عنوة بعد حصاره وامتنعت القلعة وجاءتهم الامداد من مالقة بحرا فلم تقدر على شئ وضيقوا بالقلعة فوصلهم الخبر أن صاحب قشتالة خرج بعلته لمرج غرناطة فارتحل صاحب غرناطة عن قلعة شلوبانية وجاء غرناطة ثالث شوال وبعد وصولهم غرناطة وصل العدو الى المرج ومعه المرتدون والمدجنون وبعد ثمانية أيام ارتحل العدو لبلاده بعد هدم برج الملاحة واخلائه وبرج آخر وتوجه الى وادى آش فاخرج المسلمين منها ولم يبق بها مسلم فى المدينة ولا الربض وهدم قلعة اندرش وحاف على البلاد ولما رأى ذلك السلطان الزغل وهو أبو عبد الله محمد بن سعد عم سلطان غرناطة بادر بالجواز لبر العدوة فجاز لوهران ثم لتلمسان واستقر بها وبها نسله الى الآن يعرفون ببنى سلطان الاندلس ودخل صاحب قشتالة لاقاصى مملكته بسبب فتنة بينه وبين الافرنج ثم تحرك صاحب غرناطة على برشانة وحاصرها وأخذها وأسر من كان بها من النصارى وأرادت فتيانه القيام على النصارى فجاء

ابن أبى مسلم كاتب الحجاج والمستولى عليه وهو مكبل بالحديد فلما رآه ازدراه فقال ما رأيت كاليوم قط لعن الله رجلا أجرّك رسنه وحكمك فى أمره فقال له يزيد لا تفعل يا أمير المؤمنين فانك رأيتنى والامر عنى مدبر وعليك مقبل ولو رأيتنى والامر مقبل على لاستعظمت منى ما استصغرت ولاستجللت منى ما استحقرت قال صدقت فاجلس لا أم لك فلما استقر به المجلس قال له سليمان عزمت عليك لتخبرنى عن الحجاج ما ظنك به أتراه يهوى بعد فى جهنم ام قد استقر فيها قال يا أمير المؤمنين لا تقل هذا فى الحجاج فقد بذل لكم نصحه وأحقن دونكم دمه وأمن وليكم واخاف عدوكم وانه يوم القيامة لعن يمين أبيك عبد الملك ويسار أخيك الوليد فاجعله حيث شئت فصاح سليمان اخرج عنى الى لعنة الله ثم التفت الى جلسائه فقال قبحه الله ما كان أحسن تزيينه لنفسه ولصاحبه ولقد أحسن المكافأة أطلقوا سبيله (ودخل) عليه أبو حازم الاعرج فقال يا أبا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم فانتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال فاخبرنى كيف القدوم على الله قال أما المحسن فكالغائب يأتى أهله مسرورا وأما المسئ

صاحب

صاحب وادى آش فهتك فيهم * وفى القعدة من السنة رفع صاحب غرناطة من السند
وخلت تلك الاوطان من الانس * وفى ثانى عشرى جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وثمانمائة
خرج العدوّ بمحلاته الى مرج غرناطة وأفسد الزرع ودوّخ الارض وهدم القرى وأمر ببناء
موضع بالسور والحفير وأحكم بناءه وكانوا يذكرون انه عزم على الانصراف فاذا به صرف
الهمة الى الحصار والاقامة وصار يضيق على غرناطة كل يوم ودام القتال سبعة أشهر واشتد
الحصار بالمسلمين غير أن النصارى على بعد والطريق بين غرناطة والبشرات متصلة بالمرافق
والطعام من ناحية جبل شلير الى أن تمكن فصل الشتاء وكلب البرد ونزل الثلج فانسد باب
المرافق وانقطع الجالب وقل الطعام واشتد الغلاء وعظم البلاء واستولى العدوّ على أكثر
الاماكن خارج البلد ومنع المسلمين من الحرث والسبب وضاق الحال وبان الاختلال وعظم
الخطب وذلك أوّل عام سبعة وتسعين وثمانمائة وطمع العدوّ فى الاستيلاء على غرناطة
بسبب الجوع والغلاء دون الحرب ففر ناس كثيرون من الجوع الى البشرات ثم اشتد
الامر فى شهر صفر من السنة وقل الطعام وتفاقم الخطب فاجتمع ناس مع من يشار اليه من
أهل العلم وقالوا انظروا فى أنفسكم وتكلموا مع سلطانكم فاحضر السلطان أهل الدولة وأرباب
المشورة وتكلموا فى هذا المعنى وان العدوّ يزداد مدده كل يوم ونحن لا مدد لنا وكان ظننا
أنه يقلع عنا فى فصل الشتاء فخاب الظن وبنى وأسس وأقام وقرب منا فانظروا لانفسكم
وأولادكم فاتفق الرأى على ارتكاب أخف الضررين وشاع أن الكلام وقع بين النصارى
ورؤساء الاجناد قبل ذلك فى اسلام البلد خوفا على نفوسهم وعلى الناس ثم عددوا مطالب
وشروطا أرادوها وزادوا أشياء على ما كان فى صلح وادى آش منها ان صاحب رومة يوافق
على الالتزام والوفاء بالشرط اذا مكنوه من حمراء غرناطة والمعاقل والحصون ويحلف على
عادة النصارى فى العهود وتكلم الناس فى ذلك وذكروا أن رؤساء أجناد المسلمين لما
خرجوا للكلام فى ذلك امتن عليهم النصارى بمال جزيل وذخائر ثم عقدت بينهم الوثائق على
شروط قرئت على أهل غرناطة فانقادوا اليها ووافقوا عليها وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة
فقبلها منهم ونزل سلطان غرناطة من الحمراء * وفى ثانى ربيع الاول من السنة أعنى سنة
سبع وتسعين وثمانمائة استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل
غرناطة بنحو خمسمائة من الاعيان رهنا خوف الغدر وكانت الشروط سبعة وستين منها
تأمين الصغير والكبير فى النفس والاهل والمال وابقاء الناس فى أماكنهم ودورهم
ورباعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعتهم
وان تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا
أحدا وأن لا يولى على المسلمين نصرانى أو يهودى ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم قبل
وأن يفتك جميع من أسر فى غرناطة من حيث كانوا وخصوصا أعيانا نص عليهم ومن
هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا سواه والسلطان يدفع ثمنه
لمالكه ومن أراد الجواز للعدوة لا يمنع ويجوزون فى مدة عينت فى مراكب السلطان لا يلزمهم
الا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره وأن

فكالعبد الآبق يأتى مولاه محزونا قال فاى الاعمال أفضل قال أداء الفرائض
مع اجتناب المحارم قال فأى القول أعدل قال كلمة حق عند من تخاف وترجو قال فاى الناس أعقل قال من عمل بطاعة الله قال فأى الناس أجهل قال من باع آخرته بدنيا غيره قال عظنى وأوجز قال يا أمير المؤمنين نزه ربك وعظمه أن يراك بحيث ما نهاك عنه أو يفقدك من حيث أمرك به فبكى سليمان بكاء شديدا فقال له بعض جلسائه أسرفت ويحك على أمير المؤمنين فقال له أبو حازم اسكت فان الله عز وجل أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم خرج فلما صار الى منزله بعث اليه سليمان بمال فرده وقال للرسول قل له والله يا أمير المؤمنين ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسى
وذكر اسحق بن ابراهيم الموصلى قال حدثنى الاصمعى عن شيخ من المهالبة قال دخل اعرابى على سليمان فقال له يا أمير المؤمنين انى أريد أن أكلمك بكلام فافهمه فقال له سليمان انا نجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه وارجو ان تكون الناصح جيبا المأمون غيبا فهات قال يا أمير المؤمنين
أما اذا أمنت بادرة غضبك فساطلق لسانى بما خرست به الالسن من عظمتك تادية لحق الله وحق أمانتك

لا يقهر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينهم وان من تنصر من المسلمين يوقف أياما حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى فان أبى الرجوع الى الاسلام تمادى على ما أراد ولا يعاتب على من قتل نصرانيا أيام الحرب ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداوة ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا يسفر لجهة من الجهات ولا يزيدون على المغارم المعتادة وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثة ولا يطلع نصرانى للسور ولا يتطلع على دور المسلمين ولا يدخل مسجدا من مساجدهم ويسير المسلم فى بلاد النصارى آمنا فى نفسه وماله ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود وأهل الدجن ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم ولا غيره من أمور دينه ومن ضحك منهم يعاقب ويتركون من المغارم سنين معلومة وأن يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خط يده وأمثال هذا مما تركناذكره وبعد انبرام ذلك ودخول النصارى للحمراء والمدينة جعلوا قائدا بالحمراء وحكاما ومقدمين بالبلد ولما علم ذلك اهل البشرات دخلوا فى هذا الصلح وشملهم حكمه على هذه الشروط ثم أمر العدو الكافر ببناء ما يحتاج اليه فى الحمراء وتحصينها وتجديد بناء قصورها واصلاح سورها وصار الطاغية يختلف الى الحمراء نهارا ويبيت بمحلته ليلا الى أن اطمأن من خوف الغدر فدخل المدينة وتطوف بها وأحاط خبرا بما يرومه ثم أمر سلطان المسلمين أن ينتقل لسكنى البشرات وانها تكون له فى سكناه باندرش فانصرف اليها وأخرج الاجناد منها ثم احتال فى ارتحاله لبر العدوة وأظهر ان ذلك طلب منه المذكور فكتب لصاحب المرية انه ساعة وصول كتابى هذا الاسديل لاحد أن يمنع مولاى أبا عبد الله من السفر حيث أراد من بر العدوة ومن وقف على هذا الكتاب فليصرفه ويقف معه وفاء بما عهد له فانصرف فى الحين بنص هذا الكتاب وركب البحر ونزل بمليلة واستوطن فاسا وكان قبل طلب الجواز لناحية مراكش فلم يسعف بذلك وحين جوازه لبر العدوة لقى شدة وغلاء وبلاء ثم ان النصارى نكثوا العهد ونقضوا الشروط عروة عروة الى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة بعد أمور وأسباب أعظمها وأقواها عليهم أنهم قالوا ان القسيسين كتبوا على جميع من كان أسلم من النصارى أن يرجعوا قهرا للكفر ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة ثم تعدوا الى أمر آخر وهو ان يقولوا للرجل المسلم ان جدك كان نصرانيا فأسلم فترجع نصرانيا ولما فحش هذا الامر قام أهل البيازين على الحكام وقتلوهم وهذا كان السبب للتنصر قالوا الان الحكم خرج من السلطان ان من قام على الحاكم فليس الا الموت الا أن يتنصر فينجو من الموت وبالجملة فانهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق واندرش وغيرهما فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا الا ما كان من جبل بللنقة فان الله تعالى أعانهم على عدوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة وأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وما خف من أموالهم دون الذخائر ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله فى خفية ويصلى فشدد عليهم النصارى فى البحث حتى انهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعوهم من

حمل

يا أمير المؤمنين انه قد تكنفك رجال أساؤا الاحسان لانفسهم ابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك حرب للآخرة سلم للدنيا فلا تأمنهم على ما يأمنك الله عليه فانهم لم يأتوا الا ما فيه تضييع وللامة خسف وعسف وانت مسؤل عما اجترموا وليسوا مسؤلين عما اجترمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس عيبا بائع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان أما أنت يا اعرابى فقد سللت لسانك وهو أقطع من سيفك فقال أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك فقال سليمان أما وأبيك يا اعرابى لا تزال العرب بسلطاننا لا كناف العز متبوئه ولا تزال أيام دولتنا بكل خير مقبله ولئن ساسكم ولاة غيرنا ليحمدن منا ما أصبحتم تذمون فقال الاعرابى أما اذا رجع الامر الى ولد العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه ووارث ما جعله الله له أهلا فلا فتغافل سليمان كأن لم يسمع شيأ وخرج الاعرابى فكان آخر العهد به هذا الخبر أخبرنى به بعض شيوخ ولد العباس بمدينة السلام مدينة أبى جعفر المنصور وهو ابن بريهة المنصورى عن أبيه عن على بن جعفر النوفلى

حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد وقاموا فى بعض الجبال على النصارى مرارا ولم يقيض الله تعالى لهم ناصرا الى أن كان اخراج النصارى اياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف فخرجت ألوف بفاس وألوف أخر بتلمسان من وهران وجمهورهم خرج بتونس فتسلط عليهم الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى فى الطرقات ونهبوا أموالهم وهذا ببلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المضرة وأما الذين خرجوا بنواحى تونس فسلم أكثرهم وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها وكذلك بتطاون وسلا وفحيجة الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الاقصى منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد فى البحر ما هو مشهور الآن وحصنوا قلعة سلا وبنوا بها القصور والحمامات والدور وهم الآن بهذا الحال ووصل جماعة الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام وهم لهذا العهد على ما وصف والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين والسلطان المذكور الذى أخذت على يده غرناطة هو أبو عبد الله محمد الذى انقرضت بدولته مملكة الاسلام بالاندلس ومحيت رسومها ابن السلطان أبى الحسن ابن السلطان سعد ابن الامير على ابن السلطان يوسف ابن السلطان محمد الغنى بالله واسطة عقدهم ومشيد مبانيهم الانيقه وسلطان دولتهم على الحقيقه وهو المخلوع الوافد على الاصقاع المرينية بفاس العائد منها لملكه فى أرفع الصنائع الرحمانية العاطرة الانفاس وهو سلطان لسان الدين ابن الخطيب وقد ذكرنا جملة من أخباره فى غير هذا الموضع ابن السلطان أبى الحجاج يوسف بن السلطان اسمعيل قاتل سلطان النصارى دون بطرة بمرج غرناطة ابن فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر بن قيس الانصارى الخزرجى رحمهم الله تعالى جميعا وانتهى السلطان المذكور بعد نزوله بمليلة الى مدينة فاس بأهله وأولاده معتذرا عما أسلفه متلهفا على ما خلفه وبنى بفاس بعض قصور على طريق بنيان الاندلس رأيتها ودخلتها وتوفى رحمه الله تعالى بفاس عام أربعين وتسعمائة ودفن بازاء المصلى خارج باب الشريعة وخلف ولدين اسم أحدهما يوسف والآخر أحمد وعقب هذا السلطان الى الآن بفاس وعهدى بذريته بفاس الى الآن سنة ١٠٣٧ يأخذون من أوقاف الفقراء والمساكين ويعدون من جملة الشحاذين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وقد رأيت أن أذكر هنا الرسالة التى كتب بها المخلوع المذكور الى سلطان فاس الشيخ الوطاسى وهى من انشاء الكاتب المجيد البارع البليغ أبى عبد الله محمد بن عبد الله العربى العقيلى رحمه الله تعالى وسماها بالروض العاطر الانفاس فى التوسل الى المولى الامام سلطان فاس ونصها بعد الافتتاح

مولى الملوك ملوك العرب والعجم * رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن * جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا * وأفظع الخطب ما يأتى على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد له * وهل مرد لحكم منه منحتم
وهى الليالى وقاك الله صولتها * تصول حتى على الآساد فى الاجم
كنا ملوكا لنا فى أرضنا دول * نمنا بها تحت أفنان من النعم

على وجهه وأرواح من سلف من آبائه وقال كان والله هزله جدا وجده علما والله ما رؤى مثل معاوية كان والله غضبه حلما وحلمه حكما وقيل ان هذا الكلام لعبد الملك وكتب سليمان الى خالد بن عبد الله القسرى وهو على العراق فى رجل استعاربه من قريش وكان هرب من خالد أن لا يعرض له فاتاه بالكتاب فلم يفضه حتى ضربه مائة سوط ثم قرأه فقال هذه نقمة أراد الله أن ينتقم بها منك لتركى قراءة الكتاب ولو كنت قرأته لانفذت ما فيه فخرج القرشى راجعا الى سليمان فسأله الفرزدق وأناس ممن كان بالباب عما صنع خالد فاخبرهم فقال الفرزدق فى ذلك

سلوا خالدا لا قدس الله خالدا
متى وليت قسرقريشا تدينها
أقبل رسول الله أم بعد عهده
فاضحت قريش قد أغث سمينها
رجونا هداه لاهدى الله سعيه
وما أمه بالام يهدى جنينها

فلما بلغ سليمان ذلك وجه الى خالد من ضربه مائة سوط فقال الفرزدق فى ذلك من أبيات

لعمرى لقد صبت على ظهر خالد * شآبيب ليست من سحاب ولا قطر

أتضرب فى العصيان من ليس عاصيا * ٦١٨ وتعصى أمير المؤمنين أخا فسر

فلولا يزيد بن المهلب حلقت
بكفك فتخاء الى الفرخ فى الوكر
لعمرى لقد سار ابن سيبة سيرة
أرتك نجوم الليل مظهرة تجرى
فخذ بيديك الخزى حقا فانما
جزيت قصاصا بالمرجرجة السمر

وقال سليمان لعمر بن عبد العزيز يوما وقد أعجبه سلطانه كيف ترى ما نحن فيه قال سرور لولا أنه غرور وحياة لولا أنه موت وملك لولا أنه هلك وحسن لولا أنه حزن ونعيم لولا أنه عذاب أليم فبكى سليمان من كلامه وكان سليمان بخلاف الوليد وعلى الضد منه فى الفصاحة والبلاغة وقد كان الوليد أفسد فى أرض لعبد الله بن يزيد بن معاوية فشكا ذلك أخوه خالد بن يزيد الى عبد الملك فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها الآية فقال له خالد واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها الآية فقال عبد الملك أفى عبد الله يتكلم وبالامس دخل على فغير فى لسانه ولحن فى كلامه فقال أفعلى الوليد يقول قال ان كان الوليد يلحن فسليمان أخوه قال خالد وان كان عبد الله

وما

فيا يقظتنا سهام للردى صبب * يرمى بالجمع حتف من بهن رمى
فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا * وأى ملك بظل الملك لم ينم
يبكى عليه الذى قد كان يعرفه * بأدمع مزجت أمواهها بدم
كذلك الدهر لم يبرح كما زعموا * يشم بالصغار الانف ذا الشمم
وصل اواصر قد كانت لنا اشتبكت * فالملك بين ملوك الارض كالرحم
وابسط لنا الخلق المرجو باسطه * واعطف ولا تنحرف واعذر ولا تلم
لا تأخذونا باقوال الوشاة ولم * نذنب ولو كثرت اقوال ذى الوخم
فما أطقنا دفاعا للقضاء ولا * أرادت انفسنا ما حل من نقم
ولا ركونا بابا زعاج لسابحة * فى زاخر بأكف الموج ملتطم
والمرء ما لم يعنه الله أضيع من * طفل تشكى بفقد الام فى اليتم
وكل ما كان غير الله يحرسه * فانه وسط لحم على وضم
كن كالسموأل اذ سار الهمام له * فى جحفل كسواد الليل مرتكم
فلم يبح أدرع الكندى وهو يرى * ان ابنه البر قد أشفى على الرجم
أو كالمعلى مع الضليل الاروع اذ * أجاره من أعاريب ومن عجم
وصار يشكره شكرا يكافئ ما * أسدى اليه من الآلاء والنعم
ولا تعاتب على أشياء قد قدرت * وخط مسطورها فى اللوح بالقلم
وعد عما مضى اذ لا ارتجاع له * وعد أحرارنا فى جملة الخدم
ابه حنانيك يا ابن الاكرمين على * ضيف ألم بفاس غير محتشم
فأنت أنت ولولا أنت ما نهضت * بنا اليها خطا الوخادة الرسم
رحماك يا راحما ينمى الى رحما * فى النفس والاهل والاتباع والحشم
فكم مواقف صدق فى الجهاد لنا * والخيل عالكة الاشداق للجم
والسيف يخضب بالمحمر من علق * ما ابيض من سبل واسود من لمم
ولا ترى صدر عضب غير منقصف * ولا ترى متن لدن غير منحطم
حتى دهينا بدهيا لا اقتدار بها * سوى على الصون للاطفال والحرم
فقال من لم يشاهدها فربتما * يخال جامحها يقتاد بالخطم
هيهات لو زبنته الحرب كان بها * أعيى يدا من يد جالت على رحم
تالله ما أضمرت غشا ضمائرنا * ولا طوت صحة منها على سقم
لكن طلبنا من الامر الذى طلبت * ولا تنا قبلنا فى الاعصر الدهم
فخاننا عنده الجد الخؤن ومن * تقعد به نكبات الدهر لم يقم
فاسود ما اخضر من عيش دهته عدا * بالاسمر اللدن أو بالابيض الخذم
وشتت البين شملا كان منتظما * والبين أقطع للموصول من جلم
فرب مبنى شديد قد أناخ به * ركب البلا فقرته أدمع الديم
قفنا لديه أصيلانا نسائله * أعيا جوابا وما بالربع من أرم

وما ظننا بأن نبقى الى زمن * نرى به غرر الاحباب كالحمم
لكن رضا بالقضا الجارى وان طويت * منا الضلوع على برح من الالم
لبيك يامن دعانا نحو حضرته * دعاء ابراهم الحجاج للحرم
واعط الامان الذى رضت قواعده * على أساس وفاء غير منهدم
خليفة الله وافاك العبيد فكن * فى كل فضل وطول عند ظنهم
وبين أسلافنا ماقد علمت به * من اعتقاد بحكم الارث مقتسم
وأنت منهم كأصل مطلع غصنا * أو كالشراك الذى قد قد من أدم
وقد خطوت خطاهم فى مآثرهم * فلم يذموا اذن فيها ولم تذم
وصيت مولى الورى الشيخ الامام غدا * فى الناس أشهر من نار على علم
سلالة الامراء الجلة الكبرا * ء العلية الطهراء القادة البهم
بنو مرين ليوث فى عرين أبوا * روًيا قرين لهم فى الباس والكرم
النازلين من البيضاء وسط حمى * أحمى من الابلق السامى ومن ارم
والجائسين بدهم الخيل كل ذرا * والداعسين بسمر الخط كل كمى
بريك فارسهم ان هز عامله * فى مارق بلظى الهيجاء مضطرم
ليثا على أجدل عار من اجنحة * يسطو بارقم لدّاغ بغير فم
فى اللام يدغم من عساله ألفا * ولم نجد ألفا أصلا بمدغم
أهل الحفيظة يوم الروع يحفظهم * من عصمة الله ماير بى على العصم
يامن تطير شرارمنه محرقة * لكل مدّرع بالحزم محترم
هم وبطائفة التثليث قد فتكوا * كمثل مايفتك السرحان بالغنم
وان يلمهم يوم الوغى رهج * أنسوك ماذكروه عن ذوى اللثم
تضىء آراؤهم فى كل معضلة * اضاءة السرج فى داج من الظلم
هذا ولومن حياء ذاب محتشم * لذاب منهم حياء كل محتشم
طابت مدائحهم اذ طابت انفسهم * فاشتقت النسمات اسمامن النسم
لله درهم والسحب باخلة * بدرهن على الانعام والنعم
بحيث الافق يرى من لون حمرته * كالشيب يخضب بالحناء والكتم
هناك تهل أيديهم بصوب حيا * يحيا بالاحداث مافيها من الرمم
وان بيتى زياد طالماذكروا * اذا ألمت أحاديث بذكرهم
أحلام عاد واجسام مطهرة * من المعقة والآفات والاثم
يرون حقا عليهم حفظ جارهم * فلم يضرنازل فيهم ولم يضم
فروعهم بالدواهى لايراع ولا * يغم منها بمايعرو من الغمم
هم البحار سماحا غير ان بها * ماقد أناف على الاطواد من همم
وليس يسلم من حتف محاربهم * حتى يكون اليهم ملتقى السلم
كم فيهم من أمير أوحد ندس * يقرطس الغرض المقصود بالفهم

أنا والله ابن العير والنفير ولو قلت جبيلات وغنيمات والطائف قلنا صدقت أراد بذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى الحكم بن أبى العاص الى الطائف فصار راعيا حتى رده عثمان وغضب سلمان على خالد القسرى فلما دخل عليه قال ياأمير المؤمنين ان القدرة تذهب الحفيظة وانك تجل عن العقوبة فان تعف فاهل لذلك أنت وان تعاقب فاهل ذلك أنا فعفا عنه وذم رجل فى مجلس سليمان الكلام فقال سليمان انه من تكلم فاحسن قدر على أن يصمت فيحسن ووقف سليمان على قبر ولده أيوب وبه كان يكنى فقال اللهم انى أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائى وآمن خوفى (قال المسعودى) ولما دفن سليمان سمع بعض كتابه وهو يقول أبياتا منها

وماسالم عما قليل بسالم
وان كثرت أحراسه وكتائبه
ومن يك ذا باس شديد ومنعة
فعما قليل يهجر الباب حاجبه
ويصبح بعد الحجب للناس مقصيا * رهينة بيت لم تستر جوانبه
فما كان الا الدفن حتى تفرقت * الى غيره أحراسه ومواكبه

وأصبح مسرورا به كل كاشح * ٦٢٠ وأسلمه أحبابه وأقاربه   فنفسك أكسبها السعادة جاهدا * فكل امرئ رهن بما هو كاسبه

ولا كسبط أبي حسون من حسنت * أمداحه حسن ما فيه من الشيم
هذا كما ابن أبي ذكرى الهمام فقل * في أصله المنتقى من مجده العمم
خليفة الله حقا في خليقته * كنائب ناب في حكم عن الحكم
مهما انبرت سمات منه نيرة * تنل بنازله ما جل من نعم
فوجهه بدجا وكفه بجدى * أبهى من الزهر وأندى من الديم
وفضله وله الفضل المبين جرى * بجري الامثال في الاقطار والامم
وجوده المتوالي للبرية ما * وجوده بينها طرا بمنهدم
اذا ابتغت نعما منه العفاة له * لم يسمعوا كلمة منه سوى نعم
وان يعبس زمان في وجوههم * لم يبصروا غير وجه منه مبتسم
وجه تبين سمات المكرمات به * كما تبين سمات الصدق في الكلم
وراحة لم تزل في كل آونة * في نيلها راحة الشاكي من العدم
لله ما التزمته من نوافله * أيام لا فرض مفروض بملتزم
انسى الخلائف في حلم وفي شرف * وفي سخاء وفي علم وفي فهم
فحاز معتمدا منهم ومعتضدا * وامتاز عن واثق منهم ومعتصم
وناصر الدين في الاقبال فاق وفي * محبة العلم ازرى بابنه الحكم
افعال أعدائه معتلة أبدا * متى يرم جزمها بالحذف تنجزم
فويل أهل القلى من حيث ذكر * للؤتلب اللهام المجر ملتقم
راموا عداوته من ان شاء غادرهم * مثل الاحاديث عن عاد وعن ارم
فسوف يأكلهم من جيشه لجب * بكل قرم الى لحمانهم قرم
وان الاعراب اذ ساروا لغايته * لسائرون الى لقم على لقم
وهم كما قاله ماض أرى قدمي * بسعيه نحو حتفي قد أراق دمي
فقل اذن للمناوي المناولان أذى * يا غر غرك ما أبصرت في الحلم
له صوارم لو ناجتك ألسنها * لبشرتك بعمر منك منصرم
وان رو حلك عن قرب سيقبضه * قبض المسلم ما قد حاز من سلم
فهو الذي ماله ند يشابهه * من كل متصف بالدهى متسم
يدبر الامر تدبيرا يخلصه * مما عسى أن يرى فيه من الوهم
ويبصر الغيب لحظ الذهن منه اذا * تعمى عن ادراكه ألحاظ كل عمى
وينتج النظر المفضي بناظره * لصوب وجه صواب واضح اللقم
ذو منطق لم تزل تجلو نتائجه * عن مبطل بخصام المبطل الخصم
ومسمع ليس يصغي للوشاة فلم * ينفق لديه الذي عنهم اليه نمي
فعقله لا توازيه العقول وهل * يوازن الطود ما قد طال من أكم
٣ أيد جميع الورى من بدو وحضر * نداء مرتبط بالنصر مرتسم
شدوا وجدوا ولا تعنوا ولا تهنوا * قد لفها الليل بالسواقة الحطم

(قال المسعودي) ولسليمان أخبار حسان لما كان في مدة ملكه من الكوائن وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا طلبا للايجاز وميلا الى الاختصار وبالله التوفيق

(ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم)

واستخلف عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين وهو اليوم الذي مات فيه سليمان وتوفي بدير سمعان من أعمال حمص مما يلي بلاد قنسرين يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام وقبض وهو ابن تسع وثلاثين سنة وقبره مشهور في هذا الموضع الى هذه الغاية معظم يغشاه كثير من الناس من الحاضرة والبادية لم يتعرض لنبشه فيما سلف من الزمان كما تعرض لقبور غيره من بني أمية وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل انه قبض وهو ابن أربعين سنة وقيل ابن احدى وأربعين سنة وقد تنوزع أيضا في مقدار مدته في الخلافة وقد أتينا على المحصل من ذلك في باب

هذا

هذا الامام المريني السعيد له * سعد يؤيده في كل مصطدم
قد أقسمت أنه المنصور السنة * من نخبة الاوليا مبرورة القسم
فشيعوه ووالوه تروا عجبا * وتظفروا معه بالاجر والغنم
والحمد لله اذ أبقى خلافته * كهفا للناس من يحيم فيه لم يرم
حرز حريز وعز قائم وندى * غمر دراك بلا من ولا سأم
دامت ودام لها سعد يساعدها * في كل مبتدا منه ومختتم
فالله عز اسمه قد زانها بحلى * من غر أمداحه كالدر في النظم
الواهب الالف بعد الالف من ذهب * كالجمر يلمع في مستوقد الضرم
والفاعل الفعل لم يهمم به أحد * والقائل القول فيه حكمة الحكم
ذاكم هو الشيخ فاعجب انه هرم * جودا وحاشاه أن يعزى الى هرم
وحسبنا أن ايدينا به اعتصمت * من حبله بوثيق غير منفصم
فما مخالفه يوما بمضطهد * ولا مؤالفه يوما بمهتضم
ولا موافيه في جهد بمطرح * ولا مصافيه في ود بمتهم
ولا محيا محييه بمنكسف * ولا رجاء مرجيه بمنخرم
وما تكرمه سرا بمنكشف * ولا تنكره جهرا بمكتتم
وليس لامح مرآه بمكتئب * وليس راضع جدواه بمنفطم
ولا مقبل يمناه الكريمة في * محل ممتهن بل دست محترم
وما وسيلتنا العظمى اليه سوى * ما ليس ينكر ما فيها من العظم
وانما هي وما أدراك ما هي من * وسيلة ردها أدهى من الوخم
نبينا المصطفى الهادي بخير هدى * محمد خير خلق الله كلهم
داعي الورى من أولي خيم وأهل قرى * الى طريق رشاد لاحب أمم
عليه منا صلاة الله ما ذكرت * أمن تذكر جيران بذي سلم
وما تشفع فيها بالشفيع له * دخيل حرمته العليا في الحرم

ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم نعم المولى ونعم النصير أما بعد حمد الله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي طلع طلوع الفجر بل البدر فلاح يدعو الى سبيل كل فلاح أولي قلوب غافلة ونفوس سواه والرضا عن آله وأصحابه وعترته الاكرمين وأحزابه الذين تلقوا بالقبول ما أورده عليهم من أوامر ونواه وعزروه ونصروه في حال قربه ونواه فيا مولانا الذي اولانا من النعم ما أولانا لا حط الله تعالى لكم من العزة أرواقا ولا أذوى لدوحة دولتكم أغصانا ولا أوراقا ولا زالت مخضرة العود مبتسمة عن زهرات البشائر محفة بثمرات السعود ممطورة بسحائب البركات المتداركات دون برق ولا رعود هذا مقام العائذ بمقامكم المتعلق بأسباب ذمامكم المترجي

(ذكر لمع من أخباره وسيره وزهده)

لم تكن خلافة عمر في عهد تقدم وكان السبب فيها ان سليمان لما حضرته الوفاة بمرج دابق دعا رجاء بن حيوة ومحمد بن شهاب الزهري ومكحولا وغيرهم من العلماء ممن كان في عسكره غازيا ونافرا فكتب وصيته وأشهدهم عليها وقال اذا أنا مت فاذنوا بالصلاة جامعة ثم اقرؤا هذا الكتاب على الناس فلما فرغ من دفنه نودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس وحضر بنو مروان فاشرأبوا للخلافة وتشوفوا نحوها فقام الزهري فقال أيها الناس ارضيتم من سماه أمير المؤمنين سليمان في وصيته فقالوا نعم فقرأ الكتاب فاذا اسم عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك فقام مكحول فقال أين عمر وكان عمر في أواخر الناس فاسترجع حين دعي باسمه مرتين أو ثلاثا فأتاه قوم فأخذوا بيده وعضده فأقاموه وذهبوا به الى المنبر فصعد وجلس على المرقاة الثانية وللمنبر خمس مراق فكان أول من بايعه من الناس يزيد بن عبد الملك وقام سعيد وهشام فانصرفا ولم يبايعا وبايع الناس جميعا ثم بايع سعيد

وهشام بعد ذلك بيومين وكان عمر فى نهاية النسك والتواضع فصرف عمال من كان قبله من بنى امية واستعمل
أصلح من قدر عليه فسلك
عماله طريقته وترك لعن
على عليه السلام على المنابر
وجعل مكانه ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا
غلا للذين آمنوا ربنا انك
رؤف رحيم وقيل بل جعل
مكان ذلك ان الله يأمر
بالعدل والاحسان وايتاء
ذى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى.
الآية وقيل بل جعلهما
جميعا فاستعمل الناس
ذلك فى الخطبة الى هذه
الغاية ولما استخلف عمر
ودخل عليه سالم السدى
وكان من خاصته فقال له
عمر أسرك ما وليت أم
ساءك فقال سرنى للناس
وساءنى لك قال انى أخاف
ان أكون أوبقت نفسى
قال ما أحسن حالك ان
كنت تخاف انى أخاف
عليك أن لا تخاف قال عظنى
قال أبونا آدم أخرج من
الجنة بخطيئة واحدة
وكتب طاوس الى عمر ان
أردت أن يكون عملك خيرا
كله فاستعمل أهل الخير
فقال عمر كفى بها موعظة
ولما أفضى اليه الأمر
كان أول خطبة خطب
الناس بها أن قال أيها الناس انما نحن من أصول قد مضت فروعها فما بقاء فرع بعد أصله

افتر

لعواطف قلوبكم وعوارف انعامكم المقبل الارض تحت أقدامكم المتلجلج اللسان عند محاولة مفاتحة كلامكم وما الذى يقول من وجهه خجل وفؤاده وجل وقضيته المقضية عن التنصل والاعتذار تجل بيد أنى اقول لكم ما اقوله لربى واجترائى عليه اكثر واجترامى اليه اكبر اللهم لا برىء فأعتذر ولا قوى فأنتصر لكنى مستقيل مستنيل مستعتب مستغفر وما ابرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء هذا على طريق التنزل والاتصاف بما تقتضيه الحال عمن يتحيز الى حيز الانصاف واما على جهة التحقيق فأقول ما قالته الام ابنة الصديق والله انى لأعلم انى ان اقررت بما يقوله الناس والله يعلم أنى منه بريئة لاقول مالم يكن ولئن انكرت ما تقولون لا تصدقونى فاقول ما قاله أبو يوسف صبر جميل والله المستعان على ما تصفون على انى لا انكر عيوبى فانا معدن العيوب ولا أجحد ذنوبى فانا جبل الذنوب الى الله اشكو عجرى وبجرى وسقطاتى وغلطاتى نعم كل شىء ولا ما يقوله المتقول المشنع المهول الناطق بفم الشيطان المسول ومن أمثالهم سبنى واصدق ولا تفتر ولا تختلق افتلى كان يفعل امثالها ويحتمل من الاوزار المضاعفة اجمالها ويهلك نفسه ويحبط أعمالها عياذا بالله من خسران الدين وايثار الجاحدين والمعتدين قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وايم الله لو علمت شعرة فى فودى تميل الى تلك الجهة لقطعتها بل لقطفت ما تحت عمامتى من هامتى وقطعتها غير ان الرعاع فى كل وقت وأوان للملك أعداء وعليه أحزاب وأعوان كان أحمق أو أجهل من أبى ثروان أو أعقل او أعلم من أشج بنى مروان رب متهم برى ومسربل بسربال وهو منه عرى وفى الاحاديث صحيح وسقيم ومن التراكيب المنطقية منتج وعقيم ولكن ثم ميزان عقل تعتبر به أوزان النقل وعلى الراجح الاعتماد ثم اساغة الآحاد المتصل التمادى وللمرجوح الاطراح ثم التزام الصراح بعد النفض من الراح وأكثر ما تسمعه الكذب وطبع جمهور الخلق الا من عصمه الله تعالى اليه منجذب ولقد قذفنا من الاباطيل باحجار ورمينا بما لا يرمى به الكفار فضلا عن الفجار وجرى من الامر المنقول على لسان زيد وعمرو ما لديهم منه حفظ الجار واذا عظم الانكاء فعلى تكاءة التجلد الاتكاء أكثر المكثرون وجهد فى تعثيرنا المتعثرون ورمونا عن قوس واحده ونظمونا فى سلك الملاحده اكفرا أيضا كفرا غفرا اللهم غفرا أعد نظرا يا عبد قيس فليس الامر على ما خيل لك ليس وهل زدنا على أن طلبنا حقنا ممن رام محقه ومحقنا فطاردنا فى سبيله عداة كانوا لنا غائظين فانفتق علينا فتق لم يمكنا له رتق وما كنا للغيب حافظين وبعد فاسأل أهل الحل والعقد والتمييز والنقد فعند جهينتهم تلقى الخبر يقينا وقد رضينا بحكمهم يؤثمنا فيوبقنا أو يبرئنا فيقينا ايه يا من اشرأب الى ملامنا وقدح حتى فى اسلامنا رويدا رويدا فقد وجدت قوة وأيدا وبحك انما طال لسانك علينا وامتد بالسوء الينا لان الزمان لنا مصغر ولك مكبر والامر عليك مقبل وعنا مدبر كما قاله كاتب الحجاج الوبر وعلى الجملة فهبنا صرنا الى تسليم مقالك جدلا وذهبنا فاقررنا بالخطا فى كل ورد وصدر فلله در القائل * ان كنت أخطأت فما اخطأ القدر * وكأنا بمتعسف اذا وصل الى هنا وعدم انصافه يعلمه الهنا قد ازور متجانفا ثم

افترمتهانفا وجعل يتمثل بقولهم اذاعير وافالواقادر قدرت وبقولهم المرء بعجزه المحال فيعارض الحق بالباطل والحالي بالعاطل ومنزع بقول القائل رب مسمع هائل وليس تحته طائل وقد فرغنا أول أمس من جوابه وتركنا الضغن يلصق حرارة الجوى به وسنلم الآن بما يوسعه تسكيتا ويقطعه تبكيتا فنقول له ناشدتك الله تعالى هل اتفق لك قط وعرض خروج أمرما عن القصد منك فيه والغرض مع اجتهادك أثناءه في اصدارك وايرادك في وقوعه على وفق اقتراحك ومرادك أو جميع ما تزاوله بادارتك لا يقع الا مطابقا الارادتك أو كل ما تقصده وتنويه تحرزه كما تشاء وتحويه فلابد أن يقر اضطرارا بأن مطلوبه يشذ عنه مرارا بل كثيرا ما يفلت صيده من أشراكه ويطلبه فيعجز عن ادراكه فنقول ومسئلتنا من هذا القبيل أيها النبيه النبيل ثم نسرد له من الاحاديث النبوية ماشينا مما يسايرنا في غرضنا منه ويماشينا كقوله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقضاء وقدر حتى العجز والكيس وقوله أيضا لو اجتمع أهل السموات والارض على ان ينفعوك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه أو كما قال صلى الله عليه وسلم فأخلق به أن يلوذ بأكناف الاحجام ويزم على نفثه فيه كأنما ألجم بلجام حينئذ نقول له والحق قد أبان وجهه وجلاه وقهره بحجته وعلاه ليس لك من الامر شئ قل ان الامر كله لله وفي محاجة آدم وموسى ما يقطع لسان الخصم ويرحض عن أثواب أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من درن الوصم وكيفما كانت الحال وان ساء الرأي والانتحال ووقعنا في أوجال وأوحال فثل عرشنا وطويت فرشنا ونكس لوانا وملك مثوانا فنحن أمثل من سوانا وفي الشر خيار وبيد الالطاف تكسر من صولة الاغيار فحتى الآن لم نفقد من اللطيف تعالى لطفا ولا عدمنا أدوات أدعية تعطف بلا مهلة على جملتنا المقطوعة جمل النعم الموصولة عطفا والافتلك بغداد دار السلام ومتبوأ الاسلام المحفوف بفرسان السيوف والاقلام مثابة الخلافة العباسيه ومقر العلماء والفضلاء أولي السير الاويسيه والعقول الاياسيه قد نوزلت بالجيوش ونزلت وزوولت بالزحوف وزلزلت وتحيف جوانبها الحيف ودخلها كفار التتار عنوة بالسيف ولا تسل اذ ذاك عن كيف أيام تجلت عروس المنية كاشفة عن ساقها مبديه وجرت الدماء في الشوارع والطرق كالانهار والاوديه وقيد الائمة والقضاه تحت ظلال السيوف المنتضاه بالعمائم في رقابهم والارديه وللنجيع سيول تخوضها الخيول فتخضبها الى ارساغها وتهم ظماءها بورودها فتنكل عن تجرعها ومساغها فطاح عاصمها ومستعصمها وراح ولم يغد ظالمها ومتظلمها وخربت مساجدها وديارها واصطلم بالحسام أشرارها وخيارها فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرف حسبما عرفت أو حسبما تعرف فلاتك متشككا متوقفا فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند المؤرخين من قفا فأين تلك المجافل والآراء المداوة في المحافل حين أراد الله تعالى بادالة الكفر لم تجد ولا قلامة ظفر اذ من سلمت له نفسه التي هي رأس ماله وعياله وأطفاله اللاذان هما من أعظم آماله وكل أوجل أو أقل رياشه وأسباب معاشه الكفيلة بانتهاضه

وانما الناس في هذه الدنيا أعراض تنتضل فيهم المنايا وهم فيها نصب المصائب مع كل جرعة شرق وفي كل أكلة غصص لا ينالون نعمة الا بفراق أخرى ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهدم آخر من أجله وكتب الى عامله بالمدينة أن اقسم في ولد علي بن أبي طالب عشرة آلاف دينار فكتب اليه ان عليا قد ولد له في عدة قبائل من قريش ففي أي ولده فكتب اليه لو كتبت اليك في شاة تذبحها لكتبت الى سوداء أو بيضاء اذا أتاك كتابي هذا فاقسم في ولد علي من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة آلاف دينار فطالما تخطتهم حقوقهم والسلام (وخطب) في بعض مقاماته فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أيها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ألا واني لست بقاض ولكني منفذ الا واني لست بمبتدع ولكني متبع ان الرجل الهارب من الامام الظالم هو العاصي ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (وبعث) عمر وفدا الى ملك الروم في أمر من مصالح المسلمين وحق يدعوه اليه فلما دخلوا اذا ترجمان يفسر عليه وهو جالس على سرير ملكه والتاج على رأسه والبطارقة عن يمينه وشماله والناس على مراتبهم بين يديه فأدى اليه ما قصدوا له

وانتعاشه ثم وجد مع ذلك سبيلا الى الخلاص في حال مياسرة ومساهلة دون تصعب واعتياص بعد ما ظن كل الظن أن لا محيد ولا مناص فأحقه حينئذ ذو أولاه أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه على ما أسداه اليه من رفده وخيره ومعافاته مما ابتلى به كثيرا من غيره ويرضى بكل ما ارادوا اصدار تتصرف فيهما الاحكام الالهية والاقدار فالدهر غدار والدنيا دار مشحونة بالاكدار والقضاء لا يرد ولا يصد ولا يغالب ولا يطالب والدائرات تدور ولا بد من نقص وكمال للبدور والعبد مطيع لا مطاع وليس يطاع الا المستطاع وللخالق القدير جلت قدرته في خليقته علم غيب للاذهان عن مداه انقطاع ومالي والتكلف لما لا احتاج اليه من هذا القول بين يدي ذي الجلال والمجادة والفضل والطول فله من العقل الارجح ومن الخلق الاسجح ما لا تلتاط معه تهمتي بصفره ولا تنفق عنده وشاية الواشي لاعدم من نفره ولا فاز قدحه بظفره والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب وتجر براجتها الى المتاعب وقديما للاكياس من الناس خدعت وانحرفت عن وصالهم اعقل ما كانوا وقطعت وفعلت بهم ما فعلت بيسار الكواعب التي جبت وجدعت ولئن رهصت وهصرت فقد نبهت وبصرت ولئن قرعت ومعضت لقد أرشدت ووعظت وياويلنا من تنكرها الناجره ورميها الناقي غمرة أي غمره أيام قابلت لنا ظهر المجن وغيم افقها المصحي وأدجن فسرعان ما عاينا حبالها منبته ورأينا منها ما لم نحتسب كما تقوم الساعة بغتة فمن استعاذ من شئ فليستعذ مما صرنا اليه من الحور بعد الكور والانحطاط من النجد الى الغور

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فتبا الدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

وأيم الله لقد أرهقتنا ارهاقا وجرعتنا من صاب الاوصاب كاسا دهاقا ولم نفزع الى غير بابكم المنيع الجناب المنفتح حين سدت الابواب ولم نلبس غير لباس نعمائكم حين خلعنا ما ألبسنا الملك من الاثواب والى امه يلجأ الطفل لجأ اللهفان وعند الشدائد تمتاز السيوف من الاجفان ووجه الله تعالى يبقى وكل من عليها فان والى هنا ينتهي القائل ثم يقول حسبي هذا وكفان ولا ريب في اشتمال العلم الكريم على ما تعارفته الملوك بينها في الحديث والقديم من الاخذ باليد عند زلة القدم وقرع الاسنان وعض البنان من الندم دينا تدينت مع اختلاف الاديان وعادة اطردت على تعاقب الازمان والاحيان ولقد عرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة خيرنا فيها وأعطى من امانه المؤكد فيه خطه بأيمانه ما يقنع النفوس ويكفيها فلم نرو نحن من سلالة الاحمر مجاورة الصفر ولا سوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهراني الكفر ما وجدنا عن ذلك مندوحة ولو شاسعه وأمامنا من المطالب المشاغب جمة شرلنا الا سعه وادكرنا اى اد كار قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الانكار ألم تكن أرض الله واسعة وقول الرسول عليه الصلاة والسلام المبالغ في ذلك بابلغ الكلام أنا بريء من مؤمن مع كافر لا تتراءى ناراهما وقول الشاعر الحاث على حث المطيه المتثاقلة عن السير في طريق منجاتها البطيه

فتلقاهم بجميل وأجابهم بأحسن الجواب وانصرفوا عنه في ذلك اليوم فلما كان في غداة غد أتاهم رسوله فدخلوا عليه فاذا هو قد نزل عن سريره ووضع التاج عن رأسه وقد تغيرت صفاته التي شاهدوه عليها كأنه في مصيبة فقال هل تدرون لماذا دعوتكم قالوا لا قال ان صاحب مصلحتي التي تلي العرب جاءني كتابه في هذا الوقت أن ملك العرب الرجل الصالح قد مات فما ملكوا أنفسهم أن بكوا فقال لا تبكوا له وابكوا لانفسكم ما بدا لكم فانه خرج الى خير مما خلف قد كان يخاف أن يدع طاعة الله فلم يكن الله ليجمع عليه مخافة الدنيا ومخافة الآخرة لقد بلغني من بره وفضله وصدقه ما لو كان أحد بعد عيسى يحيي الموتى لظننت أنه يحيي الموتى ولقد كانت تأتيني أخباره باطنا وظاهرا فلا أجد أمره مع ربه الا واحدا بل باطنه أشد حين خلوته بطاعة مولاه ولم أعجب لهذا الراهب الذي قد ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعته ولكني عجبت من هذا الذي صارت الدنيا تحت قدمه فزهد فيها حتى صار مثل الراهب ان أهل الخير لا يبقون مع أهل الشر الا قليلا (وكتب عمر) الى أبي حازم المدني الاعرج أن أوصني وأوجز

وما أنا والتلذذ نحو نجد * وقد غصت تهامة بالرجال

ووصلت أيضا من الشرق الينا كتب كريمة المقاصد لدينا تستدعى الانحياز الى تلك الجنبات وتتضمن ما الامر يدعليه من الرغبات فلم نختر الا دارنا التى كانت دار آبائنا من قبلنا ولم نرتض الانضواء الا لمن بحبله وصل حبلنا و بريش نبله ريش نبلنا ادلالا على محل اخاء متوارث لا عن كلاله وامتثالا لوصاة اجداد لا نظارهم وأقدارهم أصالة وجلاله اذ قدرو ينا عمن سلف من أسلافنا فى الايصاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا أن لا يبتغوا اذا دهمهم داهم بالحضرة المرينية بدلا ولا يجدوا عن طريقها فى التوجه الى فريقها معدلا فاخترقنا الى الرياض الاريضة الفجاج وركبنا الى البحر الفرات ظهر البحر الاجاج فلا غروأن نردمنه على مايقر العين و يشفى النفس الشاكية من ألم البين ومن توصل هذا التوصل وتوسل بمثل ذلك التوسل تطارحا على سدة أمير المؤمنين المجار للعاربين والمؤمن للمستأمنين فهو الخليق الحقيق بان يسوّغ اصفى مشار به و يبلغ أوفى مآربه على توالى الايام والشهور والسنين و يخلص من الثبور الى الحبور ويخرج من الظلمات الى النور خروج الجنين ولعل شعاع سعادته يفيض علينا ونفحة قبول اقباله تسرى الينا فتخام نا أريحية تحملنا على أن نبادر لانشاد قول الشريف الرضى فى الخليفة القادر

عطفا أمير المؤمنين فاننا * فى دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا فى المعالى معرق
الا الخلافة ميزتك فاننى * أنا عاطل منها وأنت مطوّق

لا بل الاحرى بنا والاحجى والانجح لسعينا والارجى أن نعدل عن هذا المنهاج ويقوم وافدنا بين يدى علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج و ينشد ما قال فى الشيرازى ابن حجاج

الناس يفدونك اضطرارا * منهم وافديك باختيارى
وبعضهم فى جوار بعض * وأنت حتى أموت جارى
فعش لخبزى وعش لمائى * وعش لدارى وأهل دارى

ونستوهب من الوهاب تعالى جلت أسماؤه وتعاظمت نعماؤه رحمة تجعل فى يد الهداية أعنتنا وعصمة تكون فى مواقف المخاوف جنتنا وقبولا يعطف علينا نوافر القلوب وصنعا يسنى لنا كل مرغوب ومطلوب ونسأله وطالما بلغ السائل سؤلا ومأمولا متابا صادقا على موضوع الندم محمولا ثم عزاء حسنا وصبرا جميلا عن أرض أورثها من شاء من عباده معقبا لهم ومديلا وسادلا عليهم من ستور الاملاء الطويلة سدولا سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فليطر طائر الوسواس المرفرف مطيرا كان ذلك فى الكتاب مسطورا لم نستطع عن مورده صدورا وكان أمر الله قدرا مقدورا الا وان لله سبحانه فى مقامكم العلى الذى أيده واعانه سرا من النصر يترجم عنه لسان من النصل وترجع فروع البشائر الصادقه بالفتوحات المتلاحقه من قاعدته المتاصلة الى أصل

فكتب اليه كأنك يا أمير المؤمنين بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل والسلام ووقع الى عامل من عماله قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما عدلت واما اعتزلت والسلام وذكر المدائنى قال كان يشترى لعمر قبل خلافته الحلة بألف دينار فاذا لبسها استخشنها ولم يستحسنها فلما أتته الخلافة كان يشترى له قميص بعشرة دراهم فاذا لبسه استلانه وخرج مع جماعة من أصحابه فمر بالمقبرة فقال لهم قفوا حتى آتى قبور الاحبة فسلم عليهم فلما توسطها وقف فسلم وتكلم وانصرف الى أصحابه فقال ألا تسألونى ماذا قلت لهم وما قيل لى فقالوا وماذا قلت يا أمير المؤمنين وما قيل لك قال مررت بقبور الاحبة فسلمت فلم يردوا ودعوت فلم يجيبوا فبينما أنا كذلك اذ نوديت يا عمر أتعرفنى أنا الذى غيرت محاسن وجوههم ومزقت الاكفان عن جلودهم وقطعت أيديهم وأبنت أكفهم من سواعدهم ثم بكى حتى كادت نفسه أن تطفا فوالله ما مضى بعد ذلك الأيام حتى لحق بهم (وذكر المدائنى) قال كتب مطرف الى عمر أما بعد فان الدنيا دار عقوبة لها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم له فكن بها كالمداوى جرحه واصبر على شدة الدواء لما تخاف من عاقبة الداء (وذكر بعض الاخباريين) أن عمر

فيمثله يجب اللياذ والعياذ ولمثله يحق الالتجاء والارتجاء ولامر ما آثرناه واخترناه بعد أن استرشدنا الله سبحانه واستخرناه ومنه جل جلاله نرغب أن يخير لنا ولجميع المسلمين ويؤب بنا من حمايته ووقايته الى معقل منيع وجناب رفيع آمين آمين آمين ونرجو أن يكون ربنا الذي هو في جميع الامور حسبنا قد خار لنا حيث ارشدنا وهدانا وساقنا توفيقه وحدانا الى الاستجارة بملك حفي كريم وفي أعز جارا من أبي دواد وأحمى انفا من الحرث بن عباد يشهد بذلك الداني والقاصي والحاضر والباد ان أغاث ملهوفا فالاسود بن قنان يذكر وان انعش حشاشة هالك فا كعب بن مامة على فعله وحده يشكر جليسه كجليس القعقاع بن شور ومذاكره كمذاكر سفيان المنتسب من الرباب الى ثور الى التحلي بأمهات الفضائل التي أضدادها أمهات الرذائل وهي الثلاث الحكمة والعدل والعفة التي تشملها الثلاثة الاقوال والافعال والشمائل وينشأ منها ما شئت من عزم وحزم وعلم وحلم وتيقظ وتحفظ واتقاء وارتقاء وصول وطول وسماح نائل فبنور حلاه المشرق يفتخر المغرب على المشرق وبمجده السامي خطره في الاخطار وبيته الذي ذكره في النباهة والنجابة قد طار يباهي جميع ملوك الجهات والاقطار وكيف لا وهو الرفيع المنتمي والنجار الراضع من الطهارة صفو ألبان الناشئ من السراة وسط أحجار في ضئضئ المجد وبحبوح الكرم وسراوة أسرة المملكة التي أكنافها حرم وذؤابة الشرف التي مجاذبتها الملترم من معشر أي معشر بخلوا ان وهبوا مادون أعمارهم وجبنوا أن لم يحموا سوى ذمارهم بنو مرين وما أدراك ما بنو مرين

*سم العداة وآفة الجزر * النازلون بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

لهم من الهفوات انتفاء وعندهم من السير النبوية اكتفاء انتسبوا الى بر بن قيس فخرجوا في البر عن القيس مالهم القديم المعروف قد نفد في سبيل المعروف وحديثهم الذي نقلته الرجال الزحوف من طريق القنا والسيوف على الحسن من المقاصد موقوف تحمد من صغيرهم وكبيرهم ذابلهم ولدنهم فلله آباء أنجبوهم وأمهات ولدنهم شم الانوف من الطراز الاول اليهم في الشدائد الاستناد وعليهم في الازمات المعول ولهم في الوفاء والصفاء والاحتفاء والعناية والحماية والرعايه الخطو الواسع والباع الاطول كأنما عناهم بقوله جرول

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها * وان انعموا لا كدروها ولا كدوا
وتعذلني ابناء سعد عليهم * وما قلت الا بالتي علمت سعد

وبقوله الوثيق مبناه البليغ معناه

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

يزيحون عن التنزيل كل نازح فاصم وليس له منهم عائب ولا واصم فهو احق بما قاله في منقر قيس ابن عاصم

لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جوارهم فطن

في عنفوان حداثته حتى عليه عبد له أسود جناية فبطحه وهم ليضربه فقال له العبد يا مولاي لم تضربني قال لانك جنيت كذا وكذا قال فهل جنيت أنت جناية قط غضب بها عليك مولاك قال عمر نعم قال فهل عجل عليك العقوبة قال اللهم لا قال العبد فلم تعجل على ولم يعجل عليك فقال له قم فانت حر لوجه الله وكان ذلك سبب توبته وكان عمر يكثر هذا الكلام في دعائه فيقول يا حليما لا يعجل على من عصاه (وذكر جماعة من الاخباريين) أن عمر لما ولي الخلافة وفد عليه وفود العرب ووفد عليه وفد الحجاز فاختار الوفد غلاما منهم فقدموه عليهم ليبدأ بالكلام فلما ابتدأ الغلام بالكلام وهو أصغر القوم سنا قال عمر مهلا يا غلام ليتكلم من هو أسن منك فقال مهلا يا أمير المؤمنين انما المرء باصغريه لسانه وقلبه فاذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استجاد له الحلية يا أمير المؤمنين ولو كان التقدم بالسن لكان في هذه الامة من هو أسن منك قال تكلم يا غلام قال نعم يا أمير المؤمنين نحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة قدمنا اليك من بلدنا نحمد الله الذي من بك علينا لم يخرجنا اليك رغبة ولا رهبة أما حلاهم

حلاهم هذه الغريزة التى ليست باستكراه ولا جعل وامير المؤمنين دام نصره قسيمهم فيها حذو النعل بالنعل ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالاوصاف الملوكية مستعل ارفض مزنهم منه عن غيث ملث يمحو آثار الازبه وانشق غيلهم منه عن ليث ضار منقبض على راثنه للوثبه فقل لسكان الفلا لاتغرنكم اعدادكم وامدادكم فلا يبالى السرحان المواشى بواءه شى اليها النقرى او الجفلى بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عرنين ثم يبتلع بعد شلاءهم المعفرة ابتلاع التنين فهو هو كما عرفوه وعهدوه والفوه اخو المنايا وابن جلا وطلاع الثنايا مجتمع اشده قد احتنكت سنه وبان رشده جاد مجد محتزم بحزام الحزم مشمر عن ساعد الجد

لايشرب الماء الامن قليب دم * ولايبيت له جار على وجل
أسدى القلب آدمى الروا لابس جلد النمر يزدى العناد والنوا
وليس بشارى عليه دمامة * اذا ما سعى يسعى بقوس وأسهم
ولكنه يسعى عليه مفاضة * دلاص كأعيان الجراد المنظم

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين والوجل الوجل لاحقين به خاضعين قبل أن تساقوا اليه مقرنين فى الاصفاد ويعيا الفداء بنفائس النفوس والاموال على الفاد حينئذ يعض ذو الجهل والفدامه على يديه حسرة وندامه اذا رأى أبطال الجنود تحت خوافق الرايات والبنود قد لفحتهم نار ليست بذات خمود وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم عاد وثمود زعقات تؤز الكتائب أزا وهمزا محققا للخيل بعد المد المشبع للاعنة همزا وسلا للهندية سلا وهزا للخطية هزا حتى يقول النسر للذئب هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ثق خليفة الله بذاك فى كل من رام أذى رعيتك أو أذاك فتلك عادة الله سبحانه وتعالى فى ذوى الشقاق والنفاق الذين يشقون عصا المسلمين ويقطعون طريق الرفاق وينصبون حبائل البغى والفساد فى جميع النواحى والآفاق فلن يجعلهم الله عز وجل من الآمنين أنى وكيف وقد أفسدوا وخانوا وهو سبحانه لايصلح عمل المفسدين ولا يهدى كيد الخائنين وها نحن قد وجهنا الى كعبة مجدكم وجوه صلوات التقديس والتعظيم بعد ما زينا معاطفها باستعطافكم بدر ثناء أبهى من درر العقد النظيم منتظمين فى سلك أوليائكم متشرفين بخدمة عليائكم ولا فقد عزة ولا عدمها من قصد مثابتكم العزيزة وخدمها وان المترامى على سنائكم لجدير بحرمتكم واعتنائكم وكل ملهوف تبوأ من كنفكم حصنا حصينا عاش بقية عمره محروسا من الضيم مصونا وقد قيل فى بعض الكلام من قعدت به نكاية الايام اقامته اغاثة الكرام ومولانا أيده الله تعالى ولى ما يزفه الينا من مكرمة بكر ويصنعه لنا من صنيع حافل يخلد فى صحائف حسن الذكر ويروى معنعن حديث حمده وشكره طرس عن قلم عن بنان عن لسان عن فكر وغيره من ينام عن ذلك فيوقظ ويسترسل مع الغفلة حتى يذكر ويوعظ وما عهد منذ وجد الاسر يعالى داعى الندى والتكرم بريئا من الضجر بالمطالبة والتبرم حافظا للعار الذى أوصى النبى صلى الله عليه وسلم بحفظه مستفرغا وسعه فى رعيه المستمر ولحظه آخذا من حسن الثناء

---

١٠ الرغبة فقد أتانا منك الى بلدنا وأما الرهبة فقد أمننا الله بعد ذلك من جورك فقال عظنا يا غلام وأوجز قال نعم يا أمير المؤمنين ان أناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول أملهم وحسن ثناء الناس عليهم فلا يغرنك حلم الله عنك وطول أملك وحسن ثناء الناس عليك فتزل قدمك فنظر عمر فى سن الغلام فاذا هو قد أتت عليه بضع عشرة سنة فأنشأ عمر رحمه الله يقول

تعلم فليس المرء يولد عالما
وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده
صغير اذا التفت عليه المحافل

وقد كان رجل من أهل العراق أتى المدينة فى طلب جارية وصفت له قارئة قوّالة فسأل عنها فوجدها عند قاضى المدينة فأتاه وسأله أن يعرضها عليه فقال يا عبد الله لقد أبعدت الشقة فى طلب هذه الجارية فارغبتك فيها لما رأى من شدة اعجابه بها قال انها تغنى فتجيد فقال القاضى ما علمت بهذا فالح عليه فى عرضها فعرضت بحضرة مولاها القاضى فقال لها الفتى هات فغنت

الى خالد حتى أنخن بخالد
فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

ففرح القاضى بجاريته وسر بغنائها وغشيه من الطرب أمر عظيم حتى أقعدها على فخذه وقال

فى جميع الاوقات والآناء بحظه

فهو من دوحة السنا فرع عز * ليس يحتاج مجتنيه لهز
كفه فى المحال أغزر وبل * وذراه فى الخوف أمنع حرز
حلمه يسفر اسمه لك عنه * فتفهم يامدعى الفهم لغزى
لاتسله شيأ ولا تستنله * نظرة منه فيك تغنى وتجزى
فنداه هو الفرات الذى قد * عام فيه الانام عوم الاوز
وحماه هو المنيع الذى تر * جع عنه الخطوب مرجع عجز
فادعوا اذهنه يزاول قولى * فهو أدرى بما تضمن رمزى
دام يحيى بكل صنع ومن * ويعافى من كل بؤس ورجز

وكأنابه قد عمل على شاكلة جلاله من مد ظلاله وتمهيد خلاله وتلقى ورودنا بحسن تهلله واستهلاله وتأنيسنا بجميل قبوله واقباله وايرادنا على حوض كوثره المترع بزلاله والله سبحانه يسعد مقامه العلى ويسعدنا به فى حله وارتحاله ومآله وحاله ويؤيد جنده المظفر ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوه واستنزاله وهز الذوابل لاطفاء ذباله وهو سبحانه وتعالى المسؤل أن يريه قرة العين فى نفسه وأهله وخدامه وأمواله وأنظاره وأعماله وكافة شؤنه وأحواله وأحق مانصل بالسلام وأولى على المقام الجليل مقام الخليفة المولى أزكى الصلاة والسلام على خاتمة أنبيائه وارساله سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله صلاة وسلاما دائمين أبدا وموصولين بدوام الابد واتصاله ضامنين لمجددهما ومرددهما صلاح فساد أعماله وبلوغ غاية آماله وذلك بمشيئة الله تعالى واذنه وفضله وافضاله انتهى * وكاتب هذه الرسالة على لسان السلطان المخلوع قال الوادى آشى فى حقه انه امام هذه الصناعه وفارس حلبة القرطاس واليراعه وواسطة عقد البلاغة والبراعه الذى قطف الكمال لما نور ورتب محاسن البديع فى دور فقره وطور وغرف من بحر عجاج واقتطف من خاطر وهاج أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربى العقيلى وما أحسن قوله فيمن قد ظفر به المسلمون

ألا رب مغرور تنصر ضلة * يحاق به شؤم الضلال وشره
فان يرتفع عند النصارى بالابتدا * فكم عندنا من حرف جر بجره

وقال الوادى آشى أيضا فى موضع آخر مانصه ولشاعر العصر مالك زمامى النظم والنثر الفقيه العالم المتقن المتفنن العارف الاوحد النبيه النبيل سيدى محمد العربى وصل الله تعالى رفعة قدره وحرس من غير الايام أشعة بدره

الحب فى جمهور أنواره * فأين الاخوان والاحباب
وأين أين الاجتماعات قد * تهيأت لهن الاسباب
وأين بنت الجبن لما بدت * طارت اليها شوقا الباب
وأين الالبان لأكوابها * فى برم الارز تسكاب
واللحم بالسباس قد ألفت * لطبخه فى القدر الاحطاب

أروح الى القصاص كل عشية * أرجى ثواب الله فى عدد الخطا

هات شيأ بأبى أنت فغنت فزاد الطرب على القاضى ولم يدر مايصنع فأخذ نعله فعلقها فى أذنه وجثا على ركبتيه وجعل يأخذ بطرف أذنه والنعل معلقة فيها ويقول أهدونى الى البيت الحرام فانى بدنة حتى أدمى أذنه فلما أمسكت أقبل على الفتى فقال ياحبيبى انصرف قد كنا فيها راغبين قبل أن نعلم أنها تقول فنحن الآن فيها أرغب فانصرف الفتى وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتله الله لقد استرقه الطرب وأمر بصرفه عن عمله فلما صرف قال نساؤه طوالق لو سمعها عمر لقال اركبونى فانى مطية فبلغ ذلك عمر فاشخصه وأشخص الجارية فلما دخلا على عمر قال له أعد ماقلت قال نعم فاعاد ماقال فقال للجارية قولى فغنت

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

فما فرغت من هذا الشعر حتى طرب عمر طربا بينا وأقبل يستعيدها ثلاثا وقد بلت دموعه لحيته ثم أقبل على القاضى فقال

والعود

والعود ذودندنة يطبى * آثارها للطار دبداب
ولح الاصوات قدطورحت * وجاء معبد وزرياب
وفض للهوى ختام ولم * يسد فى وجه الهوى باب
وقيل للوقارقم قبل أن * تسلب عنك الآن الاثواب
وكل انسان وما يشتهى * ليس على مناه حجاب
مسترسلا ليس له عذل * كلا ولا عليه رقاب
فى راحة خلعت أرسانها * لمثلها تعصر الا عناب
فكل بستان قدا ستأسدت * فيه النواوير والاعشاب
وأطلع التراب أدواحه * كأنها العرب الاتراب
لما تحلت بحلى زهرها * داخلها بالحسن الاعجاب
عرائس ليس لها فى سوى * مائه اذ ينبه خطاب
أمام تبدى ثمرات بدا * فى جنباتهن الارطاب
كأنه فى العين ياقوت او * كأنه فى الفم جلاب
هيهات هيهات أمان لها * خاب برق لك خلاب
ماحوت الرؤس أمثالها * فكيف تحويهن الاذناب
قد عاق عن ذلك دهر به * تعدم الافراح والاطراب
يروم الانسان غلابه * والدهر للانسان غلاب

وقال رحمه الله تعالى لما نازل النصارى لمحاصرة غرناطة

بالطبل فى كل يوم * وبالنفير نراع وليس من بعد هذا * وذاك الا القراع
يارب خيرك نرجو * من هيض منه الذراع لا تسلبنى صبرا * منه لقلبى ادراع

وله رحمه الله تعالى فى الموشحات اليد الطولى فمن ذلك قوله

بدر أهل الزمان الرفيع القدر * لا تزل فى أمان من كسوف البدر

وله من اخرى

هل يصح الامان من شبيه البدر * وهو مثل الزمان منتم للغدر
لم يغر الاغر غير غمر جاهل * عيشه الحلوم وهو فيه ناهل
والصبا الغض مر وهو عنه ذاهل
مرشف البهرمان فوق ثغر الدر * مطمع للامان باقتراب الدر

وعارض رحمه الله تعالى بهاتين الموشحتين الموشحة المشهورة

ضاحك عن جمان سافر عن بدر * ضاق عنه الزمان وحواه صدرى

وممن عارض هذه الموشحة ابن ارقم اذ قال

مبسم البهرمان فى المحيا الدرى * صاد قلبى وبان وأنا لم أدر

والانصاف أن معارضة العربى أحسن من هذه وله أيضا معارضتان غير ما تقدم الاولى قوله

بان لى ثم بان ذا خدود حمر * ينثنى مثل بان فى ثياب خضر

وغيرهما عن الزبير بن بكار عن عبدالله بن أحمد المدينى قال كان بالمدينة فتى من بنى أمية من ولد عثمان وكان ظريفا يختلف الى قينة لبعض قريش وكانت الجارية تحبه ولا يعلم ويحبها ولا تعلم ولم تكن محبة القوم اذ ذاك لريبة ولا فاحشة فاراد يوما أن يبلوذلك فقال لبعض من عنده امض بنا اليها فانطلقا ووافاهما وجوه أهل المدينة من قريش والانصار وغيرهما وما كان فيهم فتى يجد بها وجده ولا تجد بواحد منهم وجدها بالاموى فلما أخذ الناس مواضعهم قال لها الفتى اتحسنين أن تقولين

أحبكم حبا بكل جوارحى
فهل عندكم علم بما لكم عندى
أتجزون بالود المضاعف مثله
فان كريما من جزى الود بالود

قالت نعم وأحسن أحسن منه وقالت

للذى ودنا المودة بالضعف وفضل البادى به لا يجازى
لو بدا ما بنا لكم ملأ الارض واقطار شأمها والحجازا

قال فعجب الفتى من حذقها مع حسن جوابها وجودة حفظها فازداد كلفا بها وقال

والثانية قوله

هل لمرآك ثان فى سناك الدرى * أو لحوباى ثان عن هواها العذرى

يا مليحا جلا عن محيا جميل * همت فيه ولا هيمان جميل * مل قليلا الى من اليك يميل

عاشق فيك فان كاتم للسر * لك منه مكان فى صميم الصدر

ومن نظم العربى المذكور لما عرض عليه السلطان رياسة كتابه من قصيدة

أوجه سعدى انحط عنه اللثام * أم بدر أفق فض عنه الغمام

أم أنا فى حالى لاعقل لى * أم حلم قد لاح لى فى المنام

يا لك مرأى من رأى حسنه * هاج لقلبه غراما فهام

كأنما أقبس نور البها * من وجه مولانا الامام الهمام

ابن أبى الحسن الاسرى الذى * قد كان للاملاك مسك الختام

ضرغام قد أنجب شبهاله * فى صدق باس ومضاء اعتزام

حامى وسامى فأفاعيله * تنقلها أبناء سام وحام

دام له النصر الذى جاءه * والسيف من طلى أعاديه دام

فيا أمير المؤمنين الذى * له بعروة اليقين اعتصام

أبشر بجد مقبل لم يؤل * الى انصراف لاولا لانصرام

وعزة لم يفض بنيانها * الى انهدادلاولا لانهدام

لله منك ملك جنده * زهر النجوم وهو بدر التمام

ومنها

يطرب من مادحه مثل ما * يطرب قلب الصب سجع الحمام

فيفعل الشعر بأعطافه * ماليس تفعل بهن المدام

وان حكى فى مدحه يوسفا * فحسنه يشبه زهر الكمام

ومنها

فداره ليست ببغدادهم * مع أنها تدعى بدار السلام

ومنها

أسأله الاعفاء من كل ما * أعجز عن حمل له والتزام

ومنها

مستشفعا له بخير الورى * محمد عليه أزكى السلام

ومنها

وكل انسان وما اختاره * ورب ذى عذر قد اضحى يلام

وآخرها

فالحمد لله على أن غدا * للشمل بعد الانصداع التئام

ولنختم هذه الترجمة بقوله

جز بالبساتين والرياض فما * أبهج مرئيها وأحلاه

واعجب بها للنبات وتلك فى * أسفله ناظرا وأعلاه

وقدس الله عند ذاك وقل * سبحانه لا اله الا هو

سبحان وارث الارض ومن عليها وهو خير
الوارثين والحمد لله رب العالمين

(تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث اوله القسم الثانى)

أنت عذر الفتى اذا هتك الستـ
ـر وان كان يوسف المعصوما
فبلغ ذلك عمر بن عبد
العزيز فاشتراها بعشر
حدائق ووهبها له بما
يصلحها فأقامت عنده
حولا ثم ماتت فرثاها
وقضى فى حاله ثلاث فدفنا معا
وكان من رثيته لها قوله
قد تمنيت جنة الخلد للخلـ
ـد فادخلتها بلا استئهال
ثم أخرجت اذ تطمعت بالنعـ
ـمة منها والموت أجد حال
وقال أشعب الطامع هذا
سيد شهيد الهوى انحروا
على قبره سبعين بدنة وقال
أبو حازم الاعرج المدنى
أما عجب لله يبلغ هذا

